(فهرست)
الجزء الثالث

من

تفسير الامام ابن جرير

الطبري

فهرست الجزء الثالث من تفسير الامام ابن جرير الطبرى

صحيفة

صحيفة

﴿ تم فهرست الجزء الثالث من ابن جرير ﴾

﴿فهرست الجزء الثالث من تفسير النيسابوري الموضوع بهامش الجزء الثالث من تفسير ابن جرير﴾

﴿تمت فهرست الجزء الثالث من تفسير النيسابورى﴾

﴿الجـــزء الثالث﴾

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن تأليف
الامام الكبير والمحدّث الشهير من أطبقت
الأمة على تقدمه في التفسير أبي جعفر
محمد بن جرير الطبري المتوفى
سنة ٣١٠ هجرية رحمه
الله وأثابه رضاه
آمـين

﴿وبهامشه تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين
الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري قدست أسراره﴾

«في كشف الظنون» قال الامام جلال الدين السيوطي في الاتقان وكتابه «أي الطبري» أجلّ التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفاسير الاقدمين * وقال النووي أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري * وعن أبي حامد الاسفرايني أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اهـ

﴿تنبيـــه﴾

طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة في خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبي الشهير بمصر ونجله
حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

﴿الطبعة الأولى﴾

بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحميه
سـنة ١٣٢٤ هجريه

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

۞ القول فى تأويل قوله تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات) يعنى تعالى ذكره بقوله تلك الرسل الذين قص الله قصصهم فى هذه السورة كموسى بن عمران وابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب وشمويل وداود وسائر من ذكر نبأهم فى هذه السورة يقول تعالى ذكره هؤلاء رسلى فضلت بعضهم على بعض فكلمت بعضهم والذى كلمته منهم موسى صلى الله عليه وسلم ورفعت بعضهم درجات على بعض بالكرامة ورفعة المنزلة كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى ذكره تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض قال يقول منهم من كلم الله ورفع بعضهم على بعض درجات يقول كلم الله موسى وأرسل محمدا الى الناس كافة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه * ومما يدل على صحة ما قلنا فى ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى بعثت الى الأحمر والأسود ونصرت بالرعب فان العدو ليرعب منى على مسيرة شهر وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد كان قبلى وقيل لى سل تعطه فاختبأتها شفاعة لأمتى فهى نائلة منكم ان شاء الله من لا يشرك بالله شيأ ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) يعنى تعالى ذكره بذلك وآتينا عيسى بن مريم البينات وآتينا عيسى بن مريم الحجج والأدلة على نبوته من ابراء الأكمه والابرص واحياء الموتى وما أشبه ذلك مع الانجيل الذى أنزلته اليه فبينت فيه ما فرضت عليه يعنى تعالى ذكره بقوله وأيدناه وقويناه وأعناه بروح القدس يعنى بروح الله وهو جبريل وقد ذكرنا اختلاف أهل العلم فى معنى روح القدس والذى هو أولى بالصواب من القول فى ذلك فيما مضى قبل فأغنى ذلك عن اعادته فى هذا الموضع ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات) يعنى تعالى ذكره بذلك ولو أراد الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون) ۞ القراآت لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالفتح غير منون أبو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير الباقون بالرفع والتنوين وكذلك فى سورة ابراهيم لا بيع فيه ولا خلال وكذلك فى سورة الطور لا لغو فيها ولا تأثيم ۞ الوقوف بالحق ط للابتداء بان المرسلين ٥ على بعض م لأنه لو وصل صار الجار والمجرور صفة لبعض فينصرف بيان تفضيل الرسل الى بعض فيكون موسى عليه السلام من هذا البعض المفضل عليه غيره لا من البعض المفضل على غيره بالتكليم درجات ط للعدول القدس ط من كفر ط ما يريد ٥

البينات يعنى من بعد الرسل الذين وصفهم بانه فضل بعضهم على بعض ورفع بعضهم درجات و بعد عيسى ابن مريم وقد جاءهم من الآيات بما فيه مزدجر لمن هداه الله ووفقه ويعنى بقوله من بعد ما جاءتهم البينات يعنى من بعد ما جاءهم من آيات الله ما أبان لهم الحق وأوضح لهم السبيل وقد قيل ان الهاء والميم فى قوله من بعدهم من ذكر موسى وعيسى ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات يقول من بعد موسى وعيسى حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات يقول من بعد موسى وعيسى ﴿﴾ القول فى تأويل قوله (ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكنّ الله يفعل ما يريد) يعنى تعالى ذكره بذلك ولكن اختلف هؤلاء الذين من بعد الرسل لما لم يشأ الله منهم تعالى ذكره أن لا يقتتلوا فاقتتلوا من بعد ما جاءتهم البينات من عند ربهم بتحريم الاقتتال والاختلاف و بعد ثبوت الحجة عليهم بوحدانية الله ورسالة رسله ووحى كتابه فكفر بالله و بآياته بعضهم وآمن بذلك بعضهم فأخبر تعالى ذكره أنهم أتوا ما أتوا من الكفر والمعاصى بعد علمهم بقيام الحجة عليهم بأنهم على خطا تعمدا منهم للكفر بالله وآياته ثم قال تعالى ذكره لعباده ولو شاء الله ما اقتتلوا يقول ولو أراد الله أن يحجزهم بعصمته وتوفيقه اياهم عن معصيته فلا يقتتلوا ما اقتتلوا ولا اختلفوا ولكنّ الله يفعل ما يريد بأن يوفق هذا لطاعته والايمان به فيؤمن به و يطيعه و يخذل هذا فيكفر به و يعصيه ﴿﴾ القول فى تأويل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون) يعنى تعالى ذكره بذلك يا أيها الذين آمنوا أنفقوا فى سبيل الله مما رزقناكم من أموالكم وتصدقوا منها وآتوا منها الحقوق التى فرضناها عليكم وكذلك كان ابن جريج يقول فيما بلغنا عنه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم قال من الزكاة والتطوع من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة يقول ادّخروا لأنفسكم عند الله فى دنياكم من أموالكم بالنفقة منها فى سبيل الله والصدقة على أهل المسكنة والحاجة وايتاء ما فرض الله عليكم فيها وابتاعوا بها ما عنده مما أعدّه لأوليائه من الكرامة بتقديم ذلك لأنفسكم ما دام لكم السبيل الى ابتياعه بما ندبتكم اليه وأمرتكم به من النفقة من أموالكم من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه يعنى من قبل مجىء يوم لا بيع فيه يقول لا تقدرون فيه على ابتياع ما كنتم على ابتياعه بالنفقة من أموالكم(١) التى أمرتكم به أو ندبتكم اليه فى الدنيا قادرين لأنه يوم جزاء وثواب وعقاب لا يوم عمل واكتساب وطاعة ومعصية فيكون لهم الى ابتياع منازل أهل الكرامة بالنفقة حينئذ أو بالعمل بطاعة الله سبيل ثم أعلمهم تعالى ذكره أن ذلك اليوم مع ارتفاع العمل الذى ينال به رضا الله أو الوصول الى كرامته بالنفقة من الأموال اذ كان لا مال هنالك يمكن ادراك ذلك به يوم لا مخالة فيه نافعة كما كانت فى الدنيا فان خليل الرجل فى الدنيا قد كان ينفعه فيها بالنصرة له على من حاوله بمكروه وأراده بسوء والمظاهرة له على ذلك فآيسهم تعالى ذكره أيضا من ذلك لانه لا أحد يوم القيامة ينصر أحدا من الله بل الأخلاء بعضهم لبعض عدوّ الا المتقين كما قال الله تعالى ذكره وأخبرهم أيضا أنهم يومئذ مع فقدهم السبيل الى ابتياع ما كان لهم الى ابتياعه سبيل فى الدنيا بالنفقة من أموالهم والعمل بأبدانهم وعدمهم النصراء من الخلان والظهراء من الاخوان لا شافع لهم يشفع عند الله كما كان ذلك لهم فى الدنيا فقد كان بعضهم يشفع فى الدنيا لبعض بالقرابة والجوار والخلة وغير ذلك من الأسباب فبطل ذلك كله يومئذ كما أخبر تعالى ذكره عن قيل أعدائه من أهل الجحيم فى الآخرة اذا صاروا فيها فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وهذه الآية مخرجها فى الشفاعة عام والمراد

(١) قوله بالنفقة من أموالكم التى أمرتكم به الخ كذا فى النسخ ولعله تحريف من الناسخ ووجه الكلام تذكير الذى صفة للابتياع أو تأنيث الضمير صفة للنفقة تأمل كتبه مصححه

﴿﴾ التفسير (تلك) القصص المذكورة من حديث الألوف واماتتهم ثم احيائهم ومن تمليك طالوت وظهور الآية التى هى اتيان التابوت وغلبة الجبابرة على يد داود وهو صبى فقير (آيات الله) الباهرة الدالة على كمال قدرته وحكمته ورحمته (نتلوها عليك) بتلاوة جبرائيل وفيه تشريف عظيم لجبرائيل كقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله (بالحق) باليقين الذى لا يشك فيه أهل الكتاب لانه فى كتبهم كذلك من غير تفاوت ولان فى تلاوتها حكمة شريفة وهى اعتبار المكلفين من أمتك ليحتملوا شدائد الجهاد كما احتملها الأمم السالفة ولانها تدل على نبوّتك من قبل أنها اخبار بالغيب ولما فيها من الفصاحة والبلاغة ثم أكد ذلك بقوله (وانك لمن المرسلين) حيث تخبر بها من غير أن تعرف بقراءة ودراسة وفيه أيضا تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم فيما يراه من الكفار وأهل النفاق من الخلاف والشقاق كما رآه الرسل قبله فالمصيبة اذا عمت طابت ولمثل هذا كرر فقال (تلك الرسل) أى الذين تعرفهم وأنت من جملتهم (فضلنا بعضهم على بعض منهم من) فضله الله بأن كلمه الله من

بها خاص وانما معناه من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة لأهل الكفر بالله لأن أهل ولاية الله والايمان به يشفع بعضهم لبعض وقد بينا صحة ذلك بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع * وكان قتادة يقول في ذلك بما حدثنا به بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة قد علم الله أن ناسا يتحابون في الدنيا ويشفع بعضهم لبعض فأما يوم القيامة فلا خلة الا خلة المتقين * وأما قوله والكافرون هم الظالمون فانه يعني تعالى ذكره بذلك والجاحدون لله المكذبون به وبرسله هم الظالمون يقول هم الواضعون جحودهم في غير موضعه والفاعلون غير ما لهم فعله والقائلون ما ليس لهم قوله وقد دللنا على معنى الظلم بشواهده فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته وفي قوله تعالى ذكره في هذا الموضع والكافرون هم الظالمون دلالة واضحة على صحة ما قلناه وأن قوله ولا خلة ولا شفاعة انما هو مراد به أهل الكفر فلذلك أتبع قوله ذلك والكافرون هم الظالمون فدل بذلك على أن معنى ذلك حرمنا الكفار النصرة من الاخلاء والشفاعة من الأولياء والأقرباء ولم نكن لهم في فعلنا ذلك بهم ظالمين اذ كان ذلك جزاء منا لما سلف منهم من الكفر بالله في الدنيا بل الكافرون هم الظالمون أنفسهم بما أتوا من الأفعال التي أوجبوا لها العقوبة من ربهم * فان قال قائل وكيف صرف الوعيد الى الكفار والآية مبتدأة بذكر أهل الايمان قيل له ان الآية قد تقدمها ذكر صنفين من الناس أحدهما أهل كفر والآخر أهل ايمان وذلك قوله ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ثم عقب الله تعالى ذكره الصنفين بما ذكرهم به بحض أهل الايمان به على ما يقربهم اليه من النفقة في طاعته وفي جهاد أعدائه من أهل الكفر به قبل مجيء اليوم الذي وصف صفته وأخبر فيه عن حال أعدائه من أهل الكفر به اذ كان قتال أهل الكفر به في معصيته ونفقتهم في الصد عن سبيله فقال تعالى ذكره يا أيها الذين آمنوا أنفقوا أنتم مما رزقناكم في طاعتي اذ كان أهل الكفر بي ينفقون في معصيتي من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه فيدرك أهل الكفر فيه ابتياع ما فرطوا في ابتياعه في دنياهم ولا خلة لهم يومئذ تنصرهم مني ولا شافع لهم يشفع عندي فتنجيهم شفاعته لهم من عقابي وهذا يومئذ فعلي بهم جزاء لهم على كفرهم وهم الظالمون أنفسهم دوني لأني غير ظلام لعبيدي وقد حدثني محمد بن عبد الرحيم قال ثني عمرو بن أبي سلمة قال سمعت عمر بن سليمان يحدث عن عطاء بن دينار أنه قال الحمد لله الذي قال والكافرون هم الظالمون ولم يقل الظالمون هم الكافرون * القول في تأويل قوله تعالى (الله لا اله الا هو الحي القيوم) قد دللنا فيما مضى على تأويل قوله الله وأما تأويل قوله لا اله الا هو فان معناه النهي عن أن يعبد شيء غير الله الحي القيوم الذي صفته ما وصف به نفسه تعالى ذكره في هذه الآية يقول الله الذي له عبادة الخلق الحي القيوم لا اله سواه لا معبود سواه يعني ولا تعبدوا شيئا سواه الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم والذي صفته ما وصف في هذه الآية وهذه الآية ابانة من الله تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله عما جاءت به المختلفين في البينات من بعد الرسل الذين أخبرنا تعالى ذكره أنه فضل بعضهم على بعض واختلفوا فيه فاقتتلوا فيه كفرا به من بعض وايمانا به من بعض فالحمد لله الذي هدانا للتصديق به ووفقنا للاقرار به * وأما قوله الحي فانه يعني الذي له الحياة الدائمة والبقاء الذي لا أول له بحد ولا آخر له يؤمد اذ كان كل ما سواه فانه وان كان حيا فلحياته أول محدود وآخر مأمود ينقطع بانقطاع أمدها وينقضي بانقضاء غايتها وبما قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثت عن عمار بن الحسن قال

غير سفير وهو موسى عليه السلام (ورفع بعضهم درجات) قيل ان درجات نصب بنزع الخافض وقيل رفع لبعضهم كقوله ورفعناه مكانا عليا أي له وقيل حال من بعضهم أي ذا درجات وقيل مصدر في موضع الحال وقيل انتصابه على المصدر لأن الدرجة بمعنى الرفعة فكأنه قال ورفعنا بعضهم رفعات وأيد عيسى بروح القدس (٤) ومع ذلك قد نالهم من قومهم ما ذكرناه لك بعد مشاهدة المعجزات وأنت رسول مثلهم فلا تحزن على ما ترى من قومك ولو شاء الله لم يختلف أمم أولئك ولكن ما قضاه الله فهو كائن وما قدره فهو واقع * واعلم أن الأمة أجمعت على أن بعض الأنبياء أفضل من بعض وعلى أن محمدا أفضل الكل لوجوه منها قوله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ومنها قوله ورفعنا لك ذكرك قرن ذكره بذكره صلى الله عليه وسلم في كلمة الشهادة وفي الأذان وفي التشهد ولم يكن ذلك لسائر الأنبياء ومنها أنه قرن طاعته بطاعته من يطع الرسول فقد أطاع الله وبيعته ببيعته ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وعزته بعزته ولله العزة ولرسوله ورضاه برضاه والله ورسوله أحق أن يرضوه واجابته باجابته يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول ومحبته بمحبته قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ومنها أن معجزاته أكثر وقد ترتقي الى ألف من جملتها القرآن بل القرآن يشتمل على ألفي معجزة وأزيد لان التحدي وقع بأقصر سورة هي الكوثر وانها ثلاث آيات وكل ثلاث آيات من القرآن تصلح للتحدي فيكون معجزا برأسه ومنها أن معجزته وهي القرآن باقية على وجه الدهر ومعجزاتهم قد انقضت ثنا وانقرضت مع أن معجزته من جنس ما لا يبقى زمانين وهي الأصوات والحروف ومعجزاتهم من جنس ما يبقى مدة طويلة ومنها أنه اجتمع فيه من الخصال الجميلة والخلال المرضية ما كان متفرقا فيهم واليه الاشارة بقوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده أي أطعناك على

ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله الحي حي لا يموت حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله * وقد اختلف أهل البحث في تأويل ذلك فقال بعضهم انما سمى الله نفسه حيا لصرفه الأمور مصارفها وتقديره الأشياء مقاديرها فهو حي بالتدبير لا بحياة * وقال آخرون بل هو حي بحياة هي له صفة * وقال آخرون بل ذلك اسم من الأسماء تسمى به فقلناه تسليما لأمره * وأما قوله القيوم فانه الفيعول من القيام وأصله القيووم سبق عين الفعل وهي واو ياء ساكنة فاندغمتا فصارتا ياء مشددة وكذلك تفعل العرب في كل واو كانت للفعل عينا سبقتها ياء ساكنة ومعنى قوله القيوم القائم برزق ما خلق وحفظه كما قال أمية

لم تخلق السماء والنجوم * والشمس معها قمر يقوم

قدره المهيمن القيوم * والحشر والجنة والجحيم

* الا لأمر شأنه عظيم *

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله القيوم قال القائم على كل شئ حدثني المثنى قال ثنا اسحق عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع القيوم قيم كل شئ يكلؤه ويرزقه ويحفظه حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي القيوم وهو القائم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك الحي القيوم قال القائم الدائم * القول في تأويل قوله (لا تأخذه سنة ولا نوم) يعني تعالى ذكره بقوله لا تأخذه سنة لا يأخذه نعاس فينعس ولا نوم فيستثقل نوما والوسن خثورة النوم ومنه قول عدي بن الرقاع

وسنان أقصده النعاس فرنقت * في عينه سنة وليس بنائم

ومن الدليل على ما قلنا من أنها خثورة النوم في عين الانسان قول الأعشى ميمون بن قيس

تعاطي الضجيع اذا أقبلت * بعيد النعاس وقبل الوسن

وقال آخر

باكرتها الأعراب في سنة النو * م فتجري خلال شوك السيال

يعني عند هبوبها من النوم ووسن النوم في عينها يقال منه وسن فلان فهو يوسن وسنا وسنة وهو وسنان اذا كان كذلك وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله تعالى لا تأخذه سنة قال السنة النعاس والنوم هو النوم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس لا تأخذه سنة السنة النعاس حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة والحسن في قوله لا تأخذه سنة قال النعسة حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك في قوله لا تأخذه سنة ولا نوم قال السنة الوسنة وهو دون النوم والنوم الاستثقال حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك لا تأخذه سنة ولا نوم السنة النعاس والنوم الاستثقال حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك مثله سواء حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي لا تأخذه سنة ولا نوم

أحوالهم وسيرهم فاختر أنت منها أجودها وأحسنها فانه لا يجوز أن يكون مأمورا بالاقتداء بهم في أصول الدين لأنه تقليد ولا في الفروع فان شرعه ناسخ الشرائع فاذن المراد محاسن الأخلاق ومنها أنه بعث الى الخلق كافة وكان يتحمل أعباء الرسالة أكثر فيكون ثوابه أزيد ومنها أن هذا الدين أفضل والا لم ينسخ به سائر الأديان فيكون شارعه أفضل ومنها أن أمته أفضل كنتم خير أمة أخرجت للناس واذا كان التابع أفضل فالمتبوع أفضل ومنها أن أمته أكثر لكونه مبعوثا الى الجن والانس ولا يخفى ان لكثرة التابعين أثرا قويا في علو شأن المتبوع ومنها أن كل نبي نودي في القرآن فقد نودي باسمه يا آدم اسكن يا موسى انى أنا الله وناديناه أن يا ابراهيم يا عيسى انى متوفيك وأما النبي صلى الله عليه وسلم فانه نودي بقوله يا أيها النبي يا أيها الرسول بل أقسم بحياته لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون وأما الأحاديث في هذا الباب فعن ابن عباس قال جلس ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتذاكرون وهم ينتظرون خروجه قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم لبعض عجبا ان الله تبارك وتعالى اتخذ من خلقه خليلا واتخذ ابراهيم خليلا وقال آخر ماذا بأعجب من كلام موسى كلمه تكليما وقال آخر ماذا بأعجب من جعل عيسى كلمة الله وروحه وقال آخر ماذا بأعجب من آدم اصطفاه الله عليهم وخلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم أن ابراهيم خليل الله وهو كذلك وأن موسى نجي الله وهو كذلك وأن عيسى روح الله وكلمته وهو كذلك وأن آدم اصطفاه الله وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر وأنا أول شافع وأول شفيع يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي

أماسنة فهو ريح النوم الذي يأخذ في الوجه فينعس الانسان حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع لا تأخذه سنة ولا نوم قال السنة الوسنان بين النائم واليقظان حدثني عباس بن أبي طالب قال ثنا منجاب بن الحرث قال ثنا علي بن مسهر عن اسمعيل عن يحيى بن رافع لا تأخذه سنة قال النعاس حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لا تأخذه سنة ولا نوم قال الوسنان الذي يقوم من النوم لا يعقل حتى ربما أخذ السيف على أهله وانما عنى تعالى ذكره بقوله لا تأخذه سنة ولا نوم لا تحله الآفات ولا تناله العاهات وذلك أن السنة والنوم معنيان يغمران فهم ذي الفهم ويزيلان من أصاباه عن الحال التي كان عليها قبل أن يصيباه فتأويل الكلام اذ كان الامر على ماوصفنا الله لا اله الا هو الحي الذي لا يموت القيوم على كل ماهو دونه بالرزق والكلاءة والتدبير والتصريف من حال الى حال لا تأخذه سنة ولا نوم لا يغيره ما يغير غيره ولا يزيله عما لم يزل عليه تنقل الاحوال وتصريف الليالي والايام بل هو الدائم على حال والقيوم على جميع الانام لو نام كان مغلوبا مقهورا لان النوم غالب النائم قاهره ولو وسن لكانت السموات والارض وما فيهما دكا لأن قيام جميع ذلك بتدبيره وقدرته والنوم شاغل المدبر عن التدبير والنعاس مانع المقدر عن التقدير بوسنه كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال وأخبرني الحكم بن أبان عن عكرمة مولى ابن عباس في قوله لا تأخذه سنة ولا نوم أن موسى سأل الملائكة هل ينام الله فأوحى الله الى الملائكة وأمرهم أن يؤرقوه ثلاثا فلا يتركوه ينام ففعلوا ثم أعطوه قارورتين فأمسكوه ثم تركوه وحذروه أن يكسرهما قال فجعل ينعس وهما في يديه في كل يد واحدة قال فجعل ينعس وينتبه وينعس وينتبه حتى نعس نعسة فضرب باحداهما الاخرى فكسرهما قال معمر انما هو مثل ضربه الله يقول فكذلك السموات والارض في يديه حدثنا اسحق بن أبي اسرائيل قال ثنا هشام بن يوسف عن أمية بن شبل عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي عن موسى صلى الله عليه وسلم على المنبر قال وقع في نفس موسى هل ينام الله تعالى ذكره فأرسل الله اليه ملكا فأرقه ثلاثا ثم أعطاه قارورتين في كل يد قارورة وأمره أن يحتفظ بهما قال فجعل ينام وتكاد يداه تلتقيان ثم يستيقظ فيحبس احداهما عن الاخرى ثم نام نومة فاصطفقت يداه وانكسرت القارورتان قال ضرب الله له مثلا ان الله لو كان ينام لم تستمسك السماء والأرض ۞ القول في تأويل قوله تعالى (له ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) يعني تعالى ذكره بقوله له ما في السموات وما في الارض أنه مالك جميع ذلك بغير شريك ولا نديد وخالق جميعه دون كل آلهة ومعبود وانما يعني بذلك أنه لا تنبغي العبادة لشيء سواه لأن المملوك انما هو طوع يد مالكه وليس له خدمة غيره الا بأمره يقول فجميع ما في السموات والارض ملكي وخلقي فلا ينبغي أن يعبد أحد من خلقي غيري وأنا مالكه لأنه لا ينبغي للعبد أن يعبد غير مالكه ولا يطيع سوى مولاه * وأما قوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعني بذلك من ذا الذي يشفع لمماليكه ان أراد عقوبتهم الا أن يخليه ويأذن له بالشفاعة لهم وانما قال ذلك تعالى ذكره لان المشركين قالوا ما نعبد أوثاننا هذه الا ليقربونا الى الله زلفى فقال الله تعالى ذكره لهم لي ما في السموات وما في الارض مع السموات والأرض ملكا فلا ينبغي العبادة لغيري فلا تعبدوا الأوثان التي تزعمون أنها تقربكم مني زلفى فانها لا تنفعكم عندي ولا تغني عنكم شيئا ولا يشفع عندي أحد

فمد خلتها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وفي الصحيحين عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل أحمر وأسود وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وجعلت لي الارض طيبة وطهورا ومسجدا فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان ونصرت (٩) بالرعب على العدو بين يدي مسيرة شهر وأعطيت الشفاعة و روى البيهقي في كتابه في فضائل الصحابة ظهر علي بن أبي طالب من البعد فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا سيد العرب فقالت عائشة ألست سيد العرب فقال أنا سيد العالمين وهو سيد العرب ومما يؤكد هذه المعاني ما ركز في العقول أن ذخائر كل ملك ينبغي أن تكون على مقدار من تحت تملكه فأمير المدينة يحتاج الى عدة أكثر من عدة رئيس القرية ولما كانت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أعم من نبوة سائر الأنبياء فانه مبعوث الى الثقلين كافة فلا جرم أعطى من كنوز العلم والحكمة وذخائر المعارف والحقائق ومن جوامع الكلم وبدائع الحكم ومحاسن العادات ومكارم الأخلاق مالم يؤت نبي قبله ولن يؤتى أحد بعده هذا وقد طعن فيه بعض الملحدة بأن معجزات سائر الأنبياء كانت أعظم من معجزاته فآدم جعل مسجود الملائكة وابراهيم ألقي في النار فانقلبت روحا وريحانا وأوتي موسى العصا واليد البيضاء وداود لان الحديد في يده وسليمان أعطى ملكا لا ينبغي لأحد من بعده وكان الجن والانس والطير مسخرين له وقد اعترف محمد بفضلهم حتى قال لا تفضلوني على يونس بن متى وقال لا تخيروا بين الأنبياء وقال لا ينبغي لأحد أن يكون خيرا من يحيى بن زكريا وذكر أنه لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها والجواب أن كون آدم مسجودا للملائكة لا يوجب كونه أفضل من محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة وقوله كنت نبيا

لاحد الابتخليتي اياه والشفاعة لمن يشفع له من رسلي وأوليائي وأهل طاعتي ۞ القول في تأويل قوله تعالى (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء) يعني تعالى ذكره بذلك أنه المحيط بكل ما كان وبكل ما هو كائن علما لا يخفى عليه شيء منه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن الحكم يعلم ما بين أيديهم الدنيا وما خلفهم الآخرة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يعلم ما بين أيديهم ما مضى من الدنيا وما خلفهم من الآخرة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قوله يعلم ما بين أيديهم ما مضى أمامهم من الدنيا وما خلفهم ما يكون بعدهم من الدنيا والآخرة حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي يعلم ما بين أيديهم قال ما بين أيديهم فالدنيا وما خلفهم فالآخرة * وأما قوله ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء فانه يعني تعالى ذكره أنه العالم الذي لا يخفى عليه شيء محيط بذلك كله محص له دون سائر من دونه وأنه لا يعلم أحد سواه شيأ الا بما شاء هو أن يعلمه فأراد فعلمه وانما يعني بذلك أن العبادة لا تنبغي لمن كان بالأشياء جاهلا فكيف يعبد من لا يعقل شيأ البتة من وثن وصنم يقول أخلصوا العبادة لمن هو محيط بالأشياء كلها يعلمها لا يخفى عليه صغيرها وكبيرها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني موسى ابن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي ولا يحيطون بشيء من علمه يقول لا يعلمون بشيء من علمه الا بما شاء هو أن يعلمهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وسع كرسيه السموات والأرض) اختلف أهل التأويل في معنى الكرسي الذي أخبر الله تعالى ذكره في هذه الآية أنه وسع السموات والارض فقال بعضهم هو علم الله تعالى ذكره ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب وسلم بن جنادة قالا ثنا ابن ادريس عن مطرف عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وسع كرسيه قال كرسيه علمه حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا مطرف عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس مثله وزاد فيه ألا ترى الى قوله ولا يؤده حفظهما * وقال آخرون الكرسي موضع القدمين ذكر من قال ذلك حدثني علي بن مسلم الطوسي قال ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال ثني أبي قال ثني محمد بن جحادة عن سلمة بن كهيل عن عمارة بن عمير عن أبي موسى قال الكرسي موضع القدمين وله أطيط كأطيط الرحل حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي وسع كرسيه السموات والارض فان السموات والارض في جوف الكرسي والكرسي بين يدي العرش وهو موضع قدميه حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قوله وسع كرسيه السموات والارض قال كرسيه الذي يوضع تحت العرش الذي يجعل الملوك عليه أقدامهم حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد الزبيري عن سفيان عن عمار الدهني عن مسلم البطين قال الكرسي موضع القدمين حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع وسع كرسيه السموات والارض قال لما نزلت وسع كرسيه السموات والارض قال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يارسول الله هذا الكرسي وسع السموات والارض فكيف العرش فأنزل الله تعالى وما قدروا الله حق قدره الى قوله سبحانه وتعالى عما يشركون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وسع

وادم بين الماء والطين ونقل أن جبريل عليه السلام أخذ ركاب محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وهذا أعظم من السجود وأنه تعالى يصلي بنفسه على محمد الى يوم القيامة وسجود الملائكة لآدم ما كان الا مرة واحدة على أن ذلك السجود أيضا انما كان لأجل نور محمد صلى الله عليه وسلم الذي كان في جبهته وان أول الفكر آخر العمل ولهذا قال لولاك لولاك لما خلقت الافلاك (٧) ومن تأمل كتب دلائل النبوة وجد في مقابلة كل معجز كان لنبي قبله معجزة أفضل منها لمحمد صلى الله عليه وسلم وأما قوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني ولا تخيروا فنوع من التواضع وسلوك طريق الادب وأيضا التمييز بين الشخصين انما يمكن بعد الاحاطة بفضائلهما جميعا وذلك مرتبة لا تليق بكل أحد فورد النهي عنه حتى لا يؤدي الى محذور والحاصل أن التوفيق بين قوله لا تفضلوني وبين ما مر من الاحاديث أن كلا منهما ورد في مقام آخر ولغرض آخر فحيث رآهم يزدرون بشأنه ويتعجبون من الأنبياء السالفة منعهم عن ذلك وقال أنا أكرم الاولين والآخرين وأنا سيد العالمين وحيث رآهم يزدرون بشأن بعض الانبياء زجرهم عن ذلك وقال لا تفضلوني على أنه لا يلزم من النهي عن شيء عدم مطابقة ذلك الشيء للواقع فقد يكون الشيء حقا في الواقع وينهى عن الاشتغال به لكونه غير مهم بالنسبة الى المكلف فالمراد بهذا الامر لا تشتغلوا بتفضيلي فانه لا يهمكم وانما المهم لكم أن تعرفوا حقية جميع الانبياء وتؤمنوا بهم ولنرجع الى ما كنا فيه فقوله من كلم الله التقدير من كلمه فحذف العائد وقرئ كلم الله بالنصب وليس بقوي فان كل مصل فانه يكلم الله قال صلى الله عليه وسلم المصلي يناجي ربه وانما الشرف في أن يكلمه الله قال الاشعري المسموع هو الكلام القديم الازلي ولا يستبعد سماع ما ليس بحرف ولا صوت كما لا يمتنع رؤية ما ليس بكيف ولا في جهة وقالت المعتزلة سماع ما ليس بحرف ولا صوت محال واتفقوا على أن موسى قد كلمه الله

واختلف في أن محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج هل كلمه الله أم لا منهم من قال نعم بدليل قوله فأوحى الى عبده ما أوحى وأورد ههنا أن التكليم لا يدل على فضل ومنقبة فقد كلم الله ابليس حيث قال أنظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين الآيات وأجيب بأن قصة ابليس ليس فيها ما يدل على أنه تعالى كلمه من غير واسطة فلعل الواسطة كانت موجودة قلت هذا خلاف الظاهر والحق أن المكالمة قسمان مكالمة الرضا وهي الموجبة للتشريف كمكالمة موسى ومكالمة الغضب وهي الموجبة للعن كما في حق ابليس وأن عليك اللعنة الى يوم الدين وكما في أهل النار اخسؤا فيها ولا تكلمون أما قوله ورفع بعضهم درجات فقيل المراد بيان أن الرسل مراتبهم متفاوتة فاتخذ ابراهيم خليلا وأعطى داود الملك والنبوة وسخر لسليمان الجن والانس والطير والريح وخص يحيى بالعفة والطهارة وعدم الحاجة الى النسوان وخص محمدا صلى الله عليه وسلم بالبعث الى الثقلين وكونه خاتم النبيين الى سائر خصائصه هذا اذا حملنا الدرجات على المناصب والمراتب أما اذا حملناها على المعجزات ففيه أيضا وجه وذلك أن كل واحد من الانبياء أوتي نوعا آخر من المعجزة لائقا بزمانه فمعجزات موسى من قلب العصا حية ومن اليد البيضاء وفلق البحر كانت شبيهة بما عليه أهل زمانه من السحر ومعجزات عيسى من ابراء الاكمه والابرص تناسب الطب لان كل ذلك غالب على قومه ومعجزة محمد صلى الله عليه وسلم وهي القرآن تضاهي ما عليه الناس وقتئذ من الفصاحة والبلاغة وانشاء الخطب وقرض الشعر وبالجملة فالمعجزات متفاوتة بالقلة والكثرة وبالبقاء وعدم البقاء وبالقوة وعدم القوة وفيه وجه ثالث وهو أن يكون المراد بتفاوت الدرجات ما يتعلق بالدنيا وهو كثرة الامة والصحابة وقوة الدولة واذا تأملت الوجوه الثلاثة علمت أن محمدا صلى الله عليه وسلم كان مستجمعا للكل فمنصبه أعلى ومعجزته أقوى وأبقى وقومه أكثر ودولته

كرسيه السموات والارض قال ابن زيد فحدثني أبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما السموات السبع في الكرسي الا كدراهم سبعة ألقيت في ترس قال وقال أبو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما الكرسي في العرش الا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الارض * وقال آخرون الكرسي هو العرش نفسه ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قال كان الحسن يقول الكرسي هو العرش * قال أبو جعفر ولكل قول من هذه الأقوال وجه ومذهب غير أن الذي هو أولى بتأويل الآية ما جاء به الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما حدثني به عبد الله بن أبي زياد القطواني قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبي اسحق عن عبد الله بن خليفة قال أتت امرأة النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ادع الله أن يدخلني الجنة فعظم الرب تعالى ذكره ثم قال ان كرسيه وسع السموات والأرض وانه ليقعد عليه فما يفضل منه مقدار أربع أصابع ثم قال بأصابعه فجمعها وان له أطيطا كأطيط الرحل الجديد اذا ركب من ثقله حدثني عبد الله ابن أبي زياد قال ثنا يحيى بن أبي بكر عن اسرائيل عن أبي اسحق عن عبد الله بن خليفة عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن عبد الله بن خليفة قال جاءت امرأة فذكر نحوه وأما الذي يدل على صحته ظاهر القرآن فقول ابن عباس الذي رواه جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عنه أنه قال هو علمه وذلك لدلالة قوله تعالى ذكره ولا يؤده حفظهما على أن ذلك كذلك فأخبر أنه لا يؤده حفظ ما علم وأحاط به مما في السموات والأرض وكما أخبر عن ملائكته أنهم قالوا في دعائهم ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما فأخبر تعالى ذكره أن علمه وسع كل شئ فكذلك قوله وسع كرسيه السموات والارض وأصل الكرسي العلم ومنه قيل للصحيفة يكون فيها علم مكتوب كراسة ومنه قول الراجز في صفة قانص * حتى اذا ما احتازها تكرسا * يعني علم ومنه يقال للعلماء الكراسي لانهم المعتمد عليهم كما يقال أوتاد الارض يعني بذلك أنهم العلماء الذين تصلح بهم الارض ومنه قول الشاعر

يحف بهم بيض الوجوه وعصبة * كراسي بالأحداث حين تنوب

يعني بذلك علماء بحوادث الامور ونوازلها والعرب تسمي أصل كل شئ الكرس يقال منه فلان كريم الكرس أي كريم الاصل قال العجاج

قد علم القدوس مولى القدس * أن أبا العباس أولى نفس * بمعدن الملك الكريم الكرس

يعني بذلك الكريم الاصل ويروى * في معدن العز الكريم الكرس * القول في تأويل قوله تعالى (ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم) يعني تعالى ذكره بقوله ولا يؤده حفظهما ولا يشق عليه ولا يثقله يقال منه قد آدني هذا الامر فهو يؤدني أودا وايادا ويقال ما آدك فهو لي آئد يعني بذلك ما أثقلك فهو لي مثقل وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى بن ابراهيم قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ولا يؤده حفظهما يقول لا يثقل عليه حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ولا يؤده حفظهما قال لا يثقل عليه حفظهما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا يؤده حفظهما لا يثقل عليه لا يجهده حفظهما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا

عبد الرزاق

عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن وقتادة فى قوله ولا يؤده حفظهما قال لا يثقل عليه شىء حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا يوسف بن خالد السمتى قال ثنا نافع بن مالك عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله ولا يؤده حفظهما قال لا يثقل عليه حفظهما حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن أبى زائدة وحدثنا يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا يزيد قالا جميعا أخبرنا جويبر عن الضحاك ولا يؤده حفظهما قال لا يثقل عليه حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن عبيد عن الضحاك مثله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعته يعنى خلادا يقول سمعت أبا عبد الرحمن المدينى يقول فى هذه الآية ولا يؤده حفظهما قال لا يكبر عليه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى بن ميمون عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ولا يؤده حفظهما قال لا يكرثه حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى ولا يؤده حفظهما قال لا يثقل عليه حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ولا يؤده حفظهما يقول لا يثقل عليه حفظهما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا يؤده حفظهما قال لا يعز عليه حفظهما * قال أبو جعفر والهاء والميم والالف فى قوله حفظهما من ذكر السموات والارض فتأويل الكلام وسع كرسيه السموات والارض ولا يثقل عليه حفظ السموات والارض * وأما تأويل قوله وهو العلى فانه يعنى والله العلى والعلى الفعيل من قولك علا يعلو علوا اذا ارتفع فهو عال وعلىّ والعلى ذو العلو والارتفاع على خلقه بقدرته وكذلك قوله العظيم ذو العظمة الذى كل شىء دونه فلا شىء أعظم منه كما حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس العظيم الذى قد كمل فى عظمته * واختلف أهل البحث فى معنى قوله وهو العلى فقال بعضهم يعنى بذلك وهو العلى عن النظير والأشباه وأنكروا أن يكون معنى ذلك وهو العلى المكان وقالوا غير جائز أن يخلو منه مكان ولا معنى لوصفه بعلو المكان لان ذلك وصفه بأنه فى مكان دون مكان * وقال آخرون معنى ذلك وهو العلى على خلقه بارتفاع مكانه عن أماكن خلقه لانه تعالى ذكره فوق جميع خلقه وخلقه دونه كما وصف به نفسه انه على العرش فهو عال بذلك عليهم وكذلك اختلفوا فى معنى قوله العظيم فقال بعضهم معنى العظيم فى هذا الموضع المعظم صرف المفعل الى فعيل كما قيل للخمر المعتقة خمر عتيق كما قال الشاعر

وكأن الخمر العتيق من الاسـ * ـفنط ممزوجة بماء زلال

وانما هى معتقة قالوا فقوله العظيم معناه المعظم الذى يعظمه خلقه ويهابونه ويتقونه قالوا وانما يحتمل قول القائل هو عظيم أحد معنيين أحدهما ما وصفنا من أنه معظم والآخر أنه عظيم فى المساحة والوزن قالوا وفى بطول القول بان يكون معنى ذلك انه عظيم فى المساحة والوزن صحة القول بما قلنا * وقال آخرون بل تأويل قوله العظيم هو أن له عظمة هى له صفة وقالوا لا نصف عظمته بكيفية ولكنا نضيف ذلك اليه من جهة الاثبات وننفى عنه أن يكون ذلك على معنى مشابهة العظم المعروف من العباد لان ذلك تشبيه له بخلقه وليس كذلك وأنكر هؤلاء ما قاله أهل المقالة التى قدمنا ذكرها وقالوا لو كان معنى ذلك أنه معظم لوجب أن يكون قد كان غير عظيم قبل أن يخلق الخلق وأن يبطل معنى ذلك عند فناء الخلق لانه لا معظم له فى هذه الاحوال * وقال آخرون بل قوله انه العظيم وصف منه نفسه بالعظم وقالوا كل ما دونه من خلقه فبمعنى الصغر لصغرهم عن عظمته ۞ القول فى تأويل قوله (لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) اختلف أهل التأويل فى معنى

أعظم وأوفر وقيل المراد بهذه الآية محمد صلى الله عليه وسلم لانه هو المفضل على الكل وانما قال ورفع بعضهم درجات على سبيل التنبيه والرمز كمن فعل فعلا عظيما فيقال له من فعل هذا فيقول أحدكم أو بعضكم ويريد به نفسه ويكون ذلك أفخم من التصريح به وسئل الحطيئة عن أشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث أراد نفسه ولو قال ولو شئت لذكرت نفسى لم يبق فيه فخامة وليس قوله ورفع بعضهم درجات تكرارا لقوله فضلنا بعضهم على بعض لان المفهوم من قوله فضلنا هو وجود نفس الفضل والمفهوم من قوله ورفع بعضهم درجات هو التفاوت بالدرجات الكثيرة وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس قد سبق تفسيره وانما عدل عن الغيبة الى الحكاية لان الضمير فى قوله وآتينا للتعظيم وتعظيم المؤتى يدل على عظمة الايتاء وأما قوله كلم الله فاهيب من قوله كلمنا فلهذا اختير الغيبة وسبب تخصيص موسى وعيسى بالذكر هو ان أمتهما موجودون حاضرون فنبه على أن هذين الرسولين مع علو درجتهما وتبين معجزاتهما لم يحصل الانقياد من أمتهما لهما بل نازعوا وخالفوا وعن الواجب عليهم فى طاعتهما أعرضوا ثم ان الرسل بعد مجىء البينات ووضوح الدلائل اختلف أقوامهم فمنهم من آمن ومنهم من كفر وبسبب ذلك الاختلاف تقاتلوا وتحاربوا فلهذا قال تعالى ولو شاء الله أى أن لا يقتتلوا ما اقتتل الذين من بعدهم لاختلافهم فى الدين وتكفير بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن لالتزامه دين الانبياء ومنهم من كفر باعراضه عنه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرر الكلام تكذيبا لمن زعم انهم فعلوا ذلك من عند أنفسهم ولكن الله يفعل ما يريد وفى الآية دلالة على صحة مسئلة خلق الاعمال ومسئلة ارادة الكائنات وان الكل بقضاء الله وقدره لان الدواعى تستند لا محالة الى داعية يخلقها الله عز وجل فى العبد والمعتزلة يقيدون المطلق فى الآيتين

فيقولون المراد ولو شاء الله مشيئة الجاء وقسر كما يقال لو شاء الامام لم يعبد المجوس النار في مملكته ولم يشرب النصارى الخمر و يقولون المراد يفعل ما يريد من أفعال نفسه ثم انه تعالى لما أمر بالقتال فيما سبق بقوله وقاتلوا في سبيل الله وأعقبه بقوله من ذا الذي يقرض الله والغرض منه الانفاق في الجهاد (١٠) ثم أكد الامر بالقتال وذكر فيه قصة طالوت أعقبه تارة أخرى الأمر بالانفاق في الجهاد بقوله يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم وعن الحسن أنه مختص بالزكاة لان قوله من قبل أن يأتي يوم كالوعيد وانه لا يتوجه الا على الواجب والاكثرون على أنه عام يتناول الواجب والمندوب وليس في الآية وعيد وانما الغرض أن يعلم ان منافع الآخرة لا تكتسب الا في الدنيا وان الانسان يجيء وحده وما معه الا ما قدم من أعماله ومعنى قوله لا بيع أنه لا تجارة فيه فيكتسب ما يفتدي به من العذاب أو يكتسب مالا حتى ينفق منه ولا خلة لا مودة لان كل أحد يكون مشغولا بنفسه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه أو لان الخوف الشديد غالب على كل أحد يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت ثم انه لما نفى الخلة والشفاعة مطلقا ذكر عقيبه قوله والكافرون هم الظالمون ليدل على أن ذلك النفي مختص بالكافرين وعلى هذا فتصير الآية دالة على ثبوت الشفاعة في حق الفساق نقل عن عطاء بن يسار انه كان يقول الحمد لله الذي قال والكافرون هم الظالمون ولم يقل والظالمون هم الكافرون وقيل أراد والتاركون الزكاة هم الظالمون لانهم تركوا تقديم الخيرات ليوم فاقتهم فقال والكافرون للتغليظ كقوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين أي ومن لم يحج وقيل المراد ان الكافرين اذا دخلوا النار فالله لم يظلمهم بذلك بل هم الذين ظلموا أنفسهم باختيار الكفر والفسق فهو كقوله و وجدوا

بقتال

ذلك فقال بعضهم نزلت هذه الآية في قوم من الانصار أو في رجل منهم كان لهم أولاد قد هوّدوهم أو نصروهم فلما جاء الله بالاسلام أرادوا اكراههم عليه فنهاهم الله عن ذلك حتى يكونوا هم يختارون الدخول في الاسلام ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانت المرأة تكون مقلاتا فتجعل على نفسها ان عاش لها ولد أن تهوده فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا لا ندع أبناءنا فأنزل الله تعالى ذكره لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا سعيد عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال كانت المرأة تكون مقلى ولا يعيش لها ولد « قال شعبة وانما هو مقلات » فتجعل عليها ان بقي لها ولد لتهودنه قال فلما أجليت بنو النضير كان فيهم منهم فقالت الانصار كيف نصنع بأبنائنا فنزلت هذه الآية لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي قال من شاء أن يقيم أقام ومن شاء أن يذهب ذهب حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا داود وحدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن داود عن عامر قال كانت المرأة من الانصار تكون مقلاتا لا يعيش لها ولد فتنذر ان عاش ولدها أن تجعله مع أهل الكتاب على دينهم فجاء الاسلام وطوائف من أبناء الانصار على دينهم فقالوا انما جعلناهم على دينهم ونحن نرى أن دينهم أفضل من ديننا واذ جاء الله بالاسلام فلنكرهنهم فنزلت لا اكراه في الدين فكان فصل ما بين من اختار اليهودية والاسلام فمن لحق بهم اختار اليهودية ومن أقام اختار الاسلام ولفظ الحديث لحميد حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا معتمر بن سليمان قال سمعت داود عن عامر بنحو معناه الا أنه قال فكان فصل ما بينهم اجلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير فلحق بهم من كان يهوديا ولم يسلم منهم وبقي من أسلم حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن عامر بنحوه الا أنه قال اجلاء النضير الى خيبر فمن اختار الاسلام أقام ومن كره لحق بخيبر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد الحرشي مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قوله لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي قال نزلت في رجل من الانصار من بني سالم بن عوف يقال له الحصين كان له ابنان نصرانيان وكان هو رجلا مسلما فقال للنبي صلى الله عليه وسلم ألا أستكرههما فانهما قد أبيا الا النصرانية فأنزل الله فيه ذلك حدثني المثنى قال ثنا حجاج بن المنهال قال ثنا أبو عوانة عن أبي بشر قال سألت سعيد ابن جبير عن قوله لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي قال نزلت هذه في الانصار قال قلت خاصة قال خاصة قال كانت المرأة في الجاهلية تنذر إن ولدت ولدا أن تجعله في اليهود تلتمس بذلك طول بقائه قال فجاء الاسلام وفيهم منهم فلما أجليت النضير قالوا يا رسول الله أبناؤنا واخواننا فيهم قال فسكت عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى ذكره لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خير أصحابكم فان اختاروكم فهم منكم وان اختاروهم فهم منهم قال فأجلوهم معهم حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي قوله لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي الى لا انفصام لها قال نزلت في رجل من الانصار يقال له أبو الحصين كان له ابنان فقدم تجار من الشام الى المدينة يحملون الزيت فلما باعوا وأرادوا أن يرجعوا أتاهم ابنا أبي الحصين فدعوهما الى النصرانية فتنصرا فرجعا الى الشام معهم فأتى أبوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان ابني تنصرا وخرجا فأطلبهما فقال لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ولم يؤمر يومئذ

ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا وقيل الكافرون هم الذين وضعوا الامور في غير مواضعها لتوقعهم الشفاعة من الاصنام ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقيل المعنى والكافرون هم التاركون الانفاق في سبيل الله من قوله آتت أكلها ولم تظلم منه شيأ وأما المسلم فانه ينفق في سبيل الله قل أم كثر وفائدة الفصل أنهم الكاملون في الظلم البالغون فيه المبلغ العظيم (التأويل) تلك آيات الله أسراره (١١) وأنواره ورموزه واشاراته نتلوها عليك بالحق نجلوها عليك بالحقيقة كما هي وانك لمن المرسلين الذين عبروا هذه المقامات وشاهدوا تلك الاحوال والكرامات وصح لهم صفاء الاوقات ولذة المناجاة في الخلوات ثم فطموا عن ألبان تلك اللذات في حجر القربات وأرسلوا الى أهل الغدر والغفلات وعبدة طواغيت الهوى وأصنام الشهوات ليدعوهم من دار الغرور الى دار السرور ويخرجونهم من الظلمات الى النور ولكنهم ما صاحبوك في الخلوات فانهم بقوا في السموات وأنت عبرت المكونات فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى الى عبده ما أوحى فوصلت من العبدية الى العندية ثم فطمت عن رضاع لي مع الله وقت وابتليت بسفارة جبريل ثم لقيت من القوم ما لقيت فحق لك أن تقول ما أوذي نبي مثل ما أوذيت لان غيرك ما سقي من شرب ما سقيت فما أوذي بفطام مثل ما أوذيت تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض اشارة الى أن التفاضل في الدين والدنيا بين العباد ليس بسعيهم ومناهم وانما هو بتفضيل الله اياهم فلكل من أهل الفضل أنوار ولانوارهم آثار على قدر استعلاء أضواء أنوارهم لا على قدر سعيهم واختيارهم وهذا التفاوت صادر من تلك الاقسام حين جرت به الاقلام كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله خلق خلقه في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل وغوى ثم ان الفضل فضلان عام يمتاز به عن المردودين ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون

بقتال أهل الكتاب وقال أبعدهما الله هما أول من كفر فوجد أبو الحصين في نفسه على النبي صلى الله عليه وسلم حين لم يبعث في طلبهما فأنزلت فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ثم انه نسخ لا اكراه في الدين فأمر بقتال أهل الكتاب في سورة براءة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله لا اكراه في الدين قال (١) كانت في اليهود يهود أرضعوا رجالا من الاوس فلما أمر النبي صلى الله عليه وسلم باجلائهم قال أبناؤهم من الاوس لنذهبن معهم ولندينن بدينهم فمنعهم أهلوهم وأكرهوهم على الاسلام ففيهم نزلت هذه الآية حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان وحدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد جميعا عن سفيان عن خصيف عن مجاهد لا اكراه في الدين قال كان ناس من الانصار مسترضعين في بني قريظة فأرادوا أن يكرهوهم على الاسلام فنزلت لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد كانت النضير يهودا فأرضعوا ثم ذكر نحو حديث محمد بن عمرو عن أبي عاصم قال ابن جريج وأخبرني عبد الكريم عن مجاهد انهم كانوا قد دان بدينهم أبناء الاوس دانوا بدين النضير حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن داود بن أبي هند عن الشعبي ان المرأة من الانصار كانت تنذر ان عاش ولدها لتجعلنه في أهل الكتاب فلما جاء الاسلام قالت الانصار يا رسول الله ألا نكره أولادنا الذين هم في يهود على الاسلام فانا انما جعلناهم فيها ونحن نرى أن اليهودية أفضل الاديان فلما أن جاء الله بالاسلام أفلا نكرههم على الاسلام فأنزل الله تعالى ذكره لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن داود عن الشعبي مثله وزاد قال كان فصل ما بين من اختار اليهود منهم وبين من اختار الاسلام اجلاء بني النضير فمن خرج مع بني النضير كان منهم ومن تركهم اختار الاسلام حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لا اكراه في الدين الى قوله العروة الوثقى قال هذا منسوخ حدثني سعيد ابن الربيع الرازي قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ووائل عن الحسن أن أناسا من الانصار كانوا مسترضعين في بني النضير فلما أجلوا أراد أهلوهم أن يلحقوهم بدينهم فنزلت لا اكراه في الدين

* وقال آخرون بل معنى ذلك لا يكره أهل الكتاب على الدين اذا بذلوا الجزية ولكنهم يقرون على دينهم وقالوا الآية في خاص من الكفار ولم ينسخ منها شئ ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي قال أكره عليه هذا الحي من العرب لانهم كانوا أمة أمية ليس لهم كتاب يعرفونه فلم يقبل منهم غير الاسلام ولا يكره عليه أهل الكتاب اذا أقروا بالجزية أو بالخراج ولم يفتنوا عن دينهم فيخلى عنهم حدثنا محمد بن بشار قال ثنا سليمان قال ثنا أبو هلال قال ثنا قتادة في قوله لا اكراه في الدين قال هو هذا الحي من العرب أكرهوا على الدين لم يقبل منهم الا القتل أو الاسلام وأهل الكتاب قبلت منهم الجزية ولم يقتلوا حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو بن قيس عن جويبر عن الضحاك في قوله لا اكراه في الدين قال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقاتل جزيرة العرب من أهل الاوثان فلم يقبل منهم

(١) عبارة الدر المنثور كانت النضير أرضعت رجالا الخ كتبه مصححه

وخاص عنايته عن المقبولين كما ثبت لسيد المرسلين والتفاوت فى الانوار على قدر التفاوت فى الظلمات المخلوقة المستعدة لقبول النور فى بدء الخلقة لا فى حقيقة النور فانه موصوف بالوحدة ولهذا ورد بلفظ الوحدان فى قوله جعل الظلمات والنور ويخرجهم من الظلمات الى النور والرفعة فى الدرجات على قدر قوة الاستعلاء كما قال والذين أوتوا العلم درجات فالعلم هو الضوء من نور الوحدانية فكلما ازداد العلم ازدادت الدرجة وعلى قدر غلبات أنوار التوحيد على ظلمات الوجود كانت مراتب الانبياء بعضها فوق بعض فقد يبقى بعضهم فى مكان من أماكن السموات كما روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه رأى آدم ليلة المعراج فى السماء الدنيا ويحيى وعيسى فى السماء الثانية ويوسف فى السماء الثالثة وادريس فى السماء الرابعة وهرون فى السماء الخامسة وموسى فى السماء السادسة وابراهيم عليه السلام فى السماء السابعة وأن محمدا صلى الله عليه وسلم ما بقى فى مكان بل رفع به الى سدرة المنتهى ثم الى قاب قوسين أو أدنى لانه كان فانيا بالكلية عن ظلمة وجوده باقيا بنور شهود ربه ولهذا سماه الله نورا قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ثم لما أخبر عن فضيلة الخواص بانها كانت بسبب تفضيله اياهم أخبر عن اختلاف العوام وافتراقهم انه كان بمشيئته لا بمشيئتهم فقال ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم ثم أخبر عن احراز الفضل انه فى الانفاق والبذل فخاطب أهل الايمان أى ان كان ايمانكم بالبعث والنشور والثواب والعقاب والجنة والنار حقا فتصدقوا من كل ما رزقناكم من المال والجاه والقوة والقدرة والعلم والمعرفة وغيرها فى مصارفها العامة والخاصة أنفقوا املكنا ومالنا فى صلاح أنفسكم واغتنموا مساعدة الامكان فى تقديم الاحسان مع الاخوان من قبل أن يأتى يوم لا يشترى فيه ما يباع من الاموال والانفس فى سوق ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم

الا لا اله الا الله أو السيف ثم أمر فيمن سواهم بان يقبل منهم الجزية فقال لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله لا اكراه فى الدين قال كانت العرب ليس لها دين فاكرهوا على الدين بالسيف قال ولا يكره اليهود ولا النصارى والمجوس اذا أعطوا الجزية حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن ابن أبى نجيح قال سمعت مجاهدا يقول لغلام له نصرانى يا جرير أسلم ثم قال هكذا كان يقال لهم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى قال وذلك لما دخل الناس فى الاسلام وأعطى أهل الكتاب الجزية * وقال آخرون هذه الآية منسوخة وانما نزلت قبل أن يفرض القتال ذكر من قال ذلك حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يعقوب بن عبد الرحمن الزهرى قال سألت زيد بن أسلم عن قول الله تعالى ذكره لا اكراه فى الدين قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين لا يكره أحدا فى الدين فابى المشركون الا أن يقاتلوهم فاستأذن الله فى قتالهم فاذن له وأولى هذه الاقوال بالصواب قول من قال نزلت هذه الآية فى خاص من الناس وقال عنى بقوله تعالى ذكره لا اكراه فى الدين أهل الكتابين والمجوس وكل من جاء اقراره على دينه المخالف دين الحق وأخذ الجزية منه وأنكروا أن يكون شئ منها منسوخا وانما قلنا هذا القول أولى الاقوال فى ذلك بالصواب لما قد دللنا عليه فى كتابنا كتاب اللطيف من البيان عن أصول الاحكام من أن الناسخ غير كائن ناسخا الا ما نفى حكم المنسوخ فلم يجز اجتماعهما فاما ما كان ظاهره العموم من الامر والنهى وباطنه الخصوص فهو من الناسخ والمنسوخ بمعزل واذ كان ذلك كذلك وكان غير مستحيل أن يقال لا اكراه لاحد ممن أخذت منه الجزية فى الدين ولم يكن فى الآية دليل على أن تأويلها بخلاف ذلك وكان المسلمون جميعا قد نقلوا عن نبيهم صلى الله عليه وسلم أنه أكره على الاسلام قوما فابى أن يقبل منهم الا الاسلام وحكم بقتلهم ان امتنعوا منه وذلك كعبدة الاوثان من مشركى العرب وكالمرتد عن دينه دين الحق الى الكفر ومن أشبههم وأنه ترك اكراه آخرين على الاسلام بقبوله الجزية منه واقراره على دينه الباطل وذلك كاهل الكتابين ومن أشبههم كان بينا بذلك أن معنى قوله لا اكراه فى الدين انما هو لا اكراه فى الدين لاحد ممن حل قبول الجزية منه بادائه الجزية ورضاه بحكم الاسلام ولا معنى لقول من زعم أن الآية منسوخة الحكم بالاذن بالمحاربة فان قال قائل فما أنت قائل فيما روى عن ابن عباس وعمن روى عنه من أنها نزلت فى قوم من الانصار أرادوا أن يكرهوا أولادهم على الاسلام قلنا ذلك غير مدفوعة صحته ولكن الآية قد تنزل فى خاص من الامر ثم يكون حكمها عاما فى كل ما جانس المعنى الذى أنزلت فيه فالذين أنزلت فيهم هذه الآية على ما ذكر ابن عباس وغيره انما كانوا قوما دانوا بدين أهل التوراة قبل ثبوت عقد الاسلام لهم فنهى الله تعالى ذكره عن اكراههم على الاسلام وأنزل بالنهى عن ذلك آية يعم حكمها كل من كان فى مثل معناهم ممن كان على دين من الاديان التى يجوز أخذ الجزية من أهلها واقرارهم عليها على النحو الذى قلنا فى ذلك ومعنى قوله لا اكراه فى الدين لا يكره أحد فى دين الاسلام عليه وانما أدخلت الالف واللام فى الدين تعريفا للدين الذى عنى الله بقوله لا اكراه فيه وأنه هو الاسلام وقد يحتمل أن يكون أدخلتا عقيبا من الهاء المنوية فى الدين فيكون معنى الكلام حينئذ وهو العلى العظيم لا اكراه فى دينه قد تبين الرشد من الغى وكان هذا القول أشبه بتأويل الآية عندى وأما قوله قد تبين الرشد فانه مصدر من قول القائل رشدت فانا أرشد رشدا ورشدا ورشادا وذلك اذا أصاب الحق والصواب وأما

الغى

ولا ينفعه خلة خليل دنيوى لان الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ولا شفاعة لانهم لا يشفعون الا لمن ارتضى والكافرون هم الظالمون لانفسهم لانا أرسلنا الرسل وأنزلنا الكتب وأمرناهم بالانفاق ووعدناهم الثواب وحذرناهم العقاب وقد أعذر من أنذر والله المستعان

(الله لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الارض من ذا الذى (۱۳) يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) القراآت تعرف بتمام الوقوف الا هو ج لان قوله الحى القيوم يصلح بدلا عن الضمير وخبر ضمير آخر محذوف القيوم ج لاختلاف الجملتين ولا نوم ط وما فى الارض ط لابتداء الاستفهام باذنه ط لانتهاء الاستفهام وما خلفهم ج للفرق بين الاخبار عن علمه الكامل مطلقا واثبات علم الخلق المقدر لمشيئته مبتدأ بالنفى بما شاء ج لاختلاف الجملتين والأرض ج لاختلاف الجملتين حفظهما ج العظيم ه الغى ج لان من للشرط مع فاء التعقيب الوثقى ط قد قيل للاستئناف بالنفى والوجه الوصل على جعل الجملة حالا للعروة أى استمسك بها غير منفصمة لها ط عليم ه آمنوا الا لان يخرجهم حال والعامل معنى الفعل فى ولى تقديره الله يليهم مخرجا لهم أو مخرجين الى النور ط للفصل بين الفريقين الطاغوت لا لان يخرجونهم حال الى الظلمات ط النار ج خالدون ه * التفسير قد جرت عادته سبحانه فى هذا الكتاب الكريم أنه يخلط الانواع الثلاثة أعنى علم التوحيد وعلم الاحكام وعلم القصص بعضها ببعض والغرض

الغى فانه مصدر من قول القائل قد غوى فلان فهو يغوى غيا وغواية وبعض العرب يقول غوى فلان يغوى والذى عليه قراءة القراء ما ضل صاحبكم وما غوى بالفتح وهى أفصح اللغتين وذلك اذا عدا الحق وتجاوزه فضل فتأويل الكلام اذا قد وضح الحق من الباطل واستبان لطالب الحق والرشاد وجه مطلبه فتميز من الضلالة والغواية فلا تكرهوا من أهل الكتابين ومن أبحت لكم أخذ الجزية منه على دينكم دين الحق فان من حاد عن الرشاد بعد استبانته له فالى ربه أمره وهو ولى عقوبته فى معاده ۞ القول فى تأويل قوله (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله) اختلف أهل التأويل فى معنى الطاغوت فقال بعضهم هو الشيطان ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن حسان بن فائد العبسى قال قال عمر بن الخطاب الطاغوت الشيطان حدثنى محمد بن المثنى قال ثنى ابن أبى عدى عن شعبة عن أبى اسحق عن حسان بن فائد عن عمر مثله حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبد الملك عمن حدثه عن مجاهد قال الطاغوت الشيطان حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا زكريا عن الشعبى قال الطاغوت الشيطان حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك فى قوله فمن يكفر بالطاغوت قال الشيطان حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الطاغوت الشيطان حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قوله فمن يكفر بالطاغوت بالشيطان * وقال آخرون الطاغوت هو الساحر ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن أبى العالية انه قال الطاغوت الساحر وقد خولف عبد الاعلى فى هذه الرواية وأنا ذاكر الخلاف بعد حدثنا محمد بن بشار قال ثنا حميد بن مسعدة قال ثنا عوف عن محمد قال الطاغوت الساحر * وقال آخرون بل الطاغوت هو الكاهن ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا سعيد عن أبى بشر عن سعيد بن جبير قال الطاغوت الكاهن حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن رفيع قال الطاغوت الكاهن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فمن يكفر بالطاغوت قال كهان تنزل عليها شياطين يلقون على ألسنتهم وقلوبهم أخبرنى أبو الزبير عن جابر بن عبد الله أنه سمعه يقول وسئل عن الطواغيت التى كانوا يتحاكمون اليها فقال كان فى جهينة واحد وفى أسلم واحد وفى كل حى واحد وهى كهان ينزل عليها الشيطان والصواب من القول عندى فى الطاغوت أنه كل ذى طغيان على الله فعبد من دونه اما بقهر منه لمن عبده واما بطاعة ممن عبده له انسانا كان ذلك المعبود أو شيطانا أو وثنا أو صنما أو كائنا ما كان من شئ * وأرى أن أصل الطاغوت الطغووت من قول القائل طغا فلان يطغو اذا عدا قدره فتجاوز حده كالجبروت من التجبر والخلبوت من الخلب ونحو ذلك من الاسماء التى تأتى على تقدير فعلوت بزيادة الواو والتاء ثم نقلت لامه أعنى لام الطغووت فجعلت له عينا وحولت عينه فجعلت مكان لامه كما قيل جذب وجبذ وجابذ وجاذب وصاعقة وصاقعة وما أشبه ذلك من الاسماء التى على هذا المثال فتأويل الكلام اذن فمن يجحد ربوبية كل معبود من دون الله فيكفر به ويؤمن بالله يقول ويصدق بالله أنه الهه وربه ومعبوده فقد استمسك بالعروة الوثقى يقول فقد تمسك بأوثق ما يتمسك به من طلب الخلاص لنفسه من عذاب الله وعقابه كما حدثنى أحمد بن سعيد بن يعقوب الكندى قال ثنا بقية بن الوليد قال ثنا ابن أبى مريم عن حميد

ابن عقبة عن أبي الدرداء أنه عاد مريضا من جيرته فوجده في السوق وهو يغرغر لا يفقهون ما يريد فسألهم يريد أن ينطق قالوا نعم يريد أن يقول آمنت بالله وكفرت بالطاغوت قال أبو الدرداء وما علمكم بذلك قالوا لم يزل يرددها حتى انكسر لسانه فنحن نعلم انه انما يريد أن ينطق بها فقال أبو الدرداء أفلح صاحبكم ان الله يقول فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم * القول في تأويل قوله (فقد استمسك بالعروة الوثقى) والعروة في هذا المكان مثل للايمان الذي اعتصم به المؤمن فشبهه في تعلقه به وتمسكه به بالمتمسك بعروة الشيء الذي له عروة يتمسك بها اذ كان كل ذي عروة فانما يتعلق من أراده بعروته وجعل تعالى ذكره الايمان الذي تمسك به الكافر بالطاغوت المؤمن بالله من أوثق عرى الاشياء بقوله الوثقى والوثقى فعلى من الوثاقة يقال في الذكر هو الأوثق وفي الانثى هي الوثقى كما يقال فلان الأفضل وفلانة الفضلى وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله بالعروة الوثقى قال الايمان حدثني المثنى قال حدثنا أبو حذيفة قال حدثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني موسى قال حدثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال العروة الوثقى هو الاسلام حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن أبي السوداء عن جعفر يعني ابن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير قوله فقد استمسك بالعروة الوثقى قال لا اله الا الله ثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي السوداء النهدي عن سعيد بن جبير مثله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك فقد استمسك بالعروة الوثقى مثله * القول في تأويل قوله (لا انفصام لها) يعني تعالى ذكره بقوله لا انفصام لها لا انكسار لها والهاء والالف في قوله لها عائدة على العروة ومعنى الكلام فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد اعتصم من طاعة الله بما لا يخشى مع اعتصامه خذلانه اياه واسلامه عند حاجته اليه في أهوال الآخرة كالتمسك بالوثيق من عرى الأشياء التي لا يخشى انكسار عراها وأصل الفصم الكسر ومنه قول أعشى بني ثعلبة ومبسمها عن شنب النبات غير كسر ولا منفصم (١) وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله لا انفصام لها قال لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي لا انفصام لها قال لا انقطاع لها * القول في تأويل قوله (والله سميع عليم) يعني تعالى ذكره والله سميع ايمان المؤمن بالله وحده الكافر بالطاغوت عند اقراره بوحدانية الله وتبرئه من الانداد والاوثان التي تعبد من دون الله عليم بما عزم عليه من توحيد الله واخلاص ربوبيته قلبه وما انطوى عليه من البراءة من الآلهة والاصنام والطواغيت ضميره وبغير ذلك مما أخفته نفس كل أحد من خلقه لا ينكتم عنه سر ولا يخفى عليه أمر حتى يجازي كلا يوم القيامة بما نطق به لسانه وأضمرته نفسه ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا * القول في تأويل قوله (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات) يعني تعالى ذكره بقوله الله ولي

(١) هذا البيت لم نعثر عليه الا في هذا الموضع وفيه تحريف وعدم استقامة في الوزن كتبه مصححه

الذين

من ذكر القصص إما تقرير دلائل التوحيد واما المبالغة في الزام الاحكام والتكاليف وفي هذا النسق أيضا رحمة شاملة ولطف كامل فان طبع الانسان جبل على الملال فكلما انتقل من أسلوب الى أسلوب انشرح صدره وتجدد نشاطه وتكامل ذوقه ولذته ويصير أقرب الى فهم معناه والعمل بمقتضاه واذ قد تقدم من علم الاحكام والقصص ما اقتضى المقام ايراده ذكر الآن ما يتعلق بعلم التوحيد فقال الله لا اله الا هو الحي القيوم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما قرئت هذه الآية في دار الا هجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة وعن علي رضي الله عنه سمعت نبيكم وهو على أعواد المنبر يقول من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق أو عابد ومن قرأها اذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والأبيات حوله وتذاكر الصحابة أفضل ما في القرآن فقال لهم علي رضي الله عنه أين أنتم من آية الكرسي ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي سيد البشر آدم عليه السلام وسيد العرب أنت وسيد العالمين محمد صلى الله عليه وسلم ولا فخر وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي وعن علي رضي الله عنه أنه قال لما كان يوم بدر قاتلت ثم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنظر ماذا يصنع فجئت فاذا هو ساجد يقول يا حي يا قيوم لا يزيد على ذلك ثم رجعت الى القتال ثم جئت وهو صلى الله عليه وسلم يقول ذلك فلا أزال أذهب وارجع وانظر اليه وكان لا يزيد على ذلك الى ان فتح الله له * واعلم أن الذكر والعلم يتبعان المذكور والمعلوم وأشرف المذكورات والمعلومات هو الله تعالى بل هو متعال عن ان يقال هو أشرف من غيره لان ذلك يقتضي نوع مشاكلة أو مجانسة وهو مقدس عن مجانسة ما سواه ولما كانت الآية مشتملة من

نعوت جلاله وأوصاف كبريائه على الاصول والمهمات فلاجرم وصلت في الشرف الى أقصى الغايات ونهاية التصورات ولنشتغل بالتفسير أما لفظ الله فقد مر تفسيره في أول الكتاب وأما قوله لا اله الا هو فقد سبق تفسيره في قوله والهكم اله واحد لا اله الا هو وأما الحي القيوم فقد سلف أيضا معناهما في شرح الاسماء الا أنا نزيد ههنا فنقول عن ابن عباس ان أعظم أسماء الله الحي القيوم ويؤكده ما روينا من قصة بدر ولو كان ذكر أشرف منه لذكره وقتئذ في السجود وأما الدليل العقلي فان الحي قيل هو الذي يصلح أن يعلم ويقدر وهو الدراك الفعال فاورد عليه أن هذا لا يقتضي المدح لمشاركة أخس الحيوانات اياه في ذلك ونحن نقول ان الحي في اللغة ليس عبارة عمن توجد فيه هذه الصفة من هذه الجملة فقط بل كل شئ يكون كاملا في جنسه فانه يسمى حيا ومن ههنا يصح أن يقال أحيا الموات وأحيا الله الارض فان كمال حال الارض أن تكون معمورة وكمال حال الاشجار أن تكون مورقة نضيرة ولما كان كمال حال الجسم أن يكون بحيث يصح أن يعلم ويقدر فلاجرم سميت تلك الصفة حياة فالمفهوم من الحي هو الكامل في جنسه والكامل في الوجود هو الذي يجب وجوده بذاته فلا حي بالحقيقة الا واجب الوجود لذاته وأما القيوم فيطلق لمجموع اعتبارين أحدهما أنه لا يفتقر في قوامه الى غيره والثاني أن غيره يفتقر في قوامه اليه وبهذا الثاني يزيد على مفهوم الحي ومن هذين الاصلين يتشعب جميع مسائل التوحيد والمعرفة فمنها ان واجب الوجود واحد في ذاته ويجمع جهات الوحدة اذ لو فرض فيه تركب بوجه من الوجوه افتقر في تحققه الى وجود ذينك الجزأين فيقدح في كونه قيوما ومنها أنه لا شريك له والا اشتركا في الوجوب وتباينا بالتعين فيكون كل منهما مركبا من جزأين فلا يكون قيوما ولا حيا فان كل مركب مفتقر وكل مفتقر ممكن ومنها أن لا يكون متحيزا لان كل متحيز منقسم

الذين آمنوا نصيرهم وظهيرهم يتولاهم بعونه وتوفيقه يخرجهم من الظلمات يعني بذلك يخرجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان وانما عنى بالظلمات في هذا الموضع الكفر وانما جعل الظلمات للكفر مثلا لان الظلمات حاجبة للابصار عن ادراك الاشياء واثباتها وكذلك الكفر حاجب أبصار القلوب عن ادراك حقائق الايمان والعلم بصحته وصحة أسبابه فاخبر تعالى ذكره عباده انه ولي المؤمنين ومبصرهم حقيقة الايمان وسبله وشرائعه وحججه وهاديهم فموفقهم لادلته المزيلة عنهم الشكوك بكشفه عنهم دواعي الكفر وظلم سواتر أبصار القلوب ثم أخبر تعالى ذكره عن أهل الكفر به فقال والذين كفروا يعني الجاحدين وحدانيته أولياؤهم يعني نصراؤهم وظهراؤهم الذين يتولونهم الطاغوت يعني الانداد والاوثان الذين يعبدونهم من دون الله يخرجونهم من النور الى الظلمات يعني بالنور الايمان على نحو ما بينا الى الظلمات ويعني بالظلمات ظلمات الكفر وشكوكه الحائلة دون أبصار القلوب ورؤية ضياء الايمان وحقائق أدلته وسبله وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور يقول من الضلالة الى الهدى والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت الشيطان يخرجهم من النور الى الظلمات يقول من الهدى الى الضلالة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور الظلمات الكفر والنور الايمان والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات يخرجونهم من الايمان الى الكفر حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله تعالى ذكره الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور يقول من الكفر الى الايمان والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات يقول من الايمان الى الكفر حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن (١) عبد الله بن أبي لبابة عن مجاهد أو مقسم في قول الله الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات قال كان قوم آمنوا بعيسى وقوم كفروا به فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم آمن به الذين كفروا بعيسى وكفر به الذين آمنوا بعيسى أي يخرج الذين آمنوا الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت آمنوا بعيسى وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم قال يخرجونهم من النور الى الظلمات حدثنا المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت منصورا عن رجل عن عبدة بن أبي لبابة قال في هذه الآية الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور الى أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون قال هم الذين كانوا آمنوا بعيسى بن مريم فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم آمنوا به وأنزلت فيهم هذه الآية وهذا القول الذي ذكرناه عن مجاهد وعبدة بن أبي لبابة يدل على أن الآية معناها الخصوص وانها ان كان الامر كما وصفنا نزلت فيمن كفر من النصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم وفيمن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من عبدة الاوثان الذين لم يكونوا مقرين بنبوة عيسى وسائر الملل التي كان أهلها تكذب بعيسى فان قال قائل أو كانت النصارى على حق قبل أن بعث محمد صلى الله عليه وسلم فكذبوا به قيل من كان منهم على ملة عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم فكان على حق واياهم عنى الله تعالى ذكره بقوله يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله فان قال قائل فهل يحتمل أن يكون

(١) سيأتي في هذه الصحيفة عبدة فهل هو عبد الله أو غيره فحرره كتبه مصححه

وقد ثبت أنه واحد ومنها انه ليس في جهة يشار اليها والا كان متحيزا ومنها أنه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا يصح عليه الحركة والسكون والانتقال والحالية والمحلية وغير ذلك ومنها انه عالم بجميع المعلومات فانه لا معنى للعلم الا حضور حقيقة المعلوم للعالم واذا كان حيا قيوما كانت حقيقته حاضرة عند ذاته وذاته مقوم لغيره (١٦) والعلم بالعلة يوجب العلم بالمعلول فيكون عالما بما سواه ومنها أنه قادر على كل المقدورات والا لم يكن قيوما بمعنى كونه مقوما لغيره ويعلم منه استناد كل الممكنات اليه بواسطة او بغير واسطة ويلزم منه القول بالقضاء والقدر والحي أصله حيي كحذر وطمع فادغمت الياء في الياء عند اجتماعهما وكلا الياءين أصل وقال ابن الانباري أصله حيو بدليل الحيوان فلما اجتمعت الواو والياء ثم كان السابق ساكنا جعلتا ياء مشددة وزيف بكونه عديم النظير فانه لم يوجد ما عينه ياء ولامه واو والقيوم مبالغة قائم وأصله قيووم على فيعول فجعلت الياء الساكنة والواو الاولى ياء مشددة ولو كان قووما على فعول لقيل قووم وعن عمر أنه قرأ الحي القيام وقرئ القيم ثم لما بين انه حي قيوم أكد ذلك بقوله لا تأخذه سنة ولا نوم ولهذا فقد العاطف بينهما وكذا فيما يعقبهما والسنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس أي لا يأخذه نعاس فضلا أن يأخذه نوم أو نقول نفي الاخص أولا ثم نفي الاعم ليفيد المبالغة من حيث لزوم نفي النوم أولا ضمنا ثم ثانيا صريحا ولو اقتصر على نفي الاخص لم يلزم منه نفي الاعم والمعنى أنه لا يفتر عن تدبير الخلق لان القيم بامر الطفل لو غفل عنه ساعة اختل أمر الطفل وهو كما يقال لمن ضيع وأهمل انك لوسنان نائم ومما يدل على أن السهو والغفلة والنوم على الله محال هو أن هذه الاشياء اما أن تكون عبارات عن عدم العلم أو عن أضداد العلم وعلى التقديرين فجواز طريانها يوجب جواز زوال علم الله تعالى فلا يكون العلم مقتضى

قوله والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات أن يكون معنيا به غير الذين ذكر مجاهد وغيره انهم عنوا به من المؤمنين بعيسى أو غير أهل الردة والاسلام قيل نعم يحتمل أن يكون معنى ذلك والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يحولون بينهم وبين الايمان ويضلونهم فيكفرون فيكون تضليلهم اياهم حتى يكفروا اخراجا منهم لهم من الايمان يعني صدهم اياهم عنه وحرمانهم اياهم خيره وان لم يكونوا كانوا فيه قبل كقول الرجل أخرجني والدي من ميراثه اذا ملك ذلك في حياته غيره فحرمه منه خطيئة ولم يملك ذلك القائل هذا الميراث قط فيخرج منه ولكنه لما حرمه وحيل بينه وبين ما كان يكون له لو لم يحرمه قيل أخرجه منه وكقول القائل أخرجني فلان من كتيبته يعني لم يجعلني من أهلها ولم يكن فيها قط قبل ذلك فكذلك قوله يخرجونهم من النور الى الظلمات يحتمل أن يكون اخراجهم اياهم من الايمان الى الكفر على هذا المعنى وان كان الذي قاله مجاهد وغيره أشبه بتأويل الآية فان قال لنا قائل وكيف قال والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور فجمع خبر الطاغوت بقوله يخرجونهم والطاغوت واحد قيل ان الطاغوت اسم لجماع وواحد وقد يجمع طواغيت واذا جعل واحده وجمعه بلفظ واحد كان نظير قولهم رجل عدل وقوم عدل ورجل فطر وقوم فطر وما أشبه ذلك من الاسماء التي تأتي موحدة في اللفظ واحدها وجمعها وكما قال العباس بن مرداس * فقلنا أسلموا انا أخوكم * فقد برئت من الاحن الصدور

القول في تأويل قوله (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) يعني تعالى ذكره بذلك هؤلاء الذين كفروا أصحاب النار أهل النار الذين يخلدون فيها يعني في نار جهنم دون غيرهم من أهل الايمان الى غير غاية ولا نهاية أبدا * القول في تأويل قوله (ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه ان آتاه الله الملك) يعني تعالى ذكره بقوله ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه ألم تر يا محمد بقلبك الذي حاج ابراهيم يعني الذي خاصم ابراهيم يعني ابراهيم نبي الله صلى الله عليه وسلم في ربه أن آتاه الله الملك يعني بذلك حاجه فخاصمه في ربه لان الله آتاه الملك وهذا تعجيب من الله تعالى ذكره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم من الذي حاج ابراهيم في ربه ولذلك أدخلت الى في قوله ألم تر الى الذي حاج وكذلك تفعل العرب اذا أرادت التعجيب من رجل في بعض ما أنكرت من فعله قالوا ما ترى الى هذا والمعنى هل رأيت مثل هذا أو كهذا وقيل ان الذي حاج ابراهيم في ربه جبار كان ببابل يقال له نمروذ بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح وقيل انه نمروذ بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ ابن سام بن نوح ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه أن آتاه الله الملك قال هو نمروذ بن كنعان حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم عن سفيان عن ليث عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن النضر بن عدي عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه قال كنا نحدث انه ملك يقال له نمروذ وهو أول ملك تجبر في الارض وهو صاحب الصرح ببابل حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال هو اسمه نمروذ وهو أول من تجبر في الارض حاج ابراهيم في ربه حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه أن آتاه الله الملك قال ذكر لنا أن الذي حاج ابراهيم في ربه كان ملكا يقال له نمروذ وهو أول جبار

ذاته فيفتقر الى فاعل فواجب الوجود لذاته لا يكون واجبا بجميع صفاته فلا يكون حيا ولا قيوما هذا خلف روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن موسى عليه السلام سأل الملائكة هل ينام ربنا فأوحى الله اليهم أن يوقظوه ثلاثا ولا يتركوه ينام ثم أعطاه قارورتين مملوأتين ماء في كل يد واحدة وأمره بالاحتفاظ فكان يتحرز بجهده الى أن نام في آخر الامر فضرب احداهما على الاخرى فانكسرتا وكان ذلك مثلا في بيان أنه لو كان ينام لم يقدر على حفظ السموات والارضين وهذه الرواية ان صحت وجب أن ينسب هذا السؤال الى جهال قوم موسى كطلب الرؤية والا فكيف يجوز على نبي الله تجويز النوم على الحي القيوم والتجويز شك والشك في مثله كفر ثم لما بين كونه قيوما وأكده بما أكد رتب عليه حكما وهو قوله له ما في السموات وما في الارض لان كل ما سواه فانما تقومت ماهيته وتحصل وجوده به فيكون ملكا له ويلزم منه أن يكون حكمه جاريا في الكل ولا يكون لغيره في شيء من الاشياء حكم الا باذنه وأمره وهو المراد بقوله من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه ومعنى الاستفهام ههنا الانكار أي لا يشفع وفيه رد على المشركين القائلين للاصنام هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويلزم من كون غيره غير متصرف في ملكه بوجه من الوجوه الا بأمره كونه عالما بالكل وكون غيره غير عالم بالكل الا باعلامه فأشار الى الاول بقوله يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم والى الثاني بقوله ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء والمعنى يعلم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء فغلبوا أو لما دل عليه قوله من ذا من الملائكة والانبياء والصالحين والشهداء عن مجاهد وعطاء والسدي أي يعلم ما كان قبلهم من أمور الدنيا وما كان بعدهم من أمور الآخرة وعن الضحاك والكلبي ما بين أيديهم الآخرة

جبار تجبر في الارض وهو صاحب الصرح ببابل حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال هو نمروذ بن كنعان حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد هو نمروذ حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال أخبرني زيد بن أسلم بمثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عبد الله بن كثير أنه سمع مجاهدا يقول هو نمروذ قال ابن جريج هو نمروذ ويقال انه أول ملك في الارض

❁ القول في تأويل قوله ﴿اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ يعني تعالى ذكره بذلك ألم تر يا محمد الى الذي حاج ابراهيم في ربه حين قال له ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت يعني بذلك ربي الذي بيده الحياة والموت يحيي من يشاء ويميت من أراد بعد الاحياء قال أنا أفعل ذلك فأحيي وأميت أستحيي من أردت قتله فلا أقتله فيكون ذلك مني احياء له وذلك عند العرب يسمى احياء كما قال تعالى ذكره ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا وأقتل آخر فيكون ذلك مني اماتة له قال ابراهيم صلى الله عليه وسلم فان الله الذي هو ربي يأتي بالشمس من مشرقها فأت بها ان كنت صادقا أنك اله من مغربها قال الله تعالى ذكره فبهت الذي كفر يعني انقطع وبطلت حجته يقال منه بهت يبهت بهتا وقد حكي عن بعض العرب انها تقول بهذا المعنى بهت ويقال بهت الرجل اذا افتريت عليه كذبا بهتا وبهتانا وبهاتة وقد روي عن بعض القراء أنه قرأ فبهت الذي كفر بمعنى فبهت ابراهيم الذي كفر وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت وذكر لنا أنه دعا برجلين فقتل أحدهما واستحيا الآخر فقال أنا أحيي هذا أنا أستحيي من شئت وأقتل من شئت قال ابراهيم عند ذلك فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال أنا أحيي وأميت أقتل من شئت واستحيي من شئت أدعه حيا فلا أقتله وقال ملك الارض مشرقها ومغربها أربعة نفر مؤمنان وكافران فالمؤمنان سليمان بن داود وذو القرنين والكافران بختنصر ونمروذ بن كنعان لم يملكها غيرهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن زيد بن أسلم أول جبار كان في الارض نمروذ فكان الناس يخرجون فيمتارون من عنده الطعام فخرج ابراهيم يمتار مع من يمتار فاذا مر به ناس قال من ربكم قالوا أنت حتى مر ابراهيم قال من ربك قال الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر قال فرده بغير طعام قال فرجع ابراهيم على أهله فمر على كثيب من رمل أعفر فقال ألا آخذ من هذا فآتي به أهلي فتطيب أنفسهم حين أدخل عليهم فأخذ منه فأتى أهله قال فوضع متاعه ثم نام فقامت امرأته الى متاعه ففتحته فاذا هي بأجود طعام رأته فصنعت له منه فقربته اليه وكان عهد أهله أنه ليس عندهم طعام فقال من أين هذا قالت من الطعام الذي جئت به فعلم أن الله رزقه فحمد الله ثم بعث الله الى الجبار ملكا أن آمن بي وأتركك على ملكك قال وهل رب غيري فجاءه الثانية فقال له ذلك فأبى عليه ثم أتاه الثالثة فأبى عليه فقال له الملك اجمع جموعك الى ثلاثة أيام فجمع الجبار جموعه فأمر الله الملك ففتح عليه بابا من البعوض فطلعت الشمس فلم

لانهم يقدمون علمها وماخلفهم الدنيا لانهم يخلفونها وراء ظهورهم وعن ابن عباس يعلم ما بين أيديهم من السماء الى الارض وما خلفهم يريد ما في السموات وقيل ما فعلوا من خير وشر وما يفعلونه بعد ذلك والغرض أنه سبحانه عالم بأحوال الشافع والمشفوع له فيما يتعلق باستحقاق الثواب والعقاب لانه عالم بجميع المعلومات (١٨) لا يخفى عليه خافية والشفعاء لا يعلمون من أنفسهم أن لهم من الطاعة ما يستحقون به هذه المنزلة العظيمة عند الله ولا يعلمون أن الله تعالى أذن لهم في تلك الشفاعة أم لا فانهم لا يحيطون بشيء من علمه أي من معلوماته الا بما علم كقوله لا علم لنا الا ما علمتنا ويحتمل أن يراد ولا يعلمون الغيب الا باعلامه كقوله عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول واذا كان الشفعاء وهم الملائكة والانبياء لا يعلمون شيأ الا بتعليم الله فغيرهم بعدم العلم أولى ثم انه لما بين كمال ملكه وحكمه في السموات وفي الارضين ذكر أن ملكه فيما عدا السموات والارضين أعظم وأجل وان ذلك مما ينقطع دون الاعياء الى أدنى درجة من درجاتها أوهام المتوهمين فقال وسع كرسيه السموات والارض يقال وسع فلان الشيء اذا احتمله وأطاقه وأمكنه القيام به قال صلى الله عليه وسلم لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي اي لم يحتمل غير ذلك وأما الكرسي فاصله من التركب والتلبد ومنه الكرس بالكسر للابوال والابعار يتلبد بعضها على بعض والكراسة لتراكب بعض أوراقها على بعض والكرسي لما يجلس عليه لتركب خشباته والمفسرون في معناه ههنا أقوال فعن الحسن أنه جسم عظيم يسع السموات والارض وهو نفس العرش لان السرير قد يوصف بانه عرش وبانه كرسي لان كل واحد منهما يصح التمكن عليه وقيل انه دون العرش وفوق السماء السابعة وقد وردت الاخبار الصحيحة بهذا وعن السدي أنه تحت الارض وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس

يروها من كثرتها فبعثها الله عليهم فأكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق الا العظام والملك كما هو لم يصبه من ذلك شيء فبعث الله عليه بعوضة فدخلت في منخره فمكث أربعمائة سنة يضرب رأسه بالمطارق وأرحم الناس به من جمع يديه وضرب بهما رأسه وكان جبارا أربعمائة عام فعذبه الله أربعمائة سنة كملكه ثم أماته الله وهو الذي بنى صرحا الى السماء فأتى الله بنيانه من القواعد وهو الذي قال الله فأتى الله بنيانهم من القواعد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قول الله ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه قال هو نمروذ كان بالموصل والناس يأتونه فاذا دخلوا عليه قال من ربكم فيقولون أنت فيقول ميروهم فلما دخل ابراهيم ومعه بعير خرج يمتار به لولده قال فعرضهم كلهم فيقول من ربكم فيقولون أنت فيقول ميروهم حتى عرض ابراهيم مرتين فقال من ربك قال ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت ان شئت قتلتك فأمتك وان شئت استحييتك قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين قال أخرجوا هذا عني فلا تميروه شيأ فخرج القوم كلهم قد امتاروا وجوالقا ابراهيم يصطفقان حتى اذا نظر الى سواد جبال أهله قال ليحزنني صبيتي اسمعيل واسحق لو أني ملأت هذين الجوالقين من هذه البطحاء فذهبت بهما قرت عينا صبيتي حتى اذا كان الليل أهرقته قال فملأهما ثم خيطهما ثم جاء بهما فترامى عليهما الصبيان فرحا وألقى رأسه في حجر سارة ساعة ثم قالت ما يجلسني قد جاء ابراهيم تعبا لغبا لو قمت فصنعت له طعاما الى أن يقوم قال فأخذت وسادة فأدخلتها مكانها وانسلت قليلا قليلا لئلا توقظه قال فجاءت الى احدى الغرارتين ففتقتها فاذا حواري من النقي لم يروا مثله عند أحد قط فأخذت منه فطحنته وعجنته فلما أتت توقظ ابراهيم جاءته حتى وضعته بين يديه فقال أي شيء هذا يا سارة قالت من جوالقك لقد جئت وما عندنا قليل ولا كثير قال فذهب ينظر الى الجوالق الآخر فاذا هو مثله فعرف من أين ذاك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال لما قال له ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال هو يعني نمروذ فأنا أحيي وأميت فدعا برجلين فاستحيا أحدهما وقتل الآخر قال أنا أحيي وأميت قال أي أستحيي من شئت فقال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال لما خرج ابراهيم من النار أدخلوه على الملك ولم يكن قبل ذلك دخل عليه فكلمه وقال له من ربك قال ربي الذي يحيي ويميت قال نمروذ أنا أحيي وأميت [illegible] أربعة نفر بيتا فلا يطعمون ولا يسقون حتى اذا هلكوا من الجوع أطعمت اثنين وسقيتهما فعاشا وتركت اثنين فماتا فعرف ابراهيم أن له قدرة بسلطانه وملكه على أن يفعل ذلك قال له ابراهيم فان ربي الذي يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر وقال ان هذا انسان مجنون فأخرجوه ألا ترون أنه من جنونه اجترأ على آلهتكم فكسرها وأن النار لم تأكله وخشي أن يفتضح في قومه أعني نمروذ وهو قول الله تعالى ذكره وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه فكان يزعم أنه رب وأمر بابراهيم فأخرج حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال حدثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عبد الله بن كثير أنه سمع مجاهدا يقول قال أنا أحيي وأميت أحيي فلا أقتل وأميت من قتلت قال ابن جريج كان أتى برجلين فقتل أحدهما وترك الآخر فقال أنا أحيي وأميت قال أقتل فأميت من قتلت وأحيي قال أستحيي فلا أقتل حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال

انه قال الكرسي موضع القدمين و ينبغي أن تحمل هذه الرواية ان صحت على مالا يفضي الى التشبيه ككونه موضع قدم الروح الاعظم أو ملك آخر عظيم القدر عند الله تعالى وههنا أسرار لا أحب اظهارها ولو شاء الله أن يطلع عليها عبدا من عبيده فهو أعلم بمحارم أسراره وقيل المراد من الكرسي أن السلطان والقدرة والملك لله لان الالهية لا تحصل الا بهذه الصفات والعرب تسمي أصل كل شئ الكرسي أو لانه تسمية للشئ باسم مكانه فان الملك مكانه الكرسي وقيل المراد به العلم لان موضع العالم هو الكرسي وأيضا العلم هو الامر المعتمد عليه ومنه يقال العلماء كراسي الارض كما يقال لهم أوتاد الارض وقيل المقصود من الكلام تصوير عظمة الله وكبريائه ولا كرسي ثم ولا قعود ولا قاعد واختاره جمع من المحققين كالقفال والزمخشري وتقريره أنه يخاطب الخلق في تعريف ذاته وصفاته بما اعتادوا في ملوكهم فمن ذلك أنه جعل الكعبة بيتا له يطوف الناس به كما يطوفون ببيوت ملوكهم وأمر الناس بزيارته كما يزور الناس بيوت ملوكهم وذكر في الحجر الاسود أنه يمين الله في أرضه ثم جعله مقبل الناس كما تقبل أيدي الملوك وكذلك ما ذكر في القيامة من حضور الملائكة والنبيين والشهداء ووضع الموازين وعلى هذا القياس أثبت لنفسه عرشا فقال الرحمن على العرش استوى ووصف عرشه فقال وكان عرشه على الماء ثم قال وترى الملائكة حافين من حول العرش ثم قال ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ثم أثبت لنفسه كرسيا ولما توافقنا أن المراد من الالفاظ الموهمة للتشبيه في الكعبة والطواف والحجر هو تعريف عظمة الله وكبريائه فكذا الالفاظ الواردة في العرش والكرسي ولا يؤده لا يثقله ولا يشق عليه حفظهما حفظ السموات والارض وفيه أن نفاذ حكمه وأمره في الكل على نعت واحد وصورة واحدة علوية كانت الاجسام أو سفلية كبيرة أو صغيرة ثم بين أنه مع كونه مقوما

ثني محمد بن اسحق قال ذكر لنا والله أعلم أن نمروذ قال لابراهيم فيما يقول أرأيت الهك هذا الذي تعبده وتدعو الى عبادته وتذكر من قدرته التي تعظمه بها على غيره ما هو قال له ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال نمروذ فأنا أحيي وأميت فقال له ابراهيم كيف تحيي وتميت قال آخذ رجلين قد استوجبا القتل في حكمي فاقتل أحدهما فأكون قد أمته وأعفو عن الآخر فأتركه فأكون قد أحييته فقال له ابراهيم عند ذلك فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب أعرف أنه كما تقول فبهت عند ذلك نمروذ ولم يرجع اليه شيأ وعرف أنه لا يطيق ذلك يقول تعالى ذكره فبهت الذي كفر يعني وقعت عليه الحجة يعني نمروذ وقوله والله لا يهدي القوم الظالمين يقول والله لا يهدي أهل الكفر الى حجة يدحضون بها حجة أهل الحق عند المحاجة والمخاصمة لان أهل الباطل حججهم داحضة وقد بينا أن معنى الظلم وضع الشئ في غير موضعه والكافر وضع جحوده ما جحد في غير موضعه فهو بذلك من فعله ظالم لنفسه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال ابن اسحق حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني محمد بن اسحق والله لا يهدي القوم الظالمين أي لا يهديهم في الحجة عند الخصومة لما هم عليه من الضلالة ﴿القول في تأويل قوله﴾ (أو كالذي مر على قرية) يعني تعالى ذكره بقوله أو كالذي مر على قرية نظير الذي عنى بقوله ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه من تعجيب محمد صلى الله عليه وسلم منه وقوله أو كالذي مر على قرية عطف على قوله ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه وانما عطف قوله أو كالذي على قوله الى الذي حاج ابراهيم في ربه وان اختلف لفظاهما لتشابه معنييهما لان قوله ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه بمعنى هل رأيت يا محمد كالذي حاج ابراهيم في ربه ثم عطف عليه بقوله أو كالذي مر على قرية لان من شأن العرب العطف بالكلام على معنى نظير له قد تقدمه وان خالف لفظه لفظه وقد زعم بعض نحويي البصرة أن الكاف في قوله أو كالذي مر على قرية زائدة وان المعنى ألم تر الى الذي حاج ابراهيم أو الذي مر على قرية وقد بينا فيما مضى قبل أنه غير جائز أن يكون في كتاب الله شئ لا معنى له بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع واختلف أهل التأويل في الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها فقال بعضهم هو عزير ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن ناجية بن كعب أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال عزير حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيي بن واضح قال ثنا أبو خزيمة قال سمعت سليمان بن بريدة في قوله أو كالذي مر على قرية قال هو عزير حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال ذكر لنا انه عزير حدثنا الحسن بن يحيي قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه قوله أو كالذي مر على قرية قال الربيع ذكر لنا والله أعلم أن الذي أتى على القرية هو عزير حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال عزير حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي أو كالذي مر على قرية قال عزير حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها انه هو عزير حدثني يونس قال قال لنا سالم الخواص كان ابن عباس يقول هو عزير * وقال آخرون هو ارميا بن حلقيا وزعم محمد بن اسحق ان ارميا هو الخضر حدثنا بذلك ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ابن اسحق قال اسم الخضر فيما كان وهب بن منبه يزعم عن بني اسرائيل ارميا بن حلقيا وكان من سبط هرون بن عمران ذكر من

للمكنات مقيما للارضين والسموات متعال عن المتحيزات ومقدس عن الزمنيات فقال وهو العلي العظيم والمراد منه ما علو الرتبة وعظمة الشرف لا الحيز والجهة وكيف لا وهو مقيم للمكان ومديم للزمان (قوله سبحانه) لا اكراه في الدين الآية لما بين دلائل التوحيد بيانا شافيا قاطعا للاعذار ذكر بعد ذلك أنه لم يبق للكافر علة في (٣٠) اقامته على الكفر الا أن يقسر على الايمان و يجبر عليه وذلك لا يجوز في دار الدنيا التي هي

قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال ثنا عبد الصمد بن معقل انه سمع وهب بن منبه يقول في قوله أنى يحيي هذه الله بعد موتها ان ارميا لما خرب بيت المقدس وحرقت الكتب وقف في ناحية الجبل فقال أنى يحيي هذه الله بعد موتها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه قال هو ارميا حدثني محمد بن عسكر قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال سمعت عبد الصمد ابن معقل عن وهب بن منبه مثله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى بن ميمون عن قيس ابن سعد عن عبد الله بن عبيد بن عمير في قول الله أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال كان نبيا وكان اسمه ارميا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن قيس بن سعد عن عبد الله بن عبيد مثله ثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني بكر بن قال يقولون والله أعلم انه ارميا وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره عجب نبيه صلى الله عليه وسلم ممن قال اذ رأى قرية خاوية على عروشها أنى يحيي هذه الله بعد موتها مع علمه انه ابتدأ خلقها من غير شئ فلم يقنعه علمه بقدرته على ابتدائها حتى قال أنى يحييها الله بعد موتها ولا بيان عندنا من الوجه الذي يصح من قبله البيان على اسم قائل ذلك وجائز أن يكون ذلك عزيرا وجائز أن يكون ارميا ولا حاجة بنا الى معرفة اسمه اذ لم يكن المقصود بالآية تعريف الخلق اسم قائل ذلك وانما المقصود بها تعريف المنكرين قدرة الله على احيائه خلقه بعد مماتهم واعادتهم بعد فنائهم وأنه الذي بيده الحياة والموت من قريش ومن كان يكذب بذلك من سائر العرب وتثبيت الحجة بذلك على من كان بين ظهراني مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من يهود بني اسرائيل باطلاعه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم على ما يزيل شكهم في نبوته ويقطع عذرهم في رسالته اذ كانت هذه الانباء التي أوحاها الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في كتابه من الانباء التي لم يكن يعلمها محمد صلى الله عليه وسلم وقومه ولم يكن علم ذلك الا عند أهل الكتاب ولم يكن محمد صلى الله عليه وسلم وقومه منهم بل كان أميا وقومه أميون فكان معلوما بذلك عند أهل الكتاب من اليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجره أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يعلم ذلك الا بوحي من الله اليه ولو كان المقصود بذلك الخبر عن اسم قائل ذلك لكانت الدلالة منصوبة عليه نصبا يقطع العذر ويزيل الشك ولكن القصد كان الى ذم قيله فأبان تعالى ذكره ذلك لخلقه واختلف أهل التأويل في القرية التي مر عليها القائل أنى يحيي هذه الله بعد موتها فقال بعضهم هي بيت المقدس ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سهل بن عسكر ومحمد بن عبد الملك قالا ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثني عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه قال لما رأى ارميا هدم بيت المقدس كالجبل العظيم قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه قال هي بيت المقدس حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني ابن اسحق عمن لا يتهم أنه سمع وهب بن منبه يقول ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أنه بيت المقدس أتى عليه عزير بعد ما خربه بختنصر البابلي حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سلمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها أنه مر على الارض المقدسة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة في قوله أو كالذي مر على قرية قال القرية بيت المقدس مر بها عزير بعد اذ خربها بختنصر حدثت عن عمار

هنا بياض بالاصول

مقام الابتلاء والاختبار وينافيه الاكراه والاجبار ومما يؤكد ذلك قوله قد تبين الرشد من الغي يقال بان الشئ واستبان وتبين وبين أيضا اذا وضح وظهر ومنه المثل قد تبين الصبح لذي عينين والرشد اصابة الخير والغي نقيضه أي تميز الحق من الباطل والايمان من الكفر والهدى من الضلال بكثرة الحجج والبينات ووفور الدلائل والآيات فمن يكفر بالطاغوت قال النحويون وزنه فعلوت نحو جبروت وأصله من طغى الا أن لام الفعل قلبت الى موضع العين ثم صيرت ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وذكر الفارسي أنه مصدر كالرغبوت والرهبوت والدليل على ذلك أنه يفرد في موضع الجمع كما يقال هم رضا وعدل ولهذا قال تعالى أولياؤهم الطاغوت والاصل فيه التذكير قال تعالى يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به فأما قوله تعالى والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها فالتأنيث لارادة الآلهة وأما معنى الطاغوت فعن عمر ومجاهد وقتادة هو الشيطان وعن سعيد بن جبير الكاهن وقال أبو العالية الساحر وعن بعضهم الاصنام وقيل مردة الجن والانس وكل قال ما يطغى وانما جعلت هذه الاشياء أسبابا للطغيان لحصول الطغيان عند الاتصال بها كقوله رب انهن أضللن كثيرا من الناس و يعلم من قوله فمن يكفر بالطاغوت ثم من قوله و يؤمن بالله أن الكافر لابد أن يتوب أولا ثم يؤمن بعد ذلك فقد استمسك بالعروة الوثقى استمسك وتمسك

قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع أو كالذي مر على قرية قال القرية بيت المقدس مر عليها عزير وقد خربها بختنصر * وقال آخرون بل هي القرية التي كان الله أهلك فيها الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله تعالى ذكره ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف قال قرية كان نزل بها الطاعون ثم اقتص قصتهم التي ذكرناها في موضعها عنه الى أن بلغ فقال لهم الله موتوا في المكان الذي ذهبوا يبتغون فيه الحياة فماتوا ثم أحياهم الله ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون قال ومر بها رجل وهي عظام تلوح فوقف ينظر فقال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه الى قوله لم يتسنه والصواب من القول في ذلك كالقول في اسم القائل أنى يحيي هذه الله بعد موتها سواء لا يختلفان

القول في تأويل قوله (وهي خاوية على عروشها) يعني تعالى ذكره بقوله وهي خاوية وهي خالية من أهلها وسكانها يقال من ذلك خوت الدار تخوي خواء وخويا وقد يقال للقرية خويت والاول أعرب وأفصح وأما في المرأة اذا كانت نفساء فانه يقال خويت تخوى خوى منقوصا وقد يقال فيها خوت تخوي كما يقال في الدار وكذلك خوى الجوف يخوى خواء شديدا ولو قيل في الجوف ما قيل في الدار وفي الدار ما قيل في الجوف كان صوابا غير أن الفصيح ما ذكرت وأما العروش فانها الابنية والبيوت واحدها عرش وجمع قليله أعرش وكل بناء فانه عرش ويقال عرش فلان يعرش ويعرش وعرش تعريشا ومنه قول الله تعالى ذكره وما كانوا يعرشون يعني يبنون ومنه قيل عريش مكة يعني به خيامها وأبنيتها وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس خاوية خراب قال ابن جريج بلغنا أن عزيرا خرج فوقف على بيت المقدس وقد خربه بختنصر فوقف فقال أبعد ما كان لك من المقدس والمقاتلة والمال ما كان فحزن حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله وهي خاوية على عروشها قال هي خراب حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال مر عليها عزير وقد خربها بختنصر حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي وهي خاوية على عروشها يقول ساقطة على سقفها * القول في تأويل قوله (قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام) ومعنى ذلك فيما ذكرت أن قائله لما مر ببيت المقدس أو بالموضع الذي ذكر الله أنه مر به خرابا بعدما عهده عامرا قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فقال بعضهم كان قيله ما قال من ذلك شكا في قدرة الله على احيائه فأراه الله قدرته على ذلك بضربه المثل له في نفسه ثم أراه الموضع الذي أنكر قدرته على عمارته واحيائه أحيا ما رآه قبل خرابه وأعمر ما كان قبل خرابه وذلك أن قائل ذلك كان فيما ذكر لنا عهده عامرا بأهله وسكانه ثم رآه خاويا على عروشه قد باد أهله وشتتهم القتل والسباء فلم يبق منهم بذلك المكان أحد وخربت منازلهم ودورهم فلم يبق الا الاثر فلما رآه كذلك بعد الحال التي عهده عليها قال على أي وجه يحيي هذه الله بعد خرابها فيعمرها استنكارا فيما قاله بعض أهل التأويل فأراه كيفية احيائه ذلك بما ضربه له في نفسه وفيما كان من شرابه وطعامه ثم عرفه قدرته على ذلك وعلى غيره باظهاره احياء ما كان عجبا عنده في قدرة الله احياؤه رأي عينه حتى أبصره ببصره فلما رأى ذلك قال أعلم أن الله على كل شئ قدير وكان سبب قيله ذلك كالذي حدثنا ابن حميد قال

بمعنى والعروة واحدة عرى الدلو والكوز ونحوهما مما يتعلق به والوثقى تأنيث الاوثق وهذا من باب استعارة المحسوس للمعقول لان الاسلام أقوى ما يتشبث به للنجاة فمثل المعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس وهو الحبل الوثيق المحكم حتى يتصور السامع كأنه ينظر اليه بعينه فتزول شبهته بالكلية والفصم كسر الشئ من غير أن يبين فصمته فانفصم والمقصود من قوله لا انفصام لها هو المبالغة لانه اذا لم يكن لها انفصام فان لا يكون لها انقطاع أولى قيل ان الموصول ههنا محذوف أي التي لا انفصام لها كقوله وما منا الا له مقام معلوم أي من له وقيل معنى قوله لا اكراه في الدين لا تكرهوا في الدين على أنه اخبار في معنى النهي والاكراه الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا يحمله عليه ثم قال بعضهم انه منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين وقال بعضهم هو في أهل الكتاب خاصة لانهم اذا قبلوا الجزية سقط القتل عنهم وحكم المجوس حكمهم وأما الكفار الذين تهودوا أو تنصروا فقيل انهم لا يقرون على ذلك ويكرهون على الاسلام وقيل يقرون على ما انتقلوا اليه ولا يكرهون روي أنه كان لأنصاري من بني سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل أن يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فلزمهما أبوهما وقال والله لا أدعكما حتى تسلما فأبيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصاري يا رسول الله أيدخل بعضي النار وأنا أنظر فنزلت فخلاهما وقيل معنى قوله لا اكراه أي لا تقولوا لمن دخل في الدين بعد الحرب انه دخل مكرها لانه اذا رضي بعد الحرب وصح اسلامه فليس بمكره ومعناه لا تنسبوه الى الاكراه فيكون كقوله ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا والله سميع عليم يسمع قول من يتكلم بالشهادة وقول من يتكلم بالكفر ويعلم ما في قلب المؤمن من الاعتقاد الطيب وما في قلب الكافر من العقد الخبيث وعن عطاء

عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب اسلام أهل الكتاب من اليهود الذين كانوا حول المدينة وكان يسأل الله ذلك سرا وعلانية فقيل له والله سميع لدعائك يا محمد عليم بحرصك واجتهادك (قوله سبحانه) الله ولي الذين آمنوا أي متولي أمورهم وكافل مصالحهم فعيل بمعنى فاعل والتركيب (٣٣) يدل على القرب فالمحب ولي لانه يقرب منك بالمحبة والنصرة ومنه الوالي لانه يلي القوم بالتدبير وفيه دليل على أن ألطاف الله تعالى في حق المؤمنين وفيما يتعلق بالدين أكثر من ألطافه في حق الكافر وذلك أنه يخرجهم من الظلمات الى النور ومن الكفر الى الايمان ومن الضلال الى الهدى ومن الشك الى اليقين والاخراج يشمل الكافر اذا آمن والمؤمن الاصلي ولا يبعد أن يقال يخرجهم الى النور من الظلمات وان لم يكونوا في الظلمة البتة فان العبد لو خلا عن توفيق الله تعالى لحظة لوقع في ظلمات الجهالات والضلالات فصار توفيقه تعالى سببا لدفع تلك الظلمات عنه وبين الدفع والرفع تشابه ومثله قوله وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ومعلوم أنهم ما كانوا قط في النار ويروى أنه صلى الله عليه وسلم سمع انسانا قال أشهد أن لا اله الا الله فقال على الفطرة فلما قال أشهد أن محمدا رسول الله قال خرج من النار ومن المعلوم انه ما كان فيها قال الواحدي كل ما في القرآن من الظلمات والنور فانه تعالى أراد بهما الكفر والايمان الا قوله في أول الانعام وجعل الظلمات والنور فانه عني به الليل والنهار قال وانما جعل الكفر ظلمة لانه كالظلمة في المنع من الادراك وجعل الايمان نورا لانه كالسبب في حصول الادراك قلت قدمر أن الايمان والعلم وجميع الكمالات النفسانية والمعارف اليقينية أنوار تزداد النفس بها نورية واشراقا فلا حاجة الى هذا التكلف والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت مصدر ولهذا وحد في موضع الجمع يخرجونهم من النور

ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه اليماني أنه كان يقول قال الله لارميا حين بعثه نبيا الى بني اسرائيل يا ارميا من قبل أن أخلقك اخترتك ومن قبل أن أصورك في رحم أمك قدستك ومن قبل أن أخرجك من بطنها طهرتك ومن قبل أن تبلغ السعي نبأتك ومن قبل أن تبلغ الاشد اخترتك ولامر عظيم اجتبيتك فبعث الله تعالى ذكره ارميا الى ملك بني اسرائيل يسدده ويرشده ويأتيه بالخبر من الله فيما بينه وبينه قال ثم عظمت الاحداث في بني اسرائيل وركبوا المعاصي واستحلوا المحارم ونسوا ما كان الله صنع بهم وما نجاهم من عدوهم سنحاريب فأوحى الله الى ارميا أن ائت قومك من بني اسرائيل فاقصص عليهم ما آمرك به وذكرهم نعمتي عليهم وعرفهم احداثهم ثم ذكر ما أرسل الله به ارميا الى قومه من بني اسرائيل قال ثم أوحى الله الى ارميا اني مهلك بني اسرائيل بيافث ويافث أهل بابل وهم من ولد يافث بن نوح فلما سمع ارميا وحي ربه صاح وبكى وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه فقال ملعون يوم ولدت فيه ويوم لقيت التوراة ومن شر أيامي يوم ولدت فيه فما أبقيت آخر الانبياء الا لما هو شر علي لو أراد بي خيرا ما جعلني آخر الانبياء من بني اسرائيل فمن أجلي تصيبهم الشقوة والهلاك فلما سمع الله تضرع الخضر وبكاءه وكيف يقول ناداه ارميا أشق عليك ما أوحيت اليك قال نعم يا رب أهلكني في بني اسرائيل ما لا أسر به فقال الله وعزتي العزيزة لا أهلك بيت المقدس وبني اسرائيل حتى يكون الامر من قبلك في ذلك ففرح عند ذلك ارميا لما قال له ربه وطابت نفسه وقال لا والذي بعث موسى وأنبياءه بالحق لا آمر ربي بهلاك بني اسرائيل أبدا ثم أتى ملك بني اسرائيل وأخبره بما أوحى الله اليه ففرح واستبشر وقال ان يعذبنا ربنا فبذنوب كثيرة قدمناها لانفسنا وان عفا عنا فبقدرته ثم انهم لبثوا بعد هذا الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا الا معصية وتمادوا في الشر وذلك حين اقترب هلاكهم فقل الوحي حتى لم يكونوا يتذكرون الآخرة وأمسك عنهم حين ألهتهم الدنيا وشأنها فقال ملكهم يا بني اسرائيل انتهوا عما أنتم عليه قبل أن يمسكم بأس من الله وقبل أن يبعث عليكم ملوك لا رحمة لهم بكم فان ربكم قريب التوبة مبسوط اليدين بالخير رحيم من تاب اليه فأبوا عليه أن ينزعوا عن شيء مما هم عليه وان الله ألقى في قلب بختنصر بن نعون بن زادان أن يسير الى بيت المقدس ثم يفعل فيه ما كان جده سنحاريب أراد أن يفعله فخرج في ستمائة ألف راية يريد أهل بيت المقدس فلما فصل سائرا أتى ملك بني اسرائيل الخبر أن بختنصر أقبل هو وجنوده يريدكم فأرسل الملك الى ارميا فجاءه فقال يا ارميا أين ما زعمت لنا ان ربنا أوحى اليك أن لا يهلك أهل بيت المقدس حتى يكون منك الامر في ذلك فقال ارميا الملك ان ربي لا يخلف الميعاد وأنا به واثق فلما اقترب الاجل ودنا انقطاع ملكهم وعزم الله على هلاكهم بعث الله ملكا من عنده فقال له اذهب الى ارميا فاستفته وأمره بالذي يستفتيه فيه فأقبل الملك الى ارميا وقد تمثل له رجلا من بني اسرائيل فقال له من أنت قال رجل من بني اسرائيل أستفتيك في بعض أمري فأذن له فقال الملك يا نبي الله أتيتك أستفتيك في أهل رحمي وصلت أرحامهم بما أمرني الله به لم آت اليهم الا حسنا ولم آلهم كرامة فلا تزيدهم كرامتي اياهم الا اسخاطا لي فأفتني فيهم يا نبي الله فقال له أحسن فيما بينك وبين الله وصل ما أمرك الله به أن تصل وأبشر بخير فانصرف عنه الملك فمكث أياما ثم أقبل اليه في صورة ذلك الرجل الذي جاءه فقعد بين يديه فقال له ارميا من أنت قال أنا الرجل الذي أتيتك في شأن أهلي فقال له نبي الله أوما طهرت لك أخلاقهم بعد ولم تر منهم الذي تحب فقال يا نبي الله والذي بعثك بالحق ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس الى أهل رحمه الا وقد أتيتها اليهم وأفضل من ذلك فقال النبي

صلى

الى الظلمات وانما وحد النور وجمع الظلمة لان الحق ومايرجع اليه طريقه واحد وهو أيضا في نفسه واحد وأما الباطل فلا حصر له ولا لطرقه كما أن الخط المستقيم الواصل بين النقطتين واحد والمنحنية غير محدودة واسناد الاضلال الى الطاغوت وهو كل من ينسب الى الطغيان كالمجاز فان الحوادث باسرها تستند الى المبدا الاول بالحقيقة وتنتهي الى قضائه وقدره كما سبق

تحقيقه مرارا أولئك الكفار وهم مع من يطيعهم من الوسائط والوسائل أصحاب النار فيكونون زجرا للنكل ووعيدا لهم أعاذنا الله من ذلك * التأويل الحي القيوم أشير بهما الى الاسم الاعظم لان اسمه الحي مشتمل على جميع أسمائه وصفاته فان من لوازم الحي أن يكون قادرا عالما سميعا بصيرا متكلما مريدا باقيا الى غير ذلك من نعوت الكمال واسمه القيوم دال على افتقار كل المخلوقات اليه فاذا تجلى الله للعبد بهاتين الصفتين انكشف للعبد عند تجلي صفته الحي معاني جميع أسمائه وصفاته وعند تجلي صفته القيوم فناء جميع المخلوقات اذ كان قيامها بقيومية الحق لا بانفسهم فلما جاء الحق وزهق الباطل فلا يرى في الوجود الا الحي القيوم انسلب الحي جميع أسماء الله وسلب القيوم قيام الممكنات ففني التعدد وبقيت الوحدة فيذكره عند شهود عظمة الوحدانية بلسان عيان الفردانية لا بلسان بيان الانسانية فيذكره باسمه الاعظم الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى لانه حينئذ ينطق بالله فيكون الحال كما جرى على لسانه فاما اذا ذكر عند غيبته عن عظمة الوحدانية فبكل اسم دعاه لا يكون الاسم الاعظم بالنسبة الى حال غيبته وعند شهود العظمة فبكل اسم دعاه يكون الاسم الاعظم كما سئل أبو يزيد عن الاسم الاعظم فقال الاسم الاعظم ليس له حد محدود ولكن فرغ قلبك لوحدانيته فاذا كنت كذلك فاذكره بأي اسم شئت لا تأخذه سنة ولا نوم لان النوم أخ الموت والموت ضد الحياة وهو الحي الحقيقي

صلى الله عليه وسلم ارجع الى أهلك فاحسن اليهم أسأل الله الذي يصلح عباده الصالحين أن يصلح ذات بينكم وأن يجمعكم على مرضاته ويجنبكم سخطه فقام الملك من عنده فلبث أياما وقد نزل بختنصر بجنوده حول بيت المقدس أكثر من الجراد ففزع منهم بنو اسرائيل فزعا شديدا وشق ذلك على ملك بني اسرائيل فدعا ارميا فقال يا نبي الله أين ما وعدك الله فقال اني بربي واثق ثم ان الملك أقبل الى ارميا وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذي وعده فقعد بين يديه فقال له ارميا من أنت قال أنا الذي كنت استفتيتك في شأن أهلي مرتين فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أولم يأن لهم أن يفيقوا من الذي هم فيه فقال الملك يا نبي الله كل شئ كان يصيبني منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه وأعلم أنما قصدهم في ذلك سخطي فلما أتيتهم اليوم رأيتهم في عمل لا يرضي الله ولا يحبه الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم على أي عمل رأيتهم قال يا نبي الله رأيتهم على عمل عظيم من سخط الله ولو كانوا على مثل ما كانوا عليه قبل اليوم لم يشتد عليهم غضبي وصبرت لهم ورجوتهم ولكن غضبت اليوم لله ولك فأتيتك لأخبرك خبرهم واني أسألك بالله الذي بعثك بالحق الا ما دعوت عليهم ربك أن يهلكهم فقال ارميا يا مالك السموات والارض ان كانوا على حق وصواب فأبقهم وان كانوا على سخطك وعمل لا ترضاه فأهلكهم فلما خرجت الكلمة من في ارميا أرسل الله صاعقة من السماء في بيت المقدس فالتهب مكان القربان وخسف بسبعة أبواب من أبوابها فلما رأى ذلك ارميا صاح وشق ثيابه ونبذ الرماد على رأسه فقال يا ملك السماء ويا أرحم الراحمين أين ميعادك الذي وعدتني فنودي ارميا انه لم يصبهم الذي أصابهم الا بفتياك التي أفتيت بها رسولنا فاستيقن النبي صلى الله عليه وسلم أنها فتياه التي أفتى بها ثلاث مرات وانه رسول ربه فطار ارميا حتى خالط الوحوش ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس فوطئ الشام وقتل بني اسرائيل حتى أفناهم وخرب بيت المقدس ثم أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه في بيت المقدس فقذفوا فيه التراب حتى ملؤه ثم انصرف راجعا الى أرض بابل واحتمل معه سبايا بني اسرائيل وأمرهم أن يجمعوا من كان في بيت المقدس كلهم فاجتمع عنده كل صغير وكبير من بني اسرائيل فاختار منهم تسعين ألف صبي فلما خرجت غنائم جنده وأراد أن يقسمهم فيهم قالت له الملوك الذين كانوا معه أيها الملك لك غنائمنا كلها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بني اسرائيل ففعل فأصاب كل واحد منهم أربعة غلمة وكان من أولئك الغلمان * دانيال * وعزاريا * وميسايل * وحنانيا * وجعلهم بختنصر ثلاث فرق فثلثا أقر بالشام وثلثا سبا وثلثا قتل وذهب باسبية بيت المقدس حتى أقدمها بابل وبالصبيان التسعين الالف حتى أقدمهم بابل فكانت هذه الواقعة الأولى التي ذكر الله تعالى ذكره نبي الله باحداثهم وظلمهم فلما ولى بختنصر عنه راجعا الى بابل بمن معه من سبايا بني اسرائيل أقبل ارميا على حمار له معه عصير من عنب في زكرة وسلة تين حتى أتى ايليا فلما وقف عليها ورأى ما بها من الخراب دخله شك فقال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام وحماره وعصيره وسلة تينه عنده حيث أماته الله ومات حماره معه فأعمى الله عنه العيون فلم يره أحد ثم بعثه الله تعالى فقال له كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه يقول لم يتغير وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فنظر الى حماره يتصل بعضه الى بعض وقد مات معه بالعروق والعصب ثم كيف كسي ذلك منه اللحم حتى استوى ثم جرى فيه الروح فقام ينهق ونظر الى عصيره وتينه فاذا هو على هيئته حين وضعه لم يتغير * فلما عاين من قدرة الله ما عاين قال أعلم أن الله على كل شئ قدير

فلا يلحقه ضد الحياة من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه هذا الاستثناء راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم كأنه قيل من ذا الذي يشفع عنده يوم القيامة الا عبده محمد صلى الله عليه وسلم فانه مأذون في الشفاعة موعود بها عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا يعلم محمد صلى الله عليه وسلم ما بين أيديهم من أوليات الامور قبل خلق (٣٤) الخلائق كقوله صلى الله عليه وسلم أول ما خلق الله نوري أول ما خلق الله العقل ان الله خلق الارواح قبل الاجساد بألفي ألف عام وما خلفهم من أحوال القيامة وفزع الخلق وغضب الرب وطلب الشفاعة من الانبياء وقولهم نفسي نفسي ورجوعهم اليه بالاضطرار ولا يحيطون بشيء من علمه وانما هو شاهد على أحوالهم وسيرهم ومعاملاتهم وقصصهم وكلا نقص عليك من أنباء الرسل و يعلم أمور آخرتهم وأحوال أهل الجنة والنار وهم لا يعلمون شيأ من ذلك الا ما شاء أن يخبرهم عنه وسع كرسيه السموات والارض مثال العرش في عالم الانسان قلبه ومثال الكرسي سره وسوف يجيء تمام التحقيق ان شاء الله تعالى في قوله الرحمن على العرش استوى وان العرش مع عظمته كحلقة ملقاة بين السماء والارض بالنسبة الى سعة قلب المؤمن ولا يؤده حفظهما لا يثقل الروح الانساني حفظ أسرار السموات والارض وعلم آدم الاسماء كلها ولما أظهر لمخلوقاته من العرش والكرسي ولقلب المؤمن وسره علوا في المرتبة وعظمة في الخلقة اظهارا لكمال القدرة والحكمة تردى برداء الكبرياء واتزر بازار العظمة والبهاء وهو أولى بالمدح والثناء فقال وهو العلي العظيم فمن علا في الآخرة والاولى فبإعلائه ومن عظم فبتعظيمه ثم أخبر عن عزة الدين لأرباب اليقين بقوله لا اكراه في الدين كما قال صلى الله عليه وسلم ليس الدين بالتمني مع أن التمني نوع من الاختيار فكيف يحصل بالاكراه وهو الاجبار فان الدين هو الاستسلام لأوامر الشرع

ثم عمر الله ارميا بعد ذلك فهو الذي يرى بفلوات الارض والبلدان حدثني محمد بن عسكر وابن زنجويه قالا ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثني عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول أوحى الله الى ارميا وهو بارض مصر أن الحق بارض ايليا فان هذه ليست لك بارض مقام فركب حماره حتى اذا كان ببعض الطريق ومعه سلة من عنب وتين وكان معه سقاء جديد فملأه ماء فلما بدا له شخص بيت المقدس وما حوله من القرى والمساجد ونظر الى خراب لا يوصف ورأى هدم بيت المقدس كالجبل العظيم قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها وسار حتى تبوأ منها منزلا فربط حماره بحبل جديد وعلق سقاءه وألقى الله عليه السبات فلما نام نزع الله روحه مائة عام فلما مرت من المائة سبعون عاما أرسل الله ملكا الى ملك من ملوك فارس عظيم يقال له يوسك فقال ان الله يامرك أن تنفر بقومك فتعمر بيت المقدس وايليا وأرضها حتى تعود أعمر ما كانت فقال الملك أنظرني ثلاثة أيام حتى أتأهب لهذا العمل ولما يصلحه من أداة العمل فأنظره ثلاثة أيام فانتدب ثلاثمائة قهرمان ودفع الى كل قهرمان ألف عامل وما يصلحه من أداة العمل فسار اليها قهرمته ومعهم ثلثمائة ألف عامل فلما وقعوا في العمل رد الله روح الحياة في عين ارميا وآخر جسده ميتا فنظر الى ايليا وما حولها من القرى والمساجد والانهار والحروث تعمل وتعمر وتجدد حتى صارت كما كانت وبعد ثلاثين سنة تمام المائة رد اليه الروح فنظر الى طعامه وشرابه لم يتسنه ونظر الى حماره واقفا كهيئته يوم ربطه لم يطعم ولم يشرب ونظر الى الرمة في عنق الحمار لم تتغير جديدة وقد أتى على ذلك ريح مائة عام وبرد مائة عام وحر مائة عام لم تتغير ولم تنتقص شيأ وقد نحل جسم ارميا من البلى فانبت الله له لحما جديدا ونشز عظامه وهو ينظر فقال له الله انظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول في قوله أنى يحيي هذه الله بعد موتها ان ارميا لما خرب بيت المقدس وحرقت الكتب وقف في ناحية الجبل فقال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم رد الله من رد من بني اسرائيل على رأس سبعين سنة من حين أماته يعمرونها ثلاثين سنة تمام المائة فلما ذهبت المائة رد الله روحه وقد عمرت على حالها الاولى فجعل ينظر الى العظام كيف تلتام بعضها الى بعض ثم نظر الى العظام كيف تكسى عصبا ولحما فلما تبين له ذلك قال أعلم أن الله على كل شيء قدير فقال الله تعالى ذكره انظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه قال فكان طعامه تينا في مكتل وقلة فيها ماء حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها وذلك أن عزيرا مر جائيا من الشام على حمار له معه عصير وعنب وتين فلما مر بالقرية فرآها وقف عليها وقلب يده وقال كيف يحيي هذه الله بعد موتها ليس تكذيبا منه وشكا فأماته الله وأمات حماره فهلكا ومر عليهما مائة سنة ثم ان الله أحيا عزيرا فقال له كم لبثت قال له لبثت يوما أو بعض يوم قيل له بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك من التين والعنب وشرابك من العصير لم يتسنه الآية ۞ القول في تأويل قوله (ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام) يعني تعالى ذكره بقوله ثم بعثه ثم أثاره حيا من بعد مماته وقد دللنا على معنى البعث فيما مضى قبل وأما معنى قوله كم لبثت فان كم استفهام في كلام العرب عن مبلغ العدد وهو في هذا الموضع نصب بلبثت وتأويله قال الله له كم قدر الزمان الذي لبثت ميتا قبل أن أبعثك من مماتك حيا قال المبعوث بعد مماته لبثت ميتا الى أن بعثتني حيا يوما واحدا أو بعض يوم وذكر أن المبعوث هو ارميا أو عزير أو من كان ممن أخبر الله عنه

ظاهرا والتسليم لاحكام الحق بالطنا من غير حرج وضيق عطن ثم شرع في مزيد شرح لحقيقة الدين بقوله فمن يكفر بالطاغوت يتبرأ منه فطاغوت العوام الاصنام وطاغوت الخواص هو النفس وطاغوت خواص الخواص ماسوى الله وايمان العوام اقرار باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالاركان وايمان الخواص عزوب النفس عن الدنيا وسلوك طريق العقبى وشهود القلب مع المولى وايمان خواص

عنه هذا الخبر وانما قال لبثت يوما أو بعض يوم لان الله تعالى ذكره كان قبض روحه أول النهار ثم رد اليه روحه آخر النهار بعد المائة العام فقيل له كم لبثت قال لبثت يوما وهو يرى أن الشمس قد غربت فكان ذلك عنده يوما لانه ذكر أنه قبض روحه أول النهار وسئل عن مقدار لبثه ميتا آخر النهار وهو يرى أن الشمس قد غربت فقال لبثت يوما ثم رأى بقية من الشمس قد بقيت لم تغرب فقال أو بعض يوم بمعنى بل بعض يوم كما قال تعالى ذكره وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون بمعنى بل يزيدون فكان قوله أو بعض يوم رجوعا منه عن قوله لبثت يوما وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال ذكر لنا أنه مات ضحى ثم بعثه قبل غيبوبة الشمس فقال لبثت يوما ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال أو بعض يوم فقال بل لبثت مائة عام حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة أنى يحيى هذه الله بعد موتها قال مر على قرية فتعجب فقال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله أول النهار فلبث مائة عام ثم بعثه في آخر النهار فقال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه قال قال الربيع أماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج لما وقف على بيت المقدس وقد خربه بختنصر قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها كيف نعيدها كما كانت فأماته الله قال وذكر لنا أنه مات ضحى وبعث قبل غروب الشمس بعد مائة عام فقال كم لبثت قال يوما فلما رأى الشمس قال أو بعض يوم ۞ القول في تأويل قوله (فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه) يعني تعالى ذكره بقوله فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه لم تغيره السنون التي أتت عليه وكان طعامه فيما ذكر بعضهم سلة تين وعنب وشرابه قلة ماء * وقال بعضهم بل كان طعامه سلة عنب وسلة تين وشرابه زق من عصير * وقال آخرون بل كان طعامه سلة تين وشرابه دن خمر أو ركوة خمر وقد ذكرنا فيما مضى قول بعضهم في ذلك ونذكر ما فيه فيما يستقبل ان شاء الله وأما قوله لم يتسنه ففيه وجهان من القراءة أحدهما لم يتسن بحذف الهاء في الوصل واثباتها في الوقف ومن قرأه كذلك فانه يجعل الهاء في يتسنه زائدة صلة كقوله فبهداهم اقتده وجعل فعلت منه تسنيت تسنيا واعتل في ذلك بأن السنة تجمع سنوات فيكون تفعلت على نهجه ومن قال في السنة سنينة فجائز على ذلك وان كان قليلا أن يكون تسننت تفعلت بدلت النون ياء لما كثرت النونات كما قالوا تظننت وأصله الظن وقد قال قوم هو مأخوذ من قوله من حمأ مسنون وهو المتغير وذلك أيضا اذا كان كذلك فهو أيضا مما بدلت نونه ياء وهو قراءة عامة قراء الكوفة * والآخر منهما اثبات الهاء في الوصل والوقف ومن قرأه كذلك فانه يجعل الهاء في يتسنه لام الفعل ويجعلها مجزومة بلم ويجعل فعلت منه تسنهت ويفعل أتسنه تسنها وقال في تصغير السنة سنيهة ومنه أسنهت عند القوم وتسنهت عندهم اذا أقمت سنة هذه قراءة عامة قراء أهل المدينة والحجاز والصواب من القراءة عندي في ذلك اثبات الهاء في الوصل والوقف لانها مثبتة في مصحف المسلمين ولاثباتها وجه صحيح في كلتا الحالتين في ذلك ومعنى قوله لم يتسنه لم يأت عليه السنون فيتغير على لغة من قال أسنهت عندكم أسنه اذا أقام سنة وكما قال الشاعر

الخواص ملازمة الظاهر والباطن في طاعة الله وانابة القلب الى الفناء في الله واخلاء السر للبقاء بالله وهذا هو السكر الموجب للشكر ولهذا قال موسى بعد افاقته عن سكر سطوات شراب التجلي تبت اليك أي عن هذه الافاقة فكان مخصوصا عن عالمي زمانه بالايمان العياني وشريكا مع القوم بالايمان البياني كما قيل

لي سكرتان وللندمان واحدة
شيء خصصت به من بينهم وحدي

ثم العروة الوثقى التي استمسك بها المؤمن لا يمكن أن تكون من المحدثات المخلوقات لقوله كل شيء هالك الا وجهه ولا تكون أيضا من بطشك والا كانت منفصمة بل تكون من بطشه ان بطش ربك لشديد ولكل مؤمن عروة مناسبة لمقامه في الايمان فهي للعوام توفيق الطاعة وللخواص مزيد العناية بالمحبة يحبهم ويحبونه ولخواص الخواص الجذبة الالهية التي تفنيه عن ظلمات الغيرية وتبقيه بنور الربوبية ولهذا قال صلى الله عليه وسلم

جذبة من جذبات الحق توازي عمل الثقلين لان الثقلين وأعمالهما فانية من عالم الحدوث وجذبة الحق باقية من عالم القدم لا يجوز عليها الانفصام فالمجذوب لا يخلص منها أبد الآبدين ثم أخبر عن تصرفات جذباته فقال الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور يخرج العوام من ظلمات الكفر والضلالة الى نور الايمان والهداية والخواص من

ظلمات الصفات النفسانية والجسمانية الى نور الروحانية والربانية وخواص الخواص من ظلمات الحدوث والفناء الى نور الشهود والبقاء والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت ذكر الطاغوت بلفظ الوحدان والاولياء بلفظ الجمع ليعلم أن الولاء والمحبة من قبل الكفار أى هم أولياء الطاغوت كقوله أندادا يحبونهم كحب الله فان الطاغوت لو فسر بالاصنام فهى بمعزل عن الولاية وان فسر بالشيطان أو النفس فهم الاعداء لا الأولياء يخرجونهم من نور الروحانية وصفاء الفطرة الى ظلمات الصفات البهيمة والسبعية والشيطانية ظلمات بعضها فوق بعض دركات بعضها تحت بعض أولئك أى أرواح الكفار مع النفس والشيطان والاصنام أصحاب النار لان الارواح وان لم تكن من جنسهم ولكن من تشبه بقوم فهو منهم والله المستعان

﴿ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شئ قدير واذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم﴾ القراآت ربى الذى مرسلة الياء حمزة الباقون بالفتح أنا أحيى بالمد أبو جعفر ونافع وكذلك ما أشبهها من

وليست بسنهاء ولا رجبية * ولكن عرايا فى السنين الجوائح

بجعل الهاء فى السنة أصلا وهى اللغة الفصحى وغير جائز حذف حرف من كتاب الله فى حال وقف أو وصل لاثباته وجه معروف فى كلامها فان اعتل معتل بان المصحف قد ألحقت فيه حروف هن زوائد على نية الوقف والوجه فى الاصل عند القراءة حذفهن وذلك كقوله فبهداهم اقتده وقوله ياليتنى لم أوت كتابيه فان ذلك هو مما لم يكن فيه شك أنه من الزوائد وأنه ألحق على نية الوقف فأما ما كان محتملا أن يكون أصلا للحرف غير زائد فغير جائز وهو فى مصحف المسلمين مثبت صرفه الى أنه من الزوائد والصلات على أن ذلك وان كان زائدا فيما لا شك أنه من الزوائد فان العرب قد تصل الكلام بزائد فتنطق به على نحو منطقها به فى حال القطع فيكون وصلها اياه وقطعها سواء وذلك من فعلها دلالة على صحة قراءة من قرأ جميع ذلك باثبات الهاء فى الوصل والوقف غير أن ذلك وان كان كذلك فلقوله لم يتسنه حكم مفارق حكم ما كان هاؤه زائدا لا شك فى زيادته فيه ومما يدل على صحة ما قلنا من أن الهاء فى يتسنه من لغة من قال قد أسنهت والمسانهة ما حدثت به عن القاسم بن سلام قال ثنا ابن مهدى عن أبى الجراح عن سليمان بن عمير قال ثنى هانئ مولى عثمان قال كنت الرسول بين عثمان وزيد بن ثابت فقال زيد سله عن قوله لم يتسن أو لم يتسنه فقال عثمان اجعلوا فيها هاء حدثت عن القاسم وحدثنا محمد بن محمد العطار عن القاسم وحدثنا أحمد والعطار جميعا عن القاسم قال ثنا ابن مهدى عن ابن المبارك قال ثنى أبو وائل شيخ من أهل اليمن عن هانئ البربرى قال كنت عند عثمان وهم يعرضون المصاحف فارسلنى بكتف شاة الى أبى بن كعب فيها لم يتسن وفأمهل الكافرين ولا تبديل للخلق قال فدعا بالدواة فمحا احدى اللامين وكتب لا تبديل لخلق الله ومحا فأمهل وكتب فمهل الكافرين وكتب لم يتسنه ألحق فيها الهاء ولو كان ذلك من يتسنى أو يتسنن لما ألحق فيه أبى هاء لا موضع لها فيه ولا أمر عثمان بالحاقها فيها وقد روى عن زيد بن ثابت فى ذلك نحو الذى روى فيه عن أبى بن كعب * واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله لم يتسنه فقال بعضهم بمثل الذى قلنا فيه من أن معناه لم يتغير ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة بن المفضل عن محمد بن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه لم يتسنه لم يتغير حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لم يتسنه لم يتغير حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه يقول فانظر الى طعامك من التين والعنب وشرابك من العصير لم يتسنه يقول لم يتغير فيحمض التين والعنب ولم يختمر العصير هما حلوان كما هما وذلك أنه مر جائيا من الشام على حمار له معه عصير وعنب وتين فأماته الله وأمات حماره ومر عليهما مائة سنة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه يقول لم يتغير وقد أتى عليه مائة عام حدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك بنحوه حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لم يتسنه لم يتغير حدثنا سفيان قال ثنا أبى عن النضر عن عكرمة لم يتسنه لم يتغير حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد لم يتسنه لم يتغير فى مائة سنة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى بكر بن مضر قال يزعمون فى بعض الكتب ان أرمياء كان بايلياء حين

خربها بختنصر نخرج منها الى مصر فكان بها فأوحى الله اليه أن اخرج منها الى بيت المقدس فأتاها فاذا هي خربة فنظر اليها فقال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه فاذا حماره حي قائم على رباطه واذا طعامه سل عنب وسل تين لم يتغير عن حاله قال يونس قال لنا سالم الخواص كان طعامه وشرابه سل عنب وسل تين وزق عصير * وقال آخرون معنى ذلك لم ينتن ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله لم يتسنه لم ينتن حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد قوله الى طعامك قال سل تين وشرابك دن خمر لم يتسنه يقول لم ينتن وأحسب أن مجاهدا والربيع ومن قال في ذلك بقولهما رأوا أن قوله لم يتسنه من قول الله تعالى ذكره من حمأ مسنون بمعنى المتغير الريح بالنتن من قول القائل تسنن وقد بينت الدلالة فيما مضى على أن ذلك ليس كذلك فان ظن ظان أنه من الاسن من قول القائل أسن هذا الماء يأسن أسنا كما قال الله تعالى ذكره فيها أنهار من ماء غير آسن فان ذلك لو كان كذلك لكان الكلام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتأسن ولم يكن يتسنه (١) فانه منه غير أنه ترك همزه قيل فانه وان ترك همزه فغير جائز تشديد نونه لان النون غير مشددة وهي في يتسنه مشددة ولو نطق من يتأسن بترك الهمزة لقيل يتسن بتخفيف نونه بغير هاء تلحق فيه ففي ذلك بيان واضح أنه غير جائز أن يكون من الاسن ۞ القول في تأويل قوله (وانظر الى حمارك) اختلف أهل التأويل في تأويل قوله وانظر الى حمارك فقال بعضهم معنى ذلك وانظر الى احيائي حمارك والى عظامه كيف أنشزها ثم أكسوها لحما * ثم اختلف متأولو ذلك هذا التأويل فقال بعضهم قال الله تعالى ذكره ذلك له بعد أن أحياه خلقا سويا ثم أراد أن يحيي حماره تعريفا منه تعالى ذكره له كيفية احيائه القرية التي رآها خاوية على عروشها فقال أنى يحيي هذه الله بعد موتها مستنكرا احياء الله اياها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه قال بعثه الله فقال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم الى قوله ثم نكسوها لحما قال فنظر الى حماره يتصل بعض الى بعض وقد كان مات معه بالعروق والعصب ثم كساه ذلك منه اللحم حتى استوى ثم جرى فيه الروح فقام ينهق ونظر الى عصيره وتينه فاذا هو على هيئته حين وضعه لم يتغير فلما عاين من قدرة الله ما عاين قال أعلم أن الله على كل شئ قدير حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي ثم ان الله أحيا عزيرا فقال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك قد هلك وبليت عظامه وانظر الى عظامه كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فبعث الله ريحا فجاءت بعظام الحمار من كل سهل وجبل ذهبت به الطير والسباع فاجتمعت فركب بعضها في بعض وهو ينظر فصار حمارا من عظام ليس له لحم ولا دم ثم ان الله كسا العظام لحما ودما فقام حمارا من لحم ودم وليس فيه روح ثم أقبل ملك يمشي حتى أخذ بمنخر الحمار فنفخ فيه فنهق الحمار فقال أعلم أن الله على كل شئ قدير فتأويل الكلام على ما تأوله قائل هذا القول وانظر الى احيائنا حمارك والى عظامه كيف ننشزها ثم نكسوها لحما ولنجعلك آية للناس فيكون في قوله وانظر الى حمارك متروك من الكلام استغني بدلالة ظاهره عليه من ذكره وتكون الالف واللام في قوله وانظر الى العظام بدلا من

(١) قوله فانه منه هكذا بالاصل ولعل فيه سقطا ووجه الكلام فان قيل فانه منه غير الخ وتأمل

المفتوحة والمضمومة وزاد أبو نشيط بالمد في المكسورة في قوله تعالى ان أنا الا نذير وأشباه ذلك مائة وبابه مثل فئة وقد مر لبثت وبابه بالاظهار ابن كثير ونافع وخلف وسهل ويعقوب لم يتسنه في الوصل والوقف بالهاء حمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب لان الهاء للسكت وهاء السكت تزاد للوقف الباقون بالهاء الساكنة في الحالين والهاء اما أصلية مجزومة بلم أو هاء سكت (٣٧) وأجروا الوصل مجرى الوقف الى حمارك كمثل الحمار بالامالة علي غير ليث وأبي حمدون وحمدويه والنجاري عن ورش وابن ذكوان وأبو عمرو وحمزة في رواية ابن سعدان وأبي عمرو بن شنبوذ عن أهل مكة ننشرها بالراء أبو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وأبو جعفر ونافع الباقون بالزاي قال اعلم موصولا والابتداء بكسر الهمزة على الأمر حمزة وعلي الباقون مقطوعا والميم مضمومة على الاخبار فصرهن بكسر الصاد يزيد وحمزة وخلف ورويس والمفضل جزا بتشديد الزاي يزيد ووجهه أنه خفف بطرح همزته ثم شدد كما يشدد في الوقف اجراء للوصل مجرى الوقف وقرأ أبو بكر وحماد جزأ مثقلا مهموزا الباقون ساكنة الزاي مهموزة ۞ الوقوف الملك م لان اذ ليس بظرف لايتاء الملك ويميت (لا) لان قال عامل اذ وأميت ط كفر ط الظالمين لا للعطف بأو التعجب عروشها ج لان ما بعده من تتمة كلام قبله من غير عطف موتها ج لتمام المقول مع العطف بقاء الجواب والجزاء بعثه ط كم لبثت ط يوم ط لم يتسنه ج وان اتفقت الجملتان لوقوع الحال المعترض بينهما ومن وصل حسن له الوقف على حمارك باضمار ما يعطف عليه قوله ولنجعلك أي لتستيقن ولنجعلك ومن جعل الواو مقحمة لم يقف لحما ط لتمام البيان له (لا) لان قال جواب لما قدير ه الموتى ط تؤمن ط قلبي ط سعيا ط لاعتراض جواب الامر حكيم ه ۞ التفسير انه سبحانه ذكر ههنا

قصصا ثلاثا أولاها فى اثبات العلم بالصانع والباقيتان فى اثبات البعث والنشور فالقصة الاولى مناظرة ابراهيم ملك زمانه عن مجاهد أنه نمرود بن كنعان وهو أول من تجبر وادعى الربوبية والمحاجة المغالبة بالحجة والضمير فى ربه لابراهيم ويحتمل أن يكون لنمرود والهاء فى أن آتاه قيل لابراهيم لأنه أقرب فى الذكر ولانه لا يجوز أن يؤتى الكافر الملك والتسليط ولانه يناسب قوله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما وقال جمهور المفسرين الضمير لذلك الشخص الذى حاج ابراهيم ولا يبعد أن يعطى الله الكافر بسطة وسعة فى الدنيا ومعنى أن آتاه الله أى لان آتاه الله الملك فابطره وأورثه الكبر والعتو أو جعل محاجته فى ربه شكرا له كقولك عادانى فلان لانى أحسنت اليه تريد أنه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لأجل الاحسان ويجوز أن يكون المعنى حاج وقت أن آتاه وعن مقاتل أن هذه المحاجة كانت حين ما كسر ابراهيم الاصنام وسجنه نمرود ثم أخرجه من السجن ليحرقه فقال من ربك الذى تدعو اليه فقال ربى الذى يحيى ويميت وهذا دليل فى غاية الصحة لان الخلق عاجزون عن الاحياء والاماتة فلا بد أن يستند الى مؤثر قادر مختار خبير باجزاء الحيوان وأشكاله بصير باعضائه وأحواله ولأمر ما ذكره الله تعالى فى مواضع من كتابه فقال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين هو الذى خلقكم من تراب ألم نخلقكم من ماء مهين وروى أن الكافر دعا حينئذ بشخصين فاستبقى أحدهما وقتل الآخر وقال أنا أيضا أحيي وأميت ثم الله للناس فى هذا المقام طريقان الأول وعليه أكثر المفسرين أن ابراهيم عليه السلام لما رأى من نمرود أنه ألقى تلك الشبهة عدل عن ذلك الى دليل آخر ومثال آخر أوضح من الأول فقال ان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب قالوا وفى هذا دليل على جواز

الهاء المرادة فى المعنى لان معناه وانظر الى عظامه يعنى الى عظام الحمار ❊ وقال آخرون منهم بل قال الله تعالى ذكره ذلك له بعد أن نفخ فيه الروح فى عينه قالوا وهى أول عضو من أعضائه نفخ الله فيه الروح وذلك بعد أن سواه خلقا سويا وقبل أن يحيى حماره ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال كان هذا رجلا من بنى اسرائيل نفخ الروح فى عينيه فنظر الى خلقه كله حين يحييه الله والى حماره حين يحييه الله حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال بدأ بعينيه فنفخ فيهما الروح ثم بعظامه فأنشزها ثم وصل بعضها الى بعض ثم كساها العصب ثم العروق ثم اللحم ثم نظر الى حماره فاذا حماره قد بلى وابيضت عظامه فى المكان الذى ربطه فيه فنودى يا عظام اجتمعى فان الله منزل عليك روحا فسعى كل عظم الى صاحبه فوصل العظام ثم العصب ثم العروق ثم اللحم ثم الجلد ثم الشعر وكان حماره جذعا فأحياه الله كبيرا قد تشنن فلم يبق منه الا الجلد من طول الزمن وكان طعامه سل عنب وشرابه دن خمر قال ابن جريج عن مجاهد نفخ الروح فى عينيه ثم نظر بهما الى خلقه كله حين نشره الله والى حماره حين يحييه الله ❊ وقال آخرون بل جعل الله الروح فى رأسه وبصره وجسده ميتا فرأى حماره قائما كهيئته يوم ربطه وطعامه وشرابه كهيئته يوم حل البقعة ثم قال الله له انظر الى عظام نفسك كيف ننشرها ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سهل بن عسكر قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثنى عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول رد الله روح الحياة فى عين أرمياء وآخر جسده ميت فنظر الى طعامه وشرابه لم يتسنه ونظر الى حماره واقفا كهيئته يوم ربطه لم يطعم ولم يشرب ونظر الى الرمة فى عنق الحمار لم تتغير جديدة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سلمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فأماته الله مائة عام ثم بعثه فنظر الى حماره قائما قد مكث مائة عام والى طعامه لم يتغير قد أتى عليه مائة عام وانظر الى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما فكان أول شئ أحيا الله منه رأسه فجعل ينظر الى سائر خلقه يخلق حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى زهير عن جويبر عن الضحاك فى قوله فأماته الله مائة عام ثم بعثه فنظر الى حماره قائما والى طعامه يتبه لم يتغير فكان أول شئ خلق منه رأسه فجعل ينظر الى كل شئ منه يوصل بعضه الى بعض فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شئ قدير حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أنه أول ما خلق الله منه رأسه ثم ركبت فيه عيناه ثم قيل له انظر فجعل ينظر فجعلت عظامه تواصل بعضها الى بعض وبعين نبى الله عليه السلام كان ذلك فقال أعلم أن الله على كل شئ قدير حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع وانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك وكان حماره عنده كما هو ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشرها قال الربيع ذكر لنا والله أعلم أنه أول ما خلق منه عيناه ثم قيل انظر فجعل ينظر الى العظام يتواصل بعضها الى بعض وذلك بعينيه فقيل اعلم أن الله على كل شئ قدير حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا ابن زيد قال قوله وانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك واقفا عليك منذ مائة سنة ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام يقول وانظر الى عظامك كيف نحييها حين سألتنا كيف نحيي هذه الارض بعد موتها قال فجعل

الانتقال للمجادل من حجة الى حجة وأورد عليه ان الشبهة اذا وقعت فى الاسماع وجب على المحق القادر على ذكر الجواب أن يذكر الجواب فى الحال ازالة لذلك الجهل واللبس ولما طعن الملك الكافر فى الدليل الاول أو فى المثال الاول بتلك الشبهة كان الاشتغال بازالة ذلك واجبا مضيقا فكيف يليق بالمعصوم أن يترك ذلك الواجب مع أن فيه ايهام أن كلامه الاول كان ضعيفا ولئن سلمنا أن الانتقال من دليل الى دليل حسن لكنه يجب أن يكون المنتقل اليه أوضح لكن الاستدلال بالاحياء والاماتة على وجود الصانع أظهر وأقوى من الاستدلال بطلوع الشمس فان جنس الحياة لا قدرة للخلق عليه وأما جنس تحريك الاجسام فللخلق قدرة عليه وأيضا دلالة الاحياء والاماتة على الحاجة الى المؤثر القادر لكونهما من المتبدلات أقوى من دلالة طلوع الشمس لكون حركة الافلاك على نهج واحد وأيضا ان نمرود لما لم يستحى من معارضة الاحياء والاماتة الصادرين عن الله بالقتل والتخلية فكيف يؤمن منه عند استدلال ابراهيم بطلوع الشمس أن يقول بل طلوع الشمس من المشرق منى فان كان لك اله فقل له حتى يطلعها من المغرب وعند ذلك التزم المحققون من المفسرين ذلك وقالوا انه لو أورد هذا السؤال لكان من الواجب أن يطلع الشمس من مغربها ومن المعلوم أن الاشتغال باظهار فساد سؤاله فى الاحياء والاماتة أسهل بكثير من التزام طلوع الشمس من المغرب فما الذى حمل ابراهيم على أن ترك الجواب عن ذلك السؤال الركيك والتزم الانقطاع واعترف بالحاجة الى الانتقال وتمسك بدليل لا يمكن تمشيته الا بالتزام اطلاع الشمس من المغرب ولما كانت هذه الاعتراضات واردة على الطريق الاول عدل بعض المحققين الى طريق آخر وقالوا ان ابراهيم عليه السلام لما احتج بالاحياء والاماتة قال المنكر أتدعى الاحياء

الله الروح فى بصره وفى لسانه ثم قال ادع الآن بلسانك الذى جعل الله فيه الروح وانظر ببصرك قال فكان ينظر الى الجمجمة قال فنادى ليلحق كل عظم بأليفه قال فجاء كل عظم الى صاحبه حتى اتصلت وهو يراها حتى ان الكسرة من العظم لتأتى الى الموضع الذى انكسرت منه فتلصق به حتى وصل الى جمجمته وهو يرى ذلك فلما اتصلت شدها بالعصب والعروق وأجرى عليها اللحم والجلد ثم نفخ فيها الروح ثم قال انظر الى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما فلما تبين له ذلك قال أعلم أن الله على كل شئ قدير قال ثم أمر فنادى تلك العظام التى قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها كما نادى عظام نفسه ثم أحياها الله كما أحياه

حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى بكر بن مضر قال يزعمون فى بعض الكتب أن الله أمات أرمياء مائة عام ثم بعثه فاذا حماره حى قائم على رباطه قال ورد الله اليه بصره وجعل الروح فيه قبل أن يبعث بثلاثين سنة ثم نظر الى بيت المقدس وكيف عمر وما حوله قال فيقولون والله أعلم انه الذى قال الله تعالى ذكره أو كالذى مر على قرية وهى خاوية الآية ومعنى الآية على تأويل هؤلاء وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى عظامك كيف ننشرها بعد بلاها ثم نكسوها لحما فنحييها بحياتك فتعلم كيف يحيى الله القرى وأهلها بعد مماتها * وأولى الاقوال فى هذه الآية بالصواب قول من قال ان الله تعالى ذكره بعث قائل أنى يحيى هذه الله بعد موتها من مماته ثم أراه نظير ما استنكر من احياء الله القرية التى مر بها بعد مماتها عيانا من نفسه وطعامه وحماره فجعل تعالى ذكره ما أراه من احيائه نفسه وحماره مثلا لما استنكر من احيائه أهل القرية التى مر بها خاوية على عروشها وجعل ما أراه من العبرة فى طعامه وشرابه عبرة له وحجة عليه فى كيفية احيائه منازل القرية وجنانها وذلك هو معنى قول مجاهد الذى ذكرناه قبل وانما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية لأن قوله وانظر الى العظام انما هو بمعنى وانظر الى العظام التى تراها ببصرك كيف ننشرها ثم نكسوها لحما وقد كان حماره أدركه من البلى فى قول أهل التأويل جميعا نظير الذى لحق عظام من خوطب بهذا الخطاب فلم يمكن صرف معنى قوله وانظر الى العظام الى أنه أمر له بالنظر الى عظام الحمار دون عظام المأمور بالنظر اليها ولا الى أنه أمر له بالنظر الى عظام نفسه دون عظام الحمار واذا كان ذلك كذلك وكان البلى قد لحق عظامه وعظام حماره كان الأولى بالتأويل أن يكون الأمر بالنظر الى كل ما أدركه طرفه مما قد كان البلى لحقه لان الله تعالى ذكره جعل جميع ذلك عليه حجة وله عبرة وعظة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (ولنجعلك آية للناس) يعنى تعالى ذكره بذلك ولنجعلك آية للناس أمتناك مائة عام ثم بعثناك وانما أدخلت الواو مع اللام التى فى قوله ولنجعلك آية للناس وهو بمعنى كى لان فى دخولها فى كى وأخواتها دلالة على أنها شرط لفعل بعدها بمعنى ولنجعلك كذا وكذا فعلنا ذلك ولو لم تكن قبل اللام أعنى لام كى واو كانت اللام شرطا للفعل الذى قبلها وكان يكون معناه وانظر الى حمارك لنجعلك آية للناس وانما عنى بقوله ولنجعلك آية ولنجعلك حجة على من جهل قدرتى وشك فى عظمتى وأنا القادر على فعل ما أشاء من اماتة واحياء وافناء وانشاء وانعام واذلال واقتار واغناء بيدى ذلك كله لا يملكه أحد دونى ولا يقدر عليه غيرى وكان بعض أهل التأويل يقول كان آية للناس بأنه جاء بعد مائة عام الى ولده وولد ولده شبابا وهم شيوخ ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا قبيصة بن عقبة عن سفيان قال سمعت الأعمش يقول ولنجعلك آية للناس قال جاء شابا وولده شيوخ * وقال آخرون معنى ذلك أنه جاء وقد هلك من يعرفه فكان آية لمن قدم عليه

والاماتة من الله ابتداء أم بواسطة الاسباب الارضية والسماوية أما الاول فلا سبيل اليه وأما الثاني فنظيره أو ما يقرب منه حاصل للبشر فان الجماع يفضي الى الولد بتوسط الاسباب وتناول السم يفضي الى الموت فأجاب ابراهيم عليه السلام بناء على معتقدهم وكانوا أصحاب تنجيم بان الاحياء والاماتة وان حصلا بواسطة حركات الافلاك لكن الحركات والاتصالات لابد لها من فاعل ومدبر وليس ذلك هو البشر فانه لا قدرة لهم على الفلكيات فهي اذن بتحريك رب الأرض والسموات (قلت) وفيه أيضا طريق آخر نذكره في التأويلات ان شاء الله تعالى (فبهت الذي كفر) يقال بهت الرجل بالكسر اذا دهش وتحير وبهت بالضم مثله وقد قرئ بهما وأفصح منهما القراءة المشهورة فبهت على البناء للمفعول لأنه يقال رجل مبهوت ولا يقال باهت ولا بهيت قاله الكسائي (والله لا يهدي القوم الظالمين) فلهذا لم ينفعه الدليل وان بلغ في الظهور الى حيث صار المبطل مبهوتا محجوجا فيعلم منه أن الكل بقضاء الله وقدره ومشيئته وارادته * القصة الثانية قوله سبحانه أو كالذي مر على قرية ذهب الكسائي والفراء والفارسي وأكثر النحويين الى أنه معطوف على المعنى والتقدير أرأيت كالذي حاج ابراهيم أو كالذي مر ونظيره من القرآن قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله ثم قال قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله فهذا عطف على المعنى كأنه قيل لمن السموات فقيل لله ومثله قول الشاعر * فلسنا بالجبال ولا الحديدا * الى

وعن الأخفش أن الكاف زائدة والتقدير ألم تر الى الذي حاج ابراهيم أو الى الذي مر وعن المبرد أنا نضمر الفعل في الثاني والتقدير ألم تر الى الذي حاج الى ابراهيم أو ألم تر الى مثل الذي مر * واختلف في المار بالقرية فعن مجاهد وعليه أكثر المفسرين من المعتزلة أن المار كان رجلا كافرا

من قومه ذكر من قال ذلك حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال رجع الى أهله فوجد داره قد بيعت وبنيت وهلك من كان يعرفه فقال اخرجوا من داري قالوا ومن أنت قال أنا عزير قالوا أليس قد هلك عزير منذ كذا وكذا قال فان عزيرا أنا هو كان من حالي وكان فلما عرفوا ذلك خرجوا له من الدار ودفعوها اليه والذي هو أولى بتأويل الآية من القول أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر أنه جعل الذي وصف صفته في هذه الآية حجة للناس فكان ذلك حجة على من عرفه من ولده وقومه ممن علم موته واحياء الله اياه بعد مماته وعلى من بعث اليه منهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وانظر الى العظام كيف ننشرها) قد دللنا فيما مضى قبل على أن العظام التي أمر بالنظر اليها هي عظام نفسه وحماره وذكرنا اختلاف المختلفين في تأويل ذلك وما يعني كل قائل بما قاله في ذلك بما أغنى عن اعادته وأما قوله كيف ننشرها فان القراء اختلفت في قراءته فقرأه بعضهم وانظر الى العظام كيف ننشزها بضم النون وبالزاي وذلك قراءة عامة قراء الكوفيين بمعنى وانظر كيف نركب بعضها على بعض وننقل ذلك الى مواضع من الجسم وأصل النشز الارتفاع ومنه قيل قد نشز الغلام اذا ارتفع طوله وشب ومنه نشوز المرأة على زوجها ومن ذلك قيل للمكان المرتفع من الارض نشز ونشز ونشازة فاذا أردت أنك رفعته قلت أنشزته انشازا ونشز هو اذا ارتفع فمعنى قوله وانظر الى العظام كيف ننشزها في قراءة من قرأ ذلك بالزاي كيف نرفعها من أماكنها من الارض فنردها الى أماكنها من الجسم وممن تأول ذلك هذا التأويل جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله كيف ننشزها كيف نخرجها حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي كيف ننشزها قال نحركها * وقرأ ذلك آخرون وانظر الى العظام كيف ننشرها بضم النون قالوا من قول القائل أنشر الله الموتى فهو ينشرهم انشارا وذلك قراءة عامة قراء أهل المدينة بمعنى وانظر الى العظام كيف نحييها ثم نكسوها لحما ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد كيف ننشرها قال انظر اليها حين يحييها الله حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وانظر الى العظام كيف ننشرها قال كيف نحييها * واحتج بعض قراء ذلك بالراء وضم نون أوله بقوله ثم اذا شاء أنشره فرأى أن من الصواب الحاق قوله وانظر الى العظام كيف ننشرها به وقرأ ذلك بعضهم وانظر الى العظام كيف ننشرها بفتح النون من أوله وبالراء كأنه وجه ذلك الى مثل معنى نشر الشيء وطيه وذلك قراءة غير محمودة لان العرب لا تقول نشر الموتى وانما تقول أنشر الله الموتى فنشروا هم بمعنى أحياهم فحيوا هم ويدل على ذلك قوله ثم اذا شاء أنشره وقوله آلهة من الارض هم ينشرون وعلى أنه اذا أريد به حي الميت وعاش بعد مماته قيل نشر قول أعشى بني ثعلبة

حتى يقول الناس مما رأوا * يا عجبا للميت الناشر

وروي سماعا من العرب كان به جرب فنشر اذا عاد وحيي والقول في ذلك عندي أن معنى الانشار ومعنى الانشاز متقاربان لان معنى الانشاز التركيب والاثبات ورد العظام من العظام واعادتها لا شك أنه ردها

شا كا في البعث لان قوله أنى يحيى استبعاد وانه لا يليق بالمؤمن ولانه تعالى قال في حقه فلما تبين له وفيه دليل على أن ذلك التبين لم يكن حاصلا قبل ذلك وكذا قوله اعلم أن الله على كل شئ قدير وذهب سائر المفسرين الى أنه كان مسلما ثم قال قتادة وعكرمة والضحاك والسدى هو عزير وقال عطاء عن ابن عباس هو أرميا ثم من هؤلاء من قال ان أرمياهو الخضر عليه السلام وهو رجل من سبط هرون بن عمران وهذا قول محمد بن اسحق وقال وهب بن منبه ان أرمياهو النبي الذي بعثه الله عند ما خرب بختنصر بيت المقدس وأحرق التوراة وقيل هو عزير على ما يجيء حجة هؤلاء أن قوله أنى يحيى هذه الله بعد موتها يدل على أنه كان عالما بالله وبانه تعالى يصح منه الاحياء في الجملة والاستبعاد انما هو في القرية المخصوصة وأيضا قد شرفه الله تعالى بالتكلم في قوله قال كم لبثت وفي قوله وانظر ولنجعلك وفي نفس قصته من الاعادة وغيرها اكرام له أيضا روى عن ابن عباس أن بختنصر غزا بني اسرائيل فسبى منهم الكثير ومنهم عزير وكان من علمائهم فجاء بهم الى بابل فدخل عزير تلك القرية ونزل تحت ظل شجرة وربط حماره وطاف في القرية فلم يرفيها أحدا فعجب من ذلك وقال أنى يحيى هذه الله بعد موتها أى من أين يتوقع عمارتها لا على سبيل الشك في القدرة بل بسبب اطراد العادة في أن مثل ذلك الموضع الخراب قلما يصيره الله معمورا وكانت الاشجار مثمرة فتناول منها التين والعنب وشرب من عصير العنب ونام فأماته الله في منامه مائة عام وهو شاب ثم أعمى عنه في موته أبصار الانس والطير والسباع ثم أحياه بعد المائة ونودى من السماء يا عزير كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك من التين والعنب وشرابك من العصير لم يتغير فنظر فاذا التين والعنب كما شاهد ثم قال وانظر الى حمارك فنظر فاذا عظام بيض

الى أماكنها ومواضعها من الجسد بعد مفارقتها اياها فهما وان اختلفا في اللفظ فمتقاربا المعنى وقد جاءت بالقراءة بهما الأمة مجيئا يقطع العذر ويوجب الحجة فبأيهما قرأ القارئ فمصيب لانقياد معنييهما ولا حجة توجب لاحداهما من القضاء بالصواب على الأخرى فان ظن ظان أن الانشار اذا كان احياء فهو بالصواب أولى لان المأمور بالنظر الى العظام وهي تنشر انما أمر به ليرى عيانا ما أنكره بقوله أنى يحيى هذه الله بعد موتها (١) فان احياء العظام لاشك في هذا الموضع انما عنى به ردها الى أماكنها من جسد المنظور اليه وهو يحيا لا اعادة الروح التي كانت فارقتها عند الممات والذي يدل على ذلك قوله ثم نكسوها لحما ولا شك أن الروح انما نفخت في العظام التي أنشرت بعد ان كسيت اللحم واذا كان ذلك كذلك وكان معنى الانشار تركيب العظام وردها الى أماكنها من الجسد وكان ذلك معنى الانشاز كان معلوما استواء معنييهما وانهما متفقا المعنى لا مختلفاه ففي ذلك ابانة عن صحة ما قلنا فيه وأما القراءة الثالثة فغير جائزة القراءة بها عندي وهي قراءة من قرأ كيف ننشرها بفتح النون وبالراء لشذوذها عن قراءة المسلمين وخروجها عن الصحيح الفصيح من كلام العرب ۞ القول في تأويل قوله (ثم نكسوها لحما) يعني تعالى ذكره بذلك ثم نكسوها أي العظام لحما والهاء التي في قوله ثم نكسوها لحما من ذكر العظام ومعنى نكسوها نلبسها ونواريها به كما توارى جسد الانسان كسوته التي يلبسها وكذلك تفعل العرب تجعل كل شئ غطى شيأ وواراه لباساله وكسوة ومنه قول النابغة الجعدي

فالحمد لله اذ لم يأتني أجلي * حتى اكتسيت من الاسلام سربالا

فجعل الاسلام اذ غطى الذي كان عليه فواراه وأذهبه كسوة له وسربالا ۞ القول في تأويل قوله (فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شئ قدير) يعني تعالى ذكره بقوله فلما تبين له فلما اتضح له عيانا ما كان مستنكرا من قدرة الله وعظمته عنده قبل عيانه ذلك قال أعلم الآن بعد المعاينة والاتضاح به والبيان أن الله على كل شئ قدير ثم اختلفت القراء في قراءة قوله قال أعلم أن الله فقرأه بعضهم قال اعلم على معنى الأمر بوصل الالف من اعلم وجزم الميم منها وهي قراءة عامة قراء أهل الكوفة ويذكرون أنها في قراءة عبد الله قيل اعلم على وجه الامر من الله للذي أحيي بعد مماته فأمر بالنظر الى ما يحييه الله بعد مماته وكذلك روى عن ابن عباس حدثني أحمد بن يوسف الثعلبي قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنى حجاج عن هرون قال هي في قراءة عبد الله قيل اعلم أن الله على وجه الامر حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه أحسبه شك أبو جعفر الطبري سمعت ابن عباس يقرأ فلما تبين له قال اعلم قال انما قيل ذلك له حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال ذكر لنا والله أعلم أنه قيل له انظر فجعل ينظر الى العظام كيف يتواصل بعضها الى بعض وذلك بعينيه فقيل اعلم أن الله على كل شئ قدير فعلى هذا القول تأويل ذلك فلما تبين له ما تبين من أمر الله وقدرته قال الله له اعلم الآن أن الله على كل شئ قدير ولو صرف متأول قوله قال اعلم وقد قرأه على وجه الأمر الى أنه من قبل المخبر عنه بما اقتص في هذه الآية من قصته كان وجها صحيحا وكان ذلك كما يقول

---

(١) قوله فان احياء العظام الخ هذا في الحقيقة جواب الرد على الظان وان كان تركيب العبارة غير مألوف يحتاج الى عناية تأمل

تلوح وقد تفرقت أوصاله فسمع صوتا أيتها العظام البالية انى جاعل فيك ر وحا فانضم أجزاء العظام بعضها الى بعض ثم التصق كل عضو بما يليق به الضلع الى الضلع والذراع الى مكانه ثم جاء الرأس الى مكانه ثم العصب ثم العروق ثم انبسط اللحم عليه ثم انبسط الجلد عليه ثم خرجت الشعور من الجلد ثم نفخ فيه الروح فاذا هو قائم ينهق فخر عزير ساجدا فقال أعلم أن الله على كل شئ قدير ثم انه دخل بيت

القائل اعلم أن قد كان كذا وكذا على وجه الأمر منه لغيره وهو يعني به نفسه * وقرأ ذلك آخرون قال أعلم على وجه الخبر عن نفسه للتكلم به بهمز ألف أعلم وقطعها ورفع الميم بمعنى فلما تبين له ما تبين من قدرة الله وعظيم سلطانه بمعاينته ما عاينه قال أليس ذلك أعلم الآن أنا أن الله على كل شئ قدير وبذلك قرأ عامة أهل المدينة وبعض قراء أهل العراق وبذلك من التأويل تأوله جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه قال لما عاين من قدرة الله ما عاين قال أعلم أن الله على كل شئ قدير حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول فلما تبين له قال أعلم أن الله على شئ قدير حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال يعني نبي الله عليه السلام يعني انشار العظام فقال أعلم أن الله على كل شئ قدير حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال قال عزير عند ذلك يعني عند معاينة احياء الله حماره أعلم أن الله على كل شئ قدير حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قال جعل ينظر الى كل شئ منه يوصل بعضه الى بعض فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شئ قدير حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد نحوه * وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأ اعلم بوصل الالف وجزم الميم على وجه الأمر من الله تعالى ذكره للذي قد أحياه بعد مماته بالأمر بأن يعلم أن الله الذي أراه بعينيه ما أراه من عظيم قدرته وسلطانه من احيائه اياه وحماره بعد موت مائة عام وبلائه حتى عادا كهيئتهما يوم قبض أرواحهما وحفظ عليه طعامه وشرابه مائة عام حتى رده عليه كهيئته يوم وضعه غير متغير على كل شئ قادر كذلك وانما اخترنا قراءة ذلك كذلك وحكمناله بالصواب دون غيره لان ما قبله من الكلام أمر من الله تعالى ذكره قولا للذي أحياه الله بعد مماته وخطابا له به وذلك قوله فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك وانظر الى العظام كيف ننشرها فلما تبين ذلك له جوابا عن مسئلته ربه أنى يحيي هذه الله بعد موتها قال الله له اعلم أن الله الذي فعل هذه الأشياء على ما رأيت على غير ذلك من الأشياء قدير كقدرته على ما رأيت وأمثاله كما قال تعالى ذكره لخليله ابراهيم صلى الله عليه وسلم بعد أن أجابه عن مسئلته اياه في قوله رب أرني كيف تحيي الموتى واعلم ان الله عزيز حكيم فأمر ابراهيم بأن يعلم بعد أن أراه كيفية احيائه الموتى أنه عزيز حكيم وكذلك أمر الذي سأل فقال أنى يحيي هذه الله بعد موتها بعد أن أراه كيفية احيائه اياها أن يعلم أن الله على كل شئ قدير ۞ القول في تأويل قوله (واذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) يعني تعالى ذكره بذلك ألم تر اذ قال ابراهيم رب أرني وانما صلح أن يعطف بقوله واذ قال ابرهيم على قوله أو كالذي مر على قرية وقوله ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه لان قوله ألم تر ليس معناه ألم تر بعينيك وانما معناه ألم تر بقلبك فمعناه ألم تعلم فتذكر فهو وان كان لفظه لفظ الرؤية فيعطف عليه أحيانا بما يوافق لفظه من الكلام وأحيانا بما يوافق معناه واختلف أهل التأويل في سبب مسألة ابراهيم ربه أن يريه كيف يحيي الموت فقال بعضهم كانت مسألته ذلك ربه أنه رأى دابة قد تقسمتها السباع والطير فسأل ربه أن يريه كيفية احيائه اياها مع تفرق لحومها في بطون طير الهواء وسباع الارض ليرى ذلك عيانا فيزداد يقينا برؤيته ذلك عيانا الى علمه به خبرا فأراه الله ذلك مثلا بما أخبر أنه أمره به ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن

زريع

المقدس فقال القوم حدثنا آباؤنا أن عزير بن شرخيا مات ببابل وقد كان بختنصر قتل ببيت المقدس أربعين ألفا من قراء التوراة وكان فيهم عزير والقوم ما عرفوا أنه يقرأ التوراة فلما أتاهم بعد مائة عام جدد لهم التوراة وأملاها عليهم عن ظهر قلبه لم يخرم منها حرفا وكانت التوراة قد دفنت في موضع فأخرجت وعورضت بما أملاه فما اختلفا في حرف فعند ذلك قالوا عزير ابن الله وعن وهب وقتادة وعكرمة والربيع أن القرية ايليا وهو بيت المقدس وقال ابن زيد هي القرية التي خرجت منها الألوف حذر الموت ومعنى قوله خاوية على عروشها ساقطة على سقوفها من خوى النجم اذا سقط والعروش الابنية والسقوف من الخشب كان حيطانها قائمة وقد تهدمت سقوفها ثم انقعرت الحيطان من قواعدها فتساقطت على السقوف المتهدمة وهذا من أحسن ما يوصف به خراب المنازل ويحتمل أن يكون من خوى المنزل اذا خلا عن أهله وخوى بطن الحامل وعلى بمعنى عن أى خاوية عن عروشها ويجوز أن يراد ان القرية خاوية مع بقاء عروشها وسلامتها قال في الكشاف ويجوز أن يكون على عروشها خبرا بعد خبر كأنه قيل هي خالية وهي على عروشها أى هي قائمة مظلة على عروشها على معنى ان السقوف سقطت الى الارض فصارت في قرار الحيطان وبقيت الحيطان بحالها فهي مشرفة على السقوف

زريع قال حدثنا سعيد عن قتادة قوله واذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيي الموتى ذكر لنا أن خليل الله ابراهيم صلى الله عليه وسلم أتى على دابة توزعتها الدواب والسباع فقال رب أرنى كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله رب أرنى كيف تحيي الموتى قال مر ابراهيم على دابة ميت قد بلى وتقسمته الرياح والسباع فقام ينظر فقال سبحان الله كيف يحيي الله هذا وقد علم أن الله قادر على ذلك فذلك قوله رب أرنى كيف تحيي الموتى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج بلغنى أن ابراهيم بينما هو يسير على الطريق اذا هو بجيفة حمار عليها السباع والطير قد تمزعت لحمها وبقى عظامها فلما ذهبت السباع وطارت الطير على الجبال والآكام فوقف وتعجب ثم قال رب قد علمت لتجمعنها من بطون هذه السباع والطير رب أرنى كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليس الخبر كالمعاينة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد مر ابراهيم بحوت نصفه فى البر ونصفه فى البحر فما كان منه فى البحر فدواب البحر تأكله وما كان منه فى البر فالسباع ودواب البر تأكله فقال له الخبيث يا ابراهيم متى يجمع الله هذا من بطون هؤلاء فقال يا رب أرنى كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى * وقال آخرون بل كان سبب مسألته ربه ذلك المناظرة والمحاجة التى جرت بينه وبين نمرود فى ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق قال لما جرى بين ابراهيم وبين قومه ما جرى مما قصه الله فى سورة الأنبياء قال نمرود فيما يذكرون لابراهيم أرأيت الهك هذا الذى تعبد وتدعو الى عبادته وتذكر من قدرته التى تعظمه بها على غيره ما هو قال له ابراهيم ربى الذى يحيي ويميت قال نمرود أنا أحيي وأميت فقال له ابراهيم كيف تحيي وتميت ثم ذكر ما قص الله من محاجته اياه قال فقال ابراهيم عند ذلك رب أرنى كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى من غير شك فى الله تعالى ذكره ولا فى قدرته ولكنه أحب أن يعلم ذلك وتاق اليه قلبه فقال ليطمئن قلبى أى ما تاق اليه اذا هو علمه وهذان القولان أعنى الأول وهذا الآخر متقاربا المعنى فى أن مسألة ابراهيم ربه أن يريه كيف يحيي الموتى كانت ليرى عيانا ما كان عنده من علم ذلك خبرا * وقال آخرون بل كانت مسألته ذلك ربه عند البشارة التى أتته من الله بأنه اتخذه خليلا فسأل ربه أن يريه عاجلا من العلامة له على ذلك ليطمئن قلبه بأنه قد اصطفاه لنفسه خليلا ويكون ذلك لما عنده من اليقين مؤيدا ذكر من قال ذلك حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال لما اتخذ الله ابراهيم خليلا سأل ملك الموت ربه أن يأذن له ان يبشر ابراهيم بذلك فأذن له فأتى ابراهيم وليس فى البيت فدخل داره وكان ابراهيم أغير الناس ان خرج أغلق الباب فلما جاء وجد فى داره رجلا فثار اليه ليأخذه قال من أذن لك أن تدخل دارى قال ملك الموت أذن لى رب هذه الدار قال ابراهيم صدقت وعرف أنه ملك الموت قال من أنت قال أنا ملك الموت جئتك أبشرك بأن الله قد اتخذك خليلا فحمد الله وقال يا ملك الموت أرنى الصورة التى تقبض فيها أنفاس الكفار قال يا ابراهيم لا تطيق ذلك قال بلى قال فأعرض فأعرض ابراهيم ثم نظر اليه فاذا هو برجل أسود تنال رأسه السماء يخرج من فيه لهب النار ليس من شعرة فى جسده الا فى صورة رجل أسود يخرج من فيه ومسامعه لهب النار فغشى على ابراهيم ثم أفاق وقد تحول ملك الموت فى الصورة الأولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق

الساقطة ويجوز أن يراد أن القرية خاوية مع كون أشجارها معروشة وكان التعجب من ذلك أكثر لان الغالب من القرية الخالية أن يبطل ما فيها من عروش الفواكه (فأماته الله مائة عام) لان الاحياء بعد مدة طويلة أغرب فيكون أدخل فى كونه آية (ثم بعثه) أى أحياه كما كان أولا عاقلا فهما مستعد النظر والاستدلال فى المعارف الالهية ولو قال أحياه لم تحصل هذه الفوائد (قال كم لبثت) أى كم مدة فحذف المميز والحكمة فى السؤال هو التنبيه على حدوث ما حدث من الخوارق والا فمن المعلوم أن الميت لا يمكنه بعد أن صار حيا أن يعلم أن مدة موته طويلة أو قصيرة (قال) بناء على الظن لا بطريق الكذب (لبثت يوما أو بعض يوم) روى أنه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غروب الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال أو بعض يوم والظاهر أنه علم أن ذلك اللبث كان بسبب الموت بامارات شاهدها فى نفسه وفى حماره (لم يتسنه) لم يتغير وأصله من السنة أى لم يأت عليه السنون لأن مر السنين اذا لم يغيره فكأنها لم تأت عليه وعلى هذا فالهاء اما للسكت بناء على أن أصل سنة سنوة بدليل سنوات فى الجمع وسنية فى التحقير وقولهم سانيت الرجل مساناة اذا عامله سنة واما أصلية على أن نقصان سنة هو الهاء بدليل سنيهة فى التصغير وقولهم أجرت الدار مسانهة وقيل أصله لم يتسنن اما من السن وهو التغير قال تعالى من حمإ مسنون أى متغير منتن واما من السنة أيضا بناء على ما نقل الواحدى من أن أصل سنة يجوز أن يكون سننة بدليل سنينة فى تحقيرها وان كان قليلا وعلى التقديرين أبدلت النون الاخيرة ياء مثل تقضى البازى فى تقضض ثم حذفت الياء للجزم وزيدت هاء السكت فى الوقف وعن أبى على الفارسى أن السن هو الصب

الكافر عند الموت من البلاء والحزن الا صورتك لكفاه فأرنى كيف تقبض أنفاس المؤمنين قال فأعرض فأعرض ابراهيم ثم التفت فاذا هو برجل شاب أحسن الناس وجها وأطيبه ريحا فى ثياب بيض فقال يا ملك الموت لو لم يكن للمؤمن عند ربه من قرة العين والكرامة الا صورتك هذه لكان يكفيه فانطلق ملك الموت وقام ابراهيم يدعو ربه يقول رب أرنى كيف تحيى الموتى حتى أعلم أنى خليلك قال أولم تؤمن بأنى خليلك يقول تصدق قال بلى ولكن ليطمئن قلبى بخلولتك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد الزبيرى قال ثنا عمرو بن ثابت عن أبيه عن سعيد بن جبير ولكن ليطمئن قلبى قال بالخلة * وقال آخرون قال ذلك لربه لأنه شك فى قدرة الله على احياء الموتى ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب فى قوله ولكن ليطمئن قلبى قال قال ابن عباس ما فى القرآن آية أرجى عندى منها حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت زيد بن على يحدث عن رجل عن سعيد بن المسيب قال اتعد عبد الله بن عباس وعبد الله ابن عمرو أن يجتمعا قال ونحن يومئذ شببة فقال أحدهما لصاحبه أى آية فى كتاب الله أرجى لهذه الأمة فقال عبد الله بن عمرو يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم حتى ختم الآية فقال ابن عباس (١) أما ان كنت تقول انها وان أرجى منها لهذه الأمة قول ابراهيم صلى الله عليه وسلم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال سألت عطاء بن أبى رباح عن قوله واذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى قال دخل قلب ابراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس فقال رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى قال فخذ أربعة من الطير ليريه حدثنى زكريا بن يحيى بن أبان المصرى قال ثنا سعيد بن تليد قال ثنا عبد الرحمن بن القاسم قال ثنى بكر بن مضر عن عمرو بن الحرث عن يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن أحق بالشك من ابراهيم قال رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يونس عن ابن شهاب وسعيد بن المسيب عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكر نحوه * وأولى هذه الاقوال بتأويل الآية ما صح به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قاله وهو قوله نحن أحق بالشك من ابراهيم قال رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن وأن تكون مسألته ربه ما سأله أن يريه من احياء الموتى لعارض من الشيطان عرض فى قلبه كالذى ذكرنا عن ابن زيد آنفا من أن ابراهيم لما رأى الحوت الذى بعضه فى البر وبعضه فى البحر قد تعاوره دواب البر ودواب البحر وطير الهواء ألقى الشيطان فى نفسه فقال متى يجمع الله هذا من بطون هؤلاء فسأل ابراهيم حينئذ ربه أن يريه كيف يحيى الموتى ليعاين ذلك عيانا فلا يقدر بعد ذلك الشيطان أن يلقى فى قلبه مثل الذى ألقى فيه عند رؤيته ما رأى من ذلك فقال له ربه أولم تؤمن يقول أولم تصدق يا ابراهيم بأنى على ذلك قادر قال بلى يا رب لكن سألتك أن ترينى ذلك ليطمئن قلبى فلا يقدر الشيطان أن يلقى فى قلبى مثل الذى فعل عند رؤيتى هذا الحوت حدثنى بذلك يونس قال أخبرنا ابن وهب عن ابن زيد ومعنى قوله ليطمئن قلبى ليسكن ويهدأ باليقين الذى يستيقنه وهذا التأويل الذى قلناه فى ذلك هو تأويل الذين وجهوا معنى قوله ليطمئن قلبى الى أنه ليزداد ايمانا أو الى أنه

(١) الذى فى الدر المنثور فقال ابن عباس لكن أنا أقول قول الله لابراهيم أولم تؤمن الخ تأمل

فقوله لم يتسن أى الشراب بقى بحاله لم يتغير فعلى هذا يكون قوله لم يتسنه عائدا الى الشراب وحده ويوافقه قراءة ابن مسعود فانظر الى طعامك وهذا شرابك لم يتسنن وأما على سائر الاقوال فيكون عدم التغير صالحا الان يعود الى الطعام والى الشراب جميعا فان قيل انه تعالى لما قال بل لبثت مائة عام كان من حقه أن يذكر عقيبه ما يدل على ذلك ولكن قوله فانظر يدل ظاهرا على ما قاله من أنه لبث يوما أو بعض يوم فالجواب أن الشبهة كلما كانت أقوى كان الاشتياق الى الدليل الكاشف عنها أشد ولهذا قيل (وانظر الى حمارك) فرآه عظاما نخرة فعظم تعجبه حيث رأى ما يسرع اليه التغير وهو الطعام والشراب باقيا وما يمكن أن يبقى زمانا طويلا وهو الحمار غير باق فعرف طول مدة لبثه بأن شاهد عظام حماره رميما وهذا بالحقيقة لا يدل بذاته لان القادر على احياء الحيوان قادر على اماتته وجعل عظامه نخرة فى الحال ولكن انقلاب عظام الحمار الى حالة الحياة كانت معجزة دالة على صدق ما سمع من قوله بل لبثت مائة عام (ولنجعلك آية) قال الضحاك معناه أنه جعله دليلا على صحة البعث وقال غيره كان آية (للناس) لان الله تعالى بعثه شابا أسود الرأس وبنو بنيه شيوخ بيض اللحى والمفارق وقيل انه كان يقرأ التوراة عن ظهر قلبه فذلك كونه آية وقيل ان حماره لم يمت والمراد وانظر الى حمارك سالما فى مكانه كما ربطته وذلك من أعظم الآيات أن يعيشه مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير وأما فائدة الواو فى ليوفق قوله ولنجعلك آية للناس فقد قال الفراء انما دخلت لنية فعل بعدها مضمر لانه لو قال وانظر الى حمارك لنجعلك آية كان النظر الى الحمار شرطا وبجعله آية جزاء وهذا المعنى غير مطلوب من هذا الكلام بل المعنى ولنجعلك آية فعلنا ما فعلنا من الاماتة والاحياء ومثله فى القرآن كثير

وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين (وانظر الى العظام كيف ننشرها) بالراء المهملة أى كيف نحييها وقرئ كيف ننشرها من نشر الله الموتى بمعنى أنشرهم ويحتمل أن يكون من النشر ضد الطى فان الحياة تكون بالانبساط وقد وصف الله العظام بالاحياء فى قوله من يحيى العظام وهى رميم (٣٥) قل يحييها الذى أنشأها أول مرة ومن قرأ بالزاء فمعناه نحركها ونرفع بعضها الى بعض للتركيب والنشز ما ارتفع من الارض ومنه نشوز المرأة لانها ترتفع عن حد رضا الزوج وكيف فى موضع الحال من العظام والعامل فيه ننشرها لا انظر لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ثم أكثر المفسرين على أن المراد بالعظام عظام حماره وان اللام فيه بدل من الكناية وعن قتادة والربيع وابن زيد أن العظام عظام هذا الرجل نفسه قالوا انه تعالى أحيا رأسه وعينيه وكانت بقية بدنه عظاما نخرة وكان ينظر الى أجزاء عظام نفسه فرآها تجتمع وينضم البعض الى البعض وكان يرى حماره واقفا كما ربطه وزيف بان قوله لبثت يوما أو بعض يوم انما يليق بمن لا يرى فى نفسه أثر التغير لا بمن شاهد أجزاء بدنه متفرقة وعظامه رميمة وأيضا قوله ثم بعثه يدل على ان المبعوث هو تلك الجملة التى أماتها وقيل هى عظام الموتى الذين تعجب من احيائهم وفاعل تبين مضمر تقديره (فلما تبين له) أن الله على كل شئ قدير (قال أعلم أن الله على كل شئ قدير) فحذف الأول لدلالة الثانى عليه كما فى قوله ضربنى وضربت زيدا أو التقدير فلما تبين له ما أشكل عليه من أمر الاماتة والاحياء قال أعلم وتأويله انى قد علمت مشاهدة ما كنت أعلمه قبل ذلك استدلالا ومن قرأ اعلم على لفظ الامر فمعناه أنه عند التبين أمر نفسه بذلك أو الله تعالى أمره بذلك كما فى آخر قصة ابراهيم واعلم أن الله عزيز حكيم قال القاضى القراءة الاولى أولى لان الامر بالشئ انما يحسن عند عدم المأمور به وههنا العلم

ليوقن ذكر من قال ذلك ليوقن أو ليزداد يقينا أو ايمانا حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو نعيم عن سفيان عن قيس بن مسلم عن سعيد بن جبير ليطمئن قلبى قال ليوقن حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان وحدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن أبى الهيثم عن سعيد بن جبير ليطمئن قلبى قال ليزداد يقينى حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك ولكن ليطمئن قلبى يقول ليزداد يقينا حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولكن ليطمئن قلبى قال وأراد نبى الله ابراهيم ليزداد يقينا الى يقينه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال قال معمر وقال قتادة ليزداد يقينا حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع ولكن ليطمئن قلبى قال أراد ابراهيم أن يزداد يقينا حدثنى المثنى قال ثنا محمد بن كثير البصرى قال ثنا اسرائيل قال ثنا أبو الهيثم عن سعيد بن جبير ليطمئن قلبى قال ليزداد يقينى حدثنى المثنى قال ثنا الفضل بن دكين قال ثنا سفيان عن أبى الهيثم عن سعيد بن جبير ولكن ليطمئن قلبى قال ليزداد يقينا حدثنا صالح بن مسمار قال ثنا زيد بن الحباب قال ثنا خلف بن خليفة قال ثنا ليث بن أبى سليم عن مجاهد وابراهيم فى قوله ليطمئن قلبى قال لأزداد ايمانا مع ايمانى حدثنا صالح قال ثنا زيد قال أخبرنا زياد عن عبد الله العامرى قال ثنا ليث عن أبى الهيثم عن سعيد بن جبير فى قول الله ليطمئن قلبى قال لأزداد ايمانا مع ايمانى وقد ذكرنا فيما مضى قول من قال معنى قوله ليطمئن قلبى بأنى خليلك * وقال آخرون معنى قوله ليطمئن قلبى لأعلم أنك تجيبنى اذا دعوتك وتعطينى اذا سألتك ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ليطمئن قلبى قال أعلم انك تجيبنى اذا دعوتك وتعطينى اذا سألتك * وأما تأويل قوله قال أولم تؤمن فانه أولم تصدق كما حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى وحدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم عن سعيد بن جبير قوله أولم تؤمن قال أولم توقن بأنى خليلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أولم تؤمن قال أولم توقن

* القول فى تأويل قوله (قال فخذ أربعة من الطير) يعنى تعالى ذكره بذلك قال الله له فخذ أربعة من الطير فذكر أن الاربعة من الطير الديك والطاوس والغراب والحمام ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم أن أهل الكتاب الاول يذكرون أنه أخذ طاوسا وديكا وغرابا وحماما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الاربعة من الطير الديك والطاوس والغراب والحمام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال فخذ أربعة من الطير قال ابن جريج زعموا أنه ديك وغراب وطاوس وحمامة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال فخذ أربعة من الطير قال فأخذ طاوسا وحماما وغرابا وديكا مخالفة أجناسها وألوانها

* القول فى تأويل قوله (فصرهن اليك) اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة والحجاز والبصرة فصرهن اليك بضم الصاد من قول القائل صرت هذا الامر اذا ملته اليه أصوره صورا ويقال انى اليكم لأصور أى مشتاق مائل ومنه قول الشاعر

الله يعلم أنا فى تلفتنا * يوم الفراق الى أحبابنا صور

حاصل بدليل قوله فلما تبين له فلا يحسن الامر بتحصيل العلم بعد ذلك أما الاخبار عن انه حصل فجائز قلت ليس هذا من باب الامر بتحصيل الحاصل وانما الامر فيه عائد الى شئ آخر غير حاصل وهو عدم التعجب من ايجاد سائر الممكنات البعيدة فان من قدر على ايجاد أمر مستبعد الحصول كان قادرا على نظائره من الغرائب

والعجائب لا محالة ولهذا أوردت القضية كلية نعم لو قيل اعلم أن الله قادر على احياء الموتى لأشبه أن يكون أمرا بتحصيل الحاصل على أن ذلك أيضا ممنوع فان الامر حينئذ يعود الى شئ آخر غير حاصل وهو عدم الشك فيما يستأنف من الزمان أي لتسكن هذه الآية على ذكر منك كيلا يعترض لك شك فيما بعد وذلك كقولك للمتحرك تحرك أي واظب على الحركة ولا تفتر وليت شعري كيف يطعن بعض العلماء في بعض القراآت السبع مع ثبوت التواتر وكونها كلها كلام الحكيم العليم تقدس وتعالى * القصة الثالثة قوله عز وجل (واذ قال ابراهيم) التقدير واذكر وقت قول ابراهيم وقيل معطوف على قوله الى الذى أي ألم تر الى وقت قول ابراهيم وههنا دقيقة وهي أنه لم يسم عزيرا في قصته بل قال أو كالذى مر على قرية وههنا سمى ابراهيم لان عزيرا لم يحفظ الادب بل قال ابتداء أنى يحيي هذه الله بعد موتها وابراهيم أثنى على الله أولا بقوله رب أرني وأيضا ان عزيرا استبعد الاحياء فأرى ذلك في نفسه وابراهيم التمس ودعا بقوله أرني فأرى ذلك في غيره ومعنى أرني بصرني وذكروا في سبب سؤال ابراهيم وجوها الاول قال الحسن والضحاك وقتادة وعطاء وابن جريج انه رأى جيفة مطروحة على شط النهر فاذا مد البحر أكل منها دواب البحر واذا جزر البحر جاءت السباع فأكلت فاذا أكل السباع جاءت الطيور فأكلت وطارت فقال ابراهيم رب أرني كيف تجمع أجزاء هذا الحيوان من بطون

وهو جمع أصور وصوراء وصور مثل أسود وسوداء وسود ومنه قول الطرماح

عفائف الأذيال أو أن يصورها * هوى والهوى للعاشقين صروع

يعني بقوله أو أن يصورها هوى يميلها فمعنى قوله فصرهن اليك اضممهن اليك ووجههن نحوك كما يقال صر وجهك الى أي أقبل به الى ومن وجه قوله فصرهن اليك الى هذا التأويل كان في الكلام عنده متروك قد ترك ذكره استغناء بدلالة الظاهر عليه ويكون معناه حينئذ عنده قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم قطعهن ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ وقد يحتمل أن يكون معنى ذلك اذا قرئ كذلك بضم الصاد قطعهن كما قال توبة بن الحمير

فلما جذبت الحبل أطت نسوعه * بأطراف عيدان شديد أسورها

فأدنت لى الاسباب حتى بلغتها * بنهضي وقد كاد ارتقائي يصورها

يعني يقطعها واذا كان ذلك تأويل قوله فصرهن اليك كان في الكلام تقديم وتأخير ويكون معناه فخذ أربعة من الطير اليك فصرهن ويكون اليك من صلة خذ وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة فصرهن اليك بالكسر بمعنى قطعهن وقد زعم جماعة من نحويي الكوفة أنهم لا يعرفون فصرهن ولا فصرهن بمعنى قطعهن في كلام العرب وانهم لا يعرفون كسر الصاد وضمها في ذلك الا بمعنى واحد وانهما جميعا لغتان بمعنى الامالة وان كسر الصاد منها لغة في هذيل وسليم وأنشد لبعض بني سليم

وفرع يصير الجيد وحف كأنه * على الليت قنوان الكروم الدوالح

يعني بقوله يصير يميل وأن أهل هذه اللغة يقولون صاره وهو يصيره صيرا وصر وجهك الى أي أمله كما تقول صره وزعم بعض نحويي الكوفة أنه لا يعرف لقوله فصرهن ولا للقراءة من قرأ فصرهن بضم الصاد وكسرها وجها في التقطيع الا أن يكون فصرهن اليك في قراءة من قرأه بكسر الصاد من المقلوب وذلك أن تكون لام فعله جعلت مكان عينه وعينه مكان لامه فيكون من صرى يصرى صريا فان العرب تقول بات يصري في حوضه اذا استقى ثم قطع واستقى ومن ذلك قول الشاعر

صرت نظرة لو صادفت جوز دارع * غدا والعواصي من دم الجوف تنعر

صرت قطعت نظرة ومنه قول الآخر

يقولون ان الشام يقتل أهله * فمن لى اذا لم آته بخلود

تعرب آبائي فهلا صراهم * من الموت أن لم يذهبوا وجدودي

يعني قطعهن ثم نقلت ياؤها التي هي لام الفعل فجعلت عينا للفعل وحولت عينها فجعلت لامها فقيل صار يصير كما قيل عثى يعثى عثا ثم حولت لامها فجعلت عينها فقيل عاث يعيث فأما نحويو البصرة فانهم قالوا فصرهن اليك سواء معناه اذا قرئ بالضم من الصاد وبالكسر في أنه معني به في هذا الموضع التقطيع قالوا وهما لغتان احداهما صار يصور والأخرى صار يصير واستشهدوا على ذلك ببيت توبة بن الحمير الذى ذكرنا قبل وببيت المعلى بن جمال العبدى

وجاءت خلعة دهس صفايا * يصور عنوقها أحوى زنيم

بمعنى يفرق عنوقها ويقطعها وببيت خنساء * لظلت الشم منها وهى تنصار * يعنى بالشم الجبال أنها تتصدع وتتفرق وببيت أبى ذؤيب

(١) فانصرن من فزع وسد فروجه * غبر ضوار وافيان وأجدع

قالوا فلقول القائل صرت الشئ معنيان أملته وقطعته وحكوا سماعا صرنا به الحكم فصلنا به الحكم وهذا القول الذى ذكرناه عن البصريين من أن معنى الضم فى الصاد من قوله فصرهن اليك والكسر سواء بمعنى واحد وأنهما لغتان معناهما فى هذا الموضع فقطعهن وأن معنى اليك تقديمها قبل فصرهن من أجل أنها صلة قوله فخذ أولى بالصواب من قول الذين حكينا قولهم من نحويى الكوفيين الذين أنكروا أن يكون للتقطيع فى ذلك وجه مفهوم الا على معنى القلب الذى ذكرت لاجماع جميع أهل التأويل على أن معنى قوله فصرهن غير خارج من أحد معنيين اما قطعهن واما اضممهن اليك بالكسر قرئ ذلك أو بالضم ففى اجماع جميعهم على ذلك على غير مراعاة منهم كسر الصاد وضمها ولا تفريق منهم بين معنيى القراءتين أعنى الكسر والضم أوضح الدليل على صحة قول القائلين من نحويى أهل البصرة فى ذلك ما حكينا عنهم من القول وخطأ قول نحويى الكوفيين لانهم لو كانوا انما تأولوا قوله فصرهن بمعنى فقطعهن على أن أصل الكلام فاصرهن ثم قلبت فقيل فصرهن بكسر الصاد لتحول ياء فاصرهن مكان رائه وانتقال رائه مكان يائه لكان لا شك مع معرفتهم بلغتهم وعلمهم بمنطقهم قد فصلوا بين معنى ذلك اذا قرئ بكسر صاده وبينه اذا قرئ بضمها اذ كان غير جائز لمن قلب فاصرهن الى فصرهن ان يقرأه فصرهن بضم الصاد وهم مع اختلاف قراءتهم ذلك قد تأولوه تأويلا واحدا على أحد الوجهين اللذين ذكرنا ففى ذلك أوضح الدليل على خطا قول من قال ان ذلك اذا قرئ بكسر الصاد بتأويل التقطيع مقلوب من صرى يصرى الى صار يصير وجهل من زعم أن قول القائل صار يصور وصار يصير غير معروف فى كلام العرب بمعنى قطع * ذكر من حضرنا قوله فى تأويل قول الله تعالى ذكره فصرهن أنه بمعنى فقطعهن

حدثنا سليمان بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فصرهن قال هى نبطية فشققهن حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى جمرة عن ابن عباس أنه قال فى هذه الآية فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك قال انما هو مثل قال قطعهن ثم اجعلهن فى أرباع الدنيا ربعا ههنا وربعا ههنا ثم ادعهن يأتينك سعيا حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فصرهن قال قطعهن حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن أبى مالك فى قوله فصرهن اليك يقول قطعهن حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن حصين عن أبى مالك مثله حدثنا أبو كريب قال ثنا يحيى بن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد فصرهن قال قال جناح ذه عند رأس ذه ورأس ذه عند جناح ذه حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال

---

(١) قوله فانصرن من فزع الخ كذا فى الأصول وفيه الشاهد الا أن الذى فى الديوان وفى غير موضع من كتب اللغة فانصاع الخ وعليه لا شاهد فيه والبيت فى وصف ثور وحشى طردته ثلاثة من كلاب الصيد موصوفة بأنها غبر الخ كتبه مصححه

السباع والطيور ودواب البحر فقيل أولم تؤمن قال بلى ولكن المطلوب بالسؤال أن يصير العلم الاستدلالى ضروريا الثانى قال محمد بن اسحق والقاضى انه فى مناظرته مع نمرود لما قال ربى الذى يحيى ويميت قال الكافر أنا أحيى وأميت فأطلق محبوسا وقتل آخر فقال ابراهيم ليس هذا باحياء واماتة وعند ذلك قال (رب أرنى كيف تحيى الموتى) لتنكشف هذه المسئلة عند نمرود وأتباعه ويزول الانكار عن قلوبهم وروى أن نمرود قال له قل لربك يحيى والا قتلتك فسأل الله ذلك وقوله ليطمئن قلبى أى بنجاتى من القتل أو ليطمئن قلبى بقوة حجتى وبرهانى وأن عدولى الى غيرها كان بسبب جهل المستمع الثالث عن ابن عباس وسعيد بن جبير والسدى ان الله تعالى أوحى اليه انى أتخذ بشرا خليلا فاستعظم ذلك ابراهيم عليه السلام وقال الهى ما علامة ذلك فقال علامته انه يحيى الميت بدعائه فلما عظم مقام ابراهيم عليه السلام فى درجات العبودية وأداء الرسالة خطر بباله انى لعلى أكون ذلك الخليل فسأل الله احياء الموتى فقال الله أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى على انى خليل لك الرابع لا يبعد أن يقال انه لما جاء الملك الى ابراهيم وأخبره بأن الله بعثك رسولا الى الخلق طلب المعجزة ليطمئن قلبه على أن الآتى ملك كريم لا شيطان رجيم الخامس لعله طالع فى الصحف المنزلة عليه ان الله تعالى يحيى الموتى بدعاء عيسى فطلب ذلك ليطمئن قلبه انه ليس أقل منزلة عند الله من عيسى وانه من أولاده * السادس أمر بذبح الولد فسارع الى ذلك فقال الهى أمرتنى أن أجعل ذا روح بلا روح فامتثلت فشرفنى بأن تجعل بدعائى فاقد الروح ذا روح * السابع أراد أن يخصصه الله بهذا التشريف فى الدنيا بان جميع الخلائق يشاهدون الحشر فى الآخرة * الثامن لعل ابراهيم لم يقصد احياء الموتى بل قصد سماع الكلام بلا واسطة وأما

ان ابراهيم عليه السلام كان شاكا في المعاد فلا ينبغي أن يعتقد فيه ومن كفر النبي المعصوم فهو بالكفر أولى وكيف يظن ذلك بابراهيم عليه السلام وقوله بلى اعتراف بالايمان وقوله ليطمئن قلبي كلام عارف طالب لمزيد اليقين والشك في قدرة الله يوجب الشك في نبوة نفسه والذي جاء في الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم (٣٨) نحن أحق بالشك من ابراهيم فذلك انه لما نزلت هذه الآية قال بعض من سمعها

حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه قال زعم أبو عمرو عن عكرمة في قوله فصرهن اليك قال قال عكرمة بالنبطية قطعهن حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن يحيى عن مجاهد فصرهن اليك قال قطعهن حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فصرهن اليك (١) انتفهن بريشهن ولحومهن تمزيقا ثم اخلط لحومهن بريشهن حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فصرهن اليك قال انتفهن بريشهن ولحومهن تمزيقا حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة فصرهن اليك أمر نبي الله عليه السلام أن يأخذ أربعة من الطير فيذبحهن ثم يخلط بين لحومهن وريشهن ودمائهن حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فصرهن اليك قال فرقهن قال أمر أن يخلط الدماء بالدماء والريش بالريش ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك فصرهن اليك يقول فشققهن وهو بالنبطية صرى وهو التشقيق حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فصرهن اليك يقول قطعهن حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله فصرهن اليك يقول قطعهن اليك ومزقهن تمزيقا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فصرهن اليك أي قطعهن وهو الصور في كلام العرب ففيما ذكرنا من أقوال من روينا قوله في تأويل قوله فصرهن اليك انه بمعنى فقطعهن اليك دلالة واضحة على صحة ما قلنا في ذلك وفساد قول من خالفنا فيه واذ كان ذلك كذلك فسواء قرأ القارئ ذلك بضم الصاد فصرهن اليك أو كسرها فصرهن أن كانت اللغتان معروفتين بمعنى واحد غير أن الأمر وان كان كذلك فان أحبهما الي أن أقرأ به فصرهن اليك بضم الصاد لأنها أعلى اللغتين وأشهرهما وأكثرهما في أحياء العرب وعند نفر قليل من أهل التأويل أنها بمعنى أوثق ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس فصرهن اليك صرهن أوثقهن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قلت لعطاء قوله فصرهن اليك قال اضممهن اليك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فصرهن اليك قال اجمعهن ۞ القول في تأويل قوله (ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ ثم ادعهن يأتينك سعيا) اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ فقال بعضهم يعني بذلك على كل ربع من أرباع الدنيا جزء منهن ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي جمرة عن ابن عباس ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ قال اجعلهن في أرباع الدنيا ربعا ههنا وربعا ههنا وربعا ههنا وربعا ههنا ثم ادعهن يأتينك سعيا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ قال لما أوثقهن ذبحهن ثم جعل على كل جبل منهن جزأ حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال أمر نبي الله أن يأخذ أربعة من الطير فيذبحهن ثم يخلط بين لحومهن وريشهن ودمائهن ثم يجزئهن على

(١) الذي في الدر المنثور برواية البيهقي عن مجاهد انتف ريشهن ولحومهن ومزقهن تمزيقا وهو المعنى المقصود هنا تأمل كتبه مصححه

شك ابراهيم ولم يشك نبينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تواضعا منه وتقديما لابراهيم على نفسه نحن أحق بالشك منه والمعنى انا لم نشك ونحن دونه فكيف يشك هو والاستفهام في قوله أولم تؤمن للتقرير كقوله * ألستم خير من ركب المطايا * وأيضا المقصود من هذا السؤال أن يجيب بما أجاب به ليعلم السامعون انه صلى الله عليه وسلم كان مؤمنا بذلك عارفا به وأن المقصود من هذا السؤال شيء آخر واللام في قوله ليطمئن تتعلق بمحذوف أي ولكن سألت ليزيد قلبي سكونا وطمأنينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال وقد تعرض الخواطر للمستدل بخلاف المعاين هذا اذا قلنا المطلوب حصول الطمأنينة في اعتقاد قدرة الله تعالى على الاحياء أما اذا قلنا ان الغرض شيء آخر فلا اشكال (فخذ أربعة من الطير) عن ابن عباس هن طاوس ونسر وغراب وديك وفي قول مجاهد وابن زيد حمامة بدل النسر (فصرهن اليك) بضم الصاد وكسرها من صاره يصوره ويصيره أي أملهن وضمهن اليك وقال الأخفش يعني وجههن اليك وفائدة أمره بضمها الى نفسه بعد أخذها أن يتأملها ويعرف أشكالها وهيئتها وحلاها كيلا تلتبس بعد الاحياء ولا يتوهم أنها غير تلك وفي الآية حذف كأنه قيل أملهن وقطعهن ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ وقيل معنى صرهن قطعهن فلا اضمار روى انه أمر بذبحها ونتف ريشها وأن يقطعها ويفرق

أربعة

أربعة أجبل فذكر لنا أنه شكل على أجنحتهن وأمسك برؤسهن بيده فجعل العظم يذهب الى العظم والريشة الى الريشة والبضعة الى البضعة وذلك بعين خليل الله ابراهيم صلى الله عليه وسلم ثم دعاهن فأتينه سعيا على أرجلهن ويلقى كل طير برأسه وهذا مثل آتاه الله ابراهيم يقول كما بعث هذه الاطيار من هذه الأجبل الاربعة كذلك يبعث الله الناس يوم القيامة من أرباع الارض ونواحيها حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال ذبحهن ثم قطعهن ثم خلط بين لحومهن وريشهن ثم قسمهن على أربعة أجزاء فجعل على كل جبل منهن جزأ فجعل العظم يذهب الى العظم والريشة الى الريشة والبضعة الى البضعة وذلك بعين خليل الله ابراهيم ثم دعاهن فأتينه سعيا يقول شدا على أرجلهن وهذا مثل أراه الله ابراهيم يقول كما بعثت هذه الاطيار من هذه الاجبل الاربعة كذلك يبعث الله الناس يوم القيامة من أرباع الارض ونواحيها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ابن اسحق عن بعض أهل العلم أن أهل الكتاب يذكرون أنه أخذ الأطيار الأربعة ثم قطع كل طير بأربعة أجزاء ثم عمد الى أربعة أجبال فجعل على كل جبل ربعا من كل طائر فكان على كل جبل ربع من الطاوس وربع من الديك وربع من الغراب وربع من الحمام ثم دعاهن فقال تعالين باذن الله كما كنتن فوثب كل ربع منها الى صاحبه حتى اجتمعن فكان كل طائر كما كان قبل أن يقطعه ثم أقبلن اليه سعيا كما قال الله وقيل يا ابراهيم هكذا يجمع الله العباد ويحيي الموتى للبعث من مشارق الارض ومغاربها وشامها ويمنها فأراه الله احياء الموتى بقدرته حتى عرف ذلك بغير ما قال نمرود من الكذب والباطل حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ قال فأخذ طاوسا وحمامة وغرابا وديكا ثم قال فرقهن اجعل رأس كل واحد وجؤشوش الآخر وجناحي الآخر ورجلي الآخر معه فقطعهن وفرقهن أرباعا على الجبال ثم دعاهن فجئنه جميعا فقال الله كما ناديتهن فجئنك فكما أحييت هؤلاء وجمعتهن بعد هذا فكذلك أجمع هؤلاء أيضا يعني الموتى * وقال آخرون بل معنى ذلك ثم اجعل على كل جبل من الأجبال التي كانت الاطيار والسباع التي كانت تأكل من لحم الدابة التي راها ابراهيم ميتة فسأل ابراهيم عند رؤيته اياها أن يريه كيف يحييها وسائر الاموات غيرها وقالوا كانت سبعة أجبال ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال لما قال ابراهيم ما قال عند رؤيته الدابة التي تفرقت الطير والسباع عنها حين دنا منها وسأل ربه ما سأل قال فخذ أربعة من الطير قال ابن جريج فذبحها ثم خلط بين دمائهن وريشهن ولحومهن ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ حيث رأيت الطير ذهبت والسباع قال فجعلهن سبعة أجزاء وأمسك رؤسهن عنده ثم دعاهن باذن الله فنظر الى كل قطرة من دم تطير الى القطرة الاخرى وكل ريشة تطير الى الريشة الاخرى وكل بضعة وكل عظم يطير بعضه الى بعض من رؤس الجبال حتى لقيت كل جثة بعضها بعضا في السماء ثم أقبلن يسعين حتى وصلت رأسها حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على سبعة أجبال فاجعل على كل جبل منهن جزأ ثم ادعهن يأتينك سعيا فأخذ ابراهيم أربعة من الطير فقطعهن أعضاء لم يجعل عضوا من طير مع صاحبه ثم جعل رأس هذا مع رجل هذا وصدر هذا مع جناح هذا وقسمهن على سبعة أجبال ثم دعاهن فطار كل عضو الى صاحبه ثم أقبلن اليه جميعا * وقال آخرون بل أمره الله أن يجعل ذلك على كل جبل ذكر من قال ذلك حدثني محمد

أجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها وان يمسك رؤسها ثم أمر ان يجعل أجزاءها على الجبال التي بحضرته وفي أرضه على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت جثثا ثم أقبلن فانضممن الى رؤسهن كل جثة الى رأسها وأنكر أبو مسلم هذه القصة وقال ان ابراهيم عليه السلام لما طلب احياء الموتى من الله أراه الله تعالى مثالا قرب به الأمر عليه والمراد بصرهن اليك الامالة والتمرين على الاجابة أي فعود الطيور الأربعة بحيث اذا دعوتها أجابتك حال الحياة والغرض منه ذكر مثال محسوس لعود الأرواح الى الأجساد على سبيل السهولة ويؤكده قوله ثم ادعهن أي الطيور لا الاجزاء يأتينك سعيا وزيف قول أبي مسلم بأنه خلاف اجماع المفسرين وبأن ما ذكره غير مختص بابراهيم فلا يلزم له مزية وأيضا ان ظاهر الآية يدل على انه أجيب الى ما سأل وعلى قوله لا تكون الاجابة حاصلة ولأن قوله على كل جبل منهن جزأ دليل ظاهر على تجزئة الطيور وجعل الجزء على أحد الطيور الأربعة بعيد ثم ظاهر قوله على كل جبل جميع جبال الدنيا فذهب مجاهد والضحاك الى العموم بحسب الامكان كأنه قيل فرقها على كل جبل يمكنك التفرقة عليه وقال ابن عباس والحسن وقتادة والربيع أربعة جبال على حسب الطيور الأربعة والجهات الأربع وقال السدي وابن جريج المراد كل جبل كان يشاهده ابراهيم وكانت سبعة أما قوله (ثم ادعهن يأتينك سعيا) فقيل عدوا ومشيا على أرجلهن لأن ذلك أبلغ في الحجة وقيل طيرانا ورد بأنه لا يقال للطير اذا طار سعى وأجيب بأن السعي هو الاشتداد في الحركة مشيا كانت أو طيرانا واحتج الأصحاب بالآية على ان البنية ليست شرطا في صحة الحياة لانه تعالى جعل كل واحد من تلك الاجزاء والابعاض حيا قادرا على السعي والعدو قال القاضي دلت الآية على انه لا بد من

البنية من حيث انه أوجب التقطيع بطلان حياتها والجواب أن حصول المقارنة لايدل على وجوب المقارنة أما الانفكاك عنه فى بعض الاحوال فيدل على أن المقارنة حيث حصلت ما كانت واجبة ولما دلت الآية على حصول فهم النداء لتلك الاجزاء حال تفرقها كان دليلا قاطعا على أن البنية ليست شرطا للحياة (واعلم (٤٠) أن الله عزيز) غالب على جميع الممكنات (حكيم) عالم بعواقب الأمور وغايات الأشياء ۞ التأويل ان الله تعالى لما أعطى نمرود ملكا ما أعطى أحدا قبله ادّعى الربوبية وما ادّعاها أحد قبله وسبب ذلك ان الانسان لحسن استعداده للطلب وغاية لطافته فى الجوهر دائم الحركة فى طلب الكمال لا يتوقف لحظة الا لمانع ولكنه جبل ظلوما جهولا فتى وكل الى نفسه مال الى عالم الحس موافقا لسيره الطبيعى لأنه خلق من تراب وطبعه الميل الى السفل فيرى الكمال فى جمع المال ثم فى طلب الجاه فيصرف المال فيه ثم فى الحكم والتسلط فاذا ملك السفليات بأسرها وقهر ملوك الأرض أراد أن ينازع ملك الملوك وجبار الجبابرة فيقول أنا أحيى وأميت وليس للعالم رب الا أنا جهلا بالكمال وذلك عند فساد جوهره وبطلان استعداده كما انه اذا صلح جوهره بحسن تربية النبى صلى الله عليه وسلم أو من ينوب منابه وهو الشيخ قال ليس فى الوجود سوى الله وهذا هو حقيقة فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك يعنى كن فانيا عن وجودك بالكلية واستغفر لذنب حسبان وجود غير وجوده فافهم جدا وان لم تكن مجدا فان المجد من يدق عطرقة لا اله الا الله دماغ نمرود النفس محالا الى أن يؤمن بالله و يكفر بطاغوت وجوده و وجود كل ماسوى الله قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب اعتراض على قول الكافر أنا أحيي وأميت والمراد أن ارسال النفس الناطقة لتدبير البدن اطلاع شمس الحياة من أفق البدن فان كنت

ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ قال ثم بددهن على كل جبل يأتينك سعيا وكذلك يحيي الله الموتى حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ثم اجعلهن أجزاء على كل جبل ثم ادعهن يأتينك سعيا كذلك يحيي الله الموتى هو مثل ضربه الله لابراهيم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج قال قال ابن جريج قال مجاهد ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ ثم بددهن أجزاء على كل جبل ثم ادعهن تعالين باذن الله فكذلك يحيي الله الموتى مثل ضربه الله لابراهيم صلى الله عليه وسلم حدثنى المثنى قال ثنى اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قال أمره أن يخالف بين قوائمهن ورؤسهن وأجنحتهن ثم يجعل على كل جبل منهن جزأ حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ فخالف ابراهيم بين قوائمهن وأجنحتهن وأولى التأويلات بالآية ما قاله مجاهد وهو أن الله تعالى ذكره أمر ابراهيم بتفريق أعضاء الاطيار الاربعة بعد تقطيعه اياهن على جميع الاجبال التى كان يصل ابراهيم فى وقت تكليف الله اياه تفريق ذلك وتبديدها عليها أجزاء لأن الله تعالى ذكره قال له ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ والكل حرف يدل على الاحاطة بما أضيف اليه لفظه واحد ومعناه الجمع فاذا كان ذلك كذلك فلن يجوز أن تكون الجبال التى أمر الله ابراهيم بتفريق أجزاء الاطيار الاربعة عليها خارجة من أحد معنيين اما أن تكون بعضا أو جمعا فان كانت بعضا فغير جائز أن يكون ذلك البعض الا ما كان لابراهيم السبيل الى تفريق أعضاء الاطيار الاربعة عليه أو يكون جمعا فيكون أيضا كذلك وقد أخبر الله تعالى ذكره أنه أمره بأن يجعل ذلك على كل جبل وذلك اما كل جبل وقد عرفهن ابراهيم بأعيانهن واما ما فى الارض من الجبال فاما قول من قال ان ذلك أربعة أجبل وقول من قال هن سبعة فلا دلالة عندنا على صحة شئ من ذلك فنستجيز القول به وانما أمر الله ابراهيم صلى الله عليه وسلم أن يجعل الاطيار الاربعة أجزاء متفرقة على كل جبل ليرى ابراهيم قدرته على جمع أجزائهن وهن متفرقات متبددات فى أماكن مختلفة شتى حتى يؤلف بعضهن الى بعض فيعدن كهيئتهن قبل تقطيعهن وتمزيقهن وقبل تفريق أجزائهن على الجبال أطيارا أحياء يطرن فيطمئن قلب ابراهيم ويعلم أن كذلك يجمع الله أوصال الموتى لبعث القيامة وتأليفه أجزاءهم بعد البلى ورد كل عضو من أعضائهم الى موضعه كالذى كان قبل الرد والجزء من كل شئ هو البعض منه كان منقسما جميعه عليه على صحة أو غير منقسم فهو بذلك من معناه مخالف معنى السهم لان السهم من الشئ هو البعض المنقسم عليه جميعه على صحة ولذلك كثر استعمال الناس فى كلامهم عند ذكرهم أنصباءهم من المواريث السهام دون الاجزاء وأما قوله ثم ادعهن فان معناه ما ذكرت آنفا عن مجاهد أنه قال هو أنه أمر أن يقول لاجزاء الاطيار بعد تفريقهن على كل جبل تعالين باذن الله فان قال قائل أمر ابراهيم أن يدعوهن وهن ممزقات أجزاء على رؤس الجبال أمواتا أم بعد ما أحيين فان كان أمر أن يدعوهن وهن ممزقات لا أرواح فيهن فما وجه أمر من لا حياة فيه بالاقبال وان كان أمر بدعائهن بعد ما أحيين فما كانت حاجة ابراهيم الى دعائهن وقد أبصرهن ينشرن على رؤس الجبال قيل ان أمر الله تعالى ذكره ابراهيم صلى الله عليه وسلم بدعائهن وهن أجزاء متفرقات انما هو أمر تكوين كقول الله للذين مسخهم قردة بعد ما كانوا انسا كونوا قردة خاسئين لا أمر عبادة فيكون

صادقا في دعواك أن هذا يتأتى منك فأمسكها عندك وهو الاتيان بالشمس من مغربها وانه آية القيامة من مات فقد قامت قيامته فبهت الذي كفر لانه ان أمكنه أن يدعي الاحياء بمعنى الابقاء وهو اطلاع الشمس من المشرق فلن يمكنه أن يدعي الاماتة بمعنى قبض الروح من غير آلة القتل وهو الاتيان بالشمس من المغرب فهذه طريقة لا يرد عليها شيء من الاعتراضات المذكورة في التفسير ثم

محالا الا بعد وجود المأمور المتعبد ﴿ القول في تأويل قوله (واعلم أن الله عزيز حكيم) يعني تعالى ذكره بذلك واعلم يا ابراهيم أن الذي أحيا هذه الاطيار بعد تمزيقك اياهن وتفريقك أجزاءهن على الجبال فجمعهن ورد اليهن الروح حتى أعادهن كهيئتهن قبل تفريقكهن عزيز في بطشه اذا بطش عن بطش من الجبابرة والمتكبرة الذين خالفوا أمره وعصوا رسله وعبدوا غيره وفي نقمته حتى ينتقم منهم حكيم في أمره حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ابن اسحق واعلم أن الله عزيز حكيم قال عزيز في بطشه حكيم في أمره حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع واعلم أن الله عزيز في نقمته حكيم في أمره ﴿ القول في تأويل قوله (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة) وهذه الآية مردودة الى قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون والآيات التي بعدها الى قوله مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله من قصص بني اسرائيل وخبرهم مع طالوت وجالوت وما بعد ذلك من نبأ الذي حاج ابراهيم مع ابراهيم وأمر الذي مر على القرية الخاوية على عروشها وقصة ابراهيم ومسألته ربه ما سأل مما قد ذكرناه قبل اعتراض من الله تعالى ذكره بما اعترض به من قصصهم بين ذلك احتجاجا منه ببعضه على المشركين الذين كانوا يكذبون بالبعث وقيام الساعة وحضا منه ببعضه للمؤمنين على الجهاد في سبيله الذي أمرهم به في قوله وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم يعرفهم فيه أنه ناصرهم وان قل عددهم وكثر عدد عدوهم ويعدهم النصرة عليهم ويعلمهم سنته فيمن كان على منهاجهم من ابتغاء رضوان الله أنه مؤيدهم وفيمن كان على سبيل أعدائهم من الكفار بانه خاذلهم ومفرق جمعهم وموهن كيدهم وقطعا منه ببعضه عذر اليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أطلع نبيه عليه من خفي أمورهم ومكتوم أسرار أوائلهم وأسلافهم التي لم يعلمها سواهم ليعلموا أن ما آتاهم به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله وأنه ليس بتخرص ولا اختلاق واعذارا منه به الى أهل النفاق منهم ليحذروا بشكهم في أمر محمد صلى الله عليه وسلم أن يحل بهم من بأسه وسطوته مثل الذي أحلهما بأسلافهم الذين كانوا في القرية التي أهلكها فتركها خاوية على عروشها ثم عاد تعالى ذكره الى الخبر عن الذي يقرض الله قرضا حسنا وما عنده له من الثواب على قرضه فقال مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله يعني بذلك مثل الذين ينفقون أموالهم على أنفسهم في جهاد أعداء الله بأنفسهم وأموالهم كمثل حبة من حبات الحنطة أو الشعير أو غير ذلك من نبات الارض التي تسنبل سنبلة بذرها زارع فأنبتت يعني فأخرجت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة يقول فكذلك المنفق ماله على نفسه في سبيل الله له أجره سبعمائة ضعف على الواحد من نفقته كما حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة فهذا لمن أنفق في سبيل الله فله سبعمائة حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء قال هذا الذي ينفق على نفسه في سبيل الله ويخرج حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة الآية فكان من بايع النبي صلى الله عليه وسلم

أخبر عن اظهار قدرته في احياء الموتى بعد انقطاع المدعي في محنته عقب الدعوى بقوله تعالى أو كالذي مر على قرية وذلك أن قوما أنكروا حشر الأجساد بعد اعترافهم بحشر الأرواح وزعموا أن الأرواح اذا خرجت من سجن الاشباح وتقوت بالعلوم الكلية التي استفادتها من عالم الحس فما حاجتها أن ترجع الى السجن والقيد كما أن الصبي اذا استفاد العلوم في المكتب وكبر قدره وعظم وقعه لم يحتج الى أن يرجع الى المكتب وحال صباه فهو سبحانه لكمال فضله ورأفته دفع هذه التسويلات النفسية ورفع هذه الشبهات الفلسفية بأن أمات عزيرا مائة سنة وحماره معه ثم أحياهما جميعا ليعلم أن الله تعالى مهما أحيا عزير الروح أحيا معه حمار الجسد وكما ان عزير الروح يكون عند الملك الجبار يكون حمار الجسد في جنات تجري من تحتها الانهار فلعزير الروح مشرب من كؤس تجلي صفات الجلال والجمال وسقاهم ربهم شرابا طهورا أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني ولحمار الجسد مرتع من الرياض ومشرب من الحياض فيهما ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين قد علم كل أناس مشربهم شعر

شربنا وأهرقنا على الأرض قسطها * وللارض من كأس الكرام نصيب

ثم أكد حديث الحشر بقصة عن خليله صلى الله عليه وسلم وذلك قوله رب أرني كيف تحيي الموتى

ففوح منه رائحة قول موسى رب أرنى أنظر اليك الا أن موسى لم يحفظ الأدب فى الطلب فارأى غير النصب والتعب وأدب بتأديب الخاطئ الجانى وعرك بتعريك لن ترانى وذلك أنه كان صاحب شرب وكان الخليل صاحب رى وصاحب الشرب سكران وصاحب الرى صاح شعر شربت الحب كأسا بعد كأس * فما نفد الشراب وما رويت فلسكر موسى كان يبسط تارة مع الحق بقوله رب أرنى أنظر اليك ويعربد أخرى بقوله ان هى الا فتنتك ومن كمال صحو الخليل ما زل قدمه فى أدب من آداب العبودية فى الحضور والغيبة فلاجرم أكرم اليوم بكرامة الشيبة ان أول ما شاب شيبة ابراهيم ويحترم غدا بالكسوة ان أول من يكسى ابراهيم ولما ابتلى فى ماله فبذل للضيفان وابتلى فى ولده فأسلم وتله للجبين وابتلى فى نفسه فاستسلم للمنجنيق ابن كنعان وابتلى بجبرائيل فقال أما اليك فلا لاجرم أكرمه الله بالامامة انى جاعلك للناس اماما ومن امامته أنه كان أول من دق باب طلب الحق وقال هذا ربى وأول من سلك طريق الحق وقال انى ذاهب الى ربى وأول من نطق بالمحبة وقال لا أحب الآفلين وأول من أظهر الشوق وقال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين وأول من أظهر العداوة مع غير المحبوب فانهم عدو لى الا رب العالمين وأول من اشتاق فسأل الرؤية وقال رب أرنى ولا تظن أن اشتياقه الى الرب انما كان وقت سؤاله شعر ولست حديث العهد شوقا ولوعة * حديث هوا كم فى حشاى قديم ولكنه ابتغى من حفظ آداب الاجلال كان لا يفتح على نفسه باب السؤال ويقول حسبى من سؤالى علمه بحالى الى ان ساقه التقدير الى حسن التدبير وسأله نمرود من ربك فاجرى الحق على لسانه من فضله واحسانه ربى الذى يحيى ويميت فقال نمرود هل رأيت منه ما تقول فوجد

على الهجرة ورابط مع النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة ولم يلق وجها الا باذنه كانت الحسنة له بسبعمائة ضعف ومن بايع على الاسلام كانت الحسنة له عشر أمثالها فان قال قائل وهل رأيت سنبلة فيها مائة حبة أو بلغتك فضرب بها مثل المنفق فى سبيل الله ماله قيل ان يكن ذلك موجودا فهو ذلك والا فجائز أن يكون معناه كمثل سنبلة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ان جعل الله ذلك فيها ويحتمل أن يكون معناه فى كل سنبلة مائة حبة يعنى انها اذا هى بذرت أنبتت مائة حبة فيكون ما حدث عن البذر الذى كان منها من المائة الحبة مضافا اليها لانه كان عنها وقد تأول ذلك على هذا الوجه بعض أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قوله مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة قال كل سنبلة أنبتت مائة حبة فهذا لمن أنفق فى سبيل الله والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ۞ القول فى تأويل قوله (والله يضاعف لمن يشاء) اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله والله يضاعف لمن يشاء فقال بعضهم والله يضاعف لمن يشاء من عباده أجر حسناته بعد الذى أعطى المنفق فى سبيله من التضعيف الواحدة سبعمائة فأما المنفق فى غير سبيله فلا نفقه ما وعده من تضعيف السبعمائة بالواحدة ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قال هذا يضاعف لمن أنفق فى سبيل الله يعنى السبعمائة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم يعنى لغير المنفق فى سبيله * وقال آخرون بل معنى ذلك والله يضاعف لمن يشاء من المنفقين فى سبيله على السبعمائة الى ألفى ألف ضعف وهذا قول ذكر عن ابن عباس من وجه لم أجد اسناده فتركت ذكره والذى هو أولى بتأويل قوله والله يضاعف لمن يشاء والله يضاعف على السبعمائة الى ما يشاء من التضعيف لمن يشاء من المنفقين فى سبيله لانه لم يجر ذكر الثواب والتضعيف لغير المنفق فى سبيل الله فيجوز لنا توجيه ما وعد تعالى ذكره فى هذه الآية من التضعيف الى أنه عدة منه على العمل على غير النفقة فى سبيل الله ۞ القول فى تأويل قوله (والله واسع عليم) يعنى تعالى ذكره بذلك والله واسع أن يزيد من يشاء من خلقه المنفقين فى سبيله على أضعاف السبعمائة التى وعده أن يزيده عليم من يستحق منهم الزيادة كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم قال واسع أن يزيد من سعته عليم عالم بمن يزيده * وقال آخرون معنى ذلك والله واسع لتلك الاضعاف عليم بما ينفق الذين ينفقون أموالهم فى طاعة الله ۞ القول فى تأويل قوله (الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يعنى تعالى ذكره بذلك المعطى ماله المجاهدين فى سبيل الله معونة لهم على جهاد أعداء الله يقول تعالى ذكره الذين يعينون المجاهدين فى سبيل الله بالانفاق عليهم وفى حمولاتهم وغير ذلك من مؤنهم ثم لم يتبع نفقته التى أنفقها عليهم منا عليهم بانفاق ذلك عليهم ولا أذى لهم فامتنانه به عليهم بأن يظهر لهم أنه قد اصطنع اليهم بفعله وعطائه الذى أعطاهموه تقوية لهم على جهاد عدوهم معروفا ويبدى ذلك اما بلسان أو فعل وأما الاذى فهو شكايته اياهم بسبب ما أعطاهم وقواهم من النفقة فى سبيل الله أنهم لم يقوموا بالواجب عليهم فى الجهاد وما أشبه ذلك من القول الذى يؤذى به من أنفق عليه وانما شرط ذلك فى المنفق فى سبيل الله وأوجب الأجر لمن كان غير مان ولا مؤذ من أنفق عليه فى سبيل الله لان النفقة التى هى فى سبيل الله مما

ابتغى به وجه الله وطلب به ما عنده فاذا كان معنى النفقة فى سبيل الله هو ما وصفنا فلا وجه لمنّ المنفق على من أنفق عليه لانه لا يدله قبله ولا صنيعة يستحق بها عليه ان لم يكافئه عليها المنّ والأذى اذ كانت نفقته ما أنفق عليه احتسابا وابتغاء ثواب الله وطلب مرضاته وعلى الله مثوبته دون من أنفق ذلك عليه وبنحو المعنى الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون علم الله أن أناسا يمنون بعطيتهم فكره ذلك وقدم فيه فقال قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال للآخرين يعنى قال الله للآخرين وهم الذين لا يخرجون فى جهاد عدوهم الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى قال فشرط عليهم قال والخارج لم يشرط عليه قليلا ولا كثيرا يعنى بالخارج الخارج فى الجهاد الذى ذكر الله فى قوله مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة الآية قال ابن زيد وكان أبى يقول ان أذن لك أن تعطى من هذا شيأ أو تقوى فقويت فى سبيل الله فظننت أنه يثقل عليه سلامك فكف سلامك عنه قال ابن زيد فهو خير من السلام قال وقالت امرأة لابى يا أبا اسامة تدلنى على رجل يخرج فى سبيل الله حقا فانهم لا يخرجون الا ليأكلوا الفواكه عندى جعبة وأسهم فيها فقال لها لا بارك الله لك فى جعبتك ولا فى أسهمك فقد آذيتهم قبل أن تعطيهم قال وكان رجل يقول لهم اخرجوا وكلوا الفواكه حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قوله لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى قال أن لا ينفق الرجل ماله خير من أن ينفقه ثم يتبعه منا وأذى وأما قوله لهم أجرهم عند ربهم فانه يعنى للذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله على ما بين والهاء والميم فى لهم عائدة على الذين ومعنى قوله لهم أجرهم عند ربهم لهم ثوابهم وجزاؤهم على نفقتهم التى أنفقوها فى سبيل الله ثم لم يتبعوها منا ولا أذى وقوله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يقول وهم مع مالهم من الجزاء والثواب على نفقتهم التى أنفقوها على ما شرطنا لا خوف عليهم عند مقدمهم على الله وفراقهم الدنيا ولا فى أهوال القيامة وأن ينالهم من مكارهها أو يصيبهم فيها من عقاب الله ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم فى الدنيا ۞ القول فى تأويل قوله (قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم) يعنى تعالى ذكره بقوله قول معروف قول جميل ودعاء الرجل لأخيه المسلم ومغفرة يعنى وستر منه عليه لما علم من خلته وسوء حالته خير عند الله من صدقة يتصدقها عليه يتبعها أذى يعنى يشتكيه عليها ويؤذيه بسببها كما حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى يقول أن يمسك ماله خير من أن ينفق ماله ثم يتبعه منا وأذى وأما قوله غنى حليم فانه يعنى والله غنى عما يتصدقون به حليم حين لا يعجل بالعقوبة على من يمن بصدقته منكم ويؤذى فيها من يتصدق بها عليه وروى عن ابن عباس فى ذلك ما حدثنا به المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس الغنى الذى كمل فى غناه والحليم الذى قد كمل فى حلمه ۞ القول فى تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) يعنى تعالى ذكره بذلك يا أيها الذين آمنوا صدّقوا الله ورسوله لا تبطلوا صدقاتكم يقول لا تبطلوا أجور صدقاتكم بالمنّ

الخليل فرصة للمأمول فأدرج فى السؤال السول فاخفى سره وهو أدنى فى علنه وهو كيف تحيى الموتى وهو يعلم أنه يعلم السر وأخفى فاول باب فتح عليه من مقصوده أن أسمعه من كلامه بفضله وجوده وقال أولم تؤمن فكان فى هذه الكلمة من اعجاز القرآن ثلاثة معان مضمرة أولم تؤمن وقت ما آمنت عند نمرود بأنى أحيى وأميت فما كان ايمانك حقيقيا أولم تؤمن لمعادر ؤيتى فى الجنة فأريك ثمة أولم تؤمن بما طلبت من الاحياء مضمرا فى كل منها الاثبات فى لفظة النفى فأجاب الخليل عن الاستفهامات الثلاثة ببلى سرا بسر أى بلى آمنت وكان ايمانا حقيقيا ولكن ما كان مقصودى الايمان والايقان فانه حاصل ولا احياء الموتى فانى فارغ من الموتى واحيائهم ولكنى سألت ليطمئن قلبى بما تريد أو بلى آمنت بمعادر ؤيتك فى الجنة ولكن ليطمئن قلبى برؤيتك فانه كلما ازداد اليقين ازداد الشوق فاضطراب قلبى من غاية يقينى أو بلى آمنت بقدرتك على الاحياء ولكن ما سألتك عن الاحياء وانما سألتك عن كيفية الاحياء ففى ضمن ذلك يحصل مقصودى كما أن من له معشوق خياط وهو يريد مشاهدة معشوقه ويحتشم أن يقول أرنى وجهك لأنظر اليك لانه يعلم ان الدلال قرين الجمال وان العزة والحسن توأمان وفى مذهب الملاح الطلب ردو السبيل سد فيقول أرنى كيف تخيط الثياب فكل صانع فاخر فى صنعته يريد أن يرى جودة عمله فيحضر المعشوق عنده بلا حجاب وهو يخيط الثوب فيقول انظر الىّ كيف أخيطه فالعاشق ينظر بعلة الصنع الى الصانع ويحظى منه بلا مانع ودافع و يطمئن قلبه بذلك فالخليل لما اعتذر عن الخليل من اضطراب قلبه واضطرار حاله وتضرع بين يدى مولاه وهو الذى يجيب المضطر اذا دعاه حقق رجاءه وقال خذ أربعة من الطير الآية والمراد أنك محجوب بك عنى فحجاب صفاتك عن

صفاتي محجوب وبحجاب ذاتك عن ذاتي ممنوع فهما تموت عن صفاتك تحيا بصفاتي فاذا فنيت عن ذاتك بقيت ببقاء ذاتي فخذ أربعة من الطير وهي الصفات الاربع التي تولدت من العناصر الاربعة التي خمرت طينة الانسان منها فتولدت من ازدواج كل عنصر مع قرينه صفتان فمن التراب وقرينها وهو الماء تولد الحرص والبخل وهما قرينان يوجدان معا ومن النار وقرينها وهو الهواء تولد

والاذى كما أبطل كفر الذي ينفق ماله رئاء الناس وهو مراآته اياهم بعمله وذلك أن ينفق ماله فيما يرى الناس في الظاهر أنه يريد الله تعالى ذكره فيحمدونه عليه وهو مريد به غير الله ولا طالب منه الثواب وانما ينفقه كذلك ظاهرا ليحمده الناس عليه فيقولوا هو سخي كريم وهو رجل صالح فيحسنوا عليه به الثناء وهم لا يعلمون ما هو مستبطن من النية في انفاقه ما أنفق فلا يدرون ما هو عليه من التكذيب بالله تعالى ذكره واليوم الآخر وأما قوله ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فان معناه ولا يصدق بوحدانية الله وربوبيته ولا بأنه مبعوث بعد مماته فمجازى على عمله فيجعل عمله لوجه الله وطلب ثوابه وما عنده في معاده وهذه صفة المنافق وانما قلنا انه منافق لان المظهر كفره والمعلن شركه معلوم أنه لا يكون بشئ من أعماله مرائيا لان المرائي هو الذي يرائي الناس بالعمل الذي هو في الظاهر لله وفي الباطن عامله مراده به حمد الناس عليه والكافر لا يخيل على أحد أمره أن أفعاله كلها انما هي للشيطان اذا كان معلنا كفره لا لله ومن كان كذلك فغير كائن مرائيا بأعماله وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال أبو هانئ الخولاني عن عمرو بن حريث قال ان الرجل يغزو لا يسرق ولا يزني ولا يغل لا يرجع بالكفاف فقيل له لم ذاك قال فان الرجل ليخرج فاذا أصابه من بلاء الله الذي قد حكم عليه سب ولعن امامه ولعن ساعة غزا وقال لا أعود لغزوة معه أبدا فهذا عليه وليس له مثل النفقة في سبيل الله يتبعها من وأذى فقد ضرب الله مثلها في القرآن يا أيها الذين لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى حتى ختم الآية ۞ القول في تأويل قوله تعالى (فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شئ مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين) يعني تعالى ذكره بذلك فمثل هذا الذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر والهاء في قوله فمثله عائدة على الذي كمثل صفوان والصفوان واحد وجمع فمن جعله جمعا فالواحدة صفوانة بمنزلة تمرة وتمر ونخلة ونخل ومن جعله واحدا (١) جمعه صفوان وصفي وصفي كما قال الشاعر * مواقع الطير على الصفي والصفوان هو الصفا وهي الحجارة الملس وقوله عليه تراب يعني على الصفوان تراب فأصابه يعني الصفوان وابل وهو المطر الشديد العظيم كما قال امرؤ القيس

ساعة ثم انتحاها وابل * ساقط الاكناف واه منهمر

يقال منه وبلت السماء فهي تبل وبلا وقد وبلت الأرض فهي توبل وقوله فتركه صلدا يقول فترك الوابل الصفوان صلدا والصلد من الحجارة الصلب الذي لا شئ عليه من نبات ولا غيره وهو من ما لا ينبت فيه شئ وكذلك من الرؤس كما قال رؤبة

لما رأتني خلق المموه * براق أصلاد الجبين الأجله

ومن ذلك يقال للقدر الثخينة البطيئة الغلي قدر صلود وقد صلدت تصلد صلودا ومنه قول تأبط

ولست بجلب جلب ليل وقرة * ولا بصفا صلد عن الخير معزل

ثم رجع تعالى ذكره الى ذكر المنافقين الذين ضرب المثل لأعمالهم فقال فكذلك أعمالهم بمنزلة

(١) قوله جمعه صفوان كذا في الأصل وانظر لفظ الجمع وكيف ضبطه أو هو كالواحد وحرر ما في كتب اللغة التي بأيدينا كتبه مصححه

الغضب والشهوة ولكل واحدة من هذه الصفات زوج خلق منها ليسكن اليها فالحرص زوجه الحسد والبخل زوجه الحقد والغضب زوجه الكبر وليس للشهوة اختصاص بزوج معين بل هي كالمعشوقة بين الصفات فتعلق بها كل صفة فهي الأبواب السبعة للدركات السبع من جهنم لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم يعني من الخلق فمن كان الغالب عليه صفة منها دخل النار من ذلك الباب فأمر الله تعالى خليله بذبح هذه الصفات وهي الطيور الأربعة طاوس البخل فلو لم يزين المال في نظر البخيل ما بخل به وغراب الحرص وبكوره من حرصه وديك الشهوة ونسر الغضب لترفعه في الطيران وهذه صفة المغضب فلما ذبح الخليل بسكين الصدق هذه الطيور وانقطعت منه متولداتها ما بقي له باب يدخل به النار فصارت النار عليه لما ألقي فيها بردا وسلاما والمبالغة في تقطيعها ونتف ريشها وخلط أجزائها اشارة الى محو آثار الصفات المذكورة وهدم قواعدها على يدي ابراهيم الروح بامر الشرع ثم اجعل على كل جبل هي الجبال الأربعة التي جبل الانسان عليها النفس النامية وهي النباتية والأرواح الثلاثة الحيواني والطبيعي والانسان الملكي فهي كالأشجار والزروع وأجزاء الطير كالتراب المخلوط بالزبل يجعل على الزروع فيتقوى كل واحد من هؤلاء بقوة واحد من أولـ

الذي كان عليه تراب فأصابه الوابل من المطر فذهب بما عليه من التراب فتركه نقيا لا تراب عليه ولا شئ يراهم المسلمون في الظاهر أن لهم أعمالا كما يرى التراب على هذا الصفوان بما يراؤنهم به فاذا كان يوم القيامة وصاروا الى الله اضمحل ذلك كله لانه لم يكن لله كما ذهب الوابل من المطر بما كان على الصفوان من التراب فتركه أملس لا شئ عليه فذلك قوله لا يقدرون يعني به الذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر يقول لا يقدرون يوم القيامة على ثواب شئ مما كسبوا في الدنيا لانهم لم يعملوا لمعادهم ولا لطلب ما عند الله في الآخرة ولكنهم عملوه رئاء الناس وطلب حمدهم وانما حظهم من أعمالهم ما أرادوه وطلبوه بها ثم أخبر تعالى ذكره أنه لا يهدي القوم الكافرين يقول لا يسددهم لاصابة الحق في نفقاتهم وغيرها فيوفقهم لها وهم بالباطل عليها مؤثرون ولكنه تركهم في ضلالتهم يعمهون فقال تعالى ذكره للمؤمنين لا تكونوا كالمنافقين الذين هذا المثل صفة أعمالهم فتبطلوا أجور صدقاتكم عنكم على من تصدقتم بها عليه وأذاكم لهم كما بطل أجر نفقة المنافق الذي أنفق ماله رئاء الناس وهو غير مؤمن بالله واليوم الآخر عند الله وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى فقرأ حتى بلغ على شئ مما كسبوا فهذا مثل ضربه الله لأعمال الكفار يوم القيامة يقول لا يقدرون على شئ مما كسبوا يومئذ كما ترك هذا المطر الصفا الحجر ليس عليه شئ أنقى ما كان حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع لا تبطلوا صدقاتكم بالمن الى قوله والله لا يهدي القوم الكافرين هذا مثل ضربه الله لأعمال الكافرين يوم القيامة يقول لا يقدرون على شئ مما كسبوا يومئذ كما ترك هذا المطر الصفا نقيا لا شئ عليه حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى الى قوله على شئ مما كسبوا أما الصفوان الذي عليه تراب فأصابه المطر فذهب ترابه فتركه صلدا فكذا هذا الذي ينفق ماله رياء الناس ذهب الرياء بنفقته كما ذهب هذا المطر بتراب هذا الصفا فتركه نقيا فكذلك تركه الرياء لا يقدر على شئ مما قدم فقال للمؤمنين لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى فتبطل كما بطلت صدقة الرياء حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قال أن لا ينفق الرجل ماله خير من أن ينفقه ثم يتبعه منا وأذى فضرب الله مثله كمثل كافر أنفق ماله لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر فضرب الله مثلهما جميعا كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا فكذلك من أنفق ماله ثم أتبعه منا وأذى حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى الى كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا ليس عليه شئ وكذلك المنافق يوم القيامة لا يقدر على شئ مما كسب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج في قوله لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى قال يمن بصدقته و يؤذيه فيها حتى يبطلها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى فقرأ يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى حتى بلغ لا يقدرون على شئ مما كسبوا ثم قال أترى الوابل يدع من التراب على الصفوان شيأ فكذلك منك وأذاك لم يدع مما أنفقت شيأ وقرأ قوله يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى وقرأ

بتربيتها و يتصرف فيها الروح الانساني فيحييها بنوره وهو من خصائص أرواح الانسان فتكون تلك الصفات ميتة عن أوصافها حية باخلاق الروحانيات هذا الخواص الخلق الذين الغالب على أحوالهم الروح وأما خواص الخواص ومن أدركته العناية كالخليل فالله تعالى بعد خمود هذه الصفات يتجلى له بصفته المحيي فيحيي هذه الصفات الفانية عن أوصافها بنور صفته المحيية فيكون العبد في تلك الحالة حيا بحياته محييا بصفاته كما قال لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت له سمعا و بصرا ولسانا و يدا فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يبطش كما أن أميا يقول الكاتب أرني كيف تكتب فيجعل الكاتب قلمه في يد الأمي و يأخذ بيده و يكتب فتظهر الكتابة من يدي الأمي على الصحيفة ففي تلك الحالة يظن الأمي انه صار كاتبا فيقول أنا الكاتب كقوله

عجبت منك ومني
أفنيتني بك عني
أدنيتني منك حتى
ظننت أنك أني

فاذا رفع الكاتب يده عن يد الأمي فيعلم الأمي انه أمي والكاتب هو الكاتب فيستغفر عن ذنب حسبانه أنه هو الكاتب واليه الاشارة بقوله واستغفر لذنبك أي ذنب حسبان أنك كاتب وأنت نبي أمي عربي ما وصلت الى ما وصلت الا بفضلنا وكان فضل الله عليك عظيما ثم ان الله تعالى ان تجلى لخليله بصفة واحدة وهي صفة المحيي ليريه آية من آياته وهي كيفية الاحياء فقد تجلى لحبيبه بجميع صفاته ليلة المعراج كما قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى والخليل طلب الرؤية لنفسه رب أرني والحبيب طلبها له ولأمته أرنا الأشياء كما هي وذلك لعلو مرتبته وهمته و رفعته وكمال معرفته فلعلو همته قال أرنا ولرفعة مرتبته قال الأشياء كما هي فان فيه مع رعاية الأدب اخفاء المقصود فكان قول الخليل بالنسبة الى هذا تصريحا وان كان بالنسبة الى

قول الكليم تعريضا وفيه أيضا طلب كمال الرؤية بجميع الصفات فإن جميعها داخلة في الأشياء ولكمال معرفته طلب رؤية الماهية فقال كما هي وهذا هو الملك الحقيقي الذي لا يكتنه كنهه ثم قيل للخليل واعلم أن الله عزيز أعز من أن يعرف كنه صفاته حكيم لا يطلع على أسراره الا من يليق بذلك من مخلوقاته ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون﴾

وما أنفقتم من خير فلأنفسكم فقرأ حتى بلغ وأنتم لا تظلمون ۞ القول في تأويل قوله عز وجل (صفوان) قد بينا معنى الصفوان بما فيه الكفاية غير أنا أردنا ذكر من قال مثل قولنا في ذلك من أهل التأويل حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله كمثل صفوان كمثل الصفاة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك كمثل صفوان والصفوان الصفا حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي أما صفوان فهو الحجر الذي يسمى الصفاة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مثله حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله صفوان يعني الحجر ۞ القول في تأويل قوله عز وجل (فأصابه وابل) قد مضى البيان عنه وهذا ذكر من قال قولنا فيه حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي أما وابل فطر شديد حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك فأصابه وابل والوابل المطر الشديد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مثله حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله ۞ القول في تأويل قوله عز وجل (فتركه صلدا) ذكر من قال نحو ما قلنا في ذلك حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فتركه صلدا يقول نقيا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس فتركه صلدا قال تركها نقية ليس عليها شيء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس قوله فتركه صلدا قال ليس عليه شيء حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك صلدا فتركه جردا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فتركه صلدا ليس عليه شيء حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فتركه صلدا ليس عليه شيء ۞ القول في تأويل قوله عز وجل (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم) يعني بذلك جل ثناؤه ومثل الذين ينفقون أموالهم فيصدقون بها ويحملون عليها في سبيل الله ويقوون بها أهل الحاجة من الغزاة والمجاهدين في سبيل الله وفي غير ذلك من طاعات الله طلب مرضاته وتثبيتا يعني بذلك وتثبيتا من أنفسهم يعني لهم على إنفاق ذلك في طاعة الله وتحقيقا من قول القائل ثبت فلانا في هذا الأمر اذا صححت عزمه وحققته وقويت فيه رأيه أثبته تثبيتا كما قال ابن رواحة

فثبت الله ما آتاك من حسن * تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا

وإنما عنى الله جل وعز بذلك أن أنفسهم كانت موقنة مصدقة بوعد الله إياها فيما أنفقت في طاعته بغير من ولا أذى فثبتتهم في إنفاق أموالهم ابتغاء مرضاة الله وصحح عزمهم وآراءهم يقينا منها بذلك وتصديقا بوعد الله إياها ما وعدها ولذلك قال من قال من أهل التأويل في قوله وتثبيتا وتصديقا ومن قال منهم ويقينا لأن تثبيت أنفس المنفقين أموالهم ابتغاء مرضاة الله إياهم إنما كان عن يقين منها وتصديق بوعد الله ذكر من قال ذلك من أهل التأويل حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن أبي موسى

۞ القراآت أنبتت سبع وبابه بالادغام أبو عمرو وحمزة وعلي وخلف وهشام وسهل يضعف وبابه ابن كثير وابن عامر ويزيد ويعقوب الباقون يضاعف رياء الناس غير مهموز حيث كان يزيد والشموني والخزاعي عن ابن فليح وحمزة في الوقف الباقون بالهمزة الكافرين بالامالة أبو عمرو وعلي غير ليث وأبي حمدون وحمدويه ورويس عن يعقوب وكذلك ما كان محله

موسى عن الشعبي وتثبيتا من أنفسهم قال تصديقا ويقينا حدثنا أحمد بن اسحق الاهوازي قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن أبي موسى عن الشعبي وتثبيتا من أنفسهم قال وتصديقا من أنفسهم ثبات ونصرة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وتثبيتا من أنفسهم قال يقينا من أنفسهم قال التثبيت اليقين حدثني يونس قال ثنا علي بن معبد عن أبي معاوية عن اسمعيل عن أبي صالح في قوله وتثبيتا من أنفسهم يقول يقينا من عند أنفسهم * وقال آخرون معنى قوله وتثبيتا من أنفسهم أنهم كانوا يتثبتون في الموضع الذي يضعون فيه صدقاتهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وتثبيتا من أنفسهم قال يتثبتون أين يضعون أموالهم حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال ثنا ابن المبارك عن عثمان بن الاسود عن مجاهد وتثبيتا من أنفسهم فقلت له ما ذلك التثبيت قال يتثبتون أين يضعون أموالهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن عثمان بن الاسود عن مجاهد وتثبيتا من أنفسهم قال كانوا يتثبتون أين يضعونها حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن علي بن علي بن رفاعة عن الحسن في قوله وتثبيتا من أنفسهم قال كانوا يتثبتون أين يضعون أموالهم يعني زكاتهم حدثني المثنى قال ثنا سويد قال ثنا ابن المبارك عن علي بن علي قال سمعت الحسن قرأ ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم قال كان الرجل اذا هم بصدقة تثبت فان كان لله مضى وان خالطه شك أمسك وهذا التأويل الذي ذكرناه عن مجاهد والحسن تأويل بعيد المعنى مما يدل عليه ظاهر التلاوة وذلك أنهم تأولوا قوله وتثبيتا من أنفسهم بمعنى وتثبتا فزعموا أن ذلك انما قيل كذلك لان القوم كانوا يتثبتون أين يضعون أموالهم ولو كان التأويل كذلك لكان وتثبتا من أنفسهم لان المصدر من الكلام ان كان على تفعلت التفعل فيقال تكرمت تكرما وتكلمت تكلما وكما قال جل ثناؤه أو يأخذهم على تخوف من قول القائل تخوف فلان هذا الامر تخوفا فكذلك قوله وتثبيتا من أنفسهم لو كان من تثبت القوم في وضع صدقاتهم مواضعها لكان الكلام وتثبتا من أنفسهم لا وتثبيتا ولكن معنى ذلك ما قلنا من أنه وتثبيت من أنفس القوم اياهم بصحة العزم واليقين بوعد الله تعالى ذكره فان قال قائل وما تنكر أن يكون ذلك نظير قول الله عز وجل وتبتل اليه تبتيلا ولم يقل تبتلا قيل ان هذا مخالف لذلك وذلك أن هذا انما جاز أن يقال فيه تبتيلا لظهور وتبتل اليه فكان في ظهوره دلالة على متروك من الكلام الذي منه قيل تبتيلا وذلك أن المتروك هو تبتل فبتلك الله اليه تبتيلا وقد تفعل العرب مثل ذلك أحيانا تخرج المصادر على غير ألفاظ الافعال التي تقدمتها اذا كانت الافعال المتقدمة تدل على ما أخرجت منه كما قال جل وعز والله أنبتكم من الأرض نباتا وقال فأنبتها نباتا حسنا والنبات مصدر نبت وانما جاز ذلك لمجيء أنبت قبله فدل على المتروك الذي منه قيل نباتا والمعنى والله أنبتكم فنبتم من الأرض نباتا وليس قوله وتثبيتا من أنفسهم كلاما يجوز أن يكون متوهما به أنه معدول عن بنائه ومعنى الكلام ويتثبتون في وضع الصدقات مواضعها فيصرف الى المعاني التي صرف اليها قوله وتبتل اليه تبتيلا وما أشبه ذلك من المصادر المعدولة عن الافعال التي هي ظاهرة قبلها * وقال آخرون معنى قوله وتثبيتا من أنفسهم واحتسابا من أنفسهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وتثبيتا من أنفسهم يقول احتسابا من أنفسهم وهذا القول أيضا بعيد المعنى من

(لا) لتعلق كاف التشبيه أي ابطالا مثل ابطال الذي الآخر ط صلدا ط كسبوا ط الكافرين ٥ ضعفين ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب واتحاد الكلام فطل ط بصير ٥ الأنهار (لا) لان ما بعده صفة لجنة أيضا الثمرات (لا) لان الواو للحال ضعفاء ص والوصل أولى والوقف على فاحترقت ط لتناهي مقصود الاستفهام والمعنى أيحب أحدكم احتراق جنة صفتها كذا في حال كذا تتفكرون ٥ ۞ التفسير انه سبحانه لما ذكر من أصول المبدا والمعاد ما اقتضاه المقام أتبعه ببيان التكاليف والأحكام قال القاضي في كيفية النظم انه تعالى لما أجمل في قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة فصل بعد ذلك بهذه الآية تلك الاضعاف وانما ذكر بين الآيتين الأدلة على قدرته على الاحياء والاماتة لانه لولا وجود الاله المثيب المعاقب بعد الحشر لكان التكليف بالانفاق وسائر الطاعات عبثا كانه قال قد عرفت انى خلقتك وأكملت نعمي عليك بالاحياء والاقدار وقد علمت قدرتي على المجازاة فليكن علمك بهذه الأصول داعيا الى انفاق الأموال فانه يجازي القليل بالكثير ثم ضرب لذلك الكثير مثلا وهو من الواحد الى سبعمائة وعن الأصم انه تعالى ضرب هذا المثل بعدما احتج على الكل بما يوجب تصديق النبي صلى الله عليه وسلم ليرغبوا في المجاهدة بالنفس والمال في نصرته واعلاء شريعته وقيل انه

تعالى لما بين أنه ولي المؤمنين وأن الكفار أولياؤهم الطاغوت بين مثل ما ينفق المؤمن في سبيل الله وما ينفق الكافر في سبيل الطاغوت
قلت لما بين صحة المعاد ولا بد له من زاد ولا يمكن التزود من الأموال التي يتملكها العباد إلا بالانفاق أتبعه أحكامه فقال مثل الذين ولا بد
من اضمار ليصح التشبيه أي مثل صدقاتهم كمثل حبة أو مثلهم كمثل باذر حبة وسبيل الله دينه فقيل
الجهاد وقيل جميع أبواب
الخير والمنبت هو الله
ولكن الحبة لما كانت
سببا أسند إليها الإنبات
كما يسند إلى الأرض وإلى
الماء ومعنى انباتها سبع
سنابل أن تخرج ساقا
يتشعب منها سبع شعب
لكل واحد سنبلة وهذا
التمثيل تصوير للأضعاف
سواء وجد في الدنيا سنبلة
بهذه الصفة أو لم توجد
على أنه قد يوجد في
الجاورس والذرة وغيرهما
مثل ذلك وسبع سنابل
مثل ثلاثة قروء في اقامة
جمع الكثرة مقام القلة
(والله يضاعف) أي تلك
المضاعفة لمن يشاء لا لكل
منفق لتفاوت أحوال
المنفقين في الاخلاص
أو يضاعف سبع المائة
ويزيد عليها أضعافها لمن
يستحق ذلك في مشيئته
(والله واسع) كامل القدرة
على المجازاة لأن فيضه
غير متناه (عليم) بمقادير
الانفاقات وبمواقعها
ومصارفها وباخلاص
صاحبها وإذا كان الأمر
كذلك فلن يضيع عمل
عامل له عنده ثم لما عظم
أمر الانفاق أردف ببيان
الأمور التي يجب رعايتها حتى يبقى ذلك الثواب منها ترك المن والأذى والمن قد يراد به الانعام قال تعالى ولا تمنن
تستكثر وقد يراد به اظهار الاصطناع وهو مذموم ولهذا قيل صنوان من منح سائله ومن ومنع نائله وضن وذلك لما فيه من انكسار
قلب الفقير ومن تنفير ذوي الحاجة عن صدقته ومن عدم الاعتراف بأن النعمة نعمة الله والعباد عباده وأن المعطي هو الله وإذا كان العبد

أكلها

معنى التثبيت لأن التثبيت لا يعرف في شيء من الكلام بمعنى الاحتساب إلا أن يكون أراد مفسره كذلك أن أنفس المنفقين كانت محتسبة في تثبيتها أصحابها فإن كان ذلك كان عنده معنى الكلام فليس الاحتساب بمعنى حينئذ التثبيت فيترجم عنه به ۞ القول في تأويل قوله تعالى (كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل) يعني بذلك جل وعز ومثل الذين ينفقون أموالهم فيتصدقون بها ويسبلونها في طاعة الله بغير من على من تصدقوا بها عليه ولا أذى منهم لهم بها ابتغاء رضوان الله وتصديقا من أنفسهم بوعده كمثل جنة والجنة البستان وقد دللنا فيما مضى على أن الجنة البستان بما فيه الكفاية من اعادته بربوة والربوة من الأرض ما نشز منها فارتفع عن السيل وإنما وصفها بذلك جل ثناؤه لأن ما ارتفع عن المسايل والأودية أغلظ وجنان ما غلظ من الأرض أحسن وأزكى ثمرا وغرسا وزرعا مما رق منها ولذلك قال أعشى بني ثعلبة في وصف روضة

ما روضة من رياض الحزن معشبة * خضراء جاد عليها مسبل هطل

فوصفها بأنها من رياض الحزن لأن الحزون غرسها ونباتها أحسن وأقوى من غروس الأودية والتلاع وزروعها وفي الربوة لغات ثلاث وقد قرأ بكل لغة منهن جماعة من القراء وهي ربوة بضم الراء وبها قرأت عامة قراء أهل المدينة والحجاز والعراق وربوة بفتح الراء وبها قرأ بعض أهل الشام وبعض أهل الكوفة ويقال إنها لغة لتميم وربوة بكسر الراء وبها قرأ فيما ذكر ابن عباس وغير جائز عندي أن يقرأ ذلك إلا بإحدى اللغتين إما بفتح الراء وإما بضمها لأن قراءة الناس في أمصارهم بإحداهما وأنا لقراءتها بضمها أشد إيثارا مني بفتحها لأنها أشهر اللغتين في العرب فأما الكسر فإن في رفض القراءة به دلالة واضحة على أن القراءة به غير جائزة وإنما سميت الربوة لأنها ربت فغلظت وعلت من قول القائل ربا هذا الشيء يربو إذا انتفخ فعظم وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله كمثل جنة بربوة قال الربوة المكان الظاهر المستوي حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال قال مجاهد هي الأرض المستوية المرتفعة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة كمثل جنة بربوة يقول بنشز من الأرض حدثني المثنى قال ثنا إسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك كمثل جنة بربوة والربوة المكان المرتفع الذي لا تجري فيه الأنهار والذي فيه الجنان حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قوله بربوة برابية من الأرض حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع كمثل جنة بربوة والربوة النشز من الأرض حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس كمثل جنة بربوة قال المكان المرتفع الذي لا تجري فيه الأنهار * وكان آخرون يقولون هي المستوية ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله كمثل جنة بربوة قال هي الأرض المستوية التي تعلو فوق المياه وأما قوله أصابها وابل فإنه يعني جل ثناؤه أصاب الجنة التي بالربوة من الأرض وابل من المطر وهو الشديد العظيم القطر منه وقوله فآتت أكلها ضعفين فإنه يعني الجنة أنها أضعف ثمرها ضعفين حين أصابها الوابل من المطر والأكل هو الشيء المأكول وهو مثل الرعب والهدء وما أشبه ذلك من الأسماء التي تأتي على فعل وأما الأكل بفتح الألف وتسكين الكاف فهو فعل الآكل يقال منه أكلت

أكلا وأكلت أكلة واحدة كما قال الشاعر

وما أكلة أكلتها بغنيمة * ولا جوعة ان جعتها بغرام

ففتح الألف لانها بمعنى الفعل ويدلك على أن ذلك كذلك قوله ولا جوعة وان ضمت الالف من الاكلة كان معناه الطعام الذى أكلته فيكون معنى ذلك حينئذ ما طعام أكلته بغنيمة وأما قوله فان لم يصبها وابل فطل فان الطل هو الندى واللين من المطر كما حدثنا عباس بن محمد قال ثنا حجاج قال قال ابن جريج فطل ندى عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى أما الطل فالندى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فان لم يصبها وابل فطل أى طش حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك فطل قال الطل الرذاذ من المطر يعنى اللين منه حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فطل أى طش وانما يعنى تعالى ذكره بهذا المثل كما ضعفت ثمرة هذه الجنة التى وصفت صفتها حين جاد الوابل فان أخطأ هذا الوابل فالطل كذلك يضعف الله صدقة المتصدق والمنفق ماله ابتغاء مرضاته وتثبيتا من نفسه من غير من ولا أذى قلت نفقته أو كثرت لا تخيب ولا تخلف نفقته كما تضعف الجنة التى وصف جل ثناؤه صفتها قل ما أصابها من المطر أو كثر لا يخلف خيرها بحال من الأحوال وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قوله فآتت أكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل يقول كما أضعفت ثمرة تلك الجنة فكذلك تضاعف ثمرة هذا المنفق ضعفين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فآتت أكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل هذا مثل ضربه الله لعمل المؤمن يقول ليس لخيره خلف كما ليس لخير هذه الجنة خلف على أى حال اما وابل واما طل حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قال هذا مثل من أنفق ماله ابتغاء مرضاة الله حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله الآية قال هذا مثل ضربه الله لعمل المؤمن فان قال قائل وكيف قيل فان لم يصبها وابل فطل وهذا خبر عن أمر قد مضى قيل يراد فيه كان ومعنى الكلام فآتت أكلها ضعفين فان لم يكن الوابل أصابها أصابها طل وذلك فى الكلام نحو قول القائل حبست فرسين فان لم أحبس اثنين فواحدا بقيمته بمعنى الا أكن لا بد من اضمار كان لانه خبر ومنه قول الشاعر

اذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة * ولم تجدى من أن تقرى بها بدا

القول فى تأويل قوله (والله بما تعملون بصير) يعنى بذلك والله بما تعملون أيها الناس فى نفقاتكم التى تنفقونها بصير لا يخفى عليه منها ولا من أعمالكم فيها وفى غيرها شئ يعلم من المنفق منكم بالمن والأذى والمنفق ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من نفسه فيحصى عليكم حتى يجازى جميعكم جزاءه على عمله ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا وانما يعنى بهذا القول جل ذكره التحذير من عقابه فى النفقات التى ينفقها عباده وغير ذلك من الاعمال أن يأتى أحد من خلقه ما قد تقدم فيه بالنهى عنه أو يفرط فيما قد أمر به لان ذلك بمرأى من الله ومسمع يعلمه ويحصيه عليهم وهو لخلقه بالمرصاد القول فى تأويل قوله (أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها اعصار

فى هذه الدرجة كان محروما عن مطالعة الاسباب الربانية الحقيقية وكان فى درجة البهائم التى لا يترقى نظرهن من المحسوس الى المعقول ومن الآثار الى المؤثرات وأما الاذى فمنهم من حمله على أذى المؤمنين على الاطلاق والمحققون خصصوه بما تقدم ذكره وهو أن يتطاول على الفقير بما أدلى اليه ويقول له ألست الامبرماوما أنت الا ثقيل وباعد الله ما بينى وبينك ومعنى ثم تراخى الرتبة واظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق بل ترك كل منهما لانهما نكرتان فى سياق النفى لهم أجرهم وقال فيما يجىء فلهم أجرهم لان الموصول ههنا لم يضمن معنى الشرط وضمنه ثمة وفرق معنوى وهو ان الفاء فيها دلالة على أن الانفاق سبب استحقاق الاجر وطرحها عار عن تلك الدلالة ثم انه ذكر هنالك الانفاق منهم على سبيل المواظبة والاستمرار فكان التأكيد بما يوجب الربط بينهما هنالك أنسب ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون أى لا يخافون فوات ثواب الانفاق ولا يحزنون بالفوات كقوله ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما والمراد أنهم يوم القيامة لا يخافون العذاب ولا يحزنهم الفزع الاكبر ويعلم من قوله فى سبيل الله ان قوله لهم أجرهم مشروط بان لا يوجد منهم الكفر ويعلم من قوله ثم لا يتبعون أن المن والاذى من قبيل الكبائر حيث يخرجان هذه الطاعة العظيمة عن الاعتداد بها احتجت المعتزلة

بالآية من وجهين الاول أن العمل يوجب الاجر لقوله لهم أجرهم وأجيب بان ذلك بسبب الوعد لا بسبب نفس العمل الثانى أن الكبائر تحبط ثواب فاعلها والا لم يكن المن والاذى مبطلين ثواب الانفاق وأجيب بان الانفاق على تقدير المن والاذى لا ثواب له أصلا فكيف يتصور رفع ما لم يوجد قول معروف تقبله القلوب ولا تنكره وذلك أن يرد السائل بطريق أحسن وعدة حسنة ومغفرة عفو عن السائل

اذا وجد منه ما يثقل على المسؤل لانه اذا رد بغير مقصوده فربما حمله ذلك على بذاءة اللسان أو نيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل أو عفو من جهة السائل بان يعذر المسؤل اذا رده ردا جميلا خير من صدقة يتبعها أذى لانه اذا أتبع الايذاء الاعطاء فقد جمع بين الانفاع والاضرار وربما لم يف ثواب النفع بعقاب الضر وأما القول (ن) المعروف ففيه انفاع من حيث ايصال السرور الى قلب المؤمن ولا اضرار فكان الاولى ومن الناس

الناس من خصص الآية بالتطوع لان الواجب لا يحل منعه ولا رد السائل فيه ورد بان الواجب قد يعدل به عن سائل الى سائل وعن فقير الى فقير والله غني عن صدقة كل منفق فما وجه المن حليم عن معاجلته بالعقوبة اذا من ولا يخفى ما فيه من الوعيد ثم انه تعالى ضرب لكل واحد من المؤذي وغير المؤذي مثلا فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وعن ابن عباس بالمن على الله والاذى للفقير كالذي أي كابطال المنافق الذي ينفق ماله رئاء الناس وهو أن يرائي بعمله غيره ولا يريد رضا الله وثواب الآخرة ويجوز أن تكون الكاف في محل النصب على الحال أي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين للذي ينفق فمثله الضمير اما أن يكون عائدا الى المنافق على أنه تعالى شبه المنان بالمرائي المنافق ثم شبه المنافق بالحجر واما أن يعود الى المنان المؤذي على أنه شبهه بالمنافق ثم شبهه بالحجر والصفوان الحجر الأملس والوابل المطر العظيم القطر والصلد الاجرد النقي ومنه صلد جبين الاصلع اذا برق وهذا المثل ضربه

بعد

الله لعمل المنان المؤذي ولعمل المنافق فان الناس يرون في الظاهر أن لهؤلاء أعمالا كما يرى التراب على هذا الصفوان فاذا كان يوم القيامة اضمحل كله وبطل لانه تبين ان تلك الاعمال ما كانت لله تعالى ولم يؤت بها على وجه يستحق الثواب كما أذهب الوابل ما كان على الصفوان من

فيه نار فاحترقت) يعني تعالى ذكره يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر الآية ومعنى قوله أيود أحدكم أيحب أحدكم أن تكون له جنة يعني بستانا من نخيل وأعناب تجري من تحتها الانهار يعني من تحت الجنة وله فيها من كل الثمرات والهاء في قوله له عائدة على أحد والهاء والالف في فيها على الجنة وأصابه يعني وأصاب أحدكم الكبر وله ذرية ضعفاء وانما جعل جل ثناؤه البستان من النخيل والاعناب الذي قال جل ثناؤه لعباده المؤمنين أيود أحدكم أن تكون له مثلا لنفقة المنافق التي ينفقها رياء الناس لا ابتغاء مرضاة الله فالناس بما يظهر لهم من صدقته واعطائه لما يعطي وعمله الظاهر يثنون عليه ويحمدونه بعمله ذلك أيام حياته في حسنه كحسن البستان وهي الجنة التي ضربها الله عز وجل لعمله مثلا من نخيل وأعناب له فيها من كل الثمرات لان عمله ذلك الذي يعمله في الظاهر في الدنيا له فيه من كل خير من عاجل الدنيا يدفع به عن نفسه ودمه وماله وذريته ويكتسب به المحمدة وحسن الثناء عند الناس ويأخذ به سهمه من المغنم مع أشياء كثيرة يكثر احصاؤها فله في ذلك من كل خير في الدنيا كما وصف جل ثناؤه الجنة التي وصف مثلا بعمله بان فيها من كل الثمرات ثم قال جل ثناؤه وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء يعني ان صاحب الجنة أصابه الكبر وله ذرية ضعفاء صغار أطفال فاصابها يعني فاصاب الجنة اعصار فيه نار فاحترقت يعني بذلك ان جنته تلك أحرقتها الريح التي فيها النار في حال حاجته اليها وضرورته الى ثمرتها بكبره وضعفه عن عمارتها وفي حال صغر ولده وعجزه عن احيائها والقيام عليها فبقي لا شيء له أحوج ما كان الى جنته وثمارها بالآفة التي أصابتها من الاعصار الذي فيه النار يقول فكذلك المنفق ماله رياء الناس أطفأ الله نوره وأذهب بهاء عمله وأحبط أجره حتى لقيه وعاد اليه أحوج ما كان الى عمله حين لا مستعتب له ولا اقالة من ذنوبه ولا توبة واضمحل عمله كما احترقت الجنة التي وصف جل ثناؤه صفتها عند كبر صاحبها وطفولة ذريته أحوج ما كان اليها فبطلت منافعها عنه وهذا المثل الذي ضربه الله للمنفقين أموالهم رياء الناس في هذه الآية نظير المثل الآخر الذي ضربه لهم بقوله فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا وقد تنازع أهل التأويل في تأويل هذه الآية الا ان معاني قولهم في ذلك وان اختلفت تصاريفهم فيها عائدة الى المعنى الذي قلنا في ذلك وأحسنهم ابانة لمعناها وأقربهم الى الصواب قولا فيها السدي حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت هذا مثل آخر لنفقة الرياء انه ينفق ماله يرائي الناس به فيذهب ماله منه وهو يرائي فلا يأجره الله فيه فاذا كان يوم القيامة واحتاج الى نفقته وجدها قد أحرقها الرياء فذهبت كما أنفق هذا الرجل على جنته حتى اذا بلغت وكثر عياله واحتاج الى جنته جاءت ريح فيها سموم فاحرقت جنته فلم يجد منها شيئا فكذلك المنفق رياء حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب كمثل المفرط في طاعة الله حتى يموت قال يقول أيود أحدكم أن يكون له دنيا لا يعمل فيها بطاعة الله كمثل هذا الذي له جنات تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت فمثله

التراب وأما المعتزلة فقالوا ان تلك الصدقة أوجبت الاجر والثواب ثم ان المن والاذى أزالا ذلك الاجر بناء على مذهبهم من الاحباط والتكفير فعلى مذهبنا العمل الظاهر كالتراب والمان المؤذى أو المنافق كالصفوان ويوم القيامة كالوابل وعلى قولهم المن والاذى كالوابل وعن القفال ان عمل المان مشبه بما اذا طرح بذرا فى صفوان صلد عليه غبار قليل فاذا أصابه مطر جود بقى مستودع بذره خاليا لاشى فيه ألا ترى انه ضرب مثل المخلص بجنة فوق ربوة وعلى هذا فقوله لا يقدرون على شئ الضمير فيه عائد الى معلوم غير مذكور أى لا يقدر أحد من الخلق على ذلك البذر الملقى فى ذلك التراب الذى فرض على الصفوان لانه خرج عن الانتفاع به فكذا المان والمؤذى والمنافق لا ينتفع واحد منهم بعمله يوم القيامة وناهيك بكون المان والمنافق ملزوزين فى قرن شناعة شأن المن والاذى وقيل الضمير عائد الى الذى اما لأن من والذى متعاقبان فكأنه قيل كمن ينفق واما لان المراد الفريق الذى واما لانه أشير بالذى الى الجنس والجنس فى حكم العام وقيل المعنى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فانكم ان فعلتم ذلك لم تقدروا على شئ مما كسبتم فالتفت من الخطاب الى الغيبة كقوله حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم والله لا يهدى القوم الكافرين معناه على قولنا سلب الايمان عنهم وعلى قول المعتزلة أنه يضلهم عن الثواب وطريق الجنة لسوء اختيارهم ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله طلبا لمرضاته وتثبيتا من أنفسهم قيل أى يوطنون أنفسهم على حفظ هذه الطاعة وترك ما يفسدها من المن والاذى وقيل تثبيتا من أنفسهم عند المؤمنين انها صادقة فى الايمان مخلصة فيه و يعضده قراءة مجاهد وتبيينا من البيان وقيل ان النفس لاثبات لها فى موقف العبودية الا اذا صارت مقهورة بالرياضة ومعشوقها أمران الحياة العاجلة والمال فاذا

بعد موته كمثل هذا حين أحرقت جنته وهو كبير لا يغنى عنها شيأ وولده صغار لا يغنون عنها شيأ وكذلك المفرط بعد الموت كل شئ عليه حسرة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عبد الملك عن عطاء قال سأل عمر الناس عن هذه الآية فما وجد أحدا يشفيه حتى قال ابن عباس وهو خلفه يا أمير المؤمنين انى أجد فى نفسى منها شيأ قال فتلفت اليه فقال تحوّل ههنا لم تحقر نفسك قال هذا مثل ضربه الله عز وجل فقال أيود أحدكم أن يعمل عمره بعمل أهل الخير وأهل السعادة حتى اذا كان أحوج ما يكون الى ان يختمه بخير حين فنى عمره واقترب أجله ختم ذلك بعمل من عمل أهل الشقاء فأفسده كله فحرّقه أحوج ما كان اليه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن محمد بن سليم عن ابن أبى مليكة أن عمر تلا هذه الآية أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب قال هذا مثل ضرب للانسان يعمل عملا صالحا حتى اذا كان عند آخر عمره أحوج ما يكون اليه عمل عمل السوء حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن ابن جريج قال سمعت أبا بكر بن أبى مليكة يخبر عن عبيد بن عمير أنه سمعه يقول سأل عمر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فيم ترون أنزلت أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب فقالوا الله أعلم فغضب عمر فقال قولوا نعلم أو لا نعلم فقال ابن عباس فى نفسى منها شئ يا أمير المؤمنين فقال عمر قل يا ابن أخى ولا تحقر نفسك قال ابن عباس ضربت مثلا لعمل قال عمر أىّ عمل قال لعمل فقال عمر رجل غنى يعمل الحسنات ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى أغرق أعماله كلها قال وسمعت عبد الله بن أبى مليكة يحدث نحو هذا عن ابن عباس سمعه منه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال سمعت أبا بكر بن أبى مليكة يخبر انه سمع عبيد بن عمير قال ابن جريج وسمعت عبد الله بن أبى مليكة قال سمعت ابن عباس قالا جميعا ان عمر ابن الخطاب سأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه الا أنه قال عمر للرجل يعمل بالحسنات ثم يبعث له الشيطان فيعمل بالمعاصى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال سألت عطاء عنها ثم قال ابن جريج وأخبرنى عبد الله بن كثير عن مجاهد قالا ضربت مثلا للاعمال قال ابن جريج وقال ابن عباس ضربت مثلا للعمل يبدأ فيعمل عملا صالحا فيكون مثلا للجنة التى من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات ثم يسىء فى آخر عمره فيتمادى على الاساءة حتى يموت على ذلك فيكون الاعصار الذى فيه نار التى أحرقت الجنة مثلا لاساءته التى مات وهو عليها قال ابن عباس الجنة عيشه وعيش ولده فاحترقت فلم يستطع أن يدفع عن جنته من أجل كبره ولم يستطع ذريته أن يدفعوا عن جنتهم من أجل صغرهم حتى احترقت يقول هذا مثله تلقاه وهو أفقر ما كان الى فلا يجد له عندى شيأ ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه من عذاب الله شيأ ولا يستطيع من كبره وصغر أولاده أن يعملوا جنته كذلك لا توبة اذا انقطع العمل حين مات قال ابن جريج عن مجاهد سمعت ابن عباس قال هو مثل المفرط فى طاعة الله حتى يموت قال ابن جريج وقال مجاهد أيود أحدكم أن تكون له دنيا لا يعمل فيها بطاعة الله كمثل هذا الذى له جنة فمثله بعد موته كمثل هذا حين أحرقت جنته وهو كبير لا يغنى عنها شيأ وأولاده صغار ولا يغنون عنه شيأ وكذلك المفرط بعد الموت كل شئ عليه حسرة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الانهار الآية يقول أصابها ريح فيها سموم شديدة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون فهذا مثل فاعقلوا عن الله جل وعز أمثاله فانه

بذل ماله وروحه معا فقد ثبت نفسه كلها وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم واذا بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه فعلى هذا من للتبعيض ذكره في الكشاف قال الزجاج تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من أصل أنفسهم جازمين بان الله تعالى لا يضيع ثوابهم فمن على هذا للابتداء وجزمهم بالثواب (٥٣) هو المراد بالتثبيت وعن الحسن ومجاهد وعطاء المراد أنهم يثبتون أنفسهم تثبيتا في طلب المستحق

قال وثلاث الامثال تضرب بها الناس وما يعقلها الا العالمون هذا رجل كبرت سنه ودق عظمه وكثر عياله ثم احترقت جنته على بقية ذلك كاحوج ما يكون اليه يقول أيحب أحدكم أن يضل عنه عمله يوم القيامة كاحوج ما يكون اليه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله أيود أحدكم أن تكون له جنة الى قوله فاحترقت يقول فذهبت جنته كاحوج ما كان اليها حين كبرت سنه وضعف عن الكسب وله ذرية ضعفاء لا ينفعونه قال وكان الحسن يقول فاحترقت فذهبت أحوج ما كان اليها فذلك قوله أيود أحدكم أن يذهب عمله أحوج ما كان اليه حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ضرب الله مثلا حسنا وكل أمثاله حسن تبارك وتعالى وقال قال أيوب أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل الى قوله فيها من كل الثمرات يقول صنعه في شبيبته فاصابه الكبر وله ذرية ضعفاء عند آخر عمره فجاءه اعصار فيه نار فاحرق بستانه فلم يكن عنده قوة أن يغرس مثله ولم يكن عند نسله خير يعودون به عليه وكذلك الكافر يوم القيامة اذا رد الى الله تعالى ليس له خير فيستعتب كما ليس له قوة فيغرس مثل بستانه ولا يجد خيرا قدم لنفسه يعود عليه كما لم يغن عن هذا ولده وحرم أجره عند أفقر ما كان اليه كما حرم هذا جنته عند أفقر ما كان اليها عند كبره وضعف ذريته وهو مثل ضربه الله للمؤمن والكافر فيما أوتيا في الدنيا كيف نجى المؤمن في الآخرة وذخر له من الكرامة والنعيم وخزن عنه المال في الدنيا وبسط للكافر في الدنيا من المال ما هو منقطع وخزن له من الشر ما ليس بمفارقه أبدا ويخلد فيها مهانا من أجل أنه فخر على صاحبه ووثق بما عنده ولم يستيقن أنه ملاق ربه حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع أيود أحدكم أن تكون له جنة الآية قال هذا مثل ضربه الله أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب له فيها من كل الثمرات والرجل قد كبر سنه وضعف وله أولاد صغار وابتلاهم الله في جنتهم فبعث الله عليها اعصارا فيه نار فاحترقت فلم يستطع الرجل أن يدفع عن جنته من الكبر ولا ولده لصغرهم فذهبت جنته أحوج ما كان اليها يقول أيحب أحدكم أن يعيش في الضلالة والمعاصي حتى يأتيه الموت فيجيء يوم القيامة قد ضل عنه عمله أحوج ما كان اليه فيقول ابن آدم أتيتني أحوج ما كنت قط الى خير فأين ما قدمت لنفسك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وقرأ قول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ثم ضرب ذلك مثلا فقال أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب حتى بلغ فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت قال جرت أنهارها وثمارها وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت أيود أحدكم هذا كما يحمل أحدكم أن يخرج من صدقته ونفقته حتى اذا كان له عندي جنة وجرت أنهارها وثمارها وكانت لولده وولد ولده أصابها ريح اعصار فحرقها حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا زهير عن جويبر عن الضحاك في قوله أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الانهار رجل غرس بستانا فيه من كل الثمرات فاصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت فلا يستطيع أن يدفع عن بستانه من كبره ولم يستطع ذريته أن يدفعوا عن بستانه فذهبت معيشته ومعيشة ذريته فهذا مثل ضربه الله للكافر يقول يلقاني يوم القيامة وهو أحوج ما يكون الى خير يصيبه فلا يجد له عندي خيرا ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه من عذاب الله شيأ وأما دللنا ان الذي هو أولى بتأويل ذلك ما ذكرناه لان الله جل ثناؤه تقدم الى عباده

وصرف المال في وجهه قال الحسن كان الرجل اذا هم بصدقة يتثبت فان كان لله أمضى وان خالطه شك أمسك وقيل انه اذا أنفق لاجل عبودية الحق لا لاجل غرض النفس وحظ من حظوظها فهنالك اطمأن قلبه واستقرت نفسه ولم يحصل لنفسه منازعة مع قلبه فذلك الاستقرار هو التثبيت ويحتمل أن يكون المراد به حصول ملكة الانفاق بحيث يحصل عنه بطريق الاطراد والاعتياد لا بطريق البخت والاتفاق فان الاخلاق ما لم تصر ملكات لصاحبها لم تكد يظهر على جوهر النفس صفاؤها ونورانيتها والمعنى ان مثل نفقة هؤلاء في زكائها عند الله كمثل جنة وهي البستان وقرئ كمثل حبة بربوة بمكان مرتفع من ربا الشيء يربو اذا زاد وارتفع ومنه الربو لزيادة التنفس والربا في المال قيل وانما خص المكان المرتفع لان الشجر فيها أزكى وأحسن ثمرا واعترض عليه بان المكان المرتفع لا يحسن ريعه لبعده عن الماء وربما تضربه الرياح كما أن الوهاد لكونها مصب المياه قلما يحسن ريعها فاذن البستان لا يصلح له الا الارض المستوية فالمراد بالربوة أرض طيبة حرة تنتفخ وتربو اذا نزل عليها المطر المؤمنين فانها اذا كانت على هذه الصفة كثر دخلها وكمل شجرها كقوله تعالى وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ومما يؤكد ما ذكرنا ان هذا المثل في مقابلة المثل الاول فكما أن الصفوان لا يربو ولا ينمو بسبب نزول المطر عليه فينبغي أن تكون هذه الارض بحيث تربو

المؤمنين بالنهى عن المن والاذى فى صدقاتهم ثم ضرب مثلا لمن من وآذى من تصدق عليه بصدقة فمثله بالمرائى من المنافقين المنفقين أموالهم رياء الناس وكانت قصة هذه الآية وما قبلها من المثل نظيرة ما ضرب لهم من المثل قبلها فكان الحاقها بنظيرتها أولى من حمل تاويلها على أنه مثل مالم يجرله ذكر قبلها ولا معها فان قال لنا قائل وكيف قيل وأصابه الكبر وهو فعل ماض فعطف به على قوله أيود أحدكم قيل ان ذلك كذلك لان قوله أيود يصح أن يوضع فيه لو مكان أن فلما صلحت بلو وأن ومعناهما جميعا الاستقبال استجازت العرب أن يردوا فعل بتأويل لو على يفعل مع أن فلذلك قال فاصابها وهو فى مذهبه بمنزلة لو اذا ضارعت أن فى معنى الجزاء فوضعت فى مواضعها واجيبت أن بجواب لو ولو بجواب أن فكأنه قيل أيود أحدكم لو كانت له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر فان قال وكيف قيل ههنا وله ذرية ضعفاء وقال فى النساء وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا قيل لان فعيلا يجمع على فعلاء وفعال فيقال رجل ظريف من قوم ظرفاء وظراف وأما الاعصار فانه الريح العاصف تهب من الارض الى السماء كأنها عمود تجمع أعاصير ومنه قول يزيد بن مفرغ الحميرى

أناس أجارونا فكان جوارهم * أعاصير من سوء العراق المنذر (١)

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله اعصار فيه نار فاحترقت فقال بعضهم معنى ذلك ريح فيها سموم شديدة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عبدالله بن بزيع قال ثنا يوسف بن خالد السمتى قال ثنا نافع بن مالك عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله اعصار فيه نار ريح فيها سموم شديدة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن التميمى عن ابن عباس فى اعصار فيه نار قال السموم الحارة التى خلق منها الجان التى تحرق حدثنا حميد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن أبى اسحق عن التميمى عن ابن عباس فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت قال هى السموم الحارة (٢) حدثنا المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن أبى اسحق عن التميمى عن ابن عباس اعصار فيه نار فاحترقت التى تقتل حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عمن ذكره عن ابن عباس قال ان السموم التى خلق منها الجان جزء من سبعين جزأ من النار حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس اعصار فيه نار فاحترقت هى ريح فيها سموم شديد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس اعصار فيه نار قال سموم شديد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة اعصار فيه نار يقول أصابها ريح فيها سموم شديدة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبدالرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة نحوه حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى اعصار فيه نار فاحترقت أما الاعصار فالريح وأما النار فالسموم حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع اعصار فيه نار يقول ريح فيها سموم شديد * وقال آخرون هى ريح فيها برد شديد ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبدالرزاق قال أخبرنا معمر قال كان الحسن يقول فى قوله اعصار فيه نار فاحترقت فيها صر وبرد حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك اعصار فيه نار فاحترقت يعنى بالاعصار ريح فيها برد ﴿القول فى تأويل قوله

(١) لم نقف على هذا البيت فى غير هذا الموضع بعد البحث ولا يخلو من تحريف وخلل فى الوزن فحرره

(٢) فى بعض النسخ زيادة التى لا تضر أحدا اه فتأمل كتبه مصححه

وتنمو اف آتت أكلها أى ثمرتها وما يؤكل منها ضعفين مثلى ما كان يعهد منها أو قيل مثلى ما يكون فى غيرها فان لم يصبها وابل فطل مطر صغير القطر يصيبها ولا ينتقص شئ من ثمرها الكرم منبتها أو المراد انها على جميع الاحوال لا تخلو من أن تثمر قل أم كثر وكذلك من أخرج صدقة لوجه الله لا يضيع كسبه وفر أم نزر ويحتمل أن يمثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم القليلة والكثيرة بالوابل والطل وكما أن كل واحد من المطرين يضعف أكل الجنة فكذلك نفقتهم تزيد فى زلفاهم وحسن حالهم والله بما تعملون من وجوه الانفاق وكيفيتها والامور الباعثة عليها بصير فيجازى بحسب النيات وخلوص الطويات ثم انه سبحانه رغب فى الانفاق المعتبر الجامع لشرائطه وحذر عن ضده بان ضرب مثالا آخر فقال أيود أحدكم والهمزة للانكار البالغ أى ان يود وقرى له جنات وقد وصف الله تعالى الجنة بثلاثة أوصاف الاول كونها من نخيل وأعناب كأن الجنة انما تكونت منهما لكثرتهما فيها الثانى تجرى من تحتها الانهار ولا شك أن ذلك يزيد فى رونقها وبهائها الثالث فيها من كل الثمرات وانما خص النخيل والاعناب أولا بالذكر لانهما أكرم الشجر أو أكثرها منافع قال فى الكشاف ويجوز أن يريد بالثمرات المنافع التى كانت تحصل له فيهما كقوله وكان له ثمر بعد قوله جنتين من أعناب وحففناهما بنخل ثم شرع فى بيان شدة حاجة المالك الى هذه الجنة فقال وأصابه الكبر أى والحال أنه قد أصابه الكبر وقال الفراء انه معطوف على يود واستقام نظرا الى المعنى لانه يقال وددت أن يكون كذا ووددت لو كان كذا فكأنه قيل أيود أحدكم لو كانت له جنة وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء وقرئ ضعاف أى صبيان وأطفال فاصابها اعصار ريح تستدير فى الارض ثم تسطع نحو السماء كالعمود فيه نار فاحترقت أى الجنة ولا يخفى أن هذا المثل فى المقصود أبلغ الامثال فان الانسان اذا كان له جنة فى غاية الكمال وكان هو فى نهاية الاحتياج الى المال وذلك

أوان الكبر مع وجود الاولاد الاطفال فاذا أصبح وشاهد تلك الجنة محترقة بالصاعقة فكم يكون في قلبه من الحسرة وفي عينه من الحيرة فكذا الانفاق نظير الجنة المذكورة وزمان الاحتياج يوم القيامة فاذا أتبع الانفاق النفاق أو المن والاذى كان ذلك كالاعصار الذي يحرق تلك الجنة ويورثه الخيبة والندامة * التأويل (٥٤) الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله فلهم الجنة والذين ينفقون أرواحهم وقلوبهم في سبيل الله فلهم الله ومن أعطى تمرة الى فقير أخذها الله بيمينه ويربيها كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله حتى تكون أعظم من الجبل فمن أعطى قلبه الى الله فهو يربيه بين اصبعي جلاله حتى يصير أعظم من العرش بما فيه وان قوما بذلوا المال لله وقوما بذلوا الحال بايثار صفاء الاوقات وفتوحات الخلوات على طلاب الحق وأرباب الصدق القيام بأمورهم في تشفي ما في صدورهم ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فبذلوا ليحصلوا وحصلوا لينفصلوا وانفصلوا ليتصلوا واتصلوا ليصلوا الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله في طلبه لا في طلب غيره من الثناء والجزاء انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا على الله بان يقول عملت هذا العمل لاجلك ووجب لي عليك الاجر ولا أذى بان يطلب من الله غير الله رأى أحمد بن خضرويه ربه في المنام فقال له كل الناس يطلبون مني الا أبا يزيد فانه يطلبني لهم أجرهم عند ربهم ينزلهم في مرتبة العندية عند مليك مقتدر لا عند الجنة ولا عند النار قول معروف يصدر عن العارف بالله في طلب

﴿كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون﴾ يعني بذلك جل ثناؤه كما بين لكم ربكم تبارك وتعالى أمر النفقة في سبيله وكيف وجهها وما لكم وما ليس لكم فعله فيها كذلك يبين لكم الآيات سوى ذلك فيعرفكم أحكامها وحلالها وحرامها ويوضح لكم حججها انعاما منه بذلك عليكم لعلكم تتفكرون يقول لتتفكروا بعقولكم فتتدبروا وتعتبروا بحجج الله فيها وتعملوا بما فيها من أحكامها فتطيعوا الله به وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري قال قال مجاهد لعلكم تتفكرون قال تطيعون حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون يعني في زوال الدنيا وفنائها واقبال الآخرة وبقائها ۞ القول في تأويل قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا﴾ يعني جل ثناؤه بقوله يا أيها الذين آمنوا صدقوا بالله ورسوله وآي كتابه ويعني بقوله أنفقوا زكوا وتصدقوا كما حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أنفقوا من طيبات ما كسبتم يقول تصدقوا ۞ القول في تأويل قوله ﴿من طيبات ما كسبتم﴾ يعني بذلك جل ثناؤه زكوا من طيب ما كسبتم بتصرفكم اما بتجارة واما بصناعة من الذهب والفضة ويعني بالطيبات الجياد يقول زكوا أموالكم التي اكتسبتموها حلالا وأعطوا في زكاتكم الذهب والفضة الجياد منها دون الرديء كما حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن الحكم عن مجاهد في هذه الآية يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم قال من التجارة حدثني موسى بن عبد الرحمن قال ثنا زيد بن الحباب قال وأخبرني شعبة عن الحكم عن مجاهد مثله حدثني حاتم بن بكر الضبي قال ثنا وهب عن شعبة عن الحكم عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا آدم قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد في قوله أنفقوا من طيبات ما كسبتم قال التجارة الحلال حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن معقل أنفقوا من طيبات ما كسبتم قال ليس في مال المؤمن من خبيث ولكن لا تيمموا الخبيث منه تنفقون حدثني عصام بن رواد بن الجراح قال ثنا أبي قال ثنا أبو بكر الهذلي عن محمد بن سيرين عن عبيدة قال سألت علي بن أبي طالب صلوات الله عليه عن قوله يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم قال من الذهب والفضة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله من طيبات ما كسبتم قال التجارة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أنفقوا من طيبات ما كسبتم يقول من أطيب أموالكم وأنفسه (٣) حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم قال من الذهب والفضة ۞ القول في تأويل قوله جل وعز ﴿ومما أخرجنا لكم من الارض﴾ يعني بذلك جل ثناؤه وأنفقوا أيضا مما أخرجنا لكم من الارض فتصدقوا وزكوا من النخل والكرم والحنطة والشعير وما أوجبت فيه الصدقة من نبات الارض كما حدثني عصام بن رواد قال ثني أبي قال ثنا أبو بكر الهذلي عن محمد بن سيرين عن عبيدة قال سألت عليا صلوات الله عليه عن قول الله عز وجل ومما أخرجنا لكم من الارض قال يعني من الحب والثمر وكل شيء

المعروف ومغفرة له وان لم يكن عنده ما يتصدق به خير له عند ربه من صدقة يتبعها من الجهل أذى طلب غير الحق من الحق والله غني عن غيره حليم لا يعجل بالعقوبة على من يختار في الطلب غيره ولولا حلمه فما للتراب ورب الارباب يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فالمعاملات اذا كانت مشوبة بالاغراض ففيها نوع من الاعراض ومن أعرض عن الحق فقد أقبل على

الباطل ومن أقبل على الباطل فقد أبطل حقوقه في الاعمال فماذا بعد الحق الا الضلال ولو كان قصدك في الصدقة طلب الحق لما مننت على الفقير بل كنت رهين منته حيث صار سبب وصولك الى الحق ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لولا الفقراء لهلك الاغنياء أي لم يجدوا سبيلا الى الحق وفسر بعضهم اليد العليا بيد الفقير واليد السفلى بيد الغني لان الفقير يأخذ منه (٥٥) الدنيا ويعطيه الآخرة كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر لانه لو كان مؤمنا بالله لكان ينفق لله ولو كان يؤمن بالآخرة لانفق للآخرة لا للناس فمثل المرائي كمثل صفوان عليه تراب هو عمله فأصابه وابل هو وابل الرد أنا أغنى الاغنياء عن الشرك فتركه صلدا مفلسا خائبا لا يقدرون على شيء مما كسبوا ليتوسلوا به الى الله والله لا يهدي القوم الكافرين بنعمة طلب شهود جماله فحرموا عن دولة وصاله وتثبيتا من أنفسهم وتخليصا لنياتهم في طلب الحق ومرضاته من حظوظ أنفسهم كمثل جنة هي قلب المخلص بربوة في رتبة عالية عند الحق أصابها وابل الواردات الربانية فان لم يصبها وابل فطل الالهامات فآتت أكلها ضعفين ضعف من نعيم الجنة وضعف من دولة الوصال وشهود ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فان الله تعالى كما يعطي أهل الآخرة نصيبا من الدنيا بالتبعية ولا يعطي أهل الدنيا نصيبا من الآخرة فكذلك يعطي أهل الله نصيبا من الآخرة بالتبعية ولا يعطي أهل الآخرة ما لاهل الله من القربة والله بما تعملون بصير كيف تعملون ولماذا تعملون لابتغاء المرضاة أو لاستيفاء اللذات واستبقاء الحياة ثم ضرب مثلا لروح الانسان وقلبه بجنة له فيها من كل الثمرات اذ خلق في أحسن تقويم مستعدا لجميع الكرامات مشرفا بعلم السمات منورا بأنوار العقل والحواس السليمات متوحدا بحمل الامانة متفردا برتبة الخلافة جنة هي منظور نظر العناية تجري من تحتها أنهار

شيء عليه زكاة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ومما أخرجنا لكم من الارض قال النخل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ومما أخرجنا لكم من الارض قال من ثمر النخل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد قوله يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم قال من التجارة ومما أخرجنا لكم من الارض من الثمار حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي ومما أخرجنا لكم من الارض قال هذا في التمر والحب

القول في تأويل قوله جل وعز (ولا تيمموا الخبيث)

يعني بقوله جل ثناؤه ولا تيمموا الخبيث ولا تعمدوا ولا تقصدوا وقد ذكر ان ذلك في قراءة عبد الله ولا تأمموا من أممت وهذه من تيممت والمعنى واحد وان اختلفت الالفاظ يقال تأممت فلانا وتيممته وأممته بمعنى قصدته وتعمدته كما قال ميمون بن قيس الاعشى

تيممت قيسا وكم دونه * من الأرض من مهمه ذي شزن (١)

وكما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي ولا تيمموا الخبيث ولا تعمدوا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ولا تيمموا لا تعمدوا حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن قتادة مثله

القول في تأويل قوله (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون)

يعني جل ثناؤه بالخبيث الردي غير الجيد يقول لا تعمدوا الردي من أموالكم في صدقاتكم فتصدقوا منه ولكن تصدقوا من الطيب الجيد وذلك ان هذه الآية نزلت في سبب رجل من الانصار علق قنوا من حشف في الموضع الذي كان المسلمون يعلقون صدقة ثمارهم صدقة من تمره ذكر من قال ذلك حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي قال ثنا أبي عن أسباط عن السدي عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب في قول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض الى قوله والله غني حميد قال نزلت في الانصار كانت الانصار اذا كان أيام جذاذ النخل أخرجت من حيطانها اقناء البسر فعلقوه على حبل بين الاسطوانتين في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل فقراء المهاجرين منه فيعمد الرجل منهم الى الحشف فيدخله مع اقناء البسر يظن ان ذلك جائز فأنزل الله عز وجل فيمن فعل ذلك ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال لا تيمموا الحشف منه تنفقون حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط زعم السدي عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب بنحوه الا أنه قال فكان يعمد بعضهم فيدخل قنو الحشف ويظن أنه جائز عنه في كثرة ما يوضع من الاقناء فنزل فيمن فعل ذلك ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون القنو الذي قد حشف ولو أهدي لكم ما قبلتموه حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن السدي عن أبي مالك عن البراء بن عازب قال كانوا يجيئون في الصدقة بارد إ تمرهم وأردإ طعامهم فنزلت يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم الآية حدثني عصام بن رواد قال ثنا أبي قال ثنا أبو بكر الهذلي عن ابن سيرين عن عبيدة السلماني قال سألت عليا عن قول الله يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال فقال علي نزلت هذه الآية في الزكاة المفروضة كان الرجل يعمد الى التمر فيصرمه فيعزل الجيد ناحية فاذا جاء صاحب الصدقة أعطاه من الردي فقال عز وجل ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني

(١) قال الصغاني الرواية تيمم قيسا الخ على الفعل المضارع أي تتيمم ناقتي أي تقصد اهـ كتبه مصححه

الهداية وأصاب صاحبها ضعف الانسانية وله ذرية ضعفاء من متولدات القوى البشرية في غاية الافتقار الى التربية بأغذية ثمراتها فاصابها اعصار من أعمال البرفيه نار من الرياء والنفاق فاحترقت جنة الروحانية بنار صفات البشرية وتبدلت الاخلاق الروحية بالنفسية والملكية بالشيطانية كذلك يبين الله لكم (٥٦) الآيات لعلكم تتفكرون في احسانه معكم بابقاء الاستعداد الفطري فلا تبطلوه بقبيح فعالكم ولا تضيعوا أعماركم في طلب آمالكم وتستعدوا للموت قبل حلول آجالكم والله المستعان وهو حسبي (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه وما للظالمين من أنصار ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) القرآت ولا تيمموا بتشديد التاء ومد الالف البزي وابن فليح الباقون على الاصل ومن يؤت الحكمة بكسر التاء يعقوب أي من يؤتيه الله الباقون بالفتح فنعما هي ساكنة العين أبو عمرو والمفضل

عبد الجليل بن حميد اليحصبي ان ابن شهاب حدثه قال ثني أبو أمامة بن سهل بن حنيف في الآية التي قال الله عز وجل ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال هو الجعرور ولون حبيق فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يؤخذ في الصدقة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال كانوا يتصدقون يعني من النخل بحشفه وشراره فنهوا عن ذلك وأمروا أن يتصدقوا بطيبه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم الى قوله واعلموا أن الله غني حميد ذكر لنا أن الرجل كان يكون له الحائطان على عهد نبي الله صلى الله عليه وسلم فيعمد الى أردئهما تمرا فيتصدق به ويخلط فيه من الحشف فعاب الله ذلك عليهم ونهاهم عنه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال تعمد الى رذالة مالك فتصدق به ولست بآخذه الا أن تغمض فيه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن يزيد بن ابراهيم عن الحسن قال كان الرجل يتصدق برذالة ماله فنزلت ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون حدثنا المثنى قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرنا عبد الله بن كثير انه سمع مجاهدا يقول ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال في الاقناء التي تعلق فرأى فيها حشفا فقال ما هذا قال ابن جريج سمعت عطاء يقول علق انسان حشفا في الاقناء التي تعلق بالمدينة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا بئسما علق هذا فنزلت ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وقال آخرون معنى ذلك ولا تيمموا الخبيث من الحرام فيه تنفقون وتدعوا أن تنفقوا الحلال الطيب ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وسألته عن قول الله عز وجل ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال الخبيث الحرام لا تتيممه تنفق منه فان الله عز وجل لا يقبله وتأويل الآية هو التأويل الذي حكيناه عمن حكينا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واتفاق أهل التأويل في ذلك دون الذي قاله ابن زيد القول في تأويل قوله (ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه) يعني بذلك جل ثناؤه ولستم بآخذي الخبيث في حقوقكم والهاء في قوله بآخذيه من ذكر الخبيث الا أن تغمضوا فيه يعني الا أن تتجافوا في أخذكم اياه عن بعض الواجب لكم من حقكم فترخصوا فيه لانفسكم يقال منه أغمض فلان لفلان عن بعض حقه فهو يغمض ومن ذلك قول الطرماح بن حكيم

لم يفتنا بالوتر قوم وللضيم رجال يرضون بالاغماض

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك ولستم بآخذي الردي من غرمائكم في واجب حقوقكم قبلهم الا عن اغماض منكم لهم في الواجب لكم عليهم ذكر من قال ذلك حدثنا عصام ابن رواد قال ثنا أبي قال ثنا أبو بكر الهذلي عن محمد بن سيرين عن عبيدة قال سألت عليا عنه فقال ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه يقول ولا يأخذ أحدكم هذا الردي حتى يهضم له حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن السدي عن أبي مالك عن البراء بن عازب ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه يقول لو كان لرجل على رجل فأعطاه ذلك لم يأخذه الا أن يرى أنه قد نقصه من حقه حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه يقول لو كان لكم على أحد حق فجاءكم بحق دون حقكم لم تأخذوا بحساب الجيد حتى تنقصوه فذلك قوله الا أن تغمضوا فيه فكيف ترضون لي ما لا ترضون لانفسكم وحقي عليكم من أطيب أموالكم

وأنفسها وهو قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه قال لا تأخذونه من غرمائكم ولا في بيوعكم الا بزيادة على الطيب في الكيل حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثنا أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه وذلك أن رجالا كانوا يعطون زكاة أموالهم من التمر فكانوا يعطون الحشف في الزكاة فقال لو كان بعضهم يطلب بعضا ثم قضاه لم يأخذه الا أن يرى أنه قد أغمض عنه حقه حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه يقول لو كان لك على رجل دين فقضاك أردأ مما كان لك عليه هل كنت تأخذ ذلك منه الا وأنت له كاره حدثني يحيى بن أبي طالب قال ثنا يزيد قال ثنا جويبر عن الضحاك في قوله يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم الى قوله الا أن تغمضوا فيه قال كانوا حين أمر الله أن يؤدوا الزكاة يجيء الرجل من المنافقين بأردإ طعام له من تمر وغيره فكره الله ذلك وقال أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض يقول ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه يقول لم يكن رجل منكم له حق على رجل فيعطيه دون حقه فيأخذه الا وهو يعلم أنه قد نقصه فلا ترضوا لي ما لا ترضون لانفسكم فيأخذ شيأ وهو مغمض عليه أنقص من حقه وقال آخرون معنى ذلك ولستم بآخذي هذا الردىء الخبيث اذا اشتريتموه من أهله بسعر الجيد الا باغماض منهم لكم في ثمنه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن عمران بن حدير عن الحسن ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه قال لو وجدتموه في السوق يباع ما أخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه يقول لستم بآخذي هذا الردىء بسعر هذا الطيب الا أن يغمض لكم فيه * وقال آخرون معناه ولستم بآخذي هذا الردىء الخبيث لو أهدي لكم الا أن تغمضوا فيه فتأخذوه وأنتم له كارهون على استحياء منكم ممن أهداه لكم ذكر من قال ذلك حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي قال ثنا أبي عن أسباط عن السدي عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه قال لو أهدي لكم ما قبلتموه الا على استحياء من صاحبه أنه بعث اليك بما لم يكن له فيه حاجة حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط قال زعم السدي عن عدي بن ثابت عن البراء نحوه الا أنه قال الا على استحياء من صاحبه وغيظا أنه بعث اليك بما لم يكن له فيه حاجة * وقال آخرون معنى ذلك ولستم بآخذي هذا الردىء من حقكم الا أن تغمضوا من حقكم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن ابن معقل ولستم بآخذيه يقول ولستم بآخذيه من حق هو لكم الا أن تغمضوا فيه يقول أغمض لك من حقي * وقال آخرون معنى ذلك ولستم بآخذي الحرام الا أن تغمضوا على ما فيه من الاثم عليكم في أخذه ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال ثنا ابن وهب قال قال ابن زيد وسألته عن قوله ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه قال يقول لست آخذا ذلك الحرام حتى تغمض على ما فيه من الاثم قال وفي كلام العرب أما والله لقد أخذه ولقد أغمض على ما فيه وهو يعلم أنه حرام باطل * والذي هو أولى بتأويل ذلك عندنا أن يقال ان الله عز وجل حث عباده على الصدقة وأداء الزكاة من أموالهم وفرضها عليهم فيها فصار ما فرض من ذلك في

يسيماهم بالامالة حمزة وعلي وابن شاذان عن خلاد مخيرا وقرأ أبو عمرو بالامالة اللطيفة وكذلك كل كلمة على ميزان فعلى * الوقوف من الارض ز لعطف المتفقين تغمضوا فيه ط حميد ه بالفحشاء ج وان اتفقت الجملتان ولكن للفصل بين تخويف الشيطان الكاذب ووعد الله الحق الصادق فضلا ط عليم ه وقد يوصل على جعل ما بعده صفة من يشاء ج لابتداء الشرط مع العطف ومن قرأ ومن يؤت الحكمة بالكسر فالوصل أجوز كثيرا ط الالباب ه يعلمه ط أنصار ه فنعما هي ج خير لكم ط لمن قرأ ونكفر مرفوعا بالنون أو الياء على الاستئناف ومن جزم بالعطف على موضع فهو خير لكم لم يقف سيئاتكم ط خبير ه من يشاء ط لابتداء الشرط فلانفسكم ط لابتداء النفي وجه الله ط لا تظلمون ه في الارض ز لان يحسبهم وان صلحت حالا بعد حال نظما ولكن لا يليق بحال من أحصر التعفف ز لان تعرفهم يصلح استئنافا والحال أوجه أي يحسبهم الجاهل أغنياء وأنت تعرفهم بحقيقة ما في بطونهم من الضر وهم لا يسألون الناس على الحال وقد يجعل لا يسألون استئنافا فيجوز الوقف على بسيماهم الحافا ط عليم ه عند ربهم ج يحزنون ه * التفسير لما رغب في الانفاق وذكر أن منه ما يتبعه المن والاذى ومنه ما لا يتبعه ذلك وشرح ما يتعلق بكل من القسمين وضرب لكل واحد مثلا ذكر بعد ذلك أن المال الذي أمر بانفاقه في سبيل الله كيف يجب أن يكون فقال أنفقوا من طيبات

ما كسبتم ومما أخرجنا أي من طيبات ما أخرجنا فحذف لدلالة الاول عليه عن الحسن أن المراد من هذا الانفاق الفرض بناء على أن ظاهر الامر للوجوب والانفاق الواجب ليس الا الزكاة وسائر النفقات الواجبة وقيل التطوع لما روى عن علي والحسن ومجاهد أن بعض الناس كانوا يتصدقون بشرار ثمارهم ورذالة أموالهم (٥٨) فانزل الله هذه الآية وعن ابن عباس جاء رجل ذات يوم بعذق حشف فوضعه في الصدقة لاهل الصفة على حبل بين اسطوانتين في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بئسما صنع صاحب هذا فنزلت وقيل يشمل الفرض والنفل لان المفهوم من الامر ترجيح جانب الفعل على الترك فقط ويتفرع على قول الوجوب وجوب الزكاة في كل مال يكسبه الانسان فيشمل زكاة التجارة وزكاة الذهب والفضة وزكاة النعم وزكاة كل ما ينبت من الارض الا أن العلماء خصصوها بالاقوات لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال الصدقة في أربعة في التمر والزبيب والحنطة والشعير وليس فيما سواها صدقة فهذا الخبر ينفي الزكاة في غير الاربعة لكن ثبت أخذ الزكاة من الذرة وغيرها بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلم وجوب الزكاة في الاقوات دون غيرها ولا يكفي في وجوب الزكاة كون الشئ مقتاتا على الاطلاق بل المعتبر حالة الاختيار لا وقت الضرورة ومثله الشافعي بالقت وحب الحنظل وسائر البذور البرية وشبهها ببقرة الوحش لا زكاة فيها لان الناس لا يتعهدونها وأيضا لا تجب الزكاة في القوت ما لم يبلغ خمسة أوسق وبه قال مالك وأحمد لرواية أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة وقال أبو حنيفة يجب العشر في القليل والكثير استدلالا بعموم الآية وتفصيل الكلام في الاموال الزكوية وكيفية اخراجها ونصاب كل منها مشهور

أموالهم حقا لاهل سهمان الصدقة ثم أمرهم تعالى ذكره أن يخرجوا من الطيب وهو الجيد من أموالهم الطيب وذلك أن أهل السهمان شركاء أرباب الاموال في أموالهم بما وجب لهم فيها من الصدقة بعد وجوبها فلا شك أن كل شريكين في مال فلكل واحد منهما بقدر ملكه وليس لاحدهما منع شريكه من حقه من الملك الذي هو فيه شريكه باعطائه بمقدار حقه منه من غيره مما هو أردأ منه أو أخس فكذلك المزكي ماله حرم الله عليه أن يعطي أهل السهمان مما وجب لهم في ماله من الطيب الجيد من الحق فصاروا فيه شركاء من الخبيث الردئ غيره ويمنعهم ما هو لهم من حقوقهم في الطيب من ماله الجيد كما لو كان مال رب المال رديئا كله غير جيد فوجبت فيه الزكاة وصار أهل سهمان الصدقة فيه شركاء بما أوجب الله لهم فيه لم يكن عليه أن يعطيهم الطيب الجيد من غير ماله الذي منه حقهم فقال تبارك وتعالى لارباب الاموال زكوا من جيد أموالكم الجيد ولا تيمموا الخبيث الردئ تعطونه أهل سهمان الصدقة وتمنعونهم الواجب لهم من الجيد الطيب في أموالكم ولستم بآخذي الردئ لانفسكم مكان الجيد الواجب لكم قبل من وجب لكم عليه ذلك من شركائكم وغرمائكم وغيرهم الا عن اغماض منكم وهضم لهم وكراهة منكم لاخذه يقول ولا تأتوا من الفعل الى من وجب له في أموالكم حق ما لا ترضون من غيركم أن يأتيه اليكم في حقوقكم الواجبة لكم في أموالهم فأما اذا تطوع الرجل بصدقة غير مفروضة فاني وان كرهت له أن يعطي فيها الا أجود ماله وأطيبه لان الله عز وجل أحق من تقرب اليه باكرم الاموال وأطيبها والصدقة قربان المؤمن فلست أحرم عليه أن يعطي فيها غير الجيد لان ما دون الجيد ربما كان أعم نفعا لكثرته أو لعظم خطره وأحسن موقعا من المسكين وممن أعطيه قربة الى الله عز وجل من الجيد لقلته أو لصغر خطره وقلة جدوى نفعه على من أعطيه وبمثل ما قلنا في ذلك قال جماعة أهل العلم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الملك ابن أبي الشوارب قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سلمة بن علقمة عن محمد بن سيرين قال سألت عبيدة عن هذه الآية يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه قال ذلك في الزكاة الدرهم الزائف أحب الي من التمرة حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا سلمة بن علقمة عن محمد بن سيرين قال سألت عبيدة عن ذلك فقال انما ذلك في الزكاة والدرهم الزائف أحب الي من التمرة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن هشام عن ابن سيرين قال سألت عبيدة عن هذه الآية يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه فقال عبيدة انما هذا في الواجب ولا بأس أن يتطوع الرجل بالتمرة والدرهم الزائف خير من التمرة حدثني أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن هشام عن ابن سيرين في قوله ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال انما هذا في الزكاة المفروضة فاما التطوع فلا بأس أن يتصدق الرجل بالدرهم الزائف والدرهم الزائف خير من التمرة ﴿القول في تأويل قوله (واعلموا أن الله غني حميد)﴾ يعني بذلك جل ثناؤه واعلموا أيها الناس أن الله عز وجل غني عن صدقاتكم وعن غيرها وانما أمركم بها وفرضها في أموالكم رحمة منه لكم ليغني بها عائلكم ويقوي بها ضعيفكم ويجزل لكم عليها في الآخرة مثوبتكم لا من حاجة به فيها اليكم ويعني بقوله حميد انه محمود عند خلقه بما أولاهم من نعمه وبسط لهم من فضله كما حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي قال ثنا أبي عن أسباط عن السدي

عن

مذكور في الفروع فلذلك ولطولها لم نشرع فيها وما المراد بالطيب في الآية قيل الجيد فيكون المراد بالخبيث الردىء لما مر في سبب النزول انهم كانوا يتصدقون برذاله أموالهم فنهوا عن ذلك ولان المحرم لا يجوز أخذه بالاغماض وبغيره والآية دلت على جواز أخذ الخبيث بالاغماض وعن ابن مسعود ومجاهد أن الطيب هو الحلال والخبيث هو الحرام والمراد من الاغماض هو المسامحة وترك الاستقصاء والمعنى

عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب في قوله والله غني حميد عن صدقاتكم ۞ القول في تأويل قوله ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا﴾ يعني بذلك تعالى ذكره الشيطان يعدكم أيها الناس بالصدقة وأدائكم الزكاة الواجبة عليكم في أموالكم أن تفتقروا ويأمركم بالفحشاء يعني ويأمركم بمعاصي الله عز وجل وترك طاعته والله يعدكم مغفرة منه يعني ان الله عز وجل يعدكم أيها المؤمنون أن يستر عليكم فحشاءكم بصفحه لكم عن عقوبتكم عليها فيغفر لكم ذنوبكم بالصدقة التي تتصدقون وفضلا يعني ويعدكم أن يخلف عليكم من صدقتكم فيتفضل عليكم من عطاياه ويسبغ عليكم في أرزاقكم كما حدثنا محمد بن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس قال اثنان من الله واثنان من الشيطان الشيطان يعدكم الفقر يقول لا تنفق مالك وأمسكه عليك فانك تحتاج اليه ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه على هذه المعاصي وفضلا في الرزق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا يقول مغفرة لفحشائكم وفضلا لفقركم حدثنا هناد قال ثنا أبو الاحوص عن عطاء بن السائب عن مرة عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للشيطان لمة من ابن آدم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله وليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير ابن سليمان قال ثنا عمرو عن عطاء بن السائب عن مرة عن عبد الله قال ان للانسان من الملك لمة ومن الشيطان لمة فاللمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق واللمة من الشيطان ايعاد بالشر وتكذيب بالحق وتلا عبد الله الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا قال عمرو وسمعنا في هذا الحديث أنه كان يقال اذا أحس أحدكم من لمة الملك شيأ فليحمد الله وليسأله من فضله واذا أحس من لمة الشيطان شيأ فليستغفر الله وليتعوذ من الشيطان حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا عطاء بن السائب عن أبي الاحوص أو عن مرة قال قال عبد الله ألا إن للملك لمة وللشيطان لمة فلمة الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق ولمة الشيطان ايعاد بالشر وتكذيب بالحق وذلكم بان الله يقول الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم فاذا وجدتم من هذه شيأ فاحمدوا الله عليه واذا وجدتم من هذه شيأ فتعوذوا بالله من الشيطان حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن مسعود في قوله الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء قال ان للملك لمة وللشيطان لمة فلمة الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجدها فليحمد الله ولمة الشيطان ايعاد بالشر وتكذيب بالحق فمن وجدها فليستعذ بالله حدثني المثنى بن ابراهيم قال ثنا حجاج بن المنهال قال ثنا حماد بن سلمة قال أخبرنا عطاء بن السائب عن مرة الهمداني أن ابن مسعود قال ان للملك لمة وللشيطان لمة فلمة الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق ولمة الشيطان ايعاد بالشر وتكذيب بالحق فمن أحس من لمة الملك شيأ فليحمد الله عليه ومن أحس من لمة الشيطان شيأ فليتعوذ بالله منه ثم تلا هذه الآية الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن فطر عن المسيب بن رافع عن عامر بن عبدة عن

واستم بآخذيه وأنتم تعلمون أنه محرم الا أن ترخصوا لانفسكم أخذ الحرام ولا تبالوا من أي وجه أخذتم المال من حلاله أو من حرامه ويحتمل أن يراد ما يكون طيبا من جميع الوجوه فيكون طيبا بمعنى الحلال وبمعنى الجودة أيضا لان الاستطابة قد تكون شرعا وقد تكون عقلا واعلم أن المال الزكوي ان كان كله شريفا وجب أن يكون المأخوذ منه كذلك وان كان الكل خسيسا فلا يكلف صاحبه فوق طاقته ولا يكون خلافا للآية لان المأخوذ في هذه الحال لا يكون خبيثا من ذلك المال وانما الكلام فيما لو كان في المال جيد ورديء فحينئذ يقال للانسان لا تجعل الزكاة من رديء مالك ولا تكلف أيضا جيده لقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه الى اليمن أعلمهم أن عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم واياك وكرائم أموالهم بل الواجب حينئذ هو الوسط ثم ان قلنا المراد من الانفاق في الآية التطوع أو هو والفرض جميعا فالمعنى ان الله تعالى ندبهم الى أن يتقربوا اليه بافضل ما يملكونه قضاء لحقوق التعظيم والاخلاص ومعنى لا تيمموا الخبيث لا تقصدوه يقال تيممته وتأممته كله بمعنى قصدته ومحل تنفقون نصب على الحال وقدم منه عليه ليعلم أن المنهي عنه هو تخصيص الخبيث بالانفاق منه اي اذا كان في المال طيب وخبيث ويحتمل أن يتم الكلام عند قوله ولا تيمموا الخبيث ثم ابتدأ مستفهما بطريق الانكار فقال منه تنفقون وحالكم أنكم

عبد الله بنحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن مرة بن شراحيل عن عبد الله بن مسعود قال ان للشيطان لمة وللملك لمة فأما لمة الشيطان فتكذيب بالحق وايعاد بالشر وأما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله وليحمد الله عليه ومن وجد الاخرى فليستعذ من الشيطان ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا * القول في تأويل قوله ﴿ والله واسع عليم ﴾ يعني تعالى ذكره والله واسع الفضل الذي يعدكم أن يعطيكموه من فضله وسعة خزائنه عليم بنفقاتكم وصدقاتكم التي تنفقون وتصدقون بها يحصيها لكم حتى يجازيكم بها عند مقدمكم عليه في آخرتكم * القول في تأويل قوله ﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ﴾ يعني بذلك جل ثناؤه يؤتي الله الاصابة في القول والفعل من يشاء من عباده ومن يؤت الاصابة في ذلك منهم فقد أوتي خيرا كثيرا

واختلف أهل التأويل في ذلك فقال بعضهم الحكمة التي ذكرها الله في هذا الموضع هي القرآن والفقه به ذكر من قال ذلك حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا يعني المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله يؤتي الحكمة من يشاء قال الحكمة القرآن والفقه في القرآن حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا والحكمة الفقه في القرآن حدثنا محمد بن عبد الله الهلالي قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا مهدي بن ميمون قال ثنا شعيب بن الحبحاب عن أبي العالية ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا قال الكتاب والفهم فيه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد قوله يؤتي الحكمة من يشاء الآية قال ليست بالنبوة ولكنه القرآن والعلم والفقه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس الفقه في القرآن * وقال آخرون معنى الحكمة الاصابة في القول والفعل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح قال سمعت مجاهدا قال ومن يؤت الحكمة قال الاصابة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل يؤتي الحكمة من يشاء قال يؤتي الاصابة من يشاء حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يؤتي الحكمة من يشاء قال الكتاب يؤتي اصابته من يشاء * وقال آخرون هو العلم بالدين ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد يؤتي الحكمة من يشاء العقل في الدين وقرأ ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الحكمة العقل حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قلت لمالك وما الحكمة قال المعرفة بالدين والفقه فيه والاتباع له * وقال آخرون الحكمة الفهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي قال ثنا سفيان عن أبي حمزة عن ابراهيم قال الحكمة هي الفهم * وقال آخرون هي الخشية ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة الآية قال الحكمة الخشية لان رأس كل شئ خشية الله وقرأ انما يخشى الله من عباده العلماء * وقال آخرون هي النبوة ذكر من قال ذلك حدثني موسى

لا تأخذونه في حق وقكم الا بالاغماض وهو غض البصر والطباق جفن على جفن وأصله من الغموض وهو الخفاء يقال البائع أغمض أي لا تستقص كأنك لا تبصر وأصله ان الانسان اذا رأى ما يكره أغمض عينيه كيلا يرى ذلك فكثر حتى جعل كل مساهلة اغماضا أي لو أهدي لكم مثل هذه الاشياء لما أخذتموها الا على استحياء واغماض فكيف ترضون لي ما لا ترضونه لانفسكم ويحتمل أن يراد الا اذا أغمضتم بصر البائع أي كلفتموه الحط من الثمن عن الحسن لو وجدتموه في السوق يباع ما أخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه واعلموا أن الله غني عن صدقاتكم حميد محمود على ما أنعم من البيان والتكليف بما تحوزون به النعيم الابدي أو حامد شاكر على انفاقكم كقوله فأولئك كان سعيهم مشكورا ثم ان الله تعالى لما رغب في أجود ما يملكه الانسان أن ينفق حذر عن وسوسة الشيطان فقال الشيطان يعدكم الفقر أما الشيطان فيشمل إبليس وجنوده وشياطين الانس والنفس الامارة بالسوء والوعد يستعمل في الخير والشر قال تعالى النار وعدها الله الذين كفروا ويمكن أن يكون استعماله في الشر محمولا على التهكم مثل فبشرهم بعذاب أليم وأصل الفقر في اللغة كسر الفقار وقرئ الفقر بضمتين والفقر بفتحتين ويأمركم بالفحشاء يغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر للمأمور والفاحش عند العرب البخيل والتحقيق أن لكل خلق طرفين ووسطا فالطرف الكامل للانفاق هو أن يبذل كل ماله في سبيل الله والطرف الاخس أن لا ينفق شيأ لا الجيد ولا الردىء والوسط أن يبخل بالجيد قال وينفق الردىء فالشيطان اذا أراد نقله من الافضل الى الاخس فمن خفي حيلته أن يجره الى الوسط وهو وعده بالفقر ثم الى الطرف وهو أمره بالفحشاء وذلك أن البخل صفة مذمومة عند كل أحد فلا يمكنه أن يجره ابتداء اليها الا بتقديم مقدمة هي التخويف بالفقر اذا أنفق الجيد من

ماله فاذا أطاعه زاد فمنعه من الانفاق بالكلية وربما تدرج الى أن يمنع الحقوق الواجبة فلا يؤدى الزكاة ولا يصل الرحم ولا يرد الوديعة فاذا صار هكذا ذهب وقع الذنوب عن قلبه ويتسع الخرق فيقدم على المعاصي كلها ثم لما ذكر درجات وسوسة الشيطان أردفها بذكر الهامات الرحمن فقال والله يعدكم مغفرة منه وفضلا فالمغفرة اشارة الى منافع الآخرة والفضل اشارة الى ما يحصل في الدنيا من الخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الملك ينادي كل ليلة اللهم أعط منفقا خلفا وممسكا تلفا فالشيطان يعدكم الفقر في غد الدنيا والرحمن يعدكم المغفرة في غد العقبى ووعد الرحمن بالقبول أولى لان الوصول الى غد الدنيا مشكوك فيه وغد العقبى مقطوع به وعلى تقدير وجدان غد الدنيا فقد لا يبقى المال بآفة أخرى وعند وجدان العقبى لابد من حصول المغفرة فان الله تعالى لا يخلف المعاد ولو فرض بقاء المال فقد لا يتمكن صاحبه من الانتفاع به لخوف أو مرض أو مهم بخلاف الانتفاع بما في الآخرة فانه لا مانع منه وبتقدير التمكن من الانتفاع بالمال فان ذلك ينقطع ويزول بخلاف الموعود في الآخرة فانه باق لا يزول وأيضا لذات الدنيا مشوبة بالآلام والمضار البتة فلا لذة الا وفيها ألم من وجوه كثيرة بخلاف لذات الآخرة فانه لا نغص فيها ولا نقص والمراد بالمغفرة تكفير الذنوب والتنكير فيه للدلالة على الكمال والتعظيم لاسيما وقد قرن به لفظة منه فان غاية كرمه ونهاية جوده مما يعجز عن ادراكهما عقول الخلائق ويحتمل أن يكون نوعا من المغفرة وهو المشار اليه في آية أخرى فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات أو أن يجعل شفيعا في غفران ذنوب اخوانه المؤمنين وأما الفضل فيحتمل أن يراد به الفضيلة الحاصلة للنفس وهي ملكة الجود والسخاء وذلك أن المال فضيلة خارجية وعدمه نقصان خارجي وملكة الجود فضيلة نفسانية وملكة البخل رذيلة نفسانية فمتى لم يحصل الانفاق حصل الكمال الخارجي والنقصان الداخلي

قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قوله يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة الآية قال الحكمة هي النبوة وقد بينا فيما مضى معنى الحكمة وأنها مأخوذة من الحكم وفصل القضاء وانها الاصابة بما دل على صحته فأغنى ذلك عن تكريره في هذا الموضع فاذا كان ذلك كذلك معناه كان جميع الاقوال التي قالها القائلون الذين ذكرنا قولهم في ذلك داخلا فيما قلنا من ذلك لان الاصابة في الامور انما تكون عن فهم بها وعلم ومعرفة واذا كان ذلك كذلك كان المصيب عن فهم منه بمواضع الصواب في أموره فهما خاشيا لله فقيها عالما وكانت النبوة من أقسامه لان الانبياء مسددون مفهمون وموفقون لاصابة الصواب في الامور والنبوة بعض معاني الحكمة فتأويل الكلام يؤتي الله اصابة الصواب في القول والفعل من يشاء ومن يؤته الله ذلك فقد آتاه خيرا كثيرا ۞ القول في تأويل قوله ﴿ وما يذكر الا أولو الألباب ﴾ يعني بذلك جل ثناؤه وما يتعظ بما وعظ به ربه في هذه الآيات التي وعظ فيها المنفقين أموالهم بما وعظ به غيرهم فيها وفي غيرها من آي كتابه فيذكر وعده ووعيده فيها فينزجر عما زجره عنه ربه ويطيعه فيما أمره به الا أولوا الالباب يعني الا أولو العقول الذين عقلوا عن الله عز وجل أمره ونهيه فأخبر جل ثناؤه أن المواعظ غير نافعة الا أولي الحجا والحلوم وأن الذكرى غير ناهية الا أهل النهى والعقول * القول في تأويل قوله ﴿ وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه وما للظالمين من أنصار ﴾ يعني بذلك جل ثناؤه وأي نفقة أنفقتم يعني أي صدقة تصدقتم أو أي نذر نذرتم يعني بالنذر ما أوجبه المرء على نفسه تبررا في طاعة الله وتقربا به اليه من صدقة أو عمل خير فان الله يعلمه أي ان جميع ذلك بعلم الله لا يعزب عنه منه شئ ولا يخفى عليه منه قليل ولا كثير ولكنه يحصيه أيها الناس عليكم حتى يجازيكم جميعكم على جميع ذلك فمن كانت نفقته منكم وصدقته ونذره ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من نفسه جازاه بالذي وعده من التضعيف ومن كانت نفقته وصدقته رياء الناس ونذوره للشيطان جازاه بالذي أوعده من العقاب وأليم العذاب كالذي حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه ويحصيه حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله ثم أوعد جل ثناؤه من كانت نفقته رياء ونذوره طاعة للشيطان فقال وما للظالمين من أنصار يعني وما لمن أنفق ماله رياء الناس وفي معصية الله وكانت نذوره للشيطان وفي طاعته من أنصار وهم جمع نصير كالأشراف جمع شريف ويعني بقوله من أنصار من ينصرهم من الله يوم القيامة فيدفع عنهم عقابه يومئذ بقوة وشدة بطش ولا بفدية وقد دللنا على أن الظالم هو الواضع للشئ في غير موضعه وانما سمى الله المنفق رياء الناس والناذر في غير طاعته ظالما لوضعه انفاق ماله في غير موضعه ونذره في غير ماله وضعه فيه فكان ذلك ظلمه فان قال لنا قائل فكيف قال فان الله يعلمه ولم يقل يعلمهما وقد ذكر النذر والنفقة قيل انما قال فان الله يعلمه لانه أراد فان الله يعلم ما أنفقتم أو نذرتم فلذلك وحد الكناية * القول في تأويل قوله ﴿ ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ﴾ يعني بقوله جل ثناؤه ان تبدوا الصدقات ان تعلنوا الصدقات فتعطوها من تصدقتم بها عليه فنعما هي يقول فنعم الشئ هي وان تخفوها يقول وان تستروها فلن تعلنوها وتؤتوها الفقراء يعني وتعطوها الفقراء في السر فهو خير لكم يقول فاخفاؤكم اياها خير لكم من اعلانها وذلك في صدقة التطوع كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء

فهو خير لكم كل مقبول اذا كانت النية صادقة وصدقة السر أفضل وذكر لنا أن الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم قال كل مقبول اذا كانت النية صادقة والصدقة في السر أفضل وكان يقول ان الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم فجعل الله صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفا وجعل صدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها يقال بخمسة وعشرين ضعفا وكذلك جميع الفرائض والنوافل في الاشياء كلها حدثني عبد الله بن محمد الحنفي قال ثنا عبد الله بن عثمان قال ثنا عبد الله بن المبارك قال سمعت سفيان يقول في قوله ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم قال يقول هو سوى الزكاة * وقال آخرون انما عنى الله عز وجل بقوله ان تبدوا الصدقات فنعما هي ان تبدوا الصدقات على أهل الكتابين من اليهود والنصارى فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها فقراءهم فهو خير لكم قالوا وأما ما أعطى فقراء المسلمين من زكاة وصدقة تطوع فاخفاؤه أفضل من علانيته ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني عبد الرحمن بن شريح أنه سمع يزيد بن أبي حبيب يقول انما نزلت هذه الآية ان تبدوا الصدقات فنعما هي في الصدقة على اليهود والنصارى حدثني عبد الله بن محمد الحنفي قال أخبرنا عبد الله بن عثمان قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرنا ابن لهيعة قال كان يزيد بن أبي حبيب يأمر بقسم الزكاة في السر قال عبد الله أحب أن تعطى في العلانية يعني الزكاة ولم يخصص الله من قوله ان تبدوا الصدقات فنعما هي فذلك على العموم الا ما كان من زكاة واجبة فان الواجب من الفرائض قد أجمع الجميع على أن الفضل في اعلانه واظهاره سوى الزكاة التي ذكرنا اختلاف المختلفين فيها مع اجماع جميعهم على انها واجبة فحكمها في أن الفضل في أدائها علانية حكم سائر الفرائض غيرها * القول في تأويل قوله (ويكفر عنكم من سيآتكم) اختلف القراء في قراءة ذلك فروى عن ابن عباس انه كان يقرؤه وتكفر عنكم بالتاء ومن قرأه كذلك فانه يعني به وتكفر الصدقات عنكم من سيآتكم وقرأ آخرون ويكفر عنكم بالياء بمعنى ويكفر الله عنكم بصدقاتكم على ما ذكر في الآية من سيآتكم وقرأ ذلك بعد عامة قراء أهل المدينة والكوفة والبصرة ونكفر عنكم بالنون وجزم الحرف يعني وان تخفوها وتؤتوها الفقراء نكفر عنكم من سيئاتكم بمعنى مجازاة الله عز وجل مخفي الصدقة بتكفير بعض سيآته بصدقته التي أخفاها وأولى القراآت في ذلك عندنا بالصواب قراءة من قرأ ونكفر عنكم بالنون وجزم الحرف على معنى الخبر من الله عن نفسه انه يجازي المخفي صدقته من التطوع ابتغاء وجهه من صدقته بتكفير سيآته واذا قرئ كذلك فهو مجزوم على موضع الفاء في قوله فهو خير لكم لان الفاء هنالك حلت محل جواب الجزاء فان قال لنا قائل وكيف اخترت الجزم على النسق على موضع الفاء وتركت اختيار نسقه على ما بعد الفاء وقد علمت ان الافصح من الكلام في النسق على جواب الجزاء الرفع وانما الجزم تجويز قيل اخترنا ذلك ليؤذن بجزمه ان التكفير أعني تكفير الله من سيئات المصدق لا محالة داخل فيما وعد الله المصدق أن يجازيه به على صدقته لان ذلك اذا جزم مؤذن بما قلنا لا محالة ولو رفع كان قد يحتمل أن يكون داخلا فيما وعده الله أن يجازيه به وأن يكون خبرا

واذا حصل الانفاق وجد الكمال الداخلي والنقصان الخارجي فيكون الانفاق أولى وأفضل وأيضا متى حصلت ملكة الانفاق زالت عن النفس هيئة الاشتغال بنعيم الدنيا والتهالك في طلبها فاستنارت بالانوار القدسية وهذا هو الفضل وأيضا مهما عرف من الانسان أنه منفق كانت الهمم معقودة على أن يفتح الله عليه أبواب الرزق ولمثل ذلك من التأثير ما لا يخفى والله واسع كامل العطاء كافل للخلف قادر على انجاز ما وعد عليم بحال من نفق ثقة بوعده وبحال من لم ينفق طاعة للشيطان ثم نبه على الامر الذي لاجله يحصل ترجيح وعد الرحمن على وعد الشيطان وهو الحكمة والعقل فان وعد الشيطان انما تحبه الشهوة والنفس عن مقاتل ان تفسير الحكمة في القرآن على أربعة أوجه أحدها مواعظ القرآن وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به وثانيها الحكمة بمعنى الفهم وآتيناه الحكم صبيا ولقد آتينا لقمان الحكمة وثالثها الحكمة بمعنى النبوة وآتاه الله الملك والحكمة * ورابعها القرآن بما فيه من الاسرار يؤتي من الحكمة من يشاء وجميع هذه الوجوه عند التحقيق ترجع الى العلم فتامل يا مسكين شرف العلم فان الله تعالى سماه الخير الكثير ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا والتنكير للتعظيم وسمى الدنيا باسرها قليلا قل متاع الدنيا قليل وذلك ان الدنيا متناهية العدد متناهية المقدار متناهية المدة والعلوم لا نهاية لمراتبها وعددها ومدة بقائها والسعادات الحاصلة منها واعلم أن كمال الانسان في شيئين أن يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به فمرجع الاول الى العلم والادراك المطلق ومرجع الثاني مستأنفا الى فعل العدل والصواب ولذلك سأل ابراهيم صلى الله عليه وسلم رب هب لي حكما وهو الحكمة النظرية وألحقني بالصالحين وهو الحكمة العملية ونودي موسى عليه السلام اني أنا الله لا اله الا أنا وهو الحكمة النظرية ثم قال فاعبدني وهو العملية وحكى عن عيسى عليه السلام انه قال اني

عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت وكلها النظرية وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا وجميعها العملية وقال فى حق محمد صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه لا اله الا الله وهو النظرية ثم قال واستغفر لذنبك وهو العملية وقال فى حق جميع الانبياء ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا اله الا أنا وانه (٦٣) الحكمة العلمية ثم قال فاتقون وهو الحكمة العملية فعلم من هذه الآيات وأمثالها أن كمال حال الانسان فى هاتين القوتين والحكمة فعلة من الحكم كالنحلة من النحل ورجل حكيم اذا كان ذا تجاولب واصابة رأى فعيل بمعنى فاعل ويجى بمعنى مفعول فيها يفرق كل أمر حكيم أى محكم وفى الآية دليل على أن جميع العلوم النظرية والاخلاق المرضية انما هى بايتاء الله تعالى والذين حملوا الايتاء على التوفيق والاعانة كالمعتزلة مازادوا الا أن وسعوا الدائرة اذ لا بد من الانتهاء اليه أية سلكوا ومايذكر الا أولوا الالباب الذين اذا حصل لهم الحكم والمعارف لم يقفوا عند المسببات فلم ينسبوا هذه الاحوال الى أنفسهم بل يوقون الى أسبابها حتى يصلوا الى السبب الاول وأما المعتزلة فانهم لما فسروا الحكمة بقوة الفهم ووضع الدلائل قالوا هذه الحكمة لا تفيد بنفسها وانما ينتفع بها المرء اذا تدبر وتذكر فعرف ماله وماعليه وعند ذلك يقدم أو يحجم ثم انه تعالى نبه على انه عالم بما فى قلب العبد من نية الاخلاص أو الرياء وانه يعلم القدر المستحق من الثواب والعقاب على تلك الدواعى والنيات فلا يهمل شيأ منها فقال وما أنفقتم من نفقة لله أو للشيطان أو نذرتم من نذر فى طاعة الله أو معصيته فان الله يعلمه وتذكير الضمير اما لانه عائد الى ما واما لانه عائد الى الاخير كقوله ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا وهذا قول الاخفش والنذر ما يلتزمه الانسان بايجابه على نفسه وأصله من الخوف كانه يعقد على نفسه خوف التقصير فى الامر المهم عنده ومنه الانذار ابلاغ مع تخويف واعلم أن النذر قسمان

مستأنفا انه يكفر من سيئات عباده المؤمنين على غير المجازاة لهم بذلك على صدقاتهم لان ما بعد الفاء فى جواب الجزاء استئناف فالمعطوف على الخبر المستأنف فى حكم المعطوف عليه فى انه غير داخل فى الجزاء ولذلك من العلة اخترنا جزم نكفر عطفا به على موضع الفاء من قوله فهو خير لكم وقراءته بالنون فان قال قائل وما وجه دخول من فى قوله ونكفر عنكم من سيئاتكم قيل وجه دخولها فى ذلك بمعنى ونكفر عنكم من سيئاتكم ما نشاء تكفيره منها دون جميعها ليكون العباد على وجل من الله فلا يتكلوا على وعده ما وعد على الصدقات التى يخفيها المتصدق فيجترؤا على حدوده ومعاصيه وقال بعض نحويى البصرة معنى من الاسقاط من هذا الموضع ويتأول معنى ذلك ونكفر عنكم سيئاتكم ﴿ القول فى تأويل قوله (والله بما تعملون خبير) يعنى بذلك جل ثناؤه والله بما تعملون فى صدقاتكم من اخفائها واعلان واسرار بها واجهار وفى غير ذلك من أعمالكم خبير يعنى بذلك ذو خبرة وعلم لا يخفى عليه شئ من ذلك فهو بجميعه محيط ولكله محص على أهله حتى يوفيهم ثواب جميعه وجزاء قليله وكثيره ﴿ القول فى تأويل قوله عز وجل (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون) يعنى تعالى ذكره بذلك ليس عليك يا محمد هدى المشركين الى الاسلام فتمنعهم صدقة التطوع ولا تعطيهم منها ليدخلوا فى الاسلام حاجة منهم اليها ولكن الله هو يهدى من يشاء من خلقه الى الاسلام فيوفقهم له فلا تمنعهم الصدقة كما حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن شعبة قال كان النبى صلى الله عليه وسلم لا يتصدق على المشركين فنزلت وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله فتصدق عليهم حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو داود عن سفيان عن الاعمش عن جعفر بن اياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانوا لا يرضخون لقراباتهم من المشركين فنزلت ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن رجل عن سعيد ابن جبير قال كانوا يتقون أن يرضخوا لقراباتهم من المشركين حتى نزلت ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء حدثنا محمد بن بشار وأحمد بن اسحق قالا ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن الاعمش عن جعفر بن اياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانوا لا يرضخون لانسبائهم من المشركين فنزلت ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء فرخص لهم حدثنا المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن سفيان عن الاعمش عن جعفر بن اياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان أناس من الانصار لهم أنسباء وقرابة من قريظة والنضير وكانوا يتقون أن يتصدقوا عليهم ويريدونهم أن يسلموا فنزلت ليس عليك هداهم الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وذكر لنا أن رجالا من أصحاب نبى الله صلى الله عليه وسلم قالوا أنتصدق على من ليس من أهل ديننا فانزل الله فى ذلك القرآن ليس عليك هداهم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء قال كان الرجل من المسلمين اذا كان بينه وبين الرجل من المشركين قرابة وهو محتاج فلا يتصدق عليه يقول ليس من أهل دينى فانزل عز وجل الله ليس عليك هداهم الآية حدثنى محمد قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قوله ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم أما ليس عليك هداهم فيعنى المشركين وأما النفقة فبين أهلها حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا يعقوب القمى عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير قال (١) كانوا يتصدقون

(١) قوله كانوا يتصدقون كذا فى النسخ ولعله سقط بقية المتن وشئ من التفسير فحرر كتبه مصححه

كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون قال هو مردود عليك فمالك ولهذا تؤذيه وتمن عليه انما نفقتك لنفسك وابتغاء وجه الله والله يجزيك ﴿ القول في تأويل قوله (للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا) أما قوله للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله فبيان من الله عز وجل عن سبيل النفقة ووجهها ومعنى الكلام وما تنفقوا من خير فلانفسكم تنفقون للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله واللام التي في الفقراء مردودة على موضع اللام في فلانفسكم كأنه قال وما تنفقوا من خير يعني به وما تتصدقوا به من مال فللفقراء الذين أحصروا في سبيل الله فلما اعترض في الكلام بقوله فلانفسكم فادخل الفاء التي هي جواب الجزاء فيه تركت اعادتها في قوله للفقراء اذ كان الكلام مفهوما معناه كما حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قوله ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم أما ليس عليك هداهم فيعني المشركين وأما النفقة فبين أهلها فقال للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله وقيل ان هؤلاء الفقراء الذين ذكرهم الله في هذه الآية هم فقراء المهاجرين عامة دون غيرهم من الفقراء ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله مهاجري قريش بالمدينة مع النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالصدقة عليهم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه قوله للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله الآية قال هم فقراء المهاجرين بالمدينة حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله قال فقراء المهاجرين ﴿ القول في تأويل قوله عز وجل (الذين أحصروا في سبيل الله) يعني تعالى ذكره بذلك الذين جعلهم جهادهم عدوهم يحصرون أنفسهم فيحبسونها عن التصرف فلا يستطيعون تصرفا وقد دللنا فيما مضى قبل على أن معنى الاحصار تصيير الرجل المحصر بمرضه أو فاقته أو جهاده عدوه وغير ذلك من علله الى حالة يحبس نفسه فيها عن التصرف في أسبابه بما فيه الكفاية فيما مضى قبل وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم في ذلك بنحو الذي قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله الذين أحصروا في سبيل الله قال حصروا أنفسهم في سبيل الله للغزو حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله قال كانت الارض كلها كفرا لا يستطيع أحد أن يخرج يبتغي من فضل الله اذا خرج خرج في كفر وقيل كانت الارض كلها حربا على أهل هذا البلد وكانوا لا يتوجهون جهة الا لهم فيها عدو فقال الله عز وجل للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله الآية كانوا ههنا في سبيل الله وقال آخرون بل معنى ذلك الذين أحصرهم المشركون فمنعوهم التصرف ذكر من قال ذلك حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله حصرهم المشركون في المدينة ولو كان تأويل الآية على ما تأوله السدي لكان الكلام للفقراء الذين حصروا في سبيل الله ولكنه أحصروا فدل ذلك على أن خوفهم من العدو الذي صير هؤلاء الفقراء الى الحال التي حبسوا وهم في سبيل الله أنفسهم لا أن العدو هم كانوا الحابسيهم وانما يقال لمن حبسه العدو حصره العدو واذا كان الرجل المحبس من خوف العدو قيل أحصره

نذر اللجاج والغضب ونذر التبرر أما الاول فهو أن يمنع نفسه من الفعل أو يحثها عليه بتعليق التزام قربة بالفعل أو الترك كقوله ان كلمت فلانا أو كلمت كذا أو دخلت الدار أو لم أخرج من البلد فلله على صوم شهر أو صلاة أو حج أو اعتاق رقبة ثم انه اذا كلمه أو أكل أو دخل أو لم يخرج فللعلماء ثلاثة أقوال أحدها يلزمه (٦٤) الوفاء بما التزم والثاني وهو الاصح أن عليه كفارة يمين لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال كفارة النذر كفارة يمين والثالث التخيير بين الوفاء وبين الكفارة وأما نذر التبرر فنوعان نذر المجازاة وهو أن يلتزم قربة في مقابلة حدوث نعمة أو اندفاع نقمة مثل ان شفى الله مريضي أو رزقني ولدا فلله على أن أعتق رقبة أو أصوم أو أصلي كذا فاذا حصل المعلق عليه لزمه الوفاء بما التزم لقوله صلى الله عليه وسلم من نذر أن يطيع الله فليطعه ونذر التحيز وهو أن يلتزم ابتداء غير معلق على شيء كقوله لله على أن أصوم أو أصلي أو أعتق فالاصح أنه يصح ويلزم الوفاء به لمطلق الخبر وما يفرض التزامه بالنذر إما المعاصي وإما الطاعات وإما المباحات فالمعاصي كشرب الخمر والزنا ونذر المرأة صوم أيام الحيض ونذر قراءة القرآن في حال الجنابة لا يصح التزامها بالنذر لأنه لا نذر في معصية الله تعالى ومن هذا القبيل نذر ذبح الولد أو ذبح نفسه واذا لم ينعقد نذر فعل المعصية فعليه أن يمتنع منه ولا يلزمه كفارة يمين وما روى من أنه صلى الله عليه وسلم قال لا نذر في معصية الله وكفارته كفارة يمين محمول على نذر اللجاج وأما الطاعات فالواجبات ابتداء بالشرع كالصلوات الخمس وصوم رمضان لا معنى لالتزامها بالنذر معلقا أو غير معلق وكذا لو نذر أن لا يشرب الخمر ولا يزني واذا خالف ما ذكره فلا يلزمه الكفارة على الاصح وأما غير الواجبات فالعبادات المقصودة وهي التي وضعت للتقرب بها وعرف من الشارع الاهتمام بتكليف الخلق بايقاعها عبادة فتلتزم بالنذر وذلك كالصوم والصلاة والزكاة والصدقة والحج والاعتكاف والاعتاق وكذا فروض الكفايات

أحصره خوف العدو ﴿ القول في تأويل قوله (لا يستطيعون ضربا في الارض) يعني بذلك جل ثناؤه لا يستطيعون تقلبا في الارض وسفرا في البلاد ابتغاء المعاش وطلب المكاسب فيستغنوا عن الصدقات رهبة العدو وخوفا على أنفسهم منهم كما حدثني الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة لا يستطيعون ضربا في الارض حبسوا أنفسهم في سبيل الله للعدو فلا يستطيعون تجارة حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي لا يستطيعون ضربا في الارض يعني التجارة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قوله لا يستطيعون ضربا في الارض كان أحدهم لا يستطيع أن يخرج يبتغي من فضل الله ﴿ القول في تاويل قوله (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف) يعني بذلك يحسبهم الجاهل بامرهم وحالهم أغنياء من تعففهم عن المسئلة وتركهم التعرض لما في أيدي الناس صبرا منهم على البأساء والضراء كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يحسبهم الجاهل أغنياء يقول يحسبهم الجاهل بأمرهم أغنياء من التعفف ويعني بقوله من التعفف من ترك مسئلة الناس وهو التفعل من العفة عن الشئ والعفة عن الشئ تركه كما قال رؤبة * فعف عن اسرارها بعد الغسق * يعني برئ وتجنب ﴿ القول في تأويل قوله (تعرفهم بسيماهم) يعني بذلك جل ثناؤه تعرفهم يا محمد بسيماهم يعني بعلامتهم وآثارهم من قول الله عز وجل سيماهم في وجوههم من أثر السجود هذه لغة قريش ومن العرب من يقول بسيمائهم فيمدها وأما ثقيف وبعض أسد فانهم يقولون بسيمائهم ومن ذلك قول الشاعر

غلام رماه الله بالحسن يافعا * له سيماء لا تشق على البصر

وقد اختلف أهل التأويل في السيما التي أخبر الله جل ثناؤه أنها لهؤلاء الفقراء الذين وصفت صفتهم وانهم يعرفون بها فقال بعضهم هو التخشع والتواضع ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعرفهم بسيماهم قال التخشع حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن ليث قال كان مجاهد يقول هو التخشع وقال آخرون يعني بذلك تعرفهم بسيما الفقر وجهد الحاجة في وجوههم ذكر من قال ذلك حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي تعرفهم بسيماهم بسيما الفقر عليهم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله تعرفهم بسيماهم يقول تعرف في وجوههم الجهد من الحاجة وقال آخرون معنى ذلك تعرفهم برثاثة ثيابهم وقالوا الجوع خفي ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد تعرفهم بسيماهم قال السيما رثاثة ثيابهم والجوع خفي على الناس ولم تستطع الثياب التي يخرجون فيها تخفى على الناس وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله عز وجل أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم انه يعرفهم بعلاماتهم وآثار الحاجة فيهم وانما كان النبي صلى الله عليه وسلم يدرك تلك العلامات والآثار منهم عند المشاهدة بالعيان فيعرفهم وأصحابه بها كما يدرك المريض فيعلم انه مريض بالمعاينة وقد يجوز أن تكون تلك السيما كانت تخشعا منهم وان تكون كانت أثر الحاجة والضر وأن تكون كانت رثاثة الثياب وأن تكون كانت جميع ذلك وانما تدرك علامات الحاجة وآثار الضر في الانسان ويعلم أنها من الحاجة والضر بالمعاينة دون الوصف وذلك أن المريض قد يصير به في بعض أحوال مرضه من المرض نظير

التي يحتاج فيها الى معاناة تعب وبذل مال كالجهاد وتجهيز الموتى ذكره امام الحرمين وفي الصلاة على الجنازة والامر بالمعروف وما ليس فيه بذل مال وكثير مشقة الاظهر اللزوم ايضا وكما يلزم أصل العبادات بالنذر يلزم رعاية الصفة المشروطة فيها اذا كانت من المحبوبات كالصلاة بشرط طول القراءة أو الركوع أو السجود أو الحج بشرط المشي اذا جعلناه أفضل من الركوب وهو (٦٥) الاصح ولو أفرد الصفة بالالتزام والاصل واجب كتطويل الركوع والسجود أو القراءة في الفرائض فالاشبه اللزوم لانها عبادات مندوب اليها وأما الاعمال والاخلاق المستحسنة كعيادة المريض وزيارة القادم وافشاء السلام على المسلمين فالاظهر لزومها أيضا بالنذر وكذا تجديد الوضوء لان كلها مما يتقرب بها الى الله سبحانه وقد رغب الشارع فيها وأما المباحات التي لم يرد فيها ترغيب كالاكل والنوم والقيام والقعود فلو نذر فعلها أو تركها لم ينعقد نذره روى أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا قائما في الشمس فسأل عنه فقالوا نذر أن لا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال صلى الله عليه وسلم مروه فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه ولو قال لله علي نذر من غير تسمية لزمه كفارة يمين لقوله صلى الله عليه وسلم من نذر نذرا وسمى فعليه ما سمى ومن نذر نذرا ولم يسم فعليه كفارة يمين وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات أو ينفقون أموالهم في المعاصي أو للرياء أو لا يوفون بالنذور أو ينذرون في المعاصي من

أنصار من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه والانصار جمع ناصر كأصحاب في صاحب أو جمع نصير كأشراف في شريف وقد يتمسك المعتزلة بهذا في نفي الشفاعة لاهل الكبائر وان الشفيع ناصر ورد بان الشفيع في العرف لا يسمى ناصرا والا كان قوله ولا هم ينصرون بعد قوله ولا يقبل منها شفاعة تكرارا وأيضا ان هذا الدليل النافي عام في حق كل الظالمين وفي كل الاوقات

والدليل المثبت للشفاعة خاص في حق البعض وفي بعض الاوقات والخاص مقدم على العام وأيضا اللفظ لا يكون قاطعا في الاستغراق بل ظاهرا على سبيل الظن القوي فصار الدليل ظنيا والمسئلة ليست ظنية فكان التمسك بها ساقطا * سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدقة السر أفضل أم صدقة العلانية فنزلت ان تبدوا (٦٦) الصدقات والتركيب موضوع للصحة والكمال ومنه فلان صادق المودة وهذا خل صادق الحموضة وصدق فلان في خبره اذا أخبر على وجه الصحة والكمال ومنه الصداق لان عقد الصداق به يتم ويكمل والزكاة صدقة لان المال بها يصح ويبقى وبها يستدل على صدق العبد وكماله في ايمانه فنعما هي من قرأ بسكون العين فمحمول على أنه أوقع على العين حركة خفيفة على سبيل الاختلاس والا لزم التقاء الساكنين على غير حده ومثله ما يروى في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمرو بن العاص نعم المال الصالح للرجل الصالح بسكون العين ومن قرأ بكسر النون والعين فلتحصيل المشاكلة ومن قرأ بفتح النون وكسر العين فعلى الاصل قال طرفة * نعم الساعون في الامر المبر * قال سيبويه ما في تأويل الشيء أي نعم الشيء هي وقال أبو علي الجيد في مثله أن يقال ما في تأويل شيء لان ما ههنا نكرة اذ لو كانت معرفة بقيت بلا صلة فان هي مخصوصة بالمدح فالتقدير نعم شيأ ابداء الصدقات فحذف المضاف للدلالة أو نعم شيأ تلك الصدقات أو تلك الخصلة وهي الابداء قال الاكثرون المراد بها صدقة التطوع لقوله تعالى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم والاخفاء في صدقة التطوع أفضل كما أن الاظهار في الزكاة أفضل أما الاول فلان ذلك أشق على النفس فيكون أكثر ثوابا ولانه أبعد عن الرياء والسمعة قال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله من مسمع ولا مراء ولا منان والمتحدث بصدقته لا شك أنه يطلب السمعة

ينظر

آثار المجهود من الفاقة والحاجة وقد يلبس الغني ذو المال الكثير الثياب الرثة فيتزيا بزي أهل الحاجة فلا يكون في شيء من ذلك دلالة بالصفة على أن الموصوف به مختل ذو فاقة وانما يدري ذلك عند المعاينة بسيماه كما وصفهم الله نظير ما يعرف أنه مريض عند المعاينة دون وصفه بصفته ۞ القول في تأويل قوله (لا يسألون الناس الحافا) يقال قد ألحف السائل في مسئلته اذا ألح فهو يلحف فيها الحافا فان قال قائل أفكان هؤلاء القوم يسألون الناس غير الحاف قيل غير جائز أن يكون كانوا يسألون الناس شيأ على وجه الصدقة الحافا وغير الحاف وذلك أن الله عز وجل وصفهم بأنهم كانوا أهل تعفف وأنهم انما كانوا يعرفون بسيماهم فلو كانت المسئلة من شأنهم لم تكن صفتهم التعفف ولم يكن بالنبي صلى الله عليه وسلم الى علم معرفتهم بالادلة والعلامة حاجة وكانت المسئلة الظاهرة تنبئ عن حالهم وأمرهم وفي الخبر الذي حدثنا به بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن هلال بن حصن عن أبي سعيد الخدري قال أعوزنا مرة فقيل لي لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته فانطلقت اليه معنقا فكان أول ما واجهني به من استعف أعفه الله ومن استغنى أغناه الله ومن سألنا لم ندخر عنه شيأ نجده قال فرجعت الى نفسي فقلت ألا أستعف فيعفني الله فرجعت فما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ بعد ذلك من أمر حاجة حتى مالت علينا الدنيا فغرقتنا الا من عصم الله الدلالة الواضحة على أن التعفف معنى ينفي معنى المسئلة من الشخص الواحد وان من كان موصوفا بالتعفف فغير موصوف بالمسئلة الحافا وغير الحاف فان قال قائل فان كان الامر على ما وصفت فما وجه قوله لا يسألون الناس الحافا وهم لا يسألون الناس الحافا وغير الحاف قيل له وجه ذلك أن الله تعالى ذكره لما وصفهم بالتعفف وعرف عباده أنهم ليسوا أهل مسئلة بحال بقوله يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وأنهم انما يعرفون بالسيما زاد عباده ابانة لامرهم وحسن ثناء عليهم بنفي الشره والضراعة التي تكون في الملحين من السؤال عنهم وقال كان بعض القائلين يقول في ذلك نظير قول القائل قلما رأيت مثل فلان ولعله لم ير مثله أحدا ولا نظيرا وبنحو الذي قلنا في معنى الالحاف قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي لا يسألون الناس الحافا قال لا يلحفون في المسئلة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لا يسألون الناس الحافا قال هو الذي يلح في المسئلة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا يسألون الناس الحافا ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ان الله يحب الحليم الغني المتعفف ويبغض الغني الفاحش البذي السائل الملحف قال وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ان الله عز وجل كره لكم ثلاثا قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال فاذا شئت رأيته في قيل وقال يومه أجمع وصدر ليلته حتى يلقى جيفة على فراشه لا يجعل الله له من نهاره ولا ليلته نصيبا واذا شئت رأيته ذا مال في شهوته ولذاته وملاعبه ويعدله عن حق الله فذلك اضاعة المال واذا شئت رأيته باسطا ذراعيه يسأل الناس في كفيه فاذا أعطي أفرط في مدحهم وان منع أفرط في ذمهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال ثنا معتمر عن أيمن بن نابل قال حدثني شيخ من غافق أن أبا الدرداء كان

والمعطي في ملأ من الناس يطلب الرياء وقد بالغ قوم في الاخفاء واجتهدوا أن لا يعرفهم الآخذ فبعضهم كان يلقي الصدقة في يد الاعمى وبعضهم يلقيها في طريق الفقير أو في موضع جلوسه بحيث يراها ولا يرى المعطي وبعض يشدها في ثوب الفقير وهو نائم وبعض يوصل الى الفقير على يد غيره وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الصدقة جهد المقل الى فقير في سر وقال أيضا ان العبد ليعمل (٦٧) عملا في السر فيكتبه الله سرا فان أظهره نقل من السر وكتب في العلانية فان تحدث به نقل من السر والعلانية وكتب في الرياء وقال صلى الله عليه وسلم صدقة السر تطفئ غضب الرب وأيضا في الاظهار هتك ستر الفقير واخراجه من حيز التعفف وربما أنكر الناس على الفقير أخذ تلك الصدقة لظن الاستغناء به فيقع الفقير في المذمة والناس في الغيبة ولان في الاظهار اذلالا للآخذ واهانة له واذلال مؤمن غير جائز ولان الصدقة كالهدية وقال صلى الله عليه وسلم من أهدى اليه هدية وعنده قوم فهم شركاء فيها وربما لا يدفع الفقير اليهم شيأ فيقع في حيز اللوم والتعنيف نعم لو علم أنه اذا أظهرها اقتدى غيره به لم يبعد والحالة هذه أن يكون الاظهار أفضل وروى ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم قال السر أفضل من العلانية والعلانية أفضل لمن أراد الاقتداء واعلم أن الانسان اذا أتى بعمل وهو يخفيه عن الخلق وفي نفسه شهوة أن يرى الخلق منه ذلك وهو يدفع تلك الشهوة فههنا الشيطان يورد عليه ذكر رؤية الخلق والقلب ينكره فهذا الانسان في محاربة الشيطان فيكون اخفاؤه يفضل علانيته سبعين ضعفا كما روي عن ابن عباس صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا ثم ان لله تعالى عبادا راضوا أنفسهم حتى منّ الله عليهم بانوار هدايته وذهبت عنهم وساوس النفس لان الشهوات قد ماتت منهم ووقعت قلوبهم في بحار عظمة الله فلم يحتاجوا الى

ينظر الى الخيل مربوطة بين البراذين والهجن فيقول أهل هذه يعني الخيل من الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون * وقال آخرون عنى بذلك قوما أنفقوا في سبيل الله في غير اسراف ولا تقتير ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين ينفقون أموالهم الى قوله ولا هم يحزنون هؤلاء أهل الجنة ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول المكثرون هم الأسفلون قالوا يا نبي الله الا من قال المكثرون هم الأسفلون قالوا يا نبي الله الا من قال المكثرون هم الأسفلون قالوا يا نبي الله الا من حتى خشوا أن تكون قد مضت فليس لها رد حتى قال الا من قال بالمال هكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله وهكذا بين يديه وهكذا خلفه وقليل ما هم هؤلاء قوم أنفقوا في سبيل الله التي افترض وارتضى في غير سرف ولا املاق ولا تبذير ولا فساد وقد قيل ان هذه الآيات من قوله ان تبدوا الصدقات فنعما هي الى قوله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون كان مما يعمل به قبل نزول ما في سورة براءة من تفصيل الزكوات فلما نزلت براءة قصروا عليها ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ان تبدوا الصدقات فنعما هي الى قوله ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون فكان هذا يعمل به قبل أن تنزل براءة فلما نزلت براءة بفرائض الصدقات وتفصيلها انتهت الصدقات اليها ۞ القول في تأويل قوله (الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس) يعني بذلك جل ثناؤه الذين يربون والارباء الزيادة على الشيء يقال منه أربى فلان على فلان اذا زاد عليه يربي ارباء والزيادة هي الربا وربا الشيء اذا زاد على ما كان عليه فعظم فهو يربو ربوا وانما قيل للرابية لزيادتها في العظم والاشراف على ما استوى من الارض مما حولها من قولهم ربا يربو ومن ذلك قيل فلان في رباوة قومه يراد أنه في رفعة وشرف منهم فأصل الربا الانافة والزيادة ثم يقال أربى فلان أي أناف صيره زائدا وانما قيل للمربي مرب لتضعيفه المال الذي كان له على غريمه حالا أو لزيادته عليه فيه لسبب الاجل الذي يؤخره اليه فيزيده الى أجله الذي كان له قبل حل دينه عليه ولذلك قال جل ثناؤه يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال في الربا الذي نهى الله عنه كانوا في الجاهلية يكون للرجل على الرجل الدين فيقول لك كذا وكذا وتؤخر عني فيؤخر عنه حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان ربا أهل الجاهلية يبيع الرجل البيع الى أجل مسمى فاذا حل الاجل ولم يكن عند صاحبه قضاء زاده وأخر عنه فقال جل ثناؤه الذين يربون الربا الذي وصفنا صفته في الدنيا لا يقومون في الآخرة من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس يعني بذلك يتخبله الشيطان في الدنيا وهو الذي يتخبطه فيصرعه من المس يعني من الجنون وبمثل ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس يوم القيامة في أكل الربا في الدنيا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا

المجاهدة فاذا أعلنوا بالعمل أرادوا أن يقتدى بهم غيرهم فهم كاملون فى أنفسهم ويسعون فى تكميل غيرهم كما قال تعالى وممن خلقنا أمة يهدون بالحق واجعلنا للمتقين اماما فهؤلاء أئمة الهدى وأعلام الدين وسادة الخلق بهم يقتدى فى الذهاب الى الله وأما أن الاظهار فى اعطاء الزكاة أفضل فلان الله أمر الأئمة بتوجيه (٦٨) السعاة لطلب الزكوات وفى دفعها الى السعاة اظهارها ولانه ينفى التهمة ولهذا روى أنه صلى الله عليه وسلم كان أكثر صلاته فى البيت الا المكتوبة وعن ابن عباس صدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا هذا اذا كان المزكى ممن لا يخفى يساره فان لم يعرف باليسار كان الاخفاء له أفضل ولا سيما اذا خاف الظلمة أن يطمعوا فى ماله وعن بعضهم أن معنى قوله خير لكم أنه فى نفسه خير من الخيرات كما يقال الثريد خير من الاطعمة وانما قيل وتؤتوها الفقراء لان المقصود من بعث المتصدق أن يتحرى موضع الصدقة فيصير عالما بالفقراء مميزا لهم عن غيرهم فاذا تقدم منه هذا الاستظهار ثم أخفاها حصلت الفضيلة فلهذا شرط فى الاخفاء ان يحصل معه ايتاء الفقراء وأما فى الابداء فقلما يخفى حال الفقير فلهذا لم يصرح بالشرط ونكفر عنكم من قرأ بالنون مرفوعا فهو عطف على محل ما بعد الفاء لان الاصل فى الشرط والجزاء أن يكونا فعلين فاذا وقع الجزاء فعلا مضارعا مع الفاء كان خبر مبتدإ محذوف فقوله فهو فى تاويل فيكون خير لكم ونكفر بالرفع عطف عليه ويحتمل أن يكون خبر مبتدإ محذوف أى ونحن نكفر وان يكون جملة من فعل وفاعل مستأنفة ومن قرأ بالجزم فهو عطف على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط كأنه قيل وان تخفوها تكن أعظم أجرا وأما من قرأ ويكفر بياء الغيبة مرفوعا فالاعراب كما مر فى النون والضمير لله أو للاخفاء وقرئ وتكفر بالتاء مرفوعا ومجزوما والضمير للصدقات وقرأ الحسن بالياء

يكذبون

الحجاج بن المنهال قال ثنا ربيعة بن كلثوم قال ثنى أبى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس قال ذلك حين يبعث من قبره حدثنا المثنى قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا ربيعة بن كلثوم قال ثنى أبى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال يقال يوم القيامة لآكل الربا خذ سلاحك للحرب وقرأ لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس قال ذلك حين يبعث من قبره حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس الآية قال يبعث آكل الربا يوم القيامة مجنونا يخنق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين يأكلون الربا لا يقومون الآية وتلك علامة أهل الربا يوم القيامة بعثوا وبهم خبل من الشيطان حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس قال هو التخبل الذى يتخبله الشيطان من الجنون حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس قال يبعثون يوم القيامة وبهم خبل من الشيطان وهى فى بعض القراءة لا يقومون يوم القيامة حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك فى قوله الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس قال من مات وهو يأكل الربا بعث يوم القيامة متخبطا كالذى يتخبطه الشيطان من المس حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس يعنى من الجنون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس قال هذا مثلهم يوم القيامة لا يقومون يوم القيامة مع الناس الا كما يقوم الذى يخنق (٣) مع الناس يوم القيامة كأنه خنق كأنه مجنون ومعنى قوله يتخبطه الشيطان من المس يتخبله من مسه اياه يقال منه قد مس الرجل وألق فهو ممسوس ومألوق كل ذلك اذا ألم به اللمم فجن ومنه قول الله عز وجل ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا ومنه قول الاعشى

وتصبح عن غب السرى وكأنما * ألم بها من طائف الجن أولق

فان قال لنا قائل أفرأيت من عمل ما نهى الله عنه من الربا فى تجارته ولم يأكله أيستحق هذا الوعيد من الله قيل نعم وليس المقصود من الربا فى هذه الآية الاكل الا أن الذين نزلت فيهم هذه الآيات يوم نزلت كانت طعمتهم ومأكلهم من الربا فذكرهم بصفتهم معظما بذلك عليهم أمر الربا ومقبحا اليهم الحال التى هم عليها فى مطاعمهم وفى قوله جل ثناؤه يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله الآية ما ينبئ عن صحة ما قلنا فى ذلك وأن التحريم من الله فى ذلك كان لكل معانى الربا وأن سواء العمل به وأكله وأخذه واعطاؤه كالذى تظاهرت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه اذا علموا به * القول فى تأويل قوله (ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا) يعنى بذلك جل ثناؤه ذلك الذى وصفهم به من قيامهم يوم القيامة من قبورهم كقيام الذى يتخبطه الشيطان من المس من الجنون فقال تعالى ذكره هذا الذى ذكرنا أنه يصيبهم يوم القيامة من قبح حالهم ووحشة قيامهم من قبورهم وسوء ما حل بهم من أجل أنهم كانوا فى الدنيا

(٣) قوله مع الناس يوم القيامة الخ هكذا فى الاصل ولعل هنا تكرارا أو تحريفا من الناسخ فحرر كتبه مصححه

يكذبون ويفترون ويقولون انما البيع الذى أحله الله لعباده مثل الربا وذلك أن الذين كانوا يأكلون الربا من أهل الجاهلية كان اذا حل مال أحدهم على غريمه يقول الغريم لغريم الحق زدنى فى الاجل وأزيدك فى مالك فكان يقال لهما اذا فعلا ذلك هذا ربا لا يحل فاذا قيل لهما ذلك قالا سواء علينا زدنا فى أول البيع أو عند محل المال فكذبهم الله فى قيلهم فقال وأحل الله البيع * القول فى تأويل قوله (وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) يعنى جل ثناؤه وأحل الله الأرباح فى التجارة والشراء والبيع وحرم الربا يعنى الزيادة التى يزاد رب المال بسبب زيادته غريمه فى الاجل وتأخيره دينه عليه يقول عز وجل وليست الزيادتان اللتان احداهما من وجه البيع والاخرى من وجه تأخير المال والزيادة فى الاجل سواء وذلك أنى حرمت احدى الزيادتين وهى التى من وجه تأخير المال والزيادة فى الاجل وأحللت الاخرى منهما وهى التى من وجه الزيادة على رأس المال الذى ابتاع به البائع سلعته التى يبيعها فيستفضل فضلها فقال الله عز وجل ليست الزيادة من وجه البيع نظير الزيادة من وجه الربا لانى أحللت البيع وحرمت الربا والامر أمرى والخلق خلقى أقضى فيهم ما أشاء وأستعبدهم بما أريد ليس لاحد منهم أن يعترض فى حكمى ولا أن يخالف أمرى وانما عليهم طاعتى والتسليم لحكمى ثم قال جل ثناؤه فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى يعنى بالموعظة التذكير والتخويف الذى ذكرهم وخوفهم به فى آى القرآن وأوعدهم على أكلهم الربا من العقاب يقول جل ثناؤه فمن جاءه ذلك فانتهى عن أكل الربا وارتدع عن العمل به وانزجر عنه فله ما سلف يعنى ما أكل وأخذ فمضى قبل مجىء الموعظة والتحريم من ربه فى ذلك وأمره الى الله يعنى وأمر آكله بعد مجيئه الموعظة من ربه والتحريم وبعد انتهاء آكله عن أكله الى الله فى عصمته وتوفيقه ان شاء عصمه عن أكله وثبته فى انتهائه عنه وان شاء خذله عن ذلك ومن عاد يقول ومن عاد لاكل الربا بعد التحريم وقال ما كان يقوله قبل مجىء الموعظة من الله بالتحريم من قوله انما البيع مثل الربا فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يعنى ففاعلو ذلك وقائلوه هم أهل النار يعنى نار جهنم فيها خالدون وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله أما الموعظة فالقرآن وأما ما سلف فله ما أكل من الربا * القول فى تأويل قوله (يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم) يعنى عز وجل بقوله يمحق الله الربا ينقص الله الربا فيذهبه كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس يمحق الله الربا قال ينقص وهذا نظير الخبر الذى روى عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الربا وان كثر فالى قل وأما قوله ويربى الصدقات فانه جل ثناؤه يعنى أنه يضاعف أجرها لربها وينميها له وقد بينا معنى الربا قبل والارباء وما أصله بما فيه الكفاية من اعادته فان قال لنا قائل وكيف إرباء الله الصدقات قيل اضعافه الاجر لربها كما قال جل ثناؤه مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة وكما قال من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة وكما حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع قال ثنا عباد بن منصور عن القاسم أنه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها لاحدكم كما يربى أحدكم مهره حتى ان اللقمة لتصير مثل أحد وتصديق ذلك فى كتاب الله عز

والنصب باضمار ان ومعناه وان تخفوها تكن خيرا لكم وأن يكفر عنكم خير لكم والتكفير فى اللغة الستر والتغطية ومنه كفر عن يمينه أى ستر ذنب الحنث وقوله من سيآتكم يحتمل أن يكون من للتبعيض لان السيآت كلها لا تكفر وانما يكفر بعضها ثم أبهم الكلام فى ذلك البعض لان بيانه كالاغراء على ارتكابها وأحسن أحوال العبد أن يكون بين الخوف والرجاء (٦٩) ويحتمل أن يكون للتعليل أى من أجل سيآتكم كما لو قلت ضربتك من سوء خلقك أى من أجل ذلك وقيل انها زائدة والله بما تعملون خبير كأنه ندب بهذا الكلام الى الاخفاء الذى هو أبعد من الرياء عن الكلبى أنه قال اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرة القضاء وكانت معه أسماء بنت أبى بكر فجاءتها أمها قتيلة وجدتها فسألتاها وهما مشركتان فقالت لا أعطيكما شيأ حتى أستأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكما لستما على دينى فاستأمرته فى ذلك فانزل الله تعالى ليس عليك هداهم فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزولها أن تتصدق عليهما فاعطتهما ووصلتهما قال الكلبى ولها وجه آخر وذلك أن ناسا من المسلمين كانت لهم قرابة وأصهار ورضاع فى اليهود وكانوا ينفعونهم قبل أن يسلموا فلما أسلموا كرهوا أن ينفعوهم وراودوهم أن يسلموا واستأمروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فأعطوهم بعد نزولها وعن سعيد بن جبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا الا على أهل دينكم فانزل الله ليس عليك هداهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تصدقوا على أهل الاديان وعن بعض العلماء لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك والعلماء أجمعوا على أنه لا يجوز صرف الزكاة الى غير المسلم فتكون الآية مخصوصة بالتطوع وجوز أبو حنيفة صرف صدقة الفطر الى أهل الذمة وأباه غيره ومعنى الآية ليس عليك هدى من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل أن يدخلوا فى الاسلام

وجل ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده و يأخذ الصدقات و يمحق الله الربا ويربي الصدقات حدثني سليمان بن عمر بن خالد الاقطع قال ثنا ابن المبارك عن سفيان عن عباد بن منصور عن القاسم ابن محمد عن أبي هريرة ولا أراه الا قد رفعه قال ان الله عز وجل يقبل الصدقة ولا يقبل الا الطيب حدثني محمد بن عمرو بن علي المقدمي قال ثنا ريحان بن سعيد قال ثنا عباد عن القاسم عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يقبل الصدقة ولا يقبل منها الا الطيب و يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم مهره أو فصيله حتى ان اللقمة لتصير مثل أحد وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل يمحق الله الربا ويربي الصدقات حدثني محمد بن عبد الملك قال ثنا عبد الرزاق قال ثنا معمر عن أيوب عن القاسم بن محمد عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا تصدق من طيب تقبلها الله منه و يأخذها بيمينه و يربيها كما يربي أحدكم مهره أو فصيله وان الرجل ليتصدق باللقمة فتربو في يد الله أو قال في كف الله عز وجل حتى تكون مثل أحد فتصدقوا حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت يونس عن صاحب له عن القاسم بن محمد قال قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقبل الصدقة بيمينه ولا يقبل منها الا ما كان طيبا والله يربي لاحدكم لقمته كما يربي أحدكم مهره وفصيله حتى يوافي بها يوم القيامة وهي أعظم من أحد وأما قوله والله لا يحب كل كفار أثيم فانه يعني به والله لا يحب كل مصر على كفر بربه مقيم عليه مستحل أكل الربا واطعامه أثيم متماد في الاثم فيما نهاه عنه من أكل الربا والحرام وغير ذلك من معاصيه لا ينزجر عن ذلك ولا يرعوي عنه ولا يتعظ بموعظة ربه التي وعظه بها في تنزيله وآي كتابه ۞ القول في تأويل قوله (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وهذا خبر من الله عز وجل بأن الذين آمنوا يعني الذين صدقوا بالله وبرسوله وبما جاء به من عند ربهم من تحريم الربا وأكله وغير ذلك من سائر شرائع دينه وعملوا الصالحات التي أمرهم الله عز وجل بها والتي ندبهم اليها وأقاموا الصلاة المفروضة بحدودها وأدوها بسننها وآتوا الزكاة المفروضة عليهم في أموالهم بعد الذي سلف منهم من أكل الربا قبل مجيء الموعظة فيه من عند ربهم لهم أجرهم يعني ثواب ذلك من أعمالهم وايمانهم وصدقتهم عند ربهم يوم حاجتهم اليه في معادهم ولا خوف عليهم يومئذ من عقابه على ما كان سلف منهم في جاهليتهم وكفرهم قبل مجيئهم موعظة ربهم من أكل ما كانوا أكلوا من الربا بما كان من انابتهم وتوبتهم الى الله عز وجل من ذلك عند مجيئهم الموعظة من ربهم وتصديقهم بوعد الله ووعيده ولا هم يحزنون على تركهم ما كانوا تركوا في الدنيا من أكل الربا والعمل به اذا عاينوا جزيل ثواب الله تبارك وتعالى وهم على تركهم ما تركوا من ذلك في الدنيا ابتغاء رضوانه في الآخرة فوصلوا الى ما وعدوا على تركه ۞ القول في تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين) يعني جل ثناؤه بذلك يا أيها الذين آمنوا صدقوا بالله وبرسوله اتقوا الله يقول خافوا الله على أنفسكم فاتقوه بطاعته فيما أمركم به والانتهاء عما نهاكم عنه وذروا يعني ودعوا ما بقي من الربا يقول اتركوا طلب ما بقي لكم من فضل على رؤس أموالكم التي كانت لكم قبل أن تربوا عليها ان كنتم مؤمنين يقول ان كنتم محققين ايمانكم قولا وتصديقكم بألسنتكم بأفعالكم وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم أسلموا ولهم على قوم أموال من ربا كانوا أربوه عليهم فكانوا قد قبضوا بعضه منهم و بقي بعض فعفا الله جل ثناؤه لهم عما كانوا قد قبضوه قبل نزول هذه الآية وحرم عليهم اقتضاء ما بقي منه ذكر من قال ذلك حدثني موسى بن هرون

فتصدق عليهم لوجه الله ولا توقف ذلك على اسلامهم وذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان شديد الحرص على ايمانهم فأعلمهم الله تعالى انه بعث بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله ومبينا الدلائل فأما كونهم مهتدين فليس ذلك منك ولا بك فالهدى ههنا بمعنى الاهتداء فسواء اهتدوا أو لم يهتدوا فلا تقطع معونتك وبرك وصدقتك عنهم (٧٠) وفيه وجه آخر ليس عليك أن تلجئهم الى الاهتداء بواسطة توقيف الصدقة على ايمانهم فان مثل هذا الايمان لا ينتفعون به بل الايمان المطلوب منهم هو الايمان طوعا واختيارا ولكن الله يهدي من يشاء اثبات للهداية التي نفاها أولا لكن المنفي أولا هو الهداية أي الاهتداء على سبيل الاختيار فكذا الثاني ومنه يعلم أن الاهتداء الاختياري واقع بتقدير الله تعالى وتخليقه وتكوينه وهذا التفسير هو المناسب لسبب النزول وفي الكشاف أن المعنى لا يجب عليك أن تجعلهم مهديين الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذى والانفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك الا أن تبلغهم النواهي فحسب ولكن الله يهدي من يشاء بلطف بمن يعلم أن اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهي عنه ثم ظاهر قوله ليس عليك هداهم أنه خطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم ولكن المراد به هو وأمته لان ما قبله عام ان تبدوا الصدقات وما بعده عام وما تنفقوا من خير من مال فلانفسكم ثوابه فليس يضركم كفرهم أو فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله أي لستم في صدقتكم على أقاربكم المشركين تقصدون الا وجه الله من صلة رحم أو سد خلة مضطر قد علم الله هذا من قلوبكم وقيل خبر في معنى نهي أي لا تنفقوا الا لله وقيل معناه لا تكونوا منفقين مستحقين لهذا الاسم المفيد المدح حتى تبتغوا وجه الله وقيل ليست نفقتكم الا لطلب ما عند الله فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله وفائدة اقحام الوجه أنك اذا قلت فعلته لوجه زيد كان أشرف من

قوله فعلته له لان وجه الشئ أشرف مافيه ثم كثرحتى عبربه عن الشرف مطلقا وأيضا قول القائل فعلت هذا الفعل له احتمل الشركة وان يكون قدفعله لاجله ولغيره أما اذا قال فعلت لوجهه فلا يحتمل الشركة عرفا وما تنفقوا من خير يوف اليكم جزاؤه فى الآخرة أضعافا مضاعفة وانما حسن قوله اليكم مع التوفية لانها تضمنت معنى التادية وأنتم لا تظلمون لا تنقصون من ثواب (٧١) أعمالكم شيأ ثم لما بين أنه يجوز صرف الصدقة الى أى فقير كان أراد أن يبين أن أشد الناس استحقاقا من هو فقال للفقراء أى ذلك الانفاق لهؤلاء الفقراء كما لو تقدم ذكر رجل فتقول عاقل لبيب أى ذلك الذى مر وصفه عاقل لبيب وقيل اعمدوا للفقراء أو اجعلوا ما تنفقون للفقراء والمراد صدقاتكم للفقراء قيل نزلت فى فقراء المهاجرين وكانوا نحوا أربعمائة رجل وهم أصحاب الصفة لم يكن لهم سكن ولا عشائر بالمدينة كانوا ملازمين للمسجد يتعلمون القرآن ويصومون ويخرجون فى كل غزوة فمن كان عنده فضل أتاهم به اذا أمسى وعن ابن عباس وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على أصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال أبشروا يا أصحاب الصفة فمن بقى من أمتى على النعت الذى أنتم عليه راضيا بما فيه فانه من رفقائى ثم انه تعالى وصف هؤلاء الفقراء بخمس صفات الاولى قوله الذين أحصروا فى سبيل الله أى حصروا أنفسهم ووقفوا على الجهاد

هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا الى ولا تظلمون قال نزلت هذه الآية فى العباس بن عبد المطلب ورجل من بنى المغيرة كانا شريكين فى الجاهلية سلفا فى الربا الى أناس من ثقيف من بنى عمرو وهم بنو عمرو بن عمير فجاء الاسلام ولهما أموال عظيمة فى الربا فانزل الله ذروا ما بقى من فضل كان فى الجاهلية من الربا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين قال كانت ثقيف قد صالحت النبى صلى الله عليه وسلم على أن مالهم من ربا على الناس وما كان للناس عليهم من ربا فهو موضوع فلما كان الفتح استعمل عتاب بن أسيد على مكة وكانت بنو عمرو بن عمير بن عوف يأخذون الربا من بنى المغيرة وكانت بنو المغيرة يربون لهم فى الجاهلية فجاء الاسلام ولهم عليهم مال كثير فأتاهم بنو عمرو يطلبون رباهم فأبى بنو المغيرة أن يعطوهم فى الاسلام ورفعوا ذلك الى عتاب بن أسيد فكتب عتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله الى ولا تظلمون فكتب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عتاب وقال ان رضوا والا فآذنهم بحرب قال ابن جريج عن عكرمة قوله اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا قال كانوا يأخذون الربا على بنى المغيرة يزعمون أنهم مسعود وعبد ياليل وحبيب وربيعة بنو عمرو بن عمير فهم الذين كان لهم الربا على بنى المغيرة فاسلم عبد ياليل وحبيب وربيعة وهلال ومسعود حدثنى يحيى بن أبى طالب قال ثنا يزيد قال ثنا جويبر عن الضحاك فى قوله اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين قال كان ربا يتبايعون به فى الجاهلية فلما أسلموا أمروا أن يأخذوا رؤس أموالهم

القول فى تأويل قوله (فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله) يعنى جل ثناؤه بقوله فان لم تفعلوا فان لم تذروا ما بقى من الربا واختلف القراء فى قراءة قوله فأذنوا بحرب من الله ورسوله فقرأته عامة قراء أهل المدينة فأذنوا بقصر الالف من فأذنوا وفتح ذالها بمعنى كونوا على علم واذن وقرأه آخرون وهى قراءة عامة قراء الكوفيين فآذنوا بمد الالف من قوله فآذنوا وكسر ذالها بمعنى فآذنوا غيركم أعلموهم وأخبروهم بأنكم على حربهم وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك قراءة من قرأ فأذنوا بقصر ألفها وفتح ذالها بمعنى اعلموا ذلك واستيقنوه وكونوا على اذن من الله عز وجل لكم بذلك وانما اخترنا ذلك لان الله عز وجل أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن ينبذ الى من أقام على شركه الذى لا يقر على المقام عليه وأن يقتل المرتد عن الاسلام منهم بكل حال الا أن يراجع الاسلام آذنه المشركون بأنهم على حربه أو لم يأذنوه فاذ كان المأمور بذلك لا يخلو من أحد أمرين اما أن يكون كان مشركا مقيما على شركه الذى لا يقر عليه أو يكون كان مسلما فارتد وأذن بحرب فأى الامرين كان فانما نبذ اليه بحرب لا أنه أمر بالايذان بها ان عزم على ذلك لان الامر ان كان اليه فأقام على أكل الربا مستحلا له ولم يؤذن المسلمون بالحرب لم يلزمهم حربه وليس ذلك حكمه فى واحدة من الحالين فقد علم أنه المأذون بالحرب لا الآذن بها وعلى هذا التأويل تأوله أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا الى قوله فأذنوا بحرب من الله ورسوله فمن كان مقيما على الربا لا ينزع عنه فحق على امام المسلمين أن يستتيبه فان نزع والا ضرب عنقه حدثنى المثنى قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا ربيعة بن كلثوم قال ثنى أبى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال يقال يوم القيامة لآكل الربا خذ سلاحك للحرب حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا ربيعة بن كلثوم قال ثنى أبى عن سعيد بن

فى سبيل الله لان سبيل الله مختص بالجهاد فى عرف القرآن ولان وجوب الجهاد فى ذلك الزمان كان آكد فكانت الحاجة الى من يحبس نفسه للمجاهدة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد فموضع الصدق فيهم يكون أوقع سدا لخلتهم وتقوية لقلوبهم واعلاء لمعالم الدين وعن سعيد بن المسيب واختاره الكسائى أن هؤلاء قوم أصابتهم جراحات فى الغزوات فأحصرهم المرض والزمانة وعن ابن عباس هؤلاء قوم من المهاجرين

حسبهم الفقر عن الجهاد فعذرهم الله الثانية لا يستطيعون ضربا في الارض أي سيرا فيها وذلك إما لاشتغالهم بالعبادة أو بالجهاد فلا يفرغون للكسب والتجارة واما لان خوفهم من الاعداء يمنعهم من السفر واما لان مرضهم وعجزهم يمنعهم منه الثالثة يحسبهم يظنهم الجاهل بحالهم ومن لم يخبر أمرهم أغنياء من التعفف من أجل تركهم المسئلة واظهارهم التجمل تكلفا منهم والتعفف اظهار العفة وهي ترك الشئ والكف عنه الرابعة تعرفهم أي أنت يا محمد او كل راء بسيماهم والسيما والسيماء العلامة التي يعرف بها الشئ من السمة العلامة فوزنه عفلى قال مجاهد سيماهم التخشع والتواضع الربيع والسدى أثر الجهد من الجوع والفقر الضحاك صفرة ألوانهم من الجوع أبو زيد رثاثة ثيابهم وقيل المهابة في العيون وقيل آثار الفكر روى انه صلى الله عليه وسلم كان كثير الفكر الخامسة لا يسألون الناس الحافا أي الحاحا وهو اللزوم وان لا يفارق الا بشئ يعطى له والتركيب يدل على الستر كأنه لزم المسئول لزوم الساتر للمستور عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض البذي السائل الملحف قيل معنى الآية انهم ان سألوا سألوا بتلطف ولم يلحفوا وأورد عليه أنه ينافي التعفف الذي وصفوا به قبل فالوجه أن يراد نفي السؤال والالحاف جميعا كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر أي لا ضب ولا انجحار ليكون موافقا لوصفهم بالتعفف وفائدة الكلام التنبيه على سوء

(٧٣)

جبير عن ابن عباس مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله أوعدهم الله بالقتل كما تسمعون فجعلهم بهرجا أينما ثقفوا حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مثله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال حدثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله أوعد لآكل الربا بالقتل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله فاذنوا بحرب من الله ورسوله فاستيقنوا بحرب من الله ورسوله وهذه الاخبار كلها تنبئ عن أن قوله فاذنوا بحرب من الله ايذان من الله عز وجل لهم بالحرب والقتل لا أمر لهم بايذان غيرهم ﷺ القول في تأويل قوله (وان تبتم فلكم رؤس أموالكم) يعني جل ثناؤه بذلك ان تبتم فتركتم أكل الربا وأنبتم الى الله عز وجل فلكم رؤس أموالكم من الديون التي لكم على الناس دون الزيادة التي أحدثتموها على ذلك ربا منكم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان تبتم فلكم رؤس أموالكم المال الذي لهم على ظهور الرجال جعل لهم رؤس أموالهم حين نزلت هذه الآية فاما الربح والفضل فليس لهم ولا ينبغي لهم أن يأخذوا منه شيأ حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك قال وضع الله الربا وجعل لهم رؤس أموالهم حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله وان تبتم فلكم رؤس أموالكم قال ما كان لهم من دين فجعل لهم أن يأخذوا رؤس أموالهم ولا يزدادوا عليه شيأ حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي وان تبتم فلكم رؤس أموالكم الذي أسلفتم وسقط الربا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يوم الفتح ألا ان ربا الجاهلية موضوع كله أول ربا أبتدئ به ربا العباس بن عبد المطلب حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته ان كل ربا موضوع وأول ربا يوضع ربا العباس * القول في تأويل قوله (لا تظلمون ولا تظلمون) يعني بقوله لا تظلمون بأخذكم رؤس أموالكم التي كانت لكم قبل الارباء على غرمائكم منهم دون أرباحها التي زدتموها ربا على من أخذتم ذلك منه من غرمائكم فتأخذوا منهم ما ليس لكم أخذه أو لم يكن لكم قبل ولا تظلمون يقول ولا الغريم الذي يعطيكم ذلك دون الربا الذي كنتم ألزمتموه من أجل الزيادة في الاجل يبخسكم حقا لكم عليه فيمنعكموه لان ما زاد على رؤس أموالكم لم يكن حقا لكم عليه فيكون بمنعه اياكم ذلك ظالما لكم وبنحو الذي قلنا في ذلك كان ابن عباس يقول وغيره من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس وان تبتم فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون فتربون ولا تظلمون فتنقصون وحدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون قال لا تنقصون من أموالكم ولا تأخذون باطلا لا يحل لكم * القول في تأويل قوله (وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة) يعني جل ثناؤه بذلك وان كان ممن تقبضون منه من غرمائكم رؤس أموالكم ذو عسرة يعني معسرا برؤس أموالكم التي كانت لكم عليهم قبل الارباء فأنظروهم الى ميسرتهم وقوله ذو عسرة مرفوع بكان فالخبر متروك وهو ما ذكرنا وانما صلح ترك خبرها من أجل أن النكرات تضمر لها العرب أخبارها ولو وجهت كان في هذا الموضع الى أنها بمعنى الفعل المكتفي بنفسه التام لكان

طريقة الملحف كما اذا حضر عندك رجلان أحدهما عاقل وقور والآخر طياش خفيف وأردت أن تمدح أحدهما وتذم الآخر قلت فلان رجل عاقل وقور قليل الكلام ليس بخواض ولا مهذار لم يكن غرضك من قولك ليس بخواض ولا مهذار وصفه بذلك لان ما تقدم من الاوصاف الحسنة يغني عنه بل غرضك التنبيه على سوء طريقة الثاني وقيل معناه لا يتركون السؤال الا بالحاح شديد منهم على

أنفسهم لشدة حاجتهم كقوله ولي نفس أقول لها اذا ما * تنازعني لعلي أو عساني . وقيل ان عدم السؤال بطريق الالحاف يتضمن نفي السؤال عنهم رأسا لأن كل سائل فلا بد أن يلح في بعض الأوقات كأنه يقول اذا أرقت ماء وجهي فلا أرجع بغير مقصود وقيل لعل الساكت عن السؤال يظهر من نفسه أمارات الحاجة فيكون في حال سكوته أنطق ما يكون فترق القلوب له فالمراد أنهم وان سكتوا عن السؤال لكنهم لا يضمون الى ذلك السؤال من رثاثة الحال وآثار الانكسار ما يقوم مقام السؤال فان ذلك نوع الحاف بل يتحملون للخلق بحيث لا يطلع على سرهم غير الخالق عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يفتح أحد باب مسئلة الا فتح الله عليه باب فقر ومن يستغن يغنه الله ومن استعف يعفه الله لأن يأخذ أحدكم حبلا يحتطب به فيبيعه بمد من تمر خير له من أن يسأل الناس (وما تنفقوا من خير فان الله به عليم) فيه أن ثواب هذا الانفاق الذي هو أعظم المصارف لا يكتنه كنهه فلذلك وكل الى علم الله تعالى بخلاف الآية المتقدمة فانه لما رغب في التصدق على أهل الأديان قال في آخره وما تنفقوا من خير يوف اليكم كما لو قال السلطان لعبده الذي حسن عنده موقع خدمته انى بحسن خدمتك عالم ولحقك عارف كان أبلغ مما لو قال ان أجرك واصل اليك ثم أرشد في خاتمة الآيات الى أكمل وجوه الانفاقات بقوله (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار) الآية وذلك أن الذين يعمون الاوقات والاحوال بالصدقة يكون ذلك منهم دليلا على الحرص البالغ والاهتمام التام كلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه متعللين بوقت وحال والباء بمعنى في أي في الليل والنهار وسرا وعلانية منصوبان على الظرفية أيضا أي في أوقات السر والعلن أو على وصف المصدر أي انفاقا سرا وعلانية أو على الحال لكونه بيانا عن كيفية الانفاق وقيل لما نزل للفقراء

وجها صحيحا ولم يكن بها حاجة حينئذ الى خبر فيكون تأويل الكلام عند ذلك وان وجد ذو عسرة من غرمائكم برؤس أموالكم فنظرة الى ميسرة وقد ذكر أن ذلك في قراءة أبي بن كعب وان كان ذا عسرة بمعنى وان كان الغريم ذا عسرة فنظرة الى ميسرة وذلك وان كان في العربية جائزا فغير جائزة القراءة به عندنا لخلافه خطوط مصاحف المسلمين وأما قوله فنظرة الى ميسرة فانه يعني فعليكم أن تنظروه الى ميسرة كما قال فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام وقد ذكرنا وجه رفع ما كان من نظائرها فيما مضى قبل فأغنى عن تكريره والميسرة المفعلة من اليسر مثل المرحمة والمشأمة ومعنى الكلام وان كان من غرمائكم ذو عسرة فعليكم أن تنظروه حتى يوسر بما (٣) ليس لكم فيصير من أهل اليسر به وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني واصل بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن فضيل عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن ابن عباس في قوله وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة قال نزلت في الربا حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال ثنا هشام عن ابن سيرين أن رجلا خاصم رجلا الى شريح قال فقضى عليه وأمر بحبسه قال فقال رجل عند شريح انه معسر والله يقول في كتابه وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة قال فقال شريح انما ذلك في الربا وإن الله قال في كتابه ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ولا يأمرنا الله بشئ ثم يعذبنا عليه حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم في قوله وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة قال ذلك في الربا حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن الحسن أن الربيع بن خيثم كان له على رجل حق فكان يأتيه و يقوم على بابه و يقول أي فلان ان كنت موسرا فأد وان كنت معسرا فالى ميسرة حدثنا يعقوب قال ثنا ابن علية عن أيوب عن محمد قال جاء رجل الى شريح فكلمه فجعل يقول انه معسر انه معسر قال فظننت أنه يكلمه في محبوس فقال شريح ان الربا كان في هذا الحي من الانصار فأنزل الله عز وجل وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وقال الله عز وجل ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها فما كان الله عز وجل يأمرنا بأمر ثم يعذبنا عليه أدوا الامانات الى أهلها حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن سعيد عن قتادة في قوله وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة قال فنظرة الى ميسرة برأس ماله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة انما أمر في الربا أن ينظر المعسر وليست النظرة في الامانة ولكن يؤدي الامانة الى أهلها حدثني موسى قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي وان كان ذو عسرة فنظرة برأس المال الى ميسرة يقول الى غنى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة هذا في شأن الربا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سلمان قال سمعت الضحاك في قوله وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة هذا في شأن الربا وكان أهل الجاهلية بها يتبايعون فلما أسلم من أسلم منهم أمروا أن يأخذوا رؤس أموالهم حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة يعني المطلوب حدثني ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن جابر عن أبي جعفر في قوله وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة قال الموت حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن جابر عن محمد بن علي مثله حدثني المثنى قال

(٣) لعل ليس زائدة من الناسخ كتبه مصححه

الذين أحصروا فى سبيل الله بعث عبد الرحمن بن عوف بدنانير الى أصحاب الصفة وبعث على بوسق من تمر ليلا فنزلت الآية وفى تقديم ذكر الليل وتقديم السر على العلانية دليل على أن صدقة على رضى الله عنه كانت أكمل وعن ابن عباس ما كان على رضى الله عنه ملك الا أربعة دراهم فتصدق بدرهم نهارا وبدرهم ليلا وبدرهم سرا وبدرهم علانية فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ما حملك على هذا فقال أن أستوجب ما وعدلى ربى فقال ذلك لك ونزلت الآية وقيل نزلت فى أبى بكر حين تصدق بأربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة فى السر وعشرة فى العلانية وقيل فى علف الخيل وارتباطها فى سبيل الله وكان أبو هريرة اذا مر بفرس سمين قرأ هذه الآية والله تعالى أعلم بحقيقة الحال ۞ التأويل أنفقوا من طيبات ما كسبتم فيه صلاح المتصدق من وجوه أحدها لو فسر الطيب بالحلال فليتقبل الله منه ولو فسر بالجودة فليجزه بقدر جودته وثانيها الثبات على التعظيم لأمر الله وثالثها لثبات على الشفقة على خلق الله ورابعها الثبات على الايثار ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وخامسها ليستحق البر لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وسادسها الثبات على زيادة الايمان وان المتصدق فى صدقته كالزارع فى زراعته فكما أن الزارع كلما ازداد ايقانه بحصول الثمرة اجتهد فى جودة البذر فكذا المتصدق كلما ازداد ايمانه بالبعث والجزاء زاد فى جودة صدقته لتحققه ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها وقدم ذكر الكسب على ذكر المخرج من الأرض لقوله صلى الله عليه وسلم ان أطيب ما يأكل الرجل من كسب يده وفى الآية معنى آخر لطيف أنفقوا من طيبات ما كسبتم من تزكية النفوس وتصفية القلوب ومما أخرجنا لكم من أرض طينتكم من تحلية سرائركم بمكارم الأخلاق ولتكن النفقة طيبة من خباثة الشبهات طيبا انفاقها من خباثة الأغراض الدنيوية والأخروية

ثنا قبيصة بن عقبة قال ثنا سفيان عن المغيرة عن ابراهيم وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة قال هذا فى الربا حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن منصور عن ابراهيم فى الرجل يتزوج الى الميسرة قال الى الموت أو الى فرقة حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم فنظرة الى ميسرة قال ذلك فى الربا حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا مندل عن ليث عن مجاهد فنظرة الى ميسرة قال يؤخره ولا يزد عليه وكان اذا حل دين أحدهم فلم يجد ما يعطيه زاد عليه وأخره وحدثنا أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا مندل عن ليث عن مجاهد وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة قال يؤخره ولا يزد عليه * وقال آخرون هذه الآية عامة فى كل من كان له قبل رجل معسر حق من أى وجهة كان ذلك الحق من دين حلال أو ربا ذكر من قال ذلك حدثنى يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك قال من كان ذا عسرة فنظرة الى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم قال وكذلك كل دين على مسلم فلا يحل لمسلم له دين على أخيه يعلم منه عسرة أن يسجنه ولا يطلبه حتى ييسره الله عليه وانما جعل النظرة فى الحلال فمن أجل ذلك كانت الديون على ذلك حدثنى على بن حرب قال ثنا ابن فضيل عن يزيد بن أبى زياد عن مجاهد عن ابن عباس وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة قال نزلت فى الدين * والصواب من القول فى قوله وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة أنه معنى به غرماء الذين كانوا أسلموا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهم عليهم ديون قد أربوا فيها فى الجاهلية فأدركهم الاسلام قبل أن يقبضوها منهم فأمر الله بوضع ما بقى من الربا بعد ما أسلموا وبقبض رؤس أموالهم ممن كان منهم من غرمائهم موسرا وانظار من كان منهم معسرا برؤس أموالهم الى ميسرتهم فذلك حكم كل من أسلم وله ربا قد أربى على غريم له فان الاسلام يبطل عن غريمه ما كان له عليه من قبل الربا ويلزمه أداء رأس ماله الذى كان أخذ منه أو لزمه من قبل الارباء اليه ان كان موسرا وان كان معسرا كان منظرا برأس مال صاحبه الى ميسرته وكان الفضل على رأس المال مبطلا عنه غير أن الآية وان كانت نزلت فيمن ذكرنا واياهم عنى بها فان الحكم الذى حكم الله به من انظاره المعسر برأس مال المربى بعد بطول الربا عنه حكم واجب لكل من كان عليه دين لرجل قد حل عليه وهو بقضائه معسر فى أنه منظر الى ميسرته لان دين كل ذى دين فى مال غريمه وعلى غريمه قضاؤه منه لا فى رقبته فاذا عدم ماله فلا سبيل له على رقبته بحبس ولا بيع وذلك أن مال رب الدين لن يخلو من أحد وجوه ثلاثة اما أن يكون فى رقبة غريمه أو فى ذمته يقضيه من ماله أو فى مال له بعينه فان يكن فى مال له بعينه فقد بطل ذلك المال وعدم فقد بطل دين رب المال وذلك ما لا يقوله أحد ويكون فى رقبته فان يكن كذلك فقد عدمت نفسه فقد بطل دين رب الدين وان خلف الغريم وفاء بحقه وأضعاف ذلك وذلك أيضا لا يقوله أحد فقد تبين اذا كان ذلك كذلك أن دين رب المال فى ذمة غريمه يقضيه من ماله فاذا عدم ماله فلا سبيل له على رقبته لانه قد عدم ما كان عليه أن يؤدى منه حق صاحبه لو كان موجودا واذا لم يكن على رقبته سبيل لم يكن الى حبسه بحقه وهو معدوم سبيل لانه غير مانعه حقا له الى قضائه سبيل فيعاقب بظلمه اياه بالحبس * القول فى تأويل قوله (وأن تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون) يعنى جل وعز بذلك وأن تتصدقوا برؤس أموالكم على هذا المعسر خير لكم أيها القوم من أن تنظروه الى ميسرته لتقبضوا رؤس أموالكم منه اذا أيسر ان كنتم تعلمون موضع الفضل فى الصدقة وما أوجب الله من الثواب لمن وضع عن غريمه المعسر دينه واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم

معنى

طيبا منفقها من خباثة الالتفات والنظر في الانفاق الى غير الله فاذا كانت النفقة طيبة في نفسها فالله قبول طيب من الوسائط فيأخذها بيده ويربيها قبل أن تقع في يد الفقير واذا كانت اليد طيبة في انفاقها فالله قبول طيب فانها أبلغ عند الله من عملها واذا كان القلب المنفق طيبا عن الالتفات الى غير الله فلله قبول طيب عن الاغيار بين اصبعين من أصابع الرحمن وهذا التحقيق قوله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب ولا يقبل الا الطيب ولستم بآخذيه هذا الخبيث لا في أصل الفطرة ولا في عهد الخلقة لأنكم خلقتم من أصل طيب وطينة طيبة فالروح من أطيب الأطايب لأنه أقرب الأقربين الى حضرة رب العالمين والجسد من التراب الطيب فتيمموا صعيدا طيبا ثم أحياكم بالايمان فلنحيينه حياة طيبة ثم يرزقكم من الطيبات كلوا من طيبات ما رزقناكم فليس منكم شئ خبيث في الظاهر والباطن الا أن تغمضوا فيه فتقبلوه تكلفا وقسرا كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه فلما لم تكن الخباثة ذاتية للانسان بل كانت طارئة عليه عارية لديه أنزل الله تعالى كلمة طيبة هي لا اله الا الله ليطيب بالمواظبة عليها أخلاقهم ويستحقوا يوم القيامة أن يقال لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين واعلموا أن الله غني في كمال غناه أراد أن يغنيكم بثواب الانفاق حميد على ما أنعم بهذا التكليف لتتوسل به الى الكمال الابدي الشيطان يعدكم الفقر ظاهرا فهو يأمركم بالفحشاء باطنا لأنها اسم جامع لكل سوء فيتضمن البخل والحرص واليأس من الحق والشك في مواعيد الحق بالخلف والتضعيف وسوء الظن بالله وترك التوكل عليه ونسيان فضله وتعلق القلب بغيره ومتابعة الشهوات وترك العفة والقناعة والتمسك بحب الدنيا وهو رأس كل خطيئة وبذر كل بلية فمن فتح على نفسه باب وسوسة فسوف يبتلى بهذه الآفات وأضعافها ومن فتح على نفسه باب عدة الحق أفاض عليه.

معنى ذلك وأن تصدقوا برؤس أموالكم على الغني والفقير منهم خير لكم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان تبتم فلكم رؤس أموالكم والمال الذي لهم على ظهور الرجال جعل لهم رؤس أموالهم حين نزلت هذه الآية فأما الربح والفضل فليس لهم ولا ينبغي لهم أن يأخذوا منه شيأ وأن تصدقوا خير لكم يقول أن تصدقوا بأصل المال خير لكم حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن سعيد عن قتادة وأن تصدقوا أي برأس المال فهو خير لكم و حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن مغيرة عن ابراهيم وأن تصدقوا خير لكم قال من رؤس أموالكم حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن المغيرة عن ابراهيم بمثله حدثني المثنى قال ثنا قبيصة بن عقبة قال ثنا سفيان عن مغيرة عن ابراهيم وأن تصدقوا خير لكم قال أن تصدقوا برؤس أموالكم * وقال آخرون معنى ذلك وأن تصدقوا به على المعسر خير لكم نحو ما قلنا في ذلك ذكر من قال ذلك حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي وأن تصدقوا خير لكم قال وأن تصدقوا برؤس أموالكم على الفقير فهو خير لكم فتصدق به العباس حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم يقول وان تصدقت عليه برأس مالك فهو خير لك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك في قوله وأن تصدقوا خير لكم يعني على المعسر فأما الموسر فلا ولكن يؤخذ منه رأس المال والمعسر الأخذ منه حلال والصدقة عليه أفضل حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك وأن تصدقوا برؤس أموالكم خير لكم من نظرة الى ميسرة فاختار الله عز وجل الصدقة على النظارة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم قال من النظرة ان كنتم تعلمون حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فنظرة الى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم والنظرة واجبة وخير الله عز وجل الصدقة على النظرة والصدقة لكل معسر فأما الموسر فلا وأولى التأويلين بالصواب تأويل من قال معناه وأن تصدقوا على المعسر برؤس أموالكم خير لكم لانه يلي ذكر حكمه في المعنيين والحاقه بالذي يليه أحب الي من الحاقه بالذي بعد منه وقد قيل ان هذه الآيات في أحكام الربا هن آخر آيات نزلت من القرآن ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن سعيد و حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب قال كان آخر ما نزل من القرآن آية الربا وان نبي الله صلى الله عليه وسلم قبض قبل أن يفسرها فدعوا الربا والريبة حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا داود عن عامر أن عمر رضي الله عنه قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فانه والله ما أدري لعلنا نأمركم بأمر لا يصلح لكم وما أدري لعلنا ننهاكم عن أمر يصلح لكم وانه كان من آخر القرآن تنزيلا آيات الربا فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يبينه لنا فدعوا ما يريبكم الى ما لا يريبكم حدثني أبو زيد عمر بن شبة قال ثنا قبيصة قال ثنا سفيان الثوري عن عاصم عن الاحول عن الشعبي عن ابن عباس قال آخر ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية الربا وانا لنأمر بالشئ لا ندري لعل به بأسا وننهى عن الشئ لعله ليس به بأس * القول في تأويل قوله (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) وقيل هذه الآية أيضا آخر

سجال غفرانه وبحار فضله واحسانه فالمغفرة تكفير الذنوب والآثام والفضل مالا تدركه الاوهام للذين أحسنوا الحسنى وزيادة فمن ذلك أن يفتح على قلبه باب حكمته عاجلا كما قال يؤتي الحكمة من يشاء وليست الحكمة مما يحصل بمجرد التكرار كما ظنه أهل الانكار والذين لم يفرقوا بين المعقولات وبين الاسرار والحكم الالهيات فالمعقولات ما تكتسب بالبرهان وهي مشتركة بين أهل الاديان والاسرار الالهية مواهب الحق لا ترد الا على قلوب الانبياء والاولياء نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء وما يذكر الا أولوا الالباب الذين لم يقفوا عند القشور وارتقوا الى لب عالم النور ثم أخبر عن توفية الاجور للمنفق في المفروض والمنذور وما للظالمين الذين وضعوا الشيء في غير موضعه فبدلوا بالانفاق النفاق وبالاخلاص الرياء من أنصار ولا ناصر بالحقيقة الا الله ومن أذن له الله ابداء الصدقات ضد اخفائها واخفاؤها تخليصها عن شوب الحظوظ واليه الاشارة في قوله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله في ظله ثم قال ورجل تصدق بيمينه فأخفاها عن شماله أي عن حظوظ نفسه لتكون خالصة لوجه الله فصاحبها يكون في ظل الله قال صلى الله عليه وسلم ان المرء يكون في ظل صدقته يوم القيامة أي ان كانت صدقته لله كان في ظل الله وان كانت للجنة كان في ظل الجنة وان كانت للهوى كان في ظل الهاوية فمعنى قوله ان تبدوا الصدقات أي تظهروها لطمع ثواب الجنة فان طمع الثواب شوب حظ فنعما هي فانها مرتبة الابرار ان الابرار لفي نعيم وان تخفوها عن كل حظ ونصيب وتؤتوها الفقراء الذين تعطونها اياهم لوجه الله لا لحظ النفس فهو خير لكم لان جزاءها لقاء الله ثم أخبر عن الهداية وأن ليس لاحد عليها الولاية وان الله فيها ولي الكفاية يا محمد لك المقام المحمود واللواء المعقود ولك الوسيلة وعلى الانبياء الفضيلة وأنت سيد الاولين والآخرين

آية نزلت من القرآن ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا أبو تميلة قال ثنا الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس قال آخر آية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الآية فهي آخر آية من الكتاب أنزلت حدثني محمد بن عمارة قال ثنا اسمعيل بن سهل بن عامر قال ثنا مالك بن مغول عن عطية قال آخر آية نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسمعيل بن أبي خالد عن السدي قال آخر آية نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن عبيد بن سلمان عن الضحاك عن ابن عباس وحجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس آخر آية نزلت من القرآن واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون قال ابن جريج يقولون ان النبي صلى الله عليه وسلم مكث بعدها تسع ليال وبدأ يوم السبت ومات يوم الاثنين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب قال ثني سعيد بن المسيب أنه بلغه أن أحدث القرآن بالعرش آية الدين يعني بذلك جل ثناؤه واحذروا أيها الناس يوما ترجعون فيه الى الله فتلقونه فيه أن تردوا عليه بسيآت تهلككم أو بمخزيات تخزيكم أو بفضيحات تفضحكم فتهتك أستاركم أو بموبقات توبقكم فتوجب لكم من عقاب الله مالا قبل لكم به وانه يوم مجازاة الاعمال لا يوم استعتاب ولا يوم استقالة وتوبة وانابة ولكنه يوم جزاء وثواب ومحاسبة توفى فيه كل نفس أجرها على ما قدمت واكتسبت من سيئ وصالح لا يغادر فيه صغيرة ولا كبيرة من خير وشر الا أحضرت فتوفى جزاءها بالعدل من ربها وهم لا يظلمون كيف يظلم من جوزي بالاساءة مثلها وبالحسنة عشر أمثالها كلا بل عدل عليك أيها المسيء وتكرم عليك فأفضل وأسبغ أيها المحسن فاتقى امرؤ ربه فأخذ منه حذره وراقبه أن يهجم عليه يومه وهو من الاوزار ظهره ثقيل ومن صالحات الاعمال خفيف فانه عز وجل حذر فأعذر ووعظ فأبلغ

﴿ القول في تأويل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى) يعني بذلك جل ثناؤه يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله اذا تداينتم يعني اذا تبايعتم بدين أو اشتريتم به أو تعاطيتم أو أخذتم به الى أجل مسمى يقول الى وقت معلوم وقتموه بينكم وقد يدخل في ذلك القرض والسلم في كل ما جاز السلم شرى أجل بيعه يصير دينا على بائع ما أسلم اليه فيه ويحتمل بيع الحاضر الجائز بيعه من الاملاك بالاثمان المؤجلة كل ذلك من الديون المؤجلة الى أجل مسمى اذا كانت آجالها معلومة بحد موقوف عليه وكان ابن عباس يقول نزلت هذه الآية في السلم خاصة ذكر الرواية عنه بذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يحيى ابن عيسى الرملي عن سفيان عن ابن أبي نجيح قال قال ابن عباس في يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى قال السلم في الحنطة في كيل معلوم الى أجل معلوم حدثني محمد بن عبد الله المخرمي قال ثنا يحيى بن الصامت قال ثنا ابن المبارك عن سفيان عن أبي حيان عن ابن أبي نجيح عن ابن عباس يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين قال نزلت في السلم في كيل معلوم الى أجل معلوم حدثنا علي ابن سهل قال ثنا يزيد بن أبي الزرقاء عن سفيان عن أبي حيان عن رجل عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه في السلم في الحنطة في كيل معلوم الى أجل معلوم حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن محبب قال ثنا سفيان عن أبي حيان التيمي عن رجل عن ابن

عباس قال نزلت هـذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجـل مسمى فى السلف فى الحنطـة فى كيل معلوم الى أجل معلوم حدثنا ابن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنى أبى عن قتادة عن أبى حيان عن ابن عباس قال أشهد أن السلف المضمون الى أجـل مسمى أن الله عز وجـل قد أحـله وأذن فيه ويتلو هـذه الآية اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فان قال قائل وما وجـه قوله بدين وقد دل بقوله اذا تداينتم عليـه وهل تكون مداينـة بغـير دين فاحتيج الى أن يقال بدين قيـل ان العرب لما كان مقولا عنـدها تداينا بمعنى تجازينا وبمعنى تعاطينا الأخذ والاعطاء بدين أبان الله بقوله بدين المعنى الذى قصـد تعريفـه من قوله تداينتم حكمه وأعلمهـم أنه حكم الدين دون حكم المجازاة وقد زعم بعضهم أن ذلك تأكيد كقوله فسجد الملائكة كلهـم أجمعون ولا معنى لما قال من ذلك فى هذا الموضع ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (فاكتبوه) يعنى جـل ثناؤه بقوله فاكتبوه فاكتبوا الدين الذى تداينتموه الى أجل مسمى من بيع كان ذلك أو قرض واختلف أهل العلم فى اكتتاب الكتاب بذلك على من هو عليـه هل هو واجب أو هو ندب فقال بعضهم هو حق واجب وفرض لازم ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهـير عن جويبر عن الضحاك فى قوله يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجـل مسمى فاكتبوه قال من باع الى أجل مسمى أمر أن يكتب صـغيرا كان أو كبيرا الى أجل مسمى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه قال فمن ادّان دينا فليكتب ومن باع فليشـهد حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيـه عن الربيع فى قوله اذا تداينتم بدين الى أجـل مسمى فاكتبوه فكان هذا واجبا وحدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مثله وزاد فيـه قال ثم قامت الرخصـة والسـعة قال فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانتـه وليتق الله ربه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سـعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن أبا سليمان المرعشى كان رجـلا صحب كعبا فقال ذات يوم لأصحابه هل تعلمون مظلوما دعا ربه فلم يستجب له قالوا وكيف يكون ذلك قال رجـل باع شيأ فلم يكتب ولم يشهد فلما حل ماله جحده صاحبه فدعا ربه فلم يسـتجب له لأنه قد عصى ربه * وقال آخرون كان اكتتاب الكتاب بالدين فرضا فنسخه قوله فان أمن بعضكم بعضا فليؤدّ الذى اؤتمن أمانتـه ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال اخـبرنا الثورى عن ابن شبرمة عن الشعبى قال لا بأس اذا أمنته أن لا تكتب ولا تشـهد لقوله فان أمن بعضكم بعضا قال ابن عيينـة قال ابن شـبرمة عن الشعبى الى هـذا انتهى حدثنا المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عامر فى هـذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجـل مسمى فاكتبوه حتى بلغ هـذا المكان فان أمن بعضكم بعضا فليؤدّ الذى اؤتمن أمانتـه قال رخص فى ذلك فمن شاء أن يأتمن صاحبـه فليأتمنه حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون عن عمرو عن عاصم عن الشـعبى قال ان ائتمنه فلا يشـهد عليه ولا يكتب حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن اسمعيل بن أبى خالد عن الشـعبى قال فكانوا يرون أن هـذه الآية فان أمن بعضكم بعضا نسخت ما قبلها من الكتابة والشهود رخصة ورحمة من الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال غير عطاء نسخت الكتاب والشـهادة فان أمن بعضكم بعضا حدثنى يونس قال أخـبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد نسخ

وأنت أكرم الخلائق على رب العالمين ولكن ليس عليك هـداهم ولكن الهداية من خصائص شأننا ولوائح برهاننا أنت تدعوهم ونحن نهديهم ثم نبه على أن أفضل وجوه الانفاق هو الفقير الذى أحصرته المحبة فى الله عن طلب المعاش لا الذى أحصره الفقر والعجز عن طلب الكفاف أخذ عليه سلطان الحقيقـة كل طريق فلا له فى المشرق مذهب ولا له (٧٧) فى المغرب مضرب ولا منـه الى غيره مهرب

كأن فجاج الأرض ضاقت برحبها *

عليه فما تزداد طولا ولا عرضا يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف لانهم مستورون تحت قباب الغيرة محجوبون عن معرفة أهـل الغيرية أوليائى تحت قبابى لا يعرفهم غيرى يا محمد تعرفهـم بسيماهم لانك لست بك فلست غـيرى ما رأيت اذ رأيت ولكن الله رأى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وان سيماهـم لا يرى بالبصر الانسانى بـل يرى من نور ربانى فمن سيماهـم فى الظاهر من ظهور آثار أحـوال الباطن أنهـم لا يسـألون الناس الحافا لا بقليل ولا بكثير لان آثار أنوار غنى قلوبهم انعكست على ظواهرهـم فتنورت بالتعفف نفوسـهم واضمحلت ظلمـة فقرهم وفاقتهم وما تنفقوا من خير من المال أو الجاه أو خدمة بالنفس أو اكرام أو ارادة حتى السـلام على هؤلاء السادة استحقاقا واجلالا لا استخفافا واذلالا فان الله به عليم ومن سيماهـم فى الظاهر أنهم اذا وجـدوا مالا لم يبيعوا عزة الفقر به بـل ينفقون أموالهـم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم عند مليك مقتدر ولا هـم يحزنون فى الدنيا على ما يفوتهم لأنهم تركوها لله وهو لهم خلف عن كل تلف ولا فى الآخرة لا يحزنهم الفزع الأكبر الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى

فله ماسلف وأمره الى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لايحب كل كفار أثيم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقي من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا

فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤس أموالكم لاتظلمون ولاتظلمون وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لايظلمون ﴾

ذلك قوله فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته قال فلولا هذا الحرف لم يبح لأحد أن يدان بدين الا بكتاب وشهداء أو برهن فلما جاءت هذه نسخت هذا كله صار الى الامانة حدثني المثنى قال ثنا حجاج قال ثنا يزيد بن زريع عن سليمان التيمي قال سألت الحسن قلت كل من باع بيعا ينبغي له أن يشهد قال ألم تر أن الله عز وجل يقول فليؤد الذي اؤتمن أمانته حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عامر في هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه حتى بلغ هذا المكان فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته قال رخص في ذلك فمن شاء أن يأتمن صاحبه فليأتمنه حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن داود عن الشعبي في قوله فان أمن بعضكم بعضا قال ان أشهدت فحزم وان لم تشهد ففي حل وسعة حدثني يعقوب قال ثنا هشيم عن اسمعيل بن أبي خالد قال قلت للشعبي أرأيت الرجل يستدين من الرجل الشئ أحتم عليه أن يشهد قال فقرأ الى قوله فان أمن بعضكم بعضا قد نسخ ما كان قبله حدثنا عمرو بن علي قال ثنا محمد ابن مروان العقيلي قال ثنا عبد الملك بن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري أنه قرأ يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى قال فقرأ الى فان أمن بعضكم بعضا قال هذه نسخت ماقبلها

(ق) القول في تأويل قوله تعالى (وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله) يعني بذلك جل ثناؤه وليكتب كتاب الدين الى أجل مسمى بين الدائن والمدين كاتب بالعدل يعني بالحق والانصاف في الكتاب الذي يكتبه بينهما بما لايحيف ذا الحق حقه ولا يبخسه ولا يوجب له حجة على من عليه دينه فيه بباطل ولا يلزمه ماليس عليه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله وليكتب بينكم كاتب بالعدل قال اتقى الله كاتب في كتابه فلا يدعن منه حقا ولا يزيدن فيه باطلا وأما قوله ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فانه يعني ولا يأبين كاتب استكتب ذلك أن يكتب بينهم كتاب الدين كما علمه الله كتابته فخصه بعلم ذلك وحرمه كثيرا من خلقه وقد اختلف أهل العلم في وجوب الكتاب على الكاتب اذا استكتب ذلك نظير اختلافهم في وجوب الكتاب على الذي له الحق ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل ولا يأب كاتب قال واجب على الكاتب أن يكتب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قلت لعطاء قوله ولا يأب كاتب أن يكتب أواجب أن لا يأبى أن يكتب قال نعم قال ابن جريج وقال مجاهد واجب على الكاتب أن يكتب حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن جابر عن عامر وعطاء قوله ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله قالا اذا لم يجدوا كاتبا فدعيت فلا تأب أن تكتب لهم * ذكر من قال هي منسوخة قد ذكرنا جماعة ممن قال كل ما في هذه الآية من الأمر بالكتابة والاشهاد والرهن منسوخ بالآية التي في آخرها وأذكر قول من تركنا ذكره هنالك ببعض المعاني حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك ولا يأب كاتب قال كانت عزيمة فنسختها ولا يضار كاتب ولا شهيد حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فكان هذا واجبا على الكتاب * وقال آخرون هو على الوجوب ولكنه واجب على الكاتب في حال

(ق) القراآت الربا حيث كان بالامالة حمزة وعلي وخلف وهذا اذا كان معرفا ولايميلون المنكر في الوصل لأجل التنوين كقوله وما آتيتم من ربا ويميلون في الوقف لزوال التنوين فأذنوا ممدودة مكسورة الذال حمزة وحماد وأبو بكر غير ابن غالب والبرجمي حمزة يقف بغير همزة أي بالتليين الباقون فأذنوا بسكون الهمزة وفتح الذال لاتظلمون ولاتظلمون الأول مبني للمفعول والثاني للفاعل المفضل الباقون بالعكس ميسره بضم السين نافع ميسرة بضم السين واثبات التاء زيد عن يعقوب الباقون بفتح السين وعدم التاء وأن تصدقوا خفيفا بحذف احدى التاءين عاصم الباقون بتشديد الصاد لادغام تاء التفعل في الصاد ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم أبو عمرو ويعقوب عباس مخير الباقون مبنيا للمفعول (و) الوقوف من المس

ط مثل الربا م كيلا يظن أن ما بعده من قولهم وان أمكن جعل وأحل حالا باضمار قد وحرم الربا ط لابتداء الشرط واستئناف المعنى ماسلف ط لتناهي الجزاء الى الله ج النار ج خالدون ○ الصدقات ط أثيم ○ عند ربهم ج يحزنون ○ مؤمنين ○ ورسوله ج أموالكم ج لان ما بعده مستأنف أو حال عامله معنى الفعل في لام التمليك ولاتظلمون ○ ميسرة ط تعلمون ○

فراغه

فراغــه ذكر من قال ذلك حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قوله وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله يقول لا يأب كاتب أن يكتب ان كان فارغا ٭ والصواب من القول فى ذلك عنــدنا أن الله عز وجــل أمر المتداينين الى أجل مسمى باكتتاب كتب الدين بينهــم وأمر الكاتب أن يكتب ذلك بينهــم بالعدل وأمر الله فرض لازم الا أن تقوم حجــة بأنه ارشاد وندب ولا دلالة تدل على أن أمره جــل ثناؤه باكتتاب الكتب فى ذلك وأن تقــدمه الى الكاتب أن لا يأبى كتابه ذلك ندب وارشاد فذلك فرض عليهم لا يسعهم تضييعه ومن ضيعه منهم كان حرجا بتضييعه ولا وجه لاعتــلال من اعتــل بأن الأمر بذلك منسوخ بقوله فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته لان ذلك انما أذن الله تعالى ذكره به حيث لا سبيل الى الكتاب أو الى الكاتب فأما والكتاب والكاتب موجودان فالفرض اذا كان الدين الى أجــل مسمى ما أمر الله تعالى ذكره به فى قوله فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله وانما يكون الناسخ ما لم يجز اجتمــاع حكمه وحكم المنسوخ فى حال واحدة على السبيل التى قد بيناها فأما ما كان أحدهما غير ناف حكم الآخر فليس من الناسخ والمنسوخ فى شئ ولو وجب أن يكون قوله وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته ناسخا قوله اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله لوجب أن يكون قوله وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحــد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صــعيدا طيبا ناسخا الوضوء بالماء فى الحضر عنــد وجود الماء فيه وفى السفر الذى فرضــه الله عز وجل بقوله يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وأن يكون قوله فى كفارة الظهار فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ناسخا قوله فتحرير رقبة من قبــل أن يتمــاسا فيسئل القائل ان قول الله عز وجــل فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته ناسخ قوله اذا تداينتم بدين الى أجــل مسمى فاكتبوه ما الفرق بينه وبين القائل فى التيمم ما ذكرنا قوله فزعم أن كل ما أبيح فى حال الضرورة لعلة الضرورة ناسخ حكمه فى حال الضرورة حكمه فى كل أحواله نظير قوله فى أن الأمر باكتتاب كتب الديون والحقوق منسوخ بقوله وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته فان قال الفرق بينى وبينــه أن قوله فان أمن بعضكم بعضا كلام منقطع عن قوله وان كنتم على سـفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة وقد انتهى الحكم فى الســفر اذا عدم فيــه الكاتب بقوله فرهان مقبوضــة وانما عنى بقوله فان أمن بعضكم بعضا اذا تداينتم بدين الى أجــل مسمى فأمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانتــه قيــل له وما البرهان على ذلك من أصــل أو قياس وقد انقضى الحكم فى الدين الذى فيه الى الكاتب والكتاب سبيل بقوله ويعلمكم الله والله بكل شئ علــيم وأما الذين زعموا أن قوله فاكتبوه وقوله ولا يأب كاتب على وجه النــدب والارشاد فانهــم يسئلون البرهان على دعواهم فى ذلك ثم يعارضون بسائر أمر الله عز وجل الذى أمر فى كتابه ويسئلون الفرق بين ما ادعوا فى ذلك وأنكروه فى غيره فلم يقولوا فى شئ من ذلك قولا الا ألزموا فى الآخر مثــله (١) ذكر من قال العــدل فى قوله وليكتب بينكم كاتب بالعدل الحق ﴿ القول فى تأويل قوله (وليملل الذى عليه

(١) كذا فى النسخ ولم يذكر أحــدا ممن قال بهذا ولعله قد كان بيض له ثم سها عنــه أو خال الأجل دون بلوغ مراده اهـ كتبه مصححه

لا يظلمون ٥ ﴿ التفسير الحكم الثانى من الأحكام الشرعية المذكورة فى هذا الموضع حكم الربا وذلك أن بين الصدقة وبين الربا مناسبة التضاد فان الصدقة تنقيص مأمور بها والربا زيادة منهى عنها وأيضا لما أمر بالانفاق من طيبات المكاسب وجب أن يردف بالكسب الحرام وهو الربا والحلال وهو البيع ما يناسب من الدين والرهن وغيرهــما فقال الذين يأكلون الربا أما الأكل فيعم جميع التصرفات الا أنه عبر عن الشئ بمعظم مقاصــــده وكيف لا وقد لعن رسول الله صــــلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبــه وشاهديه والمحلل له وأيضا نفس الربا لا يمكن أن يؤكل ولكن يصرف الى المأ ــكول فيؤكل فالمراد التصرف فيـــــه والربا فى اللغــة الزيادة من ربا يربو ومن أمالها فلمكان كسرة الراء وهو فى المصاحف مكتـــوب بالواو وأنت مخير فى كتابتها بالألف والواو وفى الكــشاف كتبت بالواو على لغــــة من يفخم كما كتبت الصــلاة والزكاة وزيدت الألف بعدها تشبيها بواو الجمع ثم الربا قسمــان ربا النسيئة وربا الفضـــــل أما الأول فهو الذى كانوا يتعارفونه فى الجاهلية كانوا يدفعون المــال مدة على أن يأخذوا كل شــهر قدرا معينا ثم اذا حــل الدين طالب المديون برأس المـال فان تعذر عليه الأداء زادوا فى الحق والأجــل وأما ربا الفضــــل فأن يباع من من الحنطة بمنوين مثلا والمروى عن ابن عباس أنه كان لا يحـــرم الا القسم الاول وكان يقــول لا ربا الا فى النسيئة ويجوّز ربا النقد فقال له أبو سعيد الخدرى أشهدت ما لم نشهد أسمعت ما لم نسمع فروى له الحديث المشهور فى هذا الباب وله روايات منها الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد فمن زاد أو استزاد فقد أربى الآخذ والمعطى فيه سواء ثم قال أبو سعيد لا أرانى واياك فى ظل بيت ما دمت على هذا فيروى أنه رجع عنه قال محمد بن سيرين كنا فى بيت ومعنا عكرمة فقال رجل يا عكرمة أما

تذكر ونحن في بيت فلان ومعنا ابن عباس فقال انما كنت استحللت الصرف برأيي ثم بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمه فاشهدوا أني قد حرمته وبرئت الى الله منه حجة ابن عباس ان قوله تعالى وأحل الله البيع يتناول بيع الدرهم بالدرهمين نقدا وقوله وحرم الربا لا يتناوله لان كل زيادة ليست محرمة فوجب أن تبقى على الحل ولا يخرج الا العقد المخصوص الذي كان يسمى فيما بينهم ربا وهو ربا النسيئة وقد تأكد هذا الرأي بما روى اسامة بن زيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الربا في النسيئة وفي رواية لا ربا فيما كان يدا بيد وذكر أبو المنهال أنه سال البراء بن عازب وزيد بن أرقم فقالا كنا تاجرين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصرف فقال ان كان يدا بيد فلا بأس وان كان نسيئة فلا يصح وأما جمهور المجتهدين فقد اتفقوا على حرمة الربا في القسمين أما النسيئة فبالقرآن وأما النقد فبالخبر ثم ان الخبر دل على حرمة ربا النقد في الأشياء الستة النقدان والمطعومات الأربعة ولا شك أن الربا انما ثبت فيها لمعنى فاذا عرف ذلك المعنى ألحق بها ما يشاركها فيه أما الأشياء الأربعة فللشافعي في علة الربا فيها قولان الجديد أن العلة الطعم لما روى عن معمر بن عبد الله قال كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الطعام بالطعام مثل بمثل علق الحكم باسم الطعام والحكم المعلق بالاسم المشتق معلل بما منه الاشتقاق كالقطع المعلق باسم السارق والجلد المعلق باسم الزاني والقديم ان العلة فيها الطعم مع الكيل أو الوزن لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال الذهب بالذهب وزنا بوزن والبر بالبر كيلا بكيل فعلى هذا يثبت الربا في كل مطعوم مكيل أو موزون دون ما ليس بمكيل ولا موزون كالسفرجل والرمان والبيض والجوز وقال مالك العلة الاقتيات فكل ما هو قوت أو يستصلح به القوت كالملح يجري فيه الربا وعند أبي حنيفة

الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا) يعني بذلك فليكتب الكاتب وليملل الذي عليه الحق وهو الغريم المدين يقول ليتول المدين املال كتاب ما عليه من دين رب المال على الكاتب وليتق الله ربه المملي الذي عليه الحق فليحذر عقابه في بخس الذي له الحق من حقه شيئا أن ينقصه منه ظلما أو يذهب به منه تعديا فيؤخذ به حيث لا يقدر على قضائه الا من حسناته أو أن يتحمل من سيئاته كما حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع فليكتب وليملل الذي عليه الحق فكان هذا واجبا وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا يقول لا يظلم منه شيئا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا يبخس منه شيئا قال لا ينقص من حق هذا الرجل شيئا اذا أملى القول في تأويل قوله (فان كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل) يعني بقوله جل ثناؤه فان كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا فان كان المدين الذي عليه المال سفيها يعني جاهلا بالصواب في الذي عليه أن يمله على الكاتب كما حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فان كان الذي عليه الحق سفيها أما السفيه فالجاهل بالاملاء والأمور * وقال آخرون بل السفيه في هذا الموضع الذي عناه الله الطفل الصغير ذكر من قال ذلك حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فان كان الذي عليه الحق سفيها أما السفيه فهو الصغير حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله فان كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا قال هو الصبي الصغير فليملل وليه بالعدل * وأولى التأويلين بالآية تأويل من قال السفيه في هذا الموضع الجاهل بالاملاء وموضع صواب ذلك من خطئه لما قد بينا قبل من أن معنى السفه في كلام العرب الجهل وقد يدخل في قوله فان كان الذي عليه الحق سفيها كل جاهل بصواب ما يمل من خطئه من صغير وكبير وذكر وأنثى غير أن الذي هو أولى بظاهر الآية أن يكون مرادا بها كل جاهل بموضع خطا ما يمل وصوابه من بالغي الرجال الذين لا يولى عليهم والنساء لانه جل ذكره ابتدأ الآية بقوله يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى والصبي ومن يولى عليه لا يجوز مداينته وأن الله عز وجل قد استثنى من الذين أمرهم باملال كتاب الدين مع السفيه الضعيف ومن لا يستطيع املاله ففي فصله جل ثناؤه الضعيف من السفيه ومن لا يستطيع املاء الكتاب في الصفة التي وصف بها كل واحد منهم ما أنبأ عن أن كل واحد من الأصناف الثلاثة الذين بين الله صفاتهم غير الصنفين الآخرين واذا كان ذلك كذلك كان معلوما أن الموصوف بالسفه منهم دون الضعف هو ذو القوة على الاملال غير أنه وضع عنه فرض الاملال بجهله بموضع صواب ذلك من خطئه وأن الموصوف بالضعف منهم هو العاجز عن املاله وان كان شديدا رشيدا إما لعي لسانه أو خرس به وأن الموصوف بانه لا يستطيع أن يمل هو الممنوع من املاله اما بالحبس الذي لا يقدر معه على حضور الكاتب الذي يكتب الكتاب فيمل عليه واما لغيبته عن موضع الاملال فهو غير قادر من أجل غيبته عن املال الكتاب فوضع الله عنهم فرض املال ذلك للعلل التي وصفنا اذا كانت بهم وعذرهم بترك الاملال من أجلها وأمر عند سقوط فرض ذلك عليهم ولي الحق باملاله فقال فان كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل يعني ولي الحق ولا وجه لقول من زعم أن السفيه في هذا الموضع هو الصغير وأن الضعيف هو الكبير الاحمق لان ذلك ان كان كما قال يوجب أن يكون قوله أو لا يستطيع أن يمل هو هو العاجز من

الرجال

الرجال العقلاء الجائزى الامر فى أموالهم وأنفسهم عن الاملال اما العلة بلسانه من خرس أو غيره من العلل واما الغيبته عن موضع الكتاب واذا كان ذلك كذلك معناه بطل معنى قوله فليملل وليه بالعدل لان العاقل الرشيد لا يولى عليه فى ماله وان كان أخرس أو غائبا ولا يجوز حكم أحد فى ماله الا بأمره وفى صحة معنى ذلك ما يقضى على فساد قول من زعم أن السفيه فى هذا الموضع هو الطفل الصغير أو الكبير الأحمق ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل يقول ولى الحق حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل قال يقول ان كان عجز عن ذلك أملّ صاحب الدين بالعدل * ذكر الرواية عمن قال عنى بالضعيف فى هذا الموضع الاحمق و بقوله فليملل وليه بالعدل ولى السفيه والضعيف حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو قال أمر ولى السفيه أو الضعيف أن يمل بالعدل حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى أما الضعيف فهو الأحمق حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أما الضعيف فالأحمق حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا لا يعرف فيثبت لهذا حقه و يجهل ذلك فوليه بمنزلته حتى يضع لهذا حقه وقد دللنا على أولى التأويلين بالصواب فى ذلك وأما قوله فليملل وليه بالعدل فانه يعنى بالحق ۞ القول فى تأويل قوله (واستشهدوا شهيدين من رجالكم) يعنى بذلك جل ثناؤه واستشهدوا على حقوقكم شاهدين يقال فلان شهيدى على هذا المال وشاهدى عليه وأما قوله من رجالكم فانه يعنى من أحراركم المسلمين دون عبيدكم ودون أحراركم الكفار كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد واستشهدوا شهيدين من رجالكم قال الاحرار حدثنى يونس قال أخبرنا على بن سعيد عن هشيم عن داود بن أبى هند عن مجاهد مثله ۞ القول فى تأويل قوله (فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء) يعنى بذلك جل ثناؤه فان لم يكونا رجلين فليكن رجل وامرأتان على الشهادة ورفع الرجل والمرأتان بالرد على الكون وان شئت قلت فان لم يكونا رجلين فليشهد رجل وامرأتان على ذلك وان شئت فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان يشهدون عليه وان قلت فان لم يكونا رجلين (١) فرجل وامرأتان كان صوابا كل ذلك جائز ولو كان فرجلا وامرأتان نصبا كان جائزا على تأويل فان لم يكونا رجلين فاستشهدوا رجلا وامرأتين وقوله ممن ترضون من الشهداء يعنى من العدول المرتضى دينهم وصلاحهم كما حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله واستشهدوا شهيدين من رجالكم يقول فى الدين فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان وذلك فى الدين ممن ترضون من الشهداء يقول عدول حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك واستشهدوا شهيدين من

(١) أى فالشاهد رجل وامرأتان فيكون خبرا والمبتدأ محذوف عكس ماقبله راجع التفسير الكبير اهـ

العلة الكيل حتى ثبت الربا فى الجص والنورة وعن أحمد رواية كأبى حنيفة والاخرى كالجديد وأما النقدان فعن بعض الاصحاب أن العلة فيهما العينيما الاعلة والمشهور أن العلة فيهما صلاحية الثمنية الغالبة فيشمل التبر والمضروب والحلى والاوانى المتخذة منها ولا يتعدى الحكم الى الفلوس على الاصح وان راجت رواج الذهب والفضة لانتفاء العلة وقال أحمد وأبو حنيفة العلة فيهما الوزن فيتعدى الحكم الى كل موزون كالحديد والرصاص فهذا ضبط المذاهب وتفاريعها الى الفقه . وأما السبب فى تحريم الربا فهو أن من يبيع الدرهم بالدرهمين نقدا أو نسيئة يحصل له زيادة درهم من غير عوض وأخذ مال المسلم من غير عوض محرم لقوله صلى الله عليه وسلم حرمة مال المسلم كحرمة دمه وابقاء رأس المال فى يده مدة مديدة وتمكينه من أن يتجر فيه و ينتفع به أمر موهوم فقد يحصل وقد لا يحصل وأخذ الدرهم الزائد متيقن وتفويت المتيقن لاجل الموهوم لا يخلو من ضرر وقيل سبب تحريمه أنه يمنع الناس من الاشتغال بالمكاسب لان صاحب الدرهم اذا تمكن بواسطة عقد الربا من تحصيل الدرهم الزائد نقدا أو نسيئة أعرض عن وجوه المكاسب فيختل نظام العالم وقيل لما يفضى الى انقطاع المعروف بين الناس من القرض ولانه تمكين للغنى من أن يأخذ مالا زائدا من الفقير وقيل ان حرمة الربا قد ثبتت بالنص ولا يجب أن تكون حكمة كل تكليف معلومة لنا (لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) التخبط الضرب على غير استواء ومنه خبط العشواء وتخبط الشيطان قيل من زعمات العرب يزعمون أن الشيطان يخبط الانسان فيصرع فورد على ما كانوا يعتقدون والمس الجنون رجل ممسوس أى مسه الجنى فاختلط عقله وكذلك جن الرجل ضربته الجن وهذا أيضا من زعماتهم وقيل من عادة الناس اذا أرادوا تقبيح شىء أن يضيفوه الى الشيطان كما فى قوله

تعالى طلعها كأنه رؤس الشياطين فورد القران على ذلك وقيل ان الشيطان يمسه بالوسوسة المؤذية التي يحدث عندها الفزع فيصرع كما يصرع الجبان في الموضع الخالي ولهذا لا يوجد هذا الخبط في العقلاء وأرباب الحزم واللب وأكثر المسلمين على أن الشيطان لا يبعد أن يكون قويا على الصرع والقتل والايذاء بتقدير الله تعالى وللمفسرين في الآية أقوال أحدها أن آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنونا تلك سيماهم يعرفون بها عند أهل الموقف وقوله من المس يتعلق بلا يقومون أي لا يقومون من المس الذي بهم الا كما يقوم المصروع أو يتعلق بيقوم أي كما يقوم المصروع من جنونه وقال ابن قتيبة يريد اذا بعث الناس من قبورهم خرجوا مسرعين الا أكلة الربا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم أكلوا الربا فأرباه الله في بطونهم فأثقلهم وقيل انه ماخوذ من قوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا وذلك أن الشيطان يدعوه الى الهوى والملك يجره الى التقوى فيقع هنالك حركات مضطربة وأفعال مختلفة وهو الخبط فاذا مات آكل الربا على ذلك أورثه الخبط في الآخرة وأوقعه في ذل الحجاب بينه وبين الله تعالى (ذلك) العقاب بسبب قولهم (انما البيع مثل الربا) وذلك أنه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربا أنهم جعلوه أصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا به البيع والا كان حق النظم في الظاهر أن يعكس فيقال انما الربا مثل البيع لان الكلام في الربا لا في البيع ومن حق القياس ان بفتح
يشبه محل الخلاف بمحل الوفاق ثم انهم كانوا يعولون في تحليل الربا على هذه الشبهة وهي أن من اشترى ثوبا بعشرة ثم باعه باحد عشر نقدا أو نسيئة فهذا حلال فكذا اذا أعطى العشرة باحد عشر لا فرق بين الصورتين اذا حصل التراضي من الجانبين والبياعات انما شرعت لدفع

رجالكم أمر الله عز وجل أن يشهد واذوى عدل من رجالهم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ۞ القول في تأويل قوله (أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأ عامة أهل الحجاز والمدينة وبعض أهل العراق أن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى بفتح الالف من أن ونصب تضل وتذكر بمعنى فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان كي تذكر احداهما الأخرى ان ضلت وهو عندهم من المقدم الذي معناه التأخير لأن التذكير عندهم هو الذي يجب أن يكون مكان تضل لان المعنى ما وصفنا في قولهم وقالوا انما نصبنا تذكر لان الجزاء لما تقدم اتصل بما قبله فصار جوابه مردودا عليه كما تقول في الكلام انه ليعجبني أن يسأل السائل فيعطى بمعنى انه ليعجبني أن يعطى السائل ان سأل أو اذا سأل فالذي يعجبك هو الاعطاء دون المسئلة ولكن قوله أن يسأل لما تقدم اتصل بما قبله وهو قوله ليعجبني فتح أن ونصب بها ثم أتبع ذلك قوله يعطى فنصبه بنصب قوله ليعجبني أن يسأل نسقا عليه وان كان في معنى الجزاء * وقرأ ذلك آخرون كذلك غير أنهم كانوا يقرؤنه بتسكين الذال من تذكر وتخفيف كافها وقارئو ذلك كذلك مختلفون فيما بينهم في تأويل قراءتهم اياه كذلك وكان بعضهم يوجهه الى أن معناه فتصير احداهما الاخرى ذكرا باجتماعهما بمعنى أن شهادتها اذا اجتمعت وشهادة صاحبتها جازت كما تجوز شهادة الواحد من الذكور في الدين لان شهادة كل واحدة منهما منفردة غير جائزة فيما جازت فيه من الديون الا باجتماع اثنتين على شهادة واحد فتصير شهادتهما حينئذ منزلة شهادة واحد من الذكور فكأن كل واحدة منهما في قول متأولي ذلك بهذا المعنى صيرت صاحبتها معها ذكرا وذهب الى قول العرب لقد أذكرت بفلان أمه أي ولدته ذكرا فهي تذكر به وهي امرأة مذكرة اذا كانت تلد الذكور من الاولاد وهذا قول يروى عن سفيان بن عيينة أنه كان يقوله حدثت بذلك عن أبي عبيد القاسم بن سلام أنه قال حدثت عن سفيان بن عيينة أنه قال ليس تأويل قوله فتذكر احداهما الاخرى من الذكر بعد النسيان انما هو من الذكر بمعنى انها اذا شهدت مع الاخرى صارت شهادتهما كشهادة الذكر * وقال آخرون منهم يوجهونه الى أنه بمعنى الذكر بعد النسيان * وقرأ ذلك آخرون إن تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى بكسر ان من قوله ان تضل ورفع تذكر وتشديده كأنه بمعنى ابتداء الخبر عما تفعل المرأتان ان نسيت احداهما شهادتها تذكرها الاخرى من تثبيت الذاكرة الناسية وتذكيرها ذلك وانقطاع ذلك عما قبله ومعنى الكلام عند قارئ ذلك كذلك واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء فان احداهما ان ضلت ذكرتها الاخرى على استئناف الخبر عن فعلها ان نسيت احداهما شهادتها من تذكير الاخرى منهما صاحبتها الناسية وهذه قراءة كان الاعمش يقرؤها ومن أخذها عنه وانما نصب الاعمش تضل لانها في محل جزم بحرف الجزاء وهو إن وتأويل الكلام على قراءته ان تضلل فلما اندغمت احدى اللامين في الاخرى حركها الى أخف الحركات ووقع تذكر بالفاء لانه جواب الجزاء والصواب من القراءة عندنا في ذلك قراءة من قرأه بفتح ان من قوله أن تضل احداهما وبتشديد الكاف من قوله فتذكر احداهما الاخرى ونصب الراء منه بمعنى فان لم يكونا رجلين فليشهد رجل وامرأتان كي ان ضلت احداهما ذكرتها الأخرى وأما نصب فتذكر فبالعطف على تضل وفتحت أن بحلولها محل كي وهي في موضع جزاء والجواب بعدها اكتفاء بفتحها أعني

الحاجات ولعل الانسان يكون صفر اليد في الحال ويحصل له أموال كثيرة في المآل فاعطاؤه الزيادة عند وجدان المال أسهل عليه من البقاء في الحاجة قبل وجدان المال فأجاب الله تعالى عنها بحرف واحد وهو قوله وأحل الله البيع وحرم الربا وحاصله انكار التسوية وان النص لا يعارض بالقياس فان ذلك من عمل ابليس أمره الله تعالى بالسجود فعارض النص بالقياس وقال أنا خير منه ثم ظاهر

الآية يدل على أن الوعيد انما لحقهم باستحلالهم الربا دون الاقدام على أكله مع اعتقاد التحريم وعلى هذا التقدير لا يثبت بهذه الآية كون أكل الربا من الكبائر ويجب تأويل مقدمة الآية بأن المراد من أكلهم الربا استطابته واستحلاله كما يقال فلان يأكل مال الله قضما وهضما أي يستحل التصرف فيه الا أن جمهور المفسرين حملوا الآية على وعيد من يتصرف في مال الربا لا على وعيد من يستحل هذا العقد قبل ويحتمل أن يكون قوله وأحل الله البيع وحرم الربا من تمام كلام الكفار على سبيل الاستبعاد وأكثر المفسرين على خلافه لأن جعله من كلام الكفار لا يتم الا باضمار هو أن يحمل ذلك على الاستفهام بطريق الانكار أو على الرواية عن قول المسلمين والاضمار خلاف الاصل وأيضا لو كان من تمام كلامهم فلم يكشف الله تعالى عن فساد شبهتهم فلم يكن قوله بعد ذلك فمن جاءه موعظة من ربه لائقا بالمقام وأيضا المسلمون لم يزالوا متمسكين في البيع بهذه الآية ولولا أنهم علموا أن ذلك كلام الله لا كلام الكفار لم يصح منهم الاستدلال بها وههنا بحث للشافعي وهو أن الآية من المجملات التي لا يجوز التمسك بها بناء على أن الاسم المفرد المعرف باللام لا يفيد العموم وليس فيه الا تعريف الماهية فيكفي في العمل به ثبوت صورة واحدة ولو سلم افادة العموم فلا شك أن افادته أضعف مما لو قيل وأحل الله البياعات بلفظ الجمع ومع ذلك فقد

بفتح أن من كي ونسق الثاني أعني فتذكر على تضل ليعلم أن الذي قام مقام ما كان يعمل فيه وهو ظاهر قد دل عليه وأدى عن معناه وعمله أي عن كي وانما اخترنا ذلك في القراءة لاجماع الحجة من قدماء القراء والمتأخرين على ذلك وانفراد الأعمش ومن قرأ قراءته في ذلك بما انفرد به عنهم ولا يجوز ترك قراءة جاء بها المسلمون مستفيضة بينهم الى غيرها وأما اختيارنا فتذكر بتشديد الكاف فانه بمعنى تأدية الذكر من احداهما على الأخرى وتعريفها بانها ذلك لتذكر فالتشديد به أولى من التخفيف وأما ما حكي عن ابن عيينة من التأويل الذي ذكرناه فتأويل خطأ لا معنى له لوجوه شتى * أحدها أنه خلاف لقول جميع أهل التأويل * والثاني أنه معلوم بأن ضلال احدى المرأتين في الشهادة التي شهدت عليها انما هو خطؤها عنها بنسيانها اياها كضلال الرجل في دينه اذا تحير فيه فعدل عن الحق واذا صارت احداهما بهذه الصفة فكيف يجوز أن تصير الأخرى ذكرا معها مع نسيانها شهادتها وضلالها فيها فالضالة منهما في شهادتها حينئذ لا شك أنها الى التذكير أحوج منها الى الاذكار الا ان أراد أن الذاكرة اذا ضعفت صاحبتها عن ذكر شهادتها شحذتها على ذكر ما ضعفت عن ذكره فنسيته فقوتها بالاذكار حتى صيرتها كالرجل في قوتها في ذكر ما ضعفت عن ذكره من ذلك كما يقال للشئ القوي في عمله ذكر وكما يقال للسيف الماضي في ضربه سيف ذكر ورجل ذكر يراد به ماض في عمله قوي البطش صحيح العزم فان كان ابن عيينة هذا أراد فهو مذهب من مذاهب تأويل ذلك الا أنه اذا تأول ذلك كذلك صار تأويله الى نحو تأويلنا الذي تأولناه فيه وان خالفت القراءة بذلك المعنى القراءة التي اخترناها بان تغير القراءة حينئذ الصحيحة بالذي اختار قراءته من تخفيف الكاف من قوله فتذكر ولا نعلم أحدا تأول ذلك كذلك ويستحب قراءته كذلك بذلك المعنى فالصواب في قوله اذ كان الامر عاما على ما وصفنا ما اخترنا * ذكر من تأول قوله أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى نحو تأويلنا الذي قلنا فيه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى علم الله أن ستكون حقوق فأخذ لبعضهم من بعض الثقة فخذوا بثقة الله فانه أطوع لربكم وأدرك لأموالكم ولعمري لئن كان تقيا لا يزيده الكتاب الا خيرا وان كان فاجرا فبالحري أن يؤدي اذا علم أن عليه شهودا حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى يقول أن تنسى احداهما فتذكرها الأخرى حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي أن تضل احداهما يقول تنسى احداهما الشهادة فتذكرها الأخرى حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك أن تضل احداهما يقول ان تنس احداهما تذكرها الأخرى حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى قال كلاهما لغة وهما سواء ونحن نقرأ فتذكر

القول في تأويل قوله (ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا) اختلف أهل التأويل في الحال التي نهى الله الشهداء عن اباء الاجابة اذا دعوا بهذه الآية فقال بعضهم معناه لا يأب الشهداء أن يجيبوا اذا دعوا ليشهدوا على الكتاب والحقوق ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله تعالى ولا يأب الشهداء اذا

تطرق اليه تخصيصات خارجة عن الحصر والضبط ومثل هذا العموم لا يليق بكلام الله لأنه قريب من الكذب نعم اطلاق اللفظ المستغرق على الأغلب عرف مشهور وأيضا روى أن عمر قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا وما سألناه عن الربا ولو كان هذا اللفظ مفيدا للعموم لم يقل ذلك وأيضا قوله وأحل الله البيع

يقتضي أن يكون كل بيع حلالا وقوله وحرم الربا يقتضي أن يكون كل ربا حراما لأن الربا هو الزيادة ولا بيع الا ويقصد به الزيادة واذا تعارضا تساقطا ووجب الرجوع الى بيان النبي صلى الله عليه وسلم (فمن جاءه موعظة) فمن بلغه وعظ (من ربه فانتهى) امتنع من استحلال الربا وتبع النهي (فله ما سلف) فلا يؤاخذ بما مضى منه لأنه أخذ قبل نزول التحريم كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف عن الزجاج والتنوين في موعظة للتعظيم أو للتقليل أي موعظة بليغة أو شئ من المواعظ وقيل النهي المتأخر كيف يؤثر في الفعل المتقدم حتى يكون ما سلف ذنبا فالمراد له ما أكل من الربا وليس عليه رد ما سلف عن السدي والسلوف التقدم ومنه الأمم السالفة وسلافة الخمر صفوتها لأنه أول ما يخرج من عصيرها (وأمره الى الله) لأنه ان انتهى عن أكل الربا كما انتهى عن استحلاله فهو المقر بدين الله العامل بتكليفه فيستحق المدح والثواب وان انتهى عن الاستحلال دون الاكل فان شاء عذبه وان شاء غفر له لقوله ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء (ومن عاد) الى

ما دعوا كان الرجل يطوف في الحواء العظيم فيه القوم فيدعوهم الى الشهادة فلا يتبعه أحد منهم قال وكان قتادة يتأول هذه الآية ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ليشهد والرجل على رجل حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا قال كان الرجل يطوف في القوم الكثير يدعوهم ليشهدوا فلا يتبعه أحد منهم فأنزل الله عز وجل ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا قال لا تأب أن تشهد اذا ما دعيت الى شهادة * وقال آخرون بمثل معنى هؤلاء الا أنهم قالوا يجب فرض ذلك على من دعي للاشهاد على الحقوق اذا لم يوجد غيره فأما اذا وجد غيره فهو في الاجابة الى ذلك مخير ان شاء أجاب وان شاء لم يجب ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن جابر عن الشعبي قال لا يأب الشهداء اذا ما دعوا قال ان شاء شهد وان شاء لم يشهد فاذا لم يوجد غيره شهد * وقال آخرون معنى ذلك ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا للشهادة على من أراد الداعي اشهاده عليه والقيام بما عنده من الشهادة من الاجابة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا أبو عامر عن الحسن ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا قال قال الحسن الاقامة والشهادة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر في قوله ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا قال كان الحسن يقول جمعت أمرين لا تأب اذا كانت عندك شهادة أن تشهد ولا تأب اذا دعيت الى شهادة حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا يعني من احتيج اليه من المسلمين شهد على شهادة ان كانت عنده ولا يحل له أن يأبى اذا ما دعي حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن يونس عن الحسن ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا قال لاقامتها ولا يبدأ بها اذا دعاه ليشهده واذا دعاه ليقيمها * وقال آخرون بل معنى ذلك ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا للقيام بالشهادة التي عندهم للداعي من اجابته الى القيام بها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا قال اذا شهد حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا قال اذا كانوا قد شهدوا قبل ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا يقول اذا كانوا قد أشهدوا حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا قال اذا كانت عندك شهادة فدعيت حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا ليث عن مجاهد في قوله ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا قال اذا كانت شهادة فأقمها فاذا دعيت لتشهد فان شئت فاذهب وان شئت فلا تذهب حدثنا سوار بن عبد الله قال ثنا عبد الملك بن الصباح عن عمران بن حدير قال قلت لأبي مجلز ناس يدعونني لأشهد بينهم وأنا أكره أن أشهد بينهم قال دع ما تكره واذا شهدت فأجب اذا دعيت حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن جابر عن عامر قال الشاهد بالخيار ما لم يشهد حدثني المثنى قال ثنا عمرو قال ثنا هشيم عن يونس عن عكرمة في قوله ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا قال لاقامة الشهادة حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن أبي عامر عن عطاء قال في اقامة الشهادة حدثني

استحلال الربا وانه مثل البيع (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) لأنه كفر باستحلال ما هو محرم اجماعا وأما القائلون بتخليد الفساق فيقولون ومن عاد الى أكل الربا ثم انه تعالى لما بالغ في الزجر عن الربا وكان قد بالغ في الآي السالفة في الحث على الصدقات ذكر ما يجري مجرى الداعي الى ترك الربا وفعل الصدقة فقال (يمحق الله الربا ويربي الصدقات) والمحق نقص الشئ حالا بعد حال ومنه

محاق القمر وكل من محق الربا وارباء الصدقات اما فى الدنيا واما فى الآخرة وذلك أن الغالب فى المربى وان كثر ماله أن تؤل عاقبته الى الفقر وتزول البركة عن ماله عن ابن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الربا وان كثر الى قل وذلك لدعاء الناس عليه و بغضهم اياه لسقوط عدالته وشهرته بالفسق والعدوان وربما يطمع الظلمة فى ماله ظنا منهم ان المال فى الحقيقة ليس له وعن ابن عباس فى تفسير

حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال ثنا أبو عامر المزنى قال سمعت عطاء يقول ذلك فى اقامة الشهادة يعنى قوله ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو حرة أخبرنا عن الحسن أنه سأله سائل قال أدعى الى الشهادة وأنا أكره أن أشهد عليها قال فلا تجب ان شئت حدثنا يعقوب قال ثنا هشيم عن مغيرة قال سألت ابراهيم قلت أدعى الى الشهادة وأنا أخاف أن أنسى قال فلا تشهد ان شئت حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا أبو عامر عن عطاء قال للاقامة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شريك عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا قال اذا كانوا قد شهدوا حدثنى المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن شريك عن سالم عن سعيد ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا قال هو الذى عنده الشهادة حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قوله ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا يقول لا يأب الشاهد أن يتقدم فيشهد اذا كان فارغا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قلت لعطاء ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا قال هم الذين قد شهدوا قال ولا يضر انسانا أن يأبى أن يشهد ان شاء قلت لعطاء ما شأنه اذا دعى أن يكتب وجب عليه أن لا يأبى واذا دعى أن يشهد لم يجب عليه أن يشهد ان شاء قال كذلك يجب على الكاتب أن يكتب ولا يجب على الشاهد أن يشهد ان شاء الشهداء كثير حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا قال اذا شهد فلا يأب اذا دعى أن يأتى يؤدى شهادة ويقيمها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا يأب الشهداء قال كان الحسن يتأولها اذا كانت عنده شهادة فدعى ليقيمها حدثنى يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فى قوله ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا قال اذا كتب الرجل شهادته أو أشهد لرجل فشهد والكاتب الذى يكتب الكتاب دعوا الى مقطع الحق فعليهم أن يجيبوا وأن يشهدوا بما أشهدوا عليه * وقال آخرون هو أمر من الله عز وجل الرجل والمرأة بالاجابة اذا دعى ليشهد على ما لم يشهد عليه من الحقوق ابتداء لا اقامة الشهادة ولكنه أمر ندب لا فرض ذكر من قال ذلك حدثنى أبو العالية العبدى اسمعيل بن الهيثم قال ثنا أبو قتيبة عن فضيل بن مرزوق عن عطية العوفى فى قوله ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا قال أمرت أن تشهد فان شئت فاشهد وان شئت فلا تشهد حدثنى أبو العالية قال ثنا أبو قتيبة عن محمد بن ثابت العصرى عن عطاء بمثله * وأولى هذه الاقوال بالصواب قول من قال ذلك ولا يأب الشهداء من الاجابة اذا دعوا لاقامة الشهادة وأدائها عند ذى سلطان أو حاكم يأخذ من الذى عليه ما عليه للذى هو له وانما قلنا هذا القول بالصواب أولى فى ذلك من سائر الاقوال غيره لأن الله عز وجل قال ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا فانما أمرهم بالاجابة للدعاء للشهادة وقد ألزمهم اسم الشهداء وغير جائز أن يلزمهم اسم الشهداء الا وقد استشهدوا وقبل ذلك فشهدوا على ما ألزمهم شهادتهم عليه اسم الشهداء فأما قبل أن يستشهدوا على شئ فغير جائز أن يقال لهم شهداء لأن ذلك الاسم لو كان يلزمهم ولما يستشهدوا على شئ يستوجبون بشهادتهم عليه هذا الاسم لم يكن على الارض أحد له عقل صحيح الا وهو مستحق أن يقال له شاهد بمعنى انه سيشهد أو أنه يصلح لأن يشهد وان كان خطأ أن يسمى بذلك الاسم الا من عنده

هذا المحق ان الله تعالى لا يقبل منه صدقة ولا جهادا ولا حجا ولا صلة ثم ان مال الربا لا يبقى عند الموت وتبقى التبعة عليه وقد ثبت فى الحديث ان الأغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام هذا حال الغنى من الحلال فكيف حال الغنى من الحرام المقطوع بحرمته قال القفال نظير قوله يمحق الله الربا المثل الذى ضربه فيما تقدم كمثل صفوان عليه تراب ونظير قوله ويربى الصدقات المثل الآخر كمثل جنة بربوة كمثل حبة أنبتت سبع سنابل عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل الصدقات ولا يقبل منها الا الطيب ويأخذها بيمينه فيربيها كما يربى أحدكم مهره أو فلوه حتى ان اللقمة لتصير مثل أحد وأيضا المتصدق يزداد كل يوم جاهه وذكره الجميل وتميل القلوب اليه وتنقطع الاطماع عنه متى اشتهر منه انه متشمر لاصلاح مهمات الضعفاء وسد خلة الفقراء فتبين ان الربا وان كان زيادة فى المال الا انه نقصان فى المآل والصدقة وان كانت نقصانا فى الحال الا انها زيادة فى الاستقبال فعلى العاقل أن لا يلتفت الى ما يقضى به الحس والطبع ويعول على ما ندب اليه العقل والشرع (والله لا يحب كل كفار أثيم) الكفار فعال من الكفر ومعناه المقيم على ذلك والصيغة للمزاولة كتمار وقوال والأثيم فعيل بمعنى فاعل وهو أيضا للمبالغة فى الاستمرار على اكتساب الآثام وذلك لا يليق الا بمن ينكر تحريم الربا فيكون جاحدا ووجه آخر وهو ان يكون الكفار عائدا الى المستحل والأثيم الى الآكل مع اعتقاد التحريم ويحتمل

شهادة لغيره أو من قد قام بشهادته فلزمه لذلك هذا الاسم كان معلوما أن المعنى بقوله ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا من وصفنا صفته ممن قد استرعى شهادة أو شهد فدعى الى القيام بها لان الذى لم يستشهد ولم يسترع شهادة قبل الاشهاد غير مستحق اسم شهيد ولا شاهد لما قد وصفنا قبل مع أن فى دخول الألف واللام فى الشهداء دلالة واضحة على أن المسمى بالنهى عن ترك الاجابة للشهادة أشخاص معلومون قد عرفوا بالشهادة وأنهم الذين أمر الله عز وجل أهل الحقوق باستشهادهم بقوله واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء واذا كان ذلك كذلك كان معلوما أنهم انما أمروا باجابة داعيهم لاقامة شهادتهم بعد ما استشهدوا فشهدوا ولو كان ذلك أمرا لمن أعرض من الناس فدعى الى الشهادة يشهد عليها لقيل ولا يأب شاهد اذا ما دعى غير أن الأمر وان كان كذلك فان الذى نقول به فى الذى يدعى لشهادة ليشهد عليها اذا كان بموضع ليس به سواه ممن يصلح للشهادة فان الفرض عليه اجابة داعيه اليها كما فرض على الكاتب اذا استكتب بموضع لا كاتب به سواه ففرض عليه أن يكتب كما فرض على من كان بموضع لا أحد به سواه يعرف الايمان وشرائع الاسلام فحضره جاهل بالايمان وبفرائض الله فسأله تعليمه وبيان ذلك له أن يعلمه و يبينه له ولم نوجب ما أوجبنا على الرجل من الاجابة للشهادة اذا دعى ابتداء ليشهد على ما أشهد عليه بهذه الآية ولكن بأدلة سواها وهى ما ذكرنا وقد فرضنا على الرجل احياء ما قدر على احيائه من حق أخيه المسلم والشهداء جمع شهيد ۞ القول فى تأويل قوله (ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله) يعنى بذلك جل ثناؤه ولا تسأموا أيها الذين تداينون الناس الى أجل أن تكتبوا صغير الحق يعنى قليله أو كبيره يعنى أو كثيره الى أجله الى أجل الحق فان الكتاب أحصى للأجل والمال حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن شريك عن ليث عن مجاهد ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله قال هو الدين ومعنى قوله ولا تسأموا لا تملوا يقال منه سئمت فأنا أسأم سآمة وسأمة ومنه قول لبيد

ولقد سئمت من الحياة وطولها * وسؤال هذا الناس كيف لبيد

ومنه قول زهير

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش * ثمانين عاما لا أبالك يسأم

يعنى مللت وقال بعض نحويى البصريين تأويل قوله الى أجله الى أجل الشاهد ومعناه الى الأجل الذى تجوز شهادته فيه وقد بينا القول فيه ۞ القول فى تأويل قوله (ذلكم أقسط عند الله) يعنى جل ثناؤه بقوله ذلكم اكتتاب كتاب الدين الى أجله ويعنى بقوله أقسط أعدل عند الله يقال منه أقسط الحاكم فهو يقسط اقساطا وهو مقسط اذا عدل فى حكمه وأصاب الحق فيه فاذا جار قيل قسط فهو يقسط قسوطا ومنه قول الله عز وجل وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا يعنى الجائرون وبمثل ما قلنا فى ذلك قال جماعة أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قوله ذلكم أقسط عند الله يقول أعدل عند الله ۞ القول فى تأويل قوله (وأقوم للشهادة) يعنى بذلك جل ثناؤه وأصوب للشهادة وأصله من قول القائل أقمته من عوجه اذا سويته فاستوى وانما كان الكتاب أعدل عند الله وأصوب لشهادة الشهود على ما فيه لانه يحوى الالفاظ التى أقر بها البائع والمشترى و رب الدين والمستدين على نفسه فلا يقع بين الشهود اختلاف فى ألفاظهم بشهادتهم لاجتماع شهادتهم على

آن يرد كلاهما الى أكل الربا و يكون تغليظا فى أمر الربا وايذانا بانه من فعل الكفرة لا من فعل المسلمين وفى الآية دلالة على انه تعالى سبقت رحمته غضبه بيانه أنه لم ينف المحبة الا عن الجامع بين الاصرار على الكفر و بين المواظبة على سائر الآثام كالربا فان استحلاله كفر وهو فى نفسه اثم مذموم فى جميع الاديان لانه سلب مال المحتاج بنوع من الاكراه والالجاء فتبقى الآية ساكتة عمن جمع بين الأمرين لا على سبيل الاصرار والمواظبة وعن الذى لم يجمع بينهما نعم قد عرف بدليل آخر ان الكفار الذى لم يواظب على سائر الآثام لا يستأهل محبة الله تعالى وذلك لا ينافى السكوت عن حكمه ههنا والله أعلم ثم ذكر الترغيب عقيب الترهيب على عادته من ذكر الوعد مع الوعيد فقال (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات) الآية فاحتج به من قال العمل الصالح خارج عن مسمى الايمان كما مر وأجيب بأنه قال فى الآية وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة مع ان الصلاة والزكاة من الأعمال الصالحة وورد بأن الاصل حمل كل لفظ على فائدة جديدة ترك العمل به عند التعذر فيبقى فى غيره على الأصل (لهم أجرهم عند ربهم) لم يقل على ربهم لان الاول يجرى مجرى ما اذا باع بالنقد وذلك النقد حاضر متى شاء البائع أخذه والثانى جار مجرى البيع فى الذمة نسيئة ولا شك أن الاول أفضل (ولا خوف عليهم) عن ابن عباس أى فيما يستقبلهم من أحوال القيامة (ولاهم يحزنون) بسبب ما تركوه فى الدنيا فان المنتقل من حال الى حال أخرى فوقها ربما يتحسر على بعض ما فاته من الاحوال السالفة وان كان مغتبطا بالثانية لاجل الف وعادة فبين تعالى ان هذا القدر ما من الندامة لا يلحق أهل الثواب والكرامة وقال الأصم لا خوف عليهم من عذاب يومئذ ولا هم يحزنون بسبب انهم فاتهم النعيم الزائد الذى حصل لغيرهم من السعداء لانه لا منافسة فى الآخرة وأيضا انهم لا يحزنون بسبب انه لم يصدر منا طاعة أزيد مما صدر حتى صرنا بها مستحقين

ماحواه الكتاب واذا اجتمعت شهادتهم على ذلك كان فصل الحكم بينهم أبين لمن احتكم اليه من الحكام مع غير ذلك من الاسباب وهو أعدل عند الله لانه قد أمر به واتباع أمر الله لاشك أنه عند الله أقسط وأعدل من تركه والانحراف عنه ﴿ القول في تأويل قوله (وأدنى أن لا ترتابوا) يعني جل ثناؤه بقوله وأدنى وأقرب من الدنو وهو القرب ويعني بقوله أن لا ترتابوا من أن لا تشكوا في الشهادة كما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي ذلك أدنى أن لا ترتابوا يقول أن لا تشكوا في الشهادة وهو تفتعل من الريبة ومعنى الكلام ولا تملوا أيها القوم أن تكتبوا الحق الذي لكم قبل من داينتموه من الناس الى أجل صغيرا كان ذلك الحق قليلا أو كثيرا فان كتابكم ذلك أعدل عند الله وأصوب لشهادة شهودكم عليه وأقرب لكم أن لا تشكوا فيما شهد به شهودكم عليكم من الحق والأجل اذا كان مكتوبا ﴿ القول في تأويل قوله (الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح أن لا تكتبوها) ثم استثنى جل ذكره مما نهاهم عنه أن يسأموه من اكتتاب كتب حقوقهم على غرمائهم بالحقوق التي لهم عليهم ما وجب لهم قبلهم من حق عن مبايعة بالنقود الحاضرة يدا بيد فرخص لهم في ترك اكتتاب الكتب بذلك لأن كل واحد منهم أعني من الباعة والمشترين يقبض اذا كان التواجب بينهم فيما يتبايعونه بعدما وجب له قبل مبايعيه قبل المفارقة فلا حاجة لهم في ذلك الى اكتتاب أحد الفريقين على الفريق الآخر كتابا بما وجب لهم قبلهم وقد تقابضوا الواجب لهم عليهم فلذلك قال تعالى ذكره الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم لا أجل فيها ولا تأخير ولا نساء فليس عليكم جناح أن لا تكتبوها يقول فلا حرج عليكم أن لا تكتبوها يعني التجارة الحاضرة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قوله الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم يقول معكم بالبلد ترونها فتؤخذ وتعطى فليس على هؤلاء جناح أن لا يكتبوها حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله الى قوله فليس عليكم جناح أن لا تكتبوها قال أمر الله أن لا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله وأمر ما كان يدا بيد أن يشهد عليه صغيرا كان أو كبيرا ورخص لهم أن لا يكتبوه * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق وعامة القراء الا أن تكون تجارة حاضرة بالرفع وانفرد بعض قراء الكوفيين فقرأه بالنصب وذلك وان كان جائزا في العربية اذ كانت العرب تنصب النكرات والمنعوتات مع كان وتضمر معها في كان مجهولا فتقول ان كان طعاما طيبا فأتنا به وترفعها فتقول ان كان طعام طيب فأتنا به فتتبع النكرة خبرها بمثل اعرابها فان الذي أختار من القراءة ثم لا أستجيز القراءة بغيره الرفع في التجارة الحاضرة لاجماع القراء على ذلك وشذوذ من قرأ ذلك نصبا عنهم ولا يعترض بالشاذ على الحجة ومما جاء نصبا قول الشاعر

أعيني هلا تبكيان عفاقا * اذا كان طعنا بينهم وعناقا

وقول الآخر

ولله قومي أي قوم بحرة * اذا كان يوما ذا كواكب أشنعا

وانما تفعل العرب ذلك في النكرات لما وصفنا من اتباع أخبار النكرات أسماءها وكان من حكمها أن

لثواب أزيد مما وجدناه لان هذه الخواطر لا توجد في الجنة وههنا سؤال وهو ان المرأة اذا بلغت عارفة بالله ولما بلغت حاضت وعند انقطاع حيضها ماتت أو الرجل بلغ عارفا بالله وقبل أن تجب عليه الصلاة والزكاة مات فهما بالاتفاق من أهل الثواب مع خلوهما عن الأعمال فكيف وقف الله ههنا حصول الأجر على حصول الاعمال والجواب أن الموجبة الكلية لا تنعكس كنفسها وقد دلت الآية على ان كل مؤمن عمل صالحا فله الاجر فلا يلزم العكس الكلي ثم انه تعالى لما بين أن من انتهى عن الربا فله ما سلف كان يجوز أن يظن أنه لا فرق بين المقبوض منه وبين الباقي في ذمة القوم فقال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا) فبين انه يحرم أخذ ما بقي من الربا في ذمتهم فان قيل كيف قال يا أيها الذين آمنوا ثم قال في آخره ان كنتم مؤمنين فالجواب أن هذا كما يقال ان كنت أخي فأكرمني معناه ان من كان أخا أكرم أخاه ومعناه اذ كنتم مؤمنين أو ان كنتم تريدون استدامة الحكم لكم بالايمان أو يا أيها الذين آمنوا بلسانكم ذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين بقلوبكم قال القاضي وفيه دلالة على أن الايمان لا يتكامل اذا أصر الانسان على كبيرة وانما يصير مؤمنا بالاطلاق متى تجنب كل الكبائر وأجيب بأن المراد ان كنتم عاملين بمقتضى الايمان وهذا بناء على ان العمل الصالح غير داخل في مسمى الايمان وانما شدد الله في ذلك لان المنتظر لحلول الأجل اذا حضر الوقت وطن نفسه على ان تلك الزيادة قد حصلت له ففطامه عنها يكون شديدا عليه فقال اتقوا الله واتقاؤه انما يكون باتقاء ما نهى عنه وهذه الآية أصل كبير في أحكام الكفار اذا أسلموا فان ما مضى في الكفر يبقى ولا ينقض ولا يفسخ وما لم يوجد منه في حال الكفر فحكمه محمول على الاسلام فاذا تناكحوا على ما يجوز عندهم ولا يجوز في الاسلام فهو عفو لا يتعقب وان كان النكاح وقع على مهر حرام

يكون معها مرفوع ومنصوب فاذا رفعوهما جميعهما تذكروا اتباع النكرة خبرها واذا نصبوهما تذكروا صحبة كان منصوب ومرفوع ووجدوا النكرة يتبعها خبرها وأضمروا في كان مجهولا لاحتمالها الضمير وقد ظن بعض الناس أن من قرأ ذلك الا أن تكون تجارة حاضرة انما قرأه على معنى الا أن يكون تجارة حاضرة فزعم انه كان يلزم قارئ ذلك أن يقرأ يكون بالياء وأغفل موضع صواب قراءته من جهة الاعراب وألزمه غير ما يلزمه وذلك أن العرب اذا جعلوا مع كان نكرة مؤنثا بنعتها أو خبرها أنثوا كان مرة وذكروها أخرى فقالوا ان كانت جارية صغيرة فاشتروها وان كان جارية صغيرة فاشتروها تذكر كان وان نصبت النكرة المنعوتة أو رفعت أحيانا وتؤنث أحيانا وقد زعم بعض نحويي البصرة أن قوله الا أن تكون تجارة حاضرة مرفوعة فيه التجارة الحاضرة لان يكون بمعنى التمام ولا حاجة بها الى الخبر بمعنى الا أن توجد أو تقع أو تحدث فألزم نفسه ما لم يكن لها لازما لانه انما ألزم نفسه ذلك اذا لم يكن يجد لكان منصوبا ووجد التجارة الحاضرة مرفوعة وأغفل جواز قوله تديرونها بينكم أن يكون خبر الكان فيستغني بذلك عن الزام نفسه ما ألزم والذي قال من حكينا قوله من البصريين غير خطا في العربية غير أن الذي قلنا بكلام العرب أشبه وفي المعنى أصح وهو أن يكون في قوله تديرونها بينكم وجهان أحدهما أنه في موضع نصب على أنه حل محل خبر كان والتجارة الحاضرة اسمها والآخر أنه في موضع رفع على اتباع التجارة الحاضرة لان خبر النكرة يتبعها فيكون تأويله الا أن تكون تجارة حاضرة دائرة بينكم ﴿ القول في تأويل قوله (وأشهدوا اذا تبايعتم) يعني بذلك جل ثناؤه وأشهدوا على صغير ما تبايعتم وكبيره من حقوقكم عاجل ذلك وآجله ونقده ونسائه فان ارخاصي لكم في ترك اكتتاب الكتب بينكم فيما كان من حقوق تجري بينكم لبعضكم من قبل بعض عن تجارة حاضرة دائرة بينكم يدا بيد ونقدا ليس بارخاص مني لكم في ترك الاشهاد منكم على من بعتموه شيأ أو ابتعتم منه لأن في ترككم الاشهاد على ذلك خوف المضرة على كل من الفريقين أما على المشتري فأن يجحد البائع المبيع وله بينة على ملكه ما قد باع ولا بينة للمشتري منه على الشراء منه فيكون القول حينئذ قول البائع مع يمينه ويقضى له به فيذهب مال المشتري باطلا وأما على البائع فأن يجحد المشتري الشراء وقد زال ملك البائع عما باع ووجب له قبل المبتاع ثمن ما باع فيحلف على ذلك فيبطل حق البائع قبل المشتري من ثمن ما باعه فأمر الله عز وجل الفريقين بالاشهاد لئلا يضيع حق أحد الفريقين قبل الفريق الآخر ثم اختلفوا في معنى قوله وأشهدوا اذا تبايعتم أهو أمر من الله واجب بالاشهاد عند المبايعة أم هو ندب فقال بعضهم هو ندب ان شاء أشهد وان شاء لم يشهد ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن الربيع عن الحسن وشقيق عن رجل عن الشعبي في قوله وأشهدوا اذا تبايعتم قال ان شاء أشهد وان شاء لم يشهد ألم تسمع الى قوله فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته حدثني المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا الربيع ابن صبيح قال قلت للحسن أرأيت قول الله عز وجل وأشهدوا اذا تبايعتم قال ان أشهدت عليه فهو ثقة للذي لك وان لم تشهد عليه فلا بأس حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن الربيع ابن صبيح قال قلت للحسن يا أبا سعيد قول الله عز وجل وأشهدوا اذا تبايعتم أبيع الرجل وأنا أعلم أنه لا ينقد في شهرين ولا ثلاثة أترى بأسا أن لا أشهد عليه قال ان أشهدت فهو ثقة للذي لك وان لم تشهد فلا بأس حدثني المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا يزيد بن زريع عن داود عن الشعبي وأشهدوا

فقبضته المرأة فقد مضى وان كانت لم تقبضه فلها مهر مثلها دون ما سمي وهذا مذهب الشافعي وأما سبب نزول الآية فعن ابن عباس بلغنا والله أعلم أنها نزلت في بني عمرو بن عمير من ثقيف وفي بني المغيرة من بني مخزوم كانت بنو المغيرة يربون لثقيف فلما أظهر الله رسوله على مكة وضع يومئذ الربا كله فأتى بنو عمرو بن عمير وبنو المغيرة الى عتاب بن أسيد وهو على مكة فقال بنو المغيرة ما جعلنا أشقى الناس بالربا أوضع عن الناس غيرنا فقال بنو عمرو صولحنا على ان لنا ربانا فكتب عتاب في ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية والتي بعدها فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله فعرف بنو عمرو أن لا يدان لهم بحرب من الله ورسوله وقال عطاء وعكرمة نزلت في العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان وكانا قد أسلفا في التمر فلما حضر الجداد قال لهما صاحب التمر لا يبقى لي ما يكفي عيالي ان أنتما أخذتما حقكما كله فهل لكما أن تأخذا النصف وتؤخرا النصف وأضعف لكما ففعلا فلما جاء الأجل طلبا الزيادة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاهما ونزلت الآية فسمعا وأطاعا وأخذا رؤس أموالهما وقال السدي نزلت في العباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين في الجاهلية يسلفان في الربا فجاء الاسلام ولهما أموال عظيمة في الربا فأنزل الله تعالى هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا ان كل ربا من ربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضعه ربا العباس بن عبد المطلب (فان لم تفعلوا فأذنوا) قيل خطاب مع الكفار المستحلين للربا ومعنى قوله ان كنتم مؤمنين معترفين بتحريم الربا فان لم تفعلوا أي فان لم تكونوا معترفين بتحريمه فأذنوا ومن ذهب الى هذا القول قال فيه دليل على أن من كفر بشريعة واحدة من شرائع الاسلام فهو خارج عن الملة كما لو كفر بجميع شرائعه وعلى هذا يكون مالهم فيأ للمسلين وقيل خطاب مع المؤمنين المصرين على معاملة الربا لانه خطاب اذا

اذا تبايعتم قال ان شاؤا أشهدوا وان شاؤا لم يشهدوا * وقال آخرون الاشهاد على ذلك واجب ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح أن لا تكتبوها ولكن أشهدوا عليها اذا تبايعتم أمر الله ما كان يدا بيد أن يشهدوا عليه صغيرا كان أو كبيرا حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك قال ما كان من بيع حاضر فان شاء أشهد وان شاء لم يشهد وما كان من بيع الى أجل فامر الله أن يكتب ويشهد عليه وذلك في المقام * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن الاشهاد على كل مبيع ومشترى حق واجب وفرض لازم لما قد بينا من ان كل أمر لله ففرض الا ما قامت حجته من الوجه الذي يجب التسليم له بانه ندب وارشاد وقد دللنا على وهي قول من قال ذلك منسوخ بقوله فليؤد الذي اؤتمن أمانته فيما مضى فأغنى عن اعادته ۞ القول في تأويل قوله (ولا يضار كاتب ولا شهيد) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم ذلك نهي من الله لكاتب الكتاب بين أهل الحقوق والشهيد أن يضار أهله فيكتب هذا ما لم يملله المملي ويشهد هذا بما لم يستشهده الشهيد ذكر من قال ذلك حدثني الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه في قوله ولا يضار كاتب ولا شهيد ولا يضار كاتب فيكتب ما لم يمل عليه ولا شهيد فيشهد بما لم يستشهد حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن يونس قال كان الحسن يقول لا يضار كاتب فيزيد شيأ أو يحرف ولا شهيد قال لا يكتم الشهادة ولا يشهد الا بحق حدثنا بشر قال ثنا يزيد عن قتادة قال اتقى الله شاهد في شهادته لا ينقص منها حقا ولا يزيد فيها باطلا اتقى الله كاتب في كتابه فلا يدعن منه حقا ولا يزيدن فيه باطلا حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة ولا يضار كاتب ولا شهيد قال لا يضار كاتب فيكتب ما لم يملل ولا شهيد فيشهد بما لم يستشهد حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن معمر عن قتادة نحوه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا يضار كاتب ولا شهيد قال لا يضار كاتب فيكتب غير الذي أملي عليه قال والكتاب يومئذ قليل ولا يدرون أي شئ يكتب فيضار فيكتب غير الذي أملي عليه فيبطل حقهم قال والشهيد يضار فيحول شهادته فيبطل حقهم فأصل الكلمة على تأويل من ذكرنا من هؤلاء ولا يضارر كاتب ولا شهيد ثم أدغمت الراء في الراء لأنهما من جنس وحركت الى الفتح وموضعها جزم لان الفتح أخف الحركات * وقال آخرون ممن تأول هذه الكلمة هذا التأويل معنى ذلك ولا يضار كاتب ولا شهيد بالامتناع عمن دعاهما الى أداء ما عندهما من العلم أو الشهادة ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج عن عطاء في قوله ولا يضار كاتب ولا شهيد يقول أن يؤديا ما قبلهما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قلت لعطاء ولا يضار كاتب ولا شهيد قال لا يضارا أن يؤديا ما عندهما من العلم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال أخبرنا ابن المبارك عن سفيان عن يزيد بن أبي زياد عن مقسم عن ابن عباس قال لا يضار كاتب ولا شهيد قال أن يدعوهما فيقولا ان لنا حاجة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء ومجاهد ولا يضار كاتب ولا شهيد قالا واجب على

مع قوم تقدم ذكرهم وما هم الا المخاطبون بقوله يا أيها الذين آمنوا ومعنى قوله فآذنوا اعلموا من جعله من الايذان أعلموا من لم ينته عن الربا بحرب من الله فالمفعول محذوف واذا أمروا باعلام غيرهم فهم أيضا قد علموا ذلك لكن ليس في علمهم دلالة على اعلام غيرهم فهذه القراءة في الابلاغ آكد وممن قرأ فأذنوا من أذن بالشئ اذا علم به أي كونوا على اذن وعلم فان قيل كيف أمر بالمحاربة مع المسلمين قلنا هذه اللفظة قد تطلق على من عصى الله غير مستحل كما جاء في الخبر من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم من لم يدع المخابرة فليأذن بحرب من الله ورسوله وقد جعل كثير من المفسرين والفقهاء قوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله أصلا في قطاع الطريق من المسلمين فثبت أن ذكر هذا النوع من التهديد مع المسلمين وارد في كتاب الله وسنة رسوله ثم التفصيل فيه أن المصر على عمل الربا ان كان شخصا قدر الامام عليه قبض عليه وأجرى عليه حكم الله من التعزير والحبس الى أن تظهر منه التوبة وان كان له عسكر وشوكة حاربه الامام كما حارب الفئة الباغية وكما حارب أبو بكر مانعي الزكاة وكذا القول لو أجمعوا على ترك الأذان وترك دفن الموتى فانه يفعل بهم ما ذكرناه وان تبتم من استحلال الربا أو عن معاملة الربا فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون الغريم بطلب زيادة على رأس المال ولا تظلمون أنتم بنقصان رأس المال وان كان ذو عسرة وان وقع غريم من غرمائكم ذو اعسار على أن كان هي التي تسمى تامة بمعنى وجد الشئ وحدث في نفسه لا بمعنى وجد موصوفا بشئ فانها حينئذ تكون ناقصة تحتاج الى الخبر وقرأ عثمان ذا عسرة بمعنى وان كان الغريم أو المستربي ذا عسرة والقراءة المشهورة أولى كيلا تكون النظرة مقصورة على الغريم المستربي بل تعمه وغيره من أرباب العسرة وهي اسم من الاعسار وهو تعذر الموجود

من المال والنظرة التأخير والامهال وفي الآية حذف والتقدير فالحكم أو فالامر نظرة وقرئ فنظرة بسكون الظاء وقرأ عطاء فناظره على الامر أي سامحه بالانظار وناظره أي صاحب الحق ناظره أي منتظره أو ذو نظرته مثل مكان عاشب أي ذو عشب والميسرة اليسار ضد الاعسار وقرئ بضم السين كمقبرة ومقبرة ومن قرأ بالاضافة الى الضمير فقد حذف التاء كقوله واقام الصلاة واختلفوا في أن حكم الانظار مختص بالربا أو عام في الكل فعن ابن عباس وشريح والضحاك والسدي وابراهيم الآية في الربا قال الكلبي قال بنو عمرو لبني المغيرة هاتوا رؤس أموالنا ولكم الربا ندعه لكم فقال بنو المغيرة نحن اليوم أهل عسرة فأخرونا الى أن تدرك الثمرة فأبوا أن يؤخروهم فنزلت وان كان ذو عسرة وعن مجاهد وسائر المفسرين أنها عامة في كل دين ولهذا ورد كان تامة ولو فرض ان سبب النزول خاص فلابد من الحاق سائر الصور به لان العاجز عن أداء المال لا يجوز تكليفه به وهو قول أكثر الفقهاء كمالك وأبي حنيفة والشافعي والاعسار في الشرع هو أن لا يجد في ملكه ما يؤديه بعينه ولا يكون له مال لو باعه لامكن أداء الدين من ثمنه فمن وجد دارا أو ثوبا لا يعد من ذوي العسرة اذا أمكنه بيعها وأداء ثمنها ولا يجوز له أن يحبس الا قوت يومه لنفسه وعياله وما لا بد لهم من كسوة لصلاتهم ودفع الحر والبرد عنهم وهل يلزمه أن يؤجر نفسه من صاحب الدين أو غيره الاصح أنه لا يلزمه وكذا لو بذل له غيره ما يؤديه لا يلزمه القبول فأما من له بضاعة كسدت عليه فواجب عليه أن يبيعها بالنقصان ان لم يمكن الا ذلك واذا علم الانسان أن غريمه معسر حرم عليه حبسه وأن يطالبه بماله عليه ووجب الانظار الى وقت اليسار فأما ان كان له ريبة في اعساره جاز أن يحبسه الى ظهور الاعسار واذا ادعى الاعسار وكذبه الغريم فان كان الدين الذي لزمه حصل له عن

الكاتب أن يكتب ولا شهيد قال الا اذا كان قد شهد قبله * وقال آخرون بل معنى ذلك ولا يضار المستكتب والمستشهد الكاتب والشهيد وتأويل الكلمة على مذهبهم ولا يضارر على وجه ما لم يسم فاعله

ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة قال كان عمر يقرأ ولا يضارر كاتب ولا شهيد حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك قال كان ابن مسعود يقرأ ولا يضارر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عبد الله بن كثير عن مجاهد أنه كان يقرأ ولا يضارر كاتب ولا شهيد وأنه كان يقول في تأويلها ينطلق الذي له الحق فيدعو كاتبه وشاهده الى أن يشهد ولعله أن يكون في شغل أو حاجة ليؤثمه ان ترك ذلك حينئذ لشغله وحاجته وقال مجاهد لا يقم عن شغله وحاجته فيجد في نفسه أو يحرج حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال ولا يضار كاتب ولا شهيد والضرار أن يقول الرجل للرجل وهو عنه غني ان الله قد أمرك أن لا تأبى اذا دعيت فيضاره بذلك وهو مكتف بغيره فنهاه الله عز وجل عن ذلك وقال وان تفعلوا فانه فسوق بكم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال ولا يضار كاتب ولا شهيد يقول انه يكون للكاتب والشاهد حاجة ليس منها بد فيقول خلوا سبيله حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن يونس عن عكرمة في قوله ولا يضار كاتب ولا شهيد قال يكون به العلة أو يكون مشغولا يقول فلا يضاره حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد انه كان يقول ولا يضار كاتب ولا شهيد يقول لا يأت الرجل فيقول انطلق فاكتب لي واشهد لي فيقول ان لي حاجة فالتمس غيري فيقول اتق الله فانك قد أمرت أن تكتب لي فهذه المضارة ويقول دعه والتمس غيره والشاهد بتلك المنزلة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك في قوله ولا يضار كاتب ولا شهيد يقول يدعو الرجل الكاتب أو الشهيد فيقول الكاتب أو الشاهد ان لنا حاجة فيقول الذي يدعوهما ان الله عز وجل أمركما أن تجيبا في الكتابة والشهادة يقول الله عز وجل لا يضارهما حدثت عن الحسن قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك في قوله ولا يضار كاتب ولا شهيد هو الرجل يدعو الكاتب أو الشاهد وهما على حاجة مهمة فيقولان انا على حاجة مهمة فاطلب غيرنا فيقول الله أمركما أن تجيبا فأمره أن يطلب غيرهما ولا يضارهما يعني لا يشغلهما عن حاجتهما المهمة وهو يجد غيرهما حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قوله ولا يضار كاتب ولا شهيد يقول ليس ينبغي أن تعترض رجلا له حاجة فتضاره فتقول له اكتب لي فلا تتركه حتى يكتب لك وتفوته حاجته ولا شاهدا من شهودك وهو مشغول فتقول اذهب فاشهد لي تحبسه عن حاجته وأنت تجد غيره حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ولا يضار كاتب ولا شهيد قال لما نزلت هذه الآية ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله كان أحدهم يجيء الى الكاتب فيقول اكتب لي فيقول اني مشغول أو لي حاجة فانطلق الى غيري فيلزمه ويقول انك قد أمرت أن تكتب لي فلا يدعه ويضاره بذلك وهو يجد غيره ويأتي الرجل فيقول انطلق معي فيقول اذهب الى غيري فاني مشغول أو لي حاجة فيلزمه ويقول قد أمرت أن تتبعني

فيضاره

فيضاره بذلك وهو يجد غيره فأنزل الله عز وجل ولا يضار كاتب ولا شهيد حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه ولا يضار كاتب ولا شهيد يقول ان لي حاجة فدعني فيقول اكتب لي ولا شهيد كذلك * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك ولا يضار كاتب ولا شهيد بمعنى ولا يضارهما من استكتب هذا أو استشهد هذا بأن يأبى على هذا الا أن يكتب له وهو مشغول بأمر نفسه ويأبى على هذا الا أن يجيب الى الشهادة وهو غير فارغ على ما قاله قائلو ذلك من القول الذي ذكرنا قبل وانما قلنا هذا القول أولى بالصواب من غيره لأن الخطاب من الله عز وجل في هذه الآية من مبتدئها الى انقضائها على وجه افعلوا أو لا تفعلوا انما هو خطاب لأهل الحقوق والمكتوب بينهم الكتاب والمشهود لهم أو عليهم بالذي تداينوه بينهم من الديون فأما ما كان من أمر أو نهي فيها لغيرهم فانما هو على وجه الأمر والنهي للغائب غير المخاطب كقوله وليكتب بينكم كاتب وكقوله ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا وما أشبه ذلك (١) فالواجب اذا كان المأمورون فيها مخاطبين بقوله وان تفعلوا فانه فسوق بكم أشبه منه بأن يكون مردودا على الكاتب والشهيد ومع ذلك أن الكاتب والشهيد لو كانا هما المنهيين عن الضرار لقيل وان يفعلا فانه فسوق بهما لأنهما اثنان وانهما غير مخاطبين بقوله ولا يضار بل النهي بقوله ولا يضار نهي للغائب غير المخاطب فتوجيه الكلام الى ما كان نظيرا لما في سياق الآية أولى من توجيهه الى ما كان منعدلا عنه ۞ القول في تأويل قوله تعالى (وان تفعلوا فانه فسوق بكم) يعني بذلك جل ثناؤه وان تضاروا الكاتب أو الشاهد وما نهيتم عنه من ذلك فانه فسوق بكم يعني اثم بكم ومعصية * واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم بنحو الذي قلنا ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك وان تفعلوا فانه فسوق بكم يقول ان تفعلوا غير الذي آمركم به فانه فسوق بكم حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس وان تفعلوا فانه فسوق بكم والفسوق المعصية حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع وان تفعلوا فانه فسوق بكم الفسوق العصيان * وقال آخرون معنى ذلك وان يضار كاتب فيكتب غير الذي أملى المملي ويضار شهيد فيحول شهادته ويغيرها فانه فسوق بكم يعني فانه كذب ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم الفسوق الكذب قال هذا فسوق لأنه كذب الكاتب فحول كتابه فكذب وكذب الشاهد فحول شهادته فأخبرهم الله أنه كذب وقد دللنا فيما مضى على أن المعنى بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد انما معناه لا يضارهما المستكتب والمستشهد بما فيه الكفاية فقوله وان تفعلوا انما هو اخبار من يضارهما بحكمه فيهما وان من يضارهما فقد عصى ربه وأثم به وركب ما لا يحل له وخرج عن طاعة ربه في ذلك ۞ القول في تأويل قوله (واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم) يعني بقوله جل ثناؤه واتقوا الله وخافوا الله أيها المتداينون في الكتاب والشهود أن تضاروهم وفي غير ذلك من حدود الله أن تضيعوه ويعني بقوله ويعلمكم الله ويبين لكم الواجب لكم وعليكم فاعملوا به والله بكل شيء عليم يعني

(١) قوله فالواجب اذا كان الخ كذا في النسخ والمراد أن الواجب اذ كان المأمورون فيها مخاطبين الخ أن يكون النهي عن المضارة مردودا على أهل الحقوق وذلك أشبه منه بأن يكون الخ تأمل كتبه مصححه

عوض كالبيع أو القرض فلا بد له من اقامة شاهدين عدلين على أن ذلك العوض قد هلك فان لم يكن عن عوض كاتلاف وضمان وصداق فالقول قوله وعلى الغريم البينة لأن الاصل هو الفقر وأن تصدقوا على المعسر بما عليه من الدين يدل على ذلك ذكر المعسر وذكر رأس المال خير لكم لحصول الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى ان كنتم تعلمون أن هذا (٩١) التصدق خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وان علمه كأنه لا يعلمه أو تعلمون فضل التصدق على الانظار والقبض بعده أو تعلمون أن ما يأمركم به ربكم أصلح لكم وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة وزيف بأن الانظار ثبت وجوبه بالآية الاولى فلا بد من فائدة جديدة ولأن قوله خير لكم انما يليق بالمندوب لا بالواجب ثم ان المعاملين بالربا كانوا أصحاب شرف وجلالة وأعوان وتغلب على الناس فاحتاجوا الى مزيد زجر ووعيد فلا جرم وقع ختم أحكام الربا بقوله واتقوا يوما والمراد اتقاء ما يحدث فيه من الشدائد والاهوال واتقاء ذلك لا يمكن الا باجتناب المعاصي وفعل الأوامر في الدنيا فهذا القول يتضمن الاتيان بجميع التكاليف وانتصب يوما على أنه مفعول به والمعنى تأهبوا بما تسلفون من العمل الصالح للقاء يوم ترجعون فيه الى الله أي الى ما أعد لكم من ثواب أو عقاب أو الى علمه وحفظه وذلك أن الانسان له أحوال ثلاث على الترتيب الاولى كونه جنينا لا يملك تصرفا فلا تصرف فيه الا لله الثانية خروجه الى فضاء وهنالك يرى للأبوين ولغيرهما تصرفا فيه ظاهرا الثالثة ما بعد الموت وهنالك لا يكون التصرف فيه ظاهرا وفي الحقيقة الا لله تعالى فكأنه عاد الى الحالة الاولى وهذا معنى الرجوع الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت أي جزاء ذلك أو المكتسب هو الجزاء كما يقال كسب الرجل لما يحصله بتجارته والمراد أن كل مكلف

فانه يصل اليه جزاء عمله بالتمام عند الرجوع الى الله تعالى كقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ثم كان لقائل أن يقول كيف يليق بأكرم الاكرمين ايصال العذاب الى عبيده الكفار والفساق فقال وهم لا يظلمون بل العبد هو الذي أوقع نفسه في تلك الورطة لان الله تعالى مكنه وأزاح عذره (٩٣) وسهل طريق الاستدلال عليه وأمهل هذا على أصول المعتزلة وأما على أصول الاصحاب فهو اشارة الى أنه تعالى مالك الملوك وخالق الخلائق والمالك اذا تصرف في ملكه كيف شاء وأراد لم يكن ظالما عن ابن عباس انها آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بها جبريل وقال ضعها على رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها أحدا وثمانين يوما وقيل أحدا وعشرين وقيل سبعة أيام وقيل ثلاث ساعات والله تعالى أعلم بحقيقة الحال (التأويل) أخبر عن حرص أهل الدنيا وهم أكلة الربا بعد ذكر قناعة أهل العقبى فمثل آكل الربا كمثل من به جوع الكلب يأكل ولا يشبع حتى ينتفخ بطنه ويثقل عليه فلا يقوم الا كما يقوم المصروع لانه كلما قام صرعه ثقل بطنه ومثله قوله عليه السلام ان هذا المال خضر حلو وان مما ينبت الربيع يقتل حبطا أو يلم الا آكلة الخضر فانها أكلت حتى اذا امتدت خاصرتاها استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت ثم رتعت فمن أخذه بحقه ووضعه بحقه فنعم المعونة هو ومن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع وفي الحديث مثلان أحدهما المفرط في جمع الدنيا بحيث يفضي به الى الهلاك في الدنيا والعقبى وأشار اليه بقوله وان مما ينبت الربيع يقتل حبطا أو يلم وذلك أن الربيع ينبت أحرار البقول فتستكثر منها الماشية لاستطابتها اياها حتى تنتفخ بطونها عند مجاوزتها حد الاعتدال فتنشق أمعاؤها فتهلك أو تقارب الهلاك والمثل الآخر للمقتصد وذلك قوله الا آكلة الخضر وذلك

من أموالكم وغيرها يحصيها عليكم ليجازيكم بها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قوله ويعلمكم الله قال هذا تعليم علمكموه فخذوا به ۞ القول في تأويل قوله (وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهن مقبوضة) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته القراء في الامصار جميعا كاتبا بمعنى ولم تجدوا من يكتب لكم كتاب الدين الذي تداينتموه الى أجل مسمى فرهان مقبوضة وقرأ جماعة من المتقدمين ولم تجدوا كتابا بمعنى ولم يكن لكم الى اكتتاب كتاب الدين سبيل اما بتعذر الدواة والصحيفة واما بتعذر الكاتب وان وجدتم الدواة والصحيفة والقراءة التي لا يجوز غيرها عندنا هي قراءة الامصار ولم تجدوا كاتبا بمعنى من يكتب لأن ذلك كذلك في مصاحف المسلمين وان كنتم أيها المتداينون في سفر بحيث لا تجدون كاتبا يكتب لكم ولم يكن لكم الى اكتتاب كتاب الدين الذي تداينتموه الى أجل مسمى بينكم الذي أمرتكم باكتتابه والاشهاد عليه سبيل فارتهنوا بديونكم التي تداينتموها الى الأجل المسمى رهونا تقبضونها ممن تداينونه كذلك ليكون ثقة لكم بأموالكم ذكر من قال ما قلنا في ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قوله وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهن مقبوضة فمن كان على سفر فبايع بيعا الى أجل فلم يجد كاتبا فرخص له في الرهان المقبوضة وليس له ان وجد كاتبا أن يرتهن حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا يقول كاتبا يكتب لكم فرهان مقبوضة حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك قال ما كان من بيع الى أجل فأمر الله عز وجل أن يكتب ويشهد عليه وذلك في المقام فان كان قوم على سفر تبايعوا الى أجل فلم يجدوا فرهان مقبوضة ذكر قول من تأول ذلك على القراءة التي حكيناها حدثنا أبو كريب قال ثنا هشيم قال أخبرنا يزيد بن أبي زياد عن مقسم عن ابن عباس فان لم تجدوا كتابا يعني بالكتاب الكاتب والصحيفة والدواة والقلم حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرني أبي عن ابن عباس انه قرأ فان لم تجدوا كتابا قال ربما وجد الرجل الصحيفة ولم يجد كاتبا حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا ابن أبي نجيح عن مجاهد كان يقرؤها فان لم تجدوا كتابا ويقول ربما وجد الكاتب ولم توجد الصحيفة أو المداد ونحو هذا من القول حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وان كنتم على سفر ولم تجدوا كتابا يقول مدادا يقرؤها كذلك يقول فان لم تجدوا مدادا فعند ذلك تكون الرهون المقبوضة فرهن مقبوضة قال لا يكون الرهن الا في السفر حدثني المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد بن زيد عن شعيب بن الحبحاب قال ان أبا العالية كان يقرؤها فان لم تجدوا كتابا قال أبو العالية توجد الدواة ولا توجد الصحيفة * واختلف القراء في قراءة قوله فرهان مقبوضة فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق فرهان مقبوضة بمعنى جماع رهن كما الكباش جماع كبش والبغال جماع بغل والنعال جماع نعل وقرأ ذلك جماعة آخرون فرهن مقبوضة على معنى جمع رهان ورهن جمع الجمع وقد وجهه بعضهم الى أنها جمع رهن مثل سقف وسقف وقرأه آخرون فرهن مخففة الهاء على معنى جماع رهن كما تجمع السقف سقفا قالوا ولا نعلم اسما على فعل يجمع على فعل وفعل الا الرهن والرهن والسقف والسقف والذي هو أولى بالصواب في ذلك قراءة من

قرأه

قرأه فرهان مقبوضة لان ذلك الجمع المعروف لما كان من اسم على فعل كما يقال حبل وحبال وكعب وكعاب ونحو ذلك من الأسما فأما جمع الفعل على الفعل أو الفعل فشاذ قليل انما جاء في أحرف يسيرة وقيل سقف وسقف وسقف وقلب وقلب وقلب من قلب النخل (١) وحد وحد للجد الذي هو بمعنى الحظ وأما ما جاء من جمع فعل على فعل فثط وثط وورد وورد وخود وخود وانما دعا الذي قرأ ذلك فرهن مقبوضة الى قراءته فيما أظن كذلك مع شذوذه في جمع فعل أنه وجد الرهان مستعملة في رهان الخيل فأحب صرف ذلك عن اللفظ الملتبس برهان الخيل الذي هو بغير معنى الرهان الذي هو جمع رهن ووجد الرهن مقولا في جمع رهن كما قال قعنب

بانت سعاد وأمسى دونها عدن * وغلقت عندها من قلبك الرهن

﴿ القول في تأويل قوله (فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته وليتق الله ربه) يعني بذلك جل ثناؤه فان كان المدين أمينا عند رب المال والدين فلم يرتهن منه في سفره رهنا بدينه لامانته عنده على ماله وثقته فليتق الله المدين ربه يقول فليخف الله ربه في الذي عليه من دين صاحبه أن يجحده أو يلط دونه أو يحاول الذهاب به فيتعرض من عقوبة الله ما لا قبل له به وليؤد دينه الذي ائتمنه عليه اليه وقد ذكرنا قول من قال هذا الحكم من الله عز وجل ناسخ الاحكام التي في الآية قبلها من أمر الله عز وجل بالشهود والكتاب وقد دللنا على أولى ذلك بالصواب من القول فيه فاغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع وقد حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته انما يعني بذلك في السفر فاما الحضر فلا وهو واجد كاتبا فليس له ان يرتهن ولا يامن بعضهم بعضا وهذا الذي قاله الضحاك من أنه ليس لرب الدين ائتمان المدين وهو واجد الى الكاتب والكتاب والاشهاد عليه سبيلا وان كانا في سفر فكما قال لما قد دللنا على صحته فيما مضى قبل وأما ما قاله من أن الامر في الرهن أيضا كذلك مثل الائتمان في أنه ليس لرب الحق الارتهان بماله اذا وجد الى الكاتب والشهيد سبيلا في حضر أو سفر فانه قول لا معنى له لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اشترى طعاما نساء ورهن به درعا له فجائز للرجل أن يرهن بما عليه ويرتهن بماله من حق في السفر والحضر لصحة الخبر بما ذكرنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن معلوما أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن حين رهن من ذكرنا غير واجد كاتبا ولا شهيدا لانه لم يكن متعذرا عليه بمدينته في وقت من الاوقات الكاتب والشاهد غير أنهما اذا تبايعا برهن فالواجب عليهما اذا وجدا سبيلا الى كاتب وشهيد وكان البيع أو الدين الى أجل مسمى أن يكتبا ذلك ويشهدا على المال والرهن وانما يجوز ترك الكتاب والاشهاد في ذلك حيث لا يكون لهما الى ذلك سبيل ﴿ القول في تأويل قوله (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم) وهذا خطاب من الله عز وجل للشهود الذين أمر المستدين ورب المال باشهادهم فقال لهم ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا تكتموا أيها الشهود بعد ما شهدتم شهادتكم عند الحكام كما شهدتم على ما شهدتم عليه ولكن أجيبوا من شهدتم له اذا دعاكم لاقامة شهادتكم على خصمه على حقه عند الحاكم الذي يأخذ له بحقه ثم أخبر الشاهد جل ثناؤه ما عليه في كتمان شهادته وابائه من ادائها والقيام بها عند حاجة المستشهد الى قيامه بها عند حاكم أو ذي سلطان فقال ومن يكتمها يعني ومن يكتم شهادته فانه اثم قلبه يقول فاجر قلبه مكتسب بكتمانه اياها معصية الله كما حدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في

أن الخضر ليست من أحرار البقول وجيدها التي ينبتها الربيع بتوالي أمطاره ولكنها من كلا الصيف التي ترعاها المواشي بعد هيج البقول ويبسها حيث لا تجد سواها فلا ترى الماشية تكثر منها وهو مثل التاجر الذي يكتسب المال بطريق البيع والشراء ويؤدي حقه وان كان له حرص في الطلب والجمع ولكن لما كان بأمر الشرع وطريق الحل ما أضر به وأحل الله البيع وحرم الربا يعني كيف يكون ما أزال نور الامر ظلمته مثل ما زاد ظلمته ارتكاب المنهي فمرتكب الربا في ظلمات ثلاث ظلمة الحرص وظلمة الدنيا وظلمة المعصية وأمره الى الله يرزقه من حيث لا يحتسب والله لا يحب كل كفار بنعمة الشرع وأنواره أثيم عامل بالطبع مقيم في ظلمة اصراره ثم أخبر عن العاملين بالشرع الخارجين عن الطبع الذين آمنوا ايمان التصديق بالتحقيق مقرونا بالتوفيق ثم خرجوا عن ظلمة اتباع الهوى باقامة الصلاة وعالجوا ظلمة الركون الى الدنيا بانوار ايتاء الزكاة فجذبتهم العناية من حضيض العبدية الى ذروة العندية لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم من الرجوع الى ظلمات الطبيعة ولا هم يحزنون لفوات أنوار الشريعة ثم أخبر عن أهل الايمان المجازي فقال يا أيها الذين آمنوا باللسان اتقوا الله أي بالله كما جاء كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم أي جعلناه قداما ومن شرط المؤمن الحقيق اتقاؤه بالله في ترك الزيادات كما قال من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وذروا ما بقي من الربا اتركوا ما سوى الله في طلبه ان كنتم مؤمنين ايمانا حقيقيا فان لم تفعلوا لم تتركوا كل زيادة تمنعكم فاذنوا بحرب من الله ورسوله ببعدمنهما وبغض وان تبتم تركتم غيره فلكم رؤس أموالكم وهي الكرامة التي فضلكم بها على كثير من خلقه وهي المحبة يحبهم ويحبونه لا تظلمون بوضع محبتي في غير موضعها من المخلوقات ولا تظلمون

قوله ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه فلا يحل لاحد أن يكتم شهادة هى عنده وان كانت على نفسه والوالدين ومن يكتمها فقد ركب اثما عظيما حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قوله ومن يكتمها فانه آثم قلبه يقول فاجر قلبه حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال أكبر الكبائر الاشراك بالله لان الله يقول ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وشهادة الزور وكتمان الشهادة لان الله عز وجل يقول ومن يكتمها فانه آثم قلبه وقد روى عن ابن عباس أنه كان يقول على الشاهد أن يشهد حيثما استشهد ويخبر بها حيث استخبر حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن محمد بن مسلم قال أخبرنا عمرو بن دينار عن ابن عباس قال اذا كانت عندك شهادة فسألك عنها فأخبره بها ولا تقل أخبر بها عند الامير أخبره بها لعله يراجع أو يرعوى وأما قوله والله بما تعملون عليم فانه يعنى بما تعملون فى شهادتكم من اقامتها والقيام بها أو كتمانكم اياها عند حاجة من استشهدكم اليها وبغير ذلك من سرائر أعمالكم وعلانيتها عليم يحصيه عليكم ليجزيكم بذلك كله جزاءكم اما خيرا واما شرا على قدر استحقاقكم ❊ القول فى تأويل قوله (لله ما فى السموات وما فى الارض وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) يعنى جل ثناؤه بقوله لله ما فى السموات وما فى الارض لله ملك كل ما فى السموات وما فى الارض من صغير وكبير واليه تدبير جميعه وبيده صرفه وتقليبه لا يخفى عليه منه شئ لانه مدبره ومالكه ومصرفه وانما عنى بذلك جل ثناؤه كتمان الشهود الشهادة يقول لا تكتموا الشهادة أيها الشهود ومن يكتمها يفجر قلبه ولن يخفى على كتمانه ذلك لانى بكل شئ عليم وبيدى صرف كل شئ فى السموات والارض وملكه أعلم خفى ذلك وجليه فاتقوا عقابى اياكم على كتمانكم الشهادة وعيدا من الله بذلك من كتمها وتخويفا منه له به ثم أخبرهم عما هو فاعل بهم فى آخرتهم وبمن كان من نظرائهم ممن انطوى كشحا على معصية فاضمرها أو أظهر موبقة فابداها من نفسه من المحاسبة عليها فقال وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يقول وان تظهروا فيما عندكم من الشهادة على حق رب المال الجحود والانكار أو تخفوا ذلك فتضمروه فى أنفسكم وغير ذلك من سئ أعمالكم يحاسبكم به الله يعنى بذلك يحتسب به عليه من أعماله (١) فيجازى من شاء منكم من المسيئين بسوء عمله وغافر منكم لمن شاء من المسيئين ثم اختلف أهل التأويل فيما عنى بقوله وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فقال بعضهم بما قلنا من أنه عنى به الشهود فى كتمانهم الشهادة وأنه لاحق بهم كل من كان من نظرائهم ممن أضمر معصية أو أبداها ذكر من قال ذلك حدثنى أبو زائدة زكريا بن يحيى بن أبى زائدة قال ثنا أبو نفيل عن يزيد بن أبى زياد عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله يقول يعنى فى الشهادة حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن يزيد بن أبى زياد عن مقسم عن ابن عباس فى قوله وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه قال فى الشهادة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال سئل داود عن قوله وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فحدثنا عن عكرمة قال هى الشهادة اذا كتمتها حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عمرو وأبى سعيد أنه سمع عكرمة يقول فى هذه الآية ان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه قال فى الشهادة حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن السدى عن الشعبى فى

يونع محبتكم فى غير موضعها وان كان ذو عسرة لم يصل اليه ما أعد لاجله عاجلا فنظرة الى ميسرة وهو وقت وصوله اليه آجلا وأن تصدقوا تبذلوا فينا ما تتمنون من صنوف برنا فى الدنيا والعقبى على قدر همتكم فهو خير لكم لانا نجازيكم على قدر مواهبنا ان كنتم تعلمون قدرها ومن يتوكل على الله فهو حسبه من شغله (٩٤) ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين ثم انه سبحانه كما جمع فى القرآن خلاصة الكتب السماوية جمع فى خاتمة الوحى خلاصة اى القرآن فقال واتقوا يوما الآية وذلك أن فائدة جميع الكتب راجعة الى معنيين النجاة من الدركات السفلى وهى سبعة الكفر والشرك والجهل والمعاصى والاخلاق المذمومة وحجب الاوصاف وحجاب النفس والفوز بالدرجات العلى وهى ثمانية المعرفة والتوحيد والعلم والطاعات والاخلاق المحمودة وجذبات الحق والفناء عن انانيته والبقاء بهويته فقوله واتقوا شامل لما يتعلق بالسعى الانسانى من هذه المعانى لان حقيقة التقوى مجانبة ما يبعدك عن الله ومباشرة ما يقربك اليه فتقوى العام الخروج بسبب الاقامة بشرائط جاهدوا فينا عن الكفر بالمعرفة وعن الشرك بالتوحيد وعن الجهل بالعلم وعن المعاصى بالطاعات وعن الاخلاق المذمومة بالاخلاق المحمودة ثم من ههنا تقوى الخاص تخرجهم جذبات لنهدينهم سبلنا من حجب أوصافهم الى درجة تجلى صفات الحق فيستظلون بظل سدرة المنتهى عندها جنة المأوى فينتفعون بمواهب اذ يغشى السدرة ما يغشى ثم من ههنا تقوى خاص الخاص فتخرجه العناية بجذبات مازاغ البصر وما طغى من سدرة المنتهى الاوصاف الى قاب قوسين نهاية حجاب النفس وبداية أنوار القدس وهنالك من عرف نفسه فقد عرف ربه وهو مقام أو أدنى ترجعون فيه الى الله لان مبدأ وجودك النفخة وآخر حالك الجذبة وبها اصطفى آدم وكرم نبيه ولهذا لم يقل ولقد كرمنا أولاد آدم لان أهل الكرامة منهم من هو

قوله

قوله وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه قال فى الشهادة حدثنا يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا يزيد بن
أبى زياد عن مقسم عن ابن عباس انه قال فى هذه الآية ان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله قال
نزلت فى كتمان الشهادة واقامتها حدثنى يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن عكرمة
فى قوله وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله يعنى كتمان الشهادة واقامتها على وجهها * وقال
آخرون بل نزلت هذه الآية اعلاما من الله تبارك وتعالى عباده أنه مؤاخذهم بما كسبته أيديهم وحدثتهم
به أنفسهم مما لم يعملوه ثم اختلف متأولو ذلك كذلك فقال بعضهم ثم نسخ الله ذلك بقوله لا يكلف الله نفسا الا
وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا اسحق بن سليمان عن
مصعب بن ثابت عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة قال لما نزلت لله ما فى السموات وما فى
الارض وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله اشتد ذلك على القوم فقالوا يا رسول الله انا
لمؤاخذون بما نحدث به أنفسنا هلكنا فانزل الله عز وجل لا يكلف الله نفسا الا وسعها الآية الى قوله ربنا
لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال أبى قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله نعم ربنا
ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا الى آخر الآية قال أبى قال أبو هريرة قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال الله عز وجل نعم حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع وحدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا
سفيان عن آدم بن سليمان مولى خالد بن خالد قال سمعت سعيد بن جبير يحدث عن ابن عباس قال لما نزلت
هذه الآية ان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء دخل قلوبهم
منها شئ لم يدخلها من شئ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعنا وأطعنا وسلمنا قال فألقى الله عز وجل
الايمان فى قلوبهم قال فأنزل الله عز وجل آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه قال أبو كريب فقرأ ربنا
لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال فقال قد فعلت ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا
قال قد فعلت ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال قد فعلت واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا
على القوم الكافرين قال قد فعلت حدثنى أبو الرداد المصرى عبد الله بن عبد السلام قال ثنا أبو زرعة
وهب الله بن راشد عن حيوة بن شريح قال سمعت يزيد بن أبى حبيب يقول قال ابن شهاب حدثنى سعيد
ابن مرجانة قال جئت عبد الله بن عمر فتلا هذه الآية ان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر
لمن يشاء ويعذب من يشاء ثم قال ابن عمر لئن آخذنا بهذه الآية لنهلكن ثم بكى ابن عمر حتى سالت دموعه قال ثم
جئت عبد الله بن العباس فقلت يا أبا عباس انى جئت ابن عمر فتلا هذه الآية ان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه
الآية ثم قال لئن واخذنا بهذه الآية لنهلكن ثم بكى حتى سالت دموعه فقال ابن عباس يغفر الله لعبد الله
ابن عمر لقد فرق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منها كما فرق ابن عمر منها فانزل الله لا يكلف الله نفسا
الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فنسخ الله الوسوسة وأثبت القول والفعل حدثنى يونس قال
أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن سعيد بن مرجانة يحدث أنه بينا هو جالس سمع
عبد الله بن عمر تلا هذه الآية لله ما فى السموات وما فى الارض وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه الآية فقال
والله لئن آخذنا الله بهذا لنهلكن ثم بكى ابن عمر حتى سمع نشيجه فقال ابن مرجانة فقمت حتى أتيت ابن عباس
فذكرت له ما تلا ابن عمر وما فعل حين تلاها فقال عبد الله بن عباس يغفر الله لابى عبد الرحمن لعمرى لقد

بوصف الرجال دون النساء ثم وصف الرجال بقوله رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فمن كان من النساء بهذا الوصف فهو من الرجال فى
المعنى ومن لم يكن من الرجال بهذا الوصف فهو من النساء فى الحقيقة وفى هذا الرجوع وعد وبشارة للاولياء ووعيد وانذار للاعداء ثم توفى كل
نفس ما كسبت فبقدر مراتبه فى العبودية والتقوى يهتدى الى مقامات القرب من المولى ويحسب (٩٥) فنائه عن حجاب نفسه يبقى ببقاء
ذاته وهويته وهم لا يظلمون
فان دخول النور فى البيت
وخروج الظلمة منه انما
يكون على مقدار سعة فتح
الروزنة وضيقه ولا تظلم
الشمس عليه مثقال ذرة
فأما من طغى وآثر الحياة
الدنيا فان الجحيم هى المأوى
وأما من خاف مقام ربه
ونهى النفس عن الهوى
فان الجنة هى المأوى (يا أيها
الذين آمنوا اذا تداينتم بدين
الى أجل مسمى فاكتبوه
وليكتب بينكم كاتب
بالعدل ولا يأب كاتب أن
يكتب كما علمه الله فليكتب
وليملل الذى عليه الحق
وليتق الله ربه ولا يبخس منه
شيأ فان كان الذى عليه
الحق سفيها أو ضعيفا أو
لا يستطيع أن يمل هو فليملل
وليه بالعدل واستشهدوا
شهيدين من رجالكم فان لم
يكونا رجلين فرجل
وامرأتان ممن ترضون
من الشهداء أن تضل احداهما
فتذكر احداهما الاخرى
ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا
ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا
أو كبيرا الى أجله ذلكم
أقسط عند الله وأقوم للشهادة
وأدنى ألا ترتابوا الا أن تكون
تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله
ويعلمكم الله والله بكل شئ عليم وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته وليتق الله
ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم) القرا آت أن يمل هو بسكون الهاء قتيبة والحلوانى عن قالون الباقون

بالضم على الاصل ان تضل بكسر الهمزة على الشرط حمزة والمفضل الباقون بالفتح على انها ناصبة فتذكر بالتشديد والرفع حمزة وحده فتذكر بالرفع ومن الاذكار أبو زيد عن المفضل فتذكر من الاذكار وبالنصب أبو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير وقتيبة الباقون فتذكر بالتشديد والنصب تجارة حاضرة بالنصب فيهما عاصم الباقون بالرفع فيهما فرهن بضم الراء والهاء ابن كثير وأبو عمرو والباقون فرهان (٩٦)

وجد المسلمون منها حين أنزلت مثل ما وجد عبد الله بن عمر فأنزل الله بعدها لا يكلف الله نفسا الا وسعها الى آخر السورة قال ابن عباس فكانت هذه الوسوسة مما لا طاقة للمسلمين بها وصار الامر الى أن قضى الله عز وجل ان للنفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت في القول والفعل حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال سمعت الزهري يقول في قوله ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه قال قرأها ابن عمر فبكى وقال انا لمؤاخذون بما نحدث به أنفسنا فبكى حتى سمع نشيجه فقام رجل من عنده فأتى ابن عباس فذكر ذلك له فقال رحم الله ابن عمر لقد وجد المسلمون نحوا مما وجد حتى نزلت لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن جعفر بن سليمان عن حميد الأعرج عن مجاهد قال كنت عند ابن عمر فقال ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه الآية فبكى فدخلت على ابن عباس فذكرت له ذلك فضحك ابن عباس فقال يرحم الله ابن عمر أو ما يدري فيم أنزلت ان هذه الآية حين أنزلت غمت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غما شديدا وقالوا يا رسول الله هلكنا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا سمعنا وأطعنا فنسختها آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله الى قوله وعليها ما اكتسبت فتجوز لهم من حديث النفس وأخذوا بالاعمال حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يزيد بن هرون عن سفيان بن حسين عن الزهري عن سالم ان أباه قرأ ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فدمعت عينه فبلغ صنيعه ابن عباس فقال يرحم الله أبا عبد الرحمن لقد صنع كما صنع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزلت فنسختها الآية التي بعدها لا يكلف الله نفسا الا وسعها حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال نسخت هذه الآية ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه لا يكلف الله نفسا الا وسعها حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن آدم بن سليمان عن سعيد بن جبير قال لما نزلت هذه الآية ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه قالوا أنؤاخذ بما حدثنا به أنفسنا ولم تعمل به جوارحنا قال فنزلت هذه الآية لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال ويقول قد فعلت قال فأعطيت هذه الامة خواتيم سورة البقرة لم تعطها الامم قبلها حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال ثنا اسمعيل عن عامر ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء قال فنسختها الآية بعدها قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبي ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله قال نسختها الآية التي بعدها لا يكلف الله نفسا الا وسعها (٣) وقوله وان تبدوا قال يحاسب بما أبدى من سر أو أخفى من سر فنسختها التي بعدها حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا سيار عن الشعبي قال لما نزلت هذه الآية ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء قال فكان فيها شدة حتى نزلت هذه الآية التي بعدها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت قال فنسخت ما كان قبلها حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن عون قال ذكروا عند الشعبي ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه حتى بلغ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت قال فقال الشعبي الى هذا صار رجعت الى آخر الآية حدثني يحيى ابن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه قال

* الوقوف فاكتبوه ط للعدول بالعدل ص لعطف المتفقين فليكتب ج شيأ ط بالعدل ط من رجالكم ج للشرط مع فاء التعقيب الاخرى ط دعوا ط للعدول أجله ط ألا تكتبوها ط لابتداء الامر تبايعتم ص لعطف المتفقين ولا شهيد ط بكم ط واتقوا الله ط ه ويعلمكم الله ط عليم ه مقبوضة ط لابتداء شرط واستئناف معنى آخر ربه ط للعدول الشهادة ط قلبه ط عليم ه * التفسير الحكم الثالث المداينة وسبب النظم ان الحكمين المتقدمين وهما الانفاق وترك الربا كانا سببين لنقصان المال فأرشد الله تعالى في هذه الآية بكمال رأفته الى كيفية حفظ المال الحلال وصونه عن التلف والبوار ورعاية وجوه الاحتياط فان مصالح المعاش والمعاد متوقفة على ذلك ولهذه الدقيقة بالغ في الوصاية وأطنب عن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الربا أباح السلم وأنزل فيه أطول آية ولهذا قال بعض العلماء لا لذة ولا منفعة يتوصل اليها بالطريق الحرام الا وجعل الله سبحانه لتحصيل مثلها طريقا حلالا وسبيلا مشروعا والتداين تفاعل من الدين يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا أو آخذا والمراد اذا تعاملتم بما فيه دين وذلك ان البياعات على أربعة أوجه أحدها بيع العين بالعين وذلك ليس بمداينة البتة والثاني بيع الدين بالدين وهو باطل فيبقى ههنا بيعان بيع العين بالدين وهو ما اذا باع شيأ بثمن مؤجل وبيع الدين بالعين وهو المسمى

قال

بالسلم وكلاهما داخلان تحت الآية وأما القرض فلا يدخل فيه وانه غير الدين لغة فان الدين يجوز فيه الاجل والقرض لا يجوز فيه الاجل
والفائدة في قوله بدين تخليصه من التداين بمعنى المجازاة أو التأكيد مثل ولا طائر يطير بجناحيه أو ليشمل أي دين كان صغيرا أو كبيرا اسلما أو
غيره وفي الكشاف فائدته رجوع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب أن يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك

قال ابن مسعود كانت المحاسبة قبل أن تنزل لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فلما نزلت نسخت الآية التي كانت قبلها حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يذكر عن ابن مسعود نحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن بيان عن الشعبي قال نسخت ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب وسفيان عن جابر عن مجاهد وعن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد قالوا نسخت هذه الآية لا يكلف الله نفسا الا وسعها ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه الآية حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن جابر عن عكرمة وعامر بمثله حدثنا المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد بن حميد عن الحسن في قوله ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه الى آخر الآية قال محتها لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أنه قال نسخت هذه الآية يعني قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها الآية التي كانت قبلها ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله قال نسختها قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني ابن زيد قال لما نزلت هذه الآية ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله الى آخر الآية اشتدت على المسلمين وشقت مشقة شديدة فقالوا يا رسول الله لو وقع في أنفسنا شيء لم نعمل به واخذنا الله به قال فلعلكم تقولون كما قال بنو اسرائيل سمعنا وعصينا قالوا بل سمعنا وأطعنا يا رسول الله قال فنزل القرآن يفرجها عنهم آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله الى قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت قال فصيره الى الاعمال وترك ما يقع في القلوب حدثني المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا هشيم عن سيار أبي الحكم عن الشعبي عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود في قوله ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله قال نسخت هذه الآية التي بعدها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قوله ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله قال يوم نزلت هذه الآية كانوا يؤاخذون بما وسوست به أنفسهم وما عملوا فشكوا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا والله ان عمل أحدنا وان لم يعمل أخذنا به والله ما نملك الوسوسة فنسخها الله بهذه الآية التي بعدها بقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها فكان حديث النفس مما لم تطيقوا الآية حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن قتادة أن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت نسختها قوله لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت * وقال آخرون ممن قال معنى ذلك الاعلام من الله عز وجل عباده أنه مؤاخذهم بما كسبته أيديهم وعملته جوارحهم وبما حدثتهم به أنفسهم مما لم يعملوه هذه الآية محكمة غير منسوخة والله عز وجل محاسب خلقه على ما عملوا من عمل وعلى ما لم يعملوه مما أصروه في أنفسهم ونووه وأرادوه فيغفره للمؤمنين ويؤاخذ به أهل الكفر والنفاق ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فانها لم تنسخ ولكن الله عز وجل اذا جمع الخلائق يوم القيامة يقول الله عز وجل اني أخبركم بما أخفيتم في أنفسكم مما لم تطلع عليه ملائكتي فأما المؤمنون فيخبرهم ويغفر لهم ما حدثوا به أنفسهم وهو قوله يحاسبكم به الله يقول يخبركم وأما أهل الشك والريب فيخبرهم بما أخفوا من التكذيب وهو قوله فيغفر لمن يشاء

الحسن ولانه أبين لتنويع الدين الى مؤجل وحال فانه كالمطابقة ودلالة تداينتم على ذلك كالتضمن وقيل ليكون المعنى تداينا يحصل فيه دين واحد فيخرج بيع الدين بالدين وانما لم يقل كلما تداينتم ليكون نصا في العموم لان الكلمة تفهم من بيان العلة في قوله ذلكم أقسط عند الله فان العلة قائمة في الكل فيكون الحكم حاصلا في الكل أو نقول العلة هي التداين والعلة لا ينفك عنها معلولها فتكون القضية كلية كما في قوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا * والاجل مدة الشيء ومنه أجل الانسان لمدة عمره وفائدة قوله مسمى أن يعلم ان من حق الاجل أن يكون معلوما كالتوقيت بالسنة والاشهر والايام وانه لو قال الى الحصاد أو الى قدوم الحاج لم يجز لعدم التسمية ثم انه تعالى أمر في المداينة بشيئين الكتبة والاستشهاد ليكون كلا المتداينين أوثق وآمن من النسيان والتفاوت والتخالف في مقدار الدين وفي انقضاء الاجل وفي سائر ما تشارطا عليه وهذا الامر قيل للوجوب وهو مذهب عطاء وابن جريج والنخعي

وجمهور المجتهدين على أنه للندب لاجماع المسلمين قديما وحديثا على البيع بالاثمان المؤجلة من غير كتبة ولا اشهاد ولان في ايجابهما حرجا وتضييقا وقيل كانا واجبين فنسخا بقوله فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته وهذا مذهب الحسن والشعبي والحكم بن عتيبة أما المخاطب بقوله فاكتبوه فليس كل أحد لوجود أميين كثيرين في الدنيا بل من له استمهال

لكتبة ولهذا قال وليكتب بينكم كاتب وليس ذلك أيضا على الاطلاق ولكنه يجب أن يكون الكاتب متصفا بالعدل فيكتب بحيث لا يزيد فى الدين ولا ينتقص عنه ولا يخص أحدهما بالاحتياط دون الآخر ويحترز عن الالفاظ المجملة التى يقع النزاع فى المراد منها وهذا بالحقيقة أمر للمتداينين بتخير الكاتب وأن لا يستكتبوا (٩٨) الا فقيها أديبا دينا قال بعض الفقهاء العدل أن يكون ما يكتبه متفقا عليه بين المجتهدين ولا يكون بحيث يجد قاض من قضاة المسلمين سبيلا الى ابطاله ولا يأب كاتب ولا يمتنع أحد من الكتاب وهو معنى التنكير فى كاتب أن يكتب وقوله كما علمه الله اما أن يكون متعلقا بما قبله فالتقدير ولا يأب كاتب أن يكتب مثل ما علمه الله تعالى فيقع قوله بعد ذلك فليكتب تأكيدا للاول أى فليكتب تلك الكتابة التى علمه الله تعالى اياها أو بما بعده فيكون الاول نهيا عن الامتناع مطلقا والثانى أمرا بالكتابة المقيدة والمطلق لا دلالة له على المقيد فلا يكون الثانى تأكيد الاول وانما يكون بيانا له ثم النهى عن الامتناع عن الكتابة لكل كاتب انما هو على سبيل الارشاد والاولى تحصيلا لحاجة المسلم وشكرا لما علمه الله من كتابة الوثائق فهو كقوله وأحسن كما أحسن الله اليك وقيل انه على سبيل الايجاب ولكنه نسخ بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد وعن الشعبى أنه فرض كفاية فان لم يجد الا كاتبا واحدا وجبت الكتابة عليه وان وجد أشخاصا فالواجب كتابة أحدهم وقيل متعلق الايجاب هو أن يكتب كما علمه الله يعنى انه بتقدير أن يكتب فالواجب أن يكتب كما علمه الله وأن لا يخل بشرط من الشروط كيلا يضيع مال المسلم باهماله واعلم أن الكتابة بعد حصول الكاتب العارف بشروط الصكوك والسجلات لا تتم الا باملاء من عليه الحق ليدخل فى جملة املائه اعترافه بمقدار الحق وصفته وأجله الى غير ذلك فلهذا قال سبحانه وليملل الذى عليه الحق والاملال والاملاء

و يعذب من يشاء وهو قوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم من الشك والنفاق حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فذلك سر عملكم وعلانيته يحاسبكم به الله فليس من عبد مؤمن يسر فى نفسه خيرا ليعمل به فان عمل به كتبت له به عشر حسنات وان هو لم يقدر له أن يعمل به كتبت له به حسنة من أجل أنه مؤمن والله يرضى سر المؤمنين وعلانيتهم وان كان سوأ حدث به نفسه اطلع الله عليه وأخبره به يوم تبلى السرائر وان هو لم يعمل به لم يؤاخذه الله به حتى يعمل به فان هو عمل به تجاوز الله عنه كما قال أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيآتهم حدثنى يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فى قوله ان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله الآية قال قال ابن عباس ان الله يقول يوم القيامة ان كتابى لم يكتبوا من أعمالكم الا ما ظهر منها فاما ما أسررتم فى أنفسكم فانا أحاسبكم به اليوم فاغفر لمن شئت وأعذب من شئت حدثنى يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا على بن عاصم قال أخبرنا بيان عن بشر عن قيس ابن أبى حازم قال اذا كان يوم القيامة قال الله عز وجل يسمع الخلائق انما كان كتابى يكتبون عليكم ما ظهر منكم فاما ما أسررتم فلم يكونوا يكتبونه ولا يعلمونه أنا الله أعلم بذلك كله منكم فاغفر لمن شئت وأعذب من شئت حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله كان ابن عباس يقول اذا دعى الناس للحساب أخبرهم الله بما كانوا يسرون فى أنفسهم مما لم يعملوه فيقول انه كان لا يعزب عنى شئ وانى مخبركم بما كنتم تسرون من السوء ولم تكن حفظتكم عليكم مطلعين عليه فهذه المحاسبة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن عبيد بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس نحوه حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله قال هى محكمة لم ينسخها شئ يقول يحاسبكم به الله يقول يعرفه الله يوم القيامة أنك أخفيت فى صدرك كذا وكذا لا يؤاخذه حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن عمرو بن عبيد عن الحسن قال هى محكمة لم تنسخ حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله قال من الشك واليقين حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله يقول فى اليقين والشك حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله فتأويل هذه الآية على قول ابن عباس الذى رواه على بن أبى طلحة وان تبدوا ما فى أنفسكم من شئ من الاعمال فتظهروه بابدانكم وجوارحكم أو تخفوه فتسروه فى أنفسكم فلم يطلع عليه أحد من خلقى أحاسبكم به فاغفر كل ذلك لاهل الايمان وأعذب أهل الشرك والنفاق فى دينى وأما على الرواية التى رواها عنه الضحاك من رواية عبيد ابن سليمان عنه وعلى ما قاله الربيع بن أنس فان تأويلها ان تظهروا ما فى أنفسكم فتعملوه من المعاصى أو تضمروا ارادته فى أنفسكم فتخفوه يعلمكم به الله يوم القيامة فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وأما قول مجاهد فشبيه معناه بمعنى قول ابن عباس الذى رواه على بن أبى طلحة * وقال آخرون ممن قال هذه الآية محكمة وهى غير منسوخة ووافقوا الذين قالوا معنى ذلك أن الله عز وجل أعلم عباده ما هو فاعل بهم فيما أبدوا وأخفوا من أعمالهم معناها أن الله محاسب جميع خلقه بجميع ما أبدوا من سئ أعمالهم

وجميع

لغتان قال الفراء أمللت عليه الكتاب لغة الحجاز وبنى أسد وأمليت لغة بنى تميم وقيس وقد نطق القرآن بهما قال فهى تملى عليه بكرة وأصيلا وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيأ أمر ان لهذا المملى الذى عليه الحق بأن يقر بتمام المال الذى عليه ولا ينقص منه شيأ والبخس النقص فان كان الذى عليه الحق سفيها محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف وضعف عقله أو ضعيفا صبيا (٩٩) أو شيخا مختلا أو لا يستطيع أن يمل هو أو غير مستطيع للاملاء بنفسه لعى به أو خرس فليملل وليه بالعدل والمراد بولى الذى عليه الحق الذى يلى أمره و يقوم بمصالحه من وصى ان كان سفيها أو صبيا أو وكيل ان كان غير مستطيع أو ترجمان يمل عنه وهو يصدقه وفائدة توكيد المتصل بالمنفصل فى قوله أن يمل هو أنه غير مستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو الذى يترجم عنه وعن ابن عباس ومقاتل والربيع أن الضمير فى وليه عائد الى الدين أى الذى له الدين ليمل قيل وفيه بعد لان قول المدعى كيف يقبل ولو كان قوله معتبرا فأى حاجة الى الكتابة والاشهاد ثم المقصود من الكتابة هو الاستشهاد ليتمكن بالشهود من التوصل الى تحصيل الحق ان جحد فلهذا قال تعالى واستشهدوا أى أشهدوا والاشهاد والاستشهاد بمعنى لان معنى استشهدته سألته أن يشهد شهيدين أى شاهدين فعيل بمعنى فاعل واطلاق الشهيد على من سيكون شهيدا تنزيل لما يشارف منزلة الكائن ومعنى قوله من رجالكم أى من رجال أهل ملتكم وهم المسلمون وقيل يعنى الاحرار وقيل من رجالكم الذين تعدونهم للشهادة من أهل العدالة فان لم يكونا أى الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان أى فليكن أو فليشهد أو فالشاهد رجل وامرأتان أو فرجل وامرأتان يشهدون جميع هذه التقديرات جائز حسن ذكره على بن عيسى ممن ترضون من الشهداء وفيه دليل على أنه ليس كل أحد صالحا للشهادة والفقهاء قالوا شرائط قبول الشهادة

وجميع ما أسروه ومعاقبهم عليه غير أن عقوبته اياهم على ما أخفوه مما لم يعملوه ما يحدث لهم فى الدنيا من المصائب والامور التى يحزنون عليها ويألمون منها ذكر من قال ذلك حدثنى يحيى بن أبى طالب قال ثنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فى قوله وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله الآية قال كانت عائشة رضى الله عنها تقول من هم بسيئة فلم يعملها أرسل الله عليه من الهم والحزن مثل الذى هم به من السيئة فلم يعملها فكانت كفارته حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله قال كانت عائشة تقول كل عبد يهم بمعصية أو يحدث بها نفسه حاسبه الله بها فى الدنيا يخاف ويحزن ويهتم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى أبو تميلة عن عبيد عن الضحاك قال قالت عائشة فى ذلك كل عبد هم بسوء ومعصية وحدث نفسه به حاسبه الله فى الدنيا يخاف ويحزن ويشتد همه لا يناله من ذلك شئ كما هم بالسوء ولم يعمل منه شيأ حدثنا الربيع قال ثنا أسد بن موسى قال ثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن أمه انها سألت عائشة عن هذه الآية ان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ومن يعمل سوأ يجز به فقالت ما سألنى عنها أحد مذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عائشة هذه متابعة الله العبد بما يصيبه من الحمى والنكبة والشوكة حتى البضاعة يضعها فى كمه فيفقدها فيفزع لها فيجدها فى ضبنه حتى ان المؤمن ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الاحمر من الكير وأولى الاقوال التى ذكرناها بتأويل الآية قول من قال انها محكمة وليست بمنسوخة وذلك أن النسخ لا يكون فى حكم الا ينفيه بآخر له ناف من كل وجوهه وليس فى قوله جل وعز لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت نفى الحكم الذى أعلم عباده بقوله أو تخفوه يحاسبكم به الله لان المحاسبة ليست بموجبة عقوبة ولا مؤاخذة بما حوسب عليه العبد من ذنوبه وقد أخبر الله عز وجل عن المجرمين أنهم حين تعرض عليهم كتب أعمالهم يوم القيامة يقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها فأخبر أن كتبهم محصية عليهم صغائر أعمالهم وكبائرها فلم تكن الكتب وان أحصت صغائر الذنوب وكبائرها بموجب احصاؤها على أهل الايمان بالله ورسوله وأهل الطاعة له أن يكونوا بكل ما أحصته الكتب من الذنوب معاقبين لان الله عز وجل وعدهم العفو عن الصغائر باجتنابهم الكبائر فقال فى تنزيله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم وندخلكم مدخلا كريما فدل أن محاسبة الله عباده المؤمنين بما هو محاسبهم به من الامور التى أخفتها أنفسهم غير موجبة لهم منه عقوبة بل محاسبته اياهم ان شاء الله عليها ليعرفهم تفضله عليهم بعفوه لهم عنها كما بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخبر الذى حدثنى به أحمد بن المقدام قال ثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت أبى عن قتادة عن صفوان بن محرز عن ابن عمر عن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال يدنى الله عبده المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه فيقرره بسيئاته يقول هل تعرف فيقول نعم فيقول سترتها فى الدنيا وأغفرها اليوم ثم يظهر له حسناته فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه أو كما قال وأما الكافر فانه ينادى به على رؤس الاشهاد حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى وسعيد وهشام وحدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا هشام قالا جميعا فى حديثهما عن قتادة عن صفوان ابن محرز قال بينما نحن نطوف بالبيت مع عبد الله بن عمر وهو يطوف اذ عرض له رجل فقال يا ابن عمر أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى النجوى فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

أن يكون حرا بالغا عاقلا مسلما عدلا عالما بما يشهد به لا يجر بتلك الشهادة منفعة الى نفسه ولا يدفع مضرة عنها ولا يكون معروفا بكثرة الغلط ولا بترك المروءة ولا يكون بينه وبين من يشهد عليه عداوة وعن علي عليه السلام لا تجوز شهادة العبد في شيء وبه قال الشافعي وأبو حنيفة وذلك لانه تعالى قال ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا (١٠٠) والاجماع منعقد على أن العبد لا يجب عليه الذهاب بل يحرم عليه ذلك اذا لم يأذن له السيد فعلم منه أن العبد لا يجوز أن يكون شاهدا وعند شريح وابن سيرين وأحمد تجوز شهادة العبد قالوا لأن العقل والعدالة والدين لا يختلف بالحرية والرق وعند أبي حنيفة تجوز شهادة الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الملل أن تضل أن لا تهتدي احداهما الشهادة بأن تنساها لغلبة البرد والرطوبة على أمزجتهن أو احدى النفسين فان الانسان لا يخلو من النسيان فتذكر احداهما الأخرى وانتصابه على أنه مفعول له أي ارادة أن تضل قال في الكشاف فان قلت كيف يكون ضلالها مرادا لله قلت لما كان الضلال سببا للاذكار والاذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الآخر لالتباسهما واتصالهما كانت ارادة الضلال المسبب عنه الاذكار ارادة للاذكار فكأنه قيل ارادة أن تذكر احداهما الأخرى ان ضلت ونظيره قولهم أعددت الخشبة أن يميل الحائط فأدعمه وأعددت السلاح أن يجيء عدو فأدفعه وفي التفسير الكبير أن ههنا غرضين أحدهما حصول الاشهاد وذلك لا يتأتى الا بتذكير احدى المرأتين والثاني بيان تفضيل الرجل على المرأة حتى يبين أن اقامة المرأتين مقام فيه الرجل الواحد هو العدل في القضية وذلك لا يتأتى الا باضلال احدى المرأتين فلهذا صار كل من الغرضين صحيحا ولا محذور ومن قرأ بكسر أن على الشرط والجزاء فلا اشكال وروى عن سفيان بن عيينة أنه قال فتذكر احداهما معناه فتجعل احداهما الأخرى ذكرا يعني أنهما اذا

يقول يدنو المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه فيقول هل تعرف كذا فيقول رب اغفر مرتين حتى اذا بلغ به ماشاء الله أن يبلغ قال فاني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم قال فيعطى صحيفة حسناته أو كتابه بيمينه وأما الكفار والمنافقون فينادي بهم على رؤس الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين ان الله يفعل بعبده المؤمن من تعريفه اياه سيئات أعماله حتى يعرفه تفضله عليه بعفوه له عنها فكذلك فعله تعالى ذكره في محاسبته اياه بما أبداه من نفسه وبما أخفاه من ذلك ثم يغفر له كل ذلك بعد تعريفه تفضله وتكرمه عليه فيستره عليه وذلك هو المغفرة التي وعد الله عباده المؤمنين فقال يغفر لمن يشاء فان قال قائل فان قوله لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ينبئ عن أن جميع الخلق غير مؤاخذين الا بما كسبته أنفسهم من ذنب ولا مثابين الا بما كسبته من خير قيل ان ذلك كذلك وغير مؤاخذ العبد بشيء من ذلك الا بفعل ما نهى عن فعله أو ترك ما أمر بفعله فان قال فاذ كان ذلك كذلك فما معنى وعيد الله عز وجل ايانا على ما أخفته أنفسنا بقوله ويعذب من يشاء ان كان لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وما أضمرته قلوبنا وأخفته أنفسنا من هم بذنب أو ارادة لمعصية لم تكتسبه جوارحنا قيل له ان الله جل ثناؤه قد وعد المؤمنين أن يعفو لهم عما هو أعظم مما هم به أحدهم من المعاصي فلم يفعله وهو ما ذكرنا من وعده اياهم العفو عن صغائر ذنوبهم اذا هم اجتنبوا كبائرها وانما الوعيد من الله عز وجل بقوله ويعذب من يشاء على ما أخفته نفوس الذين كانت أنفسهم تخفي الشك في الله والمرية في وحدانيته أو في نبوة نبيه صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله أو في المعاد والبعث من المنافقين على نحو ما قال ابن عباس ومجاهد ومن قال بمثل قولهما ان تأويل قوله أو تخفوه يحاسبكم به الله على الشك واليقين غير أنا نقول ان المتوعد بقوله ويعذب من يشاء هو من كان اخفاء نفسه ما تخفيه الشك والمرية في الله وفيما يكون الشك فيه بالله كفرا والموعود الغفران بقوله فيغفر لمن يشاء هو الذي أخفى وما يخفيه الهمة بالتقدم على بعض ما نهاه الله عنه من الامور التي كان جائزا ابتداء تحليله واباحته فحرمه على خلقه جل ثناؤه أو على ترك بعض ما أمر الله بفعله مما كان جائزا ابتداء اباحة تركه فأوجب فعله على خلقه فان الذي يهم بذلك من المؤمنين اذا هو لم يصحح همه بما يهم به ويحقق ما أخفته نفسه من ذلك بالتقدم عليه لم يكن مأخوذا كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه فهذا الذي وصفنا هو الذي يحاسب الله به مؤمني عباده ثم لا يعاقبهم عليه فأما من كان ما أخفته نفسه شكا في الله وارتيابا في نبوة أنبيائه فذلك هو الهالك المخلد في النار الذي أوعده جل ثناؤه العذاب الاليم بقوله ويعذب من يشاء فتأويل الآية اذا وان تبدوا ما في أنفسكم أيها الناس فتظهروه أو تخفوه فتنطوي عليه نفوسكم يحاسبكم به الله فيعرف مؤمنكم تفضله بعفوه عنه ومغفرته له فيغفره له ويعذب منافقكم على الشك الذي انطوت عليه نفسه في وحدانية خالقه ونبوة أنبيائه ۞ القول في تأويل قوله (والله على كل شيء قدير) يعني بذلك جل ثناؤه والله عز وجل على العفو عما أخفته نفس هذا المؤمن من الهمة بالخطيئة وعلى عقاب هذا الكافر على ما أخفته نفسه من الشك في توحيد الله عز وجل ونبوة أنبيائه ومجازاة كل واحد منهما على ما كان منه وعلى غير ذلك من الأمور قادر ۞ القول في تأويل قوله (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) يعني بذلك جل ثناؤه صدق الرسول يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقر بما أنزل اليه يعني بما أوحى اليه من ربه من الكتاب وما

فيه من حلال وحرام ووعد ووعيد وأمر ونهي وغير ذلك من سائر ما فيه من المعاني التي حواها وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية عليه قال يحق له حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية قال ويحق له أن يؤمن وقد قيل انها نزلت بعد قوله وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شئ قدير لان المؤمنين برسول الله من أصحابه شق عليهم ما توعدهم الله به من محاسبتهم على ما أخفته نفوسهم فشكوا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلكم تقولون سمعنا وعصينا كما قالت بنو اسرائيل فقالوا بل نقول سمعنا وأطعنا فأنزل الله لذلك من قول النبي صلى الله عليه وسلم وقول أصحابه آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله يقول وصدق المؤمنون أيضا مع نبيهم بالله وملائكته وكتبه ورسله الآيتين وقد ذكرنا قائلي ذلك قبل واختلف القراء في قراءة قوله وكتبه فقرأ ذلك عامة قراء المدينة وبعض قراء أهل العراق وكتبه على وجه جمع الكتاب على معنى والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وجميع كتبه التي أنزلها على أنبيائه ورسله وقرأ ذلك جماعة من قراء أهل الكوفة وكتابه بمعنى والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وبالقرآن الذي أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد روى عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك وكتابه ويقول الكتاب أكثر من الكتب وكان ابن عباس يوجه تأويل ذلك الى نحو قوله والعصر ان الانسان لفي خسر بمعنى جنس الناس وجنس الكتاب كما يقال ما أكثر درهم فلان وديناره ويراد به جنس الدراهم والدنانير وذلك وان كان مذهبا من المذاهب معروفا فان الذي هو أعجب الي من القراءة في ذلك أن يقرأ بلفظ الجمع لان الذي قبله جمع والذي بعده كذلك أعني بذلك وملائكته وكتبه ورسله فالحاق الكتب في الجمع لفظا به أعجب الي من توحيده واخراجه في اللفظ به بلفظ الواحد ليكون لاحقا في اللفظ والمعنى بلفظ ما قبله وما بعده وبمعناه ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (لا نفرق بين أحد من رسله) وأما قوله لا نفرق بين أحد من رسله فانه أخبر جل ثناؤه بذلك عن المؤمنين أنهم يقولون ذلك ففي الكلام في قراءة من قرأ لا نفرق بين أحد من رسله بالنون متروك قد استغنى بدلالة ما ذكر عنه وذلك المتروك هو يقولون وتأويل الكلام والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله يقولون لا نفرق بين أحد من رسله وترك ذكر يقولون لدلالة الكلام عليه كما ترك ذكره في قوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم بمعنى يقولون سلام وقد قرأ ذلك جماعة من المتقدمين لا يفرق بين أحد من رسله بالياء بمعنى والمؤمنون كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يفرق الكل منهم بين أحد من رسله فيؤمن ببعض ويكفر ببعض ولكنهم يصدقون بجميعهم ويقرون أن ما جاؤا به كان من عند الله وانهم دعوا الى الله والى طاعته ويخالفون في فعلهم ذلك اليهود الذين أقروا بموسى وكذبوا عيسى والنصارى الذين أقروا بموسى وعيسى وكذبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وجحدوا نبوته ومن أشبههم من الامم الذين كذبوا بعض رسل الله وأقروا ببعضهم كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد لا نفرق بين أحد من رسله كما صنع القوم يعني بني اسرائيل قالوا فلان نبي وفلان ليس نبيا وفلان نؤمن به وفلان لا نؤمن به والقراءة التي لا نستجيز غيرها في ذلك عندنا بالنون لا نفرق بين أحد من رسله لانها القراءة التي قامت حجة بالنقل المستفيض الذي يمتنع معه التشاعر والتواطؤ والسهو والغلط يعني ما وصفنا من يقولون لا نفرق بين أحد من رسله ولا يعترض

اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر ولا يخفى ما فيه من التعسف واعلم أن الشهادة خبر قاطع ولهذا قال صلى الله عليه وسلم على مثل الشمس فاشهد أو فدع وقد يقام الظن المؤكد فيه مقام اليقين ضرورة وقول الشاهد الواحد لا يكفي للحكم به الا في هلال رمضان كما مر ولا يحتاج الى أزيد من اثنين الا في الزنا لقوله تعالى ثم لم يأتوا بأربعة شهداء وقال فاستشهدوا عليهن أربعة منكم ولا يعتبر فيه شهادة النساء عن الزهري أنه قال مضت السنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفتين بعده أن لا تقبل شهادة النساء في الحدود وغير هلال رمضان والزنا اما عقوبة أو غيرها فان كان عقوبة فلا يثبت الا برجلين لما مر من حديث الزهري يستوى فيه حق الله تعالى كحد الشرب وقطع الطريق وحق العباد كالقصاص والقذف وأما غير العقوبات فاليس بمالي ولا يقصد به المال ان كان مما يطلع عليه الرجال غالبا كالنكاح والرجعة والطلاق والعتاق والاسلام والردة والبلوغ والولاء وانقضاء العدة وجرح الشهود وتعديلهم والعفو عن القصاص فكل ذلك لا يثبت الا برجلين أيضا وان كان مما يختص بمعرفته النساء غالبا فتقبل فيه شهادتهن على انفرادهن لما روى عن الزهري أنه قال مضت السنة أن تجوز شهادة النساء في كل شئ لا يليه غيرهن وذلك كالولادة والبكارة والثيابة والرتق والقرن والحيض والرضاع وعيب المرأة من برص وغيره تحت الازار ولا يثبت شئ من ذلك بأقل من أربع نسوة تنزيلا لاثنتين منهن منزلة رجل وما يثبت بهن يثبت برجل وامرأتين وبرجلين بالطريق الاولى وأما ما هو مال أو يقصد به المال كالاعيان والديون والعقود المالية من البيع والاقالة والرد بالعيب والاجارة والوصية بالمال والحوالة والضمان والصلح والقرض فيثبت بشهادة رجل وامرأتين ثبوتها بشهادة رجلين ونص القرآن منزل على هذا القسم والذي قبله وجوز الشافعي القضاء بالشاهد

بشاذ من القراءة على ما جاءت به الحجة نقلا ورواية ۞ القول فى تاويل قوله ﴿وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير﴾ يعنى بذلك جل ثناؤه وقال الكل من المؤمنين سمعنا قول ربنا وأمره ايانا بما أمرنا به ونهيه عما نهانا عنه وأطعنا يعنى أطعنا ربنا فيما ألزمنا من فرائضه واستعبدنا به من طاعته وسلمنا له وقوله غفرانك ربنا يعنى وقالوا غفرانك ربنا بمعنى اغفر لنا ربنا غفرانك كما يقال سبحانك بمعنى نسبحك سبحانك وقد بينا فيما مضى أن الغفران والمغفرة الستر من الله على ذنوب من غفر له وصفحه له عن هتك ستره بها فى الدنيا والآخرة وعفوه عن العقوبة عليه وأما قوله واليك المصير فانه يعنى جل ثناؤه أنهم قالوا واليك يا ربنا مرجعنا ومعادنا فاغفر لنا ذنوبنا فان قال لنا قائل فما الذى نصب قوله غفرانك قيل له وقوعه وهو مصدر موقع الأمر وكذلك تفعل العرب بالمصادر والاسماء اذا حلت محل الامر وأدت عن معنى الامر نصبتها فيقولون شكرا لله يا فلان وحمدا له بمعنى اشكر الله واحمده والصلاة الصلاة بمعنى صلوا ويقولون فى الأسماء الله الله يا قوم ولو رفع بمعنى هو الله أو هذا الله ووجه الى الخبر وفيه تاويل الامر كان جائزا كما قال الشاعر

ان قوما منهم عمير وأشبا ... ه عمير ومنهم السفاح

لجديرون بالوفاء اذا قا ... ل أخو النجدة السلاح السلاح

ولو كان قوله غفرانك ربنا جاء رفعا فى القراءة لم يكن خطأ بل كان صوابا على ما وصفنا وقد ذكر أن هذه الآية لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثناء من الله عليه وعلى أمته قال له جبريل صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قد أحسن عليك وعلى أمتك الثناء فسل ربك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن بيان عن حكيم بن جابر قال لما أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير قال جبريل ان الله عز وجل قد أحسن الثناء عليك وعلى أمتك فسل تعطه فسأل لا يكلف الله نفسا الا وسعها الى آخر السورة ۞ القول فى تأويل قوله ﴿لا يكلف الله نفسا الا وسعها﴾ يعنى بذلك جل ثناؤه لا يكلف الله نفسا الا وسعها فيتعبدها الا بما يسعها فلا يضيق عليها ولا يجهدها وقد بينا فيما مضى قبل أن الوسع اسم من قول القائل وسعنى هذا الامر مثل الجهد والوجد من جهدنى هذا الامر ووجدت منه كما حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها قال هم المؤمنون وسع الله عليهم أمر دينهم فقال الله جل ثناؤه وما جعل عليكم فى الدين من حرج وقال يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال اتقوا الله ما استطعتم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن الزهرى عن عبد الله بن عباس قال لما نزلت ضج المؤمنون منها ضجة وقالوا يا رسول الله هذا نتوب من عمل اليد والرجل واللسان كيف نتوب من الوسوسة كيف نمتنع منها فجاء جبريل صلى الله عليه وسلم بهذه الآية لا يكلف الله نفسا الا وسعها انكم لا تستطيعون أن تمتنعوا من الوسوسة حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى لا يكلف الله نفسا الا وسعها وسعها طاقتها وكان حديث النفس مما لا يطيقون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ يعنى بقوله جل ثناؤه لها للنفس التى أخبر أنه لا يكلفها الا وسعها يقول لكل نفس ما اجترحت وعملت من خير وعليها يعنى وعلى كل نفس ما اكتسبت ما عملت من شر كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا يكلف

والبين لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قضى بالشاهد واليمين وأنكره أبو حنيفة ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ما زائدة مبهمة أى اذا دعوا فقيل أى الى أداء الشهادة عند احتياج صاحب الحق اليها وقيل الى تحمل الشهادة وهو قول قتادة واختاره القفال قال كما أمر الكاتب أن لا يأبى الكتابة أمر الشاهد أن لا يأبى تحمل الشهادة (١٠٣) وقيل أمر بالتحمل اذا لم يوجد غيره وحمله الزجاج على مجموع الامرين التحمل أولا والاداء ثانيا والقول الاول أصح لانه أطلق عليهم لفظ الشهداء والاصل فى الاطلاق الحقيقة وتسميتهم قبل التحمل شهداء مجاز لا يعدل اليه الا لضرورة وأيضا التحمل غير واجب على الكل بخلاف الاداء بعد التحمل وأيضا الامر بالاشهاد يتضمن الامر بتحمل الشهادة فكان صرف قوله ولا يأب الشهداء الى الأمر بالاداء أولى ليفيد فائدة جديدة وهى أن الشاهد ان كان متعينا وجب عليه أداء الشهادة وان كان فيهم كثرة كان الاداء فرضا على الكفاية ولا تسأموا لا تضجروا ولا تملوا أن تكتبوه أى الدين أو الحق لتقدم ذكرهما على أى حال كان الحق صغيرا أو كبيرا مما جرت العادة بكتبته لا كالحبة والقيراط فان القليل من المال ربما أفضى الى نزاع كثير وانما نهى عن السآمة لانها من الكسل والكسل صفة المنافق وأيضا من كثرت مداينانه فاحتاج أن يكتب لكل دين صغيرا أو كبير كتابا فربما مل كثرة الكتب فاقتضى المقام ترغيبه والهابه ويجوز أن يكون الضمير للكتاب وأن تكتبوه مختصرا أو مشبعا ولا تخلوا بكتابته الى أجله الى وقته الذى اتفقا على تسميته ذلكم الكتب أو ذلكم الذى أمرتكم به من الكتب والاشهاد أقسط أعدل عند الله وأقوم للشهادة أعون على اقامة الشهادة وهما امامن أقسط وأقام فيكون محمولا على قولهم أفلس من ابن المذلق واما من قويم وقاسط بمعنى ذو قسط على طريقة النسب والا فالقاسط الجائر ولا يصح ذلك المعنى ههنا يقال قسط اذا جار

وأقسط أي أعدل وأدنى ألا ترتابوا أقرب من انتفاء الريب رتب الله تعالى على الكتبة والاشهاد ثلاث فوائد * الاولى تتعلق بالدين لانه اذا كان مكتوبا كان الى اليقين أقرب وعن الجهل أبعد فيكون أعدل عند الله والثانية تتعلق بالدنيا وهو كونه أبلغ في الاستقامة التي هي ضد الاعوجاج وأعون للحفظ والذكر * والثالثة أنه يدفع الضرر عن نفسه بان لا يضل في أمره ولا يتردد وعن غيره بان لا ينسبه الى الكذب والخيانة فلا يقع في الغيبة والجهالة فما أحسن هذه الفوائد وما أدخلها في الضبط والترتيب الا أن تكون تجارة حاضرة قيل هو راجع الى قوله اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه فان المبيع بالدين قد يكون الى أجل قريب وقد يكون الى أجل بعيد فاستثنى عن المداينة ما يكون أجله قريبا ويحتمل أن يكون استثناء من قوله ولا تسأموا أن تكتبوه وقد يقال انه استثناء منقطع والتقدير لكنه اذا كانت التجارة حاضرة فليس عليكم جناح فيكون كلاما مستأنفا على سبيل الاضراب عن الاول والتجارة تصرف في المال لطلب الربح فسواء كانت المبايعة بدين أو بعين فالتجارة حاضرة فاذا المراد بالتجارة ههنا ما يتجر فيه من الابدال ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد والمعنى الا أن تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد ومن قرأ تجارة بالرفع فعلى كان التامة أو الناقصة والخبر تديرونها ومن قرأ بالنصب فالتقدير الا أن تكون التجارة تجارة حاضرة كبيت الكتاب * بني أسد هل تعلمون بلاءنا * اذا كان يوما ذا كواكب أشنعا * أي اذا كان اليوم يوما واليوم الاشنع هو الذي ارتفع شره وعلا وذو كواكب أي شديد ويقال في التهديد لارينك الكواكب ظهرا وقال الزجاج تقديره الا أن تكون المداينة تجارة حاضرة أي يكون دينا قريب الاجل فليس عليكم جناح ألا تكتبوها ومعنى رفع الجناح عدم الضرر لا عدم الاثم والا لزم أن تكون الكتابة المذكورة أولا واجبة وقد أثبتنا خلافه

الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت أي من خير وعليها ما اكتسبت أي من شر أو قال من سوء حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي لها ما كسبت يقول ما عملت من خير وعليها ما اكتسبت يقول وعليها ما عملت من شر حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن قتادة مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن الزهري عن عبد الله بن عباس لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت عمل اليد والرجل واللسان ﴿فتأويل الآية اذا لا يكلف الله نفسا الا ما يسعها فلا يجهدها ولا يضيق عليها في أمر دينها فيؤاخذها بهمة ان همت ولا بوسوسة ان عرضت لها ولا بخطرة ان خطرت بقلبها القول في تأويل قوله ﴿ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا﴾ وهذا تعليم من الله عز وجل عباده المؤمنين دعاءه كيف يدعونه وما يقولون في دعائهم اياه ومعناه قولوا ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا شيأ فرضت علينا عمله فلم نعمله أو أخطأنا في فعل شئ نهيتنا عن فعله ففعلناه على غير قصد منا الى معصيتك ولكن على جهالة منا به وخطأ كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ان نسينا شيأ مما افترضته علينا أو أخطأنا شيأ مما حرمته علينا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل تجاوز لهذه الامة عن نسيانها وما حدثت به أنفسها حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط قال زعم السدي أن هذه الآية حين نزلت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال له جبريل صلى الله عليه وسلم فقل ذلك يا محمد ان قال لنا قائل وهل يجوز أن يؤاخذ الله عز وجل عباده بما نسوا أو أخطؤا فيسألوه أن لا يؤاخذهم بذلك قيل ان النسيان على وجهين أحدهما على وجه التضييع من العبد والتفريط والآخر على وجه عجز الناسي عن حفظ ما استحفظ ووكل به وضعف عقله عن احتماله فاما الذي يكون من العبد على وجه التضييع منه والتفريط فهو ترك منه لما أمر بفعله فذلك الذي يرغب العبد الى الله عز وجل في تركه مؤاخذته به وهو النسيان الذي عاقب الله عز وجل به آدم صلوات الله عليه فأخرجه من الجنة فقال في ذلك ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما وهو النسيان الذي قال جل ثناؤه فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا فرغبة العبد الى الله عز وجل بقوله ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا فيما كان من نسيان منه لما أمر بفعله على هذا الوجه الذي وصفنا ما لم يكن تركه ما ترك من ذلك تفريطا منه فيه وتضييعا كفرا بالله عز وجل فان ذلك اذا كان كفرا بالله فان الرغبة الى الله في تركه المؤاخذة به غير جائزة لان الله عز وجل قد أخبر عباده انه لا يغفر لهم الشرك به فمسئلته فعل ما قد أعلمهم أنه لا يفعله خطأ وانما يكون مسئلته المغفرة فيما كان من مثل نسيانه القرآن بعد حفظه بتشاغله عنه وعن قراءته ومثل نسيانه صلاة أو صياما باشتغاله عنهما بغيرهما حتى ضيعهما وأما الذي العبد به غير مؤاخذ لعجز بنيته عن حفظه وقلة احتمال عقله ما وكل بمراعاته فان ذلك من العبد غير معصية وهو به غير آثم فذلك الذي لا وجه لمسئلة العبد ربه أن يغفره له لانه مسئلة منه له أن يغفر له ما ليس له بذنب وذلك مثل الامر يغلب عليه وهو حريص على تذكره وحفظه كالرجل يحرص على حفظ القرآن بجد منه فيقرؤه ثم ينساه بغير تشاغل منه بغيره عنه ولكن بعجز بنيته عن حفظه وقلة احتمال عقله ذكر ما أودع قلبه منه وما أشبه ذلك من النسيان فان ذلك مما لا يجوز مسئلة الرب مغفرته لانه لا ذنب للعبد فيه فيغفر له باكتسابه وكذلك للخطا وجهان

ذلك وانما خص تعالى في هذا النوع من التجارة لكثرة جريانها فيما بين الناس فتكليفهم الكتابة والاشهاد في كل لحظة حرج عليهم مع أن خوف التجاحد في مثله قليل وأشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع كانه لما رفع عنهم الكتابة في التجارة الحاضرة كرر الامر بالاشهاد ليعلم أن حكمه باق فيها الان الاشهاد بلا كتابة تخف مؤنته و يحتمل أن يكون أمرا بالاشهاد مطلقا ناجزا كان التبايع أو كالئا لانه أحوط عن الحسن ان شاء اشهد وان شاء لم يشهد وعن الضحاك هي عزيمة من الله ولو على باقة بقل ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل أن يكون مبنيا للفاعل فيكون أصله لا يضارر بكسر الراء وبه قرأ عمر وعليه أكثر المفسرين والحسن وطاوس وقتادة ومعناه نهي الكاتب أن يزيد أو ينقص والشاهدان أن يحرفا أو يتركا الاجابة الى ما يطلب منهما ولهذا قال وان تفعلوا فانه فسوق بكم فان التحريف في الكتابة والشهادة فسق واثم وعن ابن مسعود وعطاء ومجاهد أن التقدير لا يضارر بفتح الراء وبه قرأ ابن عباس وانه نهي للمتداينين عن الضرار بالكاتب والشهيد كأن يعجلا عن مهم ويلزا أو لا يعطى الكاتب حقه من الجعل أو يحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد وان تفعلوا ما نهيتكم عنه من الضرار أو كل ما نهيتكم عنه من فعل معصية أو ترك طاعة ليكون عاما فانه فان الضرار أو ارتكاب المنهي فسوق بكم خروج عن أمر الله وطاعته ومعنى بكم أي ملتصق بكم واتقوا الله في أوامره ونواهيه ويعلمكم الله ما فيه صلاح الدارين والله بكل شئ من مصالح عباده عليم * واعلم أنه سبحانه جعل البياعات في هذا المقام على ثلاثة أقسام بيع بكتاب وشهود وبيع برهان مقبوضة وبيع بالامانة ولما بين القسم الاول شرع في الثاني وقال وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة واتفق الفقهاء على أن الارتهان لا يختص بالسفر ولا بحالة عدم وجدان الكاتب كيف وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رهن درعه في غير

---

* أحدهما من وجه ما نهى عنه العبد فيأتيه بقصد منه وارادة فذلك خطأ منه وهو به مأخوذ يقال منه خطئ فلان وأخطأ فيما أتى من الفعل وأثم اذا أتى ما يتأثم فيه وركبه ومنه قول الشاعر

الناس يلحون الامير اذا هم * خطئوا الصواب ولا يلام المرشد

يعني أخطؤا الصواب وهذا الوجه الذي يرغب العبد الى ربه في صفح ما كان منه من اثم عنه الا ما كان من ذلك كفرا * والآخر منهما ما كان منه على وجه الجهل به والظن منه بان له فعله كالذي يأكل في شهر رمضان ليلا وهو يحسب أن الفجر لم يطلع أو يؤخر صلاة في يوم غيم وهو ينتظر بتأخيره اياها دخول وقتها فيخرج وقتها وهو يرى ان وقتها لم يدخل فان ذلك من الخطا الموضوع عن العبد الذي وضع الله عز وجل عن عباده الاثم فيه فلا وجه لمسئلة العبد ربه أن لا يؤاخذه به وقد زعم قوم ان مسئلة العبد ربه أن لا يؤاخذه بما نسى أو أخطأ انما هو فعل منه لما أمره به ربه تبارك وتعالى أو لما ندبه اليه من التذلل له والخضوع بالمسئلة فاما على وجه مسئلته الصفح فلا وجه له عندهم والبيان عن هؤلاء كتاب سنأتي فيه ان شاء الله على ما فيه الكفاية لمن وفق لفهمه

القول في تأويل قوله (ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا) ويعني بذلك جل ثناؤه قولوا ربنا لا تحمل علينا اصرا يعني بالاصر العهد كما قال جل ثناؤه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصري وانما عنى بقوله ولا تحمل علينا اصرا ولا تحمل علينا عهدا فنعجز عن القيام به ولا نستطيعه كما حملته على الذين من قبلنا يعني على اليهود والنصارى الذين كلفوا أعمالا وأخذت عهودهم ومواثيقهم على القيام بها فلم يقوموا بها فعوجلوا بالعقوبة فعلم الله عز وجل أمة محمد صلى الله عليه وسلم الرغبة اليه بمسئلته أن لا يحملهم من عهوده ومواثيقه على أعمال ان ضيعوها أو أخطؤا فيها أو نسوها مثل الذي حمل من قبلهم فيحل بهم بخطئهم فيه وتضييعهم اياه مثل الذي أحل بمن قبلهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله لا تحمل علينا اصرا قال لا تحمل علينا عهدا وميثاقا كما حملته على الذين من قبلنا يقول كما غلظ على من قبلنا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن موسى بن قيس الحضرمي عن مجاهد في قوله ولا تحمل علينا اصرا قال عهدا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله اصرا قال عهدا حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله اصرا يقول عهدا حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا والاصر العهد الذي كان على من قبلنا من اليهود حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ولا تحمل علينا اصرا قال عهدا لا نطيقه ولا نستطيع القيام به كما حملته على الذين من قبلنا اليهود والنصارى فلم يقوموا به فاهلكتهم حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك اصرا قال المواثيق حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع الاصر العهد وأخذتم على ذلكم اصري قال عهدي حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وأخذتم على ذلكم اصري قال عهدي * وقال آخرون معنى ذلك ولا تحمل علينا ذنوبا واثما كما حملت ذلك على من قبلنا من الامم فتمسخنا قردة وخنازير كما مسختهم ذكر من قال ذلك حدثني سعد بن عمرو السكوني قال ثنا بقية بن الوليد عن علي بن هرون عن ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح في قوله ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال لا تمسخنا قردة وخنازير حدثني يونس قال أخبرنا

أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا لا تحمل علينا ذنباليس فيه توبة ولا كفارة * وقال آخرون معنى الاصر بكسر الالف الثقل ذكر من قال ذلك حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا يقول التشديد الذى شددته على من قبلنا من أهل الكتاب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سألته يعنى مالكا عن قوله ولا تحمل علينا اصرا قال الاصر الامر الغليظ فاما الاصر بفتح الالف فهو ما عطف الرجل على غيره من رحم أو قرابة يقال أصرتنى رحم بينى وبين فلان عليه بمعنى عطفتنى عليه وما يأصرنى عليه أى ما يعطفنى عليه وبينى وبينه أصر رحم يأصرنى عليه أصرا يعنى به عاطفة رحم تعطفنى عليه ۞ القول فى تأويل قوله (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) يعنى بذلك جل ثناؤه وقولوا أيضا ربنا لا تكلفنا من الاعمال ما لا نطيق القيام به لثقل حمله علينا وكذلك كانت جماعة أهل التأويل يتأولونه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به تشديد يشدد به كما شدد على من كان قبلكم حدثنى يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك قوله ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال لا تحملنا من الاعمال ما لا نطيق حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به لا تفترض علينا من الدين ما لا طاقة لنا به فنعجز عنه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به مسخ القردة والخنازير حدثنى سلام بن سالم الخزاعى قال ثنا أبو حفص عمر بن سعيد التنوخى قال ثنا محمد بن شعيب بن سابور عن سالم بن شابور فى قوله ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال الغلمة حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من التغليظ والاغلال التى كانت عليهم من التحريم وانما قلنا ان تأويل ذلك ولا تكلفنا من الاعمال ما لا نطيق القيام به على نحو الذى قلنا فى ذلك لانه عقيب مسئلة المؤمنين ربهم أن لا يؤاخذهم ان نسوا أو أخطؤا وان لا يحمل عليهم اصرا كما حمله على الذين من قبلهم فكان الحاق ذلك بمعنى ما قبله من مسئلتهم التيسير فى الدين أولى مما خالف ذلك المعنى ۞ القول فى تأويل قوله (واعف عنا واغفر لنا) وفى هذا أيضا من قول الله عز وجل خبرا عن المؤمنين من مسئلتهم اياه ذلك الدلالة الواضحة انهم سألوه تيسير فرائضه عليهم بقوله ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به لانهم عقبوا ذلك بقولهم واعف عنا مسئلة منهم ربهم أن يعفو لهم عن تقصير ان كان منهم فى بعض ما أمرهم به من فرائضه فيصفح لهم عنه ولا يعاقبهم عليه وان خف ما كلفهم من فرائضه على أبدانهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال بعض أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واعف عنا قال اعف عنا ان قصرنا عن شئ من أمرك مما أمرتنا به وكذلك قوله واغفر لنا يعنى واستر علينا زلة ان أتيناها فيما بيننا وبينك فلا تكشفها ولا تفضحنا باظهارها وقد دللنا على معنى المغفرة فيما مضى قبل حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد واغفر لنا ان انتهكنا شيأ مما نهيتنا عنه ۞ القول فى تأويل قوله (وارحمنا) يعنى بذلك جل ثناؤه تغمدنا منك برحمة تنجينا بها من عقابك فانه ليس بناج من عقابك أحد الا برحمتك اياه دون عمله وليست أعمالنا منجيتنا ان أنت لم ترحمنا فوفقنا لما يرضيك عنا كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وارحمنا

سفر ولكنه وردت الآية على الغالب فان الغالب ان لا يوجد الكاتب فى السفر ولا يوجد أدوات الكتابة ولهذا قال ابن عباس أرأيت ان وجدت الكاتب ولم تجد الصحيفة والدواة وقرأ ولم تجدوا كتابا ونظيره قوله فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم وليس الخوف من شرط جواز القصر وكان مجاهد والضحاك يذهبان الى ان الرهن لا يجوز فى غير السفر أخذا بظاهر الآية ولا يعمل بقولهما اليوم وأصل الرهن من الدوام رهن الشئ اذا دام وثبت ونعمة راهنة أى دائمة ثابتة والرهن مصدر جعل اسما وزال عنه عمل الفعل فاذا قلت رهنت عنده رهنا لم يكن انتصابه انتصاب المصدر ولكن انتصاب المفعول به كما تقول رهنت ثوبا ولهذا جمع جمع الاسماء وله جمعان رهن بضمتين كسقف فى سقف ورهان مثل كباش فى كبش وقيل ان أحدهما جمع الآخر وفى الكلام حذف تقديره فرهن مقبوضة بدل من الشاهدين أو فعليه رهن أو فالوثيقة أو الذى يستوثق به رهن ويعلم من قوله مقبوضة أن الرهن لابد فى لزومه من القبض والمراد باللزوم أن لا يكون للراهن الرجوع عن الرهن ولا للمرتهن عن الارتهان وقبض المرهون المشاع انما يحصل بقبض الكل وقبل القبض يصح الرهن ولكن لا يلزم وأما صورة القبض فقبض العقار انما يحصل بتخلية الراهن أو وكيله بينه وبين المرتهن أو وكيله وتمكينه منه بتسليم المفتاح فيما له مفتاح وقبض المنقول يحصل بالنقل من موضعه الى موضع لا يختص بالراهن كالشارع والمسجد وملك المرتهن وان كان المنقول مقدرا فلا بد من التقدير أيضا بوزن أو كيل أو ذرع ولو نقل من بيت من دار الراهن الى بيت آخر باذنه أو وضعه الراهن بين يدى المرتهن اذا امتنع من قبضه حصل القبض ثم انه تعالى ذكر بيع الامانة فقال فان أمن بعضكم بعضا فان أمن بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به وثقته بانه لا يجحد الحق ولا ينكره

قال يقول لا ننال العمل بما أمرتنا به ولا ترك ما نهيتنا عنه الا برحمتك قال ولم ينج أحد الا برحمتك

﴿ القول في تأويل قوله (أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) يعني بقوله جل ثناؤه أنت مولانا أنت ولينا بنصرك دون من عاداك وكفر بك لأنا مؤمنون بك ومطيعوك فيما أمرتنا ونهيتنا فأنت ولي من أطاعك وعدو من كفر بك فعصاك فانصرنا لأنا حزبك على القوم الكافرين الذين جحدوا وحدانيتك وعبدوا الآلهة والأنداد دونك وأطاعوا في معصيتك الشيطان والمولى في هذا الموضع المفعل من ولي فلان أمر فلان فهو يليه ولاية وهو وليه ومولاه وانما صارت الياء من ولي ألفا لانفتاح اللام قبلها التي هي عين الاسم وقد ذكروا أن الله عز وجل لما أنزل هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم استجاب الله له في ذلك كله ذكر الأخبار التي جاءت بذلك حدثني المثنى بن ابراهيم ومحمد بن خلف قالا ثنا آدم قال ثنا ورقاء عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه قال قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الى قوله غفرانك ربنا قال الله عز وجل قد غفرت لكم فلما قرأ ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال الله عز وجل لا أحملكم فلما قرأ واغفر لنا قال الله تبارك وتعالى قد غفرت لكم فلما قرأ وارحمنا قال الله عز وجل قد رحمتكم فلما قرأ وانصرنا على القوم الكافرين قال الله عز وجل قد نصرتكم عليهم حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك قال أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد قل ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا فقالها فقال جبريل قد فعل وقال له جبريل قل ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا فقالها فقال جبريل قد فعل فقال قل ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به فقالها فقال جبريل صلى الله عليه وسلم قد فعل فقال قل واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين فقالها فقال جبريل قد فعل حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط قال زعم السدي ان هذه الآية حين نزلت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا فقال له جبريل فعل ذلك يا محمد ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين فقال له جبريل في كل ذلك فعل ذلك يا محمد حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع وحدثنا سفيان قال ثنا أبي عن سفيان عن آدم بن سليمان مولى خالد قال سمعت سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أنزل الله عز وجل آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه الى قوله ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا فقرأ ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال فقال قد فعلت ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا فقال قد فعلت ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال قد فعلت واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد فعلت حدثنا أبو كريب قال ثنا اسحق بن سليمان عن مصعب بن ثابت عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن أبيه عن أبي هريرة قال أنزل الله عز وجل ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال أبي قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل نعم حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد عن سفيان عن آدم بن سليمان عن سعيد بن جبير لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال ويقول قد فعلت ربنا

فليؤد الذي اؤتمن أمانته فليكن المدين عند ظن الدائن به وسمى الدين أمانة وان كان مضمونا لائتمانه عليه بترك الارتهان منه والحاصل أنه مجاز مستعار وذلك أنه لما اشترك هذا الدين مع الامانة الشرعية في وصف وجود الامانة اللغوية أطلق أحدهما على الآخر والائتمان افتعال من الامن وليتق الله ربه حتى

لا يدور في خلده جحود واختيان وفي الآية قول آخر وهو انها خطاب للمرتهن بان يؤدي الرهن عند استيفاء المال فانها أمانة في يده والصحيح هو الاول ومن الناس من قال هذه الآية ناسخة للآيات المتقدمة الدالة على وجوب الكتبة والاشهاد وأخذ الرهن والحق أن تلك الاوامر محمولة على الارشاد ورعاية وجوه الاحتياط وهذه الآية محمولة على الرخصة وعن ابن عباس أنه قال في آية المداينة نسخ ثم قال ولا تكتموا الشهادة وفيه وجوه * الاول عن القفال أنه تعالى لما أباح ترك الكتبة والاشهاد والرهن عند اعتقاد كون المديون أمينا ثم كان من الجائز أن يكون هذا الظن خطأ وأن يخرج المديون جاحدا للحق وكان من الممكن أن يكون بعض الناس مطلعا على أحوالهم ندب الله ذلك الانسان أن يشهد لصاحب الحق بحقه سواء عرف صاحب الحق تلك الشهادة أم لا وشدد فيه بان جعله آثم القلب لو تركه وعلى هذا يمكن أن يحمل قوله صلى الله عليه وسلم خير الشهود من شهد قبل أن يستشهد وقيل المراد من كتمان الشهادة أن ينكر العلم بتلك الواقعة وقيل المراد بالكتمان الامتناع من أدائها عند الحاجة الى اقامتها وان في ذلك ابطال حق المسلم ولا وحرمة مال المسلم كحرمة دمه فلهذا بالغ في الوعيد وقال ومن يكتمها فانه آثم قلبه والآثم الفاجر والآثم مرتفع بان وقلبه فاعله ويجوز أن يكون قلبه مبتدأ وآثم خبره مقدما عليه والجملة خبر ان وفائدة ذكر القلب والشخص بجملته آثم لا قلبه وحده هو أن أفعال الجوارح

ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال و يقول قد فعلت فاعطيت هذه الامة خواتيم سورة البقرة ولم تعطها الامم قبلها حدثنا على بن حرب الموصلى قال ثنا ابن فضيل قال ثنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قول الله عز وجل آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه الى قوله غفرانك ربنا قال قد غفرت لكم لا يكلف الله نفسا الا وسعها الى قوله لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال لا أؤاخذكم ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال لا أحمل عليكم الى قوله واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا الى آخر السورة قال قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين وروى عن الضحاك بن مزاحم أن اجابة الله للنبى صلى الله عليه وسلم خاصة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال اخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا كان جبريل عليه السلام يقول له سلها فسألها نبى الله ربه جل ثناؤه فاعطاه اياها فكانت للنبى صلى الله عليه وسلم خاصة حدثنى المثنى بن ابراهيم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن أبى اسحق أن معاذا كان اذا فرغ من هذه السورة وانصرنا على القوم الكافرين قال آمين

﴿ تفسير سورة آل عمران ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبرنا أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبرى رضى الله عنه ❁ القول فى تأويل قوله ﴿الم الله لا اله الا هو﴾ قال أبو جعفر قد أتينا على البيان عن معنى قوله الم فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وكذلك البيان عن قوله الله وأما معنى قوله لا اله الا هو فانه خبر من الله جل وعز أخبر عباده ان الالوهية خاصة به دون ما سواه من الآلهة والانداد وان العبادة لا تصلح ولا تجوز الا له لانفراده بالربوبية وتوحده بالالوهية وأن كل ما دونه فملكه وان كل ما سواه فخلقه لا شريك له فى سلطانه وملكه احتجاجا منه تعالى ذكره عليهم بان ذلك اذ كان كذلك فغير جائزة لهم عبادة غيره ولا اشراك أحد معه فى سلطانه اذ كان كل معبود سواه فملكه وكل معظم غيره فخلقه وعلى المملوك افراد الطاعة لمالكه وصرف خدمته الى مولاه ورازقه ومعرفًا من كان من خلقه يوم أنزل ذلك الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بتنزيله ذلك اليه وارساله به اليهم على لسانه صلوات الله عليه وسلامه مقيما على عبادة وثن أو صنم أو شمس أو قمر أو انسى أو ملك أو غير ذلك من الاشياء التى كانت بنو آدم مقيمة على (٣) عبادته والاهته ومتخذته دون مالكه وخالقه الها وربا أنه مقيم على ضلالة ومنعزل عن المحجة وراكب غير السبيل المستقيمة بصرفه العبادة الى غيره ولا أحد له الالوهية غيره وقد ذكر أن هذه السورة ابتدأ الله بتنزيله فاتحتها بالذى ابتدأ به من نفى الالوهية أن يكون لغيره ووصفه نفسه بالذى وصفها به فى ابتدائها احتجاجا منه بذلك على طائفة من النصارى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من نجران فحاجوه فى عيسى صلوات الله عليه وألحدوا فى الله فانزل الله عز وجل فى أمرهم وأمر عيسى من هذه السورة نيفا وثلاثين آية من أولها احتجاجا عليهم وعلى من كان على مثل مقالتهم لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فأبوا الا المقام على ضلالتهم وكفرهم فدعاهم الى المباهلة فأبوا ذلك وسألوا قبول الجزية منهم فقبلها صلى الله عليه وسلم منهم وانصرفوا الى بلادهم غير أن الامر وان كان كذلك واياهم قصد بالحجاج فان من كان معناه

تابعة لافعال القلوب ومتولدة مما يحدث فى القلب من الدواعى والصوارف واسناد الفعل الى القلب الذى هو محل الاقتراف ومعدن الاكتساب أبلغ كما يقال عند التوكيد هذا مما أبصرته عينى وسمعته أذنى وعرفه قلبى وعن النبى صلى الله عليه وسلم ان فى جسد ابن آدم لمضغة اذا صلحت صلح بها سائر الجسد واذا فسدت فسد بها سائر الجسد ألا وهى القلب وزعم كثير من المتكلمين أن الفاعل والعارف والمأمور والمنهى هو القلب والله بما تعملون عليم فيه تحذير الكاتم وتهديد له عن ابن عباس أكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة (التأويل) انه تعالى كما أمر العباد أن يكتبوا كتاب المبايعة فيما بينهم ويستشهدوا عليه العدول فقد كتب كتاب مبايعة جرت بينه وبين عباده فى الميثاق ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة الى قوله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وأشهد الملائكة الكرام وان عليكم لحافظين كراما كاتبين وانه تعالى كما أمركم أن لا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا أمر الملائكة أن يكتبوا معاملاتكم الصغيرة والكبيرة ثم عند خروجكم من الدنيا يجعلون ذلك فى أعناقكم وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه ثم يودى من سرادقات الجلال يا قوى الظلم ضعيف الحال اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ثم ان الكتاب يكتبون عليه فى صباحه ومسائه وما يكتبون الا من املائه وانه بالقليل والكثير مما على يخاطب وبالنقير وبالقطمير على ما عمل عن الحق يعاتب فليحاسب نفسه قبل أن يحاسب فعليه أن يملى الحق للحق فان كان الذى عليه حق للحق سفيها جاهلا باملاء الحق للحق لاشتغاله بالباطل أو ضعيفا عاجزا مغلوبا بغلبات نفسه أو لا يستطيع أن يمل هو لكونه ممنوعا بالعوائق والعلائق لا قدرة له على املاء ما ينفعه ولا يضره ولا قوة له فى انهاء ما لا يحزنه ويسره فليملل وليه بالعدل فان لكل قوم وليا

يخرجهم من الاحزان الى السرور ومن الأسحان الى القصور ومن الاشحان الى الحبور ومن العجز والفتور الى القوة والحضور الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور واستشهدوا شهيدين استصحبوا من أرباب القلوب اثنين من رجالكم الذين هم بالنسبة اليكم رجال وأنتم نساء فان لم يكونا رجلين من ١٠٨ أرباب القلوب فرجل منهم وامرأتان أى رجلان من أهل الصلاح ليكونا عشابة رجل من أهل الولاية

من سائر الخلق معناهم في الكفر بالله واتخاذ ماسوى الله ربا والهامعبود امعومون بالحجة التى حج الله تبارك وتعالى بها من نزلت هذه الآيات فيه ومحجوجون فى الفرقان الذى فرق به لرسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبينهم * ذكر الرواية عمن ذكرنا قوله فى نزول افتتاح هذه السورة أنه نزل فى الذين وصفنا صفتهم من النصارى حدثنا محمد بن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل قال ثنى محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نجران ستون راكبا فيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم فى الاربعة عشر ثلاثة نفر اليهم يؤل أمرهم العاقب أمير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم والذى لا يصدرون الا عن رأيه واسمه عبد المسيح والسيد ثمالهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم واسمه الأيهم وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر ابن وائل أسقفهم وحبرهم وامامهم وصاحب مدراسهم وكان أبو حارثة قد شرف فيهم ودرس كتبهم حتى حسن علمه فى دينهم فكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه وموّلوه وأخدموه وبنوا له الكنائس وبسطوا عليه الكرامات لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده فى دينه قال ابن اسحق قال محمد بن جعفر بن الزبير قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخلوا عليه فى مسجده حين صلى العصر عليهم ثياب الحبرات جبب وأردية فى جمال رجال بلحرث بن كعب قال يقول بعض من رآهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ما رأينا بعدهم وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا يصلون فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فصلوا الى المشرق قال وكانت تسمية الاربعة عشر منهم الذين يؤول اليهم أمرهم العاقب وهو عبد المسيح والسيد وهو الايهم وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل وأوس والحرث وزيد وقيس ويزيد ونبيه وخويلد بن عمرو وخالد وعبد الله ويحنس (٣) فى ستين راكبا فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم أبو حارثة بن علقمة والعاقب عبد المسيح والايهم السيد وهو من النصرانية على دين الملك مع اختلاف من أمرهم يقولون هو الله ويقولون هو ولد الله ويقولون هو ثالث ثلاثة وكذلك قول النصرانية فهم يحتجون فى قولهم هو الله بانه كان يحيى الموتى ويبرئ الاسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طائرا وذلك كله باذن الله ليجعله آية للناس ويحتجون فى قولهم انه ولد الله أنهم يقولون لم يكن له أب يعلم وقد تكلم فى المهد بشئ لم يصنعه أحد من ولد آدم قبله ويحتجون فى قولهم انه ثالث ثلاثة بقول الله عزوجل فعلنا وأمرنا وخلقنا وقضينا فيقولون لو كان واحدا ما قال الا فعلت وأمرت وقضيت وخلقت ولكنه هو وعيسى ومريم ففى كل ذلك من قولهم قد نزل القرآن وذكر الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فيه قولهم فلما كلمه الحبران قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلما قالا قد أسلمنا قال انكما لم تسلما فأسلما قالا بلى قد أسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الاسلام دعاؤكما لله عزوجل ولدا وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير قالا فمن أبوه يا محمد فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما فلم يجبهما فأنزل الله فى ذلك من قولهم واختلاف أمرهم كله صدر سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية منها فقال الله لا اله الا هو الحى القيوم فافتتح السورة بتبرئة نفسه تبارك وتعالى مما قالوا وتوحيده اياها بالخلق والامر لا شريك له فيه وردا عليهم ما ابتدعوا من الكفر وجعلوا معه من الانداد واحتجاجا عليهم بقولهم فى صاحبهم ليعرّفهم بذلك ضلالتهم فقال الله لا اله الا هو أى ليس معه شريك فى أمره حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله الم الله لا اله الا هو الحى القيوم قال ان النصارى أتوا رسول الله صلى

فى فائدة الصحبة ممن ترضون من الشهداء ممن يصلح أن يكون من شهداء الله كما قال أنتم شهداء الله فى أرضه أن تضل احداهما عن جادة الاستقامة فى بادية النفس المملوءة من شياطين الهوى فتذكر احداهما الاخرى فالرفيق ثم الطريق واعلم أن أهل الدين طائفتان الواقفون والسائرون والمراد بالواقف من وقف فى عالم الصورة ولم يفتح له باب الى عالم المعنى كالفرخ المحبوس فى قشر البيضة فيكون شربه من عالم المعاملات البدنية ولا سبيل له الى عالم القلب ومعاملاته فهو محبوس فى سجن الجسد وعليه موكلان من الكرام يكتبان عليه من أعماله الظاهرة بالنقير والقطمير ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وأما السائر فلا يقف فى محل ولا ينزل فى منزل يسافر من عالم الصورة الى عالم المعنى ومن مضيق الاجساد الى متسع الارواح وهم صنفان سيار وطيار فالسيار من يسير بقدمى الشرع والعقل على جادة الطريقة والطيار من يطير بجناحى العشق والهمة فى فضاء الحقيقة وفى رجله جلجلة الشريعة

فالاشارة فى قوله وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا الى السيار الذى تخلص من سجن الجسد وقيد الحواس وزحمة التوكيل الله فلم يوجد له كاتب يكتب عليه كما قال بعضهم ما كتب علىّ صاحب الشمال منذ عشرين سنة وقال بعضهم كاشف لى صاحب اليمين وقال لى أمل علىّ شيأ من معاملات قلبك لاكتبه فانى أريد أن أتقرب به الى الله قال فقلت له حسبك الفرائض فالحبس والقيد والتوكيل لمن لم يؤدحق

صاحب الحق أو يكون هاربا منه فأما الذى آناء الليل وأطراف النهار يغدو ويروح فى طلب غريمه وما يبرح فى حريمه فلا يحتاج الى التوكيل
والتقييد فالذى هو موكل على الهارب يلون وكيلا وحفيظا للطالب له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله والسائرين رهان
مقبوضة عند الله رهان وأية رهان قلوب ليس فيها غير الله قبض وأى قبض مقبوضة بين اصبعين من أصابع الرحمن أما الطيار

الله عليه وسلم فخاصموه فى عيسى بن مريم وقالوا له من أبوه وقالوا على الله الكذب والبهتان لا اله الا هو لم يتخذ صاحبة ولا ولدا فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد الا وهو يشبه أباه قالوا بلى قال ألستم تعلمون أن ربنا حى لا يموت وان عيسى يأتى عليه الفناء قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شئ يكلؤه ويحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيأ قالوا لا قال أفلستم تعلمون ان الله عز وجل لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك شيأ الا ما علم قالوا لا قال فان ربنا صوّر عيسى فى الرحم كيف شاء فهل تعلمون ذلك قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث قالوا بلى قال ألستم تعلمون أن عيسى حملته امرأة كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذى كما يغذى الصبى ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث قالوا بلى قال فكيف يكون هذا كما زعمتم قال فعرفوا ثم أبوا الا جحودا فأنزل الله عز وجل الم الله لا اله الا هو الحى القيوم ۞ القول فى تأويل قوله (الحى القيوم) اختلفت القراء فى ذلك فقرأته قراء الامصار الحى القيوم وقرأ ذلك عمر بن الخطاب وابن مسعود فيما ذكر عنهما الحى القيام وذكر عن علقمة بن قيس أنه كان يقرأ الحى القيم حدثنا بذلك أبو كريب قال ثنا عثام بن على قال ثنا الاعمش عن ابراهيم عن أبى معمر قال سمعت علقمة يقرأ الحى القيم قلت أنت سمعته قال لا أدرى حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا وكيع قال ثنا الاعمش عن ابراهيم عن أبى معمر عن علقمة مثله وقد روى عن علقمة خلاف ذلك وهو ما حدثنا أبو هشام قال ثنا عبيد الله قال ثنا شيبان عن الاعمش عن ابراهيم عن أبى معمر عن علقمة انه قرأ الحى القيام والقراءة التى لا يجوز غيرها عندنا فى ذلك ما جاءت به قراءة المسلمين نقلا مستفيضا عن غير تشاعر ولا تواطؤ وراثة وما كان مثبتا فى مصاحفهم وذلك قراءة من قرأ الحى القيوم ۞ القول فى تأويل قوله (الحى) اختلف أهل التأويل فى معنى قوله الحى فقال بعضهم معنى ذلك من الله تعالى ذكره أنه وصف نفسه بالبقاء ونفى الموت الذى يجوز على من سواه من خلقه عنها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن حميد قال ثنا سلمة بن الفضل قال ثنى محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير الحى الذى لا يموت وقد مات عيسى وصلب فى قولهم يعنى فى قول الاحبار الذين حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من نصارى أهل نجران حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله الحى قال يقول حى لا يموت * وقال آخرون معنى الحى الذى عناه الله عز وجل فى هذه الآية ووصف به نفسه أنه المتيسر له تدبير كل ما أراد وشاء لا يمتنع عليه شئ أراده وانه ليس كمن لا تدبير له من الآلهة والانداد * وقال آخرون معنى ذلك أن له الحياة الدائمة التى لم تزل له صفة ولا تزال كذلك وقالوا انما وصف نفسه بالحياة لان له حياة كما وصفها بالعلم لان لها علما وبالقدرة لان لها قدرة ومعنى ذلك عندى أنه وصف نفسه بالحياة الدائمة التى لا فناء لها ولا انقطاع ونفى عنها ما هو حال بكل ذى حياة من خلقه من الفناء وانقطاع الحياة عند مجىء أجله فأخبر عباده أنه المستوجب على خلقه العبادة والالوهة والحى الذى لا يموت ولا يبيد كما يموت كل من اتخذ من دونه ربا ويبيد كل من ادعى من دونه الها واحتج على خلقه بان من كان يبيد فيزول ويموت فيفنى فلا يكون الها يستوجب أن يعبد دون الاله الذى لا يبيد ولا يموت وان الاله هو الدائم الذى لا يموت ولا يبيد ولا يفنى وذلك الله الذى لا اله الا هو ۞ القول فى تأويل قوله (القيوم) قد ذكرنا اختلاف القراء فى ذلك والذى

الذى هو عاشق مفقود القلب مغلوب العقل مجذوب السر فلا يطالب بالرهن فانه مبطوش ببطشه الشديد

مستهام ضاق مذهبه
فى هوى من عز مطلبه
كل أمر فى الهوى عجب
وخلاصى منه أعجبه

وانما يحتاج الى الرهن المتهم بالخيانة لا المتعين للامانة فلم يوجد فى السموات والارض ولا فى الدنيا والآخرة أمين يؤتمن لتحمل اعباء أمانته الا العاشق المسكين لما نظر اليها كان فراش تلك الشمعة عشقها فطار فيها وأبى يحملها فلما حملها واستحسن منه ما تفرد به من أصحابه جاءت له من الحضرة ألقاب فنسب فى البداية الى الافساد وسفك الدماء أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ولقب فى النهاية بالظلم والجهل انه كان ظلوما جهولا هذا أمر عجيب ونقش غريب من لم يطع فى حمل الامانة وأبى نسب الى المكانة والطاعة والامانة مكين مطاع ثم أمين ومن أطاع فى حمل الامانة وأبى نسب الى الظلم والجهل والفساد والخيانة نعم انما يكون ذلك
لوجهين أحدهما أن الذلة والمسكنة وقعت فى قسم العاشق كما أن العزة والعظمة وقعت فى طرف المعشوق بل جمال عزة المعشوق لا يظهر الا فى مرآة ذلة العاشق * وثانيهما ان من له كمال عزة الامانة يلزم كمال ذلة المؤتمن فى الظاهر بصلاح كتمان أمر الامانة وقد يختص غير المؤتمن بحسن الثناء عليه ليكون عزته فى الظاهر وذلته فى الحقيقة يدلك على حقيقة حفظ السر خطاب اسجد والآدم وعتاب انى أعلم ما لا تعلمون فان أمن بعضكم

نختار منـــه وما العلة التى من أجلها اخترنا ما اخترنا من ذلك فأما تأويل جميع الوجوه التى ذكرنا ان القراء قرأت بها فمتقارب ومعنى ذلك كله القيم بحفظ كل شئ ورزقه وتدبيره وتصريفه فيما شاء وأحب من تغيير وتبـديل وزيادة ونقص كما حدثنى محمـد بن عمـرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى بن ميمون قال ثنا ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله جل ثناؤه الحى القيوم قال القائم على كل شئ حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبـل عن ابن أبى نجيح عن مجاهـد مثله حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع القيوم قيم على كل شئ يكلؤه ويحفظه ويرزقه * وقال آخرون معنى ذلك القيام على مكانه ووجهوه الى القيام الدائم الذى لا زوال معـه ولا انتقال وأن الله عز وجـل انما نفى عن نفســه بوصفها بذلك التغير والتنقل من مكان الى مكان وحدوث التبدل الذى يحدث فى الآدميين وسائر خلقه غيرهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير القيـــوم القيام على مكانه من سلطانه فى خلقه لا يزول وقد زال عيسى فى قولهم يعـنى فى قول الاحبار الذين حاجوا النبى صلى الله عليه وسلم من أهل نجران فى عيسى عن مكانه الذى كان به وذهب عنه الى غيره وأولى التأويلين بالصواب ما قاله مجاهد والربيع وان ذلك وصف من الله تعالى ذكره نفسه بانه القائم بامر كل شئ فى رزقه والدفع عنه وكلاءته وتدبيره وصرفه فى قدرته من قول العرب فلان قائم بامر هذه البلدة يعنى بذلك المتولى تدبير أمرها والقيوم اذ كان ذلك معناه الفيعول من قول القائل الله يقوم بامر خلقه وأصله القيووم غـــير أن الواو الاولى من القيوم لمـاسبقتها ياء ساكنة وهى متحركة قلبت ياء فجعلت هى والياء التى قبلها ياء مشددة لان العـــرب كذلك تفعل بالواو المتحركة اذا تقـــدمتها ياء ساكنة وأما القيام فان أصـــله القيوام وهو الفيعال من قام يقوم سبقت الواو المتحركة من قيوام ياء ساكنة فجعلتا جميعا ياء مشـــددة ولو أن القيوم فعول كان القووم ولـكنه الفيعول وكذلك القيام لو كان الفعال لكان القوام كما قيـــل الصوّام والقوام وكما قال جـــل ثناؤه كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولـكنه الفيعال فقيل القيام وأما القيم فهو الفيعل من قام يقوم سبقت الواو المتحركة ياء ساكنة فجعلتا ياء مشددة كما قيـــل فلان سيـــد قومه من ساد يسود وهذا طعام جيد من جاد يجود وما أشـــبه ذلك وانما جاء ذلك بهـــذه الالفاظ لانه قصد به قصد المبالغة فى المدح فكان القيوم والقيام والقيم أبلغ فى المدح من القائم وانما كان عمر رضى الله عنه يختار قراءته ان شاء الله القيام لان ذلك الغالب على منطق أهـــل الحجاز فى ذوات الثـــلاثة من الياء والواو فيقولون للرجـــل الصواغ الصياغ ويقولون للرجل الكثير الدوران الديار وقد قيل ان قول الله جـــل ثناؤه لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انما هو دوار افعال من دار يدور ولكنها نزلت بلغة أهل الحجاز وأقرت كذلك فى المصحف

القول فى تأويل قوله (نزل عليك الكتاب بالحق مصـــدقا لما بين يديه) يقول جل ثناؤه يا محمد ان ربك ورب عيسى ورب كل شئ هو الرب الذى أنزل عليك الكتاب يعنى بالكتاب القرآن بالحق يعنى بالصدق فيما اختلف فيه أهل التوراة والانجيل وفيما خالفك فيـــه محاجوك من نصارى أهـــل نجران وسائر أهل الشرك غيرهم مصدقا لما بين يديه يعنى بذلك القرآن انه مصدق لما كان قبله من كتب الله التى أنزلها على أنبيائه ورسله ومحقق ما جاءت به رسل الله من عنده لان منزل جميع ذلك واحد فلا يكون فيـــه اختلاف ولو كان من عند غـــيره كان فيـــه اختلاف كثير وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

حدثنى

بعضا كما اخترتك من بين الخليقه واصطفيتك على البرية بحمل الامانة فليؤد الذى أوتمن أمانته ولا تكتموا الشهادة أشهدتكم على أنفسكم يوم الميثاق باقرار قبول الامانة فقلتم بلى شـــهدنا فاليوم أطالبكم باداء حقها فادوها الى ملفوفة بلفاف التقوى الايمان عريان ولباسه التقوى وكتمان الشهادة أن يكون شـــهودك مع غـــير شواهد ربك وهـــذا من نتائج خيانة قلبك فى أمانة ربك فلا يشاهد قلبك الا شواهـــد ربك ولا يؤدى سرك حقيقة أمانة ربك الا الى ربك بربك لربك (لله ما فى السمـــوات وما فى الارض وان تبـــدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله عـــلى كل شئ قدير آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورســـله لا نفرق بين أحـــد من رســـله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصـــير لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمـــل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القـــوم الكافرين) القراآت فيغفر لمن يشاء بادغام الراء فى اللام أبو عمرو وحملة أهل العـــلم على الاخفاء لا على الادغام التام فيغفر ويعـــذب برفع الراء والباء يزيد وابن عامر وعاصم وسهل ويعقوب وقرأ حمزة غير أبى عمـــرو والحـــلوانى عن قالون وابن مجاهـــد وأبو عـــون وأبو ربيعة عن البزى وخلف لنفســـه يعذب من بالاظهار أبو عمرو يدغم ويعذب من يشاء كل القرآن وكتابه حمزة وعلى وخلف الباقون وكتبه جمعا لا يفرق بياء الغيبة يعقوب الباقون بالنون أخطأنا مثل فادارأتم (الوقوف) وما فى الارض ط به الله ط لمن قرأ فيغفـــر بالرفع على الاستئناف أى فهو يغفر ومن جزم بالعطف لم يقف من يشاء ط قدير ه والمؤمنون ه لمن لم يقف على من ربه المصير ه وسعها ط ما اكتسبت ط أو أخطأنا ج

حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مصدقا لما بين يديه قال لما قبله من كتاب أو رسول حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مصدقا لما بين يديه لما قبله من كتاب أو رسول حدثنى محمد بن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير نزل عليك الكتاب بالحق أى بالصدق فيما اختلفوا فيه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه يقول القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتب التى قد خلت قبله حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنى ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه يقول مصدقا لما قبله من كتاب و رسول

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس﴾ يعنى بذلك جل ثناؤه وأنزل التوراة على موسى والانجيل على عيسى من قبل يقول من قبل الكتاب الذى نزله عليك ويعنى بقوله هدى للناس بيانا للناس من الله فيما اختلفوا فيه من توحيد الله وتصديق رسله ومفيدا يا محمد أنك نبيى و رسولى وفى غير ذلك من شرائع دين الله كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس هما كتابان أنزلهما الله فيهما بيان من الله وعصمة لمن أخذ به وصدق به وعمل بما فيه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير وأنزل التوراة والانجيل التوراة على موسى والانجيل على عيسى كما أنزل الكتب على من كان قبلهما

القول فى تأويل قوله ﴿وأنزل الفرقان﴾ يعنى جل ثناؤه بذلك وأنزل الفصل بين الحق والباطل فيما اختلفت فيه الاحزاب وأهل الملل فى أمر عيسى وغيره وقد بينا فيما مضى أن الفرقان انما هو الفعلان من قولهم فرق الله بين الحق والباطل يفصل بينهما بنصره بالحق على الباطل إما بالحجة البالغة وإما بالقهر والغلبة بالايدى والقوة وبما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل غير أن بعضهم وجه تأويله الى أنه فصل بين الحق والباطل فى أمر عيسى وبعضهم الى أنه فصل بين الحق والباطل فى أحكام الشرائع ذكر من قال معناه الفصل بين الحق والباطل فى أمر عيسى والاحزاب حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير وأنزل الفرقان أى الفصل بين الحق والباطل فيما اختلف فيه الاحزاب من أمر عيسى وغيره ذكر من قال معنى ذلك الفصل بين الحق والباطل فى الاحكام وشرائع الاسلام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأنزل الفرقان هو القرآن أنزله على محمد وفرق به بين الحق والباطل فأحل فيه حلاله وحرم فيه حرامه وشرع فيه شرائعه وحد فيه حدوده وفرض فيه فرائضه وبين فيه بيانه وأمر بطاعته ونهى عن معصيته حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع وأنزل الفرقان قال الفرقان القرآن فرق بين الحق والباطل والتأويل الذى ذكرناه عن محمد بن جعفر بن الزبير فى ذلك أولى بالصحة من التأويل الذى ذكرناه عن قتادة والربيع وأن يكون معنى الفرقان فى هذا الموضع فصل الله بين نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والذين حاجوه فى أمر عيسى وفى غير ذلك من أموره بالحجة البالغة القاطعة عذرهم وعذر نظرائهم من أهل الكفر بالله وانما قلنا هذا القول أولى بالصواب لان اخبار الله عن تنزيله القرآن قبل اخباره عن تنزيله التوراة والانجيل فى هذه الآية قد مضى بقوله نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه ولا شك أن ذلك الكتاب هو القرآن لا غيره فلا وجه لتكريره مرة أخرى اذ لا فائدة فى

من قبلنا ج لان النداء للابتداء ولكن الواو لعطف السؤال على السؤال لنا به ج واعف عنا وقفة واغفر لنا كذلك وارحمنا كذلك التفصيل بين أنواع المقاصد والاعتراف بان اطماعنا غير واحد الكافرين ٥ * التفسير انه تعالى لما جمع فى هذه السورة أشياء كثيرة من علم الاصول وهى دلائل التوحيد والنبوة والمعاد وأشياء كثيرة من بيان الشرائع والتكاليف كالصلاة والزكاة والقصاص والصوم والحج والجهاد والحيض والطلاق والعدة والصداق والخلع والايلاء والارضاع والبيع والربا والمداينة ختم السورة بكلام دل على كمال ملكه وهو قوله لله ما فى السموات وما فى الارض وعلى كمال علمه وهو قوله وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله وعلى كمال قدرته وهو قوله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شئ قدير وفى ذلك غاية الوعد للمطيعين ونهاية الوعيد للمذنبين وعن أبى مسلم أنه لما قال والله بما تعملون عليم ذكر عليه دليلا عقليا فان من كان فاعلا لهذه الافعال المحكمة المتقنة المشتملة على الحكم المتكاثرة والمنافع الفاخرة لابد ان يكون محيطا باجزائها وجزئياتها وقيل لما أمر بالوثائق من الكتبة والاشهاد والرهن ذكر ما علم منه أن المقصود يرجع الى الخلق وانه منزه عن الانتفاع به وقال الشعبى وعكرمة ومجاهد أنه لما أوعد على كتمان الشهادة ذكر أن له ما فى السموات وما فى الارض فيجازى على الكتمان والاظهار عن ابن عباس وأبى هريرة واللفظ له لما نزل وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا على الركب فقالوا أى رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلاة والصيام والصدقة وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا

واليك المصير فلما اقرأها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله في اثرها امن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته و كتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما فعلوا ذلك نسخها الله فانزل الله عزوجل لايكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا قال نعم ربنا ولاتحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال نعم ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به قال نعم واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال نعم * واعلم أن العلماء اتفقوا على أن الامور التي تخطر بالبال مما يكرهها الانسان ولا يمكنه ازالتها عن النفس لا يؤاخذ بها الانها تجري مجرى تكليف مالا يطاق وأما الخواطر التي يوطن الانسان نفسه عليها ويعزم على ادخالها في الوجود فقد قيل انه يؤاخذ بها لقوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وكما يؤاخذ باعتقاد الكفر والبدع وانه من أفعال القلوب ثم قال بعضهم انما يؤاخذ بها في الدنيا لما روى الضحاك عن عائشة انها قالت ما حدث العبد به نفسه من شر كانت محاسبة الله عليه بغم يبتليه في الدنيا أو حزن أو أذى فاذا جاءت الآخرة لم يسئل عنه ولم يعاقب وروت انها سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فاجابها بما هذا معناه وقيل ان كل ما كان في القلب مما لا يدخل في العمل فانه في محل العفو لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال بعد نزول قوله لايكلف الله نفسا الا وسعها ان الله تجاوز لامتي ما حدثوا به أنفسهم مالم يعملوا أو يتكلموا وقيل معنى قوله وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه أن يدخل ذلك العمل في الوجود اما ظاهرا واما على سبيل الخفية وعلى هذا فلا حاجة الى التزام النسخ وكذا قيل ان معنى كونه حسيبا ومحاسبا كونه عالما بما في الضمائر والسرائر فيغفر لمن يشاء وان كان من أصحاب الكبائر لعموم اللفظ وعند المعتزلة لمن استوجب المغفرة بالتوبة وهو

تكبر به ليست في ذكره اياه وخبره عنه ابتداء ۞ القول في تأويل قوله ﴿ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام﴾ يعني بذلك جل ثناؤه ان الذين جحدوا أعلام الله وأدلته على توحيده وألوهته وأن عيسى عبد له واتخذوا المسيح الها وربا أو ادعوه لله ولدا لهم عذاب من الله شديد يوم القيامة والذين كفروا هم الذين جحدوا آيات الله وآيات الله أعلام الله وأدلته وحججه وهذا القول من الله عزوجل ينبئ عن معنى قوله وأنزل الفرقان أنه معني به الفصل (٣) عن الذي هو حجة لاهل الحق على أهل الباطل لانه عقب ذلك بقوله ان الذين كفروا بآيات الله يعني ان الذين جحدوا ذلك الفصل والفرقان الذي أنزله فرقا بين المحق والمبطل لهم عذاب شديد وعيد من الله لمن عاند الحق بعد وضوحه له وخالف سبيل الهدى بعد قيام الحجة عليه ثم أخبرهم أنه عزيز في سلطانه لا يمنعه مانع ممن أراد عذابه منهم ولا يحول بينه و بينه حائل ولا يستطيع أن يعانده فيه أحد وانه ذو انتقام ممن جحد حججه وأدلته بعد ثبوتها عليه و بعد وضوحها له ومعرفته بها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام أي ان الله منتقم ممن كفر بآياته بعد علمه بها ومعرفته بما جاء منه فيها حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام (٤) ۞ القول في تأويل قوله ﴿ان الله لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء﴾ يعني بذلك جل ثناؤه ان الله لا يخفى عليه شئ هو في الارض ولا شئ هو في السماء يقول فكيف يخفى علي يا محمد وأنا علام جميع الاشياء ما يضاهي به هؤلاء الذين يجادلونك في آيات الله من نصارى نجران في عيسى بن مريم في مقالتهم التي يقولونها فيه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير ان الله لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء أي قد علم ما يريدون وما يكيدون وما يضاهون بقولهم في عيسى اذ جعلوه ربا والها وعندهم من علمه غير ذلك غرة بالله وكفرا به ۞ القول في تأويل قوله ﴿هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء﴾ يعني بذلك جل ثناؤه الله الذي يصوركم فيجعلكم صورا أشباحا في أرحام أمهاتكم كيف شاء وأحب فيجعل هذا ذكرا وهذا أنثى وهذا أسود وهذا أحمر يعرف عباده بذلك ان جميع من اشتملت عليه أرحام النساء ممن صوره وخلقه كيف شاء وان عيسى بن مريم ممن صوره في رحم أمه وخلقه فيها كيف شاء وأحب وأنه لو كان الها لم يكن ممن اشتملت عليه رحم أمه لان خلاق ما في الارحام لا تكون الارحام عليه مشتملة وانما تشتمل على المخلوقين كما حدثني ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء قد كان عيسى ممن صور في الارحام لا يدفعون ذلك ولا ينكرونه كما صور غيره من بني آدم فكيف يكون الها وقد كان بذلك المنزل حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء أي انه صور عيسى في الرحم كيف شاء * وقال آخرون في ذلك ما حدثنا به موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء قال اذا وقعت النطفة في الارحام طارت في الجسد أربعين يوما ثم تكون علقة أربعين يوما ثم تكون مضغة أربعين

أربعين يوما فاذا بلغ أن يخلق بعث الله ملكا يصوّرها فيأتي الملك بتراب بين اصبعيه فيخلطه في المضغة ثم يعجنه بها ثم يصوّرها كما يؤمر فيقول أذكر أو أنثى أشقي أو سعيد وما رزقه وما عمره وما أثره وما مصائبه فيقول الله و يكتب الملك فاذا مات ذلك الجسد دفن حيث أخذ ذلك التراب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هو الذي يصوّركم في الارحام كيف يشاء قادر والله ربنا أن يصوّر عباده في الارحام كيف يشاء من ذكر أو أنثى أو أسود أو أحمر تام خلقه وغير تام ۞ القول في تأويل قوله (لا اله الا هو العزيز الحكيم) وهذا القول تنزيه من الله تعالى ذكره نفسه أن يكون له في ربوبيته ند أو مثل أو أن تجوز الألوهة لغيره وتكذيب منه للذين قالوا في عيسى ما قالوا من وفد نجران الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر من كان على مثل الذي كانوا عليه من قولهم في عيسى ولجميع من ادّعى مع الله معبودا أو أقرّ بربوبية غيره ثم أخبر جل ثناؤه خلقه بصفته وعيدا منه لمن عبد غيره أو أشرك في عبادته أحدا سواه فقال هو العزيز الذي لا ينصر من أراد الانتقام منه أحد ولا ينجيه منه وال ولا لجأ وذلك لعزته التي يذل لها كل مخلوق ويخضع لها كل موجود ثم أعلمهم أنه الحكيم في تدبيره واعذاره الى خلقه ومتابعة حججه عليهم ليهلك من هلك منهم عن بينة ويحيا من حيّ عن بينة كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير قال ثم قال يعني الرب عز وجل انزاها لنفسه وتوحيدا لها مما جعلوا معه لا اله الا هو العزيز الحكيم قال العزيز في نصرته ممن كفر به اذا شاء والحكيم في عذره وحجته الى عباده حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع لا اله الا هو العزيز الحكيم يقول عزيز في نقمته حكيم في أمره ۞ القول في تأويل قوله (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) يعني بقوله جل ثناؤه هو الذي أنزل عليك الكتاب ان الله الذي لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء هو الذي أنزل عليك الكتاب يعني بالكتاب القرآن وقد أتينا على البيان فيما مضى عن السبب الذي من أجله سمي القرآن كتابا بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وأما قوله منه آيات محكمات فانه يعني من الكتاب آيات يعني بالآيات آيات القرآن وأما المحكمات فانهن اللواتي قد أحكمن بالبيان والتفصيل وأثبتت حججهن وأدلتهن على ما جعلن أدلة عليه من حلال وحرام ووعد ووعيد وثواب وعقاب وأمر وزجر وخبر ومثل وعظة وعبر وما أشبه ذلك ثم وصف جل ثناؤه هؤلاء الآيات المحكمات بأنهن هن أم الكتاب يعني بذلك أنهن أصل الكتاب الذي فيه عماد الدين والفرائض والحدود وسائر ما بالخلق اليه الحاجة من أمر دينهم وما كلفوا من الفرائض في عاجلهم وآجلهم وانما سماهن أم الكتاب لانهن معظم الكتاب وموضع مفزع أهله عند الحاجة اليه وكذلك تفعل العرب تسمي الجامع معظم الشئ أمّا له فتسمي راية القوم التي تجمعهم في العساكر أمهم والمدبر معظم أمر القرية والبلدة أمها وقد بينا ذلك فيما مضى بما أغنى عن اعادته ووحد أمّ الكتاب ولم يجمع فيقول هن أمهات الكتاب وقد قال هن لانه أراد جميع الآيات المحكمات أم الكتاب لا أن كل آية منهن أم الكتاب ولو كان معنى ذلك أن كل آية منهن أم الكتاب لكان لا شك قد قيل هن أمهات الكتاب ونظير قول الله عز وجل هن أم الكتاب على التأويل الذي قلنا في توحيد الأم وهي خبر لهن قوله تعالى ذكره وجعلنا ابن مريم وأمه آية ولم يقل آيتين لأن معناه وجعلنا جميعهما آية اذ كان المعنى واحدا فيما جعلا فيه للخلق عبرة ولو كان مراده الخبر عن

تخصيص من غير دليل (ويعذب من يشاء والله على كل شئ قدير) مستول على كل الممكنات بالقهر والغلبة والايجاد والاعدام فعلى كل عاقل أن يكون له عبدا منقادا خاضعا لأوامره ومراضيه محترزا عن مساخطه ومناهيه ليستحق المدح والثناء بقوله آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون فان كمال الربوبية في الواجب يستلزم كمال العبودية في الممكن وكمال العبودية في الممكن يستتبع كمال الرحمة عليه وذلك قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها الى آخر السورة أو نقول انه بدأ السورة بذكر المتقين الذين يؤمنون بالغيب فبين في آخرها أن الذين مدحهم في أول السورة هم أمة محمد والمؤمنون كل آمن بالله ثم قال ههنا وقالوا سمعنا وأطعنا كما قال هنالك ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون وقال ههنا غفرانك ربنا واليك المصير كما قال هنالك وبالآخرة هم يوقنون ثم حكى عنهم كيفية تضرعهم الى ربهم بقوله ربنا لا تؤاخذنا الى آخر السورة كما قال هنالك أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون أو نقول انه سبحانه لما ذكر في هذه السورة أنواع الشرائع والأحكام بين أن الرسول اعترف لمعجزة دلت له على صدق الملك أن ذلك وحي من الله وصل اليه وأن الذي أخبره بذلك ملك مبعوث من قبل الله معصوم من التحريف وليس بشيطان مضل ثم ذكر عقيبه ايمان المؤمنين بذلك لمعجزات أظهرها الله تعالى على يد الرسول حتى استدلت الأمة بها على أنه صادق في دعواه وهو المرتبة المتأخرة ومن تأمل في نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بسبب فصاحة ألفاظه و بلاغة معانيه فهو أيضا معجز بحسب ترتيبه ونظم مبانيه ولعل الذين قالوا انه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك ثم ههنا احتمالان أحدهما أن يكون تمام الكلام عند قوله والمؤمنون فيكون المعنى آمن الرسول والمؤمنون بما أنزل اليه من ربه ثم ابتدأ بقوله كل آمن فيكون الضمير الذي

التنوين نائب عنه فى كل عائدا الى الرسول والمؤمنين أى كلهم آمن بل كل واحد ممن تقدم ذكره من الرسول والمؤمنين امن ولهذا وحد ومثل هذا الضمير يجوز أن يفرد بمعنى كل واحد ويجوز أن يجمع كقوله وكل أتوه داخرين وهذا الاحتمال يشعر بانه صلى الله عليه وسلم ما كان مؤمنا بربه ثم آمن فيحمل عدم الايمان على وقت الاستدلال وذلك انه عرف بما ظهر من المعجزات على يد جبريل عليه السلام أن هذا القرآن وجملة ما فيه من الشرائع والاحكام منزل من عند الله تعالى وليس من باب القاء الشياطين ولا من نوع السحر والكهانة والشعبذة والاحتمال الثانى أن يتم الكلام عند قوله من ربه ثم ابتدأ من قوله والمؤمنون كل آمن بالله. وفى هذا الاحتمال اشعار بأن الذى حدث هو ايمانه بالشرائع التى نزلت عليه كما قال ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان أما الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله على الاجمال فقد كان حاصلا منذ خلق من أول الأمر بل كان نبيا وآدم بين الماء والطين كما أن عيسى خلق كامل العقل حتى قال فى المهد انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وعلى هذا فانما خص الرسول بذلك لان الذى أنزل اليه من ربه قد يكون متلوا يسمعه الغير ويعرفه فيمكنه أن يؤمن به وقد يكون وحيا لا يعلمه سواه فيكون هو صلى الله عليه وسلم مختصا بالايمان به ولا يتمكن الغير من الايمان به * واعلم أن الآية دلت على أن معرفة هذه المراتب الأربع من ضروريات الايمان * المرتبة الأولى هى الايمان بالله سبحانه فان صدق المبلغ والرسول يتوقف على وجود المبلغ والمرسل * والثانية الايمان بالملائكة فانهم الوسائط بين الله وبين البشر ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده علمه شديد القوى * والثالثة الكتب فانه الوحى الذى يتلقفه الملك ويوصله الى النبى صلى الله عليه وسلم فمثال الملك فى عالم الصورة جرم القمر ومثال الوحى نور القمر فكما أن القمر يستفيد من نور الشمس

كل واحد منهما على انفراده بانه جعل للخلق عبرة لقيل وجعلنا ابن مريم وأمه آيتين لانه قد كان فى كل واحد منهما لهم عبرة وذلك أن مريم ولدت من غير رجل ونطق ابنها فتكلم فى المهد صبيا فكان فى كل واحد منهما للناس آية وقد قال بعض نحويى البصرة انما قيل هن أم الكتاب ولم يقل هن أمهات الكتاب على وجه الحكاية كما يقول الرجل مالى أنصار فتقول أنا أنصارك أو مالى نظير فتقول نحن نظيرك قال وهو شبيه دعنى من تمرتان وأنشد لرجل من فقعس

تعرضت لى بمكان حل * تعرض المهرة فى الطول * تعرضا لم تأل عن قتلا لى

(١) كل أى يحكى به على الحكاية لانه كان منصوبا قبل ذلك كما يقول نودى الصلاة الصلاة يحكى قول القائل الصلاة الصلاة وقال قال بعضهم انما هى أن قتلا لى ولكنه جعله عن لأن أن فى لغته تجعل موضعها عن والنصب على الامر كأنك قلت ضربا للزيد وهذا قول لا معنى له لان كل هذه الشواهد التى استشهد بها الاشك أنهن حكايات حالتهن بما حكى عن قول غيره وألفاظه التى نطق بهن وان معلوما أن الله جل ثناؤه لم يحك عن أحد قوله أم الكتاب فيجوز أن يقال أخرج ذلك مخرج الحكاية عمن قال ذلك كذلك * وأما قوله وأخر فانها جمع أخرى ثم اختلف أهل العربية فى العلة التى من أجلها لم يصرف أخر فقال بعضهم لم يصرف أخر من أجل أنها نعت واحدتها أخرى كما لم تصرف جمع وكتع لانهن نعوت وقال آخرون انما لم تصرف الأخر لزيادة الياء التى فى واحدتها وان جمعها مبنى على واحدها فى ترك الصرف قالوا وانما ترك صرف أخرى كما ترك صرف حمراء وبيضاء فى النكرة والمعرفة لزيادة المدة فيها والهمزة بالواو ثم افترق جمع حمراء وأخرى فبنى جمع أخرى على واحدته فقيل فعل أخر فترك صرفها كما ترك صرف أخرى وبنى جمع حمراء وبيضاء على خلاف واحدته فصرف فقيل حمر وبيض فلاختلاف حالتيهما فى الجمع اختلف اعرابهما عندهم فى الصرف ولاتفاق حالتيهما فى الواحدة اتفقت حالتاهما فيها * وأما قوله متشابهات فان معناه متشابهات فى التلاوة مختلفات فى المعنى كما قال جل ثناؤه وأتوا به متشابها يعنى فى المنظر مختلفا فى المطعم وكما قال مخبرا عمن أخبر عنه من بنى اسرائيل أنه قال ان البقر تشابه علينا يعنون بذلك تشابه علينا فى الصفة وان اختلفت أنواعه فتأويل الكلام اذا ان الذى لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء هو الذى أنزل عليك يا محمد القرآن منه آيات محكمات بالبيان هن أصل الكتاب الذى عليه عمادك وعماد أمتك فى الدين واليه مفزعك ومفزعهم فيما افترضت عليك وعليهم من شرائع الاسلام وآيات أخر هن متشابهات فى التلاوة مختلفات فى المعانى وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات وما المحكم من آى الكتاب وما المتشابه منه فقال بعضهم المحكمات من آى القرآن المعمول بهن وهن الناسخات أو المثبتات الأحكام والمتشابهات من آيه المتروك العمل بهن المنسوخات ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوام عمن حدثه عن ابن عباس فى قوله منه آيات محكمات قال هى الثلاث الآيات التى ههنا قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم الى ثلاث آيات والتى فى بنى اسرائيل وقضى ربك ألا تعبدوا

(١) قوله كل أى يحكى به على الحكاية كذا بالنسخ ولعل وجه الكلام قتلا أتى به على الحكاية وقوله جمع آخر لعله جمع أخرى تأنيث آخر وقوله بالواو لعله من زيادة الناسخ كتبه مصححه

و يوصله الينا فكذا الملك يأخذ الوحى من الله تعالى و يلقيه على الانبياء فلا جرم وقع الرسل فى المرتبة الرابعة وهذا الترتيب مما تقتضيه حكمة عالم التكليف والوسائط والا فقد لى مع الله وقت لا يسعنى فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل معلوم لنبينا صلى الله عليه وسلم وهذا سر تطلع منه على أسرار أخرى ان كنت من أهلها ثم الايمان بالله عبارة عن الايمان بوجوده و بصفاته و بافعاله و باحكامه و باسمائه

أما الايمان بوجوده فهو أن تعلم أن وراء المتحيزات موجودا خالقا لها وعلى هذا التقدير فالجسم لا يكون مقرا بوجود الاله تعالى فيكون الخلاف معهم فى ذات الله تعالى وأما الفلاسفة والمعتزلة فالخلاف معهم فى الصفات لا فى الذات لانهم مقرون بوجود موجود غير متحيز ولا حال فى المتحيز وأما الايمان بصفاته فالصفات اما ثبوتية أو سلبية أو اضافية وقد عرفت فى تفسير البسملة ما يصح وصفه تعالى بها وما لا يصح وكذا فى تفسير آية الكرسى وأما الايمان بافعاله فأن تعلم ان كل ما سواه فانما حصل بتخليقه وتكوينه حتى الافعال التى تسمى اختيارية للحيوانات وذلك أن مشيئة الانسان محدثة منتهية الى الله سبحانه فهو مضطر فى صورة مختار وقد حققنا هذه المسئلة فى تفسير قوله ختم الله على قلوبهم وأما الايمان باحكامه فان تعلم انها غير معللة بغرض وان كان يترتب عليها الفوائد وأن تعلم أن المقصود من شرعها منافع عائدة الى العباد لا الى الله فانه منزه عن جلب المنافع ودفع المضار وان تعلم أن له الالزام والحكم فى الدنيا كيف شاء وأراد وأن تعلم أنه لا يجب على الحق بسبب الاعمال شئ وأنه فى الآخرة يغفر لمن يشاء بفضله ويعذب من يشاء بعدله ولا يقبح منه شئ لان الكل ملكه وملكه وأما الايمان باسمائه فهى الاسماء الواردة فى كتب الله المنزلة وفى كلمات أنبيائه المرسلة وقد مر فى تفسير البسملة فهذا هو الاشارة الى معاقد الايمان بالله وأما الايمان بالملائكة فهو الايمان بوجودها فاما البحث عن أنها

الا اياه الى آخر الآيات حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب المحكمات ناسخه وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه وما يؤمن به ويعمل به قال وأخر متشابهات والمتشابهات منسوخه ومقدمه ومؤخره وأمثاله وأقسامه وما يؤمن به ولا يعمل به حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله هو الذى أنزل عليك الكتاب الى وأخر متشابهات فالمحكمات التى هى أم الكتاب الناسخ الذى يدان به ويعمل به والمتشابهات هن المنسوخات التى لا يدان بهن حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب الى قوله كل من عند ربنا أما الآيات المحكمات فهن الناسخات التى يعمل بهن وأما المتشابهات فهن المنسوخات حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب والمحكمات الناسخ الذى يعمل به ما أحل الله فيه حلاله وحرم فيه حرامه وأما المتشابهات فالمنسوخ الذى لا يعمل به ويؤمن به حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله آيات محكمات قال المحكم ما يعمل به حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات قال المحكمات الناسخ الذى يعمل به والمتشابهات المنسوخ الذى لا يعمل به ويؤمن به حدثنى المثنى قال ثنا عمرو قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك فى قوله آيات محكمات هن أم الكتاب قال الناسخات وأخر متشابهات قال ما نسخ وترك يتلى حدثنى ابن وكيع قال ثنا أبى عن سلمة بن نبيط عن الضحاك بن مزاحم قال المحكم ما لم ينسخ وما تشابه منه ما نسخ حدثنى يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فى قوله آيات محكمات هن أم الكتاب قال الناسخ وأخر متشابهات قال المنسوخ حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يحدث قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله منه آيات محكمات يعنى الناسخ الذى يعمل به وأخر متشابهات يعنى المنسوخ يؤمن به ولا يعمل به حدثنى أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سلمة عن الضحاك منه آيات محكمات قال ما لم ينسخ وأخر متشابهات قال ما قد نسخ * وقال آخرون المحكمات من آى الكتاب ما أحكم الله فيه بيان حلاله وحرامه والمتشابه منها ما أشبه بعضه بعضا فى المعانى وان اختلفت ألفاظه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله منه آيات محكمات ما فيه من الحلال والحرام وما سوى ذلك فهو متشابه يصدق بعضه بعضا وهو مثل قوله وما يضل به الا الفاسقين ومثل قوله كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ومثل قوله والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله * وقال آخرون المحكمات من آى الكتاب ما لم يحتمل من التأويل غير وجه واحد

روحانية محضة أو جسمانية محضة أو مركبة من القسمين و بتقدير كونها جسمانية فلطيفة أو كثيفة وان كانت لطيفة فنورانية أو هوائية فذاك مقام العلماء الراسخين في العلوم القرآنية والبرهانية ويدخل في الايمان بالملائكة اعتقاد أنهم معصومون وأن لذتهم بذكر الله وحياتهم بمعرفته وطاعته وأنهم وسائط بين الله و بين البشر (١١٦) وبهم وصلت الكتب الى الانبياء ولكل طائفة منهم مقام معلوم وجزء مقسوم من أقسام هذا العالم وأما الايمان بالكتب فان تعلم أن كلها وحي من عند الله وليس لاحد من المخلوقات أن يلقي فيها شيأ من ضلالاتهم ولاسيما في القرآن العظيم وان من قال ان ترتيب القرآن على هذا الوجه شئ فعله عثمان فقد أخرج القرآن عن كونه حجة وطرق اليه التغيير والتحريف وأن القرآن مشتمل على المحكم والمتشابه ومحكمه يكشف عن متشابهه وأما الايمان بالرسل فان تعلم كونهم معصومين عن الذنوب في باب الاعتقاد وفي أمر التبليغ وفي الفتيا وفي الاخلاق وفي الافعال كما مر في قصة آدم وأن تعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم أفضل ممن ليس بنبي خلافا لبعض الصوفية وأن بعض الأنبياء أفضل من بعض كما قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وأما فضلهم على الملائكة فقد قال بعضهم ان الانبياء أفضل من الملائكة وقال كثير من العلماء ان الملائكة السماوية أفضل منهم وانهم أفضل من الملائكة الارضية وقد مر تحقيق ذلك في قصة آدم أيضا وأن تعلم أن شرعهم وان صار منسوخا الآن نبوتهم لم تصر منسوخة وانهم الآن أنبياء ورسل كما كانوا وناقش بعض المتكلمين في ذلك فهذه اشارة الى أصول الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله بعض وأما من قرأ وكتابه على الوحدة فاما أن يراد به القرآن ثم الايمان به يتضمن الايمان بجميع الكتب والرسل واما أن يراد به جنس الكتب السماوية فان اسم الجنس المضاف قد يفيد العموم كقوله وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها وقال أحل لكم ليلة الصيام الرفث وهذا الاحلال

والمتشابه منها ما احتمل من التأويل أوجها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد ابن اسحق قال ثني محمد بن جعفر بن الزبير هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات فهن حجة الرب وعصمة العباد ودفع الخصوم والباطل ليس لها تصريف ولا تحريف عما وضعت عليه وأخر متشابهة في الصدق لهن تصريف وتحريف وتأويل ابتلى الله فيهن العباد كما ابتلاهم في الحلال والحرام لا يصرفن الى الباطل ولا يحرفن عن الحق * وقال آخرون معنى المحكم ما أحكم الله فيه من آي القرآن وقصص الأمم ورسلهم الذين أرسلوا اليهم ففصله ببيان ذلك لمحمد وأمته والمتشابه هو ما اشتبهت الالفاظ به من قصصهم عند التكرير في السور فقصة باتفاق الالفاظ واختلاف المعاني وقصة باختلاف الالفاظ واتفاق المعاني ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وقرأ الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير قال وذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في أربع وعشرين آية منها وحديث نوح في أربع وعشرين آية منها ثم قال تلك من أنباء الغيب ثم ذكر والى عاد فقرأ حتى بلغ واستغفروا ربكم ثم مضى ثم ذكر صالحا وابراهيم ولوطا وشعيبا وفرغ من ذلك وهذا يقين ذلك يقين أحكمت آياته ثم فصلت قال والمتشابه ذكر موسى في أمكنة كثيرة وهو متشابه وهو كله معنى واحد ومتشابه اسلك فيها احمل فيها اسلك يدك أدخل يدك حية تسعى ثعبان مبين قال ثم ذكر هودا في عشر آيات منها وصالحا في ثماني آيات منها وابراهيم في ثماني آيات أخرى ولوطا في ثماني آيات منها وشعيبا في ثلاث عشرة آية وموسى في أربع آيات كل هذا يقضي بين الأنبياء و بين قومهم في هذه السورة فانتهى ذلك الى مائة آية من سورة هود ثم قال ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد وقال في المتشابه من القرآن من يرد الله به البلاء والضلالة يقول ما شأن هذا لا يكون هكذا وما شأن هذا لا يكون هكذا * وقال آخرون بل المحكم من آي القرآن ما عرف العلماء تأويله وفهموا معناه وتفسيره والمتشابه ما لم يكن لاحد الى علمه سبيل مما استأثر الله بعلمه دون خلقه وذلك نحو الخبر عن وقت مخرج عيسى بن مريم و وقت طلوع الشمس من مغربها وقيام الساعة وفناء الدنيا وما أشبه ذلك فان ذلك لا يعلمه أحد وقالوا انما سمى الله من آي الكتاب المتشابه الحروف المقطعة التي في أوائل بعض سور القرآن من نحو الم والمص والمر والر وما أشبه ذلك لانهن متشابهات في الالفاظ وموافقات حروف حساب الجمل وكان قوم من اليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم طمعوا أن يدركوا من قبلها معرفة مدة الاسلام وأهله ويعلموا نهاية أجل محمد وأمته فأكذب الله أحدوثتهم بذلك وأعلمهم أن ما ابتغوا علمه من ذلك من قبل هذه الحروف المتشابهة لا يدركونه ولا من قبل غيرها وان ذلك لا يعلمه الا الله وهذا قول ذكر عن جابر بن عبد الله بن رئاب ان هذه الآية نزلت فيه وقد ذكرنا الرواية بذلك عنه وعن غيره ممن قال نحو مقالته في تأويل ذلك في تفسير قوله الم ذلك الكتاب لا ريب فيه وهذا القول الذي ذكرناه عن جابر بن عبد الله أشبه بتأويل الآية وذلك أن جميع ما أنزل الله عز وجل من آي القرآن على رسوله صلى الله عليه وسلم فانما أنزله عليه بيانا له ولامته وهدى للعالمين وغير جائز أن يكون فيه ما لا حاجة بهم اليه ولا أن يكون فيه ما بهم اليه الحاجة ثم لا يكون لهم الى علم تأويله سبيل فاذا كان ذلك كذلك فكل ما فيه لخلقه اليه الحاجة وان كان في بعضه ما بهم عن بعض معانيه الغنى وان اضطرته الحاجة اليه في معان كثيرة وذلك كقول الله عز وجل يوم يأتي

بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا فأعلم النبي صلى الله عليه وسلم أمته أن تلك الآية التي أخبر الله جل ثناؤه عباده أنها اذا جاءت لم ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل ذلك هي طلوع الشمس من مغربها فالذي كانت بالعباد اليه الحاجة من علم ذلك هو العلم منهم بوقت نفع التوبة بصفته بغير تحديده بعد بالسنين والشهور والأيام فقد بين الله ذلك لهم بدلالة الكتاب وأوضحه لهم على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم مفسرا والذي لا حاجة لهم الى علمه منه هو العلم بمقدار المدة التي بين وقت نزول هذه الآية ووقت حدوث تلك الآية فان ذلك مما لا حاجة بهم الى علمه في دين ولا دنيا وذلك هو العلم الذي استأثر الله جل ثناؤه به دون خلقه فحجبه عنهم وذلك وما أشبهه هو المعنى الذي طلبت اليهود معرفته في مدة محمد صلى الله عليه وسلم وأمته من قبل قوله الم والمص والر والمر ونحو ذلك من الحروف المقطعة المتشابهات التي أخبر الله جل ثناؤه أنهم لا يدركون تأويل ذلك من قبله وأنه لا يعلم تأويله الا الله فاذا كان المتشابه هو ما وصفنا فكل ما عداه فمحكم لانه لن يخلو من أن يكون محكما بأنه بمعنى واحد لا تأويل له غير تأويل واحد وقد استغنى بسماعه عن بيان مبينه أو يكون محكما وان كان ذا وجوه وتأويلات وتصرف في معان كثيرة فالدلالة على المعنى المراد منه اما من بيان الله تعالى ذكره عنه أو بيان رسوله صلى الله عليه وسلم لأمته ولن يذهب علم ذلك عن علماء الأمة لما قد بينا ۞ القول في تأويل قوله (هن أم الكتاب) قد أتينا على البيان عن تأويل ذلك بالدلالة الشاهدة على صحة ما قلنا فيه ونحن ذاكروا اختلاف أهل التأويل فيه وذلك أنهم اختلفوا في تأويله فقال بعضهم معنى قوله هن أم الكتاب هن اللائي فيهن الفرائض والحدود والأحكام نحو قلنا الذي قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنا عمران بن موسى القزاز قال ثنا عبد الوارث بن سعيد قال ثنا اسحق بن سويد عن يحيى بن يعمر أنه قال في هذه الآية محكمات هن أم الكتاب قال يحيى هن اللاتي فيهن الفرائض والحدود وعماد الدين وضرب لذلك مثلا فقال أم القرى مكة وأم خراسان مرو وأم المسافرين الذي يجعلون اليه أمرهم ويعنى بهم في سفرهم قال فذاك أمهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله هن أم الكتاب قال هن جماع الكتاب * وقال آخرون بل معنى بذلك فواتح السور التي منها يستخرج القرآن ذكر من قال ذلك حدثنا عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث بن سعيد قال ثنا اسحق بن سويد عن أبي فاختة أنه قال في هذه الآية منه آيات محكمات هن أم الكتاب قال أم الكتاب فواتح السور منها يستخرج القرآن الم ذلك الكتاب منها استخرجت البقرة والم الله لا اله الا هو منها استخرجت آل عمران ۞ القول في تأويل قوله (فأما الذين في قلوبهم زيغ) يعني بذلك جل ثناؤه فأما الذين في قلوبهم ميل عن الحق وانحراف عنه يقال منه زاغ فلان عن الحق فهو يزيغ عنه زيغا وزيغانا وزيغوغة وزيوغا وأزاغه الله اذا أماله فهو يزيغه ومنه قوله جل ثناؤه ربنا لا تزغ قلوبنا لا تملها عن الحق بعد اذ هديتنا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير فأما الذين في قلوبهم زيغ أي ميل عن الهدى حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله في قلوبهم زيغ قال شك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله

شائع في جميع الصيام قال العلماء قراءة الجمع أولى لمشاكلة ما قبله وما بعده وقيل قراءة الافراد أولى لان استغراق المفرد أشمل من استغراق الجمع ومن هنا قال ابن عباس الكتاب أكثر من الكتب ومن قرأ لانفرق بالنون فلا بد من اضمار أى يقولون لانفرق ومن قرأ بالياء على أن الفعل لكل فلا حاجة الى الاضمار ثم ان الجملة خبر بعد خبر أو حال وأحد في معنى الجمع أى بين كل منهم وبين آخر منهم فان النكرة في سياق النفي تعم ولذلك صلحت لدخول بين عليها وليس المراد بعدم التفريق عدم التفضيل لقوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض بل المراد عدم التفريق في الايمان بهم وفي اعتقاد نبوتهم لظهور المعجزات على أيديهم حسب دعاويهم والغرض منه تزييف معتقد اليهود والنصارى الذين يقرون بنبوة موسى وعيسى دون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعن أبي مسلم لانفرق ما جمعوا كقوله واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واعلم أن قوله آمن الرسول الى قوله بين أحد من رسله اشارة الى استكمال القوة النظرية بهذه المعارف الشريفة وقالوا سمعنا وأطعنا اشارة الى استكمال القوة العملية بالاعمال الفاضلة الكاملة أو نقول ان للانسان اياما ثلاثة الامس والبحث عنه يسمى معرفة المبدا واليوم والبحث عنه يسمى بالوسط والغد والفحص عنه يسمى بعلم المعاد فقوله آمن الرسول الى قوله من رسله اشارة الى معرفة المبدا وقالوا سمعنا وأطعنا اشارة الى الوسط وغفرانك ربنا واليك المصير علم المعاد ومثله في آخر سورة هود ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله وهو معرفة المبدا لان الكمالات الحقيقية ليست الا العلم والقدرة وقوله ولله غيب السموات والارض فيه بيان كمال العلم وقوله واليه يرجع الامر فيه كمال القدرة وأما علم الوسط وهو علم ما يجب أن يشتغل به اليوم فبدايته الاشتغال بالعبودية وهو قوله فاعبده ونهايته قطع النظر عن الاسباب وتفويض الامور كلها

الى مسبب الاسباب وهو قوله وتوكل عليه وأما علم المعاد فقوله وما ربك بغافل عما تعملون آى ليوم غد سيصل اليك فيه نتائج أعمالك ومثله سبحان ربك رب العزة عما يصفون وهو معرفة المبدإ وسلام على المرسلين وفيه اشارة الى علم الوسط والحمد لله رب العالمين اشارة الى علم المعاد كقوله وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين (١١٨) والوقوف على هذه الاسرار انما يكون بجذبة من ضيق عالم الاسرار الى فسحة عالم الانوار أونقول والمؤمنون كل آمن بالله اشارة الى الأحكام العقليات وقالوا سمعنا وأطعنا اشارة الى الاحكام السمعيات قال الواحدى أى سمعنا قوله وأطعنا أمره وقيل حذف المفعول صورة ومعنى ههنا أولى ليفيد أنه ليس فى الوجود قول يجب سمعه الاقوله ولا أمر تجب اطاعته الأأمره والسماع ههنا بمعنى القبول أى سمعناه بآذان عقولنا وعرفنا صحته وتيقنا ان كل تكليف ورد على لسان الملائكة والانبياء عليهم السلام فهو حق صحيح واجب قبوله ثم قال وأطعنا فدل هذا على أنه كما صح اعتقادهم فى هذه التكاليف فهم ما أخلوا بشى منها فجمع الله تعالى بهذين اللفظين كل ما يتعلق بأبواب التكاليف علما وعملا غفرانك مصدر منصوب باضمار فعله أى اغفر ويقال غفرانك اللهم لا كفرانك من قوله وما تفعلوا من خير فلن تكفروه أى لن تعدموا جزاءه وفى الكشاف أى نستغفرك ولا نكفرك وقيل معناه نسألك غفرانك فيكون مفعولا به والأشهر أنه مصدر حذف فعله وجوبا لكثرة الاستعمال وللاستغناء به عن فعله نحو سقيا ورعيا وههنا سؤال وهو أن القوم لما قبلوا التكاليف وعملوا به فأى حاجة بهم الى طلب المغفرة والجواب لعلهم خافوا أن يكون قد فرط منهم تقصير فيما يأتون ويذرون أو لعلهم كانوا يرتقون فى درجات العبودية فيستغفرون مما قد خلفوها ومن ههنا قيل حسنات الابرار سيآت المقربين وقد حمل قوله صلى الله عليه وسلم وانى لأستغفر الله فى اليوم سبعين مرة على مثل هذا

حدثنى المثنى قال ثنا عبدالله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فأما الذين فى قلوبهم زيغ قال من أهل الشك حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فاما الذين فى قلوبهم زيغ أما الزيغ فالشك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال زيغ شك قال ابن جريج الذين فى قلوبهم زيغ المنافقون ۞ القول فى تأويل قوله (فيتبعون ماتشابه منه) يعنى بقوله جل ثناؤه فيتبعون ما تشابه منه ما تشابهت ألفاظه وتصرفت معانيه بوجوه التأويلات ليحققوا بادعائهم الاباطيل من التأويلات فى ذلك ما هم عليه من الضلالة والزيغ عن محجة الحق تلبيسا منهم بذلك على من ضعفت معرفته بوجوه تأويل ذلك وتصاريف معانيه كما حدثنى المثنى قال ثنا عبدالله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فيتبعون ما تشابه منه فيحملون المحكم على المتشابه والمتشابه على المحكم ويلبسون فلبس الله عليهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير فيتبعون ما تشابه منه أى ما تحرف منه وتصرف ليصدقوا به ما ابتدعوا وأحدثوا ليكون لهم حجة على ما قالوا وشبهة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله فيتبعون ما تشابه منه قال الباب الذى ضلوا منه وهلكوا فيه ابتغاء تأويله * وقال آخرون فى ذلك بما حدثنى به موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله فيتبعون ما تشابه منه يتبعون المنسوخ والناسخ فيقولون ما بال هذه الآ... بها كذا وكذا مجاز هذه الآية فتركت الاولى وعمل بهذه الاخرى هلا كان العمل بهذه الآية ق... الاولى التى نسخت وماباله يعد العذاب من عمل عملا يعذبه النار وفى مكان آخر من عمله فانه لم يوجب النار واختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية فقال بعضهم عنى به الوفد من نصارى نجران الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاجوه بما حاجوه به وخاصموه بان قالوا ألست تزعم أن عيسى روح الله وكلمته وتأولوا فى ذلك ما يقولون فيه من الكفر ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال عمدوا يعنى الوفد الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من نصارى نجران فخاصموا النبى صلى الله عليه وسلم قالوا ألست تزعم أنه كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا فحسبنا فأنزل الله عز وجل فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ثم ان الله جل ثناؤه أنزل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم الآية * وقال آخرون بل أنزلت هذه الآية فى أبى ياسر بن أخطب وأخيه حيى بن أخطب والنفر الذين ناظروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قدر مدة أجله وأجل أمته وأرادوا علم ذلك من قبل قوله الم والمص والمر والر فقال الله جل ثناؤه فيهم فاما الذين فى قلوبهم زيغ يعنى هؤلاء اليهود الذين قلوبهم مائلة عن الهدى والحق فيتبعون ما تشابه منه يعنى معانى هذه الحروف المقطعة المحتملة التصريف فى الوجوه المختلفة التأويلات ابتغاء الفتنة وقد ذكرنا الرواية بذلك فيما مضى قبل فى أول السورة التى تذكر فيها البقرة * وقال آخرون بل عنى الله عز وجل بذلك كل مبتدع فى دينه بدعة مخالفة لما ابتعث به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بتأويل يتأوله من بعض آى

القرآن

القرآن المحتملة التأويلات وان كان الله قد أحكم بيان ذلك اما فى كتابه واما على لسان رسوله ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وكان قتادة اذا قرأ هذه الآية فأما الذين فى قلوبهم زيغ قال ان لم يكونوا الحرورية والسبئية فلا أدرى من هم ولعمرى لقد كان فى أهل بدر والحديبية الذين شهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان من المهاجرين والانصار خبر لمن استخبر وعبرة لمن استعبر لمن كان يعقل أو يبصر ان الخوارج خرجوا وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ كثير بالمدينة والشام والعراق وأزواجه يومئذ أحياء والله ان خرج منهم ذكر ولا أنثى حروريا قط ولا رضوا الذى هم عليه ولا مالؤهم فيه بل كانوا يحدثون بعيب رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم ونعته الذى نعتهم به وكانوا يبغضونهم بقلوبهم و يعادونهم بألسنتهم وتشتد والله عليهم أيديهم اذا لقوهم ولعمرى لو كان أمر الخوارج هدى لاجتمع ولكنه كان ضلالا فتفرق وكذلك الامر اذا كان من عند غير الله وجدت فيه اختلافا كثيرا فقد ألاصوا هذا الامر منذ زمان طويل فهل أفلحوا فيه يوما أو أنجحوا يا سبحان الله كيف لا يعتبر آخر هؤلاء القوم بأولهم لو كانوا على هدى قد أظهره الله وأفلجه ونصره ولكنهم كانوا على باطل أكذبه الله وأدحضه فهم كما رأيتهم كلما خرج لهم قرن أدحض الله حجتهم وأكذب أحدوثتهم وأهراق دماءهم وان كتموا كان قرحا فى قلوبهم وغما عليهم وان أظهروه أهراق الله دماءهم ذاكم والله دين سوء فاجتنبوه والله ان اليهودية لبدعة وان النصرانية لبدعة وان الحرورية لبدعة وان السبئية لبدعة ما نزل بهن كتاب ولا سنهن نبى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله طلب القوم التأويل فأخطؤا التأويل وأصابوا الفتنة فاتبعوا ما تشابه منه فهلكوا من ذلك لعمرى لقد كان فى أصحاب بدر والحديبية الذين شهدوا بيعة الرضوان وذكر نحو حديث عبد الرزاق عن معمر عنه حدثنى محمد بن خالد بن خداش و يعقوب بن ابراهيم قالا ثنا اسمعيل بن علية عن أيوب عن عبد الله بن أبى مليكة عن عائشة قالت قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى أنزل عليك الكتاب الى قوله وما يذكر الا أولو الالباب فقال فاذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر ابن سليمان قال سمعت أيوب عن عبد الله بن أبى مليكة عن عائشة أنها قالت قرأ نبى الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية هو الذى أنزل عليك الكتاب الى وما يذكر الا أولو الالباب قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رأيتم الذين يجادلون فيه أو قال يتجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم قال مطر عن أيوب انه قال فلا تجالسوهم فهم الذين عنى الله فاحذروهم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا أيوب عن ابن أبى مليكة عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحو معناه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب عن ابن ابى مليكة عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا الحرث عن أيوب عن ابن أبى مليكة عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات الآية كلها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه والذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله أولئك الذين قال الله فلا

ولان جميع الطاعات فى جنب مواجب حقوق الالهية جنايات وتقصير وقصور ولهذا حكى عن أهل الجنة دعواهم فيها سبحانك اللهم أى أنت منزه عن تسبيحنا وتقديسنا وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين أى كل الحمد لله وان كنا لا نقدر على فهم ذلك الحمد بعقولنا ولا على ذكره بألسنتنا ثم ان طلب هذا الغفران مقرون بأمرين أحدهما بالاضافة اليه والثانى بقوله (١١٩) ربنا أما القيد الاول فمعناه أطلب المغفرة منك وأنت الكامل فى هذه الصفة والمطموع من الكامل فى صفة أن يعطى عطية كاملة وما ذاك الا بان يغفر جميع الذنوب و يبدلها حسنات أو تكون الاضافة اشارة الى ما ورد فى الحديث ان لله تعالى مائة جزء من الرحمة قسم جزأ منها على الملائكة والجن والانس وجميع الحيوانات فبها يتراحمون و يتعاطفون وأخر تسعة وتسعين جزأ ليوم القيامة أو لعل العبد يقول كل صفة من صفاتك فانما يظهر أثرها فى محل معين فلولا الوجود بعد العدم لما ظهرت آثار قدرتك ولولا الترتيب العجيب والتأليف الانيق لما ظهرت آثار علمك ولولا جرم العبد وجنايته وعجزه وحاجته لم يظهر آثار مغفرتك ورأفتك فأنا أطلب الغفران الذى لا يمكن ظهوره الا فى حقى وفى حق أمثالى من المذنبين وأما القيد الثانى فمعناه ربيتنى اذ أوجدتنى مع انك لو لم تربنى فى ذلك الوقت لم أتضرر به لأنى كنت أبقى فى العدم والآن لو لم تربنى أتضرر به فأسألك أن لا تهملنى أو ربيتنى حين لم أذكرك بالتوحيد فكيف يليق بكرمك أن لا تربينى وقد أفنيت عمرى فى توحيدك أو ربيتنى فى الماضى فاجعل تربيتك لى فى الماضى شفيعا اليك فى أن تربينى فى المستقبل أو ربيتنى فيما مضى فأتمم هذه التربية فيما يستقبل فان اتمام المعروف خير من ابتدائه واليك المصير حيث لا حكم الا حكمك ولا يشفع أحد الا باذنك وفيه اعتراف بانه تعالى عالم بالجزئيات قادر على كل الممكنات له المحيا وله الممات قوله سبحانه لا يكلف الله نفسا الا وسعها

ان قلنا انه من تمام كلام المؤمنين فوجه النظم أنهم قالوا كيف لا نسمع ولا نطيع وانه تعالى لا يكلفنا الا ما في وسعنا وطاقتنا وان قلنا انه من كلام الله تعالى مستأنفا فالوجه انهم لما قالوا سمعنا وأطعنا ثم طلبوا المغفرة دل ذلك على أنه لا يصدر عنهم زلة الا على سبيل السهو والنسيان فلا جرم خفف الله تعالى عنهم ذلك اجابة (١٣٠) لدعائهم والوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه كالصلوات الخمس وصوم رمضان والحج فانه كان من امكان الانسان وطاقته أن يصلي أكثر من الخمس ويصوم أكثر من الشهر ويحج أكثر من حجة ولكنه تعالى ما جعل في الدين من حرج لكمال رحمته وشمول رأفته واعلم أن المعتزلة عولوا في نفي تكليف ما لا يطاق على هذه الآية ثم استنبطوا منها أصلين الاول أن العبد موجد لأفعال نفسه اذ لو كان بتخليق الله تعالى لم يكن للعبد قدرة على دفعها لضعف قدرته ولا على فعلها اذا الموجود لا يوجد ثانيا فتكليف العبد بالفعل يكون تكليف ما لا يطاق الثاني أن الاستطاعة قبل الفعل والا لكان المأمور بالايمان غير قادر عليه فيلزم تكليف ما لا يطاق أما الاشاعرة فقالوا تكليف من مات على الكفر كأبي لهب مع العلم بعدم ايمانه تكليف بالجمع بين النقيضين والجواب أن العلم بعدم الايمان ليس تكليفا بعدم الايمان حتى يلزم التكليف بالنقيضين والتكليف بأمر ممكن لذاته ممتنع لغيره غير التكليف بامر مستحيل لذاته الذي هو محل النزاع لكن الاشعري لما كانت حجته قوية عنده خصص الآية بانها انما وردت في التكاليف الممكنة اذ التكليف بالممتنع ليس تكليفا بالحقيقة وانما هو اعلام واشعار بانه خلق

وحيف

من أهل النار على أنه لو جعلت من قول المؤمنين لم يبق فيها حجة ويحتمل أن يقال لما حكاه عنهم في معرض المدح وجب أن يكونوا صادقين فيه (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) قال الواحدي ان الكسب والاكتساب واحد قال تعالى ولا تكسب كل نفس الا عليها وقيل الاكتساب

تجالسوهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن يزيد بن ابراهيم عن ابن أبي مليكة قال سمعت القاسم بن محمد يحدث عن عائشة قالت تلا النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب ثم قرأ الى آخر الآيات فقال اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم حدثنا علي بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم عن حماد بن سلمة عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة قالت نزع رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبعون ما تشابه منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حذركم الله فاذا رأيتموهم فاعرفوهم حدثنا علي قال ثنا الوليد عن نافع عن عمر عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتموهم فاحذروهم ثم نزع فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ولا يعملون بمحكمه حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال أخبرنا عمي قال أخبرني شبيب بن سعيد عن روح بن القاسم عن ابن أبي مليكة عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم فقال فاذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله فاحذروهم حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا خالد بن نزار عن نافع عن ابن أبي مليكة عن عائشة في هذه الآية هو الذي أنزل عليك الكتاب الآية يتبعها يتلوها ثم يقول فاذا رأيتم الذين يجادلون فيه فاحذروهم فهم الذين عنى الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن حماد بن سلمة عن ابن أبي مليكة عن القاسم عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب الى آخر الآية قال هم الذين سماهم الله فاذا رأيتموهم فاحذروهم * قال أبو جعفر والذي يدل عليه ظاهر هذه الآية أنها نزلت في الذين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمتشابه ما أنزل اليه من كتاب الله اما في أمر عيسى واما في مدة أجله وأجل أمته وهو بأن تكون في الذين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمتشابهه في مدته ومدة أمته أشبه لأن قوله وما يعلم تأويله الا الله دال على أن ذلك اخبار عن المدة التي أرادوا علمها من قبل المتشابه الذي لا يعلمه الا الله فأما أمر عيسى وأسبابه فقد أعلم الله ذلك نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته وبينه لهم فمعلوم أنه لم يعن الا ما كان خفيا عن الآحاد ۞ القول في تأويل قوله (ابتغاء الفتنة) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك ابتغاء الشرك ذكر من قال ذلك حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي ابتغاء الفتنة قال ارادة الشرك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله ابتغاء الفتنة يعني الشرك * وقال آخرون معنى ذلك ابتغاء الشبهات ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ابتغاء الفتنة قال الشبهات بها أهلكوا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ابتغاء الفتنة الشبهات قال هلكوا به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ابتغاء الفتنة قال الشبهات قال والشبهات ما أهلكوا به حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير ابتغاء الفتنة أي اللبس وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال معناه ارادة الشبهات واللبس فمعنى الكلام اذا فأما الذين في قلوبهم ميل عن الحق

وحيف عنه فيتبعون من آى الكتاب ماتشابهت ألفاظه واحتمل صرفه فى وجوه التأويلات باحتماله المعانى المختلفة ارادة اللبس على نفسه وعلى غيره احتجاجا به على باطله الذى مال اليه قلبه دون الحق الذى أبانه الله فأوضحه بالمحكمات من آى كتابه وهذه الآية وان كانت نزلت فيمن ذكرنا أنها نزلت فيه من أهل الشرك فانه معنى بها كل مبتدع فى دين الله بدعة فمال قلبه اليها تأويلا منه لبعض متشابه آى القرآن ثم حاج به وجادل به أهل الحق وعدل عن الواضح من أدلة آيه المحكمات ارادة منه بذلك اللبس على أهل الحق من المؤمنين وطلبا لعلم تأويل ماتشابه عليه من ذلك كائنا من كان وأى أصناف البدعة كان من أهل النصرانية كان أو اليهودية أو المجوسية أو كان سبئيا أو حروريا أو قدريا أو جهميا كالذى قال صلى الله عليه وسلم فاذا رأيتم الذين يجادلون به فهم الذين عنى الله فاحذروهم وكما حدثنى يونس قال أخبرنا سفيان عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس وذكر عنده الخوارج وما يلقون عند الفرار فقال يؤمنون بمحكمه ويهلكون عند متشابهه وقرأ ابن عباس ومايعلم تأويله الا الله الآية وانما قلنا القول الذى ذكرنا انه أولى التأويلين بقوله ابتغاء الفتنة لان الذين نزلت فيهم هذه الآية كانوا أهل شرك وانما أرادوا بطلب تأويل ماطلبوا تأويله اللبس على المسلمين والاحتجاج به عليهم ليصدوهم عما هم عليه من الحق فلا معنى لأن يقال فعلوا ذلك ارادة الشرك وهم قد كانوا مشركين ❁ القول فى تأويل قوله (وابتغاء تأويله) اختلف أهل التأويل فى معنى التأويل الذى عنى الله جل ثناؤه بقوله وابتغاء تأويله فقال بعضهم معنى ذلك الأجل الذى أرادت اليهود أن تعرفه من انقضاء مدة أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأمر أمته من قبل الحروف المقطعة من حساب الجمل كالم والمص والر والمر وما أشبه ذلك من الآجال ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس أما قوله ومايعلم تأويله الا الله يعنى تأويله يوم القيامة الا الله * وقال آخرون بل معنى ذلك عواقب القرآن وقالوا انما أرادوا أن يعلموا متى يجىء ناسخ الأحكام التى كان الله جل ثناؤه شرعها لأهل الاسلام قبل مجيئه فنسخ ماقد كان شرعه قبل ذلك ذكر من قال ذلك حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى وابتغاء تأويله أرادوا أن يعلموا تأويل القرآن وهو عواقبه قال الله ومايعلم تأويله الا الله وتأويله عواقبه متى يأتى الناسخ منه فينسخ المنسوخ * وقال آخرون معنى ذلك وابتغاء تأويل ماتشابه من آى القرآن يتأولونه اذ كان ذا وجوه وتصاريف فى التأويلات على مافى قلوبهم من الزيغ وماركبوه من الضلالة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير وابتغاء تأويله وذلك على ماركبوا من الضلالة فى قوله خلقنا وقضينا والقول الذى قاله ابن عباس من أن ابتغاء التأويل الذى طلبه القوم من المتشابه هو معرفة انقضاء المدة ووقت قيام الساعة والذى ذكرنا عن السدى من أنهم طلبوا وأرادوا معرفة وقت هو جاء قبل مجيئه أولى بالصواب وان كان السدى قد أغفل معنى ذلك من وجه صرفه الى حصره على أن معناه ان القوم طلبوا معرفة وقت مجىء الناسخ لما قد أحكم قبل ذلك وانما قلنا ان طلب القوم معرفة الوقت الذى هو جاء قبل مجيئه المحجوب علمه عنهم وعن غيرهم بمتشابه آى القرآن أولى بتأويل قوله وابتغاء تأويله لما قد دللنا عليه قبل من اخبار الله جل ثناؤه أن ذلك التأويل لايعلمه الا الله ولاشك أن معنى قوله

أخص لان الكسب لنفسه ولغيره والاكتساب مايكتسب لنفسه خاصة وقيل فى الاكتساب مزيد اعتمال وتصرف ولهذا خص بجانب الشر دلالة على أن العبد لايؤاخذ من السيئات الا بما عقد الهمة عليه وربط القلب به بخلاف الخير فانه يثاب عليه كيفما صدر عنه قالت المعتزلة فى الآية دليل على أن الخير والشر كلاهما مضاف الى العبد ولو كانا بتخليق الله تعالى لبطلت هذه الاضافة وجرى صدورأ فعاله منه مجرى لونه وطوله وشكله مما لاقدرة له عليه البتة ولانتفت فائدة التكليف وقد سبق تحقيق المسئلة مرارا وكذا تفسير الكسب وبيان المذاهب فيه فى تفسير قوله تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم واحتج الأصحاب بالآية على فساد القول بالمحابطة لانه تعالى بين أن لها ثواب ما كسبت وعليها عقاب ما اكتسبت وهذا صريح فى ان الاستحقاقين يجتمعان وأنه لا يلزم من طرو أحدهما زوال الآخر وقال الجبائى تقدير الآية لها ما كسبت من ثواب العمل الصالح اذا لم يبطله وعليها ما اكتسبت اذا لم يكفر بالتوبة وانما أضمرنا هذا الشرط لان الثواب منفعة دائمة والعقاب مضرة دائمة والجمع بينهما محال واحتج كثير من المتكلمين بالآية فى أن الله تعالى لايعذب الأطفال بذنوب آبائهم والفقهاء تمسكوا بها فى اثبات أن الاصل فى الاملاك البقاء والاستمرار وفرعوا عليه مسائل منها أن المضمونات لاتملك باداء الضمان لان المقتضى لبقاء الملك قائم وهو قوله لها ما كسبت والعارض الموجود اما الغصب واما الضمان وهما لايوجبان زوال الملك بدليل أم الولد والمدبر ومنها انه لاشفعة للجار لان المقتضى لبقاء الملك قائم وهو قوله لها ما كسبت عدلنا عن الدليل فى الشريك لكثرة تضرره بالشركة فيبقى فى الجار على الاصل ومنها أن القطع لايسقط الضمان لوجود المقتضى والقطع لايوجب زوال الملك بدليل ان المسروق متى كان باقيا وجب رده على المالك

وقضينا وفعلنا قد علم تأويله كثير من جهلة أهل الشرك فضلا عن أهل الايمان وأهل الرسوخ في العلم منهم ﴿ القول في تأويل قوله (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا) يعني جل ثناؤه بذلك وما يعلم وقت قيام الساعة وانقضاء مدة أجل محمد وأمته وما هو كائن الا الله دون من سواه من البشر الذين أملوا ادراك علم ذلك من قبل الحساب والتنجيم والكهانة وأما الراسخون في العلم فيقولون آمنا به كل من عند ربنا لا يعلمون ذلك ولكن فضل علمهم في ذلك على غيرهم العلم بان الله هو العالم بذلك دون من سواه من خلقه واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك وهل الراسخون معطوف على اسم الله بمعنى ايجاب العلم لهم بتأويل المتشابه أو هم مستأنف ذكرهم بمعنى الخبر عنهم أنهم يقولون آمنا بالمتشابه وصدقنا أن علم ذلك لا يعلمه الا الله فقال بعضهم معنى ذلك وما يعلم تأويل ذلك الا الله وحده منفردا بعلمه وأما الراسخون في العلم فانهم ابتدئ الخبر عنهم بأنهم يقولون آمنا بالمتشابه والمحكم وأن جميع ذلك من عند الله ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا خالد ابن نزار عن نافع عن ابن أبي مليكة عن عائشة قوله والراسخون في العلم يقولون آمنا به قالت كان من رسوخهم في العلم أن آمنوا بمحكمه ومتشابهه ولم يعلموا تأويله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال كان ابن عباس يقول وما يعلم تأويله الا الله يقول الراسخون آمنا به حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني ابن أبي الزناد قال قال هشام بن عروة كان أبي يقول في هذه الآية وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم ان الراسخين في العلم لا يعلمون تأويله ولكنهم يقولون آمنا به كل من عند ربنا حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى ابن واضح قال ثنا عبيد الله عن أبي نهيك الاسدي قوله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم فيقول انكم تصلون هذه الآية وانها مقطوعة وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا فانتهى علمهم الى قولهم الذي قالوا حدثنا المثنى قال ثنا ابن دكين قال ثنا عمرو بن عثمان بن عبد الله بن موهب قال سمعت عمر بن عبد العزيز يقول والراسخون في العلم انتهى علم الراسخين في العلم بتأويل القرآن الى أن قالوا آمنا به كل من عند ربنا حدثني يونس قال أخبرنا أشهب عن مالك في قوله وما يعلم تأويله الا الله قال ثم ابتدأ فقال والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وليس يعلمون تأويله * وقال آخرون بل معنى ذلك وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم وهم مع علمهم بذلك ورسوخهم في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس أنه قال أنا ممن يعلم تأويله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد والراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنا به حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد والراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنا به حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع والراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنا به حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير وما يعلم تأويله (١) الذي أراد ما أراد الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به ثم ردوا تأويل المتشابه على ما عرفوا

(١) قوله الذي أراد ما أراد الخ كذا في الاصل ولعلهما نسختان جمع بينهما الناسخ تأمل كتبه مصححه

من

ومنها ان منكري وجوب الزكاة احتجوا به والجواب أن دلائل وجوب الزكاة أخص والخاص مقدم على العام ثم انه تعالى حكى عن المؤمنين أربعة أنواع من الدعاء الأول ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ومعنى لا تؤاخذنا لا تعاقبنا وقد يكون فاعل بمعنى فعل نحو سافرت وعاقبت اللص وقيل معنى المشاركة ههنا ان الناسي قد أمكن من نفسه وطرّق السبيل اليها بفعله فصار من يعاقبه بذنبه كالمعين لنفسه في ايذاء نفسه وفي التفسير الكبير ان الله يأخذ المذنب بالذنب والمذنب يأخذ به بالعفو والكرم أي يتمسك عند الخوف من عذابه برحمته وهذا معنى المؤاخذة بين العبد والرب والمراد بالنسيان اما الترك وهو أن يترك الفعل لتأويل فاسد كما أن الخطأ هو أن يفعل الفعل لتأويل فاسد ومنه قوله تعالى نسوا الله فنسيهم أي تركوا العمل لله فترك أن يثيبهم واما ضد الذكر وأورد عليه أن النسيان والخطأ متجاوز عنهما في قوله صلى الله عليه وسلم رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه فما معنى الدعاء والجواب من وجوه الاول أن النسيان منه ما يعذر صاحبه فيه ومنه ما لا يعذر فمن رأى دما في ثوبه وأخر ازالته الى أن نسي فصلى وهو على ثوبه عد مقصرا اذ كان يلزمه المبادرة الى ازالته وكذا اذا تغافل عن تعاهد القرآن حتى نسي فانه يكون ملوما بخلاف ما لو واظب على القراءة ومع ذلك نسي فانه يكون معذورا وروي أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد أن يذكر حاجته شد خيطا في اصبعه فثبت أن الناسي قد لا يكون معذورا وذلك اذا ترك التحفظ وأعرض عن أسباب التذكر واذا كان كذلك صح طلب غفرانه بالدعاء والحاصل أنه ذكر النسيان والخطا والمراد بهما ما هما مسببان عنهما من التفريط والاغفال الثاني أن هذا على سبيل الفرض والتقدير وذلك أنهم كانوا متقين لله حق تقاته فما كان يصدر

من تأويل المحكمة التي لا تأويل لأحد فيها الا تأويل واحد فاتسق بقولهم الكتاب وصدق بعضه بعضا فنفذت به الحجة وظهر به العذر وزاح به الباطل ودمغ به الكفر فمن قال القول الاول في ذلك وقال ان الراسخين لا يعلمون تأويل ذلك وانما أخبر الله عنهم بايمانهم وتصديقهم بأنه من عند الله فانه يرفع الراسخين في العلم بالابتداء في قول البصريين ويجعل خبره يقولون آمنا به وأما في قول بعض الكوفيين فبالعائد من ذكرهم في يقولون وفي قول بعضهم بجملة الخبر عنهم وهي يقولون ومن قال القول الثاني وزعم أن الراسخين يعلمون تأويله عطف بالراسخين على اسم الله فرفعهم بالعطف عليه والصواب عندنا في ذلك أنهم مرفوعون بجملة خبرهم بعدهم وهو يقولون لما قد بينا قبل من أنهم لا يعلمون تأويل المتشابه الذي ذكره الله عز وجل في هذه الآية وهو فيما بلغني مع ذلك في قراءة أبيّ ويقول الراسخون في العلم كما ذكرناه عن ابن عباس أنه كان يقرأه وفي قراءة عبد الله ان تأويله الا عند الله والراسخون في العلم يقولون وأما معنى التأويل في كلام العرب فانه التفسير والمرجع والمصير وقد أنشد بعض الرواة بيت الأعشى

على أنها كانت تأول حبها * تأول ربعيّ السقاب فأصحبا

وأصله من آل الشئ الى كذا اذا صار اليه ورجع يؤول أولا وأولته أنا صيرته اليه وقد قيل ان قوله وأحسن تأويلا أي جزاء وذلك أن الجزاء هو الذي آل اليه أمر القوم وصار اليه ويعني بقوله تأول حبها تفسير حبها ومرجعه وانما يريد بذلك أن حبها كان صغيرا في قلبه فآل من الصغر الى العظم فلم يزل ينبت حتى أصحب فصار قديما كالسقب الصغير الذي لم يزل يشب حتى أصحب فصار كبيرا مثل أمه وقد ينشد هذا البيت

على أنها كانت (١) توابع حبها * توالي ربعيّ السقاب فأصحبا

❁ القول في تأويل قوله (والراسخون في العلم يقولون آمنا به) يعني بالراسخين في العلم العلماء الذين قد أتقنوا علمهم ووعوه فحفظوه حفظا لا يدخلهم في معرفتهم وعلمهم بما علموه شك ولا لبس وأصل ذلك من رسوخ الشئ في الشئ وهو ثبوته وولوجه فيه يقال منه رسخ الايمان في قلب فلان فهو يرسخ رسخا ورسوخا وقد روي في نعتهم خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما حدثنا موسى بن سهل الرملي قال ثنا محمد بن عبد الله قال ثنا فياض بن محمد الرقي قال ثنا عبد الله بن يزيد بن آدم عن أبي الدرداء وأبي أمامة قالا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الراسخ في العلم قال من برت يمينه وصدق لسانه واستقام به قلبه وعف بطنه فذلك الراسخ في العلم حدثني المثنى وأحمد بن الحسن الترمذي قالا ثنا نعيم بن حماد قال ثنا فياض الرقي قال ثنا عبد الله بن يزيد الأودي قال وكان أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حدثنا أنس بن مالك وأبو أمامة وأبو الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الراسخين في العلم فقال من برت يمينه وصدق لسانه واستقام به قلبه وعف بطنه وفرجه فذلك الراسخ في العلم وقد قال جماعة من أهل التأويل انما سمى الله عز وجل هؤلاء القوم الراسخين في العلم بقولهم آمنا به كل من عند ربنا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس قال الراسخون في العلم يقولون آمنا به قال الراسخون الذين يقولون آمنا به كل من عند ربنا حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي

(١) قوله توابع حبها كذا في الأصل وحرر

عنهم ما لا ينبغي الا على وجه الخطا والنسيان فكان وصفهم بالدعاء بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به فكأنه قيل ان كان النسيان مما يجوز المؤاخذة به فلا تؤاخذنا به الثالث أن العلم بأن النسيان مغفور لا يمنع من حسن طلبه بالدعاء فربما يدعو الانسان بما يعلم أنه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله اما لاستدامته واما لاعتداد تلك النعمة أو لغير ذلك كقوله قل رب احكم بالحق ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك وقالت الملائكة فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك الرابع أن مؤاخذة الناسي غير ممتنعة عقلا وانما عرف عدم المؤاخذة بالآية والحديث فلما كان ذلك جائزا في العقل حسن طلب المغفرة منه بالدعاء وقد يتمسك به من يجوز تكليف ما لا يطاق فيقول الناسي غير قادر على الاحتراز عن الفعل فلولا أنه جائز من الله تعالى عقلا لما أرشد الله تعالى الى طلب ترك المؤاخذة عليه وقد يستدل به على حصول العفو لأهل الكبائر قالوا ان النسيان والخطأ لا بد أن يفسرا بما فيه العمد والقصد الى فعل ما لا ينبغي اذ لو فسرا بما لا عمد فيه فالمؤاخذة على ذلك قبيحة عند الخصم وما يقبح من الله فعله يمتنع طلب تركه بالدعاء واذا فسرا بما ذكرنا وقد أمر الله المسلمين أن يدعوه بترك المؤاخذة على تعمد المعصية دل ذلك على أنه يعطيهم هذا المطلوب فيكون العفو لصاحب الكبيرة مرجوا * النوع الثاني من الدعاء ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا الاصر الثقل والشدة ثم يسمى العهد اصرا لانه ثقيل والاصر العطف لان من عطفت عليه ثقل على قلبك ما يصل اليه من المكاره يقال ما تأصرني على فلان آصرة أي ما تعطفني عليه قرابة ولا رحمة والمعنى لا تشدد علينا في التكاليف كما شددت على من قبلنا من اليهود قال المفسرون ان الله تعالى فرض عليهم خمسين صلاة وأمرهم بأداء ربع أموالهم في الزكاة ومن أصاب ثوبه نجاسة قطعها وكان عذابهم معجلا في الدنيا فأجاب الله

تعالى دعاءهم كما قال و يضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم وقال صلى الله عليه وسلم رفع عن أمتى المسخ والخسف والغرق وانما طلبوا هـذا التخفيف لان التشديد مظنة التقصير والتقصير موجب العقوبة وقيل معناه لاتحمل علينا عهدا أو ميثاقا يشبه ميثاق من قبلنا فى الغلظ والشدة وهو قريب من الاول قال بعض العلماء اليهود لما كانت الفظاظة وغلظ القلب غالبة عليهم كانت مصالحهم فى التكاليف الشـديدة الشاقة وهذه الامة الرقة وكرم الخلق غالبة عليهم فكانت مصلحتهم فى التخفيف وترك التغليظ وأما ان اليهود لم خصت بغلظ الطبع وهـذه الامة باللطافـة والكرم فليس الينا أن نعلم تفاصيل جميع الكائنات ومالا يدرك كله لا يترك كله * النوع الثالث من الدعاء ربنا ولاتحملنا مالا طاقة لنا به ومن الاصحاب من تمسـك به فى جـواز تكليف ما لا يطاق اذ لولم يكن جائزا لما حسن طلب تركه بالدعاء وأجاب المعتزلة عنه بان معنى قوله لا طاقة لنا أى ما يشق فعله لا الذى لاقدرة لنا عليه وفى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى المملوك له طعامـه وكسوته ولا يكلف من العمل الا ما يطيق أى لا يشـق عليـه وزيف بأن معناه ومعنى الآية المتقدمة يكون حينئذ واحـدا فعدلوا عن ذلك وقالوا المراد منه العذاب أى لاتحملنا عذابك الذى لانطيق احتماله سلمنا أنهم سألوا الله تعالى أن لا يكلفهم مالاقدرة لهم عليـه لكن ذلك لا يدل عـلى جواز أن يفعل خلاف ذلك كما أن قوله رب احكم بالحق لا يدل على جواز أن يحكم بباطل وكذا قول ابراهيم صلى الله عليه وسـلم ولاتخزنى يوم يبعثون لا يدل على أن خزى الانبياء جائز قيل لم خص التكليف الشاق بالحمل والتكليف الذى لاقدرة عليه بالتحميل وأجيب بان الحاصل فيما لا يطاق هو التحميل دون الحمل قيل لما طلب أن لا يكلفه بالفعل الشاق كان من لوازمه أن لا يكلفه بما لا يطاق فكان المناسب طرح هذا الدعاء لا أقل

منهم

والراسخون فى العـلم هم المؤمنون فانهـم يقولون آمنا به بناسخه ومنسوخه كل من عند ربنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس قال عبـد الله بن سـلام الراسخون فى العلم وعلمهم قولهم قال ابن جريج الراسخون فى العـلم يقولون آمنا به وهم الذين يقولون ربنا لاتزغ قلوبنـا و يقولون ربنا انك جامع الناس ليوم لاريب فيـه الآية * وأما تأويل قوله يقولون آمنا به فانه يعنى أن الراسخين فى العـلم يقولون صـدقنا بما تشابه من آى الكتاب وأنه حق وان لم نعلم تأويله وقـد حدثنى أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سلمة بن نبيط عن الضحاك والراسخون فى العلم يقولون آمنا به قال المحكم والمتشابه ۞ القول فى تأويل قوله (كل من عند ربنا) يعنى بقوله جل ثناؤه كل من عنـد ربنا كل المحكم من الكتاب والمتشابه منه من عند ربنا وهو تنزيله و وحيه الى نبيه محمد صلى الله عليه وسـلم كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله كل من عنـد ربنا قال يعنى ما نسخ منه وما لم ينسخ حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سـعيد عن قتادة قوله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العـلم قالوا كل من عند ربنـا آمنوا بمتشابهه وعملوا بمحكمه حدثت عن عمار بن الحسـن قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيـه عن الربيع قوله كل من عند ربنا يقولون المحكم والمتشابه من عنـد ربنا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيـه عن ابن عباس والراسخون فى العـلم يقولون آمنا به كل من عنـد ربنا يؤمن بالمحكم و يدين به و يؤمن بالمتشابه ولا يدين به وهو من عنـد الله كله حدثنا يحيى بن أبى طـالب قال ثنا يزيد قال أخـبرنا جويبر عن الضحاك فى قوله والراسخون فى العـلم يعلمون به يقولون نعمل بالمحكم ونؤمن به ونؤمن بالمتشابه ولا نعمـل به وكل من عنـد ربنا * واختلف أهل العربية فى حكم كل اذا أضمر فيها فقال بعض نحويى البصريين (١) اذا جاز حذف المراد الذى كان معها الذى الكل اليه مضاف فى هذا الموضع لانها اسم كما قال انا كل فيها بمعنى انا كلنا فيها قال ولا يكون كل مضمرا فيها وهى صـفة لا يقال مررت بالقوم كل وانما يكون فيها مضمـرا اذا جعلتها اسمـا لو كان انا كلا فيها على الصـفة لم يجز لأن الاضمار فيها ضعيف لا يتمكن فى كل مكان وكان بعض نحويى الكوفيين يرى الاضمار فيها وهى صـفة أو اسم سواء لانه غير جائز أن يحذف ما بعدها عنده الا وهى كافيـة بنفسها عما كانت تضاف اليه من المضمر وغـير جائز أن تكون كافية منه فى حال ولا تكون كافية فى أخرى وقال سبيل الكل والبعض فى الدلالة على ما بعدهما بانفسهما وكفايتهما منه بمعنى واحد فى كل حال صفة كانت أو اسمـا وهذا القول الثانى أولى بالقياس لأنها اذا كانت كافية بنفسها مما حذف منها فى حال لدلالتها عليها فالحكم فيها أنها كلما وجدت دالة على ما بعدها فهى كافية منه ۞ القول فى تأويل قوله (وما يذكر الا أولو الالباب) يعنى بذلك جل ثناؤه وما يتذكر و يتعظ و ينزجر عن أن يقول فى متشابه آى كتاب الله ما لا علم له به الا أولو العقول والنهى وقد حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير وما يذكر الا أولو الالباب يقول وما يذكر فى مثـل هذا يعنى فى رد تأويل المتشابه الى ما قد عرف من تأويل المحكم حتى يتسقا على معنى واحد الا أولو الالبـاب ۞ القول فى تأويل قوله (ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هـديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب) يعنى بذلك جل ثناؤه أن الراسخين فى العلم يقولون آمنا بما تشابه من آى كتاب الله وانه والمحـكم من آيه من تنزيل ربنا و وحيه و يقولون أيضا ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا يعنى أنهم يقولون رغبة

(١) لعل اذا زائدة من قلم الناسخ تأمل كتبه مصححه

منهم الى ربهم فى أن يصرف عنهم ما ابتلى به الذين زاغت قلوبهم من اتباع متشابه آى القرآن ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله الذى لا يعلمه غير الله ياربنا لا تجعلنا مثل هؤلاء الذين زاغت قلوبهم عن الحق فصدوا عن سبيلك لا تزغ قلوبنا لا تملها فتصرفها عن هداك بعد اذ هديتنا له فوفقتنا للايمان بمحكم كتابك ومتشابهه وهب لنا ياربنا من لدنك رحمة يعنى من عندك رحمة يعنى بذلك هب لنا من عندك توفيقا وثباتا للذى نحن عليه من الاقرار بمحكم كتابك ومتشابهه انك أنت الوهاب يعنى انك أنت المعطى عبادك التوفيق والسداد للثبات على دينك وتصديق كتابك ورسلك كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا أى لا تمل قلوبنا وان ملنا بأجسادنا وهب لنا من لدنك رحمة وفى مدح الله جل ثناؤه هؤلاء القوم بما مدحهم به من رغبتهم اليه فى أن لا يزيغ قلوبهم وأن يعطيهم رحمة منه معونة لهم للثبات على ما هم عليه من حسن البصيرة بالحق الذى هم عليه مقيمون ما أبان عن خطا قول الجهلة من القدرية ان ازاغة الله قلب من أزاغ قلبه من عباده عن طاعته وامالته له عنها جور لأن ذلك لو كان كما قالوا لكان الذين قالوا ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا بالذم أولى منهم بالمدح لأن القول لو كان كما قالوا لكان القوم انما سألوا ربهم مسألتهم اياه أن لا يزيغ قلوبهم أن لا يظلمهم ولا يجور عليهم وذلك من السائل جهل لان الله جل ثناؤه لا يظلم عباده ولا يجور عليهم وقد أعلم عباده ذلك ونفاه عن نفسه بقوله وما ربك بظلام للعبيد ولا وجه لمسألته أن يكون بالصفة التى قد أخبرهم أنه بها وفى فساد ما قالوا من ذلك الدليل الواضح على أن عدلا من الله عز وجل ازاغة من ازاغ قلبه من عباده عن طاعته فلذلك استحق المدح من رغب اليه فى أن لا يزيغه لتوجيهه الرغبة الى أهلها ووضعه مسألته موضعها مع تظاهر الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم برغبته الى ربه فى ذلك مع محله منه وكرامته عليه حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك ثم قرأ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا الى آخر الآية حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أسماء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنا المثنى قال ثنا الحجاج ابن المنهال قال ثنا عبد الحميد بن بهرام الفزارى قال ثنا شهر بن حوشب قال سمعت أم سلمة تحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر فى دعائه أن يقول اللهم مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك قالت قلت يارسول الله وان القلب ليقلب قال نعم ما خلق الله من بشر من بنى آدم الا وقلبه بين اصبعين من أصابعه فان شاء أقامه وان شاء أزاغه فنسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد اذ هدانا ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة انه هو الوهاب قالت قلت يارسول الله ألا تعلمنى دعوة أدعو بها لنفسى قال بلى قولى اللهم رب النبى محمد اغفرلى ذنبى وأذهب غيظ قلبى وأجرنى من مضلات الفتن حدثنى محمد بن منصور الطوسى قال ثنا محمد بن عبد الله الزبيرى قال ثنا سفيان عن الأعمش عن أبى سفيان عن جابر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك فقال له بعض أهله يخاف علينا وقد آمنا بك وبما جئت به قال ان القلب بين اصبعين من أصابع الرحمن تبارك وتعالى يقول به هكذا وحرك أبو أحمد اصبعيه قال أبو جعفر وان الطوسى وسق بين اصبعيه حدثنى

من عكس الترتيب والجواب على تفسير المعتزلة ظاهر أى لا تحملنا عذابك فانهم طلبوا الاعفاء عن التكليفات الشاقة التى كلفها من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم فى المحافظة عليها وأما على تفسير الاشاعرة فهو أنهم سألوا أن لا يكلفهم تكليفا شاقا مقيدا وهو التكليف بما كلف من قبلهم ثم سألوا أن لا يكلفهم التكليف الشاق الذى لا قدرة لهم عليه مطلقا سواء كلف بذلك من قبلهم أم لا وقيل الاول طلب ترك التشديد فى مقام القيام بظاهر الشريعة والثانى طلب ذلك فى مقام الحقيقة وهو مقام الاشتغال بمعرفة الله وخدمته وطاعته وشكر نعمه أى لا تطلب منى حمدا يليق بجلالك ولا شكرا يليق بآلائك ونعمائك ولا معرفة تليق بقدس عظمتك وكمالك وأما الفائدة فى حكاية هذه الأدعية بصيغة الجمع فى لا تؤاخذنا ولا تحمل علينا فذلك أنه اذا اجتمعت النفوس والهمم على شئ كان حصوله أرجى * النوع الرابع من الدعاء واعف عنا واغفرلنا وارحمنا وانما حذف النداء وهو قوله ربنا ههنا لان النداء يشعر بالبعد فترك النداء يؤذن بأن العبد اذا واظب على التضرع والدعاء نال مقام القربة والزلفى من الله والفرق بين العفو والمغفرة والرحمة أن العفو اسقاط العذاب والمغفرة أن يستر عليه بعد ذلك جرمه صونا له عن عذاب التخجيل والفضيحة فان الخلاص من عذاب النار انما يطيب اذا حصل عقيبه الخلاص من عذاب الفضيحة فالاول هو العذاب الجسمانى والثانى هو العذاب الروحانى وبعد التخلص منهما أقبل على طلب الثواب وهو أيضا قسمان جسمانى هو نعيم الجنة وطيباتها وهو قوله وارحمنا وروحانى وهو اقبال العبد بكليته على مولاه وهو قوله أنت مولانا ففيه الاعتراف بأنه سبحانه هو المتولى لكل نعمة ينالونها وهو المعطى لكل مكرمة يفوزون بها وأنهم بمنزلة الطفل الذى لا تتم مصلحته الا بتدبير قيمه والعبد الذى لا ينتظم شمل

مهمائه الا باصلاح مولاه وبهذا الاعتراف يحق الوصول الى الحق من عرف نفسه أى بالامكان والنقصان عرف ربه أى بالوجوب والتمام ثم اذا وصل الى الحق أعرض بالكلية عما سواه وهو قوله فانصرنا على القوم الكافرين أعنا على قهر كل من خالفك وناوالك وعلى غلبة القوى الجسمانية الداعية الى ماسوالك * عن رسول الله (١٣٦) صلى الله عليه وسلم السورة التى تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه وعنه صلى الله عليه وسلم أوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبى قبلى وعنه صلى الله عليه وسلم أنزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق بألفى سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة أجزأتاه عن قيام الليل وروى الواحدى عن مقاتل بن سليمان أنه لما أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم الى السماء أعطى خواتيم سورة البقرة فقالت الملائكة له ان الله عزوجل أكرمك بحسن الثناء بقوله آمن الرسول فاسأله وارغب اليه فعلمه جبريل عليه السلام كيف يدعو فقال النبى صلى الله عليه وسلم غفرانك ربنا فقال الله قد غفرت لكم فقال لا تؤاخذنا فقال الله لا أؤاخذكم فقال لا تحمل علينا اصرا فقال لا أشدد عليكم فقال لا تحملنا مالا طاقة لنا به فقال لا أحملكم ذلك فقال واعف عنا واغفر لنا وارحمنا فقال الله قد عفوت عنكم وغفرت لكم وانصركم على القوم الكافرين وفى بعض الروايات ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان يذكر هذه الدعوات والملائكة كانوا يقولون آمين ((التأويل)) الانسان مركب من عالمى الامر والخلق له روح نورانى من عالم الامر والملكوت وله نفس ظلمانية من عالم الخلق والملك ولكل منهما نزاع وشوق الى عالمه فغاية بعثة الانبياء تزكية النفوس عن ظلمة أوصافها

سعيد بن يحيى الاموى قال ثنا أبو معاوية قال ثنا الأعمش عن أبى سفيان عن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك قلنا يا رسول الله قد آمنا بك وصدقنا بما جئت به فيخاف علينا قال نعم ان القلوب بين اصبعين من أصابع الله يقلبها تبارك وتعالى حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا بشر بن بكر و حدثنى على بن سهل قال ثنا أيوب بن بشر جميعا عن ابن جابر قال سمعت بشر بن عبيد الله قال سمعت أبا ادريس الخولانى يقول سمعت النواس بن سمعان الكلابى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قلب الا بين اصبعين من أصابع الرحمن ان شاء أقامه وان شاء أزاغه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك والميزان بيد الرحمن يرفع أقواما ويخفض آخرين الى يوم القيامة حدثنى عمرو بن عبد الملك الطائى قال ثنا محمد بن عبيدة قال ثنا الجراح بن مليح البهرانى عن الزبيدى عن جويبر عن سمرة بن فاتك الأسدى وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الموازين بيد الله يرفع أقواما ويضع أقواما وقلب ابن آدم بين اصبعين من أصابع الرحمن ان شاء أزاغه وان شاء أقامه حدثنى المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن حيوة بن شريح قال أخبرنى أبو هانئ الخولانى أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلى يقول سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بنى آدم كلها بين اصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرف كيف يشاء ثم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا الى طاعتك حدثنا الربيع بن سليمان قال ثنا أسد بن موسى قال ثنا عبد الحميد ابن بهرام قال ثنا شهر بن حوشب قال سمعت أم سلمة تحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر فى دعائه أن يقول اللهم ثبت قلبى على دينك قالت قلت يا رسول الله وان القلوب لتقلب قال نعم ما من خلق الله من بنى آدم بشر الا أن قلبه بين اصبعين من أصابع الله ان شاء أقامه وان شاء أزاغه فنسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد اذ هدانا ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة انه هو الوهاب ۞ القول فى تأويل قوله (ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد) يعنى بذلك جل ثناؤه أنهم يقولون أيضا مع قولهم آمنا بما تشابه من آى كتاب ربنا كل المحكم والمتشابه الذى فيه من عند ربنا يا ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد وهذا من الكلام الذى استغنى بذكر ما ذكر منه عما ترك ذكره وذلك أن معنى الكلام ربنا انك جامع الناس ليوم القيامة فاغفر لنا يومئذ واعف عنا فانك لا تخلف وعدك أن من آمن بك واتبع رسولك وعمل بالذى أمرته به فى كتابك أنك غافره يومئذ وانما هذا من القوم مسألة ربهم أن يثبتهم على ما هم عليه من حسن (٣) نصرتهم بالايمان بالله ورسوله وما جاءهم به من تنزيله حتى يقبضهم على أحسن أعمالهم وايمانهم فانه اذا فعل ذلك بهم وجبت لهم الجنة لانه قد وعد من فعل ذلك به من عباده أنه يدخله الجنة فالآية وان كانت قد خرجت مخرج الخبر فان تأويلها من القوم مسألة ودعاء ورغبة الى ربهم وأما معنى قوله ليوم لا ريب فيه فانه لا شك فيه وقد بينا ذلك بالأدلة على صحته فيما مضى قبل ومعنى قوله ليوم فى يوم وذلك يوم يجمع الله فيه خلقه لفصل القضاء بينهم فى موقف العرض والحساب والميعاد المفعال من الوعد ۞ القول فى تأويل قوله (ان الذين كفروا

لن

وتحليتها بأنوار الارواح وحاصل تسويل الشيطان عكس هذه القضية واليه الاشارة في قوله ان تبدوا ما في أنفسكم مودع من أنوار الاخلاق الروحانية في الظاهر بأعمال الشريعة وفي الباطن بأحوال الحقيقة أو تخفوه بابراز ظلمات الاوصاف النفسية في الظاهر بمخالفات الشريعة وفي الباطن بموافقات الطبيعة يحاسبكم به الله بطهارة النفس لقبول أنوار الروح أو بتلوث الروح لقبول ظلمات النفس فيغفر لمن يشاء فينور نفسه بأنوار الروح وروحه بأنوار الحق ويعذب من يشاء فيعاقب نفسه بنار دركات السعير وروحه بنار فرقة العلي الكبير والله على كل شئ من اظهار اللطف والقهر على تركيب عالمي الأمر والخلق قدير لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم الى سدرة المنتهى وبلغ المقصد الأعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى أكرم بالسلام قبل الكلام فقيل السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فأجاب صلى الله عليه وسلم بقوله السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فقيل له آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه فقال من كمال رأفته بامته والمؤمنون كل آمن بالله الى قوله سمعنا وأطعنا فقال الله تعالى ما يطلبون مني في جزاء السمع والطاعة فقال النبي صلى الله عليه وسلم غفرانك ربنا واليك المصير ما يطلبون الآن تسترهم بسربال فضلك ويكون مصيرهم اليك لا الى غيرك كما كان مصيري اليك لا الى من سواك قال الله في جوابه لا يكلف الله نفسا الا وسعها انك في مقام لا يسعك فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل ولهذا قال لك جبريل لو دنوت أنملة لاحترقت وان الانبياء والمرسلين الذين اصطفيناهم على العالمين وكل طائفة منهم في سماء واقفون حبستهم برحمتي كيلا تحرقهم سبحات وجهي وسطوات قهري فكيف أكلف أمتك المذنبة المرحومة بهذا المصير وأنا بضعف حالهم بصير وانما بلغك هذا المقام حتى جاوزت الرسل الكرام أن

لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ وأولئك هم وقود النار) يعني جل ثناؤه بقوله ان الذين كفروا ان الذين جحدوا الحق الذي قد عرفوه من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من يهود بني اسرائيل ومنافقيهم ومنافقي العرب وكفارهم الذين في قلوبهم زيغ فهم يتبعون من كتاب الله المتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ يعني بذلك أن أموالهم وأولادهم لن تنجيهم من عقوبة الله ان أحلها بهم عاجلا في الدنيا على تكذيبهم بالحق بعد تبينهم واتباعهم المتشابه طلب اللبس فتدفعها عنهم ولا يغني ذلك عنهم منها شيأ وهم في الآخرة وقود النار يعني بذلك حطبها ۞ القول في تأويل قوله (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب) يعني بذلك جل ثناؤه ان الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ عند حلول عقوبتنا بهم كسنة آل فرعون وعادتهم والذين من قبلهم من الأمم الذين كذبوا بآياتنا فأخذناهم بذنوبهم فأهلكناهم حين كذبوا بآياتنا فلن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ حين جاءهم بأسنا كالذين عوجلوا بالعقوبة على تكذيبهم ربهم من قبل آل فرعون من قوم نوح وقوم هود وقوم لوط وأمثالهم واختلف أهل التأويل في تأويل قوله كدأب آل فرعون فقال بعضهم معناه كسنتهم ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق بن الحجاج قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله كدأب آل فرعون يقول كسنتهم * وقال بعضهم معناه كعملهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان وحدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان جميعا عن جويبر عن الضحاك كدأب آل فرعون قال كعمل آل فرعون حدثنا يحيى بن أبي طالب قال ثنا يزيد قال ثنا جويبر عن الضحاك في قوله كدأب آل فرعون قال كعمل آل فرعون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله كدأب آل فرعون قال كفعلهم كتكذيبهم حين كذبوا الرسل وقرأ قول الله مثل دأب قوم نوح أن يصيبكم مثل الذي أصابهم عليه من عذاب الله قال الدأب العمل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة يحيى بن واضح عن أبي حمزة عن جابر عن عكرمة ومجاهد في قوله كدأب آل فرعون قال كفعل آل فرعون كشأن آل فرعون حدثت عن المنجاب قال ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله كدأب آل فرعون قال كصنع آل فرعون * وقال آخرون معنى ذلك كتكذيب آل فرعون ذكر من قال ذلك حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم ذكر الذين كفروا وأفعال تكذيبهم كمثل تكذيب الذين من قبلهم في الجحود والتكذيب وأصل الدأب من دأبت في الامر دأبا اذا أدمنت العمل والتعب فيه ثم ان العرب نقلت معناه الى الشأن والامر والعادة كما قال امرؤ القيس بن حجر

وان شفائي عبرة مهراقة * فهل عند رسم دارس من معول

كدأبك من أم الحويرث قبلها * وجارتها أم الرباب بمأسل

يعني بقوله كدأبك كشأنك وأمرك وفعلك يقال منه هذا دأبي ودأبك أبدا يعني به فعلي وفعلك وأمري وأمرك وشأني وشأنك يقال منه دأبت دؤ وباودأبا وحكي عن العرب سماعا دأبت دأبا مثقلة محركة الهمزة كما قيل هذا شعر و بهر فتحرك ثانيه لانه حرف من الحروف الستة فألحق الدأب اذ كان ثانيه من الحروف الستة كما قال الشاعر

له نعل لايطبي الكلب ريحها * وان وضعت بين المجالس شمت

وأما قوله والله شديد العقاب فانه يعني به والله شديد عقابه لمن كفر به وكذب رسله بعد قيام الحجة عليه

❁ القول في تأويل قوله (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد) اختلفت القراء في ذلك فقرأه بعضهم قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون بالتاء على وجه الخطاب للذين كفروا بانهم سيغلبون واحتجوا لاختيارهم قراءة ذلك بالتاء بقوله قد كان لكم آية في فئتين قالوا ففي ذلك دليل على أن قوله ستغلبون كذلك خطاب لهم وذلك هو قراءة عامة قراء الحجاز والبصرة و بعض الكوفيين وقد يجوز لمن كانت نيته في هذه الآية أن الموعودين بان يغلبوا هم الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بان يقول ذلك لهم أن يقرأه بالياء والتاء لان الخطاب بالوحي حين نزل لغيرهم فيكون نظير قول القائل في الكلام قلت للقوم انكم مغلوبون وقلت لهم انهم مغلوبون وقد ذكر أن في قراءة عبد الله قل للذين كفروا ان تنتهوا يغفر لكم وهي في قراءتنا ان ينتهوا يغفر لهم وقرأت ذلك جماعة من قراء أهل الكوفة سيغلبون ويحشرون على معنى قل لليهود سيغلب مشركو العرب و يحشرون الى جهنم ومن قرأ ذلك كذلك على هذا التأويل لم يجز في قراءته غير الياء والذي نختار من القراءة في ذلك قراءة من قرأه بالتاء بمعنى قل يا محمد للذين كفروا من يهود بني اسرائيل الذين يتبعون ما تشابه من آي الكتاب الذي أنزلته اليك ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد وانما اخترنا قراءة ذلك كذلك على قراءته بالياء لدلالة قوله قد كان لكم آية في فئتين على انهم بقوله ستغلبون مخاطبون خطابهم بقوله قد كان لكم فكان الحاق الخطاب بمثله من الخطاب أولى من الخطاب بخلافه من الخبر عن غائب وأخرى أن أبا كريب حدثنا قال ثنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحق قال ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا يوم بدر فقدم المدينة جمع يهود في سوق بني قينقاع فقال يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشا فقالوا يا محمد لا تغرنك نفسك انك قتلت نفرا من قريش كانوا أغمارا لا يعرفون القتال انك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس وأنك لم تأت مثلنا فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهم قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد الى قوله لأولي الأبصار حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا محمد بن اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة قال لما أصاب الله قريشا يوم بدر جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود في سوق بني قينقاع حين قدم المدينة ثم ذكر نحو حديث أبي كريب عن يونس حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان من أمر بني قينقاع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم بسوق بني قينقاع ثم قال يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة وأسلموا فانكم

اتخذتك حبيبا قبل أن أخلقك وخلقت الكائنات لمحبتك ولأن أمتك أكرم الامم ولهم بسبب شفاعتك اختصاص بمحبتي اياهم ماداموا في متابعتك فقل لهم ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فبقدر ما كسبت أمتك من أنوار متابعتك تستحق المصير الى حضرة جلالنا وشواهد جمالنا وعلى قدر ما اكتسبت بالتواني (١٣٨) عن ظل متابعتك تستأهل المصير الى دركات السعير فتارة أسكره لذة هذا الخطاب وأخرى أقحمته سطوة هذا العتاب فقال ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا أي لا تعاقب أمتي ان نسيت عهدك الذي عاهدتهم أن يحبوك ولا يحبوا غيرك أو أخطأت طريق طلبك ولكن ما أخطأت طريق عبوديتك فلم يعبدوا غيرك وأنت قلت ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ربنا ولا تحمل علينا اصرا بأن تجعلنا أسرى النفس الامارة فنعبد عجل الهوى ونار الشهوات كما عبد الذين من قبلنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا بالصبر عن شهود جمالك واعف عنا حجب أنانيتنا واغفر لنا بشواهد هويتك وارحمنا برفع البينونة من بيننا أنت مولانا وولينا في رفع وجودنا وناصرنا في نيل مقصودنا فانصرنا على القوم الكافرين بجذبات عنايتك وأعنا في المصير اليك على قمع كفار الاثنينية التي تمنعنا من وحدتك

بيني و بينك اني يزاحمني
فارفع بجودك اني من البين

(سورة آل عمران وهي مدنية حروفها ٤٤٢٤ كلماتها ٤٨٥ آياتها مائتان)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل من قبل قد
هدى للناس وأنزل الفرقان ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام ان الله لا يخفى عليه شئ في الأرض ولا في السماء
هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر

متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون
آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الألباب ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب ربنا انك جامع
الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد ان الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم (١٣٩) من الله شيأ وأولئك هم وقود النار

قد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله اليكم فقالوا يا محمد انك ترى أنا كقومك لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فأصبت فيهم فرصة انا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال ما نزلت هؤلاء الآيات الا فيهم قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد الى لأولي الابصار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة في قوله قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قال فنحاص اليهودي في يوم بدر لا يغرن محمدا أن غلب قريشا وقتلهم ان قريشا لا تحسن القتال فنزلت هذه الآية قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد * قال أبو جعفر فكل هذه الاخبار تنبئ عن أن المخاطبين بقوله ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد هم اليهود المقول لهم قد كان لكم آية في فئتين الآية وتدل على أن قراءة ذلك بالتاء أولى من قراءته بالياء ومعنى قوله وتحشرون وتجمعون فتجلبون الى جهنم وأما قوله وبئس المهاد وبئس الفراش جهنم التي تحشرون اليها وكان مجاهد يقول كالذي حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وبئس المهاد قال بئسما مهدوا لأنفسهم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله ۞ القول في تأويل قوله (قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة) يعني بذلك جل ثناؤه قل يا محمد للذين كفروا من اليهود الذين بين ظهراني بلدك قد كان لكم آية يعني علامة ودلالة على صدق ما أقول انكم ستغلبون وعبرة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قد كان لكم آية عبرة وتفكر حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله الا أنه قال ومتفكر في فئتين يعني في فرقتين وحزبين والفئة الجماعة من الناس التقتا للحرب واحدى الفئتين رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن كان معه ممن شهد وقعة بدر والأخرى مشركو قريش فئة تقاتل في سبيل الله جماعة تقاتل في طاعة الله وعلى دينه وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأخرى كافرة وهم مشركو قريش كما حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحق قال ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر وأخرى كافرة فئة قريش الكفار حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأخرى كافرة قريش يوم بدر حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله قد كان لكم آية في فئتين قال في محمد وأصحابه ومشركي قريش يوم بدر حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله

كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب ﴿القراآت﴾ الم الله مقطوعة الالف والميم ساكنة يزيد والمفضل والأعشى والبرجمي الباقون موصولا بفتح الميم التوراة ممالة حيث كان أبو عمرو وحمزة وعلي وخلف سوا النجاري عن ورش والخزاز عن هبيرة وابن ذكوان غير ابن مجاهد كدأب حيث كان بغير همزة أبو عمرو وغيره شجاع ويزيد والأعشى والاصفهاني عن ورش والخزاز عن هبيرة وحمزة في الوقف ﴿الوقوف﴾ الم ج كوفي مختلف فان غير الأعشى والبرجمي ويزيد والمفضل يصلون الا هو ج القيوم ط والانجيل ط الفرقان ط شديد ط انتقام ٥ في السماء ط كيف يشاء ط الحكيم ٥ متشابهات ط لاستئناف تفصيل وابتغاء تأويله ج لأن الواو تصلح استئنافا والحال أليق الا الله م عند أهل السنة لأنه لو وصل فهم أن الراسخين يعلمون تأويل المتشابه كما يعلم الله ومن لم يحترز عن هذا وجعل المتشابه غير صفة الله ذاتا وفعلا من الاحكام التي يدخلها القياس والتأويل وجعل المحكمات الاصول النصوص المجمع عليها فعطف قوله والراسخون على اسم الله وجعل يقولون حالا لهم ساغ له أن لا يقف على الا الله آمنا به (لا) لأن قوله كل من عند ربنا من مقولهم فان التسليم من تمام الايمان من عند ربنا ج لاحتمال ان ما بعده مقولهم الألباب ٥ رحمة ج للابتداء بان ولاحتمال لام التعليل

أوفاء التعقيب للتسبيب الوهاب ٥ فيه ط الميعاد ٥ شيأط النار (لا) لتعلق كاف التشبيه فرعون (لا) للعطف من قبلهم ط بآياتنا ج للعدول مع فاء التعقيب بذنوبهم ط العقاب ٥ ﴿التفسير﴾ أما قراءة عاصم فلها وجهان الاول نية الوقف ثم اظهار الهمزة لاجل الابتداء الثانى أن يكون ذلك على لغة من يقطع ألف الوصل وأما (١٣٠) من فتح الميم ففيه قولان أحدهما قول الفراء واختيار كثير من البصريين وصاحب الكشاف ان أسماء الحروف موقوفة الأواخر تقول ألف لام ميم كما تقول واحد اثنان ثلاثة وعلى هذا وجب الابتداء بقوله الله فاذا ابتدأ به تثبت الهمزة متحركة الا أنهم أسقطوا الهمزة للتخفيف وألقيت حركتها على الميم لتدل حركتها على أنها فى حكم المبقاة بسبب كون هذه اللفظة مبتدأ بها فكأن الهمزة ساقطة بصورتها باقية بمعناها وثانيهما قول سيبويه وهو أنه لما وصل الله بالم التقى ساكنان بل سواكن ضرورة سقوط الهمزة فى الدرج فوجب تحريك الاول أعنى الوسطانى منها وهو الميم وكان الاصل هو الكسر الا أنهم فتحوا الميم محافظة على التفخيم فالفتحة على هذا القول ليست هى المنقولة من همزة الوصل فلا يرد عليه ما يرد على القول الاول من أن الهمزة حيث لا وجود لها فى الوصل أصلا فكيف تنقل حركتها قال الواحدى نقل المفسرون أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نجران ستون راكبا فيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم وثلاثة منهم كانوا أكابر القوم أحدهم أميرهم واسمه عبد المسيح والثانى مشيرهم ووزيرهم وكانوا يقولون له السيد واسمه الأيهم والثالث حبرهم وأسقفهم وصاحب مدراسهم يقال له أبو حارثة بن علقمة أحد بنى بكر بن وائل وكان ملوك الروم شرفوه وموّلوه وأكرموه لما بلغهم عنه من علمه واجتهاده فى دينهم فلما قدموا من نجران ركب أبو حارثة بغلته وكان الى جنبه أخوه كرز بن علقمة

قال ذلك يوم بدر التقى المسلمون والكفار ورفعت فئة تقاتل فى سبيل الله وقد قيل قبل ذلك فى فئتين بمعنى احداهما تقاتل فى سبيل الله على الابتداء كما قال الشاعر

فكنت كذى رجلين رجل صحيحة * ورجل رمى فيها الزمان فشلت

وكما قال ابن مفرغ

فكنت كذى رجلين رجل صحيحة * ورجل بها ريب من الحدثان

فأما التى صحت فأزد شنوأة * وأما التى شلت فأزد عمان

وكذلك تفعل العرب فى كل مكرر على نظيرله قد تقدمه اذا كان مع المكرر خبر ترده على اعراب الاول مرة وتستأنفه ثانية بالرفع وتنصبه فى التام من الفعل والناقص وقد جرذلك كله فخفض على الرد على أول الكلام كأنه يعنى اذا خفض ذلك فكنت كذى رجلين كذى رجل صحيحة ورجل سقيمة وكذلك الخفض فى قوله فئة جائز على الرد على قوله فى فئتين التقتا فى فئة تقاتل فى سبيل الله وهذا وان كان جائزا فى العربية فلا أستجيز القراءة به لاجماع الحجة من القراء على خلافه ولو كان قوله فئة جاء نصبا كان جائزا أيضا على قوله قد كان لكم آية فى فئتين التقتا مختلفتين ۞ القول فى تأويل قوله (يرونهم مثليهم رأى العين) اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته قراء أهل المدينة ترونهم بالتاء بمعنى قد كان لكم أيها اليهود آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله والأخرى كافرة ترون المشركين مثلى المسلمين رأى العين يريد بذلك عظتهم يقول ان لكم عبرة أيها اليهود فيما رأيتم من قلة عدد المسلمين وكثرة عدد المشركين وظفر هؤلاء مع قلة عددهم بهؤلاء مع كثرة عددهم وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة وبعض المكيين يرونهم مثليهم بالياء بمعنى يرى المسلمون الذين يقاتلون فى سبيل الله الجماعة الكافرة مثلى المسلمين فى القدر فتأويل الآية على قراءتهم قد كان لكم يامعشر اليهود عبرة ومتفكر فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرى هؤلاء المسلمون مع قلة عددهم هؤلاء المشركين فى كثرة عددهم فان قال قائل وما وجه تأويل قراءة من قرأ ذلك بالياء وأى الفئتين رأت صاحبتها مثليها ألفئة المسلمة هى التى رأت المشركة مثليها أم المشركة هى التى رأت المسلمة كذلك أم غيرهما رأت احداهما كذلك قيل اختلف أهل التأويل فى ذلك فقال بعضهم الفئة التى رأت الاخرى مثلى أنفسها الفئة المسلمة رأت عدد الفئة المشركة مثلى عدد الفئة المسلمة قللها الله عز وجل فى أعينها حتى رأتها مثلى عدد أنفسها ثم قللها فى حال أخرى فرأتها مثل عدد أنفسها ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فى خبر ذكره عن مرة الهمدانى عن ابن مسعود قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين قال هذا يوم بدر قال عبد الله بن مسعود قد نظرنا الى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ثم نظرنا اليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدا وذلك قول الله عز وجل واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم فمعنى الآية على هذا التأويل قد كان لكم يامعشر اليهود آية فى فئتين التقتا احداهما مسلمة والاخرى كافرة كثير عدد الكافرة قليل عدد المسلمة ترى الفئة القليل عددها الكثير عددها أمثالا لها أنها تكثرها من العدد بمثل واحد فهم يرونهم مثليهم فيكون أحد المثلين عند ذلك العدد الذى هو مثل عدد الفئة التى رأتهم والمثل الآخر الضعف الزائد على

على عددهم فهذا أحد معنيي التقليل الذي أخبر الله عز وجل المؤمنين أنه قللهم في أعينهم والمعنى الآخر منه التقليل الثاني على ما قاله ابن مسعود وهو أن أراهم عدد المشركين مثل عددهم لا يزيدون عليهم فذلك التقليل الثاني الذي قال الله جل ثناؤه وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا * وقال آخرون من أهل هذه المقالة إن الذين رأوا المشركين مثلي أنفسهم هم المسلمون غير أن المسلمين رأوهم على ما كانوا به من عددهم لم يقللوا في أعينهم ولكن الله أيدهم بنصره قالوا ولذلك قال الله عز وجل لليهود قد كان لكم فيهم عبرة يخوفهم بذلك أن يحل بهم منهم مثل الذي أحل بأهل بدر على أيديهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة أنزلت في التخفيف يوم بدر كان المؤمنين كانوا يومئذ ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا وكان المشركون مثليهم فأنزل الله عز وجل قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين وكان المشركون ستة وعشرين وستمائة فأيد الله المؤمنين فكان هذا الذي في التخفيف على المؤمنين وهذه الرواية خلاف ما تظاهرت به الأخبار عن عدة المشركين يوم بدر وذلك أن الناس إنما اختلفوا في عددهم على وجهين فقال بعضهم كان عددهم ألفا وقال بعضهم ما بين التسعمائة إلى الألف ذكر من قال كان عددهم ألفا حدثني هرون بن إسحق الهمداني قال ثنا مصعب بن المقدام قال ثنا إسرائيل قال ثنا أبو إسحق عن حارثة عن علي قال سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر فسبقنا المشركين إليها فوجدنا فيها رجلين منهم رجل من قريش ومولى لعقبة بن أبي معيط فأما القرشي فانفلت وأما مولى عقبة فأخذناه فجعلنا نقول كم القوم فيقول هم والله كثير شديد بأسهم فجعل المسلمون إذا قال ذلك صدقوه حتى انتهوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له كم القوم فقال هم والله كثير شديد بأسهم فجهد النبي صلى الله عليه وسلم على أن يخبره كم هم فأبى ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله كم تنحرون من الجزر قال عشرة كل يوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم ألف حدثني أبو سعيد بن يوشع البغدادي قال ثنا إسحق بن منصور عن إسرائيل عن أبي إسحق عن أبي عبيدة عن عبد الله قال أسرنا رجلا منهم يعني من المشركين يوم بدر فقلنا كم كنتم قال ألفا * ذكر من قال كان عددهم ما بين التسعمائة إلى الألف حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن إسحق ثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم نفرا من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون الخبر له عليه فأصابوا راوية من قريش فيها أسلم غلام بني الحجاج وعريض أبو يسار غلام بني العاص فأتوا بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما كم القوم قالا كثير قال ما عدتهم قالا لا ندري قال كم تنحرون كل يوم قالا يوما تسعا ويوما عشرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم ما بين التسعمائة إلى الألف حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين ذلكم يوم بدر ألف المشركون أو قاربوا وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة وبضعة عشر رجلا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة إلى قوله رأي العين قال يضعفون عليهم فقتلوا منهم سبعين

فبينما بغلة أبي حارثة تسير إذ عثرت فقال كرز أخوه تعس الأبعد يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو حارثة بل تعست أمك فقال ولم يا أخي فقال إنه والله النبي صلى الله عليه وسلم الذي ننتظره فقال له أخوه كرز فما يمنعك منه وأنت تعلم هذا قال لأن هؤلاء الملوك أعطونا أموالا كثيرة وأكرمونا فلو آمنا بمحمد لأخذوا منا كل هذه الأشياء فوقع ذلك في قلب أخيه كرز وكان يضمره إلى أن أسلم وكان يحدث بذلك ثم تكلم أولئك الثلاثة الأمير والسيد والحبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على اختلاف من أديانهم فتارة يقولون عيسى هو الله وتارة ابن الله وتارة ثالث ثلاثة ويحتجون لقولهم هو الله بأنه كان يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير ويحتجون في قولهم إنه ولد الله بأنه لم يكن له أب يعلم ويحتجون على ثالث ثلاثة بقول الله تعالى فعلنا وفعلنا ولو كان واحدا لقال فعلت وقد حان وقت صلاتهم فقاموا فصلوا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فصلوا إلى المشرق فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلموا فقالوا قد أسلمنا قبلك فقال صلى الله عليه وسلم كذبتم كيف يصح إسلامكم وأنتم تثبتون لله ولدا وتعبدون الصليب وتأكلون الخنزير قالوا فمن أبوه فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى في ذلك أول سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها آية المباهلة ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يناظر معهم فقال ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا ويشبه أباه قالوا بلى قال ألستم تعلمون أنه حي لا يموت وأن عيسى يأتي عليه الفناء قالوا بلى قال ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شيء يكلؤه ويحفظه ويرزقه فهل يملك عيسى شيئا من ذلك قالوا لا قال ألستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء فهل يعلم عيسى شيئا من ذلك إلا ما علم قالوا لا قال فإن ربنا صور

وأسروا سبعين يوم بدر حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين قال كان ذلك يوم بدر وكان المشركون تسعمائة وخمسين وكان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثلثمائة وثلاثة عشر حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة وبضعة عشر والمشركون ما بين التسعمائة الى الالف فكل هؤلاء الذين ذكرنا مخالفون القول الذي رويناه عن ابن عباس في عدد المشركين يوم بدر فاذا كان ما قاله من حكيناه ممن ذكر أن عددهم كان زائدا على التسعمائة فالتأويل الاول الذي قلناه على الرواية التي رويناها عن ابن مسعود أولى بتأويل الآية * وقال آخرون كان عدد المشركين زائدا على التسعمائة فرأى المسلمون عددهم على غير ما كانوا به من العدد وقالوا أرى الله المسلمين عدد المشركين قليلا آية للمسلمين قالوا وانما عنى الله عز وجل بقوله يرونهم مثليهم المخاطبين بقوله قد كان لكم آية في فئتين قالوا وهم اليهود غير انه رجع من المخاطبة الى الخبر عن الغائب لأنه أمر من الله جل ثناؤه لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول ذلك لهم فحسن أن يخاطب مرة ويخبر عنهم على وجه الخبر مرة أخرى كما قال حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وقالوا فان قال لنا قائل فكيف قيل يرونهم مثليهم رأى العين وقد علمتم أن المشركين كانوا يومئذ ثلاثة أمثال المسلمين قلنا لهم كما يقول القائل وعنده عبد احتاج الى مثله أنا محتاج اليه والى مثله ثم يقول أحتاج الى مثليه فيكون ذلك خبرا عن حاجته الى مثله والى مثلي ذلك المثل وكما يقول الرجل معي ألف وأحتاج الى مثليه وهو محتاج الى ثلاثة فلما نوى أن يكون الالف داخلا في معنى المثل (١) صار المثل أشرف والاثنان ثلاثة قال ومثله في الكلام أراكم مثلكم كما يقال ان لكم ضعفكم وأراكم مثليكم يعني أراكم ضعفيكم قالوا فهذا على معنى ثلاثة أمثالهم * وقال آخرون بل معنى ذلك أن الله أرى الفئة الكافرة عدد الفئة المسلمة مثلي عددهم وهذا أيضا خلاف ما دل عليه ظاهر التنزيل لان الله جل ثناؤه قال في كتابه واذ يريكموهم اذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم فأخبر أن كلا من الطائفتين قلل عددها في مرأى الاخرى * وقرأ آخرون ذلك ترونهم بضم التاء بمعنى يريكموهم الله مثليهم وأولى هذه القراآت بالصواب قراءة من قرأ يرونهم بالياء بمعنى وأخرى كافرة يراهم المسلمون مثليهم يعني مثلي عدد المسلمين لتقليل الله اياهم في أعينهم في حال فكان حزرهم اياهم كذلك ثم قللهم في أعينهم عن التقليل الاول فحزروهم مثلي عدد المسلمين ثم تقليلا ثانيا فحزروهم أقل من عدد المسلمين كما حدثني أبو سعيد البغدادي قال ثنا اسحق بن منصور عن اسرائيل عن أبي اسحق عن أبي عبيدة عن عبد الله قال لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال أراهم مائة قال فأسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم قال ألفا وقد روي عن قتادة أنه كان يقول لو كانت ترونهم لكانت مثليكم حدثني المثنى قال ثني عبد الرحمن بن أبي حماد عن ابن المعرك عن معمر عن قتادة بذلك ففي الخبرين اللذين رويناهما عن عبد الله بن مسعود ما أبان عن اختلاف حزر المسلمين يومئذ عدد المشركين في الاوقات المختلفة فأخبر الله عز وجل عما كان من اختلاف أحوال عددهم عند المسلمين اليهود على ما كان به عندهم مع علم اليهود بمبلغ عدد الفئتين اعلاما منه لهم انه مؤيد المؤمنين بنصره لئلا يغتروا بعددهم

(١) قوله صار المثل أشرف الخ كذا في النسخ ولعله صار المثل اثنين الخ تأمل كتبه مصححه

عيسى في الرحم كيف شاء فهل تعلمون ذلك قالوا بلى قال ألستم تعلمون أن ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث وتعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ووضعته كما تضع المرأة وغذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث قالوا بلى فقال صلى الله عليه وسلم فكيف يكون هو كما زعمتم فعرفوا ثم أبوا الا جحودا ثم قالوا يا محمد ألست تزعم انه كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا فحسبنا فنزل ذلك نزل فاما الذين في قلوبهم زيغ الآية وتمام القصة سيجيء في آية المباهلة ان شاء الله تعالى * واعلم أن مطلع هذه السورة له نظم عجيب ونسق أنيق وذلك أن أولئك النصارى كأنه قيل لهم اما أن تنازعوه في شأن الاله أو في أمر النبوة أما الاول فالحق فيه معه لانه تعالى حي قيوم كما مر في تفسير آية الكرسي وان عيسى ليس كذلك لانه ولد وكان يأكل ويشرب ويحدث والنصارى زعموا انه قتل وما قدر على دفع القتل عن نفسه وهذه الكلمة أعني قوله الله لا اله الا هو الحي القيوم جامعة لجميع وجوه الدلائل على بطلان قول النصارى بالتثليث وأما الثاني فقوله نزل عليك الكتاب بالحق كالدعوى وقوله وأنزل التوراة والانجيل من قبل كالدليل عليها وتقريره انكم وافقتمونا على أن التوراة والانجيل كتابان الهيان لانه تعالى قرن بانزالهما المعجزة الدالة على الفرق بين قولهما وبين أقوال الكاذبين ثم ان المعجز قائم في كون القرآن نازلا من عند الله كما قام في الكتابين واذا كان الطريق مشتركا فالواجب تصديق الكل كالمسلمين أما قبول البعض ورد البعض فجهل وتقليد واذا لم يبق بعد ذلك عذر لمن ينازعه في دينه فلا جرم ختم بالتهديد والوعيد فقال ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد وانما خص القرآن بالتنزيل والكتابين بالانزال لانه نزل منجما فكان معنى التكثير حاصلا فيه وانهما نزلا جملة واما قوله الحمد لله الذي

و بأسهم

أنزل على عبده الكتاب فالمراد هنالك نزوله مطلقا من غير اعتبار التنجيم قال أبو مسلم معنى قوله بالحق أنه صدق فيما تضمنه من الاخبار عن الامم أو ان ما فيه من الوعد والوعيد يحمل المكلف على ملازمة الطريق الحق في العقائد والاعمال ويمنعه عن سلوك الطريق الباطل وانه قول فصل وليس بالهزل وقال الاصم أي بالحق الذي يجب له على خلقه من العبودية ولبعضهم على بعض من سلوك سبيل العدالة والانصاف في المعاملات وقيل مصونا من المعاني الفاسدة المتناقضة كقوله ولم يجعل له عوجا قيما لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وفي قوله مصدقا لما بين يديه أنه لو كان من عند غير الله لم يكن موافقا لسائر الكتب المتقدمة لان من هو على مثل حاله من كونه أميا لم يخالط أهل الدرس والقراءة ان كان مفتريا استحال أن يسلم من التحريف والجزاف وفيه أنه تعالى لم يبعث نبيا قط الا بالدعاء الى توحيده وتنزيهه عما لا يليق به والامر بالعدل والاحسان وبالشرائع التي هي صلاح كل زمان فان قيل كيف سمى ما مضى بانه بين يديه فالجواب أن هذا اللفظ صار مطلقا في معنى التقدم أو لغاية ظهور تلك الأخبار جعلها كالحاضر عنده فان قلت كيف يكون مصدقا لما تقدمه من الكتب مع أنه ناسخ لاحكامها أكثرها قلنا اذا كانت الكتب مبشرة بالقرآن وبالرسول ودالة على أن أحكامها تثبت الى حين بعثته ثم تصير منسوخة عند نزول القرآن كانت موافقة للقرآن وكان القرآن مصدقا لها فاما فيما عدا الاحكام فلا شبهة في ان القرآن مصدق لها لان المباحث الالهية والقصص والمواعظ لا تختلف والتوراة والانجيل اسمان أعجميان أحدهما بالعبرية والآخر بالسريانية فالاشتغال باشتقاقهما لا يفيد الا أن بعض الادباء قد تكلف ذلك فقال الفراء التوراة معناها الضياء والنور من ورى الزند يرى اذا قدح وظهرت النار قال وأصلها تورية بفتح التاء والراء ولهذا قلبت الياء ألفا

وبأسهم وليحذروا منه أن يحل بهم من العقوبة على أيدي المؤمنين مثل الذي أحل بأهل الشرك به من قريش على أيديهم ببدرهم * وأما قوله رأي العين فانه مصدر رأيته يقال رأيته رأيا ورؤية ورأيت في المنام رؤيا حسنة غير مجراة يقال هو مني رأي العين ورأي العين بالنصب والرفع يراد حيث يقع عليه بصري وهو من الرائي مثله والقوم رأوا اذا جلسوا حيث يرى بعضهم بعضا فمعنى ذلك يرونهم حيث تلحقهم أبصارهم وتراهم عيونهم مثليهم ۞ القول في تأويل قوله (والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لأولي الأبصار) يعني بذلك جل ثناؤه والله يؤيد يقوي بنصره من يشاء من قول القائل قد أيدت فلانا بكذا اذا قويته وأعنته فأنا أؤيده تأييدا وفعلت منه إدته فأنا أئيده أيدا ومنه قول الله عز وجل واذكر عبدنا داود ذا الأيد يعني ذا القوة وتأويل الكلام قد كان لكم آية يا معشر اليهود في فئتين التقتا احداهما تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يراهم المسلمون مثليهم رأي أعينهم فأيدنا المسلمة وهم قليل عددهم على الكافرة وهم كثير عددهم حتى ظفروا بهم معتبر ومتفكر والله يقوي بنصره من يشاء وقال جل ثناؤه ان في ذلك يعني ان فيما فعلنا بهؤلاء الذين وصفنا أمرهم من تأييدنا الفئة المسلمة مع قلة عددها على الفئة الكافرة مع كثرة عددها لعبرة يعني لمتفكرا ومتعظا لمن عقل وادّكر فأبصر الحق كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان في ذلك لعبرة لأولي الأبصار يقول لقد كان لهم في هؤلاء عبرة وتفكر أيدهم الله ونصرهم على عدوهم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله ۞ القول في تأويل قوله (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة) يعني تعالى ذكره زين للناس محبة ما يشتهون من النساء والبنين وسائر ما عد وانما أراد بذلك توبيخ اليهود الذين آثروا الدنيا وحب الرياسة فيها على اتباع محمد صلى الله عليه وسلم بعد علمهم بصدقه وكان الحسن يقول من زينها ما أحد أشد لها ذما من خالقها حدثني بذلك أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا أبو الأشعث عنه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن أبي بكر بن حفص بن عمر بن سعد قال قال عمر لما نزل زين للناس حب الشهوات قلت الآن يارب حين زينتها لنا فنزلت قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار الآية * وأما القناطير فانها جمع القنطار واختلف أهل التأويل في مبلغ القنطار فقال بعضهم هو ألف ومائتا أوقية ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي حصين عن سالم بن أبي الجعد عن معاذ بن جبل قال القنطار ألف ومائتا أوقية حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر بن عياش قال ثنا أبو حصين عن سالم بن أبي الجعد عن معاذ مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا يعني حفص بن ميسرة عن أبي مروان عن أبي طيبة عن ابن عمر قال القنطار ألف ومائتا أوقية حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا القاسم بن مالك المزني قال أخبرني العلاء بن المسيب عن عاصم بن أبي النجود قال القنطار ألف ومائتا أوقية حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن ابن مهدي قال ثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن أبي صالح عن أبي هريرة مثله حدثني زكريا بن يحيى الصديق قال ثنا شبابة قال ثنا مخلد بن عبد الواحد عن علي بن زيد عن عطاء بن أبي ميمونة عن زر بن حبيش عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القنطار ألف أوقية ومائتا

أوقية * وقال آخرون القنطار ألف دينار ومائتا دينار ذكر من قال ذلك حدثنا عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث بن سعيد قال ثنا يونس عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القنطار ألف ومائتا دينار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا يونس عن الحسن قال القنطار ألف ومائتا دينار حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال القنطار ألف ومائتا دينار ومن الفضة ألف ومائتا مثقال حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سلمان قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول القناطير المقنطرة يعنى المال الكثير من الذهب والفضة والقنطار ألف ومائتا دينار ومن الفضة ألف ومائتا مثقال * وقال آخرون القنطار اثنا عشر ألف درهم أو ألف دينار ذكر من قال ذلك حدثني على بن داود قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال القنطار اثنا عشر ألف درهم أو ألف دينار حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك قال القنطار ألف دينار ومن الورق اثنا عشر ألف درهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن أن القنطار اثنا عشر ألفا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال أخبرنا عوف عن الحسن القنطار اثنا عشر ألفا حدثنا ابن بشار قال ثنا عوف عن الحسن اثنا عشر ألفا حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن بمثله حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن عوف عن الحسن قال القنطار ألف دينار دية أحدكم * وقال آخرون هو ثمانون ألفا من الدراهم أو مائة رطل من الذهب ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار ومحمد ابن المثنى قالا ثنا يحيى بن سعيد عن سليمان التيمي عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال القنطار ثمانون ألفا حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن على بن زيد عن سعيد ابن المسيب قال القنطار ثمانون ألفا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كنا نحدث أن القنطار مائة رطل من ذهب أو ثمانون ألفا من الورق حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال القنطار مائة رطل من ذهب أو ثمانون ألف درهم من ورق حدثنا أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن اسمعيل عن أبى صالح قال القنطار مائة رطل حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى القنطار يكون مائة رطل وهو ثمانية آلاف مثقال * وقال آخرون القنطار سبعون ألفا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله القناطير المقنطرة قال القنطار سبعون ألف دينار حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا عمر بن حوشب قال سمعت عطاء الخراسانى قال سئل ابن عمر عن القنطار فقال سبعون ألفا * وقال آخرون هى ملء مسك ثور ذهبا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا سالم بن نوح قال ثنا سعيد(١) الجريرى عن أبى نضرة قال ملء مسك ثور ذهبا حدثني أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا أبو الاشعث

(١) الجريرى بالجيم والراءين ونضرة بالنون والضاد المعجمة اه من الخلاصة

أو تورية بكسر الراء تفعلة مثل توفية الا ان الراء فتحت على لغة طى فانهم يقولون فى بادية باداة وزعم الخليل والبصريون أن أصلها وورية فوعلة كصومعة فقلبت الواو الاولى تاء كتجاه وتراث وأما الانجيل فالزجاج افعيل من النجل الاصل أى هو الاصل المرجوع اليه فى ذلك الدين وقيل من نجلت الشئ استخرجته أى انه تعالى أظهر الحق بسببه أبو عمرو الشيبانى التناجل التنازع سمى بذلك لان القوم تنازعوا فيه ومعنى قوله من قبل أى من قبل أن ينزل القرآن و (هدى للناس) اما ان يكون عائدا الى الكتابين فقط فيكون قد وصف القرآن بانه حق ووصف التوراة والانجيل بانهما هدى وانما لم يوصف القرآن بانه هدى مع انه قال فى اول البقرة هدى للمتقين لان المناظرة ههنا مع النصارى وهم لا يهتدون بالقرآن فذكر أنه حق فى نفسه سواء قبلوه أو لم يقبلوه وأما الكتابان فهم قائلون بصحتهما فخصهما بالهداية لذلك واما ان يكون راجعا الى الكتب الثلاثة وهو قول الاكثرين (وأنزل الفرقان) قيل أى جنس الكتب السماوية لانها كلها تفرق بين الحق والباطل وقيل أى الكتب التى ذكرها كانه وصفها بوصف آخر فيكون كما قال

الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة فى المزدحم

وقيل أى الكتاب الرابع وهو الزبور وزيف بان الزبور ليس فيه شئ من الشرائع والاحكام وانما هو مواعظ ويحتمل أن يجاب بان غاية المواعظ هى التزام الاحكام المعلومة فيؤل الى ذلك وقيل كرر ذكر القرآن بما هو مدح له ونعت بعد ذكره باسم الجنس تفخيما لشأنه واظهارا لفضله وفى التفسير الكبير انه تعالى لما ذكر الكتب الثلاثة بين انه أنزل معها ما هو الفرقان الحق وهو المعجز الباهر الذى يدل على صحتها و يفيد الفرق بينها و بين كلام المخلوقين ثم انه تعالى بعد ذكر الالهيات والنبوات زجر المعرضين عن هذه الدلائل وهم أولئك النصارى أو كل من أعرض عن دلائله فان خصوص

عن

السبب لا يمنع عموم اللفظ فقال (ان الذين كفروا بآيات الله) من كتبه المنزلة وغيرها من دلائله (لهم عذاب شديد والله عزيز) لا يغالب اذ لا احد لقدرته (ذو انتقام) عقاب شديد لا يقدر على مثله منتقم فالتنكير للتعظيم وانتقمت منه اذا كافأته عقوبة بما صنع فالعزيز اشارة الى القدرة التامة على العقاب وذو انتقام اشارة الى كونه فاعلا للعقاب فالاول صفة الذات والثاني صفة الفعل قوله سبحانه (ان الله لا يخفى عليه شئ) لما ذكر أنه حي قيوم والقيوم هو القائم باصلاح مصالح الخلق وكونه كذلك يتوقف على مجموع أمرين أن يكون عالما بكميات حاجاتهم وكيفياتها وكلياتها وجزئياتها ثم أن يكون قادرا على ترتيبها والاول لا يتم الا اذا كان عالما بجميع المعلومات أشار الى ذلك بقوله ان الله لا يخفى عليه شئ والثاني لا يتأتى الا اذا كان قادرا على جميع الممكنات فأشار اليه بقوله هو الذي يصوركم ثم فيه لطيفة أخرى وهي انه لما ادعى كمال علمه بقوله ان الله لا يخفى عليه شئ والطريق الى اثبات كونه تعالى عالما لا يجوز أن يكون هو السمع لان معرفة صحة السمع موقوفة على العلم بكونه تعالى عالما بجميع المعلومات بل الطريق الى ذلك ليس الا الدليل العقلي فلا جرم قال هو الذي يصوركم في ظلمات الارحام بهذه البنية العجيبة والتركيب الغريب من أعضاء مختلفة في الشكل والطبع والصفة بعضها عظام وبعضها أوردة وبعضها شرايين وبعضها عضلات ثم انه ضم بعضها الى بعض على التركيب الأحسن والتأليف الأكمل وذلك يدل على كمال علمه لان التركيب المحكم المتقن لا يصدر الا عن العالم بتفاصيله ثم انه تعالى لما كان قيوما بمصالح الخلق ومصالحهم قسمان جسمانية وأشرفها تعديل المزاج وأشار اليها بقوله هو الذي يصوركم وروحانية وأشرفها العلم فلا جرم أشار الى ذلك بقوله هو الذي أنزل عليك الكتاب ويحتمل أن تنزل هذه الآيات على سبب نزولها وذلك أن النصارى ادعوا الهية عيسى وعولوا

عن أبي نضرة ملء مسك ثور ذهبا * وقال آخرون هو المال الكثير ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس قال القناطير المقنطرة المال الكثير بعضه على بعض * وقد ذكر بعض أهل العلم بكلام العرب أن العرب لا تحد القنطار بمقدار معلوم من الوزن ولكنها تقول هو قدر ووزن وقد ينبغي أن يكون ذلك كذلك لان ذلك لو كان محدودا قدره عندها لم يكن بين متقدمي أهل التأويل فيه كل هذا الاختلاف فالصواب في ذلك أن يقال هو المال الكثير كما قال الربيع بن أنس ولا يحد قدر وزنه بحد على تعنف وقد قيل ما قيل مما روينا وأما المقنطرة فهي المضعفة وكأن القناطير ثلاثة والمقنطرة تسعة وهو كما قال الربيع بن أنس المال الكثير بعضه على بعض كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والمقنطرة المال الكثير بعضه على بعض حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سلمان قال سمعت الضحاك في قوله القناطير المقنطرة يعني المال الكثير من الذهب والفضة * وقال آخرون معنى المقنطرة المضروبة دراهم أو دنانير ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي أما قوله المقنطرة فيقول المضروبة حتى صارت دنانير أو دراهم * وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وآتيتم احداهن قنطارا خبر لو صح سنده لم نعده الى غيره وذلك ما حدثنا به ابن عبد الرحمن البرقي قال ثني عمرو بن أبي سلمة قال ثنا زهير بن محمد قال ثني أبان بن أبي عياش وحميد الطويل عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآتيتم احداهن قنطارا قال (١) ألفا مئين يعني ألفين ۞ القول في تأويل قوله (والخيل المسومة) اختلف أهل التأويل في معنى المسومة فقال بعضهم هي الراعية ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير الخيل المسومة قال الراعية التي ترعى حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب عن سعيد بن جبير مثله حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن حبيب عن سعيد بن جبير مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير هي الراعية يعني السائمة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن طلحة القناد قال سمعت عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى يقول الراعية حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس والخيل المسومة قال الراعية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن والخيل المسومة المسرحة في الرعي حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله والخيل المسومة قال الخيل الراعية حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن ليث عن مجاهد أنه كان يقول الخيل الراعية * وقال آخرون المسومة الحسان ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب قال قال مجاهد المسومة المطهمة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن مجاهد في قوله

(١) قوله في حديث البرقي ألفا مئين يعني الخ كذا في بعض النسخ وفي بعضها ألفا ومئين وفي الدر المنثور ألفا ومائتين يعني الخ كتبه مصححه

في ذلك على نوعين من الشبهة أحدهما يتعلق بالعلم وهو أن عيسى عليه السلام كان يخبر عن الغيوب وذلك قوله تعالى وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم والثاني يتعلق بالقدرة كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وليس للنصارى شبهة غير هاتين فازال شبهتهم الاولى بقوله ان الله لا يخفى عليه شئ فن المعلوم بالضرورة (١٣٦) من أحوال عيسى انه ما كان عالما بجميع المعلومات فعدم احاطته بجميع الأشياء فهذه دلالة قاطعة على أنه ليس باله ولكن احاطته ببعض المغيبات لا تدل على كونه الها لاحتمال أنه علم ذلك بالوحي أو بالالهام وأزال شبهتهم الثانية بقوله هو الذي يصوركم وذلك ان الاله هو الذي يقدر على أن يصور في الأرحام من قطرة صغيرة من النطفة هذا التركيب العجيب والتأليف الغريب ومعلوم أن عيسى لم يكن قادرا على الاحياء والاماتة بهذا الوجه كيف ولو قدر على ذلك لأمات أولئك الذين أخذوه على زعم النصارى وقتلوه فاماتة بعض الاشخاص أو احياؤه لا يدل على الالهية لجواز كونه باظهار الله تعالى المعجزة على يده والعجز عن اماتة البعض أو احيائه يدل على عدم الالهية قطعا وأما الاحياء والاماتة لجميع الحيوانات فيدل على الالهية قطعا ثم انهم عدلوا عن المقدمات المشاهدية الى مقدمات الزامية وهو انكم أيها المسلمون توافقوننا على أنه ما كان له أب من البشر فيكون ابنا لله والجواب عنه بقوله أيضا هو الذي يصوركم لأن هذا التصوير لما كان منه صفة فان شاء صوره من نطفة الأب وان شاء صوره ابتداء من غير أب وأيضا قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم ألست تقول ان عيسى كلمة الله وروحه وهذا يدل على انه ابن الله فأجاب الله تعالى عنه بأن هذا الزام لفظي واللفظ محتمل للحقيقة والمجاز واذا ورد اللفظ بحيث يخالف الدليل العقلي كان من باب المتشابهات فوجب رده الى التأويل أو تفويضه الى علم الله وذلك قوله هو الذي أنزل عليك الكتاب الآية فظهر أنه ليس في المسئلة حجة ولا شبهة

والخيل المسومة قال المطهمة الحسان حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله والخيل المسومة قال المطهمة حسنا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن حبيب عن مجاهد المطهمة حدثنا ابن حميد قال ثنا أبو عبد الرحمن المقرى قال ثنا سعيد بن أبي أيوب عن بشر بن أبي عمرو الخولاني قال سألت عكرمة عن الخيل المسومة قال تسويمها حسنها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني سعيد بن أبي أيوب عن بشر بن أبي عمرو الخولاني قال سمعت عكرمة يقول الخيل المسومة قال تسويمها الحسن حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي والخيل المسومة والانعام الرائعة وقد حدثني بهذا الحديث عن عمرو بن حماد غير موسى قال الراعية * وقال آخرون الخيل المسومة المعلمة ذكر من قال ذلك حدثني علي بن داود قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس والخيل المسومة يعني المعلمة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والخيل المسومة وسيماها شيتها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله والخيل المسومة قال شية الخيل في وجوهها * وقال غيرهم المسومة المعدة للجهاد ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد والخيل المسومة قال المعدة للجهاد * قال أبو جعفر وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل قوله والخيل المسومة المعلمة بالشيات الحسان الرائعة حسنا من رآها لأن التسويم في كلام العرب هو الاعلام فالخيل الحسان معلمة باعلام الله اياها بالحسن من ألوانها وشياتها وهيآتها وهي المطهمة أيضا ومن ذلك قول نابغة بني ذبيان في صفة الخيل

(١) بسمر كالقداح مسومات * عليها معشر أشباه جن

يعني بالمسومات المعلمات وقول لبيد

وغداة قاع القرنتين أتينهم * زجلا يلوح خلالها التسويم

فمعنى تأويل من تأول ذلك المطهمة والمعلمة والرائعة واحد وأما قول من تأوله بمعنى الراعية فانه ذهب الى قول القائل أسمت الماشية فأنا أسيمها اسامة اذا رعيتها الكلأ والعشب كما قال الله عز وجل ومنه شجر فيه تسيمون بمعنى ترعون ومنه قول الاخطل

مثل ابن بزعة أو كآخر مثله * أولى لك ابن مسيمة الاجمال

يعني بذلك راعية الاجمال فاذا أريد أن الماشية هي التي رعت قيل سامت الماشية تسوم سوما ولذلك قيل ابل سائمة بمعنى راعية غير أنه غير مستفيض في كلامهم سومت الماشية بمعنى أرعيتها وانما يقال اذا أريد ذلك أسمتها فاذ كان ذلك كذلك فتوجيه تأويل المسومة الى أنها المعلمة بما وصفنا من المعاني التي تقدم ذكرها أصح وأما الذي قاله ابن زيد من أنها المعدة في سبيل الله فتأويل من معنى المسومة بمعزل

القول في تأويل قوله (والأنعام والحرث) فالانعام جمع نعم وهي الأزواج الثمانية التي ذكرها

(١) الذي في ديوان النابغة وضمر وقوله في بيت لبيد زجلا الذي في الديوان رهوا اهـ كتبه مصححه

الا وقد اشتملت هذه الآيات على دفعها والجواب عنها فان قيل ما الفائدة فى قوله فى الارض ولا فى السماء مع أنه لو أطلق كان أبلغ قلت الغرض تفهيم العباد كمال علمه وذلك عند ذكر السموات والارض أقوى لعظمتهما فى الحس والحس متى أعان العقل على المطلوب كان الفهم أتم والادراك أكمل وهذه فائدة ضرب الأمثلة فى العلوم قال الواحدى التصوير جعل الشئ على (١٣٧) صورة والصورة هيئة حاصلة للشئ عند ايقاع التأليف بين أجزائه وأصله من صاره اذا أماله وذلك أن الصورة مائلة الى شكل أبويه والأرحام جمع الرحم والتركيب يدل على الرقة والعطف كما سلف وقيل سمى رحما لاشتراك الرحم فيما يوجب الرحمة والعطف وقرئ تصوركم أى صوركم لنفسه ولتعبده وكيف فى موضع الحال أى على أى حال أراد طويلا أو قصيرا أسود أو أبيض حسنا أو قبيحا الى غير ذلك من الأحوال المختلفة ثم انه تعالى لما أجاب عن شبههم أعاد كلمة التوحيد ردا على النصارى القائلين بالتثليث فقال (لا اله الا هو العزيز الحكيم) فالعزيز إشارة الى كمال القدرة والحكيم الى كمال العلم وفيه رد على من زعم الهية عيسى فان العلم ببعض الغيوب واحياء بعض الاشخاص لا يكفى فى كونه الها ﴿ ولنذكر ههنا مسائل الاولى القرآن دل على أنه بكليته محكم وذلك قوله الر كتاب أحكمت آياته الر تلك آيات الكتاب الحكيم والمراد كون كله كلاما حقا فصيح الالفاظ صحيح المعانى وأنه بحيث لا يتمكن أحد من الاتيان بمثله لوثاقة مبانيه وبلاغة معانيه ودل على أنه بتمامه متشابه كتابا متشابها مثانى والمراد أنه يشبه بعضه بعضا فى الحسن والاعجاز والبراءة من التناقص والتناقض ثم إن هذه الآية (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) دلت على أن بعض القرآن محكم وبعضه متشابه فعنى ههنا بالمحكم ما هو المشترك بين النص والظاهر وبالمتشابه

فى كتابه من الضأن والمعز والبقر والابل وأما الحرث فهو الزرع وتأويل الكلام زين للناس حب الشهوات من النساء ومن البنين ومن كذا ومن الانعام والحرث ﴿ القول فى تأويل قوله (ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب) يعنى بقوله جل ثناؤه ذلك جميع ما ذكر فى هذه الآية من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والانعام والحرث فكنى بقوله ذلك عن جميعهن وهذا يدل على أن ذلك يشتمل على الأشياء الكثيرة المختلفة المعانى ويكنى به عن جميع ذلك وأما قوله متاع الحياة الدنيا فانه خبر من الله عن أن ذلك كله مما يستمتع به فى الدنيا أهلها أحياء فيتبلغون به فيها ويجعلونه وصلة فى معايشهم وسببا لقضاء شهواتهم التى زين لهم حبها فى عاجل دنياهم دون أن يكون عدة لمعادهم وقربة لهم الى ربهم الا ما أسلك فى سبيله وأنفق منه فيما أمر به وأما قوله والله عنده حسن المآب فانه يعنى بذلك جل ثناؤه وعند الله حسن المآب يعنى حسن المرجع كما حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى والله عنده حسن المآب يقول حسن المنقلب وهى الجنة وهو مصدر على مثال مفعل من قول القائل آب الرجل الينا اذا رجع فهو يؤب إيابا وأوبة وايبة ومآبا غير أن موضع الفاء منها مهموز والعين مبدلة من الواو الى الألف بحركتها الى الفتح فلما كان حظها الحركة الى الفتح وكانت حركتها منقولة الى الحرف الذى قبلها وهو فاء الفعل انقلبت فصارت ألفا كما قيل قال فصارت عين الفعل ألفا لأن حظها الفتح والمآب مثل المقال والمعاد والمحال كل ذلك مفعل منقولة حركة عينه الى فائه فصيرت واوه أو ياؤه ألفا لفتحة ماقبلها فان قال قائل وكيف قيل والله عنده حسن المآب وقد علمت ما عنده يومئذ من أليم العذاب وشديد العقاب قيل ان ذلك معنى به خاص من الناس ومعنى ذلك والله عنده حسن المآب للذين اتقوا ربهم وقد أنبأنا عن ذلك فى هذه الآية التى تليها فان قال وما حسن المآب قيل هو ما وصفه به جل ثناؤه وهو المرجع الى جنات تجرى من تحتها الأنهار مخلدا فيها والى أزواج مطهرة ورضوان من الله ﴿ القول فى تأويل قوله (قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد) يعنى جل ثناؤه قل يا محمد للناس الذين زين لهم حب الشهوات من النساء والبنين وسائر ما ذكر ربنا جل ثناؤه أؤنبئكم أأخبركم وأعلمكم بخير من ذلكم يعنى بخير وأفضل لكم من ذلكم يعنى مما زين لكم فى الدنيا حب شهوته من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة وأنواع الأموال التى هى متاع الدنيا ثم اختلف أهل العربية فى الموضع الذى تناهى اليه الاستفهام من هذا الكلام فقال بعضهم تناهى ذلك عند قوله من ذلكم ثم ابتدأ الخبر عما للذين اتقوا عند ربهم فقيل للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها فلذلك رفع الجنات ومن قال هذا القول لم يجز فى قوله جنات تجرى من تحتها الأنهار الا الرفع وذلك أنه خبر مبتدأ غير مردود على قوله بخير فيكون الخفض فيه جائزا وهو وان كان خبرا مبتدأ عندهم ففيه ابانة عن معنى الخير الذى أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول للناس أؤنبئكم به والجنات على هذا القول مرفوعة باللام التى فى قوله للذين اتقوا عند ربهم * وقال آخرون منهم بنحو من هذا القول الا أنهم قالوا ان جعلت اللام التى فى قوله للذين من صلة الانباء جاز فى الجنات الخفض والرفع الخفض على الرد على الخير والرفع على أن يكون قوله للذين اتقوا خبر مبتدا على ما قد بيناه قبل * وقال آخرون بل منتهى الاستفهام قوله عند ربهم ثم ابتدأ جنات تجرى من تحتها

القـدر المشترك بين المجمل والمؤول كما تقرر فى المقدمة التاسعة من مقدمات هذا الكتاب والاحكام فى اللغة المنع وكذا سائر تراكيبه فالحاكم يمنع الظالم من الظلم وحكمة اللجام تمنع الفرس من الاضطراب وفى حـديث النخعى حكم اليتيم كما تحكم ولدك أى امنعـه من الفساد وسميت الحكمة حكمة لانها تمنع عما لا ينبغى (١٣٨) وأما التشابه فهو كون الشيئين بحيث يعجز الذهن عن التمييز بينهما ثم يقال لكل ما لا يهتدى الانسان اليـه متشابه اطلاقا لاسم السبب على المسبب ونظيره المشكل لانه أشكل أى دخـل فى شكل غيره ثم ان كل أحـد من أصحاب المذاهب يدعى أن الآيات الموافقة لمذهبه محكمة والقول خصمه متشابهة فالمعتزلى يقول فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر محكم وما تشاؤن الا أن يشاء الله متشابه والسنى يقلب الامر فى ذلك وكذا المعـتزلى يقول لا تدركه الابصار محكم وقوله وجوه يومئـذ ناضرة الى ربها ناظرة متشابه والسـنى بالعكس فـلابد من قانون يرجع اليـه فنقول صرف اللفظ عن الراجح الى المرجوح لابد فيه من دليل منفصل وهو اما لفظى أو عقلى والدليل اللفظى لا يكون قاطعا البتة لتوقفه على نقـل اللغات وعـلى وجوه التصريف والاعـراب وعلى عـدم الاشتراك وعدم المجاز وعدم التخصيص وعدم الاضمار وعـدم المعارض النقلى والعقلى وكل ذلك مظنون والموقوف عـلى المظنون أولى أن يكون مظنونا فلا يجوز التعويل عليـه فى المسائل الاصولية فاذن لاسبيل الى صرف اللفظ عن معناه الراجح الى معناه المرجوح الا بالدلالة القطعية العقلية على أن معناه الراجح محال عقلا فاذا قامت هذه الدلالة وعرف المكلف أنه ليس مراد الله تعالى من هذا اللفظ ما أشعر به الظاهر فعند هذا لا يحتاج الى أن يعرف أن ذلك المرجوح الذى هو المراد ماذا لأن السبيل الى ذلك انما يكون بترجيح مجاز على مجاز وترجيح تأويل على تأويل

الأنهار وقالوا تأويل الكلام قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم ثم كأنه قيل ماذا لهم أو ما ذاك ثم أو على أنه يقال ماذا لهم أو ماذا لـه فقال هو جنات تجرى من تحتها الانهار الآية * وأولى هذه الاقوال عنـدى بالصواب قول من جعل الاستفهام متناهيا عند قوله بخير من ذلكم والخبر بعـده مبتدأ عمن له الجنات بقوله للذين اتقوا عنـد ربهم جنات فيكون مخرج ذلك مخرج الخبر وهو ابانة عن معنى الخير الذى قال أنبئكم به فلا يكون بالكلام حينئذ حاجـة الى ضمير * قال أبو جعفر محمـد بن جرير الطـبرى وأما قوله خالدين فيها فمنصوب على القطـع ومعـنى قوله للذين اتقوا الذين خافوا الله فأطاعوه بأداء فرائضـه واجتناب معاصيه عند ربهم يعنى بذلك لهم جنات تجرى من تحتها الانهار عند ربهم والجنات البساتين وقد بينا ذلك بالشواهد فيما مضى وأن قوله تجرى من تحتها الانهار يعنى به من تحت الاشجار وأن الخلود فيها دوام البقاء فيها وأن الأزواج المطهرة هن نساء الجنـة اللواتى طهرن من كل أذى يكون بنساء أهل الدنيا من الحيض والمنى والبول والنفاس وما أشـبه ذلك من الاذى بما أغنى عن اعادته فى هـذا الموضع وقوله ورضوان من الله يعنى ورضا الله وهو مصـدر من قول القائل رضى الله عن فلان فهو يرضى عنـه رضا منقوص ورضوانا ورضوانا ومرضاة فأما الرضوان بضم الراء فهو لغـة قيس وبه كان عاصم يقرأ وانما ذكر الله جل ثناؤه فيما ذكر للذين اتقوا عنده من الخير رضوانه لان رضوانه أعلى منازل كرامـة أهل الجنة كما حدثنا ابن بشار قال ثنى أبو أحمد الزبيرى قال ثنا سـفيان عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال اذا دخـل أهل الجنة الجنة قال الله تبارك وتعالى أعطيكم أفضل من هذا فيقولون أى ربنا أى شئ أفضل من هذا قال رضوانى * وقوله والله بصير بالعباد يعنى بذلك والله ذو بصر بالذى يتقيه من عباده فيخافه فيطيعه ويؤثر ما عنـده مما ذكر أنه أعده للذين اتقوه على حب ما زين له فى عاجـل الدنيا من شهوات النساء والبنين وسائر ما عـدد منها تعالى ذكره وبالذى لا يتقيه فيخافه ولكنه يعصيه ويطيع الشـيطان ويؤثر ما زين له فى الدنيا من حب شهوة النساء والبنين والاموال على ما عنـده من النعيم المقيم عالم تعالى ذكره بكل فريق منهـم حتى يجازى كلهم عنـد معادهم اليه جزاءهم المحسن باحسانه والمسىء باساءته ﴿ القول فى تأويل قوله (الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار) ومعنى ذلك قل هـل أنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار وقد يحتمـل الذين يقولون وجهين من الاعراب الخفض على الرد على الذين الاولى والرفع على الابتـداء اذ كان فى مبتـدا آية أخرى غير التى فيها الذين الاولى فيكون رفعها نظير قول الله عز وجـل ان الله اشـترى من المؤمنين أنفسـهم وأموالهـم ثم قال فى مبتـدا الآية التى بعـدها التائبون العابدون ولو كان جاء ذلك مخفوضا كان جائزا ومعـنى قوله الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا الذين يقولون اننا صـدقنا بك وبنبيك وما جاء به من عندك فاغفر لنا ذنوبنا يقول فاسـتر علينا ذنوبنا بعفوك عنها وتركك عقوبتنا عليها وقنا عذاب النار ادفع عنا عذابك ايانا بالنار أن تعذبنا بها وانما معنى ذلك لا تعذبنا يا ربنا بالنار وانما خصوا المسئلة بأن يقيهـم عذاب النار لان من زحزح يومئـذ عن النار فقد فاز بالنجاة من عـذاب الله وحسـن مآبه وأصل قوله قنا من قول القائل وقى الله فلانا كذا يراد به دفع عنـه فهو يقيه فاذا سأل بذلك سائل قال قنى كذا ﴿ القول فى تأويل قوله (الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين) يعنى بقوله الصابرين الذين صبروا فى البأساء والضراء وحـين البأس ويعنى بالصادقين الذين صـدقوا الله فى قولهم بتحقيقهم

وذلك الترجيح لا يمكن الا بالدلائل اللفظية وهي ظنية كما بيناه والاسماء المستعملة في ترجيح مرجوح على مرجوح آخر فاذن الخوض في تعيين التأويل غير جائز والله أعلم * المسألة الثانية في حكاية أقوال الناس في المحكم والمتشابه عن ابن عباس أن المحكمات هي الآيات الثلاث في سورة الانعام قل تعالوا الى آخرها وعلى هذا فالمحكم عنده ما لا يتغير باختلاف الشرائع لان هذه الآي كذلك والمتشابهات هي التي اشتبهت على اليهود كأوائل السور أوّلوها على حساب الجمل ليستخرجوا بقاء هذه الامة فاختلط الامر عليهم واشتبه وعنه ان المحكم هو الناسخ والمتشابه هو المنسوخ وقال الاصم المحكم هو الذي يكون دلائله واضحة لائحة كانشاء الخلق في قوله خلقنا النطفة علقة والمتشابه ما يحتاج في معرفته الى التدبر والتأمل كآيات البعث فان التأمل يجعلها محكمة فان من قدر على الانشاء قدر على الاعادة فان عنى الاصم بوضوح الدلائل رجحانها وبالخفاء خلاف ذلك فهذا هو الذي ذكرنا من أن المحكم عبارة عن النص والظاهر والمتشابه المجمل والمؤول وان عنى بالواضح ما تعلم صحته بضرورة العقل وبالخفي ما تعرف صحته بدليل العقل فكل القرآن متشابه فان انشاء الخلق أيضا يفتقر الى دليل عقلي فان الدهري ينسب ذلك الى الطبيعة والمنجم الى تأثير الكواكب ولعل الأصم يسمي ما هو الأبعد عن الغلط لقلة مقدماته وضبطها محكما والذي هو غير ذلك متشابها وقيل كل ما أمكن تحصيل العلم به سواء كان ذلك بدليل جلي أو بدليل خفي فهو المحكم وكل ما لا سبيل الى معرفته كالعلم بوقت القيامة ومقادير الثواب والعقاب في حق كل مكلف فذاك متشابه * المسألة الثالثة في أنه لم جعل بعض القرآن محكما وبعضه متشابها من الملحدة من طعن فيه وقال كيف يليق بالحكيم أن يجعل كتابه المرجوع اليه في دينه الموضوع الى يوم القيامة بحيث يتمسك به كل صاحب مذهب فمثبت الرؤية

بتحقيقهم الاقرار به وبرسوله وما جاء به من عنده بالعمل بما أمره به والانتهاء عما نهاه عنه ويعني بالقانتين المطيعين له وقد أتينا على الابانة عن كل هذه الحروف ومعانيها بالشواهد على صحة ما قلنا فيها وبالاخبار عمن قال فيها قولا فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وقد كان قتادة يقول في ذلك بما حدثنا به بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين الصادقين قوم صدقت أفواههم واستقامت قلوبهم وألسنتهم وصدقوا في السر والعلانية والصابرين قوم صبروا على طاعة الله وصبروا عن محارمه والقانتون هم المطيعون لله وأما المنفقون فهم المؤتون زكوات أموالهم وواضعوها على ما أمرهم الله باتيانها والمنفقون أموالهم في الوجوه التي أذن الله لهم جل ثناؤه بانفاقها فيها وأما الصابرين والصادقين وسائر هذه الحروف فمخفوض ردا على قوله الذين يقولون ربنا اننا آمنا والخفض في هذه الحروف يدل على أن قوله الذين يقولون خفض ردا على قوله للذين اتقوا عند ربهم ۞ القول في تأويل قوله (والمستغفرين بالأسحار) اختلف أهل التأويل في القوم الذين هذه الصفة صفتهم فقال بعضهم هم المصلون بالاسحار ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والمستغفرين بالأسحار هم أهل الصلاة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن قتادة والمستغفرين بالأسحار قال يصلون بالأسحار * وقال آخرون هم المستغفرون ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن حريث بن أبي مطر عن ابراهيم بن حاطب عن أبيه قال سمعت رجلا في السحر في ناحية المسجد وهو يقول رب أمرتني فأطعتك وهذا سحر فاغفر لي فنظرت فاذا ابن مسعود حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا الوليد بن مسلم قال سألت عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن قول الله عز وجل والمستغفرين بالأسحار قال حدثني سليمان بن موسى قال ثنا نافع أن ابن عمر كان يحيي الليل صلاة ثم يقول يا نافع أسحرنا فيقول لا فيعاود الصلاة فاذا قلت نعم قعد يستغفر ويدعو حتى يصبح حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن بعض البصريين عن أنس بن مالك قال أمرنا أن نستغفر بالأسحار سبعين استغفارة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا زيد بن الحباب قال ثنا أبو يعقوب الضبي قال سمعت جعفر بن محمد يقول من صلى من الليل ثم استغفر في آخر الليل سبعين مرة كتب من المستغفرين بالأسحار * وقال آخرون هم الذين يشهدون الصبح في جماعة ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسمعيل بن مسلمة (١) أخو القعنبي قال ثنا يعقوب بن عبد الرحمن قال قلت لزيد بن أسلم من المستغفرين بالأسحار قال هم الذين يشهدون الصبح * وأولى هذه الاقوال بتأويل قوله والمستغفرين بالأسحار قول من قال هم السائلون ربهم أن يستر عليهم فضيحتهم بها بالاسحار وهي جمع سحر وأظهر معاني ذلك أن تكون مسئلتهم اياه بالدعاء وقد يحتمل أن يكون معناه تعرضهم لمغفرته بالعمل والصلاة غير أن أظهر معانيه ما ذكرنا من الدعاء ۞ القول في تأويل قوله (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم) يعني بذلك جل ثناؤه شهد الله أنه لا اله الا هو وشهدت الملائكة وأولو العلم فالملائكة معطوف بهم على اسم الله وأنه مفتوحة بشهد * وكان

(١) قوله أخو القعنبي هو عبد الله بن مسلمة بن قعنب القعنبي كما في الخلاصة اهـ كتبه مصححه

يتمسك بقوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ونافيها يتشبث بقوله لا تدركه الابصار ومثبت الجهة يخافون ربهم من فوقهم الرحمن على العرش استوى والنافي ليس كمثله شيء فكل منهم يسمي الآيات الموافقة لمذهبه محكمة والمخالفة متشابهة وربما آل الامر في ترجيح بعضها على بعض الى وجوه ضعيفة (١٤٠) وتراجيح خفية وهذا لا يليق بالحكمة مع أنه لو جعل كله ظاهرا جليا خالصا عن المتشابه نقيا كان أقرب الى حصول الغرض والجواب أنه متى كانت المتشابهات موجودة كان الوصول الى الحق أصعب وأشق وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب وأيضا لو كان كله محكما كان مطابقا لمذهب واحد فقط فكان ينفر أرباب سائر المذاهب عن قبوله وعن النظر فيه والانتفاع به واذا كان مشتملا على القسمين فحينئذ يطمع صاحب كل مذهب أن يجد فيه ما يؤيد مقالته فيجتهد في فهم معانيه وبعد الفحص والاستكشاف صارت المحكمات مفسرة للمتشابهات ويتخلص المبطل عن باطله ويصل الى الحق وأيضا اذا كان فيه محكم ومتشابه افتقر الناظر فيه الى الاستعانة بالدلائل العقلية فيتخلص من ظلمة التقليد الى ضياء البينة والاستدلال والطمأنينة وافتقر أيضا الى تحصيل علوم أخر كالصرف والنحو والمعاني والبيان وأصول الفقه وأصول الكلام الى غير ذلك ولما في المتشابهة من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه وههنا سبب أقوى وهو أن القرآن كتاب مشتمل على دعوة الخواص والعوام وطباع العامة تنبو في الأغلب عن ادراك الحقائق فمن سمع منهم في أول الامر اثبات موجود ليس بجسم في ولا متحيز ولا مشار اليه ظن أن هذا عدم ونفي فوقع في التعطيل فكان الاصلح أن يخاطبوا بألفاظ دالة على بعض ما توهموه وتخيلوه مخلوطا بما يدل على الحق الصريح فالاول وهو الذي يخاطبون به في أول الامر من باب المتشابهات والثاني وهو الذي يكشف لهم في آخر الحال من قبيل

بعض البصريين يتأول قوله شهد الله قضى الله ويرفع الملائكة بمعنى والملائكة شهود وأولو العلم وهكذا قرأت قراء أهل الاسلام بفتح الالف من أنه على ما ذكرت من اعمال شهد في أنه الاولى وكسر الالف من ان الثانية وابتدائها سوى أن بعض المتأخرين من أهل العربية كان يقرأ ذلك جميعا بفتح ألفيهما بمعنى شهد الله أنه لا اله الا هو وأن الدين عند الله الاسلام فعطف بأن الدين على أنه الاولى ثم حذف واو العطف وهي مرادة في الكلام واحتج في ذلك بأن ابن عباس قرأ ذلك شهد الله إنه لا اله الا هو الآية ثم قال أن الدين بكسر ان الاولى وفتح أن الثانية باعمال شهد فيها وجعل ان الاولى اعتراضا في الكلام غير عامل فيها شهد وأن ابن مسعود قرأ شهد الله أنه لا اله الا هو بفتح أن وكسر ان من ان الدين عند الله الاسلام على معنى اعمال الشهادة في أن الاولى وان الثانية مبتدأة فزعم أنه أراد بقراءته اياهما بالفتح جمع قراءة ابن عباس وابن مسعود فخالف بقراءته ما قرأ من ذلك على ما وصفت جميع قراء أهل الاسلام المتقدمين منهم والمتأخرين بدعوى تأويل على ابن عباس وابن مسعود زعم أنهما قالاه وقرآ به وغير معلوم ما ادعى عليهما برواية صحيحة ولا سقيمة وكفى شاهدا على خطأ قراءته خروجها من قراءة أهل الاسلام فالصواب اذ كان الامر على ما وصفنا من قراءة ذلك فتح الالف من أنه الاولى وكسر الالف من ان الثانية أعني من قوله ان الدين عند الله الاسلام ابتداء وقد روي عن السدي في تأويل ذلك قول كالدال على تصحيح ما قرأ به في ذلك من ذكرنا قوله من أهل العربية في فتح أن من قوله ان الدين وهو ما حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة الى لا اله الا هو العزيز الحكيم فان الله يشهد هو والملائكة والعلماء من الناس أن الدين عند الله الاسلام فهذا التأويل يدل على أن الشهادة انما هي عاملة في ان الثانية التي في قوله ان الدين عند الله الاسلام فعلى هذا التأويل جائز في ان في الاولى وجهان من التأويل أحدهما أن تكون الاولى منصوبة على وجه الشرط بمعنى شهد الله بأنه واحد فتكون مفتوحة بمعنى الخفض في مذهب بعض أهل العربية وبمعنى النصب في مذهب بعضهم والشهادة عاملة في ان الثانية كأنك قلت شهد الله أن الدين عند الله الاسلام لانه واحد ثم تقدم لانه واحد فتفتحها على ذلك التأويل والوجه الثاني أن تكون إن الاولى مكسورة بمعنى الابتداء لانها معترض بها والشهادة واقعة على ان الثانية فيكون معنى الكلام شهد الله فانه لا اله الا هو والملائكة أن الدين عند الله الاسلام كقول القائل أشهد فاني محق أنك مما تعاب به بريء فان الاولى مكسورة لانها معترضة والشهادة واقعة على ان الثانية وأما قوله قائما بالقسط فانه بمعنى أنه الذي يلي العدل بين خلقه والقسط هو العدل من قولهم هو مقسط وقد أقسط اذا عدل ونصب قائما على القطع * وكان بعض نحويي أهل البصرة يزعم أنه حال من هو التي في لا اله الا هو * وكان بعض نحويي الكوفة يزعم أنه حال من اسم الله الذي مع قوله شهد الله فكان معناه شهد الله القائم بالقسط أنه لا اله الا هو وقد ذكر أنها في قراءة ابن مسعود كذلك وأولو العلم القائم بالقسط ثم حذفت الالف واللام من القائم فصار نكرة وهو نعت لمعرفة فنصب * وأولى القولين بالصواب في ذلك عندي قول من جعله قطعا على أنه من نعت الله جل ثناؤه لان الملائكة وأولي العلم معطوفون عليه فكذلك الصحيح أن يكون قوله قائما حالا منه وأما تأويل قوله لا اله الا هو العزيز الحكيم فانه نفي أن يكون شيء يستحق العبودة غير الواحد الذي لا شريك له في ملكه ويعني بالعزيز الذي لا يمتنع عليه شيء أراده ولا ينتصر منه أحد عاقبه أو انتقم منه الحكيم

المحكمات قوله (هن أم الكتاب) الأم في اللغة الاصل الذي يتكون منه الشئ فلما كانت المحكمات مفهومة بذواتها والمتشابهات انما تصير مفهومة باعانة المحكمات فلاجرم صارت المحكمات أصولا للمتشابهات وانما لم يقل أمهات الكتاب ليطابق المبتدأ لان مجموع المحكمات في تقدير شئ واحد هو الاصل لمجموع المتشابهات وهذا كقوله وجعلنا ابن مريم وأمه آية على معنى أن (١٤١) مجموعهما آية واحدة (وأخر) أي ومنه آيات أخر (متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ) أي ميل عن الحق (فيتبعون ما تشابه منه) لا يتمسكون الا بالمتشابه قال الربيع هم وفد نجران حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسيح فقالوا أليس هو كلمة الله وروح منه قال صلى الله عليه وسلم بلى قالوا حسبنا وقال الكلبي هم اليهود طلبوا علم مدة بقاء هذه الامة من الحروف المقطعة في أوائل السور وقال قتادة والزجاج هم منكرو البعث لانه قال في آخره وما يعلم تأويله الا الله وما ذاك الا وقت القيامة فانه تعالى أخفاها عن الخلائق حتى الملائكة والانبياء والتحقيق أنه عام لكل مبطل متشبث بأهداب المتشابهات لان اللفظ عام وخصوص السبب لا يمنع عن عموم اللفظ ويدخل فيه كل ما فيه لبس واشتباه ومن جملته ما وعد الله به الرسول من النصرة والكفار من النقمة فكانوا يقولون ائتنا بعذاب الله ومتى الساعة ولوما تأتينا بالملائكة فموهوا الامر على الضعفة قال أهل السنة ويدخل في هذا الباب استدلال المشبهة بقوله الرحمن على العرش استوى فانه لما ثبت بصريح العقل امتناع كون الاله في مكان والا لزم انقسامه وكل منقسم مركب وكل مركب ممكن فمن تمسك به كان متمسكا بالمتشابهات ومن جملة ذلك استدلال المعتزلة بالظواهر الدالة على تفويض الفعل بالكلية الى العبد فانه لما ثبت بالبرهان العقلي أن صدور الفعل يتوقف على حصول الداعي وأنه من الله تعالى والا تسلسل فيكون حصول الفعل مع تلك

في تدبيره فلا يدخله خلل وانما عنى جل ثناؤه بهذه الآية نفي ما أضافت النصارى الذين حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى من البنوة وما نسب اليه سائر أهل الشرك من أن له شريكا واتخاذهم دونه أربابا فأخبرهم الله عن نفسه أنه الخالق كل ما سواه وأنه رب كل ما اتخذه كل كافر وكل مشرك ربا دونه وأن ذلك مما يشهد به هو وملائكته وأهل العلم به من خلقه فبدأ جل ثناؤه بنفسه تعظيما لنفسه وتنزيها لها عما نسب الذين ذكرنا أمرهم من أهل الشرك به ما نسبوا اليها كما سن لعباده أن يبدؤا في أمورهم بذكره قبل ذكر غيره مؤدبا خلقه بذلك والمراد من الكلام الخبر عن شهادة من ارتضاهم من خلقه فقدموه من ملائكته وعلماء عباده فأعلمهم أن ملائكته التي يعظمها العابدون غيره من أهل الشرك ويعبدها الكثير منهم وأهل العلم منهم منكرون ما هم عليه مقيمون من كفرهم وقولهم في عيسى وقول من اتخذ ربا غيره من سائر الخلق فقال شهدت الملائكة وأولوا العلم أنه لا اله الا هو وأن كل من اتخذ ربا دون الله فهو كاذب احتجاجا منه لنبيه عليه السلام على الذين حاجوه من وفد نجران في عيسى واعترض بذكر الله وصفته على ما بينته كما قال جل ثناؤه واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه افتتاحا باسمه الكلام فكذلك افتتح باسمه والثناء على نفسه الشهادة بما وصفنا من نفي الألوهة عن غيره وتكذيب أهل الشرك به فأما ما قال الذي وصفنا قوله من أنه عنى بقوله شهد قضى فمما لا يعرف في لغة العرب ولا العجم لان الشهادة معنى والقضاء غيرها وبنحو الذي قلنا في ذلك روي عن بعض المتقدمين القول في ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم بخلاف ما قالوا يعني بخلاف ما قال وفد نجران من النصارى قائما بالقسط أي بالعدل حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بالقسط بالعدل ۞ القول في تأويل قوله (ان الدين عند الله الاسلام) ومعنى الدين في هذا الموضع الطاعة والذلة من قول الشاعر

ويوم الحزن اذ حشدت معد * وكان الناس الا نحن دينا

يعني بذلك مطيعين على وجه الذل ومنه قول القطامي * (١) كانت نوار تدينك الأديانا * يعني تذلك وقول الاعشى ميمون بن قيس

هو دان الرباب اذ كرهوا الديـ * ـن درا كابغزوة وصيال

يعني بقوله دان ذلل وبقوله كرهوا الدين الطاعة وكذلك الاسلام وهو الانقياد بالتذلل والخشوع والفعل منه أسلم بمعنى دخل في السلم كما يقال أقحط القوم اذا دخلوا في القحط وأربعوا اذا دخلوا في الربيع فكذلك أسلموا اذا دخلوا في السلم وهو الانقياد بالخضوع وترك الممانعة فاذ كان ذلك كذلك فتأويل قوله ان الدين عند الله الاسلام ان الطاعة التي هي الطاعة عنده الطاعة له واقرار الالسن والقلوب له بالعبودية والذلة وانقيادها له بالطاعة فيما أمر ونهى وتذللها له بذلك من غير استكبار عليه ولا انحراف عنه دون اشراك غيره من خلقه معه في العبودية والالوهية وبنحو ما قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الدين عند الله

(١) كذا في نسخة عتيقة والذي في الديوان كانت جنوب وكلا اللفظين اسم امرأة فلعل في البيت روايتين وحرر كتبه مصححه

الداعية وعدمه عند عدمها واجبا فيبطل التفويض ويثبت أن الكل بقضاء الله وقدره وإذا لاحت الدلائل العقلية فكيف يجوز للعاقل أن يسمى الآيات الدالة على القضاء والقدر بالمتشابه بناء على ما اشتهر بين الجمهور من أن كل آية توافق مذهبهم فهي المحكمة وكل آية تخالف مذهبهم فهي المتشابهة والانصاف ان الآيات ثلاثة أقسام أحدها ما يتأكد ظواهرها بالدلائل العقلية فذاك هو المحكم حقا وثانيها التي قامت الدلائل القاطعة على امتناع ظواهرها فذاك هو الذي يحكم فيه بأن مراد الله غير ظاهره وثالثها الذي لا يوجد مثل هذه الدلائل على طرفي ثبوته وانتفائه فهو المتشابه بمعنى أن الأمر اشتبه فيه ولم يتميز أحد الجانبين عن الآخر لكن ههنا عقدة أخرى وهي أن الدليل العقلي يختلف فيه أيضا بحسب ما رتبه كل فريق وتخيله صادقا في ظنه مادة وصورة فكل فريق يدعي مقتضى فكره أن الدليل العقلي قد قام على ما يوافق مذهبه وتأكد به الظاهر الذي تعلق به فلا خلاص من البين الا بتأييد سماوي ونور الهي ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ثم انه تعالى بين أن للزائغين غرضين أحدهما ابتغاء الفتنة وهي في اللغة الاستهتار بالشيء والغلو فيه يقال فلان مفتون بطلب الدنيا والرجل مفتون بابنه وبشعره فكان التمسك بذلك المتشابه يقرر البدعة والباطل في قلبه فيصير مفتونا به عاشقا لا ينقطع عنه تخيله البتة وقيل الفتنة في الدين هو الضلال عنه أي طلب أن يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم وعن الأصم انهم متى أوقعوا تلك المتشابهات في البين صار بعضهم مخالفا للبعض في الدين وذلك يفضي الى التقاتل والهرج والمرج فذاك هو الفتنة الغرض الثاني ابتغاء تأويله أي طلب المعنى الذي يرجع اليه اللفظ بحسب ما يشتهونه من غير أن يكون قد وجد له في كتاب الله بيان قال القاضي أبو بكر هؤلاء الزائغون قد ابتغوا المتشابه من وجهين أحدهما أن يحملوه على غير الحق وهو المراد من قوله ابتغاء الفتنة

الاسلام والاسلام شهادة أن لا اله الا الله والاقرار بما جاء به من عند الله وهو دين الله الذي شرع لنفسه وبعث به رسله ودل عليه أولياءه لا يقبل غيره ولا يجزي الا به حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال ثنا أبو العالية في قوله ان الدين عند الله الاسلام قال الاسلام الاخلاص لله وحده وعبادته لا شريك له واقام الصلاة وايتاء الزكاة وسائر الفرائض لهذا تبع حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أسلمنا قال دخلنا في السلم وتركنا الحرب حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير ان الدين عند الله الاسلام أي ما أنت عليه يا محمد من التوحيد للرب والتصديق للرسل ۞ القول في تأويل قوله (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) يعني بذلك جل ثناؤه وما اختلف الذين أوتوا الانجيل وهو الكتاب الذي ذكره الله في هذه الآية في أمر عيسى وافترائهم على الله فيما قالوه فيه من الاقوال التي كثر بها اختلافهم بينهم وتشتت بها كلمتهم وباين بها بعضهم بعضا حتى استحل بها بعضهم دماء بعض الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم يعني الا من بعد ما علموا الحق فيما اختلفوا فيه من أمره وأيقنوا أنهم فيما يقولون فيه من عظيم الفرية مبطلون فأخبر الله عباده أنهم أتوا ما أتوا من الباطل وقالوا ما قالوا من القول الذي هو كفر بالله على علم منهم بخطإ ما قالوه وأنهم لم يقولوا ذلك جهلا منهم بخطئه ولكنهم قالوه واختلفوا فيه الاختلاف الذي هم عليه تعديا من بعضهم على بعض وطلب الرياسات والملك والسلطان كما حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم قال قال أبو العالية الا من بعد ما جاءهم الكتاب والعلم بغيا بينهم يقول بغيا على الدنيا وطلب ملكها وسلطانها فقتل بعضهم بعضا على الدنيا من بعد ما كانوا علماء الناس حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع عن ابن عمر أنه كان يكثر تلاوة هذه الآية ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم يقول بغيا على الدنيا وطلب ملكها وسلطانها من قبلها والله أتينا ما كان علينا من يكون بعد أن يأخذ فينا كتاب الله وسنة نبيه ولكنا أتينا من قبلها حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال ان موسى لما حضره الموت دعا سبعين حبرا من أحبار بني اسرائيل فاستودعهم التوراة وجعلهم أمناء عليه كل حبر جزأ منه واستخلف موسى يوشع بن نون فلما مضى القرن الاول ومضى الثاني ومضى الثالث وقعت الفرقة بينهم وهم الذين أوتوا العلم من أبناء أولئك السبعين حتى أهراقوا بينهم الدماء ووقع الشر والاختلاف وكان ذلك كله من قبل الذين أوتوا العلم بغيا بينهم على الدنيا طلبا لسلطانها وملكها وخزائنها وزخرفها فسلط الله عليهم جبابرتهم فقال الله ان الدين عند الله الاسلام الى قوله والله بصير بالعباد يقول الربيع بن أنس هذا يدل على أنه كان عنده أنه معنى بقوله وما اختلف الذين أوتوا الكتاب اليهود من بني اسرائيل دون النصارى منهم ومن غيرهم وكان غيره يوجه ذلك الى أن المعنى به النصارى الذين أوتوا الانجيل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم الذي جاءك أي أن الله الواحد الذي ليس له شريك بغيا بينهم يعني بذلك النصارى ۞ القول في تأويل قوله (ومن يكفر بآيات

الله فان الله سريع الحساب) يعنى بذلك ومن يجحد حجج الله وأعلامه التى نصبها ذكرى لمن عقل وأدلة لمن اعتبر وتذكر فان الله محص عليه أعماله التى كان يعملها فى الدنيا فمجازيه بها فى الآخرة فانه جل ثناؤه سريع الحساب يعنى سريع الاحصاء وانما معنى ذلك أنه حافظ على كل عامل عمله لا حاجة به الى عقد كما يعقده خلقه بأكفهم أو يعونه بقلوبهم ولكنه يحفظ ذلك عليهم بغير كلفة ولا مؤنة ولا معاناة لما يعانيه غيره من الحساب وبنحو الذى قلنا فى معنى سريع الحساب كان مجاهد يقول حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب قال احصاؤه عليهم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب احصاؤه ۞ القول فى تأويل قوله (فان حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن) يعنى بذلك جل ثناؤه فان حاجك يا محمد النفر من نصارى أهل نجران فى أمر عيسى صلوات الله عليه فخاصموك فيه بالباطل فقل انقدت لله وحده بلسانى وقلبى وجميع جوارحى وانما خص جل ذكره بأمره بأن يقول أسلمت وجهى لله لأن الوجه أكرم جوارح ابن آدم عليه وفيه بهاؤه وتعظيمه فاذا خضع وجهه لشئ فقد خضع له الذى هو دونه فى الكرامة عليه من جوارح بدنه وأما قوله ومن اتبعن فانه يعنى وأسلم من اتبعنى أيضا وجهه لله معى ومن معطوف بها على التاء فى أسلمت كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير فان حاجوك أى بما يأتونك به من الباطل من قولهم خلقنا وفعلنا وجعلنا وأمرنا فانما هى شبه باطلة قد عرفوا ما فيها من الحق فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن ۞ القول فى تأويل قوله (وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا) يعنى بذلك جل ثناؤه وقل يا محمد للذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والأميين الذين لا كتاب لهم من مشركى العرب أأسلمتم يقول قل لهم هل أفردتم التوحيد وأخلصتم العبادة والالوهة لرب العالمين دون سائر الانداد والأشراك التى تشركونها معه فى عبادتكم اياهم واقراركم بربوبيتهم وأنتم تعلمون أنه لا رب غيره ولا اله سواه فان أسلموا يقول فان انقادوا لافراد الوحدانية لله واخلاص العبادة والالوهة له فقد اهتدوا يعنى فقد أصابوا سبيل الحق وسلكوا محجة الرشد فان قال قائل وكيف قيل فان أسلموا فقد اهتدوا عقيب الاستفهام وهل يجوز على هذا فى الكلام أن يقال لرجل هل تقوم فان تقم أكرمك قيل ذلك جائز اذا كان الكلام مرادا به الامر وان خرج مخرج الاستفهام كما قال جل ثناؤه ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون يعنى انتهوا وكما قال جل ثناؤه مخبرا عن الحواريين أنهم قالوا لعيسى يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء وانما هو مسئلة كما يقول الرجل هل أنت كاف عنا بمعنى اكفف عنا وكما يقول الرجل للرجل أين أين بمعنى أقم فلا تبرح ولذلك جوزى فى الاستفهام كما جوزى فى الامر فى قراءة عبد الله هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم آمنوا ففسرها بالامر وهى فى قراءتنا على الخبر فالمجازاة فى قراءتنا على قوله هل أدلكم وفى قراءة عبد الله على قوله آمنوا على الامر لانه هو التفسير وبنحو معنى ما قلنا فى ذلك قال بعض أهل التأويل حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين الذين لا كتاب لهم أأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج

والثانى أن يحكموا بالحكم فى الموضع الذى لا دليل فيه وهو قوله وابتغاء تأويله ثم قال عز من قائل (وما يعلم تأويله الا الله) والعلماء اختلفوا فى هذا الموضع منهم من يقف ههنا فعلى هذا لا يعلم المتشابه الا الله وهو قول ابن عباس وعائشة والحسن ومالك بن أنس والكسائى والفراء ومن المعتزلة قول أبى على الجبائى ومنهم من لم يجعل الواو فى والراسخون للابتداء وانما يجعله للعطف حتى يكون العلم بالمتشابه حاصلا عند الله وعند الراسخين لان وصفهم بالرسوخ فى العلم وهو الثبوت والتعمق وبعد الغور فيه يناسب ذلك وهذا قول مجاهد والربيع بن أنس وأكثر المتكلمين وقد يروى عن ابن عباس أيضا والمختار هو الاول لوجوه منها ما ذهب اليه كثير من العلماء أن أما فيه معنى التفصيل البتة وهذا انما يستقيم لو قدر وأما الراسخون فى العلم فيقولون ومنها ان اللفظ اذا كان له معنى راجح ثم دل دليل أقوى منه على أن ذلك الظاهر غير مراد علم أن مراد الله بعض مجازات تلك الحقيقة وفى المجازات كثرة وترجيح البعض على البعض لا يكون الا بالتراجيح اللغوية الظنية ومثل ذلك لا يصح الاستدلال به فى المسائل القطعية مثاله الرحمن على العرش استوى فانه دل الدليل على ان الاله يمتنع أن يكون فى المكان فعرفنا انه ليس مراد الله من هذه الآية ما أشعر به ظاهرها الا أن فى مجازات هذا اللفظ كثرة لا يتعين احدها الا بدليل لغوى ظنى والقول بالظن فى ذات الله وصفاته غير جائز باجماع المسلمين ولهذا قال مالك بن أنس الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة ومنها ما قيل ان هذه الآية ذم لطالب تأويل المتشابه حيث قال فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه وتخصيص بعض المتشابهات بذلك كطلب وقت الساعة ونحوه ترجيح من غير مرجح فالذم يتوجه على الكل وهو المطلوب ومنها أنه تعالى مدح الراسخين فى العلم بأنهم يقولون آمنا به وقال

عن ابن جريج قال قال ابن عباس وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين قال الاميون الذين لا يكتبون ۞ القول في تأويل قوله (وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد) يعني جل ثناؤه بقوله وان تولوا وان أدبروا معرضين عما تدعوهم اليه من الاسلام واخلاص التوحيد لله رب العالمين فانما أنت رسول مبلغ وليس عليك غير ابلاغ الرسالة الى من أرسلتك اليه من خلقي وأداء ما كلفتك من طاعتي والله بصير بالعباد يعني بذلك والله ذو علم بمن يقبل من عباده ما أرسلتك به اليه فيطيعك بالاسلام وبمن يتولى منهم عنه معرضا فيرد عليك ما أرسلتك به اليه فيعصيك باباءه الاسلام ۞ القول في تأويل قوله (ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق) يعني بذلك جل ثناؤه ان الذين يكفرون بآيات الله أي يجحدون حجج الله وأعلامه فيكذبون بها من أهل الكتابين التوراة والانجيل كما حدثني ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير قال ثم جمع أهل الكتابين جميعا وذكر ما أحدثوا وابتدعوا من اليهود والنصارى فقال ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق الى قوله قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وأما قوله ويقتلون النبيين بغير حق فانه يعني بذلك أنهم كانوا يقتلون رسل الله الذين كانوا يرسلون اليهم بالنهي عما يأتون من معاصي الله وركوب ما كانوا يركبونه من الامور التي قد تقدم الله اليهم في كتبهم بالزجر عنها نحو زكريا وابنه يحيى وما أشبههما من أنبياء الله ۞ القول في تأويل قوله (ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه عامة أهل المدينة والحجاز والبصرة والكوفة وسائر قراء الامصار ويقتلون الذين يأمرون بالقسط بمعنى القتل وقرأه بعض المتأخرين من قراء الكوفة ويقاتلون بمعنى القتال تأولا منه قراءة عبد الله بن مسعود وادعى أن ذلك في مصحف عبد الله وقاتلوا فقرأ الذي وصفنا أمره من القراءة بذلك التأويل ويقاتلون والصواب من القراءة في ذلك عندنا قراءة من قرأه ويقتلون لاجماع الحجة من القراء عليه به مع مجيء التأويل من أهل التأويل بان ذلك تأويله ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن معقل بن أبي مسكين في قول الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس قال كان الوحي يأتي الى بني اسرائيل فيذكرون ولم يكن يأتيهم كتاب فيقتلون فيقوم رجال ممن اتبعهم وصدقهم فيذكرون قومهم فيقتلون فهم الذين يأمرون بالقسط من الناس حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن قتادة في قوله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس قال هؤلاء أهل الكتاب كان أتباع الأنبياء ينهونهم ويذكرونهم فيقتلونهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج في قوله ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس قال كان ناس من بني اسرائيل ممن لم يقرأ الكتاب كان الوحي يأتي اليهم فيذكرون قومهم فيقتلون على ذلك فهم الذين يأمرون بالقسط من الناس حدثني أبو عبيد الرصافي محمد بن جعفر قال ثنا ابن حميد قال ثنا أبو الحسن مولى بني أسد عن مكحول عن قبيصة بن ذؤيب الخزاعي عن أبي عبيدة بن الجراح قال قلت يارسول الله أي الناس أشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا أو رجل أمر بالمنكر ونهى عن المعروف

تعالى في أول البقرة فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم فهؤلاء الراسخون لو كانوا عالمين بتأويل ذلك المتشابه على التفصيل لما كان لهم في الايمان به مدح ولا في قولهم كل من عند ربنا الان كل من عرف شيأ على التفصيل فانه لابد أن يؤمن به انما الراسخون في العلم هم الذين علموا بالدلائل القطعية أن الله تعالى عالم بالمعلومات التي لانهاية لها وعلموا أن القرآن كلام الله تعالى وأنه لا يتكلم بالباطل والعبث فاذا سمعوا آية ودلت الدلائل القاطعة على انه لايجوز أن يكون ظاهرها مراد الله تعالى عرفوا أن مراد الله تعالى منه شيء غير ذلك الظاهر ثم فوضوا تعيين ذلك المراد الى علمه وقطعوا بان ذلك المعنى أي شيء كان فهو الحق والصواب فهؤلاء هم الراسخون في العلم بالله بحيث لم يزعزعهم قطعهم بترك الظاهر ولا عدم علمهم بالمراد عن الايمان بالله والجزم بصحة القرآن ولم يصر كون ظاهره مردودا شبهة لهم في الطعن في كلام الله تعالى ثم ان جعل قوله والراسخون عطفا على اسم الله فقوله يقولون آمنا به كلام مستأنف موضح لحال الراسخين بمعنى هم يقولون آمنا بالمتشابه كل من عند ربنا أي كل واحد من المحكم والمتشابه من عنده وفي زيادة عند مزيد توضيح وتأكيد وتفخيم لشأن القرآن ويحتمل أن يعود الضمير في آمنا به الى الكتاب أي يقولون آمنا بالكتاب كل من محكمه ومتشابهه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه ولا يختلف كتابه ويحتمل أن يكون قوله يقولون حالا الا أن فيه اشكالا وهو ان ذا الحال هو الذي تقدم ذكره وههنا قد تقدم ذكر الله وذكر الراسخين
ثم
والحال لايمكن الا من الراسخين فيلزم ترك الظاهر (وما يذكر الا أولو الالباب) ما يتعظ الا ذوو العقول الكاملة الذين يستعملون أذهانهم في فهم القرآن فيعلمون ما الذي يطابق ظاهره دلائل العقل فيكون محكما وما الذي هو بالعكس فيكون متشابها ثم يعتقدون أن الكل كلام من لا يجوز

ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) الذين يقتلون النبيين بغير حق و يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس الى أن انتهى الى وما لهم من ناصرين ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار فى ساعة واحدة فقام مائة رجل واثنا عشر رجلا من عباد بنى اسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار فى ذلك اليوم وهم الذين ذكر الله عز وجل فتأويل الآية اذا ان الذين يكفرون بآيات الله و يقتلون النبيين بغير حق و يقتلون آمريهم بالعدل فى أمر الله ونهيه الذين ينهونهم عن قتل أنبياء الله وركوب معاصيه ۞ القول فى تأويل قوله (فبشرهم بعذاب أليم أولئك الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين) يعنى بقوله جل ثناؤه فبشرهم بعذاب أليم فأخبرهم يا محمد وأعلمهم أن لهم عند الله عذابا مؤلما لهم وهو الموجع وأما قوله أولئك الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة فانه يعنى بقوله أولئك الذين يكفرون بآيات الله ومعنى ذلك أن الذين ذكرناهم هم الذين حبطت أعمالهم يعنى بطلت أعمالهم فى الدنيا والآخرة فأما قوله فى الدنيا فلم ينالوا بها محمدة ولا ثناء من الناس لأنهم كانوا على ضلال و باطل ولم يرفع الله لهم بها ذكرا بل لعنهم وهتك أستارهم وأبدى ما كانوا يخفون من قبائح أعمالهم على ألسن أنبيائه ورسله فى كتبه التى أنزلها عليهم فأبقى لهم ما بقيت الدنيا مذمة فذلك حبوطها فى الدنيا وأما فى الآخرة فانه أعد لهم فيها من العقاب ما وصف فى كتابه وأعلم عباده أن أعمالهم تصير بورا لا ثواب لها لانها كانت كفرا بالله بخزاء أهلها الخلود فى الجحيم وأما قوله وما لهم من ناصرين فانه يعنى وما لهؤلاء القوم من ناصر ينصرهم من الله اذا هو انتقم منهم بما سلف من اجرامهم واجترائهم عليه فيستنقذهم منه ۞ القول فى تأويل قوله (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون) يعنى بذلك جل ثناؤه ألم تر يا محمد الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يقول الذين أعطوا حظا من الكتاب يدعون الى كتاب الله واختلف أهل التأويل فى الكتاب الذى عنى الله بقوله يدعون الى كتاب الله فقال بعضهم هو التوراة دعاهم الى الرضا بما فيها اذ كانت الفرق المنتحلة الكتب تقر بها و بما فيها انها كانت أحكام الله قبل أن ينسخ منها ما نسخ ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس قال ثنا محمد بن اسحق قال ثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال ثنى سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس على جماعة من يهود فدعاهم الى الله فقال له نعيم بن عمرو والحرث بن زيد على أى دين أنت يا محمد فقال على ملة ابراهيم ودينه فقالا فان ابراهيم كان يهوديا فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فهلموا الى التوراة فهى بيننا و بينكم فأبوا عليه فأنزل الله عز وجل ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون الى قوله ما كانوا يفترون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبى محمد مولى آل زيد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس فذكر نحوه الا أنه قال فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فهلما الى التوراة وقال أيضا فأنزل الله فيهما ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من

(١) كذا فى النسخ وفى الدر المنثور أيضا والتلاوة ان الذين يكفرون بآيات الله و يقتلون الخ كتبه مصححه

فى كلامه التناقض فيحكمون بأن ذلك المتشابه لا بد أن يكون له معنى صحيح عند الله وان دق عن فهومنا وقيل هو مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن التأمل حتى علموا من التأويل ما علموا ثم انه تعالى حكى عن الراسخين نوعين من الدعاء الاول قولهم ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا أى بعد وقت هدايتنا والثانى قولهم وهب لنا من لدنك رحمة سألوا ربهم أولا أن لا يجعل قلوبهم مائلة الى الاباطيل والعقائد الفاسدة ثم أن ينور قلوبهم بانوار المعرفة و يزين جوارحهم وأعضاءهم بزينة الطاعة والعبودية والخدمة ونكر رحمة ليشمل جميع أنواعها فأولها أن يحصل فى القلب نور الايمان والتوحيد والمعرفة وثانيها أن يحصل فى الجوارح والاعضاء نور الطاعة والعبودية والخدمة وثالثها أن يحصل له فى الدنيا سهولة أسباب المعيشة من الامن والصحة والكفاية ورابعها أن يحصل عند الموت سهولة سكرات الموت وخامسها سهولة السؤال والظلمة والوحشة فى القبر وسادسها فى القيامة سهولة العقاب والخطاب وغفران السيئات وتبديلها بالحسنات وسابعها فى الجنة ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين وثامنها فى الحضرة رفع الأستار ورؤية الملك الجبار وفى قولهم من لدنك تنبيه على أن هذا المقصود لا يحصل الا من عنده ويؤكده قوله انك أنت الوهاب فالمطالب وان كانت عظيمة فانها تكون حقيرة بالنسبة الى غاية كرمك ونهاية جودك وموهبتك ولنعد الى ما يتعلق بالدعاء الاول قال أهل السنة

القلب صالح لأن يميل الى الايمان وصالح لان يميل الى الكفر وكل منهما يتوقف على داعية ينشئها الله تعالى فيه اذ لو حدثت بنفسها لزم سد باب اثبات الصانع فان كانت داعية الكفر فهو الخذلان والازاغة والصد والختم والطبع والرين وغيرها مما ورد فى القرآن وان كانت داعية الايمان فهو التوفيق والرشاد والهداية والتثبيت والعصمة ونحوها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن يعنى الداعيتين ومما يؤكد ذلك أن الله تعالى مدح هؤلاء الراسخين بأنهم لا يتبعون المتشابهات بل يؤمنون بها على سبيل الاجمال و يتركون الخوض فيها فيبعد منهم فى مثل هذا الوقت أن يتكلموا بالمتشابه فتكون هذه الآية من أقوى المحكمات وهو ظاهر فى أن الازاغة والهداية كلتيهما من الله تعالى أما المعتزلة فقد قالوا لما دلت الدلائل على أن الازاغة لا يجوز أن تصدر من الله تعالى لأن ذلك ظلم وقبيح وجب صرف الآية الى التأويل فقال الجبائى واختاره القاضى المراد أن لا يمنع قلوبهم الألطاف التى معها يستمر قلبهم على صفة الايمان وزيف بأن اللطف ان صح فى حقهم وجب عندكم على الله أن يفعل ذلك وجوبا لو تركه لبطلت الهيته ولصار جاهلا أو محتاجا وقال الاصم لا تبلنا ببلوى يزيغ عندها قلوبنا والمعنى لا تكلفنا من العبادات ما لا نأمن معه الزيغ وقد يقول القائل لا تحملنى على ايذائك أى لا تفعل ما أصير عنده مؤذيا لك وزيف بأن التشديد فى التكليف قبيح ان علم الله تعالى أن له أثرا فى حمل المكلف على القبيح والا فوجوده كعدمه فلا فائدة فى صرف الدعاء اليه وقال الكعبى لا تسمنا باسم الزائغ كما يقال فلان يكفر فلانا أى يقول انه كافر وزيف بأن التسمية دائرة مع الفعل وفعل الزيغ باختيار العبد عندكم فالتسمية أيضا بسببه وقال الجبائى أيضا لا تزغ قلوبنا عن جنتك وثوابك وهو كالاول الا أن يحمل على شئ آخر وهو انه تعالى اذا علم أنه مؤمن فى الحال وعلم أنه لو بقى الى السنة الثانية لكفر أماته فى هذه السنة ويرد عليه أنه لو كان علمه بأنه يكفر فى السنة الثانية يوجب عليه أن يميته لكان علمه بأنه لا يؤمن قط و يبقى على الكفر طول عمره و بنحو

الكتاب وسائر الحديث مثل حديث أبى كريب * وقال بعضهم بل ذلك كتاب الله الذى أنزله على محمد وانما دعيت طائفة منهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحكم بينهم بالحق فأبت ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون أولئك أعداء الله اليهود دعوا الى كتاب الله ليحكم بينهم والى نبيه ليحكم بينهم وهم يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل ثم تولوا عنه وهم معرضون حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن قتادة ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب الآية قال هم اليهود دعوا الى كتاب الله والى نبيه وهم يجدونه مكتوبا عندهم ثم يتولون وهم معرضون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم قال كان أهل الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم بالحق يكون وفى الحدود وكان النبى صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى الاسلام فيتولون عن ذلك * وأولى الاقوال فى تأويل ذلك عندى بالصواب أن يقال ان الله جل ثناؤه أخبر عن طائفة من اليهود الذين كانوا بين ظهرانى مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عهده ممن قد أوتى علما بالتوراة أنهم دعوا الى كتاب الله الذى كانوا يقرون أنه من عند الله وهو التوراة فى بعض ما تنازعوا فيه هم ورسول الله صلى الله عليه وسلم وقد يجوز أن يكون تنازعهم الذى كانوا تنازعوا فيه ثم دعوا الى حكم التوراة فيه فامتنعوا من الاجابة اليه كان أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأمر نبوته و يجوز أن يكون ذلك كان أمر ابراهيم خليل الرحمن ودينه ويجوز أن يكون ذلك ما دعوا اليه من أمر الاسلام والاقرار به ويجوز أن يكون ذلك كان فى حد فان كل ذلك مما قد كانوا نازعوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم فيه الى حكم التوراة فأبى الاجابة فيه وكتمه بعضهم ولا دلالة فى الآية على أن ذلك كان ممن أبى فيجوز أن يقال هو هذا دون هذا ولا حاجة بنا الى معرفة ذلك لان المعنى الذى دعوا اليه جملته هو مما كان فرضا عليهم الاجابة اليه فى دينهم فامتنعوا منه فأخبر الله جل ثناؤه عنهم بردتهم وتكذيبهم بما فى كتابهم وجحودهم ما قد أخذ عليهم عهودهم ومواثيقهم باقامته والعمل به فلن يعدوا أن يكونوا فى تكذيبهم محمدا وما جاء به من الحق مثلهم فى تكذيبهم موسى وما جاء به وهم يتولونه و يقرون به * ومعنى قوله ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ثم يستدبر عن كتاب الله الذى دعا الى حكمه معرضا عنه منصرفا وهو بحقيقته وحجته عالم وانما قلنا ان ذلك الكتاب هو التوراة لانهم كانوا بالقرآن مكذبين وبالتوراة بزعمهم مصدقين فكانت الحجة عليهم بتكذيبهم بما هم به فى زعمهم مقرون أبلغ وللعذر أقطع

القول فى تأويل قوله (ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون) يعنى جل ثناؤه بقوله بأنهم قالوا بأن هؤلاء الذين دعوا الى كتاب الله ليحكم بينهم بالحق فيما نازعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أبوا الاجابة الى حكم التوراة وما فيها من الحق من أجل قولهم لن تمسنا النار الا أياما معدودات وهى أربعون يوما وهن الايام التى عبدوا فيها العجل ثم يخرجنا منها ربنا اغترارا منهم بما كانوا يفترون يعنى بما كانوا يختلقون من الاكاذيب والاباطيل فى ادعائهم أنهم أبناء الله وأحباؤه وأن الله قد وعد أباهم يعقوب أن لا يدخل أحدا من ولده النار الا تحلة القسم فأكذبهم الله على ذلك كله من أقوالهم وأخبر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أنهم هم أهل النار هم فيها خالدون دون المؤمنين بالله ورسله وما جاؤا به من عنده

يوجب أن لا يخلقه وعن الاصم أيضا لا تزغ قلوبنا عن كمال العقل بالجنون بعد اذ هديتنا بنور العقل ولا يخفى تعسفه وعدم مناسبته لقوله فأما الذين في قلوبهم زيغ وقال أبو مسلم احرسنا من الشيطان ومن شرور أنفسنا حتى لا نزيغ ثم انهم لما طلبوا أن يصونهم عن الزيغ وأن يخصهم بالهداية والرحمة فكأنهم قالوا ليس الغرض من هذا السؤال ما يتعلق

بمصالح الدنيا فانها منقضية ولكن الغرض ما يتعلق بالآخرة فانا نعلم أنك جامع الناس للجزاء في يوم لا ريب فيه أي في وقوعه فاللام للوقت أو جامع الناس لجزاء يوم فحذف المضاف (ان الله لا يخلف الميعاد) قيل هو كلام الله تعالى كأنه يصدقهم فيما قالوه ولو كان من تمام قول المؤمنين لقيل انك لا تخلف الآن يحمل على الالتفات ومعناه ان الالهية تنافي خلف الميعاد كقولك ان الجواد لا يخيب سائله ولا سيما وعد الحشر والجزاء لينتصف المظلومين من الظالمين والميعاد المواعدة والوقت والموضع قاله في الصحاح * واعلم أنه لا يلزم من أنه تعالى لا يخلف الوعد القطع بوعيد الفساق كما زعم المعتزلة لان كل ما ورد في وعيد الفساق فهو عندنا مشروط بشرط عدم العفو كما أنه بالاتفاق مشروط بشرط عدم التوبة بدليل منفصل قال الواحدي ولم لا يجوز أن يحمل هذا على ميعاد الأولياء دون وعيد الأعداء لان خلف الوعيد كرم عند العرب قال بعضهم.

اذا وعد السراء أنجز وعده * وان أوعد الضراء فالعفو مانعه

وناظر أبو عمرو بن العلاء عمرو بن عبيد فقال ما تقول في أصحاب الكبائر فقال ان الله وعد وعدا وأوعد ايعادا فهو منجز ايعاده كما هو منجز وعده فقال أبو عمرو انك أعجم لا أقول أعجم اللسان ولكن أعجم القلب لان العرب تعد الرجوع عن الوعد لؤما وعن الايعاد كرما وأنشد

واني وان أوعدته أو وعدته * لمكذب ايعادي ومنجز موعدي

وذلك أن الوعد حق عليه والوعيد حق له ومن أسقط حق نفسه فقد

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات قالوا لن تمسنا النار الا تحلة القسم التي نصبنا فيها العجل ثم ينقطع القسم والعذاب عنا قال الله عز وجل وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون أي قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات الآية قال قالوا لن نعذب في النار الا أربعين يوما قال يعني اليهود قال وقال قتادة مثله وقال هي الأيام التي نصبوا فيها العجل يقول الله عز وجل وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون حين قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال مجاهد قوله وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون قال غرهم قولهم لن تمسنا النار الا أياما معدودات * القول في تأويل قوله (فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) يعني بقوله جل ثناؤه فكيف اذا جمعناهم فأي حال يكون حال هؤلاء القوم الذين قالوا هذا القول وفعلوا ما فعلوا من إعراضهم عن كتاب الله واغترارهم بربهم وافترائهم الكذب وذلك من الله عز وجل وعيد لهم شديد وتهديد غليظ وانما يعني بقوله فكيف اذا جمعناهم الآية فما أعظم ما يلقون من عقوبة الله وتنكيله بهم اذا جمعهم ليوم يوفى كل عامل جزاء عمله على قدر استحقاقه غير مظلوم فيه لانه لا يعاقب فيه الا على ما اجترم ولا يؤاخذ الا بما عمل يجزى المحسن باحسانه والمسيء باساءته لا يخاف أحد من خلقه منه يومئذ ظلما ولا هضما فان قال قائل وكيف قيل فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ولم يقل في يوم لا ريب فيه قيل لمخالفة معنى اللام في هذا الموضع معنى في وذلك أنه لو كان مكان اللام في لكان معنى الكلام فكيف اذا جمعناهم في يوم القيامة ماذا يكون لهم من العذاب والعقاب وليس ذلك المعنى في دخول اللام ولكن معناه مع اللام فكيف اذا جمعناهم لما يحدث في يوم لا ريب فيه ولما يكون في ذلك اليوم من فصل الله القضاء بين خلقه ماذا لهم حينئذ من العقاب وأليم العذاب فمع اللام في ليوم لا ريب فيه نية فعل وخبر مطلوب قد ترك ذكره أخيرا بدلالة دخول اللام في اليوم عليه منه وليس ذلك مع في فلذلك اختيرت اللام فأدخلت في ليوم دون في وأما تأويل قوله لا ريب فيه فانه لا شك في مجيئه وقد دللنا على أنه كذلك بالأدلة الكافية مع ذكر من قال ذلك في تأويله فيما مضى بما أغنى عن اعادته وعني بقوله ووفيت ووفى الله كل نفس ما كسبت يعني ما عملت من خير وشر وهم لا يظلمون يعني أنه لا يبخس المحسن جزاء احسانه ولا يعاقب مسيئا بغير جرمه * القول في تأويل قوله (قل اللهم) أما تأويل قل اللهم فانه قل يا محمد يا الله واختلف أهل العربية في نصب ميم اللهم وهو منادى وحكم المنادى المفرد غير المضاف الرفع وفي دخول الميم فيه وهو في الاصل الله بغير ميم فقال بعضهم انما زيدت فيه الميمان لانه لا ينادى بيا كما ينادى الاسماء التي لا ألف فيها ولا لام وذلك أن الاسماء التي لا ألف ولا لام فيها تنادى بيا كقول القائل يا زيد ويا عمرو قال فجعلت الميم فيه خلفا من يا كما قالوا فم (١) ودم وهم وزرقم وستهم وما أشبه ذلك من الاسماء والنعوت التي يحذف منها الحرف ثم يبدل مكانه ميم قال فكذلك حذفت من اللهم يا التي ينادى بها الاسماء التي على ما وصفنا وجعلت الميم خلفا منها في آخر الاسم وأنكر ذلك من قولهم آخرون وقالوا قد سمعنا العرب تنادي اللهم بيا كما تناديه ولا ميم فيه قالوا فلو كان الذي قال هذا القول مصيبا في دعواه لم تدخله العرب يا وقد جاؤا بالخلف منها وأنشدوا في ذلك سماعا من العرب

(١) قوله ودم كذا في النسخ وانظر

أتى بالجود والكرم ومن أسقط حق غيره فذلك هو اللؤم فهذا هو الفرق بين الوعد والوعيد على أنا لا نسلم أن الوعيد ثابت جزما من غير شرط بل هو مشروط بعدم العفو فلا يلزم من تركه دخول الكذب فى كلام الله تعالى ثم انه سبحانه لما حكى عن المؤمنين دعاءهم وتضرعهم حكى كيفية حال الكافرين وشدة عذابهم

فقال (ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ) وقيل المراد وفد نجران وذلك أنا روينا فى قصتهم ان أبا حارثة بن علقمة قال لأخيه انى أعلم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا ولكنى ان أظهرت ذلك أخذ ملوك الروم منى ما أعطونى من المال فالله تعالى بين أن أموالهم وأولادهم لا تدفع عنهم عذاب الله فى الدنيا والآخرة لكن خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ * واعلم أن كمال العذاب هو أن يزول عنه كل ما كان منتفعا به ويجتمع عليه جميع الاسباب المؤلمة أما الاول فاليه أشار بقوله لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم لانهما أقرب الامور التى يفزع اليها المرء عند الخطوب واذا لم يفد أقرب الطرق الى دفع المضار فى ذلك اليوم فما عداه بالتعذر أولى ومثله يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير وأما الثانى فاليه أشار بقوله (وأولئك هم وقود النار) فانه لا عذاب أزيد من أن تشتعل النار فيهم كاشتعالها فى الحطب اليابس ومن فى قوله من الله للبدل مثله فى قوله ان الظن لا يغنى من الحق شيأ أى بدله والمضاف محذوف تقديره لن تغنى عنهم بدل رحمة الله أو طاعته شيأ وفى الحديث ولا ينفع ذا الجد منك الجد أى لا ينفعه جده وحظه فى الدنيا بدل طاعتك وعبادتك وما عندك وأنشد أبو على فليت لنا من ماء زمزم شربة * مبردة باتت على طهيان وطهيان من بلاد الازد أحد

وما عليك أن تقولى كلما * صليت أو كبرت يا ألهما * اردد علينا شيخنا مسلما

ويروى سبحت أو كبرت قالوا ولم نر العرب زادت مثل هذه الميم الا مخففة فى نواقص الاسماء مثل فم ودم وهم قالوا ونحن نرى أنها كلمة ضم اليها أم بمعنى يا ألله أمنا بخير فكثرت فى الكلام فاختلطت به قالوا فالضمة التى فى الهاء من همزة أم لما تركت انتقلت الى ما قبلها قالوا ونرى أن قول العرب هلم الينا مثلها انما كان هلم هل ضم اليها أم فتركت على نصبها قالوا ومن العرب من يقول اذا طرح الميم يا ألله اغفر لى ويا الله اغفر لى بهمز الالف من الله مرة ووصلها أخرى فمن حذفها أجراها على أصلها لانها ألف ولام مثل الالف واللام اللتين يدخلان فى الاسماء المعارف زائدتين ومن همزها توهم انها من الحرف اذ كانت لا تسقط منه وأنشدوا فى همز الالف منها

مبارك هو ومن سماه * على اسمك اللهم يا ألله

قالوا وقد كثرت اللهم فى الكلام حتى خففت ميمها فى بعض اللغات وأنشدوا

كحلفة من أبى رباح * يسمعها اللهم الكبار

والرواة تنشد ذلك * يسمعها لاهه الكبار * وقد أنشده بعضهم * يسمعها الله والكبار *

﴿ القول فى تأويل قوله (مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء) يعنى بذلك يا مالك الملك يا من له ملك الدنيا والآخرة خالصا دون غيره كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير قوله قل اللهم مالك الملك أى رب العباد الملك لا يقضى فيهم غيرك وأما قوله تؤتى الملك من تشاء فانه يعنى تعطى الملك من تشاء فتملكه وتسلطه على من تشاء وقوله وتنزع الملك ممن تشاء أن تنزعه منه فترك ذكر أن تنزعه منه اكتفاء بدلالة قوله وتنزع الملك ممن تشاء عليه كما يقال خذ ما شئت وكن فيما شئت يراد خذ ما شئت أن تأخذه وكن فيما شئت أن تكون فيه وكما قال جل ثناؤه فى أى صورة ما شاء ركبك يعنى فى أى صورة شاء أن يركبك فيها ركبك وقيل ان هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم جوابا لمسئلته ربه أن يجعل ملك فارس والروم لأمته ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه جل ثناؤه أن يجعل له ملك فارس والروم فى أمته فأنزل الله عز وجل قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء الى انك على كل شئ قدير حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن قتادة قال ذكر لنا والله أعلم أن نبى الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه عز وجل أن يجعل ملك فارس والروم فى أمته ثم ذكر مثله وروى عن مجاهد أنه كان يقول معنى الملك فى هذا الموضع النبوة ذكر الرواية عنه بذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء قال النبوة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله ﴿ القول فى تأويل قوله (وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير) يعنى جل ثناؤه وتعز من تشاء باعطائه الملك والسلطان وبسط القدرة له وتذل من تشاء بسلبك ملكه وتسليط عدوه عليه بيدك الخير أى كل ذلك بيدك واليك لا يقدر على ذلك

أحدا لانك على كل شيء قدير دون سائر خلقك ودون من اتخذه المشركون من أهل الكتاب والاميين من العرب الها وربا يعبدونه من دونك كالمسيح والانداد التي اتخذها الاميون ربا كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير قوله تؤتي الملك من تشاء الآية أي ان ذلك بيدك لا الى غيرك انك على كل شيء قدير أي لا يقدر على هذا غيرك بسلطانك وقدرتك ﴿ القول في تأويل قوله (تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل) يعني بقوله جل ثناؤه تولج تدخل يقال منه قد ولج فلان منزله اذا دخله فهو يلجه ولجا وولوجا ولجة وأولجته أنا اذا أدخلته ويعني بقوله تولج الليل في النهار تدخل ما نقصت من ساعات الليل في ساعات النهار فتزيد من نقصان هذا في زيادة هذا وتولج النهار في الليل وتدخل ما نقصت من ساعات النهار في ساعات الليل فتزيد في ساعات الليل ما نقصت من ساعات النهار كما حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة والنهار تسع ساعات وتدخل النهار في الليل حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا حفص عن عمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال ما نقص من النهار يجعله في الليل وما نقص من الليل يجعله في النهار حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل قال ما ينقص من أحدهما يدخل في الآخر متعاقبان أو يتعاقبان شك أبو عاصم ذلك من الساعات حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل ما ينقص من أحدهما في الآخر يتعاقبان ذلك من الساعات حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن قوله تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل نقصان الليل في زيادة النهار ونقصان النهار في زيادة الليل حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل قال هو نقصان أحدهما في الآخر حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن قتادة في قوله تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل قال يأخذ الليل من النهار ويأخذ النهار من الليل يقول نقصان الليل في زيادة النهار ونقصان النهار في زيادة الليل حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل يعني انه يأخذ أحدهما من الآخر فيكون الليل أحيانا أطول من النهار والنهار أحيانا أطول من الليل حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل قال هذا طويل وهذا قصير أخذ من هذا فأولجه في هذا حتى صار هذا طويلا وهذا قصيرا ﴿ القول في تأويل قوله (وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم تأويل ذلك أنه يخرج الشيء الحي من النطفة الميتة ويخرج النطفة الميتة من الشيء الحي ذكر من قال ذلك حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم عن عبد الله في قوله تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي قال هي النطفة تخرج من الرجل وهي ميتة وهو حي ويخرج الرجل منها حيا وهي ميتة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل تخرج الحي من الميت

قلت يجوز أن يقال من للابتداء تقديره من عذاب الله والجار والمجرور مقدم حالا من شيء أو من زائدة لتأكيد النفي التقدير لن تغني عنهم عذاب الله شيأ من الغناء أي لن تدفع وقال أبو عبيدة من بمعنى عند والمعنى لن تغني عند الله شيأ قوله تعالى (كدأب آل فرعون) يقال دأب فلان في عمله أي جد وتعب دأبا ودؤبا فهو دئب وأدأبته أنا والدائبان الليل والنهار والدأب العادة والشأن وكل ما عليه الانسان من صنيع وحالة وقد يحرك وأصله من دأبت اطلاقا لاسم الخاص على العام أي جد هؤلاء الكفار واجتهادهم أو شأنهم أو صنيعهم في تكذيب محمد وكفرهم بدينه كدأب آل فرعون مع موسى عليه السلام ثم انا أهلكنا أولئك بذنوبهم فكذلك نهلك هؤلاء فقوله (كذبوا بآياتنا) تفسير لدأبهم على أنه جواب سؤال مقدر كأنه قيل ما فعلوا وما فعل بهم فقيل كذبوا بآياتنا بالمعجزات الدالة على صدق رسلنا (فأخذهم الله بذنوبهم) أي صاروا عند نزول العذاب كالمأخوذ المأسور الذي لا يقدر على وجه الخلاص البتة وقيل المعنى كدأب الله في آل فرعون أي يجعلهم الله وقود النار كعادته وصنيعه في آل فرعون والمصدر يضاف تارة الى الفاعل وتارة الى المفعول وقال القفال يحتمل أن تكون الآية جامعة للعادة المضافة الى الله تعالى وللعادة المضافة الى الكفار كأنه قيل ان عادة هؤلاء الكفار ومذهبهم في ايذاء محمد كعادة من قبلهم في ايذاء الرسل وعادتنا أيضا في اهلاك هؤلاء كعادتنا في اهلاك أولئك الكفرة وقيل الدؤب والدأب اللبث والدوام والتقدير دؤبهم في النار كدؤب آل فرعون وقيل مشقتهم وتعبهم في النار كمشقة آل فرعون بالعذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب وقيل المشبه هو أن أموالهم وأولادهم لا تنفعهم في ازالة العذاب والمعنى انكم قد عرفتم ما حل بآل فرعون ومن قبلهم من المكذبين بالرسل من العذاب المعجل الذي عنده لم ينفعهم مال ولا ولد

فكذلك حالكم أيها الكفار المكذبون بمحمد فينزل بكم مثل ما نزل بهم ولا تغني عنكم الاموال والاولاد ويحتمل أن يكون وجه التشبيه انه كما
نزل بمن تقدم العذاب المعجل بالاستئصال وهو قوله فأخذهم الله بذنوبهم ثم صاروا الى دوام العذاب وهو قوله والله شديد العقاب فسينزل
بمن كذب بمحمد أمران أحدهما المحن المعجلة من القتل والسبي والاذلال وسلب الاموال واليه الاشارة بقوله فيما بعد (قل

ويخرج الميت من الحي قال الناس الاحياء من النطف والنطف ميتة ويخرجها من الناس الاحياء والانعام
حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع
قال ثنا أبي عن سلمة بن نبيط عن الضحاك في قوله تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي فذكر نحوه
حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي تخرج الحي من الميت وتخرج الميت
من الحي فالنطفة ميتة تكون تخرج من انسان حي ويخرج انسان حي من نطفة ميتة حدثني محمد
ابن عمرو وابن علي عن عطاء المقدمي قال ثنا أشعث السجستاني قال ثنا شعبة عن اسمعيل بن أبي
خالد في قوله تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي قال تخرج النطفة من الرجل والرجل من
النطفة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله تخرج الحي
من الميت وتخرج الميت من الحي قال تخرج الحي من هذه النطفة الميتة وتخرج هذه النطفة الميتة من
الحي حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قوله تخرج
الحي من الميت وتخرج الميت من الحي الآية قال الناس الأحياء من النطف والنطف ميتة من الناس
الأحياء ومن الانعام والنبت كذلك قال ابن جريج وسمعت يزيد بن عويمر يخبر عن سعيد بن جبير قال
اخراجه النطفة من الانسان واخراجه الانسان من النطفة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال
قال ابن زيد في قوله تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي قال النطفة ميتة فتخرج منها أحياء
وتخرج الميت من الحي تخرج النطفة من هؤلاء الاحياء والحب ميت تخرج منه حيا وتخرج الميت من
الحي تخرج من هذا الحي حبا ميتا * وقال آخرون معنى ذلك انه يخرج النخلة من النواة والنواة
من النخلة والسنبل من الحب والحب من السنبل والبيض من الدجاج والدجاج من البيض ذكر من
قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا أبو تميلة قال ثنا عبد الله عن عكرمة قوله تخرج الحي من الميت
قال هي البيضة تخرج من الحي وهي ميتة ثم يخرج منها الحي حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا
حفص بن عمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة في قوله تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي قال
النخلة من النواة والنواة من النخلة والحبة من السنبلة والسنبلة من الحبة * وقال آخرون معنى ذلك
انه يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال
ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن في قوله تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي يعني المؤمن من
الكافر والكافر من المؤمن والمؤمن عبد حي الفؤاد والكافر عبد ميت الفؤاد حدثنا الحسن بن يحيى
قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال قال الحسن في قوله تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من
الحي قال يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن حدثنا عمران بن موسى قال ثنا
عبد الوارث عن سعيد بن عمرو عن الحسن قرأ تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي قال تخرج
المؤمن من الكافر وتخرج الكافر من المؤمن حدثني حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال
ثنا سليمان التيمي عن أبي عثمان عن سلمان أو عن ابن مسعود وأكبر ظني أنه عن سلمان قال ان الله
عز وجل خمر طينة آدم أربعين ليلة أو قال أربعين يوما ثم قال بيده فيه فخرج كل طيب في يمينه وخرج
كل خبيث في يده الأخرى ثم خلط بينهما ثم خلق منها آدم فمن ثم يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من
الحي

للذين كفروا ستغلبون) والثاني المصير الى العذاب الدائم وذلك قوله (وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد) ((التأويل)) الم الالف اظهار الوحدة مطلقا ذاتا وصفة فان الالف واحد في ذاته وصفاته في وضع الحساب ومتفرد بالاولية والانقطاع عن غيره في وضع الحروف ويشير باستقامته وعدم تغيره في جميع الاحوال الى عدم تغيره عن الوجود الوحداني أزلا وأبدا فان الالف مصدر جميع الحروف فان من استقامته يخرج كل حرف معوج ثم في اللام والميم المتصل كل حرف منهما بالآخر اثبات أن كل موجود سوى الوحدة موصوف بالاثنينية وذلك قسمان قسم لم يكن فكان ثم يزول وقسم ما كان فكان ولا يزول وهذان قسمان محدثان وموجدهما الواحد القديم الذي لا يزال كان ولا يزال يكون واليه الاشارة بالالف وأما اللام فاشارة الى القسم الذي لم يكن فكان ولا يكون باقيا وهو عالم الصورة والملك والاجساد فوقوعه في المرتبة الثانية من الالف اشارة الى أنه
مسبوق بالوجود والالف سابق عليه والانكسار فيه يشير الى تغيره وزواله والميم اشارة الى القسم الذي لم يكن فكان
ولا يزال يبقى وهو عالم المعنى والملكوت والارواح وذلك أن الميم أول حرف من اسمه المبدئ وآخر حرف من اسمه القيوم فيشير الى أنه كما أبدأه
المبدئ حين لم يكن يقيمه القيوم حين كان لا يزال وبوجه آخر الالف اشارة الى وجود حقيقي قائم بذاته واللام يشير الى اثبات ونفي فالاثبات

في لام التمليك له ما في السموات والارض والنفي في لا النافيــة أي لا وجود لشيء بالحقيقــة سواه والميم يشــير أيضا الى اثبات ونفي فالاثبات ميم اسمه القيوم والنفي ما النافية أي ما في الوجود حقيقة الا هو ودليــل الوجهين في الم الله لا اله الا هو الحي القيوم فالله اثبات ذاته القــديم ولا اله الا هو نفي الشرك عن وجوده واثبات وحــدته في وجوده والحي القيوم اثبات (١٥١) جميع صفات كماله ونفي جميع سمات النقص عن ذاته وقد أودع مجموع معاني هذه الآية في قوله الم فمعنى قوله الله أودع في أول حرف من حروفــه وهو الالف ومعنى قوله لا اله الا هو أودع في أول حرف من حروفــه وهو اللام ومعنى قوله الحي القيوم أودع في آخر حرف من حروفه وهو الميم وانما أودع في آخر حروفه ههنا ليكون السر مودعا في الآية من أول حرفها الى آخر حرفها مكتوما فيما بينهما والحروف الثــلاثة من قوله الم يكون الألف من أولها دالا علــى المعنى الذي هو في الكلمة الاولى وهي الله واللام من أوسطها دالا على المعــنى الذي في الكلمة الثانيــة وهي لا اله الا هو والمــيم من آخرها دالا على المعنى الذي هو مودع في الثالثــة وهو الحي القيوم فيكون الاسم الاعظم مودعا في الم كما روي عن سعيد بن جبير وغــيره وهو سر القرآن وصــفوته كما روي عن أبي بكر وعلي عليه السلام ثم انه تعــالى بعد أن أظهر أسرار ألوهيته المودعة في الم بقوله الله لا اله الا هو الحي القيوم أظهر ألطاف ربوبيتــه المكنونة في أستار العزة مع حبيبه محمد صلى الله عليه وســلم فقال نزل عليــك الكتاب بالحق أي نزل حقائق القرآن وأنواره على قلبك بالحقيقة متجلية لسرك مخفية عن زورك فصرت مشاهدا لسر الله المودع في الم وهو الذي بين يدي الله لا اله الا هو الحي القيوم فصرت مصدقا له تصديق تحقيق لا تصــديق تقليد فافهم اذلم تتعلم ولا تعــلم انك لا تفهم لانه منطق الطير وأنت بعد بيضة لا من الطيارين ولا من الســيارين وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس فلا تظنن يا محمد أن انزال الكتب على

الحي يخرج المؤمن من الكافــر ويخرج الــكافر من المؤمن حدثنا الحســن بن يحيى قال أخــبرنا عبــد الرزاق قال أخــبرنا معمر عن الزهــري أن النبي صــلى الله عليه وســلم دخل على بعض نسائه فاذا بامرأة حســنة النغمة فقال من هــذه قالت احــدى خالاتك قال ان خالاتي بهــذه البلد لغرائب وأي خالاتي هــذه قالت خلدة ابنــة الاسود بن عبــد يغوث قال سبحان الذي يخــرج الحي من الميت وكانت امرأة صالحة وكان أبوها كافرا حدثني محمــد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد بن منصور عن الحسن في قوله تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي قال هــل علمتم أن الكافر يلد مؤمنا وأن المؤمن يلد كافرا فقال هو كذلك * وأولى التأويلات التي ذكرناها في هــذه الآية بالصواب تأويل من قال يخرج الانســان الحي والانعــام والبهــائم الاحيــاء من النطف الميتــة وذلك اخراج الحي من الميت ويخرج النطفة الميتة من الانسان الحي والانعــام والبهــائم الاحياء وذلك اخراج الميت من الحي وذلك ان كل حي فارقه شيء من جسده فذلك الذي فارقه منه ميت فالنطفــة ميتــة لمفارقتها جســدا من خرجت منه ثم ينشئ الله منها انسانا حيا وبهــائم وأنعاما أحياء وكذلك حكم كل شيء حي زايله شيء منه فالذي زايله منــه ميت وذلك هو نظير قوله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحيا كم ثم يميتــكم ثم يحييكم ثم اليــه ترجعون وأما تأويل من تأوله بمعنى الحبة من السنبلة والسنبلة من الحبــة والبيضة من الدجاجة والدجاجــة من البيضة والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن فان ذلك وان كان له وجــه مفهوم فليس ذلك الأغلب الظــاهر في استعمــال الناس في الــكلام وتوجيه معاني كتاب الله عز وجل الى الظاهر المستعمل في الناس أولى من توجيهها الى الخفي القليــل في الاستعمــال واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته جماعة منهم تخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي بالتشديد وتثقيل اليــاء من الميت بمعنى أنه يخرج الشيء الحي من الشيء الذي قــد مات ومما لم يمت وقرأت جمــاعــة أخرى منهــم تخرج الحي من الميت وتخــرج الميت من الحي بتخفيف اليــاء من الميت بمعــنى انه يخرج الشيء الحي من الشيء الذي قــد مات دون الشيء الذي لم يمت وتخرج الشيء الميت دون الشيء الذي لم يمت من الشيء الحي وذلك أن الميت مثقــل الياء عنــد العرب ما لم يمت وسيموت وما قد مات وأما الميت مخففا فهو الذي قد مات فاذا أرادوا النعت قالوا انك مائت غدا وانهم مائتون وكذلك كل ما لم يكن بعد فانه يخرج على هذا المثال الاسم منه يقال هو الجائد بنفســه والطائبة نفســه بذلك واذا أريد معنى الاسم قيل هو الجواد بنفســه والطيبة نفسه فاذ كان ذلك كذلك فأولى القراءتين في هــذه الآية بالصواب قراءة من شــدد الياء من الميت لان الله جل ثناؤه يخرج الحي من النطفة التي قد فارقت الرجــل فصارت ميتة وسيخرجه منها بعد أن تفارقه وهي في صلب الرجل ويخرج الميت من الحي النطفة التي تصير بخروجها من الرجل الحي ميتا وهي قبل خروجها منه حية فالتشديد أبلغ في المدح وأكمل في الثناء ﴿ القول في تأويل قوله (وترزق من تشاء بغير حساب) يعني بذلك جل ثناؤه أنه يعطي من يشاء من خلقه فيجود عليه بغير محاسبة منه لمن أعطاه لأنه لا يخاف دخول انتقاص في خزائنه ولا الفناء على ما بيده كما حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله وترزق من تشاء بغير حساب قال يخرج الرزق من عنده بغير حساب لا يخاف أن ينقص ما عنده تبارك وتعالى فتأويل الآية اذا اللهم يا مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيــدك الخير انك على كل شيء قدير دون من ادعى الملحدون أنه لهــم اله ورب وعبدوه دونك

واتخذوه شريكا معك أو أنه لك ولد وبيدك القدرة التي تفعل هذه الاشياء وتقدر بها على كل شئ تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل فتنقص من هذا وتزيد في هذا وتنقص من هذا وتزيد في هذا وتخرج من ميت حيا ومن حي ميتا وترزق من تشاء بغير حساب من خلقك لا يقدر على ذلك أحد سواك ولا يستطيعه غيرك كما حدثني ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي أي بتلك القدرة يعني بالقدرة التي تؤتي الملك بها من تشاء وتنزعه ممن تشاء وترزق من تشاء بغير حساب لا يقدر على ذلك غيرك ولا يصنعه الا أنت أي فان كنت سلطت عيسى على الاشياء التي بها يزعمون أنه اله من احياء الموتى وابراء الاسقام والخلق للطير من الطين والخبر عن الغيوب لنجعله آية للناس وتصديقا له في نبوته التي بعثته بها الى قومه فان من سلطاني وقدرتي ما لم أعطه كتمليك الملوك وأمر النبوة ووضعها حيث شئت وايلاج الليل في النهار والنهار في الليل واخراج الحي من الميت والميت من الحي ورزق من شئت من بر أو فاجر بغير حساب فكل ذلك لم أسلط عيسى عليه ولم أملكه اياه فلم يكن لهم في ذلك عبرة وبينة اذ لو كان الها كان ذلك كله اليه وهو في علمهم يهرب من الملوك وينتقل منهم في البلاد من بلد الى بلد ۞ القول في تأويل قوله (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شئ الا أن تتقوا منهم تقاة) وهذا نهي من الله عز وجل المؤمنين أن يتخذوا الكفار أعوانا وأنصارا وظهورا ولذلك كسر يتخذ لانه في موضع جزم بالنهي ولكنه كسر الذال منه للساكن الذي لقيه وهي ساكنة ومعنى ذلك لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفار ظهرا وأنصارا توالونهم على دينهم وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين وتدلونهم على عوراتهم فانه من يفعل ذلك فليس من الله في شئ يعني بذلك فقد برئ من الله وبرئ الله منه بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر الا أن تتقوا منهم تقاة الا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم وتضمروا لهم العداوة ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر ولا تعينوهم على مسلم بفعل كما حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي عن ابن عباس قوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين قال نهى الله سبحانه المؤمنين أن يلاطفوا الكفار أو يتخذوهم وليجة من دون المؤمنين الا أن يكون الكفار عليهم ظاهرين فيظهرون لهم اللطف ويخالفونهم في الدين وذلك قوله الا أن تتقوا منهم تقاة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني محمد بن اسحق قال ثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان الحجاج بن عمرو حليف كعب بن الاشرف وابن أبي الحقيق وقيس بن زيد قد بطنوا بنفر من الانصار ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر بن زبير وعبد الله بن جبير وسعد بن خيثمة لاولئك النفر اجتنبوا هؤلاء اليهود واحذروا لزومهم ومباطنتهم لا يفتنوكم عن دينكم فأبى أولئك النفر الا مباطنتهم ولزومهم فأنزل الله عز وجل لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين الى قوله والله على كل شئ قدير حدثنا محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد بن منصور عن الحسن في قوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين يقول لا يتخذ المؤمن كافرا وليا من دون المؤمنين حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي لا يتخذ المؤمنون الكافرين الى الا أن تتقوا منهم تقاة

الانبياء كان كتنزيل القرآن بالحقيقة على قلبك كما قال ولكن جعلناه نورا حتى صرت مكاشفا عند تجلي أنواره باسرار وحقائق بيني وبينك لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل وانما انزال الكتب على الانبياء كان بالصورة مكتوبة في صحائف وألواح يقرؤها كل قارى ويستوي في هداها الانبياء والأمم قاطبة هدى للناس وكنت مخصوصا بالهداية عند تجلي أنوار القرآن بالتنزيل على قلبك كما قال ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وأنزل الفرقان الذي يفرق بين تنزيله على قلبك وبين انزال الكتب على صورة الانبياء ويفرق بين تعليمك القرآن وبين تعليمهم الكتب فان كانوا يتدارسون الكتب فانت تتخلق بالقرآن فشتان بين نبي يجيء وهو بذاته نور ومعه كتاب قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وبين نبي يجيء ومعه نور من الكتاب قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس وشتان بين نبي تشرف بكتابة الموعظة له في الألواح وكتبنا له في الالواح من كل شئ موعظة وبين نبي تشرف أمته بكتابة الايمان لهم في قلوبهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان ان الذين كفروا بآيات الله يسترون بحجب الغفلات وتتبع الشهوات قلوبهم فتعمى عن مشاهدة هذه الآيات البينات لهم عذاب شديد من هذا العمى والحرمان وهم في خسران من الركون الى هذا النقصان والله عزيز ذو انتقام يعز أهل الغرام بنيل المرام وينتقم من أهل السلوة بحجاب العزة ثم أخبر تعالى عن كمال علمه بقوله ان الله لا يخفى عليه شئ في الأرض ولا في السماء وكيف يخفى وانه هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز عن نقص الاحكام الحكيم فيما يجري من الازل الى الأبد وجفت به الاقلام وفي الآية اشارة الى أنه اذا سقطت من صلب ولاية رجل من رجال الحق نطفة ارادة في رحم قلب مريد أما

أما أولياؤهم فيوالونهم في دينهم ويظهرهم على عورة المؤمنين فمن فعل هذا فهو مشرك فقد برئ الله منه الا أن يتقي منهم تقاة فهو يظهر الولاية لهم في دينهم والبراءة من المؤمنين حدثني المثنى قال ثنا قبيصة بن عقبة قال ثنا سفيان عن ابن جريج عمن حدثه عن ابن عباس الا أن تتقوا منهم تقاة قال التقاة التكلم باللسان وقلبه مطمئن بالايمان حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا حفص بن عمر قال ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة في قوله الا أن تتقوا منهم تقاة قال ما لم يهرق دم مسلم وما لم يستحل ماله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين الا مصانعة في الدنيا ومخالقة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين الى الا أن تتقوا منهم تقاة قال قال أبو العالية التقية باللسان وليس بالعمل حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله الا أن تتقوا منهم تقاة قال التقية باللسان من حمل على أمر يتكلم به وهو لله معصية فتكلم مخافة على نفسه وقلبه مطمئن بالايمان فلا اثم عليه انما التقية باللسان حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله الا أن تتقوا منهم تقاة فالتقية باللسان من حمل على أمر يتكلم به وهو معصية لله فيتكلم به مخافة الناس وقلبه مطمئن بالايمان فان ذلك لا يضره انما التقية باللسان * وقال آخرون معنى الا أن تتقوا منهم تقاة الا أن يكون بينك وبينه قرابة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين الا أن تتقوا منهم تقاة نهى الله المؤمنين أن يوادوا الكفار أو يتولوهم دون المؤمنين وقال الله الا أن تتقوا منهم تقاة الرحم من المشركين من غير أن يتولوهم في دينهم الا أن يصل رحما له في المشركين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء قال لا يحل لمؤمن أن يتخذ كافرا وليا في دينه وقوله الا أن تتقوا منهم تقاة قال أن يكون بينك وبينه قرابة فتصله لذلك حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد بن منصور عن الحسن في قوله الا أن تتقوا منهم تقاة قال صاحبهم في الدنيا معروفا الرحم وغيره فأما في الدين فلا وهذا الذي قاله قتادة تأويل له وجه وليس بالوجه الذي يدل عليه ظاهر الآية الا أن تتقوا من الكافرين تقاة فالأغلب من معاني هذا الكلام الا أن تخافوا منهم مخافة فالتقية التي ذكرها الله في هذه الآية انما هي تقية من الكفار لا من غيرهم ووجهه قتادة الى أن تأويله الا أن تتقوا الله من أجل القرابة التي بينكم وبينهم تقاة فتصلون رحمها وليس ذلك الغالب على معنى الكلام والتأويل في القرآن على الاغلب الظاهر من معروف كلام العرب المستعمل فيهم وقد اختلفت القراء في قراءة قوله الا أن تتقوا منهم تقاة فقرأ ذلك عامة قراء الامصار الا أن تتقوا منهم تقاة على تقدير فعلة مثل تخمة وتؤدة وتكأة من اتقيت وقرأ ذلك آخرون الا أن تتقوا منهم تقية على مثال فعيلة والقراءة التي هي القراءة عندنا قراءة من قرأها الا أن تتقوا منهم تقاة لثبوت

الى حظائر القدس ورياض الانس التي منها صدر الى عالم الانس فيتكون الجنين في رحم القلب وهو طفل خليفة الله في أرضه فيستحق الآن أن ينفخ فيه الروح المخصوص بأنبيائه وأوليائه يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه فاذا نفخ فيه الروح يكون آدم وقته فيسجد له بالخلافة الملائكة كلهم أجمعون الآيات المحكمات تنزيلها شرب الخواص والعوام لبسط الشرع والاهتداء والمتشابهات تأويلها شرب الخواص وخواص الخواص لاخفاء الاسرار عن الاغيار والابتلاء فأما الذين في قلوبهم زيغ ألبست قلوبهم غطاء الريب وحرموا أنوار الغيب وهم أهل الاهواء والبدع فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ليضلوا بأهوائهم وابتغاء تأويله ليضلوا الناس بآرائهم والراسخون في العلم يقولون آمنا به بما شاهدوا من أنوار الحق في تحقيق التأويل كل من عند ربنا بتوفيقه واعلامه وتعريفه

 وما يذكر الا أولو الالباب الذين خرجوا في متابعة النبي صلى الله عليه وسلم من ظلمات قشور وجودهم النفساني الى نور لباب وجودهم الروحاني وهم الراسخون في قشور العلوم الكسبية الواصلون الى حقائق لباب العلوم اللدنية من لدن حكيم خبير وفي الآية اشارة الى أن علوم الراسخين كلها بتعليم الله تعالى اياهم في الميثاق اذ تجلى بصفة الربوبية للذرات وأشهدهم على أنفسهم

حجة ذلك بأنه القراءة الصحيحة بالنقل المستفيض الذي يمتنع منه الخطأ ۞ القول في تأويل قوله عز وجل (ويحذركم الله نفسه والى الله المصير) يعني تعالى ذكره بذلك ويخوفكم الله من نفسه أن تركبوا معاصيه أو توالوا أعداءه فان لله مرجعكم ومصيركم بعد مماتكم ويوم حشركم لموقف الحساب يعني بذلك متى صرتم اليه وقد خالفتم ما أمركم به وأتيتم ما نهاكم عنه من اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين نالكم من عقاب ربكم ما لا قبل لكم به يقول فاتقوه واحذروه أن ينالكم ذلك منه فانه شديد العقاب ۞ القول في تأويل قوله عز وجل (قل ان تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الارض والله على كل شئ قدير) يعني بذلك جل ثناؤه قل يا محمد للذين أمرتهم أن لا يتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين إن تخفوا ما في صدوركم من موالاة الكفار فتسروه أو تبدوا ذلكم من نفوسكم بألسنتكم وأفعالكم فتظهروه يعلمه الله فلا يخفى عليه يقول فلا تضمروا لهم مودة ولا تظهروا لهم موالاة فينالكم من عقوبة ربكم ما لا طاقة لكم به لانه يعلم سركم وعلانيتكم فلا يخفى عليه شئ منه وهو محصيه عليكم حتى يجازيكم عليه بالاحسان احسانا وبالسيئة مثلها كما حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال أخبرهم أنه يعلم ما أسروا من ذلك وما أعلنوا فقال ان تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه وأما قوله ويعلم ما في السموات وما في الارض فانه يعني أنه اذ كان لا يخفى عليه شئ هو في سماء أو أرض أو حيث كان فكيف يخفى عليه أيها القوم الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ما في صدوركم من الميل اليهم بالمودة والمحبة أو ما تبدونه لهم بالمعونة فعلا وقولا وأما قوله والله على كل شئ قدير فانه يعني والله قدير على معاجلتكم بالعقوبة على موالاتكم اياهم ومظاهرتكموهم على المؤمنين وعلى ما يشاء من الأمور كلها لا يتعذر عليه شئ أراده ولا يمتنع عليه شئ طلبه ۞ القول في تأويل قوله عز وجل (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا) يعني بذلك جل ثناؤه ويحذركم الله نفسه في يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا موفرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا يعني غاية بعيدة فان مصيركم أيها القوم يومئذ اليه فاحذروه على أنفسكم من ذنوبكم وكان قتادة يقول في معنى قوله محضرا ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا يقول موفرا وقد زعم أهل العربية أن معنى ذلك واذكر يوم تجد وقال ان ذلك انما جاء كذلك لأن القرآن انما نزل للامر والذكر كأنه قيل لهم اذكروا كذا وكذا لانه في القرآن في غير موضع واتقوا يوم كذا وحين كذا وأما ما التي مع عملت فبمعنى الذي ولا يجوز أن تكون جزاء لوقوع تجد عليه وأما قوله وما عملت من سوء (١) فانه معطوف على قوله ما الاولى وعملت صلة بمعنى الرفع كما قيل تود فتأويل الكلام يوم تجد كل نفس الذي عملت من خير محضرا والذي عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا والأمد الغاية التي ينتهى اليها ومنه قول الطرماح

كل حي مستكمل عدة العمر ومود اذا انقضى أمده

(١) قوله فانه معطوف الخ لعل في العبارة سقطا من الناسخ وحاصل المقام أن وما اما معطوفة على ما الاولى أو مبتدأ خبره تود انظر كتب التفسير كتبه مصححه

بشواهد الربوبية ألست بربكم فبشهود تلك الشواهد ركز في جبلة الذرات علم التوحيد فقالوا بلى ويندرج في علم التوحيد كل العلوم كما قال وعلم آدم الأسماء كلها فلما ردت الذرات الى الاصلاب واحتجبت بصفات البشرية ثم نقلت الى الارحام وتنقلت بقدم الاربعينات من حال الى حال ومن مقام الى مقام من مقامات البعد عن الحضرة الى أن وضع الحمل وردت النفس العالمة بعلم التوحيد الناطقة به الى أسفل سافلين القالب محتجبة بحجب البشرية ناسية تلك العلوم والتنطق بها ثم أبواه يذكرانه تلك العلوم بالرموز والقرائن حتى يتذكر بعض تلك العلوم من وراء حجب البشرية وأستار الاطوار وينطق بلسان الابوين لا بلسانه الذي أجاب به الرب وقال بلى فان ذلك اللسان كان لب هذا اللسان وهذا قشر ذلك وكذلك بجميع وجود ظاهر الانسان وباطنه قشور لباب ذلك الوجود المستمع المجيب في الميثاق فسمعه قشر ذلك السمع الذي استمع خطاب الحق وبصره قشر ذلك البصر الذي أبصر جمال الحق وقلبه قشر ذلك القلب الذي فقه خطاب الحق وعلومه قشر تلك العلوم التي تعلمت من الحق فالنبي صلى الله عليه وسلم انما بعث ليذكره حقيقة تلك العلوم التي كان أبواه يذكرانه قشرها كما قال فذكر انما أنت مذكر فالتذكير عام ولكن التذكر خاص فلهذا قال وما يذكر الا أولو الالباب انما يتذكر أولو الالباب ربنا لا تزغ قلوبنا عن صراطك بتغليبات ظلمات طبائعنا وطباعنا بعد اذ هديتنا الى حضرة جلالك يعني ونور جمالك حتى سمعنا بلب سمعنا لب التنزيل وشاهدنا بلب أبصارنا لب التأويل وتذكرنا بلب عقولنا لب علومنا وهب لنا من لدنك رحمة تجذبنا من لدنا الى لدنك وتغنينا عنا بك انك أنت الوهاب وفيه اشارة الى أن وظيفة الطالب أن لا يسكن في مقام ولا يقف مع حال بل يكون

يعنى غاية أجله وقد حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قوله وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا مكانا بعيدا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج أمدا بعيدا قال أجلا حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى قال ثنا عباد بن منصور عن الحسن فى قوله وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا قال يسر أحدهم أن لا يلقى عمله ذاك أبدا يكون ذلك مناه وأما فى الدنيا فقد كانت خطيئته يستلذها ۞ القول فى تأويل قوله (ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد) يقول جل ثناؤه ويحذركم الله نفسه أن تسخطوها عليكم بركوبكم ما يسخطه عليكم فتوافونه يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا وهو عليكم ساخط فينالكم من أليم عقابه ما لا قبل لكم به ثم أخبر عز وجل أنه رؤف بعباده رحيم بهم ومن رأفته بهم تحذيره اياهم نفسه وتخويفهم عقوبته ونهيه اياهم عما نهاهم عنه من معاصيه كما حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال أخبرنا عبد الرزاق عن ابن عيينة عن عمرو بن الحسن فى قوله ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد قال من رأفته بهم أن حذرهم نفسه ۞ القول فى تأويل قوله (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) اختلف أهل التأويل فى السبب الذى أنزلت هذه الآية فيه فقال بعضهم أنزلت فى قوم قالوا على عهد النبى صلى الله عليه وسلم انا نحب ربنا فأمر الله جل وعز نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم ان كنتم صادقين فيما تقولون فاتبعونى فان ذلك علامة صدقكم فيما قلتم من ذلك ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن عبد الله عن بكر بن الاسود قال سمعت الحسن يقول قال قوم على عهد النبى صلى الله عليه وسلم يا محمد انا نحب ربنا فأنزل الله عز وجل قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم فجعل اتباع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم علما لحبه وعذاب من خالفه حدثنى المثنى قال ثنا على بن الهيثم قال ثنا عبد الوهاب عن أبى عبيدة قال سمعت الحسن يقول قال أقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد انا نحب ربنا فأنزل الله جل وعز بذلك قرآنا قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم فجعل الله اتباع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم علما لحبه وعذاب من خالفه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله قال كان قوم يزعمون أنهم يحبون الله يقولون انا نحب ربنا فأمرهم الله أن يتبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم وجعل اتباع محمد علما لحبه حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى قال ثنا عباد بن منصور عن الحسن فى قوله ان كنتم تحبون الله الآية قال ان أقواما كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعمون أنهم يحبون الله فأراد الله أن يجعل لقولهم تصديقا من عمل فقال ان كنتم تحبون الله الآية كان اتباع محمد صلى الله عليه وسلم تصديقا لقولهم * وقال آخرون بل هذا أمر من الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول لوفد نجران الذين قدموا عليه من النصارى ان كان الذى يقولونه فى عيسى من عظيم القول انما يقولونه تعظيما لله وحبا له فاتبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير قل ان كنتم تحبون الله أى ان

الى الابد طلابا كما كان الله من الازل الى الابد وهابا وكانه لانهاية لمواهبه فلا غاية لمطالب طالبه وأن بعد هذه الدار دارا هى دار القرار يوفى فيها جزاء الابرار والفجار لحصول الارب بقدر رعاية الادب فى الطلب ومقاساة التعب والنصب وان التقوى خير زاد للمعاد ان الله لا يخلف الميعاد ان الذين كفروا استروا أنوار روحانيتهم بظلمات صفات نفسانيتهم لن تغنى عنهم طاغوت أموالهم وأولادهم من أنوار الله التى حجبوا عنها وأولئك هم وقود النار نار الفرقة والقطيعة نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة لا نار الجحيم التى لا تحرق الاقشور الجلود ولا تخلص الى لب القلوب وان عذاب حرقة الجلود بالنسبة الى عذاب فرقة القلوب وحرقة القطيعة عن الله كنسيم الحياة الى سموم الممات

ففى فؤاد المحب نار هوى * أحر نار الجحيم أبردها

وكذلك دأب جميع الكفار الذين ستروا أنوار روحانيتهم بظلمات صفات النفس فعموا وصموا عن مشاهدة أنوارنا ومحافظة أسرارنا فأخذهم الله فعاقبهم بحجاب ذنوبهم وحرقة قلوبهم والله شديد العقاب أليم نار فراقه عظيم عذاب بعده واشراقه

بالنار خوفنى قومى فقلت لهم * النار ترحم من فى قلبه نار

(قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة لأولى الابصار زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار

الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب فان حاجوك فقل أسلمت

وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين ءأسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون

كان هذا من قولكم يعني في عيسى حبا لله وتعظيما له فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم أي ما مضى من كفركم والله غفور رحيم * قال أبو جعفر وأولى القولين بتأويل الآية قول محمد بن جعفر بن الزبير لانه لم يجر لغير وفد نجران في هذه السورة ولا قبل هذه الآية ذكر قوم ادعوا أنهم يحبون الله ولا أنهم يعظمونه فيكون قوله ان كنتم تحبون الله فاتبعوني جوابا لقولهم على ما قاله الحسن وأما ما روى الحسن في ذلك مما قد ذكرناه فلا خبر به عندنا يصح فيجوز أن يقال ان ذلك كذلك وان لم يكن في السورة دلالة على أنه كما قال الا أن يكون الحسن أراد بالقوم الذين ذكر أنهم قالوا ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نجران من النصارى فيكون ذلك من قوله نظير اخبارنا فاذا لم يكن بذلك خبر على ما قلنا ولا في الآية دليل على ما وصفنا فأولى الامور بنا أن نلحق تأويله بالذي عليه الدلالة من آي السورة وذلك هو ما وصفنا لان ما قبل هذه الآية من مبتدا هذه السورة وما بعدها خبر عنهم واحتجاج من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ودليل على بطول قولهم في المسيح فالواجب أن تكون هي أيضا مصروفة المعنى الى نحو ما قبلها ومعنى ما بعدها فاذ كان الأمر على ما وصفنا فتأويل الآية قل يا محمد للوفد من نصارى نجران إن كنتم تزعمون أنكم تحبون الله وأنكم تعظمون المسيح وتقولون فيه ما تقولون حبا منكم ربكم فحققوا قولكم الذي تقولونه ان كنتم صادقين باتباعكم اياي فانكم تعلمون أني لله رسول اليكم كما كان عيسى رسولا الى من أرسل اليه فانه ان اتبعتموني وصدقتموني على ما أتيتكم به من عند الله يغفر لكم ذنوبكم فيصفح لكم عن العقوبة عليها ويعفو لكم عما مضى منها فانه غفور لذنوب عباده المؤمنين رحيم بهم وبغيرهم من خلقه ۞ القول في تأويل قوله (قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين) يعني بذلك جل ثناؤه قل يا محمد لهؤلاء الوفد من نصارى نجران أطيعوا الله والرسول محمدا فانكم قد علمتم يقينا أنه رسولي الى خلقي ابتعثته بالحق تجدونه مكتوبا عندكم في الانجيل فان تولوا فاستدبروا عما دعوتهم اليه من ذلك وأعرضوا عنه فأعلمهم ان الله لا يحب من كفر بجحد ما عرف من الحق وأنكره بعد علمه وأنهم منهم بجحودهم نبوتك وانكارهم الحق الذي أنت عليه بعد علمهم بصحة أمرك وحقيقة نبوتك كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير قل أطيعوا الله والرسول فأنتم تعرفونه يعني الوفد من نصارى نجران وتجدونه في كتابكم فان تولوا على كفرهم فان الله لا يحب الكافرين ۞ القول في تأويل قوله (ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين) يعني بذلك جل ثناؤه ان الله اجتبى آدم ونوحا واختارهما لدينهما وآل ابراهيم وآل عمران لدينهم الذي كانوا عليه لانهم كانوا أهل الاسلام فأخبر الله عز وجل أنه اختار دين من ذكرنا على سائر الاديان التي خالفته وانما عنى بآل ابراهيم وآل عمران المؤمنين وقد دللنا على أن آل الرجل أتباعه وقومه ومن هو على دينه وبالذي قلنا في ذلك روي القول عن ابن عباس انه كان يقوله حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين قال هم المؤمنون من آل ابراهيم وآل عمران وآل ياسين وآل محمد يقول الله عز وجل ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهم المؤمنون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين رجلان نبيان اصطفاهما الله على العالمين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا

۞ القراآت سيغلبون ويحشرون بياء الغيبة حمزة وعلي وخلف وعباس مخير الباقون بتاء الخطاب ترونهم بتاء الخطاب أبو جعفر ونافع وسهل ويعقوب الباقون بالياء مثلهم بضم الهاء سهل ويعقوب وكذلك ما انفتح قبل الياء مثل بجنبهم رأى العين بغير همز أبو عمرو وغير شجاع ويزيد والاعشى والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف الباقون بهمزة ساكنة أونبئكم بهمزة غير ممدودة بعدها واو مضمومة ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب غير عباس وأوقية وأبي شعيب ونافع غير قالون آونبئكم بالمد والواو المضمومة يزيد وقالون وعباس وأوقية وأبو شعيب الباقون بهمزتين هشام يدخل بينهما مدة ورضوان بضم الراء حيث كان الاعشى والبرجمي وافقا يحيى وحماد الا في من

أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين قال ذكر الله أهل بيتين صالحين ورجلين صالحين ففضلهم على العالمين فكان محمد من آل ابراهيم حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى قال ثنا عباد عن الحسن فى قوله ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم الى قوله والله سميع عليم قال فضلهم الله على العالمين بالنبوة على الناس كلهم كانوا هم الانبياء الاتقياء المطيعين لربهم ۞ القول فى تأويل قوله (ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم) يعنى بذلك ان الله اصطفى آل ابراهيم وآل عمران ذرية بعضها من بعض فالذرية منصوبة على القطع من آل ابراهيم وآل عمران لان الذرية نكرة وآل عمران معرفة ولو قيل نصبت على تكرير الاصطفاء لكان صوابا لان المعنى اصطفى ذرية بعضها من بعض وانما جعل بعضهم من بعض فى الموالاة فى الدين والموازرة على الاسلام والحق كما قال جل ثناؤه والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض وقال فى موضع آخر المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يعنى أن دينهم واحد وطريقتهم واحدة فكذلك قوله ذرية بعضها من بعض انما معناه ذرية دين بعضها دين بعض وكلمتهم واحدة وملتهم واحدة فى توحيد الله وطاعته كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ذرية بعضها من بعض يقول فى النية والعمل والاخلاص والتوحيد له وقوله والله سميع عليم يعنى بذلك والله ذو سمع لقول امرأة عمران وذو علم بما تضمره فى نفسها اذ نذرت له ما فى بطنها محررا ۞ القول فى تأويل قوله (اذ قالت امرأت عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى انك أنت السميع العليم) يعنى(١) بقوله جل ثناؤه اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى فاذ من صلة سميع وأما امرأة عمران فهى أم مريم ابنة عمران أم عيسى بن مريم صلوات الله عليه وكان اسمها فيما ذكر لنا حنة ابنة فاقوذ بن قتيل كذلك حدثنا به محمد بن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فى نسبه وقال غير ابن حميد ابنة فاقود بالدال ابن قتيل فأما زوجها عمران فانه عمران بن ياشهم بن أمون بن منشا بن حزقيا بن احريق بن يوثم بن عزاريا بن أمصيا بن ياوش بن احريهو بن يازم بن يهفاشاط بن اشابرا بن ابن رحبعم بن سليمان بن داود بن ايشا كذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فى نسبه وأما قوله رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فان معناه انى جعلت لك يا رب نذرا أن لك الذى فى بطنى محررا لعبادتك يعنى بذلك حبسته على خدمتك وخدمة قدسك فى الكنيسة عتيقة من خدمة كل شئ سواك مفرغة لك خاصة ونصب محررا على الحال من ما التى بمعنى الذى فتقبل منى أى فتقبل منى ما نذرت لك يا رب انك أنت السميع العليم يعنى انك أنت يا رب السميع لما أقول وأدعو العليم لما أنوى فى نفسى وأريد لا يخفى عليك سر أمرى وعلانيته وكان سبب نذر حنة ابنة فاقوذ امرأة عمران الذى ذكره الله فى هذه الآية فيما بلغنا ما حدثنا به ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق قال تزوج زكريا وعمران أختين فكانت أم يحيى عند زكريا وكانت أم مريم عند عمران فهلك عمران وأم مريم حامل بمريم فهى جنين فى بطنها قال وكانت فيما يزعمون قد أمسك عنها الولد حتى أسنت وكانوا أهل بيت من الله جل ثناؤه بمكان فبيناهى فى ظل شجرة نظرت الى طائر يطعم فرخا له فتحركت نفسها للولد فدعت الله أن يهب لها ولدا فحملت بمريم وهلك عمران فلما عرفت

(١) كذا فى النسخ ولعل المعنى سقط من قلم الناسخ كما يدل عليه التفريع بعده تأمل كتبه مصححه

اتبع رضوانه فى المائدة ان الدين بفتح ان على الباقون بالكسر وجهى بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن عامر غير النجارى عن هشام وحفص والمفضل والاعشى والبرجمى ومن اتبعنى باثبات الياء فى الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق أبو عمرو وأبا جعفر ونافع غير قالون فى الوصل ويقاتلون الذين حمزة ونصير فى رواية على بن نصير الباقون ويقتلون ليحكم بضم الياء وفتح الكاف أبو جعفر الباقون بالعكس ۞ الوقوف جهنم ط المهاد ه التقتا ط لان التقدير منهما فئة أو احداهما العين ط من يشاء ط الابصار ه والحرث ط الدنيا ج للفصل بين النقيضين مع اتفاق الجملتين المآب ج من ذلكم ط لتناهى الاستفهام من الله ط بالعباد ج للآية على جعل الذين خبر مبتدا محذوف أى هم الذين أو مدحا على أعنى الذين ولجواز أنه نعت للعباد أو للمتقين النار ج لأن الصابرين يصلح بدلا من الذين والوقف أجود نصبا على المدح بالاسحار ط الا هو ط للعطف ولو وقف احترازا عن وهم دخول الملائكة وأولو العلم فى الاستثناء والمشاركة فى الالوهية كان جيدا بالقسط ط الحكيم ط الالمن قرأ ان بالفتح على البدل من أنه الاسلام ه بينهم ط لاطلاق حكم غير مخصوص بما قبله الحساب ه ومن اتبعن ط لابتداء أمر يشمل أهل الكتاب والعرب والاول مختص بأهل الكتاب فلم يكن الثانى من جملة جزاء الشرط أأسلمتم ط لتناهى الاستفهام الى الشرط اهتدوا ج لابتداء شرط آخر مع العطف البلاغ ط بالعباد ه بغير حق ز لمن قرأ ويقاتلون لعدول المعنى من قوله يقتلون أليم ه والآخرة ز للابتداء بالنفى مع اتحاد المقصود من ناصرين ه معرضون ه معدودات ص لان الواو للعطف أو الحال يفترون ه لا يظلمون ه ۞ التفسير عن ابن

أن في بطنها جنينا جعلته لله نذيرة والنذيرة أن تعبده لله فتجعله حبسا في الكنيسة لا ينتفع به بشيء من أمور الدنيا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن إسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير قال ثم ذكر امرأة عمران وقولها رب اني نذرت لك ما في بطني محررا أي نذرته تقول جعلته عتيقا للعبادة لله لا ينتفع به بشيء من أمور الدنيا فتقبل مني انك أنت السميع العليم حدثني عبد الرحمن بن الاسود الطفاوي قال ثنا محمد بن ربيعة قال ثنا النضر بن عربي عن مجاهد في قوله محررا قال خادما للبيعة حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن النضر بن عربي عن مجاهد قال خادما للكنيسة حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال أخبرنا اسمعيل عن الشعبي في قوله اني نذرت لك ما في بطني محررا قال فرّغته للعبادة حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن أبي خالد عن الشعبي في قوله اني نذرت لك ما في بطني محررا قال جعلته في الكنيسة وفرّغته للعبادة حدثني المثنى قال ثنا عمرو ابن عون قال أخبرنا هشيم عن اسمعيل عن الشعبي نحوه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله اني نذرت لك ما في بطني محررا قال للكنيسة يخدمها حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن خصيف عن مجاهد اني نذرت لك ما في بطني محررا قال خالصا لا يخالطه شيء من أمر الدنيا حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن سعيد بن جبير اني نذرت لك ما في بطني محررا قال للبيعة والكنيسة حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد اني نذرت لك ما في بطني محررا قال محررا العبادة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا الآية كانت امرأة عمران حررت لله ما في بطنها وكانوا انما يحررون الذكور وكان المحرر اذا حرر جعل في الكنيسة لا يبرحها يقوم عليها ويكنسها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله اني نذرت لك ما في بطني محررا قال نذرت ولدها للكنيسة حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك أنت السميع العليم قال وذلك أن امرأة عمران حملت فظنت أن ما في بطنها غلام فوهبته لله محررا لا يعمل في الدنيا حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال كانت امرأة عمران حررت لله ما في بطنها قال وكانوا انما يحررون الذكور فكان المحرر اذا حرر جعل في الكنيسة لا يبرحها يقوم عليها ويكنسها حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك في قوله اني نذرت لك ما في بطني محررا قال جعلت ولدها لله وللذين يدرسون الكتاب ويتعلمونه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن القاسم بن أبي بزة أنه أخبره عن عكرمة وأبي بكر عن عكرمة أن امرأة عمران كانت عجوزا عاقرا تسمى حنة وكانت لا تلد فجعلت تغبط النساء لأولادهن فقالت اللهم ان علي نذرا شكرا ان رزقتني ولدا أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدامه قال وقوله نذرت لك ما في بطني محررا لانها المحررة ابنة الحرائر محررا للكنيسة يخدمها حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد بن منصور عن الحسن

عباس في رواية أبي صالح عنه قال لما هزم الله المشركين يوم بدر قالت يهود المدينة هذا والله النبي الامي الذي بشرنا به موسى ونجده في كتابنا بنعته وصفته وأنه لا ترد له راية وأرادوا تصديقه واتباعه ثم قال بعضهم لبعض لا تعجلوا حتى ننظر الى وقعة أخرى فلما كان يوم أحد ونكب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا فقالوا لا والله ما هو به وغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا وكان بينهم وبين رسول الله عهد الى مدة فنقضوا ذلك العهد وانطلق كعب بن الأشرف في ستين راكبا الى أهل مكة أبي سفيان وأصحابه فوافقوهم وأجمعوا أمرهم وقالوا لتكونن كلمتنا واحدة ثم رجعوا الى المدينة فأنزل الله فيهم هذه الآية وقال محمد بن اسحق ابن يسار في رواية عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا ببدر وقدم المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم بدر وأسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله اليكم فقالوا يا محمد لا يغرنك أنك لقيت قوما أغمارا لا علم لهم بالحرب فأصبت فيهم فرصة أما والله لو قاتلناك لعرفت أنا نحن الناس فأنزل الله قل للذين كفروا يعني اليهود ستغلبون تهزمون وتحشرون الى جهنم في الآخرة ومعنى جهنم قد مر في البقرة في قوله فحسبه جهنم ولبئس المهاد وقيل هم مشركو مكة ستغلبون يعني يوم بدر من قرأ بتاء الخطاب فمعناه الامر بأن يخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر بأي لفظ أراد صلى الله عليه وسلم ومن قرأ بالياء فالامر متوجه

الى حكاية هذا اللفظ أى قل لهم قولى لك سيغلبون وفى الآية حجاج القائل بتكليف مالا يطاق فانه تعالى أخبر عنهم بأنهم يحشرون الى جهنم فلو آمنوا وأطاعوا لانقلب الخبر كذبا وفيها دليل على صحة البعث والحشر باخبار الصادق وفى قوله ستغلبون وقد وقع كما أخبر اخبار عن الغيب فيكون معجزا دالا على صدق النبى صلى الله عليه وسلم نظيره فى حق عيسى عليه السلام وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ثم انه تعالى ذكر ما يجرى مجرى الدلالة على صحة ذلك الحكم فقال قد كان لكم آية فى فئتين التقتا يوم بدر فئة احداهما جماعة تقاتل فى سبيل الله وهم المسلمون لانهم يقاتلون لنصرة دين الله واعلاء كلمته وفئة أخرى كافرة هم كفار قريش وبيان كون تلك الواقعة آية من وجوه أحدها أن المسلمين كان قد اجتمع فيهم من أسباب الضعف أمور منها قلة العدد والعدد كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا مع كل أربعة منهم بعير ومعهم من الدروع ستة ومن الخيل فرسان ومنها أنهم خرجوا غير قاصدين للحرب فلم يتأهبوا ومنها أن ذلك ابتداء غارة فى الحرب لانها من أول غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد حصل فى المشركين اضداد هذه المعانى كانوا تسعمائة وخمسين رجلا وفيهم أبو سفيان وأبو جهل ومعهم مائة فرس وسبعمائة بعير وأهل الخيل كلهم دارعون وكان معهم دروع سوى ذلك وكانوا قد مرنوا على الحرب والغارات واذا كان كذلك كانت غلبة المسلمين خارقة للعادة فكانت معجزة وثانيها أنه صلى الله عليه وسلم كان قد أخبر عن ذلك باخبار الله فى قوله تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين يعنى جمع قريش أو عير أبى سفيان وكان أخبر قبل الحرب بأن هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان والاخبار عن الغيب معجز وثالثها امداد الملائكة كما سيجىء فى هذه السورة ورابعها قوله يرونهم مثليهم وفيه أربعة احتمالات لان الضمير فى يرون اما أن يعود الى الفئة الكافرة أو الى الفئة المسلمة وعلى كلا التقديرين يجوز عود الضمير فى مثليهم الى كل منهما فهذه أربعة الاول أن الفئة الكافرة رأت المسلمين مثلى عدد المشركين قريبا من ألفين الثانى أنها رأت المسلمين مثلى عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين ودليل هذا الاحتمال قراءة من قرأ ترونهم بتاء الخطاب أى ترون يا مشركى قريش المسلمين مثلى أنفسهم ودليل الاحتمالين جميعا أن عود الضمير فى يرون الى الاقرب وهو الفئة الكافرة أولى ولانه سبحانه جعل هذه الحالة آية للكفار حيث خاطبهم بقوله قد كان لكم آية فوجب أن يكون الراؤن هم الكفار حتى تكون حجة عليهم ولو كانت الآية مما شاهدها المؤمنون لم يصلح جعلها

فى قوله اذ قالت امرأة عمران الآية كلها قال نذرت ما فى بطنها ثم سيبتها ۞ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى وانى سميتها مريم) يعنى جل ثناؤه بقوله فلما وضعتها فلما وضعت حنة النذيرة ولذلك أنث ولو كانت الهاء عائدة على ما التى فى قوله انى نذرت لك ما فى بطنى محررا لكان الكلام فلما وضعته قالت رب انى وضعته أنثى ومعنى قوله وضعتها ولدتها يقال منه وضعت المرأة تضع وضعا قالت رب انى وضعتها أنثى أى ولدت النذيرة أنثى والله أعلم بما وضعت واختلف القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة القراء وضعت خبرا من الله عز وجل عن نفسه أنه العالم بما وضعت من غير قيلها رب انى وضعتها أنثى وقرأ ذلك بعض المتقدمين والله أعلم بما وضعت على وجه الخبر بذلك عن أم مريم أنها هى القائلة والله أعلم بما ولدت منى وأولى القراءتين بالصواب ما نقلته الحجة مستفيضة فيها قراءته بينها لا يتدافعون صحتها وذلك قراءة من قرأ والله أعلم بما وضعت ولا يعترض بالشاذ عنها عليها فتأويل الكلام اذا والله أعلم من كل خلقه بما وضعت ثم رجع جل ذكره الى الخبر عن قولها وأنها قالت اعتذارا الى ربها مما كانت نذرت فى حملها فحررته لخدمة ربها وليس الذكر كالانثى لان الذكر أقوى على الخدمة وأقوم بها وأن الانثى لا تصلح فى بعض الاحوال لدخول القدس والقيام بخدمة الكنيسة لما يعتريها من الحيض والنفاس وانى سميتها مريم كما حدثنى ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى أى لما جعلتها له محررة نذيرة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق وليس الذكر كالانثى لان الذكر هو أقوى على ذلك من الانثى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وليس الذكر كالانثى كانت المرأة لا تستطيع أن يصنع بها ذلك يعنى أن تحرر للكنيسة فتجعل فيها تقوم عليها وتكنسها فلا تبرحها مما يصيبها من الحيض والاذى فعند ذلك قالت وليس الذكر كالانثى حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قالت رب انى وضعتها أنثى وانما كانوا يحررون الغلمان قال وليس الذكر كالانثى وانى سميتها مريم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال كانت امرأة عمران حررت لله ما فى بطنها وكانت على رجاء أن يهب لها غلاما لان المرأة لا تستطيع ذلك يعنى القيام على الكنيسة لا تبرحها وتكنسها لما يصيبها من الاذى حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى ان امرأة عمران ظنت أن ما فى بطنها غلام فوهبته لله فلما وضعت اذا هى جارية فقالت تعتذر الى الله رب انى وضعتها أنثى وليس الذكر كالانثى تقول انما يحرر الغلمان يقول الله والله أعلم بما وضعت فقالت انى سميتها مريم حدثنا القاسم قال

حجة على الكفرة والحكمة في ذلك أن يهابهم المشركون ويجبنوا عن قتالهم وهذا لا يناقض قوله في سورة الانفال ويقللكم في أعينهم لاختلاف الوقتين فكأنهم قللوا أولا في أعينهم حتى اجترؤا عليهم فلما لاقوهم كثروا في أعينهم حتى غلبوا على أن تقليلهم تارة في أعينهم وتكثيرهم أخرى أبلغ في القدرة واظهار الآية الاحتمال الثالث أن الرائين هم المسلمون والمرئيين هم المشركون فالمسلمون رأوا المشركين مثلي المسلمين والسبب فيه ما قرر عليه أمرهم من مقاومة الواحد الاثنين في قوله تعالى ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين والكافرون كانوا قريبا من ثلاثة أمثالهم فلو رأوهم كما هم لجبنوا وضعفوا الاحتمال الرابع أن يكون الراؤن هم المسلمين ثم انهم رأوا المشركين على الضعف من عدد المشركين وهذا قول لا يمكن (١٦٠) أن يقول به أحد لان هذا يوجب نصرة الكفار وايقاع الخوف في قلوب المؤمنين والآية تنافي ذلك وفي الآية احتمال خامس وهو ان أول الآية قد بينا انه خطاب مع اليهود فيكون المراد ترون أيها اليهود المشركين مثلي المؤمنين في القوة وههنا بحث وهو أن الاحتمال الاول والثاني يقتضي أن المعدوم صار مرئيا والاحتمال الثالث يوجب أن يكون الموجود والحاضر غير مرئي أما الاول فهو محال عقلا والقول به سفسطة فلهذا قيل لعل الله تعالى أنزل الملائكة حتى صار عسكر المسلمين كثيرا وعلى هذا تكون الرؤية رؤية البصر ويكون مثليهم نصبا على الحال أو تحمل الرؤية على الظن والحسبان فان من اشتد خوفه قد يظن في الجمع القليل أنه في غاية الكثرة لكن قوله رأي العين لا يحاوب ذلك اذ معناه رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات وأما الثاني فهو جائز عند الاشاعرة اذ عند حصول الشرائط وصحة الحاسة لا يكون الادراك واجب الحصول مسة بل يكون عندهم جائزا لا واجبا والزمان زمان خوارق العادات وأما المعتزلة فعندهم الادراك واجب الحصول عند استجماع الشروط وسلامة الحس فاعتذروا عن ذلك بأن الانسان عند الخوف لا يتفرغ للتأمل البالغ فقد يرى البعض دون البعض أو لعل الغبار صار مانعا عن ادراك البعض أو خلق الله تعالى في الهواء ما صار مانعا عن رؤية ثلث العسكر أو يحدث في عيونهم ما يستقل به الكثير كما أحدث في أعين الحول ما يرون به الواحد اثنين وكل ذلك محتمل. والله يؤيد بنصره من يشاء اما بالغلبة كيوم بدر واما بالحجة والعاقبة كيوم أحد. ان في ذلك الذي ذكره من الآية لعبرة نوع عبور وهو المجاوزة من منزل الجهل الى مقام العلم لأولي الابصار ذوي العقول التي تصير القصايا معها

ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن القاسم بن أبي بزة أنه أخبره عن عكرمة وأبي بكر عن عكرمة فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها أنثى وليس الذكر كالانثى يعني في المحيض ولا ينبغي لامرأة أن تكون مع الرجال أمها تقول ذلك القول في تأويل قوله جل ثناؤه (واني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) تعني بقولها واني أعيذها بك وذريتها واني أجعل معاذها ومعاذ ذريتها من الشيطان الرجيم بك وأصل المعاذ الموئل والملجأ والمعقل فاستجاب الله لها فأعاذها الله وذريتها من الشيطان الرجيم فلم يجعل له عليها سبيلا حدثنا أبو كريب قال ثنا عبدة بن سليمان عن محمد بن اسحق عن يزيد ابن عبد الله بن قسيط عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نفس مولود يولد الا والشيطان ينال منه تلك الطعنة وبها يستهل الصبي الا ما كان من مريم ابنة عمران فانها لما وضعتها قالت رب اني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فضرب دونها الحجاب فطعن فيه حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثني محمد بن اسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود من ولد آدم له طعنة من الشيطان وبها يستهل الصبي الا ما كان من مريم ابنة عمران وولدها فان أمها قالت حين وضعتها اني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فضرب دونهما حجاب فطعن في الحجاب حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني محمد بن اسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون بن المغيرة عن عمرو عن شعيب بن خالد عن الزبير عن سعيد بن المسيب قال سمعت أبا هريرة يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما من بني ادم مولود يولد الا قد مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا بمسه اياه غير مريم وابنها فقال أبو هريرة اقرؤا ان شئتم اني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني ابن أبي ذئب عن عجلان مولى المشمعل عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد من بني آدم يمسه الشيطان باصبعه الا مريم وابنها حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ثني عمي عبد الله بن وهب قال أخبرني عمرو بن الحرث أن أبا يونس سليمان مولى أبي هريرة حدثه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل بني آدم يمسه الشيطان يوم ولدته أمه الا مريم وابنها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عمران أن أبا يونس حدثه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله حدثني الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا يمسه الشيطان فيستهل صارخا من

كالمشاهد المعاين ثم ذكر ما هو كالشرح والبيان لمعتبر الانسان وهو أنه زين للناس اللذات الجسمانية والآخرة وهي عالم الروحانيات خير وأبقى وأنها معدة لمن واظب على العبودية واتصف بالخصال الحميدة   وأما ما يتعلق بالقصة فانا روينا أن أبا حارثة بن علقمة النصراني اعترف لأخيه بأنه يعرف صدق محمد صلى الله عليه وسلم الا أنه يمنعه من اتباعه حب المال والجاه   وروينا أيضا أنه صلى الله عليه وسلم لما دعا اليهود الى الاسلام بعد غزوة بدر أظهروا من أنفسهم القوة والشدة والاستظهار بالعدة والعدد فبين الله تعالى في هذه الآية أن تلك الاشياء متاع الدنيا وزينتها والآخرة خير والمزين هو الله تعالى أما عند الاشاعرة فلأنه خالق أفعال العباد كلها ولو كان المزين هو الشيطان فمن الذي زين الكفر والبدعة للشيطان وأما عند جمهور المعتزلة فالحكمة الابتلاء إنا جعلنا ما على الارض (١٦١) زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا ولأنها وسائل الى منافع الآخرة وهو أن يتصدق بها أو يتقوى بها على طاعة الله أو يشتغل بشكرها كان الصاحب بن عباد يقول شرب الماء البارد في الصيف يستخرج الحمد لله من أقصى القلب ولان القادر على وجوه اللذات اذا تركها وأقبل على أداء وظائف الخدمة كان أشق له وأكثر ثوابا وعن الجبائي واختاره القاضي أن كل ما كان واجبا أو مندوبا أو مباحا فالتزيين فيه من الله تعالى وكل ما كان حراما فالتزيين فيه من الشيطان وحكى عن الحسن أنه قال الشيطان زينها لهم وكان يحلف بالله على ذلك واحتجاجه في الآية بأنه أطلق الشهوات فيدخل فيها المحرمات وان تزيينها وظيفة الشيطان وذكر القناطير المقنطرة وحب المال الكثير الى هذه الغاية لا يليق الا بمن جعل الدنيا قبلة طلبه ومنتهى مقصوده وقال في معرض الذم ذلك

متاع الحياة الدنيا والذام للشيء لا يكون مزينا له وقال قل أؤنبئكم بخير من ذلكم والغرض تقبيح الدنيا فكيف يكون مزينا لها ثم انه تعالى جعل الاعيان المشتهاة شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصا على الاستمتاع بها وذلك التعلق والاتصال كما يقال للمقدور قدرة وللمرجو رجاء وفيه فائدة أخرى هي أن الشهوة صفة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية فكان المقصود من ذكر هذا اللفظ تخسيسها والتنفير عنها   قال المتكلمون في الآية دليل على أن الحب غير الشهوة لان المضاف يجب أن يكون مغايرا للمضاف اليه فالشهوة من فعل الله تعالى والمحبة من أفعال العباد   وهي أن يجعل الانسان كل همته مصروفة الى اللذات والطيبات واعلم أن الانسان قد يحب شيأ ولكنه يحب أن لا يحبه وقد يحبه ويحب أن يحبه ويعتقد مع ذلك أن تلك المحبة حسنة وفضيلة وهذا هو كمال المحبة

مسه الشيطان الا مريم وابنها ثم يقول أبو هريرة اقرؤا ان شئتم واني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم **حدثني** المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا قيس عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا وقد عصره الشيطان عصرة أو عصرتين الا عيسى ابن مريم ومريم ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم اني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا هرون بن المغيرة عن عمرو بن أبي قيس عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال ما ولد مولود الا وقد استهل غير المسيح بن مريم لم يسلط عليه الشيطان ولم ينهزه **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا المنذر بن النعمان الافطس أنه سمع وهب بن منبه يقول لما ولد عيسى أتت الشياطين ابليس فقالوا أصبحت الاصنام قد نكست رؤسها فقال هذا في حادث حدث فقال مكانكم فطار حتى جاء خافقي الارض فلم يجد شيأ ثم جاء البحار فلم يجد شيأ ثم طار أيضا فوجد عيسى قد ولد عند مذود حمار واذا الملائكة قد حفت حوله فرجع اليهم فقال ان نبيا قد ولد البارحة ما حملت أنثى قط ولا وضعت الا أنا بحضرتها الا هذه فأيسوا أن تعبد الاصنام بعد هذه الليلة ولكن ائتوا بني آدم من قبل الخفة والعجلة **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول كل بني آدم طعن الشيطان في جنبه الا عيسى ابن مريم وأمه جعل بينهما وبينه حجاب فأصابت الطعنة الحجاب ولم ينفذ اليهما شئ وذكر لنا أنهما كانا لا يصيبان الذنوب كما يصيبها سائر بني آدم وذكر لنا أن عيسى كان يمشي على البحر كما يمشي على البر مما أعطاه الله تعالى من اليقين والاخلاص **حدثني** المثنى قال ثنى اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع واني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم قال ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال كل آدمي طعن الشيطان في جنبه غير عيسى وأمه كانا لا يصيبان الذنوب كما يصيبها بنو آدم قال وقال عيسى صلى الله عليه وسلم فيما يثني على ربه وأعاذني وأمي من الشيطان الرجيم فلم يكن له علينا سبيل **حدثنا** الربيع بن سليمان قال ثنا شعيب بن الليث قال ثنا الليث عن جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرمز أنه قال قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه حين تلده أمه الا عيسى بن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب **حدثنا** الربيع قال ثنا شعيب قال أخبرنا الليث عن جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرمز أنه قال قال أبو هريرة أرأيت هذه الصرخة التي يصرخها الصبي حين تلده أمه فانها منها **حدثني** أحمد بن الفرج قال ثنا بقية بن الوليد قال ثنا الزبيدي عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومنه قوله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام انى أحببت حب الخير ومعناه أحب الخير وأحب أن أكون محبا للخير فقوله حب الشهوات قريب من ذلك لان الشهوة نوع محبة ولفظ الناس عام فظاهره يقتضى أن هذا المعنى عام لجميع الناس ولا شك أنه موجود فى الاغلب وفى أكثر الاوقات فلا يبعد التعميم فطالما أعطى للاغلب حكم الكل على أن من همته بجوامعها مقصورة على طلب اللذات الروحانية فى غاية الندرة وبقاء ذلك النادر فى جميع الاحيان على ذلك الخاطر أعز وأمنع ثم شرع فى بيان تلك الاعيان المشتهيات فذكر منها ما هى الامهات ورتبها فى سبع مراتب الاولى النساء لان الالتذاذ بهن أكثر والاستئناس بهن أتم خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة وقال صلى الله عليه وسلم ان أخوف (١٦٢) ما أخاف على أمتى النساء الثانية الاولاد ولا سيما البنين ولهذا خصوا بالذكر

وبحبة النساء والاولاد كأنها حالة غريزية ولولاها لم يتصور بقاء النسل للحيوانات الثالثة والرابعة القناطير المقنطرة من الذهب والفضة قال الزجاج القنطار مأخوذ من عقد الشئ وإحكامه ومنه القنطرة والمال الكثير قنطار لأن الانسان يتوثق بها فى دفع النوائب أبو عبيد انه وزن لا يحد روى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم القنطار اثنا عشر ألف أوقية وروى أنس عنه هو ألف دينار وروى أبى بن كعب عنه هو ألف ومائتا أوقية وقال ابن عباس ألف دينار أو اثنا عشر ألف درهم وهو مقدار الدية وبه قال الحسن وزعم الكلبى أن القنطار بلسان الروم مل ء مسك ثور من ذهب أو فضة وعن سعيد بن جبير أنه مائة ألف دينار والمقنطرة مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم ألف مؤلفة وبدرة مبدرة وابل مؤبلة قال الكلبى القناطير ثلاثة والمقنطرة المضاعفة فكان المجموع موجب ستة وانما كان الذهب والفضة محبوبين لانهما جعلا ثمن جميع الاشياء فمالكهما كالمالك لجميع الاشياء * وقل الصند يوجد فى الفرا * و * لولا التقى لقلت جلت قدرته * وصفة المالكية هى القدرة وانها صفة كمال والكمال محبوب لذاته الخامسة الخيل المسومة قال الواحدى الخيل جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والنساء والرهط وسميت الافراس خيلا لاختيالها وهو جولانها فى مشيتها ويسمى الخيال خيالا لجولان هذه القوة فى استحضار الصور والمسومة قيل المرعية أسمت الدابة وسومتها اذا أرسلتها فى مرجها للرعى ولا شك انها اذا رعت ازدادت حسنا وبهاء وقيل هى المعلمة من السومة العلامة ثم اختلفوا فى تلك العلامة فعن أبى مسلم الغرة والتحجيل وقال الاصم هى البلق وقال قتادة الشية وقيل الكى وقال مجاهد وعكرمة المسومة المطهمة أى الحسان قال الاصمعى رجل مطهم وفرس مطهم أى تام كل شئ

قال ما من بنى ادم مولود الا عسه الشيطان حين يولد يستهل صارخا ۞ القول فى تأويل قوله (فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا) يعنى بذلك أن الله جل ثناؤه تقبل مريم من أمها حنة بتحريرها اياها للكنيسة وخدمتها وخدمة ربها بقبول حسن والقبول مصدر من قبلها ربها فأخرج المصدر على غير لفظ الفعل ولو كان على لفظه لكان فتقبلها ربها تقبلا حسنا وقد تفعل العرب ذلك كثيرا أن يأتوا بالمصادر على أصول الافعال وان اختلفت ألفاظها فى الافعال بالزيادة وذلك كقولهم تكلم فلان كلاما ولو أخرج المصدر على الفعل لقيل تكلم فلان تكلما ومنه قوله وأنبتها نباتا حسنا ولم يقل انباتا حسنا وذكر عن أبى عمرو بن العلاء أنه قال لم نسمع العرب تضم القاف فى قبول وكان القياس الضم لانه مصدر مثل الدخول والخروج قال ولم أسمع بحرف آخر فى كلام العرب يشبهه حدثت بذلك عن أبى عبيد قال أخبرنى اليزيدى عن أبى عمرو وأما قوله وأنبتها نباتا حسنا فان معناه وأنبتها ربها فى غذائه ورزقه نباتا حسنا حتى تمت فكملت امرأة بالغة تامة كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال الله عز وجل فتقبلها ربها بقبول حسن قال تقبل من أمها ما أرادت بها للكنيسة وأجرها فيها وأنبتها قال نبتت فى غذاء الله ۞ القول فى تأويل قوله (وكفلها زكريا) اختلفت القراء فى قراءة قوله وكفلها فقرأته عامة قراء أهل الحجاز والمدينة والبصرة وكفلها مخففة الفاء بمعنى ضمها زكريا اليه اعتبارا بقول الله عز وجل يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وكفلها زكريا بمعنى وكفلها الله زكريا وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك عندى قراءة من قرأ وكفلها مشددة الفاء بمعنى وكفلها الله زكريا بمعنى وضمها الله اليه لان زكريا أيضا ضمها اليه بايجاب الله له ضمها اليه بالقرعة التى أخرجها الله له والآية التى أظهرها لخصومه فيها فجعله بها أولى منهم اذ قرع فيها من شاحه فيها وذلك أنه بلغنا أن زكريا وخصومه فى مريم اذ تنازعوا فيها أيهم تكون عنده تساهموا بقداحهم فرموا بها فى نهر الأردن فقال بعض أهل العلم رتب قدح زكريا فقام فلم يجر به الماء وجرى بقداح الآخرين الماء فجعل الله ذلك لزكريا انه أحق المتنازعين فيها * وقال آخرون بل صعد قدح زكريا فى النهر وانحدرت قداح الآخرين مع جرية الماء وذهبت فكان ذلك له علما من الله فى أنه أولى القوم بها وأى الامرين كان من ذلك فلا شك أن ذلك كان قضاء من الله بها لزكريا على خصومه بأنه أولاهم بها واذا كان ذلك كذلك فانما ضمها زكريا الى نفسه بضم الله اياها اليه بقضائه له بها على خصومه عند تشاحهم فيها واختصامهم فى أولاهم بها واذا كان ذلك كذلك كان بينا أن أولى القراءتين بالصواب ما اخترنا من تشديد كفلها وأما ما اعتل به القارئون ذلك بتخفيف الفاء من قول الله أيهم يكفل مريم وأن ذلك

على حدته فهو بارع الجمال السادسة الانعام وهو جمع نعم وهى الابل والبقر والغنم ولا يقال للجنس الواحد منها نعم الا للابل خاصة فانها غلبت عليها السابعة الحرث وهو الزراعة ذلك الذى ذكر متاع الحياة الدنيا لأن وجوه الانتفاعات الدنيوية للانسان اما أن تكون من بنى نوعه أو من غيره والاول أصل وهو المرأة أو فرع وهو الولد وانما فرض الكلام فى الذكور لشرفهم والثانى اما أن تكون من المعدنيات وأكثرها فائدة وأعمها عائدة الجوهران الثمينان فخصا بالذكر واما أن تكون من الحيوانات للركوب والكر والفر وهو الخيل أو للحمل واللحم وهو الانعام واما أن تكون من النباتات وهو الحاصل من الزراعة وانما لم يتعرض للدور والقصور لانها لم تكن معتادة عند العرب والقرآن يخاطب أولا معهم (والله عنده حسن المآب) أى المرجع وانما لم يذكر المآب القبيح وهو النار لانها غير مقصودة بالذات لانه سبحانه خلق الخلق للرحمة لا للعذاب ولهذا قال سبقت رحمتى غضبى ثم بين أن ذلك المرجع كما أنه حسن فى نفسه فهو أحسن وأفضل من هذه الدنيا والمقصود أن يعلم العبد أنه كما أن الدنيا أطيب وأفسح من بطن الأم فكذلك الآخرة أفسح وأوسع من الدنيا أو لأنه لما عدد نعم الدنيا بين أن منافع الآخرة خير منها فقال مستفهما على سبيل التقرير (قل أؤنبئكم بخير) أى بشئ هو خير (من ذلكم) الذى عدد ثم استأنف بيانه وتقريره فقال (للذين اتقوا عند ربهم جنات) كما تقول هل أدلكم على حسب خير من فلان عندى رجل من صفته كيت وكيت وبيان الخيرية ظاهر من وصف الجنات والازواج مع قيد الخلود فان النعمة وان عظمت فتوهم الانقطاع والزوال ينغص صفوها و ينقص لذتها وبعد زوال هذا الوهم لن يتكامل طيبها الا بالنساء فبهن يحصل الانس ثم وصف الأزواج بصفة واحدة جامعة فقال (مطهرة) أى من الاقذار والمنفرات وبعد ذكر تمام النعمة ذكر ما هو فوق التمام فقال (ورضوان من الله) ويندرج فيه جميع المطالب والمقاصد لان العبد اذا رضى عنه المولى لم يتصور منصب أجل منه وأعلى وكأن المولى وما يملكه للعبد كما أن العبد وما يملكه للمولى ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم ويحتمل أن يكون اللام فى قوله للذين اتقوا متعلقا بخير واختص المتقين لانهم هم المنتفعون به ويرتفع جنات على الخبر أى هو جنات ويعضده قراءة بعضهم جنات بالجر على البدل من خير وذلك أن اللام فى هذه القراءة يتعين أن يكون متعلقا بخير وقوله (عند ربهم) يحتمل أن يتعلق بما تعلق به قوله للذين أى ثبت لهم عند ربهم ويحتمل أن يكون صفة لخير ويحتمل أن يكون من تمام قوله اتقوا فيكون اشارة الى أن هذا الثواب

موجب صحة اختيارهم التخفيف فى قوله وكفلها فحجة دالة على ضعف اختيار المحتج بها وذلك أنه غير ممتنع ذو عقل من أن يقول قائل كفل فلان فلانا فكفله فلان فكذلك القول فى ذلك ألقى القوم أقلامهم أيهم يكفل مريم بتكفيل الله اياه بقضائه الذى يقضى بينهم فيها عند القائهم الأقلام وكذلك اختلفت القراء فى قراءة زكريا فقرأته عامة قراء المدينة بالمد وقرأته عامة قراء الكوفة بالقصر وهما لغتان معروفتان وقراءتان مستفيضتان فى قراءة المسلمين وليس فى القراءة بأحداهما خلاف لمعنى القراءة الاخرى فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب غير أن الصواب عندنا اذا مد زكرياء أن ينصب بغير تنوين لانه اسم من أسماء العجم لا يجرى ولان قراءتنا فى كفلها بالتشديد وتثقيل الفاء فزكرياء منصوب بالفعل الواقع عليه وفى زكريا لغة ثالثة لا تجوز القراءة بها لخلافها مصاحف المسلمين وهو زكرى بحذف المدة والياء الساكنة تشبيها العرب بالمنسوب من الاسماء فتنونه وتجريه فى أنواع الاعراب مجارى ياء النسبة فتأويل الكلام وضمها الله الى زكريا من قول الشاعر * فهو لضلال الهوام كافل * يراد أنه لما ضل من متفرق النعم ومنتشره ضام الى نفسه وجامع وقد روى * فهو لضلال الهوافى كافل * يعنى أنه لما ند فهرب من النعم ضام من قولهم هفا الظليم اذا أسرع الطيران يقال منه للرجل ما لك تكفل كل ضالة يعنى به تضمها اليك وتأخذها ونحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى عبد الرحمن بن الاسود الطفاوى قال ثنا محمد بن ربيعة عن النضر بن عربى عن عكرمة فى قوله اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم قال ألقوا أقلامهم فجرت بها الجرية الا قلم زكريا صاعدا فكفلها زكريا حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله وكفلها زكريا قال ضمها اليه قال ألقوا أقلامهم يقول عصيهم قال فألقوها تلقاء جرية الماء فاستقبلت عصا زكريا جرية الماء فقرعهم حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال الله عز وجل فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا فانطلقت بها أمها فى خرقها يعنى أم مريم بمريم حين ولدتها الى المحراب وقال بعضهم انطلقت حين بلغت الى المحراب وكان الذين يكتبون التوراة اذا جاؤا اليهم بانسان يجربونه اقترعوا عليه أيهم يأخذه فيعلمه وكان زكريا أفضلهم يومئذ وكان بينهم وكانت خالة مريم تحته فلما أتوا بها اقترعوا عليها وقال لهم زكريا أنا أحقكم بها تحتى خالتها فأبوا فخرجوا الى نهر الأردن فألقوا أقلامهم التى يكتبون بها أيهم يقوم قلمه فيكفلها فجرت الاقلام وقام قلم زكريا على قرنته كأنه فى طين فأخذ الجارية وذلك قول الله عز وجل وكفلها زكريا فجعلها زكريا معه فى بيته وهو المحراب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكفلها زكريا يقول ضمها

لا يحصل الا لمن كان متقيا عند الله تعالى فلا يدخل فيه الا من كان مؤمنا فى علم الله (والله بصير بالعباد) عالم بمصالحهم فيجب أن يرضوا لانفسهم ما اختار لهم من نعيم الآخرة وأن يزهدوا فيما زهدهم فيه من أمور الدنيا أو بصير بهم يثيب ويعاقب بحسب الاستحقاق أو بصير بالذين اتقوا بهم وبأحوالهم فلذلك أعدّ لهم الجنات (الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا) توسلوا بمجرد الايمان الى طلب المغفرة وقد حكى الله تعالى ذلك عنهم فى معرض المدح لهم والثناء عليهم فقيل دل ذلك على أن الايمان هو التصديق فقط فان العمل الصالح لو كان داخلا فيه كما زعموا كان ادخاله فى النار قبيحا عندهم فيكون ممتنع الوقوع من الله تعالى وضده واجب الوقوع وسؤال الواجب وقوعه عبث فلا يصلح للمدح ويمكن أن يجاب عنه بأن العبد قد يدعو بما يعلم أنه حاصل له اظهار الذل العبودية وابداء للاستكانة والخشوع وأيضا صورة العمل الصالح لا تفيد مالم تقع فى حيز القبول فعلى المتقى أن لا يتكل عليها ويبتهل الى الله فى مواجب الغفران ثم عدد من أوصاف عباده خمسة ووسط العاطف بينها دلالة على كمالهم فى كل واحد منها أو اشارة الى أن كل واحد منها يكفى فى إستحقاق المدح والثواب فقال (الصابرين) أى فى أداء الطاعات وعلى ترك المحظورات وعند المحن والشدائد وقف رجل على الشبلى فقال أى صبر أشد على الصابرين فقال الصبر فى الله تعالى فقال لا فقال الصبر لله فقال لا فقال الصبر مع الله قال لا قال فاى شئ قال الصبر عن الله فصرخ الشبلى صرخة كاد يتلف روحه (والصادقين) أى فى الاقوال وفى الافعال بأن لا ينصرف عنها قبل تمامها وفى النيات بأن يمضى العزم على الخيرات (والقانتين) والمقيمين على الطاعات والمواظبين عليها (والمنفقين) ما تيسر على من تيسر بشروطه ومصارفه وجوبا وندبا (والمستغفرين بالاسحار) أى فيها والسحر قبل طلوع الفجر وخص هذا الوقت لانهم كانوا يقدمون فتدافعوا قيام الليل حتى اذا كان السحر أخذوا فى الدعاء والاستغفار هذا ليلهم وذلك نهارهم وللاستغفار بالأسحار مزيد آثار وأنوار لان السحر وقت النوم والغفلة فاذا أعرض العبد عن تلك اللذة وعرض الذلة على حضرة العزة لا يبعد أن يفيض عليه سجال المغفرة وأن يطلع صبح العالم الصغير عند طلوع صبح العالم الكبير فيستنير قلب المؤمن بأنوار المعارف وآثار اللطائف أما بيان ترتيب الاوصاف فالصبر يشمل أداء جميل التكاليف ثم الانسان قد يلتزم من نفسه ما هو غير واجب عليه فالصادق من يخرج عن عهدة ذلك رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ثم المواظبة على سلوك سبيل الخيرات أمر محمود فاشير الى ذلك بقوله والقانتين ثم ان ههنا أمرين يعينان على الطاعة الخدمة بالمال والابتهال والتضرع

اليه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وكفلها زكريا قال سهمهم بقلمه حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن قتادة قال كانت مريم ابنة سيدهم وامامهم قال فتشاح عليها أحبارهم فاقترعوا فيها بسهامهم أيهم يكفلها قال قتادة وكان زكريا زوج أختها فكفلها وكانت عنده وحضنها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن القاسم بن أبى بزة أنه أخبره عن عكرمة وأبى بكر عن عكرمة قال ثم خرجت بها يعنى أم مريم بمريم فى خرقها تحملها الى بنى الكاهن بن هرون أخى موسى بن عمران قال وهم يومئذ يلون من بيت المقدس ما يلى الحجبة من الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فانى حررتها وهى ابنتى ولا يدخل الكنيسة حائض وأنا لا أردها الى بيتى فقالوا هذه ابنة إمامنا وكان عمران يؤمهم فى الصلاة وصاحب قربانهم فقال زكريا ادفعوها الىّ فان خالتها عندى قالوا لا تطيب أنفسنا هى ابنة امامنا فذلك حين اقترعوا فاقترعوا باقلامهم عليها بالاقلام التى يكتبون بها التوراة فقرعهم زكريا فكفلها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى يعلى بن مسلم عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال جعلها زكريا معه فى محرابه قال الله عز وجل وكفلها زكريا قال حجاج قال ابن جريج الكاهن فى كلامهم العالم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير وكفلها زكريا بعد أبيها وأمها يذكرها باليتم ثم قص خبرها وخبر زكريا حدثنا المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن عطاء عن سعيد بن جبير قوله وكفلها زكريا قال كانت عنده حدثنى على بن سهل قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير قوله وكفلها زكريا قال جعلها زكريا معه فى محرابه حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى عن عباد عن الحسن فى قوله فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وتقارعها القوم فقرع زكريا فكفلها زكريا * وقال آخرون بل كان زكريا بعد ولادة حنة ابنتها مريم كفلها بغير اقتراع ولا استهام عليها ولا منازعة أحد اياه فيها وانما كفلها لان أمها ماتت بعد موت أبيها وهى طفلة وعند زكريا خالتها ايشاع ابنة فاقوذ وقد قيل ان اسم أم يحيى خالة عيسى اشيع حدثنا بذلك القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى وهب بن سليمان عن شعيب الجبائى أن اسم أم يحيى أشيع فضمها الى خالتها ام يحيى فكانت اليهم ومعهم حتى اذا بلغت أدخلوها الكنيسة لنذر أمها التى نذرت فيها قالوا والاقتراع فيها بالأقلام انما كان بعد ذلك بعدة طويلة لشدة اصابتهم ضعف زكريا عن حمل مؤنتها

الى حضرة القدس والجلال وذلك قوله والمنفقين والمستغفرين بالاسحار فقوله والمنفقين معناه الشفقة على خلق الله وباقي الاوصاف حاصله التعظيم لامر الله قال الكلبي لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة قدم عليه حبران من أحبار أهل الشام فلما أبصرا المدينة قال أحدهما لصاحبه ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي صلى الله عليه وسلم الذي يخرج في آخر الزمان فلما دخلا على النبي صلى الله عليه وسلم عرفاه بالصفة والنعت فقالا له أنت محمد قال نعم قالا وأنت أحمد قال نعم قالا انا نسألك عن شهادة فان أنت أخبرتنا بها آمنا بك وصدقناك فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم سلاني قالا أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله فانزل الله على نبيه شهد الله أنه لا اله الا هو فأسلم الرجلان وصدقا رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجه النظم أنه مدح المؤمنين وأثنى عليهم (١٦٥) بقوله ربنا اننا آمنا ثم بين أن دلائل الايمان ظاهرة جلية * واعلم أن الشهادة من الله تعالى ومن الملائكة ومن أولي العلم يحتمل أن تكون بمعنى واحد ويحتمل أن لا تكون كذلك أما الاول فتقريره من وجهين أحدهما أن الشهادة عبارة عن الاخبار المقرون بالعلم فهذا المعنى مفهوم واحد وهو حاصل في حق الله تعالى وفي حق الملائكة وفي حق أولي العلم أما من الله فذلك أنه أخبر في القرآن أنه اله واحد لا اله الا هو وذلك في مواضع كثيرة كالاخلاص وآية الكرسي وغيرهما والتمسك بالدلائل السمعية في هذه المسئلة جائز لان العلم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم لا يتوقف على العلم بها وأما من الملائكة وأولي العلم وهم الذين عرفوا وحدانية الله تعالى بالدلائل القاطعة فكلهم أخبروا أيضا أن الله واحد لا شريك له وثاني الوجهين أن تجعل الشهادة عبارة عن الاظهار والبيان فالله تعالى أظهر ذلك وبين بأن خلق ما يدل على ذلك والملائكة وأولو العلم أظهروا ذلك وبينوه أيضا الملائكة للرسل والرسل للعلماء والعلماء لعامة الخلق فالتفاوت انما وقع في الشيء الذي به حصل الاظهار والبيان فأما مفهوم الاظهار والبيان فشيء واحد في حق الكل فكأنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ان وحدانية الله تعالى أمر قد ثبت بشهادة الله وشهادة جميع المعتبرين من خلقه ومثل هذا الدين المبين والمنهج القويم لا يضعف بمخالفة بعض الجهال من النصارى وعبدة الأوثان فاثبت أنت وقومك يا محمد على ذلك فانه هو الاسلام والدين عند الله هو الاسلام وأما الثاني فهو قول من يقول شهادة الله تعالى على توحيده عبارة عن أنه خلق الدلائل الدالة على توحيده وشهادة الملائكة وأولي العلم عبارة عن اقرارهم بذلك ونظيره قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي فالصلاة

فتدافعوا حمل مؤنتها الا رغبة منهم ولا تنافسا عليها وعلى احتمال مؤنتها وسنذكر قصتها على قول من قال ذلك اذا بلغنا اليها ان شاء الله تعالى حدثنا بذلك ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني محمد بن اسحق فعلى هذا التأويل تصح قراءة من قرأ وكفلها زكريا بتخفيف الفاء لو صح التأويل غير أن القول متظاهر من أهل التأويل بالقول الاول ان استهام القوم فيها كان قبل كفالة زكريا اياها وأن زكريا انما كفلها باخراج سهمه منها فالجا على سهام خصومه فيها فلذلك كانت قراءته بالتشديد عندنا أولى من قراءته بالتخفيف ۞ القول في تأويل قوله (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا) يعني بذلك جل ثناؤه أن زكريا كان كلما دخل عليها المحراب بعد ادخاله اياها المحراب وجد عندها رزقا من الله لغذائها فقيل ان ذلك الرزق الذي كان يجده زكريا عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا الحسن بن عطية عن شريك عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وجد عندها رزقا قال وجد عندها عنبا في مكتل في غير حينه حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن سعيد في قوله كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال العنب في غير حينه حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم في قوله وجد عندها رزقا قال فاكهة في غير حينها حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو اسحق الكوفي عن الضحاك أنه كان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف يعني في قوله وجد عندها رزقا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سلمة بن نبيط عن الضحاك مثله حدثني المثنى قال ثنا عمرو قال أخبرنا هشيم عن بعض أشياخه عن الضحاك مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال أخبرنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك مثله حدثنا يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا من سمع الحكم بن عتيبة يحدث عن مجاهد قال كان يجد عندها العنب في غير حينه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وجد عندها رزقا قال عنبا وجده زكريا عند مريم في غير زمانه حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي قال ثنا النضر بن عربي عن مجاهد في قوله وجد عندها رزقا قال فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال كنا نحدث أنها كانت تؤتى بفاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وجد عندها رزقا قال

من الله غير الصلاة من الملائكة فان قيل المدعى للوحدانية هو الله فكيف يكون المدعى شاهدا فالجواب أنه ليس الشاهد بالحقيقة الا الله لانه خلق الاشياء وجعلها دلائل على توحيده ثم وفق العلماء لمعرفة تلك الدلائل والتوصل بها الى معرفة الوحدانية ثم وفقهم حتى أرشدوا غيرهم الى ذلك ولهذا قال قل أى شئ أكبر شهادة قل الله وفى انتصاب قائما بالقسط وجوه الاول أنه حال مؤكدة والتقدير شهد الله قائما بالقسط أو لا اله الا هو قائما بالقسط وهذا أوجه لكون الالهية والتفرد بها مقتضيا للعدالة مثل هذا أبوك عطوفا أو لا رجل الا عبد الله شجاعا ويحتمل أن يكون حالا من أولى العلم أى حال كون كل واحد منهم قائما بالقسط فى أداء هذه الشهادة الثانى أن يكون صفة للمنفى كأنه قيل لا اله قائما بالقسط الا هو وقد رأيناهم يتسعون فى الفصل بين الصفة والموصوف الثالث أن يكون نصبا على المدح وان كان نكرة كقوله

ويأوى الى نسوة عطل * وشعثا مراضيع مثل السعالى

ومعنى كونه قائما بالقسط قائما بالعدل كما يقال فلان قائم بالتدبير أى يجريه على سنن الاستقامة أو مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق والآجال ويثيب ويعاقب وفيما يأمر به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم * واعلم أن وجوب الوجود يلزمه الغنى المطلق والعلم التام والفيض العام والحكمة الكاملة والرحمة الشاملة وعدم الانقسام بجهة من الجهات وعدم الافتقار بوجه من الوجوه الى شئ من الاشياء وعدم النقص والنقض فى شئ من الافعال والاحكام الى غير ذلك من الاسماء الحسنى والصفات العليا ومركوز فى العقل السليم أن من هذا شأنه لا يصدر منه شئ الا على وفق العدالة وقضية التسوية ورعاية الاصلح عموما أو خصوصا فكل ما يخيل الى المكلف أنه خارج عن قانون العدالة أو يشبه الجور أو القبح وجب أن ينسب ذلك الى قصور فهمه وعدم احاطته التامة بسلسلة الاسباب والمسببات والمبادى والغايات فانظر فى كيفية خلقه أعضاء الانسان حتى تعرف عدل الله وحكمته فيها ثم انظر الى اختلاف أحوال الخلق فى الحسن والقبح والغنى والفقر والصحة والسقم وطول العمر وقصره واللذة والألم واقطع بان كل ذلك عدل وصواب ثم انظر فى كيفية خلقه العناصر وأجرام الافلاك والكواكب وتقدير كل منها بقدر معين وخاصية معينة فكلها حكمة وعدالة وانظر الى تفاوت الخلائق فى العلم والجهل والفطانة والبلادة والهداية والغواية واقطع بأن كل ذلك عدل وقسط فان الانسان بل كل ما سوى الله تعالى لم يخلق مستعد الادراك تفاصيل كلمات الله فالخوض فى ذلك خوض

وجد عندها ثمرة فى غير زمانها حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال جعل زكريا دونها عليها سبعة أبواب فكان يدخل عليها فيجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء حدثنى موسى بن عبد الرحمن قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال جعلها زكريا معه فى بيت وهو المحراب فكان يدخل عليها فى الشتاء فيجد عندها فاكهة الصيف ويدخل فى الصيف فيجد عندها فاكهة الشتاء حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وجد عندها رزقا قال كان يجد عندها فاكهة الصيف فى الشتاء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال وجد عندها ثمار الجنة فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى بعض أهل العلم أن زكريا كان يجد عندها ثمرة الشتاء فى الصيف وثمرة الصيف فى الشتاء حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى عن عباد عن الحسن قال كان زكريا اذا دخل عليها يعنى على مريم المحراب وجد عندها رزقا من السماء من الله ليس من عند الناس وقالوا لو أن زكريا كان يعلم أن ذلك الرزق من عنده لم يسألها عنه * وقال آخرون بل معنى ذلك أن زكريا كان اذا دخل اليها المحراب وجد عندها من الرزق فضلا عما كان يأتيها به الذى كان يمونها فى تلك الايام ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق قال كفلها بعد هلاك أمها فضمها الى خالتها أم يحيى حتى اذا بلغت أدخلوها الكنيسة لنذر أمها الذى نذرت فيها فجعلت تنبت وتزيد قال ثم أصابت بنى اسرائيل أزمة وهى على ذلك من حالها حتى ضعف زكريا عن حملها فخرج على بنى اسرائيل فقال يا بنى اسرائيل أتعلمون والله لقد ضعفت عن حمل ابنة عمران فقالوا ونحن لقد جهدنا وأصابنا من هذه السنة ما أصابكم فتدافعوها بينهم وهم لا يرون لهم من حملها بدا حتى تقارعوا بالأقلام فخرج السهم بحملها على رجل من بنى اسرائيل نجار يقال له جريج قال فعرفت مريم فى وجهه شدة مؤنة ذلك عليه فكانت تقول له يا جريج أحسن بالله الظن فان الله سيرزقنا فجعل جريج يرزق بمكانها فيأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فاذا أدخله عليها وهى فى الكنيسة أنماه الله وكثره فيدخل عليها زكريا فيرى عندها فضلا من الرزق وليس بقدر ما يأتيها به جريج فيقول يا مريم أنى لك هذا فتقول هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب وأما المحراب فهو مقدم كل مجلس ومصلى وهو سيد المجالس وأشرفها وأكرمها وكذلك هو من المساجد ومنه قول عدى بن زيد

كدمى

فيما لا يعنيه بل لا يسعه ولا ينفعه الا العلم الاجمالى بانه تعالى واحد فى ملكه وملكه لا منازع له فيه ولا مضاد ولا مانع لقضائه ولا راد وان الكل بقضائه وقدره وفى كل واحد من مصنوعاته ولكل شئ من أفعاله حكم ومصالح لا يحيط بذلك علما الا موجده وخالقه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد هذا هو الدين القويم والاعتقاد المستقيم والعدول عنه مراء والجدال فيه هراء فمن نسبه الى الجور فى فعل من الافعال فهو الجائر لا على غيره بل على نفسه اذ لا يعترف بجهله وقصوره ولكن ينسب ذلك الى علام الخفيات والمطلع على الكليات والجزئيات من أزل الآزال الى أبد الآباد ومن زعم أن شيأ من الاشياء خيرا أو شرا فى اعتقاده حسنا أو قبيحا بحسب نظره خارج عن مشيئته وارادته فقد كذب ابن أخت خالته لانه يدعى التوحيد ثم يثبت قادرا آخر أو خالقا غير الله تعالى ولا خالق الا هو فلهذا كرر مضمون الشهادة وقال لا اله الا هو والتقدير شهد الله أنه لا اله الا هو واذا شهد بذلك فقد صح أنه لا اله الا هو كقولك الدليل دل على وحدانية الله ومتى كان كذلك فقد صح القول بوحدانية الله وفيه ايقاظ لأمة محمد أن يقولوا على وفق شهادة الله والملائكة وأولى العلم لا اله الا هو واعلام بأن هذه الكلمة يجب أن يكررها المسلم ما أمكنه

* هو المسك ما كررته يتضوع *

ثم أكد كونه منفردا بالألوهية وقائما بالعدل بقوله العزيز الحكيم فالعزيز اشارة الى كمال القدرة والحكيم اشارة الى كمال العلم ولا تتم القدرة الا بالتفرد والاستقلال ولا العدالة الا بالاطلاع على المصالح والاحوال (ان الدين عند الله الاسلام) جملة مستأنفة مؤكدة للاولى والدين فى اللغة الجزاء ثم الطاعة سميت دينا لانها سبب الجزاء والاسلام فى اللغة الانقياد والدخول فى السلم أو فى السلامة أو فى اخلاص العبادة من قولهم سلم له الشئ أى خلص له والاسلام فى عرف الشرع يطلق تارة على الاقرار باللسان فى الظاهر ومنه قوله تعالى قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ويطلق أخرى على الانقياد الكلى وهو المراد ههنا وفيه ايذان بأن الدين هو العدل والتوحيد أما التوحيد فأن يعلم أن الله تعالى لا شريك له ولا نظير فى الذات ولا فى صفة من الصفات كما شهد هو به وأما العدل فهو أن يعلم ان كل ما خلق وأمر المكلف به ونهاه عنه فانه عدل وصواب وفيه حكم ومصالح فيأتمر بذلك وينتهى عنه ليكون عبدا منقادا معترفا بأنه تعالى قائم بالقسط ومن قرأ بفتح أن فتقديره عند البصريين ذلك بدل من الاول بدل الكل فكأنه قيل شهد الله أن الدين عند الله الاسلام فيكون من باب وضع الظاهر موضع المضمر كقوله

* لا أرى الموت يسبق الموت شئ *

وقيل تقديره شهد الله أنه لا اله الا هو وأن الدين عند الله الاسلام وقيل شهد الله أنه لا اله الا هو

كدمى العاج فى المحاريب أو كالـ * ـبيض فى الروض زهره مستنير

والمحاريب جمع محراب وقد يجمع على محارب ۞ القول فى تأويل قوله (قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) يعنى بذلك جل ثناؤه قال زكريا يا مريم أنى لك هذا من أى وجه لك هذا الذى أرى عندك من الرزق قالت مريم مجيبة له هو من عند الله تعنى أن الله هو الذى رزقها ذلك فساقه اليها وأعطاها وانما كان زكريا يقول ذلك لها لانه كان فيما ذكر لنا يغلق عليها سبعة أبواب ويخرج ثم يدخل عليها فيجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء فكان يعجب مما يرى من ذلك ويقول لها تعجبا مما يرى أنى لك هذا فتقول من عند الله حدثنى بذلك المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى بعض أهل العلم فذكر نحوه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله قال فانه وجد عندها الفاكهة الغضة حين لا توجد الفاكهة عند أحد فكان زكريا يقول يا مريم أنى لك هذا وأما قوله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فخبر من الله أنه يسوق الى من يشاء من خلقه رزقه بغير احصاء ولا عدد يحاسب عليه عبده لانه جل ثناؤه لا ينقص سوقه ذلك اليه كذلك خزائنه ولا يزيد اعطاؤه اياه ومحاسبته عليه فى ملكه وفيما لديه شيأ ولا يعزب عنه علم ما يرزقه وانما يحاسب من يعطى ما يعطيه من يخشى النقصان من ملكه بخروج ما خرج من عنده بغير حساب معروف ومن كان جاهلا بما يعطى على غير حساب ۞ القول فى تأويل قوله (هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء) أما قوله هنالك دعا زكريا ربه فمعناه عند ذلك أى عند رؤية زكريا ما رأى عند مريم من رزق الله الذى رزقها وفضله الذى آتاها من غير تسبب أحد من الآدميين فى ذلك لها ومعاينته عندها الثمرة الرطبة التى لا تكون فى حين رؤيته اياها عندها فى الارض طمع فى الولد مع كبر سنه من المرأة العاقر فرجا أن يرزقه الله منها الولد مع الحال التى هما بها كما رزق مريم على تخليها من الناس ما رزقها من ثمرة الصيف فى الشتاء وثمرة الشتاء فى الصيف وان لم يكن مثله مما جرت بوجوده فى مثل ذلك الحين العادات فى الارض بل المعروف فى الناس غير ذلك كما أن ولادة العاقر غير الأمر الجارية به العادات فى الناس فرغب الى الله جل ثناؤه فى الولد وسأله ذرية طيبة وذلك أن أهل بيت زكريا فيما ذكر لنا كانوا قد انقرضوا فى ذلك الوقت كما حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فلما رأى زكريا من حالها ذلك يعنى فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف قال ان ربا أعطاها هذا فى غير حينه لقادر على أن يرزقنى ذرية طيبة ورغب فى الولد فقام فصلى ثم

أن الدين عند الله الاسلام لان كونه تعالى واحدا يوجب أن يكون الدين الحق هو الاسلام لان دين الاسلام مشتمل على هذه الوحدانية وقرئ الاول بالكسر والثانى بالفتح على أن الفعل واقع على الثانى ومابينهما اعتراض ثم ذكر أنه أوضح الدلائل وأزال الشبهات والقوم ما كفروا الا لقصورهم وتقصيرهم فقال (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) قيل هم اليهود واختلافهم ان موسى عليه السلام لما قرب وفاته سلم التوراة الى سبعين رجلا من الاحبار وجعلهم أمناء عليها واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف أبناء السبعين بعدما جاءهم التوراة بغيا بينهم وتحاسدا على طلب الدنيا وقيل المراد النصارى واختلافهم فى أمر عيسى عليه السلام بعدما جاءهم العلم أنه عبد الله ورسوله وقيل المراد اليهود والنصارى واختلافهم هو انه قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وأنكر وانبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا نحن أحق بالنبوة من قريش لانهم أميون ونحن أهل كتاب (الا من بعدما جاءهم العلم) أى الدلائل التى لو نظروا فيها لحصل لهم العلم لأنا لو حملناه على العلم لزم نسبة العناد الى جمع عظيم وهو بعد قاله فى التفسير الكبير (ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب) لا يصعب عليه عد أفعاله ومعاصيه وان كانت كثيرة أو المراد أنه سيصل الى الله سريعا فيحاسبه أى يجازيه على كفره ثم بين للرسول صلى الله عليه وسلم ما يقوله فى محاجتهم فقال (فان حاجوك فقل أسلمت وجهى لله) قال الفراء أى أخلصت عملى لله فعلى هذا الوجه فى معنى العمل وقيل أى أسلمت وجه عملى لله فحذف المضاف والمعنى كل ما يصدر منى من الاعمال فالوجه فى الاتيان بها هو عبودية الله والانقياد لالهيته وحكمه وقيل الوجه مقحم والتقدير أسلمت نفسى لله وليس فى العبادة مقام أعلى من اسلام النفس كأنه موقوف على عبادته معرض عن كل ما سواه وقوله (ومن اتبعن) معطوف على الضمير المرفوع فى أسلمت وحسن للفصل أو مفعول معه والواو بمعنى مع ثم فى كيفية ايراد هذا الكلام طريقان أحدهما أن هذا اعراض عن المحاجة لانه صلى الله عليه وسلم كان قد أظهر المعجزات كالقرآن ودعاء الشجرة وكلام الذئب وغيرها وقدم فى هذه السورة ابطال الهية عيسى واثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم بين نفى الضد والند والصاحبة والولد بقوله شهد الله أنه لا اله الا هو وذكر أن اختلاف هؤلاء اليهود والنصارى انما هو لأجل البغى والحسد فلم يبق الا ان يقول أما أنا ومن اتبعن فمنقادون للحق مستسلمون له مقبلون على عبودية الله تعالى وهذا طريق قد يذكره المحتج المحق مع المبطل المصر فى آخر كلامه وثانيهما أن قوله أسلمت محاجة وبيانه أن القوم كانوا مقرين بوجود الصانع

دعار به سرا فقال رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا وانى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقرا فهب من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا وقوله رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء وقال رب لا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال فلما رأى ذلك زكريا يعنى فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهة الشتاء فى الصيف عند مريم قال ان الذى يأتى بهذا مريم فى غير زمانه قادر أن يرزقنى ولدا قال الله عز وجل هنالك دعا زكريا ربه قال فذلك حين دعا. حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر عن عكرمة قال فدخل المحراب وغلق الابواب وناجى ربه فقال رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا الى قوله رب رضيا فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى بعض أهل العلم قال فدعا زكريا عند ذلك بعدما أسن ولا ولد له وقد انقرض أهل بيته فقال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء ثم شكا الى ربه فقال رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا الى واجعله رب رضيا فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب الآية * وأما قوله رب هب لى من لدنك ذرية طيبة فانه يعنى بالذرية النسل وبالطيبة المباركة كما حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة يقول مباركة * وأما قوله من لدنك فانه يعنى من عندك * وأما الذرية فانها جمع وقد تكون فى معنى الواحد وهى فى هذا الموضع واحد وذلك أن الله عز وجل قال فى موضع آخر مخبرا عن دعاء زكريا فهب لى من لدنك وليا ولم يقل أولياء فدل على أنه سأل واحدا وانما أنث طيبة لتأنيث الذرية كما قال الشاعر

أبوك خليفة ولدته أخرى * وأنت خليفة ذاك الكمال

فقال ولدته أخرى فأنث وهو ذكر لتأنيث لفظ الخليفة كما قال الآخر

كما يزدرى من حية جبلية * سكاب اذا ما عض (١) ليس بازدرا

فأنث الجبلية لتأنيث لفظ الحية ثم رجع الى المعنى فقال اذا ما عض لانه كان أراد حية ذكرا وانما يجوز هذا فيما لم يقع عليه فلان من الاسماء كالدابة والذرية والخليفة فأما اذا سمى رجل بشئ من ذلك فكان فى معنى فلان لم يجز تأنيث فعله ولا نعته وأما قوله انك سميع الدعاء فان معناه انك سامع الدعاء غير أن

(١) قوله ليس بازدرا كذا فى النسخ وحرر كتبه مصححه

وكونه مستحقا للعبادة فكأنه صلى الله عليه وسلم قال هذا القول متفق عليه بين الكل فأنا متمسك بهذا القدر المتفق عليه وداعي الخلق اليه وانما الخلاف في أمور وراء ذلك فاليهود يدعون التشبيه والجسمية والنصارى يدعون الهية عيسى والمشركون يدعون وجوب عبادة الاوثان فهؤلاء هم المدعون لهذه الأشياء فعليهم اثباتها ونظير هذه الآية قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ وعن أبي مسلم أن الآية في هذا الموضع كقول ابراهيم عليه السلام اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض كأنه قيل فان نازعوك يا محمد في هذه التفاصيل فقل أنا متمسك بطريقة ابراهيم وأنتم معترفون بأنه كان محقا في قوله صادقا في دينه فيكون من باب التمسك بالالزامات وداخلا تحت قوله وجادلهم بالتي هي أحسن (وقل للذين أوتوا **(١٦٩)** الكتاب) من اليهود والنصارى (والاميين) وهم مشركو العرب الذين لا كتاب لهم أأسلمتم ومعناه الامر وفائدته التعبير بالعناد وقلة الانصاف كقولك لمن لخصت له المسئلة ولم تأل جهدا في سلوك طريقة الكشف والبيان له هل فهمتها فانه يكون توبيخا له بالبلادة وكلال الذهن ومثله في آية تحريم الخمر فهل أنتم منتهون اشارة الى التقاعد عن الانتهاء (فان أسلموا فقد اهتدوا) الى ما يهدي الله اليه أو الى الفوز والنجاة في الآخرة (وان تولوا) أعرضوا عن الاسلام لي والاتباع لك (فانما عليك البلاغ) ما عليك الا أن تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الرشاد (والله بصير بالعباد) يوفق للصلاح من شاء ويترك على الضلالة من أراد ثم وصف المتولي بصفات ثلاث وأردفه بوعيده فقال (ان الذين يكفرون بآيات الله) أي ببعضها المعهود لان اليهود كانوا مقرين ببعض الآيات الدالة على وجود الصانع وقدرته وعلمه وشيء من المعاد أو بكلها كما هو ظاهر الجمع المضاف وتوجيهه ان المكذب ببعض آيات الله كالكافر بجميعها (ويقتلون النبيين) أي المعهودين لانهم ما قتلوا كلهم ولا أكثرهم (بغير حق) من غير ما شبهة عندهم (ويقتلون) أو يقاتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس عن الحسن أن في الآية دلالة على أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر تلي منزلته عند الله منزلة الانبياء فلهذا ذكرهم عقيبهم وروي أن رجلا قام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أي الجهاد أفضل فقال صلى الله عليه وسلم أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر فان قيل اذا كان قوله ان الذين يكفرون في حكم المستقبل لا أقل من الحال لانه وعيد لمن هو في زمن رسول الله ولم يقع منهم قتل الانبياء ولا القائمين بالقسط فكيف يصح الكلام قلنا ان القوم كانوا يريدون قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين جميعا الا أنه تعالى

سميع أمدح وهو بمعنى ذو سمع له وقد زعم بعض نحويي البصرة أن معناه انك تسمع ما تدعى به فتأويل الآية فعند ذلك دعا زكريا ربه فقال رب هب لي من عندك ولدا مباركا انك ذو سمع دعاء من دعاك

القول في تأويل قوله (فنادته الملائكة) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة وبعض أهل الكوفة والبصرة فنادته الملائكة على التأنيث بالتاء يراد بها جمع الملائكة وكذلك تفعل العرب في جماعة الذكور اذا تقدمت أفعالها أنثت أفعالها ولا سيما الاسماء التي في ألفاظها التأنيث كقولهم جاءت الطلحات وقد قرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة بالياء بمعنى فناداه جبريل فذكروه للتأويل كما قد ذكرنا آنفا أنهم يؤنثون فعل الذكر للفظ فكذلك يذكرون فعل المؤنث أيضا للفظ واعتبروا ذلك فيما أرى بقراءة يذكر أنها قراءة عبد الله بن مسعود وهو ما حدثني به المثنى قال ثنا اسحق بن الحجاج قال ثنا عبد الرحمن بن أبي حماد أن قراءة ابن مسعود فناداه جبريل وهو قائم يصلي في المحراب وكذلك تأول قوله فنادته الملائكة جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فنادته الملائكة وهو جبريل أو قالت الملائكة وهو جبريل ان الله يبشرك بيحيى فان قال قائل وكيف جاز أن يقال على هذا التأويل فنادته الملائكة والملائكة جمع لا واحد قيل ذلك جائز في كلام العرب بأن تخبر عن الواحد بمذهب الجمع كما يقال في الكلام خرج فلان على بغال البرد وانما ركب بغلا واحدا وركب السفن وانما ركب سفينة واحدة وكما يقال ممن سمعت هذا الخبر فيقال من الناس وانما سمعه من رجل واحد وقد قيل ان منه قوله الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم والقائل كان فيما ذكر واحدا وقوله واذا مس الناس ضر والناس بمعنى واحد وذلك جائز عندهم فيما لم يقصد فيه قصد واحد وانما الصواب من القول عندي في قراءة ذلك أنهما قراءتان معروفتان أعني التاء والياء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وذلك أنه لا اختلاف في معنى ذلك باختلاف القراءتين وهما جميعا فصيحتان عند العرب وذلك أن الملائكة ان كان مرادا بها جبريل كما روي عن عبد الله فان التأنيث في فعلها فصيح في كلام العرب للفظها ان تقدمها الفعل وجائز فيه التذكير لمعناها وان كان مرادا بها جمع الملائكة فجائز في فعلها التأنيث وهو من قبلها للفظها وذلك أن العرب اذا قدمت على الكثير من الجماعة فعلها أنثته فقالت قالت (٣) النساء وجائز التذكير في فعلها بناء على الواحد اذا تقدم فعله فيقال قال الرجال وأما الصواب من القول في تأويله فان يقال ان الله جل ثناؤه أخبر أن الملائكة نادته والظاهر من ذلك أنها جماعة من الملائكة دون الواحد وجبريل واحد فلن يجوز أن يحمل تأويل القرآن الا على الاظهر الاكثر من الكلام المستعمل في ألسن العرب دون الأقل ما وجد

عصمهم منهم فصح اطلاق القاتل عليهم كما يقال السم قاتل أى ذلك من شأنه ان وجد القابل أو نقول وصفوا بسيرة أسلافهم لانهم راضون بذلك عن أبى عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله أى الناس أشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا أو رجلا أمر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأ هذه الآية ثم قال يا أبا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار فى ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بنى اسرائيل فأمروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار فبشرهم بعذاب أليم انما دخلت الفاء لتضمن اسم ان معنى الشرط فان لا يغير معنى الابتداء بخلاف ليت ولعل واعلم انه تعالى قسم وعيدهم الى ثلاثة أقسام الاول اجتماع أسباب الآلام والمكاره عليهم وهو العذاب الاليم واستعارة البشارة ههنا للتهكم الثانى زوال أسباب المنافع عنهم بالكلية وهو قوله أولئك

الى ذلك سبيل ولم يضطرنا حاجة الى صرف ذلك الى أنه بمعنى واحد فيحتاج له الى طلب المخرج بالخفى من الكلام والمعانى وبما قلنا فى ذلك من التأويل قال جماعة من أهل العلم منهم قتادة والربيع بن أنس وعكرمة ومجاهد وجماعة غيرهم وقد ذكرنا ما قالوا من ذلك فيما مضى ﴿ القول فى تأويل قوله (وهو قائم يصلى فى المحراب ان الله يبشرك بيحيى) وتأويل قوله وهو قائم فنادته الملائكة فى حال قيامه مصليا فقوله وهو قائم خبر عن وقت نداء الملائكة زكريا وقوله يصلى فى موضع نصب على الحال من القيام وهو رفع بالياء وأما المحراب فقد بينا معناه وأنه مقدم المسجد واختلفت القراء فى قراءة قوله ان الله يبشرك فقرأته عامة القراء أن الله بفتح الالف من أن بوقوع النداء عليها بمعنى فنادته الملائكة بذلك وقرأه بعض قراء أهل الكوفة ان الله يبشرك بكسر الالف بمعنى قالت الملائكة ان الله يبشرك لان النداء قول وذكروا أنها فى قراءة عبد الله فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب يا زكريا ان الله يبشرك قالوا واذا بطل النداء أن يكون عاملا فى قوله يا زكريا فباطل أيضا أن يكون عاملا فى ان والصواب من القراءة فى ذلك عندنا أن الله يبشرك بفتح أن بوقوع النداء عليه بمعنى فنادته الملائكة بذلك (١) وليست العلة التى اعتل بها القارئون بكسر ان من أن عبد الله كان يقرؤها كذلك وذلك أن عبد الله ان كان قرأ ذلك كذلك فانما قرأها بزعمهم وقد اعترض بيا زكريا بين ان وبين قوله فنادته واذا اعترض به بينهما فان العرب تعمل حينئذ النداء فى ان وتبطله عنها أما الابطال فانه بطل عن العمل فى المنادى قبله فأسلكوا الذى بعده مسلكه فى بطول عمله وأما الاعمال فلان النداء فعل واقع كسائر الافعال وأما قراءتنا فليس نداء زكريا بيا زكريا معترضا به بين أن وبين قوله فنادته واذ لم يكن ذلك بينهما فالكلام الفصيح من كلام العرب اذا نصبت بقول ناديت اسم المنادى وأوقعوه عليه أن يوقعوه كذلك على أن بعده وان كان جائزا ابطال عمله فقوله نادته قد وقع على مكنى زكريا فكذلك الصواب أن يكون واقعا على أن وعاملا فيها مع أن ذلك هو القراءة المستفيضة فى قراءة أمصار الاسلام ولا يعترض بالشاذ على الجماعة التى تجىء مجىء الحجة وأما قوله يبشرك فان القراء اختلفت فى قراءته فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة أن الله يبشرك بتشديد الشين وضم الياء على وجه تبشير الله زكريا بالولد من قول الناس بشرت فلانا البشرى بكذا وكذا أى أتته بشارات البشرى بذلك وقرأ ذلك جماعة من قراء الكوفة وغيرهم ان الله يبشرك بفتح الياء وضم الشين وتخفيفها بمعنى ان الله يسرك بولد يهبه لك من قول الشاعر

(١) قوله وليست العلة الخ لم يذكر فى الاصل خبر ليس ولعله سقط من قلم الناسخ والاصل وليست العلة الخ بمنتجة وذلك أن الخ وحرر كتبه مصححه

حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة أما فى الدنيا فابدال المدح بالذم والثناء باللعن وأسباب الاحترام والاحتشام بأصناف الذل والهوان من السبى والقتل والجزية وأما فى الآخرة فكما قال عز من قائل وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا الثالث لزوم ذلك فى حقهم وهو قوله (وما لهم من ناصرين) ثم ذكر غاية عناد أهل الكتاب فقال (ألم تر الى الذين) عن ابن عباس قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس على جماعة من اليهود فدعاهم الى الله فقال له نعيم بن عمرو والحرث بن زيد على أى دين أنت يا محمد فقال على ملة ابراهيم فقالا ان ابراهيم كان يهوديا فقال رسول الله فهلموا الى التوراة فهى بيننا وبينكم فأبيا فنزلت وقال الكلبى نزلت فى اللذين زنيا من خيبر وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما بالرجم وأنكر اليهود عليه صلى الله عليه وسلم وسوف تجىء القصة فى سورة المائدة مفصلة وقيل دعاهم النبى صلى الله عليه وسلم أو اياهم بشرت والنصارى الى الآيات الدالة على صحة نبوته من التوراة أو منها ومن الانجيل فأبوا فنزلت ومعنى قوله أوتوا نصيبا أى حظا وافرا من علم الكتاب يريد أحبار اليهود ومن اما للتبعيض واما للبيان والكتاب يراد به غير القرآن من الكتب التى كانوا مقرين بحقيتها وقيل أى حصلوا من جنس الكتب المنزلة أو من اللوح التوراة وهى نصيب عظيم ثم بين سبب التعجب بقوله يدعون الى كتاب الله وهو التوراة كما مر فى أسباب النزول ولانه تعالى يعجب رسوله من تمردهم واعراضهم وانما يتوجه التعجب اذا تمردوا عن حكم الكتاب الذى يعتقدون صحته وعن ابن عباس أنه القرآن وليس ببعيد لانهم دعوا اليه بعد قيام الحجج على أنه كتاب من عند الله ليحكم أى الكتاب بينهم أى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فحذف

الثانى العلم به أو براد الحكم فى الاختلاف الواقع بينهم كما فى قصة الزانيين ولهذا راجعوا فى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يكون عنده رخصة فى ترك الرجم قال فى الكشاف والوجه أن يراد ما وقع من الاختلاف والتعادى بين من أسلم من أحبارهم و بين من لم يسلم وأنهم دعوا الى كتاب الله الذى لا اختلاف بينهم فى صحته وهو التوراة ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الرؤساء والاحبار أو الذين لم يسلموا من أحبارهم ومعنى ثم استبعاد ما بين رتبتى الدعاء والتولى وهم معرضون قوم لا يزال الاعراض ديدنهم وهجيراهم والضمير فى هم إما أن يرجع الى الفريق أى هم جامعون بين التولى والاعراض لا عن استماعهم الحجة فى ذلك المقام فقط بل عنه وعن سائر المقامات وإما أن يرجع الى الباقين منهم فيكون قد وصف العلماء والرؤساء بالتولى والباقين بالاعراض لاجل (١٧١) اعراض علمائهم ومتقدميهم و إما أن يرجع الى كل أهل الكتاب أى هم قوم عادتهم الاعراض عن قبول الحق ذلك التولى والاعراض أو ذلك العقاب أو الوعيد بسبب انهم كانوا يتساهلون فى أمر العقاب ولا يفرقون بين ما يتعلق باصول الدين و بين ما يتعلق بفروعها فقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات هى أيام عبادة العجل فاستوجبوا الذم من وجوه أحدها استقصار مدة العذاب ومن أين لهم العلم بذلك وثانيها ان عبادة العجل كفر والكفر يستحق به الكافر عذابا دائما وثالثها أن استثناء الايام المعدودات فقط فيه دليل على أنهم استحقروا تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وذلك كفر صريح (وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون) من قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه أو من قولهم لن تمسنا النار الا أياما أو من قولهم نحن أولى بالنبوة من قريش أو من زعمهم أن آباءهم الانبياء يشفعون لهم (فكيف) يصنعون أو فكيف حالهم وفى هذا الحذف فخامة لما فيه من تحريك النفس على استحضار كل نوع من العذاب اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه قال الفراء اذا قلت جمعوا اليوم الخميس معناه جمعوا الفعل يوجد فى يوم الخميس أما اذا قلت جمعوا فى يوم الخميس فلا تضمر فعلا وأيضا من المعلوم أن ذلك اليوم لا فائدة فيه الا المجازاة والفرق بين المثاب والمعاقب ووفيت كل نفس ما كسبت من ثواب أو عقاب أو جزاء ما عملت وهم لا يظلمون يرجع الى كل نفس على المعنى لأنه فى معنى كل الناس كما تقول ثلاثة أنفس تريد ثلاثة أناسى روى أن أول راية ترفع لأهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يأمر بهم الى النار ۞ التأويل ستغلبون اشارة الى أن المبتلى بالكفر مغلوب الحكم الازلى بالشقاوة ربنا غلبت علينا شقوتنا ثم مغلوب الهوى والنفس

بشرت عيالى اذ رأيت صحيفة * أتتك من الحجاج يتلى كتابها

وقد قيل ان بشرت لغة أهل تهامة من كنانة وغيرهم من قريش وأنهم يقولون بشرت فلانا بكذا فأنا أبشره بشرا وهل أنت باشر بكذا و ينشد لهم البيت فى ذلك

واذا رأيت الباهشين الى العلى * غبرا أكفهم بقاع ممحل

فأعنهم وابشر بما بشروا به * واذا هم نزلوا بضنك فانزل

فاذا صاروا الى الامر فالكلام الصحيح من كلامهم بلا ألف فيقال أبشر فلانا بكذا ولا يكادون يقولون بشره بكذا ولا أبشره وقد روى عن حميد بن قيس أنه كان يقرأ يبشرك بضم الياء وكسر الشين وتخفيفها وقد حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن أبى حماد عن معاذ الكوفى قال من قرأ يبشرهم مثقلة فانه من البشارة ومن قرأ يبشرهم مخففة بنصب الياء فانه من السرور يسرهم والقراءة التى هى القراءة عندنا فى ذلك ضم الياء وتشديد الشين بمعنى التبشير لان ذلك هى اللغة السائرة والكلام المستفيض المعروف فى الناس مع أن جميع قراء الامصار مجمعون فى قراءة فبم تبشرون على التشديد والصواب فى سائر ما فى القرآن من نظائره أن يكون مثله فى التشديد وضم الياء وأما ما روى عن معاذ الكوفى من الفرق بين معنى التخفيف والتشديد فى ذلك فلم نجد أهل العلم بكلام العرب يعرفونه من وجه صحيح فلا معنى لما حكى من ذلك عنه وقد قال جرير بن عطية

يا بشر حق لبشرك التبشير * هلا غضبت لنا وأنت أمير

فقد علم أنه أراد بقوله التبشير الجمال والنضارة والسرور فقال التبشير ولم يقل البشر فقد بين ذلك ان معنى التخفيف والتثقيل فى ذلك واحد حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله ان الله يبشرك بيحيى قال بشرته الملائكة بذلك وأما قوله بيحيى فانه اسم أصله يفعل من قول القائل حيى فلان فهو يحيا وذلك اذا عاش فيحيى يفعل من قولهم حيى وقيل ان الله جل ثناؤه سماه بذلك لانه يتأول اسمه أحياه بالايمان ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان الله يبشرك بيحيى يقول عبد أحياه الله بالايمان حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله ابن أبى جعفر عن أبيه عن قتادة قوله ان الله يبشرك بيحيى قال انما سمى يحيى لان الله أحياه بالايمان ۞ القول فى تأويل قوله (مصدقا بكلمة من الله) يعنى بقوله جل ثناؤه ان الله يبشرك يا زكريا بيحيى ابنا لك مصدقا بكلمة من الله يعنى بعيسى بن مريم ونصب قوله مصدقا على القطع من يحيى لأن مصدقا نعت له

والشيطان ولذات الدنيا فبغلبات النفس والهوى يرد الى أسفل سافلي الطبيعة فيعيش فيها ثم يموت على ما عاش فيه ويحشر على ما مات عليه في قعر جهنم وبئس المهاد مهاد مهده في معاشه قد كان لكم آية في فئتين التقتا ان الله تعالى فئتين في الظاهر من المؤمن والكافر وفئتين في الباطن من القلب وصفاته والنفس وصفاتها الذميمة ولهما الحرب والالتقاء على الدوام وهو الجهاد الاكبر والله يؤيد بنصره من يشاء من القلب وجنوده وهم الروح والسر والاوصاف الحميدة والملائكة ومن النفس وأعوانها وهم الهوى والدنيا والاوصاف الذميمة والشياطين ثم أخبر عن جنود الفئتين وأعوان الفرقتين بقوله زين للناس واعلم أن الله خلق الخلق على طبقات ثلاث العوام ويعبر عنهم بلفظ الناس والغالب عليهم الهوى وهم أصحاب النفوس والخواص ويعبر عنهم بلفظ المؤمن وهم أرباب الارواح والغالب عليهم التقوى وخواص الخواص ويذكرهم بلفظ الولي ألا ان أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون والغالب فيهم المحبة والشوق ثم ان لجهنم سبع دركات محفوفة بالشهوات فأشار بالنساء الى شهوة الفرج وبالبنين الى شهوة الطبيعة الحيوانية المائلة الى الولد وبالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة الى شهوة الحرص على المال وبالخيل المسومة الى شهوة الجاه والخيلاء بالركوب عليها وبالانعام الى شهوة الجمال والاقتناء ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وبالحرث الى شهوة الحكم والرياسة على الرعايا وأهل القرى ثم ذكر درجات الجنات الثمانية للخواص منها التقوى للذين اتقوا والرضا بالقضاء ورضوان من الله والايمان ربنا اننا آمنا والصبر والصدق والقنوت والانفاق والاستغفار بالاسحار هذه جنات عاجلة تجري من تحتها الانهار الالطاف والواردات والازواج المطهرة الاخلاق الفاضلة التي تتولد منها فاذا عاش في الجنات مات وحشر كذلك ثم أشار الى أحوال خواص الخواص مستورة من نظر الخواص محفوظة عن فهم العوام بقوله والله عنده حسن المآب ما احلولى لهم الدنيا بادنيا مري على أوليائي ولا وقفوا عند جنة المأوى ما زاغ البصر وما طغى وانما طلبوا قرب المولى للذين أحسنوا الحسنى شهد الله بكلامه الازلي عن علمه السرمدي على ذاته الاحدي وكونه الصمدي أنه لا اله الا هو وهي شهادة الحق للحق بالحق أنه الحق وهو متفرد بهذه الشهادة الازلية الابدية لا يشاركه فيها أحد فكما أن ذاته لا تشبه الذوات وصفاته لا تشبه الصفات فشهادته لا تشبه الشهادات شهد بجلال قدره على كمال عزه حين لا حين ولا أين ولا عقل ولا جهل ولا غير ولا شرك ولا عرش ولا فرش ولا الجنة ولا النار ولا الليل ولا النهار ولا الجن ولا الانس ولا الملائكة ولا أولو العلم

وهو نكرة ويحيى غير نكرة وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني عبد الرحمن بن الاسود الطفاوي قال ثنا محمد بن ربيعة قال ثنا النضر بن عربي عن مجاهد قال قالت امرأة زكريا لمريم اني أجد الذي في بطني يتحرك للذي في بطنك قال فوضعت امرأة زكريا يحيى ومريم عيسى ولذا قال مصدقا بكلمة من الله قال يحيى مصدق بعيسى حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن الرقاشي في قول الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله قال مصدقا بعيسى بن مريم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا سليمان قال ثنا أبو هلال قال ثنا قتادة في قوله مصدقا بكلمة من الله قال مصدقا بعيسى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مصدقا بكلمة من الله يقول مصدق بعيسى بن مريم وعلى سننه ومنهاجه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله مصدقا بكلمة من الله يعني عيسى بن مريم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن قتادة مصدقا بكلمة من الله يقول مصدقا بعيسى بن مريم يقول على سننه ومنهاجه حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مصدقا بكلمة من الله قال كان أول رجل صدق عيسى وهو كلمة من الله وروح حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي مصدقا بكلمة من الله يصدق بعيسى حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله كان يحيى أول من صدق بعيسى وشهد أنه كلمة من الله وكان يحيى ابن خالة عيسى وكان أكبر من عيسى حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قوله مصدقا بكلمة من الله قال عيسى بن مريم هو الكلمة من الله اسمه المسيح حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال أخبرني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله مصدقا بكلمة من الله قال كان عيسى ويحيى ابني خالة وكانت أم يحيى تقول لمريم اني أجد الذي في بطني يسجد للذي في بطنك فذلك تصديقه بعيسى سجوده في بطن أمه وهو أول من صدق بعيسى وكلمة عيسى ويحيى أكبر من عيسى حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله قال الكلمة التي صدق بها عيسى حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال لقيت أم يحيى أم عيسى وهذه حامل بيحيى وهذه حامل بعيسى فقالت

امرأة

ولا الانكار ولا الاقرار فاخبر الذى كان عما كان كما كان وهو أنه لا اله الا هو ثم أبدع الموجودات كما شاء على ما شاء لما شاء فكل جزء من أجزائها وكل ذرة من ذراتها بوجوده مفصح ولربوبيته موضح وعلى قدمه شاهد ولكن ينبوع ماء التوحيد هو القدم يجرى فى مجارى أنهار المحدثات الى أن ظهر من عيون الملائكة وأولى العلم ثم الملائكة وان كانوا مظهر ماء التوحيد كما كان أولو العلم ولكن اختص أولو العلم منهم بمشربية وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها

لى سكرتان وللندمان واحدة * شئ خصصت به من بينهم وحدى

فحقيقة معنى الآية شهد الله أنه لا اله الا هو وهو قائم بالقسط على أمور عباده حتى يشهد على شهادته الملائكة وأولو العلم ثم فائدة التكرار بقوله لا اله الا هو عائدة الى أولى العلم الذين لهم شركة مع الملائكة فى مظهرية ماء التوحيد

بالشهادة ولهم اختصاص بالمشربية لماء التوحيد فشاهدوا حقيقة لا اله الا هو العزيز الذى لا يشاهد عزته الا أعزته من بين البرية الحكيم الذى بحكمته اختارهم لهذه العزة من جملة الخليقة وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الاختلاف فى الصورة من نتائج تناكر الارواح فى عالم المعنى والارواح فما تعارف منها فى الميثاق لتقاربهم فى الصف أو لتقابلهم فى المنزل ائتلف وما تناكر منها لتباعدهم فى الصف أو لتدابرهم فى المنزل اختلف الا من بعد ما جاءهم العلم فيه أن العلم مظنة الحسد ولكن المحمود منه ما يختص باسم الغبطة ويقتلون النبيين الانسان خلق مستعد القبول فيض صفات لطف الحق وقهره فكما أن كمال الانسان فى قبول فيض اللطف أن يفدى نفسه فى متابعة الانبياء حتى يكون خير البرية فنقصانه فى قبول فيض القهر أن يقتل الانبياء حتى يكون شر البرية فلهذا تحبط أعماله ولا ترجى توبته وترجى توبة ابليس ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب فيه اشارة الى أن من أوتى حظا من العلم فعلمه اذا دعى الى حكم من أحكام الله أو الى ترك الدنيا ومخالفة الهوى أن يمتثل وينقاد والا كان مغرورا بالدنيا مفتريا فى الدعوى وهذه حال أكثر من أوتى نصيبا من علم الظاهر ولم يؤت حظا من علم الباطن فهم أهل العزة بالله فكيف حال المغرورين اذا جمعهم الله ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شئ الا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير قل ان تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما فى

امرأة زكريا يا مريم استشعرت أنى حبلى قالت مريم استشعرت أنى أيضا حبلى قالت امرأة زكريا فانى وجدت ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك فذلك قوله مصدقا بكلمة من الله حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى عن عباد عن الحسن فى قول الله ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله قال مصدقا بعيسى بن مريم وقد زعم بعض أهل العلم بلغات العرب من أهل البصرة أن معنى قوله مصدقا بكلمة من الله بكتاب من الله من قول العرب أنشدنى فلان كلمة كذا يراد به قصيدة كذا جهلا منه بتأويل الكلمة واجتراء على ترجمة القرآن برأيه ۞ القول فى تأويل قوله (وسيدا) يعنى بقوله جل ثناؤه وسيدا وشريفا فى العلم والعبادة ونصب السيد عطفا على قوله مصدقا وتأويل الكلام ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بهذا وسيدا والسيد الفيعل من قول القائل ساد يسود كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وسيدا إى والله لسيد فى العبادة والحلم والعلم والورع حدثنا ابن بشار قال ثنا مسلم قال ثنا أبو هلال قال ثنا قتادة فى قوله وسيدا قال السيد لا أعلمه الا قال فى العلم والعبادة حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن قتادة قال السيد الحليم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شريك عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير وسيدا قال الحليم حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد بن جبير وسيدا قال السيد التقى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل وسيدا قال السيد الكريم على الله حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل قال زعم الرقاشى أن السيد الكريم على الله حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك فى قول الله عز وجل وسيدا قال السيد الحليم التقى حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وسيدا قال يقول تقيا حليما حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى عن سفيان فى قوله وسيدا قال حليما تقيا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب عن ابن زيد فى قوله وسيدا قال السيد الشريف حدثنى سعيد بن عمرو السكونى قال ثنا بقية بن الوليد عن عبد الملك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب فى قول الله عز وجل وسيدا قال السيد الفقيه العالم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وسيدا قال يقول حليما تقيا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر عن عكرمة وسيدا قال السيد الذى لا يغلبه الغضب ۞ القول فى تأويل قوله

السموات ومافى الارض والله على كل شئ قدير يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم) ۞ القراآت الحى من الميت والميت من الحى بالتشديد على فيعل حيث كان أبو جعفر ونافع وحمزة وعلى وخلف وسهل ويعقوب وعاصم غير أبى بكر وحماد الباقون بالتخفيف على فيل منهم تقية بكسر القاف وفتح الياء وتشديدها أبو زيد عن المفضل وسهل ويعقوب الباقون تقاة بضم التاء وقرأ حمزة وعلى وخلف بالامالة (١٧٤) ۞ الوقوف ممن تشاء ط لتناهى الجملتين المتضايفتين معنى الى جملتين مثلهما وتذل من تشاء ط الخير ط قدير ٥ فى الليل ز للفصل بين الجملتين المتضادتين من الحى ز لعطف المتفقتين حساب ٥ المؤمنين ج تقاة ط نفسه ط المصير ٥ يعلمه الله ط وما فى الارض ط قدير ٥ محضرا ج والأجوز أن يوقف على سوء تقديره وما عملت من سوء كذلك بعيدا ط نفسه ط بالعباد ٥ ذنوبكم ط رحيم ٥ والرسول ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب الكافرين ٥ العالمين (لا) لأن ذرية بدل من بعض ج عليم (لا) لاحتمال أن اذ متعلق بالوصفين أى سمع دعاءها وعلم رجاءها حين قالت أو اصطفى آل عمران وقت قولها ولاحتمال نصب اذ باضمار اذكر ۞ التفسير انه سبحانه لما ذكر من طريقة المعاندين ما ذكر علم نبيه صلى الله عليه وسلم طريقة مباينة لطريقتهم من كيفية التمجيد والتعظيم فقال قل اللهم ومعناه عند سيبويه يا الله والميم المشددة عوض عن الياء وانما أخرت تبركا باسم الله تعالى وهذا من خصائص اسم الله كما اختص بدخول تاء القسم وبدخول حرف النداء عليه مع لام التعريف وبقطع همزته فى يا ألله وعند الكوفيين أصله يا ألله أمنا بخير أى اقصدنا فلما كثر فى الكلام حذفوا حرف النداء وخففت الهمزة من أم وزيف بأن التقدير لو كان كذلك لزم أن يذكر الدعاء بعده بالعطف مثل اللهم واغفر لنا ولجاز أن يتكلم به على أصله من غير تخفيف الهمزة وباثبات حرف النداء وأجيب بأنه انما لم يوسط العاطف لئلا يصير السؤال سؤالين ضرورة مغايرة المعطوف للمعطوف عليه بخلاف ما لو جعل الثانى تفسيرا للاول فيكون آكد وبأن الاصل كثيرا ما يصير متروكا مثل ما أكرمه فانه لا يقال شئ ما أكرمه فى التعجب ومالك الملك نداء مستأنف عند سيبويه فان النداء باللهم لا يوصف كما

(وحصورا ونبيا من الصالحين) يعنى بذلك ممتنعا من جماع النساء من قول القائل حصرت من كذا أحصر اذا امتنع منه ومنه قولهم حصر فلان فى قراءته اذا امتنع من القراءة فلم يقدر عليها وكذلك حصر العدو حبسهم الناس ومنعهم اياهم التصرف ولذلك قيل للذى لا يخرج مع ندمائه شيأ حصور كما قال الاخطل

وشارب مربح بالكأس نادمنى * لا بالحصور ولا فيها بسوّار

ويروى بسآر * ويقال أيضا للذى لا يخرج سره ويكتمه حصور لانه يمنع سره أن يظهر كما قال جرير

ولقد تسقطنى الوشاة فصادفوا * حصرا بسرك يا أميم ضنينا

وأصل جميع ذلك واحد وهو المنع والحبس وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن خلف قال ثنا حماد بن شعيب عن عاصم عن زر عن عبد الله فى قوله وسيدا وحصورا قال الحصور الذى لا يأتى النساء حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه قال ثنى ابن العاص أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل بنى آدم يأتى يوم القيامة وله ذنب الا ما كان من يحيى بن زكريا قال ثم دلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يده الى الارض فاخذ عويدا صغيرا ثم قال وذلك أنه لم يكن له ما للرجال الا مثل هذا العود وبذلك سماه الله سيدا وحصورا حدثنى يونس قال أخبرنا أنس بن عياض عن يحيى بن سعيد قال سمعت سعيد بن المسيب يقول ليس أحد الا يلقى الله يوم القيامة ذا ذنب الا يحيى بن زكريا كان حصورا معه مثل الهدبة حدثنا أحمد بن الوليد القرشى قال ثنا عمر بن جعفر قال ثنا شعبة عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال قال ابن العاص إما عبد الله وإما أبوه ما أحد يلقى الله الا وهو ذو ذنب الا يحيى بن زكريا قال وقال سعيد بن المسيب وسيدا وحصورا قال الحصور الذى لا يغشى النساء ولم يكن ما معه الا مثل هدبة الثوب حدثنى سعيد بن عمرو السكونى قال ثنا بقية بن الوليد عن عبد الملك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب فى قوله وحصورا قال الحصور الذى لا يشتهى النساء ثم ضرب بيده الى الارض فأخذ نواة فقال ما كان معه الا مثل هذه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال الحصور الذى لا يأتى النساء حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن سعيد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن سعيد مثله حدثنى عبد الرحمن بن الاسود قال ثنا محمد بن ربيعة قال ثنا النضر بن عربى عن مجاهد وحصورا

لا توصف أخواته من الاسماء المختصة بالنداء نحو ياهناه ويانومان ويا ملكعان وفل وأجاز المبرد نصبه على النعت كما جاز في يا ألله عن ابن عباس وأنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة وعد أمته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم هم أعز وأمنع من ذلك فنزلت الآية وعن عمرو بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة أربعين ذراعا وأخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره صلى الله عليه وسلم فأخذ المعول من سلمان فضربها صلى الله عليه وسلم ضربة صدعتها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها كالمصباح في جوف بيت مظلم وكبر صلى الله عليه وسلم وكبر المسلمون **(١٧٥)** وقال صلى الله عليه وسلم أضاءت لي منها قصور الحيرة كأنها أنياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال صلى الله عليه وسلم أضاءت لي منها القصور الحمر من أرض الروم ثم ضرب صلى الله عليه وسلم الثالثة فقال أضاءت لي قصور صنعاء وأخبرني جبرائيل أن أمتي ظاهرة على كلها فأبشروا فقال المنافقون ألا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا فنزلت وقال الحسن ان الله تعالى أمر نبيه أن يسأله أن يعطيه ملك فارس والروم ويرد ذل العرب عليهما وأمره بذلك دليل على أنه يستجيب له صلى الله عليه وسلم هذا الدعاء وهكذا منازل الأنبياء اذا أمروا بدعاء استجيب دعاؤهم (مالك الملك) أي تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون وفيه أن قدرة الخلق في كل ما يقدرون عليه ليست الا باقدار الله تعالى ثم لما بين كونه مالك الملك وأنه هو الذي يقدر كل قادر على مقدوره ويملك كل مالك على مملوكه فصل ذلك بقوله (تؤتي الملك من تشاء) أي النصيب الذي قسمت له واقتضته حكمتك فالاول عام شامل والآخر بعض من الكل وهذا الملك قيل ملك النبوة لانها أعظم مراتب الملك لان العلماء لهم أمر على بواطن الخلق والجبابرة لهم أمر على ظواهر الخلق والانبياء أمرهم نافذ في البواطن والظواهر فعلى كل أحد أن يقبل شريعتهم ولهم أن يقتلوا من أرادوا من المتمردين ولهذا استبعد بعض الجهلة أن يكون النبي بشرا أبعث الله بشرا رسولا ومن المجوزين من كان يقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم فقير يتيم فكيف يليق به هذا المنصب العظيم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وكانت اليهود تقول النبوة في أسلافنا فنحن أحق بها وقد روينا في

قال الذي لا يأتي النساء حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الحصور لا يقرب النساء حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل قال زعم الرقاشي الحصور الذي لا يقرب النساء حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك الحصور الذي لا يولد له وليس له ماء حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله وحصورا قال هو الذي لا ماء له حدثنا بشر قال ثنا سويد قال ثنا سعيد عن قتادة وحصورا كنا نحدث أن الحصور الذي لا يقرب النساء حدثنا ابن بشار قال ثنا سليمان قال ثنا أبو هلال قال ثنا قتادة في قوله وسيدا وحصورا قال الحصور الذي لا يأتي النساء حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن قتادة مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال الحصور الذي لا ينزل الماء حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب عن ابن زيد وحصورا قال الحصور الذي لا يأتي النساء حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي وحصورا قال الحصور الذي لا يريد النساء حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن وحصورا قال لا يقرب النساء * وأما قوله ونبيا من الصالحين فانه يعني رسولا لربه الى قومه ينبئهم عنه بأمره ونهيه وحلاله وحرامه ويبلغهم عنه ما أرسله به اليهم ويعني بقوله من الصالحين من أنبيائه الصالحين وقد دللنا فيما مضى على معنى النبوة وما أصلها بشواهد ذلك والادلة الدالة على الصحيح من القول فيه بما أغنى عن اعادته ۞ القول في تأويل قوله (قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر) يعني أن زكريا قال اذ نادته الملائكة أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر يعني من بلغ من السن ما بلغت لم يولد له وامرأتي عاقر والعاقر من النساء التي لا تلد يقال منه امرأة عاقر ورجل عاقر كما قال عامر بن الطفيل

لبئس الفتى ان كنت أعور عاقرا * جبانا فما عذري لدى كل محضر

وأما الكبر فمصدر كبر فلان فهو يكبر كبرا وقيل بلغني الكبر وقد قال في موضع آخر وقد بلغت من الكبر لأن ما بلغك فقد بلغته وانما معناه قد كبرت وهو كقول القائل وقد بلغني الجهد بمعنى أني في جهد فان قال قائل وكيف قال زكريا وهو نبي الله رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر وقد بشرته الملائكة

تفسير قوله قل للذين كفروا ستغلبون أن اليهود تكبروا على النبي صلى الله عليه وسلم بكثرة عددهم وعددهم فرد الله تعالى على جميع هؤلاء الطوائف بأنه سبحانه مالك الملك يؤتي الملك وهو النبوة من يشاء وينزع الملك النبوة ممن يشاء لا بمعنى أنه يعزله عن النبوة فان ذلك غير جائز بالاجماع بل بمعنى أنه ينقلها من نسل الى نسل كما نزع من بني اسرائيل ووضع في العرب أو بمعنى أنه لا يعطيه النبوة ابتداء كقوله الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور فانه يتناول من لم يكن في ظلمة الكفر قط ومثله أو لتعودن في ملتنا مع أن الانبياء لم يكونوا في ملتهم قط حتى يتصور العود اليها وقيل المراد من الملك التسلط الظاهر وهو الاقتدار على المال بأنواعه وعلى الجاه وهو أن يكون مهيبا عند الناس وجيها غالبا مظفرا مطاعا ومن المعلوم أن كل ذلك (١٧٦) بايتاء الله تعالى فكم من عاقل قليل المال ورب جاهل غافل رخي البال وقد رأينا كثيرا من الملوك بذلوا الاموال لتحصيل الحشمة والجاه وما ازدادوا الا حقارة وخمولا فعلمنا أن الكل بايتاء الله تعالى سواء في ذلك ملوك العدل وملوك الجور لان حصول الملك للجائر ان لم يقع بفاعل ففيه سد باب اثبات الصانع وان حصل بفعل المتغلب فكل أحد يتمنى حصول الملك والدولة لنفسه ولا يتيسر له فلم يبق الا أن يكون من مسبب الاسباب وفاعل الكل ومدبر الامور وناظم مصالح الجمهور

لو كان بالحيل الغنى لوجدتني * بنجوم أقطار السماء تعلقي
لكن من رزق الحجى حرم الغنى * ضدان مفترقان أي تفرق

ومن الدليل على القضاء وكونه * بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق

وكذا الكلام في نزع الملك فانه كما ينزع الملك من الظالم فقد ينزعه من العادل لمصلحة تقتضي ذلك والنزع يكون بالموت وبإزالة العقل والقوى والقدرة والحواس وبتلف الاموال وغير ذلك في بعض الكتب أنا الله مالك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي أعطفهم عليكم وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم كما تكونوا يولى عليكم والصحيح أن الملك عام يدخل فيه النبوة والولاية والعلم والعقل والصحة والاخلاق الحسنة وملك النفاذ والقدرة وملك محبة القلوب وملك الاموال والاولاد الى غير ذلك فان اللفظ عام ولا دليل على التخصيص وتعز من تشاء وتذل من تشاء كل من الاعزاز والاذلال في الدين أو في الدنيا ولا عزة في الدين كعزة الايمان ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وفي ضده لا ذلة كذلة الكفر وعزة الدنيا كاعطاء الاموال الكثيرة من الناطق والصامت وتكثير الحرث وتكثير النتاج في الدواب والقاء الهيبة في قلوب الخلق وكل ذلك بتيسير الله

بما بشرته به عن أمر الله اياها به أشك في صدقهم فذلك مالا يجوز أن يوصف به أهل الايمان بالله فكيف الانبياء والمرسلون أم كان ذلك منه استنكارا لقدرة ربه فذلك أعظم في البلية قيل كان ذلك منه صلى الله عليه وسلم على غير ما ظننت بل كان قيله ما قال من ذلك كما حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي لما سمع النداء يعني زكريا لما سمع نداء الملائكة بالبشارة بيحيى جاءه الشيطان فقال له يا زكريا ان الصوت الذي سمعت ليس هو من الله انما هو من الشيطان يسخر بك ولو كان من الله أوحاه اليك كما يوحي اليك في غيره من الامر فشك مكانه وقال أنى يكون لي غلام ذكر يقول ومن أين وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر عن عكرمة قال فأتاه الشيطان فأراد أن يكدر عليه نعمة ربه فقال هل تدري من ناداك قال نعم ناداني ملائكة ربي قال بل ذلك الشيطان لو كان هذا من ربك لأخفاه اليك كما أخفيت نداءك فقال رب اجعل لي آية فكان قوله ما قال من ذلك ومراجعته ربه فيما راجع فيه بقوله أنى يكون لي غلام للوسوسة التي خالطت قلبه من الشيطان حتى خيلت اليه أن النداء الذي سمعه كان نداء من غير الملائكة فقال رب أنى يكون لي غلام مستثبتا في أمره ليتقرر عنده بآية يريه الله في ذلك أنه بشارة من الله على ألسن ملائكته ولذلك قال رب اجعل لي آية وقد يجوز أن يكون قيله ذلك مسألة منه ربه من أي وجه يكون الولد الذي بشر به أمن زوجته فهي عاقر أم من غيرها من النساء فيكون ذلك على غير الوجه الذي قاله عكرمة والسدي ومن قال مثل قولهما ❁ القول في تأويل قوله (قال كذلك الله يفعل ما يشاء) يعني جل ثناؤه بقوله كذلك الله أي هو ما وصف به نفسه أنه هين عليه أن يخلق ولدا من الكبير الذي قد يئس من الولد ومن العاقر التي لا يرجى من مثلها الولادة كما خلقك يا زكريا من قبل خلق الولد منك ولم تك شيئا لانه الله الذي لا يتعذر عليه خلق شيء أراده ولا يمتنع عليه فعل شيء شاءه لان قدرته القدرة التي لا يشبهها قدرة كما حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال كذلك الله يفعل ما يشاء وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا ❁ القول في تأويل قوله (قال رب اجعل لي آية) يعني بذلك جل ثناؤه خبرا عن زكريا قال زكريا يا رب ان كان هذا النداء الذي نوديته والصوت الذي سمعته صوت ملائكتك وبشارة منك لي فاجعل لي آية يقول علامة أن ذلك كذلك ليزول عني ما قد وسوس الي الشيطان فألقاه في قلبي من أن ذلك صوت غير الملائكة وبشارة من عند غيرك كما حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال رب اجعل لي آية قال قال يعني زكريا يا رب فان كان هذا الصوت منك فاجعل لي آية وقد دللنا فيما مضى على معنى الآية وأنها العلامة بما أغنى عن اعادته وقد اختلف أهل العربية في سبب

ترك العرب همزها ومن شأنها همز كل ياء جاءت بعد ألف ساكنة فقال بعضهم ترك همزها لانها كانت أية فثقل عليهم التشديد فابدلوه ألفا لانفتاح ما قبل التشديد كما قالوا أيما فلان فأخزاه الله * وقال آخرون منهم بل هي فاعلة منقوصة فسئلوا فقيل لهم فما بال العرب تصغرها أيية ولم يقولوا أويية فقالوا قيل ذلك كما قيل في فاطمة هذه فطيمة فقيل لهم فانهم انما يصغرون فاعلة على فعيلة اذا كان اسما في معنى فلان وفلانة فأما في غير ذلك فليس من تصغيرهم فاعلة على فعيلة * وقال آخرون انه فعلة صيرت ياؤها الاولى ألفا كما فعل بحاجة وقامة فقيل لهم انما تفعل العرب ذلك (١) في أولاد الثلاثة وقال من أنكر ذلك من قيلهم لو كان كما قالوا لقيل في نواة ناية وفي حياة حاية ۞ القول في تأويل قوله (قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا) فعاقبه الله فيما ذكر لنا عن مسألته الآية بعد مشافهة الملائكة اياه بالبشارة فجعل آيته على تحقيق ما سمع من البشارة من الملائكة بيحيى أنه من عند الله آية من نفسه جمع تعالى ذكره بها العلامة التي سألها ربه على ما يبين له حقيقة البشارة أنها من عند الله وتمحيصا له من هفوته وخطا قيله ومسألته وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا انما عوقب بذلك لان الملائكة شافهته مشافهة بذلك فبشرته بيحيى فسأل الآية بعد كلام الملائكة اياه فأخذ عليه بلسانه فجعل لا يقدر على الكلام الا ما أومأ وأشار فقال الله تعالى ذكره كما تسمعون آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ان الله يبشرك بيحيى مصدقا قال شافهته الملائكة فقال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا يقول الا إيماء وكانت عقوبة عوقب بها اذ سأل الآية مع مشافهة الملائكة اياه بما بشرته به حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا قال ذكر لنا والله أعلم أنه عوقب لان الملائكة شافهته مشافهة فبشرته بيحيى فسأل الآية بعد فأخذ بلسانه حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا عبد الله ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال ذكر لنا والله أعلم أنه عوقب لان الملائكة شافهته فبشرته بيحيى قالت ان الله يبشرك بيحيى فسأل بعد كلام الملائكة اياه الآية فأخذ عليه لسانه فجعل لا يقدر على الكلام الا رمزا يقول يومئ ايماء حدثني أبو عبيد الرصافي قال ثنا محمد بن حمير قال ثنا صفوان بن عمرو عن جويبر بن نصير في قوله قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا قال ربا لسانه

(١) كذا في النسخ وتأمله كتبه مصححه

تعالى وتقديره بيدك الخير أي بقدرتك تحصل كل الخيرات وليس في يد غيرك منها شيء وانما خص الخير بالذكر وان كان بيده الخير والشر والنفع والضر لان الكلام انما وقع في الخير الذي يسوقه الى المؤمنين وهو الذي أنكرته الكفرة أي بيدك الخير تؤتيه أولياءك على رغم من أعدائك أو لان جميع أفعاله من نافع وضار لا يخلو عن حكمة ومصلحة وان كنا لا نعلم تفصيلها فكلها خير أو لان القادر على ايصال الخير اقدر على ايصال الشر فاكتفى بالاول عن الثاني وللاحتراز عن لفظ الشر مع أن ذلك صار مذكورا بالتضمن في قوله انك على كل شيء قدير ولان الخير يصدر عن الحكيم بالذات والشر بالعرض فاقتصر على الخير (تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل) وذلك بأن يجعل الليل قصيرا ويدخل ذلك القدر في النهار وبالعكس ففي كل منهما قوام العالم ونظامه أو يأتي بالليل (١٧٧) عقيب النهار فيلبس الدنيا ظلمته بعد أن كان فيها ضوء النهار ثم يأتي بالنهار عقيب الليل فيلبس الدنيا ضوأه فالمراد بالايلاج ايجاد كل منهما عقيب الآخر والاول أقرب الى اللفظ فان الايلاج الادخال فاذا زاد من هذا في ذلك فقد أدخله فيه (وتخرج الحي من الميت) المؤمن من الكافر أو من كان ميتا فأحييناه أي كافرا فهديناه أو الطيب من الخبيث أو الحيوان من النطفة أو الطير من البيضة وبالعكس والنطفة تسمى ميتا كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم أو يخرج السنبلة من الحبة والنخلة من النواة وبالعكس فاخراج النبات من الارض يسمى احياء يحيي الارض بعد موتها (وترزق من تشاء بغير حساب) تقدم مثله في البقرة واذا كان كذلك فهو قادر على أن ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم ثم لما علم كيفية التعظيم لامر الله أردفه بشرائط الشفقة على خلق

الله أو نقول لما ذكر أنه مالك الملك وبيده العزة والذلة والخير كله بين أنه ينبغي أن تكون الرغبة فيما عنده وعند أوليائه دون أعدائه فقال لا يتخذ المؤمنون الكافرين بالجزم ولكن كسر الذال لالتقاء الساكنين قال الزجاج ولو رفع على الخبر جاز ولكنه لم يقرأ والخبر والطلب يقام كل منهما مقام الآخر وقوله (من دون المؤمنين) يعني أن لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم على المؤمنين عن ابن عباس قال كان الحجاج بن عمرو وابن أبي الحقيق وقيس بن زيد وهؤلاء كانوا من اليهود يباطنون نفرا من الانصار ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعد بن خيثمة لاولئك النفر اجتنبوا هؤلاء اليهود فأبى أولئك النفر الا مباطنتهم فنزلت هذه الآية وعن ابن عباس أيضا في رواية الضحاك نزلت في عبادة بن الصامت الانصاري وكان بدريا نقيبا وكان له حلفاء من اليهود فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب قال عبادة يا نبي الله ان معي خمسمائة رجل من اليهود وقد رأيت أن

يخرج وامعى فاستظهر بهم على العدو فنزلت وقال الكلبي نزلت في المنافقين عبد الله بن أبيّ وأصحابه كانوا يتولون اليهود والمشركين ويأتونهم بالاخبار ويرجون أن يكون لهم الظفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية ونهى المؤمنين عن مثل فعلهم وقد كرر ذلك في آيات أخر كثيرة لا تتخذوا بطانة من دونكم لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله وكون المؤمن مواليا للكافر يحتمل ثلاثة أوجه أحدها أن يكون راضيا بكفره والرضا بالكفر كفر فيستحيل أن يصدر عن المؤمن فلا يدخل تحت الآية لقوله يا أيها الذين آمنوا وثانيها المعاشرة الجميلة في الدنيا بحسب الظاهر وذلك غير ممنوع منه والثالث كالمتوسط بين القسمين وهو الركون اليهم والمعونة والمظاهرة لقرابة أو صداقة قبل الاسلام أو غير ذلك ولهذا قال مقاتل نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وغيره وكانوا يظهرون المودّة لكفار مكة مع اعتقاد أن دينهم باطل فهذا لا يوجب الكفر الا أنه منهي عنه حذرا من أن يجره الى استحسان طريقته والرضا بدينه حتى يخصه بالموالاة دون المؤمنين فلا جرم هدد فقال (ومن يفعل ذلك فليس من الله) أي من ولايته أو من دينه (في شيء) يقع عليه اسم الولاية يعني أنه منسلخ عن ولاية الله رأسا وهذا كالبيان لقوله من دون المؤمنين ليعلم أن الاشتراك بينهم وبين المؤمنين في الموالاة غير متصور وهذا أمر معقول فان موالاة الولي وموالاة عدوه ضدان قال

تودّ عدوّي ثم تزعم أنني * صديقك ليس النوك عنك بعازب

قال بعض الحكماء هذا ليس بكلي فانه قد يكون المشفق على العدوّ مشفقا على العدو والآخر كالملك العادل فانه محب لهما وان أراد أحد أن يعم الحكم لابد له أن يزيد عليه اذا كانوا في مرتبة واحدة (الا أن تتقوا منهم تقاة) قال الجوهري يقال اتقى تقية وتقاة مثل اتخم تخمة ووأوها واو كتراث والتقاة اسم وضع موضع المصدر قال الواحدي ويجوز أن يجعل تقاة ههنا مثل دعاة ورماة فيكون حالا مؤكدة وعلى هذين الوجهين يكون تتقوا مضمنا معنى تحذروا أو تخافوا ولهذا عدي بمن ويحتمل أن يكون التقاة أو التقية بمعنى المتقى مثل ضرب الامير لمضروبه فالمعنى الا أن تخافوا من جهتهم أمرا يجب اتقاؤه رخص لهم في موالاتهم اذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالفة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا واظهار الطوية كقول عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا أي ليكن جسدك بين الناس وقلبك مع الله وللتقية عند العلماء أحكام منها اذا كان الرجل في قوم كفار يخاف منهم على نفسه جاز له أن يظهر المحبة والموالاة ولكن بشرط

في فيه حتى ملأه ثم أطلقه الله بعد ثلاث وانما اختارت القراء النصب في قوله ألا تكلم الناس لان معنى الكلام قال آيتك أن لا تكلم الناس فيما يستقبل ثلاثة أيام فكانت أن هي التي تصحب الاستقبال دون التي تصحب الاسماء فتنصبها ولو كان المعنى فيه آيتك انك لا تكلم الناس ثلاثة أيام أي أنك على هذه الحال ثلاثة أيام كان وجه الكلام الرفع لأن أن كانت تكون حينئذ بمعنى الثقيلة خففت ولكن لم يكن ذلك جائزا لما وصفت من أن ذلك بالمعنى الآخر وأما الرمز فان الاغلب من معانيه عند العرب الايماء بالشفتين وقد يستعمل في الايماء بالحاجبين والعينين أحيانا وذلك غير كثير فيهم وقد يقال للخفي من الكلام الذي هو مثل الهمس بخفض الصوت الرمز ومنه قول (٣) جوبة بن عابد

وكان يكلم الأبطال رمزا * وهمهمة لهم مثل الهدير

يقال منه رمز فلان فهو يرمز ويرمز رمزا ويترمز ترمزا ويقال ضربه ضربة فارتمز منها أي اضطرب للموت قال الشاعر * خررت منها القفاي أرتمز * وقد اختلف أهل التأويل في المعنى الذي عنى الله عز وجل به في إخباره عن زكريا من قوله آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا وأيّ معاني الرمز عنى بذلك فقال بعضهم عنى بذلك آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام الا تحريكا بالشفتين من غير أن ترمز بلسانك الكلام ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن النضر بن عربي عن مجاهد في قوله الا رمزا قال تحريك الشفتين حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن ابي نجيح عن مجاهد ثلاثة أيام الا رمزا قال ايماؤه بشفتيه حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله * وقال آخرون بل عنى الله بذلك الايماء والاشارة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سلمة بن نبيط عن الضحاك الا رمزا قال الاشارة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله الا رمزا قال الرمز أن يشير بيده أو رأسه ولا يتكلم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن ابيه عن ابن عباس الا رمزا قال الرمز أن أخذ بلسانه فجعل يكلم الناس بيده حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق الا رمزا قال والرمز الاشارة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا الآية قال جعل آيته أن لا يكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا الا أنه يذكر الله والرمز الاشارة يشير اليهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة الا رمزا الا ايماء حدثت عن

عمار

أن يضمر خلافه و يعرّض فى كل ما يقول ما أمكن فان التقية تأثيرها فى الظاهر لا فى أحوال القلب ومنها أنها رخصة فلو تركها كان أفضل لما روى الحسن أنه أخذ مسيلمة الكذاب رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لأحدهما أتشهد أن محمدا رسول الله قال نعم قال أتشهد أنى رسول الله قال نعم وكان مسيلمة يزعم أنه رسول بنى حنيفة ومحمد رسول قريش فتركه ودعا الآخر وقال أتشهد أن محمدا رسول الله فقال نعم نعم نعم فقال أتشهد أنى رسول الله فقال انى أصم ثلاثا فقدمه وقتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم أما هذا المقتول فمضى على يقينه وصدقه فهنيأ له وأما الآخر فقبل رخصة الله فلا تبعة عليه ونظير هذه الآية الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ومنها أنها انما تجوز فيما يتعلق باظهار الموالاة والمعاداة وقد يجوز أن تكون أيضا فيما يتعلق باظهار الدين فأما الذى يرجع ضرره الى الغير كالقتل والزنا وغصب الاموال وشهادة الزور وقذف المحصنات وإطلاع الكفار على عورات المسلمين فذلك غير جائز البتة ومنها أن الشافعى جوز التقية بين المسلمين كما جوزها بين الكافرين محاماة على النفس ومنها أنها جائزة لصون المال على الاصح كما أنها جائزة لصون النفس لقوله صلى الله عليه وسلم حرمة مال المسلم كحرمة دمه ومن قتل دون ماله فهو شهيد ولان الحاجة الى المال شديدة ولهذا يسقط فرض الوضوء ويجوز الاقتصار على التيمم اذا بيع الماء بالغبن قال مجاهد كان هذا فى أول الاسلام فقط لضعف المؤمنين وروى عوف عن الحسن أنه قال التقية جائزة الى يوم القيامة وهذا أرجح عند الأئمة (ويحذركم الله نفسه) قيل أى عقاب نفسه وفيه تهديد عظيم لمن تعرض لسخطه بموالاة أعدائه لان شدة العقاب على حسب قدرة المعاقب وفائدة ذكر النفس تصريح بان الذى حذر منه هو عقاب يصدر من الله لا من غيره وقيل الضمير يعود الى اتخاذ الاولياء أى ينهاكم الله عن نفس هذا الفعل ثم حذر عن جعل الباطن موافقا للظاهر فى وقت التقية فقال (قل ان تخفوا ما فى صدوركم) أى قلوبكم وضمائركم لان القلب فى الصدر مجازا قامة الظرف مقام المظروف (أو تبدوه يعلمه الله) يتعلق به علمه الازلى ثم استأنف بيانا أشفى وتحذيرا أوفى فقال (ويعلم ما فى السموات وما فى الارض) ثم قال اتماما للتحذير (والله على كل شئ قدير) ثم خلط الوعيد بالوعد والترهيب بالترغيب فقال (يوم تجد) وفى عامله وجوه قال ابن الانبارى والى الله المصير يوم تجد وقيل والله على كل شئ قدير يوم تجد وخص ذلك اليوم بالذكر وان كان غيره من الايام بمنزلته فى قدرة الله تعالى تعظيما لشأنه مثل مالك يوم الدين وقيل انتصابه بمضمر أى اذكر والاظهر أن العامل فيه تود

عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى الارمزا يقول اشارة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال عبد الله بن كثير الارمزا الاشارة حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى عن عباد عن الحسن فى قوله قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا قال أمسك بلسانه فجعل يومئ بيده الى قومه أن سبحوا بكرة وعشيا ۞ القول فى تأويل قوله (واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار) يعنى بذلك قال الله جل ثناؤه لزكريا يا زكريا آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا بغير خرس ولا عاهة ولا مرض واذكر ربك كثيرا فانك لا تمنع ذكره ولا يحال بينك وبين تسبيحه وغير ذلك من ذكره وقد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى معشر عن محمد بن كعب قال لو كان الله رخص لأحد فى ترك الذكر لرخص لزكريا حيث قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا واذكر ربك كثيرا أيضا وأما قوله وسبح بالعشى فانه يعنى عظم ربك بعبادته بالعشى والعشى من حين تزول الشمس الى أن تغيب كما قال الشاعر

فلا الظل من برد الضحى تستطيعه * ولا الفىء من برد العشى تذوق

فالفىء انما تبتدئ أوبته عند زوال الشمس وتتناهى بمغيبها وأما الابكار فانه مصدر من قول القائل أبكر فلان فى حاجة فهو يبكر ابكارا وذلك اذا خرج فيها من بين مطلع الفجر الى وقت الضحى فذلك ابكار يقال فيه أبكر فلان وبكر يبكر بكورا فمن الابكار قول عمر بن أبى ربيعة * أمن آل نعم أنت غاد فمبكر * ومن البكور قول جرير

ألا بكرت سلمى فجد بكورها * وشق العصا بعد اجتماع أميرها

ويقال من ذلك بكر النخل يبكر بكورا وأبكر يبكر ابكارا والباكور من الفواكه أولها ادراكا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وسبح بالعشى والابكار قال الابكار أول الفجر والعشى ميل الشمس حتى تغيب حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله ۞ القول فى تأويل قوله (واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) يعنى بذلك جل ثناؤه والله سميع عليم اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك ومعنى قوله اصطفاك اختارك واجتباك لطاعته وما

والضمير في بينه لليوم أي تود كل نفس يوم تجد ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء محضرا أيضا لو أن بينها وبين ذلك اليوم وهوله أمدا بعيدا والامد الغاية التي ينتهي اليها مكانا كانت أو زمانا والمقصود تمني بعده كقوله ياليت بيني وبينك بعد المشرقين ومعنى كون العمل محضرا هو أن يكون ما كتب فيه العمل من الصحائف حاضرا أو يكون جزاؤه حاضرا اذ العمل عرض لا يبقى ثم ان لم يكن يوم متعلقا بتود احتمل ان يكون تود صفة سوء والضمير في بينه يعود اليه واحتمل أن يكون حالا واحتمل أن يكون ما عملت مبتدأ من الصلة والموصول وتود خبره وهو الاكثر واحتمل أن يكون ما شرطية وتود جزاءله وهو قليل كقوله وان أتاه خليل يوم مسغبة * يقول لا غائب مالي ولا حرم وقراءة عبد الله ودت يحتملهما على السواء الا أن الحمل على الابتداء والخبر أوقع في (١٨٠) المعنى لانه حكاية الكائن في ذلك اليوم (ويحذركم الله نفسه) تأكيد للوعيد والله رؤف بالعباد قال الحسن ومن رأفته أن حذرهم نفسه وعرفهم كمال علمه وقدرته وأنه يمهل ولا يهمل ورغبهم في استيجاب رحمته وحذرهم من استحقاق غضبه ويجوز أن يراد أنه رؤف بهم حيث أمهلهم للتوبة والتلافي أو هو وعد كما أن التحذير وعيد أو المراد بالعباد عباده المخلصون كقوله عينا يشرب بها عباد الله كما هو منتقم من الفساق ويحذرهم نفسه فهو رؤف بالعباد المطيعين والمحسنين ثم انه تعالى دعا القوم الى الايمان به وبرسوله من طريق آخر سوى طريق التهديد والتحذير فقال (قل ان كنتم تحبون الله) قال الحسن وابن جريج زعم أقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم يحبون الله فقالوا يا محمد انا نحب ربنا فأنزل الله هذه الآية وروى الضحاك عن ابن عباس قال وقف النبي صلى الله عليه وسلم على قريش وهم في المسجد الحرام وقد نصبوا أصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا في آذانها الشنوف وهم يسجدون لها فقال يا معشر قريش وسلم لقد خالفتم ملة أبيكم ابراهيم واسمعيل ولقد كانا على الاسلام فقالت قريش يا محمد انا نعبد هذه حبا لله ليقربونا الى الله زلفى فأنزل الله قل ان كنتم تحبون الله وتعبدون الاصنام لتقربكم اليه فاتبعوني يحببكم الله فأنا رسوله اليكم وحجته عليكم وأنا أولى بالتعظيم من أصنامكم وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أنها نزلت حين زعمت اليهود أنهم أبناء الله وأحباؤه وقيل نزلت في نصارى نجران زعموا أنهم يعظمون المسيح ويعبدونه حبا لله وتعظيما له والحاصل أن كل من يدعي محبة الله تعالى من فرق العقلاء فلا بد أن يكون في غاية الحذر مما يوجب سخطه فاذا قامت الدلائل العقلية والمعجزات الحسية على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وجبت متابعته فليس في متابعته الا أنه يدعوهم الى طاعة الله وتعظيمه وترك تعظيم غيره

خصك به من كرامته وقوله وطهرك يعني طهر دينك من الريب والادناس التي في أديان نساء بني آدم واصطفاك على نساء العالمين يعني اختارك على نساء العالمين في زمانك بطاعتك اياه ففضلك عليهم كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد يعني بقوله خير نسائها خير نساء أهل الجنة حدثني بذلك الحسين بن علي الصدائي قال ثنا محاضر بن المورع قال ثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال سمعت عليا بالعراق يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني المنذر بن عبد الله الحزامي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير نساء الجنة مريم بنت عمران وخير نساء الجنة خديجة بنت خويلد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ قالت الملائكة يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول حسبك بمريم بنت عمران وامرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد من نساء العالمين قال قتادة ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول خير نساء ركبن الابل صوالح نساء قريش أحناه على ولد في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده قال قتادة وذكر لنا أنه كان يقول لو علمت أن مريم ركبت الابل ما فضلت عليها أحدا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين قال كان أبو هريرة يحدث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير نساء ركبن الابل صلح نساء قريش أحناه على ولد وأرعاه لزوج في ذات يد قال أبو هريرة ولم تركب مريم بعيرا قط حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه قوله واذ قالت الملائكة يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين قال كان ثابت البناني يحدث عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير نساء العالمين أربع مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد حدثني المثنى قال ثنا آدم العسقلاني قال ثنا شعبة قال ثنا عمرو بن مرة قال سمعت مرة الهمداني يحدث عن أبي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد حدثني المثنى قال ثنا أبو الأسود المصري قال ثنا ابن لهيعة عن عمارة بن غزية عن محمد بن عبد الرحمن بن عمرو بن عثمان أن فاطمة بنت حسين بن علي حدثته أن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت دخل رسول الله صلى الله عليه

فمن أحب الله كان راغبا فيه لان المحبة توجب الاقبال بالكلية على المحبوب والاعراض بالكلية عن غيره وقد مر في تفسير قوله والذين آمنوا أشد حبا لله تحقيق المحبة وأنها من الله تعالى عبارة عن اعطاء الثواب وقال (ويغفر لكم ذنوبكم) ليدل مع ايفاء الثواب على ازالة العقاب وهذه غاية ما يطلبه كل عاقل (والله غفور) في الدنيا يستر على عبده أنواع المعاصي (رحيم) في الآخرة يثيبه على مثقال الذرة من الطاعة والحسنة يروى أنه لما نزل قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني قال عبد الله بن أبي ان محمدا يجعل طاعته كطاعة الله ويأمرنا أن نحبه كما أحب النصارى عيسى فنزلت (قل أطيعوا الله والرسول) وذلك أن الآية الاولى لما اقتضت وجوب متابعته ثم ان المنافق ألقى شبهة في البين أمره الله تعالى أن يقول انما أوجب الله عليكم متابعتي لا لما يقوله النصارى في عيسى بل لكوني رسولا من عند الله ومبلغ تكاليفه (فان تولوا) أعرضوا أو تعرضوا على أن يكون التاء الاولى محذوفة ويدخل في جملة ما يقوله الرسول لهم فانه لا يحصل للكافرين محبة الله لانها عبارة عن الثناء لهم وايصال الثواب اليهم والكافر يستحق الذم واللعن وهذا ضد المحبة ثم انه تعالى لما بين أن محبته لا تتم الا بمتابعة الرسل بين علو درجات الرسل وسمو طبقاتهم فقال ان الله اصطفى آدم ونوحا الآية أي جعلهم صفوة خلقه والمختارين من بينهم تمثيلا بما يشاهد من الشئ الذي يصفى وينقى من الكدورة وذلك باستخلاصهم من الصفات الذميمة وتحليتهم بالخصال الحميدة كقوله الله أعلم حيث يجعل رسالاته وقيل المعنى ان الله اصطفى دين آدم ودين نوح ولكن الاصل عدم الاضمار وذكر الحليمي في كتاب المنهاج أن الانبياء عليهم السلام مخالفون لغيرهم في القوى الجسمانية والقوى الروحانية أما القوى الجسمانية فهي اما مدركة وأما محركة أما المدركة فهي الحواس الظاهرة أو الباطنة أما الظاهرة فقوله صلى الله عليه وسلم زويت لي الارض فأريت مشارقها ومغاربها وقوله أقيموا صفوفكم وتراصوا فاني أراكم من وراء ظهري وهذا يدل على كمال القوة الباصرة ونظيرها ما حصل لابراهيم عليه السلام وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض ذكروا في تفسيره أن الله تعالى قوى بصره حتى شاهد جميع الملكوت وليس هذا مستبعد فانه يروى أن زرقاء اليمامة كانت تبصر من مسيرة ثلاثة أيام ويقال ان النسر وغيره من عظام الجوارح يرتفع فيرى صيده من مائة فرسخ وقال صلى الله عليه وسلم أطت السماء وحق لها أن تئط فسمع أطيط السماء ومثله ما زعمت الفلاسفة أن فيثاغورس راض نفسه حتى سمع حفيف الفلك وقد سمع سليمان كلام النمل وفهمه ومثله ما يروى

وسلم يوما وأنا عند عائشة فناجاني فبكيت ثم ناجاني فضحكت فسألتني عائشة عن ذلك فقلت لقد عجلت أخبرك بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتركتني فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتها عائشة فقالت نعم ناجاني فقال جبريل كان يعارض القرآن كل عام مرة وانه قد عارض القرآن مرتين وانه ليس من نبي الا عمر نصف عمر الذي كان قبله وان عيسى أخي كان عمره عشرين ومائة سنة وهذه لي ستون وأحسبني ميتا في عامي هذا وانه لم ترزأ امرأة من نساء العالمين بمثل ما رزئت ولا تكوني دون امرأة صبرا قالت فبكيت ثم قال أنت سيدة نساء أهل الجنة الا مريم البتول فتوفي في عامه ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو الأسود قال ثنا ابن لهيعة عن عمرو بن الحرث أن أبا زياد الحميري حدثه أنه سمع عمار بن سعد يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلت خديجة على نساء أمتي كما فضلت مريم على نساء العالمين وبمثل الذي قلنا في معنى قوله وطهرك أنه وطهر دينك من الدنس والريب قال مجاهد حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ان الله اصطفاك وطهرك قال جعلك طيبة ايمانا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج واصطفاك على نساء العالمين قال ذلك للعالمين يومئذ وكانت الملائكة فيما ذكر ابن اسحق تقول ذلك لمريم شفاها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني ابن اسحق قال كانت مريم حبيسا في الكنيسة ومعها في الكنيسة غلام اسمه يوسف وقد كان أمه وأبوه جعلاه نذيرا حبيسا فكانا في الكنيسة جميعا وكانت مريم اذا نفد ماؤها وماء يوسف أخذا قلتيهما فانطلقا الى المفازة التي فيها الماء الذي يستعذبان منه فيملآن قلتيهما ثم يرجعان الى الكنيسة والملائكة في ذلك مقبلة على مريم يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين فاذا سمع ذلك زكريا قال ان لابنة عمران لشأنا ۞ القول في تأويل قوله (يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين) يعني جل ثناؤه بقوله خبرا عن قيل ملائكته لمريم يا مريم اقنتي لربك أخلصي الطاعة لربك وحده وقد دللنا على معنى القنوت بشواهده فيما مضى قبل والاختلاف بين أهل التأويل فيه في هذا الموضع نحو اختلافهم فيه هنالك وسنذكر قول بعضهم أيضا في هذا الموضع فقال بعضهم معنى اقنتي أطيلي الركود ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يا مريم اقنتي لربك قال أطيلي الركود يعني القنوت حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج اقنتي لربك قال قال مجاهد أطيلي الركود في الصلاة يعني

أن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم مع الذئب ومع البعير وقد وجد يعقوب صلى الله عليه وسلم ريح يوسف من مسيرة أيام وقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الذراع يخبرني أنه مسموم وهو دليل كمال قوة الذوق وجعل النار برداً وسلاماً على ابراهيم قيل وهو دليل قوة اللمس كما في النعامة والسمندل وفيه نظر اذ لا ادراك ههنا فكيف يستدل به على قوة الادراك بل يجب أن يحمل هذا على معنى آخر وهو أنه تعالى لا يبعد أن يجعل المنافي ملائماً للاعجاز أو لخاصية أودعها في المنافي حتى يصير ملائماً وأما الحواس الباطنة فمنها قوة الحفظ قال تعالى سنقرئك فلا تنسى ومنها قوة الذكاء قال علي رضي الله عنه علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف باب من العلم فاستنبطت من كل باب ألف باب واذا كان حال الولي هكذا فكيف حال النبي وأما القوة المحركة فكعروج النبي صلى الله عليه وسلم وعروج عيسى عليه السلام الى السماء وكرفع ادريس والياس على ما ورد في الاخبار وأما القوة الروحانية (١٨٢) العقلية فنقول ان النفس القدسية النبوية مخالفة بماهيتها لسائر النفوس أو كالمخالفة صفاء ونورية وانجذابا الى عالم الارواح فلا جرم تجري عليها الانوار الفائضة من المبادي العالية أتم من سائر النفوس وأكمل ولهذا انبعثت مكملة للناقصين ومعلمة للجاهلين ومرشدة للطالبين مصطفاة على العالمين من جميع سكان الارضين عند من يقول الملك أفضل من البشر أو من سكان السموات أيضا عند من يرى البشر أفضل المخلوقات ثم ان القرآن دل على أن أول الانبياء اصطفاء آدم صفي الله وخليفته ثم انه وضع كمال القوة الروحانية في شعبة معينة من أولاد آدم وهم شيث وأولاده الى ادريس ثم الى نوح ثم الى ابراهيم ثم انشعب من ابراهيم صلى الله عليه وسلم شعبتان اسمعيل واسحق فجعل اسمعيل مبدأ لظهور الروح القدسية لمحمد صلى الله عليه وسلم وجعل اسحق مبدأ الشعبتين يعقوب وعيص فوضع النبوة في نسل يعقوب ووضع الملك في نسل عيص واستمر ذلك الى زمان محمد صلى الله عليه وسلم فلما ظهر محمد صلى الله عليه وسلم نقل نور النبوة ونور الملك اليه صلى الله عليه وسلم وبقي الدين والملك في امته صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة فالمراد بآل ابراهيم أولاده عليهم الصلاة والسلام وهو المطلوب بقوله ومن ذريتي بعد قوله اني جاعلك للناس اماما وأما آل عمران فقيل أولاد عمران بن يصهر والد موسى وهرون وقيل المراد بعمران والد مريم وهو عمران بن ماثان بدليل قوله عقيبه اذ قالت امرأة عمران ولا شك أنه عمران بن ماثان جد عيسى من قبل الام ولان الكلام سيق للنصارى الذين يحتجون على الهية عيسى عليه السلام بالخوارق التي ظهرت على يده فالله تعالى يقول ان ذلك باصطفاء الله اياه لا لكونه شريكا لا له ولان هذا اللفظ شديد المطابقة لقوله تعالى وجعلناها وابنها آية للعالمين (ذرية) بدل ممن سوى آدم (بعضها من بعض) قيل

اصطفى

القنوت حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن ادريس عن ليث عن مجاهد قال لما قيل لها يا مريم اقنتي لربك قامت حتى ورم كعباها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عبد الله بن ادريس عن ليث عن مجاهد قال لما قيل لها يا مريم اقنتي لربك قامت حتى ورمت قدماها حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن ابن أبي ليلى عن مجاهد اقنتي لربك قال أطيلي الركود حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع يا مريم اقنتي لربك قال القنوت الركود يقول قومي لربك في الصلاة يقول اركدي لربك أي انتصبي له في الصلاة واسجدي واركعي مع الراكعين حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو عاصم عن سفيان عن ليث عن مجاهد يا مريم اقنتي لربك قال كانت تصلي حتى ترم قدماها حدثني ابن البرقي قال ثنا عمرو قال ثنا الاوزاعي يا مريم اقنتي لربك قال كانت تقوم حتى يسيل القيح من قدميها * وقال آخرون معناه أخلصي لربك ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا ابن المبارك عن شريك عن سالم عن سعيد يا مريم اقنتي لربك قال أخلصي لربك * وقال آخرون معناه أطيعي ربك ذكر من قال ذلك حدثني الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله اقنتي لربك قال أطيعي ربك حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي اقنتي لربك أطيعي ربك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا محمد بن حرب قال ثنا ابن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل حرف يذكر فيه القنوت من القرآن فهو طاعة لله حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد بن منصور عن الحسن في قوله يا مريم اقنتي لربك قال يقول اعبدي ربك * قال أبو جعفر وقد بينا أيضا معنى الركوع والسجود بالأدلة الدالة على صحته وأنهما بمعنى الخشوع لله والخضوع له بالطاعة والعبودية فتأويل الآية اذاً يا مريم أخلصي عبادة ربك لوجهه خالصا واخشعي لطاعته وعبادته مع من خشع له من خلقه شكرا له على ما أكرمك به من الاصطفاء والتطهير من الأدناس والتفضيل على نساء عالم دهرك

القول في تأويل قوله (ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك) يعني جل ثناؤه بقوله ذلك الأخبار التي أخبر بها عباده عن امرأة عمران وابنتها مريم وزكريا وابنه يحيى وسائر ما قص في الآيات من قوله ان الله

أي في التوحيد والاخلاص والطاعة كقوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض وذلك لاشتراكهم في النفاق وقيل معناه ان غير آدم كانوا متوالدين من آدم وقيل يعني ان الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهرون من عمران وعمران من يصهر ويصهر من قاهث وقاهث من لاوى ولاوى من يعقوب ويعقوب من اسحق وكذلك عيسى من مريم ومريم بنت عمران بن ماثان ثم قال في الكشاف ماثان ابن سليمان بن داود بن ايشا ابن يهوذا بن يعقوب بن اسحق وفيه نظر لان بين ماثان وسليمان قوما آخرين وكذلك بين ايشا ويهوذا والله سميع لاقوال العباد عليم بضمائرهم وأفعالهم فيصطفي من خلقه من يعلم استقامته قولا وفعلا ويحتمل أن يكون الكلام مع اليهود والنصارى الذين كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه تغرير العوام مع علمهم ببطلان هذا الكلام فيكون أول الكلام تشريفا للمرسلين وآخره تهديدا للمبطلين كأنه قيل والله سميع لاقوالهم الباطلة عليم بأغراضهم الفاسدة فيجازيهم بحسب ذلك ويحتمل أن يتعلق بما بعده كما مر في الوقوف

اصطفى آدم ونوحا ثم جمع جميع ذلك تعالى ذكره بقوله ذلك فقال هذه الانباء من أنباء الغيب أي من أخبار الغيب ويعني بالغيب أنها من خفي أخبار القوم التي لم تطلع أنت يا محمد عليها ولا قومك ولم يعلمها الا قليل من أحبار أهل الكتابين ورهبانهم ثم أخبر تعالى ذكره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أنه أوحى ذلك اليه حجة على نبوته وتحقيقا لصدقه وقطعا منه به عذر منكري رسالته من كفار أهل الكتابين الذين يعلمون أن محمدا لم يصل الى علم هذه الأنباء مع خفائها ولم يدرك معرفتها مع خمولها عند أهلها الا باعلام الله ذلك اياه اذ كان معلوما عندهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم أمي لا يكتب فيقرأ الكتب فيصل الى علم ذلك من قبل الكتب ولا صاحب أهل الكتب فيأخذ علمه من قبلهم وأما الغيب فمصدر من قول القائل غاب فلان عن كذا فهو يغيب عنه غيبا وغيبة وأما قوله نوحيه اليك فان تأويله ننزله اليك وأصل الايحاء القاء الموحي الى الموحى اليه وذلك قد يكون بكتاب واشارة وايماء وبالهام وبرسالة كما قال جل ثناؤه وأوحى ربك الى النحل بمعنى ألقى ذلك اليها فألهمها وكما قال واذ أوحيت الى الحواريين بمعنى ألقيت اليهم علم ذلك الهاما وكما قال الراجز * أوحى لها القرار فاستقرت * بمعنى ألقى اليها ذلك أمرا وكما قال جل ثناؤه فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا بمعنى فألقى ذلك اليهم أيضا والاصل فيه ما وصفت من القاء ذلك اليهم وقد يكون القاؤه ذلك اليهم ايماء ويكون بكتاب ومن ذلك قوله وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم يلقون اليهم ذلك وسوسة وقوله وأوحي الي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ألقي الي بمجيء جبريل عليه السلام به الي من عند الله عز وجل وأما الوحي فهو الواقع من الموحي الى الموحى اليه ولذلك سمت العرب الخط والكتاب وحيا لانه واقع فيما كتب ثابت فيه كما قال كعب بن زهير

أتى العجم والآفاق منه قصائد * بقين بقاء الوحي في الحجر الأصم

يعني به الكتاب الثابت في الحجر وقد يقال في الكتاب خاصة اذا كتبه الكاتب وحى بغير ألف ومنه قول رؤبة

كأنه بعد رياح تدهمه * ومرثعنات الدجون تثمه * انجيل أحبار وحى منمنمه

القول في تأويل قوله (وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم) يعني جل ثناؤه بقوله وما كنت لديهم وما كنت يا محمد عندهم فتعلم ما نعلمكه من أخبارهم التي لم تشهدها ولكنك انما تعلم ذلك فتدرك معرفته بتعريفناكه ومعنى قوله لديهم عندهم ومعنى قوله اذ يلقون حين يلقون أقلامهم وأما

التأويل مالك الملك هو ملك الوجود فلا وجود بالحقيقة الا له تؤتي الوجود من تشاء وتنزع الوجود ممن تشاء فتخلق بعض الموجودات مستعدا للبقاء كالملائكة والانسان وتوجد بعضها قابلا للفناء كالنبات والحيوان غير الانسان وتعز من تشاء بعزة الوجود النوري وتذل من تشاء بذل القبض القهري بيدك الخير انك على كل شيء قدير تضمين للدعاء بذكر السبب كما يقال للجواد انك الذي يقدر على اعطاء كل خير فأتنا وأعزنا يا مفيض كل خير ويا كاشف كل ضير تولج ليل ظلمات الصفات البشرية النفسانية في نهار أنوار الصفات الروحانية وبالعكس وتخرج القلب الحي بالحياة الحقيقية من النفس الميتة وتخرج القلب الميت عن الحياة الحقيقية من النفس الحية بالحياة المجازية الحيوانية لا يتخذ القلب المؤمن والروح والسر وصفاتها الكافرين من النفس الامارة والشيطان والهوى والدنيا أولياء من دون المؤمنين من القلب والروح والسر ومن يفعل ذلك من القلوب فليس من أنوار الله وألطافه في شيء الا أن تخافوا من هلاك النفوس فان النفس مركب الروح فتواسوها كيلا تعجز عن السير في الرجوع وتهلك في الطريق من شدة الرياضات وكثرة المجاهدات ويحذركم الله نفسه أي من صفات قهره قل ان تخفوا ما في صدوركم من معاداة الحق في ضمن موالاة النفس ويعلم ما في السموات قلوبكم وما في الارض نفوسكم يوم تجد كل نفس ما عملت أثر الخير والشر ظاهر في ذات المرء وصفاته وبحسب ذلك يبيض وجه قلبه أو يسود ولكنه في غفلة من هذا محجوب عنه بحجاب النفس والجسم كمثل نائم لدغته حية كمية الكفر والخصال الذميمة فلا يحس بها ما دام نائما نوم الغفلة فاذا مات انتبه وأحس ثم أخبر عن طريق الوصول أنه في متابعة الرسول واعلم ان للاتباع ثلاث درجات ولمحبة المحب ثلاث درجات ولمحبة الله للمحب التابع على حسب الاتباع ثلاث درجات أما درجات الاتباع فالاولى درجة عوام

المؤمنين وهي متابعة أعماله صلى الله عليه وسلم والثانية درجة الخواص وهي متابعة أخلاقه والثالثة درجة أخص الخواص وهي متابعة أحواله وأما درجات محبة المحب فالاولى محبة العوام وهي مطالعة المنة من رؤية احسان المحسن جبلت القلوب على حب من أحسن اليها وهذا حب يتغير بتغير الاحسان وهو لمتابعي الاعمال الذين يطمعون في الأجر على ما يعملون وفيه قال أبو الطيب   وما أنا بالباغي على الحب رشوة * ضعيف هوى يرجى عليه ثواب   والثانية محبة الخواص المتبعين للاخلاق الذين يحبونه اعظاما واجلالا له ولانه أهل لذلك كما قالت رابعة * أحبك حبين حب الهوى * وحب لانك أهل لذاكا   ويضطر هذا المحب في هذه الدرجة الى ايثار الحق على غيره وهذا الحب يبقى على الأبد بقاء الكمال والجلال على السرمد وفيه قال   سأعبد الله لا أرجو مثوبته * لكن تعبد اعظام واجلال   والثالثة محبة أخص الخواص المتبعين للاحوال وهي الناشئة من الجذبة الالهية في مكان من كنت كنزا مخفيا فاحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف

أقلامهم فسهامهم التي استهموا بها المستهمون من بني اسرائيل على كفالة مريم على ما قد بينا قبل في قوله وكفلها زكريا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا هشام بن عمرو عن سعيد عن قتادة في قوله وما كنت لديهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يلقون أقلامهم زكريا وأصحابه استهموا بأقلامهم على مريم حين دخلت عليهم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون كانت مريم ابنة امامهم وسيدهم فتشاح عليها بنو اسرائيل فاقترعوا فيها بسهامهم أيهم يكفلها فقرعهم زكريا وكان زوج أختها فكفلها زكريا يقول ضمها اليه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله يلقون أقلامهم قال تساهموا على مريم أيهم يكفلها فقرعهم زكريا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وان مريم لما وضعت في المسجد اقترع عليها أهل المصلى وهم يكتبون الوحي فاقترعوا بأقلامهم أيهم يكفلها فقال الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم اقترعوا بأقلامهم أيهم يكفل مريم فقرعهم زكريا حدثنا محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم قال حيث اقترعوا على مريم وكان غيبا عن محمد صلى الله عليه وسلم حين أخبره الله وانما قيل أيهم يكفل مريم لان القاء المستهمين أقلامهم على مريم انما كان لينظروا أيهم أولى بكفالتها وأحق ففي قوله عز وجل اذ يلقون أقلامهم دلالة على محذوف من الكلام وهو لينظروا أيهم يكفل وليتبينوا ذلك و يعلموه فان ظن ظان أن الواجب في أيهم النصب اذ كان ذلك معناه فقد ظن خطأ وذلك أن النظر والتبين والعلم مع أي يقتضي استفهاما واستخبارا وحظ أي في الاستخبار الابتداء وبطول عمل المسئلة والاستخبار عنه وذلك أن معنى قول القائل لأنظرن أيهم قام لأستخبرن الناس أيهم قام وكذلك قولهم لأعلمن وقد دللنا فيما مضى قبل أن معنى يكفل يضم بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع

وأهل هذه المحبة هم المستعدون لكمال المعرفة بسبق العناية
غذينا بالمحبة يوم قالت * له الدنيا أتينا طائعينا
وحقيقة هذه المحبة أن يفني المحب بسطوتها وتبقى المحبة فيه بلا هو كما أن النار تفني الحطب بسطوتها وتبقى النار منه بلا هو وحقيقة هذه المحبة نار لا تبقي ولا تذر وأما درجات محبة الله للعبد فاعلم أن كل صفة من صفات الله تعالى من العلم والقدرة والارادة وغيرها فانها لا تشبه في الحقيقة صفات المخلوقين حتى الوجود فانه وان عم الخالق والمخلوق الا أن وجوده واجب بنفسه ووجود غيره ممكن في ذاته واجب به فليس في الكون الا الله وأفعاله قرأ القاري بين يدي الشيخ أبي سعيد بن أبي الخير رحمه الله قوله يحبهم ويحبونه فقال بحق يحبهم لانه لا يحب الا نفسه فليس في الوجود الا هو وما سواه فهو من صنعه والصانع اذا مدح صنعه فقد مدح نفسه والغرض أن محبة الله الخلق عائدة اليه حقيقة الا انه لما كان مرورها على الخلق فبحسب ذلك اختلفت مراتبها مع أنها صدرت عن محل واحد هو محل كنت كنزا مخفيا فاحببت أن أعرف فما تعلقت الا بأهل المعرفة وذلك قوله فخلقت الخلق لأعرف لكنها تعلقت بالعوام من أهل المعرفة بالرحمة ومشربهم الاعمال فقيل لهم فاتبعوني بالاعمال الصالحة يحببكم الله يخصكم بالرحمة و يغفر لكم ذنوبكم التي صدرت منكم على خلاف المتابعة وتعلقت بالخاص من اهل المعرفة بالفضل ومشربهم الاخلاق فقيل لهم فاتبعوني بمكارم الاخلاق يحببكم بالفضل يخصكم بتجلي صفات الجمال ويغفر لكم ذنوبكم بستر ظلمة صفاتكم بأنوار صفاته وتعلقت بالاخص من أهل المعرفة بالجذبات ومشربهم الاحوال فقيل لهم فاتبعوني ببذل الوجود يحببكم الله يخصكم بجذبكم الى نفسه ويغفر لكم ذنوب وجودكم فيمحوكم عنكم و يثبتكم به كما قال فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا فهم بين روضة المحو وغدير الاثبات أحياء غير أموات ويكون في هذا المقام المحب والمحبوب

والمحبة واحدا كما أن الرائي في المرآة يشاهد ذاته بذاته وصفاته بصفاته فيكون الرائي والمرئي والرؤية واحدا قل أطيعوا الله والرسول فان متابعته صورة جذبة الحق وصدف درة محبته لكم ﴿ان الله اصطفى آدم﴾ وذلك أن الله تعالى خلق العالمين سبعة أنواع الجماد والمعدن والنبات والحيوان والنفوس والعقول والارواح وجمع في آدم جميع الانواع وخصه بتشريف ثامن هو تشريف ونفخت فيه من روحي فهو المظهر لجميع آياته وصفاته وذاته وهو معنى جعله خليفة ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته ثم ذكر خواص أولاد آدم نوحا وآل ابراهيم وآل عمران والمراد بالآل كل مؤمن تقي بعضها من بعض بالوراثة الدينية العلماء ورثة الانبياء فالعالم كشجرة وثمرتها أهل المعرفة والله سميع لدعائهم عليم بأحوالهم وخصالهم ﴿اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك أنت السميع العليم فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى واني سميتها (١٨٥) مريم واني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار﴾ القراآت مني انك بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمرو بما وضعت على الحكاية ابن عامر ويعقوب وأبو بكر وحماد الباقون وضعت على

الموضع ﴿القول في تأويل قوله (وما كنت لديهم اذ يختصمون)﴾ يعني بذلك جل ثناؤه وما كنت يامحمد عند قوم مريم اذ يختصمون فيها أيهم أحق بها وأولى وذلك من الله عز وجل وان كان خطابا لنبيه صلى الله عليه وسلم فتوبيخ منه عز وجل للمكذبين به من أهل الكتابين يقول كيف يشك أهل الكفر بك منهم وأنت تنبئهم هذه الانباء ولم تشهدها ولم تكن معهم يوم فعلوا هذه الامور ولست ممن قرأ الكتب فعلم نبأهم ولا جالس أهلها فسمع خبرهم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير وما كنت لديهم اذ يختصمون أي ما كنت معهم اذ يختصمون فيها يخبره بخفي ما كتموا منه من العلم عندهم لتحقيق نبوته والحجة عليهم لما يأتيهم به مما أخفوا منه ﴿القول في تأويل قوله (اذ قالت الملائكة يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم)﴾ يعني بقوله جل ثناؤه اذ قالت الملائكة وما كنت لديهم اذ يختصمون وما كنت لديهم أيضا اذ قالت الملائكة يامريم ان الله يبشرك والتبشير اخبار المرء بما يسره من خبر وقوله بكلمة منه يعني برسالة من الله وخبر من عنده وهو من قول القائل ألقى فلان الي كلمة سرني بها يعني أخبرني خبرا فرحت به كما قال جل ثناؤه وكلمته ألقاها الى مريم يعني بشرى الله مريم بعيسى ألقاها اليها فتأويل الكلام وما كنت يامحمد عند القوم اذ قالت الملائكة لمريم يامريم ان الله يبشرك ببشرى من عنده هي ولد لك اسمه المسيح عيسى بن مريم * وقد قال قوم وهو قول قتادة ان الكلمة التي قال الله عز وجل بكلمة منه هو قوله كن حدثنا بذلك الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله بكلمة منه قال قوله كن فسماه الله عز وجل كلمته لانه كان عن كلمته كما يقال لما قدر الله من شئ هذا قدر الله وقضاؤه يعني به هذا عن قدر الله وقضائه حدث وكما قال جل ثناؤه وكان أمر الله مفعولا يعني به ما أمر الله به وهو المأمور الذي كان عن أمر الله عز وجل * وقال آخرون بل هي اسم لعيسى سماه الله بها كما سمى سائر خلقه بما شاء من الاسماء وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال الكلمة هي عيسى حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس في قوله اذ قالت الملائكة يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه قال عيسى هو الكلمة من الله وأقرب الوجوه الى الصواب عندي القول الاول وهو أن الملائكة بشرت مريم بعيسى عن الله عز وجل برسالته وكلمته التي أمرها أن تلقيها اليها ان الله خالق منها ولدا من غير بعل ولا فحل ولذلك قال عز وجل اسمه المسيح فذكر ولم يقل اسمها فيؤنث والكلمة مؤنثة لان الكلمة غير مقصود بها قصد الاسم

الغيبة واني أعيذها بفتح الياء أبو جعفر ونافع وكفلها مشددة عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون خفيفا زكريا مقصورا كل القرآن حمزة وعلي وخلف وعاصم غير أبي بكر وحماد وقرأ أبو بكر وحماد بالمد والنصب ههنا الباقون بالمد والرفع فناديه بالياء والامالة علي وحمزة وخلف الباقون فنادته بتاء التأنيث في المحراب بالامالة حيث كان مخفوضا قتيبة وابن ذكوان ان الله بكسر ان ابن عامر وحمزة الباقون بالفتح يبشرك وما بعده من البشارة خفيفا حمزة وعلي الباقون بالتشديد لي آية بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وابن شنبوذ عن ابن كثير ﴿الوقوف﴾ مني ج للابتداء ولاحتمال لانك العليم ٥ أنثى ط لمن قرأ بما وضعت بتاء التأنيث الساكنة ومن قرأ على الحكاية لم يقف لانه يجعلها من كلامها بما وضعت ط كالانثى ج للابتداء بان ولاحتمال أن المجموع كلام واحد من قولها على قراءة من قرأ وضعت بالضم الرجيم ٥ حسنا ص لمن قرأ وكفلها مخففا لتبدل فاعله فان فاعل المخفف زكريا وفاعل المشدد الرب وقد

الذى هو بمعنى فلان وانما هى بمعنى البشارة فذكرت كنايتها كما تذكر كناية الذرّية والدابة والالقاب على ماقد بيناه قبل فيما مضى فتأويل ذلك كما قلنا آنفا من أن معنى ذلك ان الله يبشرك ببشرى ثم بين عن البشرى أنها ولد اسمه المسيح * وقد زعم بعض نحويى البصرة أنه انما ذكر فقال اسمه المسيح وقد قال بكلمة منه والكلمة عنده هى عيسى لانه فى المعنى كذلك كما قال جل ثناؤه أن تقول نفس ياحسرتا ثم قال بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها وكما يقال ذو الثدية لان يده كانت قصيرة قريبة من ثدييه فجعلها كأن اسمها ثدية ولولا ذلك لم تدخل الهاء فى التصغير وقال بعض نحويى الكوفة نحو قول من ذكرنا من نحويى البصرة فى أن الهاء من ذكر الكلمة وخالفه فى المعنى الذى من أجله ذكر قوله اسمه والكلمة متقدمة قبله فزعم أنه انما قيل اسمه وقد قدمت الكلمة ولم يقل اسمها لأن من شأن العرب أن تفعل ذلك فيما كان من النعوت والالقاب والاسماء التى لم توضع لتعريف المسمى به كفلان وفلان وذلك مثل الذرّية والخليقة والدابة ولذلك جاز عنده أن يقال ذرية طيبة وذرّية طيبا ولم يجز أن يقال طلحة أقبلت ومغيرة قامت وأنكر بعضهم اعتلال من اعتل فى ذلك بذى الثدية وقالوا انما أدخلت الهاء فى ذى الثدية لانه أريد بذلك القطعة من الثدى كما قيل كنا فى لحمة ونبيذة يراد به القطعة منه وهذا القول نحو قولنا الذى قلناه فى ذلك وأما قوله اسمه المسيح عيسى بن مريم فانه جل ثناؤه أنبأ عباده عن نسبة عيسى وأنه ابن أمه مريم ونفى بذلك عنه ما أضاف اليه الملحدون فى الله جل ثناؤه من النصارى من اضافتهم بنوّته الى الله عز وجل وما قذفت أمه به المفترية عليها من اليهود كما حدثنى به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر ابن الزبير اذ قالت الملائكة يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقرّبين أى هكذا كان أمره لا ما يقولون فيه وأما المسيح فانه فعيل صرف من مفعول الى فعيل وانما هو ممسوح يعنى مسحه الله فطهره من الذنوب ولذلك قال ابراهيم المسيح الصديق وقال آخرون مسح بالبركة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن ابراهيم مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن سفيان عن منصور عن ابراهيم مثله حدثنا ابن البرقى قال ثنا عمرو بن أبى سلمة قال قال سعيد انما سمى المسيح لانه مسح بالبركة ۞ القول فى تأويل قوله (وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقرّبين) يعنى بقوله وجيها ذا وجه ومنزلة عالية عند الله وشرف وكرامة ومنه يقال للرجل الذى يشرف وتعظمه الملوك والناس وجيه يقال منه ما كان فلان وجيها ولقد وجه وجاهة

يعدى الى مفعولين كقوله أكفلنيها المحراب (لا) لان يجد جواب كلما رزقا ج لاتحاد فاعل الفعلين مع عدم العاطف هذا ط من عند الله ط حساب ه ربه ج لما قلنا فى رزقا طيبة ج للابتداء ولجواز لانك الدعاء ه فى المحراب (لا) وان كسر ان لان من كسر جعل النداء فى معنى القول الصالحين ه عاقر ط مايشاء ه آية ط رمزا ط والابكار ه ۞ التفسير انه سبحانه ذكر فى هذا المقام قصصا القصة الاولى قصة حنة أم مريم البتول زوجة عمران بن ماثان بنت فاقوذ أخت ايشاع التى كانت تحت زكريا بن أذن روى أن حنة كانت عاقرا لم تلد الى أن كبرت وعجزت فبينما هى فى ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخا له فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت اللهم ان لك على نذرا شكرا ان رزقتنى ولدا أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمته فحملت بمريم وهلك عمران وهى حامل قال الحسن انما فعلت ذلك بالهام الله تعالى كما ألهم أم موسى فقذفته فى اليم عن الشعبى محررا مخلصا للعبادة وتحرير العبد تخليصه من الرق وحررت الكتاب اذا أصلحته وخلصته من الغلط ورجل حر اذا كان خالصا لنفسه ليس لأحد عليه يد وتصرف قال الاصم لم يكن لبنى اسرائيل غنيمة ولا سبى وكان فى دينهم أن الولد اذا صار بحيث يمكن استخدامه كان يجب عليه خدمة الابوين فكانوا بالنذر يتركون ذلك النوع عن الانتفاع ويجعلون الاولاد محررين لخدمة المسجد وطاعة الله تعالى حتى اذا بلغ الحلم كان مخيرا فان أبى المقام وأراد أن يذهب ذهب وان اختار المقام فلا خيار له بعد ذلك ولم يكن نبى الا ومن نسله محرر فى بيت المقدس وما كان هذا التحرير الا فى الغلمان لان الجارية تصيبها الحيض والقذر ثم انها نذرت مطلقا اما لبناء الامر على الفرض والتقدير واما لانها جعلت النذر وسيلة الى طلب الولد الذكر محررا حال من ما وعن ابن قتيبة المعنى نذرت لك أن أجعل ما فى بطنى محررا فلما وضعتها يعنى ما فى بطنها لانها كانت أنثى فى علم الله أو على تأويل النفس أو النسمة أو الحبلة والحبل بفتح الباء مصدر بمعنى المحبول كما سمى بالحمل ثم أدخلت عليه التاء للاشعار بمعنى الانوثة فيه ومنه الحديث نهى عن حبل الحبلة ومعناه أن يبيع ماسوف يحمله الجنين الذى فى بطن الناقة على تقدير أنه يكون أنثى (قالت رب انى وضعتها) حال كونها (أنثى) ثم من قرأ والله أعلم بما وضعت على الحكاية فمجموع الكلام الى آخر الآية من قولها ويكون فائدة قولها انى وضعتها أنثى الاعتذار عن اطلاق النذر الذى تقدم منها والخوف من انها لا تقع الموقع الذى يعتد به والتحزن الى ربها والتحسر على ما رأت من خيبة رجائها وعكس تقديرها ثم خافت أن يظن بها أنها قالت ذلك لاعلام الله تعالى فقالت (والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى) ليس جنس الذكور كجنس الاناث لاسيما فى باب السدانة فان تحرير غير الذكور لم يكن جائزا فى شرعهم والذكر يمكن له الاستمرار على الخدمة دون الانثى لعوارض النسوان ولان الانثى لا تقوى على الخدمة لانها محل التهمة عند الاختلاط ويحتمل

أن تكون عارفة بالله واثقة بأن كل ما صدر عنه فانه يكون خيرا وصوابا فقالت رب انى وضعتها أنثى ولكنك أعرف وأعلم بحال ما وضعت فلعل لك فيه سرا (وليس الذكر) الذى طلبت (كالانثى) التى وهبت لى لانك لا تفعل الا ما فيه حكمة ومصلحة فعلى هذا اللام فى الذكر وفى الانثى لمعهود حاضر ذهنى لكنها فى الذكر لحاضر ذهنى تقديرا لدلالة ما فى بطنى عليه ضمنا وفى الانثى لحاضر ذهنى حقيقة لتقدم لفظة أنثى ومن قرأ بما وضعت بسكون التاء للتأنيث فالجملتان أعنى قوله والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى معترضتان ومعناه والله أعلم بالشئ الذى وضعت لما علق به من عظائم الامور وجعلها وولدها آية للعالمين وهى جاهلة بذلك ثم زاده بيانا وايضاحا فقال وليس الذكر الذى طلبت كالانثى التى وهبت لها (وانى سميتها مريم) وذلك أن أباها قد مات عند وضعها فلهذا تولت الام تسميتها ومريم فى لغتهم العابدة فأرادت بقولها ذلك التقرب والطلب الى الله أن يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها ولهذا أردف ذلك بطلب (١٨٧) الاعاذة لها ولولدها من الشيطان فتقبلها ربها الضمير يعود الى امرأة عمران ظاهرا بدليل أنها التى خاطبت ونادت بقولها رب انى وضعتها ويحتمل أن يعود الى مريم فيكون فيه اشارة الى أنه كما رباها فى بطن أمها فسير بها بعد ذلك (بقبول حسن) تقبلت الشئ وقبلته اذا رضيته أتقبله قبولا بفتح القاف وهو مصدر شاذ حتى حكى أنه لم يسمع غيره وأجاز الفراء والزجاج قبولا بالضم والباء فى قوله بقبول بمنزلة الباء فى قولك كتبت بالقلم وضربته بالسوط وفى التقبل نوع تكلف فكأنه انما حكم بالتقبل بواسطة القبول الحسن قال فى الكشاف معناه فتقبلها بذى قبول حسن أى بأمر ذى قبول وهو اختصاصها باقامتها مقام الذكر فى النذر ولم يقبل قبلها أنثى فى النذر أو بأن تسلمها من أمها عقيب الولادة قبل أن تنشأ وتصلح للسدانة قال ويجوز أن يكون القبول اسم ما يقبل به الشئ كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد وهو الاختصاص ويجوز أن يكون معناه فاستقبلها مثل تعجل بمعنى استعجل وذلك من قولهم استقبل الامر اذا أخذه بأوله اى فأخذها من أول أمرها حين ولدت بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا قيل كانت تنبت فى اليوم مثل ما ينبت المولود فى عام وقيل المراد نماؤها فى الطاعة والعفة والصلاح والسداد وكفلها زكريا روى أن حنة حين ولدت مريم لفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الأحبار أبناء هرون وهم فى بيت المقدس كالحجبة فى الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤس بنى اسرائيل وأحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا أنا أحق بها عندى خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا تسعة وعشرين الى نهر فألقوا فيه أقلامهم التى كانوا يكتبون بها التوراة والوحى على أن كل من ارتفع قلمه فهو الراجح فألقوا ثلاث مرات وفى كل مرة كان يرتفع قلم زكريا وترسب أقلامهم فأخذها زكريا فعلى هذه الرواية تكون كفالة زكريا اياها

وجاهة وإن له لوجها عند السلطان وجاها ووجاهة والجاه مقلوب قلبت واوه من أوله الى موضع العين منه فقيل جاه وانما هو وجه وفعل من الجاه جاه يجوه مسموع من العرب أخاف أن يجوهنى بأكثر من هذا بمعنى أن يستقبلنى فى وجهى بأعظم منه وأما نصب الوجيه فعلى القطع من عيسى لان عيسى معرفة ووجيه نكرة وهو من نعته ولو كان مخفوضا على الرد على الكلمة كان جائزا وكما قلنا من أن تأويل ذلك وجيها فى الدنيا والآخرة عند الله قال فيما بلغنا محمد بن جعفر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير وجيها قال وجيها فى الدنيا والآخرة عند الله وأما قوله ومن المقربين فانه يعنى أنه ممن يقربه الله يوم القيامة فيسكنه فى جواره ويدنيه منه كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن المقربين يقول من المقربين عند الله يوم القيامة حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ومن المقربين يقول من المقربين عند الله يوم القيامة حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مثله

﴿ القول فى تأويل قوله (ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين) أما قوله ويكلم الناس فى المهد فان معناه ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها عند الله ومكلما الناس فى المهد فيكلم وان كان مرفوعا لانه فى صورة يفعل بالسلامة من العوامل فيه فانه فى موضع نصب وهو نظير قول الشاعر

بت أعشيها بعضب باتر * يقصد فى أسوقها وجائر

وأما المهد فانه يعنى به مضجع الصبى فى رضاعه كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ويكلم الناس فى المهد قال مضجع الصبى فى رضاعه وأما قوله وكهلا فانه ومحتنكا فوق الغلومة ودون الشيخوخة يقال منه رجل كهل وامرأة كهلة كما قال الراجز

ولا أعود بعدها كريا * أمارس الكهلة والصبيا

وانما عنى جل ثناؤه بقوله ويكلم الناس فى المهد وكهلا ويكلم الناس طفلا فى المهد دلالة على براءة أمه مما قذفها به المفترون عليها وحجة له على نبوته وبالغا كبيرا بعد احتناكه بوحى الله الذى يوحيه اليه وأمره ونهيه وما تقول عليه من كتابه وانما أخبر الله عز وجل عباده بذلك من أمر المسيح وأنه كذلك كان وان كان الغالب من أمر الناس أنهم يتكلمون كهولا وشيوخا احتجاجا به على القائلين فيه من أهل الكفر بالله من النصارى بالباطل وأنه كان فى معاناة أشياء مولودا طفلا ثم كهلا يتقلب فى الاحداث ويتغير بمرور الأزمنة عليه

من أول أمرها وهو قول الأكثرين وزعم بعضهم انه كفلها بعد أن فطمت ونبتت النبات الحسن على ترتيب الذكور والأرجح أنها لم ترضع ثديا قط وكانت تتكلم فى الصغر وكان رزقها من الجنة وأن زكريا بنى لها محرابا وهى غرفة يصعد اليها بسلم وقيل هو أشرف المجالس ومقدمها كأنها وضعت فى أشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب والتركيب يدل على الطلب فكان صدر المجلس يسمى محرابا لطلب الناس اياه وكان اذا خرج غلق عليها سبعة أبواب فكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء وذلك قوله عز من قائل (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا) من أين لك هذا الرزق الذى لا يشبه أرزاق الدنيا وهو آت فى غير حينه والابواب مغلقة قالت هو من عند الله فلا تستبعد ان الله يرزق من يشاء بغير حساب يحتمل أن يكون من تمام كلام مريم وان يكون معترضا من كلام الله تعالى (١٨٨) واعلم أن الامور الخارقة للعادة فى حق مريم كثيرة منها أنه روى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها قلت وذلك لدعاء حنة وانى أعيذها ومنها تكلمها فى الصغر ومنها حصول الرزق لها من عند الله كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه صلى الله عليه وسلم جاع فى زمن قحط فاهدت له صلى الله عليه وسلم فاطمة رضى الله عنها رغيفين وبضعة لحم آثرته بها فرجع صلى الله عليه وسلم بها اليها وقال هلمى يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فبهتت وعلمت أنها نزلت من عند الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم لها أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى جعلك شبيهة سيدة نساء بنى اسرائيل ثم جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب والحسن والحسين وجميع أهل بيته صلى الله عليه وسلم عليه حتى شبعوا وبقى الطعام كما هو فأوسعت فاطمة رضى الله عنها على جيرانها وفى أمثال هذه الخوارق من غير الانبياء دليل على صحة الكرامات من الاولياء والفرق بين المعجزة والكرامة أن صاحب الفعل الخارق فى الاول يدعى النبوة وفى الثانى يدعى الولاية والنبى صلى الله عليه وسلم يدعى المعجز ويقطع به والولى لا يمكنه أن يقطع به والمعجزة يجب انفكاكها عن المعارضة والكرامة بخلافها وقال بعضهم الانبياء مأمورون باظهار المعجزة والاولياء مأمورون باخفاء الكرامات أما المعتزلة فقد احتجوا على امتناع الكرامات بانها دلالات صدق الانبياء ودليل النبوة لا يوجد مع غير النبى كما ان الفعل المحكم لما كان دليلا على ان فاعله عالم فلا جرم لا يوجد فى غير العالم وأجابوا عن حديث أبى هريرة بعد تسليم صحته ان استهلال المولود صارخا من مس الشيطان تخييل وتصوير لطمعه فيه كأنه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن أغويه فمعنى الحديث ان كل مولود فانه يطمع الشيطان فى اغوائه الا مريم وابنها وهذا المعنى يعم جميع من

والأيام من صغر الى كبر ومن حال الى حال وأنه لو كان كما قال الملحدون فيه كان ذلك غير جائز عليه فكذب بذلك ما قاله الوفد من أهل نجران الذين حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه واحتج به عليهم لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأعلمهم أنه كان كسائر بنى آدم الا ما خصه الله به من الكرامة التى أبانه بها منهم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين يخبرهم بحالاته التى يتقلب بها فى عمره كتقلب بنى آدم فى أعمارهم صغارا وكبارا الا أن الله خصه بالكلام فى مهده آية لنبوته وتعريفا للعباد مواقع قدرته حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين يقول يكلمهم صغيرا وكبيرا حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع ويكلم الناس فى المهد وكهلا قال يكلمهم صغيرا وكبيرا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وكهلا ومن الصالحين قال الكهل الحليم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال كلمهم صغيرا وكبيرا وكهلا وقال ابن جريج وقال مجاهد الكهل الحليم حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى عن عباد عن الحسن فى قوله ويكلم الناس فى المهد وكهلا قال كلمهم فى المهد صبيا وكلمهم كبيرا * وقال آخرون معنى قوله وكهلا أنه سيكلمهم اذا ظهر ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعته يعنى ابن زيد يقول فى قوله ويكلم الناس فى المهد وكهلا قال قد كلمهم عيسى فى المهد وسيكلمهم اذا قتل الدجال وهو يومئذ كهل ونصب كهلا عطفا على موضع ويكلم الناس وأما قوله ومن الصالحين فانه يعنى من عدادهم وأوليائهم لان أهل الصلاح بعضهم من بعض فى الدين والفضل ۞ القول فى تأويل قوله (قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) يعنى بذلك جل ثناؤه قالت مريم اذ قالت لها الملائكة ان الله يبشرك بكلمة منه رب أنى يكون لى ولد من أى وجه يكون لى ولد أمن قبل زوج أتزوجه وبعل أنكحه أو تبتدئ فى خلقه من غير بعل ولا فحل ومن غير أن يمسنى بشر فقال الله لها كذلك الله يخلق ما يشاء يعنى هكذا يخلق الله منك ولدا لك من غير أن يمسك بشر فيجعله آية للناس وعبرة فانه يخلق ما يشاء ويصنع ما يريد فيعطى الولد من يشاء من غير فحل ومن فحل ويحرم ذلك من يشاء من النساء وان كانت ذات بعل لانه لا يتعذر عليه خلق شئ أراد خلقه انما هو أن يأمر اذا أراد شيئا ما أراد فيقول له

كن

كان فى صفتهما من عباد الله المخلصين قال فى الكشاف وأما حقيقة المس والنخس كما يتوهم أهل الحشو فكلا ولو سلط ابليس على الناس ينخسهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا مما يبلون به من نخسه قلت وعجب من مثله مثل هذا الكلام فانه لا يلزم من الاحساس بمس الشيطان والصراخ منه فى وقت الولادة وانه قريب العهد بعالم الارواح وبزمان المكاشفة بعيد العهد من عالم الغفلة والالف بالمحسوسات أن يحس به فى وقت آخر ويصرخ على أن أثر مس الشيطان ونخسه يظهر فى هيئات النفس وأحوالها وانها أمور لا يحس بها الا بعد المفارقة أو قطع العلائق البدنية والكلام فيه يستدعى فهمه استعدادا آخر غير العلوم الظاهرية قال الجبائى لم لا يجوز أن تكون تلك الخوارق من معجزات زكريا وبيانه ان زكريا دعا لها على الاجمال ان يوصل الله اليها رزقها وربما كان غافلا عن تفاصيل ما يأتيها من الارزاق من عند الله فاذا رأى شيأ بعينه فى وقت معين قال لها أنى لك هذا قالت هو من عند الله لا من عند غيره فعند ذلك يعلم (١٨٩) أن الله تعالى أظهر بدعائه تلك المعجزة ويحتمل ان يكون زكريا يشاهد عند مريم رزقا معتادا لا أنه كان يأتيها من السماء وكان زكريا يسألها عن ذلك حذرا من أن يكون من عند انسان يبعثه اليها فقالت هو من عند الله لا من عند غيره على أنا لا نسلم انه قد ظهر لها شئ من الخوارق بل كانوا يرغبون فى الانفاق على الزاهدات العابدات فكان زكريا اذا رأى شيأ من ذلك خاف أن ذلك الرزق أتاها من حيث لا ينبغى وكان يسألها عن كيفية الحال قلت أمثال هذه الشبهات يوجبها الشك فى القرآن وفى الحديث أو العصبية المحضة على أنا نقول لو كان معجزا لزكريا لكان مأذونا من عند الله فى طلبه فكان عالما بحصوله واذا علم امتنع ان يطلب كيفية الحال وأيضا كيف قنع بمجرد اخبارها فى زوال الشبهة وكيف مدح الله تعالى مريم بحصول هذا الرزق عندها وكيف يستبعد هذا القدر ممن اخبر الله تعالى بأنه اصطفاها على نساء العالمين وقال وجعلناها وابنها آية للعالمين * القصة الثانية واقعة زكريا عليه السلام وذلك قوله سبحانه (هنالك) أى فى ذلك المكان الذى كانا فيه فى المحراب أو فى ذلك الوقت الذى شاهد تلك الكرامات فقد يستعار هنا وثمة وحيث للزمان (دعا زكريا ربه) وهذا يقتضى أن يكون قد عرف فى ذلك الزمان أو المكان أمرا له تعلق بهذا الدعاء فالجمهور من العلماء المحققين على أن زكريا رأى عند مريم من فاكهة الصيف فى الشتاء وبالعكس وأن ذلك خارق للعادة فطمع هو أيضا فى أمر خارق هو حصول الولد من شيخ كبير ومن امرأة عاقر وهذا لا يقتضى أن يكون زكريا قبل ذلك شاكا فى قدرة الله تعالى غير مجوز وقوع الخوارق فان من حسن الادب رعاية الوقت الانسب فى الطلب وأما المعتزلة الذين أنكروا كرامات الاولياء وارهاص الانبياء قالوا ان زكريا لما رأى آثار الصلاح والعفاف والتقوى مجتمعة فى حق مريم تمنى أن يكون له ولد مثلها قال المتكلمون ان دعاء

كن فيكون ما شاء مما يشاء وكيف شاء كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء يصنع ما أراد ويخلق ما يشاء من بشر أو غير بشر أى اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون مما يشاء وكيف يشاء فيكون ما أراد ﴿﴾ القول فى تأويل قوله (ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل) اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والمدينة وبعض قراء الكوفيين ويعلمه بالياء ردا على قوله كذلك الله يخلق ما يشاء ويعلمه الكتاب فألحقوا الخبر فى قوله ويعلمه بنظير الخبر فى قوله يخلق ما يشاء وقوله فانما يقول له كن فيكون وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وبعض البصريين ونعلمه بالنون عطفا به على قوله نوحيه اليك كأنه قال ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك ونعلمه الكتاب وقالوا ما بعد نوحيه فى صلته الى قوله كن فيكون ثم عطف بقوله ونعلمه عليه والصواب من القول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان مختلفتان غير مختلفى المعانى فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب الصواب فى ذلك لاتفاق معنى القراءتين فى أنه خبر عن الله بأنه يعلم عيسى الكتاب وما ذكر أنه يعلمه وهذا ابتداء خبر من الله عز وجل لمريم ما هو فاعل بالولد الذى بشرها به من الكرامة ورفعة المنزلة والفضيلة فقال كذلك الله يخلق منك ولدا من غير فحل ولا بعل فيعلمه الكتاب وهو الخط الذى يخطه بيده والحكمة وهى السنة التى نوحيها اليه فى غير كتاب والتوراة وهى التوراة التى أنزلت على موسى كانت فيهم من عهد موسى والانجيل انجيل عيسى ولم يكن قبله ولكن الله أخبر مريم قبل خلق عيسى أنه موحيه اليه وانما أخبرها بذلك فسماه لها لانها قد كانت علمت فيما نزل من الكتب أن الله باعث نبيا يوحى اليه كتابا اسمه الانجيل فأخبرها الله عز وجل أن ذلك النبى صلى الله عليه وسلم الذى سمعت بصفته الذى وعد أنبياءه من قبل أنه منزل عليه الكتاب الذى يسمى انجيلا هو الولد الذى وهبه لها وبشرها به وبنحو ما قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج ونعلمه الكتاب قال بيده حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ونعلمه الكتاب والحكمة قال الحكمة السنة حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن قتادة فى قوله ونعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل قال الحكمة السنة والتوراة والانجيل قال كان عيسى يقرأ التوراة والانجيل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ونعلمه الكتاب والحكمة قال الحكمة السنة حدثنا ابن

النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون الا بعد الاذن لاحتمال ان لا تكون الاجابه مصلحة فحينئذ يصير دعوته مردودة وذلك نقص فى منصبه وقول ان دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون بمجرد التشهى فلا حاجة له فى كل دعاء الى اذن مخصوص بل يكفى له الاذن فى الدعاء على الاطلاق والغالب فى دعوته الاجابة ثم ان وقع الامر بالندرة على خلاف دعوته فذلك بالحقيقة مطلوبه لانه يريد الأصلح و يضمر فى دعائه أنه لو لم يكن أصلح لم يعطه الله عليه و يصرفه عنه ومعنى قوله من لدنك أن حصول الولد فى العرف والعادة له أسباب مخصوصة وكانت مفقودة فى حقه فكأنه قال أريد منك يارب أن تعزل الاسباب فى هذه الواقعة وتخلق هذا الولد بمحض قدرتك من غير توسيط الاسباب والذرية النسل يقع على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد ههنا ولد واحد كما قال فهب لى من لدنك وليا قال الفراء وأنث الطيبة لتأنيث لفظ الذرية فى الظاهر فالتذكير والتأنيث تارة يجيء على اللفظ وأخرى على المعنى (١٩٠) وهذا فى أسماء الاجناس بخلاف الاسماء الاعلام فانه لا يجوز أن يقال جاءت طلحة لان اسم العلم لا يفيد الا ذلك الشخص فاذا كان مذكرا لم يجز فيه الا التذكير (انك سميع الدعاء) يعنى سماع اجابة وذلك لما عهد من الاجابه فى غير هذه الواقعة كما قال فى سورة مريم ولم أكن بدعائك رب شقيا (فنادته الملائكة) ظاهر اللفظ للجمع وهذا فى باب التشريف أعظم ثم ما روى ان المنادى كان جبريل فالوجه فيه انه كقولهم فلان يركب الخيل ويأكل الاطعمة النفيسة أى يركب من هذا الجنس ويأكل منه أو لان جبريل كان رئيس الملائكة وقلما يبعث الا ومعه آخرون (يبشرك بيحيى) يحتمل أن يكون زكريا قد عرف انه سيكون فى الانبياء رجل اسمه يحيى وله درجة عالية فاذا قيل له ان ذلك النبي المسمى بيحيى هو ولدك كان بشارة له ويحتمل أن يكون المعنى يبشرك بولد اسمه يحيى كما يجيء فى سورة مريم انا نبشرك بغلام اسمه يحيى وانه اسم أعجمى كموسى وعيسى ومن جوز أن يكون عربيا فمنع صرفه للعلمية ووزن الفعل كيعمر ثم انه تعالى وصف يحيى بصفات منها قوله مصدقا بكلمة من الله وهو نصب على الحال لانه نكرة ويحيى معرفة قال أبو عبيدة أى مؤمنا بكتاب الله وسمى الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته والجمهور على أن المراد بكلمة من الله هو عيسى قال السدى لقيت أم يحيى أم عيسى وهما حاملان بهما فقالت يا مريم أشعرت أنى حبلى فقالت مريم وأنا أيضا حبلى قالت امرأة زكريا فانى وجدت ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك فذلك قوله مصدقا بكلمة من الله وقال ابن عباس ان يحيى أكبر سنا من عيسى بستة أشهر وكان يحيى أول من آمن به وصدق بأنه كلمة الله وروحه ثم قتل يحيى قبل رفع عيسى وسمى عيسى كلمة الله لانه لم يوجد إلا بكلمة الله وهى كن من غير واسطة أب وزرع كما يسمى المخلوق خلقا والمرجو رجاء أو لكونه متكلما فى أوان الطفولية أو لانه منشأ الحقائق والاسرار كالكلمة ولهذا سمى روحا أيضا لانه

حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير قال أخبرها يعنى أخبر الله مريم ما يريد به فقال ونعلمه الكتاب والحكمة والتوراة التى كانت فيهم من عهد موسى والانجيل كتابا آخر أحدثه اليه لم يكن عندهم علمه الا ذكره أنه كائن من الانبياء قبله ۞ القول فى تأويل قوله (ورسولا الى بنى اسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم) يعنى بقوله جل ثناؤه ورسولا ونجعله رسولا الى بنى اسرائيل فترك ذكر ونجعله لدلالة الكلام عليه كما قال الشاعر

ورأيت زوجك فى الوغى * متقلدا سيفا ورمحا

وقوله أنى قد جئتكم بآية من ربكم يعنى ونجعله رسولا الى بنى اسرائيل بأنه نبى و بشير ونذير وحجتى على صدقى على ذلك أنى قد جئتكم بآية من ربكم يعنى بعلامة من ربكم تحقق قولى وتصدق خبرى أنى رسول من ربكم اليكم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير ورسولا الى بنى اسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أى تحقق بها نبوتى وأنى رسول منه اليكم ۞ القول فى تأويل قوله (أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله) يعنى بذلك جل ثناؤه ورسولا الى بنى اسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم ثم بين عن الآية ما هى فقال أنى أخلق لكم فتأويل الكلام ورسولا الى بنى اسرائيل بأنى قد جئتكم بآية من ربكم بأن أخلق لكم من الطين كهيئة الطير والطير جمع طائر واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه بعض أهل الحجاز كهيئة الطائر فأنفخ فيه فيكون طائرا على التوحيد وقرأه آخرون كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا على الجماع كليهما وأعجب القراآت الىّ فى ذلك قراءة من قرأ كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا على الجماع فيهما جميعا لان ذلك كان من صفة عيسى أنه يفعل ذلك باذن الله وأنه موافق لخط المصحف واتباع خط المصحف مع صحة المعنى واستفاضة القراءة به أعجب الىّ من خلاف المصحف وكان خلق عيسى ما كان يخلق من الطير كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ابن اسحق أن عيسى صلوات الله عليه جلس يوما مع غلمان من الكتاب فأخذ طينا ثم قال أجعل لكم من هذا الطين طائرا قالوا وتستطيع ذلك قال نعم باذن ربى ثم هيأه حتى اذا جعله فى هيئة الطائر نفخ فيه ثم قال كن طائرا باذن الله فخرج يطير بين كفيه فخرج الغلمان بذلك من أمره فذكروه لمعلمهم فافشوه فى الناس وترعرع فهمت به بنو اسرائيل فلما خافت أمه عليه حملته على حمير لها ثم خرجت به هاربة وذكر أنه لما أراد أن يخلق الطير من الطين سألهم أى الطير أشد خلقا فقيل له الخفاش كما حدثنا القاسم

سبب حياة الارواح وقد يقال للسلطان العادل ظل الله ونور الله لانه سبب ظهور ظل العدل ونور الاحسان أولانه وردت البشارة به فى كلمات الانبياء وكتبهم كما لو أخبرت عن حدوث أمر ثم اذا حدث قلت قد جاء قولى أوكلامى أى ما كنت أقول أو أتكلم به ومنها قوله وسيدا والسيد الذى يفوق قومه فى الشرف وكان يحيى فائقا لقومه بل للناس كلهم فى الخصال الحميدة وقال ابن عباس السيد الحليم وقال ابن المسيب الفقيه العالم وقال عكرمة الذى لا يغلبه الغضب ومنها قوله وحصورا قيل أى محصورا عن النساء لضعف فى الآلة وزيف بأنه من صفات النقص فلا يليق فى معرض المدح والمحققون على أنه فعول بمعنى فاعل وهو الذى لا يأتى النسوان لا للعجز بل للعفة والزهد وحبس النفس عنهن وفيه دليل على أن ترك النكاح كان أفضل فى تلك الشريعة فلولا أن الامر بالنكاح والحث عليه وارد فى شرعنا كان الاصل بقاء الامر على ما كان ومنها قوله ونبيا واعلم أن السيادة لا تتم الا بالقدرة على ضبط مصالح الخلق فيما يرجع الى الدين والدنيا والحصور اشارة الى الزهد التام وهو منع النفس عما لا يعنيه روى انه مر وهو طفل بصبيان يلعبون فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت فقوله ونبيا أشار به الى ما عدا مجموع الامرين فانه ليس بعدهما الا النبوة ثم قال (ومن الصالحين) أى من أولادهم لانه كان من أصلاب الانبياء أو كائنا من جملة الصالحين كقوله وانه فى الآخرة لمن الصالحين أو لان صلاحه كان أتم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ما من نبى الا وقد عصى أوهم بمعصية غير يحيى بن زكريا فانه لم يعص ولم يهم وفيه ان الختم على الصلاح هو الغرض الأعظم والغاية القصوى وان كان نبيا ولهذا قال سليمان بعد حصول النبوة وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين وقال يوسف توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين ثم ان الملائكة لما نادوه بما نادوه قال زكريا مخاطبا لله تعالى ومناجيا اياه (رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر) أدركتنى السنون العالية وأثر فى طول العمر وأضعفنى قال أهل اللغة كل شئ صادفته وبلغته فقد صادفك وبلغك وذلك اذا أمكن تصور الطلب من الجانبين فيجوز بلغت الكبر وبلغنى الكبر لان الكبر كالشئ الطالب للانسان فهو يأتيه بحدوثه فيه والانسان أيضا يأتيه بمرور العمر عليه ولا يجوز بلغنى البلد فى موضع بلغت البلد لان البلد ليس كالطالب للانسان الذاهب (وامرأتى عاقر) هى من الصفات الخاصة بالنساء ويقال رمل عاقر أى لا ينبت شيأ فان قيل لما كان زكريا هو الذى سأل الولد ثم أجابه الله تعالى الى ذلك فاوجه تعجبه واستبعاده بقوله أنى يكون من أين يحصل لى غلام فالجواب على ما فى الكشاف أن الاستبعاد انما جاء من حيث العادة وقيل انه دهش من شدة الفرح فسبق لسانه ونقل عن سفيان بن عيينة ان دعاءه كان قبل البشارة بستين سنة فكان قد نسى ذلك السؤال وقت البشارة فلما سمع البشارة فى زمان

قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قوله أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير قال أى الطير أشد خلقا قالوا الخفاش انما هو لحم قال ففعل فان قال قائل وكيف قيل فأنفخ فيه وقد قيل أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير قيل لان معنى الكلام فأنفخ فى الطير ولو كان ذلك فأنفخ فيها كان صحيحا جائزا كما قال فى المائدة فأنفخ فيها يريد فأنفخ فى الهيئة وقد ذكر أن ذلك فى احدى (٣) القراءتين فأنفخها بغير فى وقد تفعل العرب مثل ذلك فتقول رب ليلة قد بتها وبت فيها قال الشاعر

ماشق جيب ولا قامتك نائحة * ولا بكتك جياد عند اسلاب

يعنى ولا قامت عليك وكما قال آخر

احدى بنى عيذ الله استمر بها * حلو العصارة حتى ينفخ الصور

﴿ القول فى تأويل قوله (وأبرئ الأكمه والابرص) يعنى بقوله وأبرئ وأشفى يقال منه أبرأ الله المريض اذا شفاه منه فهو يبرئه ابراء وبرأ المريض فهو يبرأ برأ وقد يقال أيضا برئ المريض فهو يبرأ لغتان معروفتان واختلف أهل التأويل فى معنى الأكمه فقال بعضهم هو الذى لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وأبرئ الأكمه قال الأكمه الذى يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل فهو يتكمه حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله * وقال آخرون هو الأعمى الذى ولدته أمه كذلك ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كنا نحدث أن الأكمه الذى ولد وهو أعمى مضموم العينين حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن قتادة فى قوله وأبرئ الأكمه والأبرص قال كنا نحدث أن الأكمه الذى ولد وهو أعمى مضموم العينين حدثت عن المنجاب قال ثنا بشر عن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال الأكمه الذى يولد وهو أعمى * وقال آخرون بل هو الأعمى ذكر من قال ذلك حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى وأبرئ الأكمه هو الأعمى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس الأعمى حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وأبرئ الأكمه قال الأكمه

---

(٣) لعله الآيتين تأمل وبنو عيذ فى البيت ككيس حى من اليمن اه كتبه مصححه

الشيخوخة استغرب وكان له يومئذ مائة وعشرون سنة أو تسع وتسعون ولامرأته ثمان وتسعون وعن السدى ان الشيطان جاءه عند سماع البشارة فقال ان هذا النداء من الشيطان وقد سخر منك فاشتبه عليه الامر ولاسيما انه كان من مصالح الدنيا ولم يتأكد بالمعجزة فرجع الى ازالة ذلك الخاطر فسأل ماسأل والجواب المعتمد أن زكريا لم يسأل عما سأل استبعادا وتشككا فى قدرة الله تعالى وانما أراد تعيين الجهة التى بها يحصل الولد فان الجهة المعتادة كانت متعذرة عادة لكبره وعقارتها فأجيب بقوله كذلك الله يفعل ما يشاء وهو اما جملة واحدة أى الله يفعل ما يشاء من الافعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد بين الشيخ الفانى والعجوز العاقر أو جملتان فيكون كذلك الله مبتدأ وخبرا أى على نحو هذه الصفة الله ويفعل ما يشاء بيانا له أى يفعل ما يريد من الأفاعيل الخارقة للعادات ثم انه صلى الله عليه وسلم لفرط سروره وثقته بكرم ربه وانعامه سأل عن تعيين الوقت فقال (رب (١٩٢) اجعل لى آية) علامة أعرف بها العلوق فان ذلك لا يظهر من أول الامر فقال تعالى (آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام) أى بلياليها ولهذا ذكر فى سورة مريم ثلاث ليال ومعنى قوله ألا تكلم الناس قال المفسرون اى لا تقدر على التكلم حبس لسانه عن أمور الدنيا وأقدره على الذكر والتسبيح ليكون فى تلك المدة مشتغلا بذكر الله وبالطاعة وبالشكر على تلك النعمة الجسيمة فيصير الشئ الواحد علامة على المقصود وأداء لشكر النعمة فيكون جامعا للمقاصد وفى هذه الآية اعجاز من وجوه منها القدرة على التكلم بالتسبيح والذكر مع العجز عن التكلم بكلام البشر ومنها العجز مع سلامة البنية واعتدال المزاج ومنها الاخبار بأنه متى حصلت هذه الحالة فقد حصل الولد ثم ان الامر وقع على وفق هذا الخبر وعن قتادة انه صلى الله عليه وسلم عوتب بذلك حيث سأل بعد بشارة الملائكة فأخذ لسانه وصير بحيث لا يقدر على الكلام قلت وأحسن العتاب ما كان منتزعا من نفس الواقعة ومناسبا لها وفيه لطيفة أخرى وهى انه طلب الآية على الاطلاق فاحتمل أن يكون قد طلب علامة للعلوق واحتمل أن يكون قد طلب دلالة على احداث الخوارق ليصير علم اليقين عين اليقين فصار حبس لسانه آية العلوق ودلالة على الفعل الخارق جمعا مع مناسبته للواقعة حيث سأل ما كان من حقه أن لا يسئل وزعم أبو مسلم ان المعنى آيتك أن تصير مأمورا بعدم التكلم ولكن بالاشتغال بالذكر والتسبيح (الا رمزا) اشارة بيد أو رأس أو بالشفتين ونحوها وأصل التركيب للتحرك يقال ارتمز اذا تحرك ومنه الراموز للبحر وهو استثناء من قوله ألا تكلم وجاز وان لم يكن الرمز من جنس الكلام لان مؤداه مؤدى الكلام ويجوز أن يكون استثناء منقطعا وقيل الرمز الكلام الخفى وعلى هذا فالاستثناء متصل من غير تكلف وقرأ يحيى بن وثاب الا رمزا بضمتين جمع رموز كرسول ورسل وقرئ رمزا بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم وهو حال منه ومن الناس أ كلمكموه

الأعمى حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى عن عباد بن منصور عن الحسن فى قوله وأبرئ الأكمه قال الأعمى * وقال آخرون هو الأعمش ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا حفص بن عمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة فى قوله وأبرئ الأكمه قال الأعمش والمعروف عند العرب من معنى الكمه العمى يقال منه كمهت عينه فهى تكمه كمها وأكمهتها أنا اذا أعميتها كما قال سويد بن أبى كاهل

كمهت عيناه حتى ابيضتا * فهو يلحى نفسه لما نزع

ومنه قول رؤبة

هرجت فارتد ارتداد الأكمه * فى غائلات الحائر المتهته

وانما أخبر الله عز وجل عن عيسى صلوات الله عليه أنه يقول ذلك لبنى اسرائيل احتجاجا منه بهذه العبر والآيات عليهم فى نبوته وذلك أن الكمه والبرص لا علاج لهما فيقدر على ابرائه ذو طب بعلاج فكان ذلك من أدلته على صدق قيله انه لله رسول لانه من المعجزات مع سائر الآيات التى أعطاه الله اياها دلالة على نبوته فأما ما قال عكرمة من أن الكمه العمش وما قاله مجاهد من أنه سوء البصر بالليل فلا معنى لهما لان الله لا يحتج على خلقه بحجة تكون لهم السبيل الى معارضته فيها ولو كان مما احتج به عيسى على بنى اسرائيل فى نبوته أنه يبرئ الأعمش أو الذى يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل لقدروا على معارضته بأن يقولوا وما فى هذا لك من الحجة وفينا خلق ممن يعالج ذلك وليسوا لله أنبياء ولا رسلا ففى ذلك دلالة بينة على صحة ما قلنا من أن الأكمه هو الأعمى الذى لا يبصر شيأ لا ليلا ولا نهارا وهو بما قال قتادة من أنه المولود كذلك أشبه لان علاج مثل ذلك لا يدعيه أحد من البشر الا من أعطاه الله مثل الذى أعطى عيسى وكذلك علاج الأبرص

القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (وأحيى الموتى باذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم) وكان احياء عيسى الموتى بدعاء الله يدعو لهم فيستجيب له كما حدثنى محمد بن سهل بن عسكر قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثنى عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول لما صار عيسى بن اثنتى عشرة سنة أوحى الله الى أمه وهى بأرض مصر وكانت هربت من قومها حين ولدته الى أرض مصر أن اطلعى به الى الشام ففعلت الذى أمرت به فلم تزل بالشام حتى كان ابن ثلاثين سنة وكانت نبوته ثلاث سنين ثم رفعه الله اليه قال وزعم وهب أنه ربما اجتمع على عيسى من المرضى فى الجماعة الواحدة خمسون ألفا من أطاق منهم أن يبلغه بلغه ومن لم يطق منهم ذلك أتاه عيسى يمشى اليه وانما كان يداويهم بالدعاء الى الله وأما قوله وأنبئكم بما تأكلون فانه يعنى وأخبركم بما تأكلون مما لم أعاينه وأشاهده معكم فى وقت

أكلكموه وماتدّخرون يعنى بذلك وماترفعونه فتخبؤنه ولاتأكلونه يعلمهم أن من حجته أيضا على نبوته مع المعجزات التى أعلمهم أنه يأتى بها حجة على نبوته وصدقه فى خبره ان الله أرسله اليهم من خلق الطير من الطين وابراء الأكمه والابرص واحياء الموتى باذن الله التى لا يطيقها أحد من البشر الا من أعطاه الله ذلك علما له على صدقه وآية له على حقيقة قوله من أنبيائه و رسله ومن أحب من خلقه إنباءه عن الغيب الذى لاسبيل لأحد من البشر الذين سبيلهم سبيله عليه فان قال قائل وما كان فى قوله لهم وأنبئكم بما تأكلون وماتدخرون فى بيوتكم من الحجة له على صدقه وقد رأينا المتنجمة والمتكهنة تخبر بذلك كثيرا فتصيب قيل ان المتنجم والمتكهن معلوم منهما عند من يخبره بذلك أنهما ينبئان به عن استخراج له ببعض الاسباب المؤدية الى علمه ولم يكن ذلك كذلك من عيسى صلوات الله عليه ومن سائر أنبياء الله ورسله وانما كان عيسى يخبر به عن غير استخراج ولا طلب لمعرفته باحتيال ولكن ابتدأ باعلام الله اياه من غير أصل تقدم ذلك احتذاه أو بنى عليه أو فزع اليه كما يفزع المتنجم الى حسابه والمتكهن الى رئيه فذلك هو الفصل بين علم الانبياء بالغيوب واخبارهم عنها و بين علم سائر المتكذبة على الله أو المدعية علم ذلك كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما بلغ عيسى تسع سنين أو عشرا أو نحو ذلك أدخلته أمه الكتاب فيما يزعمون فكان عند رجل من المكتبين يعلمه كما يعلم الغلمان فلا يذهب يعلمه شيأ مما يعلمه الغلمان الا بدره الى علمه قبل أن يعلمه اياه فيقول ألا تعجبون لابن هذه الأرملة ما أذهب أعلمه شيأ الا وجدته أعلم به منى حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدّى لما كبر عيسى أسلمته أمه يتعلم التوراة فكان يلعب مع الغلمان غلمان القرية التى كان فيها فيحدّث الغلمان بما يصنع آباؤهم حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن سالم عن سعيد بن جبير فى قوله وأنبئكم بما تأكلون وماتدّخرون فى بيوتكم قال كان عيسى بن مريم اذ كان فى الكتاب يخبرهم بما يأكلون فى بيوتهم ومايدّخرون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن سالم قال سمعت سعيد بن جبير يقول وأنبئكم بما تأكلون وماتدخرون فى بيوتكم قال ان عيسى بن مريم كان يقول للغلام فى الكتاب يافلان ان أهلك قد خبؤا لك كذا و كذا من الطعام فتطعمنى منه فهكذا فعل الانبياء وحججها انما تأتى بما أتت به من الحجج بما قد يوصل اليه ببعض الحيل على غير الوجه الذى يأتى به غيرها بل من الوجه الذى يعلم الخلق أنه لا يوصل اليه من ذلك الوجه بحيلة الا من قبل الله و بنحو ماقلنا فى تأويل قوله وأنبئكم بما تأكلون وماتدخرون فى بيوتكم قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال

دفعة بمعنى الا مترامزين كما يكلم الناس الاخرس بالاشارة ويكلمهم (واذكر ربك كثيرا) قيل انه لم يكن عاجزا الا عن تكليم البشر وقيل المراد الذكر بالقلب وانه كان عاجزا عن التكلم مطلقا (وسبح) حمله بعضهم على صل كيلا يكون تكرارا للذكر وقد تسمى الصلاة تسبيحا فسبحان الله حين تمسون لاشتمالها عليه والعشىّ مصدر على فعيل وهو من وقت زوال الشمس الى غروبها والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وهو مصدر أبكر يبكر اذا خرج للامر من أول النهار ومنه الباكورة لاول الثمار وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر وأسحار ۞ التأويل ان الله تعالى فى كل ذرة من ذرات الموجودات وحركة من حركاتها أسرارا لا يعلمها الا الله فانظر ماذا أخرج الله من الاسرار عن اطعام طائر فرخه وماذا أظهر من الآيات والمعجزات من تلك الساعة الى يوم القيامة بواسطة مريم وعيسى فتقبل منى راجع (١٩٣) الى المحرر لا الى التحرير أى تقبلها منى أن تتكفلها وتربيها تربية المحررين فتقبلها ربها أى تقبلها ربها أن ربيها بقبول حسن كقبول ذكرا وقبولا أخرج منها مثل عيسى وكفلها زكريا من كمال رأفته انه جعل كفالتها الى زكريا حيث أراد أن يخرج عيسى منها بلا أب لئلا يدخل عليها غيره فتكون أبعد من التهمة وجد عندها رزقا أى من فتوحات الغيب الذى يطعم الله به خواص عباده الذين يبيتون عنده لا عند أنفسهم ولا عند الخلق كقوله صلى الله عليه وسلم أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى ان الله يرزق من يشاء بغير حساب مالم يكن فى حسبانها من الولد بلا أب ومن الفاكهة بلا شجرة ومن المعجزات بلا نبوة ومن العلوم اللدنية بلا واسطة هنالك دعا زكريا ربه كما انه تعالى جعل اطعام الطائر فرخه سبب تحريك قلب حنة لطلب الولد فكذلك جعل حالة مريم وما كان يأتيها من الرزق خارقا للعادة سبب تحريك قلب

زكريا قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة أى ولدا يكون روحه من الصف الاول من صفوف الارواح المجندة وهو المطهر من لوث الحجاب والوسط الصالح للنبوة والولاية بخلاف الصف الثانى الذى هو لارواح الاولياء وبينه وبين الله تعالى حجاب الصف الاول وبخلاف الصف الثالث الذى هو لارواح المؤمنين وبخلاف الصف الرابع الذى هو لارواح المنافقين والمشركين فنادته الملائكة وهو قائم بالله يصلى بسائر سره فى الملكوت يحارب نفسه وهواه فى المحراب ان الله يبشرك بغلام اسمه يحيى لانه منذ خلق ما ابتلى بالموت لا يموت القلب بالمعاصى ولا يموت الصورة لانه استشهد والشهداء لا يموتون بل أحياء عند ربهم يرزقون مصدقا بكلمة من الله وهى قوله يا يحيى خذ الكتاب بقوة وسيدا أى حرا من رق الكونين بل سيدا لرقيق الكونين وحصورا نفسه عن التعلق بالكونين ونبيا من الصالحين من أهل الصف الاول رب أنى يكون لى غلام لم يكن استبعاده

من قبل القدرة الالهية ولكن من جهة استحقاقه لهذه الكرامة آيتك ألا تكلم الناس لغلبات الصفات الروحانية عليك واستيلاء سلطان الحقيقة على قلبك فان النفس الناطقة تكون مغلوبة في تلك الحالة بشواهد الحق في الغيب فلا تفرغ لاجراء عادتها في الشهادة بالكلام الا رمزا ولهذا يقوى الروح الحيواني وتستمد منه القوة البشرية فيحيي الله تعالى به الشهوة الميتة فسمي ما تولد من الشهوة الميتة التي أحياها الله يحيى ولاستمرار هذه الحالة في الايام الثلاثة أمر بالمراقبة ليلا ونهارا وعشيا وابكارا حسبي الله ﴿واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت (١٩٤) لديهم اذ يختصمون اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بني اسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى باذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم الي مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين﴾ القراآت ويعلمه بياء الغيبة أبو جعفر ونافع وعاصم وسهل ويعقوب الباقون بالنون انى أخلق بكسر الهمزة وبفتح الياء نافع أني أخلق بالفتح فيهما ابن كثير وأبو عمرو ويزيد كهيئة بتشديد الياء يزيد وحمزة في الوقف وكان ابن مقسم يقول بلغني أن خلفا يقول ان حمزة كان يترك

ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم قال بما أكلتم البارحة وما خبأتم منه عيسى بن مريم يقوله حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء ابن أبي رباح يعني قوله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم قال الطعام والشئ يدخرونه في بيوتهم غيبا علمه الله اياه حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال حدثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم قال ما تأكلون ما أكلتم البارحة من طعام وما خبأتم منه حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال كان يعني عيسى بن مريم يحدث الغلمان وهو معهم في الكتاب بما يصنع آباؤهم وبما يرفعون لهم وبما يأكلون ويقول للغلام انطلق فقد رفع لك أهلك كذا وكذا وهم يأكلون كذا وكذا فينطلق الصبي فيبكي على أهله حتى يعطوه ذلك الشئ فيقولون له من أخبرك بهذا فيقول عيسى فذلك قول الله عز وجل وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم فحبسوا صبيانهم عنه وقالوا لا تلعبوا مع هذا الساحر فجمعوهم في بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا ليس هم ههنا فقال ما في هذا البيت فقالوا خنازير قال عيسى كذلك يكونون ففتحوا عنهم فاذا هم خنازير فذلك قوله على لسان داود وعيسى بن مريم حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله وما تدخرون في بيوتكم قال ما تخبؤن مخافة الذي يمسك أن لا يخلفه شئ * وقال آخرون انما عنى بقوله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ما تأكلون من المائدة التي تنزل عليكم وما تدخرون منها ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم فكان القوم لما سألوا المائدة فكانت جرابا ينزل عليه أينما كانوا ثمرا من ثمار الجنة فامر القوم أن لا يخونوا فيه ولا يخبؤا ولا يدخروا لغد بلاء ابتلاهم الله به فكانوا اذا فعلوا من ذلك شيأ أنبأهم به عيسى بن مريم فقال وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون قال أنبئكم بما تأكلون من المائدة وما تدخرون منها قال فكان أخذ عليهم في المائدة حين نزلت أن يأكلوا ولا يدخروا فادخروا وخانوا فجعلوا خنازير حين ادخروا وخانوا فذلك قوله فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين قال ابن يحيى قال عبد الرزاق قال معمر عن قتادة عن خلاس بن عمرو عن عمار بن ياسر ذلك وأصل يدخرون من الفعل يفتعلون من قول القائل ذخرت الشئ بالذال فأنا أذخره ثم قيل يدخر كما قيل يدكر

الهمزة ويحرك الياء بحركتها الباقون بالياء والهمزة الطائر يزيد الباقون الطير فتكون بتاء التأنيث المفضل الباقون بياء الغيبة طائرا أبو جعفر ونافع ويعقوب وكذلك فى المائدة الباقون طيرا أنصارى الى بفتح الياء أبو جعفر ونافع وقرأقتيبة وأبو عمرو طريق أبى الزعراء بالامالة فيوفيهم بياء الغيبة حفص ورويس وزاد رويس ضم الهاء الباقون بالنون ۞ الوقوف العالمين ٥ الراكعين ٥ اليك ط يكفل مريم ص لعطف المتفقتين يختصمون ٥ منه ج قد قيل لتذكير الضمير وتانيث الكلمة فى اسمه ولكن المراد من الكلمة الولد فلم يكن تأنيثا حقيقيا فالوجه أن لا يوقف الى الصالحين لأن وجيها حال وما بعده معطوف عليه على تقدير وكائنا من المقربين ومكلما وكائنا من الصالحين المقربين الصالحين ٥ بشر (ط) يشاء ط فيكون ٥ والانجيل ج لان ورسولا يجوز أن يكون معطوفا (١٩٥) على ومن الصالحين أو منصوبا بمحذوف أى ويجعله رسولا والوقف أجوز لتباعد العطف من ربكم ج لمن قرأ انى أخلق بالكسر باذن الله ج والثانى كذلك للتفصيل بين المعجزات فى بيوتكم ط مؤمنين ج للعطف وأطيعون ٥ فاعبدوه ط مستقيم ٥ الى الله ط أنصار الله ج لان آمنا فى نظم الاستئناف مع امكان الحال أى وقد آمنا بالله كذلك لانقطاع النظم مع اتحاد مقصود الكلام مسلمون ٥ الشاهدين ٥ ومكر الله ط الماكرين ٥ القيامة ج لأن ثم لترتيب الأخبار والآخرة ز للابتداء بالنفى مع أن النفى تمام المقصود ناصرين ٥ أجورهم ط الظالمين ٥ الحكيم ٥ آدم ط لأن الجملة لا يتصف بها المعرف فيكون ط الممترين ٥ ۞ التفسير القصة الثالثة قصة مريم والعامل فى اذ ههنا هو ماذكر فى قوله اذ قالت امرأة عمران لمكان العطف والمراد بالملائكة ههنا جبريل كما يجىء فى سورة مريم فأرسلنا اليها روحنا واعلم أن مريم ما كانت من الانبياء لقوله تعالى وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم فارسال جبريل اليها اما أن يكون كرامة لها عند من يجوز كرامات الاولياء واما أن يكون ارهاصا لعيسى وهو جائز عندنا وعند الكعبى من المعتزلة أو معجزة لزكريا وهو قول جمهور المعتزلة ومن الناس من قال ان ذلك كان على سبيل النفث فى الروع والالهام كما فى حق أم موسى وأوحينا الى أم موسى ثم انه تعالى مدحها بالاصطفاء ثم بالتطهير ثم بالاصطفاء ولا يجوز أن يكون الاصطفاآن بمعنى واحد للتكرار الصرف فحمل المفسرون الاصطفاء الاول على ما اتفق لها من الامور فى أول عمرها منها قبول تحريرها مع كونها أنثى ومنها قال الحسن ما غذتها أمها طرفة عين بل ألقتها الى زكريا وكان رزقها من عند الله ومنها تفريغها للعبادة ومنها اسماعها كلام الملائكة شفاها ولم يتفق ذلك لانثى غيرها الى غير ذلك من انواع اللطف

من ذكرت الشئ يراد به يذتخر فلما اجتمعت الذال والتاء وهما متقاربتا المخرج ثقل اظهارهما على اللسان فادغمت احداهما فى الاخرى وصيرتا دالا مشددة صيروها عدلا بين الذال والتاء ومن العرب من يغلب الذال على التاء فيدغم التاء فى الذال فيقول وما تذخرون وهو مذخر لك وهو مذكر واللغة التى بها القراءة الاولى وذلك ادغام الذال فى التاء وابدالهما دالا مشددة لا يجوز القراءة بغيرها لتظاهر النقل من القراء بها وهى اللغة الجودى كما قال زهير

(١) ان الكريم الذى يعطيك نائله ٭ عفوا ويظلم أحيانا فيطلم

روى بالظاء يريد فيفتعل من الظلم وروى بالطاء أيضا ۞ القول فى تأويل قوله (ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين) يعنى بذلك جل ثناؤه ان فى خلقى من الطين الطير باذن الله وفى ابرائى الأكمه والأبرص واحيائى الموتى وانبائى اياكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ابتداء من غير حساب وتنجيم ولا كهانة وعرافة لعبرة لكم ومتفكرا تتفكرون فى ذلك فتعتبرون به أنى محق فى قولى لكم انى رسول من ربكم اليكم وتعلمون به أنى فيما أدعوكم اليه من أمر الله ونهيه صادق ان كنتم مؤمنين يعنى ان كنتم مصدقين حجج الله وآياته مقرين بتوحيده ونبيه موسى والتوراة التى جاءكم بها ۞ القول فى تأويل قوله (ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم) يعنى بذلك جل ثناؤه وبأنى قد جئتكم بآية من ربكم وجئتكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ولذلك نصب مصدقا على الحال من جئتكم والذى يدل على أنه نصب على قوله وجئتكم دون العطف على قوله وجيها قوله لما بين يدى من التوراة ولو كان عطفا على قوله وجيها لكان الكلام ومصدقا لما بين يديه من التوراة وليحل لكم بعض الذى حرم عليكم وانما قيل ومصدقا لما بين يدى من التوراة لأن عيسى صلوات الله عليه كان مؤمنا بالتوراة مقرا بها وأنها من عند الله وكذلك الانبياء كلهم يصدقون بكل ما كان قبلهم من كتب الله ورسله وان اختلف بعض شرائع أحكامهم لمخالفة الله بينهم فى ذلك مع أن عيسى كان فيما بلغنا عاملا بالتوراة لم يخالف شيأ من أحكامها الا ما خفف الله عن أهلها فى الانجيل مما كان مشددا عليهم فيها كما حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الكريم قال ثنى عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول ان عيسى كان على شريعة موسى صلى الله عليهما وسلم وكان يسبت ويستقبل بيت المقدس فقال لبنى اسرائيل انى لم أدعكم الى خلاف حرف مما فى التوراة الا

---

(١) أنشده فى اللسان والصحاح هو الجواد الذى الخ والبيت مدح لهرم بن سنان المرى فلعل ما هنا رواية اهـ كتبه مصححه

والهداية والعصمة فى حقها وأما التطهير فتطهيرها عن الكفر والمعصية كما قال فى حق أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وأهل بيته ويطهركم تطهيرا وعن مسيس الرجال وعن الحيض والنفاس قالوا كانت لا تحيض وعن الافعال الذميمة والاقوال القبيحة وأما الاصطفاء الثانى فهو ما اتفق لها فى آخر عمرها من ولادة عيسى بغير أب وشهادته ببراءتها عما قذفها اليهود قيل المراد اصطفاؤها على نساء عالمى زمانها لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال كمل من نساء العالمين أربع مريم وآسية امرأة فرعون وخديجة وفاطمة ثم لما بين اختصاصها بمزيد المواهب والعطايا أوجب عليها مزيد الطاعة شكرا لتلك النعم فقوله اقنتى أمر بالعبادة على العموم واسجدى أمر بالصلاة تسمية للشئ بأعظم أركانه كما فى قوله وأدبار السجود وفى الخبر

اذا دخل أحدكم المسجد فليسجد سجدتين ولا ريب أن السجود أشرف الاركان لقوله صلى الله عليه وسلم أقرب ما يكون العبد من الله تعالى وهو ساجد ثم قال واركعى مع الراكعين فالاول أمر بالصلاة مطلقا والثانى أمر بالصلاة فى الجماعة وانما عبر عن الصلاة ههنا بالركوع اما للتغيير فى العبارة وقد يسمى الشئ باحد أركانه واما تسمية للشئ بأعظم أركانه بناء على ما قيل ان الركوع أفضل من السجود لان الراكع حامل نفسه فى الركوع فالمشقة فيه أكثر وللتمييز عن صلاة اليهود وقيل اركعى مع الراكعين أمر بالخضوع والخشوع بالقلب ويحتمل أن يراد بقوله اقنتى الامر بالصلاة لان القنوت أحد أجزائها وأن يراد بقوله واسجدى واركعى استعمال كل منهما فى وقته اللائق به والواو تفيد التشريك لا الترتيب أو المراد انظمى نفسك فى جملة المصلين وكونى فى عدادهم لا فى عداد غيرهم وانما لم يقل مع الراكعات اما للتغليب واما لان الاقتداء بالرجل حال الاختفاء من الرجال . جعفر أفضل من الاقتداء بالنساء روى أن مريم بعد ذلك قامت فى الصلاة حتى ورمت قدماها وسال الدم والقيح منهما اللهم لا تؤاخذنا باسم الرجولية ونحن أقل فى خدمتك من احدى النساء (ذلك) الذى سبق من أنباء حنة وزكريا ويحيى ومريم من أخبار الغيب (نوحيه اليك) قد ورد الكتاب بالايحاء على معان مختلفة يجمعها تعريف الموحى اليه بأمر خفى من اشارة أو كتابة أو غيرها وبهذا التفسير بعد الالهام وحيا كقوله وأوحى ربك الى النحل وقال وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم وقال فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا فلما كان الله سبحانه ألقى هذه الانباء الى النبى بواسطة جبريل بحيث تخفى على غيره سماه وحيا (وما كنت لديهم) نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم وترك نفى استماع الانباء من حفظتها وهو موهوم لانه كان معلوما عندهم علما يقينا أنه ليس من أهل السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحى فلم يبق الا المشاهدة

لأحل لكم بعض الذى حرم عليكم وأضع عنكم من الآصار حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم كان الذى جاء به عيسى ألين مما جاء به موسى وكان قد حرم عليهم فيما جاء به موسى لحوم الابل والثروب وأشياء من الطير والحيتان حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم قال كان الذى جاء به عيسى ألين من الذى جاء به موسى قال وكان حرم عليهم فيما جاء به موسى من التوراة لحوم الابل والثروب فأحلها لهم على لسان عيسى وحرمت عليهم الشحوم وأحلت لهم فيما جاء به عيسى وفى أشياء من السمك وفى أشياء من الطير مما لا صيصية له وفى أشياء حرمها عليهم وشددها عليهم فجاءهم عيسى بالتخفيف منه فى الانجيل فكان الذى جاء به عيسى ألين من الذى جاء به موسى صلوات الله عليه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم قال لحوم الابل والشحوم لما بعث عيسى أحلها لهم وبعث الى اليهود فاختلفوا وتفرقوا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير ومصدقا لما بين يدى من التوراة أى لما سبقنى منها ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم أى أخبركم أنه كان حراما عليكم فتركتموه ثم أحله لكم تخفيفا عنكم فتصيبون يسره وتخرجون من تباعته حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى عن عباد عن الحسن ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم قال كان حرم عليهم أشياء فجاءهم عيسى ليحل لهم الذى حرم عليهم يبتغى بذلك شكرهم ۞ القول فى تأويل قوله (وجئتكم بآية من ربكم) يعنى بذلك وجئتكم بحجة وعبرة من ربكم تعلمون بها حقيقة ما أقول لكم كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وجئتكم بآية من ربكم قال ما بين لهم عيسى من الاشياء كلها وما أعطاه ربه حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وجئتكم بآية من ربكم ما بين لهم عيسى من الاشياء كلها ويعنى بقوله من ربكم من عند ربكم ۞ القول فى تأويل قوله (فاتقوا الله وأطيعون ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم) يعنى بذلك وجئتكم بآية من ربكم تعلمون بها يقينا صدقى فيما أقول فاتقوا الله يا معشر بنى اسرائيل فيما أمركم به ونهاكم عنه فى كتابه الذى أنزله على موسى فأوفوا بعهده الذى عاهدتموه فيه وأطيعون فيما دعوتكم اليه من تصديقى فيما أرسلنى به اليكم ربى وربكم فاعبدوه فانه بذلك أرسلنى اليكم وباحلال بعض ما كان محرما عليكم فى كتابكم وذلك هو الطريق القويم والهدى المتين الذى لا اعوجاج فيه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن

المتنعة في حقه صلى الله عليه وسلم فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي ومثله في القرآن غير عزيز وما كنت بجانب الغربي" وما كنت بجانب الطور (إذ يلقون أقلامهم) ينظرون أو ليعلموا أو يقولون (أيهم يكفل مريم) حذف متعلق الاستفهام لدلالة الالقاء عليه وظاهر الآية يدل على أنهم كانوا يلقون الاقلام في شيء على وجه يظهر به امتياز بعضهم عن البعض في استحقاق ذلك المطلوب وليس فيه دلالة على كيفية ذلك الالقاء الا انه روي في الخبر أنهم كانوا يلقونها في الماء بشرط أن من جرى قلمه على خلاف جري الماء فاليد له ثم انه حصل هذا المعنى لزكريا فصار أولى بكفالتها وقيل عرف برسوب الاقلام وارتفاعها كما مر وعن الربيع انهم ألقوا عصيهم في الماء الجاري فجرت عصا زكريا على ضد جرية الماء فغلبهم وقال أبو مسلم المراد بالقاء الاقلام ما كانت تفعله الامم من المساهمة عند التنازع فيطرحون سهاما يكتبون عليها أسماءهم فمن خرج له السهم سلم له الامر قال تعالى فساهم فكان من المدحضين وهو شبيه بالقداح التي يتقاسم بها العرب لحم الجزور وانما سميت تلك السهام أقلاما لانها تقلم وتبرى قال القاضي وقوع لفظ القلم على هذه الاشياء وان كان صحيحا نظرا الى أصل الاشتقاق الا أن العرف الظاهر يوجب اختصاص القلم بهذا الذي يكتب به فوجب حمل اللفظ عليه (وما كنت لديهم اذ يختصمون) يتنازعون على التكفل قيل هم خزنة البيت وقيل بل العلماء والاحبار وكتاب الوحي ولا شبهة في أنهم كانوا من الخواص وأهل الفضل في الدين والرغبة في طريق الخير ثم المراد بهذا الاختصام يحتمل أن يكون ما كان قبل الاقتراع وأن يكون اختصاما آخر حصل بعد الاقتراع وبالجملة فالمقصود شدة رغبتهم في التكفل بشأنها اما القيام باصلاح مهامها اما لأن عمران كان رئيسا لهم فأرادوا قضاء حقوقه وإما لاجل الدين حيث كانت محررة لخدمة بيت العبادة وإما لانهم وجدوا في الكتب الالهية أن لها ولابنها شأنا * القصة الرابعة حكاية ولادة عيسى وذكر طرف من معجزاته (إذ قالت الملائكة) يعني جبريل كما مر ومتعلق إذ هو متعلق وإذ قالت لان هذا بدل من ذلك ويجوز أن يكون بدلا من قوله إذ يختصمون قال في الكشاف هذا على أن الاختصام والبشارة وقعا في زمان واسع كما تقول لقيته سنة كذا يعني وإنما لقيته في ساعة منها فيكون الزمان الواسع زمانا لكل منهما فيكون الثاني بدل الكل من الاول ويجوز أن يتعلق بيختصمون ولا يحتاج إلى زمان واسع بناء على ما روي عن الحسن أنها كانت عاقلة في حال الصغر وان ذلك كان من كراماتها فجاز أن ترد عليها البشرى في حالة الصغر ولا يفتقر إلى أن يؤخر إلى حين العقل * واعلم أن حدوث الشخص من غير نطفة الاب

جعفر بن الزبير فاتقوا الله وأطيعون ان الله ربي وربكم تبريا من الذي يقولون فيه يعني ما يقول فيه النصارى واحتجاجا لربه عليهم فاعبدوه هذا صراط مستقيم أي هذا الذي قد جلتكم عليه وجئتكم به واختلفت القراء في قراءة قوله ان الله ربي وربكم فاعبدوه فقرأته عامة قراء الامصار ان الله ربي وربكم فاعبدوه بكسر ألف إن على ابتداء الخبر وقرأه بعضهم أن الله ربي وربكم بفتح ألف أن بتأويل وجئتكم بآية من ربكم أن الله ربي وربكم على رد أن على الآية والابدال منها والصواب من القراءة عندنا ما عليه قراء الامصار وذلك كسر ألف ان على الابتداء لاجماع الحجة من القراء على صحة ذلك وما اجتمعت عليه فحجة وما انفرد به المنفرد عنها فرأي ولا يعترض بالرأي على الحجة وهذه الآية وان كان ظاهرها خبرا ففيه الحجة البالغة من الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم على الوفد الذين حاجوه من أهل نجران باخبار الله عز وجل عن أن عيسى كان بريا مما نسبه اليه من نسبه الى غير الذي وصف به نفسه من أنه لله عبد كسائر عبيده من أهل الارض الا ما كان الله جل ثناؤه خصه به من النبوة والحجج التي آتاه دليلا على صدقه كما آتى سائر المرسلين غيره من الاعلام والأدلة على صدقهم والحجة على نبوتهم ۞ القول في تأويل قوله عز وجل (فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون) يعني بقوله جل ثناؤه فلما أحس عيسى منهم الكفر فلما وجد عيسى منهم الكفر والاحساس هو الوجود ومنه قول الله عز وجل هل تحس منهم من أحد فأما الحس بغير ألف فهو الافناء والقتل ومنه قوله اذ تحسونهم باذنه والحس أيضا العطف والرقة ومنه قول الكميت

هل من بكى الدار راج أن تحس له * أو يبكي الدار ماء العبرة الخضل

يعني بقوله أن تحس له أن ترق له فتأويل الكلام فلما وجد عيسى من بني اسرائيل الذين أرسله الله اليهم جحودا لنبوته وتكذيبا لقوله وصدا عما دعاهم اليه من أمر الله قال من أنصاري الى الله يعني بذلك قال عيسى من أعواني على المكذبين بحجة الله والمولين عن دينه والجاحدين نبوة نبيه الى الله عز وجل ويعني بقوله الى الله مع الله وانما حسن أن يقال الى الله بمعنى مع الله لأن من شأن العرب اذا ضموا الشيء الى غيره ثم أرادوا الخبر عنهما بضم أحدهما مع الآخر اذا ضم اليه جعلوا مكان مع الى أحيانا وأحيانا تخبر عنهما بمع فتقول الذود الى الذود ابل بمعنى اذا ضممت الذود الى الذود صارت ابلا فأما اذا كان الشيء مع الشيء لم يقولوه بالى ولم يجعلوا مكان مع الى غير جائز أن يقال قدم فلان واليه مال بمعنى ومعه مال وبمثل ما قلنا في تأويل قوله من أنصاري الى الله قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد

أمر ممكن في نفسه وكيف لا وقد يشاهد حدوث كثير من الحيوانات على سبيل التولد كتولد الفأر عن المدر والحيات عن الشعر العفن والعقارب عن الباذروج غايته الاستبعاد عرفا وعادة وهذا لا يوجب عند الحكماء طعنا قويا فضلا عن العلماء ثم ان الصادق أخبر عن وجود ذلك الممكن فيجب القطع بصحته ومما يزيده في العقل بيانا أن التخيلات الذهنية كثيرا ما تكون أسبابا لحدوث الحوادث كتصور حضور المنافي للغضب وكتصور السقوط لحصول السقوط للماشي على جذع ممدود فوق فضاء بخلاف ما لو كان على قرار من الارض وقد جعلت الفلاسفة هذا كالأصل في بيان جواز المعجزات والكرامات فالمانع أن يقال انها لما تخيلت صورة جبريل كفى ذلك في علوق الولد في رحمها فان مني الرجل ليس الا لأجل العقد فاذا حصل الانعقاد

(١٩٨)

لمني المرأة بوجه آخر أمكن علوق الولد قوله (بكلمة منه) لفظة من ههنا ليست للتبعيض كما توهمت النصارى والحلولية لانه تعالى غير متبعض بوجه من الوجوه ولكنها لابتداء الغاية أي بكلمة حاصلة من الله وذلك أن عيسى لما خلق من غير واسطة أب صار تأثير كلمة كن في حقه أظهر وأكمل فكان كأنه نفس الكلمة كما أن من غلب عليه الجود والكرم والاقبال يقال انه محض الجود ونفس الكرم وصريح الاقبال والمسيح لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق وأصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك وجعلني مباركا أينما كنت وكذلك عيسى معرب ايشوع أما احتمال اشتقاق عيسى من العيس البياض الذي تعلوه حمرة فبعيد وأما احتمال المسيح من المسح فقريب وعليه الاكثرون عن ابن عباس سمي بذلك لانه ما كان يمسح ذا عاهة الا برأ وقال أحمد بن يحيى لانه كان يمسح الارض أي يقطعها وعلى هذا فيجوز أن يقال له مسيح بالتشديد كشريب وقيل لانه مسح من الاوزار والآثام وقيل لانه لم يكن في قدمه خمص وكان ممسوح القدمين وقيل لانه ممسوح بدهن طاهر مبارك يمسح به الانبياء ولا يمسح به غيرهم قالوا ويجوز أن يكون هذا الدهن جعله الله علامة للملائكة يعرفون بها الانبياء حين يولدون وقيل لان جبريل مسحه بجناحه وقت ولادته صيانة له عن مس الشيطان وقيل لأنه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن وأما المسيح الدجال فسمي بذلك لانه ممسوح احدى عينيه أو لانه يمسح الارض أي يقطعها في المدة القليلة قالوا ومنه الدجال لدجله في الارض أي قطعها وقيل الدجال من دجل الرجل اذا موهه ولبس وتقديم المسيح وهو اللقب على الاسم وهو عيسى للتشريف والتنبيه على علو درجته وانما نسب الى مريم والخطاب لمريم تنبيها على أنه لا أب له حتى ينسب اليه كما في سائر الابناء فلا ينسب الا الى أمه وذلك من جملة ما اصطفيت به وانما ذكر ضمير الكلمة في اسمه لان المسمى بها مذكر وانما

ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله من أنصاري الى الله يقول مع الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج من أنصاري الى الله يقول مع الله وأما سبب استنصار عيسى عليه السلام من استنصر من الحواريين فان بين أهل العلم فيه اختلافا فقال بعضهم كان سبب ذلك ما حدثني به موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي لما بعث الله عيسى فأمره بالدعوة نفته بنو اسرائيل وأخرجوه فخرج هو وأمه يسيحون في الارض فنزل في قرية على رجل فضافهم وأحسن اليهم وكان لتلك المدينة ملك جبار معتد فجاء ذلك الرجل يوما وقد وقع عليه هم وحزن فدخل منزله ومريم عند امرأته فقالت مريم لها ما شأن زوجك أراه حزينا قالت لا تسألي قالت أخبريني لعل الله يفرج كربته قالت فان لنا ملكا يجعل على كل رجل منا يوما يطعمه هو وجنوده ويسقيهم من الخمر فان لم يفعل عاقبه وانه قد بلغت نوبته اليوم الذي يريد أن نصنع له فيه وليس لذلك عندنا سعة قالت فقولي له لا يهتم فاني آمر ابني فيدعو له فيكفي ذلك قالت مريم لعيسى في ذلك قال عيسى يا أمه اني ان فعلت كان في ذلك شر قالت فلا تبال فانه قد أحسن الينا وأكرمنا قال عيسى فقولي له اذا اقترب ذلك فاملأ قدورك وخوابيك ماء ثم أعلمني قال فلما ملأهن أعلمه فدعا الله فتحول ما في القدور لحما ومرقا وخبزا وما في الخوابي خمرا لم ير الناس مثله قط (٣) واياه طعاما فلما جاء الملك أكل فلما شرب الخمر سأل من أين هذه الخمر قال له هي من أرض كذا وكذا قال الملك فان خمري أوتى بها من تلك الارض فليس هي مثل هذه قال هي من أرض أخرى فلما خلط على الملك اشتد عليه قال فأنا أخبرك عندي غلام لا يسأل الله شيأ الا أعطاه اياه وانه دعا الله فجعل الماء خمرا قال الملك وكان له ابن يريد أن يستخلفه فمات قبل ذلك بأيام وكان أحب الخلق اليه فقال ان رجلا دعا الله حتى جعل الماء خمرا ليستجابن له حتى يحيي ابني فدعا عيسى فكلمه فسأله أن يدعو الله فيحيي ابنه فقال عيسى لا تفعل فانه ان عاش كان شرا فقال الملك لا أبالي أليس أراه فلا أبالي ما كان فقال عيسى عليه السلام فان أحييته تتركوني أنا وأمي نذهب أينما شئنا قال الملك نعم فدعا الله فعاش الغلام فلما رآه أهل مملكته قد عاش تنادوا بالسلاح وقالوا أكلنا هذا حتى اذا دنا موته يريد أن يستخلف ابنه فيأكلنا كما أكلنا أبوه فاقتتلوا وذهب عيسى وأمه وصحبهما يهودي وكان مع اليهودي رغيفان ومع عيسى رغيف فقال له عيسى شاركني فقال اليهودي نعم فلما رأى أنه ليس مع عيسى الا رغيف ندم فلما نام جعل اليهودي يريد أن يأكل الرغيف فلما أكل لقمة قال له عيسى ما تصنع فيقول لا شيء فيطرحها حتى فرغ من الرغيف كله فلما أصبحا قال له عيسى هلم طعامك فجاء برغيف فقال له عيسى أين الرغيف الآخر قال ما كان معي الا واحد فسكت عنه عيسى فانطلقوا فمروا براعي غنم فنادى

عيسى

قيل اسمه المسيح عيسى بن مريم والاسم من المجموع عيسى والمسيح لقب والابن صفة لان المراد التعريف والتمييز والذى يتميز به عن غيره هو مجموع الثلاثة (وجيها) ذا الجاه والشرف والقدر وقيل الكريم لان أشرف أعضاء الانسان هو الوجه (فى الدنيا) بالنبوة والمعجزات الباهرة وبالبراءة عن العيوب (والآخرة) بشفاعة الامة المحقين وعلو الدرجة فى الجنة ونصبه على الحال من النكرة الموصوفة وهى كلمة وكذا انتصاب ما بعده كما مر فى الوقوف أى يبشرك به موصوفا بهذه الصفات وكونه من المقربين هو رفعه الى السماء وصحبته للملائكة والمهد قيل حجر أمه وقيل الآلة المعروفة لاضجاع الصبى وكيف كان فالمراد أنه يكلم الناس فى الحالة التى يحتاج الصبى فيها الى المهد (وكهلا) عطف على الظرف أى يكلم الناس فى الصغر وفى الكهولة والكهل فى اللغة الذى اجتمع قوته وكمل (١٩٩) شبابه من قولهم اكتهل النبات أى قوى روى

أن عمره بلغ ثلاثا وثلاثين ثم رفع الى السماء ولا ريب ان أكمل أحوال الانسان ما بين الثلاثين والاربعين فيكون عيسى قد بلغ سن الكهولة وعن الحسين بن الفضل المراد أن يكون كهلا بعد نزوله من السماء وأنه حينئذ يكلم الناس ويقتل الدجال فان قيل ان تكلمه فى المهد من المعجزات ولكن تكلمه فى حالة الكهولة ليس من المعجزات فما الفائدة فى ذكره فالجواب من وجوه قال أبو مسلم معناه أنه يتكلم حال كونه فى المهد وحال كونه كهلا على حد واحد وصفة واحدة ولا شك أنه غاية فى الاعجاز وقيل المراد الرد على نصارى نجران وبيان كونه متقلبا فى الاحوال من الصبا الى الكهولة فان التغير على الاله محال وقيل المراد أنه يكلم الناس مرة واحدة فى المهد لاظهار طهارة أمه ثم عند الكهولة يتكلم بالوحى والنبوة وقال الاصم المراد أنه يبلغ حال الكهولة ويخرج من قول الحسين بن الفضل جواب آخر وههنا بحث للنصارى قالوا ان كلامه فى المهد من أعجب الأمور وأغربها ولا شك أن مثل هذه الواقعة يكون بمحضر جمع عظيم وتتوفر الدواعى على نقلها فيبلغ حد التواتر فلو كانت هذه الواقعة موجودة لكان أولى الناس بمعرفتها النصارى لانهم أفرطوا فى محبته حتى ادعوا الهيته لكنهم أطبقوا على انكاره فعلمنا أنها لم توجد أصلا والجواب أن اطباق النصارى على انكاره ممنوع ولو سلم فان كلام عيسى فى المهد انما كان للدلالة على براءة مريم مما نسب اليها من السوء وكان الحاضرون حينئذ جمعا قليلا ولا يبعد فى مثلهم التواطؤ على الاخفاء وبتقدير أن يذكروا ذلك فان غيرهم كانوا يكذبونهم فى ذلك وينسبونهم الى البهت فهم أيضا قد سكتوا لهذه العلة فلهذه الاسباب بقى الامر مكتوما الى أن نطق القرآن بذلك ثم ختم أوصاف عيسى بقوله ومن الصالحين كما ختم بذلك أوصاف يحيى وفيه أن الدخول فى زمرة الصالحين والانتظام فى سلكهم هو

عيسى يا صاحب الغنم أجزرنا شاة من غنمك قال نعم أرسل صاحبك يأخذها فأرسل عيسى اليهودى فجاء بالشاة فذبحوها وشووها ثم قال لليهودى كل ولا تكسرن عظما فأكلا فلما شبعوا قذف عيسى العظام فى الجلد ثم ضربها بعصاه وقال قومى باذن الله فقامت الشاة تثغو فقال يا صاحب الغنم خذ شاتك فقال له الراعى من أنت فقال أنا عيسى بن مريم قال أنت الساحر وفر منه قال عيسى لليهودى بالذى أحيا هذه الشاة بعد ما أكلناها كم كان معك رغيفا فحلف ما كان معه الا رغيف واحد فمروا بصاحب بقر فنادى عيسى فقال يا صاحب البقر أجزرنا من بقرك هذه عجلا قال ابعث صاحبك يأخذه قال انطلق يا يهودى فجئ به فانطلق فجاء به فذبحه وشواه وصاحب البقر ينظر فقال له عيسى كل ولا تكسرن عظما فلما فرغوا قذف العظام فى الجلد ثم ضربه بعصاه وقال قم باذن الله فقام وله خوار قال خذ عجلك قال ومن أنت قال أنا عيسى قال أنت السحار ثم فر منه قال اليهودى يا عيسى أحييته بعد ما أكلناه قال عيسى فبالذى أحيا الشاة بعد ما أكلناها والعجل بعد ما أكلناه كم كان معك رغيفا فحلف بالله ما كان معه الا رغيف واحد فانطلقا حتى نزلا قرية فنزل اليهودى أعلاها وعيسى فى أسفلها وأخذ اليهودى عصا مثل عصا عيسى وقال أنا الآن أحيى الموتى وكان ملك تلك المدينة مريضا شديد المرض فانطلق اليهودى ينادى من يبتغى طبيبا حتى أتى ملك تلك القرية فأخبر بوجعه فقال أدخلونى عليه فانا أبرئه وان رأيتموه قد مات فانا أحييه فقيل له ان وجع الملك قد أعيا الاطباء قبلك ليس من طبيب يداويه ولا يفى دواؤه شيأ الا أمر به فصلب قال أدخلونى عليه فانى سأبرئه فأدخل عليه فأخذ برجل الملك فضربه بعصاه حتى مات فجعل يضربه بعصاه وهو ميت ويقول قم باذن الله فأخذ ليصلب فبلغ عيسى فأقبل اليه وقد رفع على الخشبة فقال أرأيتم ان أحييت لكم صاحبكم أتتركون لى صاحبى قالوا نعم فأحيا الله الملك لعيسى فقام وأنزل اليهودى فقال يا عيسى أنت أعظم الناس على منة والله لا أفارقك أبدا قال عيسى فيما حدثنا به محمد بن الحسين بن موسى قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى لليهودى أنشدك بالذى أحيا الشاة والعجل بعد ما أكلناهما وأحيا هذا بعد ما مات وأنزلك من الجذع بعد ما رفعت عليه لتصلب كم كان معك رغيفا قال فحلف بهذا كله ما كان معه الا رغيف واحد قال لا بأس فانطلقا حتى مرا على كنز قد حفرته السباع والدواب فقال اليهودى يا عيسى لمن هذا المال قال عيسى دعه فان له أهلا يهلكون عليه فجعلت نفس اليهودى تطلع الى المال ويكره أن يعصى عيسى فانطلق مع عيسى ومر بالمال أربعة نفر فلما رأوه اجتمعوا عليه فقال اثنان لصاحبيهما انطلقا فابتاعا لنا طعاما وشرابا ودواب نحمل عليها هذا المال فانطلق الرجلان فابتاعا دواب وطعاما وشرابا وقال أحدهما لصاحبه هل لك أن نجعل لصاحبينا

المقصد الاسنى والامر الاقصى (قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر) لم تقل ذلك استبعادا وتشككا وانما أرادت تعيين الجهة كامر
فى قصة زكريا فاجيبت بقوله (كذلك الله يخلق ما يشاء) وقد سبق نظيره الا أنه عبر عن الفعل ههنا بالخلق لان القدرة ههنا أتم وهو تخليق
المولود بغير أب ولهذا أكده بقوله (اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) وقد تقدم تفسيره فى السورة التى تذكر فيها البقرة (ويعلمه)
بالياء عطف على يبشرك أو على وجيها أو على يخلق لان قوله يخلق ما يشاء وهو عام يتضمن قوله يخلقه ويحتمل أن يكون كلاما مبتدأ
وكذا من قرأ بالنون لان المذكورات فى قوة انا نبشرك ونحن نخلقه ثم الذى علمه أمور أربعة أولها الكتاب وكان المراد به الخط وثانيها الحكمة
وهو أن يعرف الحق لذاته والخير لاجل (٢٠٠) العمل به وثالثها التوراة لان البحث عن أسرار الكتب الالهية لا يمكن الا بعد الاطلاع على
العلوم الجسة ورابعها الانجيل وفيه العلوم التى خصه الله تعالى بها وشرفه بانزالها عليه وهذه هى الغاية القصوى والرتبة العليا فى العلم والفهم والاحاطة بالحقائق والاطلاع على الدقائق ثم قال (ورسولا) عطفا على وجيها وما بعده (الى بنى اسرائيل) أى الى كلهم لانه جمع مضاف وفيه رد على اليهود القائلين بانه مبعوث الى قوم مخصوصين منهم (أنى قد جئتكم) يتعلق بمحذوف يدل عليه لفظ الرسول أى ناطقا بانى قد جئتكم وانما وجب هذا الاضمار للعدول عن الغيبة الى التكلم وأما قوله (ومصدقا لما بين يدى) فمعطوف على قوله بآية أى مع آية والتقدير جئتكم مصاحبا لآية من ربكم ومصدقا لما بين يدى وجئتكم لأحل لكم وفى الكشاف تقديره
ويعلمه الكتاب والحكمة ويقول أرسلت رسولا بانى قد جئتكم ومصدقا لما
بين يدى أو الرسول والمصدق فيهما معنى النطق فكأنه قيل وناطقا بانى قد جئتكم وناطقا بانى أصدق بما بين يدى وعن الزجاج أن التقدير ويكلم
الناس رسولا بانى قد جئتكم بآية من ربكم والمراد بالآية الجنس لا الفرد لانه عدد أنواعا من الآيات ثم أبدل عن الآية قوله أنى أخلق فمن قرأ
بفتح أنى ويحتمل أن يكون ان مع ما بعده مرفوعا أى هى أنى أخلق ومن قرأ انى أخلق فللاستئناف أو البيان كقوله ان مثل عيسى عند الله
كمثل آدم ثم فسر المثل بقوله خلقه من تراب وهذا أحسن ليوافق قراءة الفتح والمعنى أقدر لكم شيأ مثل صورة الطير من هيأت الشئ أصلحته
(فأنفخ فيه) أى فى ذلك الطير المصور أو الشئ المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا (وهو) اسم الجنس يقع على الواحد وعلى الجمع روى أنه خلق
أنواعا من الطير وقيل لم يخلق غير الخفاش وعليه قراءة من قرأ طائرا وذلك أنه لما ادعى النبوة وأظهر المعجزات أخذوا يتعنتون عليه

فى طعامهما سما فاذا أكلاه ماتا فكان المال بينى وبينك فقال الآخر نعم ففعلا وقال الآخران اذا ما أتيانا
بالطعام فليقم كل واحد الى صاحبه فيقتله فيكون الطعام والدواب بينى وبينك فلما جاآ بطعامهما قاما فقتلاهما
ثم قعدا على الطعام فأكلا منه فماتا وأعلم ذلك لعيسى فقال لليهودى أخرجه حتى نقتسمه فاخرجه فقسمه
عيسى بين ثلاثة فقال اليهودى ياعيسى اتق الله ولا تظلمنى فانما هو أنا وأنت ما هذه الثلاثة قال له عيسى هذا
لى وهذا لك وهذا الثلث لصاحب الرغيف قال اليهودى فان أخبرتك بصاحب الرغيف تعطينى هذا المال
فقال عيسى نعم قال أنا هو قال عيسى خذ حظى وحظك وحظ صاحب الرغيف فهو حظك من الدنيا والآخرة
فلما حمله مشى به شيأ فخسف به وانطلق عيسى بن مريم فمر بالحواريين وهم يصطادون السمك فقال ما تصنعون
فقالوا نصطاد السمك فقال أفلا تمشون حتى نصطاد الناس قالوا ومن أنت قال أنا عيسى بن مريم فآمنوا به
وانطلقوا معه فذلك قول الله عز وجل من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا
مسلمون حدثنا محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى عن عباد بن منصور عن الحسن فى قوله فلما أحس عيسى
منهم الكفر قال من أنصارى الى الله الآية قال استنصر فنصره الحواريون وظهر عليهم * وقال آخرون كان
سبب استنصار عيسى من استنصر لان من استنصر الحواريين عليه كانوا أرادوا قتله ذكر من قال ذلك
حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فلما أحس عيسى منهم الكفر
قال كفروا وأرادوا قتله فذلك حين استنصر قومه قال من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله
والانصار جمع نصير كالأشراف جمع شريف والأشهاد جمع شهيد وأما الحواريون فان أهل التأويل
اختلفوا فى السبب الذى من أجله سموا حواريين فقال بعضهم سموا بذلك لبياض ثيابهم ذكر من قال ذلك
حدثنى محمد بن عبيد المحاربى قال ممارى أبى قال ثنا قيس بن الربيع عن ميسرة عن المنهال بن عمرو
عن سعيد بن جبير قال انما سموا الحواريين ببياض ثيابهم * وقال آخرون سموا بذلك لانهم كانوا قصارين
يبيضون الثياب ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح
عن أبى أرطاة قال الحواريون الغسالون الذين يحورون الثياب يغسلونها * وقال آخرون هم خاصة الانبياء
وصفوتهم ذكر من قال ذلك حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن روح بن القاسم أن
قتادة ذكر رجلا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقال كان من الحواريين فقيل له من الحواريون قال
الذين تصلح لهم الخلافة حدثت عن المنجاب قال ثنا الحسين قال ثنا بشر عن عمارة عن أبى روق عن
الضحاك فى قوله اذ قال الحواريون قال أصفياء الانبياء وأشبه الاقوال التى ذكرنا فى معنى الحواريين قول من

قال

وطالبوه بخلق خفاش فاخذ طينا وصوره ثم نفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء والارض قال وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن عيونهم سقط ميتا باذن الله وبتكوينه وتخليقه قال بعض المتكلمين دلت الآية على ان الروح جسم رقيق كالريح ولذلك وصفها بالنفخ وههنا بحث وهو انه هل يجوز أن يقال انه تعالى أودع فى نفس عيسى خاصية بحيث انه متى نفخ فى شئ كان نفخه موجبا لصيرورة ذلك الشئ حيا وذلك انه تولد من نفخ جبريل فى مريم وجبريل روح محض فكانت نفخة عيسى سببا لحصول الارواح فى الاجساد أو يقال ليس الامر كذلك بل الله تعالى كان يخلق الحياة فى ذلك الجسم بقدرته عند نفخ عيسى عليه السلام فيه على سبيل اظهار المعجزات وهذا هو الحق لقوله تعالى الذى خلق الموت والحياة ولقوله حكاية عن ابراهيم (٢٠١) فى المناظرة ربى الذى يحيي ويميت فلو حصل لغيره هذه الصفة بطل ذلك الاستدلال (وأبرئ الأكمه والأبرص) ذهب أكثر أهل اللغة الى أن الاكمه هو الذى يولد أعمى وقيل هو الممسوح العين ويقال لم يكن فى هذه الامة أكمه غير قتادة بن دعامة السدوسى صاحب التفسير وقيل الاكمه من عمى بعد أن كان بصيرا رواه الخليل وعن مجاهد أنه الذى لا يبصر بالليل وأما البرص فانه بياض يظهر فى ظاهر البدن وقد لا يعم البدن وسببه سوء مزاج العضو الى البرودة وغلبة البلغم على الدم الذى يغذوه فتضعف القوة المغيرة عن تمام التشبيه وقد يغلب البرد والرطوبة حتى يصير لحمه كلحم الاصداف فيحيل الدم الصائر اليه الى مزاجه ولونه وان كان ذلك الدم جيدا فى جوهره نقيا من البلغم حارا وهو داء عياء عسر البرء لا يكاد يبرأ وخاصة المزمن منه والآخذ فى الازدياد والذى يرجى برؤه من البرص ما اذا دلك احمر بالدلك ويكون معه خشونة ما والشعر الذى ينبت عليه لا يكون شديد البياض واذا أخذ جلده بالابهام والسبابة وأشيل عن اللحم وغرزت فيه الابرة خرج منه دم أو رطوبة موردة ولا شك أن ابراء مثل هذا المرض من قبيل الاعجاز روى ربما اجتمع عليه خمسون ألفا من المرضى من أطاق منهم أتاه ومن لم يطق أتاه عيسى وما كانت مداواته الا بالدعاء وحده (وأحيي الموتى) أحيا عاذرا وكان صديقا له ودعا سام بن نوح من قبره وهم ينظرون فخرج حيا ومر على ابن ميت لعجوز فدعا الله عيسى فنزل عن سريره حيا ورجع الى أهله وبقى وولد له قال الكلبى كان عيسى عليه السلام يحيي الموتى بياحي ياقيوم وكرر قوله (باذن الله) رفعا لوهم من توهم فيه الألوهية (وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم) قيل انه كان من أول أمره يخبر بالغيوب روى السدى أنه كان يلعب مع الصبيان ثم كان عليه السلام

قال سموا بذلك لبياض ثيابهم ولأنهم كانوا غسالين وذلك أن الحور عند العرب شدة البياض ولذلك سمى الحوّارى من الطعام حوّارى لشدة بياضه ومنه قيل للرجل الشديد بياض مقلة العينين أحور وللمرأة حوراء وقد يجوز أن يكون حواريو عيسى كانوا سموا بالذى ذكرنا من تبييضهم الثياب وأنهم كانوا قصارين فعرفوا بصحبة عيسى واختياره اياهم لنفسه أصحابا وأنصارا فجرى ذلك الاسم لهم واستعمل حتى صار كل خاصة للرجل من أصحابه وأنصاره حواريه ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم ان لكل نبى حوارى وحوارى الزبير يعنى خاصته وقد تسمى العرب النساء اللواتى مساكنهن القرى والأمصار حواريات وانما سمين بذلك لغلبة البياض عليهن ومن ذلك قول أبى خلدة اليشكرى

فقل للحواريات يبكين غيرنا * ولا تبكنا الا الكلاب النوابح

ويعنى بقوله قال الحواريون قال هؤلاء الذين صفتهم ما ذكرنا من تبييضهم الثياب آمنا بالله صدّقنا بالله واشهد أنت يا عيسى باننا مسلمون وهذا خبر من الله عز وجل أن الاسلام دينه الذى ابتعث به عيسى والانبياء قبله لا النصرانية ولا اليهودية وتبرئة من الله لعيسى ممن انتحل النصرانية ودان بها كما برأ ابراهيم من سائر الاديان غير الاسلام وذلك احتجاج من الله تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم على وفد نجران كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير فلما أحس عيسى منهم الكفر والعدوان قال من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وهذا قولهم الذى أصابوا به الفضل من ربهم واشهد بأنا مسلمون لا كما يقول هؤلاء الذين يحاجونك فيه يعنى وفد نصارى نجران ۞ القول فى تأويل قوله (ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) وهذا خبر من الله عز وجل عن الحواريين أنهم قالوا ربنا آمنا أى صدّقنا بما أنزلت يعنى بما أنزلت على نبيك عيسى من كتابك واتبعنا الرسول يعنى بذلك صرنا أتباع عيسى على دينك الذى ابتعثته به وأعوانه على الحق الذى أرسلته به الى عبادك وقوله فاكتبنا مع الشاهدين يقول فأثبت أسماءنا مع أسماء الذين شهدوا بالحق وأقروا لك بالتوحيد وصدّقوا رسلك واتبعوا أمرك ونهيك فاجعلنا فى عدادهم ومعهم فيما تكرمهم به من كرامتك وأحلنا محلهم ولا تجعلنا ممن كفر بك وصد عن سبيلك وخالف أمرك ونهيك يعرّف خلقه جل ثناؤه بذلك سبيل الذين رضى أقوالهم وأفعالهم ليحتذوا طريقهم ويتبعوا منهاجهم فيصلوا الى مثل الذى وصلوا اليه من درجات كرامته ويكذب بذلك الذين انتحلوا من الملل غير الحنيفية المسلمة فى دعواهم على أنبياء الله أنهم كانوا على غيرها ويحتج به على الوفد الذين حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجران بأن قيل من رضى الله عنه من أتباع عيسى

يخبرهم بأفعال آبائهم وأمهاتهم و كان عليه السلام يخبرهم بأن أمك خبأت لك كذا فيرجع الصبي الى أهله ويبكي الى أن يأخذ ذلك الشيء فقالوا لصبيانهم لا تلعبوا مع الساحر وجمعوهم في بيت فجاء عيسى عليه السلام يطلبهم فقالوا ليسوا في البيت فقال عليه السلام فمن في هذا البيت فقالوا خنازير فقال عيسى عليه السلام كذلك يكونون فاذا هم خنازير وقيل ان الاخبار عن الغيوب انما ظهر من وقت نزول المائدة وذلك أن القوم نهوا عن الادخار فكانوا يخونون ويدخرون وكان عيسى يخبرهم بذلك والادخار افتعال من اذخر قلبت كل من التاء والذال دالا ثم أدغم   واعلم أن الاخبار عما غاب معجز دال على أن ذلك الخبر صار معلوما بالوحي مالم يستعن فيه بآلة ولا تقديم مسألة بخلاف ما يقوله المنجمون والكهان فان ذلك استعانة من (٣٠٢) أحوال الكواكب أو الجن ولهذا يتفق لهم الغلط كثيرا   ثم انه لما قرر المعجزات الباهرة وبين بها كونه رسولا من عند الله ذكر أنه لماذا أرسل فقال (ومصدقا لما بين يدي من التوراة) وذلك أنه يجب على كل نبي أن يكون مصدقا لمن تقدمه من الانبياء لان الطريق الى ثبوت نبوتهم هو المعجز فكل من حصل على يده المعجز وجب الاعتراف بنبوته ولعل من جملة الاغراض في بعثة عيسى عليه السلام تقرير أحكام التوراة وازالة شبهات المنكرين وتحريفات المعاندين الجاهلين ثم ذكر غرضا آخر في بعثته فقال (ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم) وهذا لا يناقض تصديقه لما في التوراة اذ المعنى بالتصديق هو اعتقاد أن كل ما فيه حكمة وصواب واذا لم يكن التأبيد مذكورا فالناسخ والمنسوخ كلاهما حق في وقته واذا كانت البشارة بعيسى موجودة في التوراة فمجيء عيسى يكون تصديقا لما في التوراة وعن وهب بن منبه أن عيسى ما غير شيأ من أحكام التوراة وأنه ما وضع الاحد بل كان يقرر السبت   قالوا ويستقبل بيت المقدس ثم فسر الاحلال بأمرين أحدهما أن الاحبار كانوا قد وضعوا من عند أنفسهم شرائع باطلة ونسبوها الى موسى فجاء عيسى ورفعها وأعاد الامر الى ما كان   والثاني ان الله تعالى كان قد حرم بعض الاشياء على اليهود عقوبة لهم كما قال فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم واستمر ذلك التحريم فجاء عيسى ورفع تلك التشديدات عنهم كانوا قد حرم عليهم الشحوم والثروب ولحوم الابل والسمك وكل ذي ظفر فأحل لهم عيسى من السمك والطير مالا صيصة له (وجئتكم بآية من ربكم) شاهدة على صحة رسالتي وهي قوله (ان الله ربي وربكم) لان جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه وقوله (فاتقوا الله وأطيعون) اعتراض وانما جعل القول آية من ربه لان الله تعالى جعله له علامة يعرف بها أنه رسول كسائر الرسل   ويجوز أن يكون تكريرا لقوله أني قد جئتكم بآية من ربكم أي جئتكم بآية بعد أخرى مما

كان خلاف قبلهم ومنهاجهم غير منهاجهم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر ابن الزبير ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين أي هكذا كان قولهم وايمانهم ۞ القول في تأويل قوله (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) يعني بذلك جل ثناؤه ومكر الذين كفروا من بني اسرائيل وهم الذين ذكر الله أن عيسى أحس منهم الكفر وكان مكرهم الذي وصفهم الله به مواطأة بعضهم بعضا على الفتك بعيسى وقتله وذلك أن عيسى صلوات الله عليه بعد اخراج قومه اياه وأمه من بين أظهرهم عاد اليهم فيما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ثم ان عيسى سار بهم يعني بالحواريين الذين كانوا يصطادون السمك فآمنوا به واتبعوه اذ دعاهم حتى أتى بني اسرائيل ليلا فصاح فيهم فذلك قوله فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة الآية وأما مكر الله بهم فانه فيما ذكر السدي القاؤه شبه عيسى على بعض أتباعه حتى قتله الماكرون بعيسى وهم يحسبونه عيسى وقد رفع الله عز وجل عيسى قبل ذلك كما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ثم ان بني اسرائيل حصروا عيسى وتسعة عشر رجلا من الحواريين في بيت فقال عيسى لأصحابه من يأخذ صورتي فيقتل وله الجنة فأخذها رجل منهم وصعد بعيسى الى السماء فذلك قوله ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين فلما خرج الحواريون أبصروهم تسعة عشر فأخبروهم أن عيسى قد صعد به الى السماء فجعلوا يعدون القوم فيجدونهم ينقصون رجلا من العدة ويرون صورة عيسى فيهم فشكوا فيه وعلى ذلك قتلوا الرجل وهم يرون أنه عيسى وصلبوه فذلك قول الله عز وجل وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وقد يحتمل أن يكون معنى مكر الله بهم استدراجه اياهم ليبلغ الكتاب أجله كما قد بينا ذلك في قول الله الله يستهزئ بهم ۞ القول في تأويل قوله (اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا) يعني بذلك جل ثناؤه ومكر الله بالقوم الذين حاولوا قتل عيسى مع كفرهم بالله وتكذيبهم عيسى فيما أتاهم به من عند ربهم اذ قال الله جل ثناؤه اني متوفيك فاذ صلة من قوله ومكر الله يعني ومكر الله بهم حين قال الله لعيسى اني متوفيك ورافعك الي فتوفاه ورفعه اليه ثم اختلف أهل التأويل في معنى الوفاة التي ذكرها الله عز وجل في هذه الآية فقال بعضهم هي وفاة نوم وكان معنى الكلام على مذهبهم اني منيمك ورافعك في نومك ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله اني متوفيك قال يعني وفاة المنام رفعه الله في منامه   قال الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهود ان عيسى لم يمت وانه راجع اليكم قبل يوم القيامة * وقال آخرون معنى ذلك اني قابضك من الارض فرافعك الي

ذكرت لكم من المعجزات ومن ولادتى بغير أب (فاتقوا الله) لما جئتكم به من الآيات (وأطيعون) فأن طاعة الرسول من لوازم تقوى الله ثم ختم كلامه بقوله (ان الله ربى وربكم) اظهار الخضوع واعترافا بالعبودية وردا لما يدعيه عليه الجهلة من النصارى الضالين المنحرفين عن الصراط المستقيم * القصة الخامسة ذكر عاقبة أمر عيسى ثم شرع فى بيان أن عيسى لما شرح لهم تلك المعجزات فهم عاذا عاملوه فقال (فلما أحس) أى علم (عيسى منهم الكفر) علما الاشبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس أو انهم تكلموا بكلمة الكفر فأحس ذلك باذنه قال السدى لما بعثه الله تعالى رسولا الى بنى اسرائيل جاءهم ودعاهم فتمردوا وعصوا فخافهم واختفى عنهم وكان أمر عيسى فى قومه كأمر محمد صلى الله عليه وسلم بمكة وكان مستضعفا فخرج هو وأمه يسيحان فى الارض فاتفق أنه نزل على رجل فى قرية فأحسن ذلك الرجل ضيافته وكان فى تلك المدينة رجل جبار فجاء ذلك الرجل يوما حزينا فسأله عيسى عن السبب فقال ان من عادة هذا الملك أنه جعل على كل رجل منا يوما نطعمه ونسقيه مع جنوده وهذا اليوم نوبتى والامر متعذر على فلما سمعت مريم ذلك قالت يا ولدى ادع الله ليكفى ذلك فقال عليه السلام يا أمى انى ان فعلت ذلك كان فيه شر فقالت قد أحسن وأكرم ولا بد من اكرامه فقال عيسى عليه السلام اذا قرب مجىء الملك فاملأ قدورك وخوابيك ثم أعلمنى فلما فعل دعا الله تعالى فتحول ما فى القدور طبيخا وما فى الخوابى خمرا فلما جاءه الملك أكل وشرب وسأله من أين هذه الخمر فتوقف الرجل فى الجواب وتعلل فلم يزل يطالبه حتى أخبره بالواقعة فقال ان من دعا الله حتى جعل الماء خمرا اذا دعاه حتى يحيى ولدى أجابه وكان ابنه قد مات فى تلك الايام فدعا عيسى عليه السلام وطلب منه ذلك فقال له عيسى لا تفعل فانه ان عاش كان شرا فقال ما أبالى ما كان فدعا الله فعاش الغلام لكلام عيسى عليه السلام فلما رآه أهل مملكته قد عاش تنادوا بالسلاح واقتتلوا وصار أمر عيسى عليه السلام مشهورا وقصد اليهود قتله صلى الله عليه وسلم وأظهروا الطعن فيه وقيل ان اليهود كانوا عارفين أنه هو المسيح المبشر به فى التوراة أنه ينسخ دينهم فكانوا طاعنين فيه من أول الامر طالبين قتله (قال من أنصارى الى الله) قيل انه لما دعا عليه السلام بنى اسرائيل الى الدين وتمردوا عليه عليه السلام فر منهم وأخذ يسيح فى الارض فر بطائفة من صيادى السمك منهم شمعون ويعقوب من جملة الحواريين الاثنى عشر فقال عيسى عليه السلام انكم تصيدون السمك فهل لكم أن تسيروا بحيث تصيدون الناس لحياة الابد فطلبوا منه المعجزة وكان شمعون قد رمى شبكته تلك الليلة فى الماء فما اصطاد شيأ فأمره عيسى عليه السلام بالقاء شبكته فى الماء مرة أخرى فاجتمع فى تلك

قالوا ومعنى الوفاة القبض كما يقال توفيت من فلان مالى عليه بمعنى قبضته واستوفيته قالوا فمعنى قوله انى متوفيك ورافعك أى قابضك من الارض حيا الى جوارى وآخذك الى ما عندى بغير موت ورافعك من بين المشركين وأهل الكفر بك ذكر من قال ذلك حدثنا على بن سهل قال ثنا ضمرة بن ربيعة عن ابن شوذب عن مطر الوراق فى قول الله انى متوفيك قال متوفيك من الدنيا وليس بوفاة موت حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن فى قوله انى متوفيك قال متوفيك من الارض حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا قال فرفعه اياه اليه توفيه اياه وتطهيره من الذين كفروا حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح أن كعب الأحبار قال ما كان الله عز وجل ليميت عيسى بن مريم انما بعثه الله داعيا ومبشرا يدعو اليه وحده فلما رأى عيسى قلة من اتبعه وكثرة من كذبه شكا ذلك الى الله عز وجل فأوحى الله اليه انى متوفيك ورافعك الى وليس من رفعته عندى ميتا وانى سأبعثك على الأعور الدجال فتقتله ثم تعيش بعد ذلك أربعا وعشرين سنة ثم أميتك ميتة الحى قال كعب الأحبار وذلك يصدق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال كيف تهلك أمة أنا فى أولها وعيسى فى آخرها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير يا عيسى انى متوفيك أى قابضك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انى متوفيك ورافعك الى قال متوفيك قابضك قال ومتوفيك ورافعك واحد قال ولم يمت بعد حتى يقتل الدجال وسيموت وقرأ قول الله عز وجل ويكلم الناس فى المهد وكهلا قال رفعه الله اليه قبل أن يكون كهلا قال وينزل كهلا حدثنا محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى عن عباد عن الحسن فى قول الله عز وجل يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى الآية كلها قال رفعه الله اليه فهو عنده فى السماء * وقال آخرون معنى ذلك انى متوفيك وفاة موت ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله انى متوفيك يقول انى مميتك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه اليمانى أنه قال توفى الله عيسى بن مريم ثلاث ساعات من النهار حتى رفعه اليه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال والنصارى يزعمون أنه توفاه سبع ساعات من النهار ثم أحياه الله * وقال آخرون معنى ذلك اذ قال الله يا عيسى انى رافعك الى ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد انزالى اياك الى الدنيا وقال هذا من المقدم الذى معناه التأخير والمؤخر الذى معناه التقديم * قال أبو جعفر وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال معنى ذلك انى قابضك من

الشبكة من السمك ما كادت تمزق واستعانوا بأهل سفينة أخرى وملؤا السفينتين فعند ذلك آمنوا بعيسى وقيل ان اليهود لما طلبوه في آخر أمره للقتل وكان هو في الهرب منهم قال لأولئك الاثنى عشر من الحواريين أيكم يحب أن يكون رفيقي في الجنة على أن يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني فأجابه الى ذلك بعضهم ومما يذكره النصارى في انجيلهم أن اليهود لما أخذوا عيسى سل شمعون سيفه فضرب به عبدا كان فيهم لرجل من الاحبار عظيم فرمى باذنه فقال له عيسى حسبك ثم أدنى عليه السلام أذن العبد فردها الى موضعها فصارت كما كانت والحاصل أن المراد بطلب النصرة اقدامهم على دفع الشر عنه عليه السلام وقيل انه دعاهم الى القتال مع القوم كما قال في موضع آخر فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ومعنى الى الله قيل من يضيف نصرته

الارض ورافعك الي لتواتر الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ينزل عيسى بن مريم فيقتل الدجال ثم يمكث في الأرض مدة ذكرها اختلفت الرواية في مبلغها ثم يموت فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن مسلم الزهري عن حنظلة بن علي الأسلمي عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليهبطن الله عيسى بن مريم حكما عدلا واماما مقسطا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يجد من يأخذه وليسلكن الروحاء حاجا أو معتمرا أو يدين بهما جميعا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الحسن بن دينار عن قتادة عن عبد الرحمن بن آدم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الانبياء اخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي وانه خليفتي على أمتي وانه نازل فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الخلق الى الحمرة والبياض سبط الشعر كأن شعره يقطر وان لم يصبه بلل بين ممصرتين يدق الصليب ويقتل الخنزير ويفيض المال ويقاتل الناس على الاسلام حتى يهلك الله في زمانه الملل كلها ويهلك الله في زمانه مسيح الضلالة الكذاب الدجال وتقع في الارض الأمنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمر مع البقر والذئاب مع الغنم وتلعب الغلمان بالحيات لا يضر بعضهم بعضا فيثبت في الارض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي المسلمون عليه ويدفنونه * قال أبو جعفر ومعلوم أنه لو كان قد أماته الله عز وجل لم يكن بالذي يميته ميتة أخرى فيجمع عليه ميتتين لان الله عز وجل انما أخبر عباده أنه يخلقهم ثم يميتهم ثم يحييهم كما قال جل ثناؤه الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ فتأويل الآية اذا قال الله لعيسى يا عيسى اني قابضك من الارض ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا وجحدوا نبوتك وهذا الخبر وان كان مخرجه مخرج خبر فان فيه من الله عز وجل احتجاجا على الذين حاجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى من وفد نجران بأن عيسى لم يقتل ولم يصلب كما زعموا وأنهم واليهود الذين أقروا بذلك وادعوا على عيسى كذبة في دعواهم وزعمهم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير ثم أخبرهم يعني الوفد من نجران ورد عليهم فيما أخبروا هم واليهود بصلبه كيف رفعه وطهره منهم فقال اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي وأما مطهرك من الذين كفروا فانه يعني منظفك فمخلصك ممن كفر بك وجحد ما جئتهم به من الحق من اليهود وسائر الملل غيرها كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر ابن الزبير ومطهرك من الذين كفروا قال اذ هموا منك بما هموا حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي

اياى الى نصرة الله عز وجل اياى وقيل من أنصاري الى أن أظهر دين الله فالجار على القولين من صلة أنصاري مضمنا معنى الاضافة وقيل من أنصاري حال ذهابي الى الله أو حال التجائي اليه وقيل من أنصاري فيما يكون قربة الى الله ووسيلة الى رحمته وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا ضحى اللهم منك واليك أي تقربا اليك فالجار على هذين القولين يتعلق بالمحذوف وقيل الى بمعنى اللام وقيل بمعنى في أي في سبيل الله وهذا قول الحسن (قال الحواريون نحن أنصار الله) أعوان دينه ورسوله وحواري الرجل صفيه وخالصته ومنه يقال للحضريات الحواريات لخلوص ألوانهن ونقاء بشرتهن والحور نقاء بياض العين وحورت الثياب بيضتها والحواري واحد ونظيره الحوالي وهو الكثير الحيلة عن سعيد بن جبير سموا بذلك لبياض ثيابهم وعن مقاتل بن سليمان لانهم كانوا قصارين يبيضون الثياب وقيل لنقاء قلوبهم وطهارة أخلاقهم ومنه قولهم فلان نقي الجيب طاهر الذيل للكريم ودنس الثياب للئيم وعن الضحاك الذي يغسل الثياب يسمى بلغة النبط هواري فعرب وأما أن الحواريين من هم فقيل هم الذين كانوا يصطادون السمك فاتبعوا عيسى وآمنوا به كما حكينا وقيل ان أمه دفعته الى صباغ فكان اذا أراد أن يعلمه شيأ كان هو أعلم به منه فغاب الصباغ يوما لبعض مهماته فقال له ههنا ثياب مختلفة وقد علمت على كل واحد علامة معينة فاصبغها بتلك الالوان فطبخ عيسى عليه السلام حبا واحدا وجعل الجميع فيه وقال كوني باذن الله كما أريد فرجع الصباغ وسأله فأخبره بما فعل فقال قد أفسدت علي الثياب قال قم فانظر فكان يخرج ثوبا أحمر وثوبا أخضر وثوبا أصفر كما كان يريد فتعجب الحاضرون

الحنفى عن عباد عن الحسن فى قوله ومطهرك من الذين كفروا قال طهره من اليهود والنصارى والمجوس ومن كفار قومه ﴿ القول فى تأويل قوله عز وجل (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) يعنى بذلك جل ثناؤه وجاعل الذين اتبعوك على منهاجك وملتك من الاسلام وفطرته فوق الذين جحدوا نبوتك وخالفوا بسبيلهم جميع أهل الملل فكذبوا بما جئت به وصدوا عن الاقرار به فصيرهم فوقهم ظاهرين عليهم كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة هم أهل الاسلام الذين اتبعوه على فطرته وملته وسنته فلا يزالون ظاهرين على من ناواهم الى يوم القيامة حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم ذكر نحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم ذكر نحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة قال ناصر من اتبعك على الاسلام على الذين كفروا الى يوم القيامة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة أما الذين اتبعوك فيقال هم المؤمنون وليس هم الروم حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى عن عباد عن الحسن وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة قال جعل الذين اتبعوه فوق الذين كفروا الى يوم القيامة قال المسلمون من فوقهم وجعلهم أعلى ممن ترك الاسلام الى يوم القيامة

* وقال آخرون معنى ذلك وجاعل الذين اتبعوك من النصارى فوق اليهود ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله ومطهرك من الذين كفروا قال الذين كفروا من بنى اسرائيل وجاعل الذين اتبعوك قال الذين آمنوا به من بنى اسرائيل وغيرهم فوق الذين كفروا النصارى فوق اليهود الى يوم القيامة قال فليس بلد فيه أحد من النصارى الا وهم فوق يهود فى شرق ولا غرب هم فى البلدان كلها مستذلون ﴿ القول فى تأويل قوله (ثم الىّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) يعنى بذلك جل ثناؤه ثم الىّ ثم الى الله أيها المختلفون فى عيسى مرجعكم يعنى مصيركم يوم القيامة فأحكم بينكم يقول فأقضى حينئذ بين جميعكم فى أمر عيسى بالحق فيما كنتم فيه تختلفون من أمره وهذا من الكلام الذى صرف من الخبر عن الغائب الى المخاطبة وذلك أن قوله ثم الىّ مرجعكم انما قصد به الخبر عن متبعى عيسى والكافرين به وتأويل الكلام وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم الىّ مرجع الفريقين الذين

منه وآمنوا به فهم الحواريون وقيل كانوا اثنى عشر اتبعوا عيسى وكانوا اذا جاعوا قالوا يا روح الله جعنا فيضرب بيده على الارض فيخرج لكل واحد رغيفان واذا عطشوا قالوا عطشنا فيضرب بيده على الارض فيخرج الماء فيشربون فقالوا من أفضل منا اذا شئنا أطعمتنا واذا شئنا سقيتنا وقد آمنا بك فقال أفضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه قال فصاروا يغسلون الثياب فسموا حواريين وقيل ان واحدا من الملوك صنع طعاما وجمع الناس عليه وكان عيسى عليه السلام على قصعة فكانت القصعة لا تنقص فذكروا هذه الواقعة لذلك الملك فقال تعرفونه قالوا نعم فذهبوا اليه بعيسى فقال من أنت قال عيسى بن مريم قال فانى أترك ملكى فأتبعك فتبعه ذلك الملك مع أقاربه فأولئك هم الحواريون قال القفال يجوز أن يكون بعضهم من الملوك وبعضهم من الصيادين وبعضهم من القصارين وسموا جميعا بالحواريين لانهم كانوا أنصار عيسى والمخلصين فى محبته وطاعته (آمنا بالله) يجرى مجرى السبب لقولهم نحن أنصار الله فان الايمان بالله يوجب نصرة دين الله والذب عن أوليائه والمحاربة مع أعدائه (واشهد بانا مسلمون) منقادون لما تريده منا فى نصرتك والذب عنك مستسلمون لامر الله تعالى فيه أو هو اقرار منهم بان دينهم الاسلام وانه دين كل الانبياء عليهم السلام وانما طلبوا شهادته لان الرسل يشهدون للامم يوم القيامة ثم تضرعوا الى الله تعالى بقولهم (ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) وهذا يقتضى أن يكون للشاهدين فضل يزيد على فضل الحواريين فقال ابن عباس أى مع محمد صلى الله عليه وسلم وامته لانهم مخصوصون باداء الشهادة وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وعنه أيضا اكتبنا فى زمرة الانبياء لان كل نبى شاهد لقومه ويكون الرسول عليكم شهيدا وقيل اكتبنا فى جملة من شهد لك بالتوحيد ولانبيائك بالتصديق فقرنت ذكرهم بذكرك فى قولك شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم وقيل اجعلنا ممن هو مستغرق فى شهود جلالك بحيث لا نبالى بما يصل الينا من المشاق والآلام فيسهل علينا الوفاء بما التزمنا من نصرة رسولك أو اكتب ذكرنا فى زمرة من شهد حضرتك من الملائكة المقربين كقوله كلا ان كتاب الابرار لفى عليين (ومكروا) يعنى كفار بنى اسرائيل الذين أحس عيسى منهم الكفر (ومكر الله) المكر فى اللغة السعى بالفساد فى خفية ومداجاة قال الزجاج يقال مكر الليل وأمكر اذا أظلم وقيل أصله من اجماع الامر واحكامه ومنه امرأة ممكورة مجتمعة الخلق فلما كان المكر رأيا محكما قويا مصونا عن جهات النقض والفتور لا جرم سمى مكرا أما مكرهم بعيسى عليه السلام فهو أنهم هموا بقتله وأما مكر الله بهم فهو أن رفعه الى السماء وما مكنهم من ايصال السوء اليه روى أن ملك اليهود أراد قتل

عيسى عليه السلام وكان جبريل لا يفارقه ساعة فأمره جبريل أن يدخل بيتا فيه روزنة فلما دخلوا البيت أخرجه جبريل من تلك الروزنة وكان قد ألقى شبهه على غيره ممن وكل به ليقتله غيلة فأخذ وصلب فتفرق الحاضرون ثلاث فرق فرقة قالت كان الله فينا فذهب وأخرى قالت كان ابن الله وأخرى قالت كان عبد الله ورسوله وقيل ان الحواريين كانوا اثنى عشر وكانوا مجتمعين فى بيت فنافق واحد منهم ودل اليهود عليه فالقى الله شبهه عليه ورفع عيسى عليه السلام وذكر محمد بن اسحق أن اليهود عذبوا الحواريين بعد أن رفع عيسى فشمسوهم ولقوا منهم الجهد فسمع بذلك ملك الروم وكان ملك اليهود من رعيته فقيل انه قتل رجلا من بنى اسرائيل ممن يحب أمرك وكان يخبرهم أنه رسول الله وأراهم احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص (٣٠٦) وفعل مافعل فقال لو علمت ذلك ما خليت بينه وبينهم ثم بعث الى الحواريين فانتزعهم من أيديهم وسألهم عن عيسى عليه السلام فاخبروه فتابعهم على دينهم وأنزل المصلوب فغيبه وأخذ الخشبة فاكرمها وصانها ثم غزا بنى اسرائيل وقتل منهم خلقا عظيما ومنه ظهر أصل النصرانية فى الروم وكان اسم هذا الملك طباريس وهو صار نصرانيا الا أنه ما أظهر ذلك ثم انه جاء بعده ملك آخر يقال له ملطيس وغزا بيت المقدس بعد ارتفاع عيسى بنحو من أربعين سنة فقتل وسبى ولم يترك فى حاشية بيت المقدس حجرا على حجر فخرج عند ذلك قريظة والنضير الى الحجاز فهذا كله مما جازاهم الله تعالى على تكذيب المسيح والهم بقتله وقيل انهم مكروا فى اخفاء أمره وابطال دينه ومكر الله بهم حيث أعلى دينه وأظهر شريعته وقهر بالذل أعداءه وهم اليهود (والله خير الماكرين) أقواهم مكرا وأقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب و بينك واعلم أن المكر إن كان عبارة عن الاحتيال فى ايصال الشر فهو فى حق الله تعالى محال فاللفظ اذن من المتشابهات فيجب أن يؤول بان جزاء المكر يسمى مكرا كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها أو بانه تعالى عاملهم معاملة من يمكر وهو عذابهم على سبيل الاستدراج وان كان المكر عبارة عن التدبير المحكم الكامل لم يكن اللفظ متشابها لانه غير ممتنع فى حق الله تعالى الا أنه قد اختص فى العرف بالتدبير فى ايصال الشر الى الغير (اذ قال الله) ظرف لخير الماكرين أو لمكر الله أو مفعول اذكر (ياعيسى انى متوفيك) أى متمم عمرك وعاصمك من أن يقتلك الكفار الآن بل أرفعك الى سمائى وأصونك من أن يتمكنوا من قتلك وقيل متوفيك أى مميتك كيلا يصل أعداؤك من اليهود الى قتلك ثم رافعك الى وهذا القول مروى عن ابن عباس ومحمد بن اسحق ثم قال وهب توفى ثلاث ساعات ثم رفع وأحيى وقال محمد بن اسحق توفى سبع

اتبعوك والذين كفروا بك فأحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون ولكن رد الكلام الى الخطاب لسوق القول على سبيل ماذكرنا من الكلام الذى يخرج على وجه الحكاية كما قال حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة ۞ القول فى تأويل قوله (فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين) يعنى بقوله جل ثناؤه فأما الذين كفروا فأما الذين جحدوا نبوتك ياعيسى وخالفوا ملتك وكذبوا بما جئتهم به من الحق وقالوا فيك الباطل وأضافوك الى غير الذى ينبغى ان يضيفوك اليه من اليهود والنصارى وسائر أصناف الاديان فانى أعذبهم عذابا شديدا أما فى الدنيا فبالقتل والسباء والذلة والمسكنة وأما فى الآخرة فبنار جهنم خالدين فيها أبدا وما لهم من ناصرين يقول وما لهم من عذاب الله مانع ولا عن أليم عقابه لهم دافع بقوة ولا شفاعة لانه العزيز ذو الانتقام وأما قوله وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانه يعنى تعالى ذكره وأما الذين آمنوا بك ياعيسى يقول صدقوك فأقروا بنبوتك وبما جئتهم به من الحق من عندى ودانوا بالاسلام الذى بعثتك به وعملوا بما فرضت من فرائضى على لسانك وشرعت من شرائعى وسننت من سننى كما حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وعملوا الصالحات يقول أدوا فرائضى فيوفيهم أجورهم يقول فيعطيهم جزاء أعمالهم الصالحة كاملا لا يبخسون منه شيأ ولا ينقصونه وأما قوله والله لا يحب الظالمين فانه يعنى والله لا يحب من ظلم غيره حقا له أو وضع شيأ فى غير موضعه فنفى جل ثناؤه عن نفسه بذلك أن يظلم عباده فيجازى المسىء ممن كفر جزاء المحسنين ممن آمن به أو يجازى المحسن ممن آمن به واتبع أمره وانتهى عما نهاه عنه فأطاعه جزاء المسيئين ممن كفر به وكذب رسله وخالف أمره ونهيه فقال انى لا أحب الظالمين فكيف أظلم خلقى وهذا القول من الله تعالى ذكره وان كان خرج مخرج الخبر كأنه وعيد منه للكافرين به وبرسله ووعد منه للمؤمنين به وبرسله لانه أعلم الفريقين جميعا أنه لا يبخس هذا المؤمن حقه ولا يظلم كرامته فيضعها فيمن كفر به وخالف أمره ونهيه فيكون لها بوضعها فى غير أهلها ظالما ۞ القول فى تأويل قوله (ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم) يعنى بقوله جل ثناؤه ذلك هذه الانباء التى أنبأ بها نبيه عن عيسى وأمه مريم وأمها حنة وزكريا وابنه يحيى وما قص من أمر الحواريين واليهود من بنى اسرائيل نتلوها عليك يامحمد يقول نقرؤها عليك يامحمد على لسان جبريل صلى الله عليه وسلم بوحيناها اليك من الآيات يقول من العبر والحجج على من حاجك من وفد نصارى نجران ويهود بنى اسرائيل الذين كذبوك وكذبوا بما جئتهم به من الحق من عندى والذكر يعنى والقرآن الحكيم يعنى ذى الحكمة الفاصلة بين الحق والباطل

ساعات ثم أحياه الله ورفعه وقال الربيع بن أنس انه نومه ورفعه الى السماء نائما حتى لا يلحقه خوف ورعب أخذه من قوله الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وقيل التوفي أخذ الشيء وافيا أي آخذك بروحك وبجسدك جميعا فرافعك الى دفعا لوهم من يتوهم انه أخذ بروحه دون جسده وقيل متوفيك قابضك من الارض من توفيت مالي على فلان أي استوفيته وقيل أجعلك كالمتوفى لانه اذا رفع الى السماء انقطع خبره وأثره عن الارض فيكون من باب اطلاق الشيء على ما يشابهه في أكثر خواصه وصفاته وقيل المضاف محذوف أي متوفي عملك ورافع طاعتك فكأنه بشره بقبول طاعته وان ما وصل اليه من المتاعب في تمشية دينه واظهار شريعته فهو لا يضيع أجره فهذا كقوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقيل في نسق الكلام تقديم وتأخير فان الواو لا تقتضي الترتيب والمعنى اني رافعك الى ومتوفيك بعد انزالك الى الدنيا ويؤيده ما ورد في الخبر انه سينزل ويقتل الدجال ثم انه تعالى يتوفاه بعد ذلك أما قوله ورافعك الى فالمشبهة تمسكوا بهذه في اثبات المكان لله تعالى وأنه في السماء لكن الدلائل القاطعة دلت على أنه متعال عن الحيز والجهة فوجب حمل هذا الظاهر على التأويل بان المراد الى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومثله قول ابراهيم اني ذاهب الى ربي وانما ذهب من العراق الى الشام وقد سمي الحجاج زوار الله والمجاورون جيران الله والمراد التفخيم والتعظيم أو المراد الى مكان لا يملك الحكم عليه هناك غير الله فان في الارض ملوكا مجازية ولئن سلم أنه تعالى يمكن أن يكون في مكان فليس رفع عيسى عليه السلام الى ذلك المكان سببا لبشارته مالم يتيقن الثواب والكرامة والروح والراحة فلابد من صرف اللفظ عن ظاهره وهو أن يقال المراد رفعه الى محل كرامته واذا لم يكن بد من الاضمار فلم يبق في الآية دلالة على اثبات المكان له تعالى ثم انه كما عظم شأنه بلفظ الرفع اليه عبر بذلك عن معنى التخليص بلفظ التطهير فقال (ومطهرك من الذين كفروا) أي من خبث جوارهم وسوء عشرتهم (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) وليس هذا فوقية المكان بالاتفاق فالمراد اما الفوقية بالحجة والدليل واما الفوقية بالقهر والاستيلاء وفيه اخبار عن ذل اليهود ومسكنتهم الى يوم القيامة ولعمري انه كذلك فلا يرى ملك يهودي في الدنيا ولا بلد لهم مستقل بخلاف النصارى على أنا نقول المراد بمتبعي المسيح هم الذين كانوا يؤمنون بانه عبد الله ورسوله ثم آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم بعده فصدقوه في قوله ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد أو المتبعون هم المسلمون الذين اتبعوه في أصل الاسلام وان اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى * واعلم أن

وبينك وبين ناسبي المسيح الى غير نسبه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم القاطع الفاصل الحق الذي لم يخلطه الباطل من الخبر عن عيسى وعما اختلفوا فيه من أمره فلا يقبلن خبرا غيره حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم قال القرآن حدثني المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن علي عن ابن عباس قوله والذكر يقول القرآن الحكيم الذي قد كمل في حكمته ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) يعني جل ثناؤه ان شبه عيسى في خلقي اياه من غير فحل فأخبر به يا محمد الوفد من نصارى نجران عندي كشبه آدم الذي خلقته من تراب ثم قلت له كن فكان من غير فحل ولا ذكر ولا أنثى يقول فليس خلق عيسى من أمه من غير فحل بأعجب من خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى فكان لحما يقول وأمري اذا أمرته أن يكون فكان فكذلك خلق عيسى أمرته أن يكون فكان وذكر أهل التأويل أن الله عز وجل أنزل هذه الآية احتجاجا لنبيه صلى الله عليه وسلم على الوفد من نصارى نجران الذين حاجوه في عيسى ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن عامر قال كان أهل نجران أعظم قوم من النصارى في عيسى قولا فكانوا يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل هذه الآية في سورة آل عمران ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الى قوله فنجعل لعنة الله على الكاذبين حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وذلك أن رهطا من أهل نجران قدموا على محمد صلى الله عليه وسلم وكان فيهم السيد والعاقب فقالوا لمحمد ما شأنك تذكر صاحبنا فقال من هو قالوا عيسى تزعم أنه عبد الله فقال محمد أجل انه عبد الله قالوا له فهل رأيت مثل عيسى أو أنبئت به ثم خرجوا من عنده فجاءه جبريل صلى الله عليه وسلم بأمر ربنا السميع العليم فقال قل لهم اذا أتوك ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم الى آخر الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ذكر لنا أن سيدي أهل نجران وأسقفهم السيد والعاقب لقيا نبي الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن عيسى فقالا كل آدمي له أب فما شأن عيسى لا أب له فأنزل الله عز وجل فيه هذه الآية ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب

نص القرآن دل على أنه تعالى حين رفعه ألقى شبهه على غيره قال وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فاورد بعض الملحدة عليه اشكالات الاول أنه يوجب ارتفاع الامان عن المحسوسات فاني اذا رأيت ولدي ثم رأيته ثانيا فحينئذ أجوز أن هذا الذي رأيته ثانيا ليس ولدي بل هو انسان آخر ألقى شبهه عليه وكذا الصحابة الذين رأوا محمدا يأمرهم وينهاهم احتمل أن يكون محمدا انسانا آخر ألقى شبهه عليه وانه يفضي الى سقوط الشرائع وكذا الى ابطال التواتر لان مدار الامر في الاخبار المتواترة على أن يكون المخبر الاول انما أخبر عن المحسوس وأنتم جوزتم وقوع الغلط في المبصرات ففتح هذا الباب أوله سفسطة وآخره ابطال النبوات الثاني أن جبريل كان معه حيث سار ثم ان طرف جناح واحد منه يكفي لاهل الارض فكيف لم يكف في منع (٨ - ٣) أولئك اليهود وأنه صلى الله عليه وسلم كان يحيي الموتى و يبرئ الاكمه والابرص فكيف لم يقدر على اماتة أولئك اليهود الذين قصدوه بالسوء والقاء الفلج والزمانة عليهم حتى لا يتعرضوا له الثالث أنه تعالى كان قادرا على تخليصه من الاعداء بان يرفعه الى السماء فما الفائدة في القاء شبهه على الغير وهل فيه الا ايقاع مسكين في القتل من غير فائدة مع أن ذلك يوجب تلبيس الامر عليهم حتى اعتقدوا أن المصلوب هو عيسى وانه لم يكن عيسى والتمويه والتخليط لا يليق بحكمة الله تعالى الرابع أن النصارى على كثرتهم في المشارق والمغارب وافراطهم في محبة عيسى أخبروا أنهم شاهدوه مصلوبا فانكار ذلك انكار المتواتر والطعن في المتواتر يوجب الطعن في نبوة جميع الانبياء الخامس ثبت بالتواتر أن المصلوب بقي حيا زمانا طويلا فلو كان هو غير عيسى لأظهر الجزع وعرف نفسه ولو فعل ذلك اشتهر وتواتر والجواب عن الاول أن كل من أثبت القادر المختار سلم أنه تعالى قادر على خلق مثل زيد وهذا التجويز لا يوجب الشك في وجود زيد فكذا فيما ذكرتم وعن الثاني والثالث أن ذلك يفضي الى بلوغ الاعجاز حد الالجاء وانه ينافي التكليف والتلبيس المذكور قد أزاله تلامذة عيسى الحاضرون منه العالمون بالواقعة وعن الرابع أنه تواتر منقطع الاول لانهم كانوا قليلين في ذلك الوقت فلا يفيد العلم اذ شرط التواتر استواء الطرفين والوسط وعن الخامس ماروى أن الذي ألقى عليه الشبه كان من خواص أصحابه فلهذا صبر على أنا نقول قد ثبت بالمعجز القاطع صدق محمد صلى الله عليه وسلم في كل ما أخبر عنه فهذه الاحتمالات تمتنع أن تصير معارضة للنص القاطع والله ولي الهداية قال (ثم الي مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) وفيه بشارة لعيسى بانه سيحكم بين المؤمنين و بين الجاحدين وتفسيره قوله فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا بالقتل والسبي والذلة

لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع به أهل نجران أتاه منهم أربعة نفر من خيارهم منهم العاقب والسيد وماسرجس وماريحز فسألوه ما يقول في عيسى فقال هو عبد الله وروحه وكلمته قالوا هم لا ولكنه هو الله نزل من ملكه فدخل في جوف مريم ثم خرج منها فأرانا قدرته وأمره فهل رأيت قط انسانا خلق من غير أب فأنزل الله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون قال نزلت في العاقب والسيد من أهل نجران وهما نصرانيان قال ابن جريج بلغنا أن نصارى أهل نجران قدم وفدهم على النبي صلى الله عليه وسلم فيهم السيد والعاقب وهما يومئذ سيدا أهل نجران فقالوا يا محمد فيم تشتم صاحبنا قال من صاحبكما قالا عيسى بن مريم تزعم انه عبد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل انه عبد الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فغضبوا وقالوا ان كنت صادقا فأرنا عبدا يحيي الموتى ويبرئ الأكمه ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه الآية لكنه الله فسكت حتى أتاه جبريل فقال يا محمد لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل انهم سألوني أن أخبرهم بمثل عيسى قال جبريل مثل عيسى كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فلما أصبحوا عادوا فقرأ عليهم الآيات حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير ان مثل عيسى عند الله فاسمع كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين فان قالوا خلق عيسى من غير ذكر فقد خلقت آدم من تراب بتلك القدرة من غير أنثى ولا ذكر فكان كما كان عيسى لحما ودما وشعرا وبشرا فليس خلق عيسى من غير ذكر بأعجب من هذا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب قال أتى نجرانيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا له هل علمت أن أحدا ولد من غير ذكر فيكون عيسى كذلك قال فأنزل الله عز وجل ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون أ كان لآدم أب أو أم كما خلقت هذا في بطن هذه فان قال قائل فكيف قال كمثل آدم خلقه وآدم معرفة والمعارف لا توصل قيل ان قوله خلقه من تراب غير صلة لآدم وانما هو بيان عن أمره على وجه التفسير عن المثل الذي ضربه وكيف كان وأما قوله ثم قال له كن فيكون فانما قال فيكون وقد ابتدأ الخبر عن خلق آدم وذلك خبر عن أمر قد تقضى وقد أخرج الخبر عنه مخرج الخبر عما قد مضى فقال جل ثناؤه خلقه من تراب ثم قال له كن لانه بمعنى الاعلام من الله نبيه أن تكوينه الاشياء بقوله كن ثم قال فيكون

وأنواع المصائب والرزايا التي لا ثواب عليها والآخرة بدخول النار خالدين فيها وما لهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين الواضعين الشيء في غير موضعه التكذيب في مقام التصديق والعمل السيء مكان العمل الصالح وذلك أن المحبة عبارة عن إيصال الخير إليه وهو وإن أراد كفر الكافر إلا أنه لم يوصل الثواب إليه وقالت المعتزلة المحبة والإرادة واحدة فالمعنى أنه لا يريد ظلم الظالمين (ذلك) الذي سبق من نبإ عيسى عليه السلام وغيره وهو مبتدأ خبره (نتلوه عليك) والتلاوة والقصص كلاهما يؤول إلى معنى واحد وهو ذكر الشيء بعضه على أثر بعض جعل تلاوة الملك لما كانت بأمره كتلاوته (من الآيات) خبر بعد خبر أو خبر مبتدإ محذوف والمراد بها آيات القرآن ويحتمل أن يراد أنه من العلامات الدالة على ثبوت رسالتك لأنها أخبار لا يعلمها (٣٠٩) الا قارئ من كتاب أو من يوحى إليه

فيكون خبرا مبتدأ وقد تناهى الخبر عن أمر آدم عند قوله كن فتأويل الكلام إذا إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن واعلم يا محمد أن ما قال له ربك كن فهو كائن فلما كان في قوله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن دلالة على أن الكلام يراد به إعلام نبي الله صلى الله عليه وسلم وسائر خلقه أنه كائن ما كونه ابتداء من غير أصل ولا أول ولا عنصر استغنى بدلالة الكلام على المعنى وقيل فيكون فعطف بالمستقبل على الماضي على ذلك المعنى وقد قال بعض أهل العربية فيكون رفع على الابتداء ومعناه كن فكان فكأنه قال فإذا هو كائن * القول في تأويل قوله (الحق من ربك فلا تكن من الممترين) يعني بذلك جل ثناؤه الذي أنبأتك به من خبر عيسى وأن مثله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له ربه كن هو الحق من ربك يقول هو الخبر الذي هو من عند ربك فلا تكن من الممترين يعني فلا تكن من الشاكين في أن ذلك كذلك كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الحق من ربك فلا تكن من الممترين يعني فلا تكن في شك من عيسى أنه كمثل آدم عبد الله ورسوله وكلمة الله وروحه حدثني المثنى قال ثنا إسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله الحق من ربك فلا تكن من الممترين يقول فلا تكن في شك مما قصصنا عليك أن عيسى عبد الله ورسوله وكلمة منه وروح وأن مثله عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن إسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير الحق من ربك ما جاءك من الخبر عن عيسى فلا تكن من الممترين أي قد جاءك الحق من ربك فلا تمترن فيه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فلا تكن من الممترين قال والممترون الشاكون والمرية والشك والريب واحد سواء كهيئة ما تقول أعطني وناولني وهلم فهذا مختلف في الكلام وهو واحد * القول في تأويل قوله (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) يعني بقوله جل ثناؤه فمن حاجك فيه فمن جادلك يا محمد في المسيح عيسى بن مريم والهاء في قوله فيه عائدة على ذكر عيسى وجائز أن تكون عائدة على الحق الذي قال تعالى ذكره الحق من ربك ويعني بقوله من بعد ما جاءك من العلم من بعد ما جاءك من العلم الذي قد بينته لك في عيسى أنه عبد الله فقل تعالوا هلموا فلندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل يقول ثم نلتعن يقال في الكلام ما له بهله الله أي لعنه الله وما له عليه بهلة الله يريد اللعن وقال لبيد وذكر قوما هلكوا فقال * نظر الدهر إليهم فابتهل * يعني دعا عليهم بالهلاك فنجعل لعنة الله على الكاذبين منا ومنكم في آية عيسى كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال

وظاهر أنك لا تكتب ولا تقرأ فبقي أن يكون من الوحي ويجوز أن يكون ذلك بمعنى الذي ونتلوه صلته ومن الآيات الخبر ويجوز أن ينتصب ذلك بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم القرآن وصف بصفة من هو سببه أو كأنه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه أو هو بمعنى الحاكم كالعليم بمعنى أن الأحكام تستفاد منه أو بمعنى المحكم أحكمت آياته أي عن تطرق وجوه الخلل إليه وقيل الذكر الحكيم اللوح المحفوظ الذي منه نقلت جميع كتب الله المنزلة على الأنبياء أخبر أنه تعالى أنزل هذه القصص مما كتب هنالك. قال المفسرون ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك تشتم صاحبنا قال صلى الله عليه وسلم وما أقول قالوا تقول انه عبد

قال أجل هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رأيت انسانا قط من غير أب فان كنت صادقا فأرنا مثله فأنزل الله عز وجل (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم) أي حاله الغريبة كحاله ووجه الشبه أن كلا منهما وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة بل الوجود من غير أب وأم أغرب فشبه الغريب بالأغرب لأن المشبه به ينبغي أن يكون أقوى حالا من المشبه في وجه الشبه ثم فسر كيفية خلق آدم بقوله (خلقه من تراب) أي قدره جسدا من طين قيل اشتقاق آدم من الأدمة وقال ابن عباس سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض كلها أحمرها وأسودها وطيبها وخبيثها فلذلك كان في ولده الأسود والأحمر والطيب والخبيث وقيل انه اسم أعجمي كآزر ووزنه فاعل لا أفعل والضمير عائد إلى آدم الموجود كقولك هذا الكون أصله من الطين (ثم قال له) أي لذلك المقدر (كن فيكون) وهذا كقوله ثم أنشأناه خلقا آخر وإنما لم يقل فكان إما لأنه حكاية حال ماضية وإما تصوير لتلك الحالة العجيبة كقوله

* فأضربها بلادهش نفرت * أو المراد اعلم يا محمد أن ما قال له ربك كن فانه يكون لامحالة وقيل معنى ثم تراخى الخبر عن الخبر لا تراخي المخبر عن المخبر كقول القائل أعطيت زيدا ألفا اليوم ثم أنا أعطيته أمس ألفين أي ثم أنا أخبركم أني أعطيته أمس ألفين فكذا قوله خلقه من تراب أي صيره بشرا سويا ثم انه يخبركم أنه انما خلقه بأن قال له كن وقيل ان معنى الخلق يرجع الى علمه تعالى بكيفية وقوعه وارادته لايقاعه على الوجه المخصوص والمراد بكن ادخاله في الوجود قالت الحكماء انما خلق آدم من التراب لوجوه ليكون متواضعا وليكون ستارا وليكون أشد التصاقا بالارض فيصلح للخلافة فيها ولما فيه من اظهار القدرة لخلق الشياطين من النار التي هي أضوأ الأجرام السفلية وابتلاهم بظلمات الضلالة وخلق الملائكة من

الهواء الذي هو أرق الاجرام وأعطاهم كمال القوة والقدرة وخلق السموات من أمواج مياه البحار وأبقاها معلقة في الفضاء وخلق آدم من التراب الذي هو أكثف الاجرام فآتاه النور والهداية وكل ذلك برهان باهر ودليل ظاهر على أنه تعالى هو المدبر بغير احتياج والخالق بلا مزاج وعلاج خلق البشر من التراب لاطفاء نيران الشهوة والحرص والغضب وخلقه من الماء خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا ليكون صافيا تتجلى فيه صور الاشياء ثم مزج بين التراب والماء لامتزاج اللطيف بالكثيف فصار طينا اني خالق بشرا من طين ثم انه سل من ألطف أجزاء الطين ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعله طينا لازبا انا خلقناهم من طين لازب ثم سنه وغيره أنحته ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمإ مسنون

ثنا سعيد عن قتادة قوله فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم أي في عيسى انه عبد الله ورسوله من كلمة الله وروحه فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم الى قوله على الكاذبين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم أي من بعد ما قصصت عليك من خبره وكيف كان أمره فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم الآية حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم يقول من حاجك في عيسى من بعد ما جاءك فيه من العلم حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين قال منا ومنكم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال وثني ابن لهيعة عن سليمان بن زياد الحضرمي عن عبد الله بن الحرث بن جزء الزبيدي أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ليت بيني وبين أهل نجران حجابا فلا أراهم ولا يروني من شدة ما كانوا يمارون النبي صلى الله عليه وسلم

❁ القول في تأويل قوله (ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين) يعني بذلك جل ثناؤه ان هذا الذي أنبأتك به يا محمد من أمر عيسى فقصصته عليك من أنبائه وأنه عبدي ورسولي وكلمتي ألقيتها الى مريم وروح مني لهو القصص والنبأ الحق فاعلم ذلك واعلم أنه ليس للخلق معبود يستوجب عليهم العبادة بملكه اياهم الا معبودك الذي تعبده وهو الله العزيز الحكيم ويعني بقوله العزيز العزيز في انتقامه ممن عصاه وخالف أمره وادعى معه الها غيره أو عبد ربا سواه الحكيم في تدبيره لا يدخل ما دبره وهن ولا يلحقه خلل فان تولوا يعني فان أدبر هؤلاء الذين حاجوك في عيسى عما جاءك من الحق من عند ربك في عيسى وغيره من سائر ما آتاك الله من الهدى والبيان فأعرضوا عنه ولم يقبلوه فان الله عليم بالمفسدين يقول فان الله ذو علم بالذين يعصون ربهم ويعملون في أرضه وبلاده بما نهاهم عنه وذلك هو افسادهم يقول تعالى ذكره فهو عالم بهم وبأعمالهم يحصيها عليهم ويحفظها حتى يجازيهم عليها جزاءهم وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير ان هذا لهو القصص الحق أي ان هذا الذي جئت به من الخبر عن عيسى لهو القصص الحق من أمره حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ان هذا لهو القصص ان هذا الذي قلنا في عيسى لهو القصص الحق حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان هذا لهو القصص الحق قال ان هذا القصص الحق في عيسى ما ينبغي لعيسى أن يتعدى هذا ولا يجاوز أي يتعدى أن يكون كلمة الله ألقاها الى مريم وروحا منه وعبد الله ورسوله

* عن بعض العلماء أنه أسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى عليه السلام قالوا لانه لا أب له قال فآدم أولى لانه لا أبوين له قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل أولى لان عيسى أحيا أربعة نفر وأحيا حزقيل ثمانية آلاف فقالوا كان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس أولى لانه طبخ وأحرق ثم قام سالما (الحق من ربك) خبر مبتدأ محذوف أي هو الحق يعني الذي أنبأتك من شأن عيسى لا الذي اعتقده النصارى فيه أنه الله ولا الذي يزعم اليهود من رميها بيوسف النجار أو الحق مبتدأ ومن ربك خبره كما يقال الحق من الله والباطل من الشيطان (فلا تكن من الممترين) الشاكين قال ابن الانباري أصله من مريت الناقة والشاة حلبتها فكأن الشاك يجتذب بشكه شرا وفي هذا النهي ترغيب له في زيادة الثبات والطمأنينة ولطف للامة وقد مر نظائره في سورة البقرة ❁ التأويل الاصطفاء ثلاثة أنواع اصطفاء على غير الجنس ان الله اصطفى آدم ولم يكن له جنس حين خلقه وأسجد له ملائكته واصطفاء على الجنس وعلى غير الجنس كاصطفاء محمد صلى الله عليه وسلم على الكائنات كقوله

لولاك لما خلقت الأفلاك وقال صلى الله عليه وسلم آدم فمن دونه تحت لوائي واصطفاء على الجنس كقوله ياموسى اني اصطفيتك على الناس ولمريم ان الله اصطفاك لاصطفائك اياه وطهرك عن الالتفات لغيره واصطفاك على نساء العالمين لتنيل درجة الكمال وان لم يكن ذلك من شأن النساء ان الله يبشرك بكلمة منه كل صنف من أصناف الخلق حرف من حروف كلمة معرفة الله تعالى والعالم بما فيه كلمة المعرفة كقوله كنت كنزا مخفيا فاحببت أن أعرف فخلقت الخلق لاعرف والانسان وان كان صنفا من أصناف العالم وهو حرف من حروف كلمة المعرفة لكنه خلق نسخة العالم بما فيه فهو أيضا كلمة المعرفة كالعالم لكنه خص من العالم بما فيه بكرامة معرفة نفسه ومعرفة ربه ومعرفة العالم بما فيه وهذا مقام مخصوص بالانسان الكامل المزكى بتزكية الشريعة المربى بتربية أرباب الطريقة وانما خص عيسى عليه السلام بهذا الاسم أعني الكلمة من بين سائر الانبياء والاولياء لانه خلق مستعدا لهذا الكمال في بدء أمره فقد فهم من كلمة نفسه معرفة ربه كما قال صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه فقد عرف ربه وكان من اختصاصه بالكلمة أنه قال في المهد اني عبد الله آتاني الكتاب روى مجاهد قال قالت مريم بنت عمران كنت اذا خلوت أنا وجنيني حدثته وحدثني فاذا شغلني عنه انسان سبح في بطني وأنا أسمع وسمي المسيح لانه حين مسح الله تعالى ظهر آدم فاستخرج منه ذرات ذرياته لم يرده الى مقامه كما جاء في الخبر ان الله تعالى أذن للذرات بالرجوع الى ظهر آدم وحفظ ذرة عيسى وروحه عنده حتى ألقاها الى مريم فكان قد بقي عليه اسم المسيح أي الممسوح وكهلا أي حالة النبوة لان بلوغ الانبياء عند كهولتهم ومن الصالحين يعني صلاحيته قبول الفيض بلا واسطة كما هو حال جميع الانبياء عليهم السلام ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل الروح الانساني الذي هو خليفة الله في أرضه قابل لجميع أنوار الصفات خلافة عنه حتى القدرة على الخلق والاحياء والابراء والانباء وغير ذلك من الآيات التي هي من نتائج القدرة لكنه لتعلقه بالجسد الكائن من العناصر ولاحتجابه بظلمات شهوات الابوين امتنع عن قبول أنوار الصفات الى ان تخرجه مسدد العناية بطريق الهداية وقوة استعداد الروحية والجسمية من تلك الظلمات فيظهر على النبي صلى الله عليه وسلم آيات المعجزات وعلى الولي أمارات الكرامات ولما كان روح عيسى عليه السلام وذرة طينته المستخرجة من ظهر آدم محتبسة عند الله حتى ألقاها الى مريم من غير شائبة ظلمات شهوة الابوين ولهذا سمي روح الله كان قابل أنوار الصفات في بدو أمره يكلم الناس في المهد ويكتب ويقرأ التوراة والانجيل غير من تعلم ويحيي وينبئ الى غير ذلك من الآيات فلما أحس

ورسوله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ان هذا لهو القصص الحق ان هذا الذي قلنا في عيسى هو الحق وما من اله الا الله الآية فلما فصل جل ثناؤه بين نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبين الوفد من نصارى نجران بالقضاء الفاصل والحكم العادل وأمره إن هم تولوا عما دعاهم اليه من الاقرار بوحدانية الله وأنه لا ولد له ولا صاحبة وأن عيسى عبده ورسوله وأبوا الا الجدل والخصومة أن يدعوهم الى الملاعنة ففعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم انخزلوا فامتنعوا من الملاعنة ودعوا الى المصالحة كالذي حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن عامر قال فامر يعني النبي صلى الله عليه وسلم بملاعنتهم يعني بملاعنة أهل نجران بقوله فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم الآية فتواعدوا أن يلاعنوه وواعدوه الغد فانطلقوا الى السيد والعاقب وكانا أعقلهم فتابعاهم فانطلقوا الى رجل منهم عاقل فذكروا له ما فارقوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما صنعتم وندمهم وقال لهم ان كان نبيا ثم دعا عليكم لا يغضبه الله فيكم أبدا ولئن كان ملكا فظهر عليكم لا يستبقيكم أبدا قالوا فكيف لنا وقد واعدنا فقال لهم اذا غدوتم اليه فعرض عليكم الذي فارقتموه عليه فقولوا نعوذ بالله فان دعاكم أيضا فقولوا له نعوذ بالله ولعله أن يعفيكم من ذلك فلما غدوا غدا النبي صلى الله عليه وسلم محتضنا حسنا آخذا بيد الحسين وفاطمة تمشي خلفه فدعاهم الى الذي فارقوه عليه بالامس فقالوا نعوذ بالله ثم دعاهم فقالوا نعوذ بالله مرارا قال فان أبيتم فأسلموا ولكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين كما قال الله عز وجل فان أبيتم فأعطوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون كما قال الله عز وجل قالوا ما نملك الا أنفسنا قال فان أبيتم فاني أنبذ اليكم على سواء كما قال الله عز وجل قالوا ما لنا طاقة بحرب العرب ولكن نؤدي الجزية قال فجعل عليهم في كل سنة ألفي حلة ألفا في رجب وألفا في صفر فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد أتاني البشير بهلكة أهل نجران حتى الطير على الشجر أو العصافير على الشجر لو تموا على الملاعنة حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير قال فقلت للمغيرة ان الناس يروون في حديث أهل نجران أن عليا كان معهم فقال أما الشعبي فلم يذكره فلا أدري لسوء رأي بني أمية في علي أو لم يكن في الحديث حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد ابن جعفر بن الزبير إن هذا لهو القصص الحق الى قوله فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون فدعاهم الى النصف وقطع عنهم الحجة فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من الله عنه والفصل من القضاء بينه وبينهم وأمره بما أمره به من ملاعنتهم ان ردوا عليه دعاهم الى ذلك فقالوا يا أبا القاسم دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا اليه فانصرفوا عنه ثم خلوا بالعاقب وكان ذا رأيهم فقالوا يا عبد المسيح ما ترى قال والله

عيسى منهم الكفر فيه اشارة الى أن عيسى الروح لما أحس من النفس وصفاتها الكفر قال من أنصارى الى الله قال الحواريون وهم القلب وصفاته نحن أنصار الله آمنا بالله أى بوحدانيته والتبرى عن غيره واشهد بانا مسلمون منقادون لاحكامه راضون بقضائه صابرون على بلائه ربنا آمنا بما أنزلت من الحكم والاسرار واللطائف والحقائق واتبعنا الرسول الوارد من نفحات ألطافك فاكتبنا مع الشاهدين المشاهدين لانوار جلالك ومكروا أى النفس وصفاتها والشياطين وأتباعها فى هلاك عيسى الروح ومكر الله بتجلى صفات قهره فى فناء النفس وصفاتها والله خير الماكرين فى قهر النفس الأمارة بالسوء وقمع صفاتها وقلع شهواتها اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك عن الصفات النفسانية والسمات الحيوانية (٢١٢) ورافعك الى بجذبات العناية كما أسرى بعبده الى قاب قوسين أو أدنى ومن خواص الجذبة الربوبية خمود الصفات البشرية ثم الى مرجعكم باللطف أو القهر بالاختيار على قدم السلوك أو بالاضطرار عند نزع الروح فأعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا بحجاب الغفلة والاشتغال بغير الله والآخرة بالقطيعة والبعد عن الله والله لا يحب الظالمين الذين يظلمون أنفسهم بانقضاء العمر فى طلب غير الله تعالى ثم قال له كن فيكون هذه السنة فى تكوين الارواح والملكوت لا الاجساد والملك ولكنه أجراها فى تكوين آدم من تراب بلا أب وأم وخلق حواء منه بلا أم وخلق عيسى ابن مريم بلا أب خرقا للعادة ودلالة على اختياره ورغما بأنف من قال بالايجاب فى الايجاد فلا تكن من الممترين نهى الكينونة قاله فى الازل فما كان من الممترين ولا يكون الى الابد ❀ (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا أنفسهم وما يشعرون يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون يا أهل الكتاب

ما

يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمدا نبى مرسل ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ولقد علمتم ما لاعن قوم نبيا قط فبقى كبيرهم ولا نبت صغيرهم وانه للاستئصال منكم ان فعلتم فان كنتم قد أبيتم الا الف دينكم والاقامة على ما أنتم عليه من القول فى صاحبكم فوادعوا الرجل ثم انصرفوا الى بلادكم حتى يريكم زمن رأيه فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نلاعنك وأن نتركك على دينك ونرجع على ديننا ولكن ابعث معنا رجلا من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا فى أشياء قد اختلفنا فيها من أموالنا فانكم عندنا رضا حدثنا ابن حميد قال ثنا عيسى بن فرقد عن أبى الجارود عن زيد بن على فى قوله تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم الآية قال كان النبى صلى الله عليه وسلم وعلى وفاطمة والحسن والحسين حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم الآية فاخذ يعنى النبى صلى الله عليه وسلم بيد الحسن والحسين وفاطمة وقال لعلى اتبعنا فخرج معهم فلم يخرج يومئذ النصارى وقالوا انا نخاف أن يكون هذا هو النبى صلى الله عليه وسلم وليس دعوة النبى كغيرها فتخلفوا عنه يومئذ فقال النبى صلى الله عليه وسلم لو خرجوا لاحترقوا فصالحوه على صلح على أن له عليهم ثمانين ألفا فما عجزت الدراهم ففى العروض الحلة باربعين وعلى أن له عليهم ثلاثا وثلاثين درعا وثلاثا وثلاثين بعيرا وأربعة وثلاثين فرسا غازية كل سنة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضامن لها حتى نؤديها اليهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم دعا وفدا من وفد نجران من النصارى وهم الذين حاجوه فى عيسى فنكصوا عن ذلك وخافوا وذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول والذى نفس محمد بيده ان كان العذاب لقد تدلى على أهل نجران ولو فعلوا لاستؤصلوا عن جديد الارض حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم قال بلغنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم خرج ليلاعن أهل نجران فلما رأوه خرج هابوا وفرقوا فرجعوا قال معمر قال قتادة لما أراد النبى صلى الله عليه وسلم أهل نجران أخذ بيد حسن وحسين وقال لفاطمة اتبعينا فلما رأى ذلك أعداء الله رجعوا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن عبد الكريم الجزرى عن عكرمة عن ابن عباس قال لو خرج الذين يباهلون النبى صلى الله عليه وسلم لرجعوا لا يجدون أهلا ولا مالا حدثنا أبو كريب قال ثنا زكريا عن عدى قال ثنا عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم عن عكرمة عن ابن عباس مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لولا عنونى

لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون) ۞ القراآت هاأنتم بالمد وغير الهمزة حيث كان أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وروى ابن مجاهد وأبو عون عن قنبل هأنتم على وزن هعنتم الباقون بالمد والهمز ۞ الوقوف الكاذبين ○ القصص الحق ج ط الا الله ط الحكيم ○ المفسدين ○ من دون الله ط لتناهي جملة وافية الى ابتداء شرط مسلمون ○ من بعده ط تعقلون ○ ليس لكم به علم ط لا تعلمون ○ مسلما ط المشركين ○ والذين آمنوا ط المؤمنين ○ لو يضلونكم ط يشعرون ○ تشهدون ○ تعلمون ○ ۞ التفسير روى أنه صلى الله عليه وسلم لما أورد الدلائل على نصارى نجران ثم انهم أصروا على جهلهم قال صلى الله عليه وسلم ان الله أمرني ان لم تقبلوا الحجة أن أباهلكم فقالوا يا أبا القاسم بل نرجع فننظر في أمرنا ثم نأتيك فلما رجعوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى قال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالكلام الفصل من أمر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لكان الاستئصال فان أبيتم الا الاصرار على دينكم والاقامة على ما أنتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خرج وعليه صلى الله عليه وسلم مرط من شعر أسود وكان صلى الله عليه وسلم قد احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه صلى الله عليه وسلم وعلي عليه السلام خلفها وهو يقول اذا دعوت فأمنوا فقال أسقف نجران يا معشر النصارى اني لأرى وجوها لو دعت الله ان يزيل جبلا من مكانه لأزاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبق على وجه الارض نصراني الى يوم القيامة ثم قالوا يا أبا القاسم رأينا أن لا نباهلك وأن نقرك على دينك فقال صلى الله عليه وسلم فاذا أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين فأبوا فقال صلى الله عليه وسلم فاني أناجزكم أي أحاربكم فقالوا ما لنا بحرب العرب المسلمين طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي اليك كل عام ألفي حلة ألفا في صفر وألفا في رجب وثلاثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على أهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا وروي عن عائشة انه صلى الله عليه وسلم لما خرج في المرط الأسود جاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله ثم فاطمة ثم علي عليه السلام ثم قال صلى الله عليه وسلم انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وهذه الرواية

ما حال الحول وبحضرتهم منهم أحد الا أهلك الله الكاذبين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنا ابن زيد قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو لاعنت القوم بمن كنت تأتي حين قلت أبناءنا وأبناءكم قال حسن وحسين حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا المنذر بن ثعلبة قال ثنا علباء بن أحمر اليشكري قال لما نزلت هذه الآية فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم الآية أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى علي وفاطمة وابنيهما الحسن والحسين ودعا اليهود ليلاعنهم فقال شاب من اليهود ويحكم أليس عهدكم بالأمس اخوانكم الذين مسخوا قردة وخنازير لا تلاعنوا فانتهوا ۞ القول في تأويل قوله (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) يعني بذلك جل ثناؤه قل يا محمد لاهل الكتاب وهم أهل التوراة والانجيل تعالوا هلموا الى كلمة سواء يعني الى كلمة عدل بيننا وبينكم والكلمة العدل هي أن نوحد الله فلا نعبد غيره ونبرأ من كل معبود سواه فلا نشرك به شيأ وقوله ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا يقول ولا يدين بعضنا لبعض بالطاعة فيما أمر به من معاصي الله ويعظمه بالسجود له كما يسجد لربه فان تولوا يقول فان أعرضوا عما دعوتهم اليه من الكلمة السواء التي أمرتك بدعائهم اليها فلم يجيبوك اليها فقولوا أيها المؤمنون للمتولين عن ذلك اشهدوا بأنا مسلمون واختلف أهل التأويل فيمن نزلت فيه هذه الآية فقال بعضهم نزلت في يهود بني اسرائيل الذين كانوا حوالي مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم دعا يهود أهل المدينة الى الكلمة السواء وهم الذين حاجوا في ابراهيم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم دعا اليهود الى كلمة السواء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال بلغنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم دعا يهود أهل المدينة الى ذلك فأبوا عليه فجاهدهم قال دعاهم الى قول الله عز وجل قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الآية * وقال آخرون بل نزلت في الوفد من نصارى نجران ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الآية الى قوله فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون قال فدعاهم الى النصف وقطع عنهم الحجة يعني وفد نجران حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال ثم دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني الوفد من نصارى نجران فقال يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الآية

كالمتفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث (فمن حاجك) من النصارى (فيه) في عيسى وقيل في الحق (من بعد ما جاءك من العلم) من البينات الموجبة للعلم بان عيسى عبد الله ورسوله وذلك بطريق الوحي والتنزيل (فقل تعالوا) هلموا والمراد المجيء بالرأي والعزم كما تقول تعال نفكر في هذه المسئلة وهو في الاصل تفاعلوا من العلو وذلك ان بيوتهم كانت على أعالي الجبل فكانوا ينادون تعال يا فلان أي ارتفع الا أنه كثر حتى استعمل في كل مجيء فصار بمنزلة هلم (ندع أبناءنا وأبناءكم) أي يدع كل منا ومنكم أبناءه ونساءه ويأت هو بنفسه وبمن هو كنفسه الى المباهلة وانما يعلم اتيانه بنفسه من قرينة ذكر النفس ومن احضار من هم أعز من النفس ويعلم اتيان من هو بمنزلة النفس من قرينة أن الانسان لا يدعو نفسه (ثم نبتهل) (٣١٤) ثم نتباهل وقد يجيء افتعل بمعنى تفاعل نحو اختصم بمعنى تخاصم والتباهل أن يقول كل واحد منهما بهلة الله على الكاذب منا أي لعنته ويقال بهله الله أي لعنه وأبعده من رحمته ومنه قولهم أبهله اذا أهمله وناقة باهل لا صرار عليها بل هي مرسلة مخلاة فكل من شاء حلبها وأخذ لبنها لا قوة بها على الدفع عن نفسها فكأن المباهل يقول ان كان كذا فوكلني الله الى نفسي وفوضني الى حولي وقوتي وخلاني من كلاءته وحفظه هذا أصل الابتهال ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه وان لم يكن التعانا وهو المراد في الآية لئلا يلزم التكرار أي ثم نجتهد في الدعاء فنجعل اللعنة على الكاذب بان نسأل الله أن يلعنه وفي الآية دلالة على أن الحسن والحسين وهما ابنا البنت يصح أن يقال انهما ابنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم وعد أن يدعو أبناءه ثم جاء بهما وقد تمسك الشيعة قديما وحديثا بها في أن عليا أفضل من سائر الصحابة لأنها دلت على ان نفس علي مثل نفس محمد الا فيما خصه الدليل وكان في الري رجل يقال له محمود بن الحسن الحمصي وكان متكلم الاثنى عشرية يزعم أن عليا أفضل من سائر الانبياء سوى محمد قال وذلك أنه ليس المراد بقوله وأنفسنا نفس محمد لان الانسان لا يدعو نفسه فالمراد غيره وأجمعوا على أن ذلك الغير كان علي بن أبي طالب فاذا نفس علي هي نفس محمد لكن الاجماع دل على أن محمدا أفضل من سائر الانبياء فكذا علي عليه السلام قال ويؤكده ما رويه المخالف والموافق انه صلى الله عليه وسلم قال من أراد أن يرى آدم في علمه ونوحا في طاعته وابراهيم في خلته وموسى في قربته وعيسى في صفوته فلينظر الى علي بن أبي طالب عليه السلام فدل الحديث على أنه اجتمع فيه عليه السلام ما كان متفرقا فيهم وأجيب بأنه كما انعقد الاجماع بين المسلمين على أن محمدا أفضل من سائر الانبياء فكذا انعقد الاجماع بينهم قبل ظهور هذا الانسان على أن النبي أفضل ممن ليس بنبي وأجمعوا على أن عليا عليه السلام

حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنا ابن زيد قال قال يعني جل ثناؤه ان هذا لهو القصص الحق في عيسى على ما قد بيناه فيما مضى قال فأبوا يعني الوفد من نجران فقال ادعهم الى أيسر من هذا قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم فقرأ حتى بلغ أربابا من دون الله فأبوا أن يقبلوا هذا ولا الآخر * وانما قلنا عنى بقوله يا أهل الكتاب أهل الكتابين لانهما جميعا من أهل الكتاب ولم يخصص جل ثناؤه بقوله يا أهل الكتاب بعضا دون بعض فليس بأن يكون موجها ذلك الى أنه مقصود به أهل التوراة بأولى منه بان يكون موجها الى انه مقصود به أهل الانجيل ولا أهل الانجيل بأولى أن يكونوا مقصودين به دون غيرهم من أهل التوراة واذ لم يكن أحد الفريقين بذلك بأولى من الآخر لانه لا دلالة على أنه المخصوص بذلك من الآخر ولا أثر صحيح فالواجب أن يكون كل كتابي معنيا به لان إفراد العبادة لله وحده واخلاص التوحيد له واجب على كل مأمور ومنهي من خلق الله وأهل الكتاب يعم أهل التوراة وأهل الانجيل فكان معلوما بذلك أنه عني به الفريقان جميعا وأما تأويل قوله تعالوا فانه أقبلوا وهلموا وانما هو تفاعلوا من العلو فكأن القائل لصاحبه تعال الي (٣) فانه تفاعل من العلو كما يقال تدان مني من الدنو وتقارب مني من القرب وقوله الى كلمة سواء فانها الكلمة العدل والسواء من نعت الكلمة وقد اختلف أهل العربية في وجه اتباع سواء في الاعراب الكلمة وهو اسم لا صفة فقال بعض نحويي البصرة جر سواء لانها من صفة الكلمة وهي العدل وأراد مستوية قال ولو أراد استواء كان النصب وان شاء ان يجعلها على الاستواء ويجر جاز ويجعله من صفة الكلمة مثل الخلق لان الخلق هو المخلوق والخلق قد يكون صفة واسما ويجعل الاستواء مثل المستوي قال عز وجل الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد لان السواء للآخر وهو اسم ليس بصفة فيجري على الأول وذلك اذا أراد به الاستواء فان أراد به مستويا جاز أن يجري على الاول والرفع في ذا المعنى جيد لانها لا تغير عن حالها ولا تثنى ولا تجمع ولا تؤنث فأشبهت الاسماء التي هي مثل عدل ورضا وجنب وما أشبه ذلك وقالوا أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم فالسواء للمحيا والممات بهذا المبتدا وان شئت اجريته على الاول وجعلته صفة مقدمة كانها من سبب الاول فجرت عليه وذلك اذا جعلته في معنى مستوي والرفع وجه الكلام كما فسرت لك وقال بعض نحويي الكوفة سواء مصدر وضع موضع الفعل يعني موضع متساوية ومتساو فمرة يأتي على الفعل ومرة على المصدر وقد يقال في سواء بمعنى عدل سوى وسوى كما قال جل ثناؤه مكانا سوى وسوى يراد به عدل ونصف بيننا وبينك وقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقرأ ذلك الى كلمة عدل بيننا وبينكم وبمثل الذي قلنا في تأويل قوله الى كلمة سواء بيننا وبينكم

ما كان نبيا فعلم أن ظاهر الآية كما انه مخصوص فى حق محمد صلى الله عليه وسلم فكذا فى حق سائر الانبياء وأما فضل أصحاب الكساء فلا شك فى دلالة الآية على ذلك ولهذا ضمهم الى نفسه بل قدمهم فى الذكر وفيها أيضا دلالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فانه لولم يكن واثقا بصدقه لم يتجرأ على تعريض أعزته وخويصته وأفلاذ كبده فى معرض الابتهال ومظنة الاستئصال ولولا أن القوم عرفوا من التوراة والانجيل ما يدل على نبوته صلى الله عليه وسلم لما أحجموا عن مباهلته وأما قول المشركين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء فليس من قبيل المباهلة فان النبى صلى الله عليه وسلم لم يعرض نفسه لذلك ولم يكن ذلك القول فى معرض الاحتجاج والادعاء ولا باذن من الله تعالى لرسوله (ان هذا) الذى تلى عليك من نبإ عيسى (لهو القصص الحق وما من اله الا الله) وهو فى افادة معنى الاستغراق لزيادة من بمنزلة لا اله الا الله مبنيا على الفتح وفيه رد على النصارى فى تثليثهم (وان الله لهو العزيز الحكيم) فيه جواب عن شبهة النصارى أن عيسى يقدر على الاحياء ويخبر عن الغيوب فان هذا القدر من القدرة والعلم لا يكفى فى الالهية بل يجب ان يكون الاله غالبا لا يدفع ولا يمنع وهم يقولون انه قد قتل ولم يقدر على الدفع ويلزم ان يكون عالما بكل المعلومات وبعواقب الامور وعيسى لم يكن كذلك (فان تولوا) عما وصفت من التوحيد وأن الاله الخالق يجب أن يكون قادرا على المقدورات عالما بجميع المعلومات فاعلم ان اعراضهم ليس الا على سبيل العناد فاقطع كلامك معهم وفوض أمرهم الى الله فانه عليم بحال المفسدين فى الدين وبنياتهم وأغراضهم الفاسدة فيجازيهم باعمالهم الخبيثة ثم انه صلى الله عليه وسلم لما أورد على نصارى نجران من الدلائل ما انقطعوا معه ثم دعاهم الى المباهلة فانخزلوا ورضوا بالصغار وقبلوا الجزية أمره الله تعالى بنمط آخر من الكلام مبنى على الانصاف يشهد به كل طبع مستقيم وعقل سليم فقال قل يا أهل الكتاب يعنى نصارى نجران لان الآية من تمام قصتهم ولانه كلام منصف نخوطب بما يطيب به قلوبهم كما لو قيل لحامل القرآن يا حافظ كتاب الله وقيل المراد يهود المدينة وقيل اليهود والنصارى جميعا لان ظاهر اللفظ يتناولهما ولما روى أن اليهود قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ما تريد الا ان نتخذك ربا كما اتخذت النصارى عيسى وقالت النصارى يا محمد ما تريد الا ان نقول فيك ما قالت اليهود فى عزير فانزل الله تعالى هذه الآية والمراد من قوله تعالوا تعيين ما دعوا اليه والتوجه الى النظر فيه وان لم يكن انتقالا من مكان الى مكان والمعنى هلموا الى كلمة سواء فيها انصاف من بعضنا لبعض لا ميل فيه لاحد على صاحبه والسواء هو العدل والانصاف لان حقيقة الانصاف اعطاء النصف وفيه التسوية بين نفسه وبين صاحبه أو المراد الى كلمة سواء مستوية بيننا وبينكم لا يختلف

وبينكم بأن السواء هو العدل قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم عدل بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله الآية حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ عدله * وقال آخرون هو قول لا اله الا الله ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال قال أبو العالية كلمة السواء لا اله الا الله وأما قوله ألا نعبد الا الله فان أن فى موضع خفض على معنى تعالوا الى أن لا نعبد الا الله وقد بينا معنى العبادة فى كلام العرب فيما مضى ودللنا على الصحيح من معانيه بما أغنى عن اعادته وأما قوله ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا فان اتخاذ بعضهم بعضا ما كان بطاعة الأتباع الرؤساء فيما أمروهم به من معاصى الله وتركهم ما نهوهم عنه من طاعة الله كما قال جل ثناؤه اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله يقول لا يطع بعضنا بعضا فى معصية الله ويقال ان تلك الربوبية أن يطيع الناس سادتهم وقادتهم فى غير عبادة وان لم يصلوا لهم * وقال آخرون اتخاذ بعضهم بعضا أربابا سجود بعضهم لبعض ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا حفص بن عمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة فى قوله ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله قال سجود بعضهم لبعض وأما قوله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون فانه يعنى فان تولى الذين تدعوهم الى الكلمة السواء عنها وكفروا فقولوا أنتم أيها المؤمنون لهم اشهدوا علينا بأنا بما توليتم عنه من توحيد الله واخلاص العبودية له وأنه الاله الذى لا شريك له مسلمون يعنى خاضعون لله به متذللون له بالاقرار بذلك بقلوبنا وألسنتنا وقد بينا معنى الاسلام فيما مضى ودللنا عليه بما أغنى عن اعادته ۞ القول فى تأويل قوله (يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون) قال أبو جعفر يعنى تعالى ذكره بقوله يا أهل الكتاب يا أهل التوراة والانجيل لم تحاجون لم تجادلون فى ابراهيم وتخاصمون فيه يعنى فى ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه وكان حجاجهم فيه ادعاء كل فريق من أهل هذين الكتابين أنه كان منهم وأنه كان يدين دين أهل نحلته فعابهم الله عز وجل بادعائهم ذلك ودل على مناقضتهم ودعواهم فقال وكيف تدعون أنه كان على ملتكم ودينكم ودينكم إما يهودية أو نصرانية واليهودى منكم يزعم أن دينه اقامة التوراة والعمل بما فيها والنصرانى منكم يزعم أن دينه اقامة الانجيل وما فيه وهذان كتابان

فيها القرآن والتوراة والانجيل وتفسير الكلمة بقوله أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فمحل أن لا نعبد خفض على البدل من كلمة أو رفع على الخبر أى هى أن لا نعبد وهو خبر فى معنى الامر أى اعبدوا وانما ذكر أمورا ثلاثة لان النصارى جمعوا بين الثلاثة فعبدوا غير الله وهو المسيح وأشركوا به غيره لانهم أثبتوا أقانيم ثلاثة أبا وابنا وروح القدس ثم قالوا ان أقنوم الكلمة تدرعت بناسوت المسيح وأقنوم روح القدس تدرعت بناسوت مريم ولولا كون هذين الاقنومين ذاتين مستقلتين لما جاز عليهما مفارقة ذات الاب والتدرع بناسوت عيسى ومريم وحيث أثبتوا ثلاثة ذوات مستقلة فقد أشركوا ثم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا لانهم أطاعوهم فى التحليل والتحريم من تلقاء أنفسهم من غير شريعة و بيان ولانهم يسجدون لهم و يطيعونهم فى المعاصى وهوى النفس ورؤية الامور من الوسائط أفرأيت من اتخذ الهه هواه ولان من مذهبهم أن الكامل فى الرياضة يظهر فيه أثر اللاهوت ويحل فيه فيقدر على احياء الموتى وابراء الاكمه والأبرص فهم وان لم يطلقوا عليهم اسم الرب الا أنهم أثبتوا فى حقهم معنى الربوبية فثبت أن النصارى جمعوا بين الامور الثلاثة و بطلانها كالأمر المتفق عليه بين العقلاء فان قيل المسيح ما كان المعبود الا الله فوجب أن يبقى الامر بعد ظهور المسيح عليه والقول بالاشتراك أيضا ضائع واذا لم يكن الحكم الا لله وجب أن لا يرجع فى التحليل والتحريم والانقياد والائتمار الا اليه عن عدى بن حاتم ما كنا نعبدهم يارسول الله قال صلى الله عليه وسلم أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال صلى الله عليه وسلم هو ذاك وعن الفضيل لا أبالى أطعت مخلوقا فى معصية الخالق أو صليت لغير القبلة (فان تولوا) عن التوحيد (فقولوا) أيها المسلمون لاهل الكتاب (اشهدوا بانا مسلمون) دونكم كما يقول الغالب لمغاوبه فى جدال أو صراع لزمتك الحجة فاعترف بانى أنا الغالب أو يكون من باب التعريض ومعناه فاعترفوا بانكم كافرون حيث أعرضتم عن الحق بعد ما تبين ثم ان اليهود كانوا يقولون ان ابراهيم على ديننا وكذا النصارى فابطل الله تعالى ذلك أن التوراة والانجيل ما أنزلا الا من بعده فبين ابراهيم وموسى ألف سنة و بينه و بين عيسى ألفان فكيف يعقل أن يكون يهوديا أو نصرانيا لا يقال هذا أيضا لازم عليكم لانكم تدعون أن ابراهيم كان على دين الاسلام والاسلام انما أنزل بعده بزمان أطول مما بينه و بين انزال التوراة والانجيل لانا نقول القرآن أخبر بان ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا وانما كان حنيفا مسلما وليس فى الكتابين أنه كان يهوديا أو نصرانيا فظهر الفرق

فيما

لم ينزلا الا بعد حين من مهلك ابراهيم ووفاته فكيف يكون منكم فما وجه اختصامكم فيه وادعائكم انه منكم والامر فيه على ما قد علمتم وقيل نزلت هذه الآية فى اختصام اليهود والنصارى فى ابراهيم وادعاء كل فريق منهم أنه كان منهم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنى محمد بن اسحق وحدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال ثنى سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال اجتمعت نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنازعوا عنده فقالت الاحبار ما كان ابراهيم الا يهوديا وقالت النصارى ما كان ابراهيم الا نصرانيا فانزل الله عزوجل فيهم يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون قالت النصارى كان نصرانيا وقالت اليهود كان يهوديا فاخبرهم الله أن التوراة والانجيل ما أنزلا الا من بعده و بعده كانت اليهودية والنصرانية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم يقول لم تحاجون فى ابراهيم وتزعمون أنه كان يهوديا أو نصرانيا وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده فكانت اليهودية بعد التوراة وكانت النصرانية بعد الانجيل أفلا تعقلون * وقال آخرون بل نزلت هذه الآية فى دعوى اليهود ابراهيم أنه منهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم دعا يهود أهل المدينة الى كلمة السواء وهم الذين حاجوا فى ابراهيم وزعموا أنه مات يهوديا فاكذبهم الله عزوجل ونفاهم منه فقال يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عزوجل يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم قال اليهود والنصارى برأه الله عزوجل منهم حين ادعى كل أمة أنه منهم وألحق به المؤمنين من كان من أهل الحنيفية حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله وأما قوله أفلا تعقلون فانه يعنى أفلا تعقلون تفقهون خطأ قيلكم ان ابراهيم كان يهوديا أو نصرانيا وقد علمتم أن اليهودية والنصرانية حدثت من بعد مهلكه بحين ۞ القول فى تأويل قوله (ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) يعنى بذلك جل ثناؤه ها أنتم هؤلاء القوم الذين خاصمتم وجادلتم فيما لكم به علم من أمر دينكم الذى وجدتموه فى كتبكم وأتتكم به رسل الله من عنده ومن غير ذلك مما أوتيتموه وثبتت عندكم صحته فلم تحاجون يقول فلم تجادلون وتخاصمون

وأيضا المسيح ما كان موجودا في زمان ابراهيم حتى يعبد وعبادة المسيح هي النصرانية عندكم وأيضا لا نسخ في دين اليهود والنسخ جائز في ملة ابراهيم (هاأنتم هؤلاء) ها حرف التنبيه وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة مستأنفة مبينة للاولى يعني أنتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم حاججتم فيما لكم به علم مما نطق به التوراة والانجيل من نعت محمد صلى الله عليه وسلم أوليس المراد وصفهم بالعلم حقيقة وانما أراد هب أنكم تحاجون فيما تدعون علمه فكيف تحاجون فيما لا علم لكم به البتة ولا ذكر له في كتابكم وعن الأخفش ها أنتم أصله أأنتم على الاستفهام فقلبت الهمزة هاء ومعنى الاستفهام التعجب من جهالتهم ثم حقق ذلك بقوله (والله يعلم) كيف كان حال هذه الشرائع في الموافقة والمخالفة (وأنتم لا تعلمون) ثم بين ذلك مفصلا فقال (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان (٣١٧) حنيفا مسلما وما كان من المشركين) كأنه لم يكن يهوديا ولا نصرانيا أو عرض بالمشركين عن اليهود والنصارى لاشراكهم بالله عزيرا والمسيح فان قيل قولكم ابراهيم على دين الاسلام ان أردتم به الموافقة في الاصول فليس هذا مختصا بدين الاسلام وان أردتم به الموافقة في الفروع لزم أن لا يكون محمد صاحب شريعة بل كان مقررا لشرع من قبله قلنا نختار الاول والاختصاص ثابت فان اليهود والنصارى مخالفون للاصول في زماننا لقولهم بالتثليث واشراك عزير والمسيح بالله الى غير ذلك من قبائح أفعالهم أو الثاني ولا يلزم ما ذكرتم لجواز أنه تعالى نسخ تلك الفروع بشرع موسى ثم في زمان محمد نسخ شرع موسى بتلك الشريعة التي كانت ثابتة في زمان ابراهيم فيكون محمد صاحب الشريعة مع

موافقة شرعه شرع ابراهيم في معظم الفروع روى الواحدي عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لما هاجر جعفر بن أبي طالب وأصحابه الى الحبشة واستقرت بهم الدار وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكان من أمر بدر ما كان اجتمعت قريش في دار الندوة وقالوا ان لنا في الذين عند النجاشي من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثأرا ممن قتل منكم ببدر فاجمعوا مالا وأهدوه الى النجاشي لعله يدفع اليكم من عنده من قومكم ولينتدب لذلك رجلان من ذوي آرائكم فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن أبي معيط مع هدايا الادم وغيره فركبا البحر وأتيا الحبشة فلما دخلا على النجاشي سجدا له وسلما عليه وقالا له ان قومنا لك ناصحون شاكرون ولصلاحك محبون وانهم بعثونا اليك لنحذرك هؤلاء القوم الذين قدموا عليك لأنهم قوم رجل كذاب خرج فينا يزعم أنه رسول الله ولم يتابعه أحد منا الا السفهاء وانا كنا ضيقنا عليهم الامر وألجأناهم الى شعب بأرضنا لا يدخل أحد منا عليهم ولا يخرج منهم

فيما ليس لكم به علم يعني في الذي لا علم لكم به من أمر ابراهيم ودينه ولم تجدوه في كتب الله ولا أتتكم به أنبياؤكم ولا شاهدتموه فتعلموه كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم أما الذي لهم به علم فما حرم عليهم وما أمروا به وأما الذي ليس لهم به علم فشأن ابراهيم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم يقول فيما شهدتم ورأيتم وعاينتم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم فيما لم تشاهدوا ولم تروا ولم تعاينوا والله يعلم وأنتم لا تعلمون حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله وقوله والله يعلم وأنتم لا تعلمون يقول والله يعلم ما غاب عنكم فلم تشاهدوه ولم تروه ولم تأتكم به رسله من أمر ابراهيم وغيره من الامور ومما تجادلون فيه لانه لا يغيب عنه شئ ولا يعزب عنه علم شئ في السموات ولا في الارض وأنتم لا تعلمون من ذلك الا ما عاينتم فشاهدتم أو أدركتم علمه بالاخبار والسماع

۞ القول في تأويل قوله عز وجل (ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين) وهذا تكذيب من الله عز وجل دعوى الذين جادلوا في ابراهيم وملته من اليهود والنصارى وادعوا انه كان على ملتهم وتبرئة لهم منه وأنهم لدينه مخالفون وقضاء منه عز وجل لاهل الاسلام ولامة محمد صلى الله عليه وسلم أنهم هم أهل دينه وعلى منهاجه وشرائعه دون سائر أهل الملل والاديان غيرهم يقول الله عز وجل ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين الذين يعبدون الاصنام والاوثان أو مخلوقا دون خالقه الذي هو اله الخلق وبارئهم ولكن كان حنيفا يعني متبعا أمر الله وطاعته مستقيما على محجة الهدى التي أمر بلزومها مسلما يعني خاشعا لله بقلبه متذللا له بجوارحه مذعنا لما فرض عليه وألزمه من أحكامه وقد بينا اختلاف أهل التأويل في معنى الحنيف فيما مضى ودللنا على القول الذي هو أولى بالصحة من أقوالهم بما أغنى عن اعادته وبنحو ما قلنا في ذلك من التأويل قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني اسحق بن شاهين الواسطي قال ثنا خالد بن عبد الله عن داود عن عامر قال قالت اليهود ابراهيم على ديننا وقالت النصارى هو على ديننا فأنزل الله عز وجل ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا الآية فأكذبهم الله وأدحض حجتهم يعني اليهود الذين ادعوا أن ابراهيم مات يهوديا حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يعقوب بن عبد الرحمن الزهري عن موسى بن عقبة عن سالم بن عبد الله لا أراه الا يحدثه عن أبيه أن زيد بن عمرو ابن نفيل خرج الى الشام يسأل عن الدين ويتبعه فلقي عالما من اليهود فسأله عن دينه وقال اني لعلي أن أدين

دينكم فأخبرنى عن دينكم فقال له اليهودى انك لن تكون على ديننا حتى تاخذ بنصيبك من غضب الله قال زيد ما أفر الا من غضب الله ولا أحمل من غضب الله شيأ أبدا وأنا لا أستطيع فهل تدلنى على دين ليس فيه هذا قال ما أعلمه الا أن تكون حنيفا قال وما الحنيف قال دين ابراهيم لم يك يهوديا ولا نصرانيا وكان لا يعبد الا الله نخرج من عنده فلقى عالما من النصارى فسأله عن دينه فقال انى لعلى أن أدين دينكم فأخبرنى عن دينكم قال انك لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله قال لا أحتمل من لعنة الله شيأ ولا من غضب الله شيأ أبدا وأنا لا أستطيع فهل تدلنى على دين ليس فيه هذا فقال له نحوا مما قاله اليهودى لا أعلمه الا أن تكون حنيفا نخرج من عنده وقد رضى الذى أخبراه والذى اتفقا عليه من شأن ابراهيم فلم يزل رافعا يديه الى الله وقال اللهم انى أشهدك أنى على دين ابراهيم ❁ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولىّ المؤمنين) يعنى جل ثناؤه بقوله ان أولى الناس بابراهيم ان أحق الناس بابراهيم ونصرته وولايته للذين اتبعوه يعنى الذين سلكوا طريقه ومنهاجه فوحدوا الله مخلصين له الدين وسنوا سننه وشرعوا شرائعه وكانوا لله حنفاء مسلمين غير مشركين به وهذا النبى يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا يعنى والذين صدقوا محمدا وبما جاءهم به من عند الله والله ولى المؤمنين يقول والله ناصر المؤمنين بمحمد المصدقين له فى نبوته وفيما جاءهم به من عنده على من خالفهم من أهل الملل والاديان وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه يقول الذين اتبعوه على ملته وسنته ومنهاجه وفطرته وهذا النبى وهو نبى الله محمد والذين آمنوا معه وهم المؤمنون الذين صدقوا نبى الله واتبعوه كان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين معه من المؤمنين أولى الناس بابراهيم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثنا محمد بن المثنى وجابر بن الكردى والحسن بن أبى يحيى المقدسى قالوا ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن أبيه عن أبى الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبى ولاة من النبيين وان وليى منهم أبى وخليل ربى ثم قرأ ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو نعيم الفضل بن دكين قال ثنا سفيان عن أبيه عن أبى الضحى عن عبد الله أراه قال عن النبى صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على عن ابن عباس يقول الله سبحانه ان أولى الناس بابراهيم

أحد قد قتلهم الجوع والعطش فلما اشتد عليهم الامر بعث اليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك ورعيتك وقد جئتك فاحذرهم وادفعهم الينا لنكفيكهم قالوا وآية ذلك انهم اذا دخلوا عليك لا يسجدون لك ولا يحيونك بالتحية التى يحييك بها الناس رغبة عن دينك وسنتك قال فدعاهم النجاشى فلما حضروا صاح جعفر بالباب يستأذن عليك حزب الله فقال النجاشى مروا هذا الصائح فليعد كلامه ففعل جعفر فقال النجاشى نعم فليدخلوا بامان الله وذمته فنظر عمرو بن العاص الى صاحبه فقال ألا تسمع كيف يرطنون بحزب الله وما أجابهم به النجاشى فساءهما ذلك ثم دخلوا عليه ولم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص ألا ترى أنهم يستكبرون أن يسجدوا لك فقال لهم النجاشى ما منعكم أن تسجدوا لى وتحيونى بالتحية التى يحيى بها من أتانى من الآفاق قالوا نسجد لله الذى خلقك وملكك وانما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الاوثان فبعث الله فينا نبيا صادقا وأمرنا بالتحية التى رضيها الله لنا وهى السلام تحية أهل الجنة فعرف النجاشى أن ذلك حق وأنه فى التوراة والانجيل قال أيكم الهاتف يستأذن عليك حزب الله قال جعفر أنا قال فتكلم قال انك ملك من ملوك أهل الارض ومن أهل الكتاب ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم وأنا أحب أن أجيب عن أصحابى فمر هذين الرجلين فليتكلم أحدهما ولينصت الآخر فتسمع محاورتنا فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشى سل هذا الرجل أعبيد نحن أم أحرار فان كنا عبيدا أبقنا من أربابنا فارددنا اليهم فقال النجاشى أعبيد هم أم أحرار فقال بل أحرار كرام فقال النجاشى نجوا من العبودية قال جعفر للنجاشى سلهما هل أهرقنا دما بغير حق فيقتص منا فقال عمرو لا ولا قطرة قال جعفر سلهما هل أخذنا أموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها قال النجاشى للذين يا عمرو ان كان قنطارا فعلىّ قضاؤه فقال عمرو لا ولا قيراط قال النجاشى فما تطلبون منهم قال عمرو كنا وهم على دين واحد وأمر واحد على دين آبائنا فتركوا ذلك الدين واتبعوا غيره ولزمناه نحن فبعثنا اليك قومهم لتدفعهم الينا فقال النجاشى ما هذا الدين الذى كنتم عليه والدين الذى اتبعوه أصدقنى قال جعفر أما الدين الذى كنا عليه فتركناه فهو دين الشيطان وأمره كنا نكفر بالله عز وجل ونعبد الحجارة وأما الدين الذى تحولنا اليه فدين الاسلام جاءنا به من الله رسول وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافقا له فقال النجاشى يا جعفر تكلمت بأمر عظيم فعلى رسلك ثم أمر النجاشى فضرب بالناقوس فاجتمع اليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده قال النجاشى أنشدكم بالله الذى أنزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيامة نبيا مرسلا فقالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى وقال من آمن به فقد آمن بى ومن كفر به فقد كفر بى فقال

النجاشي لجعفر ماذا يقول لكم هذا الرجل وما يأمركم به وما ينهاكم عنه قال يقرأ علينا كتاب الله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويأمر بحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم ويأمرنا أن نعبد الله وحده لا شريك له فقال اقرأ علي شيأ مما يقرأ عليكم فقرأ عليهم سورة العنكبوت والروم ففاضت أعين النجاشي وأصحابه من الدموع وقالوا يا جعفر زدنا من هذا الحديث الطيب فقرأ عليهم سورة الكهف فأراد عمرو أن يغضب النجاشي فقال انهم يشتمون عيسى وأمه فقال النجاشي ما تقولون في عيسى وأمه فقرأ عليهم جعفر سورة مريم فلما أتى على ذكر مريم وعيسى رفع النجاشي نفثة من سواكه قدر ما يقذي العين وقال والله ما زاد المسيح على ما يقولون هذا ثم أقبل على جعفر وأصحابه فقال اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي يقول آمنون من سبكم أو آذاكم ثم قال أبشروا ولا تخافوا فلا دهورة أي لا خوف اليوم على حزب ابراهيم قال عمرو يا نجاشي ومن حزب ابراهيم قال هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاؤا من عنده ومن اتبعهم فأنكر ذلك المشركون وادعوا أنهم في دين ابراهيم ثم رد النجاشي على عمرو وأصحابه المال الذي حملوه وقال انما هديتكم الي رشوة فاقبضوها فان الله ملكني ولم يأخذ مني رشوة قال جعفر وانصرفنا فكنا في خير دار وأكرم جوار وأنزل الله عز وجل ذلك اليوم في خصومتهم في ابراهيم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة قوله (ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه) على ملته وسنته في زمانه (وهذا النبي) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (والذين آمنوا) في آخر الزمان (والله ولي المؤمنين) بالنصرة والتأييد والتوفيق والتسديد ومعنى أولى الناس أخصهم به وأقربهم منه من الولي القرب وقرئ وهذا النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي ولاة من النبيين وان وليي منهم أبي وخليل ربي ابراهيم ثم قرأ ان أولى الناس الآية ثم بين أنهم لا يقتصرون على هذا القدر بل يجتهدون في اضلال المؤمنين بالقاء الشبهات وابداء المكايد كما أرادوا بحذيفة وعمار ومعاذ بن جبل وقد ذكرناه في سورة البقرة (وما يضلون الا أنفسهم) لان وبال الاضلال يعود عليهم فيضاعف لهم العذاب بالضلال والاضلال أو وما يقدرون على اضلال المؤمنين وانما يضلون أمثالهم من أشياعهم (وما يشعرون) أن هذا يضرهم ولا يضر المؤمنين ثم وبخهم على قبائح أفعالهم بطريق الاستفهام فقال (لم تكفرون بآيات الله) قيل أي بالتوراة والانجيل لما فيهما من البشارة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأن ابراهيم كان حنيفا مسلما وأن الدين عند الله الاسلام ومعنى الكفر بالتوراة والانجيل اما الكفر بما يدل عليه فيكون قد أطلق اسم الدليل على المدلول أو الكفر بنفس التوراة والانجيل لانهم كانوا يحرفونهما

للذين اتبعوه وهم المؤمنون ﷺ القول في تأويل قوله (ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا أنفسهم وما يشعرون) يعني بقوله جل ثناؤه ودت تمنت طائفة يعني جماعة من أهل الكتاب وهم أهل التوراة من اليهود وأهل الانجيل من النصارى لو يضلونكم يقول لو يصدونكم أيها المؤمنون عن الاسلام ويردونكم عنه الى ما هم عليه من الكفر فيهلكونكم بذلك والاضلال في هذا الموضع الاهلاك من قول الله عز وجل وقالوا أئذا ضللنا في الارض أئنا لفي خلق جديد يعني اذا هلكنا ومنه قول الاخطل في هجاء جرير

كنت القذى في موج أكدر مزبد * قذف الأتي به فضل ضلالا

يعني هلك هلاكا وقول نابغة بني ذبيان

فآب مضلوه بعين جلية * وغودر بالجولان حزم ونائل

يعني مهلكوه وما يضلون الا أنفسهم وما يهلكون بما يفعلون من محاولتهم صدكم عن دينكم أحدا غير أنفسهم يعني بأنفسهم أتباعهم وأشياعهم على ملتهم وأديانهم وانما أهلكوا أنفسهم وأتباعهم بما حاولوا من ذلك لاستيجابهم من الله بفعلهم ذلك سخطه واستحقاقهم به غضبه ولعنته لكفرهم بالله ونقضهم الميثاق الذي أخذ الله عليهم في كتابهم في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وتصديقه والاقرار بنبوته ثم أخبر جل ثناؤه عنهم أنهم يفعلون ما يفعلون من محاولة صد المؤمنين عن الهدى الى الضلالة والردى على جهل منهم بما الله بهم محل من عقوبته ومدخر لهم من أليم عذابه فقال تعالى ذكره وما يشعرون أنهم لا يضلون الا أنفسهم بمحاولتهم اضلالكم أيها المؤمنون ومعنى قوله وما يشعرون وما يدرون ولا يعلمون وقد بينا تأويل ذلك بشواهده في غير هذا الموضع فأغنى ذلك عن اعادته ﷺ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون) يعني بذلك جل ثناؤه يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى لم تكفرون يقول لم تجحدون بآيات الله يعني بما في كتاب الله الذي أنزله اليكم على ألسن أنبيائكم من آيه وأدلته وأنتم تشهدون أنه حق من عند ربكم وانما هذا من الله عز وجل توبيخ لاهل الكتابين على كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وجحودهم نبوته وهم يجدونه في كتبهم مع شهادتهم أن ما في كتبهم حق وأنه من عند الله كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون يقول تشهدون أن نعت محمد نبي الله صلى الله عليه وسلم في كتابكم ثم تكفرون به وتنكرونه ولا تؤمنون به وأنتم تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة والانجيل النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون يقول تشهدون أن نعت محمد في

وينكرون وجود تلك الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى وأنتم تشهدون أنهم عند حضور المسلمين وعند حضور عوامهم كانوا ينكرون اشتمال التوراة والانجيل على نعت محمد صلى الله عليه وسلم واذا خلا بعضهم الى بعض شهدوا بصحتها وعلى هذا فيكون في الآية اخبار عن الغيب فيكون معجزا وقيل آيات الله هي القرآن وشهادتهم أنهم يعرفون في قلوبهم أنه حق وقيل آيات الله جملة المعجزات التي ظهرت على يد النبي صلى الله عليه وسلم فمعنى تشهدون أنكم تعترفون بدلالة المعجزة على صدق المدعي ثم لما وبخهم على الغواية أردفه التوبيخ بالاغواء وهو اما بالقاء الشبهات في الدين وهو معنى لبسهم الحق بالباطل واما باخفاء الدلائل وهو كتمانهم الحق عن الحسن وابن زيد حرفوا التوراة فخلطوا المنزل بالمحرف وعن

ابن عباس أظهروا الاسلام في أول النهار ثم رجعوا عنه في آخره تشكيكا للناس قيل ان في الكتاب بن مايدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والبشارة به وفيهما ما يوهم خلاف ذلك فيكون كالمحكم والمتشابه في القرآن فلبسوا على الضعفاء أحد الأمرين بالآخر كما يفعل كثير من المشبهة وهذا قول القاضي وقيل كانوا يقولون ان محمدا صلى الله عليه وسلم معترف بان شرع موسى حق ثم ان التوراة دلت على أنه لا ينسخ وكل ذلك القاء الشبهات وأما كتمان الحق فهو أن الآيات الدالة في التوراة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كان الاستدلال بها مفتقرا الى التدبر والتأمل والقوم كانوا يجتهدون في اخفاء تلك الالفاظ التي بمجموعها يتم الاستدلال كما يفعل المبتدعة في زماننا (وأنتم تعلمون) أنكم انما تفعلون ذلك عنادا وحسدا أو تعلمون أنكم من أهل المعرفة أو تعلمون حقيقتها أو أن عقاب من يفعل هذه الافعال عظيم الله حسبي ﴿وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا مادمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون بلى من أوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ما كان لبشر أن يؤتيه الله

كتابكم ثم تكفرون به ولا تؤمنون به وأنتم تجدونه عندكم في التوراة والانجيل النبي الامي حدثني محمد قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون آيات الله محمد وأما تشهدون فيشهدون أنه الحق يجدونه مكتوبا عندهم حدثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قوله يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون أن الدين عند الله الاسلام ليس لله دين غيره ❁ القول في تأويل قوله (يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل) يعني بذلك جل ثناؤه يا أهل التوراة والانجيل لم تلبسون يقول لم تخلطون الحق بالباطل وكان خلطهم الحق بالباطل اظهارهم بألسنتهم من التصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله غير الذي في قلوبهم من اليهودية والنصرانية كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال عبد الله بن الصيف وعدي بن زيد والحرث بن عوف بعضهم لبعض تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوة ونكفر به عشية حتى نلبس عليهم دينهم لعلهم يصنعون كما نصنع فيرجعوا عن دينهم فأنزل الله عز وجل فيهم يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل الى قوله والله واسع عليم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل يقول لم تلبسون اليهودية والنصرانية بالاسلام وقد علمتم أن دين الله الذي لا يقبل غيره الاسلام ولا يجزي الا به حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بمثله الا أنه قال الذي لا يقبل من أحد غيره الاسلام ولم يقبل ولا يجزي الا به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل الاسلام باليهودية والنصرانية ❁ وقال آخرون في ذلك بما حدثني به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله عز وجل لم تلبسون الحق بالباطل قال الحق التوراة التي أنزل الله على موسى والباطل الذي كتبوه بأيديهم ❁ قال أبو جعفر وقد بينا معنى اللبس فيما مضى بما أغنى عن اعادته ❁ القول في تأويل قوله (وتكتمون الحق وأنتم تعلمون) يعني بذلك جل ثناؤه ولم تكتمون يا أهل الكتاب الحق والحق الذي كتموه ما في كتبهم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم ومبعثه ونبوته كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وتكتمون الحق وأنتم تعلمون كتموا شأن محمد وهم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله وتكتمون الحق وأنتم تعلمون يقول يكتمون شأن محمد صلى الله عليه وسلم وهم

يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج تكتمون الحق الاسلام وأمر محمد صلى الله عليه وسلم وأنتم تعلمون أن محمدا رسول الله وأن الدين الاسلام وأماقوله وأنتم تعلمون فانه يعنى به وأنتم تعلمون أن الذى تكتمونه من الحق حق وأنه من عند الله وهذا القول من الله عز وجل خبر عن تعمد أهل الكتاب الكفر به وكتمانهم ماقد علموا من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ووجدوه فى كتبهم وجاءتهم به أنبياؤهم ﴿ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون) اختلف أهل التأويل فى صفة المعنى الذى أمرت به هذه الطائفة من أمرت به من الايمان وجه النهار والكفر آخره فقال بعضهم كان ذلك أمرا منهم اياهم بتصديق النبى صلى الله عليه وسلم فى نبوته وما جاء به من عند الله وأنه حق فى الظاهر من غير تصديقه فى ذلك بالعزم واعتقاد القلوب على ذلك وبالكفر به وجحود ذلك كله فى آخره ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره فقال بعضهم لبعض أعطوهم الرضا بدينهم أول النهار واكفروا آخره فانه أجدر أن يصدقوكم ويعلموا أنكم قد رأيتم فيهم ما تكرهون وهو أجدر أن يرجعوا عن دينهم حدثنى المثنى قال ثنا معلى بن أسد قال ثنا خالد عن حصين عن أبى مالك فى قوله آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره قال قالت اليهود آمنوا معهم أول النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون معكم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون كان أحبار قرى عرينة اثنى عشر حبرا فقالوا لبعضهم ادخلوا فى دين محمد أول النهار وقولوا نشهد أن محمدا حق صادق فاذا كان آخر النهار فاكفروا وقولوا انا رجعنا الى علمائنا وأحبارنا فسألناهم فحدثونا أن محمدا كاذب وأنكم لستم على شئ وقد رجعنا الى ديننا فهو أعجب الينا من دينكم لعلهم يشكون يقولون هؤلاء كانوا معنا أول النهار فما بالهم فأخبر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن حصين عن أبى مالك الغفارى قال قالت اليهود بعضهم لبعض أسلموا أول النهار وارتدوا آخره لعلهم يرجعون فاطلع الله على سرهم فأنزل الله عز وجل وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون * وقال آخرون بل الذى أمرت به من الايمان الصلاة وحضورها معهم أول النهار وترك ذلك آخره ذكر

الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون) ﴿ القراآت آن يؤتى بهمزتين وتليين الثانية ابن كثير الباقون بهمزة واحدة يؤده ولا يؤده ابن كثير ونافع غير قالون وابن عامر وعلى وخلف وحفص والمفضل وعباس وسهل وزيد عن يعقوب وقرأه أبو جعفر وقالون ويعقوب غير زيد وأبو عمرو فى رواية الزيدى طريق أبى أيوب الهاشمى بالاختلاس الباقون ساكنة الهاء تعلمون بالتشديد عاصم وعلى وحمزة وخلف وابن عامر فحذف المفعول الاول للعلم به وهو الناس الباقون تعلمون بالتخفيف من العلم ولا يأمركم بالرفع ابن كثير وأبو جعفر ونافع وأبو عمرو وعلى والاعشى والبرجمى وأبو زيد غير المفضل وقرأ أبو عمرو بالاختلاس الباقون بالنصب ﴿ الوقوف يرجعون ج للعطف دينكم ط هدى الله (لا) لأن التقدير ولا تصدقوا بان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم الا لمن تبع دينكم وقوله قل مع مقوله معترض ومن قرأ آن يؤتى مستفهما وقف عليها عند ربكم ط بيد الله ج ط لان يؤتيه لا يتعلق بما قبله مع ان ضمير فاعله عائد الى الله من يشاء ط عليم ٥ ط ج لاحتمال الاستئناف والصفة من يشاء ط العظيم ٥ اليك الاولى ج لتضاد الجملتين معنى مع اتفاقهما لفظا قائما ط سبيل ج لان الواو للاستئناف مع اتساق معنى الكلام يعلمون ٥ للمتقين ٥ يزكيهم ص أليم ٥ وما هو من الكتاب ج لعطف المتفقتين مع وقوع العارض وما هو من عند الله ج يعلمون ٥ تدرسون ٥ لا لمن قرأ ويأمركم بالنصب عطفا على أن يؤتيه أربابا ط مسلمون ٥ ﴿ التفسير هذا نوع آخر من تلبيساتهم وقوله بالذى أنزل يحتمل أن يراد كل ما أنزل الله عليهم ويحتمل أن يراد بعض ما أنزل أما الاحتمال الاول فقول الحسن والسدى تواطأ اثنا عشر حبرا من يهود خيبر وقرى عرينة وقال بعضهم لبعض ادخلوا فى دين محمد باللسان دون الاعتقاد (وجه النهار) أى أوله والوجه فى اللغة مستقبل كل شئ ومنه وجه الثوب لأول ما يبدو ومنه روى ثعلب عن ابن الاعرابى أتيته بوجه نهار وصدر نهار وشباب نهار وأنشد الربيع بن زياد من كان مسرورا بمقتل مالك * فليأت نسوتنا بوجه نهار يجد النساء حواسرا يندبنه * قد قمن قبل تبلج الاسحار وذلك أنه كان من عادتهم أن لا يظهروا الجزع على المقتول الى أن يدركوا الثار فعنى البيت من كان مسرورا فليأت تشفى الغيظ وادراك الثار قبل أن يمضى على المقتول تمام يوم وليلة واكفروا به آخر النهار وقولوا انا نظرنا فى كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك فان أصحابه متى شاهدوا هذا غلب على

ظنونهم أن هذا التكذيب ليس لاجل الحسد والعناد والا لما آمنوا به فى أول الامر وانما ذلك لاجل انهم أهل كتاب وقد تفكروا فى أمره وفى دلائل نبوته فلاح لهم بعد التأمل التام والبحث الشافى أنه كذاب فيكون فى هذا الطريق تشكيك لضعفة المسلمين فربما يرجعون عن دينهم وقال أبو مسلم معنى وجه النهار وآخره أن رؤساء اليهود والنصارى قال بعضهم لبعض نافقوا وأظهروا الوفاق للمؤمنين ولكن بشرط أن تثبتوا على دينكم اذا خلوتم باخوانكم من أهل الكتاب فان أمر هؤلاء فى اضطراب فزجوا الايام معهم بالنفاق فربما ضعف أمرهم واضمحل دينهم فيرجعوا الى دينكم فتكون هذه الآية كقوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقال الأصم معناه تفريق أحكام الاسلام (٢٣٣) الى قسمين وذلك أنه قال بعضهم لبعض ان كذبتموه فى جميع ما جاء به علم عوامكم كذبكم لان كثيرا مما جاء به حق ولكن صدقوه فى بعض وكذبوه فى بعض ليحملوا كلامكم على الانصاف فيقبلوا قولكم ويرجعوا عن دين الاسلام والرغبة فيه وأما الاحتمال الثانى فقول من قال انها نزلت فى شأن القبلة ثم اختلفوا فعن ابن عباس وجه النهار أوله وهو صلاة الصبح وآخره صلاة الظهر وتقريره أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى الى بيت المقدس ففرح اليهود بذلك فلما حوله الله الى الكعبة عند صلاة الظهر قال كعب بن الأشرف وغيره آمنوا بالقبلة التى صلى اليها صلاة الصبح فهى الحق وقال مجاهد ومقاتل والكلبى لما صرفت الى الكعبة شق ذلك على اليهود لمخالفتهم فقالوا آمنوا بالذى أنزل على محمد من أمر الكعبة وصلوا اليها من أول النهار ثم اكفروا بالكعبة آخر النهار وارجعوا الى قبلتكم الصخرة لعلهم يقولون هؤلاء أهل كتاب وهم أعلم منا فربما يرجعون الى قبلتنا فحذر الله نبيه الحسين مكر هؤلاء وأطلعه على سرهم كيلا تؤثر الحيلة فى قلوب ضعفاء المؤمنين ولأن القوم لما افتضحوا فى هذه الحيلة لم يقدموا على أمثالها من الحيل ويصير ذلك وازعا لهم وفيه أيضا انه اخبار عن الغيب فيكون معجزا ثم قال تعالى (ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم) اتفق المفسرون على أنه من بقية حكاية كلام أهل الكتاب واتفقوا على ان قوله قل ان الهدى هدى الله وكذا قوله قل ان الفضل بيد الله الى آخرها كلام الله الا أنهم اختلفوا فى أن قوله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم من جملة كلام الله أو من جملة كلام اليهود ومن تتمة قولهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم فهذان احتمالان ذهب الى كل منهما طائفة من المحققين وكل منهما محتاج فى تصحيح المعنى الى تقدير واضمار فلهذا عدت الآية من المواضع المشكلة أما الاحتمال الاول فوجهه على قراءة ابن كثير ظاهر وكذا فى قراءة من قرأ بهمزة واحدة ويقدر همزة

من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار يهود تقوله صلت مع محمد صلاة الصبح وكفروا آخر النهار مكرا منهم ليروا الناس أن قد بدت لهم منه الضلالة بعد أن كانوا اتبعوه حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بمثله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار الآية وذلك أن طائفة من اليهود قالوا اذا لقيتم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أول النهار فآمنوا واذا كان آخره فصلوا صلاتكم لعلهم يقولون هؤلاء أهل الكتاب وهم أعلم منا لعلهم ينقلبون عن دينهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم فتأويل الكلام اذا وقالت طائفة من أهل الكتاب يعنى من اليهود الذين يقرؤن التوراة آمنوا صدقوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وذلك ما جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم من الدين الحق وشرائعه وسننه وجه النهار يعنى أول النهار وسمى أوله وجها له لانه أحسنه وأول ما يواجه الناظر فيراه منه كما يقال لاول الثوب وجهه وكما قال ربيع بن زياد

من كان مسرورا بمقتل مالك * فليأت نسوتنا بوجه نهار

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجه النهار أول النهار حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع وجه النهار أول النهار واكفروا آخره يقول آخر النهار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره قال صلوا معهم الصبح ولا تصلوا معهم آخر النهار لعلكم تستزلونهم بذلك وأما قوله واكفروا آخره فانه يعنى به أنهم قالوا اجحدوا ما صدقتم به من دينهم فى وجه النهار فى آخر النهار لعلهم يرجعون يعنى بذلك لعلهم يرجعون عن دينهم معكم ويدعونه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لعلهم يرجعون يقول لعلهم يدعون دينهم ويرجعون الى الذى أنتم عليه حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثنا محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس لعلهم يرجعون لعلهم ينقلبون عن دينهم حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى لعلهم يرجعون لعلهم يشكون حدثنا القاسم قال ثنا

الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله لعلهم يرجعون قال يرجعون عن دينهم ﴿القول في تأويل قوله (ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم) يعني بذلك جل ثناؤه ولا تصدقوا الا من تبع دينكم فكان يهوديا وهذا خبر من الله عن قول الطائفة الذين قالوا لاخوانهم من اليهود آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واللام التي في قوله لمن تبع دينكم نظيرة اللام التي في قوله عسى أن يكون ردف لكم بمعنى ردفكم بعض الذي تستعجلون وبنحو ما قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم هذا قول بعضهم لبعض حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قال لا تؤمنوا الا لمن تبع اليهودية حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قال لا تؤمنوا الا لمن آمن بدينكم لا من خالفه فلا تؤمنوا به ﴿القول في تأويل قوله جل ثناؤه (قل ان الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم قوله قل ان الهدى هدى الله اعترض به في وسط الكلام خبر من الله عن أن البيان بيانه والهدى هداه قالوا وسائر الكلام بعد ذلك متصل بالكلام الاول خبر عن قيل اليهود بعضها لبعض فمعنى الكلام عندهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تؤمنوا ان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو أن يحاجوكم عند ربكم أي ولا تؤمنوا أن يحاجكم أحد عند ربكم ثم قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم قل يا محمد ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وان الهدى هدى الله ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم حسدا من يهود أن تكون النبوة في غيرهم وارادة أن يتبعوا على دينهم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله * وقال آخرون تأويل ذلك قل يا محمد ان الهدى هدى الله ان البيان بيان الله أن يؤتى أحد قالوا ومعناه لا يؤتى أحد من الامم مثل ما أوتيتم كما قال يبين الله لكم أن تضلوا بمعنى لا تضلون وكقوله كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به بمعنى ان لا يؤمنوا مثل ما أوتيتم يقول مثل ما أوتيت أنت يا محمد وأمتك من الاسلام والهدى أو يحاجوكم عند ربكم قالوا ومعنى أو إلا أي الا أن يحاجوكم يعني الا أن يجادلوكم عند ربكم عند ما فعل بهم ربكم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال

الاستفهام للتقرير والتوبيخ وكذا لام الجر وهذا الوجه يروى عن مجاهد وعيسى بن عمر والمعنى ألأن أي من أجل أن يؤتى أحد شرائع مثل ما أوتيتم تنكرون اتباعه فحذف الجواب للاختصار وهذا الحذف كثير يقول الرجل بعد طول العتاب لصاحبه وعد ذنوبه عليه وقد أحسن اليه أمن قلة احساني اليك أمن اهانتي لك والمعنى أمن أجل هذا فعلت ما فعلت أم من ذلك ونظيره قوله أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ومعنى قوله حكاية عنهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم على هذا الوجه لا تصدقوا الانبياء بتقرير شرائع التوراة فاما من جاء بتغيير شيء من أحكام التوراة فلا تصدقوه وهذا هو مذهب اليهود الى اليوم واللام زائدة مثل ردف لكم فانه يقال صدقت فلانا ولا يقال صدقت لفلان فأمر الله نبيه أن يقول لهم في الجواب ان الدين دين الله فكل ما رضيه دينا فهو الدين الذي يجب متابعته كقوله في جواب قولهم ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب ثم وبخهم بالاستفهام المذكور ويحتمل أن يكون المعنى ولا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر وهو ايمانهم وجه النهار الا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن أسلموا منكم لان رجوعهم كان أرجى عندهم من رجوع من سواهم ولان اسلامهم كان أغيظ لهم فقيل للنبي صلى الله عليه وسلم قل ان الهدى هدى الله وقد جئتكم به فلن ينفعكم هذا الكيد الضعيف ثم استفهم فقال ألأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم قلتم ذلك ودبرتم لا لشيء آخر يعني ان ما بكم من الحسد والبغي أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من فضل العلم والكتاب دعاكم الى أن قلتم ما قلتم ثم قال أو يحاجوكم يعني دبرتم ما دبرتم لأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو لما يتصل بالاتباع عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم لان ما أوتوا مثل ما أوتيتم فحين لم تؤمنوا به ثبت لهم حجة عليكم وأما ان لم تقدر همزة الاستفهام فالتقدير اما كما سبق أو يقال الهدى اسم ان وهدى الله بدل منه والتقدير قل ان هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ويكون أو بمعنى حتى ويتم الكلام محذوف أي حتى يحاجوكم عند ربكم فيقضى لهم عليكم ويدحض حجتكم أو يقال أن يؤتى مفعول فعل محذوف هو ولا تنكروا لأنه لما كان الهدى هدى الله كان له أن يؤتيه من يشاء من عباده ومتى كان كذلك لزم ترك الانكار فصح أن يقال لا تنكروا أن يؤتى أحد سواكم من الهدى ما أوتيتموه أو يحاجوكم يعني هؤلاء المسلمين بذلك عند ربكم ان لم تقبلوا ذلك منهم أو يقال الهدى اسم للبيان وهدى الله بدل ويضمر لا بعد أن مثل أن تضلوا أي لا تضلوا والتقدير قل يا محمد لأمتك ان بيان الله هو أن لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم وهو دين الاسلام الذي هو أفضل الاديان وأن لا يحاجوكم يعني هؤلاء اليهود عند ربكم في الآخرة لانه يظهر لهم في الآخرة أنكم

محقون وأنهم ضالون وأما الاحتمال الثاني وهو أن يكون قوله ان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من تتمة كلام اليهود وقوله قل ان الهدى هدى الله جملة معترضة فمعناه لا تظهروا ايمانكم بان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم أولا تقروا بان يؤتى أحد مثل ما أوتيتم الا لمن تبع دينكم فحذف حرف الجر من أن على القياس قال في الكشاف أراد أسروا تصديقكم بان المسلمين قد أوتوا من كتب الله مثل ما أوتيتم ولا تفشوه الا الى أشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله أو يحاجوكم عطف على أن يؤتى والضمير في يحاجوكم لاحد لانه في معنى الجمع بمعنى ولا تؤمنوا لغير أتباعكم أن المسلمين يحاجونكم يوم القيامة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة قال ومعنى الاعتراض ان الهدى هدى الله من شاء أن يلطف به حتى يسلم أو يزيد ثباته على الاسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيكم أى ستركم تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله قل ان الفضل بيد الله مؤكد للاعتراض الاول أو هو اعتراض آخر يجيء بعد تمام الكلام كقوله وكذلك يفعلون بعد قوله ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها فان قيل ان جد القوم في حفظ أتباعهم عن قبول دين محمد صلى الله عليه وسلم كان أعظم من جدهم في حفظ غير أتباعهم عنه فكيف يليق أن يوصى بعضهم بعضا بالاقرار بما يدل على صحة دين محمد صلى الله عليه وسلم عند أتباعهم وأن يمتنعوا من ذلك عند الاجانب فالجواب ليس المراد من هذا النهي الامر بافشاء هذا التصديق فيما بين أتباعهم بل المراد أنه ان اتفق منكم تكلم بهذا فلا يكن الا عند خويصتكم وأصحاب أسراركم على أنه يحتمل أن يكون شائعا ولكن البغي والحسد كان يحملهم على الكتمان من غيرهم فان قيل كيف وقع قوله قل ان الهدى هدى الله فيما بين جزأى كلام واحد وهذا لا يليق بكلام الفصحاء قلت قال القفال يحتمل أن يكون هذا كلاما أمر الله نبيه أن يقوله عندما وصل الكلام الى هذا الحد كأنه لما حكى عنهم في هذا الموضع قولا باطلا لا جرم أدب رسوله صلى الله عليه وسلم بان يقابله بقول حق ثم يعود الى حكاية تمام كلامهم كما اذا حكى المسلم عن بعض الكفار قولا فيه كفر فيقول عند بلوغه الى تلك الكلمة آمنت بالله أو لا اله الا الله أو تعالى الله ثم يعود الى تلك الحكاية وقيل في الكلام تقديم وتأخير والتقدير ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل ان الهدى هدى الله وان الفضل بيده واعلم أنه تعالى حكى عن اليهود أمرين أحدهما أن يؤمنوا وجه النهار ويكفروا آخره ليصير ذلك شبهة للمسلمين في صحة الاسلام فاجاب بقوله قل ان

ثنا أسباط عن السدي قال الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم قل ان الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يقول مثل ما أوتيتم يا أمة محمد أو يحاجوكم عند ربكم تقول اليهود فعل الله بنا كذا وكذا من الكرامة حتى أنزل علينا المن والسلوى فان الذي أعطيتكم أفضل فقولوا ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء الآية فعلى هذا التأويل جميع هذا الكلام من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن يقوله لليهود وهو متلاصق بعضه ببعض لا اعتراض فيه والهدى الثاني رد على الهدى الاول وان في موضع رفع على انه خبر عن الهدى * وقال آخرون بل هذا أمر من الله لنبيه أن يقوله لليهود وقالوا تأويله قل يا محمد ان الهدى هدى الله أن يؤتى أحد من الناس مثل ما أوتيتم يقول مثل الذي أوتيتموه أنتم يا معشر اليهود من كتاب الله ومثل نبيكم فلا تحسدوا المؤمنين على ما أعطيتهم مثل الذي أعطيتكم من فضلي فان الفضل بيدي أوتيه من أشاء ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل ان الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يقول لما أنزل الله كتابا مثل كتابكم وبعث نبيا مثل نبيكم حسدتموهم على ذلك قل ان الفضل بيد الله الآية حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله * وقال آخرون بل تأويل ذلك قل يا محمد ان الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أنتم يا معشر اليهود من كتاب الله قالوا وهذا آخر القول الذي أمر الله به نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقوله لليهود من هذه الآية قالوا وقوله أو يحاجوكم مردود على قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وتأويل الكلام على قول أهل هذه المقالة ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم فتتركوا الحق أن يحاجوكم به عند ربكم من اتبعتم دينه فاخترتموه أنه محق وأنكم تجدون نعته في كتابكم فيكون حينئذ قوله أو يحاجوكم مردودا على جواب نهي متروك على قول هؤلاء ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ان الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يقول هذا الامر الذي أنتم عليه أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قال قال بعضهم لبعض لا تخبروهم بما بين الله لكم في كتابه ليحاجوكم قال ليخاصموكم به عند ربكم قل ان الهدى هدى الله معترض به وسائر الكلام متسق على سياق واحد فيكون تأويله حينئذ ولا تؤمنوا الا لمن اتبع دينكم ولا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم بمعنى لا يؤتى أحد بمثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم بمعنى أو أن يحاجكم عند ربكم أحد بايمانكم لانكم أكرم على الله منهم بما فضلكم به عليهم فيكون الكلام كله خبرا عن قول الطائفة التي قال الله عز وجل وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين

آمنوا

الهدى هدى الله وذلك أن مع كمال هداية الله وقوة بيانه لا يكون لهذه الشبهة الركيكة عين ولا أثر وثانيها أنهم استنكروا أن يؤتى أحد مثل ما أوتوا من الكتاب والحكمة والنبوة فأجاب عنه بقوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والمراد بالفضل الرسالة وهو فى اللغة الزيادة وأكثر ما يستعمل فى زيادة الاحسان والفاضل الزائد على غيره فى خصال الخير ومعنى قوله بيد الله أنه مالك له غالب عليه بوضحه قوله يؤتيه من يشاء وفيه دليل على أن النبوة تحصل بالتفضل لا بالاستحقاق لانه جعلها من باب الفضل الذى لفاعله أن يفعله وأن لا يفعله ولا يصح ذلك فى المستحق الاعلى وجه المجاز (والله واسع) كامل القدرة (عليم) بالحكم والمصالح وبمواقع فضله فلهذا (يختص برحمته من يشاء) والحاصل أنه بين بقوله ان الفضل بيد الله أنه قادر على أن يؤتى بعض عباده مثل ما آتاكم من المناصب العالية ويزيد عليها من جنسها فان الزيادة من جنس المزيد عليه ثم قال يختص برحمته من يشاء والرحمة المضافة اليه تعالى أمر أجل من ذلك الفضل لانه لا يكون من جنس ما آتاهم بل يكون أشرف وأعظم (والله ذو الفضل العظيم) فمن قصر انعامه واكرامه على مراتب معينة وعلى أشخاص معينين كان جاهلا بكمال الله تعالى فى قدرته وحكمته ثم انه تعالى كذبهم فى دعواهم الاختصاص بالمناصب العالية فان فيهم الخيانة المستقبحة فى جميع الاديان ونقض العهد والكذب على الله الى غير ذلك من القبائح فقال (ومن أهل الكتاب) الآية فهذا دلالة على انقسامهم الى قسمين أهل للامانة وأهل للخيانة فقيل ان أهل الامانة هم الذين أسلموا أما الذين بقوا على اليهودية فهم مصرون على الخيانة لان مذهبهم أنه يحل لهم قتل كل من يخالفهم فى الدين وأخذ أموالهم وقيل ان أصحاب الامانة هم النصارى لغلبة الامانة عليهم وأهل الخيانة اليهود لكثرة ذلك فيهم وقال ابن عباس من ان تأمنه بقنطار يؤده هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش ألفا ومائتى أوقية ذهبا فاداه اليه ومن ان تأمنه بدينار لا يؤده هو فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه وقال أهل الحقيقة هى فيمن يؤتى كثيرا من الدنيا فيخرج عن عهدته بعدم الالتفات اليه وقطع النظر عنه ثقة بالله وتوكلا عليه واكتفاء به وفيمن يمتحن بالدنيا فيكون همه مقصورا عليها معرضا عما سواها غير مؤد حقوقها ويقال أمنته بكذا وعلى كذا فمعنى الباء الصاق الامانة بحفظها وحياطتها ومعنى على استعلاؤها والاستيلاء عليها والمراد بالقنطار والدينار ههنا العدد الكثير والعدد القليل فلا حاجة الى تعيينه وأما الاقوال فيه فقد مرت فى أوائل السورة وقد يستدل بما

آمنوا وجه النهار سوى قوله قل ان الهدى هدى الله ثم يكون الكلام مبتدأ بتكذيبهم فى قولهم قل يا محمد للقائلين ما قالوا من الطائفة التى وصفت لك قولها لتباعها من اليهود ان الهدى هدى الله ان التوفيق توفيق الله والبيان بيانه وان الفضل بيده يؤتيه من يشاء لا ما تمنيتموه أنتم يا معشر اليهود وانما اخترنا ذلك من سائر الاقوال التى ذكرناها لانه أصحها معنى وأحسنها استقامة على معنى كلام العرب وأشدها اتساقا على نظم الكلام وسياقه وما عدا ذلك من القول فانتزاع يبعد من الصحة على استكراه شديد للكلام ﴿ القول فى تأويل قوله (قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) يعنى بذلك جل ثناؤه قل يا محمد لهؤلاء اليهود الذين وصفت قولهم لاوليائهم ان الفضل بيد الله ان التوفيق للايمان والهداية للاسلام بيد الله واليه دونكم ودون سائر خلقه يؤتيه من يشاء من خلقه يعنى يعطيه من اراد من عباده تكذيبا من الله عز وجل لهم فى قولهم لتباعهم لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم فقال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم ليس ذلك اليكم انما هو الى الله الذى بيده الأشياء كلها واليه الفضل وبيده يعطيه من يشاء والله واسع عليم يعنى والله ذو سعة بفضله على من يشاء أن يتفضل عليه عليم ذو علم عن هو منهم للفضل أهل حدثنى المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك قراءة عن ابن جريج فى قوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء قال الاسلام ﴿ القول فى تاويل قوله (يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) يعنى بقوله يختص برحمته من يشاء يفتعل من قول القائل خصصت فلانا بكذا أخصه به وأما رحمته فى هذا الموضع فالاسلام والقرآن مع النبوة كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يختص برحمته من يشاء قال النبوة يخص بها من يشاء حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع يختص برحمته من يشاء قال يختص بالنبوة من يشاء حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك قراءة عن ابن جريج يختص برحمته من يشاء قال القرآن والاسلام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج مثله والله ذو الفضل العظيم يقول ذو فضل يتفضل به على من أحب وشاء من خلقه ثم وصف فضله بالعظم فقال فضله عظيم لانه غير مشبه فى عظم موقعه ممن أفضله عليه أفضال خلقه ولا يقاربه فى جلالة خطره ولا يدانيه ﴿ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما) وهذا خبر من الله عز وجل أن من أهل الكتاب وهم اليهود من بنى اسرائيل أهل أمانة يؤدونها ولا يخونونها ومنهم الخائن أمانته الفاجر فى يمينه المستحل فان

رويناعن ابن عباس أن القنطار ألف ومائتا أوقية ويدخل تحت القنطار والدينار العين والدين لان الانسان قد يأتمن غيره على الوديعة وعلى المبايعة وعلى المقارضة وليس في الآية مايدل على التعيين لكنه نقل عن ابن عباس أنه محمول على المبايعة فقال منهم من تبايعه بثمن القنطار فيؤده اليك ومنهم من تبايعه بثمن الدينار فلا يؤده اليك ونقلنا عنه أيضا أنها نزلت في الوديعة وأما قوله (الا مادمت عليه قائما) فنهم من حمله على حقيقته قال السدى يعنى الامدة دوامك عليه ياصاحب الحق قائما على رأسه مجتمعا معه ملازما اياه فان أنظرت وأخرت أنكر ومنهم من يحمله على الالحاح والخصومة والتقاضي والمطالبة قال ابن قتيبة أصله أن الطالب للشئ يقوم به والتارك له يقعد عنه ومنه قوله تعالى أمة قائمة أى عاملة بأمر الله غير تاركة له وقال أبو على الفارسي انه في اللغة الدوام والثبات ومنه قوله دينا قيما أى ثابتا لا ينسخ فمعنى الآية الا دائما ثابتا في مطالبتك اياه بذلك المال (ذلك) الاستحلال وترك الاداء الذى دل عليه لا يؤده بسبب أنهم يقولون ليس علينا فيما أصبنا من أموال العرب سبيل بالخطاب والعتاب اما لانهم يبالغون في التعصب لدينهم حتى استحلوا قتل المخالف وأخذ ماله باى طريق كان واما لانهم قالوا نحن ابناء الله وأحباؤه والخلق لنا عبيد فلا سبيل لاحد علينا اذا أكلنا أموال عبيدنا ويحتمل أن يكونوا اعتقدوا في الاسلام انه كفر فيحكمون على المسلمين بالردة فيستحلون دماءهم وأموالهم روى أن اليهود عاملوا رجالا في الجاهلية من قريش فلما أسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا أنهم وجدوا ذلك في كتابهم فلا جرم قال تعالى (ويقولون على الله الكذب) بادعائهم ان ذلك في كتابهم (وهم يعلمون) أنهم كاذبون وهذه غاية الجراءة والجهالة أو يعلمون حرمة الخيانة أو يعلمون ماعلى الخائن من الاثم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب أعداء الله مامن شئ في الجاهلية الا وهو تحت قدمى الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر وعن ابن عباس انه سأله رجل فقال انا نصيب في الغزو من أموال أهل الذمة الدجاجة والشاة قال فتقولون ماذا قال نقول ليس علينا في ذلك بأس قال هذا كما قال أهل الكتاب ليس علينا في الاميين سبيل انهم اذا أدوا الجزية لم يحل أكل أموالهم الا بطيب أنفسهم (بلى) قال الزجاج عندى وقف التمام ههنا لانه لمجرد نفى ماقبله أى بلى عليهم سبيل في ذلك ومابعده استئناف وقال غيره انه يذكر في ابتداء كلام يقع جوابا عن المنفى قبله فقولهم ليس علينا جناح قائم مقام قوله نحن أحباء الله تعالى فقيل لهم ان أهل الوفاء بالعهد وأهل التقى

قال قائل وما وجه اخبار الله عز وجل بذلك نبيه صلى الله عليه وسلم وقد علمت أن الناس لم يزالوا كذلك منهم المؤدى أمانته والخائنها قيل انما أراد جل وعز باخباره المؤمنين خبرهم على ما بينه في كتابه بهذه الآيات تحذيرهم أن يأتمنوهم على أموالهم وتخويفهم الاغترار بهم لاستحلال كثير منهم أموال المؤمنين فتأويل الكلام ومن أهل الكتاب الذى ان تأمنه يا محمد على عظيم من المال كثير يؤده اليك ولا يخنك فيه ومنهم الذى ان تأمنه على دينار يخنك فيه فلا يؤده اليك الا أن تلح عليه بالتقاضى والمطالبة والباء في قوله بدينار وعلى يتعاقبان في هذا الموضع كما يقال مررت به ومررت عليه واختلف أهل التأويل في تأويل قوله الا مادمت عليه قائما فقال بعضهم الا مادمت له متقاضيا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الا مادمت عليه قائما الا ما طلبته واتبعته حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله الا مادمت عليه قائما قال تقتضيه اياه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد في قوله الا مادمت عليه قائما قال مواظبا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله * وقال آخرون معنى ذلك الا مادمت عليه قائما على رأسه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله الا مادمت عليه قائما يقول يعترف بامانته مادمت قائما على رأسه فاذا قمت ثم جئت تطلبه كافرك الذى يؤدى والذى يجحد وأولى القولين بتأويل الآية قول من قال معنى ذلك الا مادمت عليه قائما بالمطالبة والاقتضاء من قولهم قام فلان بحق على فلان حتى استخرجه لى أى عمل في تخليصه وسعى في استخراجه منه حتى استخرجه لان الله عز وجل انما وصفهم باستحلالهم أموال الاميين وأن منهم من لا يقضى ما عليه الا بالاقتضاء الشديد والمطالبة وليس القيام على رأس الذى عليه الدين بموجب له النقلة عما هو عليه من استحلال ما هو له مستحل ولكن قد يكون مع استحلاله الذهاب بما عليه لرب الحق الى استخراجه السبيل بالاقتضاء والمحاكمة والمخاصمة فذلك الاقتضاء هو قيام رب المال باستخراج حقه ممن هو عليه ۞ القول في تأويل قوله (ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل) يعنى بذلك جل ثناؤه أن من استحل الخيانة من اليهود وجحود حقوق العربى التى هى له عليه فلم يؤدما ائتمنه العربى عليه اليه الا مادام له متقاضيا مطالبا من أجل أنه يقول لا حرج علينا فيما أصبنا من أموال العرب ولا اثم لانهم على غير الحق وأنهم مشركون واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم نحو قولنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل الآية قالت اليهود ليس علينا فيما أصبنا

أصبنامن أموال العرب سبيل حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ليس علينافى الاميين سبيل قال ليس علينافى المشركين سبيل يعنون من ليس من أهل الكتاب حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ذلك بانهم قالوا ليس علينافى الاميين سبيل قال يقال له مابالك لاتؤدى أمانتك فيقول ليس علينا حرج فى أموال العرب قد أحلها الله لنا حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن جعفر عن سعيد بن جبير لما نزلت ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لايؤده اليك الا مادمت عليه قائما ذلك بانهم قالوا ليس علينافى الاميين سبيل قال النبى صلى الله عليه وسلم كذب أعداء الله مامن شئ كان فى الجاهلية الا وهو تحت قدمى الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا هشام بن عبيد الله عن يعقوب القمى عن جعفر عن سعيد بن جبير قال لما قالت اليهود ليس علينافى الاميين سبيل يعنون أخذ أموالهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر نحوه الا أنه قال الا وهو تحت قدمى هاتين الا الامانة فانها مؤداة ولم يزد على ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ذلك بانهم قالوا ليس علينافى الاميين سبيل وذلك أن أهل الكتاب كانوا يقولون ليس علينا جناح فيما أصبنا من هؤلاء لانهم أميون فذلك قوله ليس علينافى الاميين سبيل الى آخر الآية * وقال آخرون فى ذلك ما حدثنا به القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ذلك بانهم قالوا ليس علينافى الاميين سبيل قال بايع اليهود رجال من المسلمين فى الجاهلية فلما أسلموا تقاضوهم ثمن بيوعهم فقالوا ليس لكم علينا أمانة ولا قضاء لكم عندنا لانكم تركتم دينكم الذى كنتم عليه وادعوا أنهم وجدوا ذلك فى كتابهم فقال الله عز وجل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن صعصعة قال قلت لابن عباس انا نغزو أهل الكتاب فنصيب من ثمارهم قال وتقولون كما قال أهل الكتاب ليس علينافى الاميين سبيل حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أبى اسحق الهمدانى عن صعصعة أن رجلا سأل ابن عباس فقال انا نصيب فى العرف أو العذق الشئ من الحسن من أموال أهل الذمة الدجاجة والشاة فقال ابن عباس فتقولون ماذا قال نقول ليس علينا بذلك بأس قال هذا كما قال أهل الكتاب ليس علينا فى الاميين سبيل انهم اذا أدوا الجزية لم تحل لكم أموالهم الا بطيب أنفسهم ❁ القول فى تأويل قوله (ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) يعنى بذلك جل ثناؤه ان القائلين منهم ليس علينا فى أموال الأميين من العرب حرج أن نختانهم اياه يقولون

هم الذين يحبهم الله وعلى هذا فلا وقف على بلى وفيه أن اليهود ليسوا من الوفاء والتقى فى شئ ولو أنهم أوفوا بالعهود أوفوا أول كل شئ بالعهد الذى أخذه الله تعالى فى كتابهم من الايمان بنبى آخر الزمان وهو محمد صلى الله عليه وسلم ولو أنهم اتقوا الله لم يكذبوا عليه ولم يحرفوا كتابه وعموم لفظ المتقين قائم مقام الضمير العائد الى المبتدا والضمير فى بعهده يجوز أن يرجع الى من ويجوز أن يرجع الى اسم الله كقوله فى الآية التالية بعهد الله واعلم ان الوفاء والتقى أصلان لجميع مكارم الاخلاق والوفاء بالعهد يشمل عهد الميثاق وعهد الله تعالى بالتزام التكاليف الخاصة والعامة والتقوى تتممها وتزينها حتى يأتى بها على وجه الكمال من غير شائبة الاختلال فكل متق موف بالعهد ولا يلزم العكس فلهذا اقتصر على قوله (يحب المتقين) دون أن يقول يحب الموفين أو الموفين والمتقين فافهم ثم انه سبحانه لما وصف اليهود بالخيانة فى أموال الناس والخيانة فيها لاتتمشى الا بالايمان الكاذبة غالبا لاجرم أردفها بالوعيد عليها وأيضا الخيانة فى العهود وفى تعظيم أسماء الله تناسب الخيانة فى الاموال فلاجرم قال (ان الذين يشترون) الآية واختلفت الروايات فى سبب النزول فمنهم من خصها باليهود لان الآيات السابقة فيهم وكذا اللاحقة ومنهم من خصها بغيرهم والروايات هذه قال عكرمة نزلت فى أبى رافع ولبابة بن أبى الحقيق وحيى بن أخطب وغيرهم من رؤس اليهود كتموا ماعهد الله اليهم فى التوراة فى شأن محمد صلى الله عليه وسلم وبدلوه وكتبوا بايديهم غيره وحلفوا أنه من عند الله كيلا يفوتهم الرشا والمآكل التى كانت لهم على أتباعهم وقال الكلبى ان ناسا من علماء اليهود أولى فاقة اصابتهم سنة فاقتحموا الى كعب بن الاشرف بالمدينة فسألهم كعب هل تعلمون أن هذا الرجل رسول الله فى كتابكم قالوا نعم وماتعلمه أنت قال لا قالوا فانا نشهد انه عبد الله ورسوله قال كعب لقد حرمكم الله خيرا كثيرا لقد قدمتم على وأنا أريد أن أميركم وأكسو عيالكم فحرمكم الله وحرم عيالكم فقالوا فانه شبه لنا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا وكتبوا صفة سوى صفته ثم انتهوا الى رسول الله فكلموه وسألوه ثم رجعوا فقالوا لقد كنا نرى أنه رسول الله فلما أتيناه اذا هو ليس بالنعت الذى نعت لنا ووجدنا نعته مخالفا للذى عندنا وأخرجوا الذى كتبوا فنظر اليه كعب ففرح وأمارهم وأنفق عليهم فنزلت وعن الاشعث بن قيس خاصمت رجلا فى بئر فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شاهداك أو يمينه فقلت اذا يحلف ولا يبالى فقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقى الله وهو عليه غضبان ونزلت الآية على وفقه وقيل نزلت فى رجل أقام سلعة فى السوق فحلف لقد أعطى

بهما مالم يعطه ومعنى يشترون يستبدلون وعهود الله مواثيقه واليمين هى التى يؤكد الانسان بها خبره من وعد أو وعيد أو انكار أو اقرار بذكر اسم الله تعالى أو صفة من صفاته أو ما يجرى مجراه والثمن القليل متاع الدنيا من المال والجاه ونحوهما ثم انه تعالى رتب على الشراء بعهد الله وبايمانهم ثمنا قليلا خمسة انواع من الجزاء فقوله (أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة) اشارة الى انه لا نصيب لهم فى منافعها ونعيمها وقوله (ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم) اشارة الى حرمانهم عما عند الله من الكرامات والقرب وقوله (ولهم عذاب أليم) اشارة الى ما يحصل لهم هنالك من صنوف الآلام وضروب الاهوال قال المحققون ومنهم القفال المقصود من هذه الكلمات بيان شدة سخط الله عليهم لان من منع كلامه فى الدنيا غيره فانما ذلك لسخطه عليه وقد يأمر بحجبه عنه ويقول لا أكلمك ولا أرى وجهك واذا جرى ذكره لم يذكره بالجميل قال فى الكشاف لا ينظر اليهم مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر الى فلان تريد نفى اعتداده به وأصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية لان من اعتد بالانسان التفت اليه وأعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثمة نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجرد المعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر قلت لعله أراد بهذا المجاز الاستعارة كأنه شبه هذا النظر بذلك النظر ثم حذف المشبه وأداة التشبيه فبقى استعارة وفى التفسير الكبير لا يجوز أن يكون المراد من هذا النظر الرؤية لانه تعالى يراهم كما يرى غيرهم ولا يجوز أن يكون المراد من النظر تقليب الحدقة الى جانب المرئى التماسا لرؤيته لان هذا من صفات الاجسام وهو تعالى منزه عن ذلك وقد احتج المخالف بهذه الآية على أن النظر المقرون بحرف الى ليس بمعنى الرؤية والا لزم من هذه الآية أن لا يكون الله رائيا وذلك باطل قلت يجوز أن يراد بهذا النظر النظر المعهود وهو الذى سيخص الله تعالى به أولياءه من أنه ينظر اليهم وينظرون اليه وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وعلى هذا جاز أن يكون النظر بمعنى الرؤية (١) لانه لا يلزم من نفى رؤية يراه العباد أيضا وقتئذ نفى رؤية لا يرونه حينئذ (وان منهم لفريقا) عن ابن عباس هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف غيروا التوراة وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذى عندهم (يلوون ألسنتهم بالكتاب) قال القفال معناه أن يعمدوا الى اللفظة فيحرفوها فى حركات الاعراب تحريفا يتغير به المعنى فان اللى عبارة عن عطف الشئ ورده عن الاستقامة الى الاعوجاج وهذا كثير فى لسان العرب فلا يبعد مثله فى العبرانية وانما كانوا

بقيلهم ان الله أحل لنا ذلك فلا حرج علينا فى خيانتهم اياه وترك قضائهم الكذب على الله عامدين الاثم بقيل الكذب على الله انه أحل ذلك لهم وذلك قوله عز وجل وهم يعلمون كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فيقول على الله الكذب وهو يعلم يعنى الذى يقول منهم اذا قيل له مالك لا تؤدى أمانتك ليس علينا حرج فى أموال العرب قد أحلها الله لنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون يعنى ادعاءهم أنهم وجدوا فى كتابهم قولهم ليس علينا فى الاميين سبيل ۞ (القول فى تأويل قوله بلى من أوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين) وهذا اخبار من الله عز وجل عمن أدى أمانته الى من ائتمنه عليها اتقاء الله ومراقبته وعيده فقال جل ثناؤه ليس الامر كما يقول هؤلاء الكاذبون على الله من اليهود من انه ليس عليهم فى أموال الاميين حرج ولا اثم ثم قال بلى ولكن من أوفى بعهده واتقى يعنى ولكن الذى أوفى بعهده وذلك وصيته اياهم التى أوصاهم بها فى التوراة من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم به والهاء فى قوله من أوفى بعهده عائدة على اسم الله فى قوله ويقولون على الله الكذب يقول بلى من أوفى بعهد الله الذى عاهده فى كتابه فآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وصدق به وبما جاء به من الله من أداء الامانة الى من ائتمنه عليها وغير ذلك من أمر الله ونهيه واتقى يقول واتقى ما نهاه الله عنه من الكفر به وسائر معاصيه التى حرمها عليه فاجتنب ذلك مراقبة وعيد الله وخوف عقابه فان الله يحب المتقين يعنى فان الله يحب الذين يتقونه فيخافون عقابه ويحذرون عذابه فيجتنبون ما نهاهم عنه وحرمه عليهم ويطيعونه فيما أمرهم به وقد روى عن ابن عباس أنه كان يقول هو اتقاء الشرك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس قوله بلى من أوفى بعهده واتقى يقول اتقى الشرك ان الله يحب المتقين يقول الذين يتقون الشرك وقد بينا اختلاف أهل التأويل فى ذلك والصواب من القول فيه بالأدلة الدالة عليه فيما مضى من كتابنا بما فيه الكفاية عن اعادته ۞ القول فى تأويل قوله (ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم) يعنى بذلك جل ثناؤه ان الذين يستبدلون بتركهم عهد الله الذى عهد اليهم ووصيته التى أوصاهم بها فى الكتب التى أنزلها الله الى أنبيائه باتباع محمد وتصديقه والاقرار به وما جاء به من عند الله وبأيمانهم الكاذبة التى يستحلون بها ما حرم الله عليهم من أموال الناس التى اؤتمنوا عليها ثمنا يعنى عوضا وبدلا خسيسا من عرض الدنيا وحطامها أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة يقول فان الذين يفعلون ذلك لا حظ لهم فى خيرات الآخرة ولا نصيب لهم من نعيم الجنة وما أعد الله لاهلها

---

(١) قوله لأنه لا يلزم من نفى الخ كذا فى الاصل ولا يخفى ما فى العبارة من الركاكة ولعل المراد أنه لا يلزم من نفى الخاص نفى الامام تأمل

يفعلون مثل ذلك في الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفي غيرها بحسب أغراضهم الفاسدة وفي الكشاف أي يفتلونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف أقول وذلك أن لي اللسان أشبه بالتشدق والتنطع والتكلف مذموم فعبر الله عن قراءتهم لذلك الكتاب الباطل بلي اللسان ذما لهم وتقريعا ولم يعبر عنها بالقراءة والعرب تفرق بين ألفاظ المدح والذم في الشيء الواحد (لتحسبوه) أي المحرف الذي دل عليه يلوون ويجوز أن يقدر مضاف محذوف أي يعطفون ألسنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب (وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله) نفى أولا كونه من الكتاب ثم عطف عليه النفي العام ليعلم أنه كما أنه ليس من الكتاب ليس بسنة ولا اجماع ولا قياس فان كل هذا يصدق عليه انه من عند الله بمعنى كونه حكما من أحكامه المستنبطة من الاصول ويجوز أن يراد

بالكتاب التوراة فقط وبقولهم هو من عند الله انه موجود في كتب سائر الانبياء وذلك ان القوم في نسبة ذلك المحرف الى الله كانوا متحيرين خابطين فان وجدوا قوما من الاغمار الجاهلين بالتوراة قالوا انه من التوراة وان وجدوا قوما عقلاء زعموا أنه موجود في كتب سائر الانبياء واعلم انه ان كان المراد من التحريف تغيير ألفاظ التوراة أو اعراب ألفاظها فالذين أقدموا على ذلك يجب أن يكونوا طائفة يسيرة يجوز التواطؤ منهم على الكذب وان كان المعنى تشويش دلالة تلك الآيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بسبب القاء الشكوك والشبهات في وجوه الاستدلالات كما يفعله المبطلون في ملتنا اذا استدل المحقون بآية من كتاب الله تعالى لم يبعد اطباق الخلق الكثير والجم الغفير عليه احتج الجبائي والكعبي بالآية على أن فعل العبد ليس بخلق الله تعالى والا صدق اليهود في قولهم هو من عند الله لكن الله كذبهم والغلط فيه أن القوم ما ادعوا أن التحريف من عند الله وبخلقه وانما ادعوا أن المحرف منزل من عند الله أو هو حكم من أحكامه فتوجه التكذيب تكذيب الله اياهم الى هذا الذي زعموا الا الى ما لم يزعموا فلم يبق لهما في الآية استدلال ثم من جملة ما حرفه أهل الكتاب أن زعموا أن عيسى كان يدعي الالهية ويأمر قومه بعبادته فلهذا قال عز من قائل (ما كان لبشر) الآية وقيل ان أبا رافع القرظي من اليهود والسيد من نصارى نجران قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتريد أن نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله أن نعبد غير الله أو أن نأمر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني فنزلت وقيل ان رجلا قال يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك قال لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله وقيل زعمت اليهود

لأهلها فهادون غيرها وقد بينا اختلاف أهل التأويل فيما مضى في معنى الخلاق ودللنا على أولى أقوالهم في ذلك بالصواب بما فيه الكفاية وأما قوله ولا يكلمهم الله فانه يعني ولا يكلمهم الله بما يسرهم ولا ينظر اليهم يقول ولا يعطف عليهم بخير مقتا من الله لهم كقول القائل لآخر انظر الي نظر الله اليك بمعنى تعطف علي تعطف الله عليك بخير ورحمة وكما يقال للرجل لا سمع الله لك دعاءك يراد لا استجاب الله لك والله لا يخفى عليه خافية وكما قال الشاعر

دعوت الله حتى خفت أن لا * يكون الله يسمع ما أقول

وقوله ولا يزكيهم يعني ولا يطهرهم من دنس ذنوبهم وكفرهم ولهم عذاب أليم يعني ولهم عذاب موجع واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله أنزلت هذه الآية ومن عني بها فقال بعضهم نزلت في أحبار من أحبار اليهود ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قال نزلت هذه الآية ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا في أبي رافع (١) وكنانة بن أبي الحقيق وكعب بن الأشرف وحيي بن أخطب * وقال آخرون بل نزلت في الاشعث بن قيس وخصم له ذكر من قال ذلك حدثني أبو السائب سلم بن جنادة قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين هو فيها فاجر ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان فقال الاشعث بن قيس في والله كان ذلك كان بيني وبين رجل من اليهود أرض فجحدني فقدمته الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألك بينة قلت لا فقال لليهودي احلف قلت يا رسول الله اذا يحلف فيذهب مالي فأنزل الله عز وجل ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الآية حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا جرير بن حازم عن عدي بن عدي عن رجاء بن حيوة والعرس انهما حدثاه عن أبيه عدي بن عميرة قال كان بين امرئ القيس ورجل من حضرموت خصومة فارتفعا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال للحضرمي بينتك والا فيمينه قال يا رسول الله ان حلف ذهب بأرضي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين كاذبة ليقتطع بها حق أخيه لقي الله وهو عليه غضبان فقال امرؤ القيس يا رسول الله فما لمن تركها وهو يعلم أنها حق قال الجنة قال فاني أشهدك أني قد تركتها قال جرير فكنت مع أيوب السختياني حين سمعنا هذا الحديث من عدي فقال أيوب ان عديا قال في حديث العرس بن عميرة فنزلت هذه الآية ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الى آخر الآية قال جرير ولم أحفظ يومئذ من عدي حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج

(١) كذا في الدر المنثور أيضا وفي التفسير الكبير لبابة وحرر كتبه مصححه

أن أحداً لا ينال من درجات الفضل ما نالوه فقال لهم الله ان كان الامر كما قلتم وجب أن لا تشتغلوا باستعباد الناس واستخدامهم وهذا الوجه يحتمله لفظ الآية فان قوله ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله كقوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ومعنى قوله (ما كان لبشر) قال الاصم لو أرادوا أن يقولوا ذلك لمنعهم الله منه نظيره ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً اذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات وقيل معناه انه تعالى لا يشرف عبداً بالنبوة الا اذا علم منه أنه لا يقول مثل ذلك الكلام وقيل ان الرسول يدعى تبليغ الاحكام عن الله تعالى ويحتج على صدقه بالمعجزة فلو أمرهم بعبادة نفسه بطل دلالة المعجزة على كونه صادقاً والتحقيق أن الانبياء موصوفون بصفات لا يحصل معها هذا الادعاء لان النفس مالم تكن كاملة بحسب قوتها النظرية والعملية لم تكن مستعدة لقبول نزول الكتاب السماوى عليه وللحكم وهو فهم ذلك الكتاب وبيانه وقد يعبر عنه بالسنة والنبوة وهو كونه مأموراً بتبليغ ما فهمه الى الخلق وما أحسن هذا الترتيب واذا كانت كاملة بحسب القوتين وما يتبعهما امتنع من مثله مثل هذا القول والاعتقاد لان غاية جهد النبى وقصارى أمره صرف القلوب والارواح من الخلق الى الحق فكيف يعقل منه ضده فتبين أنه ليس المراد من قوله ما كان لبشر الى قوله كونوا عباداً لى من دون الله أنه يحرم عليه هذا الكلام لان ذلك محرم على كل الخلق ولو كان المراد منه التحريم لم يكن فيه تكذيب للنصارى فى ادعائهم ذلك على المسيح لان من ادعى على رجل فعلاً فقيل له ان فلاناً لا يحل له أن يفعل ذلك لم يكن مكذباً له فيما ادعاه عليه ومثله ما كان لله أن يتخذ من ولد على سبيل النفى لذلك عن نفسه لا على وجه التحريم والحظر وكذا قوله ما كان لنبى أن يغل ومعناه النفى لا النهى ومعنى ثم فى قوله ثم يقول تبعيد هذا القول عن مثل ذلك البشر (ولكن كونوا) ولكن يقول كونوا (ربانيين) قال سيبويه الربانى منسوب الى الرب بمعنى كونه عالماً به ومواظباً على طاعته كما يقال رجل الهى اذا كان مقبلاً على معرفة الاله وطاعته وزيادة الالف والنون فى النسبة فقط للدلالة على كمال هذه الصفة كما قالوا شعرانى ولحيانى ورقبانى للموصوف بكثرة الشعر وطول اللحية وغلظ الرقبة وقال المبرد الربانيون أرباب العلم واحدهم ربان وهو الذى يرب العلم ويرب الناس بتعليمهم واصلاحهم والقيام بأمرهم والالف والنون كما فى ريان وعطشان لا يختص بحال النسبة والربانيون بهذا التفسير يشمل الولاة أيضاً قال القفال يحتمل أن يكون الوالى يسمى ربانياً لانه يطاع كالرب تعالى فينسب اليه فمعنى الآية ولكن يدعوكم الى أن تكونوا

قال قال آخرون ان الاشعث بن قيس اختصم هو ورجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أرض كانت فى يده لذلك الرجل أخذها لتعززه فى الجاهلية فقال النبى صلى الله عليه وسلم أقم بينتك قال الرجل ليس يشهد لى أحد على الأشعث قال فلك يمينه فقام الاشعث ليحلف فأنزل الله عز وجل هذه الآية فنكل الأشعث وقال انى أشهد الله وأشهدكم أن خصمى صادق فرد اليه أرضه وزاده من أرض نفسه زيادة كثيرة مخافة أن يبقى فى يده شئ من حقه فهى لعقب ذلك الرجل بعده حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن شقيق عن عبد الله قال من حلف على يمين يستحق بها مالاً هو فيها فاجر لقى الله وهو عليه غضبان ثم أنزل الله تصديق ذلك ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً الآية ثم ان الأشعث بن قيس خرج الينا فقال ما حدثكم أبو عبد الرحمن فحدثناه بما قال فقال صدق لفى أنزلت كانت بينى وبين رجل خصومة فى بئر فاختصمنا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم شاهداك أو يمينه فقلت اذاً يحلف ولا يبالى فقال النبى صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين يستحق بها مالاً هو فيها فاجر لقى الله وهو عليه غضبان ثم أنزل الله عز وجل تصديق ذلك ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً الآية * وقال آخرون بما حدثنا به محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال أخبرنى داود بن أبى هند عن عامر أن رجلاً أقام سلعته أول النهار فلما كان آخره جاء رجل يساومه فحلف لقد منعها أول النهار من كذا وكذا ولولا المساء ما باعها به فأنزل الله عز وجل ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود عن رجل عن مجاهد نحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً الآية الى ولهم عذاب أليم أنزلهم الله بمنزلة السحرة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أن عمران بن حصين كان يقول من حلف على يمين فاجرة يقتطع بها مال أخيه فليتبوأ مقعده من النار فقال له قائل شئ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم انكم لتجدون ذلك ثم قرأ هذه الآية ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً الآية حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى قال ثنا حسين بن على عن زائدة عن هشام قال قال محمد بن عمران بن حصين من حلف على يمين مصبورة فليتبوأ بوجهه مقعده من النار ثم قرأ هذه الآية كلها ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن معمر عن الزهرى عن سعيد بن المسيب قال ان اليمين الفاجرة من الكبائر ثم تلا ان الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أن عبد الله بن مسعود كان يقول كنا نرى ونحن مع رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم أن من الذنب الذى لا يغفر عين الصبر اذا فجر فيها صاحبها ﴿ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) يعنى بذلك جل ثناؤه وان من أهل الكتاب وهم اليهود الذين كانوا حوالى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم على عهده من بنى اسرائيل والهاء والميم فى قوله منهم عائدة على أهل الكتاب الذين ذكرهم فى قوله ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك وقوله لفريقا يعنى جماعة يلوون يعنى يحرّفون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب يعنى لتظنوا أن الذى يحرّفونه بكلامهم من كتاب الله وتنزيله يقول الله عز وجل وما ذلك الذى لووا به ألسنتهم فحرّفوه وأحدثوه من كتاب الله ويزعمون أن ما لووا به ألسنتهم من التحريف والكذب والباطل فألحقوه فى كتاب الله من عند الله يقول مما أنزله الله على أنبيائه وما هو من عند الله يقول وما ذلك الذى لووا به ألسنتهم فأحدثوه مما أنزله الله الى أحد من أنبيائه ولكنه مما أحدثوه من قبل أنفسهم افتراء على الله يقول عز وجل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون يعنى بذلك أنهم يتعمدون قيل الكذب على الله والشهادة عليه بالباطل والالحاق بكتاب الله ما ليس منه طلبا للرياسة والخسيس من حطام الدنيا وبنحو ما قلنا فى معنى يلوون ألسنتهم بالكتاب قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب قال يحرفونه حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب حتى بلغ وهم يعلمون هم أعداء الله اليهود حرفوا كتاب الله وابتدعوا فيه وزعموا أنه من عند الله حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وهم اليهود كانوا يزيدون فى كتاب الله ما لم ينزل الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب قال فريق من أهل الكتاب يلوون ألسنتهم وذلك تحريفهم اياه عن موضعه وأصل اللى الفتل والقلب من قول القائل لوى فلان يد فلان اذا فتلها وقلبها ومنه قول الشاعر * لوى يده الله الذى هو غالبه * يقال منه لوى يده ولسانه يلوى ليا وما لوى ظهر فلان أحد اذا لم يصرعه أحد ولم يفتل ظهره انسان وانه لألوى بعيد المستمر اذا كان شديد الخصومة صابرا عليها

ملوكا وعلماء باستعمالكم أمر الله تعالى ومواظبتكم على طاعته وقال أبو عبيدة أحسب أن هذه الكلمة ليست بعربية انما هى عبرانية أو سريانية وسواء كانت عربية أو عبرية تدل على الانسان الذى علم وعمل بما علم ثم اشتغل بتعليم طرق الخير عن محمد بن الحنفية أنه قال حين مات ابن عباس اليوم مات ربانى هذه الامة والباء فى قوله (بما كنتم) للسببية وما مصدرية و (تعلمون) من التعليم أو العلم على القراءتين فيعلم منه أن التعليم أو العلم أو الدراسة وهى القراءة توجب على صاحبها كونه ربانيا والسبب لا محالة مغاير للمسبب فهذا يقتضى أن يكون كونه ربانيا أمرا مغايرا لكونه عالما ومعلما ومواظبا على قراءة العلم وما ذاك الا بأن يكون تعلمه لله وتعليمه لله ودراسته لله فمن اشتغل بالعلم والتعليم والدراسة لا لهذا الغرض خاب وخسر وكان السبب بينه وبين ربه منقطعا وكان مثله كمن غرس شجرة تونقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها ولهذا قال صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من قلب لا يخشع ومن علم لا ينفع وفى الآية دليل على صحة قوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء تأمل تفهم باذن الله (ولا يأمركم) من قرأ بالنصب فوجهان أحدهما أن تجعل لا مزيدة لتأكيد النفى أى ما ينبغى لبشر أن ينصبه الله منصب الدعاء الى اختصاص الله بالعبادة ثم يخالفه الى أن يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمركم (أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا) كما تقول ما كان لزيد أن أكرمه ثم يهيننى ويستخف بى والثانى أن يكون حرف النفى غير زائد فيرجع المعنى الى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح بحيث قالوا له أنتخذك ربا قيل لهم ما كان لبشر أن يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادة نفسه وينهاكم عن عبادة الملائكة والانبياء فيكون عدم الامر فى معنى النهى ويراد بالنبيين غيره صلى الله عليه وسلم كأنه أخرج نفسه بتلك الدعوى عن زمرة الانبياء ومن قرأ بالرفع على الاستئناف فظاهر وتنصره قراءة عبد الله بن مسعود ولن يأمركم والضمير فيه على قراءة الرفع قال الزجاج لله وقال ابن جريج لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل لعيسى وانما خص الملائكة والنبيين بالذكر لان الذين وصفوا بعبادة غير الله لم يحك عنهم الا عبادة الملائكة وعبادة المسيح (أيأمركم) أى البشر وقيل الله (بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون) ومعنى الاستفهام الانكار أى انه لا يفعل ذلك قيل وفيه دليل على أن المخاطمين كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسجدوا له قلت وضع الشئ ابتداء أسهل من رفع نقيضه ثم وضعه فيحتمل أن يكون المراد ما صح ولا يعقل أن يأمر النبى صلى الله عليه وسلم أمته بعبادة نفسه أول ما استنبئ فكيف يعقل أن يأمرهم بذلك بعد الفهم بالاسلام واستنارة باطنهم

بنور الهدى والايمان بالله ﴿واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لايهدى القوم الظالمين أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لايخفف عنهم العذاب ولاهم ينظرون الاالذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم ومالهم من ناصرين﴾ القراآت لما بكسر اللام حمزة والخزاز الباقون بفتحها آتينا كم على صيغة جمع المتكلم أبو جعفر ونافع الباقون آتيتكم على الوحدة يبغون بياء الغيبة وترجعون بتاء الخطاب مبنيا للمفعول أبو عمرو غير عباس وقرأ عباس وسهل وحفص بالياء التحتانية فيهما وقرأ يعقوب يبغون بالياء التحتانية يرجعون بالتحتانية مبنيا للفاعل الباقون بتاء الخطاب فيهما ملء بالهمزة الارض بغير الهمز روى النجارى عن ورش وروى الاصفهانى عنه بغير همز فيهما الباقون بالهمز فيهما الوقوف ولتنصرنه ط اصرى ط أقررنا ط الشاهدين ○ الفاسقون ○ يرجعون ○ من ربهم ص منهم ج مسلمون ○ منه ج لعطف المختلفتين الخاسرين ○ البينات ط الظالمين ○ أجمعين ○ فيها ج (لا) ينظرون ○ (لا) للاستثناء رحيم ○ توبتهم ج الضالون ○ افتدى به ط ناصرين ○ التفسير الغرض من هذه الآيات تعديد الاشياء المعروفة عند أهل الكتاب مما يدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قطعا لأعذارهم واظهار العنادهم من جملتها أخذ ميثاق النبيين قال الزجاج تقديره واذكر يا محمد فى القرآن اذ أخذ الله وقيل واذكروا يا أهل الكتاب واضافة الميثاق الى النبيين اما أن تكون من اضافة العهد الى المعاهد منه أو من اضافة العهد الى المعاهد كما تقول ميثاق الله وعهد الله أما الاحتمال الاول فيؤيده مايشعر به ظاهر اللفظ من ان آخذ الميثاق هو الله والمأخوذ منهم النبيون وهو قول سعيد بن جبير والحسن

لايغلب فيها قال الشاعر

فلو كان فى ليلى شدا من خصومة * للويت أعناق الخصوم الملاويا

القول فى تأويل قوله (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله) يعنى بذلك جل ثناؤه ومايبنغى لأحد من البشر والبشر جمع بنى آدم لاواحد له من لفظه مثل القوم والخلق وقد يكون اسما للواحد أن يؤتيه الله الكتاب يقول أن ينزل الله عليه كتابه والحكم يعنى ويعلمه فصل الحكمة والنبوة يقول ويعطيه النبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله يعنى ثم يدعو الناس الى عبادة نفسه دون الله وقد آتاه الله ما آتاه من الكتاب والحكم والنبوة ولكن اذا آتاه الله ذلك فانما يدعوهم الى العلم بالله ويحدوهم على معرفة شرائع دينه وأن يكونوا رؤساء فى المعرفة بامر الله ونهيه وأئمة فى طاعته وعبادته بكونهم معلمى الناس الكتاب وبكونهم دارسيه وقيل ان هذه الآية نزلت فى قوم من أهل الكتاب قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم أتدعونا الى عبادتك كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ابن اسحق عن محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال أبو رافع القرظى حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الاسلام أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم فقال رجل من أهل نجران نصرانى يقال له الرئيس أو ذاك تريد منا يا محمد واليه تدعونا أو كما قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الله أن نعبد غير الله أو نأمر بعبادة غيره ما بذلك بعثنى ولا بذلك أمرنى أو كما قال فانزل الله عز وجل فى ذلك من قولهم ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة الآية الى قوله بعد اذ أنتم مسلمون حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال ثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال ثنى سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال قال أبو رافع القرظى فذكر نحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله يقول ما كان ينبغى لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة يأمر عباده أن يتخذوه ربا من دون الله حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال كان ناس من يهود يتعبدون الناس من دون ربهم بتحريفهم كتاب الله عن موضعه فقال الله عز وجل ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ثم يأمر الناس بغير ما أنزل الله فى كتابه القول فى تأويل قوله (ولكن

(ولكن كونوا ربانيين) يعني جل ثناؤه بذلك ولكن يقول لهم كونوا ربانيين فترك القول استغناء بدلالة الكلام عليه وأما قوله كونوا ربانيين فان أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم معناه كونوا حكماء علماء ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن أبي رزين كونوا ربانيين قال حكماء علماء حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن منصور عن أبي رزين كونوا ربانيين قال حكماء علماء حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن أبي رزين مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن أبي رزين ولكن كونوا ربانيين حكماء علماء حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن عوف عن الحسن في قوله كونوا ربانيين قال كونوا فقهاء علماء حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله كونوا ربانيين قال فقهاء حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني القاسم عن مجاهد قوله ولكن كونوا ربانيين قال فقهاء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولكن كونوا ربانيين قال كونوا فقهاء علماء حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن منصور بن المعتمر عن أبي رزين في قوله كونوا ربانيين قال علماء حكماء قال معمر قال قتادة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي في قوله كونوا ربانيين أما الربانيون فالحكماء الفقهاء حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الربانيون الفقهاء العلماء وهم فوق الأحبار حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولكن كونوا ربانيين يقول كونوا حكماء فقهاء حدثت عن المنجاب قال ثنا بشر بن عمارة عن أبي حمزة الثمالي عن يحيى بن عقيل في قوله الربانيون والاحبار قال الفقهاء العلماء حدثت عن المنجاب قال ثنا بشر عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس مثله حدثني ابن سنان القزاز قال ثنا الحسين بن الحسن الأشقر قال ثنا أبو كدينة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله كونوا ربانيين قال كونوا حكماء فقهاء حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله كونوا ربانيين يقول كونوا فقهاء علماء * وقال آخرون بل هم الحكماء الاتقياء ذكر من قال ذلك حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي قال ثنا فضيل بن عياض عن عطاء ابن السائب عن سعيد بن جبير قوله كونوا ربانيين قال حكماء أتقياء * وقال آخرون بل هم ولاة الناس وقادتهم ذكر من قال ذلك حدثني يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول في قوله كونوا ربانيين قال الربانيون الذين يربون الناس ولاة هذا الامر يربونهم يلونهم وقرأ لولا ينهاهم الربانيون والأحبار قال الربانيون الولاة والاحبار العلماء * قال أبو جعفر وأولى الاقوال عندي بالصواب في الربانيين أنهم جمع رباني وأن الرباني المنسوب الى الربان الذي يرب الناس وهو الذي يصلح أمورهم ويربها ويقوم بها ومنه قول علقمة بن عبدة

وكنت امرأ أفضت اليك ربابتي * وقبلك ربتني فضعت ربوب

يعني بقوله ربتني ولي أمري والقيام به قبلك من يربه ويصلحه فلم يصلحوه ولكنهم أضاعوني فضعت يقال منه رب أمري فلان فهو يربه ربا وهو رابه فاذا أريد به المبالغة في مدحه قيل هو ربان كما يقال هو نعسان من قولهم نعس ينعس وأكثر ما يجيء من الاسماء على فعلان ما كان من الافعال ماضيه على فعل مثل قولهم هو سكران وعطشان وريان من سكر يسكر وعطش يعطش وروي يروى وقد يجيء مما كان ماضيه على

وطاوس ثم على هذا القول ما نقل عن علي أنه ما بعث آدم ومن بعده من الانبياء الا أخذ عليهم العهد لئن بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه والذي يدل على صحته ما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لقد جئتكم بها بيضاء نقية أما والله لو كان موسى بن عمران حيا لما وسعه الا اتباعي فهذا على سبيل الفرض والتقدير وهو أنهم لو كانوا أحياء لوجب عليهم الايمان بمحمد والا فالميت لا يكون مكلفا وقيل المراد أولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف أو أمة النبيين فقد ورد كثيرا في القرآن لفظ النبي صلى الله عليه وسلم ويراد به الامة كقوله يا أيها النبي اذا طلقتم النساء وقيل النبيون أهل الكتاب وقد ورد على زعمهم تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن أولى بالنبوة من محمد صلى الله عليه وسلم لانا أهل الكتاب ومنا كان النبيون ويؤكده قراءة أبي وابن مسعود واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب وأما الاحتمال الثاني فالمعنى أن الانبياء عليهم السلام كانوا يأخذون الميثاق من أممهم بانه اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم فانه يجب عليهم أن يؤمنوا به ويؤكده أنه تعالى حكم بانهم ان تولوا كانوا فاسقين وهذا الوصف لا يليق بالانبياء وانما يليق بالاثم وروى عن ابن عباس انه قيل له ان أصحاب عبد الله يقرؤن واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب

فعل يفعل نحو ما قلنا من نعس ينعس و ر ب ير ب فاذا كان الامر فى ذلك على ما وصفنا وكان الر بان ماذ كرنا والر بانى هو المنسو ب الى من كان بالصفة التى وصفت وكان العالم بالفقه والحكمة من المصلحين يرب أمور الناس بتعليمه اياهم الخير ودعائهم الى ما فيه مصلحتهم وكان كذلك الحكيم التقى لله والوالى الذى يلى أمور الناس على المنهاج الذى وليه المقسطون من المصلحين أمور الخلق بالقيام فيهم بما فيه صلاح عاجلهم وآجلهم وعائدة النفع عليهم فى دينهم ودنياهم كانوا جميعا مستحقين أنهم ممن دخل فى قوله عزوجل ولكن كونوا ربانيين فالربانيون اذاهم عماد الناس فى الفقه والعلم وأمور الدين والدنيا ولذلك قال مجاهد وهم فوق الأحبار لان الاحبار هم العلماء والربانى الجامع الى العلم والفقه البصر بالسياسة والتدبير والقيام بامور الرعية وما يصلحهم فى دنياهم ودينهم ۞ القول فى تأويل قوله (بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه عامة قراء أهل الحجاز وبعض البصريين بما كنتم تعلمون بفتح التاء وتخفيف اللام يعنى بعلمكم الكتاب ودراستكم اياه وقراءتكم واعتلوا لاختيارهم قراءة ذلك كذلك بان الصواب لو كان التشديد فى اللام وضم التاء لكان الصواب فى تدرسون بضم التاء وتشديد الراء وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين بما كنتم تعلمون الكتاب بضم التاء من تعلمون وتشديد اللام بمعنى بتعليمكم الناس الكتاب ودراستكم اياه واعتلوا لاختيارهم ذلك بان من وصفهم بالتعليم فقد وصفهم بالعلم اذ لا يعلمون الا بعد علمهم بما يعلمون قالوا ولا موصوف بانه يعلم الا وهو موصوف بأنه عالم قالوا فأما الموصوف بأنه عالم فغير موصوف بأنه معلم غيره قالوا فاولى القراءتين بالصواب أبلغهما فى مدح القوم وذلك وصفهم بانهم كانوا يعلمون الناس الكتاب كما حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يحيى بن آدم عن ابن عيينة عن حميد الاعرج عن مجاهد أنه قرأ بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون مخففة بنصب التاء وقال ابن عيينة ما علموه حتى علموه وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك قراءة من قرأه بضم التاء وتشديد اللام لان الله عزوجل وصف القوم بانهم أهل عماد للناس فى دينهم ودنياهم وأهل اصلاح لهم ولأمورهم وتربية يقول جل ثناؤه ولكن كونوا ربانيين على ما بينا قبل من معنى الربانى ثم أخبر تعالى ذكره عنهم أنهم صاروا أهل اصلاح للناس وتربية لهم بتعليمهم اياهم كتاب ربهم ودراستهم اياه وتلاوته وقد قيل دراستهم الفقه وأشبه التأويلين بالدراسة ما قلنا من تلاوة الكتاب لانه عطف على قوله تعلمون الكتاب والكتاب هو القرآن فلأن تكون الدراسة معنيا بها دراسة القرآن أولى من أن تكون معنيا بها دراسة الفقه الذى لم يجر له ذكر ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال قال يحيى بن آدم قال أبو زكريا كان عاصم يقرؤها بما كنتم تعلمون الكتاب قال القرآن وبما كنتم تدرسون قال الفقه فمعنى الآية ولكن يقول لهم كونوا أيها الناس سادة الناس وقادتهم فى أمر دينهم ودنياهم ربانيين بتعليمكم اياهم كتاب الله وما فيه من حلال وحرام وفرض وندب وسائر ما حواه من معانى أمور دينهم وبتلاوتكم اياه ودراستكموه ۞ القول فى تأويل قوله عزوجل (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون) اختلفت القراء فى قراءة قوله ولا يأمركم فقرأته عامة قراء الحجاز والمدينة ولا يأمركم على وجه الابتداء من الله بالخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه لا يأمركم أيها الناس أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا واستشهد قارئو ذلك كذلك بقراءة ذكروها عن ابن مسعود أنه كان يقرؤها وهى ولن يأمركم فاستدلوا بدخول لن على انقطاع الكلام عما قبله وابتداء خبر مستأنف قالوا فلما صير مكان لن فى قراءتنا لا وجبت قراءته بالرفع وقرأه بعض الكوفيين والبصريين ولا يأمركم بنصب الراء عطفا على قوله ثم يقول للناس وكان تأويله عندهم ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب ثم يقول للناس ولا أن يأمركم بمعنى ولا كان له أن يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك ولا يأمركم بالنصب على الاتصال

ونحن نقرأ واذ أخذ الله ميثاق النبيين فقال انما أخذ الله ميثاق النبيين على قومهم (لما آتيتكم) من قرأ بفتح اللام ففيه وجهان أحدهما أن ما تكون موصولة واللام للابتداء وخبره لتؤمنن واللام فيه جواب القسم المقدر والعائد الى الموصول فى آتيتكم محذوف وفى جاءكم ما يدل عليه لما معكم لأنه فى معنى ما آتيتكم والتقدير للذى آتيتكموه من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له والله لتؤمنن به وثانيهما واختاره سيبويه وغيره كيلا يفتقر الى تكلف الرابط أن يقال أخذ الميثاق فى معنى الاستحلاف وما هى المتضمنة لمعنى الشرط وحينئذ يحتاج القسم الى الجواب والشرط الى الجزاء وليس ههنا ما يصلح لكل منهما الا الايمان والنصرة فالاصح فى هذا المقام أن يجعل المذكور جوابا للقسم ظاهرا ولهذا دخل اللام والنون المؤكدة فى لتؤمنن ولتنصرنّ وأدخل اللام فى الشرط وتسمى موطئة لانها تعين من أول الامر وتمهد أن المذكور هو جواب القسم لا الشرط ثم ان جواب الشرط يكون مستغنى عنه لان جواب القسم يسد مسده ومن قرأ بكسر اللام للتعليل ففيه أيضا وجهان أحدهما أن تكون ما مصدرية أى أخذ الله ميثاقهم لاجل ايتائى اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجىء رسول الله صلى الله عليه وسلم موافقا لكم فى الاصول لتؤمنن به لان من يؤتى الكتاب والحكمة فان اختصاصه بهذه الفضيلة يوجب عليه تصديق سائر

بالذى

بالذى قبله بتأول ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولا ان يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا الأن الآية نزلت فى سب القوم الذين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتريد أن نعبدك فأخبرهم الله جل ثناؤه أنه ليس لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعو الناس الى عبادة نفسه ولا الى اتخاذ الملائكة والنبيين أربابا ولكن الذى له أن يدعوهم الى أن يكونوا ربانيين فاما الذى ادعى من قرأ ذلك رفعا أنه فى قراءة عبد الله ولن يأمركم استشهادا لصحة قراءته بالرفع فذلك خبر غير صحيح سنده وانما هو خبر رواه حجاج عن هرون (١) لا يجوز أن ذلك فى قراءة عبد الله كذلك ولو كان ذلك خبرا صحيحا سنده لم يكن فيه لمحتج حجة لان ما كان على صحته من القراءة من الكتاب الذى جاء به المسلمون وراثة عن نبيهم صلى الله عليه وسلم لا يجوز تركه لتأويل نحو قراءة أضيفت الى بعض الصحابة بنقل من يجوز فى نقله الخطأ والسهو فتأويل الآية اذا وما كان للنبى أن يأمر الناس أن يتخذوا الملائكة والنبيين أربابا يعنى بذلك آلهة يعبدون من دون الله كما ليس له أن يقول لهم كونوا عبادا لى من دون الله ثم قال جل ثناؤه نافيا عن نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباده بذلك أيأمركم بالكفر أيها الناس نبيكم بجحود وحدانية الله بعد اذ أنتم مسلمون يعنى بعد اذ أنتم له منقادون بالطاعة متذللون له بالعبودية أى ان ذلك غير كائن منه أبدا وقد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال ولا يأمركم النبى صلى الله عليه وسلم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا ۞ القول فى تأويل قوله عز وجل (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) يعنى بذلك جل ثناؤه واذكروا يا أهل الكتاب اذ أخذ الله ميثاق النبيين يعنى حين أخذ الله ميثاق النبيين وميثاقهم ما وثقوا به على أنفسهم طاعة الله فيما أمرهم ونهاهم وقد بينا أصل الميثاق باختلاف أهل التأويل فيه بما فيه الكفاية لما آتيتكم من كتاب وحكمة اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق لما آتيتكم بفتح اللام من لما الا أنهم اختلفوا فى قراءة آتيتكم فقرأه بعضهم آتيتكم على التوحيد وقرأه آخرون آتيناكم على الجمع ثم اختلف أهل العربية اذا قرئ ذلك كذلك فقال بعض نحويى البصرة اللام التى مع ما فى أول الكلام لام الابتداء نحو قول القائل لزيد أفضل منك لان ما اسم والذى بعدها صلة لها واللام التى فى لتؤمنن به ولتنصرنه لام القسم كأنه قال والله لتؤمنن به يؤكد فى أول الكلام وفى آخره كما يقال أما والله أن لو جئتنى لكان كذا وكذا وقد يستغنى عنها فيؤكد فى لتؤمنن به باللام فى آخر الكلام وقد يستغنى عنها ويجعل خبر ما آتيتكم من كتاب وحكمة لتؤمنن به مثل لعبد الله (٢) والله لا يأتينه قال وان شئت جعلت خبر ما من كتاب يريد لما آتيتكم كتاب وحكمة وتكون من زائدة وخطأ بعض نحويى الكوفيين ذلك كله وقال اللام التى تدخل فى أوائل الجزاء لا تجاب بما ولا لا فلا يقال لمن قام لا تتبعه ولا لمن قام ما أحسن فاذا وقع فى جوابها ما ولا علم أن اللام ليست بتوكيد للاولى لانه يوضع موضعها ما ولا فتكون كالاولى وهى جواب للاولى قال وأما قوله لما آتيتكم من كتاب وحكمة بمعنى اسقاط من غلط لان من التى تدخل وتخرج لا تقع مواقع الاسماء قال ولا تقع فى الخبر أيضا انما تقع فى الجحد والاستفهام والجزاء وأولى الاقوال فى تأويل هذه الآية على قراءة من قرأ ذلك بفتح اللام بالصواب أن يكون قوله لما بمعنى لمهما وأن تكون ما حرف جزاء أدخلت عليها اللام وصير الفعل معها على فعل ثم أجيبت بما تجاب به الأيمان فصارت اللام الاولى يمينا اذ تلقيت بجواب اليمين وقرأ ذلك آخرون لما آتيتكم بكسر اللام من لما وذلك قراءة جماعة من أهل الكوفة ثم اختلف قارئو ذلك كذلك فى تأويله فقال بعضهم معناه اذا قرئ كذلك واذ أخذ الله ميثاق النبيين للذى آتيتكم فما على هذه القراءة بمعنى الذى عندهم وكان تأويل الكلام واذ أخذ الله ميثاق

---

(١) قوله لا يجوز أن ذلك لعل الأولى يجوز أن لا يكون ذلك الخ وقوله من الكتاب لعله دليل من الكتاب الخ تأمل كتبه مصححه

الانبياء والثانى أن تكون ما موصولة وبيان الرابط كما مر وعن سعيد بن جبير لما بالتشديد بمعنى حين وقيل أصله لمن ما أى لمن أجل ما آتيتكم أدغمت النون فى الميم فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفوا احداها للتخفيف فيؤل المعنى الى قراءة حمزة وفى جميع القراآت قيل لابد من اضمار بان يقال واذ أخذ الله ميثاق النبيين فقال مخاطبا لهم لما آتيتكم قلت هذا من باب الالتفات فلا حاجة الى الاضمار فكأنه قيل واذ أخذت أو أخذنا ولما فى أخذ الميثاق من معنى القول ومن العلماء من قدر الاضمار بنوع آخر واستحسنه فى التفسير الكبير مع أنه متكلف فقال واذ أخذ الله ميثاق النبيين لتبلغن الناس ما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم ان جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه والنبيون عام وليس كلهم أصحاب كتاب ولكنه وصف الكل بوصف أشرفهم أو الكتاب لذوى الكتب والحكمة لغيرهم أو جعل الداعى الى الكتاب والى العمل به كالذى أنزل عليه الكتاب ومن للبيان أو للتبعيض وقوله ثم جاءكم والرسول لا يجىء الى النبيين وانما يجىء الى الامم معناه أى فى زمانكم وان كان المراد من النبيين أولادهم أو أممهم فلا اشكال والمراد بتصديقه لما معهم موافقته فى التوحيد والنبوات وأصول الشرائع فأما تفاصيلها وان وقع الخلاف فيها فذلك فى الحقيقة ليس بخلاف لان جميع الانبياء متفقون على أن

النبيين من أجل الذى آتاهم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول يعنى ثم ان جاءكم رسول يعنى ذكر محمد فى التوراة لتؤمنن به أى ليكونن ايمانكم به للذى عندكم فى التوراة من ذكره * وقال آخرون منهم تأويل ذلك اذا قرئ بكسر اللام من لما واذ أخذ الله ميثاق النبيين للذى آتاهم من الحكمة ثم جعل قوله لتؤمنن به من الاخذ أخذ الميثاق كما يقال فى الكلام أخذت ميثاقك لتفعلن لان أخذ الميثاق بمنزلة الاستحلاف فكان تأويل الكلام عند قائل هذا القول واذا استحلف الله النبيين للذى آتاهم من كتاب وحكمة متى جاءهم رسول مصدق لما معهم ليؤمنن به ولينصرنه وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب قراءة من قرأ واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم بفتح اللام لان الله عزوجل أخذ ميثاق جميع الانبياء بتصديق كل رسول له ابتعثه الى خلقه فيما ابتعثه به اليهم كان ممن آتاه كتابا أو ممن لم يؤته كتابا وذلك أنه غير جائز وصف أحد من أنبياء الله عزوجل ورسله بانه كان ممن أبيح له التكذيب باحد من رسله فاذا كان ذلك كذلك وكان معلوما أن منهم من أنزل عليه الكتاب وأن منهم من لم ينزل عليه الكتاب كان بينا أن قراءة من قرأ ذلك لما آتيتكم بكسر اللام بمعنى من أجل الذى آتيتكم من كتاب لا وجه له مفهوم الا على تأويل بعيد وانتزاع عميق ثم اختلف أهل التأويل فيمن أخذ ميثاقه بالايمان بمن جاءه من رسل الله مصدقا لما معه فقال بعضهم انما أخذ الله بذلك ميثاق أهل الكتاب دون أنبيائهم واستشهدوا لصحة قولهم بذلك بقوله لتؤمنن به ولتنصرنه قالوا فانما أمر الذين أرسلت اليهم الرسل من الامم بالايمان برسل الله ونصرتها على من خالفها وأما الرسل فانه لا وجه لامرها بنصرة أحد لانها المحتاجة الى المعونة على من خالفها من كفرة بنى آدم فاما هى فانها لا تعين الكفرة على كفرها ولا تنصرها قالوا واذا لم يكن غيرها وغير الامم الكافرة فمن الذى ينصر النبى فيؤخذ ميثاقه بنصرته ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة قال هى خطأ من الكاتب وهى فى قراءة ابن مسعود واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله واذ أخذ الله ميثاق النبيين يقول واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب وكذلك كان يقرؤها الربيع واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب انما هى أهل الكتاب قال وكذلك كان يقرؤها أبى بن كعب قال الربيع ألا ترى أنه يقول ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه يقول لتؤمنن بمحمد صلى الله عليه وسلم ولتنصرنه قال هم أهل الكتاب * وقال آخرون بل الذين أخذ ميثاقهم بذلك الانبياء دون أممها ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى وأحمد بن حازم قالا ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن حبيب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال انما أخذ الله ميثاق النبيين على قومهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه فى قوله واذ أخذ الله ميثاق النبيين أن يصدق بعضهم بعضا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن ابن طاوس عن أبيه فى قوله واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم الآية قال أخذ الله ميثاق الاول من الانبياء ليصدقن وليؤمنن بما جاء به الآخر منهم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن هاشم قال أخبرنا سيف بن عمر عن أبى روق عن أبى أيوب عن على بن أبى طالب قال لم يبعث الله عزوجل نبيا آدم فمن بعده الا أخذ عليه العهد فى محمد لئن بعث وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه و يأمره فيأخذ العهد على قومه فقال واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما

ولو قلنا ان المراد بالرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم فالمراد ما ذكرنا أو أن نعته وصفته وأحواله مذكورة فى الكتب المتقدمة فكان نفس مجيئه تصديقا لما كان معهم والظاهر أن المراد بهذا الميثاق هو التوصية بان يؤمنوا بكل رسول يجىء مصدقا لما معهم وقيل يحتمل أن يكون الميثاق اشارة الى ما قرر فى عقولهم من الدلائل الدالة على أن الانقياد لامر الله واجب فاذا جاء الرسول فهو انما يكون رسولا عند ظهور المعجزات الدالة على صدقه فاذا أخبرهم بعد ذلك أن الله أمر الخلق بالايمان به عرفوا عند ذلك وجوبه وقيل المراد بأخذ الميثاق أنه تعالى شرح صفاته صلى الله عليه وسلم فى كتب الانبياء المتقدمين فاذا صارت أحواله صلى الله عليه وسلم مطابقة لما جاء فى الكتب الالهية وجب الانقياد له صلى الله عليه وسلم وهذا انما يصح لو كان المراد بالنبيين أولادهم أو أممهم أو ميثاق النبيين من الامم او ميثاق الله من النبيين على تقدير كونهم أحياء اقول والله أعلم يحتمل أن يراد بقوله ثم جاءكم المجىء فى الزمان الماضى فيكون معنى الآية أن الله تعالى أخذ ميثاقه من كل نبى أوتى كتابا وحكمة أن يؤمن بكل رسول كان قد جاء قبله موافقا لما معه و ينصر دينه بان يظهر حقيقته فى وقته وأنه من عند الله سبحانه وأنه موافق له فى

آتيتكم

ا تيتكم من كتاب الآية هـذا ميثاق أخذه الله على النبيين أن يصدق بعضهم بعضا وأن يبلغوا كتاب الله ورسالاته فبلغت الانبياء كتاب الله ورسالاته الى قومهم وأخذ عليهم فيما بلغتهم رسلهم أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويصدقوه وينصروه حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الآية قال لم يبعث الله عز وجل نبيا قط من لدن نوح الا أخذ ميثاقه ليؤمنن بمحمد ولينصرنه ان خرج وهو حي والا أخذ على قومه أن يؤمنوا به ولينصرنه ان خرج وهم أحياء حدثني محمد بن سنان قال ثنا عبد الكبير بن عبد المجيد أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد بن منصور قال سألت الحسن عن قوله واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الآية كلها قال أخذ الله ميثاق النبيين ليبلغن آخركم أولكم ولا تختلفوا * وقال آخرون معنى ذلك أنه أخذ ميثاق النبيين وأممهم فاجتزأ بذكر الانبياء عن ذكر أممها لان في ذكر أخذ الميثاق على المتبوع دلالة على أخذه على التباع لان الامم هم تباع الانبياء ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ثم ذكر ما أخذ عليهم يعني على أهل الكتاب وعلى أنبيائهم من الميثاق بتصديقه يعني بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم اذا جاءهم واقرارهم به على أنفسهم فقال واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الى آخر الآية حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال ثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس مثله * وأولى هذه الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك الخبر عن أخذ الله الميثاق من أنبيائه بتصديق بعضهم بعضا وأخذ الانبياء على أممها وتباعها الميثاق بنحو الذي أخذ عليها ربها من تصديق أنبياء الله ورسله بما جاءتها به لان الانبياء عليهم السلام بذلك أرسلت الى أممها ولم يدع أحد ممن صدق المرسلين أن نبيا أرسل الى أمة بتكذيب أحد من أنبياء الله عز وجل وحججه في عباده بل كلها وان كذب بعض الامم بعض أنبياء الله بجحودها نبوته مقرة بان من ثبتت صحة نبوته فعليها الدينونة بتصديقه فذلك ميثاق مقر به جميعهم ولا معنى لقول من زعم أن الميثاق انما أخذ على الامم دون الانبياء لان الله عز وجل قد أخبر أنه أخذ ذلك من النبيين فسواء قال قائل لم يأخذ ذلك منها ربها أو قال لم يأمرها ببلاغ ما أرسلت وقد نص الله عز وجل أنه أمرها بتبليغه لانهما جميعا خبران من الله عنها أحدهما أنه أخذ منها والآخر منهما أنه أمرها فان جاز الشك في أحدهما جاز في الآخر وأما ما استشهد به الربيع بن أنس على أن المعني بذلك أهل الكتاب من قوله لتؤمنن به ولتنصرنه فان ذلك غير شاهد على صحة ما قال لان الانبياء قد أمر بعضها بتصديق بعض وتصديق بعضها بعضا نصرة من بعضها بعضا ثم اختلفوا في الذين عنوا بقوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه فقال بعضهم الذين عنوا بذلك هم الانبياء أخذت مواثيقهم أن يصدق بعضهم بعضا وأن ينصروه وقد ذكرنا الرواية بذلك عمن قاله * وقال آخرون هم أهل الكتاب أمروا بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم اذا بعثه الله وبنصرته وأخذ ميثاقهم في كتبهم بذلك وقد ذكرنا الرواية بذلك أيضا عمن قاله * وقال آخرون ممن قال الذين عنوا بأخذ الله ميثاقه منهم في هذه الآية هم الانبياء قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم معني به أهل الكتاب ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال أخبرنا ابن طاوس عن أبيه في قوله واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة قال أخذ الله ميثاق النبيين أن يصدق بعضهم بعضا ثم قال ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال فهذه الآية لاهل الكتاب أخذ الله ميثاقهم أن يؤمنوا بمحمد ويصدقوه حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثني ابن أبي جعفر عن أبيه قال قال قتادة أخذ الله على

أصول العقائد وفي قواعد مكارم الاخلاق فتكون هذه الآية تمهيد الماجيء بعد من قوله قل آمنا بالله الآية (قال) الله أو كل نبي لامته مستفهما بمعنى الامر (أأقررتم) بالايمان به والنصرة والاقرار في الشرع اخبار عن ثبوت حق سابق وفي اللغة منقول بهمزة التعدية من قر الشيء يقر اذا ثبت ولزم مكانه (وأخذتم) أي قبلتم (على ذلكم إصري) عهدي والاخذ بمعنى القبول كثير قال تعالى لا يؤخذ منها عدل أي لا يقبل ويأخذ الصدقات أي يقبلها سمي العهد إصرا لانه مما يؤصر أي يشد ويعقد ثم بعد المطالبة بالاقرار أكد ذلك بالاشهاد وقال (فاشهدوا) أي فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وفي قوله (وأنا معكم من الشاهدين) وانه لا يخفى عليه خافية تذكير لهم وتوكيد عليهم وتحذير من الرجوع اذا علموا شهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل فاشهدوا خطاب للملائكة وقيل معناه ليجعل كل أحد نفسه شاهدا على نفسه كقوله وأشهدهم على أنفسهم وقيل بينوا هذا الميثاق للخاص والعام حتى لا يبقى لأحد عذر في الجهل به وأصله أن الشاهد هو الذي يبين تصديق الدعوى وقيل استيقنوا وكونوا كالمشاهد للشيء المعاين له أو يكون خطابا للانبياء بان يكونوا شاهدين على الامم ثم ضم الى التوكيد الوعيد بقوله (فمن تولى بعد ذلك) الميثاق وصنوف التوكيد فلم يؤمن ولم ينصر (فأولئك هم

النبيين ميثاقهم أن يصدق بعضهم بعضا وأن يبلغوا كتاب الله ورسالته الى عباده فبلغت الانبياء كتاب الله ورسالاته الى قومهم وأخذوا مواثيق أهل الكتاب في كتابهم فيما بلغتهم رسلهم أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويصدقوه وينصروه * وأولى الاقوال بالصواب عندنا في تأويل هذه الآية أن جميع ذلك خبر من الله عز وجل عن أنبيائه أنه أخذ ميثاقهم به وألزمهم دعاء أممهم اليه والاقرار به لان ابتداء الآية خبر من الله عز وجل عن أنبيائه أنه أخذ ميثاقهم ثم وصف الذي أخذ به ميثاقهم فقال هو كذا وهو كذا وانما قلنا ان ما أخبر الله أنه أخذ به مواثيق أنبيائه من ذلك قد أخذت الانبياء مواثيق أممهم به لانها أرسلت لتدعو عباد الله الى الدينونة بما أمرت بالدينونة به في أنفسها من تصديق رسل الله على ما قدمنا البيان قبل فتأويل الآية واذكروا يا معشر أهل الكتاب اذ أخذ الله ميثاق النبيين لمهما آتيتكم أيها النبيون من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول من عندي مصدق لما معكم لتؤمنن به يقول لتصدقنه ولتنصرنه وقد قال السدي في ذلك بما حدثنا به محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قوله لما آتيتكم يقول لليهود أخذت ميثاق النبيين بمحمد صلى الله عليه وسلم وهو الذي ذكر في الكتاب عندكم فتأويل ذلك على قول السدي الذي ذكرناه واذكروا يا معشر أهل الكتاب اذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم أيها اليهود من كتاب وحكمة وهذا الذي قاله السدي كان تأويلا لا وجه غيره لو كان التنزيل بما آتيتكم ولكن التنزيل باللام لما آتيتكم وغير جائز في لغة أحد من العرب أن يقال أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم بمعنى بما آتيتكم ⊛ القول في تأويل قوله (قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا) يعني بذلك جل ثناؤه واذ أخذ الله ميثاق النبيين بما ذكر فقال لهم تعالى ذكره أأقررتم بالميثاق الذي واثقتموني عليه من أنكم مهما أتاكم رسول من عندي مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وأخذتم على ذلكم اصري يقول وأخذتم على ما واثقتموني عليه من الايمان بالرسل التي تأتيكم بتصديق ما معكم من عندي والقيام بنصرتهم اصري يعني عهدي ووصيتي وقبلتم في ذلك مني ورضيتموه والاخذ هو القبول في هذا الموضع والرضا من قولهم أخذ الوالي عليه البيعة بمعنى بايعه وقبل ولايته ورضي بها وقد بينا معنى الاصر باختلاف المختلفين فيه والصحيح من القول في ذلك فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وحذفت الفاء من قوله قال أأقررتم لانه ابتداء كلام على نحو ما قد بينا في نظائره فيما مضى وأما قوله قالوا أقررنا فانه يعني به قال النبيون الذين أخذ الله ميثاقهم بما ذكر في هذه الآية أقررنا بما ألزمتنا من الايمان برسلك الذين ترسلهم مصدقين لما معنا من كتبك وبنصرتهم ⊛ القول في تأويل قوله (قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) يعني بذلك جل ثناؤه قال الله فاشهدوا أيها النبيون بما أخذت به ميثاقكم من الايمان بتصديق رسلي التي تأتيكم بتصديق ما معكم من الكتاب والحكمة ونصرتهم على أنفسكم وعلى أتباعكم من الامم اذ أنتم أخذتم ميثاقهم على ذلك وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعليهم بذلك كما حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن هاشم قال أخبرنا سيف بن عمرو عن أبي روق عن أبي أيوب عن علي بن أبي طالب في قوله قال فاشهدوا يقول فاشهدوا على أممكم بذلك وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعليهم ⊛ القول في تأويل قوله (فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) يعني بذلك جل ثناؤه فمن أعرض عن الايمان برسلي الذين أرسلتهم بتصديق ما كان مع أنبيائي من الكتب والحكمة وعن نصرتهم فأدبر ولم يؤمن بذلك ولم ينصر ونكث عهده وميثاقه بعد ذلك يعني بعد العهد والميثاق الذي أخذ الله عليه فأولئك هم الفاسقون يعني بذلك أن المتولين عن الايمان بالرسل الذين وصف أمرهم ونصرتهم بعد العهد والميثاق اللذين أخذا عليهم بذلك هم

الفاسقون

الفاسقون) الخارجون عن دين الله وطاعته ووعيد الفساق المردة معلوم ثم وبخ من خرج عن دين الله الى غيره بادخال همزة الاستفهام على الفاء العاطفة فقال (أفغير دين الله يبغون) ويحتمل أن يراد أيتولون فغير دين الله يبغون (وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون) من قرأ بتاء الخطاب فيهما فلأن ما قبله خطاب في أأقررتم وأخذتم أو للالتفات بعد قوله أولئك هم الفاسقون ومن قرأ بياء الغيبة فلرجوع الضمير في الاول الى الفاسقين وفي الثاني الى جميع المكلفين والاصل أفتبتغون غير دين الله لان الاستفهام انما يكون عن الحوادث الا أنه قدم المفعول لانه أهم من حيث ان الانكار الذي هو فائدة الهمزة ههنا متوجه الى الدين الباطل وعن ابن عباس أن أهل الكتابين اختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفوا فيه من دين ابراهيم فكل واحد من الفريقين ادعى أنه أولى به فقال صلى الله عليه وسلم كل الفريقين بريء من دين ابراهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فنزلت وعلى هذا تكون الآية كالمنقطعة عما قبلها ولكن الاستفهام على سبيل الانكار يقتضي تعلقها بما قبلها فالوجه أن هذا الميثاق لما كان مذكورا في كتبهم ولم يكن لكفرهم سبب الا مجرد البغي والعناد كانوا طالبين دينا غير دين الله فاستنكر أن يفعلوا ذلك أو قرر أنهم يفعلون ثم بين أن الاعراض

الفاسقون يعني بذلك الخارجون من دين الله وطاعة ربهم كما حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله ابن هاشم قال أخبرنا سيف بن عمرو عن أبي روق عن أبي أيوب عن علي بن أبي طالب فمن تولى عنك يا محمد بعد هذا العهد من جميع الامم فأولئك هم الفاسقون هم العاصون في الكفر حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه قال أبو جعفر يعني الرازي فمن تولى بعد ذلك يقول بعد العهد والميثاق الذي أخذ عليهم فأولئك هم الفاسقون حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن الربيع مثله وهاتان الآيتان وان كان مخرج الخبر فيهما من الله عز وجل بما أخبر أنه أشهد وأخذ به ميثاق من أخذ ميثاقه به عن أنبيائه ورسله فانه مقصود به اخبار من كان حوالى مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم من يهود بني اسرائيل أيام حياته صلى الله عليه وسلم عما لله عليهم من العهد في الايمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى تذكيرهم ما كان الله آخذا على آبائهم وأسلافهم من المواثيق والعهود وما كانت أنبياء الله عرفتهم وتقدمت اليهم في تصديقه واتباعه ونصرته على من خالفه وكذبه وتعريفهم ما في كتب الله التي أنزلها الى أنبيائه التي ابتعثهم اليهم من صفته وعلامته ﴿ القول في تأويل قوله (أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز من مكة والمدينة وقراء الكوفة أفغير دين الله تبغون واليه ترجعون على وجه الخطاب وقرأ ذلك بعض أهل الحجاز أفغير دين الله يبغون واليه يرجعون بالياء كلتيهما على وجه الخبر عن الغائب وقرأ ذلك بعض أهل البصرة أفغير دين الله يبغون على وجه الخبر عن الغائب واليه ترجعون بالتاء على وجه المخاطبة وأولى ذلك بالصواب قراءة من قرأ أفغير دين الله تبغون على وجه الخطاب واليه ترجعون بالتاء لان الآية التي قبلها خطاب لهم فاتباع الخطاب نظيره أولى من صرف الكلام الى غير نظيره وان كان الوجه الآخر جائزا لما قد ذكرنا فيما مضى قبل من أن الحكاية يخرج الكلام معها أحيانا على الخطاب كله وأحيانا على وجه الخبر عن الغائب وأحيانا بعضه على الخطاب وبعضه على الغيبة فقوله تبغون واليه ترجعون في هذه الآية من ذلك وتأويل الكلام يا معشر أهل الكتاب أفغير دين الله تبغون يقول أفغير طاعة الله تلتمسون وتريدون وله أسلم من في السموات والارض يقول وله خشع من في السموات والارض فخضع له بالعبودية وأقر له بافراد الربوبية وانقاد له باخلاص التوحيد والالوهية طوعا وكرها يقول أسلم لله طائعا من كان اسلامه منهم له طائعا وذلك كالملائكة والانبياء والمرسلين فانهم أسلموا لله طائعين وكرها من كان منهم كارها اختلف أهل التأويل في معنى اسلام الكاره الاسلام وصفته فقال بعضهم اسلامه اقراره بان الله خالقه وربه وان أشرك معه في العبادة غيره ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن مجاهد وله أسلم من في السموات والارض قال هو كقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع عن أبي العالية في قوله وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون قال كل آدمي قد أقر على نفسه بان الله ربي وأنا عبده فمن أشرك في عبادته فهذا الذي أسلم كرها ومن أخلص له العبودية فهو الذي أسلم طوعا * وقال آخرون بل اسلام الكاره منهم كان حين أخذ منه الميثاق فأقر به ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن سفيان عن الاعمش عن مجاهد عن ابن عباس وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها قال حين أخذ الميثاق * وقال آخرون عنى باسلام الكاره منهم سجود ظله ذكر من قال ذلك حدثنا

ممكن وكل ممكن لذاته فانه لا يوجد الا بايجاده ولا يعدم الا باعدامه فهو ذليل بين يدي قدرته خاضع لجلال قدره في طرفي وجوده وعدمه عقلا كان أو نفسا أو روحا أو جسما أو جوهرا أو عرضا أو فاعلا أو فعلا ونظيره الآية ولله يسجد من في السموات والارض فلا سبيل لاحد الى الامتناع عن مراده (طوعا وكرها) وهما مصدران وقعا موقع الحال لانهما من جنس الفعل أي طائعين وكارهين كقولك أتاني ركضا أي راكضا ولو قلت أتاني كلاما أي متكلما لم يجز لان الكلام ليس من جنس الاتيان فالمسلمون الصالحون ينقادون لله طوعا فيما يتعلق بالدين وكرها في غيره من الآلام والمكاره التي تخالف طباعهم لانهم لا يمكنهم دفع قضائه وقدره وأما الكافرون فينقادون في الدين كرها أي خوفا من السيف أو عند الموت أو نزول العذاب وعن الحسن الطوع لاهل السموات والكره لاهل الارض أقول وذلك لان السفلي ينجذب بالطبع الى السفل فحمله نفسه على ما يخالف طبعه هو الكره وبلسان الصوفية من شاهد الجمال أسلم طوعا ومن شاهد الجلال أسلم كرها فليس الاعتبار بذلك الاسلام الفطري بل الاعتبار بهذا الاسلام الكسبي (واليه ترجعون) أي الى حيث لا مالك سواه ظاهرا

سوار بن عبد الله قال ثنا المعتمر بن سليمان عن ليث عن مجاهد في قول الله عز وجل وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها قال الطائع المؤمن وكرها ظل الكافر حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله طوعا وكرها قال سجود المؤمن طائعا وسجود الكافر وهو كاره حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد كرها قال سجود المؤمن طائعا وسجود ظل الكافر وهو كاره حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد قال سجود وجهه وظله (١) طائعا * وقال آخرون بل اسلامه بقلبه في مشيئة الله واستقادته لأمره وان أنكر الوهيته بلسانه ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن اسرائيل عن جابر عن عامر وله أسلم من في السموات والارض قال استقاد كلهم له * وقال آخرون عنى بذلك اسلام من أسلم من الناس كرها حذر السيف على نفسه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد بن منصور عن الحسن في قوله وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها الآية كلها فقال أكره أقوام على الاسلام وجاء أقوام طائعين حدثني الحسن بن قزعة الباهلي قال ثنا روح بن عطاء عن مطر الوراق في قول الله عز وجل وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون قال الملائكة طوعا والانصار طوعا وبنو سليم وعبد القيس طوعا والناس كلهم كرها * وقال آخرون معنى ذلك أن أهل الايمان أسلموا طوعا وأن الكافر أسلم في حال المعاينة حين لا ينفعه اسلام كرها ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفغير دين الله تبغون الآية فأما المؤمن فأسلم طائعا فنفعه ذلك وقبل منه وأما الكافر فأسلم كارها حين لا ينفعه ذلك ولا يقبل منه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها قال أما المؤمن فأسلم طائعا وأما الكافر فأسلم حين رأى بأس الله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا * وقال آخرون معنى ذلك في عبادة الخلق لله عز وجل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أفغير دين الله تبغون وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها قال عبادتهم لي أجمعين طوعا وكرها وهو قوله ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وأما قوله واليه ترجعون فانه يعني واليه يا معشر من يبتغي غير الاسلام دينا من اليهود والنصارى وسائر الناس ترجعون يقول اليه تصيرون بعد مماتكم فمجازيكم بأعمالكم المحسن منكم باحسانه والمسيء باساءته وهذا من الله عز وجل تحذير خلقه أن يرجع اليه أحد منهم فيصير اليه بعد وفاته على غير ملة الاسلام

القول في تأويل قوله تعالى (قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) يعني بذلك جل ثناؤه أفغير دين الله تبغون يا معشر اليهود وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون فان ابتغوا غير دين الله يا محمد فقل لهم آمنا بالله فترك ذكر قوله فان قالوا نعم وذكر قوله فان ابتغوا غير دين الله لدلالة ما ظهر من الكلام عليه وقوله قل آمنا بالله يعني به قل لهم يا محمد صدقنا بالله أنه ربنا والهنا لا اله غيره ولا نعبد أحدا سواه وما أنزل علينا يقول وقل وصدقنا أيضا بما أنزل علينا من وحيه وتنزيله فأقررنا به وما أنزل على ابراهيم يقول وصدقنا أيضا بما أنزل على ابراهيم خليل الله وعلى ابنيه اسمعيل واسحق وابن ابنه يعقوب وبما أنزل على الأسباط وهم ولد يعقوب الاثنا عشر وقد بينا أسماءهم بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وما أوتي موسى وعيسى يقول وصدقنا أيضا

(١) لعله طائعا وكارها تأمل كتبه مصححه

الله عليه وسلم بذلك ليعرف منه غاية اذعانه ونهاية استسلامه أما وجه التوحيد في قل فظاهر بناء على ما قلنا وأما وجه الجمع في آمنا فالتشريف أمته بانضمامهم معه في سلك الاخبار عن الايمان أو ليعلم أن هذا التكليف ليس من خواصه وانما هو لازم لجميع المؤمنين كقوله والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته أو لاجلال قدر نبيه حيث أمر أن يتكلم عن نفسه كما يتكلم العظماء والملوك وقدم الايمان بالله لانه أصل جميع الفوائد ثم ذكر الايمان بما أنزل الله اليه لان كتب سائر الانبياء محرفة لا سبيل الى معرفة أحوالها الا بالفرقان المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر الايمان بما أنزل على مشاهير الانبياء اذ لا سبيل الى حصر الكل وفي ذلك تنبيه على سوء عقيدة أهل الكتاب حيث فرقوا بين الانبياء فصدقوا بعضا وكذبوا بعضا ورمز الى أنهم ليسوا من الدين في شيء حيث خالفوا مقتضى الميثاق ثم ان قلنا انه تعالى أخذ الميثاق على كل نبي أن يؤمن بكل رسول جاء بعده كما ذهب اليه الجمهور في تفسير قوله واذ أخذ الله ميثاق النبيين فههنا قد أخذ الميثاق على محمد صلى الله عليه وسلم بان يؤمن بكل رسول كان قبله ولم يؤخذ عليه الميثاق لمن يأتي بعده فيكون في الآية دليل على أنه لا نبي بعده * واعلم أن الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل فيجوز أن يعدى أنزل بعلى تارة كما في هذه الآية وبحرف الانتهاء أخرى كما في البقرة فنطق القرآن بالاعتبارين جميعا وقيل عدي هنالك بالى

مع ذلك بالذى أنزل الله على موسى وعيسى من الكتب والوحي وبما أنزل على النبيين من عنده والذى آتى الله موسى وعيسى مما أمر الله عزوجل محمدا بتصديقهما فيه والايمان به التوراة التى آتاها موسى والانجيل الذى آتاه عيسى لانفرق بين أحد منهم يقول لانصدق بعضهم ونكذب بعضهم ولانؤمن ببعضهم ونكفر ببعضهم كما كفرت اليهود والنصارى ببعض أنبياء الله وصدقت بعضا ولكنا نؤمن بجميعهم ونصدقهم ونحن له مسلمون يعني ونحن ندين لله بالاسلام لاندين غيره بل نتبرأ اليه من كل دين سواه ومن كل ملة غيره ويعني بقوله ونحن له مسلمون ونحن له منقادون بالطاعة متذللون بالعبودية مقرون له بالألوهة والربوبية وأنه لااله غيره وقد ذكرنا الرواية بمعنى ماقلنا فى ذلك فيما مضى وكرهنا اعادته ﴿ القول فى تأويل قوله (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) يعنى بذلك جل ثناؤه ومن يطلب دينا غير دين الاسلام ليدين به فلن يقبل الله منه وهو فى الآخرة من الخاسرين يقول من الباخسين أنفسهم حظوظها من رحمة الله عزوجل وذكر أن أهل كل ملة ادعوا أنهم هم المسلمون لما نزلت هذه الآية فأمرهم الله بالحج ان كانوا صادقين لان من سنة الاسلام الحج فامتنعوا فأدحض الله بذلك حجتهم ذكر الخبر بذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح قال زعم عكرمة ومن يبتغ غير الاسلام دينا فقالت الملل نحن المسلمون فأنزل الله عزوجل ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين فحج المسلمون وقعد الكفار حدثني المثنى قال ثنا القعنبى قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن عكرمة قال ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه قالت اليهود فنحن المسلمون فأنزل الله عزوجل لنبيه صلى الله عليه وسلم يحجهم ان الله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين حدثني يونس قال أخبرنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن عكرمة قال لما نزلت ومن يبتغ غير الاسلام دينا الى آخر الآية قالت اليهود فنحن مسلمون قال الله عزوجل لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم ان الله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر من أهل الملل فان الله غنى عن العالمين * وقال آخرون فى هذه الآية بما حدثنا به المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر الى قوله ولاهم يحزنون فأنزل الله عزوجل بعد هذا ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ﴿ القول فى تأويل قوله عزوجل (كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لايهدى القوم الظالمين أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لايخفف عنهم العذاب ولاهم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم) اختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية وفيمن نزلت فقال بعضهم نزلت فى الحرث بن سويد الانصارى وكان مسلما فارتد بعد اسلامه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع البصرى قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال كان رجل من الانصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك ثم ندم فأرسل الى قومه أرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لى من توبة قال فنزلت كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم الى قوله وجاءهم البينات والله لايهدى القوم الظالمين الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم فأرسل اليه قومه فأسلم حدثني ابن المثنى قال ثنى عبد الأعلى قال ثنا داود عن عكرمة بنحوه ولم يرفعه الى ابن عباس الا أنه قال فكتب اليه قومه فقال ماكذبني قومي فرجع حدثنا أبو كريب قال ثنا حكيم بن جميع عن على بن مسهر عن داود بن

الاستقلال وزيفه فى الكشاف بقوله تعالى وأنزلنا اليك الكتاب وبقوله آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا والانصاف أن هذا القائل لم يدع أن هذه المناسبة يجب اعتبارها فى كل موضع وانما ادعى اعتبارها فى الموضعين فيصلح حجة للتخصيص والله أعلم (ونحن له مسلمون) فائدة تقديم الجار أن يعلم أن هذا الاذعان والايمان والاستسلام لاغرض فيه الا وجه الله دون شئ آخر من طلب المال والجاه بخلاف أحبار اليهود الذين يشترون بآيات الله ثمنا قليلا فليسوا من الاسلام فى شئ (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه) فماذا بعد الحق الا الضلال (وهو فى الآخرة من الخاسرين) حيث فاته الثواب وحصل مكانه العقاب والخاسرون ههنا هم الكافرون فقط عند أهل السنة ومع أصحاب الكبائر عند المعتزلة وقد يستدل بالآية على أن الايمان والاسلام واحد اذ لو كان الايمان غير الاسلام كان غير مقبول لأن كل ماهو غير الاسلام ليس بمقبول عند الله للآية وقد ذكرنا مرارا أن النزاع لفظى لان الاسلام ان أريد به الانقياد الكلى فلافرق بينه وبين الايمان كما فى هذه الآية وان

أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال ارتد رجل من الأنصار فذكر نحوه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا جعفر بن سليمان قال أخبرنا حميد الأعرج عن مجاهد قال جاء الحرث ابن سويد فأسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم كفر الحرث فرجع الى قومه فأنزل الله عز وجل فيه القرآن كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم الى الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم قال فحملها اليه رجل من قومه فقرأها عليه فقال الحرث انك والله ما علمت لصدوق وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصدق منك وان الله عز وجل لأصدق الثلاثة قال فرجع الحرث فأسلم فحسن اسلامه حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا أن الرسول حق قال أنزلت في الحرث بن سويد الانصاري كفر بعد ايمانه فانزل الله عز وجل فيه هذه الآيات الى أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ثم تاب وأسلم فنسخها الله عنه فقال الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات قال رجل من بني عمرو بن عوف كفر بعد ايمانه حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال هو رجل من بني عمرو بن عوف كفر بعد ايمانه قال ابن جريج أخبرني عبد الله بن كثير عن مجاهد قال لحق بأرض الروم فتنصر ثم كتب الى قومه أرسلوا هل لي من توبة قال فحسبت أنه آمن ثم رجع قال ابن جريج قال عكرمة نزلت في أبي عامر الراهب والحرث بن سويد بن الصامت ووحوح بن الأسلت في اثني عشر رجلا رجعوا عن الاسلام ولحقوا بقريش ثم كتبوا الى أهلهم هل لنا من توبة فنزلت الا الذين تابوا من بعد ذلك الآيات * وقال آخرون عنى بهذه الآية أهل الكتاب وفيهم نزلت ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم فهم أهل الكتاب عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم ثم كفروا به حدثنا محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد بن منصور عن الحسن في قوله كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم الآية كلها قال اليهود والنصارى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول في قوله كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم الآية هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى رأوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم في كتابهم وأقروا به وشهدوا أنه حق فلما بعث من غيرهم حسدوا العرب على ذلك فأنكروه وكفروا بعد اقرارهم حسدا للعرب حين بعث من غيرهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم قال هم أهل الكتاب كانوا يجدون محمدا صلى الله عليه وسلم في كتابهم ويستفتحون به فكفروا بعد ايمانهم * قال أبو جعفر وأشبه القولين بظاهر التنزيل ما قال الحسن من أن هذه الآية معنى بها أهل الكتاب على ما قال غير أن الاخبار بالقول الآخر أكثر والقائلين به أعلم بتأويل القرآن وجائز أن يكون الله عز وجل أنزل هذه الآيات بسبب القوم الذين ذكر أنهم كانوا ارتدوا عن الاسلام فجمع قصتهم وقصة من كان سبيله سبيلهم في ارتداده عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم في هذه الآيات ثم عرف عباده سنته فيهم فيكون داخلا في ذلك كل من كان مؤمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث ثم كفر به بعد أن بعث وكل من كان كافرا ثم أسلم على عهده صلى الله

قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ثم بين وعيد من ترك الاسلام فقال (كيف يهدى الله) واختلف في سبب النزول ففي رواية عن ابن عباس نزلت في يهود قريظة والنضير ومن دان بدينهم كفروا بالنبي بعد أن كانوا مؤمنين قبل مبعثه وكانوا يشهدون له بالنبوة فلما بعث وجاءهم بالبينات والمعجزات كفروا به بغيا وحسدا وعنادا ولددا وفي رواية أخرى عنه نزلت في رهط كانوا أسلموا ثم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم أخذوا يتربصون به ريب المنون وكان فيهم من تاب فاستثنى التائب بقوله الا الذين تابوا وعن مجاهد قال كان الحرث ابن سويد قد أسلم وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لحق بقومه وكفر فانزل الله هذه الآية الى قوله فان الله غفور رحيم فحملهن اليه رجل من قومه فقرأهن عليه فقال الحرث والله انك لصدوق وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصدق منك وان الله أصدق الثلاثة ثم رجع فأسلم اسلاما حسنا قالت المعتزلة في الآية ان أصولنا تشهد بانه تعالى هدى جميع الخلق الى الدين بمعنى التعريف ووضع الدلائل والا كان الكافر معذورا ولا يحسن ذمه على الكفر ثم انه حكم بانه لم يهد هؤلاء الكفار فلا بد من تفسير الآية بشيء آخر سوى نصب الدلائل قالوا فالمراد بهذه الهداية منع

عليه وسلم ثم ارتدوهو حي عن إسلامه فيكون معنيا بالآية بجميع هذين الصنفين وغيرهما ممن كان بمثل معناهما بل ذلك كذلك إن شاء الله فتأويل الآية إذا كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم يعني كيف يرشد الله للصواب ويوفق للإيمان قوما جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعد إيمانهم أي بعد تصديقهم إياه وإقرارهم بما جاءهم به من عند ربه وشهدوا أن الرسول حق يقول وبعد أن أقروا أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خلقه حقا وجاءهم البينات يعني وجاءهم الحجج من عند الله والدلائل بصحة ذلك والله لا يهدي القوم الظالمين يقول والله لا يوفق للحق والصواب الجماعة الظلمة وهم الذين بدلوا الحق إلى الباطل فاختاروا الكفر على الإيمان وقد دللنا فيما مضى قبل على معنى الظلم وأنه وضع الشيء في غير موضعه بما أغنى عن إعادته أولئك جزاؤهم يعني هؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم وبعد أن شهدوا أن الرسول حق جزاؤهم ثوابهم من عملهم الذي عملوه أن عليهم لعنة الله يعني أن حل بهم من الله الإقصاء والبعد ومن الملائكة والناس الإيما يسوؤهم من العقاب أجمعين يعني من جميعهم لا من بعض من سماه جل ثناؤه من الملائكة والناس ولكن من جميعهم وإنما جعل ذلك جل ثناؤه ثواب عملهم لأن عملهم كان بالله كفرا وقد بينا صفة لعنة الناس الكافر في غير هذا الموضع بما أغنى عن إعادته خالدين فيها يعني ماكثين فيها يعني في عقوبة الله لا يخفف عنهم العذاب لا ينقصون من العذاب شيئا في حال من الأحوال ولا ينفسون فيه ولا هم ينظرون يعني ولا هم ينظرون لمعذرة يعتذرون وذلك كله أعني الخلود في العقوبة في الآخرة ثم استثنى جل ثناؤه الذين تابوا من هؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم فقال تعالى ذكره إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا يعني إلا الذين تابوا من بعد ارتدادهم عن إيمانهم فراجعوا الإيمان بالله وبرسوله وصدقوا بما جاءهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم من عند ربهم وأصلحوا يعني وعملوا الصالحات من الأعمال فإن الله غفور رحيم يعني فإن الله لمن فعل ذلك بعد كفره غفور يعني ساتر عليه ذنبه الذي كان منه من الردة فتارك عقوبته عليه وفضيحته به يوم القيامة غير مؤاخذه به إذا مات على التوبة منه رحيم متعطف عليه بالرحمة

القول في تأويل قوله جل ثناؤه (إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم عنى الله عز وجل بقوله إن الذين كفروا أي ببعض أنبيائه الذين بعثوا قبل محمد صلى الله عليه وسلم بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد لن تقبل توبتهم عند حضور الموت وحشرجته بنفسه ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد بن منصور عن الحسن في قوله إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون قال اليهود والنصارى لن تقبل توبتهم عند الموت حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا أولئك أعداء الله اليهود كفروا بالإنجيل وبعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والفرقان حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ثم ازدادوا كفرا قال ازدادوا كفرا حتى حضرهم الموت فلم تقبل توبتهم حين حضرهم الموت قال معمر وقال مثل ذلك عطاء الخراساني حدثني المثنى قال ثنا إسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن قتادة قوله إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون وقال هم اليهود كفروا بالإنجيل ثم ازدادوا كفرا حين بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فأنكروه وكذبوا به * وقال آخرون معنى ذلك إن الذين كفروا من أهل الكتاب بمحمد بعد إيمانهم بأنبيائهم ثم ازدادوا كفرا يعني ذنوبا لن تقبل

هدى أو المعنى لا يهديهم إلى الجنة كقوله ولا ليهديهم طريقا إلا طريق جهنم وقوله يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار وقال أهل السنة المراد بالهداية خلق المعرفة وقد جرت سنة الله في باب التكليف وفي دار العمل أن كل فعل يقصد العبد إلى تحصيله فإن الله يخلقه عقيب قصد العبد فكأنه تعالى قال كيف يخلق الله فيهم المعرفة والهداية وهم قصدوا تحصيل الكفر وأرادوه وقال أهل التحقيق كيف يهدي الله إليه قوما احتجبوا بالصفات الإنسانية والطبائع الحيوانية عن الأخلاق الربانية وقوله (وشهدوا) عطف على ما في إيمانهم من معنى الفعل إذ هو في تقدير أن آمنوا كقوله تعالى فأصدق وأكن ويجوز أن يكون الواو للحال بإضمار قد أي كفروا وقد شهدوا أن الرسول حق وكيفما كان فمعنى الآية يؤل إلى أنه تعالى لا يهدي قوما كفروا بعد الإيمان وبعد الشهادة بأن الرسول حق في نفسه غير باطل ولا مما يسوغ إنكاره بعد أن جاءتهم الشواهد الدالة على صدقه من القرآن وغيره لكن الشهادة هي الإقرار باللسان فيكون المراد من الإيمان هو التصديق بالقلب ليكون المعطوف مغاير المعطوف عليه (والله لا يهدي القوم الظالمين) الواضعين للشيء في غير موضعه

توبتهم من ذنوبهم وهم على الكفر مقيمون ذكر من قال ذلك حدثنا المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن رفيع ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا ازدادوا ذنوبا وهم كفار فلن تقبل توبتهم من تلك الذنوب ما كانوا على كفرهم وضلالتهم حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن داود قال سألت أبا العالية قال قلت ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم قال انما هم هؤلاء النصارى واليهود الذين كفروا ثم ازدادوا كفرا بذنوب أصابوها فهم يتوبون منها في كفرهم حدثنا عبد الحميد بن بيان اليشكري قال أخبرنا ابن أبي عدي عن داود قال سألت أبا العالية عن الذين آمنوا ثم كفروا فذكر نحوا منه حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود قال سألت أبا العالية عن هذه الآية ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون قال هم اليهود والنصارى والمجوس أصابوا ذنوبا في كفرهم فارادوا أن يتوبوا منها ولن يتوبوا من الكفر ألا ترى أنه يقول وأولئك هم الضالون حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن داود عن أبي العالية في قوله لن تقبل توبتهم قال تابوا من بعض ولم يتوبوا من الاصل حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن داود بن أبي هند عن أبي العالية قوله ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا قال هم اليهود والنصارى يصيبون الذنوب فيقولون نتوب وهم مشركون قال الله عز وجل لن تقبل التوبة في الضلالة * وقال آخرون بل معنى ذلك ان الذين كفروا بعد ايمانهم بانبيائهم ثم ازدادوا كفرا يعني بزيادتهم الكفر تمامهم عليه حتى هلكوا وهم عليه مقيمون لن تقبل توبتهم لن تنفعهم توبتهم الاولى وايمانهم لكفرهم الآخر وموتهم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قوله ثم ازدادوا كفرا قال تموا على كفرهم قال ابن جريج لن تقبل توبتهم يقول ايمانهم أول مرة لن ينفعهم * وقال آخرون معنى قوله ثم ازدادوا كفرا ماتوا كفارا فكان ذلك هو زيادتهم من كفرهم وقالوا معنى لن تقبل توبتهم لن تقبل توبتهم عند موتهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون أما ازدادوا كفرا فماتوا وهم كفار وأما لن تقبل توبتهم فعند موته اذا تاب لم تقبل توبته * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بالصواب في تأويل هذه الآية قول من قال عنى بها اليهود وأن يكون تأويله ان الذين كفروا من اليهود بمحمد صلى الله عليه وسلم عند مبعثه بعد ايمانهم به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بما أصابوا من الذنوب في كفرهم ومقامهم على ضلالتهم لن تقبل توبتهم من ذنوبهم التي أصابوها في كفرهم حتى يتوبوا من كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم ويراجعوا التوبة منه بتصديق ما جاء به من عند الله وانما قلنا ذلك أولى الاقوال في هذه الآية بالصواب لان الآيات قبلها وبعدها فيهم نزلت فأولى أن تكون هي في معنى ما قبلها وبعدها اذا كانت في سياق واحد وانما قلنا معنى ازديادهم الكفر ما أصابوا في كفرهم من المعاصي لانه جل ثناؤه قال لن تقبل توبتهم فكان معلوما أن معنى قوله لن تقبل توبتهم انما هو معني به لن تقبل توبتهم مما ازدادوا من الكفر على كفرهم بعد ايمانهم لا من كفرهم لان الله تعالى ذكره وعد أن يقبل التوبة من عباده فقال وهو الذي يقبل التوبة عن عباده فمحال ان يقول عز وجل أقبل ولا أقبل في شيء واحد واذ كان ذلك كذلك وكان من حكم الله في عباده أنه قابل توبة كل تائب من كل ذنب وكان الكفر بعد الايمان أحد تلك الذنوب التي وعد قبول التوبة منها بقوله الا الذين تابوا وأصلحوا فان الله غفور رحيم علم أن المعنى الذي لا تقبل التوبة منه غير المعنى الذي تقبل التوبة منه واذ كان ذلك كذلك فالذي لا تقبل منه التوبة هو الازدياد على الكفر بعد الكفر لا يقبل الله توبة صاحبه

وذلك أن الخصال الثلاث أغنى الايمان والشهادة ومشاهدة المعجزات توجب مزيد الايمان بالنبي المبعوث في آخر الزمان لا الا الكفر والعناد وفيه دليل على أن زلة العالم أقبح من زلة الجاهل ولهذا صرح في آخر الآية بانه تعالى لا يهديهم بعد أن عرض بذلك في أول الآية ثم أردفه بغاية الوعيد قائلا (أولئك جزاؤهم) الى قوله ولا هم ينظرون وقد مر مثله في البقرة وهذا تحقيق قول المتكلمين بان العذاب الملحق بالكافر مضرة خالصة عن شوائب المنافع دائمة غير منقطعة (الا الذين تابوا من بعد ذلك) الكفر العظيم ولا يكفي التوبة وحدها حتى يضاف اليها العمل الصالح فلهذا قال (وأصلحوا) أي باطنهم مع الحق بالمراجعات وظاهرهم مع الخلق بالعبادات وأظهروا أنا كنا على الباطل حتى لو اغتر بطريقهم المنحرفة مغتر رجع عنها (فان الله غفور) في الدنيا بالستر (رحيم) في الآخرة بالعفو أو غفور بازالة العقاب رحيم باعطاء الثواب قوله سبحانه (ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا) ازدياد الكفر قد يراد به الاصرار على الكفر وقد يراد به ضم كفر الى كفره وهو المراد في الآية باتفاق عامة المفسرين ثم اختلفوا فقيل انهم أهل الكتاب آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ثم كفروا به عند المبعث ثم ازدادوا كفرا بسبب طعنهم فيه كل وقت وانكارهم لكل معجز يظهر عليه الى غير ذلك من ما أقام

ما أقام على كفره لان الله لا يقبل من مشرك عملا ما أقام على شركه وضلاله فأما ان تاب من شركه وكفره وأصلح فان الله كما وصف به نفسه غفور رحيم فان قال قائل وما ينكر أن يكون معنى ذلك كما قال من قال فلن تقبل توبتهم من كفرهم عند حضور أجله أو توبته الاولى قيل أنكرنا ذلك لان التوبة من العبد غير كائنة الا في حال حياته فأما بعد مماته فلا توبة وقد وعد الله عز وجل عباده قبول التوبة منهم ما دامت أرواحهم في أجسادهم ولا خلاف بين جميع الحجة في ان كافرا لو أسلم قبل خروج نفسه بطرفة عين أن حكمه حكم المسلمين في الصلاة عليه والموارثة وسائر الاحكام غيرهما فكان معلوما بذلك أن توبته في تلك الحال لو كانت غير مقبولة لم ينتقل حكمه من حكم الكفار الى حكم أهل الاسلام ولا منزلة بين الموت والحياة يجوز أن يقال لا يقبل الله فيها توبة الكافر فاذا صح أنها في حال حياته مقبولة ولا سبيل بعد الممات اليها بطل قول الذي زعم أنها غير مقبولة عند حضور الاجل وأما قول من زعم ان معنى ذلك التوبة التي كانت قبل الكفر فقول لا معنى له لان الله عز وجل لم يصف القوم بايمان كان منهم بعد كفر ثم كفر بعد ايمان بل انما وصفهم بكفر بعد ايمان فلم يتقدم ذلك الايمان كفر كان للايمان لهم توبة منه فيكون تأويل ذلك على ما تأوله قائل ذلك وتأويل القرآن على ما كان موجودا في ظاهر التلاوة اذا لم تكن حجة تدل على باطن خاص أولى من غيره وان أمكن توجيهه الى غيره وأما قوله وأولئك هم الضالون فانه يعني بذلك وهؤلاء الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا هم الذين ضلوا سبيل الحق فأخطؤا منهجه وتركوا نصف السبيل وهدى الله الذي أخبرهم عنه فعموا عنه وقد بينا فيما مضى معنى الضلال بما فيه الكفاية ۞ القول في تأويل قوله (ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين) يعني بذلك جل ثناؤه ان الذين كفروا أي جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ولم يصدقوا به وبما جاء به من عند الله من أهل كل ملة يهودها ونصاراها ومجوسها وغيرهم وماتوا وهم كفار يعني وماتوا على ذلك من جحود نبوته وجحود ما جاء به فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به يقول فلن يقبل ممن كان بهذه الصفة في الآخرة جزاء ولا رشوة على ترك عقوبته على كفره ولا جعل على العفو عنه ولو كان له من الذهب قدر ما يملأ الارض من مشرقها الى مغربها فرشا وجزى على ترك عقوبته وفي العفو عنه على كفره عوضا مما الله محل به من عذابه لان الرشا انما يقبلها من كان ذا حاجة الى ما رشي فأما من له الدنيا والآخرة فكيف يقبل الفدية وهو خلاق كل فدية افتدى بها مفتد عن نفسه أو غيره وقد بينا أن معنى الفدية العوض والجزاء من المفتدى منه بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع ثم أخبر عز وجل عما لهم عنده فقال أولئك يعني هؤلاء الذين كفروا وماتوا وهم كفار لهم عذاب أليم يقول لهم عند الله في الآخرة عذاب موجع وما لهم من ناصرين يعني وما لهم من قريب ولا حميم ولا صديق ينصره فيستنقذه من الله ومن عذابه كما كانوا ينصرونه في الدنيا على من حاول أذاه ومكروهه وقد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ثنا أنس بن مالك أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له أرأيت لو كان لك ملء الارض ذهبا أكنت مفتديا به فيقول نعم قال فيقال لقد سئلت ما هو أيسر من ذلك فذلك قوله ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد عن الحسن قوله ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا قال هو كل كافر ونصب قوله ذهبا على الخروج من المقدار الذي قبله والتفسير منه وهو قوله ملء الارض كقول القائل عندي قدر زق سمنا وقدر رطل عسلا فالعسل مبين به ما ذكر من المقدار وهو نكرة منصوبة على التفسير للمقدار والخروج منه وأما نحويو البصرة فانهم زعموا انه نصب الذهب لاشتغال الملء بالارض ومجيء الذهب بعدهما فصار نصبها نظير نصب الحال وذلك أن

تخليطاتهم وتغليطاتهم وقيل ان اليهود كانوا مؤمنين بموسى ثم كفروا بعيسى والانجيل ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وهذا قول الحسن وقتادة وعطاء وقيل نزلت في الذين ارتدوا وذهبوا الى مكة وازديادهم الكفر أنهم قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون وقيل عزموا على الرجوع الى الاسلام على سبيل النفاق فسمى الله تعالى ذلك النفاق زيادة في الكفر ثم انه تعالى حكم في الآية الاولى بقبول توبة المرتدين وحكم تعالى في هذه الآية بعدم قبولها وهذا يوهم التناقض وأيضا ثبت بالدليل أن التوبة بشروطها مقبولة فما معنى قوله لن تقبل توبتهم قال الحسن وقتادة وعطاء المراد بازدياد الكفر اصرارهم عليه فلا يتوبون الا عند حضور الموت والتوبة حينئذ لا تقبل لقوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن وقيل هي محمولة على ما اذا تابوا باللسان لا عن الاخلاص وقال القاضي والقفال وابن الانباري هي من تتمة قوله الا الذين تابوا يريد أنه لو كفر بعد التوبة الاولى فان التوبة الاولى لا تكون مقبولة وقيل لعل المراد أن التوبة من تلك الزيادة لا تكون مقبولة ما لم يتب عن الاصل المزيد عليه أقول ويحتمل أن يكون لن تقبل توبتهم جعل كناية عن الموت على الكفر كأنه قيل ان اليهود والمرتدين

الحال يجيء بعد فعل قد شغل بفاعله فينصب كما ينصب المفعول الذي يأتي بعد الفعل الذي قد شغل بفاعله قالوا ونظير قوله ملء الارض ذهبا في نصب الذهب في الكلام لي مثلك رجلا بمعنى لي مثلك من الرجال وزعموا ان نصب الرجل لاشتغال الاضافة بالاسم فنصب كما ينصب المفعول به لاشتغال الفعل بالفاعل وأدخلت الواو في قوله ولو افتدى به لمحذوف من الكلام بعده دل عليه دخول الواو كالواو في قوله وليكون من الموقنين وتأويل الكلام وليكون من الموقنين أريناه ملكوت السموات والأرض فكذلك ذلك في قوله ولو افتدى به ولو لم يكن في الكلام واو لكان الكلام صحيحا ولم يكن هنالك متروك وكان فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا لو افتدى به ۞ القول في تأويل قوله (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شئ فان الله به عليم) يعني بذلك جل ثناؤه لن تدركوا أيها المؤمنون البر وهو البر من الله الذي يطلبونه منه بطاعتهم اياه وعبادتهم له ويرجونه منه وذلك تفضله عليهم بادخالهم جنته وصرف عذابه عنهم ولذلك قال كثير من أهل التأويل البر الجنة لان بر الرب بعبده في الآخرة واكرامه اياه بادخاله الجنة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن شريك عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون في قوله لن تنالوا البر قال الجنة حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون في قوله لن تنالوا البر قال البر الجنة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي لن تنالوا البر أما البر فالجنة فتأويل الكلام لن تنالوا أيها المؤمنون جنة ربكم حتى تنفقوا مما تحبون يقول حتى تتصدقوا مما تحبون وتهوون أن يكون لكم من نفيس أموالكم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون يقول لن تنالوا بر ربكم حتى تنفقوا مما يعجبكم ومما تهوون من أموالكم حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر عن عباد عن الحسن قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال من المال وأما قوله وما تنفقوا من شئ فان الله به عليم فانه يعني به ومهما تنفقوا من شئ فتتصدقوا به من أموالكم فان الله تعالى ذكره بما يتصدق به المتصدق منكم فينفقه مما يحب من ماله في سبيل الله وغير ذلك عليم يقول هو ذو علم بذلك كله لا يعزب عنه شئ منه حتى يجازي صاحبه عليه جزاءه في الآخرة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما تنفقوا من شئ فان الله به عليم يقول محفوظ لكم ذلك الله به عليم شاكر له وبنحو التأويل الذي قلنا تأول هذه الآية جماعة من الصحابة والتابعين ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال كتب عمر بن الخطاب الى أبي موسى الاشعري أن يبتاع له جارية من جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى في قتال سعد بن أبي وقاص فدعا بها عمر بن الخطاب فقال ان الله يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فأعتقها عمر وهي مثل قول الله عز وجل ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله سواء حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن حميد عن أنس بن مالك قال لما نزلت هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون أو هذه الآية من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال أبو طلحة يا رسول الله حائطي الذي بكذا وكذا صدقة ولو استطعت ان أجعله سرا لم أجعله علانية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلها في فقراء أهلك حدثني المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن ثابت عن أنس بن مالك قال لما نزلت هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال أبو طلحة يا رسول الله ان الله يسألنا من أموالنا اشهد اني قد جعلت أرضي بأريحا لله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلها في قرابتك

على حالة الكفر وفائدة هذه الكناية تصوير كونهم آيسين من الرحمة هذا اذا خصصنا اليهود والمرتدين بالمصرين أما على تقدير التعميم فنقول انما جعل الموت على الكفر لازما لازدياد كفرهم لان القضية حينئذ لا تكون كلية فكم من مرتد أو يهودي مزداد للكفر لا بمعنى الاصرار يرجع الى الاسلام ولا يموت على الكفر فاكتفى بذكر لازم الموت على الكفر وهو عدم قبول التوبة حتى برز الكلام في معرض الكناية ومن المعلوم أنه اذا كر اللازم وارادة الملزوم وأنه لابد للعدول من فائدة فصح أن نبين فائدة العدول على وجه يصير القضية كلية وهي التغليظ في شأن أولئك الفريق من الكفار وابراز حالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة التي هي أغلظ الاحوال وأشدها ألا ترى أن الموت على الكفر انما يخاف لاجل اليأس من الرحمة وهذا هو الذي عول عليه في الكشاف والحاصل أنه كانه قيل ان اليهود والمرتدين الذين فعلوا ما فعلوا من حقهم أن لا تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون الكاملون في الضلال ضلوا في تيه الاوصاف البهيمية والاخلاق السبعية فلم يكادوا يخرجون منهما بقدم الانابة ۞ واعلم أن الكافر على ثلاثة أقسام ۞ احدها الذي يتوب عن الكفر

فجعلها بين حسان بن ثابت وأبي بن كعب حدثنا عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث قال ثنا ليث عن ميمون بن مهران أن رجلا سأل أبا ذر أي الاعمال أفضل قال الصلاة عماد الاسلام والجهاد سنام العمل والصدقة شيء عجيب فقال يا أبا ذر لقد تركت شيأ هو أوثق عملي في نفسي لا أراك ذكرته قال ما هو قال الصيام فقال قربة وليس هناك وتلا هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني داود بن عبد الرحمن المكي عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين عن عمرو بن دينار قال لما نزلت هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون جاء زيد بفرس له يقال لها سبل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال تصدق بهذه يا رسول الله فأعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه أسامة بن زيد بن حارثة فقال يا رسول الله انما أردت أن أتصدق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبلت صدقتك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب وغيره أنها حين نزلت لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون جاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال يا رسول الله هذه في سبيل الله فحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها اسامة بن زيد فكأن زيدا وجد في نفسه فلما رأى ذلك منه النبي صلى الله عليه وسلم قال أما ان الله قد قبلها

﴿تم الجزء الثالث من تفسير ابن جرير الطبري ويليه الجزء الرابع أوله ۞ القول في تأويل قوله تعالى (كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل)﴾

توبة صحيحة مقبولة وهو الذي سيق لاجله الآية التي ردفها الاستثناء * وثانيها الذي يتوب توبة فاسدة وهو المذكور في قوله لن تقبل توبتهم على وجه وثالثها الذي يموت على الكفر من غير توبة فذكره في الآية الاخيرة وملء الشيء قدر ما يملؤه وذهبا نصب على التميز وربما يقال على التفسير ومعناه أن يكون الكلام تاما الا أنه يكون مبهما كقولك عندي عشرون فالعدد معلوم والمعدود مبهم فاذا قلت درهما فسرت العدد ومعنى الفاء في فلن يقبل أن يعلم أن الكلام مبني على الشرط والجزاء واذا ترك كما في الآية الاولى فلعدم قصد التسبيب والاكتفاء بمجرد الجمل والوضع هذا ما قاله النحويون ومنهم صاحب الكشاف وليت شعري أنهم لو سئلوا عن تخصيص كل موضع بما خصص به فبماذا يجيبون ولعل عقيدتهم في أمثال هذه المواضع أنها من الاسئلة المتقلبة وهو وهم والسر في التخصيص هو أنه لما قيد في الجملة الثانية أنهم قد ماتوا على الكفر زيدت فاء السببية الجزائية تأكيدا للزوم وتغليظا في الوعيد والله أعلم أما الواو في قوله ولو افتدى به فانها تشبه عطف الشيء على نفسه لانه كالمكرر فلهذا كثر أقاويل العلماء فيه فقال الزجاج وابن الانباري انها للعطف والتقدير لو تقرب الى الله بملء الارض ذهبا لم ينفعه ذلك مع كفره ولو افتدى به أيضا لم يقبل منه وقيل انها لبيان التفصيل بعد الاجمال فان اعطاء ملء الارض ذهبا يحتمل الوجوه الكثيرة فنص على نفي القبول بجهة الفدية وقيل ان الملوك قد لا يقبلون الهدية ويقبلون الفدية فاذا لم يقبلوا الفدية كان ذلك غاية الغضب ونهاية السخط فعبر بنفي قبول الفداء عن شدة الغضب وقيل انه محمول على المعنى كأنه قيل فلن يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا وقيل يجوز أن يراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو أن للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به والمثل يحذف كثيرا في كلامهم مثل ضربت ضرب زيد أي مثل ضربه وأبو يوسف أبو حنيفة تريد مثله كما أنه يراد به في نحو قولهم مثلك لا يفعل كذا أي أنت وذلك ان المثلين يقوم أحدهما مقام الآخر في أغلب الامور فكانا في حكم شيء واحد فان قيل من المعلوم أن الكافر لا يملك يوم القيامة شيأ وبتقدير أن يملك فلا نفع في الذهب هنالك فما فائدة هذا الكلام فالجواب انه على سبيل الفرض والتقدير والذهب كناية عن أعز الاشياء والمراد أنه لو قدر على أعز الاشياء وفرض أن في بذله نفعا للآخذ وأن المبذول في غاية الكثرة لعجز أن يتوصل بذلك الى تخلص نفسه من عذاب ربه ثم صرح بعقابهم ونفي من يشفع لهم فقال (أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين) قال أهل التحقيق وماتوا أي ماتت قلوبهم أولئك لهم عذاب أليم بموت القلب وفقد المعرفة وما لهم من ناصرين على احياء القلب بنور المعرفة حسبي الله ونعم الوكيل

فهرست

الجزء الرابع

من

تفسير الامام ابن جرير الطبرى

﴿ تنبيه ﴾

وقع بالجزء الثالث من هذا الكتاب خطأ وصوابه كالآتى

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١٥٤	١٨	علمت	عملت
« « «	« «	علمت	عملت
« « «	١٩	علمت	عملت

(فهرست الجزء الرابع من تفسير الامام ابن جرير الطبرى)

﴿تم فهرست الجزء الرابع من تفسير ابن جرير﴾

(فهرست الجزء الرابع من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش الجزء الرابع من تفسير ابن جرير)

(تم فهرست الجزء الرابع من النيسابورى)

الجـــزء الرابع

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن تأليف
الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت
الأئمة على تقدمه في التفسير أبي جعفر
محمد بن جرير الطبري المتوفى
سنة ٣١٠ هجرية رحمه
الله وأثابه رضاه
آمين

﴿ وبهامشه تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين
الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري قدست أسراره ﴾

«في كشف الظنون» قال الامام جلال الدين السيوطي في الاتقان وكتابه «أي الطبري
أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب
والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين * وقال النووي أجمعت الامة على أنه
لم يصنف مثل تفسير الطبري * وعن أبي حامد الاسفرايني أنه قال لو سافر رجل الى الصين
حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اهـ

﴿ تنبيـــه ﴾

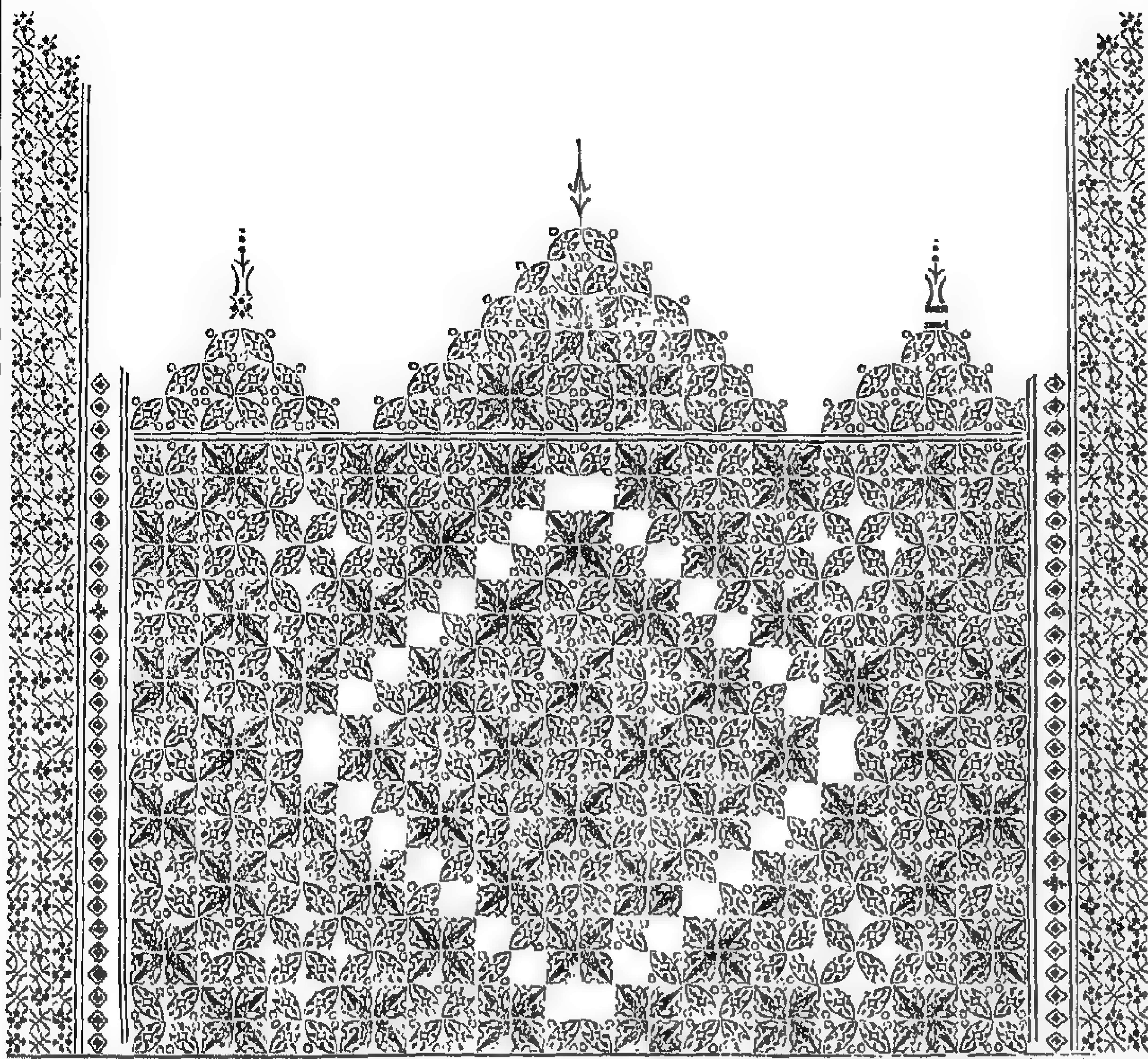
طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة في خزانة الكتبخانة
الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبي الشهير بمصر ونجله
حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

﴿ الطبعة الأولى ﴾

بالمطبعة الكبرى الأميريه ببولاق مصر المحميه

ســـنة ١٣٢٥ هجريه



(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول فى تأويل قوله (كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) يعنى بذلك جل ثناؤه أنه لم يكن حرم على بنى اسرائيل وهم ولد يعقوب بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن شيأ من الاطعمة من قبل أن تنزل التوراة بل كان ذلك كله لهم حلالا الا ما كان يعقوب حرمه على نفسه فان ولده حرموه استنانا بأبيهم يعقوب من غير تحريم الله ذلك عليهم فى وحى ولا تنزيل ولا على لسان رسول له اليهم من قبل نزول التوراة ثم اختلف أهل التأويل فى تحريم ذلك عليهم هل نزل فى التوراة أم لا فقال بعضهم لما أنزل الله عز وجل التوراة حرم عليهم من ذلك ما كانوا يحرمونه قبل نزولها ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين قالت اليهود انما نحرم ما حرم اسرائيل على نفسه وانما حرم اسرائيل العروق كان يأخذه عرق النسا كان يأخذه بالليل ويتركه بالنهار فحلف لئن الله عافاه منه لا يأكل عرقا أبدا فحرمه الله عليهم ثم قال قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين ما حرم هذا عليكم غيرى ببغيكم فذلك قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم فتأويل الآية على هذا القول. كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة فان الله حرم عليهم من ذلك ما كان اسرائيل حرمه على نفسه فى التوراة ببغيهم على أنفسهم وظلمهم لها قل يا محمد فأتوا أيها اليهود ان أنكرتم ذلك بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين أن الله لم يحرم ذلك عليكم فى التوراة وأنكم انما تحرمونه لتحريم اسرائيل

اياه

(لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شئ فان الله به عليم كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم) القراآت أن تنزل خفيفا ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بالتشديد حج البيت بكسر الحاء يزيد وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير أبى بكر وحماد الباقون بفتحها الوقوف تحبون ط عليم ○ تنزل التوراة ط صادقين ○ الظالمون ○ حنيفا ط المشركين ○ للعالمين ○ ج لأن ما بعده يصلح حالا واستئنافا مقام ابراهيم ج للابتداء بالشرط مع الواو لأن

اياه على نفسه * وقال آخرون ما كان شئ من ذلك عليهم حراما ولا حرمه الله عليهم فى التوراة وانما هو
شئ حرموه على أنفسهم اتباعا لابيهم ثم أضافوا تحريمه الى الله فكذبهم الله عز وجل فى اضافتهم ذلك
اليه فقال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم يا محمد ان كنتم صادقين فأتوا بالتوراة
فاتلوها حتى ننظر هل ذلك فيها أم لا ليتبين كذبهم لمن يجهل أمرهم ذكر من قال ذلك حدثت عن
الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سلمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله
الا ما حرم اسرائيل على نفسه اسرائيل هو يعقوب أخذه عرق النسا فكان لا يثبت الليل من وجعه
وكان لا يؤذيه بالنهار فحلف لئن شفاه الله لا يأكل عرقا أبدا وذلك قبل نزول التوراة على موسى فسأل
نبى الله صلى الله عليه وسلم اليهود ما هذا الذى حرم اسرائيل على نفسه فقالوا نزلت التوراة بتحريم
الذى حرم اسرائيل فقال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين الى
قوله فأولئك هم الظالمون وكذبوا وافتروا لم تنزل التوراة بذلك وتأويل الآية على هذا القول كل
الطعام كان حلا لبنى اسرائيل من قبل أن تنزل التوراة وبعد نزولها الا ما حرم اسرائيل على نفسه
من قبل أن تنزل التوراة بمعنى لكن اسرائيل حرم على نفسه من قبل أن تنزل التوراة بعض ذلك
وكأن الضحاك وجه قوله الا ما حرم اسرائيل على نفسه الى الاستثناء الذى تسميه النحويون الاستثناء
المنقطع * وقال آخرون تأويل ذلك كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه
من قبل أن تنزل التوراة فان ذلك حرام على ولده بتحريم اسرائيل اياه على ولده من غير أن يكون الله
حرمه على اسرائيل ولا على ولده ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى
عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم
اسرائيل على نفسه فانه حرم على نفسه العروق وذلك أنه كان يشتكى عرق النسا فكان لا ينام
الليل فقال والله لئن عافانى الله منه لا يأكله لى ولد وليس مكتوبا فى التوراة وسأل محمد صلى الله عليه
وسلم نفرا من أهل الكتاب فقال ما شأن هذا حراما فقالوا هو حرام علينا من قبل الكتاب فقال الله
عز وجل كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الى ان كنتم صادقين حدثنا القاسم قال ثنا
الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس أخذه يعنى اسرائيل عرق النسا فكان
لا يثبت بالليل من شدة الوجع وكان لا يؤذيه بالنهار فحلف لئن شفاه الله لا يأكل عرقا أبدا وذلك قبل
أن تنزل التوراة فقال اليهود للنبى صلى الله عليه وسلم نزلت التوراة بتحريم الذى حرم اسرائيل على
نفسه قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين وكذبوا ليس فى
التوراة * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك عندنا بالصواب قول من قال معنى ذلك كل
الطعام كان حلا لبنى اسرائيل من قبل أن تنزل التوراة الا ما حرم اسرائيل على نفسه من غير
تحريم الله ذلك عليه فانه كان حراما عليهم بتحريم أبيهم اسرائيل ذلك عليهم من غير أن يحرمه الله
عليهم فى تنزيل ولا بوحى قبل التوراة حتى نزلت التوراة فحرم الله عليهم فيها ما شاء وأحل لهم فيها
ما أحب وهذا قول قالته جماعة من أهل التأويل وهو معنى قول ابن عباس الذى ذكرناه قبل ذكر
بعض من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله كل الطعام
كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة واسرائيل هو
يعقوب قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين يقول كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل
من قبل أن تنزل التوراة الا ما حرم اسرائيل على نفسه فلما أنزل الله التوراة حرم عليهم فيها ما شاء
وأحل لهم ما شاء حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن قتادة بنحوه واختلف أهل
التأويل فى الذى كان اسرائيل حرمه على نفسه فقال بعضهم كان الذى حرمه اسرائيل على نفسه

الأمن من آيات آمنا ط سبيلا ط
العالمين ٥ بآيات الله ط قد قيل
والوجه الوصل لأن الواو للحال تعملون
٥ شهداء ط تعملون ٥ كافرين
٥ رسوله ط لتناهى الاستفهام الى
الشرط مستقيم ٥ ۞ التفسير انه
سبحانه لما ذكر أن الانفاق لا ينفع
الكافر البتة علم المؤمنين كيفية
الانفاق الذى ينتفعون به فى الآخرة
وهو الانفاق من أحب الاشياء اليهم
وههنا لطيفة وهى أنه سبحانه وتعالى
سمى جوامع خصال الخير برا فى قوله
تعالى ولكن البر من آمن بالله الآية
وذكر فى هذه الآية لن تنالوا البر
حتى تنفقوا مما تحبون فالمعنى أنكم
وان أتيتم بكل الخيرات لم تفوزوا
باحراز خصلة البر ولم تبلغوا حقيقتها
حتى تكون نفقتكم من أموالكم
التى تحبونها وتؤثرونها وكان السلف
رحمهم الله اذا أحبوا شيأ جعلوه لله
روى أنها لما نزلت جاء أبو طلحة
فقال يا رسول الله حائط لى بالمدينة
يعنى بيرحاء وهو أحب أموالى الى
صدقة فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ
ذاك مال رابح وانى أرى أن تجعلها
فى الأقربين فقال أبو طلحة افعل
يا رسول الله فقسمها صلى الله عليه
وسلم فى أقاربه وروى أنه صلى الله
عليه وسلم جعلها بين حسان بن
ثابت وأبى بن كعب وروى أن زيد
ابن حارثة جاء عند نزول الآية بفرس
له كان يحبه وجعله فى سبيل الله
فحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاسامة بن زيد فوجد زيد فى نفسه
وقال انما أردت أن أتصدق به فقال

العروق ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن يوسف بن ماهك قال جاء أعرابي الى ابن عباس فقال انه جعل امرأته عليه حراما قال ليست عليك بحرام قال فقال الأعرابي ولم والله يقول في كتابه كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه قال فضحك ابن عباس وقال وما يدريك ما كان اسرائيل حرم على نفسه قال ثم أقبل على القوم يحدثهم فقال اسرائيل عرضت له الانساء فأضنته فجعل لله عليه ان شفاه الله منها لا يطعم عرقا قال فلذلك اليهود تنزع العروق من اللحم حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر قال سمعت يوسف بن ماهك يحدث أن أعرابيا أتى ابن عباس فذكر رجلا حرم امرأته فقال انها ليست بحرام فقال الأعرابي أرأيت قول الله عز وجل كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه فقال ان اسرائيل كان به عرق النسا فحلف لئن عافاه الله أن لا يأكل العروق من اللحم وانها ليست عليك بحرام حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن سليمان التيمي عن أبي مجلز في قوله كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه قال ان يعقوب أخذه وجع عرق النسا فجعل لله عليه أو أقسم أو قال لا يأكله من الدواب قال والعروق كلها تبع لذلك العرق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن الذي حرم اسرائيل على نفسه أن الانساء أخذته ذات ليلة فأسهرته فتألى ان الله شفاه لا يطعم نسا أبدا فتتبعت بنوه العروق بعد ذلك يخرجونها من اللحم حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن قتادة بنحوه وزاد فيه قال فتألى لئن شفاه الله لا يأكل عرقا أبدا فجعل بنوه بعد ذلك يتتبعون العروق فيخرجونها من اللحم وكان الذي حرم على نفسه من قبل أن تنزل التوراة العروق حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله الا ما حرم اسرائيل على نفسه قال اشتكى اسرائيل عرق النسا فقال ان الله شفاني لأحرمن العروق فحرمها حدثنا الحسن بن يحيى قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا سفيان الثوري عن حبيب ابن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان اسرائيل أخذه عرق النسا فكان يبيت وله زقاء فجعل لله عليه ان شفاه أن لا يأكل العروق فانزل الله عز وجل كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه قال سفيان له زقاء يعني صياح حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله الا ما حرم اسرائيل على نفسه قال كان يشتكي عرق النسا فحرم العروق حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال حدثنا جرير عن منصور عن حبيب بن أبي ثابت عن ابن عباس في قوله كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قال كان اسرائيل يأخذه عرق النسا فكان يبيت وله زقاء فحرم على نفسه أن يأكل عرقا * وقال آخرون بل الذي كان اسرائيل حرم على نفسه لحوم الابل وألبانها ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير قال سمعنا انه اشتكى شكوى فقالوا انه عرق النسا فقال رب ان أحب الطعام الي لحوم الابل وألبانها فان شفيتني فاني أحرمها علي قال ابن جريج وقال عطاء بن أبي رباح لحوم الابل وألبانها حرم اسرائيل حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد عن الحسن في قوله كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل قال كان اسرائيل حرم على نفسه لحوم الابل وكانوا يزعمون أنهم يجدون في التوراة تحريم اسرائيل على نفسه لحوم الابل وانما كان حرم اسرائيل على نفسه لحوم الابل قبل أن تنزل التوراة فقال الله فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فقال لا تجدون في التوراة

رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ان الله (٤) قد قبلها منك وكتب عمر الى أبي موسى الاشعري أن يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى فلما رآها أعجبته فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فأعتقها ولم يصب منها ونزل بابي ذر ضيف فقال للراعي ائتني بخير ابلي فجاء بناقة مهزولة فقال خنتني فقال وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتك اليه فقال ان يوم حاجتي اليه ليوم أوضع في حفرتي * وفي تفسير البر قولان أحدهما ما به يصيرون أبرارا ليدخلوا في قوله ان الابرار لفي نعيم فيكون المراد بالبر ما يصدر منهم من الاعمال المقبولة المذكورة في قوله ولكن البر من آمن وجملتها التقوى لقوله أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون والثاني الجنة أي لن تنالوا ثواب البر وقيل المراد بر الله أولياءه واكرامه اياهم من قول الناس برني فلان بكذا وبر فلان لا ينقطع عني وقال تعالى أن تبروا وتتقوا ومن في قوله مما تحبون للتبعيض نحو أخذت من المال ويؤيده قراءة عبد الله بن مسعود بعض ما تحبون وفيه أن انفاق كل المال غير مندوب بل غير جائز لمن يحتاج اليه والمراد بما تحبون قال بعضهم هو نفس المال لقوله تعالى وانه لحب الخير لشديد وقيل هو ما يكون محتاجا اليه كقوله ويطعمون الطعام على حبه ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وقيل هو أطيب المال وأرفعه كما مر وعن ابن عباس أراد به الزكاة أي حتى تخرجوا زكاة أموالكم ورد عليه أنه لا يجب على المزكي أن يخرج أشرف أمواله وأكرمها وقال الحسن هو كل ما أنفقه المسلم من ماله يطلب به وجه الله ونقل الواحدي عن مجاهد والكلبي انها منسوخة بآية الزكاة وضعف بان ايجاب الزكاة لا ينافي الترغيب في بذل المحبوب

تحريم اسرائيل على نفسه (٣) الالحم الابل حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيي بن سعيد قال ثنا سفيان قال ثنا حبيب بن أبي ثابت قال ثنا سعيد عن ابن عباس أن اسرائيل أخذه عرق النسا فكان يبيت بالليل له زقاء يعني صياح قال فجعل على نفسه لئن شفاه الله منه لا يأكله يعني لحوم الابل قال فحرمه اليهود وتلا هذه الآية كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين أي ان هذا قبل التوراة حدثنا أبو كريب قال ثنا يحيي بن عيسى عن الاعمش عن حبيب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في الا ما حرم اسرائيل على نفسه قال حرم العروق ولحوم الابل قال كان به عرق النسا فأكل من لحومها فبات بليلة يزقو فحلف أن لا يأكله أبدا حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن اسرائيل عن جابر عن مجاهد في قوله الا ما حرم اسرائيل على نفسه قال حرم لحوم الأنعام * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بالصواب قول ابن عباس الذي رواه الأعمش عن حبيب عن سعيد عنه ان ذلك العروق ولحوم الابل لان اليهود مجمعة الى اليوم على ذلك من تحريمهما كما كان عليه من ذلك أوائلها وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو ذلك خبر وهو ما حدثنا به أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن ابن عباس أن عصابة من اليهود حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم أخبرنا أي الطعام حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن اسرائيل يعقوب مرض مرضا شديدا فطال سقمه منه فنذر لله نذرا لئن عافاه الله من سقمه ليحرمن أحب الطعام والشراب اليه وكان أحب الطعام اليه لحمان الابل وأحب الشراب اليه ألبانها فقالوا اللهم نعم وأما قوله قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فان معناه قل يا محمد للزاعمين من اليهود أن الله حرم عليهم في التوراة العروق ولحوم الابل وألبانها ائتوا بالتوراة فاتلوها يقول قل لهم جيئوا بالتوراة فاتلوها حتى يتبين لمن خفي عليه كذبهم وقيلهم الباطل على الله من أمرهم أن ذلك ليس مما أنزلته في التوراة ان كنتم صادقين يقول ان كنتم محقين في دعواكم أن الله أنزل تحريم ذلك في التوراة فأتونا بها فاتلوا تحريم ذلك علينا منها وانما ذلك خبر من الله عن كذبهم لانهم لا يجيئون بذلك أبدا على صحته فأعلم الله بكذبهم عليه نبيه صلى الله عليه وسلم وجعل اعلامه اياه ذلك حجة له عليهم لأن ذلك اذ كان يخفى على كثير من أهل ملتهم فمحمد صلى الله عليه وسلم وهو أمي من غير ملتهم لولا ان الله أعلمه ذلك بوحي من عنده كان أحرى أن لا يعلمه فكان في ذلك له صلى الله عليه وسلم من أعظم الحجة عليهم بانه نبي لله صلى الله عليه وسلم اليهم لان ذلك من أخبار أوائلهم كان من خفي علومهم الذي لا يعلمه غير خاصة منهم الا من أعلمه الذي لا يخفى عليه خافية من نبي أو رسول أو من أطلعه الله على علمه ممن شاء من خلقه ۞ القول في تأويل قوله (فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون) يعني جل ثناؤه بذلك فمن كذب على الله منا ومنكم من بعد مجيئكم بالتوراة وتلاوتكم اياها وعدمكم ما ادعيتم من تحريم الله العروق ولحوم الابل وألبانها فيها فأولئك هم الظالمون يعني فمن فعل ذلك منهم فأولئك يعني فهؤلاء الذين يفعلون ذلك هم الظالمون يعني فهم الكافرون القائلون على الله الباطل كما حدثنا المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن زكريا عن الشعبي فأولئك هم الظالمون قال نزلت في اليهود ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) يعني بذلك جل ثناؤه قل يا محمد صدق الله فيما أخبرنا به من قوله كل الطعام كان حلا لبني

(٣) الاظهر أن لفظ الا زائد من الناسخ كما يدرك من السابق واللاحق اهـ مصححه

لوجه الله ومن في من شئ للتبيين يعني من أي شئ كان طيب أو خبيث (فان الله به عليم) فيجازيكم بحسبه أو يعلم الوجه الذي لأجله تنفقون من الاخلاص أو الرياء * ثم انه سبحانه بعد تقرير الدلائل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبعد توجيه الالزامات الواردة على أهل الكتاب في هذا الباب أجاب عن شبهة للقوم وتقرير ذلك من وجوه أحدها أنهم كانوا يعولون في انكار شرع محمد صلى الله عليه وسلم على انكار النسخ فأورد عليهم أن الطعام الذي حرمه اسرائيل على نفسه كان حلالا ثم صار حراما عليه وعلى أولاده وهو النسخ ثم ان اليهود لما توجه عليهم هذا السؤال زعموا أن ذلك كان حراما من لدن آدم ولم يحدث نسخ فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بان يطالبهم باحضار التوراة الزاما لهم وتفضيحا ودلالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان أميا فامتنع أن يعرف هذه المسئلة الغامضة من علوم التوراة الا بخبر من السماء وثانيها أن اليهود قالوا له انك تدعى أنك على ملة ابراهيم فكيف تأكل لحوم الابل وألبانها وتفتى بحلها مع أن ذلك كان حراما في دين ابراهيم فاجيبوا بان ذلك كان حلالا لابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب الا أن يعقوب حرمه على نفسه بسبب من الاسباب وبقيت تلك الحرمة في أولاده فأنكروا ذلك فأمروا بالرجوع الى التوراة * وثالثها لما نزل قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الى غير ذلك من الآيات الدالة على أنه انما حرم عليهم كثير من الاشياء جزاء لهم على بغيهم وظلمهم غاظهم ذلك واشمأزوا وامتعضوا من قبل أن ذلك يقتضي وقوع النسخ ومن قبل انه تسجيل عليهم بالبغي والظلم وغير ذلك من مساويهم فقالوا لسنا بأول من حرمت هي عليه وما هو الا تحريم قديم فنزلت كل

اسرائيل وان الله لم يحرم على اسرائيل ولا على ولده العروق ولا لحوم الابل وألبانها وأن ذلك انما كان شيأ حرمه اسرائيل على نفسه وولده بغير تحريم الله اياه عليهم فى التوراة وفى كل ما أخبر به عباده من خبر دونكم أنتم يامعشر اليهود الكذبة فى اضافتكم تحريم ذلك الى الله عليكم فى التوراة المفترية على الله الباطل فى دعواكم عليه غير الحق ﴿فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين﴾ يقول فان كنتم أيها اليهود محقين فى دعواكم أنكم على الدين الذى ارتضاه الله لانبيائه ورسله فاتبعوا ملة ابراهيم خليل الله فانكم تعلمون أنه الحق الذى ارتضاه الله من خلقه دينا وابتعث به أنبياءه وذلك الحنيفية يعنى الاستقامة على الاسلام وشرائعه دون اليهودية والنصرانية والمشركة وقوله ﴿وما كان من المشركين﴾ يقول لم يكن يشرك فى عبادته أحدا من خلقه فكذلك أنتم أيضا أيها اليهود فلا يتخذ بعضكم بعضا أربابا من دون الله تطيعونهم كطاعة ابراهيم ربه وأنتم يامعشر عبدة الاوثان فلا تتخذوا الاوثان والاصنام أربابا ولا تعبدوا شيأ من دون الله فان ابراهيم خليل الرحمن كان دينه اخلاص العبادة لربه وحده من غير اشراك أحد معه فيه فكذلك أنتم أيضا فأخلصوا له العبادة ولا تشركوا معه فى العبادة أحدا فان جميعكم مقرون بان ابراهيم كان على حق وهدى مستقيم فاتبعوا ما قد أجمع جميعكم على تصويبه من ملته الحنيفية ودعوا ما اختلفتم فيه من سائر الملل غيرها أيها الاحزاب فانها بدع ابتدعتموها الى ما قد أجمعتم عليه أنه حق فان الذى أجمعتم عليه أنه صواب وحق من ملة ابراهيم هو الحق الذى ارتضيته وابتعثت به أنبيائى ورسلى وسائر ذلك هو الباطل الذى لا أقبله من أحد من خلق جاءنى به يوم القيامة وانما قال جل ثناؤه ﴿وما كان من المشركين﴾ يعنى به وما كان من عددهم وأوليائهم وذلك أن المشركين بعضهم من بعض فى التظاهر على كفرهم ونصرة بعضهم بعضا فبرأ الله ابراهيم خليله أن يكون منهم أو نصرائهم وأهل ولايتهم وانما عنى جل ثناؤه بالمشركين اليهود والنصارى وسائر الاديان غير الحنيفية قال لم يكن ابراهيم من أهل هذه الاديان المشركة ولكنه كان حنيفا مسلما ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم تأويله ان أول بيت وضع للناس يعبد الله فيه مباركا وهدى للعالمين الذى ببكة قالوا وليس هو أول بيت وضع فى الارض لانه قد كانت قبله بيوت كثيرة ذكر من قال ذلك حدثنا هناد بن السرى قال ثنا أبو الاحوص عن سماك عن خالد بن عرعرة قال قام رجل الى على فقال ألا تخبرنى عن البيت أهو أول بيت وضع فى الارض فقال لا ولكنه أول بيت وضع فى البركة مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك قال سمعت خالد ابن عرعرة قال سمعت عليا وقيل له ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة هو أول بيت كان فى الارض قال لا قال فأين كان قوم نوح وأين كان قوم هود قال ولكنه أول بيت وضع للناس مباركا وهدى حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء قال سأل حفص الحسن وأنا أسمع عن قوله ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا قال هو أول مسجد عبد الله فيه فى الارض حدثنا عبد الجبار بن يحيى الرملى قال ثنا ضمرة عن ابن شوذب عن مطر فى قوله ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة قال قد كانت قبله بيوت ولكنه أول بيت وضع للعبادة حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى قال ثنا عباد عن الحسن قوله ان أول بيت وضع للناس يعبد الله فيه للذى ببكة حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا قال وضع للعبادة * وقال آخرون بل هو أول بيت وضع للناس ثم اختلف

الطعام أى المطعومات كلها الدلالة كل (٦) على العموم وان كان لفظه مفردا سواء قلنا الاسم المفرد المحلى بالالف واللام يفيد العموم أولا والطعام اسم لكل ما يطعم ويؤكل وعن بعض أصحاب أبى حنيفة انه اسم البر خاصة ويرد عليه أن المستثنى فى الآية من الطعام كان شيأ سوى الحنطة وما يتخذ منها قال القفال لم يبلغنا انه كانت الميتة مباحة لهم مع أنها طعام وكذا القول فى الخنزير فيحتمل أن يكون المراد الأطعمة التى كان يدعى اليهود فى وقت نبينا صلى الله عليه وسلم أنها كانت محرمة على ابراهيم صلى الله عليه وسلم وعلى هذا يكون اللام فى الطعام للعهد لا للاستغراق والحل مصدر كالعز والذل ولذا استوى فيه الواحد والجمع قال تعالى لاهن حل لهم والوصف بالمصدر يفيد المبالغة وأما الذى حرم اسرائيل على نفسه فروى ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم أن يعقوب مرض مرضا شديدا فنذر لئن عافاه الله ليحرمن أحب الطعام والشراب اليه وكان أحب الطعام والشراب اليه لحمان الابل وألبانها وهذا قول أبى العالية وعطاء ومقاتل وقيل كان به عرق النسا فنذر ان شفاه الله أن لا يأكل شيأ من العروق وجاء فى بعض الروايات أن الذى حرمه على نفسه زوائد الكبد والشحم الا ما على الظهر * وههنا سؤال وهو أن التحريم والتحليل خطاب الله تعالى فكيف صار تحريم يعقوب سببا للحرمة فأجاب المفسرون بان الاطباء أشاروا اليه باجتنابه ففعل وذلك باذن من الله فهو كتحريم الله ابتداء وأيضا لا يبعد أن يكون تحريم الانسان سببا لتحريم الله كالطلاق والعتاق فى تحريم المرأة والجارية وأيضا الاجتهاد جائز على الانبياء لعموم فاعتبروا ولقوله فى معرض المدح لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولان الاجتهاد طاعة شاقة فيلزم

قائلو

قالوا ذلك في صفة وضعه أول فقال بعضهم خلق قبل جميع الارضين ثم دحيت الارضون من تحته ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمارة الاسدي قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا شيبان عن الاعمش عن بكير بن الأخنس عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال خلق الله البيت قبل الارض بألفي سنة وكان اذ كان عرشه على الماء زبدة بيضاء فدحيت الارض من تحته حدثني محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب قال ثنا عبد الواحد بن زياد قال ثنا خصيف قال سمعت مجاهدا يقول ان أول ما خلق الله الكعبة ثم دحى الارض من تحتها حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل ان أول بيت وضع للناس كقوله كنتم خير أمة أخرجت للناس حدثني محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين أما أول بيت فانه يوم كانت الارض ماء كان زبدة على الارض فلما خلق الله الارض خلق البيت معها فهو أول بيت وضع في الارض حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا قال أول بيت وضعه الله عز وجل فطاف به آدم ومن بعده * وقال آخرون موضع الكعبة موضع أول بيت وضعه الله في الارض ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذكر لنا أن البيت هبط مع آدم حين هبط قال أهبط معك بيتي يطاف حوله كما يطاف حول عرشي فطاف حوله آدم ومن كان بعده من المؤمنين حتى اذا كان زمن الطوفان زمن أغرق الله قوم نوح رفعه الله وطهره من أن يصيبه عقوبة أهل الارض فصار معمورا في السماء ثم ان ابراهيم تتبع منه أثرا بعد ذلك فبناه على أساس قديم كان قبله * والصواب من القول في ذلك ما قال جل ثناؤه فيه ان أول بيت مبارك وهدى وضع للناس للذي ببكة ومعنى ذلك ان أول بيت وضع للناس أي لعبادة الله فيه مباركا وهدى يعني بذلك ومآبا لنسك الناسكين وطواف الطائفين تعظيما لله واجلالا له للذي ببكة لصحة الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ما حدثنا به محمد بن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن سليمان عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله أي مسجد وضع أول قال المسجد الحرام قال ثم أي قال المسجد الاقصى قال كم بينهما قال أربعون سنة فقد بين هذا الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المسجد الحرام هو أول مسجد وضعه الله في الارض على ما قلنا فاما في وضعه بيتا بغير معنى بيت للعبادة والهدى والبركة ففيه من الاختلاف ما قد ذكرت بعضه في هذا الموضع وبعضه في سورة البقرة وغيرها من سور القرآن وبينت الصواب من القول عندنا في ذلك بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وأما قوله للذي ببكة مباركا فانه يعني للبيت الذي بمزدحم الناس لطوافهم في حجهم وعمرهم وأصل البك الزحم يقال منه بك فلان فلانا اذا زحمه وصدمه فهو يبكه بكا وهم يتباكون فيه يعني به يتزاحمون ويتصادمون فيه فكان بكة فعلة من بك فلان فلانا زحمه سميت البقعة بفعل المزدحمين بها فاذا كانت بكة ما وصفنا وكان موضع ازدحام الناس حول البيت وكان لا طواف يجوز خارج المسجد كان معلوما بذلك أن يكون ما حول الكعبة من داخل المسجد وأن ما كان خارج المسجد فمكة لا بكة لانه لا معنى خارجه يوجب على الناس التباك فيه واذ كان ذلك كذلك كان بينا بذلك فساد قول من قال بكة اسم لبطن مكة ومكة اسم للحرم ذكر من قال في ذلك ما قلنا من أن بكة موضع مزدحم الناس للطواف حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن حصين عن أبي مالك الغفاري في قوله ان

أن يكون للانبياء منها نصيب أوفر لاسيما ومعارفهم أكثر وعقولهم أنور وأذهانهم أصفى (٧) وتوفيق الله وتسديده معهم أوفى ثم اذا حكموا بحكم بسبب الاجتهاد يحرم على الامة مخالفتهم في ذلك الحكم كما أن الاجماع اذا انعقد عن الاجتهاد فانه يحرم مخالفته والأظهر أن ذلك التحريم ما كان بالنص والا لقيل الا ما حرمه الله على اسرائيل فلما نسب الى اسرائيل دل على انه باجتهاده كما يقال الشافعي يحلل لحم الخيل وأبو حنيفة يحرمه وقال الاصم لعل نفسه كانت تتوق الى هذه الانواع فامتنع من أكلها قهرا للنفس كما يفعله الزهاد فعبر عن ذلك الامتناع بالتحريم وزعم قوم من المتكلمين أنه يجوز من الله تعالى ان يقول لعبده احكم فانك لا تحكم الا بالصواب فلعل هذه الواقعة كانت من هذا الباب ومعنى قوله (من قبل أن تنزل التوراة) ان هذا الاستثناء انما كان قبل نزول التوراة أما بعده فلم يبق كذلك بل حرم الله عليهم أنواعا كثيرة بدليل قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا الى آخر الآية ثم ان القوم نازعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في اخباره عن الله تعالى فأمروا بالرجوع الى كتابهم كما سبق تقريره فروى انهم لم يجسروا على اخراج التوراة فبهتوا فلزمت الحجة عليهم وظهر اعجاز النبي صلى الله عليه وسلم وصدقه فلهذا قال (فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك) الذي ظهر من الحجة الباهرة (فأولئك هم الظالمون) الواضعون الباطل في موضع الحق والكذب في مقام الصدق والعناد في محل الانصاف وأيضا ان تكذيبهم وافتراءهم ظلم منهم لانفسهم ولمن يقتدي بهم من أشياعهم (قل صدق الله) في جواب الشبه الثلاث وفيه تعريض بكذبهم (فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا) وهي التي عليها محمد صلى الله عليه وسلم ومن تبعه حتى تخلصوا من

أول بيت وضع للناس للذى ببكة قال بكة موضع البيت ومكة ماسوى ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن أبى جعفر قال مرت امرأة بين يدى رجل وهو يصلى وهى تطوف بالبيت فدفعها قال أبو جعفر انها بكة يبك بعضها بعضا حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة قال ثنا سلمة عن مجاهد قال انما سميت بكة لان الناس يتباكون فيها الرجال والنساء حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن حماد عن سعيد قال قلت لأى شئ سميت بكة قال لانهم يتباكون فيها قال يعنى يتزاحمون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن الاسود بن قيس عن أخيه عن ابن الزبير قال انما سميت بكة لانهم يأتونها حجاجا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا فان الله بك به الناس جميعا فيصلى النساء قدام الرجال ولا يصلح ببلد غيره حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة بكة بك الناس بعضهم بعضا الرجال والنساء يصلى بعضهم بين يدى بعض لا يصلح ذلك الا بمكة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن فضيل بن مرزوق عن عطية العوفى قال بكة موضع البيت ومكة ما حولها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يحيى بن أزهر عن غالب بن عبيد الله أنه سأل ابن شهاب عن بكة قال بكة البيت والمسجد وسأله عن مكة فقال ابن شهاب مكة الحرم كله حدثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا حجاج عن عطاء ومجاهد قالا بكة بك فيها الرجال والنساء حدثنى عبد الجبار بن يحيى الرملى قال قال ضمرة بن ربيعة بكة المسجد ومكة البيوت * وقال بعضهم بما حدثنى به يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فى قوله ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة قال هى مكة وقيل مباركا لان الطواف به مغفرة للذنوب فاما نصب قوله مباركا فانه على الخروج من قوله وضع لأن فى وضع ذكرا من البيت هو به مشغول وهو معرفة ومبارك نكرة لا يصلح أن يتبعه فى الاعراب وأما على قول من قال هو أول بيت وضع للناس على ماذكرنا فى ذلك قول من ذكرنا قوله فانه نصب على الحال من قوله للذى ببكة لان معنى الكلام على قولهم ان أول بيت وضع للناس البيت ببكة مباركا فالبيت عندهم من صفته الذى ببكة والذى بصلته معرفة والمبارك نكرة فنصب على القطع منه فى قول بعضهم وعلى الحال فى قول بعضهم وهدى فى موضع نصب على العطف على قوله مباركا ۞ القول فى تأويل قوله (فيه آيات بينات) اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه قراء الامصار فيه آيات بينات على جماع آية بمعنى فيه علامات بينات وقرأ ذلك ابن عباس فيه آية بينة يعنى بها مقام ابراهيم يراد بها علامة واحدة ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله فيه آيات بينات وما تلك الآيات فقال بعضهم مقام ابراهيم والمشعر الحرام ونحو ذلك ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فيه آيات بينات مقام ابراهيم والمشعر حدثنا اسحق ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ومجاهد فيه آيات بينات مقام ابراهيم قالا مقام ابراهيم من الآيات البينات * وقال آخرون الآيات البينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى قال ثنا عباد عن الحسن فى قوله فيه آيات بينات قال مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا * وقال آخرون الآيات البينات هو مقام ابراهيم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله فيه آيات بينات مقام ابراهيم أما الآيات البينات فمقام ابراهيم وأما الذين قرؤا

اليهودية التى فيها فساد دينكم ودنياكم حيث (٨) ألجأتكم الى تحريف كتاب الله لاغراضكم الفاسدة وألزمتكم تحريم الطيبات التى أحلت لابراهيم ولمن يقتدى به (وما كان من المشركين) وفيه تنبيه على أن محمدا صلى الله عليه وسلم على دين ابراهيم فى الفروع لما ثبت ان الذى حكم صلى الله عليه وسلم بحله حكم ابراهيم بحله وفى الاصول لان محمدا وابراهيم كليهما صلى الله عليهما وسلم لا يدعوان الا الى التوحيد والبراءة عن كل معبود سوى الله تعالى خلاف اليهود والنصارى وخلاف عبدة الاوثان والكواكب * قوله سبحانه (ان أول بيت وضع للناس) قال مجاهد هو جواب عن شبهة أخرى لليهود وذلك أنهم قالوا بيت المقدس أفضل من الكعبة لانه مهاجر الأنبياء وأرض المحشر وقبلة الانبياء فكان تحويل القبلة منه الى الكعبة كالطعن فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان الآية المتقدمة سيقت لجواز النسخ وان أعظم الأمور التى أظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم نسخها هو القبلة فذكر عقيب ذلك ما لاجله حولت القبلة الى الكعبة وقيل لما انجر الكلام فى الآية المتقدمة الى قوله فاتبعوا ملة ابراهيم وكان الحج من أعظم شعائر ملته أردفها بفضيلة البيت ليفرع عليها ايجاب الحج وقيل زعم كل من اليهود والنصارى أنه على ملة ابراهيم فبين الله تعالى ما يدل على كذبهم من حيث ان حج البيت كان من ملة ابراهيم وأهل الكتاب لا يحجون قالت العلماء الاول هو الفرد السابق فلو قال أول عبد أشتريه فهو حر فلو اشترى عبدين فى المرة الاولى لم يعتق واحد منهما لفقد قيد الفرد ولو اشترى فى المرة الثانية عبدا واحدا لم يعتق أيضا لفقدان قيد السابق ومعنى كونه موضوعا للناس انه جعل متعبدهم وموضع طاعتهم

ذلك

ذلك فيه آية بينة على التوحيد فانهم عنوا بالآية البينة مقام ابراهيم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (١) فيه آيات بينات قال قدماه في المقام آية بينة يقول ومن دخله كان آمنا قال هذا شئ آخر حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن ليث عن مجاهد فيه آية بينة مقام ابراهيم قال أثر قدميه في المقام آية بينة * وأولى الاقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال الآيات البينات منهن مقام ابراهيم وهو قول قتادة ومجاهد الذي رواه معمر عنهما فيكون الكلام مرادا فيه منهن فترك ذكره اكتفاء بدلالة الكلام عليها فان قال قائل فهذا المقام من الآيات البينات فما سائر الآيات التي من أجلها قيل آيات بينات قيل منهن المقام ومنهن الحجر ومنهن الحطيم وأصح القراءتين في ذلك قراءة من قرأ فيه آيات بينات على الجماع لاجماع قراء أمصار المسلمين على أن ذلك هو القراءة الصحيحة دون غيرها وأما اختلاف أهل التأويل في تأويل مقام ابراهيم فقد ذكرناه في سورة البقرة وبينا أولى الاقوال بالصواب فيه هنالك وأنه عندنا المقام المعروف به فتأويل الآية اذا ان أول بيت وضع للناس مباركا وهدى للعالمين للذي بمكة فيه علامات بينات من قدرة الله وآثار خليله ابراهيم منهن أثر قدم خليله ابراهيم صلى الله عليه وسلم في الحجر الذي قام عليه ۞ القول في تأويل قوله (ومن دخله كان آمنا) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم تأويله الخبر عن أن كل من جر في الجاهلية جريرة ثم عاذ بالبيت لم يكن بها مأخوذا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن دخله كان آمنا وهذا كان في الجاهلية كان الرجل لو جر كل جريرة على نفسه ثم لجأ الى حرم الله لم يتناول ولم يطلب فأما في الاسلام فانه لا يمنع من حدود الله من سرق فيه قطع ومن زنى فيه أقيم عليه الحد ومن قتل فيه قتل وعن قتادة أن الحسن كان يقول ان الحرم لا يمنع من حدود الله لو أصاب حدا في غير الحرم فلجأ الى الحرم لم يمنعه ذلك أن يقام عليه الحد ورأى قتادة ما قاله الحسن حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله ومن دخله كان آمنا قال كان ذلك في الجاهلية فأما اليوم فان سرق فيه أحد قطع وان قتل فيه قتل ولو قدر فيه على المشركين قتلوا حدثنا سعيد بن يحيى الاموى قال ثنا عبد السلام بن حرب قال ثنا خصيف عن مجاهد في الرجل يقتل ثم يدخل الحرم قال يؤخذ فيخرج من الحرم ثم يقام عليه الحد يقول القتل حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن حماد مثل قول مجاهد حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس قال أخبرنا هشام عن الحسن وعطاء في الرجل يصيب الحد ويلجأ الى الحرم يخرج من الحرم فيقام عليه الحد فتأويل الآية على قول هؤلاء فيه آيات بينات مقام ابراهيم والذي دخله من الناس كان آمنا بها في الجاهلية * وقال آخرون معنى ذلك ومن يدخله يكن آمنا بها بمعنى الجزاء كنحو قول القائل من قام لي أكرمته بمعنى من يقم لي أكرمه وقالوا هذا أمر كان في الجاهلية كان الحرم مفزع كل خائف وملجأ كل جان لانه لم يكن يهاج به ذو جريرة ولا يعرض الرجل فيه لقاتل أبيه وابنه بسوء قالوا وكذلك هو في الاسلام لان الاسلام زاده تعظيما وتكريما ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب قال ثنا عبد الواحد بن زياد قال ثنا خصيف قال ثنا مجاهد قال قال ابن عباس اذا أصاب الرجل الحد قتل أو سرق فدخل الحرم لم يبايع ولم يؤو حتى يتبرم فيخرج من الحرم فيقام عليه الحد قال فقلت لابن عباس ولكني لا أرى ذلك أرى أن يؤخذ برمته ثم يخرج من الحرم فيقام عليه الحد فان الحرم لا يزيده الاشدة حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن

يتوجهون نحوه من جميع الاقطار وليس كل أول يقتضي أن يكون له ثان فضلا أن يشاركه في جميع خواصه فلا يلزم من كونه أول أن يكون بيت المقدس مثلا ثانيا له ولا مشاركا في وجوب الحج والاستقبال وغيرهما من الخواص ثم ان كونه أول بيت وضع للناس يحتمل أن يكون المراد أنه أول في البناء والوضع ويحتمل أن يراد أنه أول في الوضع وان كان متأخرا في البناء فلا جرم حصل فيه للمفسرين قولان الاول أنه أول في بنائه ووضعه جميعا روى الواحدي رحمه الله في البسيط باسناده عن مجاهد أنه قال خلق الله هذا البيت قبل أن يخلق شيأ من الارضين وفي رواية أخرى خلق الله موضع هذا البيت قبل أن يخلق شيأ من الارض بألفي سنة وان قواعده لفي الارض السابعة السفلى وروى أيضا عن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن آبائه قال ان الله تعالى بعث ملائكة فقال ابنوا لي في الارض بيتا على مثال البيت المعمور وأمر الله تعالى من في الارض أن يطوفوا به كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور وهذا كان قبل خلق آدم وقد ورد في سائر كتب التفسير عن عبد الله بن عمر ومجاهد والسدي أنه أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق الارض والسماء وقد خلقه الله قبل الارض بألفي عام وكان زبدة بيضاء على الماء ثم دحيت الارض من تحته وعن الزهري قال بلغني أنهم وجدوا في مقام ابراهيم ثلاثة صفوح في كل صفح منها كتاب في الصفح الاول أنا الله ذو بكة وضعتها يوم وضعت الشمس والقمر وحففتها بسبعة أملاك حنفاء وباركت لأهلها في اللحم واللبن وفي الثاني أنا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي من وصلها وصلته ومن قطعها قطعته

(١) الظاهر الافراد كما هي قراءة مجاهد وكما هو أصل المدعى تأمل كتبه مصححه.

ادريس قال ثنا عبد الملك عن عطاء قال أخذ ابن الزبير سعدا مولى معاوية وكان فى قلعة بالطائف فأرسل الى ابن عباس من يشاوره (١) فيهم انهم لناعين فأرسل اليه ابن عباس لو وجدت قاتل أبى لم أعرض له قال فأرسل اليه ابن الزبير ألا نخرجهم من الحرم قال فأرسل اليه ابن عباس أفلا قبل أن تدخلهم الحرم زاد أبو السائب فى حديثه فأخرجهم فصلبهم ولم يصغ الى قول ابن عباس حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حجاج عن عطاء عن ابن عباس قال من أحدث حدثا فى غير الحرم ثم لجأ الى الحرم لم يعرض له ولم يبايع ولم يكلم ولم يؤو حتى يخرج من الحرم فاذا خرج من الحرم أخذ فأقيم عليه الحد قال ومن أحدث فى الحرم حدثا أقيم عليه الحد حدثنا أبو كريب قال ثنا ابراهيم بن اسمعيل بن نصر السلمى عن ابن أبى حبيبة عن داود بن حصين عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال من أحدث حدثا ثم استجار بالبيت فهو آمن وليس للمسلمين أن يعاقبوه على شئ الى أن يخرج فاذا خرج أقاموا عليه الحد حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال ثنا حجاج عن عطاء عن ابن عمر قال لو وجدت قاتل عمر فى الحرم ماهجته حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس قال ثنا ليث عن عطاء أن الوليد بن عتبة أراد أن يقيم الحد فى الحرم فقال له عبيد بن عمير لا تقم عليه الحد فى الحرم الا أن يكون أصابه فيه حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس قال أخبرنا مطرف عن عامر قال اذا أصاب الحد ثم هرب الى الحرم فقد أمن فاذا أصابه فى الحرم أقيم عليه الحد فى الحرم حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن فراس عن الشعبى قال من أصاب حدا فى الحرم أقيم عليه فى الحرم ومن أصابه خارجا من الحرم ثم دخل الحرم لم يكلم ولم يبايع حتى يخرج من الحرم فيقام عليه حدثنا سعيد بن يحيى الأموى قال ثنا عبد السلام بن حرب قال ثنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير وعن عبد الملك عن عطاء بن أبى رباح فى الرجل يقتل ثم يدخل الحرم قال لا يبيعه أهل مكة ولا يشترون منه ولا يسقونه ولا يطعمونه ولا يؤونه عد أشياء كثيرة حتى يخرج من الحرم فيؤخذ بذنبه حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان الرجل اذا أصاب حدا ثم دخل الحرم أنه لا يطعم ولا يسقى ولا يؤوى ولا يكلم ولا ينكح ولا يبايع فاذا خرج منه أقيم عليه الحد حدثنى المثنى قال ثنى حجاج قال ثنا حماد عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال اذا أحدث الرجل حدثا ثم دخل الحرم لم يؤو ولم يجالس ولم يبايع ولم يطعم ولم يسق حتى يخرج من الحرم حدثنى المثنى قال ثنا حجاج قال ثنا حماد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أما قوله ومن دخله كان آمنا فلو أن رجلا قتل رجلا ثم أتى الكعبة فعاذ بها ثم لقيه أخو المقتول لم يحل له أبدا أن يقتله * وقال آخرون معنى ذلك ومن دخله يكن آمنا من النار ذكر من قال ذلك حدثنا على بن مسلم قال ثنا أبو عاصم قال أخبرنا رزيق بن مسلم المخزومى قال ثنا زياد بن أبى عياض عن يحيى بن جعدة فى قوله ومن دخله كان آمنا قال آمنا من النار * وأولى الاقوال فى ذلك عندنا بالصواب قول ابن الزبير ومجاهد والحسن ومن قال معنى ذلك ومن دخله من غيره ممن لجأ اليه عائذا به كان آمنا ما كان فيه ولكنه يخرج منه فيقام عليه الحد ان كان أصاب ما يستوجبه فى غيره ثم لجأ اليه وان كان أصابه فيه أقيم عليه فيه فتأويل الآية اذا فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن يدخله من الناس مستجيرا به يكن آمنا مما استجار منه ما كان فيه حتى يخرج منه فان قال قائل وما منعك من اقامة الحد عليه فيه قيل لاتفاق جميع السلف على أن من كانت

(١) كذا فى النسخ بضمير الجمع فلعل سعدا كان معه جماعة هو رئيسهم أو عريفهم تأمل اهـ مصححه

وفى الثالث أنا الله ذو بكة خلقت الجن والانس فطوبى لمن كان الخير على يديه وويل لمن كان الشر على يديه وقد يستدل على صحة هذا القول بما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة ألا ان الله قد حرم مكة يوم خلق السموات والارض وتحريم مكة لا يمكن الا بعد وجودها ولانه تعالى سماها أم القرى وهذا يقتضى سبقها على سائر البقاع ولان تكليف الصلاة كان ثابتا فى أديان جميع الانبياء وأيضا قال تعالى فى سورة مريم أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم الى قوله خروا سجدا والسجدة لا بد لها من قبلة فلو كانت قبلتهم غير الكعبة لم تكن هى أول بيت وضع للناس هذا محال خلف القول الثانى روى أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن أول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس فسئل كم بينهما قال أربعون سنة وعن على أن رجلا قال له هو أول بيت قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه أول بيت وضع للناس مبارك فيه الهدى والرحمة والبركة واعلم أن الغرض الاصلى من ذكر هذه الاولية بيان الفضيلة وترجيحه على بيت المقدس ولا تأثير لاولية البناء فى هذا المقصود وان كان الارجح ثبوت تلك الاولية أيضا كما روينا آنفا وفى سورة البقرة أيضا من الاخبار والآثار فى فضائل البيت أن الآمر ببنائه الرب الجليل والمهندس جبرائيل وبانيه ابراهيم الخليل وتلميذه ابنه اسمعيل ومنها انه محل اجابة الدعوات ومهبط الخيرات والبركات ومصعد الصلوات والطاعات ومنها مقام ابراهيم كما يجئ ومنها قلة ما يجتمع من حصى الجمار فيه فانه منذ آلاف سنة يرمى فى كل سنة خمسمائة ألف انسان كل واحد منهم سبعين حصاة ثم لا يرى هنالك الا ما لو اجتمع فى سنة

جريرته في غيره ثم عاذبه فانه لا يؤخذ بجريرته فيه وانما اختلفوا في صفة اخراجه منه لاخذه بها فقال بعضهم صفة ذلك منعه المعاني التي يضطر مع منعه وفقده الى الخروج منه وقال آخرون لا صفة لذلك غير اخراجه منه بما أمكن اخراجه من المعاني التي توصل الى اقامة حد الله عليه معها فلذلك قلنا غير جائز اقامة الحد عليه فيه الا بعد اخراجه منه فأما من أصاب الحد فيه فانه لا خلاف بين الجميع في أنه يقام عليه فيه الحد فكلتا المسئلتين أصل مجمع على حكمهما على ما وصفنا * فان قال لنا قائل وما دلالتك على أن اخراج العائذ بالبيت اذا أتاه مستجيرا به من جريرة جرها أو من حد أصابه من الحرم جائز لاقامة الحد عليه وأخذه بالجريرة وقد أقررت بان الله عز وجل قد جعل من دخله آمنا ومعنى الآمن غير معنى الخائف فيما هما فيه مختلفان قيل قلنا ذلك لاجماع الجميع من المتقدمين والمتأخرين من علماء الامة على أن اخراج العائذ به من جريرة أصابها أو فاحشة أتاها وجبت عليه بها عقوبة منه ببعض معاني الاخراج لاخذه بما لزمه واجب على امام المسلمين وأهل الاسلام معه وانما اختلفوا في السبب الذي يخرج به منه فقال بعضهم السبب الذي يجوز اخراجه به منه ترك جميع المسلمين مبايعته واطعامه وسقيه وايواءه وكلامه وما أشبه ذلك من المعاني التي لا قرار للعائذ به فيه مع بعضها فكيف مع جميعها وقال آخرون منهم بل اخراجه لاقامة ما لزمه من العقوبة واجب بكل معاني الاخراج فلما كان اجماعا من الجميع على أن حكم الله فيمن عاذ بالبيت من حد أصابه أو جريرة جرها اخراجه منه لاقامة ما فرض الله على المؤمنين اقامته عليه ثم اختلفوا في السبب الذي يجوز اخراجه به منه كان اللازم لهم ولامامهم اخراجه منه بأي معنى أمكنهم اخراجه منه حتى يقيموا عليه الحد الذي لزمه خارجا منه اذا كان لجأ اليه من خارج على ما قد بينا قبل وبعد فان الله عز وجل لم يضع حدا من حدوده عن أحد من خلقه من أجل بقعة وموضع صار اليها من لزمه ذلك وقد تظاهرت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اني حرمت المدينة كما حرم ابراهيم مكة ولا خلاف بين جميع الامة أن عائذا لو عاذ من عقوبة لزمته بحرم النبي صلى الله عليه وسلم يؤاخذ بالعقوبة فيه ولولا ما ذكرت من اجماع السلف على أن حرم ابراهيم لا يقام فيه على من عاذ به من عقوبة لزمته حتى يخرج منه ما لزمه لكان أحق البقاع أن تؤدى فيه فرائض الله التي ألزمها عباده من قتل أو غيره أعظم البقاع الى الله كحرم الله وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم ولكنا أمرنا باخراج من أمرنا باخراجه من حرم الله لاقامة الحد لما ذكرنا من فعل الامة ذلك وراثة فمعنى الكلام اذ كان الامر على ما وصفنا ومن دخله كان آمنا ما كان فيه فاذا كان ذلك كذلك فمن لجأ اليه من عقوبة لزمته عائذا به فهو آمن ما كان به حتى يخرج منه وانما يصير الى الخوف بعد الخروج أو الاخراج منه فحينئذ هو غير داخله ولا هو فيه ﴿ القول في تأويل قوله ﴾ (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) يعني بذلك جل ثناؤه وفرض واجب لله على من استطاع من أهل التكليف السبيل الى حج بيته الحرام الحج اليه وقد بينا فيما مضى معنى الحج ودللنا على صحة ما قلنا من معناه بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع واختلف أهل التأويل في تأويل قوله عز وجل من استطاع اليه سبيلا وما السبيل التي يجب مع استطاعتها فرض الحج فقال بعضهم هي الزاد والراحلة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد ابن بكر قال أخبرنا ابن جريج قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه من استطاع اليه سبيلا قال الزاد والراحلة حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن بكر قال أخبرنا ابن جريج قال قال عمرو بن دينار الزاد والراحلة حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن أبي خباب عن الضحاك عن ابن عباس في قوله من استطاع اليه سبيلا قال الزاد والبعير حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني

واحدة لكان غير كثير وليس الموضع الذي يرمى اليه الجمرات مسيل ماء أو مهب رياح شديدة وقد جاء في الآثار أن كل من كانت حجته مقبولة رفعت جمراته الى السماء ومنها أن الطيور تترك المرور فوق الكعبة وتنحرف عنها البتة اذا وصلت الى محاذاتها ومنها أن الحيوانات المتضادة في الطبائع لا يؤذي بعضها بعضا عنده كالكلاب والظباء ومنها أمن سكانها فلم ينقل البتة أن ظالما هدم الكعبة أو خرب مكة بالكلية وأما بيت المقدس فقد هدمه بختنصر بالكلية وقصة أصحاب الفيل سوف تجيء في موضعها ان شاء العزيز ومنها أنه تعالى وضعها بواد غير ذي زرع لفوائد منها انه قطع بذلك رجاء أهل حرمه وسدنة بيته عمن سواه حتى لا يتوكلوا الا على الله ومنها أنه مع كونه كذلك يجبى اليه ثمرات كل شيء وذلك بدعوة خليله ابراهيم صلى الله عليه وسلم وانه من أعظم الآيات ومنها أن لا يسكنها أحد من الجبابرة لانهم يميلون الى طيبات الدنيا فيبقى ذلك الموضع المنيف والمقام الشريف مطهرا عن لوث وجود أرباب الهمم الدنية ومنها أن لا يقصدها الناس للتجارة بل يأتون لمحض العبادة والزيارة ومنها أنه تعالى أظهر بذلك شرف الفقر حيث وضع أشرف البيوت في أقل المواضع نصيبا من الدنيا فكأنه تعالى يقول جعلت الفقراء في الدنيا أهل البلد الامين لأجعلهم في الآخرة أهل المقام الامين ومنها كأنه قيل كما لم أجعل الكعبة الا في موضع خال عن جميع نعم الدنيا فكذا لا أجعل كعبة المعرفة الا في قلب خال عن محبة الدنيا (للذي ببكة) للبيت الذي ببكة قال في الكشاف وهي علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان كراتب وراتم وضربة لازم ولازب مما يعتقب فيه الميم والباء لتقارب مخرجهما وقيل مكة البلد وبكة موضع

المسجد وفي الصحاح بكة اسم لبطن مكة وأما اشتقاق بكة فمن قولهم بكه اذا زحمه ودفعه وعن سعيد بن جبير سميت بكة لانهم

معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا والسبيل أن يصح بدن العبد ويكون له ثمن زاد وراحلة من غير أن يجحف به حدثنا خلاد بن أسلم قال ثنا النضر بن شميل قال أخبرنا اسرائيل عن أبي عبد الله البجلي قال سألت سعيد بن جبير عن قوله من استطاع اليه سبيلا قال قال ابن عباس من ملك ثلثمائة درهم فهو السبيل اليه حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو عاصم عن اسحق بن عثمان قال سمعت عطاء يقول السبيل الزاد والراحلة حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أما من استطاع اليه سبيلا فان ابن عباس قال السبيل راحلة وزاد حدثني المثنى وأحمد بن حازم قالا ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن محمد بن سوقة عن سعيد بن جبير من استطاع اليه سبيلا قال الزاد والراحلة حدثنا أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال أخبرنا الربيع بن صبيح عن الحسن قال الزاد والراحلة حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن الحسن قال قرأ النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا فقال رجل يا رسول الله ما السبيل قال الزاد والراحلة * واعتل قائلو هذه المقالة بأخبار رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو ما قالوا في ذلك ذكر الرواية بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابراهيم ابن يزيد الخوزي قال سمعت محمد بن عباد بن جعفر يحدث عن ابن عمر قال قام رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما السبيل قال الزاد والراحلة حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا سفيان عن ابراهيم الخوزي عن محمد بن عباد عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله عز وجل من استطاع اليه سبيلا قال السبيل الى الحج الزاد والراحلة حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا يونس وحدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن يونس عن الحسن قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا قالوا يا رسول الله ما السبيل قال الزاد والراحلة حدثنا أبو عثمان المقدمي والمثنى بن ابراهيم قالا ثنا مسلم ابن ابراهيم قال ثنا هلال بن عبد الله مولى ربيعة بن عمرو بن مسلم الباهلي قال ثنا أبو اسحق عن الحرث عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله فلم يحج فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا وذلك أن الله عز وجل يقول في كتابه ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن قال بلغنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال له قائل أو رجل يا رسول الله ما السبيل اليه قال من وجد زادا وراحلة حدثنا أحمد بن الحسن الترمذي قال ثنا (١) شاذ بن فياض البصري قال ثنا هلال بن هشام عن أبي اسحق الهمداني عن الحرث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ملك زادا وراحلة فلم يحج مات يهوديا أو نصرانيا وذلك أن الله يقول في كتابه ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا الآية حدثني أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا حماد بن سلمة عن قتادة وحميد عن الحسن أن رجلا قال يا رسول الله ما السبيل اليه قال الزاد والراحلة حدثنا محمد بن بشار قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن قتادة عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله * وقال آخرون السبيل التي اذا استطاعها المرء كان عليه الحج الطاقة للوصول اليه قال وذلك قد يكون بالمشي وبالركوب وقد يكون مع وجودهما العجز عن الوصول اليه بامتناع الطريق من العدو الحائل وبقلة الماء وما أشبه ذلك قالوا فلا بيان في ذلك أبين مما بينه الله عز وجل بأن يكون مستطيعا اليه السبيل وذلك الوصول اليه بغير مانع ولا حائل بينه وبينه وذلك

(١) شاذ بن فياض هو بالذال المعجمة واسمه هلال اهـ خلاصة كتبه مصححه

يتباكون فيها أي يزدحمون في الطواف وهو قول محمد بن علي الباقر ومجاهد وقتادة قال بعضهم رأيت محمد بن علي الباقر يصلي فمرت امرأة بين يديه فذهبت أدفعها فقال دعها فانها سميت بكة لانه يبك بعضهم بعضا تمر المرأة بين يدي الرجل وهو يصلي والرجل بين يدي المرأة وهي تصلي ولا بأس بذلك في هذا المكان ويؤكد هذا قول من قال ان بكة موضع المسجد لان المطاف هنالك وفيه الازدحام ولا شك أن بكة غير البيت لان الآية تدل على أن البيت حاصل في بكة والشيء لا يكون ظرفا لنفسه وقيل سميت بكة لانها تبك أعناق الجبابرة أي تدقهم لم يقصدها جبار بسوء الا اندقت عنقه وأما مكة فاشتقاقها من قولك امتك الفصيل ضرع أمه اذا امتص ما فيه واستقصى فسميت بذلك لانها تجذب الناس من كل جانب وقطر أو لقلة مائها كأن أرضها امتصت ماءها وقيل ان مكة وسط الارض والعيون والمياه تنبع من تحتها فكأن الارض كلها تمك من ماء مكة ثم انه تعالى وصف البيت بكونه مباركا وهدى للعالمين أما انتصابه فعلى الحال من الضمير المستكن في الظرف لان التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه معنى الاستقرار وأما معناه فالبركة اما النمو والتزايد وكثرة الخير واما البقاء والدوام وكل شيء ثبت ودام فقد برك ومنه برك البعير اذا وضع صدره على الارض والبركة شبه الحوض لثبوت الماء فيها وتبارك الله لثبوته لم يزل ولا يزال والبيت مبارك لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب قال صلى الله عليه وسلم صلاة

قد يكون بالمشي وحده وان أعوزه المركب وقد يكون بالمركب وغير ذلك ذكر ذلك من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا سفيان عن خالد بن أبي كريمة عن رجل عن ابن الزبير قوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا قال على قدر القوة حدثنا يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله من استطاع اليه سبيلا قال الزاد والراحلة فان كان شابا صحيحا ليس له مال فعليه أن يؤاجر نفسه بأكله وعقبه حتى يقضي حجته فقال له قائل كلف الله الناس أن يمشوا الى البيت فقال لو أن لبعضهم ميراثا بمكة أكان تاركه والله لانطلق اليه ولو حبوا كذلك يجب عليه الحج حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن بكر قال أخبرنا ابن جريج قال قال عطاء من وجد شيأ يبلغه فقد وجد سبيلا كما قال الله عز وجل من استطاع اليه سبيلا حدثنا أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا أبو هانئ قال ثنا سهل بن عامر عن هذه الآية ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا قال السبيل ما يسره الله حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد عن الحسن من وجد شيأ يبلغه فقد استطاع اليه سبيلا * وقال آخرون السبيل الى ذلك الصحة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن حميد ومحمد بن عبد الله ابن عبد الحكم والمثنى بن ابراهيم قالوا حدثنا أبو عبد الرحمن المقري قال ثنا حيوة بن شريح وابن لهيعة قالا أخبرنا شرحبيل بن شريك المعافري أنه سمع عكرمة مولى ابن عباس يقول في هذه الآية ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا قال السبيل الصحة * وقال آخرون بما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله عز وجل ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا قال من وجد قوة في النفقة والجسد والحملان قال وان كان في جسده ما لا يستطيع الحج فليس عليه الحج وان كان له قوة في مال كما اذا كان صحيح الجسد ولا يجد مالا ولا قوة يقولون لا يكلف أن يمشي وأولى الاقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال بقول ابن الزبير وعطاء ان ذلك على قدر الطاقة لان السبيل في كلام العرب الطريق فمن كان واجدا طريقا الى الحج لا مانع له منه من زمانة أو عجز أو عدو أو قلة ماء في طريقه أو زاد وضعف عن المشي فعليه فرض الحج لا يجزيه الا أداؤه فان لم يكن واجدا سبيلا أعني بذلك فان لم يكن مطيقا الحج بتعذر بعض هذه المعاني التي وصفناها عليه فهو ممن لا يجد اليه طريقا ولا يستطيعه لان الاستطاعة الى ذلك هو القدرة عليه ومن كان عاجزا عنه ببعض الاسباب التي ذكرنا أو بغير ذلك فهو غير مطيق ولا مستطيع اليه السبيل وانما قلنا هذه المقالة أولى بالصحة مما خالفها لان الله عز وجل لم يخصص اذ ألزم الناس فرض الحج بعض مستطيعي السبيل اليه بسقوط فرض ذلك عنه فذلك على كل مستطيع اليه سبيلا بعموم الآية فأما الاخبار التي رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك بأنه الزاد والراحلة فانها أخبار في أسانيدها نظر لا يجوز الاحتجاج بمثلها في الدين واختلف القراء في قراءة الحج فقرأ ذلك جماعة من قراء أهل المدينة والعراق بالكسر ولله على الناس حج البيت وقرأ ذلك جماعة أخر منهم بالفتح ولله على الناس حج البيت وهما لغتان معروفتان للعرب فالكسر لغة أهل نجد والفتح لغة أهل العالية ولم نر أحدا من أهل العربية ادعى فرقا بينهما في معنى ولا غيره غير ما ذكرنا من اختلاف اللغتين الا ما حدثنا به أبو هشام الرفاعي قال قال حسين الجعفي الحج مفتوح اسم والحج مكسور عمل وهذا قول لم أر أهل المعرفة بلغات العرب ومعاني كلامهم يعرفونه بل رأيتهم مجمعين على ما وصفت من أنهما لغتان بمعنى واحد والذي نقول به في قراءة ذلك أن القراءتين اذ كانتا مستفيضتين في قراءة أهل الاسلام ولا اختلاف بينهما في معنى ولا غيره فهما قراءتان قد جاءتا مجيء الحجة فبأي القراءتين أعني بكسر الحاء من الحج أو فتحها قرأ القارئ فمصيب الصواب في قراءته وأما من التي مع قوله من استطاع فانه في موضع

في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وقال صلى الله عليه وسلم الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة ولو استحضر العاقل في نفسه أن الكعبة كالنقطة وصفوف المتوجهين اليها في الصلوات في أقطار الارض وأكنافها ولعمري انها غير محصورة كالدوائر المحيطة بالمركز ولا شك أنه يحصل فيما بين هؤلاء المصلين أشخاص أرواحهم علوية وقلوبهم قدسية وأسرارهم نورانية وضمائرهم ربانية علم أنه اذا توجهت تلك الارواح الصافية الى كعبة المعرفة واستقبلت أجسادهم هذه الكعبة الحسية اتصلت أنوار أولئك الارواح بنوره وعظم لمعان الاضواء الروحانية في سره قال القفال يجوز أن تكون بركته ما ذكر في قوله يجبى اليه ثمرات كل شيء فيكون كقوله الى الارض المقدسة التي باركنا فيها وان فسرنا البركة بالدوام فلا شك أنه لا تنفك الكعبة من الطائفين والعاكفين والركع السجود واذا كانت الارض كرة وكل آن يفرض فانه صبح لقوم ظهر لآخرين وعصر لغيرهم أو مغرب أو عشاء فلا تخلو الكعبة عن توجه قوم اليها البتة وأيضا بقاء الكعبة على هذه الحالة ألوفا من السنين دوام وأما كونه هدى للعالمين فلانه قبلتهم ومتعبدهم أو لانه يدل على وجود الصانع وصدق محمد صلى الله عليه وسلم بما فيه من الآيات والاعاجيب أو لانه يهدي الى الجنة ومعنى هدى هاديا أو ذا هدى قاله الزجاج ويجوز أن يكون محله رفعا أي وهو هدى (فيه آيات بينات) يحتمل أن يراد بها ما عددنا من بعض فضائله ويكون قوله مقام ابراهيم غير متعلق بما قبله فكأنه قيل فيه آيات بينات ومع ذلك فهو مقام ابراهيم وموضعه الذي اختاره وعبد الله فيه وقال الاكثرون ان الآيات بيانه وتفسيره قوله مقام

خفض على الابدال من الناس لان معنى الكلام ولله على من استطاع من الناس سبيلا الى حج البيت حجه فلما تقدم ذكر الناس قبل من بين بقوله من استطاع اليه سبيلا الذى عليه فرض ذلك منهم لان فرض ذلك على بعض الناس دون جميعهم ۞ القول فى تأويل قوله (ومن كفر فان الله غنى عن العالمين) يعنى بذلك جل ثناؤه ومن جحد ما ألزمه الله من فرض حج بيته فأنكره وكفر به فان الله غنى عنه وعن حجه وعمله وعن سائر خلقه من الجن والانس كما حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عبد الواحد بن زياد عن الحجاج بن أرطاة عن محمد بن أبى المجالد قال سمعت مقسما عن ابن عباس فى قوله ومن كفر قال من زعم أنه ليس بفرض عليه حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا الحجاج عن عطاء وجويبر عن الضحاك فى قوله ومن كفر فان الله غنى عن العالمين قالا من جحد الحج وكفر به حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا هشيم عن الحجاج بن أرطاة عن عطاء قال من جحد به حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عمران القطان يقول من زعم أن الحج ليس عليه حدثنا محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر عن عباد عن الحسن فى قوله ومن كفر فان الله غنى عن العالمين قال من أنكره ولا يرى أن ذلك عليه حقا فذلك كفر حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ومن كفر قال من كفر بالحج حدثنا عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا اسحق بن يوسف عن أبى بشر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ومن كفر فان الله غنى عن العالمين قال من كفر بالحج كفر بالله حدثنى المثنى قال ثنا يعلى بن أسد قال ثنا خالد عن هشام بن حسان عن الحسن فى قول الله عز وجل ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر قال من لم يره عليه واجبا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ومن كفر قال بالحج * وقال آخرون معنى ذلك أن لا يكون معتقدا فى حجه أن له الاجر عليه ولا أن عليه بتركه اثما ولا عقوبة ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا ابن جريج قال ثنى عبد الله بن مسلم عن مجاهد فى قوله ومن كفر فان الله غنى عن العالمين قال هو ما ان حج لم يره برا وان قعد لم يره مأثما حدثنا عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا اسحق بن يوسف عن ابن جريج عن مجاهد قال هو ما ان حج لم يره برا وان قعد لم يره مأثما حدثنى أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا مطر عن أبى داود نفيع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين فقام رجل من هذيل فقال يا رسول الله من تركه كفر قال من تركه ولا يخاف عقوبته ومن حج ولا يرجو ثوابه فهو ذاك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ومن كفر فان الله غنى عن العالمين يقول من كفر بالحج فلم ير حجه برا ولا تركه مأثما * وقال آخرون معنى ذلك ومن كفر بالله واليوم الآخر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد قال سألته عن قوله ومن كفر فان الله غنى عن العالمين ما هذا الكفر قال من كفر بالله واليوم الآخر حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد فى قوله ومن كفر قال من كفر بالله واليوم الآخر حدثنا يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فى قوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا قال لما نزلت آية الحج جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الاديان كلهم فقال يا أيها الناس ان الله عز وجل كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهى من صدق النبى صلى الله عليه وسلم وآمن به وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلى اليه ولا نستقبله فأنزل الله عز وجل ومن كفر فان الله غنى عن العالمين حدثنى أحمد بن حازم

ابراهيم اماناً بجعل وحده بمنزلة آيات كثيرة لانه معجز رسول وكل معجز ففيه دليل أيضا على علم الصانع وقدرته وارادته وحياته وتعاليه عن مشابهة المحدثات فلقوة هذا الدليل عبر عنه بلفظ الجمع كقوله ان ابراهيم كان أمة واما بان يجعل المقام مشتملا على آيات لان أثر القدم فى الصخرة الصماء آية وغوصه فيها الى الكعبين آية وإلانة بعض الصخرة دون بعض آية وابقاء هذا الاثر دون آثار سائر الانبياء آية لابراهيم خاصة وحفظه مع كثرة أعدائه من المشركين وأهل الكتاب والملاحدة الوفا من السنين آية قال الزجاج قوله ومن دخله كان آمنا من تتمة تفسير الآيات وهذه الجملة وان كانت من مبتدإ وخبر أو من شرط وجزاء الا أنها فى تقدير مفرد من حيث المعنى فكأنه قيل فيه آيات بينات وأمن من دخله كما لو قلت فيه آية بينة من دخله كان آمنا كان معناه فيه آية بينة أمن من دخله وهذا التفسير بعد تصحيحه مبنى على أن الاثنين جمع كما قال صلى الله عليه وسلم الاثنان فما فوقهما جماعة وفى القرآن هذان خصمان اختصموا وقيل ذكر آيتان وطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات كأنه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وأمن من دخله وكثير سواهما ومنه قوله صلى الله عليه وسلم حبب الىّ من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عينى فى الصلاة ومنهم من تمم الثلاثة فقال مقام ابراهيم وأمن من دخله وان لله على الناس حجه وقال المبرد مقام مصدر فلم يجمع والمراد مقامات ابراهيم هى ما أقامه من المناسك فالمراد بالآيات شعائر الحج وقرأ ابن عباس وأبى ومجاهد وأبو جعفر المدنى فى رواية قتيبة آية بينة على التوحيد قاله فى الكشاف وفيه توكيد

قال

قال أخبرنا أبو نعيم قال ثنا أبو هانئ قال سئل عامر عن قوله ومن كفر قال من كفر من الخلق فان الله غني عنه حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا سفيان عن ابراهيم عن محمد ابن عباد عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله ومن كفر قال من كفر بالله واليوم الآخر حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن عكرمة مولى ابن عباس في قول الله عز وجل ومن يبتغ غير الاسلام دينا فقالت الملل نحن مسلمون فأنزل الله عز وجل ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين فحج المؤمنون وقعد الكفار * وقال آخرون معنى ذلك ومن كفر بهذه الآيات التي في مقام ابراهيم ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين فقرأ ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا فقرأ حتى بلغ من استطاع اليه سبيلا ومن كفر قال من كفر بهذه الآيات فان الله غني عن العالمين ليس كما يقولون اذا لم يحج وكان غنيا وكانت له قوة فقد كفر(١) بها وقال قوم من المشركين فانا نكفر بها ولا نفعل فقال الله عز وجل فان الله غني عن العالمين * وقال آخرون بما حدثني ابراهيم بن عبد الله بن مسلم قال أخبرنا أبو عمر الضرير قال ثنا حماد عن حبيب بن أبي بقية عن عطاء بن أبي رباح في قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين قال من كفر بالبيت * وقال آخرون كفره به تركه اياه حتى يموت ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثني أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أما من كفر فمن وجد ما يحج به ثم لم يحج فهو كافر * وأولى التأويلات بالصواب في ذلك قول من قال معنى ومن كفر ومن جحد فرض ذلك وأنكر وجوبه فان الله غني عنه وعن حجه وعن العالمين جميعا وانما قلنا ذلك أولى به لان قوله ومن كفر بعقب قوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا بأن يكون خبرا عن الكافر بالحج أحق منه بأن يكون خبرا عن غيره مع أن الكافر بفرض الحج على من فرضه الله عليه بالله كافر وان الكفر أصله الجحود ومن كان له جاحدا ولفرضه منكرا فلا شك ان حج لم يرج بحجه برا وان تركه فلم يحج لم يره مأثما فهذه التأويلات وان اختلفت العبارات بها فمتقاربات المعاني ﴿القول في تأويل قوله﴾ (قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون) يعني بذلك يا معشر يهود بني اسرائيل وغيرهم من سائر من ينتحل الديانة بما أنزل الله عز وجل من كتبه ممن كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وجحد نبوته لم تجحدون بآيات الله يقول لم تجحدون حجج الله التي آتاها محمدا في كتبكم وغيرها التي قد ثبتت عليكم بصدقه ونبوته حجته وأنتم تعلمون يقول لم تجحدون ذلك من أمره وأنتم تعلمون صدقه فأخبر جل ثناؤه عنهم أنهم متعمدون الكفر بالله وبرسوله على علم منهم ومعرفة من كفرهم وقد حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله أما آيات الله فمحمد صلى الله عليه وسلم حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر قال ثنا عباد عن الحسن في قوله يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون قال هم اليهود والنصارى ﴿القول في تأويل قوله﴾ (قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون) يعني بذلك جل ثناؤه يا معشر يهود بني اسرائيل وغيرهم ممن ينتحل التصديق بكتب الله لم تصدون عن سبيل الله يقول لم تضلون عن طريق الله ومحجته التي شرعها لانبيائه وأوليائه وأهل الايمان من آمن يقول من صدق بالله ورسوله وما جاء به من عند الله تبغونها عوجا يعني تبغون لها عوجا والهاء والالف اللتان في قوله تبغونها عائدتان على السبيل وأنثها لتأنيث السبيل ومعنى قوله تبغون لها عوجا من قول الشاعر وهو سحيم عبد بني الحسحاس

(١) لعل لفظ بها زائد من الناسخ تأمل

لكون مقام ابراهيم وحده بيانا وأما حديث أمن من دخله فقد مر اختلاف العلماء فيه في سورة البقرة في قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا وقيل كان آمنا من النار لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعنه صلى الله عليه وسلم الحجون والبقيع يؤخذ بأطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام (ولله على الناس حج البيت) لما ذكر فضائل البيت أردفه بايجاب الحج وفيه لغتان الفتح لغة الحجاز والكسر لغة نجد وكلاهما مصدر كالمدح والذم والذكر والعلم وقيل المكسور اسم العمل والمفتوح مصدر ومحل من استطاع خفض على البدل من الناس والمعنى ولله على من استطاع من الناس حج البيت وقال الفراء يجوز أن ينوي الاستئناف بمن والخبر أو الجزاء محذوف لدلالة ما قبله عليه والتقدير من استطاع اليه سبيلا فالله عليه حج البيت وقال ابن الانباري يحتمل أن يكون محله رفعا على البيان كأنه قيل من الناس الذين عليهم لله حج البيت فقيل هم من استطاع والضمير في اليه للبيت أو الحج واستطاعة السبيل الى الشيء هي امكان الوصول اليه واحتج أصحاب الشافعي بالآية على أن الكفار مخاطبون بفروع الشرائع لان الناس يعم المؤمن والكافر وعدم الايمان لا يصلح أن يكون معارضا ومخصصا لهذا العموم لان الدهري مكلف

بغالك وما تبغيه حتى وجدته * كأنك قد واعدته أمس موعدا

يعنى طلبك وما تطلبه يقال ابغنى كذا يراد ابتغه لى فاذا أرادوا أعنى على طلبه وابتغه معى قالوا أبغنى بفتح الالف وكذلك يقال احلبنى بمعنى اكفنى الحلب وأحلبنى أعنى عليه وكذلك جميع ما ورد من هذا النوع فعلى هذا وأما العوج فهو الاود والميل وانما يعنى بذلك الضلال عن الهدى يقول جل ثناؤه لم تصدون عن دين الله من صدق الله ورسوله تبغون دين الله اعوجاجا عن سننه واستقامته وخرج الكلام على السبيل والمعنى لاهله كأن المعنى تبغون لاهل دين الله ولمن هو على سبيل الحق عوجا يقول ضلالا عن الحق وزيغا عن الاستقامة على الهدى والمحجة والعوج بكسر أوله الاود فى الدين والكلام والعوج بفتح أوله الميل فى الحائط والقناة وكل شئ منتصب قائم وأما قوله وأنتم شهداء فانه يعنى شهداء على أن الذى تصدون عنه من السبيل حق تعلمونه وتجدونه فى كتبكم وما الله بغافل عما تعملون يقول ليس الله بغافل عن أعمالكم التى تعملونها مما لا يرضاه لعباده وغير ذلك من أعمالكم حتى يعاجلكم بالعقوبة عليها معجلة أو يؤخر ذلك لكم حتى تلقوه فيجازيكم عليها وقد ذكر أن هاتين الآيتين من قوله يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والآيات بعدهما الى قوله فأولئك لهم عذاب عظيم نزلت فى رجل من اليهود حاول الاغراء بين الحيين من الاوس والخزرج بعد الاسلام ليراجعوا ما كانوا عليه فى جاهليتهم من العداوة والبغضاء فعنفه الله بفعله ذلك وقبح له ما فعل ووبخه عليه ووعظ أيضا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهاهم عن الافتراق والاختلاف وأمرهم بالاجتماع والائتلاف ذكر الرواية بذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثنى الثقة عن زيد بن أسلم قال مر شاس بن قيس وكان شيخا قد عسا فى الجاهلية عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاوس والخزرج فى مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه فغاظه ما رأى من جماعتهم وألفتهم وصلاح ذات بينهم على الاسلام بعد الذى كان بينهم من العداوة فى الجاهلية فقال قد اجتمع ملأ بنى قيلة بهذه البلاد والله ما لنا معهم اذا اجتمع ملؤهم بها من قرار فأمر فتى شابا من اليهود وكان معه فقال اعمد اليهم فاجلس معهم وذكرهم يوم بعاث وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الاشعار وكان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج ففعل فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب أوس بن قيظى أحد بنى حارثة بن الحرث من الاوس وجبار بن صخر أحد بنى سلمة من الخزرج فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه ان شئتم والله رددناها الآن جذعة وغضب الفريقان وقالوا قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهرة والظاهرة الحرة فخرجوا اليها وتحاور الناس فانضمت الاوس بعضها الى بعض والخزرج بعضها الى بعض على دعواهم التى كانوا عليها فى الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم فقال يا معشر المسلمين الله الله أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد اذ هداكم الله الى الاسلام وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف به بينكم ترجعون الى ما كنتم عليه كفارا فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا وعانق الرجال من الاوس والخزرج بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس بن قيس وما صنع فأنزل الله فى شاس بن قيس وما صنع يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا الآية وأنزل الله عز وجل فى أوس بن قيظى وجبار بن صخر ومن كان معهما

بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم مع أن شرط صحة الايمان بمحمد غير حاصل والمحدث مكلف بالصلاة مع أن الوضوء الذى هو شرط صحة الصلاة ليس بحاصل واحتج جمهور المعتزلة بالآية على أن الاستطاعة قبل الفعل لانها لو كانت مع الفعل لكان من لم يحج لم يكن مستطيعا للحج فلا يتناوله التكليف المذكور وذلك باطل بالاتفاق أجاب الاشاعرة بان هذا أيضا لازم عليكم لان القادر اما أن يكون مأمورا بالفعل قبل حصول الداعى الى الفعل وهو محال لانه تكليف بما لا يطاق أو بعد حصوله وحينئذ يكون الفعل واجب الحصول فلا يكون فى التكليف به فائدة واذا كانت الاستطاعة منتفية فى الحالين وجب أن لا يتوجه التكليف والحق أن وجوب الفعل بالقدرة والارادة لا ينافى توجه التكليف اليه * واعلم أن الحج لا يجب بأصل الشرع فى العمر الا مرة واحدة لما روى عن ابن عباس قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس ان الله كتب عليكم الحج فقام الاقرع بن حابس فقال أفى كل عام يا رسول الله فقال لو قلتها لوجبت ولو وجبت لم تعملوا بها الحج مرة فمن زاد فتطوع وقد يجب أكثر من مرة واحدة لعارض كالنذر والقضاء ولصحة الحج على الاطلاق شرط واحد وهو الاسلام فلا يصح حج الكافر كصومه وصلاته ولا يشترط فيها التكليف بل يجوز للولى أن يحرم عن المجنون وعن الصبى الذى لا يميز وحينئذ يصح حجهما لما روى عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بامرأة وهى فى محفتها فأخذت بعضد صبى كان معها فقالت ألهذا حج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ولك أجر وعن جابر قال حججنا مع النبى صلى الله عليه وسلم ومعنا النساء والصبيان فلبينا

من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا انما أدخل عليهم شاس بن قيس من أمر الجاهلية يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين الى قوله أولئك لهم عذاب عظيم وقيل انه عنى بقوله يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله جماعة يهود بنى اسرائيل الذين كانوا بين أظهر مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام نزلت هذه الآيات والنصارى وان صدهم عن سبيل الله كان باخبارهم من سألهم عن أمر نبى الله محمد صلى الله عليه وسلم هل يجدون ذكره فى كتبهم أنهم لا يجدون نعته فى كتبهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا كانوا اذا سألهم أحد هل تجدون محمدا قالوا لا فصدوا عنه الناس وبغوا محمدا عوجا هلاكا حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله يقول لم تصدون عن الاسلام وعن نبى الله من آمن بالله وأنتم شهداء فيما تقرؤن من كتاب الله أن محمدا رسول الله وأن الاسلام دين الله الذى لا يقبل غيره ولا يجزى الا به تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة والانجيل حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع نحوه حدثنا محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر قال ثنا عباد عن الحسن فى قوله قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله قال هم اليهود والنصارى نهاهم أن يصدوا المسلمين عن سبيل الله ويريدون أن يعدلوا الناس الى الضلالة فتأويل الآية على ما قاله السدى يا معشر اليهود لم تصدون عن محمد وتمنعون من اتباعه المؤمنين به بكتمانكم صفته التى تجدونها فى كتبكم ومحمد على هذا القول هو السبيل تبغونها عوجا تبغون محمدا هلاكا وأما سائر الروايات غيره والاقوال فى ذلك فانه نحو التأويل الذى بيناه قبل من أن معنى السبيل التى ذكرها فى هذا الموضع الاسلام وما جاء به محمد من الحق من عند الله ﷻ القول فى تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين) اختلف أهل التأويل فيمن عنى بذلك فقال بعضهم عنى بقوله يا أيها الذين آمنوا الاوس والخزرج وبالذين أوتوا الكتاب شاس بن قيس اليهودى على ما قد ذكرنا قبل من خبره عن زيد بن أسلم * وقال آخرون فيمن عنى بالذين آمنوا مثل قول زيد بن أسلم غير أنهم قالوا الذى جرى الكلام بينه وبين غيره من الانصار حتى هموا بالقتال ووجد اليهودى به مغمزا فيهم ثعلبة بن غنمة الانصارى ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين قال نزلت فى ثعلبة بن غنمة الانصارى كان بينه وبين أناس من الانصار كلام فمشى بينهم يهودى من قينقاع فحمل بعضهم على بعض حتى همت الطائفتان من الاوس والخزرج أن يحملوا السلاح فيقاتلوا فأنزل الله عز وجل ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين يقول ان حملتم السلاح فاقتتلتم كفرتم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا جعفر بن سليمن عن حميد الاعرج عن مجاهد فى قوله يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب قال كان جماع قبائل الانصار بطنين الاوس والخزرج وكان بينهما فى الجاهلية حرب ودماء وشنآن حتى من الله عليهم بالاسلام وبالنبى صلى الله عليه وسلم فأطفأ الله الحرب التى كانت بينهم وألف بينهم بالاسلام قال فبينا رجل من الاوس ورجل من الخزرج قاعدان يتحدثان ومعهما يهودى جالس فلم يزل يذكرهما أيامهما والعداوة التى كانت بينهم حتى استبا ثم اقتتلا قال فنادى هذا

عن الصبيان ورمينا عنهم ولصحة المباشرة شرط زائد على الاسلام وهو التمييز فلا تصح مباشرة الحج من المجنون والصبى الذى لا يميز كسائر العبادات ويصح من الصبى المميز أن يحرم ويحج باذن الولى ولا يشترط فيها الحرية كسائر العبادات ولوقوعه عن حجة الاسلام شرطان زائدان البلوغ والحرية لقوله صلى الله عليه وسلم أيما صبى حج ثم بلغ فعليه حجة الاسلام وأيما عبد حج ثم عتق فعليه حجة الاسلام والمعنى فيه أن الحج عبادة عمر لا تتكرر فاعتبر وقوعها فى حالة الكمال ولان التكليف تابع للتمييز فشرط هذا الحكم اذن يعود الى ثلاثة الاسلام والتكليف والحرية ولو تكلف الفقير الحج وقع حجه عن الفرض كما لو تحمل الغنى خطر الطريق وحج وكما لو تحمل المريض المشقة وحضر الجمعة ولوجوب حجة الاسلام شرط زائد على الثلاثة المذكورة آنفا وهو الاستطاعة بالآية والاستطاعة نوعان استطاعة مباشرته بنفسه واستطاعة تحصيله بغيره النوع الاول يتعلق به أمور أربعة أحدها الراحلة والناس قسمان أحدهما من بينه وبين مكة مسافة القصر فلا يلزمه الحج الا اذا وجد راحلة سواء كان قادرا على المشى أو لم يكن لما روى أنه صلى الله عليه وسلم فسر استطاعة السبيل الى الحج بوجود الزاد والراحلة نعم لو كان قادرا على المشى يستحب له ان لا يترك الحج وعند مالك القوى على المشى يلزمه الحج ويعتبر مع وجدان الراحلة وجدان المحمل أيضا ان كان لا يستمسك على الراحلة ويلحقه مشقة شديدة ثم العادة جارية بركوب اثنين فى المحمل فان وجد مؤنة محمل أو شق محمل ووجد شريكا يجلس فى الجانب الآخر لزمه الحج وان لم يجد الشريك فلا * القسم الثانى من ليس بينه وبين مكة مسافة القصر فان كان قويا على المشى لزمه الحج والا فلا يجب الا مع الراحلة أو معها ومع المحمل كما فى حق البعيد والمراد بوجود الراحلة أن يقدر على تحصيلها ملكا أو استئجارا بثمن المثل أو باجرة المثل

قومه وهذا قومه فخرجوا بالسلاح وصف بعضهم لبعض قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم شاهد يومئذ بالمدينة فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل يمشي بينهم الى هؤلاء والى هؤلاء ليسكنهم حتى رجعوا ووضعوا السلاح فأنزل الله عز وجل القرآن في ذلك يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب الى قوله عذاب عظيم فتأويل الآية يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاءهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم من عند الله ان تطيعوا جماعة ممن ينتحل الكتاب من أهل التوراة والانجيل فتقبلوا منهم ما يأمرونكم به يضلوكم فيردوكم بعد تصديقكم رسول ربكم وبعد اقراركم بما جاء به من عند ربكم كافرين يقول جاحدين لما قد آمنتم به وصدقتموه من الحق الذي جاءكم من عند ربكم فنهاهم جل ثناؤه أن ينتصحوهم ويقبلوا منهم رأيا أو مشورة ويعلمهم تعالى ذكره أنهم لهم منطوون على غل وغش وحسد وبغض كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين قد تقدم الله اليكم فيهم كما تسمعون وحذركم وأنبأكم بضلالتهم فلا تأمنوهم على دينكم ولا تنتصحوهم على أنفسكم فانهم الأعداء الحسدة الضلال كيف تأمنون قوما كفروا بكتابهم وقتلوا رسلهم وتحيروا في دينهم وعجزوا عن أنفسهم أولئك والله هم أهل التهمة والعداوة حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله ۞ القول في تأويل قوله عز وجل (وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم) يعني بذلك جل ثناؤه وكيف تكفرون أيها المؤمنون بعد ايمانكم بالله وبرسوله فترتدوا على أعقابكم وأنتم تتلى عليكم آيات الله يعني حجج الله عليكم التي أنزلها في كتابه على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وفيكم رسوله حجة أخرى عليكم لله مع آي كتابه يدعوكم جميع ذلك الى الحق ويبصركم الهدى والرشاد وينهاكم عن الغي والضلال يقول لهم تعالى ذكره فما وجه عذركم عند ربكم في جحودكم نبوة نبيكم وارتدادكم على أعقابكم ورجوعكم الى أمر جاهليتكم ان أنتم راجعتم ذلك وكفرتم وفيه هذه الحجج الواضحة والآيات البينة على خطأ فعلكم ذلك ان فعلتموه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله الآية علمان بينان وجدان نبي الله صلى الله عليه وسلم وكتاب الله فأما نبي الله فمضى صلى الله عليه وسلم وأما كتاب الله فأبقاه الله بين أظهركم رحمة من الله ونعمة فيه حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته وأما قوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم فانه يعني ومن يتعلق بأسباب الله ويتمسك بدينه وطاعته فقد هدى يقول فقد وفق لطريق واضح ومحجة مستقيمة غير معوجة فيستقيم به الى رضا الله والى النجاة من عذاب الله والفوز بجنته كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ومن يعتصم بالله فقد هدى قال يؤمن بالله وأصل العصم المنع فكل مانع شيأ فهو عاصمه والممتنع به معتصم به ومنه قول الفرزدق

أنا ابن العاصمين بني تميم * اذا ما أعظم الحدثان نابا

ولذلك قيل للحبل عصام وللسبب الذي يتسبب به الرجل الى حاجته عصام ومنه قول الأعشى

الى المرء قيس أطيل السرى * وآخذ من كل حي عصم

يعني بالعصم الاسباب أسباب الذمة والامان يقال منه اعتصمت بحبل من فلان واعتصمت حبلا

وكذا في المحمل * المتعلق الثاني الزاد أو عيشه وما يحتاج اليه في السفر مدة ذهابه وايابه سواء كان له أهل أو عشيرة يرجع اليهم أولا لحب الوطن من الايمان وكذا الراحلة للاياب وأجرة البذرقة كل ذلك بعد قضاء جميع الديون ورد الودائع ونفقة من يلزمه نفقتهم حينئذ الى العود وبعد مؤن النكاح ان خاف العنت وبعد مسكنه ودست ثوب يليق به وخادم يحتاج اليه لزمانته أو لمنصبه ولو كان له رأس مال يتجر فيه وينفق من ربحه ولو نقص لبطلت تجارته أو كان له مستغلات ينفق منها نفقته فالأصح عند الائمة انه يكلف بيعها لانه واجد الزاد والراحلة في الحال ولا عبرة لخوف الفقر في الاستقبال * المتعلق الثالث الطريق ويشترط فيه غلبة ظن الأمن على النفس من نحو سبع وعدو والأمن على المال من عدو أو رصدي وان رضي بشئ يسير والأمن على البضع للمرأة بخروج زوج أو محرم أو نسوة ثقات وفي البحر يعتبر غلبة السلامة وفي البر وجود علف الدابة * المتعلق الرابع البدن ويشترط فيه أن يقوى على الاستمساك على الراحلة فان ضعف عن ذلك لمرض أو غيره فهو غير مستطيع للمباشرة ولا بد للاعمى من قائد وعند أبي حنيفة لا حج عليه ويروى أنه يستنيب قال الائمة لا بد مع الشرائط من امكان المسير وهو أن يبقى من الزمان بعد الاستطاعة ما يمكنه المسير فيه الى الحج به السير المعهود فان احتاج الى ان يقطع في يوم مرحلتين أو أكثر لم يلزمه الحج ولو خرجت الرفقة قبل الوقت الذي جرت عادة أهل بلده بالخروج فيه لم يلزمه الخروج معهم ووجوب الحج في العمر كالصلاة في وقتها فيجوز التراخي لكنه ان دامت الاستطاعة وتحقق الامكان ولم يحج حتى مات عصى على الاظهر وان كان شابا وقال أحمد ومالك وأبو حنيفة في رواية انه على الفور حجة الشافعي أن فريضة الحج نزلت سنة خمس من الهجرة وأخره النبي صلى الله عليه وسلم من غير مانع فانه خرج الى مكة سنة سبع لقضاء

منه

الغمر ولم يحج وفتح مكة سنة ثمان وبعث أبا بكر أميرا على الحاج سنة تسع وحج هو سنة عشر وعاش بعدها ثمانين يوما * وأما النوع الثاني فهو استطاعة الاستنابة فانها معتبرة في الحج وان كانت العبادات بعيدة عن الاستنابة لان المعضوب عنه قد يكون

منه واعتصمت به واعتصمته وأفصح اللغتين ادخال الباء كما قال عز وجل واعتصموا بحبل الله جميعا وقد جاء اعتصمته كما قال الشاعر

اذا أنت جازيت الاخاء بمثله * وآسيتني ثم اعتصمت حباليا

فقال اعتصمت حباليا ولم يدخل الباء وذلك نظير قولهم تناولت الخطام وتناولت بالخطام وتعلقت به وتعلقته كما قال الشاعر

تعلقت هندا ناشئا ذات مئزر * وأنت وقد قارفت لم تدر ما الحلم

وقد بينت معنى الهدى والصراط وأنه معنيّ به الاسلام فيما مضى قبل بشواهده فكرهنا اعادته في هذا الموضع وقد ذكر أن الذي نزل في سبب تحاور القبيلتين الاوس والخزرج كان منه قوله وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا حسن بن عطية قال ثنا قيس بن الربيع عن الأغر بن الصباح عن خليفة بن حصين عن أبي نصر عن ابن عباس قال كانت الاوس والخزرج (١) بينهم حرب في الجاهلية كل شهر فبينما هم جلوس اذ ذكروا ما كان بينهم حتى غضبوا فقام بعضهم الى بعض بالسلاح فنزلت هذه الآية وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله الى آخر الآيتين واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء الى آخر الآية ﴿القول في تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون) يعني بذلك جل ثناؤه يا معشر من صدّق الله ورسوله اتقوا الله خافوا الله وراقبوه بطاعته واجتناب معاصيه حق تقاته حق خوفه وهو أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى ولا تموتن أيها المؤمنون بالله ورسوله الا وأنتم مسلمون لربكم مذعنون له بالطاعة مخلصون له الالوهة والعبادة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان وحدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن زبيد عن مرة عن عبد الله اتقوا الله حق تقاته قال أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا شعبة عن زبيد عن مرة الهمداني عن عبد الله مثله حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن زبيد عن مرة الهمداني عن عبد الله مثله حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس قال سمعت ليثا عن زبيد عن مرة بن شراحيل الهمداني عن عبد الله بن مسعود مثله حدثني المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا جرير عن زبيد عن عبد الله مثله حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا مسعر عن زبيد عن مرة عن عبد الله مثله حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن المسعودي عن زبيد الايامي عن مرة عن عبد الله مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن زبيد عن مرة عن عبد الله مثله حدثنا محمد بن سنان قال ثنا يحيى بن سفيان عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون اتقوا الله حق تقاته قال أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون نحوه حدثنا ابن المثنى قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا شعبة قال ثنا عمرو بن مرة عن مرة عن الربيع بن خثيم قال أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا

(١) الذي في الدر كانت الاوس والخزرج في الجاهلية بينهم شر الخ وهي واضحة فلعل ما هنا تحريف أو زيادة من الناسخ تأمل كتبه مصححه

عاجزا عن المباشرة بسبب الموت أو الكبر أو زمانة أو مرض لا يرجى زواله وعن ابن عباس أن رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان أختي نذرت ان تحج وماتت قبل ان تحج أفأحج عنها فقال لو كان على أختك دين أكنت قاضيه قال نعم قال فاقضوا حق الله تعالى فهو أحق بالقضاء وعنه أن امرأة من خثعم قالت يا رسول الله ان فريضة الله تعالى على عباده في الحج أدركت أبي شيخا كبيرا لا يستطيع ان يستمسك على الراحلة أفأحج عنه قال نعم وقد تكون الاستنابة بطريق الاستئجار لانه عمل يدخله النيابة فيجري فيه الاستئجار كتفريق الزكاة وعند أبي حنيفة وأحمد لا يجوز ولكن يرزق عليه ولو استأجر كان ثواب النفقة للآمر وسقط عنه الخطاب بالحج ويقع الحج عن الحاج والحج بالرزق أن يقول حج عني وأعطيك نفقتك وهذا أيضا جائز عند الشافعي كالاجارة ولكن لا يجوز أن يقول استأجرتك بالنفقة لانها مجهولة والاجرة لابد أن تكون معلومة فهذا جملة الكلام في الاستطاعة عند الجمهور وعن الضحاك اذا قدر أن يؤجر نفسه فهو مستطيع وقيل له في ذلك فقال ان كان لبعضهم ميراث بمكة أكان يتركه بل كان ينطلق اليه ولو حبوا فكذلك يجب عليه الحج وفي الآية أنواع من التوكيد والتغليظ منها قوله ولله على الناس حج البيت أي حق واجب له عليهم لكونه الها فيجب عليهم الانقياد سواء عرفوا وجه الحكمة فيها أم لم يعرفوا فان كثيرا من أعمال الحج تعبد محض ومنها بناء الكلام على الابدال ليكون تثنية للمراد وتفصيلا بعد الاجمال وايرادا للغرض في صورتين تقريرا له في الاذهان ومنها ذكر

يكفر ويذكر فلا ينسى حدثنا المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت مرة الهمدانى يحدث عن الربيع بن خيثم فى قول الله عز وجل اتقوا الله حق تقاته فذكر نحوه حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن قيس بن سعد عن طاوس يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته أن يطاع فلا يعصى حدثنا محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى قال ثنا عباد عن الحسن فى قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته قال حق تقاته أن يطاع فلا يعصى حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ثم تقدم اليهم يعنى الى المؤمنين من الانصار فقال يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون أما حق تقاته يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر حدثنى المثنى قال ثنا حجاج بن المنهال قال ثنا همام عن قتادة يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته أن يطاع فلا يعصى قال ولا تموتن الا وأنتم مسلمون * وقال آخرون بل تأويل ذلك كما حدثنى به المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله اتقوا الله حق تقاته قال حق تقاته أن يجاهدوا فى الله حق جهاده ولا يأخذهم فى الله لومة لائم ويقوموا لله بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم ثم اختلف أهل التأويل فى هذه الآية هل هى منسوخة أم لا فقال بعضهم هى محكمة غير منسوخة ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على عن ابن عباس قوله اتقوا الله حق تقاته انها لم تنسخ ولكن حق تقاته أن يجاهدوا فى الله حق جهاده ثم ذكر تأويله الذى ذكرناه عنه آنفا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن قيس بن سعد عن طاوس يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته فان لم تفعلوا ولم تستطيعوا فلا تموتن الا وأنتم مسلمون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال طاوس قوله ولا تموتن الا وأنتم مسلمون يقول ان لم تتقوه فلا تموتن الا وأنتم مسلمون * وقال آخرون هى منسوخة نسخها قوله فاتقوا الله ما استطعتم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون ثم أنزل التخفيف واليسر وعاد بعائدته ورحمته على ما يعلم من ضعف خلقه فقال اتقوا الله ما استطعتم فجاءت هذه الآية فيها تخفيف وعافية ويسر حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال الانماطى قال ثنا همام عن قتادة يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون قال نسختها هذه الآية التى فى التغابن فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وعليها بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فيما استطاعوا حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس قال لما نزلت اتقوا الله حق تقاته ثم نزل بعدها فاتقوا الله ما استطعتم فنسخت هذه الآية التى فى آل عمران حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون فلم يطق الناس هذا فنسخه الله عنهم فقال فاتقوا الله ما استطعتم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته قال جاء أمر شديد قالوا ومن يعرف قدر هذا أو يبلغه فلما عرف أنه قد اشتد ذلك عليهم نسخها عنهم وجاء بهذه الاخرى فقال فاتقوا الله ما استطعتم فنسخها وأما قوله ولا تموتن الا وأنتم مسلمون فان تأويله كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن قيس بن سعد عن طاوس ولا تموتن الا وأنتم

مسلمون

من كفر مكان من لم يحج وفيه من التغليظ ما فيه ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا أو نصرانيا ونظيره قوله صلى الله عليه وسلم من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر ومنها اظهار الغنى وتهويل الخطب بذكر اسم الله دون ان يقول فانه أوفانى فانه يدل على غاية السخط والخذلان ومنها وضع المظهر مقام المضمر حيث قال عن العالمين ولم يقل عنه لانه تعالى اذا كان غنيا عن كل العالمين فلأن يكون غنيا عن طاعة ذلك الواحد أولى ومن العلماء من زعم أن هذا الوعيد عام فى حق كل من كفر ولا تعلق له بما قبله ومنهم من حمله على اعتقاد عدم وجوب الحج ويؤكده ما روى عن سعيد بن المسيب انها نزلت فى اليهود قالوا ان الحج الى مكة غير واجب وعن الضحاك لما نزلت آية الحج جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الاديان الستة المسلمين واليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين فخطبهم وقال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا فآمن به المسلمون وكفرت به الملل الخمس وقالوا لا نؤمن به ولا نصلى اليه ولا نحجه فنزلت ومن كفر ومن الاحاديث الواردة فى تأكيد أمر الحج قوله صلى الله عليه وسلم حجوا قبل أن لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع فى الثالثة وروى حجوا قبل أن لا تحجوا حجوا قبل أن يمنع البر جانبه أى يتعذر عليكم الذهاب الى مكة من جانب البر لعدم الأمن أو غيره وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت قبل ان تنبت فى البادية شجرة لا تأكل منها دابة الا نفقت أى هلكت وعن عمر لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نوظروا أى عجل عقوبتهم ويستأصلون ثم انه سبحانه لام أهل الكتاب فى الخطاب فقال (قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) التى دلتكم على صدق محمد صلى الله عليه وسلم بعد ظهور البينات ودحوض الشبهات أو بعد معرفة فضيلة الكعبة و وجوب الحج

مسلمون

(والله شهيد على ما تعملون) فيجازيكم عليه وهذه الحال توجب أن لا تجسروا على الكفر بآياته ودلالتها على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم انه تعالى لما أنكر عليهم في ضلالهم وبخهم على اضلالهم فقال (لم تصدون عن سبيل الله من آمن) قال المفسرون وكان صدهم عن سبيل الله القاء الشكوك والشبهات في قلوب ضعفة المسلمين وانكار ان نعت محمد صلى الله عليه وسلم في كتابهم ومنع من أراد الدخول في الاسلام بجهدهم وكدهم أو بتذكير ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا لمثله ومحل تبغونها عوجا أي اعوجاجا نصب على الحال أو بدل وهو بكسر العين الميل عن الاستواء في كل ما لا يرى كالدين والقول وأما الشيء الذي يرى فيقال فيه عوج بالفتح كالحائط والقناة ولهذا قال الزجاج العوج بالكسر في المعاني وبالفتح في الاعيان وتبغون بمعنى تطلبون ويقتصر على مفعول واحد اذا لم يكن معها اللام مثل بغيت المال والاجر فان أريد تعديته الى مفعولين زيدت اللام فالتقدير تبغون لها عوجا كما تقول صدتك ظبيا أي صدت لك ظبيا والضمير عائد الى السبيل فانها تذكر وتؤنث والمعنى انكم تلبسون على الناس حتى توهموهم ان فيها زيغا كقولكم ان النسخ يدل على البداء وان شريعة موسى باقية الى الابد وان محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بذلك المنعوت في كتابنا أو المراد انكم تتعبون أنفسكم في اخفاء الحق وابتغاء ما لا يتأتى لكم من وجود العوج فيما هو أقوم من كل مستقيم ويحتمل أن يكون عوجا حالا بمعنى ذا عوج وذلك أنهم كانوا يدعون أنهم على دين الله وسبيله فقيل لهم انكم تبغون سبيل الله ضالين (وأنتم شهداء) أنها سبيل الله التي لا يصد عنها الا ضال مضل قاله ابن عباس أو وأنتم تشهدون ظهور المعجزات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أو وأنتم شهداء بين أهل دينكم عدول يثقون بأقوالكم ويستشهدونكم في عظائم الامور يعني الاحبار

مسلمون قال على الاسلام وعلى حرمة الاسلام ﴿ القول في تأويل قوله (واعتصموا بحبل الله جميعا) يعني بذلك جل ثناؤه وتعلقوا بأسباب الله جميعا يريد بذلك تعالى ذكره وتمسكوا بدين الله الذي أمركم به وعهده الذي عهده اليكم في كتابه اليكم من الالفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم لامر الله وقد دللنا فيما مضى قبل على معنى الاعتصام وأما الحبل فانه السبب الذي يوصل به الى البغية والحاجة ولذلك سمي الامان حبلا لانه سبب يوصل به الى زوال الخوف والنجاة من الجزع والذعر ومنه قول أعشى بني ثعلبة

واذا تجوزها حبال قبيلة * أخذت من الاخرى اليك حبالها

ومنه قول الله عز وجل الا بحبل من الله وحبل من الناس وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوام عن الشعبي عن عبد الله بن مسعود أنه قال في قوله واعتصموا بحبل الله جميعا قال الجماعة حدثنا المثنى قال ثنا عمرو ابن عون قال ثنا هشيم عن العوام عن الشعبي عن عبد الله في قوله واعتصموا بحبل الله جميعا قال حبل الله الجماعة * وقال آخرون عنى بذلك القرآن والعهد الذي عهد فيه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واعتصموا بحبل الله جميعا حبل الله المتين الذي أمر أن يعتصم به هذا القرآن حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله واعتصموا بحبل الله جميعا قال بعهد الله وأمره حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن شقيق عن عبد الله قال ان الصراط محتضر تحضره الشياطين ينادون يا عبد الله هلم هذا الطريق ليصدوا عن سبيل الله فاعتصموا بحبل الله فان حبل الله هو كتاب الله حدثنا محمد قال ثنا أحمد بن المفضل عن أسباط عن السدي واعتصموا بحبل الله جميعا أما حبل الله فكتاب الله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بحبل الله بعهد الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء بحبل الله قال العهد حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن الاعمش عن أبي وائل عن عبد الله واعتصموا بحبل الله قال حبل الله القرآن حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك في قوله واعتصموا بحبل الله جميعا قال القرآن حدثنا سعيد بن يحيى قال ثنا أسباط بن محمد عن عبد الملك ابن أبي سليمن العرزمي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء الى الارض * وقال آخرون بل ذلك هو اخلاص التوحيد لله ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع عن أبي العالية في قوله واعتصموا بحبل الله جميعا يقول اعتصموا بالاخلاص لله وحده حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واعتصموا بحبل الله جميعا قال الحبل الاسلام وقرأ ولا تفرقوا ﴿ القول في تأويل قوله عز وجل (ولا تفرقوا) يعني جل ثناؤه بقوله ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن دين الله وعهده الذي عهد اليكم في كتابه من الائتلاف والاجتماع على طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والانتهاء الى أمره كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم ان الله عز وجل قد كره لكم الفرقة وقدم اليكم فيها وحذركموها ونهاكم عنها ورضي لكم السمع والطاعة والالفة والجماعة فارضوا لانفسكم ما رضي الله لكم ان استطعتم ولا قوة الا بالله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع عن أبي

العالية ولا تفرقوا الا تعادوا عليه يقول على الاخلاص لله وكونوا عليه اخوانا حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح أن الاوزاعى حدثه أن يزيد الرقاشى حدثه أنه سمع أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بنى اسرائيل افترقت على احدى وسبعين فرقة وان أمتى ستفترق على اثنين وسبعين فرقة كلهم فى النار الا واحدة قال فقيل يارسول الله وما هذه الواحدة قال فقبض يده وقال الجماعة واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا حدثنى عبد الكريم ابن أبى عمير قال ثنا الوليد بن مسلم قال سمعت الاوزاعى يحدث عن يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه حدثنا أبو كريب قال ثنا المحاربى عن ابن أبى خالد عن الشعبى (١) عن ثابت بن قطنة المرى عن عبد الله انه قال يا أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة فانهما حبل الله الذى أمر به وان ما تكرهون فى الجماعة والطاعة هو خير مما تستحبون فى الفرقة حدثنا عبد الحميد بن بيان اليشكرى قال أخبرنا محمد بن يزيد عن اسمعيل بن أبى خالد عن الشعبى عن ثابت بن قطنة قال سمعت ابن مسعود وهو يخطب وهو يقول يا أيها الناس ثم ذكر نحوه حدثنا اسمعيل بن حفص الآملى قال ثنا عبد الله بن نمير أبو هشام قال ثنا مجالد بن سعيد عن عامر عن ثابت بن قطنة المرى قال قال عبد الله عليكم بالطاعة والجماعة فانها حبل الله الذى أمر به ثم ذكر نحوه ۞ القول فى تأويل قوله (واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا) يعنى بقوله جل ثناؤه واذكروا نعمة الله عليكم واذكروا ما أنعم الله به عليكم من الالفة والاجتماع على الاسلام واختلف أهل العربية فى قوله اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فقال بعض نحويى البصرة فى ذلك انقطع الكلام عند قوله واذكروا نعمة الله عليكم ثم فسر بقوله فألف بين قلوبكم وأخبر بالذى كانوا فيه قبل التأليف كما تقول امسك الحائط أن يميل وقال بعض نحويى الكوفة قوله اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم تابع قوله واذكروا نعمة الله عليكم غير منقطعة منها والصواب من القول فى ذلك عندى أن قوله اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم متصل بقوله واذكروا نعمة الله عليكم غير منقطع عنه وتأويل ذلك واذكروا أيها المؤمنون نعمة الله عليكم التى أنعم بها عليكم حين كنتم أعداء أى بشرككم يقتل بعضكم بعضا عصبية فى غير طاعة الله ولا طاعة رسوله فألف الله بالاسلام بين قلوبكم فجعل بعضكم لبعض اخوانا بعد اذ كنتم أعداء تتواصلون بألفة الاسلام واجتماع كلمتكم عليه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة قوله واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم كنتم تذابحون فيها يأكل شديدكم ضعيفكم حتى جاء الله بالاسلام فآخى به بينكم وألف به بينكم أما والله الذى لا اله الا هو ان الالفة لرحمة وان الفرقة لعذاب حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء يقتل بعضكم بعضا ويأكل شديدكم ضعيفكم حتى جاء الله بالاسلام فألف به بينكم وجمع جمعكم عليه وجعلكم عليه اخوانا فالنعمة التى أنعم الله على الانصار التى أمرهم تعالى ذكره فى هذه الآية أن يذكروها هى ألفة الاسلام واجتماع كلمتهم عليها والعداوة التى كانت بينهم التى قال الله عز وجل اذ كنتم أعداء فانها عداوة الحروب التى كانت بين الحيين من الاوس والخزرج فى الجاهلية قبل الاسلام يزعم العلماء بأيام العرب أنها تطاولت بينهم عشرين ومائة سنة كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق كانت الحرب بين الاوس والخزرج عشرين ومائة سنة حتى قام الاسلام وهم على ذلك فكانت حربهم بينهم وهم أخوان لاب وأم فلم يسمع بقوم كان

(١) قوله عن ثابت بن قطنة الخ كذا فى النسخ بزيادة لفظ ابن ولكن الذى فى الخلاصة والقاموس أن المحدث هو ثابت قطنة وقطنة لقبه كتبه مصححه

وفيه أن من كان كذلك لا يليق بحاله الاصرار على الباطل والكذب والضلال والاضلال ثم أوعدهم بقوله (وما الله بغافل عما تعملون) كقول السيد لعبده وقد أنكر طريقته لا يخفى على سيرتك ولست بغافل عنك وانما ختم الآية الاولى بقوله والله شهيد وهذه بقوله وما الله بغافل لان ذلك فيما أظهروه من الكفر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهذا فيما أضمروه وهو الصد بالاحتيال والقاء الشبهة وفى تكرير الخطاب فى الآيتين بقوله يا أهل الكتاب توبيخ لهم على توبيخ بألطف الوجوه وألين المقال لعلهم يتفكرون فينصرفون عن سلوك سبيل الضلال والاضلال عن عكرمة ويروى عن زيد بن أسلم وجابر أيضا أن شاس بن قيس اليهودى وكان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين مر على نفر من الانصار من الاوس والخزرج فى مجلس لهم يتحدثون فغاظه ذلك حيث تألفوا واجتمعوا بعد الذى كان بينهم فى الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فأمر شابا من اليهود أن يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وهو يوم اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج ففعل وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الاشعار فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين أوس ابن قيظى أحد بنى حارثة من الاوس وجبار بن صخر أحد بنى سلمة من الخزرج فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه ان شئت والله رددتها الآن جذعة وغضب الفريقان جميعا وقالا قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهرة وهى الحرة فخرجوا اليها وانضمت الاوس والخزرج بعضها الى بعض على دعواهم التى كانوا عليها فى الجاهلية واصطفوا للقتال فنزلت يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين الآيات فجاء النبى صلى الله عليه وسلم حتى قام بين الصفين فقرأها ورفع صوته فلما

بينهم من العداوة والحرب ما كان بينهم ثم ان الله عز وجل أطفأ ذلك بالاسلام وألف بينهم برسوله محمد صلى الله عليه وسلم فذكرهم جل ثناؤه اذ وعظهم عظيم ما كانوا فيه فى جاهليتهم من البلاء والشقاء بمعاداة بعضهم بعضا وقتل بعضهم بعضا وخوف بعضهم من بعض وما صاروا اليه بالاسلام واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم والايمان به وبما جاء به من الائتلاف والاجتماع وأمن بعضهم من بعض ومصير بعضهم لبعض اخوانا وكان سبب ذلك ما حدثنا به ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق قال ثنا عاصم بن عمر بن قتادة المدنى عن أشياخ من قومه قالوا قدم سويد بن صامت أخو بنى عمرو بن عوف مكة حاجا أو معتمرا قال وكان سويد انما يسميه قومه فيهم الكامل لجلده وشعره ونسبه وشرفه قال فتصدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به فدعاه الى الله عز وجل والى الاسلام قال فقال له سويد فلعل الذى معك مثل الذى معى قال فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما الذى معك قال مجلة لقمان يعنى حكمة لقمان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرضها على فعرضها عليه فقال ان هذا الكلام حسن معى أفضل من هذا قرآن أنزله الله على هدى ونور قال فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ودعاه الى الاسلام فلم يبعد منه وقال ان هذا القول حسن ثم انصرف عنه وقدم المدينة فلم يلبث أن قتلته الخزرج فان كان قومه ليقولون قد قتل وهو مسلم وكان قتله قبل يوم بعاث حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثنى الحسين ابن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ أحد بنى عبد الاشهل أن محمود بن أسد أحد بنى عبد الاشهل قال لما قدم أبو الجيش أنس بن رافع مكة ومعه فتية من بنى عبد الاشهل فيهم اياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قوم من الخزرج سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم فجلس اليهم فقال هل لكم الى خير مما جئتم له قالوا وماذاك قال أنا رسول الله بعثنى الى العباد أدعوهم الى الله أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيأ وأنزل على الكتاب ثم ذكر لهم الاسلام وتلا عليهم القرآن فقال اياس ابن معاذ وكان غلاما حدثا أى قوم هذا والله خير مما جئتم له قال فأخذ أبو الجيش أنس بن رافع حفنة من البطحاء فضرب بها وجه اياس بن معاذ وقال دعنا منك فلعمرى لقد جئنا لغير هذا قال فصمت اياس بن معاذ وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وانصرفوا الى المدينة وكانت وقعة بعاث بين الاوس والخزرج قال ثم لم يلبث اياس بن معاذ أن هلك قال فلما أراد الله اظهار دينه واعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم وانجاز موعده له خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الموسم الذى لقى فيه النفر من الانصار يعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع فى كل موسم فبينا هو عند العقبة اذ لقى رهطا من الخزرج أراد الله لهم خيرا قال ابن حميد قال سلمة قال محمد بن اسحق فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه قالوا لما لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم من أنتم قالوا نفر من الخزرج قال أمن موالى يهود قالوا نعم قال أفلا تجلسون حتى أكلمكم قالوا بلى قال فجلسوا معه فدعاهم الى الله وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن قال وكان مما صنع الله لهم به فى الاسلام أن يهود كانوا معهم ببلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم وكانوا أهل شرك أصحاب أوثان وكانوا قد غزوهم ببلادهم فكانوا اذا كان بينهم شئ قالوا لهم ان نبيا الآن مبعوث قد أظل زمانه نتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وإرم فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم الى الله عز وجل قال بعضهم لبعض ياقوم تعلمون والله إنه للنبى الذى يوعدكم به يهود ولا يسبقنكم اليه فاجابوه فيما دعاهم اليه بان صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام قالوا انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من

سمعوا صوته صلى الله عليه وسلم أنصتوا له صلى الله عليه وسلم وجعلوا يستمعون فلما فرغ ألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضا وجثوا يبكون وفى رواية زيد بن أسلم خرج اليهم رسول الله فيمن معه من المهاجرين فقال يامعشر المسلمين أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد اذ أكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم ترجعون الى ما كنتم عليه كفارا الله الله فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين فانزل الله عز وجل الآيات قال جابر بن عبد الله ما كان من طالع أكره الينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأومى الينا بيده وكففنا وأصلح الله ما بيننا فما كان شخص أحب الينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رأيت يوما أقبح ولا أوحش أولا وأحسن آخرا من ذلك اليوم (وكيف تكفرون) استفهام بطريق الانكار والتعجب والمعنى من أين يتطرق اليكم الكفر والحال أن آيات الله تتلى عليكم على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم فى كل واقعة وبين أظهركم رسول الله يبين لكم كل شبهة ويزيح عنكم كل علة ومع هذين النورين لا يبقى لظلمة الضلال عين ولا أثر فعليكم أن لا تلتفتوا الى قول المخالف وترجعوا فيما يعن لكم الى الكتاب والنبى صلى الله عليه وسلم قلت أما الكتاب فانه باق على وجه الدهر وأما النبى صلى الله عليه وسلم فان كان قد مضى الى رحمة الله فى الظاهر ولكن نور سيره باق بين المؤمنين فكأنه باق على أن عترته صلى الله عليه وسلم وورثته يقومون مقامه بحسب الظاهر أيضا ولهذا قال صلى الله عليه وسلم انى تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتى وقال ان العلماء ورثة الانبياء اللهم اجعلنا من زمرتهم بعصمتك وهدايتك وفى هذا بشارة لهذه الامة انهم لا يضلون

العداوة والشر ما بينهم وعسى الله أن يجمعهم بك وسنقدم عليهم فندعوهم الى أمرك ونعرض عليهم الذي أجبناك اليه من هذا الدين فان يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى بلادهم قد آمنوا وصدقوا وهم فيما ذكر لي ستة نفر قال فلما قدموا المدينة على قومهم ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم الى الاسلام حتى فشا فيهم فلم يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان العام المقبل وافى الموسم من الانصار اثنا عشر رجلا فلقوه بالعقبة وهي العقبة الأولى فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء وذلك قبل أن يفترض عليهم الحرب حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب عن عكرمة أنه لقي النبي صلى الله عليه وسلم ستة نفر من الانصار فآمنوا به وصدقوه فاراد أن يذهب معهم فقالوا يا رسول الله ان بين قومنا حربا وانا نخاف ان جئت على حالك هذه أن لا يتهيأ الذي تريد فوعدوه العام المقبل وقالوا يا رسول الله نذهب فلعل الله أن يصلح تلك الحرب قال فذهبوا ففعلوا فأصلح الله عز وجل تلك الحرب وكانوا يرون أنها لا تصلح وهو يوم بعاث فلقوه من العام المقبل سبعين رجلا قد آمنوا فأخذ عليهم النقباء اثني عشر نقيبا فذلك حين يقول واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أما اذ كنتم أعداء (١) ففي حرب فألف بين قلوبكم بالاسلام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن أيوب عن عكرمة بنحوه وزاد فيه فلما كان من أمر عائشة ما كان فتثاوروا الحيان فقال بعضهم لبعض موعدكم الحرة فخرجوا اليها فنزلت هذه الآية واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا الآية فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل يتلوها عليهم حتى اعتنق بعضهم بعضا وحتى ان لهم لحنينا يعني البكاء وسمير الذي زعم السدي أن قوله اذ كنتم أعداء عنى به حربه هو سمير بن زيد بن مالك أحد بني عمرو بن عوف الذي ذكره مالك بن العجلان في قوله

ان سميرا أرى عشيرته * قد حدبوا دونه وقد أنفوا
ان يكن الظن صادقي ببني النجار لم يطعموا الذي علقوا

وقد ذكر علماء الانصار أن مبدأ العداوة التي هيجت الحروب التي كانت بين قبيلتيها الاوس والخزرج وأولها كان بسبب قتل مولى لمالك بن العجلان الخزرجي يقال له الحر بن سمير من مزينة وكان حليفا لمالك بن العجلان ثم اتصلت تلك العداوة بينهم الى أن أطفأها الله بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فذلك معنى قول السدي حرب ابن سمير وأما قوله فأصبحتم بنعمته اخوانا فانه يعني فأصبحتم بتأليف الله عز وجل بينكم بالاسلام وكلمة الحق والتعاون على نصرة أهل الايمان والتآزر على من خالفكم من أهل الكفر اخوانا متصادقين لا ضغائن بينكم ولا تحاسد كما حدثني بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فأصبحتم بنعمته اخوانا وذكر لنا أن رجلا قال لابن مسعود كيف أصبحتم قال أصبحنا بنعمة الله اخوانا ﴿ القول في تأويل قوله (وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) ﴾ يعني بقوله جل ثناؤه وكنتم على شفا حفرة من النار وكنتم يا معشر المؤمنين من الاوس والخزرج على حرف حفرة من النار وانما ذلك مثل لكفرهم الذي

(١) لعله ففي حرب ابن سمير كما يفيده كلامه بعده تأمل

أبدا الى يوم القيامة ثم بين أن الكل بعصمة الله وتوفيقه فقال (ومن يعتصم بالله) يتمسك بدينه أو يلتجئ اليه في دفع شرور الكفار (فقد هدى الى صراط مستقيم) والاعتصام الاستمساك بالشئ في منع نفسه من الوقوع في آفة أما المعتزلة فحيث لم يجعلوا الاعتصام بخلق الله وهدايته بل قالوا انه بفعل العبد تأولوا الآية بان المراد بالهداية الزيادة في الألطاف المرتبة على أداء الطاعات أو المراد الهداية الى الجنة قال في الكشاف فقد هدى أي فقد حصل له الهداية لامحالة كما تقول اذا جئت فلانا فقد أفلحت كأن الهدى قد حصل له فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع في قد ظاهر لان المعتصم بالله متوقع للهدى كما أن قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده ﴿ التأويل ﴾ لن تنالوا البر وهو صفة الله حتى تنفقوا أحب الاشياء اليكم وهو أنفسكم ان الفراش لم ينل من بر الشمع وهو شعلته حتى أنفق مما أحبه وهو نفسه كل الطعام كان حلا الخلق ثلاثة أصناف الملك النوراني العلوي وغذاؤه الذكر وخلق للعبادة والحيوان الظلماني السفلي وغذاؤه الطعام وخلق للخدمة والانسان المركب من القبيلين وغذاؤه لروحانيته الذكر ولجسمانيته الطعام وخلق للمعرفة والخلافة وهذا الصنف على ثلاثة أقسام منهم ظالم لنفسه وهو الذي بالغ في غذاء جسمانيته وقصر في غذاء روحانيته حتى مات روحه واستولت نفسه أولئك كالانعام بل هم أضل ومنهم مقتصد وهو الذي تساوى طرفاه خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ومنهم سابق بالخيرات وهو الذي بالغ في غذاء روحانيته وهو الذكر وفرط في غذاء جسمانيته حتى ماتت نفسه وقوي روحه أولئك هم خير البرية فكان كل الطعام حلا للانسان كالحيوان الا ما حرم الانسان السابق بالخيرات على نفسه بموت النفس وحياة القلب واستيلاء الروح من قبل أن ينزل الوحي والالهام كما قيل المجاهدات تورث المشاهدات والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فمن افترى على

كانوا

الله الكذب بأن يريد أن يهتدى الى الحق من غير جهاد النفس قل صدق الله فى قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا فاتبعوا ملة ابراهيم وكان من ملته انفاق المال على الضيفان و بذل الروح عند الامتحان وتسليم الولد للقربان وما كان من المشركين الذين يتخذون مع الله الها آخر ان أول بيت وضع للناس لله لانه غنى عن العالمين وان أنموذج بيت الله فى الانسان وهو العالم الصغير القلب الذى وضع بمكة صدر الانسان مباركا عليه وهدى يهتدى به جميع أجزاء وجوده الى الله بجوده فان النور الالهى اذا وقع فى القلب انفسح له واتسع فبه يسمع وبه يبصر وبه يعقل وبه ينطق وبه يبطش وبه يمشى وبه يتحرك وبه يسكن فيه آيات بينات يصل بها الطالب الى مطلوبه والقاصد الى مقصوده منها مقام ابراهيم وهو الخلة التى توصل الخليل الى خليله ومن دخله يعنى مقام ابراهيم ببذل المال والنفس والولد وارضاء خليله كان آمنا من نار القطيعة ومن عذاب الحجاب ثم أخبر عن وجوب زيارة بيت الخليل على الخليل ان استطاع اليه السبيل وذلك بان وجد شرائط السلوك وامكانه وآداب السير وأركانه ومنها الاحرام بالخروج عن الرسوم والعادات والتجرد عن الطيبات والمألوفات والتطهر عن الاخلاق المذمومات والتوجه الى حضرة فاطر الارض والسموات بخلوص النيات وصفاء الطويات ومنها الوقوف بعرفات المعرفة والعكوف على عتبة جبل الرحمة بصدق الالتجاء وحسن العهد والوفاء ومنها الطواف بالخروج عن الاطوار البشرية السبعة بالاطواف السبعة حول الكعبة الربوبية ومنها السعى بين صفا الصفات ومروة الذات ومنها الحلق بمحو آثار العبودية بموسى الانوار الالهية وقس سائر المناسك على هذا ومن كفر بوجدان الحق ولا

كانوا عليه قبل أن يهديهم الله للاسلام يقول تعالى ذكره وكنتم على طرف جهنم بكفركم الذى كنتم عليه قبل أن ينعم الله عليكم بالاسلام فتصيروا بائتلافكم عليه اخوانا ليس بينكم وبين الوقوع فيها الا أن تموتوا على ذلك من كفركم فتكونوا من الخالدين فيها فأنقذكم الله منها بالايمان الذى هداكم له وشفا الحفرة طرفها وحرفها مثل شفا الركية والبئر ومنه قول الراجز

نحن حفرنا للحجيج سجله * نابتة فوق شفاها بقله

يعنى فوق حرفها يقال هذا شفا هذه الركية مقصور وهما شفواها وقال فأنقذكم منها يعنى فأنقذكم من الحفرة فرد الخبر الى الحفرة وقد ابتدأ الخبر عن الشفا لان الشفا من الحفرة فجاز ذلك اذ كان الخبر عن الشفا على السبيل التى ذكرها فى هذه الآية خبرا عن الحفرة كما قال جرير بن عطية

رأت مر السنين أخذن منى * كما أخذ السرار من الهلال

فذكر مر السنين ثم رجع الى الخبر عن السنين وكما قال العجاج

طول الليالى أسرعت فى نقضى * طوين طولى وطوين عرضى

وقد بينت العلة التى من أجلها قيل ذلك كذلك فيما مضى قبل وبنحو الذى قلنا فى ذلك من التأويل قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته كان هذا الحى من العرب (١) أذل الناس ذلا وأشقاه عيشا وأبينه ضلالة وأعراه جلودا وأجوعه بطونا معكومين على رأس حجر بين الاسدين فارس والروم لا والله ما فى بلادهم يومئذ من شئ يحسدون عليه من عاش منهم عاش شقيا ومن مات ردّى فى النار يؤكلون ولا يأكلون والله ما نعلم قبيلا يومئذ من حاضر الارض كانوا فيها أصغر حظا وأدق فيها شأنا منهم حتى جاء الله عز وجل بالاسلام فورّثكم به الكتاب وأحل لكم به دار الجهاد ووضع لكم به من الرزق وجعلكم به ملوكا على رقاب الناس وبالاسلام أعطى الله ما رأيتم فاشكروا نعمه فان ربكم منعم يحب الشاكرين وان أهل الشكر فى مزيد الله فتعالى ربنا وتبارك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس قوله وكنتم على شفا حفرة من النار يقول كنتم على الكفر بالله فأنقذكم منها من ذلك وهداكم الى الاسلام حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها بمحمد صلى الله عليه وسلم يقول كنتم على طرف النار من مات منكم أوبق فى النار فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فاستنقذكم به من تلك الحفرة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا حسن بن يحيى وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها قال عصبية ۞ القول فى تأويل قوله (كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) يعنى جل ثناؤه بقوله كذلك كما بين لكم ربكم فى هذه الآيات أيها المؤمنون من الاوس والخزرج من غل اليهود الذى يضمرونه لكم وغشهم لكم وأمره اياكم بما أمركم به فيها ونهيه لكم عما نهاكم عنه والحال التى كنتم عليها فى جاهليتكم والتى صرتم اليها فى اسلامكم معرّفكم فى كل ذلك مواقع نعمه قبلكم وصنائعه لديكم فكذلك يبين سائر حججه لكم فى تنزيله وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم لعلكم تهتدون يعنى لتهتدوا الى سبيل الرشاد

(١) قوله أذل الناس ذلا لعله ولاء أى أذل الناس حلفا وقوله بعد وأحل لكم به دار الجهاد ووضع لكم به من الرزق كذا فى النسخ ويظهر أن به زيادة وتحريفا فراجعه كتبه مصححه

يتعرض لنفحات الالطاف ولا يترقب لجذبات الاعطاف التي توازي عمل الثقلين وهي الاستطاعة في الحقيقة فان الله غني عن العالمين
لا يستكمل هو منهم وانما يستكملون هم منه قل يا أهل الكتاب ظاهر الخطاب معهم وباطنه مع علماء السوء الذين يبيعون

وتسلكوها فلا تضلوا عنها ۞ القول في تأويل قوله (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) يعني بذلك جل ثناؤه ولتكن منكم أيها المؤمنون أمة يقول جماعة يدعون الناس الى الخير يعني الى الاسلام وشرائعه التي شرعها الله لعباده ويأمرون بالمعروف يقول يأمرون الناس باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ودينه الذي جاء به من عند الله وينهون عن المنكر يعني وينهون عن الكفر بالله والتكذيب بمحمد وبما جاء به من عند الله بجهادهم بالايدي والجوارح حتى ينقادوا لكم بالطاعة وقوله وأولئك هم المفلحون يعني المنجحون عند الله الباقون في جناته ونعيمه وقد دللنا على معنى الافلاح في غير هذا الموضع بما أغنى عن اعادته ههنا حدثنا أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا عيسى بن عمر القارئ عن أبي عون الثقفي أنه سمع صبيحا قال سمعت عثمان يقرأ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون الله على ما أصابهم حدثني أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار قال سمعت ابن الزبير يقرأ فذكر مثل قراءة عثمان التي ذكرناها قبل سواء حدثنا يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر قال هم خاصة أصحاب رسول الله وهم خاصة الرواة ۞ القول في تأويل قوله (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) يعني بذلك جل ثناؤه ولا تكونوا يا معشر الذين آمنوا كالذين تفرقوا من أهل الكتاب واختلفوا في دين الله وأمره ونهيه من بعد ما جاءهم البينات من حجج الله فيما اختلفوا فيه وعلموا الحق فيه فتعمدوا خلافه وخالفوا أمر الله ونقضوا عهده وميثاقه جراءة على الله وأولئك لهم يعني ولهؤلاء الذين تفرقوا واختلفوا من أهل الكتاب من بعد ما جاءهم عذاب من عند الله عظيم يقول جل ثناؤه فلا تفرقوا يا معشر المؤمنين في دينكم تفرق هؤلاء في دينهم ولا تفعلوا فعلهم وتستنوا في دينكم بسنتهم فيكون لكم من عذاب الله العظيم مثل الذي لهم كما حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات قال هم أهل الكتاب نهى الله أهل الاسلام أن يتفرقوا ويختلفوا كما تفرق واختلف أهل الكتاب قال الله عز وجل وأولئك لهم عذاب عظيم حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا ونحو هذا في القرآن أمر الله جل ثناؤه المؤمنين بالجماعة فنهاهم عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم انما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم قال هم اليهود والنصارى ۞ القول في تأويل قوله (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون) يعني بذلك جل ثناؤه وأولئك لهم عذاب عظيم في يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وأما قوله فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فان معناه فأما الذين اسودت وجوههم فيقال لهم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ولا بد لأما من جواب بالفاء فلما أسقط الجواب سقطت الفاء معه وانما جاز ترك ذكر فيقال لدلالة ما ذكر من الكلام عليه وأما معنى قوله جل

ثناؤه

دينهم بدنياهم ولا يعملون بما يعلمون فيضلون ويضلون وما العصمة عن اتباع الهوى الا منه تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون لن يضروكم الا أذى وان يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون) ۞ القرا آت حق تقاته بالامالة علي" ولا تفرقوا بتشديد الراء البزي وابن فليح ۞ الوقوف مسلمون ○ ولا تفرقوا ص لعطف المتفقتين اخوانا ج لاحتمال الواو والحال والاستئناف منها ط تهتدون ○ المنكر ط للعدول المفلحون ○ البينات ط عظيم ○ (لا) لتعلق الظرف بلهم على الاصح وقيل منصوب باضمار اذكر وتسود

وجوه ج اسودت وجوههم (لا) لان التقدير فيقال لهم أكفرتم تكفرون ○ ففي رحمة الله ط خالدون ○ بالحق ط للعالمين ○ ما في الارض ط الامور ○ وتؤمنون بالله ط خيرا لهم ط الفاسقون ○ قيل (٣٧) لا وقف عليه وعليه وقف لان المعرف لا يتصف بالجملة الأذى ط والادبار وقفة لأن ثم لترتيب الاخبار أي ثم هم لا ينصرون ولو كان عطفا لكان ثم لا ينصروا لا ينصرون ○

التفسير انه سبحانه لما حذر المؤمنين اضلال الكفار أمرهم في هذه الآيات بمجامع الطاعات ومعاقد الخيرات فأولها لزوم سيرة التقوى عن ابن عباس لما نزلت يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وهو أن يطاع فلا يعصى طرفة عين وأن يشكر فلا يكفر وأن يذكر فلا ينسى أو هو القيام بالمواجب كلها والاجتناب عن المحارم باسرها وأن لا يأخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه أو الوالدين والأقربين شق ذلك على المسلمين فنزلت فاتقوا الله ما استطعتم والجمهور على أنها غير منسوخة لان معنى حق تقاته واجب تقواه وكما يحق أن يتق وهو أن يجتنب جميع معاصيه ومثل هذا لا يجوز أن ينسخ والا كان اباحة لبعض المعاصي ولا يجوز أن يراد بقوله حق تقاته ما لا يستطاع من التكاليف كالصادر على سبيل الخطا والسهو والنسيان لقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها فعلى هذا لم يبق فرق بين الآيتين ولناصر القول الاول أن يقول ان كنه الالهية غير معلوم للخلق فلا يكون كمال قهره وقدرته وعزته معلوما فلا يحصل الخوف اللائق بذلك فلا يحصل حق الاتقاء واذا كان كذلك فيجوز أن يؤمر بالاتقاء الأغلظ والأخف ثم ينسخ الأغلظ و يبقى الأخف ونزول هذه الآية بعد قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها ممنوع (ولا تموتن الا وأنتم مسلمون) ليس نهيا عن الموت وانما هو نهي عن أن يدركهم الموت على خلاف حال الاسلام وقد مر في البقرة مثله ثم انه تعالى أمرهم بما هو كالأصل لجميع

ثناؤه أكفرتم بعد ايمانكم فان أهل التأويل اختلفوا فيمن عني به فقال بعضهم عني به أهل قبلتنا من المسلمين ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الآية لقد كفر أقوام بعد ايمانهم كما تسمعون ولقد ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول والذي نفس محمد بيده ليردن علي الحوض ممن صحبني أقوام حتى اذا رفعوا الي ورأيتهم اختلجوا دوني فلأقولن رب أصحابي أصحابي فليقالن انك لا تدري ما أحدثوا بعدك وقوله وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هؤلاء أهل طاعة الله والوفاء بعهد الله قال الله عز وجل ففي رحمة الله هم فيها خالدون حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فهذا من كفر من أهل القبلة حين اقتتلوا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن حماد بن سلمة والربيع بن صبيح عن أبي مجالد عن أبي امامة فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم قال هم الخوارج * وقال آخرون عني بذلك كل من كفر بالله بعد الايمان الذي آمن حين أخذ الله من صلب آدم ذريته وأشهدهم على أنفسهم بما بين في كتابه ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا علي بن الهيثم قال أخبرنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه قال صاروا يوم القيامة فريقين فقال لمن اسود وجهه وعيرهم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قال هو الايمان الذي كان قبل الاختلاف في زمان آدم حين أخذ منهم عهدهم وميثاقهم وأقروا كلهم بالعبودية وفطرهم على الاسلام فكانوا أمة واحدة مسلمين يقول أكفرتم بعد ايمانكم يقول بعد ذلك الذي كان في زمان آدم وقال في الآخرين الذين استقاموا على ايمانهم ذلك فأخلصوا له الدين والعمل فبيض الله وجوههم وأدخلهم في رضوانه وجنته * وقال آخرون بل الذين عنوا بقوله أكفرتم بعد ايمانكم المنافقون ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الآية قال هم المنافقون كانوا أعطوا كلمة الايمان بألسنتهم وأنكروها بقلوبهم وأعمالهم وأولى الاقوال التي ذكرناها في ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن أبي بن كعب أنه عني بذلك جميع الكفار وأن الايمان الذي يوبخون على ارتدادهم عنه هو الايمان الذي أقروا به يوم قيل لهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا وذلك أن الله جل ثناؤه جعل جميع أهل الآخرة فريقين أحدهما سوداء وجوهه والآخر بيضاء وجوهه فمعلوم اذ لم يكن هنالك الا هذان الفريقان أن جميع الكفار داخلون في فريق من سود وجهه وأن جميع المؤمنين داخلون في فريق من بيض وجهه فلا وجه اذا لقول قائل عني بقوله أكفرتم بعد ايمانكم بعض الكفار دون بعض وقد عم الله جل ثناؤه الخبر عنهم جميعهم واذا دخل جميعهم في ذلك ثم لم يكن لجميعهم حالة آمنوا فيها ثم ارتدوا كافرين بعد الا حالة واحدة كان معلوما أنها المراد بذلك فتأويل الآية اذا أولئك لهم عذاب عظيم في يوم تبيض وجوه قوم وتسود وجوه آخرين فأما الذين اسودت وجوههم فيقال أجحدتم توحيد الله وعهده وميثاقه الذي واثقتموه عليه بان لا تشركوا به شيأ وتخلصوا له العبادة بعد ايمانكم يعني بعد تصديقكم به فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون يقول بما كنتم تجحدون في الدنيا ما كان الله قد أخذ ميثاقكم بالاقرار به والتصديق وأما الذين ابيضت وجوههم ممن ثبت على عهد الله وميثاقه فلم يبدل دينه ولم ينقلب على عقبيه بعد الاقرار

بالتوحيد والشهادة لربه بالألوهة وأنه لا اله غيره ففى رحمة الله يقول فهم فى رحمة الله يعنى فى جنته ونعيمها وما أعد الله لأهلها فيها هم فيها خالدون أى باقون فيها أبدا بغير نهاية ولا غاية ۞ القول فى تأويل قوله (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين) يعنى بقوله جل ثناؤه تلك آيات الله هذه آيات الله وقد بينا كيف وضعت العرب تلك وذلك مكان هذا وهذه فى غير هذا الموضع فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته وقوله آيات الله يعنى مواعظ الله وعبره وحججه نتلوها عليك نقرؤها عليك ونقصها بالحق يعنى بالصدق واليقين وانما يعنى بقوله تلك آيات الله هذه الآيات التى ذكر فيها أمور المؤمنين من أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمور يهود بنى اسرائيل وأهل الكتاب وما هو فاعل بأهل الوفاء بعهده وبالمبدلين دينه والناقضين عهده بعد الاقرار به ثم أخبر عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أنه يتلو ذلك عليه بالحق وأعلمه أن من عاقبه من خلقه بما أخبر انه معاقبه من تسويد وجهه وتخليده فى أليم عذابه وعظيم عقابه ومن جازاه منهم بما جازاه من تبييض وجهه وتكريمه وتشريف منزلته لديه بتخليده فى دائم نعيمه فبغير ظلم منه لفريق منهم بل لحق استوجبوه وأعمال لهم سلفت جازاهم عليها فقال تعالى ذكره وما الله يريد ظلما للعالمين يعنى بذلك وليس الله يا محمد بتسويد وجوه هؤلاء واذاقتهم العذاب العظيم وتبييض وجوه هؤلاء وتنعيمه اياهم فى جنته طالبا وضع شئ مما فعل من ذلك فى غير موضعه الذى هو موضعه اعلاما بذلك عباده أنه لن يصلح فى حكمته بخلقه غير ما وعد أهل طاعته والايمان به وغير ما أوعد أهل معصيته والكفر به وانذارا منه هؤلاء وتبشيرا منه هؤلاء ۞ القول فى تأويل قوله عز وجل (ولله ما فى السموات وما فى الارض والى الله ترجع الامور) يعنى بذلك جل ثناؤه أنه يعاقب الذين كفروا بعد ايمانهم بما ذكر أنه معاقبهم به من العذاب العظيم وتسويد الوجوه ويثيب أهل الايمان به الذين ثبتوا على التصديق والوفاء بعهودهم التى عاهدوا عليها بما وصف أنه مثيبهم به من الخلود فى جنانه من غير ظلم منه لاحد الفريقين فيما فعل لأنه لا حاجة به الى الظلم وذلك أن الظالم انما يظلم غيره ليزداد الى عزه عزة بظلمه اياه والى سلطانه سلطانا والى ملكه ملكا لنقصان فى بعض أسبابه يتمم بما ظلم غيره فيه ما كان ناقصا من أسبابه عن التمام فأما من كان له جميع ما بين أقطار المشارق والمغارب وما فى الدنيا والآخرة فلا معنى لظلمه أحدا فيجوز أن يظلم شيأ لانه ليس من أسبابه شئ ناقص يحتاج الى تمام فيتم ذلك بظلم غيره تعالى الله علوا كبيرا ولذلك قال جل ثناؤه عقيب قوله وما الله يريد ظلما للعالمين ولله ما فى السموات وما فى الارض والى الله ترجع الامور واختلف أهل العربية فى وجه تكرير الله تعالى ذكره اسمه مع قوله والى الله ترجع الامور ظاهرا وقد تقدم اسمه ظاهرا مع قوله ولله ما فى السموات وما فى الارض فقال بعض أهل العربية من أهل البصرة ذلك نظير قول العرب أما زيد فذهب زيد وكما قال الشاعر

لا أرى الموت يسبق الموت شئ ✽ نغص الموت ذا الغنى والفقيرا

فأظهر فى موضع الاضمار وقال بعض نحويى الكوفة ليس ذلك نظير هذا البيت لان موضع الموت الثانى فى البيت موضع كناية لانه كلمة واحدة وليس ذلك كذلك فى الآية لان قوله ولله ما فى السموات وما فى الارض خبر ليس من قوله والى الله ترجع الأمور فى شئ وذلك أن كل واحدة من القصتين مفارق معناها معنى الاخرى مكتفية كل واحدة منهما بنفسها غير محتاجة الى الاخرى كما قال الشاعر لا أرى الموت محتاج الى تمام الخبر عنه وهذا القول الثانى عندنا أولى بالصواب لان كتاب الله عز وجل لا يؤخذ معانيه وما فيه من البيان الى الشواذ من الكلام والمعانى وله فى الفصيح من المنطق

الخيرات واصلاح المعاش والمعاد وهو الاجتماع على التمسك بدين الله واتفاق الآراء على اعلاء كلمته فقال (واعتصموا بحبل الله جميعا) حال كونكم مجموعين وقولهم اعتصمت بحبله يجوز أن يكون تمثيلا لاستظهاره به و وثوقه بعنايته باستمساك المتدلى من مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه لأن وجه الشبه وصف غير حقيقى ومنتزع من عدة أمور ويجوز أن يكون الحبل استعارة للعهد والاعتصام لوثوقه بالعهد بناء على ان فى الكلام تشبيهين ويجوز أن تفرض الاستعارة فى الحبل فقط و يكون الاعتصام ترشيحا لها والحاصل أن طريق الحق دقيق والسائر عليه غير مأمون أن تزل قدمه عن الجادة فيراد بالحبل ههنا ما يتوصل به الى الثبات على الحق وان كانت عبارات المفسرين متخالفة فعن ابن عباس هو العهد كما يجىء الا بحبل من الله وحبل من الناس وقيل انه القرآن كما روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أما انها ستكون فتنة قيل فما المخرج منها قال صلى الله عليه وسلم كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو حبل الله المتين وروى ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم هذا القرآن حبل الله وعن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله حبل متين ممدود من السماء الى الارض وعترتى أهل بيتى وقيل انه دين الله وقيل انه طاعة الله وقيل اخلاص التوبة وقيل الجماعة لقوله تعالى عقيب ذلك ولا تفرقوا لأن الحق لا يكون الا واحدا وما بعد الحق الا الضلال و يد الله مع الجماعة قال صلى الله عليه وسلم ستفترق أمتى على نيف وسبعين فرقة الناجى منهم واحد فقيل ومن هم يا رسول الله قال الجماعة وروى السواد الاعظم وروى ما أنا عليه وأصحابى قال صلى الله عليه وسلم لا تجتمع أمتى على الضلالة وقد يتمسك بالآية نفاة القياس قالوا الاحكام الشرعية ان احتيج فيها الى الدلائل والظاهر

والظاهر من المعاني المفهوم وجه صحيح موجود وأما قوله والى الله ترجع الأمور فانه يعني تعالى ذكره الى الله مصير أمر جميع خلقه الصالح منهم والطالح والمحسن والمسيء فيجازي كلا على قدر استحقاقهم منه الجزاء بغير ظلم منه أحدا منهم ﴿ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) اختلف أهل التأويل في تأويل قوله كنتم خير أمة أخرجت الناس فقال بعضهم هم الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وخاصة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال في كنتم خير أمة أخرجت للناس قال هم الذين خرجوا معه من مكة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية عن قيس عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس كنتم خير أمة أخرجت للناس قال هم الذين هاجروا من مكة الى المدينة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر قال عمر بن الخطاب لو شاء الله لقال أنتم فكنا كلنا ولكن قال كنتم في خاصة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صنع مثل صنيعهم كانوا خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال عكرمة نزلت في ابن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل حدثنا أبو كريب قال ثنا مصعب بن المقدام عن اسرائيل عن السدي عمن حدثه قال عمر كنتم خير أمة أخرجت للناس قال تكون لأولنا ولا تكون لآخرنا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا اسرائيل عن سماك بن حرب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس كنتم خير أمة أخرجت للناس قال هم الذين هاجروا مع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن عمر بن الخطاب قال في حجة حجها ورأى من الناس (١) رعة سيئة فقرأ هذه كنتم خير أمة أخرجت للناس الآية ثم قال يا أيها الناس من سره أن يكون من تلك الامة فليؤد شرط الله منها حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس قال هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة يعني وكانوا هم الرواة الدعاة الذين أمر الله المسلمين بطاعتهم * وقال آخرون معنى ذلك كنتم خير أمة أخرجت للناس اذ كنتم بهذه الشروط التي وصفهم جل ثناؤه بها فكان تأويل ذلك عندهم كنتم خير أمة تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله أخرجوا للناس في زمانكم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل كنتم خير أمة أخرجت للناس يقول على هذا الشرط أن تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وتؤمنوا بالله يقول لمن أنتم بين ظهرانيه كقوله ولقد اخترناهم على علم على العالمين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس قال يقول كنتم خير الناس للناس على هذا الشرط أن تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وتؤمنوا بالله يقول لمن بين ظهريه كقوله ولقد اخترناهم على علم على العالمين وحدثنا ابن وكيع قال

(١) الرعة بوزن العدة الاحتشام والكف عن سوء الأدب انظر اللسان في ورع كتبه مصححه

انه تعالى ذكرهم نعمته عليهم وذلك أنهم كانوا في الجاهلية بينهم الاحن والبغضاء والحروب المتطاولة فألف الله بين قلوبهم ببركة الاسلام فصاروا اخوانا في الله متراحمين متناصحين وذلك أن من كان وجهه الى الدنيا فقلما يخلو من معاداة ومناقشة بسبب الأغراض الدنيوية أما العارف الناظر من الحق الى الخلق فانه يرى الكل أسيرا في قبضة القضاء فلا يعادي أحدا البتة لأنه مستبصر بسر الله في القدر فاذا أمر أمر برفق ناصح لا بعنف معير وكان حبه لحزب الله ونظرائه في الدين ورفقائه في طلب اليقين أشد من حب الوالد لولده فكانوا كالأقربين والاخوان بل كجسد واحد وكنفس واحدة وقيل يريد الاخوان في النسب وذلك أن الاوس والخزرج كانا أخوين لاب وأم وكان بينهما العداوة والحروب وبقيا على ذلك مائة وعشرين سنة الى أن أطفأ الله ذلك بالاسلام وألف بينهم برسول الله فذكرانه تعالى تلك النعمة وفيه دليل على أن المعاملات الحسنة الجارية فيما بينهم بعد الاسلام انما حصلت من الله تعالى حيث خلق فيهم تلك الداعية المستلزمة لحصول الفعل قال الكعبي ان ذلك بالهداية والبيان والتحذير والمعونة والالطاف لا بخلق الفعل وأجيب بان كل هذا كان حاصلا قبل ذلك فاختصاص أحد الزمانين بحصول الالفة والمحبة لا بدأن يكون لأمر زائد على ماذكرتم هذا شرح النعم الدنيوية عليهم ثم ذكرهم النعم الاخروية بقوله (وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) وشفا الحفرة وشفتها حرفها بالتذكير والتأنيث ومنه يقال أشفى على الشيء اذا أشرف عليه كأنه بلغ شفاه أي حده وطرفه وأنقذه واستنقذه

ثنا أبي عن سفيان عن ميسرة عن أبي حازم عن أبي هريرة كنتم خير أمة أخرجت للناس قال كنتم خير الناس للناس تجيئون بهم في السلاسل تدخلونهم في الاسلام حدثنا عبيد بن أسباط قال ثنا أبي عن فضيل بن مرزوق عن عطية في قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس قال خير الناس للناس * وقال آخرون انما قيل كنتم خير أمة أخرجت للناس لانهم أكثر الامم استجابة للاسلام ذكر من قال ذلك حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر قال لم تكن أمة أكثر استجابة في الاسلام من هذه الامة فمن ثم قال كنتم خير أمة أخرجت للناس * وقال بعضهم عني بذلك أنهم كانوا خير أمة أخرجت للناس ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر قال قد كان ما تسمع من الخير في هذه الامة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول نحن آخرها وأكرمها على الله * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بتأويل الآية ما قال الحسن وذلك أن يعقوب بن ابراهيم حدثني قال ثنا ابن علية عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا انكم وفيتم سبعين أمة أنتم آخرها وأكرمها على الله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس قال أنتم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم وهو مسند ظهره الى الكعبة نحن نكمل يوم القيامة سبعين أمة نحن آخرها وخيرها وأما قوله تأمرون بالمعروف فانه يعني تأمرون بالايمان بالله ورسوله والعمل بشرائعه وتنهون عن المنكر يعني وتنهون عن الشرك بالله وتكذيب رسوله وعن العمل بما نهى عنه كما حدثنا علي بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس يقول تأمرونهم بالمعروف أن يشهدوا أن لا اله الا الله والاقرار بما أنزل الله وتقاتلونهم عليه ولا اله الا الله هو أعظم المعروف وتنهونهم عن المنكر والمنكر هو التكذيب وهو أنكر المنكر وأصل المعروف كل ما كان معروفا ففعله جميل مستحسن غير مستقبح في أهل الايمان بالله وانما سميت طاعة الله معروفا لانه مما يعرفه أهل الايمان ولا يستنكرون فعله وأصل المنكر ما أنكره الله ورأوه قبيحا فعله ولذلك سميت معصية الله منكرا لأن أهل الايمان بالله يستنكرون فعلها ويستعظمون ركوبها وقوله وتؤمنون بالله يعني تصدقون بالله فتخلصون له التوحيد والعبادة فان سأل سائل فقال وكيف قيل كنتم خير أمة وقد زعمت أن تأويل الآية أن هذه الامة خير الامم التي مضت وانما يقال كنتم خير أمة لقوم كانوا خيارا فتغيروا عما كانوا عليه قيل ان معنى ذلك بخلاف ما ذهبت اليه وانما معناه أنتم خير أمة كما قيل واذكروا اذ أنتم قليل وقد قال في موضع آخر واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم فادخال كان في مثل هذا واسقاطها بمعنى واحد لان الكلام معروف معناه ولو قال أيضا في ذلك قائل كنتم بمعنى التمام كأن تأويله خلقتم خير أمة أو وجدتم خير أمة كان معنى صحيحا وقد زعم بعض أهل العربية أن معنى ذلك كنتم خير أمة عند الله في اللوح المحفوظ أخرجت للناس والقولان الأولان اللذان قلنا أشبه بمعنى الخبر الذي رويناه قبل * وقال آخرون معنى ذلك كنتم خير أهل طريقة وقال الامة الطريقة

خاصه ونحاه والضمير في منها للحفرة أو للنار أو للشفا وإما لأنه في معنى الشفة وإما لاضافته الى الحفرة وهو بعضها وهو كقوله * كما شرقت صدر القناة من الدم * قال بعضهم الشفة أصغر من الشفا وكذلك الضلالة والضلال ولذلك قال نوح عليه السلام ليس بي ضلالة حين قال له قومه انا لنراك في ضلال مبين أي ليس بي صغير من الضلال فكيف الكبير منه ومعنى الآية انكم كنتم مشرفين بكفركم على جهنم تشبيها لها بالحفرة التي فيها النار وتمثيلا لحياتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار بالقعود على حرفها وفيه تنبيه على تحقير مدة الحياة وان طالت كأنه ليس بين الحياة وبين الموت المستلزم للوقوع في الحفرة الا ما بين طرف الشئ وبين ذلك الشئ قالت المعتزلة معنى الانقاذ أنه تعالى لطف بهم بالرسول صلى الله عليه وسلم وبسائر ألطافه حتى آمنوا وقال أهل السنة جميع الالطاف مشتركة بين المؤمن والكافر فلو كان فاعل الايمان هو العبد لكان العبد هو الذي أنقذ نفسه من النار لكن الآية دلت على أن الله تعالى هو المنقذ فعلم أن خالق أفعال العباد هو الله تعالى (كذلك) مثل ذلك البيان البليغ (يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) ارادة أن تزدادوا هدى أو لتكونوا على رجاء هداية فالاول قول المعتزلة والثاني لاهل السنة وقد مر في أوائل سورة البقرة ثم رغب المؤمنين الكاملين في تكميل غيرهم فقال (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير) وهو جنس تحته نوعان الترغيب في فعل ما ينبغي من واجبات الشرع ومندوباته والكف عما لا ينبغي من محرماته ومكروهاته فلا جرم أتبعه النوعين زيادة في البيان فقال (ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) واختلفوا في ان كلمة من في قوله منكم للتبيين أو للتبعيض فذهب طائفة الى أنها للتبيين لانه ما من مكلف الا ويجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اما بيده أو بلسانه أو بقلبه وكيف لا

﴿القول في تأويل قوله (ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون) يعني بذلك تعالى ذكره ولو صدّق أهل التوراة والانجيل من اليهود والنصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم به من عند الله لكان خيراً لهم عند الله في عاجل دنياهم وآجل آخرتهم منهم المؤمنون يعني من أهل الكتاب من اليهود والنصارى المؤمنون المصدقون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاءهم به من عند الله وهم عبد الله بن سلام وأخوه وثعلبة بن سعيد وأخوه وأشباههم ممن آمنوا بالله وصدقوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم واتبعوا ما جاءهم به من عند الله وأكثرهم الفاسقون يعني الخارجون عن دينهم وذلك أن من دين اليهود اتباع ما في التوراة والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم ومن دين النصارى اتباع ما في الانجيل والتصديق به وبما في التوراة وفي كل الكتابين صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ومبعثه وأنه نبي الله وكلتا الفرقتين أعني اليهود والنصارى مكذبة فذلك فسقهم وخروجهم عن دينهم الذي يدعون أنهم يدينون به الذي قال جل ثناؤه وأكثرهم الفاسقون وقال قتادة بما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ذم الله أكثر الناس ﴿القول في تأويل قوله (لن يضروكم إلا أذى) يعني بذلك جل ثناؤه لن يضركم يا أهل الايمان بالله ورسوله هؤلاء الفاسقون من أهل الكتاب بكفرهم وتكذيبهم نبيكم محمداً صلى الله عليه وسلم شيئاً إلا أذى يعني بذلك ولكنهم يؤذونكم بشركهم واسماعكم كفرهم وقولهم في عيسى وأمه وعزير ودعائهم اياكم الى الضلالة ولا يضرونكم بذلك وهذا من الاستثناء المنقطع الذي هو مخالف معنى ما قبله كما قيل ما اشتكى شيئاً إلا خيراً وهذه كلمة محكية عن العرب سماعاً وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لن يضروكم إلا أذى يقول لن يضروكم إلا أذى تسمعونه منهم حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله لن يضروكم إلا أذى قال أذى تسمعونه منهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله لن يضروكم إلا أذى قال اشراكهم في عزير وعيسى والصليب حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله لن يضروكم إلا أذى الآية قال تسمعون منهم كذباً على الله يدعونكم الى الضلالة ﴿القول في تأويل قوله (وان يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون) يعني بذلك جل ثناؤه وان يقاتلكم أهل الكتاب من اليهود والنصارى يهزموا عنكم فيولوكم أدبارهم انهزاماً فقوله يولوكم الأدبار كناية عن انهزامهم لأن المنهزم يحوّل ظهره الى جهة الطالب هرباً الى ملجأ وموئل يئل اليه منه خوفاً على نفسه والطالب في أثره فدبر المطلوب حينئذ يكون محاذي وجه الطالب الهازمه ثم لا ينصرون يعني ثم لا ينصرهم الله أيها المؤمنون عليكم لكفرهم بالله ورسوله وايمانكم بما آتاكم نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم لأن الله عز وجل قد ألقى الرعب في قلوبهم فأيدكم أيها المؤمنون بنصركم وهذا وعد من الله تعالى ذكره نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم وأهل الايمان نصرهم على الكفرة به من أهل الكتاب وانما رفع قوله ثم لا ينصرون وقد جزم قوله يولوكم الأدبار على جواب الجزاء ائتنافاً للكلام لأن رؤس الآيات قبلها بالنون فألحق هذه بها كما قال ولا يؤذن لهم فيعتذرون رفعاً وقد قال في موضع آخر لا يقضى عليهم فيموتوا إذ لم يكن رأس آية ﴿القول في تأويل قوله (ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس) يعني بقوله جل

وقد وصفهم الله تعالى بذلك في قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فهذا كقولك لفلان من أولاده جند وللأمير من غلمانه عسكر تريد جميع الأولاد والغلمان لا بعضهم ثم قالوا ان ذلك وان كان واجباً على الكل إلا أنه متى قام به بعض سقط عن الباقين كسائر فروض الكفايات * وقال آخرون انها للتبعيض اما لأن في القوم من لا يقدر على الدعوة وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كالنساء والمرضى والعاجزين واما لأن هذا التكليف مختص بالعلماء الذين يعرفون الخير ما هو والمعروف والمنكر ما هما ويعلمون كيف يرتب الامر في اقامتهما وكيف يباشر فان الجاهل ربما نهى عن معروف وأمر بمنكر وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده انكاره الا تمادياً وأيضاً فقد أجمعنا على ان ذلك واجب على الكفاية فكان هذا بالحقيقة ايجاباً على البعض الذي يقوم به ثم ان نصب لذلك رجل تعين عليه بحكم الولاية وهو المحتسب * واعلم أن الامر بالمعروف على ثلاثة أضرب أحدها ما يتعلق بحقوق الله تعالى وهو نوعان أحدهما ما يؤمر به الجمع دون الافراد كاقامة الجمعة حيث تجتمع شرائطها فان كانوا عدداً يرون انعقاد الجمعة بهم والمحتسب لا يراه فلا يأمرهم بما لا يجوّزه ولا ينهاهم عما يرونه فرضاً عليهم ويأمرهم بصلاة العيد والثاني ما يؤمر به الافراد كما اذا أخر بعض الناس الصلاة عن الوقت فان قال نسيتها حثه على المراقبة ولا يعترض على من أخرها والوقت باق وثانيها ما يتعلق بحقوق الآدميين وينقسم الى عام كالبلد اذا تعطل شربه أو انهدم سوره أو طرقه أبناء السبيل المحتاجون وتركوا معونتهم فان كان في بيت المال مال لم يؤمر الناس بذلك وان لم يكن أمر ذووا المكنة رعايتها والى خاص كمطل

المديون الموسر بالدين فالمحتسب يأمره بالخروج عنه اذا استعداه رب الدين وليس له الحبس وثالثها الحقوق المشتركة كأمر الاولياء بانكاح الاكفاء والزام النساء أحكام العدد وأخذ السادة بحقوق الارقاء وأرباب البهائم بتعهدها وان

لا يستعملوها فيما لا تطيق ومن يغير هيئات العبادات كالجهر في الصلاة السرية وبالعكس أو يزيد في الأذان يمنعه وينكر عليه ومن تصدى للتدريس والوعظ وهو ليس من أهله ولم يؤمن اغترار الناس به في تأويل أو تحريف فينكر المحتسب عليه ويظهر أمره لئلا يغتر به واذا رأى رجلا واقفا مع امرأة في شارع يطرقه الناس لم ينكر عليه وان كان في طريق خال فهو موضع ريبة فينكر ويقول ان كانت ذات محرم فصنها عن مواضع الريب وان كانت أجنبية فخف الله معها في الخلوة ولا ينكر في حقوق الآدميين كتعدي الجار في جدار الجار الا باستعداء صاحب الحق وينكر على من يطيل الصلاة من أئمة المساجد المطروقة وعلى القضاة اذا حجبوا الخصوم وقصروا في التظر في الخصومات والسوقي المختص بمعاملة النساء يختبر أمانته فان ظهرت منه خيانة منع من معاملتهن وبالجملة الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق فلينظر الداعي الى الخير في حال كل مكلف وغير مكلف حتى الصبيان ليتمرنوا والمجانين كيلا يضروا ويدعوه الى ما يليق به متدرجا من الاسهل الى الاصعب في الامر والانكار كل ذلك ايمانا واحتسابا لا سمعة ورياء ولا لغرض من الأغراض النفسانية والجسمانية وذلك أن هذه الدعوة منصب النبي وخلفائه الراشدين بعده ومن ههنا ذهب الضحاك الى أن المراد من المذكورين في هذه الآية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يتعلمون من الرسول ويعلمون الناس واستشهد

ثناؤه وضربت عليهم الذلة ألزموا الذلة والذلة الفعلة من الذل وقد بينا ذلك بشواهده في غير هذا الموضع أينما ثقفوا يعني حيثما القوا يقول جل ثناؤه ألزم اليهود المكذبون بمحمد صلى الله عليه وسلم الذلة أينما كانوا من الارض وبأي مكان كانوا من بقاعها من بلاد المسلمين والمشركين الا بحبل من الله وحبل من الناس كما حدثنا محمد بن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن في قوله ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وضربت عليهم المسكنة قال أدركتهم هذه الامة وان المجوس لتجبيهم الجزية حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد عن الحسن في قوله ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس قال أذلهم الله فلا منعة لهم وجعلهم الله تحت أقدام المسلمين وأما الحبل الذي ذكره الله في هذا الموضع فانه السبب الذي يأمنون به على أنفسهم من المؤمنين وعلى أموالهم وذراريهم من عهد وأمان تقدم لهم عقده قبل أن يثقفوا في بلاد الاسلام كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله الا بحبل من الله قال بعهد وحبل من الناس قال بعهدهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس يقول الا بعهد من الله وعهد من الناس حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد عن عثمان بن غياث قال عكرمة يقول الا بحبل من الله وحبل من الناس قال بعهد من الله وعهد من الناس حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي الا بحبل من الله وحبل من الناس يقول الا بعهد من الله وعهد من الناس حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله الا بحبل من الله وحبل من الناس يقول الا بعهد من الله وعهد من الناس حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس فهو عهد من الله وعهد من الناس كما يقول الرجل ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم فهو الميثاق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس قال بعهد من الله وعهد من الناس لهم قال ابن جريج وقال عطاء العهد حبل الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس قال الا بعهد وهم يهود قال والحبل العهد قال وذلك قول أبي الهيثم بن التيهان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أتته الانصار في العقبة أيها الرجل انا قاطعون فيك حبالا بيننا وبين الناس يقول عهودا قال واليهود لا يأمنون في أرض من أرض الله الا بهذا الحبل الذي قال الله عز وجل وقرأ وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة قال فليس بلد فيه أحد من النصارى الا وهم فوق يهود في شرق ولا غرب هم في البلدان كلها مستذلون قال الله وقطعناهم في الارض أمما يهود حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك في قوله الا بحبل من الله وحبل من الناس يقول بعهد من الله وعهد من الناس حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك مثله * واختلف أهل العربية في المعنى الذي جلب الباء في قوله الا بحبل من الله وحبل من الناس فقال بعض نحويي الكوفة الذي جلب الباء في قوله بحبل فعل مضمر قد ترك ذكره قال ومعنى الكلام ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا أن يعتصموا بحبل من الله فأضمر ذلك

واستشهد لقوله ذلك بقول الشاعر

رأتني بحبليها فصدّت مخافة * وفي الحبل روعاء الفؤاد فروق

وقال أراد أقبلت بحبليها وبقول الآخر

حنتني حانيات الدهر حتى * كأني خاتل أحنو لصيد

فاوجب اعمال فعل محذوف واظهار صلته وهو متروك وذلك في مذاهب العربية ضعيف ومن كلام العرب بعيد وأما ما استشهد به لقوله من الابيات فغير دال على صحة دعواه لان في قول الشاعر رأتني بحبليها دلالة بينة في أنها رأته بالحبل ممسكا ففي اخباره عنها انها رأته بحبليها اخبار منه أنها رأته ممسكا بالحبلين فكان فيما ظهر من الكلام مستغنى عن ذكر الامساك وكانت الباء صلة لقوله رأتني كما في قول القائل أنا بالله مكتف بنفسه ومعرفة السامع معناه أن تكون الباء محتاجة الى كلام يكون لها جالبا غير الذي ظهر وأن المعنى أنا بالله مستعين وقال بعض نحويي البصرة قوله الا بحبل من الله استثناء خارج من أول الكلام قال وليس ذلك باشد من قوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما * وقال آخرون من نحويي الكوفة هو استثناء متصل والمعنى ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا أي بكل مكان الا بموضع حبل من الله كما تقول ضربت عليهم الذلة في الأمكنة الا في هذا المكان وهذا أيضا طلب الحق فأخطأ المفصل وذلك أنه زعم أنه استثناء متصل ولو كان متصلا كما زعم لوجب أن يكون القوم اذا ثقفوا بحبل من الله وحبل من الناس غير مضروبة عليهم المسكنة وليس ذلك صفة اليهود لانهم أينما ثقفوا بحبل من الله وحبل من الناس أو بغير حبل من الله عز وجل وغير حبل من الناس فالذلة مضروبة عليهم على ما ذكرنا عن أهل التأويل قبل فلو كان قوله الا بحبل من الله وحبل من الناس استثناء متصلا لوجب أن يكون القوم اذا ثقفوا بعهد وذمة أن لا تكون الذلة مضروبة عليهم وذلك خلاف ما وصفهم الله به من صفتهم وخلاف ما هم به من الصفة فقد تبين أيضا بذلك فساد قول هذا القائل أيضا ولكن القول عندنا أن الباء في قوله الا بحبل من الله أدخلت لان الكلام الذي قبل الاستثناء مقتض في المعنى الباء وذلك أن معنى قوله ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا ضربت عليهم الذلة بكل مكان ثقفوا ثم قال الا بحبل من الله وحبل من الناس على غير وجه الاتصال بالاول ولكنه على الانقطاع عنه ومعناه ولكن يثقفون بحبل من الله وحبل من الناس كما قيل وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ فالخطأ وان كان منصوبا بما عمل فيما قبل الاستثناء فليس قوله باستثناء متصل بالاول بمعنى الا خطأ فان له قتله كذلك ولكن معناه ولكن قد يقتله خطأ فكذلك قوله أينما ثقفوا الا بحبل من الله وان كان الذي جلب الباء التي بعد الا الفعل الذي يقتضيها قبل الا فليس الاستثناء بالاستثناء المتصل بالذي قبله بمعنى أن القوم اذا ثقفوا فالذلة زائلة عنهم بل الذلة ثابتة بكل حال ولكن معناه ما بينا آنفا ﴿ القول في تأويل قوله (وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق) يعني تعالى ذكره وباءوا بغضب من الله وتحملوا غضب الله فانصرفوا به مستحقيه وقد بينا أصل ذلك بشواهده ومعنى المسكنة وأنها ذل الفاقة والفقر وخشوعهما ومعنى الغضب من الله فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وقوله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله يعني جل ثناؤه بقوله ذلك أي بوءهم الذي باءوا به من غضب الله وضرب الذلة عليهم بدل مما كانوا يكفرون بآيات الله يقول مما كانوا يجحدون أعلام الله وأدلته على صدق أنبيائه وما فرض عليهم من فرائضه ويقتلون الانبياء بغير حق يقول وبما كانوا يقتلون

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسول الله وخليفة كتابه وعن علي أفضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنأ الفاسقين وغضب لله (٣٣) غضب الله له وكفى بقوله تعالى (وأولئك هم المفلحون) أي الاخصاء بالفلاح مدحا لهم وقد يتمسك بهذا في أن الفاسق ليس له أن يامر بالمعروف وينهى عن المنكر لأنه ليس من أهل الفلاح وأجيب بان هذا ورد على سبيل الغالب فان الظاهر أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لا يشرع فيه الا بعد اصلاح أحوال نفسه لان العاقل يقدم مهم نفسه على مهم الغير وقلما يتفق ممن يزني بامرأة أن يأمرها بالمعروف في أنها لم كشفت عن وجهها قال بعض العلماء ان ترك ارتكاب المنهي عنه والنهي عن ارتكاب المنهي واجبان على الفاسق فبتركه أحد الواجبين لا يسقط عنه الواجب الآخر وعن بعض السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن الحسن أنه سمع مطرف بن عبد الله يقول لا أقول ما لا أفعل فقال وأينا يفعل ما يقول ود الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يامر أحد بمعروف ولا ينهى عن منكر والحق في هذه القضية ما قيل وغير تقي يأمر الناس بالتقى * طبيب يداوي الناس وهو مريض والقرآن ينعى عليه بقوله لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقد سلف تقريره في البقرة وعن داود الطائي أنه سمع صوتا من قبر ألم أزل ألم أصل ألم أصم ألم أفعل كذا وكذا أجيب بلى يا عدو الله ولكن انك اذا خلوت بارزته بالمعاصي ولم تراقبه قوله سبحانه (ولا تكونوا كالذين تفرقوا) في النظم وجهان أحدهما أنه تعالى ذكر في الآيات المتقدمة أنه بين في التوراة والانجيل ما يدل على صحة دين الاسلام ثم ان أهل الكتاب حسدوا محمدا فاحتالوا الالقاء الشكوك في تلك النصوص ثم انجر

أنبياءهم ورسل الله اليهم اعتداء على الله وجراءة عليه بالباطل وبغير حق استحقوا منهم القتل فتأويل الكلام ألزموا الذلة بأي مكان لقوا الا بذمة من الله وذمة من الناس وانصرفوا بغضب من الله متحمليه وألزموا ذل الفاقة وخشوع الفقر بدلا مما كانوا يجحدون بآيات الله وأدلته وحججه ويقتلون أنبياءه بغير حق ظلما واعتداء ۞ القول في تأويل قوله (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) يقول تعالى ذكره فعلنا بهم ذلك بكفرهم وقتلهم الانبياء ومعصيتهم ربهم واعتدائهم أمر ربهم وقد بينا معنى الاعتداء في غير موضع فيما مضى من كتابنا بما فيه الكفاية عن اعادته فأعلم ربنا جل ثناؤه عباده ما فعل بهؤلاء القوم من أهل الكتاب من احلال الذلة والخزي بهم في عاجل الدنيا مع ما ادخر لهم في الآجل من العقوبة والنكال وأليم العذاب اذ تعدوا حدود الله واستحلوا محارمه تذكيرا منه تعالى ذكره لهم وتنبيها على موضع البلاء الذي من قبله أتوا لينيبوا ويذكروا وعظة منه لأمتنا أن لا يستنوا بسنتهم ويركبوا منهاجهم فيسلك بهم مسالكهم ويحل بهم من نقم الله ومثلاته ما أحل بهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اجتنبوا المعصية والعدوان فان بهما أهلك من أهلك قبلكم من الناس ۞ القول في تأويل قوله (ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) يعني بقوله جل ثناؤه ليسوا سواء ليس فريقا أهل الكتاب أهل الايمان منهم والكفر سواء يعني بذلك أنهم غير متساوين يقول ليسوا متعادلين ولكنهم متفاوتون في الصلاح والفساد والخير والشر وانما قيل ليسوا سواء لان فيه ذكر الفريقين من أهل الكتاب اللذين ذكرهما الله في قوله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ثم أخبر جل ثناؤه عن حال الفريقين عنده المؤمنة منهما والكافرة فقال ليسوا سواء أي ليس هؤلاء سواء المؤمنون منهم والكافرون ثم ابتدأ الخبر جل ثناؤه عن صفة الفرقة المؤمنة من أهل الكتاب ومدحهم وأثنى عليهم بعد ما وصف الفرقة الفاسقة منهم بما وصفها به من الهلع ونخب الجنان ومحالفة الذل والصغار وملازمة الفاقة والمسكنة وتحمل خزي الدنيا وفضيحة الآخرة فقال من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون الآيات الثلاث الى قوله والله عليم بالمتقين فقوله أمة قائمة مرفوعة بقوله من أهل الكتاب وقد توهم جماعة من نحويي الكوفة والبصرة والمقدمين منهم في صناعتهم أن ما بعد سواء في هذا الموضع من قوله أمة قائمة ترجمة عن سواء وتفسير عنه بمعنى لا يستوي من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وأخرى كافرة وزعموا أن ذكر الفرقة الأخرى ترك اكتفاء بذكر احدى الفرقتين وهي الامة القائمة ومثلوه بقول أبي ذؤيب

عصيت اليها القلب اني لأمرها * سميع فما أدري أرشد طلابها

ولم يقل أم غير رشد اكتفاء بقوله أرشد من ذكر أم غير رشد وبقول الآخر

أزال فلا أدري أهم هممته * وذو الهم قدما خاشع متضائل

وهو مع ذلك عندهم خطأ قول القائل المريد أن يقول سواء أقمت أم قعدت سواء أقمت حتى يقول أم قعدت وانما يجيزون حذف الثاني فيما كان من الكلام مكتفيا بواحد دون ما كان ناقصا عن ذلك وذلك نحو ما أبالي أو ما أدري فأجازوا في ذلك ما أبالي أقمت وهم يريدون ما أبالي أقمت أم قعدت لاكتفاء ما أبالي بواحد وكذلك في ما أدري وأبوا الاجازة في سواء من أجل نقصانه وأنه غير

مكتف

الكلام الى انه أمر المؤمنين بالدعاء الى الخير ختم الكلام بتحذير المؤمنين من مثل فعل أهل الكتاب من القاء الشبهات في النصوص واستخراج التأويلات الفاسدة فعلى هذا (٤٣) تكون الآية من تتمة الآيات المتقدمة وثانيهما أنه لما أمر الأمة بالأمر بالمعروف والنهي عن ضده وكان ذلك مما لا يتم الا بالقدرة على تنفيذه كيف وفي الناس ظلمة ومتغلبون فلا جرم حذر أهل الحق أن يتفرقوا ويختلفوا كيلا يصير ذلك سببا لعجزهم عن القيام بهذا التكليف وعلى هذا تكون الآية من تتمة الآية السابقة فقط قال بعضهم تفرقوا واختلفوا مؤداهما واحد والتكرير للتأكيد وقيل معناهما مختلف تفرقوا بالعداوة واختلفوا في الدين أو تفرقوا بسبب التأويلات الفاسدة للنصوص واختلفوا بأن حاول كل منهم نصرة قوله أو تفرقوا بأبدانهم بأن صار كل من الاحبار رئيسا في بلد واختلفوا بأن صار كل منهم يدعي أنه على الحق وصاحبه على الباطل ولعل الانصاف ان أكثر علماء الزمان بهذه الصفة فنسأل الله العصمة والسداد (وأولئك) اليهود والنصارى الذين اختلفوا من بعد ما جاءهم الدلالات الواضحة والنصوص الظاهرة أو أولئك الذين اقتفوا آثارهم من مبتدعة هذه الأمة (لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) وفي تعلق الظرف بقوله لهم فائدتان احداهما أن ذلك العذاب في هذا اليوم والأخرى أن من حكم هذا اليوم أن يبيض بعض الوجوه ويسود بعضها ونظير ذلك في القرآن وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة وفي أمثال هذه الالوان للمفسرين قولان أحدهما واليه ميل أبي مسلم ان البياض مجاز عن الفرح والسواد عن الغم وهذا مجاز مستعمل قال تعالى واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا ولما سلم الحسن بن علي الامر الى معاوية قال له رجل يا مسود وجوه المؤمنين وتمام الخبر سوف يجيء ان شاء الله في تفسير سورة القدر ولبعض

الشعراء في الشيب يا بياض القرون سودت وجهي * عند بيض الوجوه سود القرون وثانيهما أن السواد والبياض محمولان على ظاهرهما وهما النور والظلمة إذ الأصل في الإطلاق الحقيقة فمن كان من أهل نور الحق وسم ببياض اللون وإسفاره

مكتف بواحد فأغفلوا في توجيههم قوله ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة على ما حكيناه عنهم إلى ما وجهوه إليه من مذاهبهم في العربية إذ أجازوا فيه من الحذف ما هو غير جائز عندهم في الكلام مع سواء وأخطؤا تأويل الآية فسواء في هذا الموضع بمعنى التمام والاكتفاء لا بالمعنى الذي تأوله من حكينا قوله وقد ذكر أن قوله من أهل الكتاب أمة قائمة الآيات الثلاث نزلت في جماعة من اليهود أسلموا فحسن إسلامهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن إسحق قال ثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما أسلم عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد ومن أسلم من يهود معهم فآمنوا وصدقوا ورغبوا في الإسلام ومنحوا فيه قالت أحبار يهود وأهل الكفر منهم ما آمن بمحمد ولا تبعه إلا أشرارنا ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهم ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله إلى قوله وأولئك من الصالحين حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس عن بكير عن محمد بن إسحق قال ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال ثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس بنحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة الآية يقول ليس كل القوم هلك قد كان لله فيهم بقية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج أمة قائمة عبد الله بن سلام وثعلبة بن سلام أخوه وسعية ومبشر وأسيد وأسد ابنا كعب * وقال آخرون معنى ذلك ليس أهل الكتاب وأمة محمد القائمة بحق الله سواء عند الله ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن الحسن بن يزيد العجلي عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقول في قوله ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة قال لا يستوي أهل الكتاب وأمة محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة الآية يقول ليس هؤلاء اليهود كمثل هذه الأمة التي هي قائمة وقد بينا أن أولى القولين بالصواب في ذلك قول من قال قد تمت القصة عند قوله ليسوا سواء عن إخبار الله بأمر مؤمني أهل الكتاب وأهل الكفر منهم وأن قوله من أهل الكتاب أمة قائمة خبر مبتدأ عن مدح مؤمنيهم ووصفهم بصفتهم على ما قاله ابن عباس وقتادة وابن جريج ويعني جل ثناؤه بقوله أمة قائمة جماعة ثابتة على الحق وقد دللنا على معنى الأمة فيما مضى بما أغنى عن إعادته وأما القائمة فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم معناها العادلة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أمة قائمة قال عادلة * وقال آخرون بل معنى ذلك أنها قائمة على كتاب الله وما أمر به فيه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله أمة قائمة يقول قائمة على كتاب الله وفرائضه وحدوده حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله أمة قائمة يقول قائمة على كتاب الله وحدوده وفرائضه حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس من أهل الكتاب أمة قائمة يقول أمة مهتدية قائمة على أمر الله لم تنزع عنه وتتركه كما تركه الآخرون وضيعوه * وقال آخرون بل معنى قائمة مطيعة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أمة قائمة الآية يقول ليس هؤلاء اليهود كمثل هذه الأمة التي هي قانتة لله والقانتة المطيعة * وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل ذلك ما قاله ابن عباس وقتادة ومن قال

واشراقه وابيضت صحيفته وسعى النور بين يديه وبيمينه ومن كان من أهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكمده واسودت صحيفته وأحاطت به الظلمة من كل جانب قالوا والحكمة في ذلك أن يعرف أهل الموقف كل صنف فيعظمونهم أو يصغرون بحسب ذلك ويحصل لهم بسببه مزيد بهجة وسرور أو ويل وثبور وأيضا إذا عرف المكلف في الدنيا أنه يحصل له في الآخرة إحدى الحالتين ازدادت رغبته في الطاعات وترك المحرمات قلت والتحقيق فيه أن الهيآت والأخلاق الحميدة أنوار والملكات والعادات الذميمة ظلمات وكل منهما لا يظهر آثارهما كما هي إلا بعد المفارقة إلى الآخرة انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا واحتج أهل السنة بالآية على أن المكلف إما مؤمن وإما كافر وأنه ليس ههنا منزلة بين المنزلتين لأنه قسم أهل القيامة إلى قسمين مبيض الوجوه وهم المؤمنون ومسودها وهم الكافرون لقوله تعالى في آخر الآية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واعترض القاضي عليه بأن عدم ذكر القسم الثالث لا يدل على عدمه وأيضا لفظ وجوه نكرة فلا يفيد العموم وأيضا المذكور في الآية هم المؤمنون والذين كفروا بعد الإيمان ولا شبهة أن الكافر الأصلي من أهل النار مع أنه غير داخل تحت هذين القسمين

فكذا القول في الفساق والجواب لم لا يجوز أن يكون المراد أن كل أحد أسلم وقت استخراج الذرية من صلب آدم فيكون الخطاب لجميع الكفار وأنه أيضا جعل موجب العذاب في آخر الآية هو الكفر من حيث أنه كفر لا الكفر بعد الإيمان فإن قيل لم

بقولهما على ما روينا عنهم وان كان سائر الاقوال الأخر متقاربة المعنى من معنى ما قاله ابن عباس وقتادة فى ذلك وذلك أن معنى قوله قائمة مستقيمة على الهدى وكتاب الله وفرائضه وشرائع دينه بالعدل والطاعة وغير ذلك من أسباب الخير من صفة أهل الاستقامة على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونظير ذلك الخبر الذى رواه النعمان بن بشير عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم ركبوا سفينة ثم ضرب لهم مثلا فالقائم على حدود الله هو الثابت على التمسك بما أمره الله به واجتناب ما نهاه الله عنه فتأويل الكلام من أهل الكتاب جماعة معتصمة بكتاب الله متمسكة به ثابتة على العمل بما فيه وما سن له رسوله صلى الله عليه وسلم ❊ القول فى تأويل قوله (يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) يعنى بقوله يتلون آيات الله يقرؤن كتاب الله آناء الليل ويعنى بقوله آيات الله ما أنزل فى كتابه من العبر والمواعظ يقول يتلون ذلك آناء الليل يقول فى ساعات الليل فيتدبرونه ويتفكرون فيه وأما آناء الليل فساعات الليل واحدها إنى كما قال الشاعر

حلو ومر كعطف القدح مرته ❊ فى كل انى قضاه الليل ينتعل

وقد قيل ان واحد الآناء انى مقصور كما واحد الامعاء معى واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم تأويله ساعات الليل كما قلنا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يتلون آيات الله آناء الليل أى ساعات الليل حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال آناء الليل ساعات الليل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال عبد الله بن كثير سمعنا العرب تقول آناء الليل ساعات الليل ❊ وقال آخرون آناء الليل جوف الليل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى يتلون آيات الله آناء الليل أما آناء الليل فجوف الليل ❊ وقال آخرون بل عنى بذلك قوم كانوا يصلون العشاء الاخيرة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن الحسن بن يزيد العجلى عن عبد الله بن مسعود فى قوله يتلون آيات الله آناء الليل صلاة العتمة هم يصلونها ومن سواهم من أهل الكتاب لا يصليها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن سليمن عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود قال احتبس علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة كان عند بعض أهله ونسائه فلم يأتنا الصلاة العشاء حتى ذهب ليل فجاء ومنا المصلى ومنا المضطجع فبشرنا وقال انه لا يصلى هذه الصلاة أحد من أهل الكتاب فأنزل الله ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون حدثنى يونس قال ثنا على بن معبد عن أبى يحيى الخراسانى عن نصر بن طريف عن عاصم عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن ننتظر العشاء يريد العتمة فقال لنا ما على الارض أحد من أهل الاديان ينتظر هذه الصلاة فى هذا الوقت غيركم قال فنزلت ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ❊ وقال آخرون بل عنى بذلك قوم كانوا يصلون فيما بين المغرب والعشاء ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن منصور قال بلغنى انها نزلت ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون فيما بين المغرب والعشاء ❊ وهذه الاقوال التى ذكرتها على اختلافها متقاربة المعانى وذلك ان الله تعالى ذكره وصف هؤلاء القوم بانهم يتلون آيات الله فى ساعات الليل وهى آناؤه وقد يكون تاليها فى

قدم البياض على السواد أولا وعكس آخرا فالجواب بعد تسليم افادة الواو الترتيب أنه بدأ بذكر أهل الثواب وختم بهم أيضا تنبيها على ان ارادة الرحمة أكثر من ارادة الغضب كما قال سبقت (٣٠٩) رحمتى غضبى ولما فى ذلك من رعاية حسن المطلع والمقطع وأنه فن بديع فى الفصاحة ومن المراد بهؤلاء الذين كفروا بعد ايمانهم قال أبى بن كعب هم جميع الكفار لانهم آمنوا وقت الميثاق ورواه الواحدى فى البسيط باسناده عن النبى صلى الله عليه وسلم وقيل المراد أكفرتم بعد ما ظهر لكم ما يوجب الايمان وهو ما نصبه الله من دلائل التوحيد والنبوة وقال عكرمة والاصم والزجاج انهم أهل الكتاب آمنوا قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وكفروا به بعد بعثه وقال قتادة انهم المرتدون وقال الحسن هم المنافقون وقيل هم الخوارج الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ولما رأى أبو امامة رؤسا منصوبة على درج مسجد دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب النار هؤلاء شر قتلى تحت أديم السماء وخير قتلى تحت أديم السماء الذين قتلهم هؤلاء فقال له أبو غالب أشئ تقوله برأيك أم شئ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بل سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو لم أسمعه الا مرة أو مرتين أو ثلاثا حتى عد سبعا ما حدثتكموه قال فاشأنك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من أهل الاسلام فكفروا ثم قرأ هذه الآية ثم أخذ بيده فقال ان بارضك منهم كثيرا فأعاذك الله منهم هذا مما أخرجه الامام أبو عيسى الترمذى فى جامعه ولكن المشهور من مذهب أهل السنة أن الخروج على الامام لا يوجب الكفر البتة والاستفهام فى قوله تعالى أكفرتم بمعنى الانكار قال القاضى وفيه وكذا فى قوله بما كنتم تكفرون دليل على أن الكفر منهم لا من الله وقالت المرجئة فيه دلالة على ان العذاب لا يكون الا للكافر صلاة أما قوله ففى رحمة الله فالمراد بها الجنة التى هى محل الرحمة وموقع قوله هم فيها خالدون موقع الاستئناف كأنه قيل كيف يكونون فيها فاجيب بذلك

أي لا يظعنون عنها ولا يموتون وفي اقامة الرحمة مقام الجنة دليل على أن العبد وان كثرت طاعته فانه لا يدخل الجنة الا بفضل الله وبرحمته وفي اضافة الرحمة الى نفسه وتعليل العذاب بكفرهم والنص على خلود أهل الثواب دون أهل النار (٣٧) وان كانوا مخلدين أيضا دلائل واشارات الى أن جانب العفو والمغفرة والرحمة مغلب وكيف لا وقد أردفه بقوله (تلك) الاحكام التي وردت في حيز الوعيد والوعد وانقضى ذكرها (آيات الله نتلوها عليك) متلبسة (بالحق) العدل من جزاء المحسن باحسانه وجزاء المسيء باساءته أو متلبسة بالمعنى الحق لأن معنى المتلو حق (وما الله يريد ظلما للعالمين) ولكن مصالح الخلق لا تنتظم الا بتهديد المذنبين واذا حصل التهديد فلا بد من التحقيق دفعا للكذب عمن هو أصدق القائلين قال الجبائي قوله ظلما نكرة في سياق النفي فوجب أن لا يريد شيئا مما يكون ظلما سواء فرض منه أو من العبد على نفسه أو على غيره واذا لم يرد لم يفعل اذ لو كان فاعلا لشيء من الأقسام الثلاثة كان مريدا له هذا خلف فثبت بهذه الآية انه تعالى غير فاعل للظلم وغير فاعل لاعمال العباد اذ من جملتها القبائح وقد بينا انه لا يريدها ثم انه تعالى تمدح بانه لا يريد ذلك والتمدح انما يصح لو صح منه فعل ذلك الشيء وصح منه كونه مريدا له فدلت الآية على انه قادر على الظلم وعلى أن يمنع الظلمة من الظلم على سبيل الالجاء والقهر فلهذا قال (ولله ما في السموات وما في الارض) وأيضا لما ذكر انه لا يريد الظلم والقبائح استدل عليه بان فاعل القبيح انما يفعل القبيح للجهل أو العجز أو الحاجة وكل ذلك على الله تعالى محال لانه مالك لكل ما في السموات وما في الارض بل لكل ما في الوجود وربما يقال معنى الآية اما أن يكون انه لا يريد أن يظلمهم أو انه لا يريد أن يظلم بعضهم بعضا والاول لا يستقيم على مذهبكم لان من مذهبكم انه تعالى لو عذب البريء من الذنب أشد العذاب لم يكن ظالما بل كان عادلا لأن الظلم تصرف في ملك الغير وهو تعالى انما يتصرف في ملك نفسه فتصور الظلم منه محال عندكم

صلاة العشاء تاليا لها آناء الليل وكذلك من تلاها فيما بين المغرب والعشاء ومن تلاها جوف الليل فكل تال له ساعات الليل غير أن أولى الاقوال بتأويل الآية قول من قال عني بذلك تلاوة القرآن في صلاة العشاء لانها صلاة لا يصليها أحد من أهل الكتاب فوصف الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم بأنهم يصلونها دون أهل الكتاب الذين كفروا بالله ورسوله وأما قوله وهم يسجدون فان بعض أهل العربية زعم أن معنى السجود في هذا الموضع اسم الصلاة لا السجود لان التلاوة لا تكون في السجود ولا في الركوع فكان معنى الكلام عنده يتلون آيات الله آناء الليل وهم يصلون وليس المعنى على ما ذهب اليه وانما معنى الكلام من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل في صلاتهم وهم مع ذلك يسجدون فيها فالسجود هو السجود المعروف في الصلاة ۞ القول في تأويل قوله (يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين) يعني بقوله جل وعز يؤمنون بالله واليوم الآخر يصدقون بالله وبالبعث بعد الممات ويعلمون أن الله مجازيهم بأعمالهم وليسوا كالمشركين الذين يجحدون وحدانية الله ويعبدون معه غيره ويكذبون بالبعث بعد الممات وينكرون المجازاة على الاعمال والثواب والعقاب وقوله ويأمرون بالمعروف يقول يأمرون الناس بالايمان بالله ورسوله وتصديق محمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم به وينهون عن المنكر يقول وينهون الناس عن الكفر بالله وتكذيب محمد وما جاءهم به من عند الله يعني بذلك أنهم ليسوا كاليهود والنصارى الذين يأمرون الناس بالكفر وتكذيب محمد فيما جاءهم به وينهونهم عن المعروف من الاعمال وهو تصديق محمد فيما أتاهم به من عند الله ويسارعون في الخيرات يقول ويبتدرون فعل الخيرات خشية أن يفوتهم ذلك قبل معاجلتهم مناياهم ثم أخبر جل ثناؤه أن هؤلاء الذين هذه صفتهم من أهل الكتاب هم من عداد الصالحين لان من كان منهم فاسقا قد باء بغضب من الله لكفره بالله وآياته وقتلهم الانبياء بغير حق وعصيانه ربه واعتدائه في حدوده ۞ القول في تأويل قوله (وما تفعلوا من خير فلن تكفروه والله عليم بالمتقين) اختلف القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الكوفة وما يفعلوا من خير فلن يكفروه جميعا ردا على صفة القوم الذين وصفهم جل ثناؤه بانهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقرأته عامة قراء المدينة والحجاز وبعض قراء الكوفة بالتاء في الحرفين جميعا وما تفعلوا من خير فلن تكفروه بمعنى وما تفعلوا أنتم أيها المؤمنون من خير فلن يكفركموه ربكم وكان بعض قراء البصرة يرى القراءتين في ذلك جائزا بالياء والتاء في الحرفين والصواب من القراءة في ذلك عندنا وما يفعلوا من خير فلن يكفروه بالياء في الحرفين كليهما يعني بذلك الخبر عن الامة القائمة التالية آيات الله وانما اخترنا ذلك لان ما قبل هذه الآية من الآيات خبر عنهم فالحاق هذه الآية اذ كان لا دلالة فيها تدل على الانصراف عن صفتهم بمعاني الآيات قبلها أولى من صرفها عن معاني ما قبلها وبالذي اخترنا من القراءة كان ابن عباس يقرأ

حدثني أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا حجاج عن هرون عن أبي عمرو بن العلاء قال بلغني عن ابن عباس أنه كان يقرؤهما جميعا بالياء فتأويل الآية اذا على ما اخترنا من القراءة وما تفعل هذه الامة من خير وتعمل من عمل لله فيه رضا فلن يكفرهم الله ذلك يعني بذلك فلن يبطل الله ثواب عملهم ذلك ولا يدعهم بغير جزاء منه لهم عليه ولكنه يجزل لهم الثواب عليه ويسني لهم الكرامة والجزاء وقد دللنا على معنى الكفر فيما مضى قبل بشواهده وأن أصله تغطية الشيء فكذلك ذلك في قوله فلن يكفروه فلن يغطى على ما فعلوا من خير فيتركوا بغير مجازاة ولكنهم يشكرون على ما فعلوا

فلا يلزم منه مدح والثانى أيضا محال على قولكم لان كلا بارادة الله وبتكوينه عندكم فثبت أنه لا يمكن حمل الآية على وجه صحيح فى مذهبكم أجاب أهل السنة من وجهين الاول أنه لا يتوقف (٣٨) التمدح بنفى صفة على امكان تصور ذلك الشئ منه بدليل قوله لا تأخذه سنة ولا نوم وهو يطعم ولا يطعم ولا يتوقف التمدح بذلك على صحة النوم والأكل عليه الثانى أنه تعالى ان عذب من ليس بمستحق للظلم لم يكن ظالما لكنه فى صورة الظلم وقد يطلق اسم أحد المتشابهين على الآخر كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها والحق فى هذا المقام أن الظلم وضع الشئ فى غير موضعه واذا كان اللطف والقهر من ضرورات صفات الكمال فوضع كل منهما فى مظهره يكون وضع الشئ فى موضعه فلا يكون ظلما واحتجت الاشاعرة بقوله ولله ما فى السموات وما فى الارض على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى لانها من جملة ما فى السموات وما فى الارض أجابت المعتزلة بان قوله لله اضافة ملك لا اضافة فعل كما يقال هذا البناء لفلان يراد أنه مملوكه لا أنه مفعوله وأيضا الآية مسوقة فى معرض المدح ولا مدح فى نسبة الفواحش والقبائح الى نفسه وأيضا قوله ما فى السموات وما فى الارض يتناول ما كان مظروفا لهما وذلك من صفات الاجسام لا من صفات الافعال التى هى أعراض وعورض بان الاضافة اضافة فعل لان المؤثر فى حصول فعل العبد هو مجموع القدرة والداعية المنتهية الى تخليق الله دفعا للتسلسل أو الترجيح من غير مرجح قالت الحكماء تقديم السموات فى الذكر على الارض دليل على ان جميع الاحوال الارضية مستندة الى الاسباب السموية ولا شك أن الاحوال السموية مستندة الى خلقه وتكوينه تعالى فيكون الجبر أيضا لازما من هذا الوجه (والى الله) أى الى حيث لا مالك سواه (ترجع الامور) فالاول اشارة الى أنه تعالى عن مبدأ المخلوقات كلها وهذا اشارة الى أن معاد الكل اليه قوله عز من قائل (كنتم خير أمة) فى النظم وجهان أحدهما انه لما أمر المؤمنين بما أمر

من ذلك فيجزل لهم الثواب فيه وبنحو ما قلنا فى ذلك من التأويل تأول من تأول ذلك من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما تفعلوا من خير فلن تكفروه يقول لن يضل عنكم حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بمثله وأما قوله والله عليم بالمتقين فانه يقول تعالى ذكره والله ذو علم عن اتقاه بطاعته واجتناب معاصيه وحافظ أعمالهم الصالحة حتى يثيبهم عليها ويجازيهم بها تبشيرا منه لهم جل ذكره فى عاجل الدنيا وحضا لهم على التمسك بالذى هم عليه من صالح الاخلاق التى ارتضاها لهم ۞ القول فى تأويل قوله (ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وهذا وعيد من الله عز وجل للامة الاخرى الفاسقة من أهل الكتاب الذين أخبر عنهم بانهم فاسقون وأنهم قد باؤا بغضب منه ولمن كان من نظرائهم من أهل الكفر بالله ورسوله وما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله يقول تعالى ذكره ان الذين كفروا يعنى الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوا به وبما جاءهم به من عند الله لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ يعنى لن تدفع أمواله التى جمعها فى الدنيا وأولاده الذين رباهم فيها شيأ من عقوبة الله يوم القيامة ان أخرها لهم الى يوم القيامة ولا فى الدنيا ان عجلها لهم فيها وانما خص أولاده وأمواله لان أولاد الرجل أقرب أنسبائه اليه وهو على ماله أقرب منه على مال غيره وأمره فيه أجوز من أمره فى مال غيره فاذا لم يغن عنه ولده لصلبه وماله الذى هو نافذ الامر فيه فغير ذلك من أقربائه وسائر أنسبائه وأموالهم أبعد من أن تغنى عنه من الله شيأ ثم أخبر جل ثناؤه أنهم هم أهل النار الذين هم أهلها بقوله وأولئك أصحاب النار وانما جعلهم أصحابها لانهم أهلها الذين لا يخرجون منها ولا يفارقونها كصاحب الرجل الذى لا يفارقه وقرينه الذى لا يزايله ثم وكد ذلك باخباره عنهم أنهم فيها خالدون صحبتهم اياها صحبة لا انقطاع لها اذا كان من الاشياء ما يفارق صاحبه فى بعض الاحوال ويزايله فى بعض الاوقات وليس كذلك صحبة الذين كفروا النار التى أصلوها ولكنها صحبة دائمة لا نهاية لها ولا انقطاع نعوذ بالله منها ومما قرب منها من قول وعمل ۞ القول فى تأويل قوله (مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته) يعنى بذلك جل ثناؤه شبه ما ينفق الذين كفروا أى شبه ما يتصدق به الكافر من ماله فيعطيه من يعطيه على وجه القربة الى ربه وهو لوحدانية الله جاحد ولمحمد صلى الله عليه وسلم مكذب فى ان ذلك غير نافعه مع كفره وأنه مضمحل عند حاجته اليه ذاهب بعد الذى كان يرجو من عائدة نفعه عليه كشبه ريح فيها برد شديد أصابت هذه الريح التى فيها البرد الشديد حرث قوم يعنى زرع قوم قد أملوا ادراكه ورجوا ريعه وعائدة نفعه ظلموا أنفسهم يعنى أصحاب الزرع عصوا الله وتعدوا حدوده فأهلكته يعنى فأهلكت الريح التى فيها الصر زرعهم ذلك بعد الذى كانوا عليه من الامل ورجاء عائدة نفعه عليهم يقول تعالى ذكره فكذلك فعل الله بنفقة الكافر وصدقته فى حياته حين يلقاه يبطل ثوابها ويخيب رجاءه منها وخرج المثل للنفقة والمراد بالمثل صنيع الله بالنفقة فبين ذلك قوله كمثل ريح فيها صر فهو كما قد بينا فى مثله من قوله مثلهم كمثل الذى استوقد نارا وما أشبه ذلك فتأويل الكلام مثل ابطال الله أجر ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر وانما جاز ترك ذكر ابطال الله أجر ذلك لدلالة آخر الكلام عليه وهو قوله كمثل ريح فيها صر ولمعرفة السامع ذلك معناه واختلف أهل التأويل فى معنى النفقة التى ذكرها فى هذه الآية فقال بعضهم هى النفقة المعروفة فى الناس ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم

عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا قال نفقة الكافر في الدنيا* وقال آخرون بل ذلك قوله الذي يقوله بلسانه مما لا يصدقه بقلبه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثني أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته يقول مثل ما يقول فلا يقبل منه كمثل هذا الزرع اذا زرعه القوم الظالمون فأصابه ريح فيها صر أصابته فأهلكته فكذلك أنفقوا فأهلكهم شركهم وقد بينا أولى ذلك بالصواب قبل وقد تقدم بياننا تأويل الحياة الدنيا بما فيه الكفاية من اعادته في هذا الموضع وأما الصر فانه شدة البرد وذلك بعصوف من الشمال في اعصار الطل والانداء في صبيحة معتمة بعقب ليلة مصحية كما حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد بن زريع عن عثمان بن غياث قال سمعت عكرمة يقول ريح فيها صر قال برد شديد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس ريح فيها صر قال برد شديد وزمهرير حدثنا علي بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ريح فيها صر يقول برد حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن هرون بن عنترة عن أبيه عن ابن عباس الصر البرد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله كمثل ريح فيها صر أي برد شديد حدثت عن عمار عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في الصر البرد الشديد حدثنا محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثنا عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس كمثل ريح فيها صر يقول ريح فيها برد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ريح فيها صر قال صر باردة أهلكت حرثهم قال والعرب تدعوها الضريب تأتي الريح باردة فتصبح ضريبا قد أحرق الزرع تقول قد ضرب الليلة أصابه ضريب تلك الصر التي أصابته حدثني يحيى ابن أبي طالب قال ثنا يزيد قال ثنا جويبر عن الضحاك ريح فيها صر قال ريح فيها برد ﴿ القول في تأويل قوله (وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون) يعني بذلك جل ثناؤه وما فعل الله بهؤلاء الكفار ما فعل بهم من احباطه ثواب أعمالهم وابطاله أجورها ظلما منه لهم يعني وضعا منه لما فعل بهم من ذلك في غير موضعه وعند غير أهله بل وضع فعله ذلك في موضعه وفعل بهم ما هم أهله لأن عملهم الذي عملوه لم يكن لله وهم له بالوحدانية دائنون ولأمره متبعون ولرسله مصدقون بل كان ذلك منهم وهم به مشركون ولأمره مخالفون ولرسله مكذبون بعد تقدم منه اليهم أنه لا يقبل عملا من عامل الا مع اخلاص التوحيد له والاقرار بنبوة أنبيائه وتصديق ما جاؤهم به وتوكيده الحجج بذلك عليهم فلم يكن بفعله ما فعل بمن كفر به وخالف أمره في ذلك بعد الاعتذار اليه من احباط وافر عمله له ظالما بل الكافر هو الظالم نفسه لاكسابها من معصية الله وخلاف أمره ما أوردها به نار جهنم وأصلاها به سعير سقر ﴿ القول في تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم) يعني بذلك تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاءهم به نبيهم من عند ربهم لا تتخذوا بطانة من دونكم يقول لا تتخذوا أولياء وأصدقاء لأنفسكم من دونكم يقول من دون أهل دينكم وملتكم يعني من غير المؤمنين وانما جعل البطانة مثلا لخليل الرجل فشبهه بما ولي بطنه من ثيابه لحلوله منه في اطلاعه على أسراره وما يطويه عن أباعده وكثير من أقاربه محل ما ولي جسده من ثيابه فنهى الله المؤمنين به أن يتخذوا من الكفار به

ونهاهم عما نهى عدل الى طريق آخر يقتضي حملهم على الانقياد والطاعة لان كونهم خير الامم مما يقوي داعيتهم في أن لا يبطلوا على أنفسهم هذه المزية وذلك انما يكون بالتزام التكاليف الشرعية وثانيهما انه لما ذكر حال (٣٩) الاشقياء وحال السعداء نبه أولا على ما هو السبب لوعيد الاشقياء بقوله وما الله يريد ظلما للعالمين يعني انهم استحقوا ذلك بافعالهم القبيحة ثم نبه على سبب وعد السعداء بقوله كنتم خير أمة أي تلك الكرامات والسعادات انما فازوا بها في الآخرة لانهم كانوا في الدنيا خير أمة وأقول لما انجر الكلام في مخاطبة المؤمنين الى بيان أن كل ما في الوجود ملكه وملكه ابداعا واختراعا وأن منتهى الكل اليه أتبع ذلك مزية هذه الامة ليعلم انها بسابقة العناية الازلية اذ جعلهم مظهر الالطاف وذكر بعدها رذيلة أهل الكتاب ليعرف انها لوقوعهم في طريق القهر ولا اعتراض لاحد على ما يفعله المالك في ملكه عن عكرمة ومقاتل أن مالك بن الصيف ووهب بن يهوديا اليهوديين قالا لابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة ان ديننا خير مما تدعوننا اليه ونحن خير وأفضل منكم فانزل الله هذه الآية قال بعض المفسرين كان ههنا تامة وانتصاب خير أمة على الحال أي حدثتم ووجدتم خير أمة والاكثرون على أنها ناقصة فجاء ايهام أنهم كانوا موصوفين بالخيرية في الزمان الماضي دون ما يستقبل فاجيب بان كان لا تدل على عدم سابق ولا انقطاع طارئ بدليل قوله وكان الله غفورا رحيما وقيل المراد كنتم في علم الله أو في اللوح المحفوظ خير أمة أو كنتم في الامم قبلكم مذكورين بانكم خير أمة كقوله ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل وقال أبو مسلم هذا تابع لقوله فاما الذين ابيضت وجوههم وما بينهما اعتراض والتقدير أنه يقال لهم عند الخلود في الجنة كنتم في دنياكم خير أمة فلهذا نلتم من الرحمة وبياض الوجه ما نلتم وقال بعضهم لو شاء الله لقال أنتم فكان

أخلاء وأصفياء ثم عرفهم ما هم عليه لهم منطوون من الغش والخيانة وبغيهم اياهم الغوائل فحذرهم بذلك منهم عن مخالتهم فقال تعالى ذكره لا يألونكم خبالا يعنى لا يستطيعونكم شرا من ألوت آلو ألوا يقال ما ألا فلان كذا أى ما استطاع كما قال الشاعر

جهراء لا تألو اذا هى أظهرت * بصرا ولا من عيلة تغنينى

يعنى لا تستطيع عند الظهر ابصارا وانما يعنى جل ذكره بقوله لا يألونكم خبالا البطانة التى نهى المؤمنين عن اتخاذها من دونهم فقال ان هذه البطانة لا تترككم طاقتها خبالا أى لا تدع جهدها فيما أورثكم الخبال وأصل الخبل والخبال الفساد ثم يستعمل فى معان كثيرة يدل على ذلك الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم من أصيب بخبل أو جراح وأما قوله ودوا ما عنتم فانه يعنى ودوا عنتكم يقول يتمنون لكم العنت والشر فى دينكم وما يسوءكم ولا يسركم وذكر أن هذه الآية نزلت فى قوم من المسلمين كانوا يخالطون حلفاءهم من اليهود وأهل النفاق منهم ويصافونهم المودة بالاسباب التى كانت بينهم فى جاهليتهم قبل الاسلام فنهاهم الله عن ذلك وأن يستنصحوهم فى شئ من أمورهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال قال محمد بن أبى محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رجال من المسلمين يواصلون رجالا من اليهود لما كان بينهم من الجوار والحلف فى الجاهلية فانزل الله عز وجل فيهم فنهاهم عن مباطنتهم تخوف الفتنة عليهم منهم يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم الى قوله وتؤمنون بالكتاب كله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا فى المنافقين من اهل المدينة نهى الله عز وجل المؤمنين أن يتولوهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم نهى الله عز وجل المؤمنين أن يستدخلوا المنافقين أو يؤاخوهم أى يتولوهم من دون المؤمنين حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله لا تتخذوا بطانة من دونكم هم المنافقون حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا يقول لا تستدخلوا المنافقين تتولوهم دون المؤمنين حدثنا أبو كريب ويعقوب بن ابراهيم قالا ثنا هشيم قال أخبرنا العوام بن حوشب عن الازهر بن راشد عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تستضيؤا بنار أهل الشرك ولا تنقشوا فى خواتيمكم عربيا قال فلم ندر ما ذلك حتى أتوا الحسن فسألوه فقال نعم أما قوله لا تنقشوا فى خواتيمكم عربيا فانه يقول لا تنقشوا فى خواتيمكم محمد وأما قوله ولا تستضيؤا بنار أهل الشرك فانه يعنى به المشركين يقول لا تستشيروهم فى شئ من أموركم قال قال الحسن وتصديق ذلك فى كتاب الله ثم تلا هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم أما البطانة فهم المنافقون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم الآية قال لا يستدخل المؤمن المنافق دون أخيه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم الآية قال هؤلاء المنافقون وقرأ قوله قد بدت البغضاء من أفواههم الآية واختلفوا فى تأويل قوله

هذا التشريف حاصلا لكلنا ولكنه مخصوص بقوم معينين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم السابقون الاولون ومن صنع مثل صنيعهم وقيل انها زائدة والمعنى أنتم (٤٠) خير أمة وزيفه ابن الانبارى بان الزائدة لا تقع فى أول الكلام ولا تعمل كقول العرب عبد الله كان قائم وعبد الله قائم كان ولا يقولون كان عبد الله قائم على ان كان زائدة لان البداءة بها دليل شدة العناية والملغى لا يكون فى محل العناية وقيل انها بمعنى صار أى صرتم خير أمة وأصل الامة الطائفة المجتمعة على الشئ الواحد وأمة محمد صلى الله عليه وسلم هى الطائفة الموصوفة بالايمان به والاقرار بنبوته واذا أطلقت الامة فى نحو قول العلماء اجتمعت الامة وقعت عليهم وقد يقال لكل من جمعتهم دعوته انهم أمة الدعوة ولا يطلق عليهم لفظ الامة الا بهذا القيد قال الزجاج ظاهر الخطاب فى كنتم مع أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ولكنه عام فى حق كل الامة ونظيره كتب عليكم القصاص كتب عليكم الصيام وقوله للناس اما أن يتعلق بأخرجت والمعنى كنتم خير الامم المخرجة للناس فى جميع الاعصار ومعنى اخراجها انها أظهرت للناس حتى تميزت وعرفت وفصل بينها و بين غيرها واما أن يتعلق بكنتم أى كنتم للناس خير أمة ثم بين سبب الخيرية على سبيل الاستئناف بقوله تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم وقد يستدل بالآية على ان اجماع هذه الامة حجة لانها لو لم تحكم بالحق لم تكن خيرا من المبطل ولان اللام فى المعروف وفى المنكر للاستغراق فيقتضى كونهم آمرين بكل معروف وناهين عن كل منكر فيكون اجماعهم حقا وأما انه من أى وجه يقتضى ذلك كون هذه الامة خير الامم مع ان الصفات الثلاثة كانت حاصلة لسائر الامم فذلك أن الامر بالمعروف قد يكون بالقلب وباللسان و باليد وأقواها ما يكون

فودّوا ما عنتم فقال بعضهم معناه ودّوا ما ضللتم عن دينكم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي ودّوا ما عنتم يقول ما ضللتم * وقال آخرون معنى ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ودّوا ما عنتم يقول في دينكم يعني أنهم يودون أن تعنتوا في دينكم * فان قال لنا قائل وكيف قيل ودّوا ما عنتم فجاء بالخبر عن البطانة بلفظ الماضي في محل الحال والقطع بعد تمام الخبر والحالات لا تكون الا بصور الاسماء والافعال المستقبلة دون الماضية منها قيل ليس الامر في ذلك على ما ظننت من أن قوله ودّوا ما عنتم حال من البطانة وانما هو خبر عنهم ثان منقطع عن الاول غير متصل به وانما تأويل الكلام يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة صفتهم كذا صفتهم كذا فالخبر عن الصفة الثانية غير متصل بالصفة الاولى وان كانتا جميعا من صفة شخص واحد وقد زعم بعض أهل العربية أن قوله ودّوا ما عنتم من صلة البطانة وقد وصلت بقوله لا يألونكم خبالا فلا وجه لصلة أخرى بعد تمام البطانة بصلته ولكن القول في ذلك كما بينا قبل من أن قوله ودّوا ما عنتم خبر مبتدأ عن البطانة غير الخبر الاول وغير حال من البطانة ولا قطع منها ﴿ القول في تأويل قوله (قد بدت البغضاء من أفواههم) يعني بذلك جل ثناؤه قد بدت بغضاء هؤلاء الذين نهيتكم أيها المؤمنون أن تتخذوهم بطانة من دونكم لكم بأفواههم يعني بألسنتهم والذي بدا لهم منهم بألسنتهم اقامتهم على كفرهم وعداوتهم من خالف ما هم عليه مقيمون من الضلالة فذلك من أوكد الاسباب في معاداتهم أهل الايمان لأن ذلك عداوة على الدين والعداوة على الدين العداوة التي لا زوال لها الا بانتقال أحد المتعاديين الى ملة الآخر منهما وذلك انتقال من هدى الى ضلالة كانت عند المنتقل اليها ضلالة قبل ذلك فكان في ابدائهم ذلك للمؤمنين ومقامهم عليه أبين الدلالة لاهل الايمان على ما هم عليه لهم من البغضاء والعداوة * وقد قال بعضهم معنى قوله قد بدت البغضاء من أفواههم قد بدت بغضاؤهم لاهل الايمان الى أوليائهم من المنافقين وأهل الكفر باطلاع بعضهم بعضا على ذلك وزعم قائلو هذه المقالة أن الذين عنوا بهذه الآية أهل النفاق دون من كان مصرحا بالكفر من اليهود وأهل الشرك ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قد بدت البغضاء من أفواههم يقول قد بدت البغضاء من أفواه المنافقين الى اخوانهم من الكفار من غشهم للاسلام وأهله وبغضهم اياهم حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قد بدت البغضاء من أفواههم يقول من أفواه المنافقين وهذا القول الذي ذكرناه عن قتادة قول لا معنى له وذلك ان الله تعالى ذكره انما نهى المؤمنين أن يتخذوا بطانة ممن قد عرفوه بالغش للاسلام وأهله والبغضاء اما بادلة ظاهرة دالة على أن ذلك من صفتهم واما باظهار الموصوفين بذلك العداوة والشنآن والمناصبة لهم فأما من لم يثبتوه معرفة أنه الذي نهاهم الله عز وجل عن مخالته ومباطنته فغير جائز أن يكونوا نهوا عن مخالته ومصادقته الا بعد تعريفهم اياهم اما باعيانهم وأسمائهم واما بصفات قد عرفوهم بها واذ كان ذلك كذلك وكان ابداء المنافقين بألسنتهم ما في قلوبهم من بغضاء المؤمنين الى اخوانهم من الكفار غير مدرك به المؤمنون معرفة ما هم عليه لهم مع اظهارهم الايمان بألسنتهم لهم والتودد اليهم كان بينا أن الذي نهى الله المؤمنين عن اتخاذهم لانفسهم بطانة دونهم هم الذين قد ظهرت لهم بغضاؤهم بألسنتهم على ما وصفهم الله عز وجل به فعرفهم المؤمنون بالصفة التي نعتهم الله بها وأنهم هم الذين وصفهم تعالى ذكره بأنهم أصحاب النار هم فيها خالدون ممن كان له ذمة وعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من أهل الكتاب لأنهم لو كانوا المنافقين

بالقتال لانه القاء النفس في خطر القتل وأعرف المعروفات الدين الحق والايمان بالتوحيد والنبوة وأنكر المنكرات الكفر بالله فكان الجهاد في الدين تحملا لأعظم المضار لغرض ايصال الغير الى أعظم المنافع وتخليصه (٤١) من أعظم المضار فكان من أعظم العبادات ولما كان أمر الجهاد في شرعنا أقوى منه في سائر الشرائع كما قال النبي صلى الله عليه وسلم أنا نبي السيف أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فلا جرم صار ذلك موجبا لفضل هذه الامة على سائر الامم وهذا معنى ما روي عن ابن عباس في تفسير قوله كنتم خير أمة تأمرونهم أن يشهدوا أن لا اله الا الله ويقروا بما أنزل الله وتقاتلونهم عليه ولا اله الا الله أعظم المعروف والتكذيب أنكر المنكر وفائدة القتل على الدين لا ينكره منصف فان أكثر الناس يحبون ما ألفوه من الاديان الباطلة ولا يتأملون في الدلائل التي تورد عليهم فاذا خوف بالقتل دخل في دين الحق مكرها الى أن يألفه ويتدرج وأما الايمان بالله فلا شك أنه في هذه الامة أكمل لانهم آمنوا بكل ما يجب الايمان به من رسول أو كتاب أو بعث أو حساب أو ثواب أو عقاب الى غير ذلك ولا يقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض وانما اقتصر في وصف الامة على الايمان بالله لانه يستلزم الايمان بالنبوة وبسائر ما عددنا والا لم يكن في الحقيقة ايمانا ولهذا نفى عن أهل الكتاب في قوله ولو آمن أهل الكتاب وانما قدم الامر بالمعروف على الايمان بالله في الذكر مع ان الايمان مقدم على كل الطاعات لان الآية سيقت لبيان فضل الامر بالمعروف وتأكد القيام به ولهذا كرر بعد قوله ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف فكانت العناية به أشد فكان تقديمه أهم وليعلم أن التكميل أفضل من الكمال نفسه ولهذا استلزم الاول الثاني دون العكس ولان التكميل يتضمن الكمال فكان في تأخير الايمان بالله تكرير اله مرة

لكان الامر فيهم على ماقد بينا ولو كانوا الكفار ممن قد ناصب المؤمنين الحرب لم يكن المؤمنون متخذيهم لانفسهم بطانة من دون المؤمنين مع اختلاف بلادهم وافتراق أمصارهم ولكنهم الذين كانوا بين أظهر المؤمنين من أهل الكتاب أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن كان له من رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وعقد من يهود بني اسرائيل والبغضاء مصدر وقد ذكر أنها في قراءة عبد الله ابن مسعود قد بدا البغضاء من أفواههم على وجه التذكير وانما جاز ذلك بالتذكير ولفظه لفظ المؤنث لان المصادر تأنيثها ليس بالتأنيث اللازم فيجوز تذكير ماخرج منها على لفظ المؤنث وتأنيثه كما قال عز وجل وأخذ الذين ظلموا الصيحة وكما قال فقد جاءكم بينة من ربكم وفي موضع آخر وأخذت الذين ظلموا الصيحة وجاءتكم بينة من ربكم وقال من أفواههم وانما بدا ما بدا من البغضاء بألسنتهم لان المعنى به الكلام الذي ظهر للمؤمنين منهم من أفواههم فقال قد بدت البغضاء من أفواههم بألسنتهم ﴿القول في تأويل قوله (وما تخفي صدورهم أكبر) يعني تعالى ذكره بذلك والذي تخفي صدورهم يعني صدور هؤلاء الذين نهاهم عن اتخاذهم بطانة فتخفيه عنكم أيها المؤمنون أكبر يقول أكبر مما قد بدا لكم بألسنتهم من أفواههم من البغضاء وأعظم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما تخفي صدورهم أكبر يقول وما تخفي صدورهم أكبر مما قد أبدوا بألسنتهم حدثت عن عمار عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله وما تخفي صدورهم أكبر يقول ما تكن صدورهم أكبر مما قد أبدوا بألسنتهم ﴿القول في تأويل قوله (قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون) يعني بذلك جل ثناؤه قد بينا لكم أيها المؤمنون الآيات يعني بالآيات العبر قد بينا لكم من أمر هؤلاء اليهود الذين نهيناكم أن تتخذوهم بطانة من دون المؤمنين ما تعتبرون وتتعظون به من أمرهم ان كنتم تعقلون يعني ان كنتم تعقلون عن الله مواعظه وأمره ونهيه وتعرفون مواقع نفع ذلك منكم ومبلغ عائدته عليكم ﴿القول في تأويل قوله (ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله) يعني بذلك جل ثناؤه ها أنتم أيها المؤمنون الذين تحبونهم يقول تحبون هؤلاء الكفار الذين نهيتكم عن اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين فتودونهم وتواصلونهم وهم لا يحبونكم(١) بل ينتظرون لكم العداوة والغش وتؤمنون بالكتاب كله ومعنى الكتاب في هذا الموضع معنى الجمع كما يقال كثر الدرهم في أيدي الناس بمعنى الدراهم فكذلك قوله وتؤمنون بالكتاب كله انما معناه بالكتب كلها كتابكم الذي أنزل الله اليكم وكتابهم الذي أنزله اليهم وغير ذلك من الكتب التي أنزلها الله على عباده يقول تعالى ذكره فأنتم اذ كنتم أيها المؤمنون تؤمنون بالكتب كلها وتعلمون أن الذين نهيتكم عن أن تتخذوهم بطانة من دونكم كفار بذلك كله بجحودهم ذلك كله من عهود الله اليهم وتبديلهم ما فيه من أمر الله ونهيه أولى بعداوتكم اياهم وبغضائهم وغشهم منهم بعداوتكم وبغضائكم مع جحودهم بعض الكتب وتكذيبهم بعضها كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس تؤمنون بالكتاب كله أي بكتابكم وكتابهم وبما مضى من الكتب قبل ذلك وهم يكفرون بكتابكم فأنتم أحق بالبغضاء لهم منهم لكم وقال ها أنتم أولاء ولم يقل هؤلاء أنتم ففرق بين ها وأولاء بكناية اسم المخاطبين لان العرب كذلك تفعل في هذا اذا أرادت به التقريب ومذهب النقصان الذي يحتاج الى تمام الخبر وذلك مثل أن يقال لبعضهم أين أنت فيجيب المقول ذلك له ها أناذا فيفرق بين التنبيه وذا بكنى اسم نفسه ولا يكادون يقولون هذا أنا ثم يثني ويجمع على ذلك وربما أعادوا حرف التنبيه مع ذا فقالوا ها أنا هذا ولا

(١) لعله بل يظهرون أو يبطنون كتبه مصححه

بالتضمن وأخرى بالمطابقة على أن الواو لا تفيد الترتيب وأيضا أراد أن يبني عليه قوله ولو آمن وفي التفسير الكبير ان أصل الايمان مشترك فيه بين الاديان فلا تتبين فيه الخيرية لكن الآية سيقت لبيان الخيرية وليس ذلك الا لأن هذه الامة أقوى في باب الامر بالمعروف فلهذا قدم ثم أتبع ذكر الايمان بالله ليعلم أن شرط تأثير الامر بالمعروف في الخيرية حاصل ولا يخفى أن هذا الجواب مبني على ان الايمان لا يزيد ولا ينقص وعلى أن ايمان أهل الكتاب معتد به وليس كذلك ولهذا قال تعالى (ولو آمن أهل الكتاب) يعني ايمانا معتبرا وهو الايمان بالله وبسائر مالا بد منه من الامور المعدودة (لكان خيرا لهم) لحصلت لهم صفة الخيرية أيضا لانضمامهم في زمرة هذه الامة أو لحصل لهم من الرياسة وحظوظ الدنيا ما هو خير مما تركوا هذا الدين لاجله لان الحاصل على هذا التقدير عزة الاسلام مع الفوز بما وعدوا من ايتاء الأجر في الآخرة مرتين وعلى ما هم فيه ليس الا استتباع بعض الجهلة من العوام وشيء نزر من الرشا وبعد ذلك خلود في النار ثم فصل أهل الكتاب على سبيل الاستئناف فقال (منهم المؤمنون) كعبد الله بن سلام ورهطه وكالنجاشي وأصحابه فاللام للمعهود السابق (وأكثرهم الفاسقون) الخارجون عن طاعة الله تعالى وعن دينه فيقارب الكفر أو يرادفه أو المراد أنهم ليسوا بعدول في دينهم أيضا فهم مردودون باتفاق الطوائف كلهم فلا ينبغي أن يقتدى بهم البتة ثم أخبر عن حالهم وكان كما قال وهو آية الاعجاز بجملة مستأنفة هي (لن يضروكم الا أذى) الا ضررا الا يحاد وز أذى بقول كطعن في الدين أو تهديد أو تحريف نص أو القاء شبهة أو اظهار كلمة الكفر باشراكهم عزيرا والمسيح والاذى مصدر كالاسى يقال يفعلون اذاه يؤذيه أذى وأذاة وأذية والأذى نوع من الضر فصح انتصابه به والتقدير لن يضروكم شيأ من أنواع الضرر الا ضررا يسيرا ومن هذا

تبين أن الاستثناء ليس بمنقطع عـلى ما ظن (وان يقاتلوكم يولوكم الأدبار) منهزمـين (ثم لا ينصرون) وانما لم يجزم بالعطف على يولوكم لئلا يصير نفي النصر مقيدا بمقاتلتهم بل برفع ليكون نفي النصر وعدا مطلقا وتكون هذه الجملة معطوفة على جملة الشرط والجزاء كأنه قيل

يفعلون ذلك الا فيما كان تقريبا فأما اذا كان على غير التقريب والنقصان قالوا هذا هو وهذا أنت وكذلك يفعلون مع الاسماء الظاهرة يقولون هذا عمرو قائما وان كان هذا تقريبا وانما فعلوا ذلك في المكني مع التقريب تفرقة بين هذا اذا كان بمعنى الناقص الذي يحتاج الى تمام وبينه وبين ما اذا كان بمعنى الاسم الصحيح وقوله تحبونهم خبر للتقريب وفي هذه الآية ابانة من الله عز وجل عن حال الفريقين أعني المؤمنين والكافرين ورحمة أهل الايمان ورأفتهم بأهل الخلاف لهم وقساوة قلوب أهل الكفر وغلظتهم على أهل الايمان كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله فوالله ان المؤمن ليحب المنافق (١) ويأوي له ويرحمه ولو أن المنافق يقدر على ما يقدر عليه المؤمن منه لأباد خضراءه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال المؤمن خير للمنافق من المنافق للمؤمن يرحمه ولو يقدر المنافق من المؤمن على مثل ما يقدر المؤمن عليه منه لأباد خضراءه وكان مجاهد يقول نزلت هذه الآية في المنافقين حدثني بذلك محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ۞ القول في تأويل قوله (واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ) يعني بذلك تعالى ذكره ان هؤلاء الذين نهى الله المؤمنين أن يتخذوهم بطانة من دونهم ووصفهم بصفتهم اذا لقوا المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطوهم بألسنتهم تقية حذرا على أنفسهم منهم فقالوا لهم قد آمنا وصدقنا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم واذا هم خلوا فصاروا في خلاء حيث لا يراهم المؤمنون عضوا على ما يرون من ائتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم وصلاح ذات بينهم أناملهم وهي أطراف أصابعهم تغيظا مما بهم من الموجدة عليهم وأسا على ظهر يسندون اليه لمكاشفتهم العداوة ومناجزتهم المحاربة وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ اذا لقوا المؤمنين قالوا آمنا ليس بهم الا مخافة على دمائهم وأموالهم فصانعوهم بذلك واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ يقول مما يجدون في قلوبهم من الغيظ والكراهة لما هم عليه لو يجدون ريحا لكانوا على المؤمنين فهم كما نعت الله عز وجل حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بمثله الا أنه قال من الغيظ لكراهتهم الذي هم عليه ولم يقل لو يجدون ريحا وما بعده حدثنا عباس بن محمد قال ثنا مسلم قال ثني يحيى بن عمرو بن مالك النكري قال ثنا أبي قال كان أبو الجوزاء اذا تلا هذه الآية واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قال هم الاباضية والأنامل جمع أنملة ويقال أنملة وربما جمعت أنملا قال الشاعر

أودّكما ما بل حلقي ريقتي * وما حملت كفاي أنملي العشرا

وهي أطراف الاصابع كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الانامل أطراف الاصابع حدثت عن عمار عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بمثله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي واذا خلوا عضوا عليكم الأنامل الأصابع حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن اسرائيل عن أبي الأحوص عن عبد الله قوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ قال عضوا على أصابعهم ۞ القول في تأويل قوله عز وجل (قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور) يعني بذلك جل ثناؤه قل يا محمد لهؤلاء اليهود الذين وصفت لك صفتهم وأخبرتك أنهم اذا لقوا أصحابك قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ موتوا

(١) قوله ويأوي له أي يرق له من قولهم أوى له أوية اذا رق له ورحمه اهـ كتبه مصححه

أخبركم أنهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم أخبركم وأبشركم أن النصر والقوة منتفء عنهم رأسا فلن يستقيم لهم أمر البتة ومعنى ثم افادة التراخي في الرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم أينما كانوا أعظم من الاخبار بانهزامهم عند القتال فان قيل هب أن اليهود كذلك لكن النصارى قد يوجد لهم قوة وشوكة في ديارهم قلنا هذه الآيات مخصوصة باليهود وأسباب النزول تدل على ذلك فكان كما أخبر من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع وأهل خيبر أو لعل المراد نفي النصرة عنهم بعد القتال ولم يوجد نصراني بهذه الحالة وفي الآية تشجيع للمؤمنين وتثبيت لمن آمن من أهل الكتاب كيلا يلتفتوا الى تضليلاتهم وتحريفاتهم ۞ التأويل اتقوا الله حق تقاته لأهل العزائم وقوله فاتقوا الله ما استطعتم لاهل الرخص والمعنى اتقوا عن وجودكم بالله وبوجوده ولا تموتن الا وأنتم مسلمون لا ينتفي وجودكم المجازي الا وقد سلمتم لتصرفات الاحكام الالهية والجذبات الربانية واستفدتم الوجود الحقيقي وهو البقاء بالله واعتصموا أهل الاعتصام طائفتان أهل الصورة وهم المتعلقون بالاسباب لان مشربهم الاعمال فقيل لهم اعتصموا بحبل الله وهو كل سبب يتوصل به الى الله من أعمال البر وأهل المعنى وهم المنقطعون عن الاسباب اذ مشربهم الاحوال فقيل لهم واعتصموا بالله هو مولاكم مقصودكم أو ناصركم ولا تفرقوا في الظاهر وهو مفارقة الجماعة وفي الباطن وهو الميل الى البدع والاهواء وكنتم على شفا حفرة وهي عداوة بعضكم لبعض وعداوتكم لله ولأنفسكم فانقذكم منها بالهداية والايمان وتأليف القلوب كذلك

مثـل ما بين آياته للاوس والخزرج حتى صاروا اخوانا يبين لكم أيها الطلاب آياته وهى الجذبة الالهية وتجلى صفات الربوبية ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير بالافعال دون الاقوال (٤٤) وأولئك هم المفلحون بن وعيد من يامر بالمعروف ولا ياتيه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه لان الوجـوه تحشر بـلون القلوب كقوله يوم تبلى السرائر أى يجعـل ما فى الضمائر على الظواهر أكفرتم بعـد ايمانكم هـم أرباب الطلب السائرون الى الله انقطعوا فى بادية النفس واتبعوا غـول الهـوى وارتدوا على أعقابهـم القهقرى فذوقوا العـذاب لان الناس نيام لا يذوقـون ألم جراحات الانقطاع والاعـراض عـن الله فاذا ماتوا انتبهوا وذاقوا ففى رحمـة الله فى الدنيا بالجمعية والوفاق مع أهل الله هـم فيها خالدون فى الآخرة ولانه يموت على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليـه تلك الأحوال آيات الله مع خواصه نتلوها عليك بالحق نظهرها على قلبـك بالتحقيق وما الله يريد ظلما للعالمين بان يضع السواد والبياض فى غير موضعهما كنتم خير أمة أخرجت من العـدم الى الوجود مسـتعدة لقبول كمالية الانسان من جملة الخيرية تخفيف التكليف وضمـان التضعيف ومنها عاقب مطيعهم بشؤم عصيانهم وغفر لعصاة هذه الامة ببركة مطيعهم ومنها زلاتهم لعنـة وزلاتنا رحمة ومنها شكا منهـم الينا وشكرمنا اليهم قبـل وجودنا ولو آمن أهـل الكتاب يعـنى علماء السوء لن يضروكم أيها المحققون الا أذى من طـريق الانكار والحسـد وان يقاتلوكم ينازعوكم ويخاصموكم يولوكم الأدبار من صـدق نياتكم لا ينصرون لانكم أهل الحق وحزب الله وان حزب الله هـم الغالبون

بغيظكم الذى بكم على المؤمنـين لاجتماع كلمتهم وأتلاف جماعتهم وخرج هذا الكلام مخرج الامر وهو دعاء من الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بان يدعو عليهم بان يهلكهم الله كمدا مما بهم من الغيظ على المؤمنين قبل أن يروا فيهم ما يتمنون لهم من العنت فى دينهم والضلالة بعد هداهم فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل يا محمدا هلكوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور يعنى بذلك ان الله ذو علم بالذى فى صدور هؤلاء الذين اذا لقوا المؤمنين قالوا آمنا وما ينطوون لهم عليـه من الغل والغم ويعتقدون لهم من العـداوة والبغضاء وبما فى صدور جميع خلقه حافظ على جميعهم ما هو عليه منطوٍ من خير وشر حتى يجازى جميعهم على ما قدم من خير وشر واعتقد من ايمان وكفر وانطوى عليه لرسوله وللمؤمنين من نصيحة أو غـل وغمر ﴿ القول فى تأويل قوله (ان تمسسكم حسـنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بهـا وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيأ ان الله بما يعملون محيط) يعنى بقوله تعالى ذكره ان تمسسكم حسـنة تسؤهم ان تنالوا أيهـا المؤمنون سرورا بظهوركم على عـدوّكم وتتابع النـاس فى الدخول فى دينكم وتصديق نبيكم ومعاونتكم على أعدائكم يسؤهم وان تنلكم مساءة باخفاق سرية لكم أو باصابة عدوّ لكم منكم أو اختلاف يكون بين جماعتكم يفرحوا بها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها فاذا رأوا من أهل الاسلام ألفة وجماعة وظهورا على عدوّهم غاظهم ذلك وساءهم واذا رأوا من أهـل الاسلام فرقة واختـلافا أو أصيب طرف من أطراف المسلمين سرهم ذلك وأعجبوا به وابتهجوا به فهم كلمـا خرج منهم قرن أكذب الله أحـدوثته وأوطأ محلته وأبطل حجتـه وأظهر عورته فذلك قضاء الله فيمن مضى منهم وفيمن بقى الى يوم القيامة حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها قال هم المنافقون اذا رأوا من أهل الاسلام جماعة وظهورا على عدوّهم غاظهم ذلك غيظا شديدا وساءهم واذا رأوا من اهل الاسلام فرقة واختلافا أو أصيب طرف من أطراف المسلمين سرهم ذلك وأعجبوا به قال الله عز وجـل وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شـيأ ان الله بما يعملون محيط حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ان تمسسكم حسنة تسؤهم قال اذا رأوا من المؤمنين جماعة وألفة ساءهم ذلك واذا رأوا منهم فرقة واختلافا فرحوا وأما قوله وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيأ فانه يعنى بذلك جل ثناؤه وان تصبروا أيها المؤمنون على طاعة الله واتباع أمره فيما أمركم به واجتناب ما نهاكم عنـه من اتخاذ بطانة لأنفسكم من هؤلاء اليهود الذين وصـف الله صفتهم من دون المؤمنين وغـير ذلك من سائر مانهاكم وتتقوا ربكم فتخافوا التقـدم بين يديه فيما ألزمكم وأوجب عليكم من حقـه وحق رسوله لا يضركم كيدهـم شـيأ أى كيد هؤلاء الذين وصف صفتهم ويعنى بكيدهم غوائلهم التى يبتغونهـا للمسلمين ومكرهم بهـم ليصدوهم عن الهدى وسبيل الحق واختلف القراء فى قراءة قوله لا يضركم فقرأ ذلك جماعة من أهـل الحجاز وبعض البصريين لا يضركم مخفـفة بكسر الضاد من قول القائل ضارنى فلان فهو يضـيرنى ضيرا وقد حكى سماعا من العرب ما ينفعنى ولا يضورنى فلو كانت قرئت على هـذه اللغة لقيـل لا يضركم كيدهم شيأ ولكنى لا أعلـم أحدا قرأ به وقرأ ذلك جماعة من أهل المدينة وعامة قراء أهل الكوفة لا يضركم كيدهم شيأ بضم الضاد وتشديد الراء من قول القائل ضرنى فلان فهو يضرنى ضرا وأما الرفع فى قوله لا يضركم فمن وجهين أحدهما على اتباع الراء فى حركتها اذ كان الاصل فيها الجزم ولم يمكن جزمها التشديدها

﴿ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتـلون الانبياء بغـير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله
أقربا

أقرب حركات الحروف التى قبلها وذلك حركة الضاد وهى الضمة فالحقت بها حركة الراء لقربها منها كما قالوا مدّ يا هذا والوجه الآخر من وجهى الرفع فى ذلك أن تكون مرفوعة على صحة وتكون لا بمعنى ليس وتكون الفاء التى هى جواب الجزاء متروكة لعلم السامع بموضعها واذا كان ذلك معناه كان تأويل الكلام وان تصبروا وتتقوا فليس يضركم كيدهم شيأ ثم تركت الفاء من قوله لا يضركم كيدهم ووجهت لا الى معنى ليس كما قال الشاعر

فان كان لا يرضيك حتى تردنى * الى قطرى لا اخالك راضيا

ولو كانت الراء محركة الى النصب والخفض كان جائزا كما قيل مدّ يا هذا ومدّ وقوله ان الله بما يعملون محيط يقول جل ثناؤه ان الله بما يعمل هؤلاء الكفار فى عباده وبلاده من الفساد والصدّ عن سبيله والعداوة لأهل دينه وغير ذلك من معاصى الله محيط بجميعه حافظله لا يعزب عنه شئ منه حتى يوفيهم جزاءهم على ذلك كله ويذيقهم عقوبته عليه ❁ القول فى تأويل قوله (واذ غدوت من أهلك تبوّئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم) يعنى جل ثناؤه بقوله واذ غدوت من أهلك تبوّئ المؤمنين وان تصبروا وتتقوا لا يضركم أيها المؤمنون كيد هؤلاء الكفار من اليهود شيأ ولكن الله ينصركم عليهم ان صبرتم على طاعتى واتباع أمر رسولى كما نصرتكم ببدر وأنتم أذلة وان أنتم خالفتم أيها المؤمنون أمرى ولم تصبروا على ما كلفتكم من فرائضى ولم تتقوا ما نهيتكم عنه وخالفتم أمرى وأمر رسولى فانه نازل بكم ما نزل بكم بأحد واذكر واذلك اليوم اذ غدا نبيكم يبوّئ المؤمنين فترك ذكر الخبر عن أمر القوم ان لم يصبروا على أمر ربهم ولم يتقوه اكتفاء بدلالة ما ظهر من الكلام على معناه اذ ذكر ما هو فاعل بهم من صرف كيد أعدائهم عنهم ان صبروا على أمره واتقوا محارمه وتعقيبه ذلك بتذكيرهم ما حل بهم من البلاء بأحد اذ خالف بعضهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنازعوا الرأى بينهم وأخرج الخطاب فى قوله واذ غدوت من أهلك على وجه الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بمعناه الذين نهاهم أن يتخذوا الكفار من اليهود بطانة من دون المؤمنين فقد بين اذاً أن قوله واذ انما جرها فى معنى الكلام على ما قد بينت وأوضحت وقد اختلف أهل التأويل فى اليوم الذى عنى الله عز وجل بقوله واذ غدوت من أهلك تبوّئ المؤمنين مقاعد للقتال فقال بعضهم عنى بذلك يوم أحد ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله واذ غدوت من أهلك تبوّئ المؤمنين مقاعد للقتال قال مشى النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ على رجليه يبوّئ المؤمنين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ غدوت من أهلك تبوّئ المؤمنين مقاعد للقتال ذلك يوم أحد غدا نبى الله صلى الله عليه وسلم من أهله الى أحد يبوّئ المؤمنين مقاعد للقتال حدثت عن عمار عن ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله واذ غدوت من أهلك تبوّئ المؤمنين مقاعد للقتال فغدا النبى صلى الله عليه وسلم من أهله الى أحد يبوّئ المؤمنين مقاعد للقتال حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله واذ غدوت من أهلك تبوّئ المؤمنين مقاعد للقتال فهو يوم أحد حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى واذ غدوت من أهلك تبوّئ المؤمنين قال هذا يوم أحد حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق مما نزل فى يوم أحد واذ غدوت من أهلك تبوّئ المؤمنين * وقال آخرون عنى بذلك يوم الأحزاب ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سنان القزاز قال ثنا أبو بكر الحنفى قال ثنا عباد عن الحسن فى

ا ناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين ان الذين كفروا لن تغنى (٤٥) عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودّوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيأ ان الله بما يعملون محيط) ❁ القراآت ويسارعون وبابه كسارعوا ونسارع بمالة قتيبة وأبو عمرو طريق ابن عبدوس ما يفعلوا فلن يكفروه بياء الغيبة حمزة وعلى وخلف وحفص أبو عمرو مخير الباقون بتاء الخطاب تسؤهم وبابه من كل همزة مجزومة بغير همزة الاعشى وأوقية والاصفهانى عن ورش وحمزة فى الوقف لا يضركم من الضير أبو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير ونافع وقرأ المفضل لا يضركم بالفتح الباقون لا يضركم بالضم كلاهما من الضر مجزوم ما ثم محرك لالتقاء الساكنين فالفتح للخفة والضم للاتباع تعملون محيط بتاء الخطاب سهل الباقون بياء الغيبة ❁ الوقوف المسكنة ط بغير حق ط يعتدون ه قيل لا وقف عليه لان ضمير ليسوا يعود الى ما يعود اليه ضمير منهم المؤمنون لبيان الفضل بين الفريقين والذين عصوا واعتدوا أحد الفريقين .. اء ط يسجدون ه قيل لا وقف على جعل يؤمنون حالا لضمير يسجدون ولا يصح بل الايمان والامر بالمعروف والنهى عن المنكر

أوصاف لهم مطلقة غير مختصة بحال السجود الخيرات ط الصالحين ○ يكفروه ط المتقين ○ شيأ ط النار ج خالدون ○ فأهلكته ط يظلمون ج خبالا ط ماعنتم ج (٤٦) لاحتمال كون قد بدت حالا أكبر ط تعقلون ○ كله ج للعطف مع الحذف أى وهم لا يؤمنون بكتابكم آمنا ق قد قيل والوصل أولى لان المقصود بيان تناقض حالهم فى النفاق من الغيظ ط بغيظكم ط الصدور ○ تسؤهم ز للابتداء بشرط آخر والوصل أجوز اذ الغرض تقرير تضاد الحالين منهم يفرحوا بها ط لتناهى وصف الذم لهم وابتداء شرط على المؤمنين شيأ ط محيط ○ ﴿التفسير﴾ هذا خبر آخر من مستقبلات أحوال اليهود المعلومة بالوحى والمعنى ضربت عليهم الذلة والهوان فى عامة الاحوال بالقتل والسبى والنهب أينما وجدوا الا معتصمين أو متلبسين أى الا فى حال اعتصامهم (بحبل من الله وحبل من الناس) يعنى ذمة الله وذمة المسلمين فهما فى حكم واحد أى لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهى التجاؤهم الى الذمة بقبول الجزية فحينئذ يكون دمهم محقونا ومالهم مصونا وهو نوع من العزة وقيل حبل الله الاسلام وحبل الناس الذمة فعلى هذا يكون الواو بمعنى أو وقيل ذمة الله الجزية المنصوص عليها وذمة الناس ما يزيد الامام عليها أو ينقص بالاجتهاد وانما صح الاستثناء المفرغ من الموجب نظرا الى المعنى لان ضرب الذلة عليهم معناه لا تنفك عنهم (وباؤا بغضب من الله) قيل انه من قولك تبوأ فلان منزل كذا والمعنى مكثوا فى غضب الله وسواء قولك حل بهم الغضب وحلوا بالغضب (وضربت عليهم المسكنة) عن الحسن أن المراد بها الجزية وانما أفردت بالذكر بعد الاستثناء ليعلم أنها باقية غير زائلة بعد اعتصامهم بالذمة وقال آخرون المراد انك لا ترى منهم ملكا قاهرا ولا رئيسا مطاعا لكنهم مستخفون فى جميع النواحى والا كناف يظهرون من أنفسهم الفقر والمدقعة البتة وباقى الآية قد مر تفسيره فى البقرة الا أنه سبحانه الله

قوله واذ غدوت من أهلك تبوّئ المؤمنين مقاعد للقتال قال يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم غدا يبوّئ المؤمنين مقاعد للقتال يوم الأحزاب * وأولى هذين القولين بالصواب قول من قال عنى بذلك يوم أحد لان الله عز وجل يقول فى الآية التى بعدها اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا ولا خلاف بين أهل التأويل أنه عنى بالطائفتين بنو سلمة وبنو حارثة ولا خلاف بين أهل السير والمعرفة بمغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذى ذكر الله من أمرهما انما كان يوم أحد دون يوم الاحزاب فان قال لنا قائل وكيف يكون ذلك يوم أحد ورسول الله صلى الله عليه وسلم انما راح الى أحد من أهله للقتال يوم الجمعة بعد ما صلى الجمعة فى أهله بالمدينة بالناس كالذى حدثكم ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثنى محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهرى ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم راح حين صلى الجمعة الى أحد دخل فلبس لأمته وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة وقد مات فى ذلك اليوم رجل من الانصار فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج عليهم وقال ما ينبغى للنبى صلى الله عليه وسلم اذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل قيل ان النبى صلى الله عليه وسلم وان كان خروجه للقوم كان رواحا فلم يكن تبوئته للمؤمنين مقاعدهم للقتال عند خروجه بل كان ذلك قبل خروجه لقتال عدوّه وذلك أن المشركين نزلوا منزلهم من أحد فيما بلغنا يوم الاربعاء فأقاموا به ذلك اليوم ويوم الخميس ويوم الجمعة حتى راح رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم يوم الجمعة بعد ما صلى بأصحابه الجمعة فأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوّال حدثنا بذلك ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى محمد بن مسلم الزهرى ومحمد ابن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن وغيرهم فان قال وكيف كانت تبوئته المؤمنين مقاعد للقتال غدوّا قبل خروجه وقد علمت أن التبوئة اتخاذ الموضع قيل كانت تبوئته اياهم ذلك قبل مناهضته عدوّه وعند مشورته على أصحابه بالرأى الذى رآه لهم بيوم أو يومين وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع بنزول المشركين من قريش وأتباعها أحدا قال فيما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى لاصحابه أشيروا علىّ ما أصنع فقالوا يا رسول الله اخرج الى هذه الاكلب فقالت الانصار يا رسول الله ما غلبنا عدوّ لنا أتانا فى ديارنا فكيف وأنت فينا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبىّ ابن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال يا رسول الله اخرج بنا الى هذه الاكلب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه أن يدخلوا عليه المدينة فيقاتلوا فى الازقة فأتاه النعمان بن مالك الانصارى فقال يا رسول الله لا تحرمنى الجنة فوالذى بعثك بالحق لأدخلن الجنة فقال له بم قال بأنى أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله وأنى لا أفر من الزحف قال صدقت فقتل يومئذ ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا بدرعه فلبسها فلما رأوه وقد لبس السلاح ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحى يأتيه فقاموا واعتذروا اليه وقالوا اصنع ما رأيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغى لنبى أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثنى ابن شهاب الزهرى ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا قالوا لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون بالمشركين قد نزلوا منزلهم من أحد قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم انى قد رأيت بقرا فأولتها خيرا ورأيت فى ذباب سيفى ثلما ورأيت أنى أدخلت يدى فى درع حصينة فأولتها المدينة فان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فان أقاموا أقاموا بشر مقام وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها وكان رأى عبد الله بن أبى ابن سلول مع رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك أن لا يخرج اليهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره الخروج من المدينة فقال رجال من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيرهم ممن كان فاته بدر وحضوره يارسول الله اخرج بنا الى أعدائنا لا يرون أنا جبنا عنهم وضعفنا فقال عبد الله بن أبى ابن سلول يارسول الله أقم بالمدينة لا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو لنا قط الا أصاب منا ولا دخلها علينا الا أصبنا منه فدعهم يارسول الله فان أقاموا أقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خائبين كما جاؤا فلم يزل الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كان من أمرهم حب لقاء القوم حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبس لأمته فكانت تبوئة رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين مقاعد للقتال ماذكرنا من مشورته على أصحابه بالرأى الذى ذكرنا على ماوصفه الذين حكينا قولهم يقال منه بوأت القوم منزلا وبوأته لهم فأنا أبوئهم المنزل تبوئة وأبوئ لهم منزلا تبوئة وقد ذكر أن فى قراءة عبد الله بن مسعود واذ غدوت من أهلك تبوئ للمؤمنين مقاعد للقتال وذلك جائز كما يقال ردفك وردف لك ونقدت لها صداقها ونقدتها كما قال الشاعر

أستغفر الله ذنبا لست محصيه * رب العباد اليه الوجه والعمل

والكلام أستغفر الله لذنب وقد حكى عن العرب سماعا أبأت القوم منزلا فأنا أبيئهم اباءة ويقال منه أبأت الابل اذا رددتها الى المباءة والمباءة المراح الذى تبيت فيه والمقاعد جمع مقعد وهو المجلس فتأويل الكلام واذكر اذ غدوت يامحمد من أهلك تتخذ للمؤمنين معسكرا وموضعا لقتال عدوهم وقوله والله سميع عليم يعنى بذلك تعالى ذكره والله سميع لما يقول المؤمنون لك فيما شاورتهم فيه من موضع لقائك ولقائهم عدوك وعدوهم من قول من قال اخرج بنا اليهم حتى نلقاهم خارج المدينة وقول من قال لك لا تخرج اليهم وأقم بالمدينة حتى يدخلوها علينا على ماقد بينا قبل ومما تشير به عليهم أنت يامحمد عليم بأصلح تلك الآراء لك ولهم وبما تخفيه صدور المشيرين عليك بالخروج الى عدوك وصدور المشيرين عليك بالمقام فى المدينة وغير ذلك من أمرك وأمورهم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فى قوله والله سميع عليم أى سميع لما يقولون عليم بما يخفون ۞ القول فى تأويل قوله (اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يعنى بذلك جل ثناؤه والله سميع عليم حين همت طائفتان منكم أن تفشلا والطائفتان اللتان همتا بالفشل ذكر لنا أنهم بنو سلمة وبنو حارثة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا قال بنو حارثة كانوا نحو أحد وبنو سلمة نحو سلع وذلك يوم الخندق * قال أبو جعفر وقد دللنا على أن ذلك كان يوم أحد فيما مضى بما فيه الكفاية عن اعادته حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا الآية وذلك يوم أحد والطائفتان بنو سلمة وبنو حارثة حيان من الانصار هموا بأمر فعصمهم الله من ذلك قال قتادة وقد ذكر لنا أنه لما أنزلت هذه الآية قالوا ما يسرنا أنا لم نهم بالذى هممنا به وقد أخبرنا الله أنه ولينا حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن

قال فى هذا الموضع من هذه السورة وفى النساء الانبياء بغير حق لان جمع التكسير يفيد التكثير فذكر فى الموضعين أعنى فى البقرة وفى أول السورة ماينبئ عن القلة مع ان ذلك موافق لما بعده من جموع السلامة كالذين والصابئين (٤٧) وغيرهما ثم تدرج الى ماهو نص فى الكثرة فى الموضعين الآخرين نعيا عليهم وتفظيعا لشأنهم ولمثل هذا عرّف الحق فى البقرة اشارة الى الحق الذى اذن الله أن تقتل النفس به وهو قوله ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ثم نكر فى المواضع الباقية أى بغير ماحق أصلا لا فى نفس الامر ولا بحسب معتقدهم وتدينهم (ليسوا سواء) كلام تام ومابعده كلام مستأنف للبيان قال الفراء وابن الانبارى تقديره من أهل الكتاب أمة قائمة ومنهم أمة مذمومة الا انه أضمر ذكر هذا القسم على مذهب العرب من الاكتفاء بأحد الضدين لخطورهما بالبال معا غالبا قال أبو ذؤيب

دعانى اليها القلب انى لامرها
مطيع فما أدرى أرشد طلابها

أراد أم غى فاكتفى بذكر الرشد عن ضده وتقول زيد وعبد الله لا يستويان زيد عاقل دين ذكى فيغنى هذا عن أن يقال وعبد الله ليس كذلك وقيل وهو اختيار أبى عبيدة ان أمة مرفوعة بليس على لغة من قال أكلونى البراغيث أو هو بدل من الضمير على نحو وأسروا النجوى الذين ظلموا والتقدير ليس سواء أمة قائمة وأمة مذمومة وفى تفسير أهل الكتاب قولان الاول وعليه الجمهور أنهم اليهود والنصارى قال ابن عباس ومقاتل لما أسلم عبد الله بن سلام وأضرابه قالت أحبار اليهود ما آمن بمحمد الا شرارنا ولو كانوا من خيارنا لما تركوا دين آبائهم وقالوا لهم لقد خسرتم حين استبدلتم بدينكم دينا غيره فنزلت وعن عطاء أنها نزلت فى أربعين من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى وصدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم الثانى أنهم كل من أوتى الكتاب من أهل الاديان فعلى هذا يكون المسلمون منهم عن ابن مسعود قال أخر رسول الله صلى الله عليه

أبيه عن الربيع قوله اذهمت طائفتان منكم الآية وذلك يوم أحد فالطائفتان بنوسلمة و بنوحارثة حيان من الانصار فذكر مثل قول قتادة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أحد فى ألف رجل وقد وعدهم الفتح ان صبروا فلما رجع عبدالله بن أبى ابن سلول فى ثلثمائة فتبعهم أبوجابر السلمى يدعوهم فلما غلبوه وقالوا له مانعلم قتالا ولئن أطعتنا لترجعن معنا وقال اذهمت طائفتان منكم أن تفشلا وهم بنوسلمة و بنوحارثة هموا بالرجوع حين رجع عبدالله بن أبى فعصمهم الله و بقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبعمائة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال عكرمة نزلت فى بنى سلمة من الخزرج و بنى حارثة من الاوس ورأسهم عبدالله بن أبى ابن سلول حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله اذهمت طائفتان منكم أن تفشلا فهم بنوحارثة و بنوسلمة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق اذهمت طائفتان منكم أن تفشلا والطائفتان بنوسلمة من جشم بن الخزرج وبنوحارثة بن النبيت من الاوس وهما الجناحان حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى عن عباد عن الحسن فى قوله اذهمت طائفتان منكم أن تفشلا الآية قال هما طائفتان من الانصار هما أن يفشلا فعصمهم الله وهزم عدوهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبدالرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار قال سمعت جابر بن عبدالله يقول اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا قال هم بنوسلمة و بنوحارثة وما نحب(٣) أن لولم تكن همتا لقول الله عزوجل والله وليهما حدثنى أحمد بن حازم قال ثنا أبونعيم قال ثنا ابن عيينة عن عمرو قال سمعت جابر بن عبدالله يقول فذكر نحوه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد اذهمت طائفتان منكم أن تفشلا قال هذا يوم أحد وأما قوله أن تفشلا فانه يعنى هما أن يضعفا ويجبنا عن لقاء عدوهما يقال منه فشل فلان عن لقاء عدوه يفشل فشلا كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس الفشل الجبن وكان همهما الذى هما به من الفشل الانصراف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حين انصرف عنهم عبدالله بن أبى ابن سلول بمن معه جبنا منهم من غير شك منهم فى الاسلام ولا نفاق فعصمهم الله مما هموا به من ذلك ومضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لوجهه الذى مضى له وتركوا عبدالله بن أبى ابن سلول والمنافقين معه فاثنى الله عزوجل عليهما بثبوتهما على الحق وأخبر أنه وليهما وناصرهما على أعدائهما من الكفار كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق والله وليهما أى الدافع عنهما ماهما به من فشلهما وذلك انه انما كان ذلك منهما عن ضعف و وهن أصابهما من غير شك أصابهما فى دينهما فتولى دفع ذلك عنهما برحمته وعائدته حتى سلمتا من وهنهما وضعفهما ولحقتا بنبيهما صلى الله عليه وسلم يقول وعلى الله فليتوكل المؤمنون أى من كان به ضعف من المؤمنين أو وهن فليتوكل على وليستعن بى أعنه على أمره وأدفع عنه حتى أبلغ به وأقويه على نيته وذكر أن ابن مسعود رضى الله عنه كان يقرأ والله وليهم وانما جاز أن يقرأ ذلك كذلك لان الطائفتين وان كانتا فى لفظ اثنين فانهما فى معنى جماع بمنزلة الخصمين والحزبين ۞ القول فى تأويل قوله (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون) يعنى بذلك جل ثناؤه وان

(٣) قوله أن لولم تكن الخ الظاهر أن لم تكونا همتا تأمل كتبه مصححه

الله عليه وسلم ليلة صلاة العشاء ثم خرج الى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال انه ليس من أهل الاديان أحد يذكر الله فى هذه الساعة غيركم وفى رواية فبشر صلى الله عليه وسلم أنه لا يصلى هذه الصلاة أحد من أهل الكتاب فأنزل الله هذه الآيات ليسوا سواء الى قوله والله عليم بالمتقين قال القفال رحمه الله لا يبعد أن يقال أولئك الحاضرون كانوا نفرا من مؤمنى أهل الكتاب فقيل ليس يستوى من أهل الكتاب هؤلاء الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فأقاموا صلاة العشاء فى الساعة التى ينام فيها غيرهم مع أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا ولا يبعد أيضا أن يقال المراد كل من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم فسماهم الله أهل الكتاب كأنه قيل أولئك الذين سموا أنفسهم باهل الكتاب حالهم وصفتهم تلك الخصال الذميمة والمسلمون الذين سماهم الله تعالى أهل الكتاب حالهم وصفتهم كذا فكيف يستويان فيكون الغرض من هذه الآية تقرير فضيلة أهل الاسلام تأكيدا لما تقدم من قوله كنتم خير أمة كقوله أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون ثم انه تعالى مدح الامة المذكورة بصفات ثمان الاولى أنها قائمة قيل أى فى الصلاة وقيل ثابتة على التمسك بدين الحق ملازمة له غير مضطربة وقيل أى مستقيمة عادلة من قولك أقمت العود فقام بمعنى استقام وههنا نكتة وهى أن الآية دلت على أن المسلم قائم بحق العبودية وقوله قائما بالقسط دل على أن المولى قام بحق الربوبية وهذه حقيقة قوله وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم ۞ الصفة الثانية يتلون أى أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل فالتلاوة القراءة وأصل الكلمة الاتباع فكان التلاوة هى اتباع اللفظ وآيات الله القرآن وقد يراد بها أصناف مخلوقاته الدالة على صانعها وآناء الليل ساعاته واحدها انى مثل معا واانى وانو مثل تصبروا ۞ الصفة الثالثة وهم يسجدون يحتمل أن يكون حالا من يتلون كأنهم يقرؤن القرآن فى السجدة تخشعا الا أن ماروى

تصبروا وتتقوا الا يضركم كيدهم شيأ وينصركم ربكم ولقد نصركم الله ببدر على أعدائكم وأنتم يومئذ أذلة يعنى قليلون فى غير منعة من الناس حتى أظهركم الله على عدوكم مع كثرة عددهم وقلة عددكم وأنتم اليوم أكثر عددا منكم حينئذ فان تصبروا لأمر الله ينصركم كما نصركم ذلك اليوم فاتقوا الله يقول تعالى ذكره فاتقوا ربكم بطاعته واجتناب محارمه لعلكم تشكرون يقول لتشكروه على ما منّ به عليكم من النصر على أعدائكم واظهار دينكم ولما هداكم له من الحق الذى ضل عنه مخالفوكم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة يقول وأنتم أقل عددا وأضعف قوة فاتقوا الله لعلكم تشكرون أى فاتقون فانه شكر نعمتى واختلف فى المعنى الذى من أجله سمى بدر بدرا فقال بعضهم سمى بذلك لانه كان ماء لرجل يسمى بدرا فسمى باسم صاحبه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن زكريا عن الشعبى قال كانت بدر لرجل يقال له بدر فسميت به حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا زكريا عن الشعبى أنه قال ولقد نصركم الله ببدر قال كانت بدر بئرا لرجل يقال له بدر فسميت به * وأنكر ذلك آخرون وقالوا ذلك اسم سميت به البقعة كما سمى سائر البلدان بأسمائها ذكر من قال ذلك حدثنا الحرث بن محمد قال ثنا ابن سعد قال ثنا محمد بن عمر الواقدى قال ثنا منصور عن أبى الاسود عن زكريا عن الشعبى قال انما سمى بدرا لانه كان ماء لرجل من جهينة يقال له بدر وقال الحرث قال ابن سعد قال الواقدى فذكرت ذلك لعبد الله بن جعفر ومحمد بن صالح فأنكراه وقالا فلأى شئ سميت الصفراء ولأى شئ سميت الحمراء ولأى شئ سمى رابغ هذا ليس بشئ انما هو اسم الموضع قال وذكرت ذلك ليحيى بن النعمان الغفارى فقال سمعت شيوخنا من بنى غفار يقولون هو ماؤنا ومنزلنا وما ملكه أحد قط يقال له بدر وما هو من بلاد جهينة انما هى بلاد غفار قال الواقدى فهذا المعروف عندنا حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول بدر ماء عن يمين طريق مكة بين مكة والمدينة وأما قوله أذلة فانه جمع ذليل كما الأعزة جمع عزيز والألبة جمع لبيب وانما سماهم الله عز وجل أذلة لقلة عددهم لانهم كانوا ثلثمائة نفس وبضعة عشر وعدوهم ما بين التسعمائة الى الالف على ما قد بينا فيما مضى فجعلهم لقلة عددهم أذلة وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون وبدر ماء بين مكة والمدينة التقى عليه نبى الله صلى الله عليه وسلم والمشركون وكان أول قتال قاتله نبى الله صلى الله عليه وسلم وذكر لنا أنه قال لاصحابه يومئذ أنتم اليوم بعدة أصحاب طالوت يوم لقى جالوت فكانوا ثلثمائة وبضعة عشر رجلا والمشركون يومئذ ألف أو راهقوا ذلك حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر عن عباد عن الحسن فى قوله ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون قال يقول وأنتم أذلة قليل وهم يومئذ بضعة عشر وثلثمائة حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع نحو قول قتادة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة أقل عددا وأضعف قوة وأما قوله فاتقوا الله لعلكم تشكرون فان تأويله كالذى قد بينت كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فاتقوا الله لعلكم تشكرون أى فاتقونى فانه شكر نعمتى ﴿ القول فى تأويل قوله (اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا

عن النبى صلى الله عليه وسلم ألا انى نهيت أن أقرأ راكعا وساجدا يأباه وأن يكون كلاما مستقلا أى يقومون تارة ويسجدون أخرى ويبتغون الفضل والرحمة بكل ما يمكن كقوله يبيتون لربهم سجدا وقياما قال الحسن يريح رأسه بقدميه وقدميه برأسه وذلك لاحداث النشاط والراحة وأن يكون المراد وهم يصلون ويتهجدون والصلاة تسمى سجدة وركعة وسبحة وأن يرادوهم يخضعون لله كقوله ولله يسجد من فى السموات والارض وعلى هذين الاحتمالين لا منع من كونه حالا * الصفة الرابعة يؤمنون بالله واليوم الآخر فالصفات المتقدمة اشارة الى كمال حالهم فى القوة العملية وهذه اشارة الى كمالهم بحسب القوة النظرية فان حاصل المعارف معرفة المبدا والمعاد ولا يخفى أن غير مؤمنى أهل الكتاب ليسوا من القبيلين فى شئ بسبب تحريفاتهم واعتقاداتهم الفاسدة * الخامسه والسادسه ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وهاتان الصفتان اشارة الى أنهم فوق التمام وذلك لسعيهم فى تكميل الناقصين بارشادهم الى ما ينبغى ومنعهم عما لا ينبغى وفيه تعريض بالامة المذمومة أنهم كانوا مداهنين وعن سفيان الثورى اذا كان الرجل محببا فى جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم أنه مداهن * الصفة السابعة ويسارعون فى الخيرات أى المذكورات كلها وهى من صفات المدح لان المسارعة فى الخير دليل فرط الرغبة فيه حتى لا يفوت فنى التأخير آفات وما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال العجلة من الشيطان مخصوص بهذه الآية على أنها لا تفيد كلية الحكم لان القضية أهملت اهمالا كيف لا والامور متفاوتة منها ما يحمد فيه التأخير لكونه مما يحصل على مهل وتدريج فلو طلب منه خلاف وضعه فات الغرض وضاع السعى أو لكونه غير معلوم العاقبة فيفتقر الى حزم وتدبر وتأمل ومنها ما يحمد فيه التعجيل لضد ما قلنا فانتهز فيه الفرصة وتغتنم

فان الفرص تمر مر السحاب قال صلى الله عليه وسلم اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل (٥٠) موتك* الصفة الثامنة وأولئك من الصالحين وذلك أن الامور بخواتيمها والعاقبة غير معلومة الا في علم الله تعالى فاذا أخبر عنهم بانخراطهم في سلك الصالحين فذلك المقصود وقصارى المجهود ثم شرط للامة الموصوفة بل لجميع المكلفين ايصال الجزاء اليهم البتة تأكيدا للاخبار عنهم بقوله وأولئك من الصالحين فقال (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه) أي لن يحرموا ثوابه ولن يمنعوه فضمن الكفران معنى الحرمان ولهذا يعدى الى مفعولين مع ان الاصل فيه التعدية الى واحد نحو شكر النعمة وكفرها وسمى منع الجزاء كفرا كما سمى ايصال الثواب شكرا في قوله فان الله شاكر عليم ثم ختم الكلام بقوله (والله عليم بالمتقين) مع انه عالم بكل الاشياء بشارة لهم بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده بالكرامة الا اهل التقوى وتنبيها على ان الملتزم لوعدهم هو معبودهم الحق القادر الغني الحميد الخبير الذي لا غاية لكرمه ولا نهاية لعلمه فما ظنك بمثيب هذا شأنه ثم بين أحوال أهل الشقاء بقوله (ان الذين كفروا) الآية وقد سبق تفسير مثله في أول السورة ثم انه لما بين أن اموال الكفار لا تغني عنهم شيأ أمكن أن يخطر ببال أحد أن الذي ينفقون منه في وجوه الخيرات لعلهم ينتفعون بذلك فأزال ذلك الوهم بقوله (مثل ما ينفقون) الآية قال أكثر المفسرين وأهل اللغة الصر البرد الشديد وهو منقول عن ابن عباس وقتادة والسدى وابن زيد وفي الصحاح الصر بالكسر برد يضر بالنبات والحرث وعلى هذا فمعنى الآية كمثل ريح فيها برد وذلك ظاهر وجوز في الكشاف أن يكون الصر صفة معناه البارد فيكون موصوفه محذوفا بمعنى فيها اذ قرة صر كما تقول برد بارد على المبالغة أو تكون في تجريدية كما يقال رأيت فيك أسدا أي أنت أسد وان ضيعني فلان ففي الله كاف وكافل

عدد كم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) يعني تعالى ذكره ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة اذ تقول للمؤمنين بك من أصحابك ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين وذلك يوم بدر ثم اختلف أهل التأويل في حضور الملائكة يوم بدر حربهم في أي يوم وعدوا ذلك فقال بعضهم ان الله عز وجل كان وعد المؤمنين يوم بدر أن يمدهم بملائكته ان أتاهم العدو من فورهم فلم يأتوهم ولم يمدوا ذكر من قال ذلك حدثني حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا داود عن عامر قال حدث المسلمون أن كرز بن جابر المحاربي يمد المشركين قال فشق ذلك على المسلمين فقيل لهم ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين قال فبلغت كرزا الهزيمة (١) فرجع ولم يمدهم بالخمسة حدثني ابن المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود عن عامر قال لما كان يوم بدر بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر نحوه الا انه قال ويأتوكم من فورهم هذا يعني كرزا وأصحابه يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين قال فبلغ كرزا وأصحابه الهزيمة فلم يمدهم ولم تنزل الخمسة وأمدوا بعد ذلك بألف فهم أربعة آلاف من الملائكة مع المسلمين حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة الآية كلها قال هذا يوم بدر حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن داود عن الشعبي قال حدث المسلمون أن كرز بن جابر المحاربي يريد أن يمد المشركين ببدر قال فشق ذلك على المسلمين فأنزل الله عز وجل ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم الى قوله من الملائكة مسومين قال فبلغته هزيمة المشركين فلم يمد أصحابه ولم يمدوا بالخمسة *وقال آخرون كان هذا الوعد من الله لهم يوم بدر فصبر المؤمنون واتقوا الله فأمدهم بملائكته على ما وعدهم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس ابن بكير عن محمد بن اسحق قال ثني عبد الله بن أبي بكر عن بعض بني ساعدة قال سمعت أبا أسيد مالك بن ربيعة بعد ما أصيب بصره يقول لو كنت معكم ببدر الآن ومعي بصري لأخبرتكم بالشعب الذي خرجت منه الملائكة لا أشك ولا أتمارى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق وثني عبد الله بن أبي بكر عن بعض بني ساعدة عن أبي أسيد مالك بن ربيعة وكان شهد بدرا أنه قال بعد اذ ذهب بصره لو كنت معكم اليوم ببدر ومعي بصري لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة لا أشك ولا أتمارى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث عن ابن عباس أن ابن عباس قال ثني رجل من بني غفار قال أقبلت أنا وابن عم لي حتى أصعدنا في جبل يشرف بنا على بدر ونحن مشركان ننتظر الوقعة على من تكون الدبرة فننتهب مع من ينتهب قال فبينا نحن في الجبل اذ دنت منا سحابة فسمعنا فيها حمحمة الخيل فسمعت قائلا يقول أقدم حيزوم قال فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه وأما أنا فكدت أهلك ثم تماسكت حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال وثني الحسن بن عمارة عن الحكم بن عتيبة عن مقسم مولى عبد الله بن الحرث عن عبد الله بن عباس قال لم تقاتل الملائكة في يوم من الأيام سوى يوم بدر وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عددا ومددا لا يضربون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال محمد بن اسحق حدثني أبي اسحق بن يسار عن رجال من بني مازن ابن النجار عن أبي داود المازني وكان شهد بدرا قال اني لأتبع رجلا من المشركين يوم بدر لأضربه

(١) في الدر المنثور فبلغت كرزا الهزيمة فلم يمد المشركين ولم يمد المسلمون بالخمسة اهـ

وقيل الصر السموم الحارة وروى ابن الانبارى باسناده عن ابن عباس فيها صر قال فيها نار وعلى القولين الغرض من التشبيه حاصل سواء كان بردا مهلكا أو حرا محرقا فانه يصير مبطلا للحرث فيصح التشبيه وهذا من التشبيه

المركب الذى مر ذكره فى أول سورة البقرة ويجوز أن يراد مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح أو مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث والمراد ما كانوا ينفقون من أموالهم فى المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون بها وجه الله ولهذا قيده بقوله فى هذه الحياة الدنيا فشبه ذلك بالزرع الذى حسه البرد فصار حطاما وقيل مثل ما ينفقون يعنى أبا سفيان وأصحابه من سفلة اليهود المنفقين على أحبارهم فى ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى جمع العساكر عليه صلى الله عليه وسلم فى كونه مبطلا لما أتوا به قبل ذلك من أعمال البر كمثل ريح فيها صر فى كونه مبطلا للحرث والظاهر أن الضمير فى ينفقون عائد الى جميع الكفار وذلك أن انفاقهم اما أن يكون لمنافع الدنيا فلا يبقى له أثر فى الآخرة فى حق المسلم فضلا عن الكافر واما أن يكون لمنافع الآخرة فالكفر مانع عن الانتفاع ولعلهم كانوا ينفقون فى الخيرات نحو بناء الرباطات والقناطر والاحسان الى الضعفاء والارامل راجين خيرا كثيرا فى المعاد لكنهم اذا قدموا الآخرة رأوا كفرهم مبطلا لآثار تلك الخيرات فكان كمن زرع زرعا وتوقع منه نفعا كثيرا فأصابه جائحة فلا يبقى معه الا الحزن والاسف ولعلهم كانوا ينفقون فيما ظنوه خيرا وهو معصية كانفاق الاموال فى ايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم وفى تخريب ديار المسلمين ولا يبعد أيضا تفسير الآية بخيبتهم فى الدنيا فانهم أنفقوا أموالا كثيرة فى تجهيز الجيوش والاغراء على المسلمين وتحملوا المتاعب ثم انقلب الامر عليهم وأظهر الله الاسلام وأعز أهله فلم يبق مع الكفار من ذلك الانفاق الا الحيرة والحسرة وقيل المراد

اذ وقع رأسه قبل أن يصل اليه سيفى فعرفت أن قد قتله غيرى حدثنى ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال محمد ثنى حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة مولى ابن عباس قال قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب وكان الاسلام قد دخلنا أهل البيت فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل وأسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره أن يخالفهم وكان يكتم اسلامه وكان ذا مال كثير متفرق فى قومه وكان أبو لهب عدو الله قد تخلف عن بدر وبعث مكانه العاصى بن هشام بن المغيرة وكذلك صنعوا لم يتخلف رجل الا بعث مكانه رجلا فلما جاء الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش كبته الله وأخزاه ووجدنا فى أنفسنا قوة وعزة قال وكنت رجلا ضعيفا وكنت أعمل القداح أنحتها فى حجرة زمزم فوالله انى لجالس فيها أنحت القداح وعندى أم الفضل جالسة وقد سرنا ما جاءنا من الخبر اذ أقبل الفاسق أبو لهب يجر رجليه بشر حتى جلس على طنب الحجرة فكان ظهره الى ظهرى فبينا هو جالس اذ قال الناس هذا أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب قد قدم قال قال أبو لهب هلم الى يا ابن أخى فعندك الخبر قال فجلس اليه والناس قيام عليه فقال يا ابن أخى أخبرنى كيف كان أمر الناس قال لا شئ والله ان كان الا أن لقيناهم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاؤا وايم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق ما بين السماء والارض ما يليق لها شئ ولا يقوم لها شئ قال أبو رافع فرفعت طنب الحجرة بيدى ثم قلت تلك الملائكة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد قال ثنى الحسن بن عمارة عن الحكم بن عتيبة عن مقسم عن ابن عباس قال كان الذى أسر العباس أبا اليسر كعب بن عمرو أخا بنى سلمة وكان أبو اليسر رجلا مجموعا وكان العباس رجلا جسيما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى اليسر كيف أسرت العباس أبا اليسر قال يا رسول الله لقد أعاننى عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده هيئته كذا وكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أعانك عليه ملك كريم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين أمدوا بألف ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وذلك يوم بدر أمدهم الله بخمسة آلاف من الملائكة حدثت عن عمار عن ابن أبى نجيح عن أبيه عن الربيع بنحوه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين فانهم أتوا محمدا صلى الله عليه وسلم مسومين حدثنى محمد بن بشار قال ثنا سفيان عن ابن خثيم عن مجاهد قال لم تقاتل الملائكة الا يوم بدر * وقال آخرون ان الله عز وجل انما وعدهم يوم بدر أن يمدهم ان صبروا عند طاعته وجهاد أعدائه واتقوه باجتناب محارمه أن يمدهم فى حروبهم كلها فلم يصبروا ولم يتقوا الا فى يوم الأحزاب فأمدهم حين حاصروا قريظة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمارة الاسدى قال ثنا عبد الله بن موسى قال أخبرنا سليمان بن زيد أبو آدم المحاربى عن عبد الله بن أبى أوفى قال كنا محاصرى قريظة والنضير ما شاء الله أن نحاصرهم فلم يفتح علينا فرجعنا فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته يغسل رأسه اذ جاءه جبريل صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد وضعتم أسلحتكم ولم تضع الملائكة أوزارها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخرقة فلف بها رأسه ولم يغسله ثم نادى فينا فقمنا كالزمعين لا نعبأ بالسير شيأ حتى أتينا قريظة والنضير فيومئذ أمدنا الله عز وجل بثلاثة آلاف من الملائكة وفتح الله

إلا فتحا يسيرا فانقلبنا بنعمة من الله وفضل * وقال آخرون بنحو هذا المعنى غير أنهم قالوا لم يصبر القوم ولم يتقوا ولم يمدوا بشيء في أحد ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال ثني عمرو بن دينار عن عكرمة سمعه يقول بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا قال يوم بدر قال فلم يصبروا ولم يتقوا فلم يمدوا يوم أحد ولو مدوا لم يهزموا يومئذ حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال سمعت عكرمة يقول لم يمدوا يوم أحد ولا بملك واحد أو قال إلا بملك واحد أبو جعفر يشك حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال سمعت عبيد بن سليمان عن الضحاك قوله ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف إلى خمسة آلاف من الملائكة مسومين كان هذا موعدا من الله يوم أحد عرضه على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن المؤمنين إن اتقوا وصبروا أمدهم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ففر المسلمون يوم أحد وولوا مدبرين فلم يمدهم الله حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا الآية كلها قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ينظرون المشركين يا رسول الله أليس يمدنا الله كما أمدنا يوم بدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين وإنما أمدكم يوم بدر بألف قال فجاءت الزيادة من الله على أن يصبروا ويتقوا قال بشرط أن يأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم الآية كلها * وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال إن الله أخبر عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة فوعدهم الله بثلاثة آلاف من الملائكة مددا لهم ثم وعدهم بعد الثلاثة الآلاف خمسة آلاف إن صبروا للأعداء واتقوا الله ولا دلالة في الآية على أنهم أمدوا بالثلاثة آلاف ولا بالخمسة آلاف ولا على أنهم لم يمدوا بهم وقد يجوز أن يكون الله عز وجل أمدهم على نحو ما رواه الذين أثبتوا أنه أمدهم وقد يجوز أن يكون لم يمدهم على نحو الذي ذكره من أنكر ذلك ولا خبر عندنا صح من الوجه الذي يثبت أنهم أمدوا بالثلاثة الآلاف ولا بالخمسة الآلاف وغير جائز أن يقال في ذلك قول إلا بخبر تقوم الحجة به ولا خبر به كذلك فنسلم لأحد الفريقين قوله غير أن في القرآن دلالة على أنهم قد أمدوا يوم بدر بألف من الملائكة وذلك قوله إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين فأما في يوم أحد فالدلالة على أنهم لم يمدوا أبين منها في أنهم أمدوا وذلك أنهم لو أمدوا لم يهزموا وينال منهم ما نيل منهم فالصواب فيه من القول أن يقال كما قال تعالى ذكره وقد بينا معنى الإمداد فيما مضى والمدد ومعنى الصبر والتقوى وأما قوله ويأتوكم من فورهم هذا فإن أهل التأويل اختلفوا فيه فقال بعضهم معنى قوله من فورهم هذا من وجههم هذا ذكر من قال ذلك حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد بن زريع عن عثمان بن غياث عن عكرمة قال ويأتوكم من فورهم هذا قال من وجههم هذا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة من فورهم هذا يقول من وجههم هذا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنا محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد عن الحسن في قوله ويأتوكم من فورهم هذا من وجههم هذا حدثت عن عمار بن الحسن عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ويأتوكم من فورهم هذا يقول من وجههم هذا حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله ويأتوكم من فورهم

بالانفاق ههنا هو جميع أعمالهم التي يرجون الانتفاع بها في الآخرة كقوله لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل والمراد جميع الانتفاعات أما فائدة قوله ظلموا أنفسهم وعدم الاقتصار (٥٣) على قوله أصابت حرث قوم فهي أن الغرض تشبيه ما ينفقون بشيء يذهب بالكلية حتى لا يبقى منه أثر ولا عثير وحرث المسلم المطيع ليس كذلك لأنه إذا أصابته جائحة في الدنيا أبدله الله خيرا منه في الدنيا أو في الآخرة فإن المسلم مثاب على كل ألم يصيبه حتى الشوكة يشاكها أما الذين عصوا الله فاستحقوا إهلاك حرثهم عقوبة لهم فحرثهم هو الذي لا يتصور منه بعد الإهلاك فائدة أصلا ويحتمل أن يراد بالظلم ههنا وضع الزرع في غير موضعه فإن من زرع لا في موضعه وفي غير أوانه ثم أصابته الآفة كان أولى بأن يصير ضائعا والضمير في وما ظلمهم للمنفقين أي ما ظلمهم بأن لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث لم يأتوا بها مستحقة للقبول أو لأصحاب الحرث أي ما ظلمهم الله بإهلاك حرثهم ولكن ظلموا أنفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة ثم إنه تعالى لما بالغ في شرح أحوال المؤمنين والكافرين شرع في تحذير المؤمنين من مخالطة الكافرين قال ابن عباس ومجاهد نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يصافون المنافقين ويواطئون رجالا من اليهود لما كان بينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع فنهاهم الله عن مباطنتهم خوف الفتنة منهم عليهم وبطانة الرجل خصيصه وصفيه الذي يفضي إليه بشقوره أي أموره اللاصقة بالقلب المهمة له الواحد شقر وأصله من البطن خلاف الظهر ومنه بطانة الثوب للذي يلي منه الجسد خلاف الظهارة نهاهم عن مودة كل كافر لأن قوله بطانة نكرة في سياق النفي وقوله (من دونكم) يؤكد ذلك وهو إما أن يتعلق بلا تتخذوا أو يكون صفة لبطانة أي بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم والأول أولى لأن الغرض ليس هو النهي عن اتخاذ البطانة وإنما المقصود النهي عن الاتخاذ من غير أبناء جنسهم وأهل

فورهم هذا يقول من وجههم هذا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ويأتوكم من فورهم هذا يقول من سفرهم هذا ويقال يعنى عن غير ابن عباس بل هو من غضبهم هذا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد من فورهم هذا من وجههم هذا * وقال آخرون معنى ذلك من غضبهم هذا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود عن عكرمة فى قوله ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة قال فورهم ذلك كان يوم أحد غضبوا ليوم بدر مما لقوا حدثنى محمد ابن عمارة قال ثنا سهل بن عامر قال ثنا مالك بن مغول قال سمعت أبا صالح مولى أم هانئ يقول من فورهم هذا يقول من غضبهم هذا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ويأتوكم من فورهم هذا قال غضب لهم يعنى الكفار فلم يقاتلوهم عند تلك الساعة وذلك يوم أحد حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج قال قال ابن جريج قال مجاهد من فورهم هذا قال من غضبهم هذا حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك فى قوله ويأتوكم من فورهم هذا يقول من وجههم وغضبهم وأصل الفور ابتداء الامر يوجد فيه ثم يوصل بآخر يقال منه فارت القدر فهى تفور فورا وفورانا اذا ابتدأ ما فيها بالغليان ثم اتصل ومضيت الى فلان من فورى ذلك يراد به من وجهى الذى ابتدأت فيه فالذى قال فى هذه الآية معنى قوله من فورهم هذا من وجههم هذا قاصدا الى أن تأويله ويأتيكم كرز بن جابر وأصحابه يوم بدر من ابتداء مخرجهم الذى خرجوا منه لنصرة أصحابهم من المشركين وأما الذين قالوا معنى ذلك من غضبهم هذا فانما عنوا أن تأويل ذلك ويأتيكم كفار قريش وتباعهم يوم أحد من ابتداء غضبهم الذى غضبوه لقتلاهم الذين قتلوا يوم بدر بها يمددكم ربكم بخمسة آلاف وكذلك من اختلاف تأويلهم فى معنى قوله ويأتوكم من فورهم هذا اختلف أهل التأويل فى امداد الله المؤمنين بأحد بملائكته فقال بعضهم لم يمدوا بهم لان المؤمنين لم يصبروا لأعدائهم ولم يتقوا الله عز وجل بترك من ترك من الرماة طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثبوته فى الموضع الذى أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثبوت فيه ولكنهم أخلوا به طلبا للغنائم فقتل من المسلمين ونال المشركون منهم ما نالوا وانما كان الله عز وجل وعد نبيه صلى الله عليه وسلم امدادهم بهم ان صبروا واتقوا الله وأما الذين قالوا كان ذلك يوم بدر بسبب كرز بن جابر فان بعضهم قالوا لم يأت كرز وأصحابه اخوانهم من المشركين مددا لهم ببدر ولم يمد الله المؤمنين بملائكته لان الله عز وجل انما وعدهم أن يمدهم بملائكته ان أتاهم كرز ومدد المشركين من فورهم ولم يأتهم المدد وأما الذين قالوا ان الله تعالى ذكره أمد المسلمين بالملائكة يوم بدر فانهم اعتلوا بقول الله عز وجل اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين قال فالألف منهم قد أتاهم مددا وانما الوعد الذى كانت فيه الشروط فيما زاد على الالف فأما الالف فقد كانوا أمدوا به لان الله عز وجل كان قد وعدهم ذلك ولن يخلف الله وعده واختلف القراء فى قراءة قوله مسوّمين فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة مسوَّمين بفتح الواو بمعنى أن الله سومها وقرأ ذلك بعض قراء أهل الكوفة والبصرة مسوِّمين بكسر الواو بمعنى ان الملائكة سومت لنفسها وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب قراءة من قرأ بكسر الواو لتظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهل التأويل منهم ومن التابعين بعدهم بان الملائكة هى التى سومت أنفسها من غير اضافة تسويمها الى

ملتهم بطانة وانهم يقدمون الاهم والذى هم بشانه أعنى ومن للتبيين وقيل زائدة ثم ذكر علة النهى فقال (لا يألونكم خبالا) يقال ألا فى الامر يألو اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين فى قولهم لا آلوك نصحا أو جهدا على التضمين أى لا أمنعك نصحا والخبال الفساد والنقصان ومنه رجل مخبول ومخبل ناقص العقل فاسده وقيل خبالا نصب على التمييز وقيل مصدر فى موضع الحال والمعنى لا يتركون جهدهم فى مضرتكم وفساد حالكم (ودّوا ما عنتم) أى عنتكم على أن ما مصدرية والعنت الوقوع فى أمر شاق ومنه يقال للعظم المجبور اذا أصابه شئ فهاضه قد أعنته والمراد أحبوا وتمنوا أن يضروكم فى دينكم ودنياكم أشد الضرر والحاصل من الجملتين أنهم لا يقصرون فى افساد أموركم فان لم يمكنهم ذلك لمانع من خارج فحب ذلك غير زائل عن قلوبهم (قد بدت البغضاء) هى شدة البغض كالضراء شدة الضر والافواه جمع الفم وأصله فوه بدليل تكسيره كسوط وأسواط فحذفت الهاء تخفيفا وأقيمت الميم مقام الواو لانهما حرفان شفويان وظهور البغضاء من اليهود واضح لقشرهم العصا وكشرهم عن الانياب وعدم التقية فى تكذيب النبى صلى الله عليه وسلم والكتاب وأما من المنافقين فذلك أن المداجى لا بد أن ينفلت من لسانه ما يكشف عن نفاقه وخبث طويته وعن قتادة قد بدت البغضاء لأوليائهم من المنافقين والكفار لاطلاع بعضهم بعضا على ذلك (وما تخفى صدورهم أكبر) لان فلتات اللسان متناهية وكوامن الصدور تكاد تكون غير متناهية ثم بين ان اظهار هذه الأسرار للمؤمنين من غاية العناية وحثهم على اعمال العقل فى مدلولات هذه النصائح فقال (قد بينا لكم الايات ان كنتم تعقلون) من أهل العقول وقيل ان كنتم تعقلون الفصل بين ما يستحقه العدوّ والولى ثم ان سياق هذه الجمل يحتمل أن يكون على سبيل تنسيق الصفات للبطانة كانه قيل لا تتخذوا بطانة غيرا لكم خبالا وادّين عنتكم

الله عزوجل أو الى غيره من خلقه ولا معنى لقول من قال انما كان يختار الكسر فى قوله مسوّمين لو كان فى البشر فاما الملائكة فوصفهم غير ذلك ظنا منه بان الملائكة غير ممكن فيها تسويم أنفسها امكان ذلك فى البشر وذلك انه غير مستحيل أن يكون الله عزوجل مكنها من تسويم أنفسها بحق تمكينه البشر من تسويم أنفسهم فسوموا أنفسهم بحق الذى سوم البشر طلبا منها بذلك طاعة ربها فاضيف تسويمها أنفسها اليها وان كان ذلك عن تسبيب الله لهم أسبابه وهى اذا كانت موصوفة بتسويمها أنفسها تقربا منها الى ربها كان أبلغ فى مدحها لاختيارها طاعة الله من أن تكون موصوفة بان ذلك مفعول بها ذكر الاخبار بما ذكرنا من اضافة من أضاف التسويم الى الملائكة دون اضافة ذلك الى غيرهم على نحو ما قلنا فيه حدثنى يعقوب قال أخبرنا ابن علية قال أخبرنا ابن عوف عن عمير بن اسحق قال ان أول ما كان الصوف ليومئذ يعنى يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) تسوموا فان الملائكة قد تسومت حدثنا أبو كريب قال ثنا مختار بن غسان قال ثنا عبد الرحمن بن الغسيل عن الزبير بن المنذر عن جده أبى أسيد وكان بدريا فكان يقول لو أن بصرى معى ثم ذهبتم معى الى أحد لأخبرتكم بالشعب الذى خرجت منه الملائكة فى عمائم صفر قد طرحوها بين أكتافهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين يقول معلمين مجزوزة أذناب خيلهم ونواصيها فيها الصوف أو العهن وذلك التسويم حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين قال مجزوزة أذنابها وأعرافها فيها الصوف أو العهن فذلك التسويم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مسوّمين ذكر لنا أن سيماهم يومئذ الصوف بنواصى خيلهم وأذنابها وأنهم على خيل بلق حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله مسوّمين قال كان سيماها صوفا فى نواصيها حدثت عن عمار عن ابن أبى جعفر عن أبيه عن ليث عن مجاهد أنه كان يقول مسومين قال كانت خيولهم مجزوزة الاعراف معلمة نواصيها وأذنابها بالصوف والعهن حدثت عن عمار عن ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع كانوا يومئذ على خيل بلق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك وبعض أشياخنا عن الحسن نحو حديث معمر عن قتادة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى مسوّمين معلمين حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين فانهم أتوا محمدا النبى صلى الله عليه وسلم مسومين بالصوف فسوّم محمد وأصحابه أنفسهم وخيلهم على سيماهم بالصوف حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان قال ثنا هشام بن عروة عن عباد بن حمزة قال نزلت الملائكة فى سيما الزبير عليهم عمائم صفر وكانت عمامة الزبير صفراء حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فى قوله مسومين قال بالصوف فى نواصيها وأذنابها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن هشام بن عروة قال نزلت الملائكة يوم بدر على خيل بلق عليهم عمائم صفر وكان على الزبير يومئذ عمامة صفراء

(١) قوله تسوموا الخ كذا فى الدر المنثور أيضا وفى اللسان سوموا فان الملائكة سومت وهو الأقرب للوارد فى الآية وان كان الذى فى الاصل صحيحا فى نفسه فلعله رواية اهـ كتبه مصححه

بادية بغضاؤهم وأما قد بينا فكلام مبتدأ وأحسن من ذلك وأبلغ أن تكون الجمل مستأنفات كلها على جهة التعليل للنهى كما قلنا فكأنه قيل لم لا نتخذهم بطانة فقيل لانهم لا يقصرون (٥٤) فقيل لم يفعلون ذلك فقيل لانهم يودّون عنتكم ثم قيل وما آية ودادة العنت فقيل قد بدت والله أعلم أما كون هذا التقدير أحسن فلأن الجمل المتعاقبة على سبيل التنسيق يتوسط بينها العاطف ولا عاطف ههنا وأما كونه أبلغ فلبناء الكلام على السؤال والجواب ولتقليل اللفظ وتكثير المعنى ولاثبات الدعاوى بالبراهين ولا يخفى جلالة قدر هذه الفوائد ثم استأنف للتحذير نمطا آخر من البيان مشتملا على التوبيخ فقال (ها أنتم أولاء) الخاطئون فى موالاة منافقى أهل الكتاب ثم ذيله ببيان الخطأ وهو قوله (تحبونهم ولا يحبونكم) لانكم تريدون لهم الاسلام وهو خير الاشياء ويريدون لكم الكفر وهو أقبح الاشياء أو تحبونهم لما بينكم وبينهم من الرضاعة والقرابة ولا يحبونكم لاختلاف الدين أو تحبونهم لانهم أظهروا لكم الايمان ولا يحبونكم لتمكن الكفر فى باطنهم أو تحبونهم لانهم يظهرون لكم محبة الرسول ومحب المحبوب محبوب ولا يحبونكم لانكم تحبون الرسول وهم يبغضونه ومحب المبغوض مبغوض أو تحبونهم فتفشون اليهم أسراركم فى أمور دينكم ولا يحبونكم لانهم لا يفعلون مثل ذلك بكم أو تحبونهم لانكم لا تريدون وقوعهم فى المحن ولا يحبونكم لانهم يتربصون بكم الدوائر والحق أن هذه الاعتبارات وأمثالها مما لا تكاد تنحصر داخلة فى الآية ثم ذكر سببا آخر مما يأبى أن يكون بينهما جامع فقال (وتؤمنون بالكتاب كله) وأضمر قرينه وهو وهم لا يؤمنون به لان ذكر أحد الضدين يغنى عن الآخر غالبا والمراد بالكتاب الجنس كقولهم كثر الدرهم فى أيدى الناس وفى الكشاف ان الواو فى وتؤمنون للحال واللام فى الكتاب للعهد أى لا يحبونكم

حدثنى

والحال انكم تؤمنون بكتابهم كله وفيه توبيخ شديد لأنهم فى باطلهم أصلب منكم فى حقكم ثم ذكر مضادة أخرى فقال (واذا لقوكم قالوا آمنا)
أحدثنا الدخول فى الايمان (واذا خلوا عضوا) ويوصف المغتاظ أو النادم بعض الانامل والبنان والابهام لان هذا الفعل
كثيرا ما يصدر منهما فجعل كناية عن الغضب والندم وان لم يكن هنالك عض وانما حصل لهم هذا الغيظ وهو شدة الغضب لما رأوا من ائتلاف المؤمنين وعلو دينهم وارتفاع شأنهم (قل موتوا بغيظكم) دعاء عليهم بان يزداد ما يوجب غيظهم من قوة الاسلام وعز أهله فان ذلك يتضمن ذلهم وخزيهم والحاصل أنه أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يخبرهم بان الله تعالى أتاح أن يظهر دين الاسلام على الأديان كلها والمقدر كائن فان كان هذا سبب الغيظكم فلا محالة يكون موتكم على هذا الغيظ ثم ان قوله (ان الله عليم بذات الصدور) أى بصواحباتها وهى الخواطر القائمة بالقلب والدواعى والصوارف الموجودة فيه ان كان داخلا فى جملة المقول فمعناه أخبرهم بما يسرونه من الغيظ وقل لهم ان غيظكم سيزداد الى ان يذيبكم أو تموتوا عليه وقل لهم ان الله يعلم ما هو أخفى مما تسرونه وهو مضمرات القلوب وخفياتها وان كان خارجا فالمعنى قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعى اياك على أسرارهم فانى أعلم ما أضمره الخلائق ولم يظهروه على ألسنتهم أصلا ويجوز أن لا يكون ثم قول فيكون المعنى أمرا بالقول لقطا بل ير ادحدث نفسك بانهم سيهلكون غيظا وحسدا فيكون أمر الرسول بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله ونصره ثم ذكر نوعا آخر من مضادتهم ومعاداتهم فقال (ان تمسسكم حسنة) أى حسنة كانت من منافع الدنيا كالصحة والخصب والغنيمة والظفر على الاعداء والائتلاف بين الاحباء (تسؤهم) ساءه يسوءه نقيض سره يسره (وان تصبكم سيئة) ضد من أضدادما عددنا

حدثنى أحمد بن يحيى الصوفى قال ثنا عبد الرحمن بن شريك قال ثنا أبى قال ثنا هشام بن عروة عن عروة عن عبد الله بن الزبير أن الزبير كانت عليه ملاءة صفراء يوم بدر فاعتم بها فنزلت الملائكة يوم بدر على نبى الله صلى الله عليه وسلم معممين بعمائم صفر فهذه الاخبار التى ذكرنا بعضها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت وقول أبى أسيد خرجت الملائكة فى عمائم صفر قد طرحوها بين أكتافهم وقول من قال منهم مسومين معلمين ينبئ جميع ذلك عن صحة ما اخترنا من القراءة فى ذلك وأن التسويم كان من الملائكة بانفسها على نحو ما قلنا فى ذلك فيما مضى وأما الذين قرؤا ذلك مسومين بالفتح فانهم أراهم تأولوا فى ذلك ما حدثنا به حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد بن زريع عن عثمان بن غياث عن عكرمة بخمسة آلاف من الملائكة مسومين يقول عليهم سيما القتال حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة بخمسة آلاف من الملائكة مسومين يقول عليهم سيما القتال وذلك يوم بدر أمدهم الله بخمسة آلاف من الملائكة مسومين يقول عليهم سيما القتال فقالوا كان سيما القتال عليهم لأنهم كانوا تسوموا بسيما فيضاف اليهم التسويم فمن أجل ذلك قرؤا مسومين بمعنى ان الله تعالى أضاف التسويم الى من سومهم تلك السيما والسيما العلامة يقال هى سيما حسنة وسيمياء حسنة كما قال الشاعر

غلام رماه الله بالحسن يافعا * له سيمياء لا تشق على البصر

يعنى بذلك علامة من حسن فاذا أعلم الرجل بعلامة يعرف بها فى حرب أو غيره قيل سوم نفسه فهو يسومها تسويما ۞ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم) يعنى تعالى ذكره وما جعل الله وعده اياكم ما وعدكم من امداده اياكم بالملائكة الذين ذكر عددهم الا بشرى لكم يعنى بشرى يبشركم بها ولتطمئن قلوبكم به يقول وكى تطمئن بوعده الذى وعدكم من ذلك قلوبكم فتسكن اليه ولا تجزع من كثرة عدد عدوكم وقلة عددكم وما النصر الا من عند الله يعنى وما ظفركم إن ظفرتم بعدوكم الا بعون الله لا من قبل المدد الذى يأتيكم من الملائكة يقول فعلى الله فتوكلوا وبه فاستعينوا لا بالجموع وكثرة العدد فان نصركم ان كان انما يكون بالله وبعونه معكم من ملائكته خمسة آلاف فانه الى أن يكون ذلك بعون الله وبتقويته اياكم على عدوكم وان كان معكم من البشر جموع كثيرة أحرى فاتقوا الله واصبروا على جهاد عدوكم فان الله ناصركم عليهم كما حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وما جعله الله الا بشرى لكم يقول انما جعلهم ليستبشروا بهم وليطمئنوا اليهم ولم يقاتلوا معهم يومئذ يعنى يوم أحد قال مجاهد ولم يقاتلوا معهم يومئذ ولا قبله ولا بعده الا يوم بدر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به لما أعرف من ضعفكم وما النصر الا من عندى بسلطانى وقدرتى وذلك أنى أعرف الحكمة التى لا الى أحد من خلقى حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وما النصر الا من عند الله لو شاء أن ينصركم بغير الملائكة فعل العزيز الحكيم وأما معنى قوله العزيز الحكيم فانه جل ثناؤه يعنى العزيز فى انتقامه من أهل الكفر به بايدى أوليائه من أهل طاعته الحكيم فى تدبيره لكم أيها المؤمنون على أعدائكم من أهل الكفر وغير ذلك من أموره يقول فأبشروا أيها المؤمنون بتدبيرى لكم على أعدائكم ونصرى اياكم عليهم ان أنتم أطعتمونى فيما أمرتكم به وصبرتم لجهاد عدوى وعدوكم ۞ القول فى تأويل قوله (ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم

(يفرحوابها) ولم يفرق صاحب الكشاف ههنابين المس والاصابة وجعل المعنى واحداوأقول يشبه أن يكون المس أقل من الاصابة وانه أدخل فى بيان شدة العداوة وذلك ان الحسد(٥٦)لا ينهض لقليل من الخير الاأن يكون هناك كمال البغض والشماتة قلما توجد اذا أصاب العدو بلية عظمى كماقيل

* عند الشدائد تذهب الاحقاد *

الاأن يكون ثمة غاية الحقد واذا كان حال القوم مع المسلمين فى القضيتين بالخلاف دل ذلك على شدة بغضهم ونهاية حقدهم وعلى هذا فلا يبعد أن يقال التنوين فى حسنة للتقليل وفى سيئة للتعظيم (وان تصبروا) على عداوتهم (وتتقوا) مانهيتم عنه من موالاتهم أوان تصبروا على أوامر الله تعالى وتتقوا محارمه (لا يضركم كيدهم) وهواحتيال الانسان لايقاع غيره فى مكروه وقال ابن عباس هو العداوة (شيأ) من الضرر بل كنتم فى كنف الله وحفظه وفيه إرشاد من الله تعالى الى ان يستعان على دفع مكايد الاعداء بالصبر والتقوى فمن كان لله كان الله له وفى كلام الحكماء اذا أردت أن تكبت من يحسدك فازدد فضلا فى نفسك وقال بعضهم

اذا ماشئت ارغام الاعادى
بلاسيف يسل ولاسنان
فزد فى مكرماتك فهى أعدى
على الاعداء من نوب الزمان

(ان الله بما تعملون) فى عداوتكم أو بما تعملون أنتم من الصبر والتقوى (محيط) فيجازى كل أحد بما هو أهله ❁ التأويل ضربت عليهم ذلة الطمع ومسكنة الحرص الاأن يعتصموا بحبة الله وطلبه وحبل من الناس يعنى متابعة النبى صلى الله عليه وسلم وسيرته و يقتلون الانبياء يميتون سنتهم وسيرهم ليسوا أى العلماء الربانيون والمداهنون فلن تكفروه لانه من تقرب اليه شبرا تقرب اليه ذراعا . ثم أخبر عن نفقات أهل الشهوات فى استيفاء اللذات الجسمانية بقوله مثل ماينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح هى هواء الهوى فيها صر الشهوة أصابت حرث قوم هو الحرث الروحانى ظلموا أنفسهم بابطال الاستعداد الانسانى ثم نهى أهل المحبة

فينقلبوا خائبين) يعنى بذلك جل ثناؤه ولقد نصركم الله ببدر ليقطع طرفا من الذين كفروا ويعنى بالطرف الطائفة والنفر يقول تعالى ذكره ولقد نصركم الله ببدر كيما يهلك طائفة من الذين كفروا بالله ورسوله فجحدوا وحدانية ربهم ونبوة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ليقطع طرفا من الذين كفروا فقطع الله يوم بدر طرفا من الكفار وقتل صناديدهم ورؤساءهم وقادتهم فى الشر حدثت عن عمار عن ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع نحوه حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى عن عباد عن الحسن فى قوله ليقطع طرفا من الذين كفروا الآية كلها قال هذا يوم بدر قطع الله طائفة منهم و بقيت طائفة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة ليقطع طرفا من الذين كفروا أى ليقطع طرفا من المشركين بقتل ينتقم به منهم * وقال آخرون بل معنى ذلك وما النصر الا من عند الله ليقطع طرفا من الذين كفروا وقال انما عنى بذلك من قتل بأحد ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال ذكر الله قتلى المشركين يعنى بأحد وكانوا ثمانية عشر رجلا فقال ليقطع طرفا من الذين كفروا ثم ذكر الشهداء فقال ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا الآية وأما قوله أو يكبتهم فانه يعنى بذلك أو يخزيهم بالخيبة مما رجوا من الظفر بكم وقد قيل ان معنى قوله أو يكبتهم أو يصرعهم لوجوههم ذكر بعضهم أنه سمع العرب تقول كبته الله لوجهه بمعنى صرعه الله فتأويل الكلام ولقد نصركم الله ببدر ليهلك فريقا من الكفار بالسيف أو يخزيهم بخيبتهم مما طمعوا فيه من الظفر فينقلبوا خائبين يقول فيرجعوا عنكم خائبين لم يصيبوا منكم شيأ مما رجوا أن ينالوه منكم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق أو يكبتهم فينقلبوا خائبين أو يردهم خائبين أو يرجع من بقى منهم خائبين لم ينالوا شيأ مما كانوا يأملون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أو يكبتهم يقول يخزيهم فينقلبوا خائبين حدثت عن عمار عن ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع مثله ❁ القول فى تأويل قوله (ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون) يعنى بذلك تعالى ذكره ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون ليس لك من الامر شئ فقوله أو يتوب عليهم منصوب عطفا على قوله أو يكبتهم وقد يحتمل أن يكون تأويله ليس لك من الامر شئ حتى يتوب عليهم فيكون نصب يتوب بمعنى او التى هى فى معنى حتى والقول الاول أولى بالصواب لانه لاشئ من أمر الخلق الى أحد سوى خالقهم قبل توبة الكفار وعقابهم وبعد ذلك وتأويل قوله ليس لك من الامر شئ ليس اليك يا محمد من أمر خلقى الا أن تنفذ فيهم أمرى وتنتهى فيهم الى طاعتى وانما أمرهم الى والقضاء فيهم بيدى دون غيرى أقضى فيهم وأحكم بالذى أشاء من التوبة على من كفر بى وعصانى وخالف أمرى أو العذاب اما فى عاجل الدنيا بالقتل والنقم المبيرة واما فى آجل الآخرة بما أعددت لأهل الكفر بى كما حدثنى ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثم قال لمحمد صلى الله عليه وسلم ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون أى ليس لك من الحكم شئ فى عبادى الا ما أمرتك به فيهم أو أتوب عليهم برحمتى فان شئت فعلت أو أعذبهم بذنوبهم فانهم ظالمون أى قد استحقوا ذلك بمعصيتهم اياى وذكر أن الله عز وجل انما أنزل هذه الآية على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لانه لما أصابه بأحد ما أصابه من المشركين قال كالآيس لهم من الهدى أو من الانابة الى الحق كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم ذكر الرواية بذلك حدثنا حميد بن

مسعدة

عن مباطنة أهل السلم من هذا الحديث فقال لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا لا يقصرون في انكاركم والاعتراض عليكم والطعن
فيكم ودوامن نعيم الدنيا ومشتهياتها ما عنتم ما مقتموه وتركتموه لدناءة همتهم وعلو همتكم أو فرحوا بما قاسيتم من المجاهدات

مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا حميد قال قال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكسرت رباعيته وشج فجعل يمسح عن وجهه الدم ويقول كيف يفلح قوم خضبوا نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فأنزلت ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون

حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن حميد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه

حدثني يعقوب قال ثنا هشيم عن حميد الطويل عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي قال ثنا أبو بكر بن عياش عن حميد الطويل عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين شج في جبهته وكسرت رباعيته لا يفلح قوم صنعوا هذا بنبيهم فأوحى الله اليه ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون حدثني يعقوب عن ابن علية قال ثنا ابن عون عن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم أحد كيف يفلح قوم دموا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى الله عز وجل فنزلت ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون حدثنا يعقوب قال ثنا ابن علية عن حميد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون ذكر لنا أن هذه الآية أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وقد جرح نبي الله صلى الله عليه وسلم في وجهه وأصيب بعض رباعيته فقال وسالم مولى أبي حذيفة يغسل عن وجهه الدم كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فأنزل الله عز وجل ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن واقد عن مطر عن قتادة قال أصيب النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكسرت رباعيته وفرق حاجبه فوقع وعليه درعان والدم يسيل فمر به سالم مولى أبي حذيفة فأجلسه ومسح عن وجهه فأفاق وهو يقول كيف بقوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم الى الله فأنزل الله تبارك وتعالى ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه قوله ليس لك من الامر شئ الآية قال قال الربيع بن أنس أنزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وقد شج رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه وأصيبت رباعيته فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو عليهم فقال كيف يفلح قوم أدموا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى الله وهم يدعونه الى الشيطان ويدعوهم الى الهدى ويدعونه الى الضلالة ويدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار فهم أن يدعو عليهم فأنزل الله عز وجل ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء عليهم حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد عن الحسن في قوله ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم الآية كلها فقال جاء أبو سفيان من الحول غضبان لما صنع بأصحابه يوم بدر فقاتل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يوم أحد قتالا شديدا حتى قتل منهم بعدد الاسارى يوم بدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمة علم الله أنها قد خالطت غضبا كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى الاسلام فقال الله عز وجل ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة أن رباعية النبي صلى الله عليه وسلم أصيبت يوم أحد أصابها عتبة بن أبي وقاص وشجه في وجهه وكان سالم مولى أبي حذيفة يغسل عن النبي صلى الله عليه وسلم الدم والنبي صلى الله عليه وسلم يقول كيف يفلح قوم صنعوا

والتزام الفقر والصبر على المكاره قد بدت البغضاء من أفواههم اعتراضاتهم الفاسدة وما تخفي صدورهم الحاسدة من الغل والحقد أكبر تحبونهم شبه الرحمة والشفقة ولا يحبونكم لتناكر الارواح واختلاف حال الاشباح وتؤمنون بالكتاب كله بجميع ما في القرآن من ترك الدنيا وجهاد النفس عليم بذات الصدور بالقلوب التي في الصدور أن موتها في الغيظ والحسد ان تمسسكم حسنة كرامة من الله وقبول من الخلق سيئة انكار من الجهال وطعن (واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون ولله ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم) ﴿القراآت﴾ تبوئ المؤمنين بغير همز أبو عمرو وغير شجاع وورش والاعشى وحمزة في الوقف منزلين بالتشديد وفتح الزاي ابن عامر الباقون بالتخفيف والفتح أيضا مسومين بكسر الواو أبو عمرو وابن كثير وعاصم وسهل ورويس الباقون بالفتح ﴿الوقوف﴾ للقتال ط عليم لا لان اذ بدل من اذ غدوت أو

يتعلق بالوصفين أو بقوله تبوّئ أن تفشلا (لا) لان الواو للحال ولهما ط المؤمنون ه أذلة ج للفاء تشكرون ه منزلين ط لتمام القول بلى (لا) لاتحاده مع ما بعده مسوّمين ه قلوبكم به (٥٨) ط الحكيم (لا) لتعلق اللام بمعنى الفعل في النصر خائبين ه ظالمون ه وما في الارض ط من يشاء ط رحيم ه ۞ التفسير انه سبحانه لما وعدهم النصر على الاعداء ان هم صبروا واتقوا وخلاف ذلك ان لم يصبروا أتبعه قوله واذ غدوت من أهلك ولقد نصركم الله ببدر يعني أنهم يوم أحد كانوا كثيرين مستعدين للقتال فلما خالفوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم انهزموا ويوم بدر كانوا قليلين غير مستعدين لكنهم أطاعوا أمر الرسول فغلبوا واستولوا على خصومهم ووجه آخر في النظم وهو أن الانكسار يوم أحد انما حصل بسبب تخلف عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق وذلك يدل على انه لا يجوز اتخاذ المنافقين بطانة قال أبو مسلم هذا كلام معطوف بالواو على قوله قد كان لكم آية في فئتين التقتا أي قد كان لكم مثل تلك الآية اذ غدا الرسول يبوّئ المؤمنين والجمهور على أنه منصوب باضمار اذكر وعن الحسن ان هذا الغدو كان يوم بدر وعن مجاهد أنه يوم الاحزاب وأكثر العلماء بالمغازي على ان هذه الآية نزلت في واقعة أحد وهو قول ابن عباس والسدي وابن اسحق والربيع والاصم وأبي مسلم روي أن المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ودعا صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله وأكثر الانصار يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا أصاب منا ولا دخلها علينا الا أصبنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم فان أقاموا أقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب

بنبيهم هذا فأنزل الله عزوجل ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري وعن عثمان الجزري عن مقسم ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة بن أبي وقاص يوم أحد حين كسر رباعيته ووثأ وجهه فقال اللهم لا تحل عليه الحول حتى يموت كافرا قال فما حال عليه الحول حتى مات كافرا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس شج النبي صلى الله عليه وسلم في فرق حاجبه وكسرت رباعيته قال ابن جريج ذكر لنا انه لما جرح جعل سالم مولى أبي حذيفة يغسل الدم عن وجهه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى الله فأنزل الله عزوجل ليس لك من الأمر شيء * وقال آخرون بل نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم لانه دعا على قوم فأنزل الله عزوجل ليس الامر اليك فيهم ذكر الرواية بذلك حدثني يحيى بن حبيب بن عربي قال ثنا خالد بن الحرث قال ثنا محمد بن عجلان عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو على أربعة نفر فأنزل الله عزوجل ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون قال وهداهم الله للاسلام حدثني أبو السائب سلم بن جنادة قال ثنا أحمد بن سفيان عن عمر بن حمزة عن سالم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم العن أبا سفيان اللهم العن الحرث بن هشام اللهم العن صفوان ابن أمية فنزلت ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال أخبرنا محمد بن اسحق عن عبد الرحمن بن الحرث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة عن عبد الله بن كعب عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر فلما رفع رأسه من الركعة الثانية قال اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة وسلمة بن هشام والوليد بن الوليد اللهم أنج المستضعفين من المسلمين اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم سنين كسني آل يوسف فأنزل الله ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم الآية حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب أخبره عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن أنهما سمعا أبا هريرة يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين يفرغ في صلاة الفجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد ثم يقول وهو قائم اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم كسني يوسف اللهم العن لحيان ورعلا وذكوان وعصية عصت الله ورسوله ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل قوله ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون ۞ القول في تأويل قوله (ولله ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم) يعني بذلك تعالى ذكره ليس لك يا محمد من الامر شيء ولله جميع ما بين أقطار السموات والارض من مشرق الشمس الى مغربها دونك ودونهم يحكم فيهم بما شاء ويقضي فيهم ما أحب فيتوب على من أحب من خلقه العاصين أمره ونهيه ثم يغفر له ويعاقب من شاء منهم على جرمه فينتقم منه وهو الغفور الذي يستر ذنوب من أحب أن يستر عليه ذنوبه من خلقه بفضله عليهم بالعفو والصفح والرحيم بهم في تركه عقوبتهم عاجلا على عظيم ما يأتون من المآثم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق والله غفور رحيم أي يغفر الذنوب ويرحم العباد على ما فيهم

۞ القول في تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم

تفلحون

تفلحون) يعنى بذلك جل ثناؤه يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله لا تأكلوا الربا فى اسلامكم بعد اذ هدا كم له كما كنتم تأكلونه فى جاهليتكم وكان أكلهم ذلك فى جاهليتهم أن الرجل منهم كان يكون له على الرجل مال الى أجل فاذا حل الاجل طلبه من صاحبه فيقول له الذى عليه المال أخر عنى دينك وأزيدك على مالك فيفعلان ذلك فذلك هو الربا أضعافا مضاعفة فنهاهم الله عز وجل فى اسلامهم عنه كما حدثنا محمد بن سنان قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن ابن جريج عن عطاء قال كانت ثقيف تداين فى بنى المغيرة فى الجاهلية فاذا حل الاجل قالوا نزيدكم وتؤخرون فنزلت لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة أى لا تأكلوا فى الاسلام اذ هدا كم الله له ما كنتم تأكلون اذ أنتم على غيره مما لا يحل لكم فى دينكم حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة قال ربا الجاهلية حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول فى قوله لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة قال كان أبى يقول انما كان الربا فى الجاهلية فى التضعيف وفى السن يكون للرجل فضل دين فيأتيه اذا حل الاجل فيقول له تقضينى أو تزيدنى فان كان عنده شئ يقضيه قضى والا حوله الى السن التى فوق ذلك ان كانت ابنة مخاض يجعلها ابنة لبون فى السنة الثانية ثم حقة ثم جذعة ثم رباعيا ثم هكذا الى فوق وفى العين يأتيه فان لم يكن عنده أضعفه فى العام القابل فان لم يكن عنده أضعفه أيضا فتكون مائة فيجعلها الى قابل مائتين فان لم يكن عنده جعلها أربعمائة يضعفها له كل سنة أو يقضيه قال فهذا قوله لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة وأما قوله واتقوا الله لعلكم تفلحون فانه يعنى واتقوا الله أيها المؤمنون فى أمر الربا فلا تأكلوه وفى غيره مما أمركم به أو نهاكم عنه وأطيعوه فيه لعلكم تفلحون يقول لتنجحوا فتنجوا من عقابه وتدركوا ما رغبكم فيه من ثوابه والخلود فى جنانه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق واتقوا الله لعلكم تفلحون أى فاطيعوا الله لعلكم أن تنجوا مما حذركم من عذابه وتدركوا ما رغبكم فيه من ثوابه ۞ القول فى تأويل قوله (واتقوا النار التى أعدت للكافرين) يقول تعالى ذكره للمؤمنين واتقوا أيها المؤمنون النار أن تصلوها بأكلكم الربا بعد نهيى اياكم عنه التى أعددتها لمن كفر بى فتدخلوا مدخلهم بعد ايمانكم بى بخلافكم أمرى وترككم طاعتى كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق واتقوا النار التى أعدت للكافرين التى جعلت دارا لمن كفر بى ۞ القول فى تأويل قوله (وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) يعنى بذلك جل ثناؤه وأطيعوا الله أيها المؤمنون فيما نهاكم عنه من أكل الربا وغيره من الاشياء وفيما أمركم به الرسول يقول وأطيعوا الرسول أيضا كذلك لعلكم ترحمون يقول لترحموا فلا تعذبوا وقد قيل ان ذلك معاتبة من الله عز وجل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين خالفوا أمره يوم أحد فأخلوا بمراكزهم التى أمروا بالثبات عليها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون معاتبة للذين عصوا رسوله حين أمرهم بالذى أمرهم به فى ذلك اليوم وفى غيره يعنى فى يوم أحد ۞ القول فى تأويل قوله (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين) يعنى تعالى ذكره بقوله وسارعوا وبادروا وسابقوا الى مغفرة من ربكم يعنى الى ما يستر عليكم ذنوبكم من رحمته وما يغطيها عليكم من عفوه عن عقوبتكم عليها وجنة عرضها السموات والارض يعنى وسارعوا أيضا الى جنة عرضها السموات

لا يرون انا قد جبنا عنهم وقال صلى الله عليه وسلم انى رأيت فى منامى بقرا مذبحة حولى فأولتها خيرا ورأيت فى ذباب سيفى ثلما فأولته هزيمة ورأيت كأنى أدخلت يدى فى درع حصينة فأولتها المدينة فان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد اخرج بنا الى أعدائنا فلم يزالوا به صلى الله عليه وسلم حتى دخل فلبس لأمته فلما رأوه قد لبس لأمته ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحى يأتيه فقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال لا ينبغى لنبى أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة من المدينة قالوا من منزل عائشة وهو المراد بقوله من أهلك عن مجاهد والواحدى انه مشى على رجليه الى أحد وأصبح بالشعب منها يوم السبت للنصف من شوال وجعل يصف أصحابه للقتال كأنما يقوم بهم القداح ان رأى صدرا خارجا قال تأخر وكان نزوله فى جانب الوادى وجعل صلى الله عليه وسلم ظهره وعسكره الى أحد وأمر صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل حتى لا يأتونا من ورائنا وقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه اثبتوا فى هذا المقام فاذا عاينوكم وولوكم الادبار فلا تطلبوا المدبرين ولا تخرجوا من هذا المقام ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خالف رأى عبد الله بن أبى شق عليه ذلك وقال أطاع الصبيان وعصانى ثم قال لاصحابه ان محمدا صلى الله عليه وسلم انما يظفر بعدوكم وقد وعد أصحابه أن أعداءهم اذا عاينوهم انهزموا فاذا رأيتم أعداءهم فانهزموا فسيتبعونكم فيصير الامر على خلاف ما ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فلما التقى الفريقان انخزل عبد الله بن أبى بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل أولادنا وأنفسنا وكان جملة عسكر الاسلام ألفا وقيل تسعمائة وخمسين فبقى نحو من سبعمائة وكان المشركون ثلاثة آلاف فقواهم الله مع ذلك

والارض ذكر أن معنى ذلك وجنة عرضها كعرض السموات السبع والارضين السبع اذا ضم بعضها الى بعض ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وجنة عرضها السموات والارض قال قال ابن عباس تقرن السموات السبع والارضون السبع كما تقرن الثياب بعضها الى بعض فذاك عرض الجنة وانما قيل وجنة عرضها السموات والارض فوصف عرضها بالسموات والارضين والمعنى ما وصفنا من وصف عرضها بعرض السموات والارض تشبيها به في السعة والعظم كما قيل ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة يعني الا كبعث نفس واحدة وكما قال الشاعر

(١) كأن عذيرهم بجنوب سلى * نعام قاق في بلد قفار

أي عذير نعام وكما قال الآخر

حسبت بغام راحلتي عناقا * وما هي ويب غيرك بالعناق

يريد صوت عناق وقد ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل فقيل له هذه الجنة عرضها السموات والارض فأين النار فقال هذا النهار اذا جاء أين الليل ذكر الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني مسلم بن خالد عن ابن خثيم عن سعيد بن أبي راشد عن يعلى بن مرة قال لقيت التنوخي رسول هرقل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمص شيخا كبيرا قد أفند قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب هرقل فناول الصحيفة رجلا عن يساره قال قلت من صاحبكم الذي يقرأ قالوا معاوية فاذا هو انك كتبت تدعوني الى جنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين فأين النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله فأين الليل اذا جاء النهار حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب أن ناسا من اليهود سألوا عمر بن الخطاب عن جنة عرضها السموات والارض أين النار قال أرأيتم اذا جاء الليل أين يكون النهار فقالوا اللهم نزعت مثله من التوراة حدثني محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب أن عمر أتاه ثلاثة نفر من أهل نجران فسألوه وعنده أصحابه فقالوا أرأيت قوله وجنة عرضها السموات والارض فأين النار فأحجم الناس فقال عمر أرأيتم اذا جاء الليل أين يكون النهار واذا جاء النهار أين يكون الليل فقالوا نزعت مثلها من التوراة حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال أخبرنا شعبة عن ابراهيم بن مهاجر عن طارق بن شهاب عن عمر بنحوه في الثلاثة الرهط الذين أتوا عمر فسألوه عن جنة عرضها كعرض السموات والارض بمثل حديث قيس بن مسلم حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا جعفر ابن عون قال أخبرنا الاعمش عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال جاء رجل من اليهود الى عمر فقال تقولون جنة عرضها السموات والارض أين تكون النار فقال له عمر أرأيت النهار اذا جاء أين يكون الليل أرأيت الليل اذا جاء أين يكون النهار فقال انه لمثلها في التوراة فقال له صاحبه لم أخبرته فقال له صاحبه دعه انه بكل موقن حدثني أحمد بن حازم قال أخبرنا أبو نعيم قال ثنا جعفر بن برقان قال ثنا يزيد الأصم أن رجلا من أهل الكتاب أتى ابن عباس فقال تقولون جنة عرضها السموات والارض فأين النار فقال ابن عباس أرأيت الليل اذا جاء أين يكون النهار واذا جاء النهار أين يكون الليل وأما قوله أعدت للمتقين فانه يعني ان الجنة التي عرضها كعرض السموات والارضين السبع أعدها الله للمتقين الذين اتقوا الله فأطاعوه فيما أمرهم ونهاهم فلم يتعدوا حدوده ولم يقصروا

(١) أي كأن حالهم حال نعام الخ

حتى هزموا المشركين لكنهم لما رأوا انهزام القوم وكان الله تعالى بشرهم بذلك طمعوا أن تكون هذه الواقعة كواقعة بدر فطلبوا المدبرين وتركوا ذلك الموضع وخالفوا أمر الرسول (٦٠) صلى الله عليه وسلم ولم يعلموا أن ظفرهم يوم بدر ببركة طاعتهم الله ولرسوله ومتى تركهم الله مع عدوّهم لم يقوموا لهم فنزع الله الرعب من قلوب المشركين فكرّوا على المسلمين وتفرق العسكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم وشج وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته وشلت يد طلحة دونه صلى الله عليه وسلم ولم يبق معه الا أبو بكر وعلي والعباس وطلحة وسعد ووقعت الصيحة في العسكر ان محمدا قتل فاشرف أبو سفيان وقال أفي القوم محمد فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تجيبوه فقال أفي القوم ابن أبي قحافة فقال لا تجيبوه قال أفي القوم ابن الخطاب فقال ان هؤلاء قتلوا فلو كانوا أحياء لأجابوا فلم يملك عمر نفسه فقال كذبت يا عدو الله أبقى الله لك ما يخزيك فقال أبو سفيان مرتجزا أعل هبل أعل هبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم أجيبوه فقالوا أما نقول قال قولوا الله أعلى وأجل قال أبو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم فقال صلى الله عليه وسلم أجيبوه قالوا أما نقول قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم قال أبو سفيان يوم بيوم بدر والحرب سجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجيبوه قالوا ما نقول قال قولوا لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار * ولنرجع الى التفسير بوّأته منزلا وبوّأت له منزلا أنزلته فيه ومقاعد أي مواطن ومواقف وقد اتسع في قعد وقام حتى استعمل المقعد والمقام في المكان ومنه قوله تعالى في مقعد صدق وقوله قبل أن تقوم من مقامك أي من موضع حكمك ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم لما أمرهم أن يثبتوا في تلك الامكنة ولا ينتقلوا عنها شبهت بالمقاعد لذلك ويحتمل أن المقاتلين قد يقعدون في الامكنة المعينة الى أن يلاقيهم العدوّ فيقوموا فلهذا

في واجب حقه عليهم فيضيعوه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين أي ذلك لمن أطاعني وأطاع رسولي

القول في تأويل قوله جل ثناؤه (الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) يعني جل ثناؤه بقوله الذين ينفقون في السراء والضراء أعدت الجنة التي عرضها السموات والارض للمتقين وهم المنفقون أموالهم في سبيل الله اما في صرفه على محتاج واما في تقوية مضعف على النهوض للجهاد في سبيل الله وأما قوله في السراء فانه يعني في حال السرور بكثرة المال ورخاء العيش والسراء مصدر من قولهم سرني هذا الامر مسرة وسرورا والضراء مصدر من قولهم قد ضر فلان فهو يضر اذا أصابه الضر وذلك اذا أصابه الضيق والجهد في عيشه حدثنا محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله الذين ينفقون في السراء والضراء يقول في العسر واليسر فاخبر جل ثناؤه أن الجنة التي وصف صفتها لمن اتقاه وأنفق ماله في حال الرخا والسعة وفي حال الضيق والشدة في سبيله وقوله والكاظمين الغيظ يعني والجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه يقال منه كظم فلان غيظه اذا تجرعه فحفظ نفسه من أن تمضي ماهي قادرة على امضائه باستمكانها ممن غاظها وانتصارها ممن ظلمها وأصل ذلك من كظم القربة يقال منه كظمت القربة اذا ملأتها ماء وفلان كظيم ومكظوم اذا كان ممتلئا غما وحزنا ومنه قول الله عز وجل وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم يعني ممتلئ من الحزن ومنه قيل لمجاري المياه الكظائم لامتلائها بالماء ومنه قيل أخذت بكظمه يعني بمجاري نفسه والغيظ مصدر من قول القائل غاظني فلان فهو يغيظني غيظا وذلك اذا أحفظه وأغضبه وأما قوله والعافين عن الناس فانه يعني والصافحين عن الناس عقوبة ذنوبهم اليهم وهم على الانتقام منهم قادرون فتاركوها لهم وأما قوله والله يحب المحسنين فانه يعني فان الله يحب من عمل بهذه الامور التي وصف أنه أعد للعاملين بها الجنة التي عرضها السموات والارض والعاملون بها هم المحسنون واحسانهم هو عملهم بها كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق الذين ينفقون في السراء والضراء الآية والعافين عن الناس والله يحب المحسنين أي وذلك الاحسان وأنا أحب من عمل به حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين قوم أنفقوا في العسر واليسر والجهد والرخاء فمن استطاع أن يغلب الشر بالخير فليفعل ولا قوة الا بالله فنعمت والله يا ابن آدم الجرعة تجترعها من صبر وأنت مغيظ وأنت مظلوم حدثني موسى بن عبد الرحمن قال ثنا محمد بن بشر قال ثنا محرز أبو رجاء عن الحسن قال يقال يوم القيامة ليقم من كان له على الله أجر فما يقوم الا انسان عفا ثم قرأ هذه الآية والعافين عن الناس والله يحب المحسنين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا داود بن قيس عن زيد بن أسلم عن رجل من أهل الشأم يقال له عبد الجليل عن عم له عن أبي هريرة في قوله والكاظمين الغيظ ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأه الله أمنا وايمانا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله والكاظمين الغيظ الى والله يحب المحسنين فالكاظمين الغيظ كقوله واذا ما غضبوا هم يغفرون يغضبون في الامر لو وقعوا به كان حراما فيغفرون ويعفون يلتمسون بذلك وجه الله والعافين عن الناس كقوله ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة الى ألا تحبون أن يغفر الله لكم يقول لا تقسموا على أن لا تعطوهم من

سميت تلك المواضع مقاعد (والله سميع) لأقوالكم (عليم) بضمائركم ونياتكم فانا بينا أنه كان في القوم موافق ومنافق (اذ همت طائفتان منكم) هما حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان (٦١) أن تفشلا والفشل الجبن والخور والظاهر أنهما ما كانت عزيمة ممضاة ولكنها كانت حديث نفس وقلما تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع فان ساعدها اصحابها ذم وان ردها الى الثبات والصبر فلا بأس بما فعل وعن معاوية أنه قال عليكم بحفظ الشعر فقد كدت أضع رجلي في الركاب يوم صفين فما ثبتني الا قول عمرو بن الاطنابة

أقول لها اذا جشأت وجاشت
مكانك تحمدي أو تستريحي

ومما يدل على أن ذلك الهم لم يفض الى حد العصيان قوله تعالى والله وليهما ولو كانت عزيمة لما ثبت معها الولاية ويجوز أن يراد والله ناصرهما ومتولي أمرهما فما لهما يفشلان ولا يتوكلان على الله (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) والتوكل تفعل من وكل أمره الى فلان اذا اعتمد في كفايته عليه ولم يتوله بنفسه وفيه اشارة الى أن الانسان يجب أن يدفع ما يعرض له من مكروه وآفة بالتوكل على الله وأن يصرف الجزع عن نفسه بذلك عن جابر فينا نزلت اذ همت طائفتان نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة وما يسرني أنها لم تنزل لقول الله والله وليهما أخرجاه في الصحيحين ومع ذلك قال بعض العلماء ان الله أبهم ذكرهما وستر عليهما فلا يجوز لنا أن نهتك ذلك الستر (ولقد نصركم الله ببدر) وانه ما بين مكة والمدينة عن الواقدي أنه اسم لماء بعينه وعن الشعبي انه سمي باسم رجل كان ذلك الماء له (وأنتم أذلة) انما جاء بجمع القلة دون الاذلاء الذي هو للكثرة ليدل على انهم مع قلة العدد وهو المراد بذلتهم كانوا قليلي العدد أيضا كما مر في تفسير قوله قد كان لكم آية ولم يعن بالذلة ههنا نقيض العزة لقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين أو لعل المراد أنهم كانوا أذلة في زعم المشركين وفي

اعتقادهم لقلة عددهم وسلاحهم كما حكى عنهم ليخرجن الأعز منها الاذل أولعل الصحابة كانوا قد شاهدوا الكفار في مكة في غاية القوة والشوكة والى هذا الوقت ما اتفق لهم استيلاء على أولئك الكفار فكانت هيبتهم باقية في نفوسهم فاتقوا الله في الثبات مع

النفقة شيأ واعفوا واصفحوا ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾ يعني بقوله جل ثناؤه والذين اذا فعلوا فاحشة أن الجنة التي وصف صفتها أعدت للمتقين المنفقين في السراء والضراء والذين اذا فعلوا فاحشة وجميع هذه النعوت من صفة المتقين الذين قال تعالى ذكره وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا جعفر بن سليمن عن ثابت البناني قال سمعت الحسن قرأ هذه الآية الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ثم قرأ والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم الى أجر العاملين فقال ان هذين النعتين لنعت رجل واحد حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم قال هذان ذنبان الفاحشة ذنب وظلموا أنفسهم ذنب أما الفاحشة فهي صفة لمتروك ومعنى الكلام والذين اذا فعلوا فعلة فاحشة ومعنى الفاحشة الفعلة القبيحة الخارجة عما أذن الله عز وجل فيه وأصل الفحش القبح والخروج عن الحد والمقدار في كل شئ ومنه قيل للطويل المفرط الطول انه لفاحش الطول يراد به قبيح الطول خارج عن المقدار المستحسن ومنه قيل للكلام القبيح غير القصد كلام فاحش وقيل للمتكلم به أفحش في كلامه اذا نطق بفحش وقيل ان الفاحشة في هذا الموضع معنى بها الزنا ذكر من قال ذلك حدثنا العباس بن عبد العظيم قال ثنا حبان قال ثنا حماد عن ثابت عن جابر والذين اذا فعلوا فاحشة قال زنى القوم ورب الكعبة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي والذين اذا فعلوا فاحشة أما الفاحشة فالزنا وقوله أو ظلموا أنفسهم يعني به فعلوا بأنفسهم غير الذي كان ينبغي لهم أن يفعلوا بها والذي فعلوا من ذلك ركوبهم من معصية الله ما أوجبوا لها به عقوبته كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن ابراهيم قوله والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم قال الظلم من الفاحشة والفاحشة من الظلم وقوله ذكروا الله يعني بذلك ذكروا وعيد الله على ما أتوا من معصيتهم اياه فاستغفروا لذنوبهم يقول فسألوا ربهم أن يستر عليهم ذنوبهم بصفحه لهم عن العقوبة عليها ومن يغفر الذنوب الا الله يقول وهل يغفر الذنوب أي يعفو عن راكبها فيسترها عليه الا الله ولم يصروا على ما فعلوا يقول ولم يقيموا على ذنوبهم التي أتوها ومعصيتهم التي ركبوها وهم يعلمون يقول لم يقيموا على ذنوبهم عامدين للمقام عليها وهم يعلمون أن الله قد تقدم بالنهي عنها وأوعد عليها العقوبة من ركبها وذكر أن هذه الآية أنزلت خصوصا بتخفيفها وتيسرها أمتنا مما كانت بنو اسرائيل ممتحنة به من عظيم البلاء في ذنوبها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح أنهم قالوا يا نبي الله بنو اسرائيل أكرم على الله منا كانوا اذا أذنب أحدهم أصبحت كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة بابه اجدع أذنك اجدع أنفك افعل فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الى قوله والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بخير من ذلك فقرأ هؤلاء الآيات حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني عمر بن خليفة العبدي قال ثنا علي بن زيد بن جدعان قال قال ابن مسعود كانت بنو اسرائيل اذا أذنبوا أصبح مكتوبا على بابه الذنب وكفارته فأعطينا خيرا من ذلك هذه الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا

رسوله (لعلكم تشكرون) بسبب تقواكم ما أنعم به عليكم من نصره أو لعل الله ينعم عليكم نعمة أخرى تشكرونها فوضع الشكر موضع الانعام لانه سبب له (اذ تقول للمؤمنين) اختلف المفسرون في أن هذا الوعد حصل يوم بدر فيكون العامل في اذ قوله نصركم أو حصل يوم أحد فيكون بدلا ثانيا من اذ غدوت والاول قول أكثر المفسرين لان الكلام متصل بقصة بدر ولان العدد والعدد يوم بدر أقل وكان الاحتياج الى المدد أكثر والثاني مروي عن ابن عباس والكلبي والواقدي ومقاتل ومحمد بن اسحق لان المدد يوم بدر كان بالف من الملائكة لقوله تعالى في سورة الأنفال فاستجاب لكم أني ممدكم بالف من الملائكة دون ثلاثة الاف وخمسة آلاف فأنى صار واخمسة آلاف وأجيب بانهم أمدوا بالف ثم زيد ألفان فصاروا ثلاثة آلاف ثم زيدت ألفان آخران فصاروا خمسة آلاف فكأنه قيل لهم ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بالف من الملائكة فقالوا بلى ثم قيل ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف فقالوا بلى ثم قيل لهم ان تصبروا وتتقوا يمددكم ربكم بخمسة آلاف وهو كما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه أيسركم أن تكونوا ربع أهل الجنة قالوا نعم قال أيسركم أن تكونوا ثلث أهل الجنة قالوا نعم قال فاني أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة وأيضا لعل أهل بدر أمدوا بالف ثم بلغهم أن بعض المشركين يريد امداد قريش بعدد كثير فخافوا وشق ذلك عليهم لقلة عددهم فوعدهم الله بان الكفار ان جاءهم مدد فأنا أمدكم بخمسة آلاف من الملائكة ثم انه لم يات قريشا ذلك المدد بل انصرفوا حين بلغهم هزيمة قريش فاستغنى عن

إمداد المسلمين بالزيادة على الالف قالوا ان الكفار كانوا يوم بدر ألفا والمسلمون على الثلث منهم فانزل الله ألفا من الملائكة بعدد الكفار وأما يوم أحد فكان عدد المسلمين ألفا وعدد الكفار ثلاثة آلاف فلا جرم أنزل الله ثلاثة آلاف من (٦٣) الملائكة بعدد الكفار أيضا ثم وعدهم أن يجعل الثلاثة الآلاف خمسة آلاف ان صبروا واتقوا وأجيب بان هذا تقريب حسن ولكنه لا يغلب على الظن أن يكون الامر كذلك قالوا قال تعالى ويأتوكم من فورهم ويوم أحد هو الذي كان يأتيهم الاعداء أما يوم بدر فهم ذهبوا الى الاعداء وأجيب بان المشركين لما سمعوا يوم بدر أن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد تعرضوا للعير ثار الغضب في قلوبهم واجتمعوا وقصدوا النبي صلى الله عليه وسلم ثم ان الصحابة لما سمعوا ذلك خافوا فاخبرهم الله تعالى أنهم ان أتوكم من فورهم يمددكم ربكم بخمسة آلاف ثم قالوا في وجه النظم انه تعالى ذكر قصة أحد ثم قال وعلى الله فليتوكل المؤمنون أي يجب أن يكون توكلكم على الله لا على كثرة عددكم وعددكم ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ثم عاد الى قصة أحد ثم انزال خمسة آلاف كان مشروطا بشرط ان يصبروا ويتقوا ثم انهم لم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا بل خالفوا أمر الرسول فلما فات الشرط لا جرم فات المشروط وأما انزال ثلاثة آلاف فانه صلى الله عليه وسلم وعدهم ذلك بشرط أن يثبتوا في تلك المقاعد فلما أهملوا الشرط لم يحصل المشروط وروى الواقدي عن مجاهد أنه قال حضرت الملائكة يوم أحد ولكنهم لم يقاتلوا وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أعطى اللواء مصعب بن عمير فقتل مصعب فاخذه ملك في صورة مصعب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم يا مصعب فقال الملك لست بمصعب فعرف الرسول صلى الله عليه وسلم أنه ملك أمد به وعن سعد بن أبي وقاص أنه قال كنت أرمي السهم يومئذ فيرده على رجل أبيض حسن الوجه وما كنت أعرفه فظننت انه ملك هذا حاصل تقرير القولين واختلفوا أيضا

يحيى بن واضح قال ثنا جعفر بن سليمن عن ثابت البناني قال لما نزلت ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه بكى ابليس فزعا من هذه الآية حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا جعفر بن سليمن عن ثابت البناني قال بلغني أن ابليس حين نزلت هذه الآية والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم بكى حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت عثمان مولى آل أبي عقيل الثقفي قال سمعت علي بن ربيعة يحدث عن رجل من فزارة يقال له أسماء أو ابن أسماء عن علي قال كنت اذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ نفعني الله بما شاء أن ينفعني فحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد قال شعبة وأحسبه قال مسلم يذنب ذنبا ثم يتوضأ ثم يصلي ركعتين ثم يستغفر الله لذلك الذنب (١) وقال شعبة وقرأ احدى هاتين الآيتين من يعمل سوأ يجز به والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي وحدثنا الفضل بن اسحق قال ثنا وكيع عن مسعر وسفيان عن عثمان بن المغيرة الثقفي عن علي بن ربيعة الوالبي عن أسماء بن الحكم الفزاري عن علي بن أبي طالب قال كنت اذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعني الله بما شاء منه واذا حدثني عنه غيره استحلفته فاذا حلف لي صدقته وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يذنب ذنبا ثم يتوضأ ثم يصلي قال أحدهما ركعتين وقال الآخر ثم يصلي ويستغفر الله الا غفر له حدثنا الزبير بن بكار قال ثني سعد بن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أخيه عن جده عن علي بن أبي طالب أنه قال ما حدثني أحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سألته أن يقسم لي بالله لهو سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أبا بكر فانه كان لا يكذب قال علي رضي الله عنه فحدثني أبو بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد يذنب ذنبا ثم يقوم عند ذكر ذنبه فيتوضأ ثم يصلي ركعتين ويستغفر الله من ذنبه ذلك الا غفره الله له وأما قوله ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم فانه كما بينا تأويله وبنحو ذلك كان أهل التأويل يقولون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ابن اسحق والذين اذا فعلوا فاحشة أي ان أتوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم بمعصية ذكروا نهي الله عنها وما حرم الله عليهم فاستغفروا لها وعرفوا أنه لا يغفر الذنوب الا هو وأما قوله ومن يغفر الذنوب الا الله فان اسم الله مرفوع ولا جحد قبله وانما رفع ما بعد الا باتباعه ما قبله اذا كان نكرة ومعه جحد كقول القائل ما في الدار أحد الا أخوك فأما اذا قيل قام القوم الا أباك فان وجه الكلام في الاب النصب ومن بصلته في قوله ومن يغفر الذنوب الا الله معرفة فان ذلك انما جاء رفعا لان معنى الكلام وهل يغفر الذنوب أحد أو ما يغفر الذنوب أحد الا الله فرفع ما بعد الا من الله على تأويل الكلام لا على لفظه وأما قوله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون فان أهل التأويل اختلفوا في تأويل الاصرار ومعنى هذه الكلمة فقال بعضهم معنى ذلك لم يثبتوا على ما أتوا من الذنوب ولم يقيموا عليه ولكنهم تابوا واستغفروا كما وصفهم الله به ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون فاياكم والاصرار فانما هلك المصرون الماضون قدما لا ينهاهم مخافة الله عن حرام حرمه الله عليهم ولا يتوبون من ذنب أصابوه حتى أتاهم الموت وهم على

(١) كذا في النسخ ولعله سقط من قلم الناسخ لفظ الا غفر له كما هو في الروايات بعد اه كتبه مصححه

في عدد الملائكة فمنهم من ضم العدد الناقص الى العدد الزائد لان الوعد بامداد الثلاثة الآلاف لا شرط فيه والوعد بامداد خمسة الآلاف مشروط بالصبر والتقوى ومجيء الكفار من (٦٤) فورهم فهما متغايران وعلى هذا ان حملنا الآية على قصة بدر وقد ورد فيها ذكر الالف في موضع آخر فيكون المجموع تسعة الاف وان حملناها على قصة أحد كان الجميع ثمانية آلاف ومنهم من أدخل الناقص في الزائد فقال وعدوا بالف ثم زيد ألفان فصح أن يقال وعدوا بثلاثة آلاف ثم زيد ألفان آخران فوعدوا بخمسة آلاف وأجمع أهل التفسير وأرباب السير انه تعالى أنزل الملائكة يوم بدر وأنهم قاتلوا الكفار وعن ابن عباس انه لم تقاتل الملائكة سوى يوم بدر وفيما سواه كانوا عددا ومددا لا يقاتلون ولا يضربون ومنهم من قال ان نصر الملائكة بالقاء الرعب في قلوب الكفار وباشعار المؤمنين بان النصرة لهم وأما أبو بكر الاصم فقد أنكر امداد الملائكة وقال ان الملك الواحد يكفي في اهلاك أهل الارض كما فعل جبريل بمدائن قوم لوط فاذا حضر هو يوم بدر فأي حاجة الى مقاتلة الناس مع الكفار وبتقدير حضوره فأي فائدة في ارسال سائر الملائكة وأيضا فان أكابر الكفار كانوا مشهورين وقاتل كل منهم من الصحابة معلوم وأيضا لو قاتلوا فاما أن يكونوا بحيث يراهم الناس أولا وعلى الاول كان المشاهد من عسكر الرسول ثلاثة آلاف وأكثر ولم يقل أحد بذلك ولانه خلاف قوله ويقللكم في أعينهم ولو كانوا في غير صورة الناس لزم وقوع الرعب الشديد في قلوب الخلق ولم ينقل ذلك البتة وعلى الثاني كان يلزم جز الرؤس وتمزيق البطون واسقاط الكفار عن الافراس من غير مشاهدة فاعل لهذه الافعال ومثل هذا يكون من أعظم المعجزات فكان يجب أن يتواتر ويشتهر بين الكافر وصنفها
والمسلم والموافق والمخالف وأيضا انهم لو كانوا أجساما كثيفة وجب أن يراهم الكل وان كانوا أجساما لطيفة هوائية فكيف ثبتوا على الخيول

ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون قال قدما قدما في معاصي الله لا ينهاهم مخافة الله حتى جاءهم أمر الله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أي لم يقيموا على معصيتي كفعل من أشرك بي فيما عملوا به من كفر بي * وقال آخرون معنى ذلك لم يواقعوا الذنب اذا هموا به ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله ولم يصروا على ما فعلوا قال اتيان العبد ذنبا اصرار حتى يتوب حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل ولم يصروا على ما فعلوا قال لم يواقعوا * وقال آخرون معنى الاصرار السكوت على الذنب وترك الاستغفار ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أما يصروا فيسكتوا ولا يستغفروا * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب عندنا قول من قال الاصرار الاقامة على الذنب عامدا أو ترك التوبة منه ولا معنى لقول من قال الاصرار على الذنب هو مواقعته لان الله عز وجل مدح بترك الاصرار على الذنب مواقع الذنب فقال والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ولو كان المواقع الذنب مصرا بمواقعته اياه لم يكن للاستغفار وجه مفهوم لان الاستغفار من الذنب انما هو التوبة منه والندم ولا يعرف للاستغفار من ذنب لم يواقعه صاحبه وجه وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما أصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة حدثني بذلك الحسين بن يزيد السبيعي قال ثنا عبد الحميد الحماني عن عثمان بن واقد عن أبي نصيرة عن مولى لأبي بكر عن أبي بكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو كان مواقع الذنب مصرا لم يكن لقوله ما أصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة معنى لان مواقعة الذنب اذا كانت هي الاصرار فلا يزيل الاسم الذي لزمه معنى غيره كما لا يزيل عن الزاني اسم زان وعن القاتل اسم قاتل توبته منه ولا معنى غيرها وقد أبان هذا الخبر أن المستغفر من ذنبه غير مصر عليه فمعلوم بذلك أن الاصرار غير المواقعة وأنه المقام عليه على ما قلنا قبل واختلف أهل التأويل في تأويل قوله وهم يعلمون فقال بعضهم معناه وهم يعلمون أنهم قد أذنبوا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أما وهم يعلمون فيعلمون أنهم قد أذنبوا ثم أقاموا فلم يستغفروا * وقال آخرون معنى ذلك وهم يعلمون أن الذي أتوا معصية الله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وهم يعلمون قال يعلمون ما حرمت عليهم من عبادة غيري * قال أبو جعفر وقد تقدم بياننا أولى ذلك بالصواب ﴿ القول في تأويل قوله (أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين) يعني تعالى ذكره بقوله أولئك الذين ذكر أنه أعد لهم الجنة التي عرضها السموات والارض من المتقين ووصفهم بما وصفهم به ثم قال هؤلاء الذين هذه صفتهم جزاؤهم يعني ثوابهم من أعمالهم التي وصفهم تعالى ذكره انهم عملوها مغفرة من ربهم يقول عفو لهم من الله عن عقوبتهم على ما سلف من ذنوبهم ولهم على ما أطاعوا الله فيه من أعمالهم بالحسن منها جنات وهي البساتين تجري من تحتها الانهار يقول تجري خلال أشجارها الانهار وفي أسافلها جزاء لهم على صالح أعمالهم خالدين فيها يعني دائمي المقام في هذه الجنات التي

وصفها ونعم أجر العاملين يعني ونعم جزاء العاملين لله الجنات التي وصفها كما حدثنا ابن حميد قال
ثنا سلمة عن ابن اسحق أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
ونعم أجر العاملين أي ثواب المطيعين ۞ القول في تاويل قوله ﴿قد خلت من قبلكم سنن فسيروا
في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ يعني بقوله تعالى ذكره قد خلت من قبلكم سنن
مضت وسلفت مني فيمن كان قبلكم يا معشر أصحاب محمد وأهل الايمان به من نحو قوم عاد وثمود وقوم
هود وقوم لوط وغيرهم من سلاف الامم قبلكم سنن يعني مثلات سير بها فيهم وفيمن كذبوا به من
أنبيائهم الذين أرسلوا اليهم بامهالي أهل التكذيب بهم واستدراجي اياهم حتى بلغ الكتاب فيهم
أجله الذي أجلته لادالة أنبيائهم وأهل الايمان بهم عليهم ثم أحللت بهم عقوبتي وأنزلت بساحتهم
نقمتي فتركتهم لمن بعدهم أمثالا وعبرا (فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين)
يقول فسيروا أيها الظانون أن ادالتي من أدلت من أهل الشرك يوم أحد على محمد وأصحابه لغير
استدراج مني لمن أشرك بي وكفر برسلي وخالف أمري في ديار الامم الذين كانوا قبلكم ممن كان على
مثل الذي عليه هؤلاء المكذبون برسولي والجاحدون وحدانيتي فانظروا كيف كان عاقبة
تكذيبهم أنبيائي وما الذي آل اليه عن خلافهم أمري وانكارهم وحدانيتي فتعلموا عند ذلك
أن ادالتي من أدلت من المشركين على نبيي محمد وأصحابه بأحد انما هي استدراج وامهال ليبلغ
الكتاب أجله الذي أجلت لهم ثم اما أن يؤل حالهم الى مثل ما آل اليه حال الامم الذين سلفوا قبلهم
من تعجيل العقوبة عليهم أو ينيبوا الى طاعتي واتباع رسولي وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل
التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر قال ثنا عباد عن الحسن في
قوله قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين فقال ألم
تسيروا في الارض فتنظروا كيف عذب الله قوم نوح وقوم لوط وقوم صالح والامم التي عذب الله عز
وجل حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في
قوله قد خلت من قبلكم سنن يقول في الكفار والمؤمنين والخير والشر حدثني المثنى قال ثنا
أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قد خلت من قبلكم سنن في المؤمنين والكفار
حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال استقبل ذكر المصيبة التي نزلت بهم يعني بالمسلمين
يوم أحد والبلاء الذي أصابهم والتمحيص لما كان فيهم واتخاذه الشهداء منهم فقال تعزية لهم
وتعريفا لهم فيما صنعوا وما هو صانع بهم قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا
كيف كان عاقبة المكذبين أي قد مضت مني وقائع نقمة في أهل التكذيب لرسلي والشرك في عاد
وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين فسيروا في الارض تروا مثلات قد مضت فيهم ولمن كان على مثل
ما هم عليه مثل ذلك مني وان أمكنت لهم أي لئلا يظنوا أن نقمتي انقطعت عن عدوهم وعدوي
للدولة التي أدلتها عليكم بها لأبتليكم بذلك لأعلم ما عندكم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد
عن قتادة قوله قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين
يقول متعهم في الدنيا قليلا ثم صيرهم الى النار وأما السنن فانها جمع سنة والسنة هي المثال المتبع
والامام المؤتم به يقال منه سن فلان فينا سنة حسنة وسن سنة سيئة اذا عمل عملا اتبع عليه من
خير وشر ومنه قول لبيد بن ربيعة

من معشر سنت لهم آباؤهم * ولكل قوم سنة وامامها

* واعلم أن هذه الشبه لا يليق ايرادها بقوانين الشريعة وعمن يدعي التمسك بها ويعترف بانه تعالى قادر على ما يشاء فاعل لما يريد فما كان
يليق بالاصم ايرادها مع أن نص القرآن ناطق بها وورودها في الاخبار قريب من التواتر روي عبيد بن عمير قال لما رجعت قريش
من أحد جعلوا يتحدثون في أنديتهم
بما ظفروا ويقولون لم نر الخيل
البلق ولا الرجال البيض الذين كنا
نراهم يوم بدر والتحقيق في هذا
المقام أن التكليف ينافي الالجاء
وانه تعالى قادر على اهلاك جميع
الكفار في لحظة واحدة بملك واحد
بل بادنى من ذلك أو بلا سبب وكذا
على أن يجبرهم على الاسلام
ويقسرهم عليه لكنه لما أراد اشادة
هذا الدين على مهل وتدريج وبواسطة
الدعوة وبطريق الابتلاء والتكليف
فلا جرم أجرى الامور على ما أجرى
فله الحمد على ما أولى وله الحكم في
الآخرة والاولى والحاصل أن اهلاك
قوم لوط كان بعد انقضاء تكليفهم
وهو حين نزول البأس فلا جرم
أظهر القدرة وجعل عاليها سافلها
وفي حرب أحد كان الزمان زمان
تكليف فلا جرم أظهر الحكمة
ليتميز الموافق من المنافق والثابت من
المضطرب فانه لو جرى الامر في أحد
كما جرى في بدر أشبه أن يفضي
الامر الى حد الالجاء ونافى التكليف
ونوط الثواب والعقاب به ولمثل
ذلك أمد بالملائكة حين أمد على
عادة الامداد بالعساكر والا فملك
واحد يكفي في اهلاك كثير من
الناس فاعلم ولنعد الى تفسير الالفاظ
قال صاحب الكشاف انما قدم لهم
الوعد بنزول الملائكة ليقوى
قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا
بنصر الله ومعنى ألن يكفيكم انكار أن
لا يكفيهم الامداد بثلاثة آلاف من
الملائكة وانما جيء بلن الذي هو تأكيد النفي للاشعار بانهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم
كالآيسين من النصر ومعنى الكفاية سد الخلة والقيام بما يجب ومعنى الامداد اعطاء الشيء حالا بعد حال قال بعضهم ما كان على جهة القوة

وقول سليمن بن قتة

وان الألى بالطف من آل هاشم * تآسوا فسنوا للكرام التآسيا

وقال ابن زيد في ذلك ما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قد خلت من قبلكم سنن قال أمثال ◎ القول في تأويل قوله عز وجل ﴿هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين﴾ اختلف أهل التأويل في المعنى الذي أشير إليه بهذا فقال بعضهم عنى بقوله هذا القرآن ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد عن الحسن في قوله هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين قال هذا القرآن حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هذا بيان للناس وهو هذا القرآن جعله الله بيانا للناس عامة وهدى وموعظة للمتقين خصوصا حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال في قوله هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين خاصة حدثني المثنى قال ثنا سويد قال ثنا ابن المبارك عن ابن جريج في قوله هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين خاصة * وقال آخرون انما أشير بقوله هذا الى قوله قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ثم قال هذا الذي عرفتكم يا معشر أصحاب محمد بيان للناس ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق بذلك * وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال قوله هذا اشارة الى ما تقدم هذه الآية من تذكير الله جل ثناؤه المؤمنين وتعريفهم حدوده وحضهم على لزوم طاعته والصبر على جهاد أعدائه وأعدائهم لان قوله هذا اشارة الى حاضر اما مرئي وأما مسموع وهو في هذا الموضع الى حاضر مسموع من الآيات المتقدمة فمعنى الكلام هذا الذي أوضحت لكم وعرفتكموه بيان للناس يعني بالبيان الشرح والتفسير كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق هذا بيان للناس أي هذا تفسير للناس ان قبلوه حدثنا أحمد بن حازم والمثنى قالا ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن بيان عن الشعبي هذا بيان للناس قال من العمى حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن الشعبي مثله وأما قوله وهدى وموعظة فانه يعني بالهدى الدلالة على سبيل الحق ومنهج الدين وبالموعظة التذكرة للصواب والرشاد كما حدثنا أحمد بن حازم والمثنى قالا ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن بيان عن الشعبي وهدى قال من الضلالة وموعظة من الجهل حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن بيان عن الشعبي مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق للمتقين أي لمن أطاعني وعرف أمري ◎ القول في تأويل قوله ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين﴾ وهذا من الله تعالى ذكره تعزية لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما أصابهم من الجراح والقتل بأحد قال ولا تهنوا ولا تحزنوا يا أصحاب محمد يعني ولا تضعفوا بالذي نالكم من عدوكم بأحد من القتل والقروح عن جهاد عدوكم وحربهم من قول القائل وهن فلان في هذا الامر فهو يهن وهنا ولا تحزنوا ولا تأسوا فتجزعوا على ما أصابكم من المصيبة يومئذ فانكم أنتم الأعلون يعني الظاهرون عليهم ولكم العقبى في الظفر والنصرة عليهم ان كنتم مؤمنين يقول ان كنتم مصدقي نبيي محمد صلى الله عليه وسلم فيما يعدكم وفيما ينبئكم من الخبر عما يؤول إليه أمركم وأمرهم كما حدثنا المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن يونس عن الزهري قال كثر في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم القتل والجراح حتى خلص الى كل امرئ منهم البأس فانزل الله عز وجل القرآن فآسى

فيه

والاعانة قيل فيه أمده عدده وما كان على جهة الزيادة قيل فيه مده عده وقرئ منزلين بكسر الزاي بمعنى منزلين النصر بلى ايجاب لما بعد لن أي بلى يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية (٦٦) ثم قال ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا أي من ساعتهم هذه والفور مصدر من فارت القدر اذا غلت ثم استعمل في معنى السرعة يقال جاء فلان ورجع من فوره ومنه قول الاصوليين الامر للفور أو للتراخي ثم سميت به الحالة التي لا توقف فيها على صاحبها فقيل خرج من فوره كما يقال من ساعته لم يلبث جعل مجيء خمسة آلاف مشروطا بثلاثة أشياء الصبر والتقوى ومجيء الكفار على الفور فلما لم توجد هذه الشرائط بكلها أو بجلها فلا جرم لم يوجد المشروط ويحتمل أن يعلق قوله من فورهم هذا بما بعده أي يمددكم ربكم بالملائكة في حال اتيانهم لا يتأخر النزول عن الاتيان وفيه بشارة بتعجيل النصر والفتح ان صبروا عن الغنائم واتقوا مخالفة الرسول وقوله مسوّمين من السومة العلامة وقد يعلم الفارس يوم اللقاء بعلامة ليعرف بها فمن قرأ بكسر الواو فمعناه معلمين أنفسهم أو خيلهم بعلامات مخصوصة ومن قرأ بالفتح فالمعنى أن الله سوّمهم قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على أكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف الابيض في نواصي الخيول وأذنابها وعن مجاهد مجزوزة أذناب خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لاصحابه يوم بدر تسوّموا فان الملائكة قد تسوّمت وقيل مسوّمين مرسلين من أسمت الابل وسوّمتها أرسلتها للرعي فالمعنى أن الملائكة أرسلت خيولهم على الكفار لقتلهم وأسرهم أو أن الله تعالى أرسلهم على المشركين ليهلكوهم كما تهلك الماشية النبات في المراعي وما جعله الله الضمير

عائد الى المدد أو الامداد الدال عليه الفعل وقال الزجاج وما جعل الله ذكر المدد الا بشرى وهي اسم من البشارة أي الا لتبشروا بأنكم تنصرون ولتطمئن قلوبكم به كما كانت السكينة لبني اسرائيل بشارة بالنصر وطمانينة لقلوبهم (٦٧) وما النصر الا من عند الله لا من المقاتلة اذا تكاثروا ولا من عند الملائكة والسكينة ولكن ذلك مما يقوى به الله رجاء النصرة ويربط به على قلوب المجاهدين وفيه تنبيه على أن ايمان العبد لا يكمل الا عند الاعراض عن الاسباب والاقبال بالكلية على مسببها وقوله العزيز اشارة الى كمال قدرته والحكيم اشارة الى كمال علمه فلا يخفى عليه حاجات العباد ولا يعجز عن انجاحها ليقطع طرفا أي طائفة وقطعة من الذين كفروا وانما حسن في هذا الموضع ذكر الطرف دون الوسط لانه لا وصول الى الوسط الا بعد الاخذ من الطرف كما قال أولم يروا أنا نأتي الارض ننقصها من أطرافها قاتلوا الذين يلونكم من الكفار أو يكبتهم الكبت في اللغة صرع الشيء على وجهه وفسره الأئمة ههنا بالاخزاء والاهلاك واللعن والهزيمة والغيظ والاذلال والكل متقارب فينقلبوا خائبين غير ظافرين بمبتغاهم قيل الخيبة لا تكون الا بعد التوقع ونقيضه الظفر وأما اليأس فقد يكون قبل التوقع وبعده ونقيضه الرجاء واللام في ليقطع يحتمل أن يتعلق بقوله ولقد نصركم أو بقوله وما النصر ويحتمل أن يكون من تمام قوله ولتطمئن ولكنه ذكر بغير العاطف لانه اذا كان البعض قريبا من البعض جاز حذف العاطف كما يقول السيد لعبده اشتريتك لتخدمني لتعينني لتقوم بخدمتي قوله عز من قائل ليس لك من الامر شيء فيه قولان أحدهما وهو الاشهر أنه نزل في قصة أحد عن أنس بن مالك قال كسرت رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وشج وجهه فجعل يسيل الدم على وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم وفي رواية شج رأسه صلى الله عليه وسلم عتبة بن

فيه المؤمنين بأحسن ما آسى به قوما من المسلمين كانوا قبلهم من الامم الماضية فقال ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين الى قوله لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين يعزي أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كما تسمعون ويحثهم على قتال عدوهم وينهاهم عن العجز والوهن في طلب عدوهم في سبيل الله حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد عن الحسن في قوله ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين قال يأمر محمدا يقول ولا تهنوا أن تمضوا في سبيل الله حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل ولا تهنوا ولا تضعفوا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله ولا تهنوا ولا تحزنوا يقول ولا تضعفوا حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ولا تهنوا قال ابن جريج ولا تضعفوا في أمر عدوكم ولا تحزنوا وأنتم الأعلون قال انهزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب فقالوا ما فعل فلان ما فعل فلان فنعى بعضهم بعضا وتحدثوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل فكانوا في هم وحزن فبينما هم كذلك اذ علا خالد بن الوليد الجبل بخيل المشركين فوقهم وهم أسفل في الشعب فلما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم فرحوا وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا قوة لنا الا بك وليس يعبدك بهذه البلدة غير هؤلاء النفر قال وثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا فرموا خيل المشركين حتى هزمهم الله وعلا المسلمون الجبل فذلك قوله وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولا تهنوا أي لا تضعفوا ولا تحزنوا ولا تأسوا على ما أصابكم وأنتم الأعلون أي لكم تكون العاقبة والظهور ان كنتم مؤمنين ان كنتم صدقتم نبيي بما جاءكم به عني حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال أقبل خالد بن الوليد يريد أن يعلو عليهم الجبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا يعلون علينا فأنزل الله عز وجل ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين

القول في تأويل قوله (ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله) اختلف القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل الحجاز والمدينة والبصرة ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله كلاهما بفتح القاف بمعنى ان يمسسكم القتل والجراح يا معشر أصحاب محمد فقد مس القوم من أعدائكم من المشركين قرح قتل وجراح مثله وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله(١) * وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله بفتح القاف في الحرفين لاجماع أهل التأويل على أن معناه القتل والجراح فذلك يدل على أن القراءة هي الفتح وكان بعض أهل العربية يزعم أن القرح والقرح لغتان بمعنى واحد والمعروف عند أهل العلم بكلام العرب ما قلنا ذكر من قال ان القرح الجراح والقتل حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله قال جراح وقتل حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد

(١) أي بضم القاف فيهما ولعله سقط هنا من قلم الناسخ كتبه مصححه

أبي وقاص يوم أحد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول الحديث فنزلت وفي رواية عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم لعن أقواما فقال اللهم العن أبا سفيان اللهم (٦٨) العن الحرث بن هشام اللهم العن صفوان بن أمية فنزلت هذه الآية وفيها أو يتوب عليهم فتاب الله على هؤلاء فحسن اسلامهم وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب وذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما رآه ورأى ما فعلوا به من المثلة قال لأمثلن منهم بثلاثين فنزلت وقيل أراد أن يلعن المسلمين الذين خالفوا أمره والذين انهزموا فمنعه الله عن ذلك مروي عن ابن عباس وقيل أراد أن يستغفر للمسلمين الذين عصوا أمره فنزلت وقال القفال كل هذه الامور وقعت يوم أحد فلا يمتنع حمل نزول الآية في الكل (القول الثاني) واليه ذهب مقاتل أنها نزلت في واقعة أخرى وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث جماعة من خيار الصحابة زهاء سبعين الى بني عامر ليعلموهم القرآن فلما وصلوا الى موضع يقال له بئر معونة ذهب اليهم عامر بن الطفيل مع عسكره وأخذهم وقتلهم فجزع من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم شديدا ودعا على الكفار في القنوت أربعين يوما يقول بعد ما يرفع رأسه من الركعة الثانية في الصبح اللهم العن بني لحيان والعن رعلا وذكوان اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف حتى أنزل الله عزوجل ليس لك من الامر شيء ولا يخفى أن ظاهر الآية يدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان يفعل فعلا فمنع منه وحينئذ يتوجه الاشكال بأن فعل ذلك الفعل ان كان من الله تعالى فكيف منعه منه والا فهو قدح في عصمته ومناف لقوله وما ينطق عن الهوى والجواب أن المنع من الفعل لا يدل على أن الممنوع مشتغل به كقوله ولا تطع الكافرين مع أنه ما أطاعهم وقوله لئن أشركت ليحبطن عملك مع أنه ما أشرك قط ولعله عليه السلام شاهد من قتل

مثله حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله قال ان يقتلوا منكم يوم أحد فقد قتلتم منهم يوم بدر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله والقرح الجراحة وذاكم يوم أحد فشا في أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم يومئذ القتل والجراحة فأخبرهم الله عزوجل أن القوم قد أصابهم من ذلك مثل الذي أصابكم وأن الذي أصابكم عقوبة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله قال ذلك يوم أحد فشا في المسلمين الجراح وفشا فيهم القتل فذلك قوله ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله يقول ان كان أصابكم قرح فقد أصاب عدوكم مثله يعزي أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ويحثهم على القتال حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله والقرح هي الجراحات حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ان يمسسكم قرح أي جراح فقد مس القوم قرح مثله أي جراح مثلها حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا حفص بن عمر قال ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال نام المسلمون وبهم الكلوم يعني يوم أحد قال عكرمة وفيهم أنزلت ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وفيهم أنزلت ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وأما تأويل قوله ان يمسسكم قرح فانه ان يصبكم كما حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ان يمسسكم ان يصبكم ۞ القول في تأويل قوله (وتلك الايام نداولها بين الناس) يعني تعالى ذكره وتلك الايام نداولها بين الناس أيام بدر وأحد ويعني بقوله نداولها بين الناس نجعلها دولا بين الناس مصرفة ويعني بالناس المسلمين والمشركين وذلك أن الله عزوجل أدال المسلمين من المشركين ببدر فقتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين وأدال المشركين من المسلمين بأحد فقتلوا منهم سبعين سوى من جرحوا منهم يقال منه أدال الله فلانا من فلان فهو يديله منه ادالة اذا ظفر به فانتصر منه مما كان نال منه المدال منه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن وتلك الايام نداولها بين الناس قال جعل الله الايام دولا أدال الكفار يوم أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وتلك الايام نداولها بين الناس انه والله لولا الدول ما أوذي المؤمنون ولكن قد يدال الكافر من المؤمن و يبتلى المؤمن بالكافر ليعلم الله من يطيعه ممن يعصيه ويعلم الصادق من الكاذب حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله وتلك الايام نداولها بين الناس فأظهر الله عزوجل نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه على المشركين يوم بدر وأظهر عليهم عدوهم يوم أحد وقد يدال الكافر من المؤمن و يبتلى المؤمن بالكافر ليعلم الله من يطيعه ممن يعصيه ويعلم الصادق من الكاذب وأما من ابتلى منهم من المسلمين يوم أحد فكان عقوبة بمعصيتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي وتلك الايام نداولها بين الناس يوما لكم ويوما عليكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس نداولها بين الناس قال أدال المشركين على النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثنا

أبي

أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وتلك الايام نداولها بين الناس فانه كان يوم أحد بيوم بدر قتل المؤمنون يوم أحد اتخذ الله منهم شهداء وغلب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر المشركين فجعل له الدولة عليهم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا حفص بن عمر قال ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال لما كان قتال أحد وأصاب المسلمين ما أصاب صعد النبى صلى الله عليه وسلم الجبل فجاء أبو سفيان فقال يا محمد يا محمد ألا تخرج ألا تخرج الحرب سجال يوم لنا ويوم لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه أجيبوه فقالوا لا سواء لا سواء قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار فقال أبو سفيان لنا عزى ولا عزى لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم فقال أبو سفيان اعل هبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا الله أعلى وأجل فقال أبو سفيان موعدكم وموعدنا بدر الصغرى قال عكرمة وفيهم أنزلت وتلك الايام نداولها بين الناس حدثنى المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال ثنا ابن المبارك عن ابن جريج عن ابن عباس فى قوله وتلك الايام نداولها بين الناس فانه أدال على النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وتلك الايام نداولها بين الناس أى نصرفها للناس للبلاء والتمحيص حدثنى ابراهيم بن عبد الله قال أخبرنا عبد الله بن عبد الوهاب الحجبى قال ثنا حماد بن زيد عن ابن عون عن محمد فى قول الله وتلك الايام نداولها بين الناس قال يعنى الامراء

القول فى تأويل قوله ﴿وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين﴾ يعنى بذلك تعالى ذكره وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء نداولها بين الناس ولو لم يكن فى الكلام واو لكان قوله ليعلم متصلا بما قبله وكان وتلك الايام نداولها بين الناس ليعلم الله الذين آمنوا ولكن لما دخلت الواو فيه آذنت بان الكلام متصل بما قبلها وأن بعدها خبرا مطلوبا اللام التى فى قوله وليعلم متعلقة به فان قال قائل وكيف قيل وليعلم الله الذين آمنوا معرفة وأنت لا تستجيز فى الكلام قد سألت فعلمت عبد الله وأنت تريد علمت شخصه الا أن تريد علمت صفته وما هو قيل ان ذلك انما جاز مع الذين لان فى الذين تأويل من وأى وكذلك جائز مثله فى الالف واللام كما قال تعالى ذكره وليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين لان فى الالف واللام من تأويل أى ومن مثل الذى فى الذى ولو جعل مع الاسم المعرفة اسم فيه دلالة على أى جاز كما يقال سألت لأعلم عبد الله من عمرو ويراد بذلك لأعرف هذا من هذا فتأويل الكلام وليعلم الله الذين آمنوا منكم أيها القوم من الذين نافقوا منكم نداول بين الناس فاستغنى بقوله وليعلم الله الذين آمنوا منكم عن ذكر قوله من الذين نافقوا لدلالة الكلام عليه اذ كان فى قوله الذين آمنوا تأويل أى على ما وصفنا فكأنه قيل وليعلم الله أيكم المؤمن كما قال جل ثناؤه لنعلم أى الحزبين أحصى غير أن الالف واللام والذى ومن اذا وضعت مع العلم موضع أى نصبت بوقوع العلم عليه كما قيل وليعلمن الكاذبين فاما أى فانها ترفع وأما قوله ويتخذ منكم شهداء فانه يعنى وليعلم الله الذين آمنوا وليتخذ منكم شهداء أى ليكرم منكم بالشهادة من أراد أن يكرمه بها والشهداء جمع شهيد كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء أى ليميز بين المؤمنين والمنافقين وليكرم من أكرم من أهل الايمان بالشهادة حدثنى المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك قراءة على ابن جريج فى قوله وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء قال فان المسلمين كانوا يسألون ربهم ربنا أرنا يوما كيوم بدر نقاتل فيه المشركين ونبليك فيه خيرا ونلتمس فيه الشهادة فلقوا المشركين يوم أحد فاتخذ منهم شهداء حدثنا

حمزة وغيره ما أورثه حزنا شديدا وكان من الممكن أن يحمله ذلك على ما لا ينبغى من الفعل والقول فنص الله تعالى على المنع تقوية لعصمته صلى الله عليه وسلم وتأكيدا لطهارته ولئن سلمنا أنه كان مشغولا بذلك الفعل والقول فانه (٦٩) محمول على ترك الاولى والنهى ارشاد الى اختيار الافضل وأيضا ان دعاء النبى صلى الله عليه وسلم لا يكون بمجرد التشهى وانما هو بطلب الاصلح فالذى يظن به أنه خلاف مسؤله صلى الله عليه وسلم وقد وقع فهو بالحقيقة سؤاله صلى الله عليه وسلم ولهذا سأل الله تعالى أن يجعل لعنه على من لا يستحقه طهرا وزكاة ورحمة والله أعلم وقوله ليس لك من الامر شئ معناه ليس لك من قصة هذه الواقعة ومن شأن هذه الحادثة شئ فانى أعلم بمصالح عبادى أو المراد الامر الذى هو خلاف النهى أى ليس لك من أمر خلقى شئ الا ما يكون أمرى وحكمى وقوله أو يتوب منصوب باضمار أن وأن يتوب فى حكم اسم معطوف بأو على الامر أى ليس لك من أمرهم شئ أو من التوبة عليهم أو من تعذيبهم ويجوز أن يكون معطوفا على شئ والحاصل منع رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل فعل أو قول الا ما كان باذنه وأمره وفيه ارشاد الى كمال درجات العبودية وأن لا يخوض العبد فى أسرار ملكه تعالى وملكوته وعن الفراء والزجاج أن قوله أو يتوب عليهم عطف على ليقطع وما بعده وقوله ليس لك من الامر شئ كالكلام الاجنبى الواقع بين المعطوف والمعطوف عليه كما تقول ضربت زيدا فاعلم ذلك وعمرا فيكون المعنى ان الله مالك أمرهم فاما أن يهلكهم أو يهزمهم أو يتوب عليهم ان أسلموا أو يعذبهم ان أصروا على الكفر وقيل أو بمعنى الا أن كقولك لألزمنك أو تعطينى حقى والمعنى ليس لك من أمرهم شئ الا أن يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم أو يعذبهم فتتشفى منهم ثم التوبة عليهم مفسرة عند أهل السنة بخلق الندم فيهم على ما مضى وخلق العزم فيهم على أن لا يفعلوا مثل

بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء فكرم الله أولياءه بالشهادة بايدي عدوهم ثم تصير حواصل الامور وعواقبها لاهل طاعة الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء قال قال ابن عباس كانوا يسألون الشهادة فلقوا المشركين يوم أحد فاتخذ منهم شهداء حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء كان المسلمون يسألون ربهم أن يريهم يوما كيوم بدر يبلون فيه خيرا ويرزقون فيه الشهادة ويرزقون الجنة والحياة والرزق فلقي المسلمون يوم أحد فاتخذ الله منهم شهداء وهم الذين ذكرهم الله عزوجل فقال ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات الآية وأما قوله والله لا يحب الظالمين فانه يعني به الذين ظلموا أنفسهم بمعصيتهم ربهم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق والله لا يحب الظالمين أي المنافقين الذين يظهرون بالسنتهم الطاعة وقلوبهم مصرة على المعصية ۞ القول في تأويل قوله ﴿وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين﴾ يعني تعالى ذكره بقوله وليمحص الله الذين آمنوا وليختبر الله الذين صدقوا الله ورسوله فيبتليهم بادالة المشركين منهم حتى يتبين المؤمن منهم المخلص الصحيح الايمان من المنافق كما حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله في قوله وليمحص الله الذين آمنوا قال ليبتلي حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله وليمحص الله الذين آمنوا قال ليمحص الله المؤمن حتى يصدق حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وليمحص الله الذين آمنوا يقول يبتلي المؤمنين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وليمحص الله الذين آمنوا قال يبتليهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين فكان تمحيصا للمؤمنين ومحقا للكافرين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وليمحص الله الذين آمنوا أي يختبر الذين آمنوا حتى يخلصهم بالبلاء الذي نزل بهم وكيف صبرهم ويقينهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين قال يمحق من محق في الدنيا وكان بقية من يمحق في الآخرة في النار وأما قوله ويمحق الكافرين فانه يعني به أنه ينقصهم ويفنيهم يقال منه محق فلان هذا الطعام اذا نقصه أو أفناه يمحقه محقا ومنه قيل لمحاق القمر محاق وذلك نقصانه وفناؤه كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ويمحق الكافرين قال ينقصهم حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله ويمحق الكافرين قال يمحق الكافر حتى يكذبه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ويمحق الكافرين أي يبطل من المنافقين قولهم بالسنتهم ما ليس في قلوبهم حتى يظهر منهم كفرهم الذي يستترون به منكم ۞ القول في تأويل قوله ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾ يعني بذلك جل ثناؤه أم حسبتم يا معشر أصحاب محمد وظننتم أن تدخلوا الجنة وتنالوا كرامة ربكم وشرف المنازل عنده ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم يقول ولما

ذلك في المستقبل وأكد هذا الظاهر ببرهان عقلي وهو أن الندم كراهة تحصل في القلب عما سلف منه والعزم ارادة تتعلق بترك ذلك الفعل فيما يستقبل فلو كانت هذه الارادة فعل العبد لافتقر في فعلها الى ارادة أخرى وتسلسل فهو اذن بخلق الله تعالى وأما المعتزلة ففسروا التوبة عليهم اما بفعل الالطاف أو بقبول التوبة منهم وقوله فانهم ظالمون تعليل حسن التعذيب بسبب شركهم أو عصيانهم ثم أكد ما ذكر من قوله ليس لك من الامر شيء بقوله ولله ما في السموات وما في الارض أي هما والحقائق والماهيات التي فيهما لله فليس الحكم فيهما الا له ثم ذكر لازم الملك والحكم فقال يغفر لمن يشاء بعميم فضله وان كان من الابالسة والفراعنة ويعذب من يشاء بحكم الالهية والقدرة وان كان من الملائكة المقربين والصديقين وكل ذلك يحسن منه شرعا وعقلا والا لم يحصل كمال الملك والحكم الا أن جانب الرحمة والمغفرة غالب ولهذا ختم الكلام بقوله والله غفور رحيم هذا قول الاشاعرة ويؤكده ما يروى عن ابن عباس في تفسير الآية يهب الذنب الكبير لمن يشاء ويعذب من يشاء على الذنب الصغير وأيدوا هذا النقل بدليل عقلي يشبه ما مر آنفا وهو أن الارادات كلها تستند الى الله تعالى دفعا للتسلسل فاذا خلق الله ارادة الطاعة أطاع واذا خلق ارادة المعصية عصى فطاعة العبد أو معصيته تنتهي الى الله وفعل الله لا يوجب على الله شيئا أما المعتزلة فناقشوا في ذلك ورووا عن الحسن يغفر لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء أن يغفر الا للتائبين ويعذب من يشاء ولا يشاء أن يعذب الا المستوجبين للعذاب والحق أن العذاب لازم ملكة العصيان وكذا القرب منه تعالى لازم ملكة الطاعة فان أريد بالوجوب هذا فلا نزاع وان أريد غير ذلك فممنوع والله أعلم ۞ (التأويل) أخبر عن النصر بعد الصبر بقوله واذ غدوت وهو اشارة الى جوهر السالك الصادق والسائر

يتبين لعبادى المؤمنين المجاهد منكم فى سبيل الله على ما أمر به وقد بينت معنى قوله ولما يعلم الله وليعلم الله وما أشبه ذلك بادلته فيما مضى بما أغنى عن اعادته وقوله ويعلم الصابرين يعنى الصابرين عند البأس على ما ينالهم فى ذات الله من جرح وألم ومكروه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق أم حسبتم أن تدخلوا الجنة وتصيبوا من ثوابى الكرامة ولم أختبركم بالشدة وأبتليكم بالمكاره حتى أعلم أصدق ذلك منكم الايمان بى والصبر على ما أصابكم فىّ ونصب ويعلم الصابرين على الصرف والصرف أن يجتمع فعلان ببعض حروف النسق وفى أوله ما لا يحسن اعادته مع حرف النسق فينصب الذى بعد حرف العطف على الصرف لانه مصروف عن معنى الاول ولكن يكون مع جحد أو استفهام أو نهى فى أول الكلام وذلك كقولهم لا يسعنى شئ ويضيق عنك لان لا التى مع يسعنى لا يحسن اعادتها مع قوله ويضيق عنك فلذلك نصب والقرّاء فى هذا الحرف على النصب وقد روى عن الحسن أنه كان يقرأ ويعلم الصابرين فيكسر الميم من يعلم لانه كان ينوى جزمها على العطف به على قوله ولما يعلم الله ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون﴾ يعنى بقوله جل ثناؤه ولقد كنتم تمنون الموت ولقد كنتم يا معشر أصحاب محمد تمنون الموت يعنى أسباب الموت وذلك القتال فقد رأيتموه فقد رأيتم ما كنتم تمنونه والهاء فى قوله رأيتموه عائدة على الموت ومعنى وأنتم تنظرون يعنى قد رأيتموه بمرأى منكم ومنظر أى بقرب منكم وكان بعض أهل العربية يزعم أنه قيل وأنتم تنظرون على وجه التوكيد للكلام كما يقال رأيته عيانا ورأيته بعينى وسمعته باذنى وانما قيل ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه لان قوما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن لم يشهد بدرا كانوا يتمنون قبل أحد يوما مثل يوم بدر فيبلوا الله من أنفسهم خيرا وينالوا من الاجر مثل ما نال أهل بدر فلما كان يوم أحد فر بعضهم وصبر بعضهم حتى أوفى بما كان عاهد الله قبل ذلك فعاتب الله من فرّ منهم فقال ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه الآية وأثنى على الصابرين منهم والموفين بعهدهم ذكر الاخبار بما ذكرنا من ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون قال غاب رجال عن بدر فكانوا يتمنون مثل يوم بدر أن يلقوه فيصيبوا من الخير والاجر مثل ما أصاب أهل بدر فلما كان يوم أحد ولى من ولى منهم فعاتبهم الله أو فعابهم أو فعتبهم على ذلك شك أبو عاصم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه الا أنه قال فعاتبهم الله على ذلك ولم يشك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون أناس من المؤمنين لم يشهدوا يوم بدر والذى أعطى الله أهل بدر من الفضل والشرف والاجر فكانوا يتمنون أن يرزقوا قتالا فيقاتلوا فسيق اليهم القتال حتى كان فى ناحية المدينة يوم أحد فقال الله عز وجل كما تسمعون ولقد كنتم تمنون الموت حتى بلغ الشاكرين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه قال كانوا يتمنون أن يلقوا المشركين فيقاتلوهم فلما لقوهم يوم أحد ولوا حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال ان أناسا من المؤمنين لم يشهدوا يوم بدر والذى أعطاهم الله من الفضل فكانوا يتمنون أن يروا قتالا فيقاتلوا فسيق اليهم القتال حتى كان بناحية المدينة يوم أحد فأنزل الله عز وجل ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه الآية حدثنى

العاشق وذلك أن يغدو فى طلب الحق والرجوع الى المبدا من أصله أى صفات نفسه الحيوانية والبهيمية تبوئ المؤمنين أى صفاتك الروحانية مقاعد لقتال النفس والشيطان والدنيا والله سميع لدعائكم بالاخلاص للخلاص عن ورطة تيه الهوى عليم بصدق نياتكم فى طلب الحق اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا يعنى القلب وأوصافه والروح وأخلاقه والله وليهما ليخرجهما من ظلمات البشرية الى نور الربوبية ولقد نصركم الله ببدر الدنيا وأنتم أذلة من غلبات شهوات النفس اذ تقول للمؤمنين فيه اشارة الى أن نور النبى صلى الله عليه وسلم يلهم أرواح المؤمنين على الدوام عند مقاتلة الشياطين ومجاهدة النفس ومكابدة الهوى فى الركون الى زخارف الدنيا وثلاثة آلاف من الملائكة اشارة الى الجنود الروحانية الملكوتية التى لا تدركها الحواس كقوله وأنزل جنودا لم تروها بلى ان تصبروا على مخالفة النفس وتتقوا بالله عما سواه يزدكم فى الامداد بالجنود ليقطع طرفا ليقهر بعضا من الصفات النفسانية التى هى منشأ الكفر بنصر الروح وصفاته أو يكبتهم أو يغلبهم ويظفر بهم وما النصر الا من عند الله يعز بحكمته من يشاء على ما يشاء والله المستعان على ما تصفون ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا النار التى أعدت للكافرين وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين هذا بيان للناس وهدى

وموعظة للمتقين ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء (٧٣) والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ﴾ القراآت سارعوا بغير واو

محمد بن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن قال بلغني أن رجالا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون لئن لقينا مع النبي صلى الله عليه وسلم لنفعلن ولنفعلن فابتلوا بذلك فلا والله ما كلهم صدق الله فأنزل الله عز وجل ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي كان ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لم يشهدوا بدرا فلما رأوا فضيلة أهل بدر قالوا اللهم انا نسألك أن ترينا يوما كيوم بدر نبليك فيه خيرا فرأوا أحدا فقال لهم ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون أي لقد كنتم تمنون الشهادة على الذي أنتم عليه من الحق قبل ان تلقوا عدوكم يعني الذين حملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على خروجه بهم الى عدوهم لما فاتهم من الحضور في اليوم الذي كان قبله ببدر رغبة في الشهادة التي قد فاتتهم به يقول فقد رأيتموه وأنتم تنظرون أي الموت بالسيوف في أيدي الرجال قد حل بينكم وبينهم وأنتم تنظرون اليهم فصددتم عنهم ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ وسيجزي الله الشاكرين ﴾ يعني تعالى ذكره بذلك وما محمد الا رسول كبعض رسل الله الذين أرسلهم الى خلقه داعيا الى الله والى طاعته الذين حين انقضت آجالهم ماتوا وقبضهم الله اليه يقول جل ثناؤه فمحمد صلى الله عليه وسلم انما هو فيما الله به صانع من قبضه اليه عند انقضاء مدة أجله كسائر مدة رسله الى خلقه الذين مضوا قبله وماتوا عند انقضاء مدة آجالهم ثم قال لاصحاب محمد معاتبهم على ما كان منهم من الهلع والجزع حين قيل لهم بأحد ان محمدا قتل ومقبحا اليهم انصراف من انصرف منهم عن عدوهم وانهزامه عنهم أفائن مات محمد أيها القوم لانقضاء مدة أجله أو قتله عدوكم انقلبتم على أعقابكم يعني ارتددتم عن دينكم الذي بعث الله محمدا بالدعاء اليه ورجعتم عنه كفارا بالله بعد الايمان به وبعد ما قد وضحت لكم صحة ما دعاكم محمد اليه وحقيقة ما جاءكم به من عند ربه ومن ينقلب على عقبيه يعني بذلك ومن يرتدد منكم عن دينه ويرجع كافرا بعد ايمانه فلن يضر الله شيأ يقول فلن يوهن ذلك عزة الله ولا سلطانه ولا يدخل بذلك نقص في ملكه بل نفسه يضر بردته وحظ نفسه ينقص بكفره وسيجزي الله الشاكرين يقول وسيثيب الله من شكره على توفيقه وهدايته اياه لدينه بثبوته على ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ان هو مات أو قتل واستقامته على منهاجه وتمسكه بدينه وملته بعده كما حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن هاشم قال أخبرنا سيف بن عمرو عن أبي روق عن أبي أيوب عن علي في قوله وسيجزي الله الشاكرين الثابتين على دينهم أبا بكر وأصحابه فكان علي رضي الله عنه يقول كان أبو بكر أمين الشاكرين وأمين أحباء الله وكان أشكرهم وأحبهم الى الله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن العلاء بن بدر قال ان أبا بكر أمين الشاكرين وتلا هذه الآية وسيجزي الله الشاكرين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وسيجزي الله الشاكرين أي من أطاعه وعمل بأمره وذكر أن هذه الآية أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن انهزم عنه بأحد من أصحابه ذكر الاخبار الواردة بذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الى قوله وسيجزي الله الشاكرين ذاكم يوم أحد حين أصابهم القرح والقتل ثم تنازعوا نبي الله صلى الله عليه وسلم بقيته ذلك فقال أناس لو كان نبيا ما قتل

العطف أبو جعفر ونافع وابن عامر قرح بالضم حيث كان حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص وجبلة الباقون بالفتح * الوقوف مضاعفة ص لعطف المتفقين تفلحون ه ج للعطف للكافرين ه ترحمون ه ومن قرأ سارعوا بغير واو فوقفه مطلق والارض ص لان ما بعده صفة لجنة أيضا أي جنة واسعة معدة للمتقين لا لأن الذين صفتهم عن الناس ط المحسنين ج ه لان والذين يصلح مبتدأ وخبره أولئك جزاؤهم فلا وقف على يعلمون ويصلح معطوفا لان التائب من الذنب كمن لا ذنب له فيوقف على يعلمون لينصرف عموم أولئك الى المتقين السابقين منهم بعصمة الله واللاحقين بهم برحمة الله والوقف لطول الكلام على لذنوبهم للابتداء بالاستفهام وعلى الا الله لاعتراض الاستفهام ولزوم الجواب بان يقول الروح لا أحد يغفر الذنوب الا أنت خالدين فيها ط العاملين ه سنن لا لتعقب الامر بالاعتبار بعد الاخبار بالتبار المكذبين ه للمتقين ه مؤمنين ه مثله ط بين الناس ج لان الواو مقحمة أو عاطفة على محذوف أي ليعتبروا وليعلم شهداء ط الظالمين لا للعطف على ليعلم الكافرين ه * (التفسير) قال القفال يحتمل أن يكون هذا الكلام متصلا بما قبله من جهة أن أكثر أموال المشركين كانت قد اجتمعت من الربا وكانوا ينفقون تلك الاموال على العساكر وكان من الممكن أن يصير ذلك داعيا للمسلمين الى الاقدام على الربا كي يجمعوا الاموال وينفقوها على العساكر و يتمكنوا من الانتقام منهم فورد النهي عن ذلك نظرا لهم و رحمة عليهم وقيل ان هذه الآيات ابتداء أمر ونهي وترغيب وترهيب تتميما لما سلف وقال

من الارشاد الى الاصلح فى أمر الدين وفى باب الجهاد وليس المراد النهى عن الربا فى حال كونه أضعافا فالمعلوم أنه منهى عنه مطلقا وانما هو نهى عنه مع توبيخ عما كانوا عليه فى الغالب والمعتاد من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين (٧٣) محله زاد فى الاجل وهكذا مرة بعد أخرى حتى استغرق بالشئ الطفيف مال المدين واتقوا الله لعلكم تفلحون فيه أن اتقاء الله فى هذا النهى واجب وأن الفلاح يقف عليه فلو أكل ولم يتق زال الفلاح و يعلم منه أن الربا من الكبائر لا من الصغائر و يؤكده قوله واتقوا النار التى أعدت للكافرين كان أبو حنيفة يقول هى أخوف آية فى القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه فى اجتناب محارمه وكون النار معدة للكافرين لا يمنع دخول الفساق وهم مسلمون فيها لان أكثر أهل النار الكفار فغلب جانبهم كالوقات أعددت هذه الدابة للقاء المشركين لم يمتنع من أن تركبها لبعض حوائجك ومثله قوله فى صفة الجنة أعدت للمتقين فانه لا يدل على أنه لا يدخلها سواهم من الصبيان والمجانين وغيرهم كالملائكة والحور وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون فيه أن رجاء الرحمة موقوف على طاعة الله وطاعة الرسول فلهذا يتمسك به أصحاب الوعيد فى أن من عصى الله ورسوله فى شئ من الاشياء فهو ليس أهلا للرحمة وغيرهم يحمل الآية على الزجر والتخويف وسارعوا معطوف على ما قبله ومن قرأ بغير الواو فلانه جعل قوله سارعوا وقوله أطيعوا الله كالشئ الواحد لانهما متلازمان وتمسك كثير من الاصوليين به فى أن ظاهر الامر يوجب الفور وقالوا فى الكلام محذوف والتقدير سارعوا

وقال أناس من علية أصحاب نبى الله صلى الله عليه وسلم قاتلوا على ما قاتل عليه محمد نبيكم حتى يفتح الله لكم أو تلحقوا به فقال الله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم يقول ان مات نبيكم أو قتل ارتددتم كفارا بعد ايمانكم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بنحوه وزاد فيه قال الربيع وذكر لنا والله أعلم أن رجلا من المهاجرين مر على رجل من الانصار وهو يتشحط فى دمه فقال يا فلان أشعرت أن محمدا قد قتل فقال الانصارى ان كان محمد قد قتل فقد بلغ فقاتلوا عن دينكم فانزل الله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم يقول ارتددتم كفارا بعد ايمانكم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال لما برز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد اليهم يعنى الى المشركين أمر الرماة فقاموا بأصل الجبل فى وجوه خيل المشركين وقال لا تبرحوا مكانكم ان رأيتمونا قد هزمناهم فانا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وأمر عليهم عبد الله بن جبير أخا خوات بن جبير ثم شد الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود على المشركين فهزماهم وحمل النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فهزموا أبا سفيان فلما رأى ذلك خالد بن الوليد وهو على خيل المشركين قدم فرمته الرماة فانقمع فلما نظر الرماة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى جوف عسكر المشركين ينتهبونه بادروا الغنيمة فقال بعضهم لا نترك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق عامتهم فلحقوا بالعسكر فلما رأى خالد قلة الرماة صاح فى خيله ثم حمل فقتل الرماة وحمل على أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فلما رأى المشركون أن خيلهم تقاتل تبادروا فشدوا على المسلمين فهزموهم وقتلوهم فأتى ابن قميئة الحارثى أحد بنى الحارث بن عبد مناف بن كنانة فرمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر أنفه ورباعيته وشجه فى وجهه فأثقله وتفرق عنه أصحابه ودخل بعضهم المدينة وانطلق بعضهم فوق الجبل الى الصخرة فقاموا عليها وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى عباد الله الى عباد الله فاجتمع اليه ثلاثون رجلا فجعلوا يسيرون بين يديه فلم يقف أحد الا طلحة وسهل بن حنيف فحماه طلحة فرمى بسهم فى يده فيبست يده وأقبل أبى بن خلف الجمحى وقد حلف ليقتلن النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم بل أنا أقتلك فقال يا كذاب أين تفر فحمل عليه فطعنه النبى صلى الله عليه وسلم فى جنب الدرع فجرح جرحا خفيفا فوقع يخور خوار الثور فاحتملوه وقالوا ليس بك جراحة قال أليس قال لأقتلنك لو كانت لجميع ربيعة ومضر لقتلتهم ولم يلبث الا يوما أو بعض يوم حتى مات من ذلك الجرح وفشا فى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل فقال بعض أصحاب الصخرة ليت لنا رسولا الى عبد الله بن أبى فيأخذ لنا أمنة من أبى سفيان يا قوم ان محمدا قد قتل فارجعوا الى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم قال أنس بن النضر يا قوم ان كان محمد قد قتل فان رب محمد لم يقتل فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد صلى الله عليه وسلم اللهم انى أعتذر اليك مما يقول هؤلاء وأبرأ اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس حتى انتهى الى أصحاب الصخرة فلما رأوه وضع رجل سهما فى قوسه فاراد أن يرميه فقال أنا رسول الله ففرحوا حين وجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا وفرح رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى أن فى أصحابه من يمتنع فلما اجتمعوا وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب عنهم الحزن فاقبلوا يذكرون

الى ما يوجب مغفرة من ربكم ونكر المغفرة ليفيد المغفرة العظيمة المتناهية فى العظم وليس ذلك الا المغفرة الحاصلة بسبب الاسلام والاتيان بجميع الطاعات والاجتناب عن كل المنهيات وهذا قول عكرمة وعن على بن أبى طالب هو أداء

الفرائض وعن عثمان بن عفان أنه الاخلاص لانه المقصود من جميع العبادات وعن أبي العالية انه الهجرة وقال الضحاك ومحمد بن اسحق انه الجهاد لانه من تمام قصة أحد وقال الاصم (٧٤) بادروا الى التوبة من الربا لانه ورد عقيب النهي عن الربا ثم عطف عليه المسارعة الى الجنة لان الغفران ظاهره ازالة العقاب والجنة معناها حصول الثواب ولابد للمكلف من تحصيل الامرين ثم وصف الجنة بان عرضها السموات ومن البين أن نفس السموات لاتكون عرضا للجنة فالمراد كعرض السموات لقوله في موضع آخر عرضها كعرض السماء والمراد المبالغة في وصف سعة الجنة فشبهت باوسع ماعلمه الناس من خلقه وأبسطه ونظيره خالدين فيها مادامت السموات والارض لانها أطول الاشياء بقاء عندنا وقيل المراد أنه لو جعلت السموات والارضون طبقا طبقا بحيث يكون كل واحد من تلك الطبقات سطحا مؤلفا من أجزاء لاتتجزأ ثم وصل البعض بالبعض طبقا واحدا لكان ذلك مثل عرض الجنة وهذه غاية من السعة لايعلمها الاالله تعالى وقيل ان الجنة التي عرضها عرض السموات والارض انما تكون للرجل الواحد لان الانسان انما يرغب فيما يصير ملكا له فلابد أن تكون الجنة المملوكة لكل أحد مقدارها هكذا وقال أبو مسلم معنى العرض القيمة ومنه عارضت الثوب بكذا معناه لو عرضت السموات والارض على سبيل البيع لكانتا ثمنا للجنة والاكثرون على أن المراد بالعرض ههنا خلاف الطول وخص بالذكر لانه في العادة أدنى من الطول واذا كان العرض هكذا فاظنك بالطول ونظيره بطائنها من استبرق لان البطائن في العادة تكون أدون حالا من الظهائر واذا كانت البطانة كذلك فكيف الظهارة وقال القفال العرض عبارة عن السعة تقول العرب بلاد عريضة أي واسعة والاصل فيه أن ما اتسع عرضه لم يضق ولم يدق وماضاق عرضه دق فجعل العرض كناية عن

الفتح ومافاتهم منه ويذكرون أصحابه الذين قتلوا فقال الله عزوجل للذين قالوا ان محمدا قد قتل فارجعوا الى قومكم وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ وسيجزي الله الشاكرين حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ومن ينقلب على عقبيه قال يرتد حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن أبيه وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن أبيه أن رجلا من المهاجرين مر على رجل من الانصار وهو يتشحط في دمه فقال يافلان أشعرت أن محمدا قد قتل فقال الانصاري ان كان محمد قد قتل فقد بلغ فقاتلوا عن دينكم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني ابن اسحق قال ثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بني عدي بن النجار قال انتهى أنس بن النضر عم أنس ابن مالك الى عمر وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والانصار وقد ألقوا بأيديهم فقال مايجلسكم قالوا قتل محمد رسول الله قال فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على مامات عليه رسول الله واستقبل القوم فقاتل حتى قتل وبه سمي أنس بن مالك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قال نادى مناد يوم أحد حين هزم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ألا ان محمدا قد قتل فارجعوا الى دينكم الاول فانزل الله عزوجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال ألقي في أفواه المسلمين يوم أحد أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل فنزلت هذه الآية وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتزل هو وعصابة معه يومئذ على أكمة والناس يفرون ورجل قائم على الطريق يسألهم مافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل كلما مروا عليه يسألهم فيقولون والله ماندري مافعل فقال والذي نفسي بيده لئن كان النبي صلى الله عليه وسلم قتل لنعطينهم بأيدينا انهم لعشائرنا واخواننا وقالوا ان محمدا ان كان حيا لم يهزم ولكنه قد قتل فترخصوا في الفرار حينئذ فانزل الله عزوجل على نبيه صلى الله عليه وسلم وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية كلها حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية ناس من أهل الارتياب والمرض والنفاق قالوا يوم فر الناس عن نبي الله صلى الله عليه وسلم وشج فوق حاجبه وكسرت رباعيته قتل محمد فالحقوا بدينكم الاول فذلك قوله أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم قال مابينكم وبين أن تدعوا الاسلام وتنقلبوا على أعقابكم الا أن يموت محمد أو يقتل فسوف يكون أحد هذين فسوف يموت أو يقتل حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الى قوله وسيجزي الله الشاكرين أي لقول الناس قتل محمد وانهزامهم عند ذلك وانصرافهم عن عدوهم أي أفائن مات نبيكم أو قتل رجعتم عن دينكم كفارا كما كنتم وتركتم جهاد عدوكم وكتاب الله وماقد خلف نبيه من دينه معكم وعندكم وقد بين لكم فيما جاءكم عني أنه ميت ومفارقكم ومن ينقلب على عقبيه أي يرجع عن دينه فلن يضر الله شيئا أي لن ينقص ذلك من عز الله ولا ملكه ولا سلطانه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج

حجاج قال قال ابن جريج قال أهل المرض والارتياب والنفاق حين فر الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل محمد فالحقوا بدينكم الاول فنزلت هذه الآية ومعنى الكلام وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفتنقلبون على أعقابكم ان مات محمد أو قتل ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ بجعل الاستفهام في حرف الجزاء ومعناه أن يكون في جوابه وكذلك كل استفهام دخل على جزاء فمعناه أن يكون في جوابه لان الجواب خبر يقوم بنفسه والجزاء شرط لذلك الخبر ثم يجزم جوابه وهو كذلك ومعناه الرفع لمجيئه بعد الجزاء كما قال الشاعر

حلفت له ان تدلج الليل لا يزل * أمامك بيت من بيوتي سائر

فمعنى لا يزل رفع ولكنه جزم لمجيئه بعد الجزاء فصار كالجواب ومثله أفائن مت فهم الخالدون وكيف تتقون ان كفرتم ولو كان مكان فهم الخالدون يخلدون وقيل أفائن مت يخلدوا جاز الرفع فيه والجزم وكذلك لو كان مكان انقلبتم تنقلبوا جاز الرفع والجزم لما وصفت قبل وتركت اعادة الاستفهام ثانية مع قوله انقلبتم اكتفاء بالاستفهام في أول الكلام وان الاستفهام في أوله دال على موضعه ومكانه وقد كان بعض القراء يختار في قوله أئذا كنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون ترك اعادة الاستفهام مع أئنا اكتفاء بالاستفهام في قوله أئذا كنا ترابا ويستشهد على صحة وجه ذلك باجماع القراء على تركهم اعادة الاستفهام مع قوله انقلبتم اكتفاء بالاستفهام في قوله أفائن مات اذ كان دالا على معنى الكلام وموضع الاستفهام منه وكان يفعل مثل ذلك في جميع القرآن وسنأتي على الصواب من القول في ذلك ان شاء الله اذا انتهينا اليه ﴿ القول في تأويل قوله (وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا) يعني تعالى ذكره بذلك وما يموت محمد ولا غيره من خلق الله الا بعد بلوغ أجله الذي جعله الله غاية لحياته وبقائه فاذا بلغ ذلك من الاجل الذي كتبه الله له وأذن له بالموت فحينئذ يموت فاما قبل ذلك فلن تموت بكيد كائد ولا بحيلة محتال كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا أي ان لمحمد أجلا هو بالغه اذا أذن الله له في ذلك كان وقد قيل ان معنى ذلك وما كانت نفس لتموت الا باذن الله وقد اختلف أهل العربية في معنى الناصب قوله كتابا مؤجلا فقال بعض نحويي البصرة هو توكيد ونصبه على كتب الله كتابا مؤجلا قال وكذلك كل شئ في القرآن من قوله حقا انما هو أحق ذلك حقا وكذلك وعد الله ورحمة من ربك وصنع الله الذي أتقن كل شئ وكتاب الله عليكم انما هو صنع الله هكذا صنعا فهكذا تفسير كل شئ في القرآن من نحو هذا فانه كثير وقال بعض نحويي الكوفة في قوله وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله معناه كتب الله آجال النفوس ثم قيل كتابا مؤجلا فأخرج قوله كتابا مؤجلا نصبا من المعنى الذي في الكلام اذ كان قوله وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله قد أدى عن معناه كتب قال وكذلك سائر ما في القرآن من نظائر ذلك فهو على هذا النحو * وقال آخرون منهم قول القائل زيد قائم حقا بمعنى أقول زيد قائم حقا لان كل كلام قول فأدى المقول عن القول ثم خرج ما بعده منه كما تقول أقول قولا حقا وكذلك ظنا ويقينا وكذلك وعد الله وما أشبهه والصواب من القول في ذلك عندي أن كل ذلك منصوب على المصدر من معنى الكلام الذي قبله لان في كل ما قبل المصادر التي هي مخالفة ألفاظها ألفاظ ما قبلها من الكلام معاني ألفاظ المصادر وان خالفها في اللفظ فنصبها من معاني ما قبلها دون ألفاظه ﴿ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين) يعني بذلك جل

السعة وسئل ههنا انكم تقولون الجنة في السماء فكيف يكون عرضها كعرض السماء وأجيب بعد تسليم كونها الآن مخلوقة انها فوق السموات وتحت العرش قال صلى الله عليه وسلم في صفة الفردوس سقفها عرش الرحمن (٧٥) و روى أن رسول هرقل سأل النبي صلى الله عليه وسلم وقال انك تدعو الى جنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين فأين النار فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان الله فأين الليل اذا جاء النهار والمعنى والله ورسوله أعلم أنه اذا دار الفلك حصل النهار في جانب من العالم والليل في ضد ذلك الجانب فكذا الجنة في جهة العلو والنار في جهة السفل وسئل أنس ابن مالك عن الجنة أفي الارض أم في السماء فقال وأي أرض وسماء تسع الجنة قيل فأين هي قال فوق السموات السبع تحت العرش ثم ذكر صفات المتقين حتى يتمكن الانسان من الجنة بواسطة اكتساب تلك الصفات منها قوله الذين ينفقون في السراء والضراء في حال الغنى والفقر لا يخلون بان ينفقوا ما قدروا عليه عن بعض السلف أنه ربما تصدق ببصلة وعن عائشة أنها تصدقت بحبة عنب فكان الفقير أنكر عليها فقالت احسب كم هي من مثقال ذرة وقيل في عرس أو حبس والمراد في جميع الاحوال لانها لا تخلو من حال مسرة ومضرة فهم لا يدعون الاحسان الى الناس في حالتي فرح وحزن وقيل ان ذلك الاحسان والانفاق سواء سرهم بان كان على وفق طبعهم أو ساءهم بان كان مخالفا له فانهم لا يتركونه وفي افتتاحه بذكر الانفاق دليل على عظم وقعه عند الله لانه طاعة شاقة أو لانه كان أهم في ذلك الوقت لاجل الحاجة اليه في الجهاد ومواساة فقراء المسلمين ومنها قوله والكاظمين الغيظ كظم القربة اذا ملأها وشد فاها ويقال كظم غيظه اذا سكت عليه ولم يظهره لا بقول ولا بفعل كأنه كتمه على امتلائه ورد غيظه في جوفه وكف غضبه عن الامضاء وهو من أقسام

ثناؤه ومن يرد منكم أيها المؤمنون بعمله جزاء منه بعض أعراض الدنيا دون ما عند الله من الكرامة لمن ابتغى بعمله ما عنده نؤته منها يقول نعطه منها يعني من الدنيا يعني أنه يعطيه منها ما قسم له فيها من رزق أيام حياته ثم لا نصيب له في كرامة الله التي أعدها لمن أطاعه وطلب ما عنده في الآخرة ومن يرد ثواب الآخرة يقول ومن يرد منكم بعمله جزاء منه ثواب الآخرة يعني ما عند الله من كرامته التي أعدها للعاملين له في الآخرة نؤته منها يقول نعطه منها يعني من الآخرة والمعنى من كرامة الله التي خص بها أهل طاعته في الآخرة فخرج الكلام على الدنيا والآخرة والمعنى ما فيهما كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها أي فمن كان منكم يريد الدنيا ليست له رغبة في الآخرة نؤته ما قسم له منها من رزق ولا حظ له في الآخرة ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ما وعده مع ما يجري عليه من رزقه في دنياه وأما قوله وسنجزي الشاكرين يقول وسأثيب من شكر لي ما أوليته من احساني اليه بطاعته اياي وانتهائه الى أمري وتجنبه محارمي في الآخرة مثل الذي وعدت أوليائي من الكرامة على شكرهم اياي وقال ابن اسحق في ذلك بما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وسنجزي الشاكرين أي ذلك جزاء الشاكرين يعني بذلك اعطاء الله اياه ما وعده في الآخرة مع ما يجري عليه من الرزق في الدنيا ۞ القول في تأويل قوله (وكأين من نبي) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه بعضهم وكأين بهمز الالف وتشديد الياء وقرأه آخرون بمد الالف وتخفيف الياء وهما قراءتان مشهورتان في قراءة المسلمين ولغتان معروفتان لا اختلاف في معناهما فبأي القراءتين قرأ ذلك قارئ فمصيب لاتفاق معنى ذلك وشهرتهما في كلام العرب ومعناه وكم من نبي ۞ القول في تأويل قوله (قتل معه ربيون كثير) اختلفت القراء في قراءة قوله قتل معه ربيون كثير فقرأ ذلك جماعة من قراء الحجاز والبصرة قتل بضم القاف وقرأه جماعة أخرى بفتح القاف وبالالف وهي قراءة جماعة من قراء الحجاز والكوفة فأما من قرأ قاتل فانه اختار ذلك لانه قال لو قتلوا لم يكن لقوله فما وهنوا وجه معروف لانه يستحيل أن يوصفوا بأنهم لم يهنوا ولم يضعفوا بعد ما قتلوا وأما الذين قرؤا ذلك قتل فانهم قالوا انما عنى بالقتل النبي وبعض من معه من الربيين دون جميعهم وانما نفى الوهن والضعف عمن بقي من الربيين ممن لم يقتل وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب قراءة من قرأ بضم القاف قتل معه ربيون كثير لان الله عز وجل انما عاتب بهذه الآية والآيات التي قبلها من قوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم الذين انهزموا يوم أحد وتركوا القتال أو سمعوا الصائح يصيح ان محمدا قد قتل فعذلهم الله عز وجل على فرارهم وتركهم القتال فقال أفائن مات محمد أو قتل أيها المؤمنون ارتددتم عن دينكم وانقلبتم على أعقابكم ثم أخبرهم عما كان من فعل كثير من أتباع الانبياء قبلهم وقال لهم هلا فعلتم كما كان أهل الفضل والعلم من أتباع الانبياء قبلكم يفعلونه اذا قتل نبيهم من المضي على منهاج نبيهم والقتال على دينه أعداء دين الله على نحو ما كانوا يقاتلون مع نبيهم ولم تهنوا ولم تضعفوا كما لم يضعف الذين كانوا قبلكم من أهل العلم والبصائر من أتباع الانبياء اذا قتل نبيهم ولكنهم صبروا لاعدائهم حتى حكم الله بينهم وبينهم وبذلك من التأويل جاء تأويل المتأولين وأما الربيون فانهم مرفوعون بقوله معه لا بقوله قتل وانما تأويل الكلام وكائن من نبي قتل ومعه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وفي الكلام اضمار واو لانها واو تدل على معنى حال قتل النبي صلى الله عليه وسلم غير أنه اجتزأ بدلالة ما ذكر من الكلام عليها من ذكرها وذلك كقول القائل في

الصبر والحلم قال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه أمنا وايمانا وقال أيضا ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب (٧) ومنها قوله والعافين عن الناس قيل يحتمل أن يراد العفو عن المعسرين لانه ورد عقيب قصة الربا كما قال في البقرة وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم ويحتمل أنه صلى الله عليه وسلم غضب على المشركين حين مثلوا بحمزة فقال لأمثلن بهم فندب الى كظم هذا الغيظ والصبر عليه والعفو عنهم والظاهر أنه عام لجميع المكلفين في الاحوال اذا جنى عليهم أحد لم يؤاخذوه قال صلى الله عليه وسلم لا يكون العبد ذا فضل حتى يصل من قطعه ويعفو عن ظلمه ويعطي من حرمه وعن عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم ليس الاحسان أن تحسن الى من أحسن اليك ذلك مكافأة انما الاحسان أن تحسن الى من أساء اليك والله يحب المحسنين يجوز أن يكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل فيه هؤلاء المذكورون وأن يكون للعهد فيكون اشارة الى هؤلاء وذلك أن من أنواع الاحسان ايصال النفع الى الغير وهو المعني بالانفاق في السراء والضراء في وجوه الخيرات ويدخل فيه الانفاق بالعلم وبالنفس والجود بالنفس أقصى غاية الجود ومنها دفع الضرر عن الغير اما في الدنيا بأن لا يشتغل بمقابلة الاساءة باساءة أخرى وهو المعبر عنه بكظم الغيظ واما في الآخرة بأن يبرئ ذمته عن التبعات والمطالبات الأخروية وهو المقصود بالعفو فاذن الآية دالة على جميع جهات الاحسان الى الغير فذكر ثوابه المجموع بقوله والله يحب المحسنين فان محبة الله للعبد أعظم درجات الثواب قال ابن عباس في رواية عطاء ان نبهان التمار أتته امرأة حسناء تبتاع منه تمرا فضمها الى نفسه وقبلها ثم ندم على ذلك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر ذلك له فنزلت والذين اذا فعلوا فاحشة الآية وقال في رواية

الكلام قتل الامير معه جيش عظيم بمعنى قتل ومعه جيش عظيم وأما الربيون فان أهل العربية اختلفوا في معناه فقال بعض نحويي البصرة هم الذين يعبدون الرب واحدهم ربي وقال بعض نحويي الكوفة لو كانوا منسوبين الى عبادة الرب لكانوا ربيون بفتح الراء ولكنه العلماء والالوف والربيون عندنا الجماعة الكثيرة واحدهم ربي وهم جماعة واختلف أهل التأويل في معناه فقال بعضهم مثل ما قلنا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله الربيون الالوف حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان الثوري عن عاصم عن زر عن عبد الله مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري وابن عيينة عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن عبد الله مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عمرو عن عاصم عن زر عن عبد الله مثله حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا عوف عمن حدثه عن ابن عباس في قوله ربيون كثير قال جموع كثيرة حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله قاتل معه ربيون كثير قال جموع حدثني حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا شعبة عن عاصم عن زر عن عبد الله وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير قال الالوف وقال آخرون بما حدثني به سليمان بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير قال علماء كثير حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا عوف عن الحسن في قوله وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير قال فقهاء علماء حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قوله وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير قال الجموع الكثيرة قال يعقوب وكذلك قرأها اسمعيل قتل معه ربيون كثير حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير يقول جموع كثيرة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله قتل معه ربيون كثير قال علماء كثيرة وقال قتادة جموع كثيرة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة في قوله ربيون كثير قال جموع كثيرة حدثني عمرو بن عبد الحميد الآملي قال ثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة مثله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل قتل معه ربيون كثير قال جموع كثيرة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قتل معه ربيون كثير يقول جموع كثيرة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك في قوله وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير يقول جموع كثيرة قتل نبيهم حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن جعفر بن حيان والمبارك عن الحسن في قوله وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير قال جعفر علماء صبروا وقال ابن المبارك أتقياء صبروا حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله قتل معه ربيون كثير يعني الجموع الكثيرة قتل نبيهم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قاتل معه ربيون كثير يقول جموع كثيرة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قوله وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير قال وكأين من نبي أصابه القتل ومعه جماعات حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني

الكلبي ان رجلين أنصاريا وثقفيا آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فكانا لا يفترقان في أحوالهما فخرج الثقفي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرعة في السفر وخلف الانصاري في أهله وحاجته فأقبل ذات يوم فابصر امرأة صاحبه قد اغتسلت وهي ناشرة شعرها فوقعت في نفسه فدخل ولم يستأذن حتى انتهى اليها فذهب ليلثمها فوضعت كفها على وجهها فقبل ظاهر كفها ثم ندم واستحيى فأدبر راجعا فقال سبحان الله خنت أمانتك وعصيت ربك ولم تصب حاجتك قال وندم على صنيعه فخرج يسيح في الجبال ويتوب الى الله من ذنبه حتى وافى الثقفي فأخبرته أهله بفعله فخرج يطلبه حتى دل عليه فوافقه ساجدا وهو يقول رب ذنبي ذنبي قد خنت أخي فقال له يا فلان قم فانطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسئله عن ذنبك لعل الله أن يجعل لك فرجا وتوبة فأقبل معه حتى رجع الى المدينة وكان ذات يوم عند صلاة العصر فنزل جبريل عليه السلام بتوبته فتلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين اذا فعلوا فاحشة الى قوله ونعم أجر العاملين فقال عمر يا رسول الله أخاص هذا لهذا أم للناس عامة فقال بل للناس عامة في التوبة وعن ابن مسعود ان المسلمين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم أبنو اسرائيل كانوا أكرم على الله منا كانوا اذا أذنب أحدهم أصبحت كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة بابه اجدع أذنك اجدع أنفك افعل كذا فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بخير من ذلك فقرأها عليهم وبين أنهم أكرم على الله منهم حيث جعل كفارة ذنبهم الاستغفار والفاحشة نعت محذوف أي فعلوا فعلة فاحشة متزايدة القبح أو ظلموا أنفسهم أذنبوا أي ذنب كان مما يؤاخذ الانسان به وقيل الفاحشة هي الزنا لقوله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وظلم النفس ما دونه من القبلة واللمسة وهذا القول أنسب بسبب النزول الذي

وروينا وقيل الفاحشة هي الكبيرة وظلم النفس هي الصغيرة والصغيرة يجب الاستغفار منها لانه صلى الله عليه وسلم كان مأمورا بالاستغفار واستغفر لذنبك وما كان استغفاره الاعن الصغائر (٧٨) بل ترك الاولى ذكروا الله أى وعيده أوعقابه وأنه سائلهم أونهيه أوجلاله الموجب للخشية والحياء منه أوذكروا العرض الاكبر على الله وعلى جميع التقادير فلابد من مضاف محذوف ويكون الذكر بمعنى ضد النسيان واليه ذهب الضحاك ومقاتل والواقدى ونظيره ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقيل المراد ذكروا الله بالثناء والتعظيم والاجلال فان من آداب المسئلة والدعاء تقديم التعظيم والثناء فاستغفروا لذنوبهم يقال استغفر الله لذنبه ومن ذنبه بمعنى والمراد بالاستغفار الاتيان بالتوبة على الوجه الصحيح وهو الندم على فعل مامضى مع العزم على ترك مثله فى المستقبل فاما الاستغفار بمجرد اللسان فذلك لا أثر له فى ازالة الذنب وانما يجب اظهار هذا الاستغفار لازالة التهمة ولاظهار كونه منقطعا الى الله تعالى ومن يغفر الذنوب الا الله لان كمال قدرته وغناه كما أنه يقتضى ايقاع العبد فى العقاب فكمال رحمته وعفوه يقتضى ازالة ذلك العقاب عنه لكن صدور الرحمة عنه بالذات سبقت رحمتى غضبى فجانب العفو والمغفرة أرجح ولاسيما اذا اقترن الذنب بالتوبة والاعتذار والتنصل باقصى ما يمكن للعبد وفى كتاب مسلم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم وعن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله يا ابن آدم انك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى يا ابن آدم انك لو أتيتنى بقراب الارض خطايا ثم لقيتنى

عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وكأين من نبى قتل معه ربيون كثير الربيون الجموع الكثيرة وقال آخرون الربيون الاتباع ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وكأين من نبى قتل معه ربيون كثير قال الربيون الاتباع والربانيون الولاة والربيون الرعية وهذا عاتبهم الله حين انهزموا عنه حين صاح الشيطان ان محمدا قد قتل قال كانت الهزيمة عند صياحه فى سنينة صاح أيها الناس ان محمدا رسول الله قد قتل فارجعوا الى عشائركم يؤمنوكم ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين﴾ يعنى بقوله تعالى ذكره فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله فما عجزوا لما نالهم من ألم الجراح الذى نالهم فى سبيل الله ولا لقتل من قتل منهم عن حرب أعداء الله ولا نكلوا عن جهادهم وما ضعفوا يقول وما ضعفت قواهم لقتل نبيهم وما استكانوا يعنى وما ذلوا فيتخشعوا لعدوهم بالدخول فى دينهم ومداهنتهم فيه خيفة منهم ولكن مضوا قدما على بصائرهم ومنهاج نبيهم صبرا على أمر الله وأمر نبيهم وطاعة الله واتباعا لتنزيله ووحيه والله يحب الصابرين يقول والله يحب هؤلاء وأمثالهم من الصابرين لأمره وطاعته وطاعة رسوله فى جهاد عدوه لا من فشل ففر عن عدوه ولا من انقلب على عقبيه فذل لعدوه لأن قتل نبيه أو مات ولا من دخله وهن عن عدوه وضعف لفقد نبيه وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا يقول ما عجزوا وما تضعضعوا لقتل نبيهم وما استكانوا يقول ما ارتدوا عن نصرتهم ولا عن دينهم بل قاتلوا على ما قاتل عليه نبى الله حتى لحقوا بالله حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا يقول ما عجزوا وما ضعفوا لقتل نبيهم وما استكانوا يقول وما ارتدوا عن نصرتهم قاتلوا على ما قاتل عليه نبى الله صلى الله عليه وسلم حتى لحقوا بالله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فما وهنوا فما وهن الربيون لما أصابهم فى سبيل الله من قتل النبى صلى الله عليه وسلم وما ضعفوا يقول ما ضعفوا فى سبيل الله لقتل النبى وما استكانوا يقول ما ذلوا حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ليس لهم أن يعلونا ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فما وهنوا لفقد نبيهم وما ضعفوا عن عدوهم وما استكانوا لما أصابهم فى الجهاد عن الله وعن دينهم وذلك الصبر والله يحب الصابرين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وما استكانوا قال تخشعوا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وما استكانوا قال ما استكانوا لعدوهم والله يحب الصابرين ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله وما كان قولهم وما كان قول الربيين والهاء والميم من ذكر أسماء الربيين الا أن قالوا يعنى ما كان لهم قول سوى هذا القول اذ قتل نبيهم وقوله ربنا اغفر لنا ذنوبنا يقول لم يعتصموا اذ قتل نبيهم الا بالصبر على ما أصابهم ومجاهدة عدوهم وبمسئلة ربهم المغفرة والنصر على عدوهم ومعنى الكلام وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وأما الاسراف فانه الافراط فى الشئ يقال منه أسرف فلان فى هذا الامر اذا تجاوز مقداره فأفرط ومعناه ههنا اغفر لنا ذنوبنا الصغار منها وما أسرفنا فيه منها فتخطينا الى العظام وكان معنى

الكلام

الكلام اغفر لنا ذنوبنا الصغائر منها والكبائر كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس في قول الله وإسرافنا في أمرنا قال خطايانا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وإسرافنا في أمرنا خطايانا وظلمنا أنفسنا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك في قوله وإسرافنا في أمرنا يعني الخطايا الكبار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن عبيد بن سليمان عن الضحاك بن مزاحم قال الكبائر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وإسرافنا في أمرنا قال خطايانا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وإسرافنا في أمرنا يقول خطايانا وأما قوله وثبت أقدامنا فإنه يقول اجعلنا ممن يثبت لحرب عدوك وقتالهم ولا تجعلنا ممن ينهزم فيفر منهم ولا يثبت قدمه في مكان واحد لحربهم وانصرنا على القوم الكافرين يقول وانصرنا على الذين جحدوا وحدانيتك ونبوة نبيك وإنما هذا تأنيب من الله عز وجل عباده الذين فروا عن العدو يوم أحد وتركوا قتالهم وتأديب لهم يقول الله عز وجل هلا فعلتم إذ قيل لكم قتل نبيكم كما فعل هؤلاء الربيون الذين كانوا قبلكم من أتباع الأنبياء إذ قتلت أنبياؤهم فصبرتم لعدوكم صبرهم ولم تضعفوا وتستكينوا لعدوكم فتحاولوا الارتداد على أعقابكم كما لم يضعف هؤلاء الربيون ولم يستكينوا لعدوهم وسألتم ربكم النصر والظفر كما سألوا فينصركم الله عليهم كما نصروا فإن الله يحب من صبر لأمره وعلى جهاد عدوه فيعطيه النصر والظفر على عدوه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن إسحق وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين أي فقولوا كما قالوا واعلموا أنما ذلك بذنوب منكم واستغفروا كما استغفروا وامضوا على دينكم كما مضوا على دينهم ولا ترتدوا على أعقابكم راجعين واسألوه كما سألوه أن يثبت أقدامكم واستنصروه كما استنصروه على القوم الكافرين فكل هذا من قولهم قد كان وقد قتل نبيهم فلم يفعلوا كما فعلتم والقراءة التي هي القراءة في قوله وما كان قولهم النصب لإجماع قراء الأمصار على ذلك نقلا مستفيضا وراثة عن الحجة وإنما اختير النصب في القول لأن ألا أن لا تكون إلا معرفة فكانت أولى بأن تكون هي الاسم دون الأسماء التي قد تكون معرفة أحيانا ونكرة أحيانا ولذلك اختير النصب في كل اسم ولي كان إذا كان بعده أن الخفيفة كقوله وما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه وقوله ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا فأما إذا كان الذي يلي كان اسما معرفة والذي بعده مثله فسواء الرفع والنصب في الذي ولي كان فإن جعلت الذي ولي كان هو الاسم رفعته ونصبت الذي بعده وإن جعلت الذي ولي كان هو الخبر نصبته ورفعت الذي بعده وذلك كقوله جل ثناؤه ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى إن جعلت العاقبة الاسم رفعتها وجعلت السوأى هي الخبر منصوبة وإن جعلت العاقبة الخبر نصبت فقلت وكان عاقبة الذين أساؤا السوأى وجعلت السوأى هي الاسم فكانت مرفوعة وكما قال الشاعر

لقد علم الأقوام ما كان داءها * بثهلان إلا الخزي ممن يقودها

وروي أيضا ما كان داؤها بثهلان إلا الخزي نصبا ورفعا على ما قد بينت ولو فعل مثل ذلك مع أن كان جائزا غير أن أفصح الكلام ما وصفت عند العرب ۞ القول في تأويل قوله ﴿فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين﴾ يعني بذلك تعالى ذكره فأعطى الله الذين وصفهم بما

لا تشرك بي شيأ لأتيتك بقرابها مغفرة وعن علي رضي الله عنه قال حدثني أبو بكر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر فيصلي ثم يستغفر الله إلا غفر له ثم قرأ والذين إذا فعلوا فاحشة (٧٩) إلى قوله ومن يغفر الذنوب إلا الله وهذه الجملة معترضة والتقدير فاستغفروا لذنوبهم ولم يصروا ولم يقيموا على قبيح فعلهم غير مستغفرين والتركيب يدل على الشدة ومنه صررت الصرة شددتها وصر الفرس أذنيه ضمهما إلى رأسه وأصر أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة وروي لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار وهم يعلمون حال من فاعل يصروا وحرف النفي منصب عليهما معا كما لو قلت ما جاءني زيد وهو راكب وأردت نفي المجيء والركوب معا وذلك أن المقام مقام مدح لهم بعدم الإصرار والمعنى ليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي عنها والوعيد عليها لأنه قد يعذر الجاهل ولا يعذر العالم ويحتمل أن يراد بالعلم العقل والتمييز والتمكن من الاحتراز عن الفواحش فيجري مجرى قوله صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاث وعلى هذا يجوز أن يراد نفي الإصرار في حالة العلم لا نفيه مطلقا كما لو أردت في المثال المذكور نفي المجيء في حال الركوب لا نفي المجيء على الإطلاق أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وهي إشارة إلى إزالة العقاب وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وهذه إشارة إلى إيصال الثواب ونعم أجر العاملين ذلك الجزاء قال القاضي وهذا يبطل قول من قال إن الثواب تفضل من الله وليس جزاء على عملهم وذلك أنه سمى الجزاء أجرا والأجر واجب مستحق فكذلك الجزاء ولقائل أن يقول إنه على وجه التشبيه لا التحقيق واستدلوا أيضا بالآية على أن أهل الجنة هم المتقون والتائبون دون المصرين لقوله ولم يصروا والجواب مامر أن كون

الجنة معدة للمتقين الموصوفين لا يوجب أن لا يدخلها غيرهم بفضل الله و برحمته ثم ذكر ما يحمل المكلفين على فعل الطاعة وعلى التوبة من المعصية وهو تأمل أحوال القرون (٨٠) الخالية فقال قد خلت من قبلكم سنن وأصل الخلو الانفراد والمكان الخالي هو المنفرد عمن يسكن فيه وكل ما انقرض ومضى فقد انفرد عن الوجود والسنة الطريقة المستقيمة والمثال المتبع وهي فعلة بمعنى مفعولة من سن الماء يسنه اذا والى صبه فكأنه أجراه على نهج واحد أو من سننت النصل أحددته أو من سن الابل اذا أحسن الرعي والمراد قد مضت من قبلكم سنن الله تعالى في الامم السالفة يعني سنن الهلاك والاستئصال بدليل قوله فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين فانهم خالفوا رسلهم للحرص على الدنيا وطلب لذاتها ثم انقرضوا ولم يبق من دنياهم أثر وبقي عليهم اللعن في الدنيا والعقاب في الآخرة هذا قول أكثر المفسرين قال مجاهد المراد سنن الله في الكافرين والمؤمنين فان الدنيا ما بقيت لا مع المؤمن ولا مع الكافر ولكن المؤمن يبقى له الثناء الجميل والثواب الجزيل والكافر له اللعن والعقاب ثم قال فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين لان التأمل في حال أحد القسمين يكفي في معرفة حال القسم الآخر أو لان الغرض زجر الكفار عن كفرهم وذلك انما يحصل بتأمل أحوال أمثالهم وليس المراد من قوله فسيروا في الارض الامر بالسير بل المقصود تعرف أحوالهم فان حصلت هذه المعرفة بغير المسير في الارض كان المقصود حاصلا ولا يبعد أن يقال ندب الى السير لان لمشاهدة آثار الاقدمين أثرا أقوى من أثر السماع كما قيل

ان آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الآثار

الغوائل

هذا بيان المشار اليه بهذا اما أن يكون جميع ما تقدم من الامر والنهي والوعد والوعيد للمتقين والتائبين والمصرين و يكون قوله قد خلت

وصفهم من الصبر على طاعة الله بعد مقتل أنبيائهم وعلى جهاد عدوهم والاستعانة بالله في أمورهم واقتفائهم مناهج امامهم على ما أبلوا في الله ثواب الدنيا يعني جزاء في الدنيا وذلك النصر على عدوهم وعدو الله والظفر والفتح عليهم والتمكين لهم في البلاد وحسن ثواب الآخرة يعني وخير جزاء الآخرة على ما أسلفوا في الدنيا من أعمالهم الصالحة وذلك الجنة ونعيمها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا فقرأ حتى بلغ والله يحب المحسنين أي والله لآتاهم الله الفتح والظهور والتمكين والنصر على عدوهم في الدنيا وحسن ثواب الآخرة يقول حسن الثواب في الآخرة هي الجنة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله وما كان قولهم ثم ذكر نحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله فآتاهم الله ثواب الدنيا قال النصر والغنيمة وحسن ثواب الآخرة قال رضوان الله ورحمته حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فآتاهم الله ثواب الدنيا حسن الظهور على عدوهم وحسن ثواب الآخرة الجنة وما أعد فيها وقوله والله يحب المحسنين يقول تعالى ذكره فعل الله ذلك بهم باحسانهم فانه يحب المحسنين وهم الذين يفعلون مثل الذي وصف عنهم تعالى ذكره أنهم فعلوه حين قتل نبيهم ﴿القول في تأويل قوله﴾ (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين) يعني بذلك تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله في وعد الله ووعيده وأمره ونهيه ان تطيعوا الذين كفروا يعني الذين جحدوا نبوة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى فيما يأمرونكم به وفيما ينهونكم عنه فتقبلوا رأيهم في ذلك وتنتصحوهم فيما تزعمون أنهم لكم فيه ناصحون يردوكم على أعقابكم يقول يحملوكم على الردة بعد الايمان والكفر بالله وآياته و برسوله بعد الاسلام فتنقلبوا خاسرين يقول فترجعوا عن ايمانكم ودينكم الذي هداكم الله له خاسرين يعني هالكين قد خسرتم أنفسكم وضللتم عن دينكم وذهبت دنياكم وآخرتكم ينهى بذلك أهل الايمان بالله أن يطيعوا أهل الكفر في آرائهم و ينتصحوهم في أديانهم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين أي عن دينكم فتذهب دنياكم وآخرتكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا قال ابن جريج يقول لا تنتصحوا اليهود والنصارى على دينكم ولا تصدقوهم بشئ في دينكم حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين يقول ان تطيعوا أبا سفيان يردكم كفارا ﴿القول في تأويل قوله جل ثناؤه﴾ (بل الله مولاكم وهو خير الناصرين) يعني بذلك تعالى ذكره أن الله مسددكم أيها المؤمنون فمنقذكم من طاعة الذين كفروا وانما قيل بل الله مولاكم لان في قوله ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم نهيا لهم عن طاعتهم فكأنه قال يا أيها الذين آمنوا لا تطيعوا الذين كفروا فيردوكم على أعقابكم ثم ابتدأ الخبر فقال بل الله مولاكم فاطيعوه دون الذين كفروا فانه خير من نصر ولذلك رفع اسم الله ولو كان منصوبا على معنى بل أطيعوا الله مولاكم دون الذين كفروا كان وجها صحيحا ويعني بقوله بل الله مولاكم وليكم وناصركم على أعدائكم الذين كفروا وهو خير الناصرين لا من فررتم اليه من اليهود وأهل الكفر بالله فبالله الذي هو ناصركم ومولاكم فاعتصموا واياه فاستنصروا دون غيره ممن يبغيكم

الغوائل ويرصدكم بالمكاره كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق بل الله مولاكم ان كان ما تقولون بألسنتكم صدقا في قلوبكم وهو خير الناصرين أي فاعتصموا به ولا تستنصروا بغيره ولا ترجعوا على أعقابكم مرتدين عن دينكم ﴿القول في تأويل قوله﴾ (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين) يعني بذلك جل ثناؤه سيلقي الله أيها المؤمنون في قلوب الذين كفروا بربهم وجحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ممن حاربكم بأحد الرعب وهو الجزع والهلع بما أشركوا بالله يعني بشركهم بالله وعبادتهم الاصنام وطاعتهم الشيطان التي لم أجعل لهم بها حجة وهي السلطان التي أخبر عز وجل أنه لم ينزله بكفرهم وشركهم وهذا وعد من الله جل ثناؤه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصر على أعدائهم والفلج عليهم ما استقاموا على عهده وتمسكوا بطاعته ثم أخبرهم ما هو فاعل بأعدائهم بعد مصيرهم اليه فقال جل ثناؤه ومأواهم النار يعني ومرجعهم الذي يرجعون اليه يوم القيامة النار وبئس مثوى الظالمين يقول وبئس مقام الظالمين الذين ظلموا أنفسهم باكتسابهم ما أوجب لها عقاب الله النار كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين اني سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب الذي به كنت أنصركم عليهم بما أشركوا بي مالم أجعل لهم به حجة أي فلا تظنوا أن لهم عاقبة نصر ولا ظهور عليكم ما اعتصمتم واتبعتم أمري للمصيبة التي أصابتكم منهم بذنوب قدمتموها لانفسكم خالفتم بها أمري وعصيتم فيها نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قال لما ارتحل أبو سفيان والمشركون يوم أحد متوجهين نحو مكة انطلق أبو سفيان حتى بلغ بعض الطريق ثم انهم ندموا فقالوا بئس ما صنعتم انكم قتلتموهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستأصلوهم فقذف الله عز وجل في قلوبهم الرعب فانهزموا فلقوا أعرابيا فجعلوا له جعلا وقالوا له ان لقيت محمدا فأخبره بما قد جمعنا لهم فأخبر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم فطلبهم حتى بلغ حمراء الاسد فأنزل الله عز وجل في ذلك فذكر أبا سفيان حين أراد أن يرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم وما قذف في قلبه من الرعب فقال سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ﴿القول في تأويل قوله﴾ (ولقد صدقكم الله وعده) يعني بقوله تعالى ذكره ولقد صدقكم الله أيها المؤمنون من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بأحد وعده الذي وعدهم على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم والوعد الذي كان وعدهم على لسانه بأحد قوله للرماة اثبتوا مكانكم ولا تبرحوا وان رأيتمونا قد هزمناهم فانا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وكان وعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم النصر يومئذ ان انتهوا الى أمره كالذي حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قال لما برز رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين بأحد أمر الرماة فقاموا بأصل الجبل في وجوه خيل المشركين وقال لا تبرحوا مكانكم ان رأيتمونا قد هزمناهم فانا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وأمر عليهم عبد الله بن جبير أخا خوات بن جبير ثم ان طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين قام فقال يا معشر أصحاب محمد انكم تزعمون أن الله يعجلنا بسيوفكم الى النار ويعجلكم بسيوفنا الى الجنة فهل منكم أحد يعجله الله بسيفي الى الجنة أو يعجلني بسيفه الى النار فقام اليه علي بن أبي طالب فقال والذي نفسي بيده لا أفارقك حتى يعجلك الله بسيفي الى النار أو يعجلني بسيفك الى الجنة فضربه علي فقطع رجله

فقيل البيان كالجنس وهو ازالة الشبهات وتحته نوعان أحدهما الكلام الذي يهدي المكلف الى ما ينبغي في الدين وهو الهدى وثانيهما الكلام الزاجر عما لا ينبغي في طريق الدين وهو الموعظة وخص الهدى والموعظة بالمتقين لانهم هم المنتفعون به وقيل البيان عام للناس والهدى والموعظة خاصان بالمتقين لان الهدى اسم للدلالة بشرط كونها موصلة الى البغية وأقول يشبه أن يكون البيان عاما لجميع المكلفين وبأي طريق كان من طرق الدلالة والهدى يراد به الكلام البرهاني والجدلي والموعظة يراد بها الكلام الاقناعي الخطابي كقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن وخص المتقون بالذكر لان البيان في حق غيرهم غير مثمر ثم لما بين هذه المقدمات ومهد هذا ذكر المقصود وهو قوله ولا تهنوا كأنه قال اذا بحثتم عن أحوال القرون الخالية علمتم أن صولة الباطل تضمحل وأن العاقبة والغلبة لارباب الحق والوهن الضعف أي لا تضعفوا عن الجهاد ولا يورثنكم ما أصابكم يوم أحد وهنا وجبنا ولا تحزنوا على من قتل منكم وجرح وأنتم الاعلون وحالكم أنكم أعلى منهم وأغلب لانكم أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم يوم أحد وأنتم الاعلون شأنا لان قتالكم لله وقتالهم للشيطان وقتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار أو أنتم الاعلون بالحجة والعاقبة الحميدة كقوله والعاقبة للمتقين وفي هذا تسلية لهم وبشارة وقوله ان كنتم مؤمنين اما أن يكون قيدا لقوله وأنتم الاعلون أي ان كنتم مصدقين

عما بعدكم الله ويبشركم به من الغلبة واما أن يكون قيد القوله ولا تهنوا أي ان صح ايمانكم بالله وبحقية هذا الدين فلا تضعفوا لثقتكم بأن الله سيتم هذا الامر قال ابن عباس انهزم أصحاب (٨٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فبينما هم كذلك اذ أقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين يريد أن يعلوا عليهم الجبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا يعلون علينا اللهم لا قوة لنا الا بك اللهم ليس يعبدك بهذه البلدة غير هؤلاء النفر فأنزل الله تعالى هذه الآية وثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى هزموهم فذلك قوله وأنتم الاعلون وقال راشد بن سعد لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد كئيبا حزينا جعلت المرأة تجيء بزوجها وأبيها وابنها مقتولين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهكذا تفعل برسولك فنزلت ان يمسسكم قرح بفتح القاف وبضمها وهما لغتان كالضعف والضعف والجهد والجهد وقيل بالفتح لغة تهامة والحجاز وقيل بالفتح مصدر وبالضم اسم وقال الفراء انه بالفتح الجراحة بعينها وبالضم ألم الجراحة وقال ابن مقسم هما لغتان الا أن المفتوحة توهم أنها جمع قرحة ومعنى الآية ان نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم قبل ذلك في يوم بدر ثم لم يثبطهم ذلك عن معاودة القتال فأنتم أولى بأن لا تفرقوا ولا تجبنوا ونظيره فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وقيل القرحان في يوم أحد وذلك أنه قتل يومئذ خلق من الكفار نيف وعشرون رجلا وقتل صاحب لوائهم وكثرت الجراحات فيهم وعقرت عامة خيلهم بالنبل وقد كانت الهزيمة عليهم في أول النهار كما يجيء من قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم والمماثلة في عدد القتلى والجرحى غير لازمة وانما تكفي المثلية في نفس القتل والجراحة وتلك الايام موصوفا وصفته

فسقط فانكشفت عورته فقال أنشدك الله والرحم يا ابن عم فتركه فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعلي أصحابه ما منعك أن تجهز عليه قال ان ابن عمي ناشدني حين انكشفت عورته فاستحييت منه ثم شد الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود على المشركين فهزماهم وحمل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فهزموا أبا سفيان فلما رأى ذلك خالد بن الوليد وهو على خيل المشركين حمل فرمته الرماة فانقمع فلما نظر الرماة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في جوف عسكر المشركين ينتهبونه بادروا الغنيمة فقال بعضهم لا نترك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق عامتهم فلحقوا بالعسكر فلما رأى خالد قلة الرماة صاح في خيله ثم حمل فقتل الرماة ثم حمل على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأى المشركون أن خيلهم تقاتل تنادوا فشدوا على المسلمين فهزموهم وقتلوهم حدثنا هرون بن اسحق قال ثنا مصعب بن المقدام قال ثنا اسرائيل قال ثنا أبو اسحق عن البراء قال لما كان يوم أحد ولقينا المشركين أجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالا بازاء الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير أخا خوات بن جبير وقال لهم لا تبرحوا مكانكم ان رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا وان رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا فلما التقى القوم هزم المشركون حتى رأيت النساء قد رفعن عن سوقهن وبدت خلاخلهن فجعلوا يقولون الغنيمة الغنيمة قال عبد الله مهلا أما علمتم ما عهد اليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبوا فانطلقوا فلما أتوهم صرف الله وجوههم فأصيب من المسلمين سبعون قتيلا حدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن أبي اسحق عن البراء بنحوه حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه فان أبا سفيان أقبل في ثلاث ليال خلون من شوال حتى نزل أحدا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن في الناس فاجتمعوا وأمر على الخيل الزبير بن العوام ومعه يومئذ المقداد بن الاسود الكندي وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء رجلا من قريش يقال له مصعب بن عمير وخرج حمزة ابن عبد المطلب بالحسر وبعث حمزة بين يديه وأقبل خالد بن الوليد على خيل المشركين ومعه عكرمة ابن أبي جهل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير وقال استقبل خالد بن الوليد فكن بازائه حتى أوذنك وأمر بخيل أخرى فكانوا من جانب آخر فقال لا تبرحوا حتى أوذنكم وأقبل أبو سفيان يحمل اللات والعزى فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم الى الزبير أن يحمل فحمل على خالد بن الوليد فهزمه ومن معه كما قال لقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون وان الله وعد المؤمنين أن ينصرهم وأنه معهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثني محمد بن مسلم بن عبيد الله الزهري أن محمد بن يحيى ابن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا في قصة ذكرها عن أحد ذكر أن كلهم قد حدث ببعضها وأن حديثهم اجتمع فيما ساق من الحديث فكان فيما ذكر في ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي الى الجبل فجعل ظهره وعسكره الى أحد وقال لا تقاتلوا حتى نأمر بالقتال وقد سرحت قريش الظهر والكراع في زروع كانت بالصمغة من قناة للمسلمين فقال رجل من الانصار حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال أترعى زروع بني قيلة ولما نضارب وصفنا رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم للقتال وهو في سبعمائة رجل وتصاف قريش وهم ثلاثة آلاف ومعهم مائتا فرس قد جنبوها فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة عبد الله بن جبير أخا بني عمرو بن عوف وهو يومئذ معلم بثياب بيض والرماة خمسون رجلا وقال انضح عنا الخيل بالنبل لا يأتونا من خلفنا ان كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك لا نؤتين من قبلك فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض واقتتلوا حتى حميت الحرب وقاتل أبو دجانة حتى أمعن في الناس وحمزة بن عبد المطلب وعلى بن أبي طالب في رجال من المسلمين فأنزل الله عز وجل نصره وصدقهم وعده فحسوهم بالسيوف حتى كشفوهم وكانت الهزيمة لا شك فيها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جده قال قال الزبير والله لقد رأيتني أنظر الى خدم هند ابنة عتبة وصواحبها مشمرات هوازم ما دون احداهن قليل ولا كثير اذ مالت الرماة الى العسكر حين كشفنا القوم عنه يريدون النهب وخلوا ظهورنا للخيل فأتينا من أدبارنا وصرخ صارخ ألا ان محمدا قد قتل فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن هزمنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد من القوم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق في قوله ولقد صدقكم الله وعده أي لقد وفيت لكم بما وعدتكم من النصر على عدوكم حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ولقد صدقكم الله وعده وذلك يوم أحد قال لهم انكم ستظهرون فلا تأخذوا ما أصبتم من غنائمهم شيأ حتى تفرغوا فتركوا أمر نبي الله صلى الله عليه وسلم وعصوا ووقعوا في الغنائم ونسوا عهده الذي عهده اليهم وخالفوا الى غير ما أمرهم به ۞ القول في تأويل قوله ﴿اذ تحسونهم باذنه﴾ يعني تعالى ذكره بذلك ولقد وفى الله لكم أيها المؤمنون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بما وعدكم من النصر على عدوكم بأحد حين تحسونهم يعني حين تقتلونهم يقال منه حسه يحسه حسا اذا قتله كما حدثني محمد بن عبد الله بن سعيد الواسطي قال ثنا يعقوب بن عيسى قال ثني عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن محمد بن عبد العزيز عن الزهري عن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف في قوله اذ تحسونهم باذنه قال الحس القتل حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا ابن أبي الزناد عن أبيه قال سمعت عبيد الله بن عبد الله يقول في قول الله عز وجل اذ تحسونهم قال القتل حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد اذ تحسونهم باذنه قال تقتلونهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم أي قتلا باذنه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله اذ تحسونهم يقول اذ تقتلونهم حدثت عن عمار عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع اذ تحسونهم باذنه والحس القتل حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه يقول تقتلونهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق اذ تحسونهم بالسيوف أي بالقتل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن مبارك عن الحسن اذ تحسونهم باذنه يعني القتل حدثني علي بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله اذ تحسونهم باذنه يقول تقتلونهم وأما قوله

والغلبة والحالات الغريبة وقوله نداولها كالتفسير لما تقدمه والمداولة نقل الشيء من واحد الى آخر ويقال تداولته الايدي أي تناقلته والدنيا دول أي تنتقل من قوم الى آخرين لا تدوم مسارّها ومغامّها فيوم يحصل فيه السرور له والغم لعدوه ويوم آخر بالعكس فلا يبقى شيء من أحوالها ولا يستقر أثر من آثارها ونظيره قولهم الحرب سجال شبهت بالدلاء لكونها تارة مملوءة وأخرى فارغة وليس المراد من هذه المداولة أنه تعالى تارة ينصر المؤمنين وأخرى ينصر الكافرين فان نصرة الله منصب شريف لا يناله الكافرون بل المراد أنه تارة يشدد المحنة على الكافرين وأخرى على المؤمنين وذلك أنه لو شدد المحنة على الكفار في جميع الاوقات وأزالها عن المؤمنين في جميعها لحصل العلم الاضطراري بان الايمان حق وما سواه باطل ولو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب فالحكمة في المداولة أن تكون الشبهات باقية والمكلف يدفعها بواسطة النظر في الدلائل الدالة على صحة الاسلام فيعظم ثوابه عند الله والى هذا يشير قوله سبحانه وليعلم الله الذين آمنوا وحذف المعطوف عليه ليذهب الوهم كل مذهب

ويقرر الفوائد والتقدير نداولها بين الناس ليكون كيت وكيت وليعلم وفيه ايذان بان المصلحة في هذه المداولة ليست بواحدة ولكن في ضمنها مصالح جمة لو عرفوها انقلبت مساءتهم مسرة منها أن يعلم الله وقد احتج هشام بن الحكم بظاهر هذه الآية ونحوها كقوله ولما يعلم الله

باذنه فانه يعنى بحكمى وقضائى لكم بذلك وتسليطى اياكم عليهم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق اذ تحسونهم باذنى وتسليطى أيديكم عليهم وكفى أيديهم عنكم ❊ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون) يعنى بقوله جل ثناؤه حتى اذا فشلتم حتى اذا جبنتم وضعفتم وتنازعتم فى الامر يقول واختلفتم فى أمر الله يقول وعصيتم وخالفتم نبيكم فتركتم أمره وما عهد اليكم وانما يعنى بذلك الرماة الذين كان أمرهم صلى الله عليه وسلم بلزوم مركزهم ومقعدهم من فم الشعب باحد بازاء خالد بن الوليد ومن كان معه من فرسان المشركين الذين ذكرنا قبل أمرهم وأما قوله من بعد ما أراكم ما تحبون فانه يعنى بذلك من بعد الذى أراكم الله أيها المؤمنون بمحمد من النصر والظفر بالمشركين وذلك هو الهزيمة التى كانوا هزموهم عن نسائهم وأموالهم قبل ترك الرماة مقاعدهم التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقعدهم فيها وقبل خروج خيل المشركين على المؤمنين من ورائهم وبنحو الذى قلنا تظاهرت الاخبار عن أهل التأويل وقد مضى ذكر بعض من قال وسنذكر قول بعض من لم يذكر قوله فيما مضى ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر أى اختلفتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون وذاكم يوم أحد عهد اليهم نبى الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم بامر فنسوا العهد وجاوزوا وخالفوا ما أمرهم نبى الله صلى الله عليه وسلم فانصرف عليهم عدوهم بعد ما أراهم من عدوهم ما يحبون حدثنى محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ناسا من الناس يعنى يوم أحد فكانوا من ورائهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كونوا ههنا فردوا وجه من قدمنا وكونوا حرسا لنا من قبل ظهورنا وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هزم القوم هو وأصحابه اختلف الذين كانوا جعلوا من ورائهم فقال بعضهم لبعض لما رأوا النساء مصعدات فى الجبل ورأوا الغنائم قالوا انطلقوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فادركوا الغنيمة قبل أن تسبقوا اليها وقالت طائفة أخرى بل نطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنثبت مكاننا فذلك قوله منكم من يريد الدنيا للذين أرادوا الغنيمة ومنكم من يريد الآخرة للذين قالوا نطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونثبت مكاننا فأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فكان فشلا حين تنازعوا بينهم يقول وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون كانوا قد رأوا الفتح والغنيمة حدثت عن عمار عن ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع حتى اذا فشلتم يقول جبنتم عن عدوكم وتنازعتم فى الامر يقول اختلفتم وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون وذلك يوم أحد قال لهم انكم ستظهرون فلا أعرفن ما أصبتم من غنائمهم شيأ حتى تفرغوا فتركوا أمر نبى الله صلى الله عليه وسلم وعصوا ووقعوا فى الغنائم ونسوا عهده الذى عهده اليهم وخالفوا الى غير ما أمرهم به فانصرف عليهم عدوهم من بعد ما أراهم فيهم ما يحبون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج حتى اذا فشلتم قال ابن جريج قال ابن عباس الفشل الجبن حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون من الفتح حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق حتى اذا فشلتم أى تخاذلتم وتنازعتم فى الامر أى اختلفتم فى أمرى وعصيتم أى تركتم أمر نبيكم صلى الله عليه وسلم وما عهد اليكم يعنى الرماة من بعد ما أراكم ما تحبون أى الفتح لا شك فيه وهزيمة القوم عن نسائهم وأموالهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى

حجاج

الذين جاهدوا وعلى أنه تعالى لا يعلم الحوادث الا عند وقوعها وقد سبق الاجوبة عنها فى تفسير قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه وتأويل الآية ان اطلاق لفظ العلم على المعلوم والقدرة على (٨٤) المقدور مجاز مشهور يقال هذا علم فلان أو قدرته والمراد معلومه أو مقدوره فكل آية يشعر ظاهرها بتجدد العلم فالمراد تجدد المعلوم لان التغير فى علم الله تعالى محال فمعنى الآية ليظهر معلوما وهو المخلص من المنافق والمؤمن من الكافر وقيل معناه ليحكم بالامتياز فوضع العلم مقام الحكم وقيل ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو أن يعلمهم موجودا منهم الثبات لان المجازاة تقع على الواقع دون المعلوم الذى لم يوجد وقيل ليعلم أولياء الله فأضاف الى نفسه تفخيما لهم وعلى الاقوال العلم بمعنى العرفان ولهذا تعدى الى مفعول واحد وقيل انه بمعنى فعل القلب الذى يتعدى الى مفعولين والتقدير وليعلمهم مميزين عن غيرهم ويحتمل على جميع التقادير ان يضمر متعلق وليعلم بعده ومعناه وليتميز الثابتون على الايمان من المضطربين فعلنا ما فعلنا ومن حكم المداولة قوله ويتخذ منكم شهداء من يصلح للشهادة على الامم يوم القيامة كقوله لتكونوا شهداء على الناس فان كونهم كذلك منصب شريف لا يناله الا هذه الامة ولن يكونوا من الامة الا بالصبر على ما ابتلوا به من الشدائد أو المراد ليكرم ناسا منكم بالشهادة والشهداء جمع شهيد كالكرماء والظرفاء والمقتول من المسلمين بسيف الكفار يسمى شهيدا قال النضر ابن شميل لانهم أحياء حضروا دار السلام كما ماتوا بخلاف غيرهم وقال ابن الانبارى لان الله وملائكته شهدوا له بالجنة والله لا يحب الظالمين أى المشركين ان الشرك لظلم عظيم قال ابن عباس وقيل لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الايمان الصابرين على البلوى وهو اعتراض بين بعض المعللات وبعض وفيه أن دولة الكافرين على المؤمنين للفوائد المذكورة لا لانه يحبهم ومن

الحكم قوله وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين والمحص في اللغة التنقية والمحق النقصان وقال المفضل هو أن يذهب الشئ كله حتى لا يرى منه شئ وقال الزجاج معنى الآية انه ان حصلت الغلبة للكافرين على المؤمنين كان (٨٥) المراد تمحيص ذنوب المؤمنين أي تطهيرهم وتصفيتهم وان كان بالعكس فالمراد محو آثار الكفار وهذه مقابلة لطيفة لان تمحيص هؤلاء باهلاك ذنوبهم نظير محق أولئك باهلاك أنفسهم لا بالكلية فان ذلك غير واقع بل بتدريج ومهل ليقطع طرفا ننقصها من أطرافها * (التأويل) لا تأكلوا الربا ما يؤدي الى الحرص على طلب الدنيا أضعافا مضاعفة الى ما لا يتناهى فلا يملأ جوف ابن آدم الا التراب واتقوا الله خطاب للخواص أي اتقوا بالله عن غير الله في طلب الله لعلكم تفلحون عن حجب ما سوى الله وتظفرون بالوصول الى الله ثم خاطب العوام الذين هم أرباب الوسائط بقوله واتقوا أي بالقناعة النار أي نار الحرص التي تورى عنها نار القطيعة وجوز وا بقدمي طاعة الله وطاعة رسوله ثم أخبر عن المسارعة الى الجنان بمسارعة النفس والجنان عرضها السموات والارض أي المسافة بين العبد وبينها هذا القدر لان الوصول اليها بعد العبور عما في السموات والارض وهو عالم المحسوسات كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عن عيسى انه قال لن يلج ملكوت السموات والارض من لم يولد مرتين فالولادة الثانية هي الخروج عن الصفات الحيوانية بتزكية النفس عنها والولوج الملكوت هو التحلية بالصفات الروحانية ينفقون أموالهم في السراء وأرواحهم في الضراء بل من سوى الله في طلب الله فعلوا فاحشة هي رؤية غير الله أو ظلموا أنفسهم بالتعلق بما سوى الله ذكروا الله بالنظر اليه وبرؤيته ومن يغفر ومن يستر بكثيف عواطفه ذنوب وجود الاغيار الا الله ولم يصروا على ما فعلوا من رؤية الوسائط والتعلق بها وهم يعلمون أن كل شئ ما خلا الله باطل أولئك

حجاج عن المبارك عن الحسن من بعد ما أراكم ما تحبون يعني من الفتح وقيل معنى قوله حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون حتى اذا تنازعتم في الامر فشلتم وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون انه من المقدم الذي معناه التأخير وان الواو دخلت في ذلك ومعناها السقوط كما قلنا في فلما أسلما وتله للجبين وناديناه معناه ناديناه وهذا مقول في حتى اذا وفي لما ومنه قول الله عز وجل حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج ثم قال واقترب الوعد الحق ومعناه اقترب وكما قال الشاعر

حتى اذا قملت بطونكم * ورأيتم أبناءكم شبوا
وقلبتم ظهر المجن لنا * ان اللئيم العاجز الخب

القول في تأويل قوله (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) يعني جل ثناؤه بقوله منكم من يريد الدنيا الذين تركوا مقعدهم الذي أقعدهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب من أحد لخيل المشركين ولحقوا بعسكر المسلمين طلب النهب اذ رأوا هزيمة المشركين ومنكم من يريد الآخرة يعني بذلك الذين ثبتوا من الرماة في مقاعدهم التي أقعدهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعوا أمره محافظة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابتغاء ما عند الله من الثواب بذلك من فعلهم والدار الآخرة كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة فالذين انطلقوا يريدون الغنيمة هم أصحاب الدنيا والذين بقوا وقالوا لا نخالف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أرادوا الآخرة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ان نبي الله صلى الله عليه وسلم أمر يوم أحد طائفة من المسلمين فقال كونوا مسلحة للناس بمنزلة أمرهم أن يثبتوا بها وأمرهم أن لا يبرحوا مكانهم حتى يأذن لهم فلما لقي نبي الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد أبا سفيان ومن معه من المشركين هزمهم نبي الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى المسلحة أن الله عز وجل هزم المشركين انطلق بعضهم وهم يتنادون الغنيمة الغنيمة لا تفتكم وثبت بعضهم مكانهم وقالوا لا نريم موضعنا حتى يأذن لنا نبي الله صلى الله عليه وسلم ففي ذلك نزل منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة فكان ابن مسعود يقول ما شعرت أن أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كان يريد الدنيا وعرضها حتى كان يوم أحد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس لما هزم الله المشركين يوم أحد قال الرماة أدركوا الناس ونبي الله صلى الله عليه وسلم لا يسبقوكم الى الغنائم فتكون لهم دونكم وقال بعضهم لا نريم حتى يأذن لنا النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة قال ابن جريج قال ابن مسعود ما علمنا أن أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يريد الدنيا وعرضها حتى كان يومئذ حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن المبارك عن الحسن منكم من يريد الدنيا هؤلاء الذين يحيزون الغنائم ومنكم من يريد الآخرة الذين يتبعونهم يقتلونهم حدثنا الحسين ابن عمرو بن محمد العنقزي قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي عن عبد خير قال قال عبد الله ما كنت أرى أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى نزل فينا يوم أحد منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط

جزاؤهم مغفرة أى هم مستحقون لمقامات القرب من ربهم وجنات من أصناف ألطافه تجرى من تحتها الانهار العناية ونعم أجر العاملين لان
نيل المقصود فى بذل المجهود قد خلت من (٨٦) قبلكم أمم لهم سنن فسيروا فى الارض نفوسكم الحيوانية بالعبور على أوصافها الدنية لتبلغوا
سماء قلوبكم الروحانية فانظروا
كيف كان عاقبة المكذبين بهذه
المقامات الروحانية والمكاشفات
الربانية ولا تهنوا أيها السائرون فى
السير الى الله ولا تحزنوا على ما فاتكم
من اللذات الفانية وأنتم الأعلون
من أهل الدنيا والآخرة لانكم من
أهل الله ان يمسسكم فى أثناء
المجاهدات قرح ابتلاء وامتحان
فقد مس القوم من الانبياء والاولياء
قرح محن مثله وتلك الايام نداولها
بين الناس السائرين يوما نعمة
ويوما نقمة ويوما منحة ويوما محنة
ويتخذ منكم شهداء أرباب
المشاهدات والمكاشفات وليمحص
الله فيه اشارة الى أن كل ألم ونصب
يصيب المؤمن فهو تطهير لقلبه
وتكفير لسره وما يصيب الكافر
من نعمة ودولة وغنى ومنى فهو
سبب لكفرانه ومزيد لطغيانه
وبوجه آخر البلاء لأهل الولاء
تمحيص للقلوب عن ظلمات العيوب
وتنويرها بأنوار الغيوب ويمحق
صفات نفوسهم الكافرة ويمحو
سمات أخلاقهم الفاجرة ليتخلصوا
عن قفص الاشباح الى حظائر
الارواح (أم حسبتم أن تدخلوا
الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا
منكم ويعلم الصابرين ولقد كنتم
تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد
رأيتموه وأنتم تنظرون وما محمد الا
رسول قد خلت من قبله الرسل أفان
مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم
ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله
شيأ وسيجزى الله الشاكرين وما
كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا
مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزى الشاكرين وكأين من نبى قاتل معه ربيون ذو
كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا

عن السدى عن عبد خير قال قال ابن مسعود ما كنت أظن فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ أحدا يريد الدنيا حتى قال الله ما قال حدثت عن عمار عن ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال قال عبد الله بن مسعود لما رآهم وقعوا فى الغنائم ما كنت أحسب أن أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى كان اليوم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال كان ابن مسعود يقول ما شعرت أن أحدا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كان يريد الدنيا وعرضها حتى كان يومئذ حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق منكم من يريد الدنيا أى الذين أرادوا النهب رغبة فى الدنيا وترك ما أمروا به من الطاعة التى عليها ثواب الآخرة ومنكم من يريد الآخرة أى الذين جاهدوا فى الله لم يخالفوا الى ما نهوا عنه لعرض من الدنيا رغبة فى رجاء ما عند الله من حسن ثوابه فى الآخرة ۞ القول فى تأويل قوله (ثم صرفكم عنهم ليبتليكم) يعنى بذلك جل ثناؤه ثم صرفكم أيها المؤمنون عن المشركين بعد ما أراكم ما تحبون فيهم وفى أنفسكم من هزيمتكم اياهم وظهوركم عليهم فرد وجوهكم عنهم لمعصيتكم أمر رسولى ومخالفتكم طاعته وايثاركم الدنيا على الآخرة عقوبة لكم على ما فعلتم ليبتليكم يقول ليختبركم فيتميز المنافق منكم من المخلص الصادق فى ايمانه منكم كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ثم ذكر حين مال عليهم خالد بن الوليد ثم صرفكم عنهم ليبتليكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن مبارك عن الحسن فى قوله ثم صرفكم عنهم قال صرف القوم عنهم فقتل من المسلمين بعدة من أسروا يوم بدر وقتل عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته وشج فى وجهه وكان يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت ليس لك من الامر شئ الآية فقالوا أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدنا النصر فأنزل الله عز وجل ولقد صدقكم الله وعده الى قوله ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ثم صرفكم عنهم ليبتليكم أى صرفكم عنهم ليختبركم وذلك ببعض ذنوبكم ۞ القول فى تأويل قوله (ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين) يعنى بقوله جل ثناؤه ولقد عفا عنكم ولقد عفا الله أيها المخالفون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم والتاركون طاعته فيما تقدم اليكم من لزوم الموضع الذى أمركم بلزومه عنكم فصفح لكم من عقوبة ذنبكم الذى أتيتموه عما هو أعظم مما عاقبكم به من هزيمة أعدائكم اياكم وصرف وجوهكم عنهم اذ لم يستأصل جمعكم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن مبارك عن الحسن فى قوله ولقد عفا عنكم قال قال الحسن وصفق بيديه وكيف عفا عنهم وقد قتل منهم سبعون وقتل عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته وشج فى وجهه قال ثم يقول قال الله عز وجل قد عفوت عنكم اذ عصيتمونى أن لا أكون استأصلتكم قال ثم يقول الحسن هؤلاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى سبيل الله غضاب لله يقاتلون أعداء الله نهوا عن شئ فصنعوه فوالله ما تركوا حتى غموا بهذا الغم فأفسق الفاسقين اليوم يتجرأ على كل كبيرة ويركب كل داهية ويسحب عليها ثيابه ويزعم أن لا بأس عليه فسوف يعلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ولقد عفا عنكم قال لم يستأصلكم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولقد عفا عنكم ولقد عفا الله عن عظيم ذلك لم يهلككم بما أتيتم من معصية نبيكم ولكن عدت بفضلى عليكم وأما قوله والله

فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم (٨٧) وهو خير الناصرين) ۞ القراآت ربانيون بغير همزة يعنى بالتليين ونحو رأولئك ورأوه وروى هبة الله بن جعفر عن الاصفهانى عن ورش وحمزة فى الوقف يرد ثواب وبابه مدغما أبو عمرو (٣) وشأن ابن عامر وسهل وحمزة وعلى وخلف نؤته مثل يؤده وكائن بالمد والهمز مثل كاعن حيث كان ابن كثير وقرأ يزيد وكاين بالمد بغير همزة وقرأ أبو عمرو وسهل ويعقوب وعلى بغير نون فى الوقف وكأى الباقون وكأين فى الحالين قتل أبو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير ونافع وقتيبة والمفضل الباقون قاتل ۞ الوقوف الصابرين ه تلقوه ص لطول الكلام رسول ج لان ما بعده يصلح صفة واستئنافا الرسل ط أعقابكم ط لتناهى الاستفهام شيأ ط الشاكرين ه مؤجلا ج لابتداء الشرط منها ج للعطف منها ط الشاكرين ه قتل ط ليكون قتل النبى صلى الله عليه وسلم الزاما للحجة على من اعتذر فى الانهزام بما سمع من نداء ابليس ألا ان محمدا قد قتل والتقدير ومعه ربيون كثير ولو وصل كان الربيون مقتولين ومن قرأ قاتل فله أن لا يقف كثير ج لابتداء النفى مع فاء التعقيب وما استكانوا ط الصابرين ه الكافرين ه الآخرة ط المحسنين ه خاسرين ه مولاكم ج الناصرين ه ۞ التفسير انه سبحانه لما ذكر فوائد مداولة الايام وحكمها أتبعها ما هو السبب الأصلى فى ذلك فقال (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة) بدون تحمل المشاق وأم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما بمعنى لم مع زيادة التوقع وليس المراد نفى العلم بالمجاهدين ولكن المراد نفى المعلوم وانما حسن اقامة ذلك مقام هذا لان العلم متعلق بالمعلوم كما هو عليه فلما حصلت بينهما هذه المطابقة حسن اقامة أحدهما مقام الآخر تقول ما علم الله فى فلان

ذو فضل على المؤمنين فانه يعنى والله ذو طول على أهل الايمان به وبرسوله بعفوه لهم عن كثير ما يستوجبون به العقوبة عليه من ذنوبهم فان عاقبهم على بعض ذلك فذو احسان اليهم بجميل أياديه عندهم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين يقول وكذلك من الله على المؤمنين أن عاقبهم ببعض الذنوب فى عاجل الدنيا أدبا وموعظة فانه غير مستأصل لكل ما فيهم من الحق له عليهم لما أصابوا من معصيته رحمة لهم وعائدة عليهم لما فيهم من الايمان ۞ القول فى تأويل قوله (اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم) يعنى بذلك جل ثناؤه ولقد عفا عنكم أيها المؤمنون اذ لم يستأصلكم اهلاكا منه جمعكم بذنوبكم وهربكم اذ تصعدون ولا تلوون على أحد واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه عامة قراء الحجاز والعراق والشام سوى الحسن البصرى اذ تصعدون بضم التاء وكسر العين وبه القراءة عندنا لاجماع الحجة من القراء على القراءة به واستنكارهم ما خالفه وروى عن الحسن البصرى أنه كان يقرؤه اذ تصعدون بفتح التاء والعين حدثنى بذلك أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا حجاج عن هرون عن يونس بن عبيد عن الحسن فاما الذين قرؤا تصعدون بضم التاء وكسر العين فانهم وجهوا معنى ذلك الى أن القوم حين انهزموا عن عدوهم أخذوا فى الوادى هاربين وذكروا أن ذلك فى قراءة أبى اذ تصعدون فى الوادى حدثنا أحمد ابن يوسف قال ثنا أبو عبيد قال ثنا حجاج عن هرون قالوا فالهرب فى مستوى الارض وبطون الاودية والشعاب اصعاد لا صعود قالوا وانما يكون الصعود على الجبال والسلاليم والدرج لان معنى الصعود الارتقاء والارتفاع على الشئ علوا قالوا فاما الاخذ فى مستوى الارض والهبوط فانما هو اصعاد كما يقال أصعدنا من مكة اذا ابتدأت فى السفر منها والخروج وأصعدنا من الكوفة الى خراسان بمعنى خرجنا منها سفرا اليها وابتدأنا منها الخروج اليها قالوا وانما جاء تأويل أكثر أهل التأويل بان القوم أخذوا عند انهزامهم عن عدوهم فى بطن الوادى ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تلوون على أحد ذاكم يوم أحد أصعدوا فى الوادى فرارا ونبى الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم فى أخراهم الى عباد الله الى عباد الله وأما الحسن فانه أراه ذهب فى قراءته اذ تصعدون بفتح التاء والعين الى أن القوم حين انهزموا عن المشركين صعدوا الجبل وقد قال ذلك عدد من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قال لما شد المشركون على المسلمين بأحد فهزموهم دخل بعضهم المدينة وانطلق بعضهم فوق الجبل الى الصخرة فقاموا عليها وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى عباد الله الى عباد الله فذكر الله صعودهم على الجبل ثم ذكر دعاء نبى الله صلى الله عليه وسلم اياهم فقال اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال انحازوا الى النبى صلى الله عليه وسلم فجعلوا يصعدون فى الجبل والرسول يدعوهم فى أخراهم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله اذ تصعدون ولا تلوون على أحد قال صعدوا فى أحد فرارا * قال أبو جعفر وقد ذكرنا أن أولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ اذ تصعدون بضم التاء وكسر العين بمعنى السبق والهرب فى مستوى الارض أو فى المهابط لاجماع

الحجة على أن ذلك هو القراءة الصحيحة ففي اجماعها على ذلك الدليل الواضح على أن أولى التأويلين بالآية تأويل من قال أصعدوا في الوادي ومضوا فيه دون قول من قال صعدوا على الجبل وأما قوله ولا تلوون على أحد فانه يعني ولا تعطفون على أحد منكم ولا يلتفت بعضكم الى بعض هربا من عدوكم مصعدين في الوادي ويعني بقوله والرسول يدعوكم في أخراكم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوكم أيها المؤمنون به من أصحابه في أخراكم يعني أنه يناديكم من خلفكم الى عباد الله الى عباد الله كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس والرسول يدعوكم في أخراكم الى عباد الله ارجعوا الى عباد الله ارجعوا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والرسول يدعوكم في أخراكم رأوا نبي الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى عباد الله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال أنبهم الله بالفرار عن نبيهم صلى الله عليه وسلم وهو يدعوهم لا يعطفون عليه لدعائه اياهم فقال اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والرسول يدعوكم في أخراكم هذا يوم أحد حين انكشف الناس عنه ۞ القول في تأويل قوله (فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون) يعني بقوله جل ثناؤه فأثابكم غما بغم يعني فجازاكم بفراركم عن نبيكم وفشلكم عن عدوكم ومعصيتكم ربكم غما بغم يقول غما على غم وسمى العقوبة التي عاقبهم بها من تسليط عدوهم عليهم حتى نال منهم ما نال ثوابا اذ كان ذلك من عملهم الذي سخطه ولم يرضه منهم فدل بذلك جل ثناؤه أن كل عوض كان لمعوض من شيء من العمل خيرا كان أو شرا أو العوض الذي بذله رجل لرجل أو يد سلفت له اليه فانه مستحق اسم ثواب كان ذلك العوض تكرمة أو عقوبة ونظير ذلك قول الشاعر

أخاف زيادا أن يكون عطاؤه * أداهم سودا أو محدرجة سمرا

فجعل العطاء العقوبة وذلك كقول القائل لآخر سلف اليه منه مكروه لأجازينك على فعلك ولأثيبنك ثوابك وأما قوله غما بغم فانه قيل غما بغم معناه غما على غم كما قيل ولأصلبنكم في جذوع النخل بمعنى ولأصلبنكم على جذوع النخل وانما جاز ذلك لان معنى قول القائل أثابك الله غما على غم جزاك الله غما بعد غم تقدمه فكان كذلك معنى فأثابكم غما بغم لان معناه فجزاكم الله غما بعقب غم تقدمه وهو نظير قول القائل نزلت ببني فلان ونزلت على بني فلان وضربته بالسيف وعلى السيف واختلف أهل التأويل في الغم الذي أثيب القوم على الغم وما كان غمهم الاول والثاني فقال بعضهم أما الغم الاول فكان ما تحدث به القوم أن نبيهم صلى الله عليه وسلم قد قتل وأما الغم الآخر فانه كان ما نالهم من القتل والجراح ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فأثابكم غما بغم كانوا تحدثوا يومئذ أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أصيب وكان الغم الآخر قتل أصحابهم والجراحات التي أصابتهم قال وذكر لنا أنه قتل يومئذ سبعون رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة وستون رجلا من الانصار وأربعة من المهاجرين وقوله لكيلا تحزنوا على ما فاتكم يقول ما فاتكم من غنيمة القوم ولا ما أصابكم في أنفسكم من القتل والجراحات حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله فأثابكم غما بغم قال فرة بعد فرة الاولى حين سمعوا الصوت أن محمدا

خيرا أي ما فيه خير حتى يعلمه فحاصل الكلام لا تحسبوا أن تدخلوا الجنة ولم تجاهدوا وبعد وانما أنكر هذا الحسبان لانه تعالى أوجب الجهاد قبل هذه الواقعة وأوجب الصبر على تحمل متاعبها (٨٨) وبين وجوه المصالح المنوطة بها في الدين والدنيا واذا كان كذلك فمن البعيد أن يصل الانسان الى السعادة والجنة مع اهمال مثل هذه الطاعة والواو في قوله ويعلم الصابرين واو الجمع في قولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن كأنه قيل ان دخول الجنة وترك المصابرة على الجهاد مما لا يجتمعان فليس كل من أقر بدين الله كان صادقا ولكن الفيصل فيه تسليط المكروهات ومخالفات النفس فان المحب هو الذي لا ينقص بالجفاء ولا يزداد بالوفاء وقيل التقدير أظننتم أن تدخلوا الجنة قبل أن يعلم الله المجاهدين وأن يعلم الصابرين ووجه آخر وهو أن يكون مجزوما أيضا لكن الميم لما حركت للساكنين حركت بالفتحة اتباعا للفتحة قبلها وهذا كما قرئ ولما يعلم الله بفتح الميم الا أن يراد ولما يعلمن بالنون الخفيفة ثم حذفت وقرأ الحسن ويعلم بالجزم على العطف وروي عن أبي عمرو ويعلم بالرفع على الحال كأنه قيل ولما تجاهدوا وأنتم صابرون (ولقد كنتم تمنون الموت) الخطاب فيه للذين ألحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى المشركين وكان رأيه في الاقامة بالمدينة ويراد بالموت سببه وهو الجهاد والقتل قال المحققون انه لم يكن تمنيهم للموت تمنيا لان يقتلوا لان قتل المشركين لهم كفر ولا يجوز للمؤمن أن يتمنى الكفر أو يريده أو يرضى به بل انما تمنوا الفوز بدرجات الشهداء والوصول الى كراماتهم وشبهوا ذلك عن شرب دواء الطبيب النصراني فان غرضه حصول الشفاء ولا يخطر بباله جر منفعة واحسان الى عدو الله وتنفيق صناعته قالت الاشاعرة ههنا من أراد شيأ أراد ما هو من لوازمه وثواب الشهداء لا يحصل الا بالشهادة ولا قد ريب انه تعالى أراد ايصال ثواب الشهداء الى المؤمنين ولهذا ورد من الترغيبات ما ورد فأراد صيرورتهم شهداء ولن يصيروا شهداء الا اذا قتلهم

قد قتل والثانية حين رجع الكفار فضربوهم مدبرين حتى قتلوا منهم سبعين رجلا ثم انحازوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعلوا يصعدون في الجبل والرسول يدعوهم في أخراهم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه * وقال آخرون بل غمهم الاول كان قتل من قتل منهم وجرح من جرح منهم والغم الثاني كان من سماعهم صوت القائل قتل محمد صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله غما بغم قال الغم الاول الجراح والقتل والغم الثاني حين سمعوا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قد قتل فأنساهم الغم الآخر ما أصابهم من الجراح والقتل وما كانوا يرجون من الغنيمة وذلك حين يقول لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع فأثابكم غما بغم قال الغم الاول الجراح والقتل والغم الآخر حين سمعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل فأنساهم الغم الآخر ما أصابهم من الجراح والقتل وما كانوا يرجون من الغنيمة وذلك حين يقول الله لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم * وقال آخرون بل الغم الاول ما كان فاتهم من الفتح والغنيمة والثاني اشراف أبي سفيان عليهم في الشعب وذلك أن أبا سفيان فيما زعم بعض أهل السير لما أصاب من المسلمين ما أصاب وهرب المسلمون جاء حتى أشرف عليهم وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعب أحد الذي كانوا ولوا اليه عند الهزيمة فخافوا أن يصطلمهم أبو سفيان وأصحابه ذكر الخبر بذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ يدعو الناس حتى انتهى الى أصحاب الصخرة فلما رأوه وضع رجل سهما في قوسه فأراد أن يرميه فقال أنا رسول الله ففرحوا بذلك حين وجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا وفرح رسول الله حين رأى أن في أصحابه من يمتنع فلما اجتمعوا وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذهب عنهم الحزن فأقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم منه ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا فأقبل أبو سفيان حتى أشرف عليهم فلما نظروا اليه نسوا ذلك الذي كانوا عليه وهمهم أبو سفيان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لهم أن يعلونا اللهم ان تقتل هذه العصابة لا تعبد ثم ندب أصحابه فرموهم بالحجارة حتى أنزلوهم فقال أبو سفيان يومئذ اعل هبل حنظلة بحنظلة ويوم بيوم بدر وقتلوا يومئذ حنظلة بن الراهب وكان جنبا فغسلته الملائكة وكان حنظلة بن أبي سفيان قتل يوم بدر قال أبو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر قل الله مولانا ولا مولى لكم فقال أبو سفيان فيكم محمد قالوا نعم قال أما انها قد كانت فيكم مثلة ما أمرت بها ولا نهيت عنها ولا سرتني ولا ساءتني فذكر الله اشراف أبي سفيان عليهم فقال فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم الغم الاول ما فاتهم من الغنيمة والفتح والغم الثاني اشراف العدو عليهم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمة ولا ما أصابكم من القتل حين تذكرون فشغلهم أبو سفيان حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثني ابن شهاب الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن ابن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا فيما ذكروا من حديث أحد قالوا كان المسلمون في ذلك اليوم لما أصابهم فيه من شدة البلاء أثلاثا ثلث قتيل وثلث جريح وثلث منهزم وقد بلغته الحرب حتى ما يدري ما يصنع وحتى خلص العدو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدث بالحجارة حتى

الكفار فلابد أن يريد أن يقتلهم الكفار وذلك القتل كفر ومعصية فثبت أنه تعالى مريد للكفر والايمان والطاعة والعصيان (من قبل أن تلقوه) من قبل أن تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته (فقد رأيتموه وأنتم تنظرون) قال الزجاج أي وأنتم بصراء كقولهم رأيته بعيني أي رأيتموه معاينين حين قتل بين أيديكم من قتل من اخوانكم وشارفتم أن تقتلوا ويحتمل أن يراد رأيتم اقدام القوم وشدة حرصهم على قتلكم وعلى قتل الرسول ثم بقيتم أنتم تنظرون اليهم من غير جد في دفعهم ولا اجتهاد في مقاتلتهم وفيه توبيخ لهم على تمنيهم الجهاد وعلى الحاحهم في الخروج اليه ثم انهزامهم وقلة ثباتهم عنده قال ابن عباس ومجاهد والضحاك لما نزل النبي صلى الله عليه وسلم بالشعب أمر الرماة أن يلزموا أصل الجبل ولا ينتقلوا سواء كان الأمر لهم أو عليهم فلما وقفوا وحملوا على الكفار هزموهم وقتل علي عليه السلام طلحة بن أبي طلحة صاحب لوائهم والزبير والمقداد شدا على المشركين ثم حمل الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه فهزموا أبا سفيان ثم ان بعض القوم لما رأوا انهزام الكفار بادر قوم من الرماة الى الغنيمة وكان خالد بن الوليد صاحب ميمنة الكفار فلما رأى تفرق الرماة حمل على المسلمين فهزمهم وفرق جمعهم وكثر القتل في المسلمين ورمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر وكسر رباعيته وشج وجهه وأقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم أحد حتى قتله ابن قمئة واحتمل طلحة بن عبيد الله رسول الله ودافع عنه أبو بكر وعلي عليه السلام وظن ابن قمئة أنه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمدا أو صرخ صارخ ألا ان محمدا قد قتل قيل وكان الصارخ الشيطان ففشا في الناس خبر قتله صلى الله عليه وسلم فانكفؤا وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى عباد الله حتى انحازت اليه طائفة من أصحابه فلامهم على هربهم فقالوا

وقع لشقه وأصيبت رباعيته وشج فى وجهه وكلمت شفته وكان الذى أصابه عتبة بن أبى وقاص وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه لواؤه حتى قتل وكان الذى أصابه ابن قمئة الليثى وهو يظن أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع الى قريش فقال قتلت محمدا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال فكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة وقول الناس قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثنى ابن شهاب الزهرى كعب بن مالك أخو بنى سلمة قال عرفت عينيه تزهران تحت المغفر فناديت بأعلى صوتى يامعشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار الى رسول الله أن أنصت فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ونهض نحو الشعب معه على بن أبى طالب وأبو بكر بن أبى قحافة وعمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله والزبير ابن العوام والحرث بن الصامت فى رهط من المسلمين قال فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعب ومعه أولئك النفر من أصحابه اذ علت عالية من قريش الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه لا ينبغى لهم أن يعلونا فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم عن الجبل ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صخرة من الجبل ليعلوها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بدن فظاهر بين درعين فلما ذهب لينهض فلم يستطع جلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض حتى استوى عليها ثم ان أبا سفيان حين أراد الانصراف أشرف على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته أنعمت فقال ان الحرب سجال يوم بيوم بدر أعل هبل أى ظهر دينك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر قم فأجبه فقل الله أعلى وأجل لا سواء قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار فلما أجاب عمر رضى الله عنه أبا سفيان قال له أبو سفيان هلم الى يا عمر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ائته فانظر ما شأنه فجاءه فقال له أبو سفيان أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمدا فقال عمر اللهم لا وانه ليسمع كلامك الآن فقال أنت أصدق عندى من ابن قمئة وأبر لقول ابن قمئة لهم انى قتلت محمدا ثم نادى أبو سفيان فقال انه قد كان فى قتلاكم مثلة والله ما رضيت ولا سخطت ولا نهيت ولا أمرت حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم أى كربا بعد كرب قتل من قتل من اخوانكم وعلو عدوكم عليكم وما وقع فى أنفسكم من قول من قال قتل نبيكم فكان ذلك مما تتابع عليكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من ظهوركم على عدوكم بعد أن رأيتموه بأعينكم ولا ما أصابكم من قتل اخوانكم حتى فرجت بذلك الكرب عنكم والله خبير بما تعملون وكان الذى فرج عنهم ما كانوا فيه من الكرب والغم الذى أصابهم أن الله عز وجل رد عنهم كذبة الشيطان بقتل نبيهم فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا بين أظهرهم هان عليهم ما فاتهم من القوم فهان الظهور عليهم والمصيبة التى أصابتهم فى اخوانهم حين صرف الله القتل عن نبيهم صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فأثابكم غما بغم قال ابن جريج قال مجاهد أصاب الناس حزن وغم على ما أصابهم فى أصحابهم الذين قتلوا فلما تولوا فى الشعب يتصافون وقف أبو سفيان وأصحابه بباب الشعب فظن المؤمنون أنهم سوف يميلون عليهم فيقتلونهم أيضا فأصابهم حزن فى ذلك أيضا أنساهم حزنهم فى أصحابهم فذلك قوله فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم قال ابن جريج قوله على ما فاتكم يقول على ما فاتكم من غنائم القوم ولا ما أصابكم فى أنفسكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج

يا رسول الله فدينا لك بآبائنا وأمهاتنا أتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فنزلت (وما محمد الا رسول) أى مرسل قال أبو على وقد يكون الرسول فى غير هذا الموضع بمعنى الرسالة أى حاله مقصور على الرسالة لا يتخطاها الى البقاء والدوام (قد خلت من قبله الرسل) فسيخلو كما خلوا وكما أن أتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فكونوا أنتم كذلك لأن الغرض من ارسال الرسل التبليغ والزام الحجة لا وجودهم بين أممهم أبدا (أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) الفاء لتسبيب الجملة الشرطية عن الجملة التى قبلها والهمزة لانكار الجزاء لانه فى الحقيقة كأنه دخل عليه والمعنى أفتنقلبون على أعقابكم ان مات محمد أو قتل وسبب الانكار ما تقدم من الدليلين أحدهما أن الحاجة الى الرسول هى التبليغ وبعد ذلك لا حاجة اليه فلا يلزم من قتله أو موته الادبار عما كان هو عليه من الدين وما يلزم كالجهاد وثانيهما القياس على موت سائر الأنبياء وقتلهم فان موسى عليه السلام مات ولم ترجع أمته عن ذلك الدين والنصارى زعموا أن عيسى عليه السلام قتل وهم لم يرجعوا عن دينه وانما ذكر القتل وقد علم أنه لا يقتل لكونه مجوزا عند المخاطبين وقوله والله يعصمك من الناس لو سلم أنه متقدم فى النزول فانه مما كان يختص بمعرفته العلماء منهم على أنه ليس نصا فى العصمة عن القتل بل يحتمل العصمة من فتنة الناس واضلالهم وقوله انك ميت يراد به المفارقة الى الآخرة بأى طريق كان بدليل وانهم ميتون وكثير منهم قد قتلوا ويمكن أن يقال صدق القضية الشرطية لا يتوقف على صدق جزأيها لصدق قولنا ان كانت الخمسة زوجا فهى تنقسم بمتساويين مع كذب جزأيها ومعنى أو هو التردد والتشكيك أى سواء فرض وقوع الموت أو القتل فلا تأثير له فى ضعف الدين ووجوب الادبار أو الارتداد (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ) بل لا يضر الا نفسه وهذا كما يقول الوالد لولده عند العتاب ان هذا الذى تأتى به من الأفعال لا يضر السماء والأرض

عن

عن ابن جريج قال أخبرني عبد الله بن كثير عن عبيد بن عمير قال جاء أبو سفيان بن حرب ومن معه حتى وقف بالشعب ثم نادى أفي القوم ابن أبي كبشة فسكتوا فقال أبو سفيان قتل ورب الكعبة ثم قال أفي القوم ابن أبي قحافة فسكتوا فقال قتل ورب الكعبة ثم قال أفي القوم عمر بن الخطاب فسكتوا فقال قتل ورب الكعبة ثم قال أبو سفيان اعل هبل يوم بيوم بدر وحنظلة بحنظلة وأنتم واجدون في القوم مثلا لم يكن عن رأي سراتنا وخيارنا ولم نكرهه حين رأيناه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب قم فناد فقل الله أعلى وأجل نعم هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أبو بكر وها أنا ذا لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار * وقال آخرون في ذلك بما حدثني به محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فرجعوا فقالوا والله لنأتينهم ثم لنقتلنهم (١) قد خرجوا منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا فانما أصابكم الذي أصابكم من أجل أنكم عصيتموني فبينما هم كذلك اذ أتاهم القوم قد أنسوا وقد اخترطوا سيوفهم فكان غم الهزيمة وغمهم حين أتوهم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من القتل ولا ما أصابكم من الجراحة فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا الآية وهو يوم أحد * وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال معنى قوله فأثابكم غما بغم أيها المؤمنون بحرمان الله اياكم غنيمة المشركين والظفر بهم والنصر عليهم وما أصابكم من القتل والجراح يومئذ بعد الذي كان قد أراكم في كل ذلك ما تحبون بمعصيتكم ربكم وخلافكم أمر نبيكم صلى الله عليه وسلم غم ظنكم أن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قتل وميل العدو عليكم بعد فلولكم منهم والذي يدل على أن ذلك أولى بتأويل الآية مما خالفه قوله لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والفائت لا شك أنه هو ما كانوا رجوا الوصول اليه من غيرهم اما من ظهور عليهم بغلبهم واما من غنيمة يحتازونها وان قوله ولا ما أصابكم هو ما أصابهم اما في أبدانهم واما في اخوانهم فاذ كان ذلك كذلك فمعلوم أن الغم الثاني هو معنى غير هذين لان الله عز وجل أخبر عباده المؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أثابهم غما بغم لئلا يحزنهم ما نالهم من الغم الناشئ عما فاتهم من غيرهم ولا ما أصابهم قبل ذلك في أنفسهم وهو الغم الأول على ما قد بيناه قبل وأما قوله لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم فان تأويله على ما قد بينت من أنه لكيلا تحزنوا على ما فاتكم فلم تدركوه مما كنتم ترجون ادراكه من عدوكم بالظفر عليهم والظهور وحيازة غنائمهم ولا ما أصابكم في أنفسكم من جرح من جرح وقتل من قتل من اخوانكم وقد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فيه قبل على السبيل التي اختلفوا فيه كما حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم قال على ما فاتكم من الغنيمة التي كنتم ترجون ولا تحزنوا على ما أصابكم من الهزيمة وأما قوله والله خبير بما تعملون فانه يعني جل ثناؤه والله بالذي تعملون أيها المؤمنون من اصعادكم في الوادي هربا من عدوكم وانهزامكم منهم وترككم نبيكم وهو يدعوكم في أخراكم وحزنكم على ما فاتكم من عدوكم وما أصابكم في أنفسكم ذو خبرة وعلم وهو محص ذلك كله عليكم حتى يجازيكم به المحسن منكم باحسانه والمسيء باساءته أو يعفو عنه

(١) قوله قد خرجوا منا سقطت هذه الجملة من رواية الدر المنثور وهي أوضح فحرر ماهنا كتبه مصححه

بريد أنه يعود ضرره عليه وما ارتد أحد من المسلمين ذلك اليوم الا ما كان من قول المنافقين ويجوز أن يكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم روى أنه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن أبي يأخذ لنا أمانا من أبي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني أعتذر اليك مما يقول هؤلاء وأبرأ اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين أنه مر بأنصاري يتشحط في دمه فقال يا فلان أشعرت أن محمدا قد قتل فقال ان كان قتل فقد بلغ قاتلوا على دينكم ففي أمثالهم قال تعالى (وسيجزي الله الشاكرين) لانهم شكروا نعمة الاسلام فيما فعلوا من الصبر والثبات ثم قال (وما كان لنفس أن تموت) ووجه النظم أن المنافقين أرجفوا أن محمدا قتل فارجعوا الى ما كنتم عليه من الأديان فأبطل قولهم بأن القتل مثل الموت في أنه لا يحصل الا في الوقت المقدر وكما أنه لو مات في بلده لم يدل ذلك على فساد دينه فكذا القتل وفيه تحريض المؤمنين على الجهاد باعلامهم أن الحذر لا يغني عن القدر وأن أحدا لا يموت قبل الاجل وان خوض المهالك واقتحم المعارك أو الغرض بيان حفظه وكلاءته لنبيه فانه ما بقي في تلك الواقعة سبب من أسباب الهلاك والشر الا وقد حصل الا أنه تعالى لما كان حافظا لنبيه ولم يقدر في ذلك الوقت أجله لم يضره ذلك وفيه تقريع لأصحابه أنهم قد قصروا في الذب عنه صلى الله عليه وسلم وجواب عما قاله المنافقون للصحابة لما رجعوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا قال الأخفش والزجاج تقدير الكلام وما كانت نفس لتموت الا باذن الله وقال ابن عباس الاذن هو قضاء الله وقدره فانه

القول في تأويل قوله (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) يعني بذلك جل ثناؤه ثم أنزل الله أيها المؤمنون من بعد الغم الذي أثابكم ربكم بعد غم تقدمه قبله أمنة وهي الأمان على أهل الاخلاص منكم واليقين دون أهل النفاق والشك ثم بين جل ثناؤه عن الامنة التي أنزلها عليهم ماهي فقال نعاسا بنصب النعاس على الابدال من الامنة ثم اختلفت القراء في قراءة قوله يغشى فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والمدينة والبصرة وبعض الكوفيين بالتذكير بالياء يغشى وقرأ جماعة من قراء الكوفيين بالتأنيث تغشى بالتاء وذهب الذين قرؤا ذلك بالتذكير الى أن النعاس هو الذي يغشى الطائفة من المؤمنين دون الامنة فذكره بتذكير النعاس وذهب الذين قرؤا ذلك بالتأنيث الى أن الأمنة هي التي تغشاهم فأنثوه لتأنيث الامنة والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان مستفيضتان في قراءة الامصار غير مختلفتين في معنى ولا غيره لان الأمنة في هذا الموضع هي النعاس والنعاس هو الامنة وسواء ذلك وبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب الحق في قراءته وكذلك جميع ما في القرآن من نظائره من نحو قوله ان شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل تغلي في البطون وألم يك نطفة من مني تمنى وهزي اليك بجذع النخلة تساقط فان قال قائل وما كان السبب الذي من أجله افترقت الطائفتان اللتان ذكرهما الله عز وجل فيما افترقتا فيه من صفتهما فأمنت احداهما بنفسها حتى نعست وأهمت الأخرى أنفسها حتى ظنت بالله غير الحق ظن الجاهلية قيل كان سبب ذلك فيما ذكر لنا كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أن المشركين انصرفوا يوم أحد بعد الذي كان من أمرهم وأمر المسلمين فواعدوا النبي صلى الله عليه وسلم بدرا من قابل فقال لهم نعم فتخوف المسلمون أن ينزلوا المدينة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فقال انظر فان رأيتهم قعدوا على أثقالهم وجنبوا خيولهم فان القوم ذاهبون وان رأيتهم قد قعدوا على خيولهم وجنبوا على أثقالهم فان القوم ينزلون المدينة فاتقوا الله واصبروا ووطنهم على القتال فلما أبصرهم الرسول قعدوا على الأثقال سراعا عجالا نادى بأعلى صوته بذهابهم فلما رأى المؤمنون ذلك صدقوا نبي الله صلى الله عليه وسلم فناموا وبقي أناس من المنافقين يظنون أن القوم يأتونهم فقال الله جل وعز يذكر حين أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان كانوا ركبوا الاثقال فانهم منطلقون فناموا ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس أمنهم يومئذ بنعاس غشاهم وانما ينعس من يأمن يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن حميد عن أنس بن مالك عن أبي طلحة قال كنت فيمن أنزل عليه النعاس يوم أحد أمنة حتى سقط من يدي مرارا «قال أبو جعفر» يعني سوطه أو سيفه حدثنا عمرو بن علي قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس عن أبي طلحة قال رفعت رأسي يوم أحد فجعلت ما أرى أحدا من القوم الا تحت حجفته يميد من النعاس حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا أبو داود قال ثنا عمران عن قتادة عن أنس عن أبي طلحة قال كنت فيمن صب عليه النعاس يوم أحد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ثنا أنس بن مالك عن أبي طلحة أنه كان يومئذ ممن غشيه النعاس

قال

لا يحدث شيء الا بمشيئة الله وارادته فأورد الكلام على سبيل التمثيل كأنه فعل لا ينبغي لأحد أن يقدم عليه الا أن يأذن الله فيه وذلك أن اسناد الموت الى النفس نسبة الفعل الى القابل لا الى الفاعل فأقيم القابل مقام الفاعل وقال أبو مسلم الاذن هو الامر والمعنى ان الله تعالى يأمر ملك الموت بقبض الارواح فلا يموت أحد الا بهذا الامر وقيل المراد التكوين والتخليق لانه لا يقدر على خلق الموت والحياة أحد الا الله وقيل التخلية والاطلاق وترك المنع بالقهر والاجبار والمعنى ما كان لنفس أن تموت بالقتل الا بأن يخلي الله بين القاتل والمقتول وفيه أنه تعالى لا يخلي بين نبيه وبين أحد ليقتله صلى الله عليه وسلم ولكنه جعل من بين يديه صلى الله عليه وسلم ومن خلفه رصدا ليتم على يديه بلاغ ما أرسله به فلا تهنوا في غزواتكم بعد ذلك بارجاف مرجف وقيل الاذن العلم أي لن تموت نفس الا في الوقت الذي علم الله موتها فيه وفي الآية دليل على أن المقتول ميت بأجله وأن تغيير الآجال ممتنع ولذا أكد هذا المعنى بقوله (كتابا مؤجلا) وهو مصدر مؤكد لنفسه لدلالة ما قبله عليه أي كتب الموت كتابا مؤجلا مؤقتا له أجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر وقيل الكتاب المؤجل هو المشتمل على الآجال وقيل هو اللوح المحفوظ الذي كتب فيه جميع الحوادث من الخلق والرزق والأجل والسعادة والشقاوة قال القاضي الأجل والرزق مضافان الى الله تعالى وأما الكفر والفسق والايمان والطاعة فكل ذلك مضاف الى العبد فاذا كتب تعالى ذلك فانما يكتب ما يعلمه من اختيار العبد وذلك لا يخرج فيه العبد من أن يكون مذموما أو ممدوحا والحق أن هذا تعكيس للقضية فان الله تعالى اذا علم من العبد الكفر استحال أن يأتي هو بالايمان والا انقلب علم الله جهلا واذا كان هو غير قادر على الايمان حينئذ فما معنى اختياره ثم انه كان في الذين حضروا يوم أحد من يريد الدنيا ومن

قال كان السيف يسقط من يدى ثم آخذه من النعاس حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع ذكر لنا والله أعلم عن أنس أن أبا طلحة حدثهم أنه كان يومئذ ممن غشيه النعاس قال فجعل سيفي يسقط من يدى وآخذه ويسقط وآخذه ويسقط والطائفة الأخرى المنافقون ليس لهم همة الا أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية الآية كلها حدثنا أحمد ابن الحسن الترمذى قال ثنا ضرار بن صرد قال ثنا عبد العزيز بن محمد عن محمد بن عبد العزيز عن الزهرى عن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة عن أبيه قال سألت عبد الرحمن بن عوف عن قول الله عز وجل ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا قال ألقى علينا النوم يوم أحد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا الآية وذاكم يوم أحد كانوا يومئذ فريقين فأما المؤمنون فغشاهم الله النعاس أمنة منه ورحمة حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس نحوه حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله أمنة نعاسا قال ألقى عليهم النعاس فكان ذلك أمنة لهم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عاصم عن أبي رزين قال قال عبد الله النعاس فى القتال أمنة والنعاس فى الصلاة من الشيطان حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا قال أنزل النعاس أمنة منه على أهل اليقين به فهم نيام لا يخافون حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله أمنة نعاسا قال ألقى الله عليهم النعاس فكان أمنة لهم وذكر أن أبا طلحة قال ألقى علىّ النعاس يومئذ فكنت أنعس حتى يسقط سيفي من يدى حدثنا ابن بشار قال ثنا اسحق بن ادريس قال ثنا حماد بن سلمة قال أخبرنا ثابت عن أنس بن مالك عن أبي طلحة * وهشام بن عروة عن عروة عن الزبير أنهما قالا لقد رفعنا رؤسنا يوم أحد فجعلنا ننظر فما منهم من أحد الا وهو يميل بجنب جحفته قال وتلا هذه الآية ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا ﴿ القول فى تأويل قوله (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) يعنى بذلك جل ثناؤه وطائفة منكم أيها المؤمنون قد أهمتهم أنفسهم يقول هم المنافقون لا هم لهم غير أنفسهم فهم من حذر القتل على أنفسهم وخوف المنية عليها فى شغل قد طار عن أعينهم الكرى يظنون بالله الظنون الكاذبة ظن الجاهلية من أهل الشرك بالله شكا فى أمر الله وتكذيبا لنبيه صلى الله عليه وسلم ومحسبة منهم أن الله خاذل نبيه ومعل عليه أهل الكفر به يقولون هل لنا من الامر من شئ كالذى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال والطائفة الاخرى المنافقون ليس لهم هم الا أنفسهم أجبن قوم وأرعبه وأخذله للحق يظنون بالله غير الحق ظنونا كاذبة انما هم أهل شك وريبة فى أمر الله يقولون لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال والطائفة الأخرى المنافقون ليس لهم همة الا أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا قال الله عز وجل قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وطائفة قد أهمتهم أنفسهم قال أهل النفاق قد أهمتهم أنفسهم تخوف القتل وذلك أنهم لا يرجون عاقبة

يريد الآخرة كما أخبر الله تعالى فى هذه السورة فقوله (ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها) أى من ثوابها تعريض بالفريق الدنيوى وهم الذين شغلتهم الغنائم وباقى الآية مدح للفريق الآخر الاخروى وان فضله تعالى وعطيته شامل لكلا الفريقين لكن ثواب الفريق الثانى هو المعتد به فى الحقيقة ولهذا ختم الكلام بقوله (وسنجزى الشاكرين) فأبهم الجزاء وأضافه الى نفسه تنبيها على أن جزاء الذين شكروا نعمة الاسلام فلم يشغلهم عن الجهاد شئ لا يكتنه كنهه وتقصر عنه العبارة وأنه كما يليق بعميم فضله وجسيم طوله وهذه الآية وان وردت فى الجهاد لكنها عامة فى جميع الاعمال كما قال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وذلك لأن المؤثر فى جانب الثواب والعقاب القصود والدواعى فمن وضع الجبهة على الارض والوقت ظهر والشمس أمامه فان قصد بذلك السجود عبادة الله تعالى كان من الايمان وان قصد تعظيم الشمس كان من الكفر (وكأين) الأكثرون على أنها فى الاصل مركبة من كاف التشبيه وأى التى هى فى غاية الابهام اذا قطعت عن الاضافة كما أن كذا مركبة من الكاف وذا المقصود به الاشارة فكأين مثل كذا فى كون المجرورين مبهمين عند السامع الا أن فى ذا اشارة فى الاصل الى ما فى ذهن المتكلم بخلاف أى فانه للعدد المبهم ومميزها منصوب ومفرد على الاصل والاكثر ادخال من فى مميز كأين وبه ورد القرآن والتمييز بعد كذا وكأين فى الاصل عن الكاف لا عن ذا وأى كما فى مثلك رجلا لانك تبين فى كذا رجلا وكأين رجلا أن مثل العدد المبهم من أى جنس هو ولم تبين العدد المبهم فأى فى الاصل كان معربا لكنه انمحى عن الجزأين معناهما الافرادى وصار المجموع كاسم مفرد بمعنى كم الخبرية فصار كأنه اسم مبنى على السكون آخره نون ساكنة كما فى من لا تنوين تمكن فلهذا يكتب بعد الياء نون مع أن التنوين لا صورة له خطا ولاجل التركيب تصرف فيه فقيل كائن مثل كاعن وربما ظن بعضهم

أنه اسم فاعل من كان ولكنه بني لكثرة الاستعمال وهاتان اللغتان فيه مشهورتان ولهذا قرئ بهما وفيه لغات أخر غير مشهورة تركنا ذكرها لانه لم يقرأ بها ولعلك تجدها في كتبنا الادبية ومحل كأين ههنا رفع على الابتداء وقوله قتل أو قاتل خبره والضمير يعود الى

حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وطائفة قد أهمتهم أنفسهم الى آخر الآية قال هؤلاء المنافقون وأما قوله ظن الجاهلية فانه يعني أهل الشرك كالذي حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ظن الجاهلية قال ظن أهل الشرك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ظن الجاهلية قال ظن أهل الشرك * وفي رفع قوله وطائفة وجهان أحدهما أن تكون مرفوعة بالعائد من ذكرها في قوله قد أهمتهم والآخر بقوله يظنون بالله غير الحق ولو كانت منصوبة كان جائزا وكانت الواو في قوله وطائفة ظرفا للفعل بمعنى وأهمت طائفة أنفسهم كما قال والسماء بنيناها بأيد ﴿ القول في تأويل قوله (يقولون هل لنا من الامر من شئ قل ان الامر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا) يعني بذلك الطائفة المنافقة التي قد أهمتهم أنفسهم يقولون ليس لنا من الامر من شئ قل ان الامر كله لله ولو كان لنا من الامر شئ ما خرجنا لقتال من قاتلنا فقتلونا كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قيل لعبد الله بن أبي قتل بنو الخزرج اليوم قال وهل لنا من الامر من شئ قل ان الامر كله لله وهذا أمر مبتدأ من الله عز وجل يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المنافقين ان الامر كله لله يصرفه كيف يشاء ويدبره كيف يحب ثم عاد الى الخبر عن ذكر نفاق المنافقين فقال يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقول يخفي يا محمد هؤلاء المنافقون الذين وصفت لك صفتهم في أنفسهم من الكفر والشك في الله ما لا يبدون لك ثم أظهر نبيه صلى الله عليه وسلم على ما كانوا يخفونه بينهم من نفاقهم والحسرة التي أصابتهم على حضورهم مع المسلمين مشهدهم بأحد فقال مخبرا عن قيلهم الكفر واعلانهم النفاق بينهم يقولون لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا يعني بذلك أن هؤلاء المنافقين يقولون لو كان الخروج الى حرب من خرجنا لحربه من المشركين الينا ما خرجنا اليهم ولا قتل منا أحد في الموضع الذي قتلوا فيه بأحد وذكر أن ممن قال هذا القول معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف ذكر الخبر بذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق ثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عبد الله بن الزبير عن الزبير قال والله اني لأسمع قول معتب بن قشير أخي بني عمرو بن عوف والنعاس يغشاني ما أسمعه الا كالحلم حين قال لو كان لنا من الأمر شئ ما قتلنا ههنا حدثني سعيد بن يحيى الاموي قال ثنى أبي عن ابن اسحق قال ثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عبد الله بن الزبير عن أبيه بمثله * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق قل ان الامر كله لله بنصب الكل على وجه النعت للامر والصفة له وقرأه بعض قراء أهل البصرة قل ان الامر كله لله برفع الكل على توجيه الكل الى أنه اسم وقوله لله خبره كقول القائل ان الامر بعضه لعبد الله وقد يجوز أن يكون الكل في قراءة من قرأه بالنصب منصوبا على البدل والقراءة التي هي القراءة عندنا النصب في الكل لاجماع أكثر القراء عليه من غير أن تكون القراءة الأخرى خطأ في معنى أو عربية ولو كانت القراءة بالرفع في ذلك مستفيضة في القراء لكانت سواء عندي القراءة بأي ذلك قرئ لاتفاق معاني ذلك بأي وجهيه قرئ ﴿ القول في تأويل قوله (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور) يعني بذلك جل ثناؤه قل يا محمد للذين

لفظ كأين فانه مفرد اللفظ وان كان مجموع المعنى والربيون معناه الالوف أو الجماعات الكثيرة الواحد ربي عن الفراء والزجاج قال ابن قتيبة أصله من الربة الجماعة فحذفت الهاء في النسبة ويقال تربوا أي تجمعوا وقال ابن زيد الربانيون الائمة والولاة والربيون الرعية والكسر فيه من تغييرات النسب كالضم في دهري والقياس الفتح ثم من قرأ قتل فمعنى الآية ان كثيرا من الانبياء قتلوا والذين بقوا بعده ما وهنوا في دينهم بل استمروا على جهاد عدوهم ونصرة دينهم وكان ينبغي أن يكون لكم فيهم اسوة حسنة فيكون المقصود من الآية حكاية ما جرى لسائر الانبياء لتقتدي هذه الامة بهم ومن قرأ قاتل فالمعنى وكم من نبي قاتل معه العدد الكثير من أصحابه فأصابهم من عدوهم قروح فما وهنوا فعلى هذا يكون الغرض من الآية ترغيب الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في القتال وربما تؤيد هذه القراءة بما روي عن سعيد بن جبير أنه قال ما سمعنا بنبي قتل في القتال ويحتمل أن تنزل القراءة الاولى على هذه الرواية أيضا بأن يقال المعنى وكأين من نبي قتل ممن كان معه وعلى دينه ربيون كثير فما ضعف الباقون وما استكانوا لقتل من قتل من اخوانهم بل مضوا على جهاد عدوهم ثم انه تعالى مدح هؤلاء الربيين بصفات وذلك قوله فما وهنوا الخ ولابد من تغايرها فقيل فما وهنوا عند قتل النبي وما ضعفوا عن الجهاد بعده وما استكانوا للعدو أي لم يخضعوا له وفيه تعريض بما أصاب المسلمين من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبضعفهم عند ذلك عن جهاد الكفار واستكانتهم لهم حين أرادوا

وصفت

وصفت لك صفتهم من المنافقين لو كنتم في بيوتكم لم تشهدوا مع المؤمنين مشهدهم ولم تحضروا معهم حرب أعدائهم من المشركين فيظهر للمؤمنين ما كنتم تخفونه من نفاقكم وتكتمونه من شرككم في دينكم لبرز الذين كتب عليهم القتل يقول لظهر للموضع الذي كتب عليه مصرعه فيه من قد كتب عليه القتل منهم ويخرج من بيته اليه حتى يصرع في الموضع الذي كتب عليه أن يصرع فيه وأما قوله وليبتلي الله ما في صدوركم فانه يعني به وليبتلي الله ما في صدوركم أيها المنافقون كنتم تبرزون من بيوتكم الى مضاجعكم و يعني بقوله وليبتلي الله ما في صدوركم وليختبر الله الذي في صدوركم من الشك فيميزكم بما يظهره للمؤمنين من نفاقكم من المؤمنين وقد دللنا فيما مضى على أن معاني نظائر قوله ليبتلي الله وليعلم الله وما أشبه ذلك وان كان في ظاهر الكلام مضافا الى الله الوصف به فمراد به أولياؤه وأهل طاعته وأن معنى ذلك وليختبر أولياء الله وأهل طاعته الذي في صدوركم من الشك والمرض فيعرفوكم من أهل الاخلاص واليقين وليمحص ما في قلوبكم يقول وليتبينوا ما في قلوبكم من الاعتقاد لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين من العداوة أو الولاية والله عليم بذات الصدور يقول والله ذو علم بالذي في صدور خلقه من خير وشر وايمان وكفر لا يخفى عليه شيء من أمورهم سرائرها وعلانيتها وهو لجميع ذلك حافظ حتى يجازي جميعهم جزاءهم على قدر استحقاقهم وبنحو الذي قلنا في ذلك كان ابن اسحق يقول حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ذكر الله تلاومهم يعني تلاوم المنافقين وحسرتهم على ما أصابهم ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لو كنتم في بيوتكم لم تحضروا هذا الموضع الذي أظهر الله جل ثناؤه فيه منكم ما أظهر من سرائركم لأخرج الذين كتب عليهم القتل الى موطن غيره يصرعون فيه حتى يبتلي به ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور أي لا يخفى عليه شيء مما في صدورهم مما استخفوا به منكم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا الحرث بن مسلم عن بحر السقاء عن عمرو بن عبيد عن الحسن قال سئل عن قوله قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم قال كتب الله على المؤمنين أن يقاتلوا في سبيله وليس كل من يقاتل يقتل ولكن يقتل من كتب الله عليه القتل ﴿ القول في تأويل قوله (ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم) يعني بذلك جل ثناؤه ان الذين ولوا عن المشركين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وانهزموا عنهم وقوله تولوا تفعلوا من قولهم ولى فلان ظهره وقوله يوم التقى الجمعان يعني يوم التقى جمع المشركين والمسلمين بأحد انما استزلهم الشيطان أي انما دعاهم الى الزلة الشيطان وقوله استزل استفعل من الزلة والزلة هي الخطيئة ببعض ما كسبوا يعني ببعض ما عملوا من الذنوب ولقد عفا الله عنهم يقول ولقد تجاوز الله عن عقوبة ذنوبهم فصفح لهم عنه ان الله غفور يعني به مغط على ذنوب من آمن به واتبع رسوله بعفوه عن عقوبته اياهم عليها حليم يعني أنه ذو أناة لا يعجل على من عصاه وخالف أمره بالنقمة ثم اختلف أهل التأويل في أعيان القوم الذين عنوا بهذه الآية فقال بعضهم عني بها كل من ولى الدبر عن المشركين بأحد ذكر من قال ذلك حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا أبو بكر بن عياش قال ثنا عاصم بن كليب عن أبيه قال خطب عمر يوم الجمعة فقرأ آل عمران وكان يعجبه اذا خطب أن يقرأها فلما انتهى الى قوله ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان قال لما كان يوم أحد هزمناهم ففررت

أن يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن أبي في طلب الامان من أبي سفيان وقيل الوهن استيلاء الخوف عليهم والضعف ضعف الايمان واختلاج الشبهات في صدورهم والاستكانة الانتقال من دينهم الى دين عدوهم وقيل الوهن ضعف يلحق القلب والضعف مطلقا اختلال القوة الجسمية والاستكانة اظهار ذلك العجز والضعف واستكان قيل افتعل من السكون كأنه سكن لصاحبه ليفعل به ما يريد وعلى هذا فالمد شاذ كقولهم هو منه بمنتزاح أي ببعد يراد بمنتزح والاصح أنه استفعل من كان والمد قياسي كأن صاحبه تغير من كون الى كون أي من حال الى حال (والله يحب الصابرين) بأن يريد اكرامهم والحكم بالثواب والجنة لهم ثم أخبر أنهم كانوا مستعينين عند ذلك التصبر والتجلد بالدعاء والتضرع وطلب الامداد والنصر من الله والغرض أن تقتدي هذه الامة بهم فان من عول في تحصيل مهماته على نفسه وعدده وعدده ذل ومن اعتصم بالله والتجأ اليه فاز بالظفر وفي اضافتهم الذنوب والاسراف الى أنفسهم وهم ربانيون هضم للنفس واستصغار لها قال المحققون انما قدموا الاستغفار لعلمهم بانه تعالى ضمن نصر المؤمنين فاذا لم يحصل النصرة وظهرت أمارات استيلاء الاعداء دل ذلك على صدور ذنب وتقصير من المؤمنين فلزم تقديم التوبة والاستغفار على طلب النصرة ليكون طلبهم الى ربهم عن زكاة وطهارة أقرب الى الاستجابة ثم انهم عمموا الذنوب أولا الصغائر والكبائر بقولهم ربنا اغفر لنا ذنوبنا ثم خصصوا الذنوب الكبائر بقولهم واسرافنا في أمرنا لان الاسراف في كل شيء هو الافراط فيه والمراد بتثبيت الاقدام ازالة الخوف عن قلوبهم واماطة الخواطر الفاسدة عن صدورهم والمراد بالنصر الامور الزائدة على القوة والعدة والشدة كالقاء الرعب في قلوب الاعداء وكاحداث أحوال سماوية أو أرضية توجب انهزامهم كهبوب ريح تثير الغبار في وجوههم واجراء سيل في مواضع وقوفهم وفي الآية تأديب وارشاد من الله تعالى

فى كيفية الطلب عند النوائب جهادا كان أو غيره (فآتاهم الله ثواب الدنيا) من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر وانشراح الصدر (وحسن ثواب الآخرة) وهو الجنة ومافيها من المنافع واللذات (٩٦) وذلك غير حاصل فى الحال والمراد أنه حكم لهم بحصولها فى الآخرة وحكم الله بالحصول كنفس الحصول أو المراد أنه سيؤتيهم مثل أتى أمر الله أى سيأتى قال القاضى ولا يمتنع أن تكون الآية مختصة بالشهداء وانهم فى الجنة عند ربهم كما ماتوا أحياء وثواب الآخرة كله حسن فما ظنك بحسن ثوابها وانما لم يصف ثواب الدنيا بالحسن لقلتها وامتزاجها بالمضار وكدر صفوها بالانقطاع والزوال قال القفال يحتمل أن يكون الحسن هو الحسن كقوله وقولوا للناس حسنا والغرض منه المبالغة كما يقال فلان جود وعدل اذا كان غاية فى الجود ونهاية فى العدل وههنا نكتة وهى أنه أدخل من التبعيضية فى الآية المتقدمة فى قوله نؤته منها فى الموضعين ولم يذكر فى هذه الآية لان أولئك اشتغلوا بالثواب عن العبودية فلم ينالوا الا البعض بخلاف هؤلاء فانهم لم يذكروا أنفسهم الا بالعيب والقصور ولم يسألوا ربهم الا ما يوجب اعلاء كلمته فلا جرم فازوا بالكل وفيه تنبيه على أن من أقبل على خدمة الله أقبل على خدمته كل ما سوى الله ثم قال (والله يحب المحسنين) والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه وههنا سر وهو أنه تعالى وفقهم للطاعة ثم أثابهم عليها ثم مدحهم على ذلك فسماهم محسنين ليعلم العبد أن الكل بعنايته وفضله (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا) عن السدى المراد بالذين كفروا هو أبو سفيان وأصحابه فانه كان كبير القوم فى ذلك اليوم والمعنى ان تستكينوا لهم وتستأمنوهم وعن على عليه السلام هم المنافقون عبد الله بن أبى وأشياعه قالوا للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا فى دينهم وعن الحسن هم اليهود والنصارى يستغوونهم ويوقعون لهم الشبهة فى الدين ولا سيما عند هذه الواقعة أنهم

حتى صعدت الجبل فلقد رأيتنى أنزو كأنى أروى والناس يقولون قتل محمد فقلت لا أجد أحدا يقول قتل محمد الا قتلته حتى اجتمعنا على الجبل فنزلت ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان الآية كلها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان الآية وذلك يوم أحد ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تولوا عن القتال وعن نبى الله يومئذ وكان ذلك من أمر الشيطان وتخويفه فأنزل الله عز وجل ما تسمعون أنه قد تجاوز لهم عن ذلك وعفا عنهم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنى عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان الآية فذكر نحو قول قتادة * وقال آخرون بل عنى بذلك خاص ممن ولى الدبر يومئذ قالوا وانما عنى به الذين لحقوا بالمدينة منهم دون غيرهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قال لما انهزموا يومئذ تفرق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فدخل بعضهم المدينة وانطلق بعضهم فوق الجبل الى الصخرة فقاموا عليها فذكر الله عز وجل الذين انهزموا فدخلوا المدينة فقال ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان الآية * وقال آخرون بل نزل ذلك فى رجال بأعيانهم معروفين ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال عكرمة قوله ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان قال نزلت فى رافع بن المعلى وغيره من الأنصار وأبى حذيفة بن عتبة ورجل آخر قال ابن جريج وقوله انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم اذ لم يعاقبهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال فر عثمان بن عفان وعقبة بن عثمان وسعد بن عثمان رجلان من الانصار حتى بلغوا الجلعب جبل بناحية المدينة مما يلى الأعوص فأقاموا به ثلاثا ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم لقد ذهبتم فيها عريضة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قوله ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا الآية والذين استزلهم الشيطان عثمان بن عفان وسعد بن عثمان وعقبة بن عثمان الانصاريان ثم الزرقيان وأما قوله ولقد عفا الله عنهم فان معناه ولقد تجاوز الله عن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان أن يعاقبهم بتوليهم عن عدوهم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قوله ولقد عفا الله عنهم يقول ولقد عفا الله عنهم اذ لم يعاقبهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فى توليهم يوم أحد ولقد عفا الله عنهم فلا أدرى أذلك العفو عن تلك العصابة أم عفو عن المسلمين كلهم وقد بينا تأويل قوله ان الله غفور حليم فيما مضى ۞ القول فى تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا فى الأرض أو كانوا غزا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم) يعنى بذلك جل ثناؤه يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاء به محمد من عند الله لا تكونوا كمن كفر بالله وبرسوله فجحد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقال لاخوانه من أهل الكفر اذا ضربوا فى الارض فخرجوا من بلادهم سفرا فى تجارة أو كانوا غزى يقول أو كان خروجهم من بلادهم غزاة فهلكوا فماتوا فى سفرهم أو قتلوا فى غزوهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا يخبر بذلك عن قول هؤلاء الكفار انهم يقولون لمن غزا منهم فقتل أو مات فى سفر خرج فيه فى طاعة الله أو تجارة لو لم يكونوا خرجوا من عندنا وكانوا أقاموا فى بلادهم ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم يعنى

أنهم يقولون ذلك كي يجعل الله قولهم ذلك حزنا في قلوبهم وغما ويجهلون أن ذلك الى الله جل ثناؤه وبيده وقد قيل ان الذين نهى الله المؤمنين بهذه الآية أن يتشبهوا بهم فيما نهاهم عنه من سوء اليقين بالله هم عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه ذكر من قال ذلك حدثني محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم الآية قال هؤلاء المنافقون أصحاب عبد الله بن أبي حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض أو كانوا غزا قول المنافق عبد الله بن أبي ابن سلول حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله * وقال آخرون في ذلك هم جميع المنافقين ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم الآية أي لا تكونوا كالمنافقين الذين ينهون اخوانهم عن الجهاد في سبيل الله والضرب في الارض في طاعة الله وطاعة رسوله ويقولون اذا ماتوا أو قتلوا لو أطاعونا ما ماتوا وما قتلوا وأما قوله اذا ضربوا في الارض فانه اختلف في تأويله فقال بعضهم هو السفر في التجارة والسير في الارض لطلب المعيشة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي اذا ضربوا في الارض وهي التجارة * وقال آخرون بل هو السير في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق اذا ضربوا في الارض الضرب في الارض في طاعة الله وطاعة رسوله وأصل الضرب في الارض الابعاد فيها سيرا وأما قوله أو كانوا غزا فانه يعني أو كانوا غزاة في سبيل الله والغزى جمع غاز جمع على فعل كما يجمع شاهد شهد وقائل قول وقد ينشد بيت رؤبة

فاليوم قد نهنهني تنهنهي * وأول حلم ليس بالمسفه * وقول الا ده فلا ده

وينشد أيضا * وقولهم الا ده فلا ده * وانما قيل لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض أو كانوا غزى فأصحب ماضي الفعل الحرف الذي لا يصحب مع الماضي منه الا المستقبل فقيل وقالوا لاخوانهم ثم قيل اذا ضربوا وانما يقال في الكلام أكرمتك اذ زرتني ولا يقال أكرمتك اذا زرتني لان القول الذي في قوله وقالوا لاخوانهم وان كان في لفظ الماضي فانه بمعنى المستقبل وذلك أن العرب تذهب بالذين مذهب الجزاء وتعاملها في ذلك معاملة من وما لتقارب معاني ذلك في كثير من الاشياء وان جمعهن أشياء مجهولات غير مؤقتات توقيت عمرو وزيد فلما كان ذلك كذلك وكان صحيحا في الكلام فصيحا أن يقال للرجل أكرم من أكرمك وأكرم كل رجل أكرمك فيكون الكلام خارجا بلفظ الماضي مع من وكل مجهول ومعناه الاستقبال اذ كان الموصوف بالفعل غير موقت وكان الذين في قوله لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض غير موقتين أجريت مجرى من وما في ترجمتها التي تذهب مذهب الجزاء واخراج صلاتها بألفاظ الماضي من الافعال وهي بمعنى الاستقبال كما قال الشاعر في ما

واني لآتيكم تشكر ما مضى * من الامر واستيجاب ما كان في غد

فقال ما كان في غد وهو يريد ما يكون في غد ولو كان أراد الماضي لقال ما كان في أمس ولم يجز له أن يقول ما كان في غد ولو كان الذي موقتا لم يجز أن يقال ذلك خطأ أن يقال لك من هذا الذي

كانوا يقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما أصابه وأصحابه ما أصابهم وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوم له ويوم عليه والاقرب أنه عام في جميع الكفار فان خصوص السبب لا ينافي ارادة العموم فعلى المؤمنين أن لا يطيعوهم في شيء ولا ينزلوا على حكمهم وعلى مشورتهم حتى لا يستجرّوهم الى موافقتهم وهو المراد بقوله (يردوكم على أعقابكم) أي الى الكفر بعد الايمان (فتنقلبوا خاسرين) في الدنيا باستبدال ذلة الكفر بعزة الاسلام والانقياد للأعداء الذي هو أشق الأشياء لدى العقلاء وفي الآخرة بالحرمان عن الثواب المؤبد والوقوع في العقاب المخلد (بل الله مولاكم) ناصركم وهو اضراب عما كانوا بصدده من طاعة الكفار والمعنى أنكم انما تطيعون الكفار لينصروكم ويعينوكم على مطالبكم وهذا خطأ وجهالة لانهم عاجزون مثلكم متحيرون وبغير اذن الله لا ينفعون ولا يضرون (وهو خير الناصرين) لو فرض أن لأحد سواه قدرة على النصر لانه خبير بمواقع الحاجات قدير على انجاز الطلبات ينصر في الدنيا والآخرة بلا شائبة علة من العلات ونصرة غيره لو فرض فانه مخصوص بالدنيا وببعض الامور وفي بعض الاوقات ولغرض من الاغراض الفاسدات كيف ولا ناصر بالحقيقة سواه ۞ التأويل أم حسبتم أن تدخلوا الجنة أن تلجوا عالم الملكوت ولم تطهر منكم مجاهدات تورث المشاهدات ولا الصبر على تزكية النفوس وتصفية القلوب على وفق الشريعة وقانون الطريقة لتتحلى الارواح بأنوار الحقيقة ولقد كنتم يا أرباب الصدق وأصحاب الطلب تمنون موت النفوس عن صفاتها تزكية لها من قبل أن تلقوه بالمجاهدات والرياضات في خلاف النفس وقهرها عند لقاء العدو في الجهاد الاصغر ظاهرا وفي الجهاد الاكبر باطنا فقد رأيتم هذه الاسباب التي كنتم تمنونها عيانا وأنتم تنظرون لا تفقدون أرواحكم ولا تجاهدون حق الجهاد في الله بأرواحكم وأشباحكم أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم فيه أن الايمان التقليدي لا اعتبار له

فينقلب المقلد عن ايمانه عند اعدام المقلد من الوالدين أو الاستاذ وكذا عند موت المقلد فيعجز عند سؤال الملكين فى قولهما من ربك فيقول
هاه لا أدرى فيقولان ما تقول فى هذا الرجل فيقول هاه لا أدرى كنت أقول فيه ما قال الناس فيقولان له لا دريت ولا تليت

أ كرمك اذا زرته لان الذى ههنا موقت فقد خرج من معنى الجزاء ولولم يكن فى الكلام هذا لكان جائزا فصيحا لان الذى يصير حينئذ مجهولا غير موقت ومن ذلك قول الله عز وجل ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله فرد يصدون على كفروا لأن الذين غير موقتة فقوله كفروا وان كان فى لفظ ماض فمعناه الاستقبال وكذلك قوله الا من تاب وآمن وعمل صالحا وقوله الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم معناه الا الذين يتوبون من قبل أن تقدروا عليهم والا من يتوب ويؤمن ونظائر ذلك فى القرآن والكلام كثير والعلة فى كل ذلك واحدة وأما قوله ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم فانه يعنى بذلك حزنا فى قلوبهم كما حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله فى قلوبهم قال يحزنهم قولهم لا ينفعهم شيأ حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم لقلة اليقين بربهم جل ثناؤه ۞ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (والله يحيى ويميت والله بما تعملون بصير) يعنى جل ثناؤه بقوله والله يحيى ويميت والله المعجل الموت لمن يشاء من حيث يشاء والمميت من يشاء كما شاء دون غيره من سائر خلقه وهذا من الله عز وجل ترغيب لعباده المؤمنين على جهاد عدوه والصبر على قتالهم واخراج هيبتهم من صدورهم وان قل عددهم وكثر عدد أعدائهم وأعداء الله واعلام منه لهم أن الاماتة والاحياء بيده وأنه لن يموت أحد ولا يقتل الا بعد فناء أجله الذى كتب له ونهى منه لهم اذ كان كذلك أن يجزعوا لموت من مات منهم أو قتل من قتل منهم فى حرب المشركين ثم قال جل ثناؤه والله بما تعملون بصير يقول ان الله يرى ما تعملون من خير وشر فاتقوه أيها المؤمنون فانه محص ذلك كله حتى يجازى كل عامل بعمله على قدر استحقاقه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال ابن اسحق حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق والله يحيى ويميت أى يعجل ما يشاء ويؤخر ما يشاء من آجالهم بقدرته ۞ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون) يخاطب جل ثناؤه عباده المؤمنين يقول لهم لا تكونوا أيها المؤمنون فى شك من أن الامور كلها بيد الله وأن اليه الاحياء والاماتة كما شك المنافقون فى ذلك ولكن جاهدوا فى سبيل الله وقاتلوا أعداء الله على يقين منكم بأنه لا يقتل فى حرب ولا يموت فى سفر الا من بلغ أجله وحانت وفاته ثم وعدهم على جهادهم فى سبيله المغفرة والرحمة وأخبرهم أن موتا فى سبيل الله وقتلا فى الله خير لهم مما يجمعون فى الدنيا من حطامها ورغيد عيشها الذى من أجله يتثاقلون عن الجهاد فى سبيل الله ويتأخرون عن لقاء العدو كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون أى ان الموت كائن لا بد منه فموت فى سبيل الله أو قتل خير لو علموا فأيقنوا مما يجمعون فى الدنيا التى لها يتأخرون عن الجهاد تخوفا من الموت والقتل لما جمعوا من زهيد الدنيا وزهادة فى الآخرة وانما قال الله عز وجل لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون وابتدأ الكلام ولئن متم أو قتلتم بحذف جزاء لئن لان فى قوله لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون معنى جواز للجزاء وذلك أنه وعد خرج مخرج الخبر فتأويل الكلام ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم ليغفرن الله لكم وليرحمنكم فدل على ذلك بقوله لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون وجمع مع الدلالة به عليه الخبر عن فضل ذلك على ما يؤثرونه من الدنيا وما يجمعون فيها وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة أنه ان قيل كيف يكون لمغفرة من الله ورحمة

وسيجزى الله بالايمان الحقيقى الشاكرين الذين شكروا نعمة الايمان التقليدى باداء حقوقه وهو الائتمار بأوامر الشرع والانتهاء عن نواهيه وما كان لنفس أن تموت عن أوصافها الدنية وأخلاقها الردية وتتخلص عنها بطبعها الا بتوفيق الله وجذبه واشراق نوره كما أن ظلمة الليل لا تنتهى الا باشراق طلوع الشمس ثم أثبت للعبد كسبا فى طلب الهداية واستجلاب العناية بقوله ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها وهذه رتبة الخواص أى من عمل شوقا الى الحق فقد رأى نعمة وجود المنعم فثوابه نقد فى الدنيا لانه حاضر لا غيبة له وهو معنى قولهم الصوفى ابن الوقت وفيه أنشد

خليلى هل أبصرتما أو سمعتما
بأكرم من مولى تمشى الى عبد
أتى زائرا من غير وعد وقال لى
أصونك عن تعذيب قلبك بالوعد

ومن عمل شوقا الى الجنة فنظره على النعمة فثوابه فى الآخرة وسنجزى الشاكرين أى كلا الفريقين على قدر شكرهما وكأين من نبى قاتل أعدى العدو الذى بين جنبيه ومعه ربيون متخلقون بأخلاق الرب فما وهنوا لما أصابهم من تعب المجاهدات وما ضعفوا فى طلب الحق وما استكانوا باحتمال الذلة والالتفات الى غير الله ان تطيعوا الذين كفروا أى النفوس الكافرة وصفاتها يردوكم الى أسفل سافلين بشريتكم وبهيميتكم (سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما

أشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم
باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم

جوابا

ولقدعفى عنكم والله ذوفضل على المؤمنين اذتصعدون ولاتلوون على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم فأثابكم غمابغم لكيلا تحزنوا على مافاتكم ولاماأصابكم والله خبيربماتعملون ثم أنزل عليكم من بعدالغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قدأهمتهم أنفسهم يظنون بالله غيرالحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شئ قل ان الامر كله لله يخفون فى أنفسهم مالايبدون لك يقولون لو كان لنامن الامر شئ ماقتلناههنا قل لو كنتم فى بيوتكم لبرزالذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلى الله مافى صدوركم وليمحص مافى قلوبكم والله عليم بذات الصدور ان الذين تولوامنكم يوم التقى الجمعان انمااستزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقدعفى الله عنهم ان الله غفور حليم ياأيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذاضربوافى الارض أو كانواغزا لو كانواعندنا ماماتواوما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم والله يحيى ويميت والله بما تعملون بصير ولئن قتلتم فى سبيل الله أومتم لمغفرة من الله ورحمة خيرمما يجمعون ولئن متم أوقتلتم لالى الله تحشرون فبمارحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاغليظ القلب لانفضوامن حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر فاذاعزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون) ۞ القراآت الرعب بضمتين حيث كان ابن عامر وعلى ويزيد وسهل ويعقوب الباقون بسكون العين ومأواهم وبابه بغيرهمز أبوعمرو وغيره باع ويزيد والاعشى والاصفهانى عن ورش وحمزة فى الوقف ولقدصدقكم وبابه بادغام الدال فى الصاد حمزة وعلى وخلف وأبوعمرو وهشام وسهل وتغشى بتاء فوقانية وبالامالة حمزة وعلى وخلف الباقون بياء الغيبة كله بالرفع أبوعمرو وسهل ويعقوب الباقون بالنصب يعملون بصير بياء الغيبة ابن كثير وعباس وعلى وخلف وحمزة الباقون بالخطاب متم ومتنا بكسر

جوابالقوله ولئن قتلتم فى سبيل الله أومتم فان القول فيه(١) أن يقال فيه كأنه قال ولئن متم أوقتلتم فذكرلهم رحمة من الله ومغفرة اذ كان ذلك فى السبيل فقال لمغفرة من الله ورحمة يقول لذلك خيرمما تجمعون يعنى لتلك المغفرة والرحمة خيرمما تجمعون ودخلت اللام فى قوله لمغفرة من الله لدخولها فى قوله ولئن كما قيل ولئن نصروهم ليولن الادبار ۞ القول فى تأويل قوله (ولئن متم أو قتلتم لالى الله تحشرون) يعنى بذلك جل ثناؤه ولئن متم أوقتلتم أيها المؤمنون فان الى الله مرجعكم ومحشركم فيجازيكم بأعمالكم فآثروا مايقربكم من الله ويوجب لكم رضاه ويقربكم من الجنة من الجهاد فى سبيل الله والعمل بطاعته على الركون الى الدنيا وما تجمعون فيها من حطامها الذى هوغيرباق لكم بل هوزائل عنكم وعلى ترك طاعة الله والجهاد فان ذلك يبعدكم عن ربكم ويوجب لكم سخطه ويقربكم من النار وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال ابن اسحق حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولئن متم أوقتلتم أى ذلك كان لالى الله تحشرون أى ان الى الله المرجع فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا تغتروا بها وليكن الجهاد وما رغبكم الله فيه منه آثرعندكم منها وأدخلت اللام فى قوله لالى الله تحشرون لدخولها فى قوله ولئن ولو كانت اللام مؤخرة الى قوله تحشرون لأحدثت النون الثقيلة فيه كما تقول فى الكلام لئن أحسنت الى لأحسنن اليك بنون مثقلة فكان كذلك قوله ولئن متم أوقتلتم لتحشرن الى الله ولكن لما حيزبين اللام وبين تحشرون بالصفة أدخلت فى الصفة وسلمت تحشرون فلم تدخلها النون الثقيلة كما تقول فى الكلام لئن أحسنت الى لاليك أحسن بغير نون مثقلة ۞ القول فى تأويل قوله (فبمارحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاغليظ القلب لانفضوا من حولك) يعنى جل ثناؤه بقوله فبمارحمة من الله فبرحمة من الله وما صلة وقد بينت وجه دخولها فى الكلام فى قوله ان الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها والعرب تجعل ما صلة فى المعرفة والنكرة كما قال فبمانقضهم ميثاقهم والمعنى فبنقضهم ميثاقهم وهذا فى المعرفة وقال فى النكرة عما قليل ليصبحن نادمين والمعنى عن قليل وربما جعلت اسما وهى فى مذهب صلة فيرفع ما بعدها أحيانا على وجه الصلة ويخفض على اتباع الصلة ما قبلها كما قال الشاعر

فكفى بنافضلا على من غيرنا ✽ حب النبى محمد إيانا

اذا جعلت غير صلة رفعت باضمار هو وان خفضت أتبعت من فأعربته فذلك حكمه على ما وصفنا مع النكرات فأما اذا كانت الصلة معرفة كان الفصيح من الكلام الاتباع كما قيل فبما نقضهم ميثاقهم والرفع جائز فى العربية وبنحو ما قلنا فى قوله فبمارحمة من الله لنت لهم قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله فبمارحمة من الله لنت لهم يقول فبرحمة من الله لنت لهم وأما قوله ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فانه يعنى بالفظ الجافى وبالغليظ القلب القاسى القلب غيرذى رحمة ولا رأفة وكذلك كانت صفته صلى الله عليه وسلم كما وصفه الله به بالمؤمنين رؤف رحيم فتأويل الكلام فبرحمة الله يامحمد ورأفته بك وبمن آمن بك من أصحابك لنت لهم لتباعك وأصحابك فسهلت لهم خلائقك وحسنت لهم أخلاقك حتى احتملت أذى من نالك منهم أذاه وعفوت عن ذى الجرم منهم

(١) قوله أن يقال فيه الى آخرالعبارة كذا فى الأصول وتأمل وحرر كتبه مصححه

الميم من مات يمات سبث كان نافع وعلي وحمزة وخلف وافق حفصا الاههنا لجوار قلتم الباقون بضم الميم من مات يموت يجمعون بياء الغيبة
حفص والمفضل وسائر القراء بتاء الخطاب (١٠٠) ۞ الوقوف سلطانا ج لعطف المختلفتين النار ط الظالمين ه باذنه ج لان حتى
تحتمل انتهاء الحس ووجه الابتداء
أظهر لاقتران اذا مع حذف الجواب
أي اذا فعلتم وفعلتم انقلب الامر
وعنعكم نصره والوقف على تحبون
ظاهر في الوجهين الآخرة ج
لأن ثم لترتيب الاخبار وقيل لعطف
صرفكم على الجواب المحذوف
ليبتليكم ج عفا عنكم ط
المؤمنين ه أصابكم ط تعملون
ه طائفة منكم (لا) لان الواو للحال
الجاهلية ط من شئ ط لله ط
يبدون لك ط ههنا ط مضاجعهم
ج لان الواو مقحمة أو عاطفة على
محذوف أي لينفذ الحكم فيكم
وليبتلي ما في قلوبكم ط الصدور
ه الجمعان (لا) لان انما خبر ان كسبوا
ج لاحتمال الواو حالا واستئنافا
عنهم ط حليم ه وما قتلوا ج
لان لام ليجعل قد يتعلق بقوله
وقالوا لاخوانهم أو بمحذوف اي
ذلك ليجعل في قلوبهم ط ويميت
ط بصير ه تجمعون ه
تحشرون ه لنت لهم ج لأن
الواو للعطف ولو للشرط من حولك
ص والوصل أولى لعطف الامر
بالرحمة على النهي عن الغلظة تعريضا
الامر ج لفاء التعقيب مع اذا
الشرطية على الله ط المتوكلين ه
لكم ج لابتداء شرط آخر مع الواو
من بعده ط المؤمنون ه ۞ التفسير
انه تعالى يذكر في هذه الآيات وجوها
كثيرة في باب الترغيب في الجهاد
وعدم المبالاة بالكفار من جملتها
الوعد بالقاء الرعب في قلوب الكفرة
ولاشك أن هذا من معاظم أسباب
الاستيلاء ثم ان هذا الوعد مخصوص
بيوم أحد أو هو عام في جميع
الاوقات الاظهر الثاني كأنه قيل انه وان وقعت لكم هذه الواقعة في يوم أحد الا أنا سنلقي الرعب في قلوب الكفار بعد
ذلك حتى يظهر هذا الدين على سائر الاديان ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر وذهب كثير من المفسرين الى أنه مختص

جرمه وأغضيت عن كثير ممن لو جفوت به وأغلظت عليه لتركك ففارقك ولم يتبعك ولا ما بعثت به من الرحمة ولكن الله رحمهم ورحمك معهم فبرحمة من الله لنت لهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك أي والله لطهره الله من الفظاظة والغلظة وجعله قريبا رحيما بالمؤمنين رؤفا وذكر لنا أن نعت محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة ليس بفظ ولا غليظ ولا صخوب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بنحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق في قوله فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك قال ذكر لينه لهم وصبره عليهم لضعفهم وقلة صبرهم على الغلظة لو كانت منه في كل ما خالفوا فيه مما افترض عليهم من طاعة نبيهم وأما قوله لانفضوا من حولك فانه يعني لتفرقوا عنك كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله لانفضوا من حولك قال انصرفوا عنك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق لانفضوا من حولك أي لتركوك ۞ القول في تأويل قوله (فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين) يعني تعالى ذكره بقوله فاعف عنهم فتجاوز يا محمد عن تباعك وأصحابك من المؤمنين بك وبما جئت به من عندي ما نالك من أذاهم ومكروه في نفسك واستغفر لهم وادع ربك لهم بالمغفرة لما أتوا من جرم واستحقوا عليه عقوبة منه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فاعف عنهم أي فتجاوز عنهم واستغفر لهم ذنوب من قارف من أهل الايمان منهم ثم اختلف أهل التأويل في المعنى الذي من أجله أمر تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم أن يشاورهم وما المعنى الذي أمره أن يشاورهم فيه فقال بعضهم أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله وشاورهم في الامر بمشاورة أصحابه في مكايد الحرب وعند لقاء العدو تطييبا منه بذلك أنفسهم وتألفا لهم على دينهم وليروا أنه يسمع منهم ويستعين بهم وان كان الله عز وجل قد أغناه بتدبيره له أموره وسياسته اياه وتقويمه أسبابه عنهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يشاور أصحابه في الامور وهو يأتيه وحي السماء لانه أطيب لانفس القوم وان القوم اذا شاور بعضهم بعضا وأرادوا بذلك وجه الله عزم لهم على أرشده حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع وشاورهم في الامر قال أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يشاور أصحابه في الامور وهو يأتيه الوحي من السماء لانه أطيب لانفسهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وشاورهم في الامر أي لتريهم أنك تسمع منهم وتستعين بهم وان كنت عنهم غنيا تؤلفهم بذلك على دينهم * وقال آخرون بل أمره بذلك في ذلك وان كان له الرأي وأصوب الامور في التدبير لما علم في المشورة تعالى ذكره من الفضل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سلمة بن نبيط عن الضحاك بن مزاحم قوله وشاورهم في الأمر قال ما أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشورة الا لما علم فيها من الفضل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا معتمر بن سليمن عن اياس بن دغفل عن الحسن ما شاور قوم قط الا هدوا لأرشد أمورهم * وقال آخرون انما أمره الله بمشاورة أصحابه فيما أمره

بمشاورتهم

بمشاورتهم فيه مع اغنائه بتقويمه اياه وتدبيره أسبابه عن ارائهم ليتبعه المؤمنون من بعده فيما حزبهم من أمر دينهم ويستنوا بسنته فى ذلك ويحتذوا المثال الذى رأوه يفعله فى حياته من مشاورته فى أموره مع المنزلة التى هو بها من الله أصحابه وتباعه فى الامر ينزل بهم من أمر دينهم ودنياهم فيتشاوروا بينهم ثم يصدروا عما اجتمع عليه ملؤهم لأن المؤمنين اذا تشاوروا فى أمور دينهم متبعين الحق فى ذلك لم يخلهم الله عز وجل من لطفه وتوفيقه للصواب من الرأى والقول فيه قالوا وذلك نظير قوله عز وجل الذى مدح به أهل الايمان وأمرهم شورى بينهم ذكر من قال ذلك حدثنا سوار بن عبدالله العنبرى قال قال سفيان بن عيينة فى قوله وشاورهم فى الامر قال هى للمؤمنين أن تشاوروا فيما لم يأتهم عن النبى صلى الله عليه وسلم فيه أثر * قال أبو جعفر وأولى الاقوال بالصواب فى ذلك أن يقال ان الله عز وجل أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه فيما حزبه من أمر عدوه ومكايد حربه تألفا منه بذلك من لم تكن بصيرته بالاسلام البصيرة التى يؤمن عليه معها فتنة الشيطان وتعريفا منه أمته مأتى الامور التى تحزبهم من بعده ومطلبها ليقتدوا به فى ذلك عند النوازل التى تنزل بهم فيتشاوروا فيما بينهم كما كانوا يرونه فى حياته صلى الله عليه وسلم يفعله فأما النبى صلى الله عليه وسلم فان الله كان يعرّفه مطالب وجوه ما حزبه من الأمور بوحيه أو الهامه اياه صواب ذلك وأما أمته فانهم اذا تشاوروا مستنين بفعله فى ذلك على تصادق وتآخ للحق وارادة جميعهم للصواب من غير ميل الى هوى ولا حيد عن هدى فالله مسددهم وموفقهم وأما قوله فاذا عزمت فتوكل على الله فانه يعنى فاذا صح عزمك بتثبيتنا اياك وتسديدنا لك فيما نابك وحزبك من أمر دينك ودنياك فامض لما أمرناك به على ما أمرناك به وافق ذلك آراء أصحابك وما أشاروا به عليك أو خالفها وتوكل فيما تأتى من أمورك وتدع وتحاول أو تزاول على ربك فثق به فى كل ذلك وارض بقضائه فى جميعه دون آراء سائر خلقه ومعونتهم فان الله يحب المتوكلين وهم الراضون بقضائه والمستسلمون لحكمه فيهم وافق ذلك منهم هوى أو خالفه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين فاذا عزمت أى على أمر جاءك منى أو أمر من دينك فى جهاد عدوك لا يصلحك ولا يصلحهم الا ذلك فامض على ما أمرت به على خلاف من خالفك وموافقة من وافقك وتوكل على الله أى ارض به من العباد ان الله يحب المتوكلين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاذا عزمت فتوكل على الله أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم اذا عزم على أمر أن يمضى فيه ويستقيم على أمر الله ويتوكل على الله حدثت عن عمار عن ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله فاذا عزمت فتوكل على الله الآية أمره الله اذا عزم على أمر أن يمضى فيه ويتوكل عليه ۞ القول فى تأويل قوله (ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يعنى تعالى ذكره بذلك ان ينصركم الله أيها المؤمنون بالله ورسوله على من ناواكم وعاداكم من أعدائه والكافرين به فلا غالب لكم من الناس يقول فلن يغلبكم مع نصره اياكم أحد ولو اجتمع عليكم من بين أقطارها من خلقه فلا تهابوا أعداء الله لقلة عددكم وكثرة عددهم ما كنتم على أمره واستقمتم على طاعته وطاعة رسوله فان الغلبة لكم والظفر دونهم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده يعنى ان يخذلكم ربكم بخلافكم أمره وترككم طاعته وطاعة رسوله فيكلكم الى أنفسكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده يقول فأيسوا من نصرة الناس فانكم لا تجدون ناصرا من بعد خذلان الله اياكم ان خذلكم يقول

يوم أحد لوروده فى مساق تلك القصة قال السدى لما ارتحل أبو سفيان والمشركون يوم أحد متوجهين الى مكة انطلقوا حتى بلغوا بعض الطريق ثم انهم ندموا وقالوا بئسما صنعنا قتلناهم حتى اذا لم يبق منهم الا الشريد تركناهم ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك ألقى الله الرعب فى قلوبهم حتى رجعوا عما هموا به ففى ذلك نزلت الآية وقيل ان الكفار لما استولوا على المسلمين وهزموهم أوقع الله الرعب فى قلوبهم فتركوهم وفروا منهم من غير سبب حتى روى أن أبا سفيان صعد الجبل من الخوف وقال أين ابن أبى كبشة يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أين ابن أبى قحافة أين ابن الخطاب فأجابه عمر وجرى بينهم من الكلمات ما جرى والرعب الخوف الذى يملأ القلب فزعا ومنه سيل راعب اذا ملأ الأودية والانهار والقاء الرعب فى قلوبهم لا يقتضى القاء جميع أنواعه فيها وانما يقتضى وقوع هذه الحقيقة فيها من بعض الوجوه ولكن ظاهر قوله فى قلوب الذين كفروا يقتضى وقوع الرعب فى قلوب جميع الكفرة وهكذا هو فى الواقع لانه لا أحد يخالف دين الاسلام الا وفى قلبه خوف المسلمين وهيبتهم اما فى الحرب واما فى المحاجة وقيل انه مخصوص بأولئك الكفار (بما أشركوا) أى بسبب اشراكهم بالله وفيه وجه معقول وهو أن الدعاء انما يصير فى محل الاجابة عند الاضطرار كما قال أمن يجيب المضطر اذا دعاه ومن اعتقد أن لله شريكا لم يحصل له الاضطرار لانه يقول ان كان هذا المعبود لا ينصرنى فذاك الآخر ينصرنى فلا يحصل له الاجابة فيلزمهم الرعب والخوف هذا على تقدير أن معبوديهم يصح منهم الاجابة كيف وانهم لا يملكون نفعا ولا ضرا (مالم ينزل به سلطانا) آلهة لم ينزل الله باشراكها حجة والتركيب يدل على القدرة والشدة والحدة ومنه يقال للوالى سلطان ومنه سلاطة اللسان والسليط الزيت كأنه استخرج بالقهر قال الجوهرى السلطان بمعنى الحجة والبرهان لا يجمع لان مجراه مجرى المصدر وليس المراد أن

فلا تتركوا أمري وطاعتي وطاعة رسولي فتهلكوا بخذلاني اياكم وعلى الله فليتوكل المؤمنون يعني ولكن على ربكم أيها المؤمنون فتوكلوا دون سائر خلقه وبه فارضوا من جميع من دونه ولقضائه فاستسلموا وجاهدوا فيه أعداءه يكفكم بعونه ويمددكم بنصره كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون أي ان ينصرك الله فلا غالب لك من الناس لن يضرك خذلان من خذلك وان يخذلك فلن ينصرك الناس فمن الذي ينصركم من بعده أي لا تترك أمري للناس وارفض الناس لأمري وعلى الله فليتوكل المؤمنون ۞ القول في تأويل قوله (وما كان لنبي أن يغل) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته جماعة من قراء الحجاز والعراق وما كان لنبي أن يغل بمعنى أن يخون أصحابه فيما أفاء الله عليهم من أموال أعدائهم واحتج بعض قارئي هذه القراءة أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في قطيفة فقدت من مغانم القوم يوم بدر فقال بعض من كان مع النبي صلى الله عليه وسلم لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها ورووا في ذلك روايات فمنها ما حدثنا به محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب قال ثنا عبد الواحد بن زياد قال ثنا خصيف قال ثنا مقسم قال ثني ابن عباس أن هذه الآية وما كان لنبي أن يغل نزلت في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر قال فقال بعض الناس أخذها قال فأكثروا في ذلك فأنزل الله عز وجل وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة حدثنا ابن أبي الشوارب قال ثنا عبد الواحد قال ثنا خصيف قال سألت سعيد بن جبير كيف تقرأ هذه الآية وما كان لنبي أن يغل أو يغل قال لا بل يغل فقد كان النبي والله يغل ويقتل حدثني اسحق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد قال ثنا عتاب بن بشير عن خصيف عن مقسم عن ابن عباس وما كان لنبي أن يغل قال كان ذلك في قطيفة حمراء فقدت في غزوة بدر فقال أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلعل النبي أخذها فأنزل الله عز وجل وما كان لنبي أن يغل قال سعيد بل والله ان النبي ليغل ويقتل حدثنا أبو كريب قال ثنا خلاد عن زهير عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس قال كانت قطيفة فقدت يوم بدر فقالوا أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل وما كان لنبي أن يغل حدثنا أبو كريب قال ثنا مالك بن اسمعيل قال ثنا زهير قال ثنا خصيف عن سعيد بن جبير وعكرمة في قوله وما كان لنبي أن يغل قالا يغل قال قال عكرمة أو غيره عن ابن عباس قال كانت قطيفة فقدت يوم بدر فقالوا أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأنزل الله هذه الآية وما كان لنبي أن يغل حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال ثنا قزعة بن سويد الباهلي عن حميد الاعرج عن سعيد بن جبير قال نزلت هذه الآية وما كان لنبي أن يغل في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر من الغنيمة حدثنا نصر بن علي الجهضمي قال ثنا معتمر عن أبيه عن سليمن الاعمش قال كان ابن مسعود يقرأ ما كان لنبي أن يغل فقال ابن عباس بلى ويقتل قال فذكر ابن عباس انه انما كانت في قطيفة قالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غلها يوم بدر فأنزل الله وما كان لنبي أن يغل * وقال آخرون ممن قرأ ذلك كذلك بفتح الياء وضم الغين انما نزلت هذه الآية في طلائع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وجههم في وجه ثم غنم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقسم للطلائع فأنزل الله عز وجل هذه الآية على نبيه صلى الله عليه وسلم يعلمه فيها أن فعله الذي فعله خطأ وأن الواجب عليه في الحكم أن يقسم

للطلائع

هناك حجة الا أنها لم تنزل لان الشرك لن يقوم عليه حجة ولكن المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله * ولا ترى الضب بها ينجحر * قال المتكلمون التقليد باطل لان كل ما لا دليل عليه لم يجز اثباته ومنهم من بالغ فيقول ما لا دليل عليه فيجب نفيه ومنهم من احتج بهذا الحرف على وحدانية الصانع فقال لا سبيل الى اثبات الصانع الا باحتياج المحدثات اليه ويكفي في رفع هذه الحاجة اثبات الصانع الواحد فما زاد لا سبيل الى اثباته فلم يجز اثباته أقول هذا اذا استدللنا بعدم الدليل على وجود الشريك على نفسه أما اذا استدللنا بوجود الدليل على نفسه فلا شريك لاجل الدليل ولا دليل على الاشتراك لوجود الدليل على نفي الشريك ولما ذكر حال الكفرة في الدنيا وهو استيلاء الرعب عليهم أتبعه حالهم في الآخرة فقال (ومأواهم) أي والمكان الذي يأوون اليه (النار وبئس مثوى الظالمين) مقام المشركين من ثوى بالمكان يثوي اذا أقام به ثم أكد وعد القاء الرعب بقوله (ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم) تستأصلونهم قتلا قال أصحاب الاشتقاق حسه أي قتله لانه أبطل حسه بالقتل كما يقال بطنه اذا أصاب بطنه ورأسه اذا أصاب رأسه (باذنه) بعلمه وقيل المراد بهذا الوعد أنه صلى الله عليه وسلم رأى في المنام أنه يذبح كبشا فصدق الله رؤياه بقتل طلحة صاحب لواء المشركين يوم أحد وقتل تسعة نفر بعده على اللواء وقيل هو ما ذكره من قوله ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم الآن هذا كان مشروطا بشرط هو الصبر والتقوى وقيل المراد هو أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال للرماة لا تبرحوا هذا المكان فانا لا نزال غالبين ما دمتم فيه فلما أقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم وقيل لما رجعوا الى المدينة قال ناس من المؤمنين من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت (حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم) قال بعض العلماء هذا ليس بشرط

للطلائع مثل ما قسم لغيرهم و يعرّفه الواجب عليه من الحكم فيما أفاء الله عليه من الغنائم وأنه ليس له أن يخص بشئ منها أحدا ممن شهد الوقعة أو ممن كان ردأ لهم في غزوهم دون أحد ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة يقول ما كان للنبي أن يقسم لطائفة من المسلمين و يترك طائفة ويجور في القسم ولكن يقسم بالعدل ويأخذ فيه بأمر الله ويحكم فيه بما أنزل الله يقول ما كان الله ليجعل نبيا يغل من أصحابه فاذا فعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم استنّوا به حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك أنه كان يقرأ ما كان لنبي أن يغل قال أن يعطي بعضا ويترك بعضا اذا أصاب مغنما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سلمة بن نبيط عن الضحاك قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم طلائع فغنم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقسم للطلائع فأنزل الله عز وجل وما كان لنبي أن يغل حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان عن الضحاك ما كان لنبي أن يغل يقول ما كان لنبي أن يقسم لطائفة من أصحابه و يترك طائفة ولكن يعدل و يأخذ في ذلك بأمر الله عز وجل ويحكم فيه بما أنزل الله حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله وما كان لنبي أن يغل قال ما كان له اذا أصاب مغنما أن يقسم لبعض أصحابه ويدع بعضا ولكن يقسم بينهم بالسوية * وقال آخرون ممن قرأ ذلك بفتح الياء وضم الغين انما أنزل ذلك تعريفا الناس أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يكتم من وحي الله شيأ ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون أي ما كان لنبي أن يكتم الناس ما بعثه الله به اليهم عن رهبة من الناس ولا رغبة ومن يعمل ذلك يأت به يوم القيامة فتأويل قراءة من قرأ ذلك كذلك ما ينبغي لنبي أن يكون غالا بمعنى أنه ليس من أفعال الانبياء خيانة أممهم يقال منه غل الرجل فهو يغل اذا خان غلولا و يقال أيضا منه أغل الرجل فهو يغل اغلالا كما قال شريح ليس على المستعير غير المغل ضمان يعني غير الخائن و يقال منه أغل الجازر اذا سرق من اللحم شيأ مع الجلد و بما قلنا في ذلك جاء تأويل أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ما كان لنبي أن يغل يقول ما كان ينبغي له أن يخون فكما لا ينبغي له أن يخون فلا تخونوا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ما كان لنبي أن يغل قال أن يخون * وقرأ ذلك آخرون وما كان لنبي أن يغل بضم الياء وفتح الغين وهي قراءة عظم قراء أهل المدينة والكوفة واختلف قارؤ ذلك كذلك في تأويله فقال بعضهم معناه ما كان لنبي أن يغله أصحابه ثم أسقط الاصحاب فبقي الفعل غير مسمى فاعله وتأويله وما كان لنبي أن يخان ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا عوف عن الحسن أنه كان يقرأ وما كان لنبي أن يغل قال عوف قال الحسن أن يخان حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كان لنبي أن يغل يقول وما كان لنبي أن يغله أصحابه الذين معه من المؤمنين ذكر لنا أن هذه الآية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر وقد غل طوائف من أصحابه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وما

فلهذا لم يقتض الجواب والمعنى قد نصركم الله الى حين كان منكم الفشل لان وعدهم بالنصر كان مشروطا بالصبر وقال آخرون انه للمجازاة ثم اختلفوا في الجزاء على وجوه أحدها قال البصريون انه محذوف كما مر في الوقوف وذلك لدلالة سياق الكلام عليه وثانيها قال الكوفيون جوابه وعصيتم والواو زائدة والمراد بالعصيان خروجهم من ذلك المكان فان الفشل والتنازع أخرجهم من المكان الذي وقفهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وثالثها قال أبو مسلم جوابه ثم صرفكم وثم ههنا كالساقطة وقيل جوابه ما يدل عليه قوله منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة والتقدير حتى اذا فشلتم صرتم فريقين والمراد بالفشل الجبن والخور وبالتنازع أن الرماة لما هزم المشركون ونساؤهم يصعدن الجبل وكشفن عن سوقهن بحيث بدت خلاخلهن قالوا الغنيمة فقال عبد الله بن جبير أمير الرماة عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نبرح هذا المكان فأبوا عليه وذهبوا الى طلب الغنيمة وبقي عبد الله مع طائفة دون العشرة الى أن قتلهم المشركون وقوله (في الامر) اما أن يكون بمعنى الشأن والقصة أي تنازعتم فيما كنتم فيه من الشأن أو بمعنى الامر الذي يضاد النهي أي تنازعتم فيما أمركم الرسول به وعصيتم بترك ملازمة ذلك المكان وانما قدم ذكر الفشل على التنازع والمعصية كأنهم فشلوا في أنفسهم عن الثبات طمعا في الغنيمة ثم تنازعوا من طريق القول في أنا هل نذهب في طلب الغنيمة أم لا ثم اشتغل بعضهم بطلب الغنيمة وانما ورد الخطاب عاما وان كانت المعصية بمفارقة ذلك الموضع خاصة بالبعض اعتمادا على المخصص بعده وهو قوله ومنكم من يريد الآخرة وفائدة قوله (من بعد ما أراكم ما تحبون) التنبيه على عظم شأن المعصية لانهم لما شاهدوا أن الله أكرمهم بانجاز الوعد كان من حقهم أن يمتنعوا عن المعصية فلما أقدموا عليها سلبهم الله ذلك الاكرام وأذاقهم وبال أمرهم قوله (ثم صرفكم عنهم)

قالت الاشاعرة معنى هذا الصرف أنه تعالى رد المسلمين عن الكفار وحالت الريح دبورا وكانت صبا حتى وقعت الهزيمة على المسلمين وقتل منهم من قتل واستولى الكفرة ولا يتوجه عليهم اشكال (١٠٤) لان من مذهبهم أن الخير والشر بارادة الله وتخليقه وأما المعتزلة فلم يرضوا بهذا التفسير وقالوا كيف يضيف الصرف بهذا المعنى الى نفسه والصرف عن الكفار معصية وقد أضافها الى الشيطان في قوله انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا وأيضا انه تعالى عاتبهم على ذلك الانصراف ولو كان بفعل الله لم يجز معاتبة القوم عليه كما لا يجوز المعاتبة على طولهم وقصرهم وصحتهم ومرضهم فعند ذلك ذكروا في تأويل الآية وجوها قال الجبائي ان الرماة كانوا فريقين بعضهم فارقوا المكان أولا لطلب الغنائم وبعضهم بقوا هنالك الى أن أحاط بهم العدو وعلموا أنهم لو استمروا على المكث هنالك لقتلهم العدو من غير فائدة أصلا فلهذا السبب جاز لهم أن يتنحوا عن ذلك الموضع الى موضع يتحرزون فيه عن العدو ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم ذهب الى الجبل في جماعة من أصحابه فتحصنوا به فلما كان ذلك الانصراف جائزا أضافه الله الى نفسه بمعنى أنه كان بأمره وباذنه ثم قال ليبتليكم والمراد أنه تعالى لما صرفهم الى ذلك المكان وتحصنوا فيه أمرهم هنالك بالجهاد والذب عن بقية المسلمين ولا شك أن الاقدام على الجهاد بعد الانهزام وبعد أن شاهدوا في تلك المعركة قتل أقاربهم وأحبائهم من أعظم أنواع الابتلاء فاذن الآية مشتملة على المعذورين في الانصراف وعلى غير المعذورين فقوله ثم صرفكم عنهم يرجع الى المعذورين وقوله ولقد عفا عنكم يرجع الى غير المعذورين وسبب العفو ما علم من ندمهم على ما فرط منهم من عصيان أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الكعبي ثم صرفكم عنهم بأن لم يأمركم بمعاودتهم من فورهم ليبتليكم بكثرة الانعام عليكم والتخفيف عنكم وقال أبو مسلم الاصفهاني المعنى من الصرف أنه تعالى أزال ما كان في قلوب الكفار من الرعب من المسلمين عقوبة لهم على عصيانهم وفشلهم ومعنى الابتلاء

كان لنبي أن يغل قال أن يغله أصحابه حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله وما كان لنبي أن يغل قال الربيع بن أنس يقول ما كان لنبي أن يغله أصحابه الذين معه قال ذكر لنا والله أعلم أن هذه الآية أنزلت على نبي الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وقد غل طوائف من أصحابه * وقال آخرون منهم معنى ذلك وما كان لنبي أن يتهم بالغلول فيخونوه ويسرق وكأن متأولي ذلك كذلك وجهوا قوله وما كان لنبي أن يغل الى أنه مراد به يغلل ثم خففت العين من يفعل فصارت يفعل كما قرأ من قرأ قوله فانهم لا يكذبونك بتأول يكذبونك وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندي قراءة من قرأ وما كان لنبي أن يغل بمعنى ما الغلول من صفات الأنبياء ولا يكون نبيا من غل وانما اخترنا ذلك لان الله عز وجل أوعد عقيب قوله وما كان لنبي أن يغل أهل الغلول فقال ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة الآية والتي بعدها فكان في وعيده عقيب ذلك أهل الغلول الدليل الواضح على أنه انما نهى بذلك عن الغلول وأخبر عباده أن الغلول ليس من صفات أنبيائه بقوله وما كان لنبي أن يغل لأنه لو كان انما نهى بذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغلول لعقب ذلك بالوعيد على التهمة وسوء الظن برسول الله صلى الله عليه وسلم لا بالوعيد على الغلول وفي تعقيبه ذلك بالوعيد على الغلول بيان بين أنه انما عرف المؤمنين وغيرهم من عباده أن الغلول منتف من صفة الأنبياء وأخلاقهم لان ذلك جرم عظيم والأنبياء لا تأتي مثله فان قال قائل ممن قرأ ذلك كذلك (١) فأولى منه وما كان لنبي أن يخونه أصحابه ان ذلك كما ذكرت ولم يعقب الله قوله وما كان لنبي أن يغل الا بالوعيد على الغلول ولكنه انما وجب الحكم بالصحة لقراءة من قرأ يغل بضم الياء وفتح الغين لأن معنى ذلك وما كان للنبي أن يغله أصحابه فيخونوه في الغنائم قيل له أفكان لهم أن يغلوا غير النبي صلى الله عليه وسلم فيخونوه حتى خصوا بالنهي عن خيانة النبي صلى الله عليه وسلم فان قالوا نعم خرجوا من قول أهل الاسلام لان الله لم يبح خيانة أحد في قول أحد من أهل الاسلام قط وان قال قائل لم يكن ذلك لهم في نبي ولا غيره قيل فما وجه خصوصهم اذا بالنهي عن خيانة النبي صلى الله عليه وسلم وغلوله وغلول بعض اليهود بمنزلة فيما حرم الله على الغال من أموالهما وما يلزم المؤتمن من أداء الامانة اليهما واذا كان ذلك كذلك فمعلوم أن معنى ذلك هو ما قلنا من أن الله عز وجل نفى بذلك أن يكون الغلول والخيانة من صفات أنبيائه ناهيا بذلك عباده عن الغلول وآمرا لهم بالاستنان بمنهاج نبيهم كما قال ابن عباس في الرواية التي ذكرناها من رواية عطية ثم عقب تعالى ذكره نهيهم عن الغلول بالوعيد عليه فقال ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة الآيتين معا ۞ القول في تأويل قوله (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) يعني بذلك تعالى ذكره ومن يخن من غنائم المسلمين شيأ وفيئهم وغير ذلك يأت به يوم القيامة في المحشر كما حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن فضيل عن يحيى بن سعيد أبي حيان عن أبي زرعة عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قام خطيبا فوعظ وذكر ثم قال ألا عسى رجل منكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك ألا هل عسى رجل منكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس لها حمحمة يقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك ألا هل عسى رجل منكم يجيء

(١) قوله فأولى منه لعله فأوله وما كان الخ وقوله من رواية عطية لم يتقدم هذا الراوي تأمل

يوم

يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يارسول الله أغثني فأقول لاأملك لك شيأقد أبلغتك ألاهل عسى رجل منكم يجيء يوم القيامة على رقبته بقرة لها خوار يقول يارسول الله أغثني فأقول لاأملك لك شيأقد أبلغتك ألاهل عسى رجل منكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق يقول يارسول الله أغثني فأقول لاأملك لك شيأقد أبلغتك حدثنا أبو كريب قال ثنا عبد الرحمن عن أبي حيان عن أبي زرعة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل هذا زاد فيه على رقبته بعير له رغاء لاألفين أحدكم على رقبته نفس لها صياح حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا أبو حيان عن أبي زرعة عن عمرو بن جرير عن أبي هريرة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا يوما فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره فقال لاألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول يارسول الله أغثني ثم ذكر نحو حديث أبي كريب عن عبد الرحمن حدثنا أبو كريب قال ثنا حفص بن بشر عن يعقوب القمي قال ثنا حفص بن حميد عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل شاة لها ثغاء ينادي يامحمد يامحمد فأقول لاأملك لك من الله شيأقد بلغتك ولاأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل جملا له رغاء يقول يامحمد يامحمد فأقول لاأملك لك من الله شيأقد بلغتك ولاأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل فرساله حمحمة ينادي يامحمد يامحمد فأقول لاأملك لك من الله شيأ قد بلغتك ولاأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل قسمامن أدم ينادي يامحمد يامحمد فأقول لاأملك لك من الله شيأقد بلغتك حدثنا أبو كريب قال ثنا أسباط بن محمد قال ثنا أبو إسحق الشيباني عن عبد الله ابن ذكوان عن عروة بن الزبير عن أبي حميد قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا فجاء بسواد كثير قال فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقبضه منه فلما أتوه جعل يقول هذا لي وهذا لكم قال فقالوا من أين لك هذا قال أهدي الي فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بذلك فخرج فخطب فقال أيها الناس ما بالي أبعث قوما الى الصدقة فيجيء أحدهم بالسواد الكثير فاذا بعثت من يقبضه قال هذا لي وهذا لكم فان كان صادقا أفلا أهدي له وهو في بيت أبيه أوفي بيت أمه ثم قال أيها الناس من بعثناه على عمل فغل شيأجاء به يوم القيامة على عنقه يحمله فاتقوا الله أن يأتي أحدكم يوم القيامة على عنقه بعير له رغاء أو بقرة تخور أوشاة تثغو حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو معاوية وابن نمير وعبدة بن سليمن عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبي حميد الساعدي قال استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الازد يقال له ابن اللتبية على صدقات بني سليم فلما جاء قال هذا لكم وهذا هدية أهديت لي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلا يجلس أحدكم في بيته فتأتيه هديته ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فاني أستعمل رجالا منكم على أمور مما ولاني الله فيقول أحدهم هذا الذي لكم وهذا هدية أهديت الي أفلا يجلس في بيت أبيه أو بيت أمه فتأتيه هديته والذي نفسي بيده لا يأخذ أحدكم من ذلك شيأ الاجاء به يوم القيامة يحمله على عنقه فلاأعرفن ماجاء رجل يحمل بعيراله رغاء أو بقرة لها خوار أوشاة تثغو ثم رفع يده فقال ألاهل بلغت حدثنا أبو كريب قال ثنا عبد الرحيم عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبي حميد حدثه بمثل هذا الحديث قال أفلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك ثم رفع يده حتى إني لأنظر الى بياض ابطيه ثم قال اللهم هل بلغت قال أبو حميد بصر عيني وسمع أذني حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ثني عمي عبد الله بن وهب قال أخبرني

أنه جعل ذلك الصرف محنة عليهم ليتوبوا عما خالفوا فيه أمره ثم أعلمهم أنه قد عفا عنهم قال القاضي ظاهر قوله ولقد عفا عنكم يقتضي تقدم ذنب منهم فان كان ذلك الذنب من الصغائر صح أن يصف نفسه بالعفو عنهم من غير توبة وان كان من باب الكبائر فلابد من اضمار توبتهم لقيام الدلالة على أن صاحب الكبيرة اذالم يتب لم يكن من أهل العفو وقالت الاشاعرة لاشك أن ذلك الذنب كان من الكبائر لانهم خالفوا صريح نص الرسول وصارت تلك المخالفة سببا لانهزام عسكر الاسلام واقتل جم غفير من الصحابة ثم ان ظاهر الآية دل على أنه تعالى قد عفا عنهم من غير توبة لانها غير مذكورة فصارت الآية دليلا على أنه قد يعفو عن أصحاب الكبائر (والله ذو فضل على المؤمنين) يتفضل عليهم بالعفو أو هو متفضل عليهم في جميع الاحوال سواء كانت الدولة لهم أو عليهم لان الابتلاء رحمة كما أن النصرة رحمة وقد يستدل بالآية على أن صاحب الكبيرة مؤمن لانه سماهم مؤمنين خلاف ما يقوله المعتزلة من أنه لامؤمن ولا كافر * قوله سبحانه (اذ تصعدون) اما مستأنف باضمار واذكر واما أن يتعلق بما قبله أي عفا عنكم اذ تصعدون لأن ماصدر عنهم من مفارقة ذلك المكان والاخذ في الوادي كالمنهزمين ذنب اقترفوه أو المعنى ليبتليكم اذ تصعدون أو ثم صرفكم حين اصعادكم والاصعاد الذهاب في الارض والابعاد فيها قال أبو معاذ النحوي كل شيء له أسفل وأعلى كالوادي والنهر والازقة فيقال فيه أصعد اذا أخذ من أسفله الى أعلاه وأما ما ارتفع كالسلم والجبل فانه يقال صعد (ولا تلوون على أحد) لاتلتفتون اليه وأصله أن المعرج على الشيء يلوي اليه عنقه أو عنان دابته (والرسول يدعوكم) كان يقول الي عباد الله أنا رسول الله من كر فله الجنة فيحتمل انه كان يدعوهم الى نفسه حتى يجتمعوا عنده ولا يتفرقوا ويحتمل أنه كان يدعوهم الى محاربة العدو (في أخراكم) في ساقتكم وجماعتكم الأخرى لان القوم

بسبب الهزيمة قد تقدموه صلى الله عليه وسلم وبقى هو فى الجماعة المتأخرة يقال جئت فى آخر الناس وأخراهم كما تقول فى أولاهم وأولاهم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الاولى (فأثابكم) قال (١٠٦) فى الكشاف انه عطف على صرفكم وأقول لا يبعد أن يعطف على تصعدون لانه بمعنى أصعدتم بدليل أن يقال ثاب اليه أى رجع والمرأة تسمى ثيبا لان واطئها عائد اليها فأصل الثواب كل ما يعود الى الفاعل من جزاء فعله خيرا كان أو شرا الا أن العرف خصه بالخير فان حملنا لفظ الآية على أصل اللغة استقام بلا تأويل وان حملناه على مقتضى العرف كان واردا على سبيل التهكم كقولهم عتابك السيف وتحيتك الضرب أى جعل مكان ما يرجون من الثواب الغم وهو فى الاصل التغطية ومنه الغمام فكأن الغم يستر وجه اللذة والسرور والباء فى بغم يحتمل أن تكون بمعنى المعاوضة نحو بعت هذا بذاك ويحتمل أن تكون بمعنى المصاحبة أما الاحتمال الاول ففيه وجوه قال الزجاج انكم لما أذقتم الرسول غما بسبب عصيان أمره أذاقكم الله غم الانهزام وقيل المجازاة والمعنى جازاكم من ذلك الغم بهذا الغم وقال الحسن يريد غم يوم أحد للمسلمين بغم يوم بدر للمشركين وفى الكشاف يجوز أن يكون الضمير فى فأثابكم للرسول أى فآساكم فى الاغتمام فكما غمكم ما نزل به من كسر رباعيته وشج وجهه وقتل عمه وغيره غمه ما نزل بكم من قتل الأعزة ومن الانضمام فى سلك العصاة لطلب الغنيمة ثم الحرمان عنها وأما الاحتمال الثانى ففيه وجهان أحدهما أن يكون هناك غمان الاول ما أصابهم عند الفشل والتنازع والثانى ما حصل عند الهزيمة أو الاول غم فوت الغنائم والثانى أن أبا سفيان وخالد بن الوليد اطلعا على المسلمين فحملوا عليهم وقتلوا منهم جمعا عظيما أو الاول هذا والثانى خوفهم من رجوع المشركين واستئصال المسلمين أو الاول ما أصابهم فى أنفسهم وأموالهم والثانى غم الارجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم أو الاول خوف عقاب المعصية

عمرو بن الحرث أن موسى بن جبير حدثه أن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحباب الانصارى حدثه أن عبد الله بن أنيس حدثه أنه تذاكر هو وعمر يوما الصدقة فقال ألم تسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر غلول الصدقة من غل منها بعيرا أو شاة فانه يحمله يوم القيامة قال عبد الله بن أنيس بلى حدثنا سعيد بن يحيى الأموى قال ثنا أبى قال ثنا يحيى بن سعيد الانصارى عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سعد بن عبادة مصدقا فقال اياك يا سعد أن تجىء يوم القيامة ببعير تحمله له رغاء قال لا آخذه ولا أجىء به فأعفاه حدثنا أحمد بن المغيرة الحمصى أبو حميد قال ثنا الربيع بن روح قال ثنا ابن عياش قال ثنى عبيد الله بن عمر ابن حفص عن نافع مولى ابن عمر عن عبد الله بن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه استعمل سعد ابن عبادة فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فسلم عليه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم اياك يا سعد أن تجىء يوم القيامة تحمل على عنقك بعيرا له رغاء فقال سعد فان فعلت يا رسول الله ان ذلك لكائن قال نعم قال سعد قد علمت يا رسول الله انى أسأل فأعطى فأعفنى فأعفاه حدثنا أبو كريب قال ثنا زيد بن حبان قال ثنا عبد الرحمن بن الحرث قال ثنى جدى عبيد بن أبى عبيد وكان أول مولود بالمدينة قال استعملت على صدقة دوس فجاءنى أبو هريرة فى اليوم الذى خرجت فيه فسلم فخرجت اليه فسلمت عليه فقال كيف أنت والبعير كيف أنت والبقر كيف أنت والغنم ثم قال سمعت حبى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أخذ بعيرا بغير حقه جاء به يوم القيامة له رغاء ومن أخذ بقرة بغير حقها جاء بها يوم القيامة لها خوار ومن أخذ شاة بغير حقها جاء بها يوم القيامة على عنقه لها ثغاء فاياك والبقر فانها أحد قرونا وأشد أظلافا حدثنا أبو كريب قال ثنا خالد بن مخلد قال ثنى محمد عن عبد الرحمن بن الحرث عن جده عبيد بن أبى عبيد قال استعملت على صدقة دوس فلما قضيت العمل قدمت فجاءنى أبو هريرة فسلم على فقال أخبرنى كيف أنت والابل ثم ذكر نحو حديثه عن زيد الا أنه قال جاء به يوم القيامة على عنقه له رغاء حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وما كان لنبى أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة قال قتادة كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا غنم مغنما بعث مناديا ألا لا يغلن رجل مخيطا فما دونه ألا لا يغلن رجل بعيرا فيأتى به على ظهره يوم القيامة له رغاء ألا لا يغلن رجل فرسا فيأتى به على ظهره يوم القيامة له حمحمة ۞ القول فى تأويل قوله (ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) يعنى بذلك جل ثناؤه ثم توفى كل نفس ثم تعطى كل نفس جزاء ما كسبت بكسبها وافيا غير منقوص مما استحقه واستوجبه من ذلك وهم لا يظلمون يقول لا يفعل بهم الا الذى ينبغى أن يفعل بهم من غير أن يعتدى عليهم فينقصوا عما استحقوه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ثم يجزى بكسبه غير مظلوم ولا معتدى عليه ۞ القول فى تأويل قوله (أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك أفمن اتبع رضوان الله فى ترك الغلول كمن باء بسخط من الله بغلوله ما غل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن مطرف عن الضحاك فى قوله أفمن اتبع رضوان الله قال من لم يغل كمن باء بسخط من الله كمن غل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى سفيان بن عيينة عن مطرف بن طريف عن الضحاك قوله

أفمن

والثاني غم التوبة فانها لا تتم الا بالعود الى المحاربة واذا أمر بالمعاودة بعد القلة والذلة فان فعل غلب على ظنه القتل وان لم يفعل خاف الكفر وعقوبة الآخرة وثانيهما أن يراد بغم مع غم مواصلة الغموم وتتابعها وكثرتها (١٠٧) فيشمل جميع الغموم المعدودة وما ينخرط في

أفمن اتبع رضوان الله قال من أدى الخمس كمن باء بسخط من الله فاستوجب سخطا من الله * وقال آخرون في ذلك بما حدثني به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق أفمن اتبع رضوان الله على ما أحب الناس وسخطوا كمن باء بسخط من الله لرضا الناس وسخطهم يقول أفمن كان على طاعتي فثوابه الجنة ورضوان من ربه كمن باء بسخط من الله فاستوجب غضبه وكان مأواه جهنم وبئس المصير أسواء المثلان أي فاعرفوا * وأولى التأويلين بتأويل الآية عندي قول الضحاك بن مزاحم لان ذلك عقيب وعيد الله على الغلول ونهيه عباده عنه ثم قال لهم بعد نهيه عن ذلك ووعيده أسواء المطيع لله فيما أمره ونهاه والعاصي له في ذلك أي انهما لا يستويان ولا تستوي حالتاهما عنده لأن لمن أطاع الله فيما أمره ونهاه الجنة ولمن عصاه فيما أمره ونهاه النار فعنى قوله أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله اذا أفمن ترك الغلول وما نهاه الله عنه من معاصيه وعمل بطاعة الله في تركه ذلك وفي غيره مما أمره به ونهاه من فرائضه متبعا في كل ذلك رضا الله ومجتنبا سخطه كمن باء بسخط من الله يعني كمن انصرف متحملا سخط الله وغضبه فاستحق بذلك سكنى جهنم يقول ليسا سواء وأما قوله وبئس المصير فانه يعني وبئس المصير الذي يصير اليه ويؤب اليه من باء بسخط من الله جهنم ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون) يعني تعالى ذكره بذلك أن من اتبع رضوان الله ومن باء بسخط من الله مختلفو المنازل عند الله فلمن اتبع رضوان الله الكرامة والثواب الجزيل ولمن باء بسخط من الله المهانة والعقاب الاليم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون أي لكل درجات مما عملوا في الجنة والنار ان الله لا يخفى عليه أهل طاعته من أهل معصيته حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس هم درجات عند الله يقول بأعمالهم * وقال آخرون معنى ذلك لهم درجات عند الله يعني لمن اتبع رضوان الله منازل عند الله كريمة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله هم درجات عند الله قال هي كقوله لهم درجات عند الله حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي هم درجات عند الله يقول لهم درجات عند الله وقيل قوله هم درجات كقول القائل هم طبقات كما قال ابن هرمة

أإن حم المنون يكون قوم * لريب الدهر أم درج السيول

وأما قوله والله بصير بما يعملون فانه يعني والله ذو علم بما يعمل أهل طاعته ومعصيته لا يخفى عليه من أعمالهم شئ يحصي على الفريقين جميعا أعمالهم حتى توفى كل نفس منهم جزاء ما كسبت من خير وشر كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق والله بصير بما يعملون يقول ان الله لا يخفى عليه أهل طاعته من أهل معصيته ۞ القول في تأويل قوله (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) يعني بذلك لقد تطول الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا حين أرسل فيهم رسولا من أنفسهم نبيا من أهل لسانهم ولم يجعله من غير أهل لسانهم فلا يفقهوا عنه ما يقول يتلو عليهم آياته يقول يقرأ عليهم آي كتابه وتنزيله ويزكيهم يعني يطهرهم من ذنوبهم باتباعهم

سلكها ثم اللام في قوله (لكيلا تحزنوا) يحتمل أن يتعلق بقوله ولقد عفا عنكم لان في عفوه تعالى ما يزيل كل هم وحزن واما أن يتعلق بقوله فاثابكم فيكون المعنى على قول الزجاج انه عاقبهم بغم الهزيمة ليتمرنوا على تجرع الغموم واحتمال الشدائد فلا يحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب من المضار وليصير ذلك زاجرا لهم عن الاقدام على المعصية والاشتغال بما يخالف أمر الله وعلى قول الحسن جعلكم مغمومين يوم أحد في مقابلة ما جعلهم مغمومين يوم بدر لكيلا تحزنوا بادبار الدنيا ومصائبها ولا تفرحوا باقبالها وعوائدها قالت الاشاعرة معنى اثابة الغم من الله تعالى خلق الغم فيهم ولا يقبح منه شئ وأما المعتزلة فانهم يقولون الغم فعل العبد لكنه أسند اليه تعالى لانه طبع العباد طبعا يغتمون بالمصائب وهم لا يحمدون على ذلك ولا يذمون وان سلم أنه يخلق الله فلرعاية المصالح وليس الغرض تسليط الكفار على المسلمين فان ذلك كفر ومعصية ولكن الغرض أن لا يبقى في قلوب المؤمنين اشتغال بغير الله ولا يحزنوا بالادبار ولا يفرحوا بالاقبال وان جعل الاثابة مسندا الى الرسول فانما فعل ذلك ليسليهم وينفس عنهم لئلا يحزنوا على ما فاتهم من نصر الله ولا على ما أصابهم من غلبة العدو وان جعلت الباء بمعنى مع فالمعنى كاف قول الزجاج أو المراد انكم قلتم لو بقينا في هذا المكان وامتثلنا وقعنا في غم فوت الغنيمة فاعلموا انكم لما خالفتم أمر الرسول وطلبتم الغنيمة وقعتم في غموم أخر كل واحد منها أعظم من ذلك فيصير هذا مانعا لهم من أن يحزنوا على فوات الغنيمة في وقعة أخرى ثم كما زجرهم على تلك المعصية بزاجر دنيوي زجرهم بزاجر أخروي فقال

اياه وطاعتهم له فيما أمرهم ونهاهم ويعلمهم الكتاب والحكمة يعني ويعلمهم كتاب الله الذي أنزله عليه ويبين لهم تأويله ومعانيه والحكمة ويعني بالحكمة السنة التي سنها الله جل ثناؤه للمؤمنين على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيانه لهم وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين يعني ان كانوا من قبل أن منّ الله عليهم بارساله رسوله الذي هذه صفته لفي ضلال مبين يقول في جهالة جهلاء وفي حيرة عن الهدى عمياء لا يعرفون حقا ولا يبطلون باطلا وقد بينا أصل الضلالة فيما مضى وأنه الاخذ على غير هدى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع والمبين الذي يبين لمن تأمله بعقله وتدبره بفهمه أنه على غير استقامة ولا هدى وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لقد منّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم منّ الله عليهم من غير دعوة ولا رغبة من هذه الامة جعله الله رحمة لهم ليخرجهم من الظلمات الى النور ويهديهم الى صراط مستقيم قوله ويعلمهم الكتاب والحكمة الحكمة السنة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ليس والله كما تقول أهل حروراء محنة غالبة من أخطأها أهريق دمه ولكن الله بعث نبيه صلى الله عليه وسلم الى قوم لا يعلمون فعلمهم والى قوم لا أدب لهم فأدبهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لقد منّ الله على المؤمنين الى قوله لفي ضلال مبين أي لقد منّ الله عليكم يا أهل الايمان اذ بعث فيكم رسولا من أنفسكم يتلو عليكم آياته ويزكيكم فيما أخذتم وفيما عملتم ويعلمكم الخير والشر لتعرفوا الخير فتعملوا به والشر فتتقوه ويخبركم برضاه عنكم اذا أطعتموه لتستكثروا من طاعته وتجتنبوا ما سخط منكم من معصيته فتتخلصوا بذلك من نقمته وتدركوا بذلك ثوابه من جنته وان كنتم من قبل لفي ضلال مبين أي في عمياء من الجاهلية لا تعرفون حسنة ولا تستغيثون من سيئة صم عن الحق عمي عن الهدى ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم ان الله على كل شئ قدير) يعني تعالى ذكره بذلك أوحين أصابتكم أيها المؤمنون مصيبة وهي القتلى الذين قتلوا منهم يوم أحد والجرحى الذين جرحوا منهم بأحد وكان المشركون قتلوا منهم يومئذ سبعين نفرا قد أصبتم مثليها يقول قد أصبتم أنتم أيها المؤمنون من المشركين مثلي هذه المصيبة التي أصابوا هم منكم وهي المصيبة التي أصابها المسلمون من المشركين ببدر وذلك أنهم قتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين قلتم أنى هذا يعني قلتم لما أصابتكم مصيبتكم بأحد أنى هذا من أي وجه هذا ومن أين أصابنا هذا الذي أصابنا ونحن مسلمون وهم مشركون وفينا نبي الله صلى الله عليه وسلم يأتيه الوحي من السماء وعدونا أهل كفر بالله وشرك قل يا محمد للمؤمنين بك من أصحابك هو من عند أنفسكم يقول قل لهم أصابكم هذا الذي أصابكم من عند أنفسكم بخلافكم أمري وترككم طاعتي لا من عند غيركم ولا من قبل أحد سواكم ان الله على كل شئ قدير يقول ان الله على جميع ما أراد بخلقه من عفو وعقوبة وتفضل وانتقام قدير يعني ذو قدرة ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله قل هو من عند أنفسكم بعد اجماع جميعهم على أن تأويل سائر الآية على ما قلنا في ذلك من التأويل فقال بعضهم تأويل ذلك قل هو من عند أنفسكم بخلافكم على نبي الله صلى الله عليه وسلم اذ أشار عليكم بترك الخروج الى عدوكم والاصحار لهم حتى يدخلوا عليكم مدينتكم ويصيروا بين آطامكم فأبيتم ذلك عليه وقلتم اخرج بنا اليهم حتى نصحر لهم فنقاتلهم خارج المدينة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد

عن

(والله خبير بما تعملون) عالم بجميع أعمالكم وقصودكم ودواعيكم فيجازيكم بحسب ذلك ثم أخبر أن الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد فريقان أحدهما الجازمون بحقية هذا الدين وأن هذه الواقعة لا تؤدي الى الاستئصال لاخبار الصادق أن هذا الدين سيظهر على سائر الاديان فخاطب الجماعة بقوله (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا) وأراد هؤلاء بقوله (يغشى طائفة منكم) والأمنة مصدر كالأمن ومثله من المصادر العظمة والغلبة والنعاس فتور في أوائل النوم وانتصاب أمنة على أنها حال متقدمة من نعاسا مثل رأيت راكبا رجلا أو مفعول له بمعنى نعستم أمنة أو على أنه حال من المخاطبين بمعنى ذوي أمنة أو على أنه جمع آمن كبار وبررة أو على أنه مفعول أنزل ونعاسا بدل منه قال أبو طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافنا فكان السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه وما أحد الا ويميل تحت حجفته وعن الزبير كنت مع الرسول صلى الله عليه وسلم حين اشتد الخوف فأرسل الله علينا النوم والله اني لأسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني يقول لو كان لنا من الأمر شئ ما قتلنا ههنا وعن ابن مسعود النعاس في القتال أمنة والنعاس في الصلاة من الشيطان وذلك أنه في القتال لا يكون الا من غاية الوثوق بالله والفراغ عن الدنيا ولا يكون في الصلاة الا من غاية البعد عن الله وكان في ذلك النعاس فوائد منها أن شموله للمؤمنين كلهم لا في الوقت المعتاد معجزة ظاهرة جديدة له صلى الله عليه وسلم موجبة لزيادة وثوقهم بان الله ينجز وعده وينصرهم فيزداد جدهم واجتهادهم في الجهاد ومنها أن الارق والسهر يوجبان الفتور والكلال والنعاس يجدد القوة والنشاط ومنها اشتغالهم عن مشاهدة قتل الاعزة والأحبة ومنها أن الاعداء كانوا حراصا متهالكين في قتلهم فبقاؤهم سالمين في تلك المعركة وهم في النوم من أدل الدلائل على أن حفظ الله وكلاءته معهم ومن الناس من زعم أن ذكر النعاس ههنا كناية عن غاية الامن وهذا صرف اللفظ

عن قتادة قوله أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا أصيبوا يوم أحد قتل منهم سبعون يومئذ وأصابوا مثليها يوم بدر قتلوا من المشركين سبعين وأسروا سبعين قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوم أحد حين قدم أبو سفيان والمشركون فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه انا في جنة حصينة يعني بذلك المدينة فدعوا القوم أن يدخلوا علينا نقاتلهم فقال له ناس من أصحابه من الانصار يا نبي الله انا نكره أن نقتل في طرق المدينة وقد كنا نمتنع في الغزو في الجاهلية فبالاسلام أحق أن نمتنع فيه فابرز بنا الى القوم فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبس لامته فتلاوم القوم فقالوا عرّض نبي الله صلى الله عليه وسلم بأمر وعرّضتم بغيره اذهب يا حمزة فقل لنبي الله صلى الله عليه وسلم أمرنا لأمرك تبع فأتى حمزة فقال له يا نبي الله ان القوم قد تلاوموا وقالوا أمرنا لأمرك تبع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليس لنبي اذا لبس لأمته أن يضعها حتى يناجز وانه ستكون فيكم مصيبة قالوا يا نبي الله خاصة أو عامة قال سترونها ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم رأى في المنام ان بقرا تنحر فتأولها قتلا في أصحابه ورأى أن سيفه ذا الفقار انقصم فكان قتل عمه حمزة قتل يومئذ وكان يقال له أسد الله (١) ورأى أن كبشا أغبر فتأوله كبش الكتيبة عثمان بن أبي طلحة أصيب يومئذ وكان معه لواء المشركين حدثت عن عمار عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بنحوه غير أنه قال قد أصبتم مثليها يقول مثلي ما أصيب منكم قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم يقول بما عصيتم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال أصيب المسلمون يوم أحد مصيبة وكانوا قد أصابوا مثليها يوم بدر ممن قتلوا وأسروا فقال الله عز وجل أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عمر بن عطاء عن عكرمة قال قتل المسلمون من المشركين يوم بدر سبعين وأسروا سبعين وقتل المشركون يوم أحد من المسلمين سبعين فذلك قوله قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا اذ نحن مسلمون نقاتل غضبا لله وهؤلاء مشركون قل هو من عند أنفسكم عقوبة لكم بمعصيتكم النبي صلى الله عليه وسلم حين قال ما قال حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن مبارك عن الحسن أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم قالوا فانما أصابنا هذا لأنا قبلنا الفداء يوم بدر من الاسارى وعصينا النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد فمن قتل منا كان شهيدا ومن بقي منا كان مطهرا رضينا بالله ربا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن مبارك عن الحسن وابن جريج قالا معصيتهم أنه قال لهم لا تتبعوهم يوم أحد فاتبعوهم حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي ثم ذكر ما أصيب من المؤمنين يعني بأحد وقتل منهم سبعون انسانا أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها كانوا يوم بدر أسروا سبعين رجلا وقتلوا سبعين قلتم أنى هذا أي من أين هذا قل هو من عند أنفسكم انكم عصيتم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها يقول انكم أصبتم من المشركين يوم بدر مثلي ما أصابوا منكم يوم أحد حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ثم ذكر المصيبة التي أصابتهم فقال أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم أي ان تك قد أصابتكم مصيبة في اخوانكم فبذنوبكم قد أصبتم مثليها (٣) قتلا من عدوكم في اليوم الذي كان قبله ببدر قتلى

(١) الذي في السير ورأيت أني مردف كبشا فلعل فيه سقطا أو زيادة من الناسخ تأمل كتبه مصححه

عن ظاهره من غير ضرر ورده مع أن فيه ابطال الفوائد والحكم المذكورة واعلم أن من قرأ تغشى بالتاء فللعود الى الامنة ويؤيده أن الامنة مقصودة بالذات والنعاس مقصود بالعرض ولانها متبوع وانه تابع ومن قرأ بالياء فللعود الى النعاس وينصره كونه أقرب وكون المبدل منه في حكم المنحى وموافقته لقوله في قصة بدر اذ يغشاكم النعاس ولان العرب تقول غشيه النعاس وقلما يقولون غشيه الأمن ولان النعاس والأمنة لما كانا شيأ واحدا كان التذكير أولى وأما الفريق الثاني فهم المنافقون الذين كانوا في شك من نبوته صلى الله عليه وسلم وما حضروا الا لطلب الغنيمة كعبد الله بن أبي ومعتب بن قشير ونظرائهم فأخبر عنهم بقوله (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم) ما بهم الا هم أنفسهم لا هم الدين ولا هم النبي ولا المسلمين. والهم الامر الشديد ويقال أهمه ذلك الامر أي أقلقه وأحزنه فالمعنى أوقعتهم أنفسهم وما حل بهم في الهموم والأشجان (١) منهم بسبب التشكك وعدم الثبات والتحقيق فيه ان الانسان اذا اشتد اشتغاله بالشيء واستغراقه فيه صار غافلا عما سواه فلما كان أحب الاشياء عندهم هو النفس وكانت أسباب الخوف على النفس هنالك موجودة والدافع لذلك وهو الوثوق بنصر الله ووعده غير حاصل لهم فلم يكن لهم هنالك الا هم أنفسهم (يظنون بالله غير الحق) وهو في حكم المصدر أي غير الظن الحق الذي يجب أن يظن به و (ظن الجاهلية) بدل منه والفائدة في هذا الترتيب أن غير الحق أديان كثيرة وأرداها مقالات أهل الجاهلية فذكر أولا أنهم يظنون بالله ظنا باطلا ثم بين أنهم اختاروا من الاديان أرذلها كما يقال فلان دينه ليس بحق دينه دين الملاحدة أو ظن الجاهلية مصدر وغير الحق تأكيد ليظنون كقولك هذا القول غير ما تقول وظن الجاهلية كقولك حاتم الجود ورجل صدق مما أضيف للملابسة أي الظن المختص بالملة الجاهلية وهي زمان الفترة قبل الاسلام

(١) عبارة الكشاف فهم في التشاكي والتباث وهي واضحة اهـ

أو أي يظن أهل الجاهلية وهم أهل الشرك الجاهلون بالله فالجاهلية مصدر كالعالمية والقادرية قيل ان ذلك الظن هو أنهم كانوا ينكرون الاله العالم بكل المعلومات القادر على كل المقدورات وينكرون النبوة والمعاد فلا جرم ما وثقوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله

وأسرى ونسيتم معصيتكم وخلافكم ما أمركم به نبيكم صلى الله عليه وسلم انكم أحللتم ذلك بأنفسكم ان الله على كل شيء قدير أي ان الله على كل ما أراد بعباده من نقمة أو عفو قدير حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها الآية يعني بذلك أنكم أصبتم من المشركين يوم بدر مثلي ما أصابوا منكم يوم أحد * وقال بعضهم بل تأويل ذلك قل هو من عند أنفسكم باساركم المشركين يوم بدر وأخذكم منهم الفداء وترككم قتلهم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن فضيل عن أشعث بن سوار عن ابن سيرين عن عبيدة قال أسر المسلمون من المشركين سبعين وقتلوا سبعين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختاروا أن تأخذوا منهم الفداء فتتقووا به على عدوكم وان قبلتموه قتل منكم سبعون أو تقتلوهم فقالوا بل نأخذ الفدية منهم ويقتل منا سبعون قال فأخذوا الفدية منهم وقتلوا منهم سبعين قال عبيدة وطلبوا الخيرتين كلتيهما حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا ابن عون عن ابن سيرين عن عبيدة أنه قال في أسارى بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم قالوا بل نأخذ الفداء فنستمتع به ويستشهد منا بعدتهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني اسمعيل عن ابن عون عن محمد عن عبيدة السلماني * وحدثني حجاج عن جرير عن محمد عن عبيدة السلماني عن علي قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يا محمد ان الله قد كره ما صنع قومك في أخذهم الاسارى وقد أمرك أن تخيرهم بين أمرين أن يقدموا فتضرب أعناقهم وبين أن يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عدتهم قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فذكر ذلك لهم فقالوا يا رسول الله عشائرنا واخواننا لا بل نأخذ فداءهم فنتقوى به على قتال عدونا ويستشهد منا عدتهم فليس في ذلك ما نكره قال فقتل منهم يوم أحد سبعون رجلا عدة أسارى أهل بدر ۞ القول في تأويل قوله (وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا) يعني تعالى ذكره بذلك والذي أصابكم يوم التقى الجمعان وهو يوم أحد حين التقى جمع المسلمين والمشركين ويعني بالذي أصابهم ما نال من القتل من قتل منهم ومن الجراح من جرح منهم فباذن الله يقول فهو باذن الله كان يعني بقضائه وقدره فيكم وأجاب ما بالفاء لان ما حرف جزاء وقد بينت نظير ذلك فيما مضى قبل وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا يعني وليعلم الله المؤمنين وليعلم الذين نافقوا أصابكم ما أصابكم يوم التقى الجمعان أحد ليميز أهل الايمان بالله ورسوله المؤمنين منكم من المنافقين فيعرفونهم لا يخفى عليهم أمر الفريقين وقد بينا تأويل قوله وليعلم المؤمنين فيما مضى وما وجه ذلك بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وبنحو ما قلنا في ذلك قال ابن اسحق حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين أي ما أصابكم حين التقيتم أنتم وعدوكم فباذني كان ذلك حين فعلتم ما فعلتم بعد أن جاءكم نصري وصدقتم وعدي ليميز بين المنافقين والمؤمنين وليعلم الذين نافقوا منكم أي ليظهروا ما فيهم ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون) يعني تعالى ذكره بذلك عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق وأصحابه الذين رجعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه حين سار نبي الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين بأحد

يقويهم وينصرهم وقيل الظن هو أنهم كانوا يقولون لو كان محمد حقا لم يسلط الله الكفار عليه وهذا ظن فاسد أما عند أهل السنة فلانه تعالى فاعل لما يشاء ولا اعتراض لأحد عليه واذا شرف المولى عبده بخلعة لم يجب أن يشرفه بأخرى وأما عند من يعتبر المصالح في أفعاله وأحكامه فلا يبعد أن يكون في التخلية بين الكافر والمسلم وغير ذلك من المصائب حكم خفية ولو كان كون المؤمن محقا يوجب زوال المصائب عنه لاضطر الناس الى معرفة الحق وكان ينافي التكاليف واستحقاق الثواب والعقاب وانما يعرف كون الانسان محقا بالدلائل والبينات ولا يجوز الاستدلال بالدولة والشوكة ووفور القوة والمال والجاه على حقية صاحبها والله أعلم (يقولون هل لنا من الامر من شيء) حكاية شبهة تمسك بها أهل النفاق فاستفهموا عنها على سبيل الانكار وانما يحتمل وجوها أحدها هل لنا من التدبير من شيء يعنون رأى عبد الله بن أبي وان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبل قوله حين أمره أن يسكن في المدينة ولا يخرج منها ونظيره ما حكى عنه لو أطاعونا ما قتلوا وثانيها من عادة العرب أنه اذا كانت الدولة لاحد قالوا له الامر واذا كانت لعدوه قالوا عليه الامر أي هل لنا من الامر الذي كان يعدنا به محمد وهو النصر والقدرة شيء وثالثها أنطمع أن يكون لنا الغلبة على هؤلاء والغرض منه تعيير المسلمين على التشدد في الجهاد لقتالهم فأمره الله تعالى أن يجيب عنها بقوله (قل ان الامر كله لله) والحوادث بأسرها مستندة الى قضائه وقدره فاذا كان قدر الخروج الى الكفار واختصاص جمع من الصحابة بالشهادة فلا مفر من ذلك واذا أراد اعلاء كلمة الاسلام واظهار هذا الدين

لقتالهم فقال لهم المسلمون تعالوا قاتلوا المشركين معنا أو ادفعوا بتكثيركم سوادنا فقالوا لو نعلم أنكم تقاتلون لسرنا معكم اليهم ولكنا معكم عليهم ولكن لا نرى أنه يكون بينكم و بين القوم قتال فابدوا من نفاق أنفسهم ما كانوا يكتمونه وأبدوا بألسنتهم بقولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم غير ما كانوا يكتمونه و يخفونه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل الايمان به كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ومحمد بن يحيى ابن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا كلهم قد حدث قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني حين خرج الى أحد في ألف رجل من أصحابه حتى اذا كانوا بالشوط بين أحد والمدينة انخزل عنهم عبد الله بن أبي ابن سلول بثلث الناس فقال أطاعهم فخرج وعصاني والله ما ندري علام نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس فرجع بمن اتبعه من الناس من قومه من أهل النفاق وأهل الريب واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام أخو بني سلمة يقول يا قوم أذكركم الله أن تخذلوا نبيكم وقومكم عند ما حضر من عدوهم فقالوا لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ولكنا لا نرى أن يكون قتال فلما استعصوا عليه وأبوا الا الانصراف عنهم قال أبعدكم الله أعداء الله فسيغني الله عنكم ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا يعني عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه الذين رجعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار الى عدوه من المشركين بأحد وقوله لو نعلم قتالا لاتبعناكم يقول لو نعلم أنكم تقاتلون لسرنا معكم ولدفعنا عنكم ولكن لا نظن أن يكون قتال فظهر منهم ما كانوا يخفون في أنفسهم يقول الله عز وجل هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان وليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون أي يخفون حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني يوم أحد في ألف رجل وقد وعدهم الفتح ان صبروا فلما خرجوا رجع عبد الله بن أبي ابن سلول في ثلثمائة فتبعهم أبو جابر السلمي يدعوهم (١) فلما غلبوه وقالوا له ما نعلم قتالا ولئن أطعتنا لترجعن معنا قال فذكر الله أصحاب عبد الله بن أبي ابن سلول وقول عبد الله أبي جابر بن عبد الله الانصاري حين دعاهم فقالوا ما نعلم قتالا ولئن أطعتمونا لترجعن معنا فقال الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرؤا عن أنفسكم الموت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال عكرمة قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم قال نزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول قال ابن جريج وأخبرني عبد الله بن كثير عن مجاهد لو نعلم قتالا قال لو نعلم أنا واجدون معكم قتالا لو نعلم مكان قتال لاتبعناكم * واختلفوا في تأويل قوله أو ادفعوا فقال بعضهم معناه أو كثروا فانكم اذا كثرتم دفعتم القوم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي أو ادفعوا يقول أو كثروا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج أو ادفعوا قال بكثرتكم العدو وان لم يكن قتال * وقال آخرون معنى ذلك أو رابطوا ان لم تقاتلوا ذكر من قال ذلك حدثنا

(١) قوله فلما غلبوه الخ شرط وجوابه قال والمقول محذوف ولعل أصله قال أبعدكم الله الخ كما ذكره في السابق فاختصره لذلك كتبه مصححه

على الأديان وقع لامحالة (يخفون في أنفسهم) في ضمائرهم أو فيما بينهم (ما لا يبدون لك) وذلك المخفي قولهم (لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا) أي لو كان هذا الدين حقا لما سلط الله الكفار على من يذب عنه ولما قتل (١١١) من المسلمين من قتل في هذه المعركة فأمر الله تعالى نبيه أن يجيبهم بقوله (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم) وهي مصارعهم التي قتلوا فيها لان ما كتب الله في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم لخرج منكم من كتب الله عليهم أن يقتلوا في المصارع المعلومة حتى يوجد ما علم الله وجوده وقيل معناه لو تخلفتم أيها المنافقون عن الجهاد لخرج المؤمنون الذين كتب الله عليهم قتال الكفار الى مصارعهم ولم يتخلفوا عن هذه الطاعة بسبب تخلفكم على أن البروز الى هذه المصارع لا يخلو عن الفوائد وذلك قوله (وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم) خص الابتلاء بما في الصدور والتمحيص بما في القلوب اما لاختلاف العبارة واما لأن الابتلاء محله القلب الذي في الصدر والتمحيص مورده الهيئات والعقائد التي في القلب واعلم أن نسق هذه الآية أنسق ونظمه عجب أما نسقه فقوله وطائفة مبتدأ وأهمتهم صفته ويظنون خبره ويحتمل أن يكون خبره محذوفا أي وثمة أو ومنهم طائفة أهمتهم ويظنون صفة أخرى أو حال بمعنى أهمتهم أنفسهم ظانين أو استئناف على وجه البيان للجملة قبلها و يقولون بدل من يظنون أو بيان له وابتداع وقوع القول الذي مقوله انشاء بدلا من الاخبار بالظن لأن سؤالهم كان صادرا عن الظن ويخفون حال من يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال فمن قرأ كله بالرفع فلانه مبتدأ ولله خبره والجملة خبر ان . ومن قرأ بالنصب فلكونه تأكيدا للامر ولله خبر ان كما لو قلت ان الامر أجمع لله وقوله يقولون استئناف وقوله وليبتلي تقدم ذكره في الوقوف وأما نظمه فانه لما أخبر عن هذه الطائفة بأنهم يظنون ظن الجاهلية فسر ذلك الظن بأنهم يقولون هل لنا من الامر من شيء لان هذا القول لا يصدر الا عمن كان ظانا بل شاكا.

اسمعيل بن حفص الأملي وعلي بن سهل الرملي قالا ثنا الوليد بن مسلم قال ثنا عتبة بن ضمرة قال سمعت أبا عون الأنصاري في قوله قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قال رابطوا وأما قوله والله أعلم بما يكتمون فانه يعني به والله أعلم من هؤلاء المنافقين الذين يقولون للمؤمنين لو نعلم قتالا لاتبعناكم بما يضمرون في أنفسهم للمؤمنين ويكتمونه فيسترونه من العداوة والشنآن وأنهم لو علموا قتالا ما تبعوهم ولا دافعوا عنهم وهو تعالى ذكره محيط بما يخفونه من ذلك مطلع عليه ومحصيه عليهم حتى يهتك أستارهم في عاجل الدنيا فيفضحهم به ويصليهم به الدرك الأسفل من النار في الآخرة ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرؤا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين) يعني تعالى ذكره بذلك وليعلم الله الذين نافقوا الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا فموضع الذين نصب على الابدال من الذين نافقوا وقد يجوز أن يكون رفعا على الترجمة عما في قوله يكتمون من ذكر الذين نافقوا فمعنى الآية وليعلم الله الذين قالوا لاخوانهم الذين أصيبوا مع المسلمين في حربهم المشركين باحد يوم أحد فقتلوا هنالك من عشائرهم وقومهم وقعدوا يعني وقعد هؤلاء المنافقون القائلون ما قالوا انما أخبر الله عز وجل عنهم من قيلهم عن الجهاد مع اخوانهم وعشائرهم في سبيل الله لو أطاعونا يعني لو أطاعنا من قتل بأحد من اخواننا وعشائرنا ما قتلوا يعني ما قتلوا هنالك قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء القائلين هذه المقالة من المنافقين فادرؤا يعني فادفعوا من قول القائل درأت عن فلان القتل بمعنى دفعت عنه أدرؤه درأ ومنه قول الشاعر

تقول وقد درأت لها وضيني ۞ أهذا دينه أبدا وديني

يقول تعالى ذكره قل لهم فادفعوا ان كنتم أيها المنافقون صادقين في قيلكم لو أطاعنا اخواننا في ترك الجهاد في سبيل الله مع محمد صلى الله عليه وسلم وقتالهم أبا سفيان ومن معه من قريش ما قتلوا هنالك بالسيف ولكانوا أحياء بقعودهم معكم وتخلفهم عن محمد صلى الله عليه وسلم وشهود جهاد أعداء الله معه الموت فانكم قد قعدتم عن حربهم وقد تخلفتم عن جهادهم وأنتم لا محالة ميتون كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق الذين قالوا لاخوانهم الذين أصيبوا معكم من عشائرهم وقومهم لو أطاعونا ما قتلوا الآية أي انه لا بد من الموت فان استطعتم أن تدفعوه عن أنفسكم فافعلوا وذلك أنهم انما نافقوا وتركوا الجهاد في سبيل الله حرصا على البقاء في الدنيا وفرارا من الموت ذكر من قال الذين قالوا لاخوانهم هذا القول هم الذين قال الله فيهم وليعلم الذين نافقوا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا الآية ذكر لنا أنها نزلت في عدو الله عبد الله بن أبي حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قال هم عبد الله بن أبي وأصحابه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال هو عبد الله بن أبي الذي قعد وقال لاخوانه الذين خرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد لو أطاعونا ما قتلوا الآية قال ابن جريج عن مجاهد قال قال جابر بن عبد الله هو عبد الله بن أبي ابن سلول حدثت عن عمار عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا الآية قال نزلت في عدو الله عبد الله بن أبي ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله) يعني تعالى ذكره ولا تحسبن ولا تظنن كما حدثنا ابن حميد قال

ثنا

في حقيقة هذا الدين وفي المبدأ والمعاد وفي القضاء والقدر فأزال ذلك الظن بقوله قل ان الامر كله لله بيده الاماتة والاحياء والفقر والاغناء والسراء والضراء ثم لما كان سؤالهم ذلك مظنة أن يكون سؤال المؤمنين المسترشدين لا المعاندين المنكرين أراد أن يكشف عن حالهم ويبين مقالهم كيلا يغتر به المؤمنون فقال (يخفون في أنفسهم مالا يبدون لك) أي ذلك القول انما صدر عنهم في هذه الحالة فكان لسائل أن يسأل ما الذي يخفونه في أنفسهم فقيل (يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا) وقدمر تفسيره ويحتمل أن يراد لو كان لنا رأي مطاع لم نخرج من المدينة فلم نقتل ههنا فيكون كالطعن في قوله قل ان الأمر كله لله قال في التفسير الكبير هذا بعينه هو المناظرة الدائرة بين السني والمعتزلي فذلك يقول الطاعة والعصيان والكفر والايمان من الله وهذا يقول الانسان مختار مستقل ان شاء آمن وان شاء كفر فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يجيب عن هذا الاعتقاد بأن ما قضى الله فهو كائن والحذر لا يرد القدر والتدبير لا يبطل التقدير وان شئتم المصالح ففائدته الابتلاء وهو أن يتميز الموافق عن المنافق كما في المثل لا تكرهوا الفتن فانها حصاد المنافقين وتطهير القلوب عن وساوس الشبهات وتبعات المعاصي والسيئات ثم قال (والله عليم بذات الصدور) صاحبتها وهي الأسرار والضمائر ليعلم أن ابتلاءه ليس لانه يخفى عليه شيء وانما ذلك لمحض الالهية أو للاستصلاح قوله عز من قائل (ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان) يعني يوم أحد وذكر محمد بن اسحق أن ثلث الناس كانوا مجروحين وثلثهم انهزموا وثلثهم ثبتوا ومن المنهزمين من ورد المدينة وكان أولهم سعد بن عثمان أخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل ثم بعده رجال ودخلوا على نسائهم وجعل النساء يقلن أعن رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرون وكن يحثين التراب في وجوههم ويقلن هاك المغزل اغزل وقال بعض الرواة ان المسلمين لم يعدوا الجبل قال القفال الذي تدل عليه الاخبار في الجملة

ثنا سلمة عن ابن اسحق ولا تحسبن ولا تظنن وقوله الذين قتلوا فى سبيل الله يعنى الذين قتلوا بأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمواتا يقول ولا تحسبنهم يا محمد أمواتا لا يحسون شيأ ولا يلتذون ولا يتنعمون فانهم أحياء عندى متنعمون فى رزقى فرحون مسرورون بما آتيتهم من كرامتى وفضلى وحبوتهم به من جزيل ثوابى وعطائى كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق * وحدثنى يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال ثنا اسمعيل بن عياش عن ابن اسحق عن اسمعيل بن أمية عن أبى الزبير المكى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصيب اخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن مقيلهم قالوا يا ليت اخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا فى الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله عز وجل أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الآيات حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير بن عبد الحميد * وحدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قالا جميعا ثنا محمد بن اسحق عن الاعمش عن أبى الضحى عن مسروق بن الأجدع قال سألنا عبد الله ابن مسعود عن هذه الآيات ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله الآية قال أما انا قد سألنا عنها فقيل لنا انه لما أصيب اخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب فى ظل العرش فيطلع الله اليهم اطلاعة فيقول يا عبادى ما تشتهون فأزيدكم فيقولون ربنا لا فوق ما أعطيتنا الجنة نأكل منها حيث شئنا ثلاث مرات ثم يطلع فيقول يا عبادى ما تشتهون فأزيدكم فيقولون ربنا لا فوق ما أعطيتنا الجنة نأكل منها حيث شئنا الا أنا نختار أن ترد أرواحنا فى أجسادنا ثم ترد الى الدنيا فنقاتل فيك حتى نقتل فيك مرة أخرى حدثنا الحسن بن يحيى العبدى قال ثنا وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن الاعمش عن أبى الضحى عن مسروق قال سألنا عبد الله عن هذه الآية ثم ذكر نحوه وزاد فيه انى قد قضيت أن لا ترجعوا حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن ابى عدى عن شعبة عن سليمن عن عبد الله ابن مرة عن مسروق قال سألنا عبد الله عن أرواح الشهداء ولولا عبد الله ما أخبرنا به أحد قال أرواح الشهداء عند الله فى أجواف طير خضر فى قناديل تحت العرش تسرح فى الجنة حيث شاءت ثم ترجع الى قناديلها فيطلع اليها ربها فيقول ماذا تريدون فيقولون نريد أن نرجع الى الدنيا فنقتل مرة أخرى حدثنا أبو كريب قال ثنا عبد الرحيم بن سليمن وعبدة بن سليمن عن محمد بن اسحق عن الحرث بن فضيل عن محمود بن لبيد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهداء على بارق نهر بباب الجنة فى قبة خضراء وقال عبدة فى روضة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا حدثنا أبو كريب وأنبأنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحق قال ثنى الحرث بن فضيل عن محمود بن لبيد عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله الا أنه قال فى قبة خضراء وقال يخرج عليهم فيها حدثنا ابن وكيع وأنبأنا ابن ادريس عن محمد ابن اسحق قال ثنى الحرث بن فضيل عن محمود بن لبيد عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال محمد بن اسحق وحدثنى الحرث بن الفضيل الانصارى عن محمود بن لبيد الانصارى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهداء على بارق نهر بباب الجنة فى قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة

أن نفرا قليلا تولوا وأبعدوا فمنهم من دخل المدينة ومنهم من ذهب الى سائر الجوانب وأما الاكثرون فانهم نزلوا عند الجبل واجتمعوا هنالك ومن المنهزمين عمر الا أنه لم يكن فى أوائل المنهزمين ولم يبعد بل ثبت على الجبل الى أن صعد النبى صلى الله عليه وسلم ومنهم أيضا عثمان انهزم هو ومع رجلان من الانصار يقال لهما سعد وعقبة انهزموا حتى بلغوا موضعا بعيدا ثم رجعوا بعد ثلاثة أيام فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم لقد ذهبتم فيها عريضة وأما الذين ثبتوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم فكانوا أربعة عشر رجلا سبعة من المهاجرين أبو بكر وعلى وعبد الرحمن بن عوف وسعد ابن أبى وقاص وطلحة بن عبيد الله وأبو عبيدة بن الجراح والزبير بن العوّام وسبعة من الانصار الحباب ابن المنذر وأبو دجانة وعاصم بن ثابت والحرث بن الصمة وسهل بن حنيف وأسيد بن حضير وسعد بن معاذ وذكر أن ثمانية من هؤلاء كانوا بايعوه يومئذ على الموت ثلاثة من المهاجرين على وطلحة والزبير وخمسة من الانصار أبو دجانة والحرث بن الصمة وحباب بن المنذر وعاصم بن ثابت وسهل بن حنيف ثم لم يقتل منهم أحد وروى ابن عيينة أنه أصيب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو من ثلاثين كلهم يجىء ويجثو بين يديه ويقول وجهى لوجهك الفداء وعليك السلام غير مودع (انما استزلهم الشيطان) تقول زلت يا فلان تزل زليلا اذا زل فى طين أو منطق والاسم الزلة واستزله غيره كأنه طلب منه الزلة ودعاه اليها والباء فى (ببعض ما كسبوا) للاستعانة مثلها فى كتبت بالقلم والمعنى أنه كان قد صدر عنهم جنايات فبواسطة تلك الجنايات قدر الشيطان على استزلالهم فى التولى وعلى هذا التقدير ففيه وجوه قال الزجاج انهم لم يتولوا على جهة المعاندة ولا على جهة الفرار من الزحف رغبة منهم فى الدنيا وانما ذكرهم الشيطان ذنوبا كانت لهم فكرهوا لقاء الله الا على حال يرضونها والا بعد الاخلاص فى التوبة فهذا خاطر خطر ببالهم وكانوا مخطئين

فيه وقيل انهم لما أذنبوا بسبب مفارقة المركز أوقعهم الشيطان بشؤم تلك المعصية فى الهزيمة وقيل كانت لهم ذنوب قد تقدمت فبشؤمها قدر الشيطان على دعائهم الى التولى لان الذنب (١١٤) يجر الى الذنب كما أن الطاعة تجر الى الطاعة وتكون لطفا فيها وانما قال ببعض ما كسبوا لأن الكسب قد يكون خيرا كقوله لها ما كسبت أو لان جميع الذنوب لا يؤاخذ بها الله تعالى كقوله وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وقال الحسن استزلهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة ويحتمل أن تكون الباء بمعنى فى أى السبب فى توليهم أنهم كانوا أطاعوا الشيطان فى بعض الأعمال إما قبل هذه الغزوة وإما فيها كالفشل والتنازع والتحول عن المركز وطلب الغنيمة فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعتهم التأييد وتقوية القلوب حتى تولوا وعلى هذا التقدير لا يكون الفعل المسند الى استزلال الشيطان فيه هو التولى وانما يكون أعمالا أخر اما فى هذه الغزوة أو قبلها (ولقد عفا الله عنهم) فيه بيان أنهم ما كفروا وما تركوا دينهم لان العفو عن الكفر لا يجوز بقى البحث فى أنه أى ذنب هو والظاهر أنه التولى لان التوبيخ وقع عليه والآية سيقت لاجله ثم انه من الصغائر أو من الكبائر قالت المعتزلة كلاهما محتمل لكنه ان كان من الصغائر فلا حاجة الى اضمار التوبة وان كان من الكبائر فلا بد من اضمار توبتهم وان كانت غير مذكورة فى الآية قال القاضى الاقرب انه من الصغائر لانه لا يكاد يقال فى الكبائر انها زلة ولانهم ظنوا أن الهزيمة لما وقعت على المشركين لم يبق فى ثباتهم حاجة فلا جرم تحولوا لطلب الغنيمة والخطأ فى الاجتهاد ليس من الكبائر وقالت الاشاعرة انه من الكبائر لانهم خالفوا النص وحيث عفا عنه من غير ذكر التوبة والاصل عدم الاضمار غلب على الظن أن العفو عن الكبائر واقع من غير شرط فى

ثم ندب الى المؤمنين ما يزيد رغبتهم فى الجهاد فقال (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا) قيل انه عام وقيل يعنى المنافقين وقيل منافق

وعشيا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى أيضا يعنى اسمعيل بن عياش عن ابن اسحق عن الحرث بن الفضيل عن محمود بن لبيد عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال محمد بن اسحق وحدثنى بعض أصحابى عن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبى طالب قال سمعت جابر بن عبد الله يقول قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أبشرك يا جابر قال قلت بلى يا رسول الله قال ان أباك حيث أصيب باحد أحياه الله ثم قال له ما تحب يا عبد الله بن عمرو أن أفعل بك قال يارب أحب أن تردنى الى الدنيا فأقاتل فيك فأقتل مرة أخرى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذكر لنا أن رجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا ليتنا نعلم ما فعل اخواننا الذين قتلوا يوم أحد فأنزل الله تبارك وتعالى فى ذلك القرآن ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون كنا نحدث أن أرواح الشهداء تعارف فى طير بيض تأكل من ثمار الجنة وان مساكنهم السدرة حدثت عن عمار وأنبأنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بنحوه الا أنه قال تعارف فى طير خضر وبيض وزاد فيه أيضا وذكر لنا عن بعضهم فى قوله ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء قال هم قتلى بدر وأحد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن محمد بن قيس بن مخرمة قال قالوا يارب ألا رسول لنا يخبر النبى صلى الله عليه وسلم عنا بما أعطيتنا فقال الله تبارك وتعالى أنا رسولكم فأمر جبريل عليه السلام أن يأتى بهذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله الآيتين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال سألنا عبد الله عن هذه الآيات ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون قال أرواح الشهداء عند الله كطير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح فى الجنة حيث شاءت قال فاطلع اليهم ربك اطلاعة فقال هل تشتهون من شئ فأزيدكموه قالوا ربنا ألسنا نسرح فى الجنة فى أيها شئنا ثم اطلع عليهم الثالثة فقال هل تشتهون من شئ فأزيدكموه قالوا تعيد أرواحنا فى أجسادنا فنقاتل فى سبيلك مرة أخرى فسكت عنهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عطاء بن السائب عن أبى عبيدة عن عبد الله أنهم قالوا فى الثالثة حين قال لهم هل تشتهون من شئ فأزيدكموه قالوا تقرئ نبينا عنا السلام وتخبره أن قد رضينا ورضى عنا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال قال الله تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يرغب المؤمنين فى ثواب الجنة ويهون عليهم القتل ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون أى قد أحييتهم فهم عندى يرزقون فى روح الجنة وفضلها مسرورين بما آتاهم الله من ثوابه على جهادهم عنه حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك قال كان المسلمون يسألون ربهم أن يريهم يوما كيوم بدر يبلون فيه خيرا ويرزقون فيه الشهادة ويرزقون فيه الجنة والحياة فى الرزق فلقوا المشركين يوم أحد فاتخذ الله منهم شهداء وهم الذين ذكرهم الله فقال ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا الآية حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال ذكر الشهداء فقال ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم الى قوله ولا هم يحزنون زعم أن أرواح الشهداء فى أجواف طير خضر فى قناديل من ذهب معلقة بالعرش فهى ترعى بكرة وعشية فى الجنة تبيت

يوم أحد كعبد الله بن أبى وأصحابه وفيه دليل على أن الايمان ليس عبارة عن مجرد الاقرار باللسان كما يقوله الكرامية والالم يسم المنافق كافرا (وقالوا لاخوانهم) أى لاجل اخوانهم مثل وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وذلك أنهم قالوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا والميت والمقتول لا يكلم وعلى تقدير فرض التكلم كان المناسب أن لو قيل لو كنتم عندنا ما متم وما قتلتم ومعنى الاخوة اشتراك النسب فلعل المقتولين كانوا أقارب المنافقين وان كانوا مسلمين أو اتفاق الجنس فلعل بعض المنافقين صار مقتولا فى بعض الغزوات والضرب فى الارض الابعاد فيها للتجارة وغيرها والغزو قصد محاربة العدو وقريبا كان أو بعيدا والفاعل غاز والجمع غزى مثل سابق وسبق وراكع وركع وانما قال اذا ضربوا دون اذ ضربوا أو حين ضربوا ليشاكل فى المعنى قوله وقالوا لانه أراد حكاية الحال الماضية والمعنى أن اخوانهم اذا ضربوا فى الارض فالكافرون يقولون لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فمن أخبر عنهم بعد ذلك لابد أن يقول قالوا ويجوز أن يكون قالوا فى تقدير يقولون لكنه وقع التعبير عنه بلفظ الماضى لانه لازم الحصول فى المستقبل مثل أتى أمر الله وفيه دلالة على أن جدهم واجتهادهم فى تقرير هذه الشبهة قد بلغ الغاية فكأن هذا المستقبل كالكائن الواقع ويمكن أن يقال عبر عن المستقبل بلفظ الماضى ليعلم أن المقصود الاخبار عن جدهم واجتهادهم فى تقرير هذه الشبهة وقال قطرب كلمة اذ واذا يجوز اقامة كل منهما مقام الاخرى وهذا وان لم يوجد له فى كلام العرب نظير لكن القرآن أولى ما يستشهد به وهو حجة على غيره وليس غيره حجة عليه قال الواحدى فى الكلام محذوف والتقدير اذا ضربوا فى الارض فماتوا أو كانوا غزى فقتلوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا وأما اللام فى قوله (ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم) ففى متعلقه وجهان الاول انه قالوا أى قالوا ذلك الكلام واعتقدوه ليجعل الله

فى القناديل فاذا اسرحن نادى مناد ماذا تريدون ماذا تشتهون فيقولون ربنا نحن فيما اشتهت أنفسنا فيسألهم ربهم أيضا ماذا تشتهون وماذا تريدون فيقولون نحن فيما اشتهت أنفسنا فيسألون الثالثة فيقولون ما قالوا ولكنا نحب أن تردأرواحنا فى أجسادنا لما يرون من فضل الثواب حدثنا ابن حميد قال ثنا عباد قال ثنا ابراهيم بن معمر عن الحسن قال مازال ابن آدم يتحمد حتى صار حيا ما يموت ثم تلا هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون حدثنا محمد بن مرزوق قال ثنا عمر بن يونس قال ثنا اسحق بن أبى طلحة قال ثنى أنس بن مالك فى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم الذين أرسلهم نبى الله صلى الله عليه وسلم الى أهل بئر معونة قال لا أدرى أربعين أو سبعين قال وعلى ذلك الماء عامر بن الطفيل الجعفرى فخرج أولئك النفر من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم حتى أتوا غارا مشرفا على الماء فقعدوا فيه ثم قال بعضهم لبعض أيكم يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل هذا الماء فقال أراه أبو ملحان الانصارى أنا أبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج حتى أتى حيا منهم فاحتبى أمام البيوت ثم قال يا أهل بئر معونة انى رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم انى أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فآمنوا بالله ورسوله فخرج اليه رجل من كسر البيت برمح فضربه به فى جنبه حتى خرج من الشق الآخر فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة فاتبعوا أثره حتى أتوا أصحابه فقتلهم أجمعين عامر بن الطفيل قال قال اسحق حدثنى أنس بن مالك أن الله تعالى أنزل فيهم قرآنا رفع بعد ما قرأناه زمانا وأنزل الله ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون حدثنا يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك قال لما أصيب الذين أصيبوا يوم أحد من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم لقوا ربهم فأكرمهم فأصابوا الحياة والشهادة والرزق الطيب قالوا ياليت بيننا وبين اخواننا من يبلغهم أنا لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا فقال الله تبارك وتعالى أنا رسولكم الى نبيكم واخوانكم فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون الى قوله ولاهم يحزنون فهذا النبأ الذى بلغ الله رسوله والمؤمنين ما قال الشهداء وفى نصب قوله فرحين وجهان أحدهما أن يكون منصوبا على الخروج من قوله عند ربهم والآخر من قوله يرزقون ولو كان رفعا بالرد على قوله بل أحياء فرحون كان جائزا ۞ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوف عليهم ولاهم يحزنون) يعنى بذلك تعالى ذكره ويفرحون عن لم يلحق بهم من اخوانهم الذين فارقوهم وهم أحياء فى الدنيا على مناهجهم من جهاد أعداء الله مع رسوله لعلمهم بأنهم ان استشهدوا فلحقوا بهم صاروا من كرامة الله الى مثل الذى صاروا هم اليه فهم لذلك مستبشرون بهم فرحون أنهم اذا صاروا كذلك لا خوف عليهم ولاهم يحزنون يعنى بذلك لا خوف عليهم لانهم قد أمنوا عقاب الله وأيقنوا برضاه عنهم فقد أمنوا الخوف الذى كانوا يخافونه من ذلك فى الدنيا ولاهم يحزنون على ما خلفوا وراءهم من أسباب الدنيا ونكد عيشها للخفض الذى صاروا اليه والدعة والزلفة ونصب أن لا بمعنى يستبشرون لهم بأنهم لا خوف عليهم ولاهم يحزنون وبنحو ما قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الآية يقول لاخوانهم الذين فارقوهم على دينهم

وأمرهم لما قدموا عليه من الكرامة والفضل والنعيم الذى أعطاهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الآية قال يقول اخواننا يقتلون كما قتلنا يلحقونا فيصيبون من كرامة الله تعالى ما أصبنا حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع ذكر لنا عن بعضهم فى قوله ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون قال هم قتلى بدر وأحد زعموا أن الله تبارك وتعالى لما قبض أرواحهم وأدخلهم الجنة جعلت أرواحهم فى طير خضر ترعى فى الجنة وتأوى الى قناديل من ذهب تحت العرش فلما رأوا ما أعطاهم الله من الكرامة قالوا ليت اخواننا الذين بعدنا يعلمون ما نحن فيه فاذا شهدوا قتالا تعجلوا الى ما نحن فيه فقال الله تعالى انى منزل على نبيكم ومخبر اخوانكم بالذى أنتم فيه ففرحوا به واستبشروا وقالوا يخبر الله نبيكم واخوانكم بالذى أنتم فيه فاذا شهدوا قتالا أتوكم قال فذلك قوله فرحين بما آتاهم الله من فضله الى قوله أجر المؤمنين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أى ويسرون بلحوق من لحق بهم من اخوانهم على ما مضوا عليه من جهادهم ليشركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذى أعطاهم وأذهب الله عنهم الخوف والحزن حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم قال هم اخوانهم من الشهداء ممن يستشهد من بعدهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون حتى بلغ وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى أما يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم فان الشهيد يؤتى بكتاب فيه من يقدم عليه من اخوانه وأهله فيقال يقدم عليك فلان يوم كذا وكذا ويقدم عليك فلان يوم كذا وكذا فيستبشر حين يقدم عليه كما يستبشر أهل الغائب بقدومه فى الدنيا ۞ القول فى تأويل قوله (يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين) يقول جل ثناؤه يستبشرون يفرحون بنعمة من الله يعنى بما حباهم به تعالى ذكره من عظيم كرامته عند ورودهم عليه وفضل يقول وبما أسبغ عليهم من الفضل وجزيل الثواب على ما سلف منهم من طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وجهاد أعدائه وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق يستبشرون بنعمة من الله وفضل الآية لما عاينوا من وفاء الموعود وعظيم الثواب واختلف القراء فى قراءة قوله وان الله لا يضيع أجر المؤمنين فقرأ ذلك بعضهم بفتح الالف من أن بمعنى يستبشرون بنعمة من الله وفضل وبأن الله لا يضيع أجر المؤمنين وبكسر الالف على الاستئناف واحتج من قرأ ذلك كذلك بأنها فى قراءة عبد الله وفضل والله لا يضيع أجر المؤمنين قالوا فذلك دليل على أن قوله وان الله مبتأنف غير متصل بالاول ومعنى قوله لا يضيع أجر المؤمنين لا يبطل جزاء أعمال من صدق رسوله واتبعه وعمل بما جاءه من عند الله وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ ذلك وأن الله بفتح الالف لاجماع الحجة من القراء على ذلك ۞ القول فى تأويل قوله (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم) يعنى بذلك جل ثناؤه وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين المستجيبين لله والرسول من بعد ما أصابهم الجراح والكلوم وانما عنى الله تعالى ذكره بذلك الذين تبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حمراء الاسد فى طلب العدو وأبى سفيان ومن كان معه من مشركى قريش منصرفهم عن أحد وذلك أن أبا سفيان لما انصرف عن أحد خرج

ذلك الكلام حسرة فتكون لام العاقبة كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وكيف استعقب ذلك القول حصول الحسرة فيه وجوه فقيل لان أقارب ذلك المقتول اذا سمعوا هذا الكلام تخيلوا أنهم لو بالغوا فى منعه عن ذلك السفر أو الغزو لم يمت أو لم يقتل فازدادت حسرتهم وتلهفهم بسبب أنهم قصروا فى منعه بخلاف المسلم المعتقد فى أن الحياة والموت لا يكونان الا بتقدير الله فانه لا يحصل له شئ من هذا النوع من الاسف وقيل لانهم اذا ألقوا هذه الشبهة الى اخوانهم تثبطوا عن الجهاد فاذا نال المسلمون فى الجهاد غنيمة بقى أولئك المتخلفون فى الخيبة والندامة وقيل المراد حسرتهم يوم القيامة اذا رأوا ثواب المجاهدين وقيل المقصود خيبتهم عن ترويج شبهتهم بعد ما أعلم الله المؤمنين بطلانها وقيل الغرض أن جدهم واجتهادهم فى تكثير الشبهات يقسى قلوبهم ويضيق صدورهم فيقعون لذلك فى الحيرة والحسرة ❊ الوجه الثانى أن متعلق اللام قوله لا تكونوا وذلك اشارة الى ما دل عليه النهى أى لا تكونوا مثلهم ليجعل الله ذلك الانتفاء انتفاء كونكم مثلهم حسرة لان مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون مما يغمهم ويغيظهم (والله يحيى ويميت) رد لجهالتهم وجواب عن مقالتهم أى الامر بيده والخلق له فقد يحيى المسافر والغازى ويميت المقيم والقاعد فعلى المكلف أن يتلقى أوامره بالامتثال فالله أعلم بحقيقة الاحوال ولا يجرى الامور الا على وفق امضائه وأحكامه ونقضه وابرامه وكل ميسر لما خلق له عن خالد بن الوليد أنه قال عند موته ما فى موضع شبر الا وفيه ضربة أو طعنة وها أنا ذا أموت كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء وفى أمثالهم الشجاع موقى والجبان ملقى وكان على يقول ان لم تقتلوا تموتوا والذى نفسى بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش ويجوز أن يكون المراد والله يحيى قلوب أوليائه بنور اليقين والعرفان ويميت قلوب أعدائه بظلمة الشك والخذلان (والله بما تعملون بصير) فلا تكونوا أمثالهم ومن قرأ على الغيبة فالضمير للذين

كفروا و يكون وعيدا لهم ثم انه لما كذب الكافرين فى قولهم لاخوانهم لو كانوا عندنا ماماتوا وماقتلوا ونهى المؤمنين عن كونهم مثلهم لانه بسبب التقاعد عن الجهاد وينفر الطبع عنه رغبهم فيه بقوله (ولئن قتلتم فى سبيل الله (١١٧) أو متم لمغفرة من الله ورحمة) شئ من مغفرته ورحمته (خير مما يجمعون) فاللام الاولى هى الموطئة والثانية لام جواب القسم المقدر وكذا فى الآية الاخرى والمعنى أن القتل والموت فى السفر غير لازم الحصول لان ذلك منوط بالقدر لا بالسفر ولئن سلم أنه لازم فانه يستعقب المغفرة ويستجلب الرحمة من الله وان ذلك خير مما تجمعون من الدنيا ومافيها لو لم تموتوا وعن ابن عباس خير من طلاع الارض ذهبة حمراء ومن قرأ بالياء فالضمير للكفار لان الذى يجمعونه فى الدنيا قد يكون من باب الحلال الذى يعد خيرا أو ورد على حسب معتقدهم ان أموالهم خيرات لهم وانما كانت المغفرة والرحمة خيرا من المال لان المال الذى يجمع لاجل الغد قد يموت صاحبه قبل الغد وان لم يمت فلعل المال لا يبقى فى الغد فكم من أمير أصبح أسيرا وعلى تقدير بقاء المال وبقاء صاحبه الى الغد فلعل مانعا من مرض أو خوف يمنعه عن الانتفاع به وبتقدير عدم المانع فلذات الدنيا مشوبة بالآلام ومنافعها مخلوطة بالمضار وبتقدير صفائها عن الشوائب فلابد لها من الزوال والانقطاع ومنافع الآخرة أصفى وأضفى وأبقى وأنقى ولاسيما منافعها العقلية وأى نسبة لانتفاع الحمار بلذة قبقبه فذبذبه الى ابتهاج الملائكة المقربين بشروق أنوار العزة عليهم ثم رغبهم بنوع آخر فقال (ولئن متم أو قتلتم لالى الله تحشرون) كأنه قيل ان تركتم الجهاد وتم لكم الاحتراز عن الموت أو القتل بقيتم اياما قلائل فى الدنيا مع اللذات الحسيسة الحسية والخيالية فتركتموها لا محالة فتكون لذاتها لغيركم وتبعاتها عليكم ولو أعرضتم عن اللذات الفانية وبذلتم النفس والمال فى دين الله وصلتم الى أعلى الدرجات وهى مقام العندية وانما قدم القتل على الموت فى الآية

رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أثره حتى بلغ حمراء الاسد وهى على ثمانية أميال من المدينة ليرى الناس أن به وأصحابه قوة على عدوهم كالذى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثنى حسان بن عبد الله عن عكرمة قال كان يوم أحد السبت النصف من شوال فلما كان الغد من يوم أحد يوم الاحد لست عشرة ليلة مضت من شوال أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس بطلب العدو وأذن مؤذنه أن لا يخرجن معنا أحد الا من حضر يومنا بالامس فكلمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام فقال يا رسول الله ان أبى كان خلفنى على أخوات لى سبع وقال لى يابنى انه لا ينبغى لى ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ولست بالذى أوثرك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسى فتخلف على أخواتك فتخلفت عليهن فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه وانما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو وليبلغهم أنه خرج فى طلبهم ليظنوا به قوة وأن الذى أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال فحدثنى عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبى السائب مولى عائشة بنت عثمان أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى عبد الأشهل كان شهد أحدا قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا أنا وأخ لى فرجعنا جريحين فلما أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج فى طلب العدو قلت لأخى أو قال لى أتفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والله مالنا من دابة نركبها ومامنا الا جريح ثقيل فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت أيسر جرحا منه فكنت اذا غلب حملته عقبة ومشى عقبة حتى انتهينا الى ما انتهى اليه المسلمون فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى الى حمراء الاسد وهى من المدينة على ثمانية أميال فأقام بها ثلاثا الاثنين والثلاثاء والاربعاء ثم رجع الى المدينة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال فقال الله تبارك وتعالى الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح أى الجراح وهم الذين ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد من يوم أحد الى حمراء الاسد على ما بهم من ألم الجراح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح الآية وذلك يوم أحد بعد القتل والجراح وبعدما انصرف المشركون أبو سفيان وأصحابه فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه ألا عصابة تشد لامر الله تطلب عدوها فانه أنكى للعدو وأبعد للسمع فانطلق عصابة منهم على ما يعلم الله تعالى من الجهد حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى انطلق أبو سفيان منصرفا من أحد حتى بلغ بعض الطريق ثم انهم ندموا وقالوا بئسما صنعتم انكم قتلتموهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم ارجعوا واستأصلوهم فقذف الله فى قلوبهم الرعب فهزموا فأخبر الله رسوله فطلبهم حتى بلغ حمراء الاسد ثم رجعوا من حمراء الاسد فأنزل الله جل ثناؤه فيهم الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال ان الله جل وعز قذف فى قلب أبى سفيان الرعب يعنى يوم أحد بعد ما كان منه ما كان فرجع الى مكة فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان أبا سفيان قد أصاب منكم طرفا وقد رجع وقذف الله فى قلبه الرعب وكانت وقعة أحد فى شوال وكان التجار يقدمون المدينة فى ذى القعدة فينزلون ببدر الصغرى فى كل سنة مرة وانهم قدموا بعد وقعة أحد وكان أصاب المؤمنين القرح واشتكوا ذلك الى نبى الله صلى الله عليه

وسلم واشتد عليهم الذى أصابهم وان رسول الله ندب الناس لينطلقوا معه ويتبعوا ما كانوا متبعين وقال انما يرتحلون الآن فيأتون الحج ولا يقدرون على مثلها حتى عام مقبل فجاء الشيطان يخوف أولياءه فقال ان الناس قد جمعوا لكم فأبى عليه الناس أن يتبعوه فقال انى ذاهب وان لم يتبعنى أحد لاحضض الناس فانتدب معه أبو بكر الصديق وعمر وعثمان وعلى والزبير وسعد وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وأبو عبيدة بن الجراح فى سبعين رجلا فساروا فى طلب أبى سفيان فطلبوه حتى بلغوا الصفراء فأنزل الله تعالى الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هاشم بن القاسم قال ثنا أبو سعيد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت لعبد الله بن الزبير يا ابن أختى أما والله ان أباك وجدك تعنى أبا بكر والزبير لمن قال الله تعالى فيهم الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرت أن أبا سفيان بن حرب لما راح هو وأصحابه يوم أحد قال المسلمون للنبى صلى الله عليه وسلم انهم عامدون الى المدينة فقال ان ركبوا الخيل وتركوا الاثقال فانهم عامدون الى المدينة وان جلسوا على الاثقال وتركوا الخيل فقد أرعبهم الله وليسوا بعامديها فركبوا الاثقال فرعبهم الله ثم ندب ناسا يتبعونهم ليروا أن بهم قوة فاتبعوهم ليلتين أو ثلاثا فنزلت الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح **حدثنى** سعيد بن الربيع قال ثنا سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه قال قالت لى عائشة ان كان أبواك لمن الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح تعنى أبا بكر والزبير **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم قال كان عبد الله من الذين استجابوا لله والرسول فوعد تعالى ذكره محسن من ذكرنا أمره من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح اذا اتقى الله فخافه فأدى فرائضه وأطاعه فى أمره ونهيه فيما يستقبل من عمره أجرا عظيما وذلك الثواب الجزيل والجزاء العظيم على ما قدم من صالح أعماله فى الدنيا

❁ القول فى تأويل قوله (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) يعنى تعالى ذكره وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم والذين فى موضع خفض مردود على المؤمنين وهذه الصفة من صفة الذين استجابوا لله والرسول والناس الاول هم قوم فيما ذكر لنا كان أبو سفيان سألهم أن يثبطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين خرجوا فى طلبه بعد منصرفه عن أحد الى حمراء الاسد والناس الثانى هم أبو سفيان وأصحابه من قريش الذين كانوا معه بأحد يعنى بقوله قد جمعوا لكم قد جمعوا الرجال للقائكم والكرة اليكم لحربكم فاخشوهم يقول فاحذروهم واتقوا لقاءهم فانه لا طاقة لكم بهم فزادهم ايمانا يقول فزادهم ذلك من تخويف من خوفهم أمر أبى سفيان وأصحابه من المشركين يقينا الى يقينهم وتصديقا لله ولوعده ووعد رسوله الى تصديقهم ولم يثنهم ذلك عن وجههم الذى أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسير فيه ولكن ساروا حتى بلغوا رضوان الله منه وقالوا ثقة بالله وتوكلا عليه اذ خوفهم من خوفهم أبا سفيان وأصحابه من المشركين حسبنا الله ونعم الوكيل يعنى بقوله حسبنا الله كفانا الله يعنى يكفينا الله ونعم الوكيل يقول ونعم المولى لمن وليه وكفله وانما وصف تعالى نفسه بذلك لان الوكيل فى كلام العرب هو المسند

اليه

الاولى وعكس فى الثانية ليقع الابتداء والختم على ماهو أفضل أو لأن الآية الاولى سيقت لبيان فضل الجهاد والقتل فى سبيله فقدم ماهو الأغلب من حال المجاهدين الذين يفارقون الدنيا وهو القتل والثانية سيقت لبيان أن حشر الخلائق كلهم اليه بأى وجه يفارقون الدنيا ولاشك أن الغالب على أحوال الخلق كلهم الموت ولهذا السر أطلق القتل اطلاقا ليعم أنواع القتل كلها وفى قوله لالى الله تحشرون لطائف منها تقديم الجار على الفعل لافادة الحصر وأنهم لايحشرون الى غيره وأنه لاحكم لأحد فى ذلك اليوم إلا له ومنها تخصيص اسم الله بالذكر ليدل على كمال اللطف والقهر فهو لدلالته على كمال اللطف أعظم أنواع الوعد ولدلالته على كمال القهر أشد أنواع الوعيد ومنها ادخال لام التوكيد القسمى فى الحرف المتصل باسم الله تنبيها على أن الالهية تقتضى هذا الحشر لحكمة المجازاة ومنها بناء تحشرون على المفعول تعويلا على ماهو مركوز فى العقول من أنه هو الذى يبدئ ويعيد لاقدرة على الاعادة لأحد غيره ومنها أنه أضاف حشرهم الى غيرهم ليعلم أنهم أحياء كانوا أو أمواتا لايخرجون عن قبضته ومنها أنه خاطب الكل ليعلم أن القاتل والمقتول والظالم والمظلوم والقاعد والمجاهد كلهم فى بساط العدل وفضاء القضاء موقوفون واعلم أنه تعالى ذكر فى الآيتين المغفرة والرحمة والحشر اليه فالاول اشارة الى من يعبده خوفا من عقابه والثانى اشارة الى من يعبده طمعا فى ثوابه والثالث اشارة الى من يعبده لانه يستحق العبادة فهم أهل الحشر الى الله لا الى ثوابه ولا الى ازالة عقابه وما أحسن هذا النسق يروى أن عيسى صلى الله عليه وسلم مر بأقوام نحفت أبدانهم واصفرت وجوههم ورأى عليهم سيما الطاعة فقال ماذا تطلبون فقالوا نخشى عذاب الله فقال هو أكرم من أن لا يخلصكم من عذابه ثم مر بآخرين فرأى عليهم تلك الآثار فسألهم فقالوا نطلب الجنة والرحمة فقال هو أكرم من أن يمنعكم رحمته ثم مر بقوم ثالث ورأى عليهم سمات العبودية أكثر فسألهم فقالوا

اليه القيام بأمر من أسند اليه القيام بأمره فلما كان القوم الذين وصفهم الله عما وصفهم به في هذه الآيات قد كانوا فوّضوا أمرهم الى الله ووثقوا به وأسندوا ذلك اليه وصف نفسه بقيامه لهم بذلك وتفويضهم أمرهم اليه بالوكالة فقال ونعم الوكيل الله تعالى لهم واختلف أهل التأويل في الوقت الذى قال من قال لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الناس قد جمعوا لكم فقال بعضهم قيل ذلك لهم في وجههم الذى خرجوا فيه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد الى حمراء الاسد في طلب أبي سفيان ومن معه من المشركين ذكر من قال ذلك وذكر السبب الذى من أجله قيل ذلك ومن قائله حدثنا محمد بن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن عبد الله بن أبي بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم قال مر به يعني برسول الله صلى الله عليه وسلم معبد الخزاعي بحمراء الاسد وكانت خزاعة مسلمهم ومشركهم عيبة نصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة صفقتهم معه لايخفون عليه شيأ كان بها ومعبد يومئذ مشرك فقال والله يا محمد أما والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك ولوددنا أن الله كان أعفاك فيهم ثم خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من حمراء الاسد حتى لقى أباسفيان بن حرب ومن معه بالروحاء قد أجمعوا الرجعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقالوا أصبنا في أحد أصحابه وقادتهم وأشرافهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم لنكرن على بقيتهم فلنفرغن منهم فلما رأى أبوسفيان معبدا قال ما وراءك يا معبد قال محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا فيهم من الحنق عليكم بشئ لم أر مثله قط قال ويلك ما تقول قال والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل قال فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأ صل بقيتهم قال فانى أنهاك عن ذلك فوالله لقد حملني ما رأيت على أن قلت فيه أبياتا من شعر قال وما قلت قال قلت

كادت تهد من الاصوات راحلتي * اذ سالت الارض بالجرد الابابيل

تردى بأسد كرام لاتنابلة * عند اللقاء ولا ميل معازيل

فظلت عدوا أظن الارض مائلة * لما سموا برئيس غير مخذول

فقلت ويل ابن حرب من لقائكم * اذا تغطمطت البطحاء بالخيل

انى نذير لاهل البسل ضاحية * لكل ذى اربة منهم ومعقول

من جيش أحمد لا وخش تنابلة * وليس يوصف ما أنذرت بالقيل

قال فثنى ذلك أباسفيان ومن معه ومر به ركب من عبد القيس فقال أين تريدون قالوا نريد المدينة قال ولم قالوا نريد الميرة قال فهل أنتم مبلغون عنى محمدا رسالة أرسلكم بها وأحمل لكم ابلكم هذه غدا زبيبا بعكاظ اذا وافيتموها قالوا نعم قال فاذا جئتموه فاخبروه انا قد أجمعنا السير اليه والى أصحابه لنستاصل بقيتهم فمر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الاسد فأخبروه بالذى قال أبوسفيان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبنا الله ونعم الوكيل حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال فقال الله الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل والناس الذين قال لهم ما قالوا النفر من عبد القيس الذين قال لهم أبوسفيان ما قال ان أباسفيان ومن معه راجعون اليكم يقول الله تبارك وتعالى فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء الآية حدثنا محمد قال ثنا أحمد بن مفضل قال

نعبده لانه الهنا ونحن عبيده لا لرهبة ولا لرغبة فقال أنتم العبيد المخلصون والمتعبدون المحقون قال القاضي في الآية دليل على أن المقتول ليس بميت والا كان قوله ولئن متم أو قتلتم عطفا للشئ على نفسه قلت لا ولكنه عطف الأخص على الأعم ثم انه سبحانه لما أرشدهم في الآيات المتقدمة الى ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم وكان من جملة ذلك أن عفا عنهم زاد في الفضل والاحسان بأن مدح الرسول صلى الله عليه وسلم حين عفا عنهم وترك التغليظ عليهم في انهزامهم روى أن امرأة عثمان دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم وعلى يغسلان السلاح فقالت ما فعل عثمان أما والله لاتجدونه امام القوم فقال لها على ألا ان عثمان فضح الذمار اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مه وروى أنه قال حينئذ أعياني أزواج الأخوات أن يتحابوا ولما دخل عثمان مع صاحبيه ما زاد على أن قال لقد ذهبتم فيها عريضة وعنه أنه قال انما أنا لكم مثل الوالد لولده فاذا ذهب أحدكم الى الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها وقال صلى الله عليه وسلم لاحلم أحب الى الله من حلم امام ورفقه ولا جهل أبغض الى الله من جهل امام وخرقه فلما كان صلى الله عليه وسلم امام العالمين وجب أن يكون أكثرهم حلما وأحسنهم خلقا لان الغرض من البعثة وهو التزام التكاليف لا يتم الا اذا مالت قلوب الامة اليه وسكنت نفوسهم لديه ورأوا فيه آثار الشفقة وأمارات النصيحة وعن بعض الصحابة أنه قال لقد أحسن الله الينا كل الاحسان كنا مشركين فلو جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الدين جملة وبالقرا ن دفعة لثقلت هذه التكاليف علينا فما كنا ندخل في الاسلام ولكنه دعانا الى كلمة واحدة فلما قبلناها وعرفنا حلاوة الايمان قبلنا ما وراءها كلمة بعد كلمة على سبيل الرفق الى أن تم هذا الدين وكملت هذه الشريعة واعلم أن من عرف سر الله في القدر هانت عليه المصائب فانه يعلم أن الحوادث الارضية كلها مستندة الى الاسباب الالهية فيعلم أن

الحذر لا يدفع القدر فلاجرم اذا فاته مطلوب له لم يغضب واذا حصل له مطلوب لم يانس به لانه مطلع على الروحانيات التى هى أشرف من هذه الجسمانيات فلا ينازع أحدا فى هذا العالم فى طلب شئ من لذاتها وطيباتها ولا يغضب على شئ بسبب فوات شئ من مطالبها فيكون حسن الخلق طيب العشرة مع الخلق ولما كان صلى الله عليه وسلم أكمل البشر فى القوتين النظرية والعملية وقد بعث لتتمم مكارم الاخلاق وجب أن يكون أكمل الناس خلقا وذلك من فضل الله ورحمته على الناس كما قال (فبما رحمة من الله لنت لهم) وما مزيدة للتوكيد أما الحكم بزيادتها فالنظر الى أصل المعنى وعمل حرف الجر فيما بعدها فكأنه قال فبرحمة وأما افادتها التوكيد فلاستحالة زيادة حرف لافائدة فيه أصلا وجوز بعضهم أن تكون استفهامية للتعجب والتقدير فبأى رحمة وانما كان لينه ورفقه رحمة من الله لان الدواعى والقصود والارادات كلها بفعل الله تعالى فلا رحمة بالحقيقة الا له ولا رحيم الا هو لان كل رحيم سواه فانه يستفيد برحمته عوضا كالخوف من العقاب أو الطمع فى الثواب أو الثناء او يحمله على ذلك رقة طبع أو حمية او عصبية الى غير ذلك من الاغراض وأيضا رحمة المخلوق على غيره لن تتم ولن ينتفع بها المرحوم الا بعد مواتاة سائر الاسباب السماوية من سلامة الاعضاء وغيرها فلا رحمة الا باعانة الله وتوفيقه بربطه على جاش الراحم وضبطه حال المرحوم ثم بين أن الحكمة فى لين جانبه ما هى فقال (ولو كنت فظا) سئ الخلق وأصله فظظ كحذر فظظت يارجل بالكسر فظاظة (غليظ القلب) قاسيه بحيث لا يتأثر عن شئ يوجب الرقة والعطف (لانفضوا من حولك) لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك أحد والتركيب يدل على التفريق ومنه فض الختام و يقال لا يفضض الله فاك أى أسنانك ومنهم من حمل الآية على واقعة أحد فقال فبما رحمة من الله لنت لهم يوم أحد حين عادوا اليك بعد الانهزام ولو كنت فظا غليظ القلب تشافههم بالملامة على ذلك لانفضوا من حولك هيبة منك وحياء بسبب

تهوى

ثنا أسباط عن السدى قال لما ندموا يعنى أبا سفيان وأصحابه على الرجوع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقالوا ارجعوا فاستأصلوهم فقذف الله فى قلوبهم الرعب فهزموا فلقوا أعرابيا فجعلوا له جعلا فقالوا له ان لقيت محمدا وأصحابه فأخبرهم أنا قد جمعنا لهم فأخبر الله جل ثناؤه رسوله صلى الله عليه وسلم فطلبهم حتى بلغ حمراء الاسد فلقوا الاعرابى فى الطريق فأخبرهم الخبر فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ثم رجعوا من حمراء الاسد فانزل الله تعالى فيهم وفى الأعرابى الذى لقيهم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال استقبل أبو سفيان فى منصرفه من أحد عيرا واردة المدينة ببضاعة لهم وبينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم حبال فقال ان لكم علىّ رضا كم ان أنتم رددتم عنى محمدا ومن معه ان أنتم وجدتموه فى طلبى وأخبرتموه أنى قد جمعت له جموعا كثيرة فاستقبلت العير رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا له يا محمد انا نخبرك أن أبا سفيان قد جمع لك جموعا كثيرة وأنه مقبل الى المدينة وان شئت أن ترجع فافعل ولم يزده ذلك ومن معه الا يقينا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانزل الله تبارك وتعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصابة من أصحابه بعد ما انصرف أبو سفيان وأصحابه من أحد خلفهم حتى كانوا بذى الحليفة فجعل الأعراب والناس يأتون عليهم فيقولون لهم هذا أبو سفيان مائل عليكم بالناس فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانزل الله تعالى فيهم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل * وقال آخرون بل قال ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من قال ذلك له فى غزوة بدر الصغرى وذلك فى مسير النبى صلى الله عليه وسلم عام قابل من وقعة أحد للقاء عدوه أبى سفيان وأصحابه للموعد الذى كان واعده الالتقاء بها ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم قال هذا أبو سفيان قال لمحمد موعدكم بدر حيث قتلتم أصحابنا فقال محمد صلى الله عليه وسلم عسى فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم لموعده حتى نزل بدرا فوافقوا السوق فيها وابتاعوا فذلك قوله تبارك وتعالى فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء وهى غزوة بدر الصغرى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه وزاد فيه وهى بدر الصغرى قال ابن جريج لما عمد النبى صلى الله عليه وسلم لموعد أبى سفيان فجعلوا يلقون المشركين ويسألونهم عن قريش فيقولون قد جمعوا لكم يكيدونهم بذلك يريدون أن يرعبوهم فيقول المؤمنون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى قدموا بدرا فوجدوا أسواقها عافية لم ينازعهم فيها أحد قال وقدم رجل من المشركين وأخبر أهل مكة بخيل محمد عليه السلام وقال فى ذلك

نفرت قلوصى عن خيول محمد * وعجوة منثورة كالعنجد

* واتخذت ماء قديد موعدى *

«قال أبو جعفر» هكذا أنشدنا القاسم وهو خطأ وانما هو

قد نفرت من رفقتى محمد * وعجوة من يثرب كالعنجد

ما كان منهم فكان ذلك مما يطمع العدو فيك وفيهم وههنا دقيقة هي أن اللين والرفق انما يجوز اذا لم يفض الى اهمال حق من حقوق الله ولهذا أمر بالغلظة في قوله يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقال في اقامة حد الزنا ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ومثله أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين أشداء على الكفار رحماء بينهم فيعلم من المدح على اللين في موضع ومن الأمر بالغلظة في موضع آخر أن الفضيلة في الوسط وهو استعمال كل شيء في موضعه وأن طرفي الافراط والتفريط مذمومان ومنه المثل لا تكن حلوا فتسترط ولا مرا فتعقى واحتجت الاشاعرة بالآية في مسئلة القضاء والقدر وذلك أن حسن خلقه مع الخلق انما كان بسبب رحمة الله وهي عند المعتزلة عامة في حق جميع المكلفين فكل ما فعله مع محمد صلى الله عليه وسلم من الهداية والدعوة والبيان والارشاد فقد فعل مثل ذلك مع فرعون وهامان وأبي جهل وأبي لهب فلطف الله ورحمته مشترك بين أصفى الاصفياء وبين أشقى الاشقياء فلا يكون اختصاص بعضهم بحسن الخلق وكمال الطريقة مستفادا من رحمة الله وهذا خلاف نص الآية فاذن جميع أفعال العباد بقضاء الله وقدره والمعتزلة يحملون هذا على زيادة الالطاف واستبعده الاشاعرة لان كل ما كان ممكنا من الألطاف فقد فعله في حق كل المكلفين والذي يستحقه المكلف بناء على طاعته من مزيد الالطاف فذلك بالحقيقة كسب نفسه و يجب عندهم ايصاله اليه فلا يكون برحمة من الله ثم قال (فاعف عنهم) فيما يختص بك (واستغفر لهم) فيما يختص بحق الله اتماما للشفقة عليهم قيل في فاء التعقيب دلالة على أنه أوجب عليه أن يعفو عنهم في الحال كأنه تعالى قد عفا عنهم كأنه قيل اعف عنهم فاني قد عفوت عنهم قبل عفوك عنهم واستغفر لهم فاني قد غفرت لهم قبل أن تستغفر لهم وهذا من كمال رحمة الله بهذه الامة ثم قال (وشاورهم في الأمر) والمشاورة مأخوذة من قولهم شرت العسل أي اجتنيتها واستخرجتها من موضعها

تهوى على دين أبيها الأتلد * قد جعلت ماء قديد موعدي
* وماء ضجنان لها ضحى الغد *

حدثني الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة قال كانت بدر متجرا في الجاهلية فخرج ناس من المسلمين يريدونه ولقيهم ناس من المشركين فقالوا لهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فأما الجبان فرجع وأما الشجاع فاخذ الاهبة للقتال وأهبة التجارة وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فأتوهم فلم يلقوا أحدا فأنزل الله عز وجل فيهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم * قال ابن يحيى قال عبد الرزاق قال ابن عيينة وأخبرني زكريا عن الشعبي عن عبد الله بن عمرو قال هي كلمة ابراهيم صلى الله عليه وسلم حين ألقي في النار فقال حسبنا الله ونعم الوكيل * وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال ان الذي قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كان في حال خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخروج من خرج معه في أثر أبي سفيان ومن كان معه من مشركي قريش منصرفهم عن أحد الى حمراء الأسد لأن الله تعالى ذكره انما مدح الذين وصفهم بقيلهم حسبنا الله ونعم الوكيل لما قيل لهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم بعد الذي قد كان نالهم من القروح والكلوم بقوله الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ولم تكن هذه الصفة الا صفة من تبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جرحى أصحابه بأحد الى حمراء الاسد وأما الذين خرجوا معه الى غزوة بدر الصغرى فانه لم يكن فيهم جريح الا جريح قد تقادم اندمال جرحه وبرأ كلمه وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خرج الى بدر الخرجة الثانية اليها لموعد أبي سفيان الذي كان واعده اللقاء بها بعد سنة من غزوة أحد في شعبان سنة أربع من الهجرة وذلك أن وقعة أحد كانت في النصف من شوال من سنة ثلاث وخروج النبي صلى الله عليه وسلم لغزوة بدر الصغرى اليها في شعبان من سنة أربع ولم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم بين ذلك وقعة مع المشركين كانت بينهم فيها حرب جرح فيها أصحابه ولكن قد كان قتل في وقعة الرجيع من أصحابه جماعة لم يشهد أحد منهم غزوة بدر الصغرى وكانت وقعة الرجيع فيما بين وقعة أحد وغزوة النبي صلى الله عليه وسلم بدر الصغرى * القول في تأويل قوله (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) يعني جل ثناؤه بقوله فانقلبوا بنعمة من الله فانصرف الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح من وجههم الذي توجهوا فيه وهو سيرهم في أثر عدوهم الى حمراء الاسد بنعمة من الله يعني بعافية من ربهم لم يلقوا بها عدوا وفضل يعني أصابوا فيها من الارباح بتجارتهم التي اتجروا بها والاجر الذي اكتسبوه لم يمسسهم سوء يعني لم ينلهم بها مكروه من عدوهم ولا أذى واتبعوا رضوان الله يعني بذلك أنهم أرضوا الله بفعلهم ذلك واتباعهم رسوله الى ما دعاهم اليه من اتباع أثر العدو وطاعتهم والله ذو فضل عظيم يعني والله ذو احسان وطول عليهم بصرف عدوهم الذي كانوا قد هموا بالكرة اليهم وغير ذلك من أياديه عندهم وعلى غيرهم بنعمه عظيم عند من أنعم به عليه من خلقه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فانقلبوا بنعمة من الله وفضل قال والفضل ما أصابوا من التجارة والأجر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال وافقوا السوق فابتاعوا وذلك

قوله فانقلبوا بنعمة من الله وفضل قال الفضل ما أصابوا من التجارة والأجر قال ابن جريج ما أصابوا من البيع نعمة من الله وفضل أصابوا عفوه وعزته لا ينازعهم فيه أحد قال وقوله لم يمسسهم سوء قال قتل واتبعوا رضوان الله قال طاعة النبى صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق والله ذو فضل عظيم لما صرف عنهم من لقاء عدوهم حدثنا محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال أطاعوا الله وابتغوا حاجتهم ولم يؤذهم أحد فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قال أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى حين خرج الى غزوة بدر الصغرى ببدر دراهم ابتاعوا بها من موسم بدر فأصابوا تجارة فذلك قول الله فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله أما النعمة فهى العافية وأما الفضل فالتجارة والسوء القتل ۞ القول فى تأويل قوله (انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه) يعنى بذلك تعالى ذكره انما الذى قال لكم أيها المؤمنون ان الناس قد جمعوا لكم فخوفوكم بجموع عدوكم ومسيرهم اليكم من فعل الشيطان ألقاه على أفواه من قال ذلك لكم يخوفكم بأوليائه من المشركين أبى سفيان وأصحابه من قريش لترهبوهم وتجبنوا عنهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه يخوف والله المؤمن بالكافر ويرهب المؤمن بالكافر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه قال يخوف المؤمنين بالكفار حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه يقول الشيطان يخوف المؤمنين بأوليائه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه أى أولئك الرهط يعنى النفر من عبد القيس الذين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما قالوا وما ألقى الشيطان على أفواههم يخوف أولياءه أى يرهبكم بأوليائه حدثنى يونس قال أخبرنا على بن معبد عن عتاب ابن بشير مولى قريش عن سالم الأفطس فى قوله انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه قال يخوفكم بأوليائه ۞ وقال آخرون معنى ذلك انما ذلكم الشيطان يعظم أمر المشركين أيها المنافقون فى انفسكم فتخافونه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قال ذكر أمر المشركين وعظمهم فى أعين المنافقين فقال انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه يعظم أولياءه فى صدوركم فتخافونهم فان قال قائل وكيف قيل يخوف أولياءه وهل يخوف الشيطان أولياءه قيل ان كان معناه يخوفكم بأوليائه يخوف أولياءه قيل ذلك نظير قوله لينذر بأسا شديدا يعنى لينذركم بأسه الشديد وذلك أن البأس لا ينذر وانما ينذر به وقد كان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول معنى ذلك يخوف الناس أولياءه كقول القائل هو يعطى الدراهم ويكسو الثياب بمعنى هو يعطى الناس الدراهم ويكسوهم الثياب فحذف ذلك للاستغناء عنه وليس الذى شبه ذلك بمشبهه لان الدراهم فى قول القائل هو يعطى الدراهم معلوم ان المعطى هى الدراهم وليس كذلك الاولياء فى قوله يخوف أولياءه مخوفين بل التخويف من الاولياء لغيرهم فلذلك افترقا ۞ القول فى تأويل قوله (فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين) يقول فلا تخافوا أيها المؤمنون

وقيل من شرت الدابة شورا عرضتها على البيع أقبلت بها وأدبرت والمكان الذى تعرض فيه الدواب يسمى مشوارا يقال اياك والخطب فانها مشوار كثير العثار وتركيبه يدل على الاظهار (١٣٢) والكشف فبالمشاورة يظهر خير الامور وحسن الآراء وقد ذكر العلماء لامر الرسول بالمشاورة مع أنه أعلم الناس وأعقلهم فوائد منها انها توجب علو شأنهم ورفعة قدرهم وزيادة اخلاصهم ومحبتهم وفى ترك ذلك نوع من الاهانة والفظاظة وكان سادات العرب اذا لم يشاوروا فى الامر شق ذلك عليهم ومنها أن علوم الانسان متناهية فلا يبعد أن يخطر ببال أحد ما لم يخطر بباله ولاسيما فيما يتعلق بامور الدنيا ومنها قال الحسن وسفيان بن عيينة قد علم الله أنه ما به اليهم حاجة ولكنه أراد أن يستن به من بعده ومنها انه شاورهم فى وقعة أحد فاخطؤا فلو ترك مشاورتهم بعد ذلك لكان مظنة أنه قد بقى فى قلبه أثر من تلك الواقعة ومنها أن يظهر له مقادير عقولهم فينزلهم على قدر منازلهم ومنها أن تصير النفوس الطاهرة متطابقة على تحصيل أصلح الوجوه فيكون أعون على الظفر بالمقصود ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ما تشاور قوم قط الا هدوا لأرشد أمرهم وهذا هو السر فى الجماعات والجمعات ومنها انه تعالى ما أمر رسوله بالمشاورة قبل تلك الواقعة وأمره بها بعدها مع صدور المعصية عنهم ليعلم أنهم الآن أعظم حالا مما كانوا وأن عفوه أعظم من كل ذنب وأن الاعتماد على فضله وكرمه لا على العمل والطاعة ثم ان العلماء اتفقوا على أن كل ما نزل به وحى لم يجز للرسول ان يشاور الامة فيه لانه اذا جاء النص بطل الرأى والقياس كما قيل اذا جاء نهر الله بطل نهر عيسى وفيما وراء ذلك هل تجوز المشاورة فى كلها أم لا قال الكلبى وكثير من العلماء ان الامر بها مخصوص بالحرب لان اللام فى لفظ الامر ليس للاستغراق لخروج ما نزل فيه الوحى بالاتفاق فهو اذن لمعهود سابق وليس ذلك الا ما جرى من أمر الحرب فى قصة أحد وقد أشار الحباب بن المنذر يوم بدر على النبى صلى الله عليه وسلم بالنزول

المؤمنون المشركين ولا يعظمن عليكم أمرهم ولا ترهبوا جمعهم مع طاعتكم اياي ما أطعتموني واتبعتم أمري واني متكفل لكم بالنصر والظفر ولكن خافون واتقوا أن تعصوني وتخالفوا أمري فتهلكوا ان كنتم مؤمنين يقول ولكن خافوني دون المشركين ودون جميع خلقي أن تخالفوا أمري ان كنتم مصدقي رسولي وما جاءكم به من عندي ۞ القول في تأويل قوله (ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيأ) يقول جل ثناؤه ولا يحزنك يا محمد كفر الذين يسارعون في الكفر مرتدين على أعقابهم من أهل النفاق فانهم لن يضروا الله بمسارعتهم في الكفر شيأ كما أن مسارعتهم لو سارعوا الى الايمان لم تكن بنافعته كذلك مسارعتهم الى الكفر غير ضارته كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر يعني هم المنافقون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر أي المنافقون ۞ القول في تأويل قوله (يريد الله أن لا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم) يعني بذلك جل ثناؤه يريد الله أن لا يجعل لهؤلاء الذين يسارعون في الكفر نصيبا في ثواب الآخرة فلذلك خذلهم فسارعوا فيه ثم أخبر أنهم مع حرمانهم ما حرموا من ثواب الآخرة لهم عذاب عظيم في الآخرة وذلك عذاب النار وقال ابن اسحق في ذلك بما حدثني ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق يريد الله أن لا يجعل لهم حظا في الآخرة أن يحبط أعمالهم ۞ القول في تأويل قوله (ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيأ ولهم عذاب أليم) يعني بذلك جل ثناؤه المنافقين الذين تقدم الى نبيه صلى الله عليه وسلم فيهم أن لا يحزنه مسارعتهم الى الكفر فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء الذين ابتاعوا الكفر بايمانهم فارتدوا عن ايمانهم بعد دخولهم فيه ورضوا بالكفر بالله وبرسوله عوضا من الايمان لن يضروا الله بكفرهم وارتدادهم عن ايمانهم شيأ بل انما يضرون بذلك أنفسهم بايجابهم بذلك لها من عقاب الله ما لا قبل لها به وانما حث الله جل ثناؤه بهذه الآيات من قوله وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله الى هذه الآية عباده المؤمنين على اخلاص اليقين والانقطاع اليه في أمورهم والرضا به ناصرا وحده دون غيره من سائر خلقه ورغب بها في جهاد أعدائه وأعداء دينه وشجع بها قلوبهم وأعلمهم أن من وليه بنصره فلن يخذل ولو اجتمع عليه جميع من خالفه وحاده وأن من خذله فلن ينصره ناصر ينفعه نصره ولو كثرت أعوانه أو نصراؤه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ان الذين اشتروا الكفر بالايمان أي المنافقين لن يضروا الله شيأ ولهم عذاب أليم أي موجع حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال هم المنافقون ۞ القول في تأويل قوله (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين) يعني بذلك تعالى ذكره ولا تظنن الذين كفروا بالله ورسوله وما جاء به من عند الله أن املاءنا لهم خير لأنفسهم ويعني بالاملاء الاطالة في العمر والانساء في الأجل ومنه قوله جل ثناؤه واهجرني مليا أي حينا طويلا ومنه قيل عشت طويلا وتمليت حينا والملا نفسه الدهر والملوان الليل والنهار ومنه قول تميم بن مقبل

ألا يا ديار الحي بالسبعان * أمل عليها بالبلى الملوان

يعني بالملوان الليل والنهار وقد اختلفت القراء في قراءة قوله ولا تحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم

على الماء فقبل منه وأشار عليه السعدان سعد بن معاذ وسعد بن عبادة يوم الخندق بترك مصالحة غطفان على بعض ثمار المدينة لينصرفوا فقبل منهما وخرق الصحيفة ومنهم من قال اللفظ عام خص منه ما نزل فيه وحي فبقي حجة في الباقي وكيف لا وانه كان مأمورا بالاجتهاد فيما لم ينزل فيه وحي لعموم فاعتبروا يا أولى الابصار والاجتهاد يتقوى بالمناظرة والمباحثة وقد شاورهم يوم بدر في الاسارى وكان من أمور الدين وقد عد المشاورة من جملة ما خص النبي صلى الله عليه وسلم بالوجوب عليه لان ظاهر الامر للوجوب وقد يروى عن الشافعي أنه حمله على الندب قال وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم البكر تستأمر في نفسها ولو أكرهها الأب على النكاح جاز لكن الاولى ذلك تطييبا لنفسها فكذا ههنا (فاذا عزمت) أي قطعت الرأي على شيء بعد الشورى (فتوكل على الله) لان الاعتماد في جميع الامور عليه لا على الفكر والتدبير والرأي الحسن عن جابر بن زيد أنه قرأ فاذا عزمت بالضم اذا أرشدتك الى شيء وألزمتها بالك فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك أحدا (ان ينصركم الله) عن ابن عباس ان ينصركم كما نصركم يوم بدر فلا يغلبكم أحد (وان يخذلكم) كما خذلكم يوم أحد (فمن ذا الذي ينصركم من بعده) أي من بعد خذلانه لدلالة الفعل عليه أو هو من قولك ليس لك من يحسن اليك من بعد فلان تريد اذا جاوزته وقيل ان ينصركم بجذبات العناية فلا غالب لكم من الصفات البشرية وان يخذلكم بترك الجذبات فمن ينصركم بعده من الانبياء والاولياء فانه القادر على الاخراج عن هذا الوجود كما أنه هو القادر على الادخال فيه (وعلى الله) وليخص المؤمنون اياه بالتوكل لما علم أن الامر كله له ولا راد لقضائه ولا دافع لبلائه ولان الايمان يوجب ذلك ويقتضيه وليس المراد بالتوكل أن يهمل الانسان حال نفسه بالكلية ويرفض الوسائط والأسباب كما يتصور الجهال والا كان الامر بالمشاورة منافيا للامر بالتوكل وانما التوكل هو أن يراعي الاسباب الظاهرة ولكن لا يعول بقلبه عليها بل يعول على عصمة الحق وتأييده وتوفيقه وتسديده

خيرا لانفسهم فقرأ ذلك جماعة منهم ولا يحسبن بالياء وبفتح الالف من قوله أنما على المعنى الذي
وصفت من تأويله وقرأه آخرون ولا تحسبن بالتاء وأنما أيضا بفتح الالف من انما بمعنى ولا
تحسبن يا محمد الذين كفروا أنما نملي لهم خيرا لانفسهم فان قال قائل فما الذي من أجله فتحت
الالف من قوله انما في قراءة من قرأ بالتاء وقد علمت أن ذلك اذا قرئ بالتاء فقد أعملت تحسبن
في الذين كفروا واذا أعملتها في ذلك لم يجز لها أن تقع على انما لان انما انما يعمل فيها عامل يعمل في
شيئين نصبا قيل أما الصواب في العربية ووجه الكلام المعروف من كلام العرب كسر ان اذا
قرئت تحسبن بالتاء لان تحسبن اذا قرئت بالتاء فانها قد نصبت الذين كفروا فلا يجوز أن تعمل
وقد نصبت اسما في أن ولكني أظن أن من قرأ ذلك بالتاء في تحسبن وفتح الالف من أنما انما
أراد تكرير تحسبن على أنما كأنه قصد الى أن معنى الكلام ولا تحسبن يا محمد أنت الذين كفروا
لا تحسبن أنما نملي لهم خيرا لانفسهم كما قال جل ثناؤه فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة
بتأويل هل ينظرون الا الساعة هل ينظرون الا أن تأتيهم بغتة وذلك وان كان وجها جائزا في
العربية فوجه كلام العرب ما وصفنا قبل والصواب من القراءة في ذلك عندنا قراءة من قرأ ولا
يحسبن الذين كفروا بالياء من يحسبن وبفتح الالف من أنما على معنى الحسبان للذين كفروا
دون غيرهم ثم يعمل في أنما نصبا لأن يحسبن حينئذ لم يشغل بشئ عمل فيه وهي تطلب منصوبين
وانما اخترنا ذلك لاجماع القراء على فتح الالف من انما الاولى فدل ذلك على أن القراءة الصحيحة
في يحسبن بالياء لما وصفنا وأما ألف انما الثانية فالكسر على الابتداء باجماع من القراء عليه
وتأويل قوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما انما نؤخر آجالهم فنطيلها ليزدادوا اثما يقول يكتسبوا
المعاصي فتزداد آثامهم وتكثر ولهم عذاب مهين يقول ولهؤلاء الذين كفروا بالله ورسوله في الآخرة
عقوبة لهم مهينة مذلة وبنحو ما قلنا في ذلك جاء الأثر حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن
قال ثنا سفيان عن الاعمش عن خيثمة عن الاسود قال قال عبد الله ما من نفس برة ولا فاجرة
الا والموت خير لها وقرأ ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا
اثما وقرأ نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار ﴿ القول في تأويل قوله (ما كان الله ليذر
المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) يعني بقوله ما كان الله ليذر المؤمنين ما كان
الله ليدع المؤمنين على ما أنتم عليه من التباس المؤمن منكم بالمنافق فلا يعرف هذا من هذا حتى
يميز الخبيث من الطيب يعني بذلك حتى يميز الخبيث وهو المنافق المستسر للكفر من الطيب وهو
المؤمن المخلص الصادق الايمان بالمحن والاختبار كما ميز بينهم يوم أحد عند لقاء العدو وعند
خروجهم اليهم واختلف أهل التأويل في الخبيث الذي عنى الله بهذه الآية فقال بعضهم فيه مثل
قولنا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنى أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي
نجيح عن مجاهد في قول الله ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من
الطيب قال ميز بينهم يوم أحد المنافق من المؤمن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى
حجاج عن ابن جريج ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب قال
ابن جريج يقول ليبين الصادق بايمانه من الكاذب قال ابن جريج قال مجاهد يوم أحد ميز بعضهم
عن بعض المنافق عن المؤمن حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ما كان الله ليذر
المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب أي المنافق * وقال آخرون معنى ذلك

﴿ التأويل ولقد صدقكم الله أيها الطلاب وعده ألا من طلبني وجدني اذ تقتلون جنود الصفات البشرية بأمره لا على وفق الطبع حتى اذا تركتم قتال النفس وخالفتم في أمر الطلب وعصيتم الدليل المربي من بعد ما أراكم الدليل بالتربية ما تحبون من دلالة الطريق وانما عصيتم الدليل اذ دلكم على الله لان منكم من كان همته زخارف الدنيا ومنكم من كان همته طلب نعيم الآخرة قرئت هذه الآية عند الشبلي فصاح صيحة وقال ما كان من احد يقال له ومنكم من يريد الله ثم صرفكم عن جهاد النفس وقتل صفاتها باستيلائها عليكم ليمتحنكم بالستر بعد ما تجلى لكم أنوار المشاهدات وبالصحو بعد ما أسكركم باقداح الواردات وبالفطام بعد ما أرضعكم بألبان الملاطفات ولقد عفا عنكم يعني بعد ابتلائكم عفا عن التفاتاتكم الى الدنيا والآخرة بالعناية الازلية والله ذو فضل على المؤمنين في الازل اذ تصعدون في طريق الحق طالبين بعد ما كنتم هاربين ولا تلتفتون الى أحد من الامرين الدنيا والآخرة ورسول الوارد من الحق يدعوكم الي عبادي الي عبادي فأثابكم بدل غم الدنيا والآخرة غم طلب الحق لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من زخارف الدنيا ولا لما أصابكم من نعيم الآخرة والله خبير بما تعملون من ترك نعيم الدنيا والآخرة في طلب وجدانه فلا يخيب رجاءكم ويوفي جزاءكم ثم أخبر عن انزال حقائق أصناف ألطافه على عباده في صور مختلفة فانزل الامن في صورة النعاس على الصحابة وأخرج جواهر الوقائع السنية لارباب القلوب والمكاشفات من معدن النعاس فان أكثرها يقع بين النوم واليقظة وطائفة من أرباب النفوس ومدعي الاسلام لا هم لهم الا هم أنفسهم من استيفاء حظوظها واستيفاء لذاتها ظن الجاهلية وهو أن الامور الى الخلق لا الى الله ولا حتى بقضائه وقدره هل لنا من أمر النصرة والظفر من شئ ما قتلنا ههنا بالباطل على أيدي حزب الشيطان وليبتلي الله ما في صدوركم أيها

المنافقون لان الصدور معدن النفاق والغل ووسوسة الشيطان ونزعنا ما في صدورهم من غل يوسوس في صدور الناس وليمحص ما في قلوبكم أيها المؤمنون لان القلوب محل الايمان ولا طمئنان كتب في قلوبهم الايمان

ألا بذكر الله تطمئن القلوب ونسبة الاسلام

حتى يميز المؤمن من الكافر بالهجرة والجهاد ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه يعني الكفار يقول لم يكن الله ليدع المؤمنين على ما أنتم عليه من الضلالة حتى يميز الخبيث من الطيب يميز بينهم في الجهاد والهجرة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله حتى يميز الخبيث من الطيب قال حتى يميز الفاجر من المؤمن حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا عمن يؤمن بالله ومن يكفر فأنزل الله ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب حتى يخرج المؤمن من الكافر والتأويل الاول أولى بتأويل الآية لان الآيات قبلها في ذكر المنافقين وهذه في سياقتها فكونها بان تكون فيهم أشبه منها بان تكون في غيرهم ۞ القول في تأويل قوله (وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم بما حدثنا به محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وما كان الله ليطلعكم على الغيب وما كان الله ليطلع محمدا على الغيب ولكن الله اجتباه فجعله رسولا * وقال آخرون بما حدثنا به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما كان الله ليطلعكم على الغيب أي فيما يريد أن يبتليكم به لتحذروا ما يدخل عليكم فيه ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء يعلمه وأولى الاقوال في ذلك بتأويله وما كان الله ليطلعكم على ضمائر قلوب عباده فتعرفوا المؤمن منهم من المنافق والكافر ولكنه يميز بينهم بالمحن والابتلاء كما ميز بينهم بالبأساء يوم أحد وجهاد عدوه وما أشبه ذلك من صنوف المحن حتى تعرفوا مؤمنهم وكافرهم ومنافقهم غير أنه تعالى ذكره يجتبي من رسله من يشاء فيصطفيه فيطلعه على بعض ما في ضمائر بعضهم بوحيه ذلك اليه ورسالته كما حدثنا محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء قال يخلصهم لنفسه وانما قلنا هذا التأويل أولى بتأويل الآية وابتداؤها خبر من الله تعالى ذكره أنه غير تارك عباده يعني بغير محن حتى يفرق بالابتلاء بين مؤمنهم وكافرهم وأهل نفاقهم ثم عقب ذلك بقوله وما كان الله ليطلعكم على الغيب فكان فيما افتتح به من صفة اظهار الله نفاق المنافق وكفر الكافر دلالة واضحة على أن الذي ولي ذلك هو الخبر عن أنه لم يكن ليطلعهم على ما يخفى عنهم من باطن سرائرهم الا بالذي ذكر أنه مميز به نعتهم الا من استثناه من رسله الذي خصه بعلمه ۞ القول في تأويل قوله (فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم) يعني بذلك جل ثناؤه بقوله وان تؤمنوا وان تصدقوا من اجتبيته من رسلي بعلمي وأطلعته على المنافقين منكم وتتقوا ربكم بطاعته فيما أمركم به نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم وفيما نهاكم عنه فلكم أجر عظيم يقول فلكم بذلك من ايمانكم واتقائكم ربكم ثواب عظيم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا أي ترجعوا وتتوبوا فلكم أجر عظيم ۞ القول في تأويل قوله (ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه جماعة من أهل الحجاز والعراق ولا تحسبن الذين يبخلون بالياء من يحسبن وقرأته جماعة أخر ولا تحسبن بالتاء ثم اختلف أهل العربية في تأويل ذلك فقال بعض نحويي الكوفة معنى ذلك لا يحسبن الباخلون البخل هو خيرا لهم فاكتفى

باللسان الى الايمان بالجنان كنسبة الصدر الى القلب انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا الشيطان خلق من نار فلهذا استخرج من معدن الانسان حديد ما كسبوا من التولي ليجعله مرآة ظهور صفاته العفو والمغفرة والحلم ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم ليعلم ان الله تعالى في كل شئ من الخير والشر أسرارا لا يعلمها الا هو ومن هنا قال لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم اذا ضربوا في الارض سافروا في البلاد مستفيدين من العباد أو سلكوا في أرض نفوسهم سبيل الرشاد أو كانوا غزى مجاهدين مع كفار النفس والهوى والشيطان لو كانوا موافقين معنا ما ماتوا بمقاساة الرياضة وما قتلوا بسيف المجاهدة ليجعل الله ذلك القول حسرة في قلوب الصديقين والله يحيي قلوب أهل المجاهدة بانوار المشاهدة فلا يحسرون على ما يقاسون ويميت قلوب المنكرين بظلمة الانكار وغلبة صفات النفس فيحسبون أنهم يحسنون وباقي الحقائق قد مرت في التفسير وقد سنح عند تحرير هذا الموضع أن قوله فبما رحمة من الله لنت لهم يمكن أن يفهم منه الخطاب مع الروح الانساني أنه لان برحمة الله لصفات النفس وقواها الشهوية والغضبية حتى يستوفي كل منها حظها ويرتبط بذلك بقاء النسل وصلاح المعاش ولولا ذلك لاضمحلت تلك القوى وانفضت من الجوانب وتلاشت واختلت حكمة التمدن وفقدت الكمالات التي خلق الانسان لاجلها ثم الكلام في أن هذا اللين لا بدله من الغلظة حتى لا يجاوز عن الوسط ولا يخرج عن قانون الشرع والعقل كما تقدم (وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس

ما كسبت وهم لا يظلمون أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هم درجات عند الله والله بصير بما
يعملون لقد منّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان

بذكر يبخلون من البخل كما تقول قدم فلان فسررت به وأنت تريد فسررت بقدومه وهو عماد وقال بعض نحويي أهل البصرة انما أراد بقوله ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم لا تحسبن البخل هو خيرا لهم فألقى الاسم الذي أوقع عليه الحسبان به وهو البخل لانه قد ذكر الحسبان وذكر ما آتاهم الله من فضله (١) فأضمرهما اذ ذكرهما قال وقد جاء من الحذف ما هو أشد من هذا قال لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ولم يقل ومن أنفق من بعد الفتح لانه لما قال أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد كان فيه دليل على أنه قد عناهم وقال بعض من أنكر قول من ذكرنا قوله من أهل البصرة ان من في قوله لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح في معنى جمع ومعنى الكلام لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح في منازلهم وحالاتهم فكيف من أنفق من بعد الفتح فالاول مكتف وقال في قوله لا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم محذوف غير أنه لم يحذف الا وفي الكلام ما قام مقام المحذوف لان هو عائد البخل وخيرا لهم عائد الاسماء فقد دل هذان العائدان على أن قبلهما اسمين واكتفى بقوله يبخلون من البخل قال وهذا اذا قرئ بالتاء فالبخل قبل الذين واذا قرئ بالياء فالبخل بعد الذين وقد اكتفى بالذين يبخلون من البخل كما قال الشاعر

اذا نهي السفيه جرى اليه * وخالف والسفيه الى خلاف

كأنه قال جرى الى السفه فاكتفى عن السفه بالسفيه كذلك اكتفى بالذين يبخلون من البخل وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندي قراءة من قرأ ولا تحسبن الذين يبخلون بالتاء بتأويل ولا تحسبن أنت يا محمد بخل الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ثم ترك ذكر البخل اذ كان في قوله هو خيرا لهم دلالة على أنه مراد في الكلام اذ كان قد تقدمه قوله الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله وانما قلنا قراءة ذلك بالتاء أولى بالصواب من قراءته بالياء لان المحسبة من شأنها طلب اسم وخبر فاذا قرئ قوله ولا تحسبن الذين يبخلون بالياء لم يكن للمحسبة اسم يكون قوله هو خيرا لهم خبرا عنه واذا قرئ ذلك بالتاء كان قوله الذين يبخلون اسما له قد أدى عن معنى البخل الذي هو اسم المحسبة المتروك وكان قوله هو خيرا لهم خبرا لها فكان جاريا مجرى المعروف من كلام العرب الفصيح فلذلك اخترنا القراءة بالتاء في ذلك على ما بيناه وان كانت القراءة بالياء غير خطا ولكنه ليس بالافصح ولا الأشهر من كلام العرب وأما تأويل الآية الذي هو تأويلها على ما اخترنا من القراءة في ذلك ولا تحسبن يا محمد بخل الذين يبخلون بما أعطاهم الله في الدنيا من الاموال فلا يخرجون منه حق الله الذي فرضه عليهم فيه من الزكوات هو خيرا لهم عند الله يوم القيامة بل هو شر لهم عنده في الآخرة كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم هم الذين آتاهم الله من فضله فبخلوا أن ينفقوها في سبيل الله ولم يؤدوا زكاتها * وقال آخرون بل عنى بذلك اليهود الذين بخلوا أن يبينوا للناس ما أنزل الله في التوراة من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله الى سيطوقون ما بخلوا

(١) لعله فأضمره أي البخل تأمل كتبه مصححه

كانوا من قبل لفي ضلال مبين أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم ان الله على كل شئ قدير وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرؤا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين) ﴿القراآت﴾ يغل بفتح الياء وضم الغين ابن كثير وأبو عمرو وعاصم غير المفضل ويعقوب غير رويس الباقون بالضم والفتح على البناء للمفعول ولا يحسبن بياء الغيبة الحلواني عن هشام الباقون بتاء الخطاب قتلوا بالتشديد ابن عامر الباقون بالتخفيف وان الله بالكسر على به
الابتداء علي" الباقون بالفتح وخافوني بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق أبو عمرو ويزيد واسمعيل في الوصل الباقون

بالحذف ﴿الوقوف﴾ أن يغل ط لابتداء الشرط يوم القيامة ج لانتهاء جزاء الشرط مع العطف لا يظلمون ٥ جهنم ط المصير ٥ عند الله ط بما تعملون ٥ والحكمة ج لمكان العطف مبين ٥ مثليها (لا) لان استفهام الانكار دخل على قلتم هذا ط أنفسكم ط قدير ٥ وليعلم

به يوم القيامة يعنى بذلك أهل الكتاب أنهم بخلوا بالكتاب أن يبينوه للناس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله قال هم يهود الى قوله والكتاب المنير وأولى التأويلين بتأويل هذه الآية التأويل الاول وهو أنه معنى بالبخل فى هذا الموضع منع الزكاة لتظاهر الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تأول قوله سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة قال البخيل الذى منع حق الله منه أنه يصير ثعبانا فى عنقه ولقول الله عقيب هذه الآية لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء فوصف جل ثناؤه قول المشركين من اليهود الذين زعموا عند أمر الله اياهم بالزكاة أن الله فقير

﴿القول فى تأويل قوله﴾ (سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة) يعنى بقوله جل ثناؤه سيطوّقون سيجعل الله ما بخل به المانعون الزكاة طوقا فى أعناقهم كهيئة الاطواق المعروفة كالذى حدثنى الحسن بن قزعة قال ثنا مسلمة بن علقمة قال ثنا داود عن أبى قزعة عن أبى مالك العبدى قال ما من عبد يأتيه ذو رحم له يسأله من فضل عنده فيبخل عليه الا أخرج له الذى بخل به عليه شجاعا أقرع قال وقرأ ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة الى آخر الآية حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود عن أبى قزعة عن رجل عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من ذى رحم يأتى ذا رحمه فيسأله من فضل جعله الله عنده فيبخل به عليه الا أخرج له من جهنم شجاع يتلمظ حتى يطوقه حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو معاوية محمد بن خازم قال ثنا داود عن أبى قزعة حجر بن بيان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من ذى رحم يأتى ذا رحمه فيسأله من فضل أعطاه الله اياه فيبخل به عليه الا أخرج له يوم القيامة شجاع من النار يتلمظ حتى يطوقه ثم قرأ ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله حتى انتهى الى قوله سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة حدثنى زياد بن عبد الله المرّى قال ثنا مروان بن معاوية وحدثنى محمد بن عبد الله الكلابى قال ثنا عبد الله بن بكر السهمى وحدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا عبد الواحد بن واصل أبو عبيدة الحداد واللفظ ليعقوب جميعا عن بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه عن جده قال سمعت نبى الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يأتى رجل مولاه فيسأله من فضل مال عنده فيمنعه اياه الا دعاله يوم القيامة شجاعا يتلمظ فضله الذى منع حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن أبى وائل عن عبد الله بن مسعود سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة قال ثعبان ينقر رأس أحدهم يقول أنا مالك الذى بخلت به حدثنا محمد ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى اسحق قال سمعت أبا وائل يحدّث أنه سمع عبد الله قال فى هذه الآية سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة قال شجاع يلتوى برأس أحدهم حدثنى ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن شعبة * قال ثنا خلاد بن أسلم قال أخبرنا النضر بن شميل قال أخبرنا شعبة عن أبى اسحق عن أبى وائل عن عبد الله بمثله الا أنهما قالا قال شجاع أسود حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن أبى اسحق عن أبى وائل عن ابن مسعود قال يجىء ماله يوم القيامة ثعبانا فينقر رأسه فيقول أنا مالك الذى بخلت به فينطوى على عنقه حدثت عن سفيان بن عيينة قال ثنا جامع بن شداد

المؤمنين ٥ لا نافقوا ج لاحتمال العطف والاستئناف والوصل أولى على تقدير وقد قيل لهم أو ادفعوا ط لاتبعناكم ط للايمان ج لاحتمال الحال والاستئناف فى قلوبهم ط يكتمون ج لاحتمال كون الذين بدلا عن ضمير يكتمون أو خبر مبتدا محذوف ما قتلوا ط صادقين ٥ أمواتا ط عند ربهم ص يرزقون ٥ لا لان فرحين حالهم من فضله (لا) للعطف من خلفهم (لا) لتعلق أن يحزنون ٥ م للآية واستئناف الفعل اذ يستحيل أن يكون الاستبشار حالا للذين يحزنون وفصل (لا) لان التقدير وبان ومن كسر وقف والجملة حينئذ اعتراضية المؤمنين ٥ ج لان الذين يصلح صفة للمؤمنين ومبتدأ خبره للذين أحسنوا أو نصبا على المدح والاول أوجه لاتحاد الصفة القرح ط لمن لم يقف على المؤمنين عظيم ج لاحتمال البدل وكونه خبر مبتدا محذوف ايمانا ق والوصل أولى للعطف واتصال توكل اللسان بيقين القلب الوكيل ٥ سوء لا للعطف رضوان الله ط عظيم ٥ أولياءه ص لوصل النهى عن الخوف بعد ذكر التخويف مؤمنين ٥ ﴿التفسير﴾ هذا حكم من أحكام الجهاد وأصل الغلول أخذ الشئ فى خفية يقال أغل الجازر والسالخ اذا أبقى فى الجلد شيأ من اللحم ليسرقه والغل الحقد الكامن فى الصدر والغلالة الثوب الذى يلبس تحت الدرع والثياب والغلل الماء الذى يجرى فى أصول الشجر لانه مستتر بالاشجار وقال صلى الله عليه وسلم من بعثناه على عمل فغل شيأ جاء يوم القيامة يحمله على عنقه وقال أيضا هدايا الولاة غلول وقال الجوهرى غل يغل غلولا أى خان وأغل مثله الا أن العرف جعله فى الغالب مخصوصا بالخيانة فى الغنيمة حتى قال أبو عبيدة الغلول فى المغنم

خاصة وقد جعله النبي صلى الله عليه وسلم من الكبائر عن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق روحه جسده وهو برىء من ثلاثة دخل الجنة الكبر والغلول والدين وفى الصحيحين (١٢٨) عن أبى هريرة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره حتى قال لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول يارسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة فيقول يارسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يارسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول يارسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق فيقول يارسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يارسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك ومعنى الآية فيمن قرأ بفتح الياء وضم الغين ما كان لنبى أن يخون أى ماصح وما ينبغى له ذلك لان النبوة تنافى الغلول لانها أعلى المراتب الانسانية فلا يليق بصاحبها ما هو عار فى الدنيا ونار فى الآخرة كيف وانه أمين على الوحى النازل عليه من فوق سبع سموات أفلا يكون أمينا فى الارض هيهات وقيل اللام منقولة والتقدير وما كان نبى ليغل كقوله ما كان لله أن يتخذ من ولد أى ما كان الله ليتخذ ولدا ومن قرأ بضم الياء وفتح الغين ففيه وجهان أحدهما يخان أى يؤخذ من غنيمته وفى تخصيصه بهذا ا رمة والخيانة محرمة على الاطلاق فوائد منها ان المجنى عليه كلما كان أجل منصبا كانت غيره
الخيانة فى حقه أفحش ومنها انه لا يكاد يخفى عليه من قبل الوحى فكان فيه مع عذاب الآخرة فضيحة الدنيا ومنها ان المسلمين فى ذلك الوقت

وعبد الملك بن أعين عن أبى وائل عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد لا يؤدى زكاة ماله الا مثل له شجاع أقرع يطوقه ثم قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم الآية حدثنا محمد بن الحسين قال ثنى أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أما سيطوقون ما بخلوا به فانه يجعل ماله يوم القيامة شجاعا أقرع يطوقه فيأخذ بعنقه فيتبعه حتى يقذفه فى النار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا خلف بن خليفة عن أبى هاشم عن أبى وائل قال هو الرجل الذى يرزقه الله مالا فيمنع قرابته الحق الذى جعل الله لهم فى ماله فيجعل حية فيطوقها فيقول مالى ولك فيقول أنا مالك حدثنا المثنى قال ثنا أبو غسان قال ثنا اسرائيل عن حكيم بن جبير عن سالم بن أبى الجعد عن مسروق قال سألت ابن مسعود عن قوله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة قال يطوقون شجاعا أقرع ينهش رأسه * وقال آخرون معنى ذلك سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة فيجعل فى أعناقهم طوقا من نار ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة قال طوقا من النار حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن ابراهيم أنه قال فى هذه الآية سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة قال طوقا من نار حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن منصور عن ابراهيم فى قوله سيطوقون قال طوقا من نار حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة قال طوق من نار * وقال آخرون معنى ذلك سيحمل الذين كتموا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من أحبار اليهود ما كتموا من ذلك ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ألم تسمع أنه قال يبخلون ويأمرون الناس بالبخل يعنى أهل الكتاب يقول يكتمون ويأمرون الناس بالكتمان * وقال آخرون معنى ذلك سيكلفون يوم القيامة أن يأتوا بما بخلوا به فى الدنيا من أموالهم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة قال سيكلفون أن يأتوا بما بخلوا به الى قوله والكتاب المنير حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد سيطوقون سيكلفون أن يأتوا بمثل ما بخلوا به من أموالهم يوم القيامة وأولى الاقوال بتأويل هذه الآية التأويل الذى قلناه فى ذلك فى مبدإ قوله سيطوقون ما بخلوا به للاخبار التى ذكرنا فى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد أعلم بما عنى الله تبارك وتعالى بتنزيله منه عليه السلام

القول فى تأويل قوله (ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير) يعنى بذلك جل ثناؤه أنه الحى الذى لا يموت والباقى بعد فناء جميع خلقه فان قال قائل فما معنى قوله له ميراث السموات والارض والميراث المعروف هو ما انتقل من ملك مالك الى وارثه بموته ولله الدنيا قبل فناء خلقه وبعده قيل ان معنى ذلك ما وصفنا من وصفه نفسه بالبقاء واعلام خلقه أنه كتب عليهم الفناء وذلك ان ملك المالك انما يصير ميراثا بعد وفاته فانما قال جل ثناؤه ولله ميراث السموات والارض اعلاما بذلك منه عباده أن أملاك جميع خلقه منتقلة عنهم بموتهم وأنه لا أحد الا وهو فان سواه فانه الذى اذا هلك جميع خلقه فزالت أملاكهم عنهم لم يبق أحد يكون له ما كانوا عليه يملكونه

كانوا في غاية الفقر فكانت تلك الخيانة وقتئذ أقبح وثانيهما يخونون أي ينسب الى الخيانة فيكون من الاغلال قال المبرد تقول العرب أكفرت
الرجل جعلته كافرا أو نسبته الى الكفر قال القتيبي لو كان هذا هو المراد لقيل يغلل كما يقال يفسق ويكفر والاولى أن يقال هو

غيره وإنما معنى الآية لا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة بعد ما يهلكون وتزول عنهم أملاكهم في الحين الذي لا يملكون شيأ وصار لله ميراثه وميراث غيره من خلقه ثم أخبر تعالى ذكره أنه بما يعمل هؤلاء الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضل وغيرهم من سائر خلقه ذو خبرة وعلم محيط بذلك كله حتى يجازي كلا منهم على قدر استحقاقه المحسن بالاحسان والمسيء على ما يرى تعالى ذكره ۞ القول في تأويل قوله (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق) ذكر أن هذه الآية وآيات بعدها نزلت في بعض اليهود الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الآثار بذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال ثنا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أنه حدثه عن ابن عباس قال دخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه بيت المدراس فوجد من يهود ناسا كثيرا قد اجتمعوا الى رجل منهم يقال له فنحاص كان من علمائهم وأحبارهم ومعه حبر يقال له أشيع فقال أبو بكر رضي الله عنه لفنحاص ويحك يا فنحاص اتق الله وأسلم فوالله انك لتعلم أن محمدا رسول الله قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة والانجيل قال فنحاص والله يا أبا بكر ما بنا الى الله من فقر وانه الينا الفقير وما نتضرع اليه كما يتضرع الينا وانا عنه لأغنياء ولو كان عنا غنيا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم ينهاكم عن الربا ويعطيناه ولو كان غنيا عنا ما أعطانا الربا فغضب أبو بكر فضرب وجه فنحاص ضربة شديدة وقال والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدو الله فأكذبونا ما استطعتم ان كنتم صادقين فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر ما حملك على ما صنعت فقال يا رسول الله ان عدو الله قال قولا عظيما زعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء فلما قال ذلك غضبت لله مما قال فضربت وجهه فجحد ذلك فنحاص وقال ما قلت ذلك فأنزل الله تبارك وتعالى فيما قال فنحاص ردا عليه وتصديقا لأبي بكر لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق وفي قول أبي بكر وما بلغه في ذلك من الغضب لتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة مولى ابن عباس قال دخل أبو بكر فذكر نحوه غير أنه قال وإنا عنه لأغنياء وما هو عنا بغني ولو كان غنيا ثم ذكر سائر الحديث نحوه حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء قالها فنحاص اليهودي من بني مرثد لقيه أبو بكر فكلمه فقال له يا فنحاص اتق الله وآمن وصدق وأقرض الله قرضا حسنا فقال فنحاص يا أبا بكر تزعم أن ربنا فقير يستقرضنا أموالنا وما يستقرض الا الفقير من الغني ان كان ما تقول حقا فان الله اذا لفقير فأنزل الله عز وجل هذا فقال أبو بكر فلولا هدنة كانت بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين بني مرثد لقتلته حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم

من أغللته أي وجدته غالا كما يقال أبخلته أي وجدته كذلك ومن هنا قال في الكشاف معناه راجع الى القراءة الاولى اذ معناه ما صح له ان يوجد غالا ولا يوجد غالا الا اذا كان غالا وكان ابن عباس ينكر على هذه القراءة ويقول كيف لا ينسب الى الخيانة وقد كان يقتل وقال خصيف قلت لسعيد بن جبير ما كان لنبي أن يغل فقال بل يغل ويقتل ولا يخفى أن الانكار لا يتوجه اذا كان أغل بمعنى وجده غالا وإنما يتوجه اذا كان الاغلال بمعنى النسبة الى الخيانة كما روي أن قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها وقد طعن بعضهم في هذه القراءة وقال ان أكثر ما جاء من هذا القبيل في التنزيل أسند الفعل فيه الى الفاعل ما كان لنا أن نشرك ما كان ليأخذ أخاه ما كان لنفس أن تموت ما كان الله ليضل قوما وما كان الله ليطلعكم وحكى أبو عبيدة عن يونس أنه قال ليس في الكلام ما كان لك أن تضرب بضم التاء والحق أن القرآن حجة على غيره لا بالعكس ويوافق هذه القراءة ما روي أنه صلى الله عليه وسلم لما وقعت غنائم هوازن في يده غله رجل بمخيط فنزلت وعلى هذا يغل بمعنى يخان وان جعل يغل بمعنى يوجد غالا فالقراءتان متعاضدتان ويوافقهما أسباب النزول أكثرها يروى أنه تأخرت قسمة الغنيمة في بعض الغزوات لمانع فجاءه قوم وقالوا ألا تقسم غنائمنا فقال صلى الله عليه وسلم لو كان لكم مثل أحد ذهبا ما حبست منكم درهما أترون أني أغلكم مغنمكم فنزلت وعن ابن عباس ان أشراف الناس طمعوا أن يخصهم النبي صلى الله عليه وسلم من الغنائم بشيء زائد فنزلت وقال الكلبي ومقاتل نزلت في غنائم أحد حين ترك الرماة المركز طلبا للغنيمة وقالوا نخشى أن يقول رسول الله من أخذ شيئا فهو له وأن لا يقسم الغنائم كما لم

يقسمها يوم بدر فقال لهم صلى الله عليه وسلم ألم أعهد اليكم أن لا تتركوا المركز حتى يأتيكم أمري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال صلى الله عليه وسلم بل ظننتم أنا نغل ولا نقسم لكم (١٣٠) وروى أنه صلى الله عليه وسلم بعث طلائع فغنم بعدهم غنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع فنزلت مبالغة في النهي لرسوله يعني وما كان لنبي أن يعطي قوما ويمنع آخرين بل عليه أن يقسم بالسوية وسمى حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا لصورة الامر وقيل نزلت في أداء الوحي كان يقرأ القرآن وفيه عيب دينهم وسب آلهتهم فسألوه أن يترك ذلك فقيل ما كان لنبي أن يكتم الناس ما بعثه الله به اليهم رغبة في الناس أو رهبة منهم (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) أكثر المفسرين أجروه على ظاهره ونظيره في مانع الزكاة يوم يحمى عليها في نار جهنم ويدل عليه الحديث الذي رويناه وعن ابن عباس أنه قال يمثل له ذلك الشئ في قعر جهنم ثم يقال له انزل اليه فخذه فيهبط اليه فاذا انتهى اليه حمله على ظهره فلا يقبل منه وعن بعض جفاة الاعراب أنه سرق نافجة مسك فتليت عليه هذه الآية فقال اذن أحملها طيبة الريح خفيفة المحمل قلت ذلك الشقي قاس الامور الاخروية على الامور الدنيوية ولم يعلم أن ذلك المسك وقتئذ يكون أنتن من الجيفة وأثقل من الجبل وذلك ليذوق وبال أمره ويرى نقيض مقصوده قال المحققون والفائدة فيه أنه اذا جاء يوم القيامة وعلى رقبته ذلك الغلول ازدادت فضيحته ومثله قوله صلى الله عليه وسلم لكل غادر لواء يوم القيامة وقال أبو مسلم هذا على سبيل التمثيل والتصوير لوباله وتبعته والمراد أنه تعالى يحفظ عليه هذا الغلول ويعزره عليه يوم القيامة ويجازى به لانه لا يخفى عليه خافية وقيل المراد أنه يشتهر بذلك مثل اشتهار من يحمل ذلك الشئ وفيه صرف اللفظ عن ظاهره من غير دليل ولا ضرورة (ثم توفى كل نفس ما كسبت) اثبات للجزاء لكل كاسب على سبيل العموم ليعلم صاحب الغلول أنه غير متخلص من بينهم مع عظم ما اكتسب وهذا

من

عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال صك أبو بكر رجلا منهم الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء لم يستقرضنا وهو غني وهم يهود حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح قال الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء لم يستقرضنا وهو غني قال شبل بلغني أنه فنحاص اليهودي وهو الذي قال ان الله ثالث ثلاثة ويد الله مغلولة حدثنا ابن حميد قال ثنى يحيى بن واضح قال حدثت عن عطاء عن الحسن قال لما نزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قالت اليهود ان ربكم يستقرض منكم فأنزل الله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن الحسن البصري قال لما نزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال عجبت اليهود فقالت ان الله فقير يستقرض فنزلت لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء ذكر لنا أنها نزلت في حيي بن أخطب لما أنزل الله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة قال يستقرضنا ربنا انما يستقرض الفقير الغني حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال لما نزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قالت اليهود انما يستقرض الفقير من الغني قال فأنزل الله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول في قوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء قال هؤلاء اليهود فتأويل الآية اذا لقد سمع الله قول الذين قالوا من اليهود ان الله فقير الينا ونحن أغنياء عنه سنكتب ما قالوا من الافك والفرية على ربهم وقتلهم أنبياءهم بغير حق

واختلفت القراء في قراءة قوله سنكتب ما قالوا وقتلهم فقرأ ذلك قراء الحجاز وعامة قراء العراق سنكتب ما قالوا بالنون وقتلهم الانبياء بغير حق بنصب القتل وقرأ ذلك بعض قراء الكوفيين سيكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق بالياء من سيكتب وبضمها ورفع القتل على مذهب ما لم يسم فاعله اعتبارا بقراءة يذكر أنها من قراءة عبد الله في قوله ونقول ذوقوا يذكر أنها في قراءة عبد الله ويقال فأغفل قارئ ذلك وجه الصواب فيما قصد اليه من تأويل القراءة التي تنسب الى عبد الله وخالف الحجة من قراء الاسلام وذلك أن الذي ينبغي لمن قرأ سيكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء على وجه ما لم يسم فاعله أن يقرأ ويقال لان قوله ونقول عطف على قوله سنكتب فالصواب من القراءة أن يوفق بينهما في المعنى بأن يقرآ جميعا على مذهب ما لم يسم فاعله أو على مذهب ما يسمى فاعله فأما أن يقرأ أحدهما على مذهب ما لم يسم فاعله والآخر على وجه ما قد سمي فاعله من غير معنى ألجأه على ذلك فاختيار خارج عن الفصيح من كلام العرب والصواب من القراءة في ذلك عندنا سنكتب بالنون وقتلهم بالنصب لقوله ونقول ولو كانت القراءة في سيكتب بالياء وضمها لقيل ويقال على ما قد بينا فان قال قائل كيف قيل وقتلهم الأنبياء بغير حق وقد ذكرت الآثار التي رويت أن الذين عنوا بقوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير بعض اليهود الذين كانوا على عهد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولم يكن من أولئك أحد قتل نبيا من الأنبياء لانهم لم يدركوا نبيا من أنبياء الله فيقتلوه قيل ان معنى ذلك على غير الوجه الذي ذهبت اليه وانما قيل ذلك كذلك لان الذين عنى الله تبارك وتعالى بهذه الآية كانوا راضين بما فعل أوائلهم من قتل من قتلوا من الأنبياء وكانوا منهم وعلى منهاجهم من استحلال ذلك واستجازته فأضاف جل ثناؤه فعل ما فعله

من كانوا على منهاجه وطريقته الى جميعهم اذ كانوا أهل ملة واحدة ونحلة واحدة وبالرضا من جميعهم فعل ما فعل فاعل ذلك منهم على ما بينا من نظائره فيما مضى قبل ⦿ القول فى تأويل قوله (ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد) يعنى بذلك جل ثناؤه ونقول للقائلين بان الله فقير ونحن أغنياء القاتلين أنبياء الله بغير حق يوم القيامة ذوقوا عذاب الحريق يعنى بذلك عذاب نار محرقة ملتهبة والنار اسم جامع للملتهبة منها وغير الملتهبة وانما الحريق صفة لها يراد أنها محرقة كما قيل عذاب أليم يعنى مؤلم ووجيع يعنى موجع وأما قوله ذلك بما قدمت أيديكم أى قولنا لهم يوم القيامة ذوقوا عذاب الحريق بما أسلفت أيديكم واكتسبتها أيام حياتكم فى الدنيا وبأن الله عدل لا يجور فيعاقب عبدا له بغير استحقاق منه العقوبة ولكنه يجازى كل نفس بما كسبت ويوفى كل عامل جزاء ما عمل فجازى الذين قال لهم يوم القيامة من اليهود الذين وصف صفتهم فأخبر عنهم أنهم قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء وقتلوا الأنبياء بغير حق بما جازاهم به من عذاب الحريق بما اكتسبوا من الآثام واجترحوا من السيئات وكذبوا على الله بعد الاعذار اليهم بالانذار فلم يكن تعالى ذكره بما عاقبهم به من اذاقتهم عذاب الحريق ظالما ولا واضعا عقوبته فى غير أهلها وكذلك هو جل ثناؤه غير ظلام أحدا من خلقه ولكنه العادل بينهم والمتفضل على جميعهم بما أحب من فواضله ونعمه ⦿ القول فى تأويل قوله (الذين قالوا ان الله عهد الينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين) يعنى بذلك جل ثناؤه لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله عهد الينا أن لا نؤمن لرسول وقوله الذين قالوا ان الله فى موضع خفض ردا على قوله الذين قالوا ان الله فقير ويعنى بقوله قالوا ان الله عهد الينا أن لا نؤمن لرسول أوصانا وتقدم الينا فى كتبه وعلى ألسن أنبيائه أن لا نؤمن لرسول يقول أن لا نصدق رسولا فيما يقول انه جاء به من عند الله من أمر ونهى وغير ذلك حتى يأتينا بقربان تأكله النار يقول حتى يجيئنا بقربان وهو ما تقرب به العبد الى ربه من صدقة وهو مصدر مثل العدوان والخسران من قولك قربت قربانا وانما قال تأكله النار لان أكل النار ما قربه أحدهم لله فى ذلك الزمان كان دليلا على قبول الله منه ما قرب له ودلالة على صدق المقرب فيما ادعى أنه محق فيما نازع أو قال كما حدثنا محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله حتى يأتينا بقربان تأكله النار كان الرجل يتصدق فاذا تقبل منه أنزلت عليه نار من السماء فأكلته حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله بقربان تأكله النار كان الرجل اذا تصدق بصدقة فتقبلت منه بعث الله نارا من السماء فنزلت على القربان فأكلته فقال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات يعنى بالحجج الدالة على صدق نبوتهم وحقيقة قولهم وبالذى قلتم يعنى وبالذى ادعيتم أنه اذا جاء به لزمكم تصديقه والاقرار بنبوته من أكل النار قربانه اذا قرب لله دلالة على صدقه فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين يقول له قل لهم قد جاءتكم الرسل الذين كانوا من قبلى بالذى زعمتم أنه حجة لهم عليكم فقتلتموهم فلم قتلتموهم وأنتم مقرون بأن الذى جاؤكم به من ذلك كان حجة لهم عليكم ان كنتم صادقين فى أن الله عهد اليكم أن تؤمنوا بمن أتاكم من رسله بقربان تأكله النار حجة له على نبوته وانما أعلم الله عباده بهذه الآية أن الذين وصف صفتهم من اليهود الذين كانوا

أبلغ مما لو خص الغال بتوفية الجزاء فقيل ثم يوفى ما كسب ثم فصل ما أجمل فقال (أفمن اتبع) والهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أمن اتقى فاتبع قال الكلبى والضحاك أفمن اتبع رضوان الله فى ترك الغلول (١٣١) (كمن باء بسخط من الله) رجع منه بشدة ارادة انتقام لأجل الغلول وقال الزجاج أفمن اتبع رضوان الله بامتثال أمر النبى صلى الله عليه وسلم حين دعاهم الى دفع المشركين يوم أحد كمن باء بسخط من الله وهم الذين لم يمتثلوا وقيل الاولون المهاجرون والآخرون المنافقون وقيل أفمن اتبع رضوان الله بالايمان والعمل بطاعته كمن باء بسخط من الله بالكفر به والاشتغال بمعصيته وهذا القول أقرب لتكون الآية مجراة على العموم وان كان سبب النزول خاصا وقوله (ومأواه جهنم) من تمام صلة من باء وقوله (وبئس المصير) اعتراض قال القفال لا يجوز فى الحكمة أن يسوى بين المسىء والمحسن والا كان اغراء بالمعاصى واباحة لها واهمالا للطاعات وتنفيرا عنها (هم درجات) قيل أى لهم درجات وحسن هذا الحذف لان اختلاف أعمالهم كأنه قد صيرهم بمنزلة الاشياء المختلفة فى ذواتها وقالت الحكماء النفوس الانسانية مختلفة بالماهية يدل عليها اختلاف صفاتها بالاشراق والاظلام ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم الناس معادن كمعادن الذهب والفضة فهم فى أنفسهم درجات لا أن لهم درجات وقيل المراد ذوو درجات ثم الضمير الى أى شىء يعود قيل الى من اتبع رضوان الله لان الغالب فى العرف استعمال الدرجات فى أهل الثواب والدركات فى أهل العقاب ولانه قد ذكر وصف من باء بسخط من الله وهو أن مأواه جهنم فيكون هذا وصفا لمن اتبع الرضوان ويؤيده قوله (عند الله) وهذا وان كان معناه فى علمه وحكمه كما يقال هذه المسئلة عند الشافعى كذا ولا يراد به عندية المكان لتنزهه تعالى عن ذلك الا انه يفيد فى الجملة تشريفا وأنه يليق بأهل الثواب وقال الحسن يعود الى من باء بسخط لانه أقرب لانهم متفاوتون

في العذاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان منها ضحضاحا وغمرا وقال ان أهون أهل النار عذابا رجل يحذى له نعلان من نار يغلي من حرهما دماغه ينادي يارب وهل يعذب أحد عذابي والأوجه (١٣٢) أن يكون عائدا الى الكل لان درجات أهل الثواب متفاوتة وكذا دركات أهل العقاب حسب تفاوت أعمال الخلق وقد تستعمل الدرجات في مراتب أهل النار كقوله ولكل درجات مما عملوا (والله بصير بما يعملون) فيجازيهم على مقدارها قوله عز من قائل (لقد من الله على المؤمنين) في النظم وجوه منها أن هذا الرسول نشأ فيما بينهم ولم يظهر منه طول عمره الا الصدق والامانة فكيف يليق عن هذا حاله الخيانة ومنها كأنه تعالى قال لا أكتفي في وصفه بان أنزهه عن الخيانة ولكني أقول ان وجوده فيكم من أعظم نعمي عليكم ومنها أنكم كنتم خاملين جاهلين وانما حصل لكم الشرف والعلم بسبب هذا الرسول فالطعن فيه طعن فيكم ومنها أن مثل هذا الرجل يجب على كل عاقل أن يعينه باقصى ما يقدر عليه ويكون معه باليد واللسان والسيف والسنان فيكون المقصود العود الى ترغيب المسلمين في الجهاد ومعنى المن ههنا الانعام على من لا يطلب الجزاء منه والوجه في المنة اما أن يعود الى أصل البعثة واما أن يعود الى بعثة هذا الرسول فمن الاول أن الخلق مجبولون على النقصان والجهالة والنبي يورد عليهم وجوه دلائل الكمال ويزيح عللهم في كل حال وأيضا انهم وان شهدت فطرتهم بوجوب خدمة مولاهم لكن لا يعرفون كيفية تلك الخدمة الى ان يشرحها النبي صلى الله عليه وسلم لهم وأيضا انهم جبلوا على الكسل والملل فهو يورد عليهم أنواع الترغيبات والترهيبات فيزول فتورهم ويتجدد نشاطهم وبالجملة فعقول البشر بمنزلة أنوار البصر وعقل النبي بمنزلة نور الشمس فكما لا يتم الانتفاع بنور البصر الا عند سطوع نور الشمس فكذلك لا يحصل الاهتداء بمجرد العقل ما لم ينضم اليه ارشاد النبي صلى الله عليه وسلم ومن الثاني أن هذا الرسول بعث (من ذلك

على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يغفروا وأن يكونوا في كذبهم على الله وافترائهم على ربهم وتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم وهم يعلمونه صادقا محقا وجحودهم نبوته وهم يجدونه مكتوبا عندهم في عهد الله تعالى اليهم أنه رسوله الى خلقه مفروضة طاعته الا كمن مضى من أسلافهم الذين كانوا يقتلون أنبياء الله بعد قطع الله عذرهم بالحجج التي أيدهم الله بها والأدلة التي أبان صدقهم بها افتراء على الله واستخفافا بحقوقه ﴿ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير) وهذا تعزية من الله جل ثناؤه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم على الأذى الذي كان يناله من اليهود وأهل الشرك بالله من سائر أهل الملل يقول الله تعالى له لا يحزنك يا محمد كذب هؤلاء الذين قالوا ان الله فقير وقالوا ان الله عهد الينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار وافتراؤهم على ربهم اغترارا بامهال الله اياهم ولا يعظمن عليك تكذيبهم اياك وادعاؤهم الاباطيل من عهود الله اليهم فانهم ان فعلوا ذلك بك فكذبوك وكذبوا على الله فقد كذبت أسلافهم من رسل الله قبلك من جاءهم بالحجج القاطعة العذر والادلة الباهرة العقل والآيات المعجزة الخلق وذلك هو البينات وأما الزبر فانه جمع زبور وهو الكتاب وكل كتاب فهو زبور ومنه قول امرئ القيس

لمن طلل أبصرته فشجاني ﴿ كخط زبور في عسيب يماني

ويعني بالكتاب التوراة والانجيل وذلك أن اليهود كذبت عيسى وما جاء به وحرفت ما جاء به موسى عليه السلام من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وبدلت عهده اليهم فيه وأن النصارى جحدت ما في الانجيل من نعته وغيرت ما أمرهم به في أمره وأما قوله المنير فانه يعني الذي ينير فيبين الحق لمن التبس عليه ويوضحه وانما هو من النور والاضاءة يقال قد أنار لك هذا الامر بمعنى أضاء لك وتبين فهو ينير انارة والشئ المنير وقد حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك قال يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك قال يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم وهذا الحرف في مصاحف أهل الحجاز والعراق والزبر بغير باء وهو في مصاحف أهل الشام وبالزبر بالباء مثل الذي في سورة فاطر ﴿ القول في تأويل قوله (كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) يعني بذلك تعالى ذكره أن مصير هؤلاء المفترين على الله من اليهود المكذبين برسوله الذين وصف صفتهم وأخبر عن جراءتهم على ربهم ومصير غيرهم من جميع خلقه تعالى ذكره ومرجع جميعهم اليه لانه قد حتم الموت على جميعهم فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم لا يحزنك تكذيب من كذبك يا محمد من هؤلاء اليهود وغيرهم وافتراء من افترى علي فقد كذب قبلك رسل جاؤا من الآيات والحجج من أرسلوا اليه بمثل الذي جئت من أرسلت اليه فلك فيهم أسوة تتعزى بهم ومصير من كذبك وافترى علي وغيرهم ومرجعهم الي فأوفي كل نفس منهم جزاء عمله يوم القيامة كما قال جل ثناؤه وانما توفون أجوركم يوم القيامة يعني أجور أعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر فمن زحزح عن النار يقول فمن نحي عن النار وأبعد منها فقد فاز يقول فقد نجا وظفر بحاجته يقال منه فاز فلان بطلبته يفوز فوزا ومفازا ومفازة اذا ظفر بها وانما معنى

أنفسهم) أي من جنسهم عربيا مثلهم أو من ولد اسمعيل كما أنهم من ولده فعلى هذا يكون المراد بالمؤمنين من آمن مع الرسول من قومه وخص المؤمنين منهم لأنهم هم المنتفعون به ووجه المنة أنه اذا كان اللسان واحدا سهل عليهم أخذ ما يجب أخذه عنه واذا كانوا واقفين على أحواله في الصدق والامانة كان ذلك أقرب لهم الى تصديقه والوثوق به وفيه أيضا شرف لهم وفخر كما قال وانه لذكر لك ولقومك وذلك أن الافتخار بابراهيم صلى الله عليه وسلم كان مشتركا فيه بين اليهود والنصارى والعرب ثم اليهود والنصارى كانوا يفتخرون بموسى وعيسى وبالتوراة والانجيل وما كان للعرب ما يقابل ذلك فلما بعث الله محمدا وأنزل القرآن صار شرف العرب بذلك زائدا على شرف جميع الامم وقيل من أنفسهم أي من جنس الانس لا من الملك لان الجنس الى الجنس أميل ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن فاطمة أنهما قرآ من أنفسهم بفتح الفاء أي أشرفهم وعلى هذا يكون المؤمنون عاما ويحتمل أن يراد بهم العرب ويصح لأن عدنان ذروة ولد اسمعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان وخندف ذروة مضر ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وذروة قريش محمد صلى الله عليه وسلم وأما سائر أوصافه من قوله (يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) فقد مر تفسيرها في البقرة عند قوله ربنا وابعث فيهم رسولا واعراب قوله (وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) كما سلف في قوله وان كانت لكبيرة ومعنى المنة فيه أن النعمة اذا وردت بعد المحنة كان موقعها أعظم فبعثة هذا الرسول عقيب الجهل والذهاب عن الدين تكون أعم نفعا وأتم وقعا ثم لما أجاب عن نسبة النبي صلى الله عليه وسلم الى الغلول حكى عنهم شبهة أخرى وهي قولهم لو كان رسولا من عند الله ما انهزم عسكره وهو المراد بقوله (أنى هذا) وأجاب عنها بقوله (قل هو من عند أنفسكم) والواو في قوله أولما أصابتكم لعطف هذه الجملة الاستفهامية على ما قبلها من قصة أحد الا أن حرف الاستفهام قدم

ذلك فمن نجى عن النار فابعد منها وأدخل الجنة فقد نجا وظفر بعظيم الكرامة وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور يقول وما لذات الدنيا وشهواتها وما فيها من زينتها وزخارفها الا متاع الغرور يقول الا متعة يمتعكموها الغرور والخداع المضمحل الذي لا حقيقة له عند الامتحان ولا صحة له عند الاختبار فانتم تلتذون بما متعكم الغرور من دنياكم ثم هو عائد عليكم بالفجائع والمصائب والمكاره يقول تعالى ذكره ولا تركنوا الى الدنيا فتسكنوا اليها فانما أنتم منها في غرور تمتعون ثم أنتم عنها بعد قليل راحلون وقد روي في تأويل ذلك ما حدثني به المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا جرير عن الاعمش عن بكير بن الاخنس عن عبد الرحمن بن سابط في قوله وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور قال كزاد الراعي تزوده الكف من التمر أو الشيء من الدقيق أو الشيء يشرب عليه اللبن فكأن ابن سابط ذهب في تأويله هذا الى أن معنى الآية وما الحياة الدنيا الا متاع قليل لا يبلغ من تمتعه ولا يكفيه لسفره وهذا التأويل وان كان وجها من وجوه التأويل فان الصحيح من القول فيه هو ما قلنا لان الغرور انما هو الخداع في كلام العرب واذ كان كذلك فلا وجه لصرفه الى معنى القلة لان الشيء قد يكون قليلا وصاحبه منه في غير خداع ولا غرور وأما الذي هو في غرور فلا القليل يصح له ولا الكثير مما هو منه في غرور والغرور مصدر من قول القائل غرني فلان فهو يغرني غرورا بضم الغين وأما اذا فتحت الغين من الغرور فهو صفة للشيطان الغرور الذي يغر ابن آدم حتى يدخله من معصية الله فيما يستوجب به عقوبته وقد حدثنا أبو كريب قال ثنا عبدة وعبد الرحيم قالا ثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها واقرؤا ان شئتم وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور ۞ القول في تأويل قوله (لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور) يعني بذلك تعالى ذكره لتبلون في أموالكم لتختبرن بالمصائب في أموالكم وأنفسكم يعني وبهلاك الاقرباء والعشائر من أهل نصرتكم وملتكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم يعني من اليهود وقولهم ان الله فقير ونحن أغنياء وقولهم يد الله مغلولة وما أشبه ذلك من افترائهم على الله ومن الذين أشركوا يعني النصارى أذى كثيرا والاذى من اليهود ما ذكرنا ومن النصارى قولهم المسيح ابن الله وما أشبه ذلك من كفرهم بالله وان تصبروا وتتقوا يقول وان تصبروا لامر الله الذي أمركم به فيهم وفي غيرهم من طاعته وتتقوا يقول وتتقوا الله فيما أمركم ونهاكم فتعملوا في ذلك بطاعته فان ذلك من عزم الامور يقول فان ذلك الصبر والتقوى مما عزم الله عليه وأمركم به وقيل ان ذلك كله نزل في فنحاص اليهودي سيد بني قينقاع كالذي حدثنا به القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال قال عكرمة في قوله لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا قال نزلت هذه الآية في النبي صلى الله عليه وسلم وفي أبي بكر رضوان الله عليه وفي فنحاص اليهودي سيد بني قينقاع قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رحمه الله الى فنحاص يستمده وكتب اليه بكتاب وقال لابي بكر لا تفتاتن علي بشيء حتى ترجع فجاء أبو بكر وهو متوشح السيف فأعطاه الكتاب فلما قرأه قال قد احتاج ربكم أن نمده فهم أبو بكر أن يضربه بالسيف ثم ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تفتاتن علي بشيء حتى ترجع فكف ونزلت ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم

على واو العطف لان له صدر الكلام ولما ظرف قلتم ومقول القول أنى هذا وأصابتكم في محل الجر باضافة لما اليه والتقدير أقلتم حين أصابتكم ويجوز أن تكون الجملة معطوفة على محذوف كأنه قيل أفعلتم كذا وقلتم حينئذ من أين أصابنا هذا أو كيف نصروا علينا ونحن على الحق ومعنا الرسول وهم على الباطل ولا نبي معهم والمراد بالمصيبة واقعة أحد وبمثليها واقعة بدر وذلك أن المشركين قتلوا من المسلمين يوم أحد سبعين وقتل المسلمون منهم يوم بدر سبعين وأسروا سبعين وقيل أراد نسبة الضعف في الهزيمة لا في عدد القتلى والاسرى فالمسلمون هزموا الكفار يوم بدر وهزموهم أيضا في الاولى يوم أحد ثم لما عصوا الله هزمهم المشركون فانهزام المشركين حصل مرتين وانهزام المسلمين حصل مرة واحدة فخرج عن قوله قد أصبتم مثليها جواب ضمني يعني أن أحوال الدنيا لا تدوم على حالة واحدة فاذا أصبتم منهم مثلي ما نالوا منكم فما وجه الاستبعاد لكنه صرح بجواب آخر فقال قل هو من عند أنفسكم وفي تقريره وجهان الاول أن هذه المصيبة بشؤم معصيتكم وذلك أنهم عصوا الرسول في أمور في الخروج عن المدينة وكان رأيه في الاقامة ثم في الفشل وفي التنازع وفي مفارقة المركز وفي الاشتغال بطلب الغنيمة الثاني ما روي عن علي رضي الله عنه أنه قال جاء جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال يا محمد إن الله قد كره ما صنع قومك في أخذهم الفداء من الاسارى وأمرك أن تخيرهم بين أن يقدموا الاسارى فيضربوا أعناقهم وبين أن يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عدتهم فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لقومه فقالوا يا رسول الله عشائرنا واخواننا نأخذ الفداء منهم فنتقوى به على قتال العدو ونرضى أن يستشهد منا بعددهم فقتل يوم أحد سبعون رجلا بعدد أسارى بدر فمعنى هو من عند أنفسكم شراءهم
هو بأخذكم الفداء واختياركم القتل وتمسك المعتزلة بالآية على أن للعبد اختيارا في الفعل والترك وأنه من عند نفسه وعارضهم الاشاعرة بقوله

الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم وما بين الآيتين الى قوله لتبلون في أموالكم وأنفسكم نزلت هذه الآيات في بني قينقاع الى قوله فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك قال ابن جريج يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم قال لتبلون في أموالكم وأنفسكم قال أعلم الله المؤمنين أنه سيبتليهم فينظر كيف صبرهم على دينهم ثم قال ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن الذين أشركوا أذى كثيرا فكان المسلمون يسمعون من اليهود قولهم عزير ابن الله ومن النصارى المسيح ابن الله فكان المسلمون ينصبون لهم الحرب ويسمعون اشراكهم فقال الله وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور يقول من القوة مما عزم الله عليه وأمركم به * وقال آخرون بل نزلت في كعب بن الأشرف وذلك أنه كان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ويشبب بنساء المسلمين ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري في قوله ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا قال هو كعب بن الاشرف وكان يحرض المشركين على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في شعره ويهجو النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق اليه خمسة نفر من الانصار فيهم محمد بن مسلمة ورجل يقال له أبو عبس فأتوه وهو في مجلس قومه بالعوالي فلما رآهم ذعر منهم فأنكر شأنهم وقالوا جئناك لحاجة قال فليدن الي بعضكم فليحدثني بحاجته فجاءه رجل منهم فقال جئناك لنبيعك أدراعا عندنا لنستنفق بها فقال والله لئن فعلتم لقد جهدتم منذ نزل بكم هذا الرجل فواعدوه أن يأتوه عشاء حين هدأ عنهم الناس فأتوه فنادوه فقالت امرأته ما طرقك هؤلاء ساعتهم هذه لشيء مما تحب قال انهم حدثوني بحديثهم وشأنهم قال معمر فأخبرني أيوب عن عكرمة أنه أشرف عليهم فكلمهم فقال أترهنوني أبناءكم وأرادوا أن يبيعهم تمرا قال فقالوا انا نستحيي أن تعير أبناؤنا فيقال هذا رهينة وسق وهذا رهينة وسقين فقال أترهنوني نساءكم قالوا أنت أجمل الناس ولا نأمنك وأي امرأة تمتنع منك لجمالك ولكنا نرهنك سلاحنا فقد علمت حاجتنا الى السلاح اليوم فقال ائتوني بسلاحكم واحتملوا ما شئتم قالوا فانزل الينا نأخذ عليك وتأخذ علينا فذهب ينزل فتعلقت به امرأته وقالت أرسل الى أمثالهم من قومك يكونوا معك قال لو وجدني هؤلاء نائما ما أيقظوني قالت فكلمهم من فوق البيت فأبى عليها فنزل اليهم يفوح ريحه قالوا ما هذه الريح يا فلان قال هذا عطر أم فلان امرأته فدنا اليه بعضهم يشم رائحته ثم اعتنقه ثم قال اقتلوا عدو الله فطعنه أبو عبس في خاصرته وعلاه محمد بن مسلمة بالسيف فقتلوه ثم رجعوا فأصبحت اليهود مذعورين فجاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا اقتل سيدنا غيلة فذكرهم النبي صلى الله عليه وسلم صنيعه وما كان يحض عليهم ويحرض في قتالهم ويؤذيهم ثم دعاهم الى أن يكتب بينه وبينهم صلحا قال فكان ذلك الكتاب مع علي رضوان الله عليه

القول في تأويل قوله (واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون) يعني بذلك تعالى ذكره واذكر أيضا من هؤلاء اليهود وغيرهم من أهل الكتاب منهم يا محمد اذ أخذ الله ميثاقهم ليبينن للناس أمرك الذي أخذ ميثاقهم على بيانه للناس في كتابهم الذي في أيديهم وهو التوراة والانجيل وانك لله رسول مرسل بالحق ولا يكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم يقول فتركوا أمر الله وضيعوه ونقضوا ميثاقه الذي أخذ عليهم بذلك فكتموا أمرك وكذبوا بك واشتروا به ثمنا قليلا يقول وابتاعوا بكتمانهم ما أخذ عليهم الميثاق أن لا يكتموه من أمر نبوتك عوضا منه خسيسا قليلا من عرض الدنيا ثم ذم جل ثناؤه

شتراءهم ما اشتروا به من ذلك فقال فبئس ما يشترون واختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية فقال بعضهم عنى بها اليهود خاصة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال ثنى محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أنه حدثه عن ابن عباس واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه الى قوله عذاب أليم يعنى فنحاص وأشيع وأشباههما من الأحبار حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد ابن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة مولى ابن عباس مثله حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم كان أمرهم أن يتبعوا النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته وقال اتبعوه لعلكم تهتدون فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم قال أوفوا بعهدي أوف بعهدكم واياي فارهبون عاهدهم على ذلك فقال حين بعث محمدا صدقوه وتلقون الذي أحببتم عندي حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس الآية قال ان الله أخذ ميثاق اليهود ليبيننه للناس محمدا صلى الله عليه وسلم ولا يكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن أبي الجحاف عن مسلم البطين قال سأل الحجاج ابن يوسف جلساءه عن هذه الآية واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب فقام رجل الى سعيد ابن جبير فسأله فقال واذ أخذ الله ميثاق أهل الكتاب يهود ليبيننه للناس محمدا صلى الله عليه وسلم ولا يكتمونه فنبذوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه قال وكان فيه أن الاسلام دين الله الذي افترضه على عباده وأن محمدا يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل * وقال آخرون عنى بذلك كل من أوتي علما بأمر الدين ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم الآية هذا ميثاق أخذه الله على أهل العلم فمن علم شيأ فليعلمه واياكم وكتمان العلم فان كتمان العلم هلكة ولا يتكلفن رجل ما لا علم له به فيخرج من دين الله فيكون من المتكلفين كان يقال مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينفق منه ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم قائم لا يأكل ولا يشرب وكان يقال طوبى لعالم ناطق وطوبى لمستمع واع هذا رجل علم علما فعلمه وبذله ودعا اليه ورجل سمع خيرا فحفظه ووعاه وانتفع به حدثني يحيى بن ابراهيم المسعودي قال ثنى أبي عن أبيه عن جده عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة قال جاء رجل الى قوم في المسجد وفيه عبد الله بن مسعود فقال ان أخاكم كعبا يقرئكم السلام ويبشركم أن هذه الآية ليست فيكم واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فقال له عبد الله وأنت فاقرئه السلام وأخبره أنها نزلت وهو يهودي حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة بنحوه عن عبد الله وكعب * وقال آخرون معنى ذلك واذ أخذ الله ميثاق النبيين على قومهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد عن سفيان قال ثنى يحيى ابن أبي ثابت عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ان أصحاب عبد الله يقرؤن واذ أخذ ربك من الذين أوتوا الكتاب ميثاقهم قال من النبيين على قومهم حدثنا أبو كريب قال ثنا قبيصة قال

(ان الله على كل شئ قدير) فان فعل العبد من جملة الاشياء فيكون الله قادرا عليه فلو وجد بايجاد العبد امتنع من الله أن يقدر عليه اذ لا قدرة على ايجاد الموجود والحق أن وجود الواسطة لا ينافي انتهاء الكل الى مسبب الاسباب ويؤيده (١٣٥) قوله (وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله) قال ابن عباس أي وقع بقضائه وحكمه وفيه تسلية للمؤمنين لأن الرضا بالقضاء لازم وقيل بتخليته لأن الاذن مخل بين المأذون له ومراده فاستعير الاذن للتخلية وان اعتبرتم المصالح فذاك قد وقع (وليعلم المؤمنين) أي ليتميزوا عن أهل النفاق وانما لم يقل وليعلم المنافقين ليناسب المؤمنين لفظا لان الغرض تصوير أنهم شرعوا في الاعمال اللائقة بالنفاق في ذلك الوقت وأحدثوها ولانه عطف على الصلة (وقيل لهم) قال الاصم هذا القائل رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعوهم الى القتال وقيل هو أبو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الانصاري لما انخزل عبد الله بن أبي بثلث الناس تبعهم وقال أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم (تعالوا قاتلوا في سبيل الله) ان كان في قلبكم حب هذا الدين (أو ادفعوا) عن أنفسكم وأهليكم وأموالكم ان لم يكن بكم هم الآخرة وطلب مرضاة الله أي كونوا من رجال الدين أو من رجال الدنيا وقال السدي وابن جريج ادفعوا العدو بتكثير سوادنا ان لم تقاتلوا معنا لان الكثرة أحد أسباب الهيبة والرعب ثم انه كأن سائلا سأل فاذا أجاب المنافقون عند دعاء المؤمنين اياهم الى القتال فقيل (قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم) كأنهم جحدوا أن يكون بين الفريقين قتال البتة أو المراد لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالا لوافقناكم عليه ولكنكم تلقون بأيديكم الى التهلكة وذلك أن رأي عبد الله كان في الاقامة وما كان يستصوب الخروج من المدينة وكلا المعنيين منهم في الجواب فاسد أما الاول فلأن ظهور أمارات الحرب كاف في وجوب القتال والدفع عن النفس والمال والظن في أمور الدنيا قائم مقام العلم ولا أمارة أقوى من قرب الاعداء من المدينة عند جبل أحد وأما الثاني فلأنه تعالى لما وعدهم النصر والغلبة

ثنا سفيان عن حبيب عن سعيد قال قلت لابن عباس ان أصحاب عبد الله يقرؤن واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب واذ أخذ الله ميثاق النبيين قال فقال أخذ الله ميثاق النبيين على قومهم وأما قوله ليبيننه للناس فانه كما حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث قال ثنى أبى قال ثنا محمد بن ذكوان قال ثنا أبو نعامة السعدى قال كان الحسن يفسر قوله واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه ليتكلمن بالحق وليصدقنه بالعمل واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه بعضهم لتبيننه للناس ولا تكتمونه بالتاء وهى قراءة أعظم قراء أهل المدينة والكوفة على وجه المخاطب بمعنى قال الله لهم لتبيننه للناس ولا تكتمونه وقرأ ذلك آخرون ليبيننه للناس ولا يكتمونه بالياء جميعا على وجه الخبر عن الغائب لانهم فى وقت اخبار الله نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك عنهم كانوا غير موجودين فصار الخبر عنهم كالخبر عن الغائب والقول فى ذلك عندنا انهما قراءتان صحيحة وجوههما مستفيضتان فى قراءة الاسلام غير مختلفتى المعانى فبأيتهما قرأ القارئ فقد أصاب الحق والصواب فى ذلك غير أن الامر فى ذلك وان كان كذلك فان أحب القراءتين الى أن أقرأ بها ليبيننه للناس ولا يكتمونه بالياء جميعا استدلالا بقوله فنبذوه أنه اذ كان قد خرج مخرج الخبر عن الغائب على سبيل قوله فنبذوه حتى يكون متسقا كله على معنى واحد ومثال واحد ولو كان الاول بمعنى الخطاب لكان أن يقال فنبذتموه وراء ظهوركم أولى من أن يقال فنبذوه وراء ظهورهم وأما قوله فنبذوه وراء ظهورهم فانه مثل لتضييعهم القيام بالميثاق وتركهم العمل به وقد بينا المعنى الذى من أجله قيل ذلك كذلك فيما مضى من كتابنا هذا فكرهنا اعادته وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا يحيى بن أيوب البجلى عن الشعبى فى قوله فنبذوه وراء ظهورهم قال انهم قد كانوا يقرؤنه انما نبذوا العمل به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فنبذوه وراء ظهورهم قال نبذوا الميثاق حدثنى محمد بن سنان قال ثنا عثمان بن عمر قال ثنا مالك بن مغول قال نبئت عن الشعبى فى هذه الآية فنبذوه وراء ظهورهم قال قذفوه بين أيديهم وتركوا العمل به وأما قوله واشتروا به ثمنا قليلا فان معناه ما قلنا من أخذهم ما أخذوا على كتمانهم الحق وتحريفهم الكتاب كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى واشتروا به ثمنا قليلا أخذوا طمعا وكتموا اسم محمد صلى الله عليه وسلم وقوله فبئس ما يشترون يقول فبئس الشراء يشترون فى تضييعهم الميثاق وتبديلهم الكتاب كما حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فبئس ما يشترون قال تبديل اليهود التوراة :: القول فى تأويل قوله (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم عنى بذلك قوم من أهل النفاق كانوا يقعدون خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غزا العدو فاذا انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا اليه وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن سهل بن عسكر وابن عبد الرحيم البرقى قالا ثنا ابن أبى مريم قال ثنا محمد بن جعفر بن أبى كثير قال ثنى زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى أن رجالا من المنافقين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج النبى صلى الله عليه وسلم الى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف

رسول

ان صبروا واتقوا لم يكن الخروج الى ذلك القتال القاء النفس الى التهلكة ولو كان كذلك لما كان جوابهم قال (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان) لانهم تباعدوا بهذا الجواب المنبئ عن الدغل والنفاق عن الايمان المظنون بهم قبل اليوم والمراد أنهم لاهل الكفر أقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المسلمين بالانخزال تقوية لجانب المشركين وعلى الاول قال أكثر العلماء انه تنصيص من الله تعالى على أنهم كفار لان القرب من الكفر حصول الكفر قال الحسن اذا قال الله أقرب فهو اليقين بأنهم مشركون كقوله مائة ألف أو يزيدون فهذه الزيادة لا شك فيها وقال الواحدى فيه دليل على أن الآتى بكلمة التوحيد لا يكفر لانه تعالى لم يطلق القول بتكفيرهم (يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم) أى لا يتجاوز الايمان حناجرهم ومخارج الحروف منهم خلاف صفة المؤمنين فى مواطأة قلوبهم ما نطقوا به من التوحيد (والله أعلم بما يكتمون) من بغض الاسلام والمسلمين وسائر مجارى أحوالهم فيما بينهم وذلك أن المؤمنين قد علموا بعض ذلك بالقرائن والامارات وهو تعالى عالم بتفاصيل ذلك لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء (الذين قالوا) منصوب على الذم أو على البدل من الذين نافقوا أو مرفوع على الذم أى هم الذين أو على البدل من ضمير يكتمون وقيل يجوز أن يكون مجرورا بدلا من الضمير فى أفواههم أو قلوبهم (لاخوانهم) لاجل اخوانهم المقتولين يوم أحد اخوة فى النسب أو فى سكنى الدار أو فى الجنسية فى النفاق والقائلون عند جمهور المفسرين عبد الله بن أبىّ وأصحابه واعترض الاصم بأنه قد خرج يوم أحد فكيف وصف بالقعود فى قوله (وقعدوا) أى والحال أنهم قد قعدوا عن القتال والجواب أن القعود عن القتال وهو الجبن عنه وتركه لا ينافى الخروج (لو أطاعونا) فى أمرنا اياهم بالقعود (ما قتلوا) كأنهم قعدوا وما اكتفوا بذلك بل أرادوا تثبيط غيرهم وذلك لما فى الطباع من محبة الحياة وكراهة الموت «ومن يسمع يخل» فلعل بعض ضعفة المسلمين اذا سمع ذلك رغب فى القعود

رسول الله واذا قدم النبي صلى الله عليه وسلم من السفر اعتذروا اليه وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا فأنزل الله تعالى فيهم لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا الآية حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا قال هؤلاء المنافقون يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم لو قد خرجت لخرجنا معك فاذا خرج النبي صلى الله عليه وسلم تخلفوا وكذبوا ويفرحون بذلك ويرون أنها حيلة احتالوا بها وقال آخرون عني بذلك قوم من أحبار اليهود كانوا يفرحون باضلالهم الناس ونسبة الناس اياهم الى العلم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة مولى ابن عباس أو سعيد بن جبير واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب الى قوله ولهم عذاب أليم يعني فنحاصا وأشيع وأشباههما من الأحبار الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زينوا للناس من الضلالة ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا أن يقول لهم الناس علماء وليسوا بأهل علم لم يحملوهم على هدى ولا خير ويحبون أن يقول لهم الناس قد فعلوا حدثنا ابن كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أنه حدثه عن ابن عباس بنحو ذلك الا أنه قال وليسوا بأهل علم لم يحملوهم على هدى وقال آخرون بل عني بذلك قوم من اليهود فرحوا باجتماع كلمتهم على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ويحبون أن يحمدوا بأن يقال لهم أهل صلاة وصيام ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول في قوله لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا فانهم فرحوا باجتماعهم على كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقالوا قد جمع الله كلمتنا ولم يخالف أحد منا أحدا أنه نبي وقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه ونحن أهل الصلاة والصيام وكذبوا بل هم أهل كفر وشرك وافتراء على الله قال الله يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا قال قالت اليهود أمر بعضهم بعضا فكتب بعضهم الى بعض ان محمدا ليس بنبي فأجمعوا كلمتكم وتمسكوا بدينكم وكتابكم الذي معكم ففعلوا وفرحوا بذلك وفرحوا باجتماعهم على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قال كتموا اسم محمد صلى الله عليه وسلم ففرحوا بذلك وفرحوا باجتماعهم على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قال كتموا اسم محمد صلى الله عليه وسلم وفرحوا بذلك حين اجتمعوا عليه وكانوا يزكون أنفسهم فيقولون نحن أهل الصيام وأهل الصلاة وأهل الزكاة ونحن على دين ابراهيم صلى الله عليه وسلم فأنزل الله فيهم لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا من كتمان محمد صلى الله عليه وسلم ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا أحبوا أن تحمدهم العرب بما يزكون به أنفسهم وليسوا كذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن أبي الجحاف عن مسلم البطين قال سأل الحجاج جلساءه عن هذه الآية لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا قال سعيد بن جبير بكتمانهم محمدا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا قال هو

ونفر طبعه عن الجهاد فأجابهم الله تعالى بقوله قل فادرؤا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين في أن الحذر يغني عن القدر وأن سلامتكم كانت بسبب قعودكم لا بغيره من أسباب النجاة وفيه استهزاء بهم أي ان كنتم رجالا دفاعين لأسباب الموت فادفعوا جميع أسبابه حتى لا تموتوا وروى أنه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا جميع ذلك بناء على أن القتل أمر مكروه يجب على العاقل أن يتحرز منه لو أمكنه لكنا لا نسلم ذلك وهو المراد بقوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا والخطاب للرسول أو لكل أحد ومن قرأ على الغيبة فالضمير للرسول أو المراد لا يحسبن حاسب أو لا يحسبنهم أمواتا وضمير المفعول للذين قتلوا أي لا يحسبن الذين قتلوا أنفسهم أمواتا فحذف المفعول الأول لدلالة الكلام عليه فكأنه مذكور كما حذف المبتدأ في قوله بل أحياء أي هم أحياء للدلالة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصيب اخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا أنا في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله عز وجل أنا أبلغهم عنكم فأنزل هذه الآية وعن جابر بن عبد الله قال نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالي أراك مهتما قلت يا رسول الله قتل أبي وترك دينا وعيالا فقال ألا أخبرك ما كلم الله أحدا قط الا من وراء حجاب وانه كلم أباك كفاحا فقال يا عبدي سلني أعطك فقال أسألك أن تردني الى الدنيا فأقتل فيك ثانية فقال انه قد سبق مني أنهم اليها لا يرجعون فقال يا رب فأبلغ من ورائي فنزلت وقال جماعة من أهل التفسير نزلت الآية في شهداء بئر معونة وقال بعضهم ان أولياء الشهداء كانوا اذا أصابتهم نعمة أو سرور تحسروا وقالوا نحن في النعمة والسرور وآباؤنا وأبناؤنا واخواننا في القبور فنزلت الآية تنفيسا عنهم واخبارا عن حال قتلاهم أنهم أحياء متنعمون واختلف العلماء في معنى هذه الحياة فعن

طائفة انها على سبيل المجاز وقال الاصم والبلخي أراد بها الذكر الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى وروى أن عبد الملك بن مروان لما رأى الزهري وعلم فقهه وتحقيقه قال ما مات من خلف مثلك ومن هذه الطائفة من قال مجاز هذه الحياة ان أجسادهم باقية في قبورهم وانها لا تبلى تحت الارض البتة روى انه (١٣٨) لما أراد معاوية أن يجري العين الى قبور الشهداء أمر بأن ينادي من كان له قتيل فليخرجه من هذا الموضع قال جابر فخرجنا اليهم فأخرجناهم رطاب الابدان فأصاب المسحاة اصبع رجل منهم فقطرت دما ومن هؤلاء من قال المراد أنهم لا يغسلون كما لا يغسل الاحياء وذهبت طائفة من متكلمي المعتزلة الى أن المراد أنهم سيصيرون أحياء والغرض تعذيب منكري المعاد وزيف بأنه عدول عن الظاهر وبأن عذاب القبر ثابت فالثواب أولى وبأنه نهى عن حسبانهم أمواتا والذي يزيل هذا الحسبان هو اعتقاد أنهم أحياء في الحال لا اعتقاد أنهم أحياء في يوم القيامة فان ذلك مما لا يشك النبي والمؤمنون فيه وبما روينا عن ابن عباس ان أرواحهم في أجواف طير وبقوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم والاستبشار عمن يكون في الدنيا لابد أن يكون قبل يوم القيامة وذهب كثير من المحققين الى أنهم أحياء في الحال لكن بحياة روحانية وان أرواحهم تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش الى يوم القيامة وذلك أن الانسان ليس عبارة عن مجموع هذه البنية لان أجزاء البدن في الذوبان والانحلال ويعرض لها السمن والهزال والقوة والكلال وكلنا نجد من نفسه انه شيء واحد من أول عمره الى آخره والباقي مغاير للمتبدل ولان الانسان يكون عالما بنفسه حالما يكون غافلا عن جميع أعضائه وأجزائه والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم ثم ذلك الشيء المغاير لهذا البدن المحسوس سواء كان جسما مخصوصا ساريا أو جوهرا مجردا لا يبعد أن ينفصل بعد موت البدن حيا وأماته الله فيعيده حيا وبهذا يثبت عذاب القبر وثوابه وتزول الشبهات ومن تأمل في الامور الواردة عليه وجد أحوال النفس مضادة لاحوال البدن ووجد قوة أحدهما مقتضية

قولهم نحن على دين ابراهيم عليه السلام حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا هم أهل الكتاب أنزل عليهم الكتاب فحكموا بغير الحق وحرفوا الكلم عن مواضعه وفرحوا بذلك وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا فرحوا بأنهم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل الله وهم يزعمون أنهم يعبدون الله ويصومون ويصلون ويطيعون الله فقال الله جل ثناؤه لمحمد صلى الله عليه وسلم لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا كفروا بالله وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا من الصلاة والصوم فقال الله جل وعز لمحمد صلى الله عليه وسلم فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم * وقال آخرون بل معنى ذلك لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا من تبديلهم كتاب الله ويحبون أن يحمدهم الناس على ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا قال يهود فرحوا باعجاب الناس بتبديلهم الكتاب وحمدهم اياهم عليه ولا تملك يهود ذلك * وقال آخرون معنى ذلك أنهم فرحوا بما أعطى الله تعالى آل ابراهيم عليه السلام ذكر من قال ذلك حدثني محمد ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي المعلى عن سعيد بن جبير أنه قال في هذه الآية ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا قال اليهود يفرحون بما آتى الله ابراهيم عليه السلام حدثنا ابن المثنى قال ثنا وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن أبي المعلى العطار عن سعيد بن جبير قال هم اليهود فرحوا بما أعطى الله تعالى ابراهيم عليه السلام * وقال آخرون بل عني بذلك قوم من اليهود سألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه ففرحوا بكتمانهم ذلك اياه ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرني ابن أبي مليكة أن علقمة ابن أبي وقاص أخبره أن مروان قال لرافع اذهب يا رافع الى ابن عباس فقل له لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا ليعذبنا الله أجمعين فقال ابن عباس ما لكم ولهذه انما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهود فسألهم عن شيء فكتموه اياه وأخبروه بغيره فأروه أن قد استحمدوا الله بما أخبروه عنه مما سألهم وفرحوا بما أتوا من كتمانهم اياه ثم قال واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج أخبرني عبد الله بن أبي مليكة أن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أخبره أن مروان بن الحكم قال لبوابه يا رافع اذهب الى ابن عباس فقل له لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن جميعا فقال ابن عباس ما لكم ولهذه الآية انما أنزلت في أهل الكتاب ثم تلا ابن عباس واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس الى قوله أن يحمدوا بما لم يفعلوا قال ابن عباس سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه اياه وأخبروه بغيره فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما قد سألهم عنه فاستحمدوا بذلك اليه وفرحوا بما أتوا من كتمانهم اياه ما سألهم عنه * وقال آخرون بل عني بذلك قوم من يهود أظهروا النفاق للنبي صلى الله عليه وسلم محبة منهم للحمد والله عالم منهم خلاف ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذكر لنا أن أعداء الله اليهود يهود

خبروا أتوا نبي الله صلى الله عليه وسلم فزعموا انهم راضون بالذي جاء به وانهم متابعوه وهم متمسكون بضلالتهم وأرادوا أن يحمدهم نبي الله صلى الله عليه وسلم بما لم يفعلوا فأنزل الله تعالى لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا الآية حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال ان أهل خيبر أتوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقالوا انا على رأيكم وهيئتكم وانا لكم ردء فأكذبهم الله فقال لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا الآيتين حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة قال جاء رجل الى عبد الله فقال ان كعبا يقرأ عليك السلام ويقول ان هذه الآية لم تنزل فيكم لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا قال أخبروه انها نزلت وهو يهودي * وأولى هذه الاقوال بالصواب في تأويل قوله لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا الآية قول من قال عني بذلك أهل الكتاب الذين أخبر الله جل وعز أنه أخذ ميثاقهم ليبينن للناس أمر محمد صلى الله عليه وسلم ولا يكتمونه لان قوله لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا الآية في سياق الخبر عنهم وهو شبيه بقصتهم مع اتفاق أهل التأويل على أنهم المعنيون بذلك فاذ كان ذلك كذلك فتأويل الآية لا تحسبن يا محمد الذين يفرحون بما أتوا من كتمانهم الناس أمرك وأنك لي رسول مرسل بالحق وهم يجدونك مكتوبا عندهم في كتبهم وقد أخذت عليهم الميثاق بالاقرار بنبوتك وبيان أمرك للناس وأن لا يكتموهم ذلك وهم مع نقضهم ميثاقي الذي أخذت عليهم بذلك يفرحون بمعصيتهم اياي في ذلك ومخالفتهم أمري ويحبون أن يحمدهم الناس بانهم أهل طاعة لله وعبادة وصلاة وصوم واتباع لوحيه وتنزيله الذي أنزله على أنبيائه وهم من ذلك أبرياء أخلياء لتكذيبهم رسوله ونقضهم ميثاقه الذي أخذ عليهم لم يفعلوا شيأ مما يحبون أن يحمدهم الناس عليه فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم وقوله فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب فلا تظننهم بمنجاة من عذاب الله الذي أعده لاعدائه في الدنيا من الخسف والمسخ والرجف والقتل وما أشبه ذلك من عقاب الله ولا هم ببعيد منه كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب قال بمنجاة من العذاب قال أبو جعفر ولهم عذاب أليم يقول ولهم عذاب في الآخرة أيضا مؤلم مع الذي لهم في الدنيا معجل ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ولله ملك السموات والارض والله على كل شئ قدير﴾ وهذا تكذيب من الله جل ثناؤه الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء يقول تعالى ذكره مكذبا لهم لله ملك جميع ما حوته السموات والارض فكيف يكون أيها المفترون على الله من كان ملك ذلك له فقيرا ثم أخبر جل ثناؤه أنه القادر على تعجيل العقوبة لقائلي ذلك ولكل مكذب به ومفتر عليه وعلى غير ذلك مما أرادوا وأحبوا ولكنه تفضل بحلمه على خلقه فقال والله على كل شئ قدير يعني من اهلاك قائلي ذلك وتعجيل عقوبته لهم وغير ذلك من الامور ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب﴾ وهذا احتجاج من الله تعالى ذكره على قائل ذلك وعلى سائر خلقه بأنه المدبر المصرف الاشياء والمسخر ما أحب وان الاغناء والافقار اليه وبيده فقال جل ثناؤه تدبروا أيها الناس واعتبروا ففيما أنشأته فخلقته من السموات والارض لمعاشكم وأقواتكم

ضعف الآخر كما أن البدن يضعف وقت النوم وتقوى النفس على مشاهدة المغيبات ونقوش عالم الارواح واذا أعرضت النفس عن الطعام والشراب وأقبلت على مطالعة العالم العلوي زادت سرورا وابتهاجا وفرحا وارتياحا وانطبعت فيها الجلايا القدسية وانكشفت لها المعارف الالهية وأكثر أرباب الشرع على أنهم أحياء في الحال بحياة جسمانية ثم منهم من قال انه تعالى يصعد أجسادهم الى السموات والى قناديل تحت العرش ويوصل أنواع السعادات والكرامات اليها ومنهم من قال بل يتركها في الارض ويحييها ويوصل هذه السعادات اليها ومن الناس من طعن في هذا القول وقال ان تجويز كون البدن الميت الملقى في التراب حيا متنعما عاقلا عارفا نوع من السفسطة والحق في هذه المسئلة عندي خلاف ما يقوله أهل التناسخ من أن النفس بعد موت بدنها تقبل على بدن آخر وتعرض عن الاول بالكلية وخلاف ما يقوله الفلاسفة من أن النفس تنقطع علاقتها عن البدن مطلقا وانما تلتذ أو تتألم هي بما اكتسبت من المعارف الحقة والاخلاق الفاضلة أو بالعقائد الباطلة والملكات الذميمة والذي أقوله ان النفس تبقى لها علاقة مع بدنها الا بالتحريك واكتساب الاعمال ولكن بالتلذذ والتألم والتعقل ونحوها وليس ببدع أن يتغير التعلق بحسب تغير الاطوار كما كان يتغير في مدة العمر بحسب الاسنان والامزجة والتحقيق فيه أن النفس في هذا العالم جعلت متصرفة في البدن لاجل اكتساب الاعمال والملكات وانه يفتقر الى تحريك الاعضاء وأعمال الجوارح والآلات وبعد الموت تجعل متصرفة فيه من جهة الجزاء والحساب فكيف ينبغي أن يقاس أحدهما على الآخر فلعله يكفي بعد الموت أن يكون له علاقة التلذذ والتألم والادراك فقط الى أن تقوم القيامة الكبرى وهذا القدر لا ينافي كون البدن مشاهدا في القبر من غير تحرك ولا احساس ونطق ويؤيده ما روي انه صلى الله عليه وسلم وقف على قليب بدر وقال يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فاني وجدت ما وعدني الله حقا فقال عمر يا رسول الله

كيف تكلم أجساد الأرواح فيها فقال ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا علي شيأ وفي حديث عذاب القبر انه ليسمع قرع نعالهم واعل السر في انه اكتفى بهذا القدر من التصرف انه ان كان أكثر من ذلك كما سيكون في القيامة الكبرى نافى تكاليف سائر الاحياء وأفضى الامر الى الالجاء وهو السر (١٤٠) في آخر حديث عذاب القبر فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين وأما الشهداء فلا يبعد أن يجازيهم الله تعالى بمزيد التلذذ بنعيم الآخرة كما قتلوا تعجيلا للثواب وكما عجلوا الانقطاع عن طيبات الدنيا ومشتهياتها فان جزاء كل طائفة ينبغي أن يناسب عملهم فافهم هذه الاسرار فانها اعلاق مضنة وبه تثبت جميع ماورد في الشريعة الحقة والله أعلم ومعنى عند ربهم أنهم مقربون ذوو كرامة كقوله فالذين عند ربك أو المراد بحيث لا يملك أحد جزاءهم سوى ربهم أو المراد في علمه وحكمه كما يقال هذه المسئلة عند الشافعي كذا يرزقون كما يرزق سائر الاحياء يأكلون ويشربون وهو تأكيد لكونهم أحياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله كما ورد في الحديث فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو توفيق الشهادة وما خصصهم به من التفضيل على غيرهم من قبل تعجيل رزق الجنة ونعيمها وقال المتكلمون الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم فقوله يرزقون اشارة الى المنفعة وقوله فرحين اشارة الى الابتهاج الحاصل بسبب التعظيم وبلسان الحكماء يرزقون اشارة الى كون ذواتهم مشرقة بالمعارف الالهية وفرحين رمز الى ابتهاجها بالنظر الى ينبوع النور ومصدر الكمال ويستبشرون بالذين باخوانهم من المجاهدين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم والاستبشار السرور الحاصل بالبشارة ومعنى من خلفهم أنهم بقوا بالمسئلة بعدهم وقيل لم يلحقوا بهم أي لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل الاشتمال من الذين وذلك أن الله يبشرهم بأن من تركوا خلفهم من المؤمنين يبعثون آمنين يوم القيامة فهم مستبشرون بأنه لا خوف عليهم وانما بشرهم الله بذلك لانهم لما

وأرزاقكم وفيما عقبت بينه من الليل والنهار فجعلتهما يختلفان ويعتقبان عليكم تتصرفون في هذا لمعاشكم وتسكنون في هذا راحة لاجسادكم معتبر ومذكر وآيات وعظات فمن كان منكم ذا لب وعقل يعلم أن من نسبني الى أني فقير وهو غني كاذب مفتر فان ذلك كله بيدي أقلبه وأصرفه ولو أبطلت ذلك لهلكتم فكيف ينسب فقر الى من كان كل ما به عيش ما في السموات والارض بيده واليه أم كيف يكون غنيا من كان رزقه بيد غيره اذا شاء رزقه واذا شاء حرمه فاعتبروا يا أولي الالباب

القول في تأويل قوله ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض﴾ وقوله الذين يذكرون الله قياما وقعودا من نعت أولي الالباب والذين في موضع خفض ردا على قوله لاولي الالباب ومعنى الآية ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب الذاكرين الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم يعني بذلك قياما في صلاتهم وقعودا في تشهدهم وفي غير صلاتهم وعلى جنوبهم نياما كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله الذين يذكرون الله قياما وقعودا الآية قال هو ذكر الله في الصلاة وفي غير الصلاة وقراءة القرآن حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وهذه حالات كلها يا ابن آدم فاذكره وأنت على جنبك يسرا من الله وتخفيفا فان قال قائل وكيف قيل وعلى جنوبهم فعطف بعلى وهي صفة على القيام والقعود وهما اسمان قيل لان قوله وعلى جنوبهم في معنى الاسم ومعناه ونياما أو مضطجعين على جنوبهم فحسن عطف ذلك على القيام والقعود لذلك المعنى كما قيل واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فعطف بقوله أو قاعدا أو قائما على قوله لجنبه لان معنى قوله لجنبه مضطجعا فعطف بالقاعد والقائم على معناه فكذلك ذلك في قوله وعلى جنوبهم وأما قوله ويتفكرون في خلق السموات والارض فانه يعني بذلك أنهم يعتبرون بصنعة صانع ذلك فيعلمون أنه لا يصنع ذلك الا من ليس كمثله شئ ومن هو مالك كل شئ ورازقه وخالق كل شئ ومدبره ومن هو على كل شئ قدير وبيده الاغناء والافقار والاعزاز والاذلال والاحياء والاماتة والشقاء والسعادة

القول في تأويل قوله ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار﴾ يعني بذلك تعالى ذكره ويتفكرون في خلق السموات والارض قائلين ربنا ما خلقت هذا باطلا فترك ذكر قائلين اذ كان فيما ظهر من الكلام دلالة عليه وقوله ما خلقت هذا باطلا يقول لم تخلق هذا الخلق عبثا ولا لعبا ولم تخلقه الا لأمر عظيم من ثواب وعقاب ومحاسبة ومجازاة وانما قال ما خلقت هذا باطلا ولم يقل ما خلقت هذه ولا هؤلاء لانه أراد بهذا الخلق الذي في السموات والارض يدل على ذلك قوله سبحانك فقنا عذاب النار ورغبتهم الى ربهم في أن يقيهم عذاب الجحيم ولو كان المعنى بقوله ما خلقت هذا باطلا السموات والارض لما كان لقوله عقيب ذلك فقنا عذاب النار معنى مفهوم لان السموات والارض أدلة على بارئها لا على الثواب والعقاب وانما الدليل على الثواب والعقاب الامر والنهي وانما وصف جل ثناؤه أولي الالباب الذين ذكرهم في هذه الآية أنهم اذا رأوا المأمورين المنهيين قالوا يا ربنا لم تخلق هؤلاء باطلا عبثا سبحانك يعني تنزيها لك من أن تفعل شيأ عبثا ولكنك خلقتهم لعظيم من الامر لجنة أو نار ثم فزعوا الى ربهم

بالمسئلة أن يجيرهم من عذاب النار وأن لا يجعلهم ممن عصاه وخالف أمره فيكونوا من أهل جهنم

﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار ﴾ اختلف أهل التاويل فى ذلك فقال بعضهم معنى ذلك ربنا انك من تدخل النار من عبادك فتخلده فيها فقد أخزيته قال ولا يخزى مؤمن مصيره الى الجنة وان عذب بالنار بعض العذاب ذكر من قال ذلك حدثنى أبو حفص الجبيرى ومحمد بن بشار قالا أخبرنا المؤمل أخبرنا أبو هلال عن قتادة عن أنس فى قوله ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته قال من تخلد حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن رجل عن ابن المسيب ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته قال هى خاصة لمن لا يخرج منها حدثنى المثنى قال ثنا أبو النعمان عارم قال ثنا حماد بن زيد قال ثنا قبيصة بن مروان عن الاشعث الحملى قال قلت للحسن يا أبا سعيد أرأيت ما تذكر من الشفاعة حق هو قال نعم حق قال قلت يا أبا سعيد أرأيت قول الله تعالى ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته ويريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها قال فقال لى انك والله لا تستطيع على شئ أن للنار أهلا لا يخرجون منها كما قال الله قال قلت يا أبا سعيد فيمن دخلوا ثم خرجوا قال كانوا أصابوا ذنوبا فى الدنيا فأخذهم الله بها فأدخلهم بها ثم أخرجهم بما يعلم فى قلوبهم من الايمان والتصديق به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله انك من تدخل النار فقد أخزيته قال هو من يخلد فيها * وقال آخرون معنى ذلك ربنا انك من تدخل النار من مخلد فيها وغير مخلد فيها فقد أخزى بالعذاب ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا الحرث بن مسلم عن يحيى بن عمرو ابن دينار قال قدم علينا جابر بن عبد الله فى عمرة فانتهيت اليه أنا وعطاء فقلت ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته قال وما اخزاؤه حين أحرقه بالنار وان دون ذلك لخزيا وأولى القولين بالصواب عندى قول جابر ان من أدخل النار فقد أخزى بدخوله اياها وان أخرج منها وذلك أن الخزى انما هو هتك ستر المخزى وفضيحته ومن عاقبه ربه فى الآخرة على ذنوبه فقد فضحه بعقابه اياه وذلك هو الخزى وأما قوله وما للظالمين من أنصار يقول وما لمن خالف أمر الله فعصاه من ذى نصرة له ينصره من الله فيدفع عنه عقابه أو ينقذه من عذابه ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار ﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل المنادى الذى ذكره الله تعالى فى هذه الآية فقال بعضهم المنادى فى هذا الموضع القرآن ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا قبيصة بن عقبة قال ثنا سفيان عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان قال هو الكتاب ليس كلهم لقى النبى صلى الله عليه وسلم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا منصور بن حكيم عن خارجة عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظى فى قوله ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان قال ليس كل الناس سمع النبى صلى الله عليه وسلم ولكن المنادى القرآن * وقال آخرون بل هو محمد صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان قال هو محمد صلى الله عليه وسلم حدثنى يونس قال

فارقوا الدنيا بغتة كان ذلك مظنة أن يكون لهم نوع تعلق باحوال اخوانهم وهو شبه تألم فأكرمهم الله تعالى بازالة ذلك التعلق بان أعلمهم أمن اخوانهم من عذاب الله فحصل لهم سروران من قبل حالهم فى أنفسهم وذلك قوله فرحين بما آتاهم الله من فضله ومن قبل حال اخوانهم وأعزتهم وذلك قوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم ثم كرر هذا المعنى لمزيد (١٤١) التأكيد فقال يستبشرون بنعمة من الله وهى الثواب وفضل وهو التفضل الزائد وهذا هو سرورهم بسعادة أنفسهم وأن الله أى وبان الله لا يضيع أجر المؤمنين وهذا سرورهم بسعادة اخوانهم المؤمنين ثم انه تعالى مدح المؤمنين بغزوتين متصلتين بغزوة أحد تعرف أولاهما بغزوة حمراء الاسد والثانية بغزوة بدر الصغرى أما الاولى فما روى أن أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا وقالوا انا قتلنا أكثرهم ولم يبق منهم الا القليل فلم تركناهم فهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله فاراد أن يرهب الكفار ويريهم من نفسه ومن أصحابه قوتهم فندب أصحابه الى الخروج فى طلب أبى سفيان وقال لا أريد الآن أن يخرج معى الا من حضر يومنا بالأمس فخرج فى سبعين من الصحابة حتى بلغوا حمراء الاسد وهى من المدينة على ثمانية أميال فالقى الله الرعب فى قلوب المشركين وانهزموا فنزلت الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا باتيان جميع المأمورات واتقوا بالانتهاء عن المحظورات وأحسنوا فى طاعة الرسول واتقوا مخالفته وان بلغ الامر بهم الى الجراحات روى انه كان فيهم من يحمل صاحبه على عنقه ساعة ثم كان المحمول يحمل الحامل ساعة أخرى وكان فيهم من يتوكأ على صاحبه ساعة ويتوكأ عليه صاحبه ساعة ومن فى قوله الذين أحسنوا منهم للتبيين لان الذين استجابوا لله والرسول قد أحسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم وقال أبو بكر الاصم نزلت فى يوم أحد لما رجع النبى صلى الله عليه وسلم بالناس بعد الهزيمة فشد بهم على المشركين حتى كشفهم وكانوا قد هموا بالمثلة فدفعهم عنهم بعد أن مثلوا بحمزة فصلى عليهم النبى صلى الله عليه وسلم ودفنهم بدمائهم وذكروا

أن صفية جاءت لتنظر الى أخيها حمزة فقال صلى الله عليه وسلم للزبير ردها لئلا تجزع من مثلة أخيها فقالت قد بلغني ما فعل به وذلك يسير في جنب طاعة الله تعالى فقال للزبير فدعها تنظر اليه فقالت خيرا واستغفرت له وجاءت امرأة أخرى قد قتل زوجها وأبوها وأخوها وابنها فلما رأت الرسول صلى الله عليه وسلم

وهو حي قالت ان كل مصيبة بعدك هدر وأما الثانية فروى ابن عباس ان أبا سفيان لما عزم أن ينصرف من المدينة الى مكة نادى يا محمد موعدنا موسم بدر الصغرى القابل فنقتتل بها ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم لعمر قل بيننا وبينك ذلك ان شاء الله فلما حضر الاجل خرج أبو سفيان مع قومه حتى نزل مر الظهران فألقى الله الرعب في قلبه فبدا له أن يرجع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم اني واعدت محمدا أن نلتقي بموسم بدر وان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي أن أرجع ولكن ان خرج محمد ولم أخرج زاده ذلك جرأة فالحق بالمدينة وثبطهم ولك عندي عشر من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا بالرأي أتوكم في دياركم وقراركم فقتلوا أكثركم فان ذهبتم اليهم لم يرجع منكم أحد فوقع هذا الكلام في قلوب قوم منهم فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لأخرجن اليهم وحدي فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل الى أن وصلوا الى بدر الصغرى وهي ماء لبني كنانة وكانت موضع سوق لهم يجتمعون فيها كل عام ثمانية أيام فلم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أحدا من المشركين وكانت معهم تجارات ونفقات فوافوا السوق وباعوا ما معهم واشتروا بها أدما وزبيبا وربحوا وأصابوا بالدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين ورجع أبو سفيان الى مكة فسمى أهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا انما خرجتم لتشربوا السويق وأنزل الله في المؤمنين الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود كما ذكرناه وانما عبر عن الانسان الواحد بالناس لانه من جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل وماله الا فرس واحد

يؤتيهم

أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان قال ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولى القولين في ذلك بالصواب قول محمد بن كعب وهو أن يكون المنادي القرآن لان كثيرا ممن وصفهم الله بهذه الصفة في هذه الآيات ليسوا ممن رأى النبي صلى الله عليه وسلم ولا عاينه فسمعوا دعاءه الى الله تبارك وتعالى ونداءه ولكنه القرآن وهو نظير قوله جل ثناؤه مخبرا عن الجن اذ سمعوا كلام الله يتلى عليهم انهم قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد و بنحو ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان الى قوله وتوفنا مع الابرار سمعوا دعوة من الله فأجابوها فأحسنوا الاجابة فيها وصبروا عليها ينبئكم الله عن مؤمن الانس كيف قال وعن مؤمن الجن كيف قال فأما مؤمن الجن فقال انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا وأما مؤمن الانس فقال اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا الآية وقيل اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان يعني ينادي الى الايمان كما قال تعالى ذكره الحمد لله الذي هدانا لهذا بمعنى هدانا الى هذا وكما قال الراجز

أوحى لها القرار فاستقرت * وشدها بالراسيات الثبت

يعني أوحى اليها ومنه قوله بأن ربك أوحى لها وقيل يحتمل أن يكون معناه اننا سمعنا مناديا للايمان ينادي أن آمنوا بربكم فتأويل الآية اذا ربنا سمعنا داعيا يدعو الى الايمان يقول الى التصديق بك والاقرار بوحدانيتك واتباع رسولك وطاعته فيما أمرنا به ونهانا عنه مما جاء به من عندك فآمنا ربنا يقول فصدقنا بذلك يا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا يقول فاستر علينا خطايانا ولا تفضحنا بها في القيامة على رؤس الاشهاد بعقوبتك ايانا عليها ولكن كفرها عنا وسيئات أعمالنا فامحها بفضلك ورحمتك ايانا وتوفنا مع الابرار يعني بذلك واقبضنا اليك اذا قبضتنا اليك في عداد الابرار واحشرنا محشرهم ومعهم والابرار جمع بر وهم الذين بروا الله تبارك وتعالى بطاعتهم اياه وخدمتهم له حتى أرضوه فرضي عنهم ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد ﴾ ان قال لنا قائل وما وجه مسئلة هؤلاء القوم ربهم أن يؤتيهم ما وعدهم وقد علموا أن الله منجز وعده وغير جائز أن يكون منه اخلاف موعد قيل اختلف في ذلك أهل البحث فقال بعضهم ذلك قول خرج مخرج المسئلة ومعناه الخبر قالوا وانما تأويل الكلام ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار لتؤتينا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة قالوا وليس ذلك على أنهم قالوا ان توفيتنا مع الابرار فانجز لنا ما وعدتنا لانهم قد علموا أن الله لا يخلف الميعاد وان ما وعد على ألسنة رسله ليس يعطيه بالدعاء ولكنه تفضل بابتدائه ثم ينجزه وقال آخرون بل ذلك قول من قائله على معنى المسئلة والدعاء لله بان يجعلهم ممن آتاهم ما وعدهم من الكرامة على ألسن رسله لا أنهم كانوا قد استحقوا منزلة الكرامة عند الله في أنفسهم ثم سألوا أن يؤتيهم ما وعدهم بعد علمهم باستحقاقهم عند أنفسهم فيكون ذلك منهم مسئلة لربهم أن لا يخلف وعده قالوا ولو كان القوم انما سألوا ربهم أن يؤتيهم ما وعد الابرار لكانوا قد زكوا أنفسهم وشهدوا لها أنهم ممن قد استوجب كرامة الله وثوابه قالوا وليس ذلك صفة أهل الفضل من المؤمنين وقال آخرون بل قالوا هذا القول على وجه المسئلة والرغبة منهم الى الله أن

يؤتيهم ما وعدهم من النصر على أعدائهم من أهل الكفر والظفر بهم واعلاء كلمة الحق على الباطل فيعجل ذلك لهم قالوا ومحال أن يكون القوم مع وصف الله اياهم بما وصفهم به كانوا على غير يقين من أن الله لا يخلف الميعاد فيرغبوا الى الله جل ثناؤه في ذلك ولكنهم كانوا وعدوا النصر ولم يوقت لهم في تعجيل ذلك لهم لما في تعجله من سرور الظفر وراحة الجسد والذي هو أولى الاقوال بالصواب في ذلك عندي أن هذه الصفة صفة من هاجر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من وطنه وداره مفارقا لاهل الشرك بالله الى الله ورسوله وغيرهم من تباع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين رغبوا الى الله في تعجيل نصرتهم على أعداء الله وأعدائهم فقالوا ربنا آتنا ما وعدتنا من نصرتك عليهم عاجلا فانك لا تخلف الميعاد ولكن لا صبر لنا على أناتك وحلمك عنهم فعجل حربهم ولنا الظفر عليهم يدل على صحة ذلك آخر الآية الاخرى وهو قوله فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا الآيات بعدها وليس ذلك مما ذهب اليه الذين حكيت قولهم في شئ وذلك أنه غير موجود في كلام العرب أن يقال افعل بنا يا رب كذا وكذا بمعنى افعل بنا لكذا الذي ولو جاز ذلك لجاز أن يقول القائل الآخر أقبل الي وكلمني بمعنى أقبل الي لتكلمني وذلك غير موجود في الكلام ولا معروف جوازه وكذلك أيضا غير معروف في الكلام آتنا ما وعدتنا بمعنى اجعلنا ممن آتيته ذلك وان كان كل من أعطى شيأ سنيا فقد صير نظيرا لمن كان مثله في المعنى الذي أعطيه ولكن ليس الظاهر من معنى الكلام ذلك وان كان قد يؤول معناه اليه فتأويل الكلام اذا ربنا أعطنا ما وعدتنا على ألسن رسلك انك تعلي كلمتك كلمة الحق بتأييدنا على من كفر بك وحادك وعبد غيرك وعجل لنا ذلك فانا قد علمنا أنك لا تخلف ميعادك ولا تخزنا يوم القيامة فتفضحنا بذنوبنا التي سلفت منا ولكن كفرها عنا واغفرها لنا وقد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك قال يستنجز موعود الله على رسله ﴿ القول في تأويل قوله ﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض﴾ يعني تعالى ذكره فأجاب هؤلاء الداعين بما وصف الله عنهم أنهم دعوا به ربهم بأني لا أضيع عمل عامل منكم عمل خيرا ذكرا كان العامل أو أنثى وذكر أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال الرجال يذكرون ولا تذكر النساء في الهجرة فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك هذه الآية حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال قالت أم سلمة يا رسول الله تذكر الرجال في الهجرة ولا نذكر فنزلت أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى الآية حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار قال سمعت رجلا من ولد أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم يقول قالت أم سلمة يا رسول الله لا أسمع الله يذكر النساء في الهجرة بشئ فأنزل الله تبارك وتعالى فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى حدثنا الربيع بن سليمان قال ثنا أسد بن موسى قال ثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن رجل من ولد أم سلمة عن أم سلمة أنها قالت يا رسول الله لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشئ فأنزل الله

ولان الواحد اذا قال قولا وله أتباع يقولون مثل قوله ويرضون به حسن اضافة ذلك الفعل الى الكل كقوله تعالى واذ قتلتم نفسا وحين قال نعيم ذلك القول لم يخل من ناس من أهل المدينة يضامّونه ويصلون جناح كلامه وقال ابن عباس ومحمد بن اسحق مر ركب من عبد القيس بأبي سفيان فدسهم الى المسلمين ليخوفوهم وضمن لهم عليه حمل الاجل بعيرا من زبيب وقال السدى هم منافقو المدينة كانوا يثبطون المسلمين عند الخروج ويقولون ان الناس قد جمعوا لكم يعني أبا سفيان وأصحابه والمفعول محذوف أي جمعوا لكم الجموع والعرب تسمي الجيش جمعا فاخشوهم فزادهم قول نعيم أو قول المثبطين ايمانا لانهم لم يسمعوا قولهم وأخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد وأظهروا حمية الاسلام فكان ذلك أثبت ليقينهم وأقوى لاعتقادهم واستدل بالآية من قال ان الطاعات داخلة في مسمى الايمان وانه يزيد وينقص بحسب زيادتها ونقصانها وأما من قال الايمان عبارة عن نفس التصديق فتأويله أن الزيادة وقعت في ثمرات الايمان ولكنها جعلت في الايمان مجازا وقد مر تحقيق الكلام لنا في هذا المعنى في أوائل الكتاب وكأنهم أضمروا ذلك بحسب الاعتقاد وافقوا الخليل عليه السلام حين ألقي في النار فأظهروه باللسان وقالوا حسبنا الله وقد مر اعراب مثله في البقرة في قوله فحسبه جهنم ونعم الوكيل الكافي أو الكافل أو الموكول اليه هو ثم عملوا بما اعتقدوه وقالوا وخرجوا فانقلبوا بنعمة من الله وهي العافية وفضل وهو الربح بالتجارة أو النعمة منافع الدنيا والفضل ثواب الآخرة لم يمسسهم سوء لم يصبهم قتل ولا جراح وصفهم بأنه حصل لهم الملاذ ولم يحصل لهم المنافي وهذه غاية المطالب ونهاية الاماني وان ذلك ثمرة الاخلاص والتوكل على الله سبحانه وتعالى ثم روى أنهم قالوا هل يكون هذا غزوا فقال تعالى واتبعوا رضوان الله ليعلموا أن لهم ثواب المجاهدين حيث قضوا ما عليهم ثم قال والله ذو فضل عظيم تنبيها على أن السبب الكلي في ثواب المطيعين هو فضل ربهم ورحمته عليهم ولم ينج أحدا عمله الا أن يتغمده الله برحمته فعلى المؤمن أن لا يثق الا بالله ولا يخاف أحدا الا اياه وذلك

تعالى فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض وقيل فاستجاب لهم بمعنى فأجابهم كما قال الشاعر

وداع دعا يامن يجيب الى الندا ＊ فلم يستجبه عند ذاك مجيب

بمعنى فلم يجبه عند ذاك مجيب وأدخلت من فى قوله من ذكر أو أنثى على الترجمة والتفسير عن قوله منكم بمعنى لا أضيع عمل عامل منكم من الذكور والاناث وليست من هذه بالتى يجوز اسقاطها وحذفها من الكلام فى الجحد لانها دخلت بمعنى لا يصلح الكلام الا به وزعم بعض نحويى البصرة انها دخلت فى هذا الموضع كما تدخل فى قولهم قد كان من حديث قال ومن ههنا أحسن لان النهى قد دخل فى قوله لا أضيع وأنكر ذلك بعض نحويى الكوفة وقال لا تدخل من وتخرج الا فى موضع الجحد وقال قوله لا أضيع عمل عامل منكم لم يدركه الجحد لانك لا تقول لا أضرب غلام رجل فى الدار ولا فى البيت فيدخل ولا لأنه لم ينله الجحد ولكن من مفسرة وأما قوله بعضكم من بعض فانه يعنى بعضكم أيها المؤمنون الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم من بعض فى النصرة والمسئلة والدين وحكم جميعكم فيما أنا بكم فاعل على حكم أحدكم فى أنى لا أضيع عمل ذكر منكم ولا أنثى ❁ القول فى تأويل قوله ﴿فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب﴾ يعنى بقوله جل ثناؤه فالذين هاجروا قومهم من أهل الكفر وعشيرتهم فى الله الى اخوانهم من أهل الايمان بالله والتصديق برسوله وأخرجوا من ديارهم وهم المهاجرون الذين أخرجهم مشركو قريش من ديارهم بمكة وأوذوا فى سبيلى يعنى وأوذوا فى طاعتهم ربهم وعبادتهم اياه مخلصين له الدين وذلك هو سبيل الله التى آذى فيها المشركون من أهل مكة المؤمنين برسول الله صلى الله عليه وسلم من أهلها وقتلوا يعنى وقتلوا فى سبيل الله وقاتلوا فيها لأكفرن عنهم سيئاتهم يعنى لأمحونها عنهم ولأتفضلن عليهم بعفوى ورحمتى ولأغفرنها لهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا يعنى جزاء لهم على ما عملوا وأبلوا فى الله وفى سبيله من عند الله يعنى من قبل الله لهم والله عنده حسن الثواب يعنى أن الله عنده من جزاء أعمالهم جميع صنوفه وذلك ما لا يبلغه وصف واصف لانه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كما حدثنا عبد الرحمن بن وهب قال ثنا عمى عبد الله بن وهب قال ثنى عمرو بن الحرث أن أبا عشانة المعافرى حدثه أنه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص يقول لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول ثلة تدخل الجنة لفقراء المهاجرين الذين تتقى بهم المكاره اذا أمروا سمعوا وأطاعوا وان كانت لرجل منهم حاجة الى السلطان لم تقض حتى يموت وهى فى صدره وان الله يدعو يوم القيامة الجنة فتأتى بزخرفها وزينتها فيقول أين عبادى الذين قاتلوا فى سبيلى وقتلوا وأوذوا فى سبيلى وجاهدوا فى سبيلى ادخلوا الجنة فيدخلونها بغير عذاب ولا حساب وتأتى الملائكة فيسجدون ويقولون ربنا نحن نسبح لك الليل والنهار ونقدس لك من هؤلاء الذين آثرتهم علينا فيقول الرب جل ثناؤه هؤلاء عبادى الذين قاتلوا فى سبيلى وأوذوا فى سبيلى فتدخل الملائكة عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار واختلفت

قوله انما ذلكم المثبط هو الشيطان لعتوه وتمرده واغوائه ثم بين شيطنته بقوله يخوف أولياءه أو الشيطان صفة اسم الاشارة وهذه الجملة خبر والمفعول الاول محذوف أى يخوفكم أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضى أن تؤثروا خوف الله على خوف الناس الذين هم أولياء الشيطين والاولياء هم أبو سفيان وأصحابه وقيل الشيطان هو ابليس وقيل المضاف محذوف والتقدير انما ذلكم قول الشيطان وقيل يخوف أولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فالضمير فى فلا تخافوهم للناس فى قوله ان الناس قد جمعوا لكم وقيل التقدير يخوفكم بأوليائه كقوله ويخوفونك بالذين من دونه فحذف حرف الجر قاله الفراء والزجاج وأبو على وزيفه ابن الانبارى بان التخويف قد يتعدى بنفسه الى مفعولين فلا ضرورة الى اضمار حرف الجر الله حسبى ❁ التأويل قد ذكرنا أن النفس يبقى لها نوع تعلق ببدنها فالآن نقول ان روح الشهيد مخصوص بمزيد تعلق ببدنه جزاء له على تحمل اذاقة مرارة الفراق عن الدنيا ولهذا لا تبلى أجساد كثير منهم وتبقى غضة طرية وكانهم هم الشهداء فى الحقيقة وهكذا أجساد الكاملين من النبيين والصديقين الذين قتلوا أنفسهم بسيوف الرياضات ومطارف الاذكار وأسنة ألسنة الطاعنين وتجرع سموم مخالفات النفس ومكايدة الشيطان حتى ماتوا بالارادة وحيوا بالطبيعة وليس كل تعلق بهذا العالم سببا للتألم بل بعضه سبب اللذة والابتهاج ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين وكما ورد فى حديث الشهداء من يبلغ اخواننا عنا انا فى الجنة والذى جاء فيه أن أرواحهم فى أجواف طير خضر فلعل ذلك جزاء لهم على خروج الدم والابخرة اللطيفة منهم ظلما فمن الممكن أن يخلق الله تعالى من ذلك جسما لطيفا شبه طائر ويكون لروح الشهيد به مزيد تعلق حتى تحركه ويطير حيث شاء من السماء والارض والى الجنة باذن الله تعالى وأما كون الطير خضرا فاما لأن بدن الميت يميل الى الخضرة واما أن يكون عبارة عن النضرة تعرف فى وجوههم

نضرة النعيم واما الان حالهم بالنسبة الى ما سيؤل اليه أهل الجنة والنار يوم القيامة كالمتوسط بين الحالين اللذين يعبر عنهما بالبياض والسواد في قوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وهذه المعاني ما وجدتها في كتب التفسير والتأويل وأرجو أن أكون مصيبا فيها الغرض والله تعالى ورسوله أعلم بمرادهما ﴿ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله (١٤٥) شيأ يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيأ ولهم عذاب أليم ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد الذين قالوا ان الله عهد الينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم ولله ملك السموات والارض والله

القراء في قراءة قوله وقاتلوا وقتلوا فقرأه بعضهم وقتلوا وقتلوا بالتخفيف بمعنى أنهم قتلوا من قتلوا من المشركين وقرأ ذلك آخرون وقاتلوا وقتلوا بتشديد قتلوا بمعنى أنهم قاتلوا المشركين وقتلهم المشركون بعضا بعد بعض وقتلا بعد قتل وقرأ ذلك عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين وقاتلوا وقتلوا بالتخفيف بمعنى أنهم قاتلوا المشركين وقتلوا وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وقتلوا بالتخفيف وقاتلوا بمعنى أن بعضهم قتل وقاتل من بقي منهم والقراءة التي لا أستجيز أن أعدوها احدى هاتين القراءتين وهي وقاتلوا وقتلوا بالتخفيف أو وقتلوا بالتخفيف وقاتلوا لانها القراءة المنقولة نقل وراثة وما عداهما فشاذ وبأي هاتين القراءتين التي ذكرت أني لا أستجيز أن أعدوهما قرأ قارئ فصيب في ذلك الصواب من القراءة لاستفاضة القراءة بكل واحدة منهما في قراء الاسلام مع اتفاق معنييهما ﴿ القول في تأويل قوله ﴿لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد﴾ يعني بذلك جل ثناؤه ولا يغرنك يا محمد تقلب الذين كفروا في البلاد يعني تصرفهم في الارض وضربهم فيها كما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد يقول ضربهم في البلاد فنهى الله تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم عن الاغترار بضربهم في البلاد وامهال الله اياهم مع شركهم وجحودهم نعمه وعبادتهم غيره وخرج الخطاب بذلك للنبي صلى الله عليه وسلم والمعني به غيره من أتباعه وأصحابه كما قد بينا فيما مضى قبل من أمر الله ولكن كان بأمر الله صادعا والى الحق داعيا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال قتادة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد والله ما غروا نبي الله ولا وكل اليهم شيأ من أمر الله حتى قبضه الله على ذلك وأما قوله متاع قليل فانه يعني أن تقلبهم في البلاد وتصرفهم فيها متعة يمتعون بها قليلا حتى يبلغوا آجالهم فتخترمهم منياتهم ثم مأواهم جهنم بعد مماتهم والمأوى المصير الذي يأوون اليه يوم القيامة فيصيرون فيه ويعني بقوله وبئس المهاد وبئس الفراش والمضجع جهنم ﴿ القول في تأويل قوله ﴿لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار﴾ يعني بذلك جل ثناؤه لكن الذين اتقوا ربهم لكن الذين اتقوا الله بطاعته واتباع مرضاته في العمل بما أمرهم به واجتناب ما نهاهم عنه لهم جنات يعني بساتين تجري من تحتها الانهار خالدين فيها يقول باقين فيها أبدا نزلا من عند الله يعني انزالا من الله اياهم فيها أنزلهموها ونصب نزلا على التفسير من قوله لهم جنات تجري من تحتها الانهار كما يقال لك عند الله جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا وكما يقال هو لك صدقة وهو لك هبة وقوله من عند الله يعني من قبل الله ومن كرامة الله اياهم وعطاياه لهم وقوله وما عند الله خير للابرار يقول وما عند الله من الحياة والكرامة وحسن المآب خير للابرار مما يتقلب فيه الذين كفروا فان الذي يتقلبون فيه زائل فان وهو قليل من المتاع خسيس وما عند الله خير من كرامته للابرار وهم أهل طاعته باق غير فان ولا زائل حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول في قوله وما عند الله خير للابرار قال لمن يطيع الله حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن الاعمش عن خيثمة عن الاسود عن عبد الله

قال مامن نفس برة ولا فاجرة الا والموت خير لها ثم قرأ عبد الله وما عند الله خير للابرار وقرأ هذه الآية ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لانفسهم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن فرج بن فضالة عن لقمان عن أبى الدرداء أنه كان يقول مامن مؤمن الا والموت خير له ومامن كافر الا والموت خير له ومن لم يصدقنى فان الله يقول وما عند الله خير للابرار ويقول ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لأنفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما ﴿﴾ القول فى تأويل قوله ﴿وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا﴾ اختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية فقال بعضهم عنى بها أصحمة النجاشى وفيه أنزلت ذكر من قال ذلك حدثنا عصام بن زياد بن رواد بن الجراح قال ثنا أبى قال ثنا أبو بكر الهذلى عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن جابر بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اخرجوا فصلوا على أخ لكم فصلى بنا فكبر أربع تكبيرات فقال هذا النجاشى أصحمة فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلى على علج نصرانى لم يره قط فانزل الله وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله حدثنا ابن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنا أبى عن قتادة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان أخاكم النجاشى قد مات فصلوا عليه قالوا يصلى على رجل ليس بمسلم قال فنزلت وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله قال قتادة فقالوا فانه كان لا يصلى الى القبلة فانزل الله ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم ذكر لنا أن هذه الآية نزلت فى النجاشى وفى ناس من أصحابه آمنوا بنبى الله صلى الله عليه وسلم وصدقوا به قال وذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم استغفر للنجاشى وصلى عليه حين بلغه موته قال لاصحابه صلوا على أخ لكم قد مات بغير بلادكم فقال أناس من أهل النفاق يصلى على رجل مات ليس من أهل دينه فانزل الله هذه الآية وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم قال نزلت فى النجاشى وأصحابه ممن آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم واسم النجاشى أصحمة حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال قال عبد الرزاق وقال ابن عيينة اسم النجاشى بالعربية عطية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال لما صلى النبى صلى الله عليه وسلم على النجاشى طعن فى ذلك المنافقون فنزلت هذه الآية وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله الى آخر الآية وقال آخرون بل عنى بذلك عبد الله بن سلام ومن معه ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال نزلت يعنى هذه الآية فى عبد الله بن سلام ومن معه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى ابن زيد فى قوله وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم الآية كلها قال هؤلاء يهود وقال آخرون بل عنى بذلك مسلمة أهل الكتاب ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا

على كل شئ قدير﴾ القراآت ولا يحزنك من الافعال حيث كان الا قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر نافع ومثله ليحزننى وليحزن الذين آمنوا وقرأ يزيد على ضده الباقون بفتح الياء وضم الزاى ولا خلاف فى مثل يحزنون ولا تحزن مما هو لازم ولا يحسبن وثلاثة بعدها بالياء التحتانية مع ضم الباء فى تحسبنهم أبو عمرو وابن كثير وقرأ حمزة كلها بتاء الخطاب وقرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب كلها بالتحتانية الا قوله فلا تحسبنهم فانها بالتاء وفتح الباء الباقون الاوليان على الغيبة والاخريان بالخطاب يميز بالتشديد حيث كان حمزة وعلى وخلف وسهل ويعقوب عياش مخير الباقون خفيف بفتح الياء وكسر الميم يعملون خبير بياء الغيبة ابن كثير ويعقوب وأبو عمرو لقد سمع وبابه مدغما أبو عمرو وحمزة وعلى وخلف وهشام سيكتب بضم الياء وفتح التاء وقتلهم برفع اللام ويقول على الغيبة حمزة الباقون بالنون فيهما على التكلم ونصب اللام فى وقتلهم وبالزبر ابن عامر وبالكتاب الحلوانى عن هشام الباقون بغير اعادة الخافض فمن زحزح عن مدغما شجاع وأبو شعيب من طريق العطار وابن مهران ليبيننه ولا يكتمونه بالياء فيهما لانهم غيب ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب غير رويس وأبو بكر وحماد الباقون بتاء الخطاب فيهما على حكاية مخاطبتهم * الوقوف فى الكفر ج للابتداء بان ولاحتمال اضمار اللام أو الفاء شيأ ط فى الآخرة ج لعطف المختلفتين مع اتحاد مقصود الكلام عظيم ○ شيأ ج لما ذكر فى الآخرة ط أليم ○ لانفسهم ط اثما ج لما ذكر أيضا مهين ○ من الطيب ط ورسله ط عظيم ○ خيرا لهم ط شر لهم ط القيامة ط والارض ط خبير ○ أغنياء م لئلا يصير ما بعده من مقولهم ومن قرأ بضم الياء فوقفه مطلق بغير حق ج لمن قرأ ويقول بالياء لان التقدير ويقول الله أو يقول الزبانية فلا ينعطف على قوله سيكتب مع اتساق المعنى الحريق ○ للعبيد ج ○ لاحتمال الصفة وأن يكون المراد هم الذين والوقف أولى لانه لا يظلم العبيد مطلقا الا العبيد الموصوفة نعم لو كان بدلا من الذين قالوا ان الله فقير صح تأكله النار ط صادقين ○ المنير ○ الموت ط يوم

شبل

القيامة ط لابتداء شرط فى أمر معظم فقد فاز ط الغرور ٥ كثيرا ط الامور ٥ ولا تكتمونه ز لأن الجملتين وان اتفقتا لم يكن النبذ متصلا بأخذ الميثاق فلم يضف الى ظرف اذ قليلا ط يشترون ٥ من العذاب ج لماذ كر أليم ٥ والارض ط قدير ٥ * (التفسير) نزلت فى كفار قريش وانه تعالى جعل رسوله آمنا من شرهم وأتاح العاقبة له وان جمعوا الجموع وجهزوا الجيوش حتى يظهر هذا الدين على الاديان كلها وقيل فى المنافقين ومسارعتهم هى أنهم كانوا يخوّفون المؤمنين بسبب واقعة أحد ويؤيسونهم من النصر والظفر وربما يقولون ان محمدا طالب ملك فتارة يكون الامر له وتارة يكون عليه ولو كان رسولا ما غلبه أحد وقيل ان قوما من الكفار أسلموا ثم ارتدوا خوفا من قريش فاغتم النبى صلى الله عليه وسلم لذلك فبين الله تعالى أن ردتهم لا تؤثر فى لحوق ضرر بك ونصر بعضهم هذا القول بأن المسارعة وهى شدة الرغبة فى الكفر انما تناسب من كفر بعد الايمان المستمر على الكفر وبان ارادته أن لا يجعل لهم حظا فى الاخرة انما تليق بمن آمن فاستوجب الحظ ثم أحبط وبأن الحزن انما يكون على فوات أمر مقصود وذلك هو ما قدر النبى صلى الله عليه وسلم من الانتفاع بايمانهم أو انتفاعهم بالايمان فبين الله تعالى أنه لا يلحق بسبب فوات ذلك ضرر بالدين وأن وبال ذلك يعود عليهم كما دل عليه بقية الآية فان قيل الحزن على كفر الكافر وعلى معصية العاصى طاعة فكيف نهى نبى الله عن ذلك فالجواب أنه نهى عن الاسراف فى الحزن بحيث يأتى عليه ونظيره لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين أو المراد لا يحزنوك لخوف أن يضروك ويعينوا عليك انهم لن يضروا الله أى دينه شيأ من الضرر يريد الله ألا يجعل لهم حظا فى الآخرة فيه دليل على أن ارادة الله تتعلق بالعدم وتنصيص على أن الخير والشر والنفع والضر بارادة الله ومعنى قوله ولهم عذاب عظيم أنه كما لا حظ لهم من منافع الآخرة فلهم حظ عظيم من مضارها وفى الاخبار عن ارادة عدم الجعل دون الاخبار عن عدم الجعل اشعار بأن استحقاقهم للحرمان بلغ الى حدّ أراد أرحم الراحمين أن لا يرحمهم وان الداعى

شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم من اليهود والنصارى وهم مسلمة أهل الكتاب * وأولى هذه الاقوال بتأويل الآية ما قاله مجاهد وذلك أن الله جل ثناؤه عم بقوله وان من أهل الكتاب أهل الكتاب جميعا فلم يخصص منهم النصارى دون اليهود ولا اليهود دون النصارى وانما أخبر أن من أهل الكتاب من يؤمن بالله وكلا الفريقين أعنى اليهود والنصارى من أهل الكتاب * فان قال قائل فما أنت قائل فى الخبر الذى رويت عن جابر وغيره أنها نزلت فى النجاشى وأصحابه قيل ذلك خبر فى اسناده نظر ولو كان صحيحا لا شك فيه لم يكن لما قلنا فى معنى الآية خلاف وذلك أن جابرا ومن قال بقوله انما قالوا نزلت فى النجاشى وقد تنزل الآية فى الشئ ثم يعم بها كل من كان فى معناه فالآية وان كانت نزلت فى النجاشى فان الله تبارك وتعالى قد جعل الحكم الذى حكم به للنجاشى حكما لجميع عباده الذين هم بصفة النجاشى فى اتباعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والتصديق بما جاءهم به من عند الله بعد الذى كانوا عليه قبل ذلك من اتباع أمر الله فيما أمر به عباده فى الكتابين التوراة والانجيل فاذ كان ذلك كذلك فتأويل الآية وان من أهل الكتاب التوراة والانجيل لمن يؤمن بالله فيقر بوحدانيته وما أنزل اليكم أيها المؤمنون يقول وما أنزل اليكم من كتابه ووحيه على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل اليهم يعنى وما أنزل على أهل الكتاب من الكتب وذلك التوراة والانجيل والزبور خاشعين لله يعنى خاضعين لله بالطاعة مستكينين له بها متذللين كما حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى ابن زيد فى قوله خاشعين لله قال الخاشع المتذلل لله الخائف ونصب قوله خاشعين لله على الحال من قوله لمن يؤمن بالله وهو حال مما فى يؤمن من ذكر من لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا يقول لا يحرفون ما أنزل اليهم فى كتبه من نعت محمد صلى الله عليه وسلم فيبدلونه ولا غير ذلك من أحكامه وحججه فيه لعرض من الدنيا خسيس يعطونه على ذلك التبديل وابتغاء الرياسة على الجهال ولكن ينقادون للحق فيعملون بما أمرهم الله به فيما أنزل اليهم من كتبه وينتهون عما نهاهم عنه فيها ويؤثرون أمر الله تعالى على هوى أنفسهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿أولئك لهم أجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب﴾ يعنى بذلك جل ثناؤه أولئك لهم أجرهم هؤلاء الذين يؤمنون بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم لهم أجرهم عند ربهم يعنى لهم عوض أعمالهم التى عملوها وثواب طاعتهم ربهم فيما أطاعوه فيه عند ربهم يعنى مذخور ذلك لهم لديه حتى يصيروا اليه فى القيامة فيوفيهم ذلك ان الله سريع الحساب وسرعة حسابه تعالى ذكره أنه لا يخفى عليه شئ من أعمالهم قبل أن يعملوها وبعد ما عملوها فلا حاجة به الى احصاء عدد ذلك فيقع فى الاحصاء ابطاء فلذلك قال ان الله سريع الحساب ۞ القول فى تأويل قوله ﴿يا أيها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك اصبروا على دينكم وصابروا الكفار ورابطوهم ذكر من قال ذلك حدثنا المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن المبارك بن فضالة عن الحسن انه سمعه يقول فى قول الله يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا قال أمرهم أن يصبروا على دينهم ولا يدعوه لشدة ولا رخاء ولا سراء ولا ضراء وأمرهم أن يصابروا الكفار وأن يرابطوا المشركين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن

قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا أي اصبروا على طاعة الله وصابروا أهل الضلالة ورابطوا في سبيل الله واتقوا الله لعلكم تفلحون حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله اصبروا وصابروا ورابطوا يقول صابروا المشركين ورابطوا في سبيل الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج اصبروا على الطاعة وصابروا أعداء الله ورابطوا في سبيل الله حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله اصبروا وصابروا ورابطوا قال اصبروا على ما أمرتم به وصابروا العدوّ ورابطوهم وقال آخرون معنى ذلك اصبروا على دينكم وصابروا وعدي إياكم على طاعتكم لي ورابطوا أعداءكم ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني أبو صخر عن محمد ابن كعب القرظي أنه كان يقول في هذه الآية اصبروا وصابروا ورابطوا يقول اصبروا على دينكم وصابروا الوعد الذي وعدتكم ورابطوا عدوي وعدوكم حتى يترك دينه لدينكم وقال آخرون معنى ذلك اصبروا على الجهاد وصابروا عدوكم ورابطوهم ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا إسحق قال ثنا جعفر بن عون قال أخبرنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم في قوله اصبروا وصابروا ورابطوا قال اصبروا على الجهاد وصابروا عدوكم ورابطوا على عدوكم حدثني المثنى قال ثنا مطرف بن عبد الله المزني قال ثنا مالك بن أنس عن زيد بن أسلم قال كتب أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر بن الخطاب فذكر له جموعا من الروم وما يتخوف منهم فكتب إليه عمر أما بعد فإنه مهما نزل بعبد مؤمن منزلة شدة يجعل الله بعدها فرجا وإنه لن يغلب عسر يسرين وإن الله يقول في كتابه يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون وقال آخرون معنى ورابطوا أي رابطوا على الصلوات أي انتظروها واحدة بعد واحدة ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير قال ثنى داود بن صالح قال قال لي أبو سلمة ابن عبد الرحمن يا ابن أخي هل تدري في أي شيء نزلت هذه الآية اصبروا وصابروا ورابطوا قال قلت لا قال إنه يا ابن أخي لم يكن في زمان النبي صلى الله عليه وسلم غزو يرابط فيه ولكنه انتظار الصلاة خلف الصلاة حدثني أبو السائب قال ثنا ابن فضيل عن عبد الله بن سعيد المقبري عن جده عن شرحبيل عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على ما يكفر الله به الذنوب والخطايا إسباغ الوضوء على المكاره وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلك الرباط حدثنا موسى بن سهل الرملي قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا محمد بن مهاجر قال ثني يحيى بن يزيد عن زيد بن أبي أنيسة عن شرحبيل عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويكفر به الذنوب قال قلنا بلى يا رسول الله قال إسباغ الوضوء في أماكنها وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط حدثنا أبو كريب قال ثنا خالد بن مخلد قال ثنا محمد بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على ما يحط الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال إسباغ الوضوء عند المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط حدثنا

القاسم

الى تعذيبهم خلاص خلوصا لم يبق معه صارف البتة ثم أنزل في اليهود خاصة وهو الاشبه أو في الكفار عامة ان الذين اشتروا الآية والغرض تأكيد تقوية قلب الرسول كأنه قيل ان أكثرهم ينازعونك في الدين لا لأجل شبهة لهم بل بناء على الحسد والمنازعة في منصب الدنيا ومن كان عقله هذا القدر وهو أن يبيع بالقليل من الدنيا السعادة الكثيرة في الآخرة كان في غاية الحماقة ومثله لا يقدر على الحاق الضرر بالغير ولو قيل ان الآية في المرتدين فالمعنى أن اختيار دين بعد دين ثم الارتداد على العقبين يدل على الاضطراب وضعف الرأي والانسان المضطرب الحال لا قدرة له على ايصال الضرر الى الغير ثم بين أن ابقاء المنافقين المتخلفين عن الجهاد والكفار الذين بقوا بعد شهداء أحد لا خير فيه فقال ولا يحسبن من قرأ بالياء فقوله الذين كفروا فاعل وان مع ما في حيزه سادّ مسد مفعوليه ومن قرأ بتاء الخطاب فالذين كفروا مفعول أول وان مع ما في حيزه بدل منه وصح الابدال وان لم يعض الأحد المفعولين لان المبدل في حكم المنحى ألا ترى تقول جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع السكوت على متاعك والتقدير ولا تحسبن الذين كفروا أن املائي خير لهم على أن ما مصدرية ويجوز أن يقدر مضاف محذوف أي لا تحسبنهم أصحاب أن الاملاء خير لهم أو لا تحسبن حال الذين كفروا أن الاملاء خير لأنفسهم قال الاصمعي يقال أملى عليه الزمان أي طال وأملى له أي طول له وأمهله قال أبو عبيدة ومنه الملا للأرض الواسعة الطويلة والملوان الليل والنهار ويقال أقمت عنده ملاوة من الدهر أي حينا وبرهة وانما نصب على التمييز وفي وصف العذاب أوّلا بالعظيم ثم بالأليم ثم بالاهانة تدرج من الأهون الى الأشق وفيه من الوعيد والسخط ما لا يخفى قالت الاشاعرة ههنا ان اطالة المدة من فعل الله لا محالة والآية دلت على أنها ليست بخير ففيه دلالة على أنه سبحانه فاعل الخير والشر وأيضا انه نص على أن الغرض من هذا الاملاء أن يزدادوا اثما فاذن الكفر والمعاصي بارادة الله وأيضا أخبر عنهم أنه لا خير لهم فيه وأنهم لا يحصلون منه الا على ازدياد البغي

القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا اسمعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه * وأولى التأويلات بتأويل الآية قول من قال في ذلك يا أيها الذين آمنوا يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله اصبروا على دينكم وطاعة ربكم وذلك أن الله لم يخصص من معاني الصبر على الدين والطاعة شيأ فيجوز اخراجه من ظاهر التنزيل فلذلك قلنا انه عنى بقوله اصبروا الامر بالصبر على جميع معاني طاعة الله فيما أمر ونهى صعبها وشديدها وسهلها وخفيفها وصابروا يعني وصابروا أعداءكم من المشركين وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لان المعروف من كلام العرب في المفاعلة أن تكون من فريقين أو اثنين فصاعدا ولا تكون من واحد الا قليلا في أحرف معدودة واذ كان ذلك كذلك فانما أمر المؤمنون أن يصابروا غيرهم من أعدائهم حتى يظفرهم الله بهم ويعلي كلمته ويخزي أعداءهم والا يكن عدوهم أصبر منهم وكذلك قوله ورابطوا معناه ورابطوا أعداءكم وأعداء دينكم من أهل الشرك في سبيل الله وأرى أن أصل الرباط ارتباط الخيل للعدو كما ارتبط عدوهم لهم خيلهم ثم استعمل ذلك في كل مقيم في ثغر يدفع عمن وراءه من أراده من أعدائهم بسوء ويحمي عنهم من بينه وبينهم ممن بغاهم بشر كان ذا خيل قد ارتبطها أو ذا رجلة لا مركب له وانما قلنا معنى ورابطوا ورابطوا أعداءكم وأعداء دينكم لان ذلك هو المعنى المعروف من معاني الرباط وانما توجه الكلام الى الاغلب المعروف في استعمال الناس من معانيه دون الخفي حتى يأتي بخلاف ذلك ما يوجب صرفه الى الخفي من معانيه حجة يجب التسليم لها من كتاب أو خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو اجماع من أهل التأويل ﴿ القول في تأويل قوله ﴿واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ يعني بذلك تعالى ذكره واتقوا الله أيها المؤمنون واحذروه أن تخالفوا أمره وتتقدموا نهيه لعلكم تفلحون يقول لتفلحوا فتبقوا في نعيم الابد وتنجحوا في طلباتكم عنده كما حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني أبو صخر عن محمد بن كعب القرظي أنه كان يقول في قوله واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا الله فيما بيني وبينكم لعلكم تفلحون غدا اذا لقيتموني * آخر تفسير سورة آل عمران

﴿ القول في تفسير السورة التي يذكر فيها النساء ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ القول في تأويل قوله عز وجل ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ قال أبو جعفر يعني بقوله تعالى ذكره يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة احذروا أيها الناس ربكم في أن تخالفوه فيما أمركم وفيما نهاكم فيحل بكم من عقوبته ما لا قبل لكم به ثم وصف تعالى ذكره نفسه بأنه المتوحد بخلق جميع الانام من شخص واحد وعرف عباده كيف كان مبتدأ انشائه ذلك من النفس الواحدة ومنبههم بذلك على أن جميعهم بنو رجل واحد وأم واحدة وأن بعضهم من بعض وأن حق بعضهم على بعض واجب وجوب حق الاخ على أخيه لاجتماعهم في النسب الى أب واحد وأم واحدة وأن الذي يلزمهم من رعاية بعضهم حق بعض وان بعد التلاقي في النسب الى الاب الجامع بينهم مثل الذي يلزمهم من ذلك في النسب الادنى وعاطفا بذلك بعضهم على بعض ليتناصفوا ولا يتظالموا وليبذل القوي من نفسه للضعيف حقه بالمعروف على ما ألزمه الله

والاثم والاتيان بخلاف خبر الله تعالى محال فعلمنا أنهم مجبورون على ذلك في صورة مختارين أجابت المعتزلة بان المراد أن هذا الاملاء ليس خيرا من موت الشهداء اذ الآية من تتمة قصة أحد لا أنه ليس بخير مطلقا وزيف بان بناء المبالغة لا يجوز ذكره الا مع المفضل عليه لكنه لم يذكر فعلمنا أنه لنفي الخيرية لا لنفي كونه خيرا من شئ آخر وعن الثاني أن ازدياد الاثم علة للاملاء وليس كل علة بغرض كقولك قعدت عن الغزو للعجز والفاقة ومثله وجعلوا لله أندادا ليضلوا وهم ما فعلوا ذلك الاضلال ويقال ما كانت موعظتي لك الا للزيادة في تماديك في الغي اذا كانت عاقبة الموعظة ذلك ورد بان حمل اللام على لام العاقبة عدول عن الظاهر على أنا نعلم بالبرهان أن علمه تعالى بانهم مزدادون اثما على تقدير الامهال علة فاعلية لازديادهم اثما فكان تعالى فاعلا للازدياد ومريدا له قالوا في الكلام تقديم وتأخير وترتيبه لا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم ليزدادوا اثما انما نملي لهم خير لانفسهم ويعضده قراءة يحيى بن وثاب بكسر ان الاولى وفتح الثانية ورد بان التقديم والتأخير خلاف الاصل والقراءة الشاذة لا اعتداد بها مع أن الواحدي أنكرها ثم انه تعالى أخبر أنه لا يجوز في حكمته أن يترك المؤمنين على ما هم عليه من اختلاط المخلص بالمنافق ولكنه يعزل أحد الجنسين عن الآخر بالقاء الحوادث وابداء الوقائع كما في قصة أحد

لله در النائبات فانها
صدأ اللئام وصيقل الاحرار

فقال ما كان الله ليذر اللام لتأكيد النفي والخطاب في أنتم للمصدقين جميعا من أهل الاخلاص والنفاق خوطبوا بانه ما كان في حكمة الله أن يترك المخلصين منكم على الحال التي أنتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وماز وميز لغتان مزت الشئ بعضه من بعض أميزه ميزا وميزته تمييزا وفي الحديث من ماز أذى عن الطريق فهو له صدقة وحجة ولفظ الطيب والخبيث وان كان مفردا الا أنه للجنس والمراد جميع المنافقين من المؤمنين وانما قدم الخبيث على الطيب ليقع فعل الميز عليه ليعلم أنه المطرح من الشيئين الملقى لرداءته فان الميز يقع على الادون والاهون ويم

يحصل هذا المميز بالمحن والمصائب كالقتل والهزيمة وكما دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى الخروج مع ما بهم من القروح فبمثل ذلك يظهر الثابت من المتزلزل والساكن من المتقلقل وقيل باعلاء كلمة الدين وقلة شوكة المخالفين ليظهره على الدين كله وقيل بالوحي الى نبيه ولهذا أردفه بقوله وما كان الله ليطلعكم على الغيب (١٥٠) ولكن الله يجتبي أي يصطفي ويختار من رسله من يشاء و بناء الكلام على ثلاث مراتب الاولى أن هذا المنصب الذي استأثر الله تعالى بعلمه لا يليق بكل أحد منكم وانما هو مخصوص بالمصطفين من عبيده الثانية ان الرسول أيضا لا يعلم المغيبات بان يطلع عليها من تلقاء نفسه وبخاصية فيه ولكنه انما يعلم ذلك من طريق الوحي واطلاع الله تعالى اياه على ان هذا مؤمن وذاك منافق الثالثة ان هذا أيضا مختص ببعض الرسل وفي بعض الاوقات حسب مشيئته وارادته فآمنوا بالله ورسله ومن جملة الايمان بالله أن تعتقدوه وحده علام الغيوب ومن جملة الايمان بالرسل أن تنزلوهم منازلهم بان تعلموهم عبيدا مصطفين لا يعلمون من الغيب الا ما علمهم الله تعالى ووجه النظم على القول الاول لا تظنوا أن هذا التميز يحصل بان يطلعكم الله على غيبه و يقول ان فلانا مؤمن وفلانا منافق فان سنة الله جارية بانه لا يطلع العوام على غيبه ولا يكون لهم سبيل الى معرفة الامور الا بالامتحان والقرائن المفيدة للظن الغالب ولكنه يصطفي من رسله من يشاء فيعلمهم أن هذا مؤمن وذاك منافق ويختارهم للرسالة ووضع التكاليف الشاقة التي عندها يتميز الفريقان ويخلص أهل الوفاء من أهل الجفاء أو المراد ما كان الله ليطلعكم كلكم عالمين بالغيب من حيث يعلم الرسول حتى تصيروا مستغنين عن الرسول ولكنه يخص من يشاء بالرسالة ثم يكلف الباقين طاعة هؤلاء الرسل وهما

له فقال الذي خلقكم من نفس واحدة يعني من آدم كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى أما خلقكم من نفس واحدة فمن آدم صلى الله عليه وسلم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة يعني آدم صلى الله عليه وسلم حدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن رجل عن مجاهد خلقكم من نفس واحدة قال آدم ونظير قوله من نفس واحدة والمعنى به رجل قول الشاعر

أبوك خليفة ولدته أخرى * وأنت خليفة ذاك الكمال

فقال ولدته أخرى وهو يريد الرجل فأنث للفظ الخليفة وقال تعالى ذكره من نفس واحدة لتأنيث النفس والمعنى من رجل واحد ولو قيل من نفس واحد وأخرج اللفظ على التذكير للمعنى كان صوابا ﴿القول في تأويل قوله جل ثناؤه﴾ (وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) يعني بقوله جل ثناؤه وخلق منها زوجها وخلق من النفس الواحدة زوجها يعني بالزوج الثاني لها وهو فيما قال أهل التأويل امرأتها حواء ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وخلق منها زوجها قال حواء من قصيرى آدم وهو نائم فاستيقظ فقال أثا بالنبطية امرأة حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وخلق منها زوجها يعني حواء خلقت من آدم من ضلع من أضلاعه حدثني موسى بن هرون قال أخبرنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى قال أسكن آدم الجنة فكان يمشي فيها وحشا ليس له زوج يسكن اليها فنام نومة فاستيقظ فاذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه فسألها ما أنت قالت امرأة قال ولم خلقت قالت لتسكن الي حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ألقي على آدم صلى الله عليه وسلم السنة فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل التوراة وغيرهم من أهل العلم عن عبد الله بن العباس وغيره ثم أخذ ضلعا من أضلاعه من شقه الايسر ولأم مكانه وآدم نائم لم يهب من نومته حتى خلق الله تبارك وتعالى من ضلعه تلك زوجته حواء فسوّاها امرأة ليسكن اليها فلما كشفت عنه السنة وهب من نومته رآها الى جنبه فقال فيما يزعمون والله أعلم لحمي ودمي وزوجتي فسكن اليها حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وخلق منها زوجها جعل من آدم حواء وأما قوله وبث منهما رجالا كثيرا ونساء فانه يعني ونشر منهما يعني من آدم وحواء رجالا كثيرا ونساء قد رآهم كما قال جل ثناؤه كالفراش المبثوث يقال منه بث الله الخلق وأبثهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وبث منهما رجالا كثيرا ونساء و بث خلق ﴿القول في تأويل قوله جل ثناؤه﴾ (واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه عامة قراء أهل المدينة والبصرة تساءلون بالتشديد بمعنى تتساءلون ثم أدغم احدى التاءين في السين فجعلهما سينا مشددة وقرأه بعض قراء الكوفة تساءلون بالتخفيف على مثال تفاعلون

فآمنوا بالله ورسله كلهم لان طريق ثبوت نبوتهم واحد فمن أقر بنبوة واحد منهم لزمه الاقرار بنبوة كلهم ثم اتبعه الوعد بالثواب فقال وان تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم قال السدى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت علي أمتي في صورها كما عرضت على آدم وأعلمت من

يؤمن بي ومن يكفر فبلغ ذلك المنافقين فاستهزؤا فقالوا زعم محمد أنه يعلم من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فانزل الله ما كان الله ليذر المؤمنين وقال الكلبي قالت قريش تزعم يا محمد أن من خالفك فهو في النار والله عليه غضبان وأن من اتبعك على دينك فهو من أهل الجنة والله عنه راض فاخبرنا بمن يؤمن بك وبمن لا يؤمن بك فنزلت وقال أبو العالية نزلت حين سأل المؤمنون أن يعطوا علامة يفرقون بها بين المؤمن والمنافق ثم انه عز من قائل لما بالغ في التحريض على بذل النفس في الجهاد حرض على بذل المال في سبيل الله فقال ولا تحسبن الذين يبخلون من قرأ بتاء الخطاب قدر مضافا أي لا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرأ بالياء وجعل فاعله ضمير النبي أو أحد ومن جعل الموصول فاعلا فالمفعول الاول محذوف لدلالة التقدير ولا تحسبن هؤلاء بخلهم هو خيرا وهو صيغة الفصل قال الواحدي جمهور المفسرين على أن هذه الآية نزلت في مانعي الزكاة لترتب الوعيد عليه وسوق الكلام في معرض الذم ولان تارك التفضل لو عد بخيلا لم يتخلص الانسان من البخل الا باخراج جميع المال وفي حكم الزكاة سائر المصارف الواجبة كالانفاق على النفس وعلى الاقربين الذين يلزمه مؤنتهم وعلى المضطر وفي الذب عن المسلمين اذا قصدهم عدو وتعين دفعهم بالمال وروى عطية عن ابن عباس أنها نزلت في أحبار اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وأراد بالبخل كتمان العلم الذي آتاهم الله وعلى هذا يكون عودا الى ما انجر منه الكلام الى قصة أحد وذلك هو شرح أحوال أهل الكتاب ويعضده أن كثيرا من آيات بقية السورة فيهم وعلى هذا التفسير فمعنى سيطوقون ان الله تعالى يجعل في رقابهم طوقا من النار كقوله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجم بلجام من نار والسر فيه أنهم لم ينطقوا بافواههم وألسنتهم بما يدل على الحق وعلى التفسير الاول فاما أن يكون محمولا على ظاهره وهو أن يجعل ما بخل به من الزكاة حية يطوقها في عنقه تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر رأسه ويقول أنا مالك عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من رجل له مال لا يؤدي حق ماله الا جعل طوقا في عنقه

وهما قراءتان معروفتان ولغتان فصيحتان أعني التخفيف والتشديد في قوله تساءلون به وبأي ذلك قرأ القارئ أصاب الصواب فيه لان معنى ذلك بأي وجهيه قرئ غير مختلف وأما تأويله واتقوا الله أيها الناس الذي اذا سأل بعضكم بعضا سأل به فقال السائل للمسؤل أسألك بالله وأنشدك بالله وأعزم عليك بالله وما أشبه ذلك يقول تعالى ذكره فكما تعظمون أيها الناس ربكم بألسنتكم حتى تروا أن من أعطاكم عهده فأخفركموه فقد أتى عظيما فكذلك فعظموه بطاعتكم اياه فيما أمركم واجتنابكم ما نهاكم عنه واحذروا عقابه من مخالفتكم اياه فيما أمركم به أو نهاكم عنه كما حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك في قوله واتقوا الله الذي تساءلون به قال يقول اتقوا الله الذي تعاقدون وتعاهدون به حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع واتقوا الله الذي تساءلون به يقول اتقوا الله الذي به تعاقدون وتعاهدون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع ابن أنس مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال أخبرنا حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس تساءلون به قال تعاطفون به وأما قوله والارحام فان أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم معناه واتقوا الله الذي اذا سألتم بينكم قال السائل للمسؤل أسألك به وبالرحم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن ابراهيم اتقوا الله الذي تساءلون به والارحام يقول اتقوا الله الذي تعاطفون به والارحام يقول الرجل يسأل بالله وبالرحم حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم قال هو كقول الرجل أسألك بالله أسألك بالرحم يعني قوله اتقوا الله الذي تساءلون به والارحام حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم اتقوا الله الذي تساءلون به والارحام قال يقول أسألك بالله وبالرحم حدثنا أبو كريب قال ثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم هو كقول الرجل أسألك بالرحم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد اتقوا الله الذي تساءلون به والارحام قال يقول أسألك بالله وبالرحم حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن منصور أو مغيرة عن ابراهيم في قوله واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام قال هو قول الرجل أسألك بالله والرحم حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن معمر عن الحسن قال هو قول الرجل أنشدك بالله والرحم قال محمد وعلى هذا التأويل قول بعض من قرأ قوله والارحام بالخفض عطفا بالارحام على الهاء التي في قوله به كأنه أرادوا اتقوا الله الذي تساءلون به وبالارحام فعطف بظاهر على مكني مخفوض وذلك غير فصيح من الكلام عند العرب لانها لا تنسق بظاهر على مكني في الخفض الا في ضرورة شعر وذلك لضيق الشعر وأما الكلام فلا شئ يضطر المتكلم الى اختيار المكروه من المنطق والردئ في الاعراب منه ومما جاء في الشعر من رد ظاهر على مكني في حال الخفض قول الشاعر

نعلق في مثل السواري سيوفنا * وما بينها والكعب غوط نفانف

فعطف بالكعب وهو ظاهر على الهاء والالف في قوله بينها وهي مكنية * وقال آخرون تأويل ذلك

شجاعاً أقرع يفر منه وهو يتبعه ثم قرأ مصداقه من كتاب الله عز وجل ولا تحسبن الذين يبخلون الآية وعن ابن عمر قال قال صلى الله عليه وسلم ان الذى لا يؤدى زكاة ماله يخيل اليه ماله يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان فيلزمه أى يطوقه يقول أنا كنزك واما أن يكون على طريق التمثيل لا على أن ثمة أطواقاً أى سيلزمون اثمه فى الآخرة الزام الطوق وفى أمثالهم

يقلدها طوق الحمامة اذا جاء بهنة يسب بها و يذم وقال مجاهد معناه سيكلفون أن يأتوا بما بخلوا به يوم القيامة ونظيره ماروى عن ابن عباس انه كان يقرأ وعلى الذين يطوقونه فدية قال المفسرون يكلفونه ولا يطيقونه أى يؤمرون باداء مامنعوه حتى لا يمكنهم الاتيان به فيكون ذلك توبيخاً على معنى هلا فعلتم ذلك حين كان ممكنا ولله ميراث السموات والارض وله ما فيهما مما يتوارثه أهلهما من مال وغيره فمالهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه فى سبيله ونظيره قوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وقال كثير من المفسرين المقصود انه يبطل ملك جميع المالكين الا ملك الله فيصير كالميراث قال ابن الانبارى يقال ورث فلان علم فلان اذا انفرد به بعد أن كان مشاركاله فيه ومثله وورث سليمان داود أى انفرد بذلك الامر بعد أن كان داود مشاركاله فيه أو غالباً عليه والله بما تعملون خبير من قرأ على الغيبة فظاهر أى يجازيهم على منعهم الحقوق ومن قرأ على الخطاب فللالتفات وهى أبلغ فى الوعيد لان الغضب كأنه تناهى الى حد أقبل على الخطاب وشافهه بالعتاب ثم شرع فى حكاية شبه الطاعنين فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انه لما أمر بالانفاق فى سبيل الله قالوا لو كان

واتقوا الله الذى تساءلون به واتقوا الارحام أن تقطعوها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام يقول اتقوا الله واتقوا الارحام لا تقطعوها حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اتقوا الله وصلوا الارحام فانه أبقى لكم فى الدنيا وخير لكم فى الآخرة حدثنى على بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قول الله واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام يقول اتقوا الله الذى تساءلون به واتقوا الله فى الارحام فصلوها حدثنا أبو كريب قال ثنا هشيم عن منصور عن الحسن فى قوله واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام قال اتقوا الله الذى تساءلون به واتقوه فى الارحام حدثنا سفيان قال ثنا أبى عن سفيان عن خصيف عن عكرمة فى قول الله الذى تساءلون به والارحام قال اتقوا الارحام أن تقطعوها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن فى قوله واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام قال هو قول الرجل أنشدك بالله والرحم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الله وصلوا الارحام حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الذى تساءلون به والارحام قال اتقوا الارحام أن تقطعوها حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنى أبو زهير عن جويبر عن الضحاك فى قوله الذى تساءلون به والارحام قال يقول اتقوا الله فى الارحام فصلوها حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام قال يقول واتقوا الله فى الارحام فصلوها حدثنا المثنى قال ثنا اسحق عن عبد الرحمن بن أبى حماد وأخبرنا أبو جعفر الخراز عن جويبر عن الضحاك أن ابن عباس كان يقرأ والارحام يقول اتقوا الله لا تقطعوها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس اتقوا الارحام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال اتقوا الله الذى تساءلون به والارحام أن تقطعوها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واتقوا الله الذى تساءلون به واتقوا الارحام أن تقطعوها وقرأ والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل قال أبو جعفر وعلى هذا التأويل قرأ ذلك من قرأه نصباً بمعنى واتقوا الله الذى تساءلون به واتقوا الارحام أن تقطعوها عطفاً بالارحام فى اعرابها بالنصب على اسم الله تعالى ذكره قال والقراءة التى لا نستجيز القارئ أن يقرأ غيرها فى ذلك النصب واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام بمعنى واتقوا الارحام أن تقطعوها لما قد بينا أن العرب لا تعطف بظاهر من الاسماء على مكنى فى حال الخفض الا فى ضرورة شعر على ماقد وصفت قبل ﴿القول فى تأويل قوله﴾ (ان الله كان عليكم رقيبا) قال أبو جعفر يعنى بذلك تعالى ذكره ان الله لم يزل عليكم رقيبا ويعنى بقوله عليكم على الناس الذين قال لهم جل ثناؤه يا أيها الناس اتقوا ربكم والمخاطب والغائب اذا اجتمعا فى الخبر فان العرب تخرج الكلام على الخطاب فتقول اذا خاطبت رجلا واحدا أو جماعة فعلت هى وآخرون غيب معهم فعلا فعلتم كذا وصنعتم كذا ويعنى بقوله رقيبا حفيظا

محمد صادقاً فى أن الله تعالى يطلب منا المال فهو اذن فقير ونحن أغنياء لكن الفقر على الله محال فمحمد غير صادق وأيضاً لو كان نبياً محقاً لكان انما يطلب المال لاجل أن تجىء نار من السماء فتحرقه كما كان فى الازمنة السالفة فلما لم يفعل ذلك عرفنا أنه ليس بنبى فهذا بيان النظم وليس فى الآية تعيين القائلين الا أن العلماء نسبوا هذا القول الى اليهود لعنهم الله لقولهم فى موضع آخر يد الله مغلولة عنوا أنه بخيل وذلك

محصيا عليكم أعمالكم متفقدا رعايتكم حرمة أرحامكم وصلتكم اياها وقطعكموها وتضييعكم حرمتها كما حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ان الله كان عليكم رقيبا حفيظا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد في قوله ان الله كان عليكم رقيبا على أعمالكم يعلمها ويعرفها ومنه قول أبي دؤاد الايادي

*

كمقاعد الرقباء للضرباء أيديهم نواهد

القول في تأويل قوله (وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب) قال أبو جعفر يعني بذلك تعالى ذكره أوصياء اليتامى يقول لهم وأعطوا يا معشر أوصياء اليتامى أموالهم اذا هم بلغوا الحلم وأونس منهم الرشد ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب يقول ولا تستبدلوا الحرام عليكم من أموالهم بأموالكم الحلال لكم كما حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب قال الحلال بالحرام حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا سفيان قال ثنا أبي عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب قال الحرام مكان الحلال قال أبو جعفر ثم اختلف أهل التأويل في صفة تبديلهم الخبيث بالطيب الذي نهوا عنه ومعناه فقال بعضهم كان أوصياء اليتامى يأخذون الجيد من ماله والرفيع منه ويجعلون مكانه لليتيم الرديء والخسيس فذلك تبديلهم الذي نهاهم الله تعالى عنه ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن مغيرة عن ابراهيم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب قال لا تعط زيفا وتأخذ جيدا حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن السدي وعن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب ومعمر عن الزهري قالوا يعطي مهزولا ويأخذ سمينا وبه عن سفيان عن رجل عن الضحاك قال لا تعط فاسدا وتأخذ جيدا حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة من غنم اليتيم ويجعل مكانها الشاة المهزولة ويقول شاة بشاة ويأخذ الدرهم الجيد ويطرح مكانه الزيف ويقول درهم بدرهم * وقال آخرون معنى ذلك لا تستعجل الرزق الحرام فتأكله قبل أن يأتيك الذي قدر لك من الحلال ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب قال لا تعجل بالرزق الحرام قبل أن يأتيك الحلال الذي قدر لك وبه عن سفيان عن اسمعيل عن أبي صالح مثله * وقال آخرون معنى ذلك كالذي حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب قال كان أهل الجاهلية لا يورثون النساء ولا يورثون الصغار يأخذه الاكبر وقرأ وترغبون أن تنكحوهن قال اذا لم يكن لهم شيء والمستضعفين من الولدان لا يورثوهم قال فنصيبه من الميراث طيب وهذا الذي أخذه خبيث * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بتأويل الآية قول من قال تأويل ذلك ولا تتبدلوا أموال أيتامكم أيها الاوصياء الحرام عليكم الخبيث لكم فتأخذوا رفائعها وخيارها وجيادها بالطيب الحلال لكم من أموالكم الرديء الخسيس بدلا منه وذلك أن تبدل الشيء بالشيء في كلام العرب أخذ

الجهل يناسب هذا الجهل ولان التشبيه غالب عليهم والقائل بالتشبيه لا يمكنه اثبات كونه تعالى قادرا على كل المقدورات واذا عجز عن اثبات هذا الاصل عجز عن بيان أنه غني ولما روى عكرمة ومحمد بن اسحق والسدي ومقاتل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب مع أبي بكر الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلاة وايتاء الزكاة وأن (١٥٣) يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء وهو من علمائهم أتزعم أن ربنا يستقرضنا أموالنا فهو اذن فقير ونحن أغنياء فغضب أبو بكر ولطمه في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد انظر الى ما صنع بي صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر ما الذي حملك على ما صنعت فقال يا رسول الله ان عدو الله قال هكذا فجحد ذلك فنحاص فنزلت هذه الآية تصديقا لابي بكر وأيضا ان موسى لما طلب منهم الجهاد ببذل النفوس قالوا اذهب أنت وربك فقاتلا فلا يبعد أن محمدا صلى الله عليه وسلم لما طلب منهم الاموال قالوا والله لو كان الاله غنيا فأي حاجة الى أموالنا ثم ان القائل لو كان فنحاصا وحده فانما يستقيم قوله لقد سمع الله قول الذين قالوا لان أتباع الرجل والمقتدين به حكمهم حكمه ثم انه تعالى لم يجبهم عن شبهتهم أما على قواعد أهل السنة فبأن يقول يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد فلا يبعد أن يأمر عبيده ببذل الاموال مع كونه أغنى الاغنياء وأما على قوانين المعتزلة فبأن في هذا التكليف فوائد منها ازالة حب المال عن القلب ومنها التوسل الى الثواب المخلد ومنها تسخير البعض للبعض فبذلك ترتبط أمور التمدن وتنتظم أحوال صلاح المعاش والمعاد وانما لم يجب لكثرة ورودها في القرآن لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة وما تنفقوا من خير فلانفسكم ولان وجوب الوجود عبارة عن الغني المطلق حتى لا يحتاج في ذاته ولا في شيء من صفاته ولا بجهة من جهاته الى ما سوى ذاته فمن اعترف بوجوب وجوده ثم شك في كمال غناه في وجوده فقد عاد

بالنقض على موضوعه فلا يستحق الجواب عند أولى الالباب وانما يستأهل صنوفا من العتاب وضروبا من العذاب فلهذا قال على جهة الوعيد سنكتب ما قالوا في صحائف الحفظة أو نستحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه كما يثبت المكتوب فلا ينسى وفي التفسير الكبير سنكتب عنهم هذا الجهل في القرآن حتى يبقى على لسان الامة (١٥٤) الى يوم القيامة ثم عطف عليه قتلهم الانبياء ليدل على أنهم كما لم يقدروا الله حق قدره حتى نسبوا اليه ما نسبوه فكذلك لم يقضوا حقوق الانبياء ففعلوا بهم ما فعلوا ونقول ذوقوا عذاب الحريق وهو من أسماء جهنم فعيل بمعنى مفعول كالاليم بمعنى المؤلم أو سميت باسم صاحبها أي ذات حرقة والمعنى ينتقم منهم فيقول لهم ذوقوا عذاب النار كما أذقتم المسلمين جرع الغصص وهذا القول يحتمل أن يقال عند الموت أو عند الحشر أو عند قراءة الكتب ويحتمل أن يكون كناية عن الوعيد وان لم يكن ثمة قول (ذلك) العذاب أو الوعيد بما قدمت أيديكم من السب والقتل وذكر الايدي لان أكثر الاعمال يباشر باليد فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب وان كان بعضه باللسان أو بسائر الجوارح والآلات وانما جمع لان المخاطب جمع ولو كان مفردا قيل بما قدمت يداك مثنى كما في سورة الحج قال الجبائي قوله وأن الله أي وبأن الله ليس بظلام للعبيد فيه دلالة على أن فعل العقاب بهم كان يكون ظلما بتقدير أن لا يقع منهم الذنوب وفيه بطلان قول المجبرة ان الله يعذب الاطفال بغير جرم ويجوز أن يعذب البالغين بغير ذنب ويدل على كون العبد فاعلا والا لكان الظلم حاصلا والجواب انه لم ينف الظلم عن نفسه بمعنى أن الجزاء انما كان مرتبا على الذنب الصادر بكسب العبد وفعله فلا ظلم بل بمعنى انه مالك الملك والمالك اذا تصرف في ملكه كيف شاء لم يكن ذلك ظلما فخلق ذلك الفعل فيهم وترتيب العذاب عليه لا يكون ظلما قيل انه نفى الظلم الكثير عن نفسه وذلك يوهم ثبوت أصل الظلم له أجاب القاضي بان العذاب الذي توعد بان يفعل بهم لو كان ظلما لكان عظيما فنفاه على حد عظمه لو كان ثابتا وهذا يؤكد ما ذكر أن ايصال العقاب اليهم كان يكون ظلما عظيما لو لم يكونوا مذنبين

شئ مكان آخر غيره بعطيه المأخوذ منه أو يجعله مكان الذي أخذ فاذ كان ذلك معنى التبديل والاستبدال فمعلوم أن الذي قاله ابن زيد من أن معنى ذلك هو أخذ أكبر ولد الميت جميع مال ميتته ووالده دون صغارهم الى ماله قول لا معنى له لانه اذا أخذ الاكبر من ولده جميع ماله دون الاصاغر منهم فلم يستبدل مما أخذ شيأ فما التبدل الذي قال جل ثناؤه ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولم يبدل الآخذ مكان المأخوذ بدلا وأما الذي قاله مجاهد وأبو صالح من أن معنى ذلك لا تتعجل الرزق الحرام قبل مجيء الحلال فانهما أيضا ان لم يكونا أرادا بذلك نحو القول الذي روي عن ابن مسعود أنه قال ان الرجل ليحرم الرزق بالمعصية يأتيها ففساده نظير فساد قول ابن زيد لان من استعجل الحرام فأكله ثم آتاه الله رزقه الحلال فلم يبدل شيأ مكان شئ وان كانا أرادا بذلك أن الله جل ثناؤه نهى عباده أن يستعجلوا الحرام فيأكلوه قبل مجيء الحلال فيكون أكلهم ذلك سببا لحرمان الطيب منه فذلك وجه معروف ومذهب معقول يحتمله التأويل غير أن الاشبه في ذلك بتأويل الآية ما قلنا لان ذلك هو الاظهر من معانيه لان الله جل ثناؤه انما ذكر ذلك في قصة أموال اليتامى وأحكامها فلا يكون ذلك من جنس حكم أول الآية فأخرجها من أن يكون من غير جنسه ﴿القول في تأويل قوله﴾ (ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم) قال أبو جعفر يعني بذلك تعالى ذكره ولا تخلطوا أموالهم يعني أموال اليتامى بأموالكم فتأكلوها مع أموالكم كما حدثنا ابن بشار قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم يقول لا تأكلوا أموالكم وأموالهم تخلطوها فتأكلوها جميعا حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن مبارك عن الحسن قال لما نزلت هذه الآية في أموال اليتامى كرهوا أن يخالطوهم وجعل ولي اليتيم يعزل مال اليتيم عن ماله فشكوا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم قال فخالطوهم واتقوا ﴿القول في تأويل قوله﴾ (انه كان حوبا كبيرا) قال أبو جعفر يعني تعالى ذكره انه كان حوبا كبيرا أن أكلكم أموال أيتامكم مع أموالكم حوب كبير والهاء في قوله انه دالة على اسم الفعل أعني الاكل وأما الحوب فانه الاثم يقال منه حاب الرجل يحوب حوبا وحوبا وحيابة ويقال منه قد تحوب الرجل من كذا اذا تأثم منه ومنه قول أمية بن الاسكن الليثي

وان مهاجرين تكنفاه * غداتئذ لقد خطئا وحابا

ومنه قيل نزلنا بحوبة من الارض وبحيبة من الارض اذا نزلوا بموضع سوء منها والكبير العظيم فمعنى ذلك أن أكلكم أموال اليتامى مع أموالكم اثم عند الله عظيم ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو وعمرو بن علي قالا ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله حوبا كبيرا قال اثما حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله انه كان حوبا كبيرا قال اثما عظيما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي كان حوبا أما حوبا فاثما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله حوبا قال اثما حدثنا بشر

ابن

ابن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة انه كان حوبا كبيرا يقول ظلما كبيرا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول في قوله انه كان حوبا كبيرا قال ذنبا كبيرا وهي لأهل الاسلام حدثنا عمرو بن علي قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا قرة بن خالد قال سمعت الحسن يقول حوبا كبيرا قال اثما والله عظيما ﴿ القول في تأويل قوله ﴿وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم﴾ قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك وان خفتم يا معشر أولياء اليتامى ألا تقسطوا في صداقهن فتعدلوا فيه وتبلغوا بصداقهن صدقات أمثالهن فلا تنكحوهن ولكن انكحوا غيرهن من الغرائب اللواتي أحلهن الله لكم وطيبهن من واحدة الى أربع وان خفتم أن تجوروا اذا نكحتم من الغرائب أكثر من واحدة فلا تعدلوا فانكحوا منهن واحدة أو ما ملكت أيمانكم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء فقالت يا ابن أختي هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد أن ينكحها بأدنى من سنة صداقها فنهوا أن ينكحوهن الا أن يقسطوا لهن في اكمال الصداق وأمروا أن ينكحوا ما سواهن من النساء حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال أخبرني عروة بن الزبير انه سأل عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله تبارك وتعالى وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء قالت يا ابن أختي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تشاركه في ماله فيعجبه مالها وجمالها فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره فنهوا أن ينكحوهن الا أن يقسطوا لهن ويبلغوا بهن أعلى سنتهن في الصداق وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن قال يونس بن يزيد قال ربيعة في قول الله وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى قال يقول اتركوهن فقد أحللت لكم أربعا حدثنا الحسن بن الجنيد وأبو سعيد بن مسلمة قالا أنبأنا اسمعيل ابن أمية عن ابن شهاب عن عروة قال سألت عائشة أم المؤمنين فقلت يا أم المؤمنين أرأيت قول الله وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء قالت يا ابن أختي هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في جمالها ومالها ويريد أن يتزوجها بأدنى من سنة صداق نسائها فنهوا عن ذلك أن ينكحوهن الا أن يقسطوا فيكملوا لهن الصداق ثم أمروا أن ينكحوا سواهن من النساء ان لم يكملوا لهن الصداق حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني الليث قال ثني يونس عن ابن شهاب قال ثني عروة بن الزبير أنه سأل عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فذكر مثل حديث يونس عن ابن وهب حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة مثل حديث ابن حميد عن ابن المبارك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت نزلت يعني قوله وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى الآية في اليتيمة تكون عند الرجل وهي ذات مال فلعله ينكحها لمالها وهي لا تعجبه

أقول انه تعالى نفى حقيقة الظلم عنه في قوله وما ظلمناهم وهم لا يظلمون وتحقيقه ما ذكرناه انه مالك الكل له أن يتصرف في ملكه كيف يشاء ولكنه نفى ههنا كثرة الشر والظلم أن يصدر عنه كأنه قال ان خلل الكم أن في الوجود شرا بناء على ما في ظنكم من أن الحكيم قد يصدر عنه الشر القليل بتبعية الخير الكثير فاعلموا اني منزه عن صدور الشر الكثير مني وان هذا من الشر القليل الذي في ضمنه خير كثير ونقول أراد نفي الشر القليل وأصل الظلم عنه ولكن القليل من الظلم بالنسبة الى رحمته الذاتية كثير فلهذا عبر عنه بلفظ الكثرة والمبالغة ثم قرر الشبهة الاخرى لهم فقال الذين قالوا ان الله عهد الينا قال الكلبي نزلت في كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا وزيد بن التابوت وفنحاص بن عازوراء وحيي ابن أخطب أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا تزعم أن الله بعثك الينا رسولا وأنزل عليك الكتاب وان الله قد عهد الينا في التوراة أن لا نؤمن لرسول يزعم أنه جاء من عند الله حتى يأتينا بقربان تأكله النار فان جئتنا به صدقناك فنزلت قال عطاء كانت بنو اسرائيل يذبحون لله فيأخذون الثروب وأطايب اللحم فيضعونها في وسط بيت والسقف مكشوف فيقوم النبي في البيت ويناجي ربه وبنو اسرائيل خارجون واقفون حول البيت فتنزل نار بيضاء لها دوي وحفيف ولا دخان لها فتأكل ذلك القربان وهو البر الذي يتقرب به الى الله وأصله مصدر كالكفران والرجحان ثم سمي به نفس المتقرب به الى الله ومنه قوله عليه السلام لكعب بن عجرة يا كعب الصوم جنة والصلاة قربان أي بها يتقرب الى الله ويستشفع في الحاجة لديه والعلماء فيما ادعاه اليهود قولان قال السدي ان هذا الشرط جاء في التوراة مع الاستثناء قال من جاءكم يزعم انه رسول الله فلا تصدقوه حتى يأتيكم بقربان تأكله النار الا المسيح ومحمدا فكانت هذه العادة جارية الى مبعث المسيح ثم زالت وقيل انه افتراء لان المعجزات كلها في كونها خارقة للعادة وآية لصحة النبوة سواء فأي فائدة في تخصيصها ولانه اما أن يكون في التوراة أن مدعي النبوة وان جاء بجميع الآيات لا تقبلوا قوله الا أن يجيء بهذه الآية المعينة وحينئذ لا تكون سائر المعجزات دالة على الصدق واذا جاز الطعن فيها

ثم يضر بها ويسيء صحبتها فوعظ في ذلك * قال أبو جعفر فعلى هذا التأويل جواب قوله وان خفتم ألا تقسطوا قوله فانكحوا * وقال آخرون بل معنى ذلك النهي عن نكاح ما فوق الاربع حذرا على أموال اليتامى أن يتلفها أولياؤهم وذلك أن قريشا كان الرجل منهم يتزوج العشر من النساء والاكثر والاقل فاذا صار معدما مال على مال يتيمه الذي في حجره فأنفقه أو تزوج به فنهوا عن ذلك وقيل لهم ان أنتم خفتم على أموال أيتامكم أن تنفقوها فلا تعدلوا فيها من أجل حاجتكم اليها لما يلزمكم من مؤن نسائكم فلا تجاوزوا فيما تنكحون من عدد النساء على أربع وان خفتم أيضا من الاربع ألا تعدلوا في أموالهم فاقتصروا على الواحدة أو على ما ملكت أيمانكم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك قال سمعت عكرمة يقول في هذه الآية وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى قال كان الرجل من قريش يكون عنده النسوة ويكون عنده الأيتام فيذهب ماله فيميل على مال الأيتام قال فنزلت هذه الآية وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء حدثنا هناد بن السري قال ثنا أبو الاحوص عن سماك عن عكرمة في قوله وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم قال كان الرجل يتزوج الاربع والخمس والست والعشر فيقول الرجل ما يمنعني أن أتزوج كما تزوج فلان فيأخذ مال يتيمه فيتزوج به فنهوا أن يتزوجوا فوق الأربع حدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن طاوس عن ابن عباس قال قصر الرجال على أربع من أجل أموال اليتامى حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فان الرجل كان يتزوج بمال اليتيم ما شاء الله تعالى فنهى الله عن ذلك وقال آخرون بل معنى ذلك أن القوم كانوا يتحوبون في أموال اليتامى ألا يعدلوا فيها ولا يتحوبون في النساء ألا يعدلوا فيهن فقيل لهم كما خفتم أن لا تعدلوا في اليتامى فكذلك فخافوا في النساء أن لا تعدلوا فيهن ولا تنكحوا منهن الا من واحدة الى الأربع ولا تزيدوا على ذلك وان خفتم أن لا تعدلوا أيضا في الزيادة عن الواحدة فلا تنكحوا الا ما لا تخافون أن تجوروا فيهن من واحدة أو ما ملكت أيمانكم ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أيوب عن سعيد بن جبير قال كان الناس على جاهليتهم الا أن يؤمروا بشيء أو ينهوا عنه قال فذكروا اليتامى فنزلت وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم قال فكما خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فكذلك فخافوا أن لا تقسطوا في النساء حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى الى أيمانكم كانوا يشددون في اليتامى ولا يشددون في النساء ينكح أحدهم النسوة فلا يعدل بينهن فقال الله تبارك وتعالى كما تخافون أن لا تعدلوا بين اليتامى فخافوا في النساء فانكحوا واحدة الى الاربع فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء حتى بلغ

جاز في هذه واما أن يكون فيها أن مدعي النبوة يطالب بالمعجزة آية كانت وحينئذ يكون طلب هذا المعجز المعين عبثا فلهذا نسبهم الله تعالى الى الجحود والعناد فقال قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم أي بعدلوه ومؤداه فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين انما الايمان يجب عند الاتيان بالقربان وانما ذكر مجيء الرسل بالبينات ولم يقتصر على مجيء القربان ليتم الالزام وذلك أن القوم يحتمل أن يقولوا ان الاتيان بهذا القربان شرط للنبوة لا موجب لها والشرط يلزم من عدمه عدم المشروط لكن لا يلزم من وجوده وجود المشروط فلو اكتفى بذكر القربان لم يتم الالزام وحيث أضاف اليه البينات ثبت أنهم أتوا بالموجب وبالشرط جميعا فكان الاقرار بالنبوة واجبا ثم سلى رسوله بقوله فان كذبوك في أصل الشريعة والنبوة أو في قولك ان الانبياء الاقدمين جاؤهم بالبينات وبالقربان فقتلوهم فقد كذب رسل من قبلك وأي رسل والمصيبة اذا عمت طابت جاؤا بالبينات وهي الحجج الواضحات والمعجزات الباهرات والزبر هي الصحف جمع زبور بمعنى مزبور أي مكتوب وقال الزجاج الزبور كل كتاب ذي حكمة فيشبه أن يكون من الزبر بمعنى الزجر عن خلاف الحق وبه سمي زبور داود لما فيه من الزواجر والمواعظ والكتاب المنير الموضح أو الواضح المستنير ويعلم من عطف الزبر والكتاب على البينات أن معجزاتهم كانت مغايرة لكتبهم وأنها لم تكن معجزة لهم والاعجاز من خواص القرآن وعطف الكتاب المنير على الزبر لان الكتاب بوصفه بالانارة أو الاستنارة أشرف من مطلق الزبر فهو خص بعد العموم لشرفه مثل وملائكته وجبريل وميكال وقيل المراد بالزبر الصحف وبالكتاب المنير التوراة والانجيل والزبور ثم أكد التسلية بقوله كل نفس ذائقة الموت لان تذكر الموت واستحضاره مما يزيل الغموم والاشجان الدنيوية وكذا أدنى العلم بأن وراء هذه الدار دارا يتميز فيها المحسن عن المسيء ويرى كل منهما جزاء عمله والمراد بكل نفس ذائقة الموت كل ذات فالقضية لا يمكن اجراؤها على عمومها لاستثناء الله تعالى منها تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك وكذا كل الجمادات لان لها ذوات ولقوله فصعق من في السموات ومن

في الارض الا من شاء الله ولانه لا موت ولا لاهل الجنة ولا أهل النار فالمراد المكلفون الحاضرون في دار التكليف والملائكة عند من يجوز الموت عليهم روى عن ابن عباس لما نزل قوله تعالى كل من عليها فان قالت الملائكة مات أهل الارض فلما نزل كل نفس ذائقة الموت قالت الملائكة متنا وفي الآية دليل على أن المقتول ميت وعلى أن النفس باقية بعد البدن لان الذائق لا بد أن يكون باقيا حال حصول الذوق قالت الحكماء الموت واجب الحصول عند هذه الحياة الجسمانية لانها لا تحصل الا بالرطوبة الغريزية والحرارة الغريزية ثم ان الحرارة الغريزية تؤثر في تقليل الرطوبة الغريزية واذا قلت الرطوبة الغريزية ضعفت الحرارة الغريزية ولا يزال تستمر هذه الحالة الى أن تفنى الرطوبة الاصلية فتنطفئ الحرارة الغريزية ويحصل الموت فبهذا الطريق كان الموت ضروريا في هذه الحياة قالوا والارواح المجردة لا موت لها وناقشهم المسلمون فيه وانما توفون أجوركم يوم القيامة في ذكر التوفية اشارة الى أن بعض الاجور يعطى قبل ذلك اليوم كما قال صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار فمن زحزح عن النار الزح التنحية والابعاد والزحزحة تكريره فقد فاز لم يقيد الفوز بشئ لانه لا فوز وراء هذين الامرين الخلاص من العذاب والوصول الى الثواب فمن حصل له هذان فقد فاز الفوز المطلق المتناول لكل ما يفاز به قال صلى الله عليه وسلم من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي الى الناس ما يحب أن يؤتى اليه فالاول رعاية حقوق الله والثاني محافظة حقوق العباد ثم شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته وذلك أن لذاتها تفنى وتبعاتها تبقى والغرور بالضم مصدر وبالفتح الغار المدلس هو الشيطان عن علي بن أبي طالب لين مسها قاتل سمها وعن بعضهم الدنيا ظاهرها مظنة السرور وباطنها مطية الشرور وعن سعيد بن جبير انما هذا لمن آثرها على الآخرة فأما من طلب الآخرة بها فانها متاع بلاغ (لتبلون في أموالكم) اللام جواب القسم المقدر والنون دخلت مؤكدة وضمت الواو لالتقاء الساكنين ولما كان يجب لما قبلها من الضم والمراد

أدنى ألا تعولوا يقول كما خفتم الجور في اليتامى وهمكم ذلك فكذلك فخافوا في جمع النساء وكان الرجل في الجاهلية يتزوج العشرة فما دون ذلك فأحل الله جل ثناؤه أربعا ثم الذي صيرهن الى أربع قوله مثنى وثلاث ورباع فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة يقول ان خفت أن لا تعدل في أربع فثلاث والا فثنتين والا فواحدة وان خفت أن لا تعدل في واحدة فما ملكت يمينك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب عن سعيد بن جبير قوله وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء يقول ما أحل لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فخافوا في النساء مثل الذي خفتم في اليتامى أن لا تقسطوا فيهن حدثني المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن أيوب عن سعيد بن جبير قال جاء الاسلام والناس على جاهليتهم الا أن يؤمروا بشئ فيتبعوه أو ينهوا عن شئ فيجتنبوه حتى سألوا عن اليتامى فأنزل الله تبارك وتعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع حدثنا المثنى قال ثنا أبو النعمان عارم قال ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن سعيد بن جبير قال بعث الله تبارك وتعالى محمدا صلى الله عليه وسلم والناس على أمر جاهليتهم الا أن يؤمروا بشئ أو ينهوا عنه وكانوا يسألونه عن اليتامى فأنزل الله تبارك وتعالى وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع قال فكما تخافون أن لا تقسطوا في اليتامى فخافوا أن لا تقسطوا وتعدلوا في النساء حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى قال كانوا في الجاهلية ينكحون عشرا من النساء الايامى وكانوا يعظمون شأن اليتيم فتفقدوا من دينهم شأن اليتيم وتركوا ما كانوا ينكحون في الجاهلية فقال وان خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ونهاهم عما كانوا ينكحون في الجاهلية حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء كانوا في جاهليتهم لا يرزؤن من مال اليتيم شيأ وهم ينكحون عشرا من النساء وينكحون نساء آبائهم فتفقدوا من دينهم شأن النساء فوعظهم الله في اليتامى وفي النساء فقال في اليتامى ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب الى انه كان حوبا كبيرا ووعظهم في شأن النساء فقال فانكحوا ما طاب لكم من النساء الآية وقال ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء حدثت عن عمار عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى الى ما ملكت أيمانكم يقول فان خفتم الجور في اليتامى وغمكم ذلك فكذلك فخافوا في جميع النساء قال وكان الرجل يتزوج العشر في الجاهلية فما دون ذلك وأحل الله أربعا وصيرهم الى أربع يقول فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة وان خفت ألا تعدل في واحدة فما ملكت يمينك وقال آخرون معنى ذلك فكما خفتم في اليتامى فكذلك فتخوفوا في النساء أن تزنوا بهن ولكن انكحوا ما طاب لكم من النساء ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال أخبرنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى يقول ان تحرجتم في ولاية اليتامى وأكل أموالهم ايمانا وتصديقا فكذلك فتحرجوا من الزنا وانكحوا النساء نكاحا طيبا مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا

ماناالهم من الفقر والضر والقتل والجرح والتكاليف الشاقة البدنيـة والمالية من الصلاة والزكاة والصوم والجهاد والذى كانوا يسمعونه من الكفرة كالطعن فى الدين الحنيف وأهله واغراء المخالفين وتحريضهم عليهم واغواء المنافقين وتنفيرهم عنهم وان تصبروا على ماابتلاكم الله به وتتقوا المخالفة أو تصبروا على أداء الواجبات وتتقوا ارتكاب المحظورات فان ذلك الصبر والتقوى من عزم الامور من معزوماتها الذى لا يترخص العاقل فى تركه لكونه حميد العاقبة بين الصواب أو هو من عزائم الله ومما ألزمكم الاخذ به قال الواحدى كان هذا قبل نزول آية القتال وقال القفال الظاهر أنها نزلت بعد قصة أحد فلا تكون منسوخة بآية السيف والمراد الصبر على مايؤذون به الرسول على طريق الاقوال الجارية فيما بينهم واستعمال مداراتهم فى كثير من الاحوال والامر بالقتال لاينافى الامر بالمصابرة على هذا الوجه عن كعب بن مالك ان كعب بن الاشرف اليهودى كان شاعرا وكان يهجو النبى صلى الله عليه وسلم ويحرض عليه كفار قريش فى شعره وكان النبى صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وأهلها أخلاط المسلمون والمشركون واليهود فأراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يستصلحهم كلهم فكان المشركون واليهود يؤذونه ويؤذون أصحابه أشد الاذى فأمر الله نبيه بالصبر على ذلك فنزلت الآية روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب على حمار وأردف أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة فى بنى الحرث بن خزرج قبل وقعة بدر حتى مر بمجلس فيه عبدالله بن أبى وذلك قبل أن يسلم عبدالله فاذا فى المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين واليهود وفى المجلس عبدالله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبدالله بن أبى أنفه بردائه وقال لاتغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وقف فنزل ودعاهم الى الله وقرأ عليهم القرآن فقال عبدالله بن أبى أيها المرء انه لا أحسن مما تقول ان كان حقا فلا تؤذنا به فى مجالسنا ارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبدالله بن رواحة بلى يارسول الله فاغشنا به فى مجالسنا فانا نحب ذلك فاستب المسلمون والمشركون

فواحدة أو ماملكت أيمانكم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله وقال آخرون بل معنى ذلك وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى اللاتى أنتم ولاتهن فلا تنكحوهن وانكحوا أنتم ماحل لكم منهن ذكر من قال ذلك حدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا أبى عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى قال نزلت فى اليتيمة تكون عند الرجل هو وليها ليس لها ولى غيره وليس أحد ينازعه فيها ولا ينكحها لمالها فيضربها ويسىء صحبتها حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا يونس عن الحسن فى هذه الآية وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم أى ماحل لكم من يتاماكم من قراباتكم مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ماملكت أيمانكم * قال أبو جعفر وأولى الاقوال التى ذكرناها فى ذلك بتأويل الآية قول من قال تأويلها وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فكذلك فخافوا فى النساء فلا تنكحوا منهن الا مالا تخافون أن تجوروا فيه منهن من واحدة الى الاربع فان خفتم الجور فى الواحدة أيضا فلا تنكحوها ولكن عليكم بما ملكت أيمانكم فانه أحرى أن لاتجوروا عليهن وانما قلنا ان ذلك أولى بتأويل الآية لان الله جل ثناؤه افتتح الآية التى قبلها بالنهى عن أكل أموال اليتامى بغير حقها وخلطها بغيرها من الاموال فقال تعالى ذكره وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا ثم أعلمهم أنهم ان اتقوا الله فى ذلك فتحرجوا فيه فالواجب عليهم من اتقاء الله والتحرج فى أمر النساء مثل الذى عليهم من التحرج فى أمر اليتامى وأعلمهم كيف التخلص لهم من الجور فيهن كما عرفهم المخلص من الجور فى أموال اليتامى فقال انكحوا ان أمنتم الجور فى النساء على أنفسكم ما أبحت لكم منهن وحللته مثنى وثلاث ورباع فان خفتم أيضا الجور على أنفسكم فى أمر الواحدة بان لا تقدروا على انصافها فلا تنكحوها ولكن تسروا من المماليك فانكم أحرى أن لا تجوروا عليهن لانهن أملاككم وأموالكم ولا يلزمكم لهن من الحقوق كالذى يلزمكم للحرائر فيكون ذلك أقرب لكم الى السلامة من الاثم والجور ففى الكلام اذ كان المعنى ماقلنا متروك استغنى بدلالة ماظهر من الكلام عن ذكره وذلك أن معنى الكلام وان خفتم ألا تقسطوا فى أموال اليتامى فتعدلوا فيها فكذلك فخافوا ألا تقسطوا فى حقوق النساء التى أوجبها الله عليكم فلا تتزوجوا منهن الا ما أمنتم معه الجور مثنى وثلاث ورباع وان خفتم أيضا فى ذلك فواحدة وان خفتم فى الواحدة فما ملكت أيمانكم فترك ذكر قوله فكذلك فخافوا أن لا تقسطوا فى حقوق النساء بدلالة ماظهر من قوله تعالى فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ماملكت أيمانكم فان قال قائل فأين جواب قوله وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى قيل قوله فانكحوا ما طاب لكم غير أن المعنى الذى يدل على أن المراد بذلك ماقلنا قوله فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ماملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا وقد بينا فيما مضى قبل أن معنى الاقساط فى كلام العرب العدل والانصاف وأن القسط الجور والحيف بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وأما اليتامى فانها جمع لذكران الايتام واناثهم فى هذا الموضع وأما قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء فانه يعنى فانكحوا ما حل لكم منهن دون ماحرم عليكم منهن كما حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى مالك قوله فانكحوا ما طاب

لكم

واليهود حتى كادوا يتثاورون فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكنوا ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم دابته فسار حتى دخل على سعد بن عبادة فقال له يا سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب يريد عبد الله بن أبي قال كذا وكذا فقال سعد بن عبادة يا رسول الله اعف عنه واصفح فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي نزل عليك وقد

اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يتوجوه ويعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاكه شرق بذلك فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله هذه الآية ثم إنه تعالى عجب من حال اليهود أنه كيف يليق بحالهم إيراد الطعن في نبوته مع أن كتبهم ناطقة به وأيضا من جملة ايذائهم الرسول أنهم كانوا يكتمون نعته وصفته فلهذا قال وإذ أخذ الله والضمير في لتبيننه قيل لمحمد لأنه معلوم وإن كان غير مذكور أي لتبينن حاله وهذا قول سعيد بن جبير والسدي وقال الحسن وقتادة يعود إلى الكتاب كأنه أكد عليهم إيجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل إذا عزم عليه وقيل له الله لتفعلن ولا يكتمونه قيل الواو للحال أي غير كاتمين ويحتمل أن تكون للعطف وإن لم يكن مؤكدا بالنون والأمر بالبيان يتضمن النهي عن الكتمان لكنه صرح به للتأكيد فنبذوه وراء ظهورهم جعلوه كالشيء المطروح المتروك وعن علي رضي الله عنه ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا وقال قتادة مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينفق منه ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم قائم لا يأكل ولا يشرب طوبى لعالم ناطق ولمستمع واع هذا علم علما فبذله وهذا سمع خيرا فوعاه ومعنى قوله واشتروا به ثمنا قليلا أنهم كتموا الحق ليتوسلوا به إلى وجدان حظ يسير من الدنيا فبئس ما يشترون هو ويدخل في الوعيد كل من كتم شيئا من أمر الدين لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارهم واستجذاب لمبارهم أو لتقية من غير ضرورة أو لبخل بالعلم وغيرة أن ينسب إلى غيره ثم ذكر نوعا آخر من إيذاء اليهود وأوعدهم عليه وسلى رسوله بذلك فقال لا تحسبن الذين يفرحون من قرأ بتاء الخطاب وفتح الباء فالخطاب للرسول أو لكل

لكم من النساء ما حل لكم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب عن سعيد بن جبير في قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء يقول ما حل لكم فإن قال قائل وكيف قيل فانكحوا ما طاب لكم من النساء ولم يقل فانكحوا من طاب لكم وإنما يقال ما في غير الناس قيل معنى ذلك على غير الوجه الذي ذهبت إليه وإنما معناه فانكحوا نكاحا طيبا كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فانكحوا ما طاب لكم من النساء فانكحوا النساء نكاحا طيبا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله فالمعني بقوله ما طاب لكم الفعل دون أعيان النساء وأشخاصهن فلذلك قيل ما ولم يقل من كما يقال خذ من رقيقي ما أردت إذا عنيت خذ منهم إرادتك ولو أردت خذ الذي تريد منهم لقلت خذ من رقيقي من أردت منهم وكذلك قوله أو ما ملكت أيمانكم بمعنى أو ملك أيمانكم وإنما معنى قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فلينكح كل واحد منكم مثنى وثلاث ورباع كما قيل والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة وأما قوله مثنى وثلاث ورباع فإنما ترك إجراؤهن لأنهن معدولات عن اثنين وثلاث وأربع كما عدل عمر عن عامر وزفر عن زافر فترك إجراؤه وكذلك أحاد وثناء وموحد ومثنى ومثلث ومربع لا يجري ذلك كله للعلة التي ذكرت من العدول عن وجوهه ومما يدل على أن ذلك كذلك وأن الذكر والأنثى فيه سواء ما قيل في هذه السورة وسورة فاطر مثنى وثلاث ورباع يراد به الجناح والجناح ذكر وأنه أيضا لا يضاف إلى ما يضاف إليه الثلاثة والثلاث وأن الألف واللام لا تدخله فكان في ذلك دليل على أنه اسم للعدد معرفة ولو كان نكرة لدخله الألف واللام وأضيف كما يضاف الثلاثة والأربعة ومما يبين في ذلك قول تميم بن أبي مقبل

ترى النعرات الزرق تحت لبانه * أحاد ومثنى أصعقتها صواهله

فرد أحاد ومثنى على النعرات وهي معرفة وقد تجعلها العرب نكرة فتجريها كما قال الشاعر

قتلنا به من بين مثنى وموحد * بأربعة منكم وآخر خامس

ومما يبين أن ثناء وأحاد غير جارية قول الشاعر

ولقد قتلتكم ثناء وموحدا * وتركت مرة مثل أمس الدابر

وقول الشاعر

منت لك أن تلاقيني المنايا * أحاد أحاد في شهر حلال

ولم يسمع من العرب صرف ما جاوز الرباع والمربع عن جهته لم يسمع منها خماس ولا المخمس ولا السباع ولا المسبع وكذلك ما فوق الرباع إلا في بيت الكميت فإنه يروى له في العشرة عشار وهو قوله

فلم يستريثوك حتى رميـ * ـت فوق الرجال خصالا عشارا

يريد عشرا عشرا يقال إنه لم يسمع غير ذلك وأما قوله فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة فإن نصب واحدة بمعنى فإن خفتم ألا تعدلوا فيما يلزمكم من العدل ما زاد على الواحدة من النساء عندكم بنكاح فيما أوجبه الله لهن عليكم فانكحوا واحدة منهن ولو كانت القراءة جاءت في ذلك بالرفع كان جائزا بمعنى فواحدة كافية أو فواحدة مجزئة كما قال جل ثناؤه فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان وإن قال

أحد أحد المفعولين الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم اعادة للعامل لطول الكلام وافادة التأكيد ومن ضم الباء في الثاني مع تاء الخطاب فالخطاب للمؤمنين ومن ضمها مع ياء الغيبة فالضمير للذين يفرحون والمفعول الاول محذوف أي لا يحسبن أنفسهم الذين يفرحون فائزين والثاني للتأكيد

ومعنى بما أتوا بما فعلوا وأتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال تعالى انه كان وعده مأتيا لقد جئت شيأ فريا ومعنى بمفازة من العذاب بمنجاة منه أي بمكان الفوز وقال الفراء أي ببعد منه لان الفوز التباعد عن المكروه وفي الصحيحين ان مروان قال لرافع بوابه اذهب الى ابن عباس وقل له لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعون فقال ابن عباس ما لكم ولهذه انما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهود فسألهم عن شئ فكتموه اياه وأخبروه بغيره فأروه أن قد استحمدوا اليه بما أخبروه عنه وفرحوا بما أتوا من كتمانهم اياه ثم قرأ ابن عباس واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب الآيتين وقال الضحاك كتب يهود المدينة الى يهود العراق واليمن ومن بلغهم كتابهم من اليهود في الارض كلها ان محمدا ليس نبي الله فاثبتوا على دينكم واجمعوا كلمتكم على ذلك فاجتمعت كلمتهم على الكفر بمحمد والقرآن ففرحوا بذلك وقالوا الحمد لله الذي جمع كلمتنا ولم نتفرق ولم نترك ديننا ونحن أهل الصوم والصلاة نحن أولياء الله فذلك قول الله يفرحون بما أتوا بما فعلوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فانزل الله هذه الآية يعني بما ذكروا من الصوم والصلاة والعبادة وعن أبي سعيد الخدري أن رجالا من المنافقين كانوا اذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغزو تخلفوا عنه فاذا قدم اعتذروا عنده وحلفوا وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا فانزل الله هذه الآية وهذه الوجوه كلها مشتركة في الاتيان بما لا ينبغي ومحبة الحمد عليه ووصفه بسداد السيرة وحسن السريرة ونحن اذا أنصفنا من أنفسنا وجدنا أكثر مجاري أمورنا على هذه الحالة فنسأله العصمة والهداية ثم ختم الكلام بقوله ولله ملك السموات والارض والغرض أنه كيف يرجو

لنا قائل قد علمت ان الحلال لكم من جميع النساء الحرائر نكاح أربع فكيف قيل فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع وذلك في العدد تسع قيل ان تأويل ذلك فانكحوا ما طاب لكم من النساء اما مثنى ان أمنتم الجور من أنفسكم فيما يجب لهما عليكم واما ثلاث ان لم تخافوا ذلك واما أربع ان أمنتم ذلك فيهن يدل على صحة ذلك قوله فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة لان المعنى فان خفتم في الثنتين فانكحوا واحدة ثم قال وان خفتم ألا تعدلوا أيضا في الواحدة فما ملكت أيمانكم فان قال قائل فان أمر الله ونهيه على الايجاب والالزام حتى تقوم حجة بأن ذلك على التأديب والارشاد والاعلام وقد قال تعالى ذكره فانكحوا ما طاب لكم من النساء وذلك أمر فهل من دليل على أنه من الامر الذي هو على غير وجه الالزام والايجاب قيل نعم والدليل على ذلك قوله فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة فكان معلوما بذلك أن قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء وان كان مخرجه مخرج الامر فانه بمعنى الدلالة على النهي عن نكاح ما خاف الناكح الجور فيه من عدد النساء لا بمعنى الامر بالنكاح فان المعنى به وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فتحرجتم فيهن فكذلك فتحرجوا في النساء فلا تنكحوا الا ما أمنتم الجور فيه منهن ما أحللته لكم من الواحدة الى الاربع وقد بينا في غير هذا الموضع بأن العرب تخرج الكلام بلفظ الامر ومعناها فيه النهي أو التهديد والوعيد كما قال جل ثناؤه فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وكما قال ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون فخرج ذلك مخرج الامر والمقصود به التهديد والوعيد والزجر والنهي فكذلك قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء بمعنى النهي فلا تنكحوا الا ما طاب لكم من النساء وعلى النحو الذي قلنا في معنى قوله أو ما ملكت أيمانكم قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر ابن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم يقول فان خفت ألا تعدل في واحدة فما ملكت يمينك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي أو ما ملكت أيمانكم السراري حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم فان خفت ألا تعدل في واحدة فما ملكت يمينك حدثني يحيى بن أبي طالب قال حدثنا يزيد قال ثنا جويبر عن الضحاك قوله فان خفتم ألا تعدلوا قال في المجامعة والحب ﴿ القول في تأويل قوله (ذلك أدنى ألا تعولوا) يعني بقوله تعالى ذكره وان خفتم ألا تعدلوا في مثنى أو ثلاث أو رباع فنكحتم واحدة أو خفتم ألا تعدلوا في الواحدة فتسررتم ملك أيمانكم فهو أدنى يعني أقرب ألا تعولوا يقول أن لا تجوروا ولا تميلوا يقال منه عال الرجل فهو يعول عولا وعيالة اذا مال وجار ومنه عول الفرائض لان سهامها اذا زادت دخلها النقص وأما من الحاجة فانما يقال عال الرجل عيلة وذلك اذا احتاج كما قال الشاعر

وما يدري الفقير متى غناه * وما يدري الغني متى يعيل

يعني يفتقر وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا يونس عن الحسن ذلك أدنى ألا تعولوا قال العول الميل في النساء حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في قوله

ذلك

النجاة من كان معذبه هذا القادر الغالب * التأويل بل هو خيرا لهم بل هو شر لهم كل واحد من صفتي البخل والسخاء بمنزلة الاكسير حتى يجعل الخير شرا أو بالعكس سيطوقون شبه بالطوق لانه يحيط بالقلب ومنه ينشأ معظم الصفات الذميمة كالحرص والحسد والحقد والعداوة والكبر والغضب والبخل حب الدنيا رأس كل خطيئة ولله ميراث السموات

والارض الانسان وارث الدنيا والآخرة أولئك هم

ذلك أدنى ألا تعولوا يقول لا تميلوا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ذلك أدنى ألا تعولوا أن لا تميلوا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا أبو النعمان محمد بن الفضل قال ثنا هشيم قال أخبرنا داود بن أبي هند عن عكرمة ألا تعولوا قال أن لا تميلوا ثم قال أما سمعت الى قول أبي طالب * بميزان قسط وزنه غير عائل * حدثني المثنى قال ثنا حجاج قال ثنا حماد بن زيد عن الزبير عن حريث عن عكرمة في هذه الآية ألا تعولوا قال أن لا تميلوا قال وأنشد بيتا من شعر زعم أن أبا طالب قاله

بميزان قسط لا يخس شعيرة * ووازن صدق وزنه غير عائل

قال أبو جعفر ويروى هذا البيت على غير هذه الرواية

بميزان صدق لا يغل شعيرة * له شاهد من نفسه غير عائل

حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم في قوله ألا تعولوا قال أن لا تميلوا حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم مثله حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن أبي اسحق الكوفي قال كتب عثمان بن عفان رضي الله عنه الى أهل الكوفة في شيء عاتبوه عليه فيه اني لست بميزان لا أعول حدثنا أبو كريب قال ثنا عباد بن علي قال ثنا اسمعيل بن أبي خالد عن أبي مالك في قوله أدنى ألا تعولوا قال لا تميلوا حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذلك أدنى ألا تعولوا أدنى أن لا تميلوا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ألا تعولوا قال تميلوا حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع ذلك أدنى ألا تعولوا يقول أن تميلوا حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي ذلك أدنى ألا تعولوا يقول تميلوا حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنا معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله أدنى ألا تعولوا يعني أن لا تميلوا حدثنا محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ذلك أدنى ألا تعولوا يقول ذلك أدنى أن لا تميلوا حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن أبي مالك في قوله ذلك أدنى ألا تعولوا قال أن لا تجوروا حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون وعارم أبو النعمان قالا ثنا هشيم عن حصين عن أبي مالك مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن يونس عن ابن اسحق عن مجاهد ذلك أدنى ألا تعولوا قال تميلوا حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ذلك أدنى ألا تعولوا ذلك أقل لنفقتك الواحدة أقل من ثنتين وثلاث وأربع وجارية أهون نفقة من حرة أن لا تعولوا أهون عليك في العيال القول في تأويل قوله ﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة﴾ قال أبو جعفر يعني بذلك تعالى ذكره وأعطوا النساء مهورهن عطية واجبة وفريضة لازمة يقال منه نحل فلان فلانا كذا فهو ينحله نحلة ونحلا كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وآتوا النساء صدقاتهن نحلة يقول فريضة حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال

الوارثون والوارث اذا مات من غير وارث فميراثه لبيت المال قال الاشارة فيه أن من غلب عليه هذه الصفات ومات قلبه فقد بطل استعداد وراثته فميراثه لله ان الله فقير ونحن أغنياء فيه ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى فيعكس القضايا فيصف الرب بصفات العبد والعبد بصفات الرب وذلك لغلبة الصفات الذميمة واستيلاء سلطان الهوى والشيطان فيقول تارة أنا ربكم الاعلى وتارة ان الله فقير ونحن أغنياء بقربان تأكله النار قالت يهود صفات النفس البهيمية والسبعية والشيطانية لا نقاد لرسول أي لخاطر رحماني أو الهام رباني حتى يأتينا بقربان هو الدنيا ومافيها بجعلها نسيكة لله عز وجل تأكله نار الله الموقدة التي تقدح من زناد محبتهم فان كثيرا من الطالبين الصادقين يجعلون الدنيا ومافيها قربانا لله فلا تأكله نار الله قل يا وارد الحق قد جاءكم رسل من قبلي أي واردات الحق بالبينات بالحجج الباهرة وبالذي قلتم أي بجعل الدنيا قربانا فلم قتلتموهم غلبتموهم ومحوتموهم حتى لم يبق أثر الواردات كل نفس ذائقة الموت كلهم مستعدون للفناء في الله ولا بد لها من موت فمن كان موته بالاسباب تكون حياته بالاسباب ومن كان فناؤه في الله يكون بقاؤه بالله لتبلون بالجهاد الاكبر ولتسمعن من أهل العلم الظاهر ومن أهل الرياء أذى كثيرا بالغيبة والملامة والانكار والاعتراض وان

تصبروا على جهاد النفس وتتقوا بالله عما سواه فان ذلك من عزم الامور أي من أمور أولي العزم فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل والله أعلم

﴿ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون

في خلق السموات والارض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار
ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار ربنا وآتنا ماوعدتنا
على رسلك ولاتخزنا يوم القيامة انك لاتخلف الميعاد فاستجاب لهم ربهم أني لاأضيع عمل عامل منكم من ذكر

أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب لايغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وماعند الله خير للابرار وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وماأنزل اليكم وماأنزل اليهم خاشعين لله لايشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب ياأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ القرا آت الابرار بالامالة أبو عمرو وحمزة غير خلاد ورجاء والكسائي والنجاري عن ورش وخلف وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان وكذلك كل ما تكرر فيه الراء غير ابن مجاهد والنقاش في جميع القرآن وقتلوا وقاتلوا حمزة وعلي وخلف وقرأ ابن كثير وابن عامر وقتلوا مشددا الباقون وقاتلوا وقتلوا مخففا لايغرنك بالنون الخفيفة رويس الباقون بالتشديد نزلا حيث كان بالاختلاس عباس * الوقوف الالباب ج لاحتمال الذين صفة أو مستأنفا نصبا أو رفعا على المدح بتقدير أعني الذين أوهم الذين والوصل أشهر والارض ج لحق المحذوف أي يقولون ربنا باطلا ج للابتداء ابن
بسبحانك تعظيما والا فالقول متحد وفاء التعقيب متعقب النار ○ أخزيته ط أنصار ○ فآمنا قف قيل والوصل أولى لان كلمة ربنا تكرار لمزيد الابتهال وقوله فاغفر لنا معطوف على آمنا أي اذا آمنا فاغفر الابرار ○ ج للآية وللعطف يوم القيامة ط الميعاد ○ أنثى ج

أخبرني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وآتوا النساء صدقاتهن نحلة يعني بالنحلة المهر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله وآتوا النساء صدقاتهن نحلة قال فريضة مسماة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول في قوله وآتوا النساء صدقاتهن نحلة قال النحلة في كلام العرب الواجب يقول لاينكحها الا بشئ واجب لها صدقة يسميها لها واجبة وليس ينبغي لاحد أن ينكح امرأة بعد النبي صلى الله عليه وسلم الا بصداق واجب ولا ينبغي أن يكون تسمية الصداق كذبا بغير حق وقال آخرون بل عني بقوله وآتوا النساء صدقاتهن نحلة أولياء النساء وذلك أنهم كانوا يأخذون صدقاتهن ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن سيار عن أبي صالح قال كان الرجل اذا زوج أيمة أخذ صداقها دونها فنهاهم الله تبارك وتعالى عن ذلك ونزلت وآتوا النساء صدقاتهن نحلة وقال آخرون بل كان ذلك من أولياء النساء بان يعطي الرجل أخته الرجل على أن يعطيه الآخر أخته على أن لا كثير مهر بينهما فنهوا عن ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه قال زعم حضرمي أن أناسا كانوا يعطي هذا الرجل أخته ويأخذ أخت الرجل ولا يأخذون كثير مهر فقال الله تبارك وتعالى وآتوا النساء صدقاتهن نحلة * قال أبو جعفر وأولى التأويلات التي ذكرناها في ذلك التأويل الذي قلناه وذلك أن الله تبارك وتعالى ابتدأ ذكر هذه الآية بخطاب الناكحين النساء ونهاهم عن ظلمهن والجور عليهن وعرفهم سبيل النجاة من ظلمهن ولا دلالة في الآية على أن الخطاب قد صرف عنهم الى غيرهم فاذا كان ذلك كذلك فمعلوم أن الذين قيل لهم فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع هم الذين قيل لهم وآتوا النساء صدقاتهن وأن معناه وآتوا من نكحتم من النساء صدقاتهن نحلة لانه قال في الاول فانكحوا ماطاب لكم من النساء ولم يقل فأنكحوا فيكون قوله وآتوا النساء صدقاتهن مصروفا الى انه معني به أولياء النساء دون أزواجهن وهذا أمر من الله أزواج النساء المدخول بهن والمسمى لهن الصداق أن يؤتوهن صدقاتهن دون المطلقات قبل الدخول ممن لم يسم لها في عقد النكاح صداق ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه ﴿فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا﴾ يعني بذلك جل ثناؤه فان وهب لكم أيها الرجال نساؤكم شيئا من صدقاتهن طيبة بذلك أنفسهن فكلوه هنيئا مريئا كما حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا عمارة عن عكرمة فان طبن لكم عن شئ منه نفسا قال المهر حدثنا محمد بن المثنى قال ثني حرمي بن عمارة قال ثنا شعبة عن عمارة عن عكرمة عن عمارة في قول الله تبارك وتعالى فان طبن لكم عن شئ منه نفسا قال الصدقات حدثني المثنى قال ثني الحماني قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد فان طبن لكم عن شئ منه نفسا قال الازواج حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن عبيدة قال قال لي ابراهيم أكلت من الهنئ المرئ قلت ماذاك قال امرأتك أعطتك من صداقها حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم قال دخل رجل على علقمة وهو يأكل من طعام بين يديه من شئ أعطته امرأته من صداقها أو غيره فقال له علقمة ادن فكل من الهنئ المرئ حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية

لاتحاد الكلام والا فبعضكم مبتدأ من بعض ج الانهار ز لان ثوابا مفعول له أو مصدر من عند الله ط الثواب ○ البلاد ○ ط لان التقدير لهم متاع أو ذلك متاع جهنم ط المهاد ○ من عند الله ط للابرار ○ لله لا لأن ما بعده حال آخر قليلا ط عند ربهم ط الحساب ○ تفلحون ○ * التفسير انه لما طال (١٦٣) الكلام فى تقرير القصص والاحكام عاد الى ماهو الغرض الاصلى من هذا الكتاب الكريم وهو جذب القلوب والاسرار بذكر ما يدل على التوحيد والكبرياء عن ابن عمر قلت لعائشة أخبرينى بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وأطالت ثم قالت كل أمره عجب أتانى فى ليلتى فدخل فى لحافى حتى ألصق جلده بجلدى ثم قال يا عائشة هل لك أن تأذنى لى الليلة فى عبادة ربى فقلت يا رسول الله انى لأحب قربك وأحب هواك قد أذنت لك فقام الى قربة من ماء فى البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلى فقرأ من القرآن وجعل يبكى حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله وأثنى عليه وجعل يبكى ثم رفع يديه فجعل يبكى حتى رأيت دموعه قد بلت الارض فأتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكى فقال له يا رسول الله أتبكى وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا بلال أفلا أكون عبدا شكورا ثم قال ومالى لا أبكى وقد أنزل الله على فى هذه الليلة ان فى خلق السموات والارض ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وعن على أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان فى خلق السموات والارض واعلم انه ذكر فى سورة البقرة ان فى خلق السموات والارض الى أن عد ثمانية دلائل وههنا اقتصر منها على الثلاثة الاول تنبيها على أن العارف بعد استكمال المعرفة لابد له من تقليل الدلائل لكمال الاستغراق فى معرفة المدلول فان البصيرة اذا التفتت الى معقول عسر عليها الالتفات الى آخر كالبصر اذا حدق الى مرئى امتنع تحديقه نحو آخر والسه الاشارة بقوله اخلع نعليك يعنى المقدمتين اللتين وصلت بهما الى النتيجة وهو وادى قدس الوحدانية وانما وقع الاقتصار على الدلائل السماوية لانها أقهر وأبهر والعجائب

ابن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا يقول اذا كان غير اضرار ولا خديعة فهو هنئ مرئ كما قال الله جل ثناؤه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فان طبن لكم عن شئ منه نفسا قال الصداق فكلوه هنيئا مريئا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول فى قوله فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه قال زعم حضرمى أن أناسا كانوا يتأثمون أن يرجع أحدهم فى شئ مما ساق الى امرأته فقال الله تبارك وتعالى فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا يقول ما طابت به نفسا فى غير كره أو هوان فقد أحل الله لك ذلك أن تأكله هنيئا مريئا وقال آخرون بل عنى بهذا القول أولياء النساء فقيل لهم ان طابت أنفس النساء اللواتى اليكم عصمة نكاحهن بصدقاتهن نفسا فكلوه هنيئا مريئا ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال ثنا سيار عن أبى صالح فى قوله فان طبن لكم عن شئ منه نفسا قال كان الرجل اذا زوج ابنته عمد الى صداقها فأخذه قال فنزلت هذه الاية فى الاولياء فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا * قال أبو جعفر وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب التأويل الذى قلنا وان الاية مخاطب بها الازواج لان افتتاح الاية مبتدأ بذكرهم وقوله فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فى سياقه وان قال قائل فكيف قيل فان طبن لكم عن شئ منه نفسا وقد علمت أن معنى الكلام فان طابت لكم أنفسهن بشئ وكيف وحدت النفس والمعنى للجميع وذلك انه تعالى ذكره قال وآتوا النساء صدقاتهن نحلة قيل أما نقل فعل النفوس الى أصحاب النفوس فان ذلك المستفيض فى كلام العرب من كلامها المعروف ضقت بهذا الامر ذراعا وذرعا وقررت بهذا الامر عينا والمعنى ضاق به ذرعى وقرت به عينى كما قال الشاعر

اذا التياز ذو العضلات قلنا * اليك اليك ضاق بها ذراعا

فنقل صفة الذراع الى رب الذراع ثم أخرج الذراع مفسرة لموقع الفعل وكذلك وحد النفس فى قوله فان طبن لكم عن شئ منه نفسا اذ كانت النفس مفسرة لموقع الخبر وأما توحيد النفس من النفوس لانه انما أراد الهوى والهوى يكون جماعة كما قال الشاعر

بها جيف الحسرى فأما عظامها * فبيض وأما جلدها فصليب

وكما قال الآخر * فى حلقكم عظم وقد شجينا * وقال بعض نحويى الكوفة جائز فى النفس فى هذا الموضع الجمع والتوحيد فان طبن لكم عن شئ منه نفسا وأنفسا وضقت به ذراعا وذرعا وأذرعا لانه منسوب اليك والى من تخبر عنه فاكتفى بالواحد عن الجمع لذلك ولم يذهب الوهم الى أنه ليس بمعنى جمع لان قبله جمعا قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندنا أن النفس وقع موقع الاسماء التى تأتى بلفظ الواحد مؤدية معناه اذا ذكر بلفظ الواحد وانه بمعنى الجمع عن الجمع وأما قوله هنيئا فانه مأخوذ من هنأت البعير بالقطران اذا جرب فعولج به كما قال الشاعر

فهيأ أكثروا انتقال النفس منها الى عظمة الله أيسر وانما قال فى تلك السورة لآيات لقوم يعقلون وفى هذه السورة لآيات لأولى الالباب لان العقل له ظاهر ولب ففى أول الامر يكون عقلا وفى كمال الحال يكون لبا وباقى التفسير قد مر هنالك ثم بعد دلائل الالهية ذكر وظائف العبودية وهى أن يكون باللسان وسائر الاركان وبالجنان مع الرحمن فقوله الذين يذكرون الله اشارة الى عبودية اللسان وقوله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وهو فى موضع حال آخر أى معتمدين على الجنب اشارة الى عبودية سائر الجوارح والاركان والمراد أنهم ذاكرون فى أغلب أحوالهم كما قال صلى الله عليه وسلم من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل المراد بالذكر ههنا الصلاة أى يصلون فى حال القيام فان عجزوا ففى حال القعود فان عجزوا ففى حال الاعتماد وهذا موافق لمذهب الشافعى فى ترتيب صلاة المريض العاجز ويوافق بحثا طبيا وهو أن الاستلقاء يمنع من استكمال الفكر والتدبر بخلاف الاضطجاع على الجنب والصلاة اذا كانت عن فكر وتدبر كانت أولى ولان الاستغراق فى النوم يكون فى هيئة الاستلقاء أكثر فذلك وضع الغافلين وقال أبو حنيفة بل يصلى مستلقيا ان عجز عن القعود حتى لو وجد خفة قعد وقوله ويتفكرون فى خلق السموات والارض اشارة الى عمل الجنان وقد عرفت معنى الفكر فى البحث الخامس من تفسير قوله وعلم آدم الاسماء وانما لم يقل ويتفكرون فى الله كما قال يذكرون الله لقوله صلى الله عليه وسلم تفكروا فى الخلق ولا تتفكروا فى الخالق والسبب فيه أن الاستدلال بالخلق على الخالق لا يمكن وقوعه على نعت المماثلة وانما يمكن على نعت المخالفة فانا نستدل بحدوث هذه المحسوسات على قدم خالقها وبامكانها على وجوبه وبافتقارها على غناه فالفكر فى المخلوقات ممكن وفى الخالق غير ممكن وقال كيف وان الفكر ترتيب المقدمات على وجه منتج والمقدمة لها موضوع ومحمول لا بد من تصورهما وتصوره سبحانه محال لان تصور الشئ عبارة عن حصول صورته فى النفس فتكون الصورة محاطة والنفس محيطة بها ولا يحيط بالواجب شئ الا انه بكل شئ محيط لكنه اذا تفكر

متبذلا تبدو محاسنه * يضع الهناء مواضع النقب

فكان معنى قوله فكلوه هنيئا مريئا فكلوه دواء شافيا يقال منه هنأنى الطعام ومرأنى أى صار لى دواء وعلاجا شافيا وهنئنى ومرئنى بالكسر وهى قليلة والذين يقولون هذا القول يقولون هنأنى ومرأنى والذين يقولون هنأنى يقولون يهنئنى ويمرئنى فاذا أفردوا قالوا وقد أمرأنى هذا الطعام امراء ويقال هنأت القوم اذا علتهم سمع من العرب من يقول انما سميت هانئا لتهنأ بمعنى لتعول وتكفى ؛ القول فى تأويل قوله ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما﴾ قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل فى السفهاء الذين نهى الله جل ثناؤه عباده أن يؤتوهم أموالهم فقال بعضهم هم النساء والصبيان ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا اسرائيل عن عبد الكريم عن سعيد بن جبير قال اليتامى والنساء حدثنا المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن يونس عن الحسن فى قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال لا تعطوا الصغار والنساء حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا يزيد بن زريع عن يونس عن الحسن قال المرأة والصبى حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن شريك عن أبى حمزة عن الحسن قال النساء والصغار والنساء أسفه السفهاء حدثنا الحسن بن يحيى قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن فى قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال السفهاء ابنك السفيه وامرأتك السفيهة وقد ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الله فى الضعيفين اليتيم والمرأة حدثنا المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا حميد عن عبد الرحمن الرؤاسى عن السدى قال يرده الى عبد الله قال النساء والصبيان حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم أما السفهاء فالولد والمرأة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان عن الضحاك قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم يعنى بذلك ولد الرجل وامرأته وهى أسفه السفهاء حدثنى يحيى بن أبى طالب قال ثنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فى قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال السفهاء الولد والنساء أسفه السفهاء فيكونوا عليكم أربابا حدثنا أحمد بن حازم الغفارى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن سلمة بن نبيط عن الضحاك قال أولادكم ونساؤكم حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا أبى عن سلمة عن الضحاك قال النساء والصبيان حدثنا أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن حميد الاعرج عن مجاهد ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال النساء والولدان حدثنا أحمد قال ثنا أبو نعيم قال ثنا ابن أبى عنبسة عن الحكم ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال النساء والولدان حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما أمر الله بهذا المال أن يخزن فيحسن خزانته ولا يملكه المرأة السفيهة والغلام السفيه حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا ابن المبارك عن اسمعيل عن أبى مالك قال النساء والصبيان حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال امرأتك وبنيك وقال السفهاء الولدان والنساء أسفه السفهاء

وقال آخرون بل السفهاء الصبيان خاصة ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن شريك عن سالم عن سعيد بن جبير فى قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال هم اليتامى حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبى عن شريك عن سالم عن سعيد قال السفهاء اليتامى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا يونس عن الحسن فى قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم يقول لا تنحلوا الصغار وقال آخرون بل عنى بذلك السفهاء من ولد الرجل ذكر من قال ذلك حدثنا سعيد بن يحيى الاموى قال أخبرنا ابن المبارك عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى مالك قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال لا تعط ولدك السفيه مالك فيفسده الذى هو قوامك بعد الله تعالى حدثنا محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ولا تؤتوا السفهاء أموالكم يقول لا تسلط السفيه من ولدك فكان ابن عباس يقول نزل ذلك فى السفهاء وليس اليتامى من ذلك فى شئ حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن فراس عن الشعبى عن أبى بردة عن أبى موسى الاشعرى أنه قال ثلاثة يدعون الله فلا يستجيب لهم رجل كانت له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ورجل أعطى ماله سفيها وقد قال الله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم ورجل كان له على رجل دين فلم يشهد عليه حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد ولا تؤتوا السفهاء أموالكم الآية قال لا تعط السفيه من ولدك رأسا ولا حائطا ولا شيئا هولك قيما من مالك وقال آخرون بل السفهاء فى هذا الموضع النساء خاصة دون غيرهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه قال زعم حضرمى أن رجلا عمد فدفع ماله الى امرأته فوضعته فى غير الحق فقال الله تبارك وتعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حميد عن مجاهد ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال النساء حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال ثنا سفيان عن الثورى عن حميد عن قيس عن مجاهد فى قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال هن النساء حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تبارك وتعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما قال نهى الرجال أن يعطوا النساء أموالهم وهن سفهاء من كن أزواجا أو أمهات أو بنات حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا هشام عن الحسن قال المرأة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك قال النساء من أسفه السفهاء حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن أبى عوانة عن عاصم عن مورق قال مرت امرأة بعبد الله بن عمر لها شارة وهيئة فقال لها ابن عمر ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما * قال أبو جعفر والصواب من القول فى تأويل ذلك عندنا أن الله جل ثناؤه عم بقوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم فلم يخصص سفيها دون سفيه فغير جائز لأحد أن يؤتى سفيها ماله صبيا صغيرا كان أو رجلا كبيرا ذكرا كان أو أنثى والسفيه الذى لا يجوز لوليه أن

فى مخلوقاته ولاسيما السموات مع ما فيهما من الشمس والقمر والنجوم والى الارض مع ما عليها من البحار والجبال والمعادن والنبات والحيوان عرف أولا أن لها رباموصوفا بأوصاف نعت فيقول ربنا ثم يعترف بأن فى كل من ذلك حكما ومقاصد وفوائد لا يحيط بتفاصيلها الا موجدها فيقول ما خلقت هذا باطلا ثم اذا قاس أحوال هذه المصنوعات الى صانعها علم أن ذاته تعالى منزه عن مشابهة شئ من هذه المصنوعات فيعلم انه ليس بجوهر ولا عرض ولا مركب ولا مؤلف ولا فى حيز وجهة فيقول سبحانك أى أنزهك عما لا يليق بك من مناسبة الجواهر والاعراض ثم اذا بلغ من الاستغراق فى بحار العظمة والجلال هذا المبلغ وجد نفسه ذرة من ذرات الكائنات واقعة فى حضيض عالم البشرية محاطة بالطبائع والاركان فيتضرع الى خالق السموات والارض أن يخلصه من قيد العناصر ويعرج به من الارض ويقيه عذاب كرة النار ويوصله الى معارج السموات وذلك قوله فقنا عذاب النار ثم ذكر سبب الاستعاذة من النار بقوله ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته أى أبلغت فى اخزائه نظيره قوله فقد فاز وفى كلامهم من أدرك مرعى الصمان فقد أدرك ثم توسل الى ما سأل بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك قوله ربنا اننا سمعنا مناديا الآية فهذا بيان وجه النظم فى هذه الكلمات والآيات على وجه ألقى فى روعى والله أعلم بأسرار كلامه عن النبى صلى الله عليه وسلم بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى النجوم والى السماء فقال أشهد أن لك ربا وخالقا اللهم اغفر لى فنظر الله اليه فغفر له وعنه صلى الله عليه وسلم لا تفضلونى على يونس بن متى فانه كان يرفع له فى كل يوم مثل عمل أهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر فى أمر الله الذى هو عمل القلب لان أحدا لا يقدر على أن يعمل بجوارحه فى اليوم مثل عمل أهل الارض وعنه صلى الله عليه وسلم لا عبادة كالتفكر وهذا اشارة الى لفظ الخلق على أنه بمعنى المخلوق أو الى السموات والارض بتأويل المخلوق وفى كلمة هذا ضرب من التعظيم كأنه لعظم شأنه معقود به الهمم حتى صار حاضرا فى خزانة الخيال وباطلا نصب على المصدر أى خلقا باطلا أو على الحال وقيل بنزع الخافض أى بالباطل أو للباطل قالت المعتزلة فيه

دليل على أن كل ما يفعله الله تعالى فهو انما يفعله لغرض الاحسان الى العبد ولاجل حكمة وغاية وقوله سبحانك جملة معترضة تنزيها له من العبث وأن يخلق شيأ بغير حكمة فوجه النظم فى قوله فقنا عذاب النار أن الحكمة فى خلق الارض والسموات أن يجعلها مساكن للمكلفين وأدلة لهم على معرفته ووجوب طاعته واجتناب معصيته والنار جزاء من عصى ولم يطع وقالت الاشاعرة الدليل الدال على أن أحد طرفى الممكن لا يترجح الا بمرجح عام وذلك المرجح لا بد أن ينتهى الى الله تعالى فاذن الخير والشر والافعال كلها بقضاء الله وقدره فلا يمكن أن تعلل أفعال الله بمصالح العباد بل له أن يتصرف فى ملكه كيف يشاء والباطل فى اللغة الذاهب الزائل الذى لا يكون له قوّة ولا صلابة فيكون بصدد التلاشى والاضمحلال والمراد أن خلقهما خلق محكم متقن كقوله وبنينا فوقكم سبعا شدادا هل ترى من فطور ومعنى سبحانك انك وان خلقتهما فى غاية شدة التركيب وبصدد البقاء الا أنك غنى عن الاحتياج اليهما منزه عن الانتفاع بهما ثم لما وصف ذاته تعالى بالغنى أقر لنفسه بالعجز والحاجة اليه فى الدنيا والآخرة فقال فقنا عذاب النار واحتج حكماء الاسلام بالآية على أنه سبحانه خلق الافلاك والكواكب وأودع فى كل واحد منها قوى مخصوصة وجعلها بحيث يحصل من حركتها واتصال بعضها ببعض مصالح هذا العالم ومنافع قطان العالم السفلى قالوا لانها لو لم تكن كذلك لكانت باطلة ولا يمكن أن تقصر منافعها على الاستدلال بها على الصانع لان كل ذرة من ذرات الهواء والماء يشاركها فى ذلك فلا تبقى لخصوصياتها فائدة وهو خلاف النص وناقشهم المتكلمون فى ذلك وقالوا ان الفلكيات أسباب للارضيات على مجرى العادة لا على سبيل الحقيقة والانصاف فى هذا المقام أن وجود الوسائط لا ينافى استناد الكل الى مسبب الاسباب وان كون أفعال الله تعالى مستتبعة لمصالح العباد لا ينافى جريان الامور كلها بقضائه وقدره ثم انهم لما سألوا ربهم أن يقيهم عذاب النار أتبعوا ذلك ما يدل على عظم ذلك العقاب وهو الاخزاء ليدل على شدة اخلاصهم وجدهم فى الهرب من ذلك فيكون أقرب الى الاستجابة كما انهم قدموا الثناء

يؤتيه ماله هو المستحق الحجر بتضييعه ماله وفساده وافساده وسوء تدبيره ذلك وانما قلنا ما قلنا من أن المعنى بقوله ولا تؤتوا السفهاء هو من وصفنا دون غيره لان الله جل ثناؤه قال فى الآية التى تتلوها وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم فأمر أولياء اليتامى بدفع أموالهم اليهم اذا بلغوا النكاح وأونس منهم الرشد وقد يدخل فى اليتامى الذكور والاناث فلم يخصص بالامر بدفع ما لهم من الاموال الذكور دون الاناث ولا الاناث دون الذكور واذا كان ذلك كذلك فمعلوم أن الذين أمر أولياؤهم بدفعهم أموالهم اليهم وأجيز للمسلمين مبايعتهم ومعاملتهم غير الذين أمر أولياؤهم بمنعهم أموالهم وحظر على المسلمين مداينتهم ومعاملتهم فاذ كان ذلك كذلك فبين أن السفهاء الذين نهى الله المؤمنين أن يؤتوهم أموالهم هم المستحقون الحجر والمستوجبون أن يولى عليهم أموالهم وهم من وصفنا صفتهم قبل وأن من عدا ذلك فغير سفيه لان الحجر لا يستحقه من قد بلغ وأونس رشده وأما قول من قال عنى بالسفهاء النساء خاصة فانه جعل اللغة على غير وجهها وذلك أن العرب لا تكاد تجمع فعيلا على فعلاء الا فى جمع الذكور أو الذكور والاناث وأما اذا أرادوا جمع الاناث خاصة لا ذكران معهم جمعوه على فعائل وفعيلات مثل غريبة تجمع غرائب وغريبات فأما الغرباء فجمع غريب واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله أموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم فقال بعضهم عنى بذلك لا تؤتوا السفهاء من النساء والصبيان على ما ذكرنا من اختلاف من حكينا قوله قبل أيها الرشداء أموالكم التى تملكونها فتسلطوهم عليها فيفسدوها ويضيعوها ولكن ارزقوهم أنتم منها ان كانوا ممن تلزمكم نفقته واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا وقد ذكرنا الرواية عن جماعة ممن قال ذلك منهم أبو موسى الاشعرى وابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وحضرمى وسنذكر قول الآخرين الذين لم يذكر قولهم فيما مضى قبل حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها يقول لا تعط امرأتك وولدك مالك فيكونوا هم الذين يقومون عليك وأطعمهم من مالك واكسهم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا يقول لا تسلط السفيه من ولدك على مالك وأمره أن يرزقه منه ويكسوه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال لا تعط السفيه من مالك شيئا هو لك وقال آخرون بل معنى ذلك ولا تؤتوا السفهاء أموالهم ولكنه أضيف الى الولاة لانهم قوامها ومدبروها ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال ثنا ابن المبارك عن شريك عن سالم عن سعيد بن جبير فى قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم (١) وقد يدخل فى قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم اموال المنهيين عن أن يؤتوهم ذلك وأموال السفهاء لان قوله أموالكم غير مخصوص منها بعض الاموال دون بعض ولا تمنع العرب أن تخاطب قوما خطابا فيخرج الكلام بعضه خبر عنهم وبعضه عن غيب وذلك نحو أن يقولوا أكلتم يا فلان اموالكم بالباطل فيخاطب الواحد خطاب الجمع بمعنى أنك وأصحابك أو وقومك أكلتم

(١) كذا بالنسخ والذى فى الدر عن سعيد بن جبير فى قوله ولا تؤتوا السفهاء قال هم اليتامى أموالكم قال أموالهم بمنزلة قوله ولا تقتلوا أنفسكم اهـ وبه يتم دليل الدعوى كتبه مصححه

أموالكم

أموالكم فكذلك قوله ولا تؤتوا السفهاء معناه لا تؤتوا أيها الناس سفهاءكم أموالكم التى بعضها لكم وبعضها لهم فتضيعوها واذ كان ذلك كذلك وكان الله تعالى ذكره قد عم بالنهى عن ايتاء السفهاء الاموال كلها ولم يخصص منها شيأ دون شئ كان بينا بذلك أن معنى قوله التى جعل الله لكم قياما انما هو التى جعل الله لكم ولهم قياما ولكن السفهاء دخل ذكرهم فى ذكر المخاطبين بقوله لكم وأما قوله التى جعل الله لكم قياما فان قياما وقيما وقواما فى معنى واحد وانما القيام أصله القوام غير أن القاف التى قبل الواو لما كانت مكسورة جعلت الواو ياء لكسرة ما قبلها كما يقال صمت صياما وحلت حيالا ويقال منه فلان قوام اهل بيته وقيام اهل بيته واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأ بعضهم التى جعل الله لكم قيما بكسر القاف وفتح الياء بغير الف وقرأه آخرون قياما بألف قال محمد والقراءة التى نختارها قياما بالألف لانها القراءة المعروفة فى قراءة أمصار الاسلام وان كانت الاخرى غير خطا ولا فاسد وانما اخترنا ما اخترنا من ذلك لان القرا آت اذا اختلفت فى الالفاظ واتفقت فى المعانى فأعجبها الينا ما كان أظهر وأشهر فى قراءة أمصار الاسلام وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله قياما قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا سعيد بن يحيى الاموى قال ثنا ابن المبارك عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى مالك أموالكم التى جعل الله لكم قياما التى هى قوامك بعد الله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أموالكم التى جعل الله لكم قياما فان المال هو قيام الناس قوام معايشهم يقول كنت أنت قيم أهلك فلا تعط امرأتك مالك فيكونوا هم الذين يقومون عليك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما يقول الله سبحانه لا تعمد الى مالك وما خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيه امرأتك أو بنيك ثم تنظر الى ما فى أيديهم ولكن أمسك مالك وأصلحه وكن أنت الذى تنفق عليهم فى كسوتهم ورزقهم ومؤنتهم قال وقوله قياما يعنى قوامكم فى معايشكم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن قوله قياما قال قيام عيشك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا بكر بن شرود عن ابن مجاهد أنه قرأ التى جعل الله لكم قياما بالالف يقول قيام عيشك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أموالكم التى جعل الله لكم قياما قال لا تعط السفيه من ولدك شيأ هو لك قيم من مالك وأما قوله وارزقوهم فيها واكسوهم فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فأما الذين قالوا انما عنى الله جل ثناؤه بقوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم أولياء السفهاء لا أموال السفهاء فانهم قالوا معنى ذلك وارزقوا أيها الناس سفهاءكم من نسائكم وأولادكم من أموالكم طعامهم وما لا بد لهم منه من مؤنهم وكسوتهم وقد ذكرنا بعض قائلى ذلك فيما مضى وسنذكر من لم يذكر من قائليه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال أمروا أن يرزقوا سفهاءهم من أزواجهم وأمهاتهم وبناتهم من أموالهم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج

على الله بقولهم سبحانك على الطلب ليكون أقرب الى الادب وأحرى بالاجابة وكل ذلك تعليم من الله تعالى عباده فى حسن الطلب قال الواحدى الاخزاء جاء لمعان متقاربة عن الزجاج أخزى الله العدو أى أبعده وقيل أهانه وقيل فضحه وقيل أهلكه وقال ابن الانبارى الخزى فى اللغة الهلاك بتلف أو انقطاع حجة أو بوقوع فى بلاء قالت المعتزلة فى الآية دلالة على أن صاحب الكبيرة من أهل الصلاة ليس بمؤمن لانه اذا دخل النار فقد أخزاه الله والمؤمن لا يخزى لقوله يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه وأجيب بانه لا يلزم من أن لا يكون من آمن وهو مع النبى صلى الله عليه وسلم مخزى أن لا يكون غيره وهو مؤمن مخزى وأيضا الآية ليست على عمومها لقوله وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا فثبت أن كل من دخل النار فانه ليس بمخزى وعن سعيد بن المسيب والثورى ان هذا فى حق الكفار الذين أدخلوا النار للخلود وأيضا انه مخزى حال دخوله وان كانت عاقبته الخروج وقوله يوم لا يخزى نفى الخزى على الاطلاق والمطلق يكفى فى صدقه صورة واحدة وهى نفى الخزى المخلد ويحتمل أن يقال الاخزاء مشترك بين التخجيل وبين الاهلاك واذا كان المثبت هو الاول والمنفى هو الثانى لم يلزم التنافى واحتجت المرجئة بالآية على أن صاحب الكبيرة لا يدخل النار لانه مؤمن لقوله يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص ولقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمؤمن لا يخزى لقوله يوم لا يخزى الله النبى والمدخل فى النار مخزى بهذه الآية والمقدمات باسرها يدخلها المنع أما الاولى فباحتمال أن لا يسمى بعد القتل مؤمنا وان كان قبله مؤمنا وأما الأخريان فبخصوص المحمول وجزئية الموضوع كما تقرر آنفا وقد يتمسك حكماء الاسلام بهذا فى أن العذاب الروحانى أشد لانه بين سبب الاستعاذة بالاخزاء الذى هو التخجيل وهو أمر نفسانى وقد يتمسك المعتزلة بقوله وما للظالمين أى الداخلين فى النار من أنصار أى فى نفى الشفاعة للفساق لانها نوع نصرة ونفى الجنس يقتضى نفى النوع والجواب أن الظالم على الاطلاق هو الكافر لقوله والكافرون هم الظالمون وأيضا لا تأثير للشفاعة الا باذن الله فيؤل

عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله وارزقوهم قال يقول أنفقوا عليهم حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وارزقوهم فيها واكسوهم يقول أطعمهم من مالك واكسهم وأما الذين قالوا انما عنى بقوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم أموال السفهاء أن لا يؤتيهموها أولياؤهم فانهم قالوا معنى قوله وارزقوهم فيها واكسوهم وارزقوا أيها الولاة ولاة أموال السفهاء سفهاءكم من أموالهم طعامهم ومالا بد لهم من مؤنهم وكسوتهم وقد مضى ذكر ذلك * قال أبو جعفر وأما الذي نراه صوابا في قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم من التأويل فقد ذكرناه ودللنا على صحة ما قلنا في ذلك بما أغنى عن اعادته فتأويل قوله وارزقوهم فيها واكسوهم على التأويل الذي قلنا في قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم وأنفقوا على سفهائكم من أولادكم ونسائكم الذين تجب عليكم نفقتهم من طعامهم وكسوتهم في أموالكم ولا تسلطوهم على أموالكم فيهلكوها وعلى سفهائكم منهم ممن لا تجب عليكم نفقته ومن غيرهم الذين تلون أنتم أمورهم من أموالهم فيما لا بد لهم من مؤنهم في طعامهم وشرابهم وكسوتهم لان ذلك هو الواجب من الحكم في قول جميع الحجة لا خلاف بينهم في ذلك مع دلالة ظاهر التنزيل على ما قلنا في ذلك * القول في تأويل قوله جل ثناؤه (وقولوا لهم قولا معروفا) قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك عدهم عدة جميلة من البر والصلة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وقولوا لهم قولا معروفا قال أمروا أن يقولوا لهم قولا معروفا في البر والصلة يعني النساء وهن السفهاء عنده حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وقولوا لهم قولا معروفا قال عدة تعدوهم * وقال آخرون بل معنى ذلك ادعوا لهم ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وقولوا لهم قولا معروفا وان كان ليس من ولدك ولا ممن يجب عليك أن تنفق عليه فقل لهم قولا معروفا قل لهم عافانا الله واياك وبارك الله فيك * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال في ذلك بالصحة ما قاله ابن جريج وهو أن معنى قوله وقولوا لهم قولا معروفا أي قولوا يا معشر ولاة السفهاء قولا معروفا للسفهاء ان صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم أموالكم وخلينا بينكم وبينها فاتقوا الله في أنفسكم وأموالكم وما أشبه ذلك من القول الذي فيه حث على طاعة الله ونهي عن معصيته * القول في تأويل قوله جل ثناؤه (وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح) يعني تعالى ذكره بقوله وابتلوا اليتامى واختبروا عقول يتاماكم في أفهامهم وصلاحهم في أديانهم واصلاحهم أموالهم كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة والحسن في قوله وابتلوا اليتامى قالا يقول اختبروا اليتامى حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أما ابتلوا اليتامى فجربوا عقولهم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وابتلوا اليتامى قال عقولهم حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس

معنى الآية الى أن الامر يومئذ لله وعلى هذا ففائدة تخصيص الظالمين بهذا الحكم أنه وعد المتقين الفوز فلهم هذا الحجة بخلاف الفساق وأيضا أدلة الشفاعة مخصصة لعموم الآية قالوا الفاسق لا يخرج من النار والا كان مخرجه ناصراله وعورض بالآيات الدالة على العفو ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي تقول سمعت رجلا يتكلم بكذا (١٦٨) فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع اكتفاء بما وصفته به أو جعلته حالا عنه والمنادي عند الاكثرين هو رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله ادع الى سبيل ربك أدعوا الى الله وداعيا الى الله وقيل القرآن كما نسب اليه الهداية في قوله ان هذا القرآن يهدي كأنه يدعو الى نفسه وينادي بما فيه من الدلائل كما قيل في جهنم تدعو من أدبر وتولى والفصحاء يصفون الدهر بأنه ينادي ويعظ لدلالة تصاريفه قال يا واضع الميت في قبره * خاطبك الدهر فلم تسمع ويقال ينادي الى كذا ولكذا ودعاء اليه وله وهداه للطريق واليه فيقام كل من اللام والى مقام الاخرى نظرا الى وقوع معنى الانتهاء والاختصاص معا وقال أبو عبيدة هذا على التقديم والتأخير أي سمعنا مناديا للايمان ينادي كما يقال جاء منادي الامير فنادى بكذا وقيل معناه لاجل الايمان ولهذا الغرض فسر بقوله أن آمنوا وأن مفسرة أو مخففة معناه أي امنوا أو بأن آمنوا والفائدة في الجمع بين المنادي وينادي للايمان هي فائدة الاطلاق ثم التقييد والاجمال ثم التفصيل من رفع شأن المطلق والمجمل وكونه حينئذ أوقع في النفس وأعز فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا أصل الغفر والتكفير كلاهما الستر والتغطية وأما الذنوب والسيئات فقيل هما واحد والتكرار للتأكيد والالحاح ان الله يحب الملحين في الدعاء وقيل الاول الكبائر والثاني الصغائر وقيل الاول أريد به ما تقدم منهم والثاني المستأنف وقيل الاول ما أتى به الانسان مع العلم بكونه معصية وذنبا والثاني ما أتى به مع الجهل بكونه ذنبا وتوفنا مع الابرار أي معدودين منهم ومن أتباعهم أو مشاركين لهم في الثواب أو على مثل أعمالهم ودرجاتهم كقول الرجل أنا مع الشافعي في هذه المسئلة أي مساواه له في ذلك الاعتقاد احتجت

قوله

الاشاعرة بالآية على أن العفو غير مشروط بالتوبة لانهم طلبوا المغفرة دون ذكر التوبة بل بدون التوبة بدلالة فاء التعقيب في فاغفر بعد قولهم آمنا ثم انه تعالى أجابهم الى ذلك بقوله فاستجاب لهم و يعلم منه ثبوت شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لاصحاب الكبائر بالطريق الاولى ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك أي على تصديق رسلك لانها مذكورة عقيب

ذكر المنادي للايمان وهو الرسول وعقيب

قوله وابتلوا اليتامى قال اختبروهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح قال اختبروه في رأيه وفي عقله كيف هو اذا عرف أنه قد أنس منه رشد دفع اليه ماله قال وذلك بعد الاحتلام * قال أبو جعفر وقد دللنا فيما مضى قبل على أن معنى الابتلاء الاختبار بما فيه الكفاية عن اعادته وأما قوله اذا بلغوا النكاح فانه يعني اذا بلغوا الحلم كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله حتى اذا بلغوا النكاح حتى اذا احتلموا حدثني علي بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس حتى اذا بلغوا النكاح قال عند الحلم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله حتى اذا بلغوا النكاح قال الحلم ۞ القول في تأويل قوله (فان آنستم منهم رشدا) يعني بقوله فان آنستم منهم رشدا فان وجدتم منهم وعرفتم كما حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فان آنستم منهم رشدا قال عرفتم منهم يقال آنست من فلان خيرا وقرئ بعد الالف ايناسا وأنست به آنس انسا بقصر ألفها اذا ألفه وقد ذكر أنها في قراءة عبد الله فان أحستم منهم رشدا يعني أحستم أي وجدتم واختلف أهل التأويل في معنى الرشد الذي ذكره الله في هذه الآية فقال بعضهم معنى الرشد في هذا الموضع العقل والصلاح في الدين ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي فان آنستم منهم رشدا عقولا وصلاحا حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فان آنستم منهم رشدا يقول صلاحا في عقله ودينه * وقال آخرون معنى ذلك صلاحا في دينهم واصلاحا لأموالهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثني أبي عن مبارك عن الحسن قال رشدا في الدين وصلاحا وحفظا للمال حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فان آنستم منهم رشدا في حالهم والاصلاح في أموالهم * وقال آخرون بل ذلك العقل خاصة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال لا ندفع الى اليتيم ماله وان أخذ بلحيته وان كان شيخا حتى يؤنس منه رشده العقل حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن منصور عن مجاهد آنستم منهم رشدا قال العقل حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو شبرمة عن الشعبي قال سمعته يقول ان الرجل ليأخذ بلحيته وما بلغ رشده * وقال آخرون بل هو الصلاح والعلم بما يصلحه ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج فان آنستم منهم رشدا قال صلاحا وعلما بما يصلحه * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال عندي بمعنى الرشد في هذا الموضع العقل واصلاح المال لاجماع الجميع على أنه اذا كان كذلك لم يكن ممن يستحق الحجر عليه في ماله وحوز ما في يده عنه وان كان فاجرا في دينه واذ كان ذلك اجماعا من الجميع فكذلك حكمه اذا بلغ وله مال في يدي وصي أبيه أو في يد حاكم قد ولي ماله لطفولته واجب عليه تسليم ماله اليه اذا كان عاقلا بالغا مصلحا لماله غير مفسد لان المعنى الذي به يستحق أن يولى على ماله الذي هو في يده هو المعنى الذي به يستحق أن يمنع يده من ماله الذي هو في يده

قوله آمنا وهو التصديق فتكون على صلة للوعد كقولك وعد الله الجنة على الطاعة ويحتمل أن يتعلق بمحذوف أي ما وعدتنا منزلا على رسلك أو محمولا على رسلك لان الرسل يحملون ذلك فانما عليه ما حمل وقيل على ألسنة رسلك والمتعلق كما ذكر والموعود هو الثواب وقيل النصر على الاعداء وانما دعوا الله بانجاز ما وعد مع علمهم بانه لا يخلف الميعاد كما صرحوا به في آخر الادعية لان منظم الغرض من الدعاء اظهار سيما العبودية أو المراد وفقنا للاعمال التي بها نصير أهلا لوعدك واعصمنا عما بها نكون أهلا لاخزائك أو طلبوا تعجيل النصرة على الاعداء أو المراد احفظ علينا أسباب انجاز الميعاد وقيل فيه دليل على أنهم طلبوا منافع الآخرة بحكم الوعد لا بحكم الاستحقاق ثم ان الثواب منفعة مقرونة بالتعظيم فلهذا ختموا الادعية بقولهم ولا تخزنا يوم القيامة لان التخجيل والتفضيح يكدر صفو كل منّ وعطاء والحاصل من هذه الآيات أنهم نظروا في المصنوع فعرفوا منه الصانع فقالوا ربنا ثم تفكروا في عجيب خلقه و بديع شكله فعرفوا أن صانعه حكيم والحكيم لا تخلو أفعاله من الفوائد والغايات وان لم يكن مستكملا بها فقالوا ما خلقت هذا باطلا ثم تأملوا في غاية الغايات ونهاية

الحركات فوجدوها الانسان المكلف على ألسنة الرسل ووجدوا عاقبة التكليف الجنة أو النار فتضرعوا الى معبودهم في توفيق الوصول الى الجنة والخلاص من النار ولان دفع الضرر أهم من جلب المنفعة فعلوا أول دعائهم وآخره الاستعاذة من العذاب ولان العذاب الروحاني عند العقلاء أشد من العذاب الجسماني فلا جرم وقع الختم

على الاستعاذة من الاخزاء اللهم شاركنا فى هذا الدعاء واجعلنا من السعداء المتفكرين فى ملكوت الارض والسماء انك واهب العطاء وكاشف الغطاء عن جعفر الصادق من حزبه أمر فقال خمس مرات ربنا أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد لان الله تعالى حكى عنهم فى هذه الآيات أنهم قالوا خمس مرات ربنا ثم قال فاستجاب لهم ربهم اى أجابهم أنى أى بانى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر

ولى فانه لا فرق بين ذلك وفى اجماعهم على أنه غير جائز حيازة ما فى يده فى حال صحة عقله واصلاح ما فى يده الدليل الواضح على أنه غير جائز منع يده مما هو له فى مثل ذلك الحال وان كان قبل ذلك فى يد غيره لا فرق بينهما ومن فرق بين ذلك عكس عليه القول فى ذلك وسئل الفرق بينهما من أصل أو نظير فلن يقول فى أحدهما قولا الا ألزم فى الآخر مثله فان كان ما وصفنا من الجميع اجماعا فبين أن الرشد الذى به يستحق اليتيم اذا بلغ فأونس منه دفع ماله اليه ما قلنا من صحة عقله واصلاح ماله ﴿القول فى تأويل قوله جل ثناؤه﴾ (فادفعوا اليهم أموالهم ولا تأكلوها اسرافا) يعنى بذلك تعالى ذكره ولاة أموال اليتامى يقول الله لهم فاذا بلغ أيتامكم الحلم فآنستم منهم عقلا واصلاحا لأموالهم فادفعوا اليهم أموالهم ولا تحبسوها عنهم وأما قوله فلا تأكلوها اسرافا يعنى بغير ما أباحه الله لكم كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة والحسن ولا تأكلوها اسرافا يقول لا تسرف فيها حدثنا محمد بن الحسن قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولا تأكلوها اسرافا قال يسرف فى الأكل وأصل الاسراف تجاوز الحد المباح الى ما لم يبح وربما كان ذلك فى الافراط وربما كان فى التقصير غير أنه اذا كان فى الافراط فاللغة المستعملة فيه أن يقال أسرف يسرف اسرافا واذا كان كذلك فى التقصير فالكلام منه سرف يسرف سرفا يقال مررت بكم فسرفتكم يراد منه فسهوت عنكم وأخطأتكم كما قال الشاعر

أعطوا هنيدة يحدوها ثمانية * ما فى عطائهم من ولا سرف

يعنى بقوله ولا سرف لا خطأ فيه يراد به أنهم يصيبون مواضع العطاء فلا يخطؤنها ﴿القول فى تأويل قوله﴾ (وبدارا أن يكبروا) يعنى جل ثناؤه بقوله وبدارا ومبادرة وهو مصدر من قول القائل بادرت هذا الأمر مبادرة وبدارا وانما يعنى بذلك جل ثناؤه ولاة أموال اليتامى يقول لهم لا تأكلوا أموالهم اسرافا يعنى ما أباح الله لكم أكله ولا مبادرة منكم بلوغهم وايناس الرشد منهم حذرا أن يبلغوا فيلزمكم تسليمه اليهم كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله اسرافا وبدارا يعنى أكل مال اليتيم مبادرا أن يبلغ فيحول بينه وبين ماله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة والحسن ولا تأكلوها اسرافا وبدارا يقول لا تسرف فيها ولا تبادر حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى وبدارا تبادرا أن يكبروا فيأخذوا أموالهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله اسرافا وبدارا قال هذه لولى اليتيم خاصة جعل له أن يأكل معه اذا لم يجد شيأ يضع يده معه فيذهب بوجهه يقول لا أدفع اليه ماله وجعلت تأكله تشتهى أكله لانك ان لم تدفعه اليه لك فيه نصيب واذا دفعته اليه فليس لك فيه نصيب وموضع أن فى قوله أن يكبروا نصب بالمبادرة لان معنى الكلام لا تأكلوها مبادرة كبرهم ﴿القول فى تأويل قوله﴾ (ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف) يعنى بقوله جل ثناؤه ومن كان غنيا من ولاة أموال اليتامى

أو أنثى من فى منكم للتبعيض لان كل عامل فرد من أفراد المخاطبين وفى من ذكر للتبيين لان العامل اما ذكر واما أنثى واضاعة العمل عبارة عن اضاعة ثوابه بعضكم من بعض أى يجمع ذكوركم واناثكم أصل واحد فكل واحد منكم من الآخر أى من أصله أو المراد بعضكم كانه من البعض الآخر لفرط اتصالكم واتحادكم كما يقال فلان منى أى على خلق وسيرتى قال صلى الله عليه وسلم من غشنا فليس منا وقيل المراد وصلة الاسلام وهذه جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما يرجع الى استحقاق الثواب على العمل روى أن أم سلمة قالت يا رسول الله انى أسمع الله يذكر الرجال فى الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت ثم فصل عمل العامل منهم تفخيما للشأن العمل وتنويها بذكره فقال فالذين هاجروا أوطانهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم أو بعده باختيارهم وأخرجوا من ديارهم ألجأهم الكفار الى الخروج وأوذوا فى سبيلى يريد طريق الدين وقاتلوا وقتلوا من قرأ بالتشديد فللتكثير وتكرير القتل فيهم وقيل أى قطعوا ومن قرأ قتلوا وقاتلوا فالأن الواو لا تفيد الترتيب والترتيب الطبيعى قاتلوا حتى قتلوا واما من قولهم قتلنا ورب الكعبة اذا ظهرت أمارات القتل واذا قتل قومه وعشيرته واما باضمار قد أى قتلوا وقد قاتلوا لأكفرن جواب القسم المقدر عنهم سيئاتهم وهو الذى طلبوه بقولهم ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار وهو الذى طلبوه بقولهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ثوابا من عند الله وهو الذى طلبوه من الثواب المقرون بالتعظيم بقولهم ولا تخزنا يوم القيامة أى ثوابا يختص به وبقدرته وبفضله لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه يقول الرجل عندى

اليتامى على أموالهم فليستعفف بماله عن أ كلها بغير الاسراف والبدار أن يكبروا بما أباح الله له أ كلها به كما حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن الاعمش وابن أبي ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس في قوله ومن كان غنيا فليستعفف قال لغناه من ماله حتى يستغنى عن مال اليتيم وبه قال حدثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم في قوله ومن كان غنيا فليستعفف بغناه حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ليث عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس في قوله ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأ كل بالمعروف قال من مال نفسه ومن كان فقيرا منهم اليها محتاجا فليأ كل بالمعروف * قال أبو جعفر ثم اختلف أهل التأويل في المعروف الذي أذن الله جل ثناؤه لولاة أموالهم أ كلها به اذا كانوا أهل فقر وحاجة اليها فقال بعضهم ذلك هو القرض يستقرضه من ماله ثم يقضيه ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن سفيان واسرائيل عن أبي اسحق عن حارثة بن مصرف قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اني أنزلت مال الله تعالى مني بمنزلة مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت أ كلت بالمعروف فاذا أيسرت قضيت حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية عن زهير عن العلاء بن المسيب عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله ومن كان فقيرا فليأ كل بالمعروف قال هو القرض حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر قال سمعت يونس عن محمد بن سيرين عن عبيدة السلماني انه قال في هذه الآية ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأ كل بالمعروف قال الذي ينفق من مال اليتيم يكون عليه قرضا حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا سلمة بن علقمة عن محمد بن سيرين قال سألت عبيدة عن قوله ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأ كل بالمعروف قال انما هو قرض ألا ترى أنه قال فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم قال فظننت أنه قالها برأيه حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا هشام عن محمد عن عبيدة في قوله ومن كان فقيرا فليأ كل بالمعروف وهو عليه قرض حدثني يعقوب قال ثنا هشيم عن سلمة عن علقمة عن ابن سيرين عن عبيدة في قوله ومن كان فقيرا فليأ كل بالمعروف قال المعروف القرض ألا ترى الى قوله فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم حدثنا الحسن بن يحيى قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين عن عبيدة مثل حديث هشام حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية ابن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ومن كان فقيرا فليأ كل بالمعروف يعني القرض حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأ كل بالمعروف يقول ان كان غنيا فلا يحل له من مال اليتيم أن يأ كل منه شيأ وان كان فقيرا فليستقرض منه فاذا وجد ميسرة فليعطه ما استقرض منه فذلك أ كله بالمعروف حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو ادريس قال سمعت أبي يذكر عن حماد عن سعيد بن جبير قال يأ كل قرضا بالمعروف حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حجاج عن سعيد بن جبير قال هو القرض ما أصاب منه من شئ قضاه اذا أيسر يعني قوله ومن كان غنيا

ما تريد أي أنا مختص به وبملكه وان لم يكن بحضرته وثوابا نصب على المصدر المؤكد أي اثابة أو تثويبا من عنده لان قوله لا كفرن ولأدخلنهم في معنى لأثيبنهم وقال الكسائي هو منصوب على القطع أي على الحال وقال الفراء نصب على التفسير كقولك هو لك هبة أو بيعا أو صدقة ثم ختم بقوله والله عنده حسن الثواب لانه القادر على كل المقدورات العالم بكل المعلومات القاضي جميع الحاجات وفي تعليقه حسن الاثابة على احتمال المشاق في دينه والصبر على صعوبة تكاليفه دليل على أن حكمة الله تعالى اقتضت نوط الثواب والجنة بالعمل حتى لا يتكل الناس على فضله بالكلية ولا يهملوا جانب العمل رأسا عن الحسن أخبر الله تعالى أنه استجاب لهم الا أنه أتبع ذلك رافع الدعاء وما يستجاب به فلابد له من تقدمه بين يدي الدعاء يعني قوله والعمل الصالح يرفعه ثم انه تعالى لما وعد المؤمنين الثواب العظيم وكانوا في الدنيا في غاية الفقر والشدة والكفار كانوا في النعم أراد أن يسليهم ويصبرهم فقال لا يغرنك والخطاب لكل مكلف يسمعه أي لا يغرنك أيها السامع أو للرسول والمراد الامة قال قتادة والله ما غروا نبي الله حتى قبضه الله أوله والمراد هو فلعل السبب في عدم اغتراره هو تواتر أمثال هذه الآيات عليه قيل ان مشركي مكة كانوا يتجرون و يتنعمون فقال بعض المؤمنين ان أعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت وقيل كانت اليهود تضرب في الارض فتصيب الاموال فنزلت والمراد بتقلبهم تبسطهم وتصرفهم في المكاسب والمزارع والمتاجر ذلك التقلب أو الكسب والربح متاع قليل في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة أو في جنب ما وعد الله المؤمنين من الثواب أو هو قليل في نفسه اذ لا نسبة لمدته الى ما بين أمدي الازل والابد ومع قلته سبب للوقوع في نار جهنم أبد الآبدين والنعمة القليلة اذا كانت سببا للمضرة العظيمة لم تكن في الحقيقة نعمة ولهذا استدرك وقال لكن الذين اتقوا الآية ويدخل في التقوى الاوامر والنواهي والنزل ما يعد للضيف و يعجل ومن هنا تمسك به بعض الاصحاب في الرؤية لانه لما كانت الجنة بكليتها نزلا فلابد من شئ آخر يكون أصلا بالنسبة اليها قلت ويحتمل أن يكون قوله وما عند الله باق اشارة اليه وهو مقام العندية

والقرب الذى لا يوازيه شئ من نعيم الجنة وقيل المعنى وما عند الله من الكثير الدائم خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل وانتصاب نزلا على الحال من جنات لتخصيصها بالوصف والعامل معنى الاستقرار فى لهم أو هو مصدر مؤكد كأنه قيل رزقا أو عطاء أو نصب على التفسير كما قلنا فى ثوابا ثم انه تعالى لما ذكر حال المؤمنين (١٧٢) وكان قد ذكر حال الكفار بين حال مؤمنى أهل الكتاب كلهم فقال وان من أهل الكتاب وهذا قول مجاهد وقال ابن جريج وابن زيد نزلت فى عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل فى أربعين من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فأسلموا وعن جابر بن عبد الله وأنس وابن عباس وقتادة نزلت فى النجاشى لما مات نعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اليوم الذى مات فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للاصحاب اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم قالوا ومن هو قال النجاشى فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البقيع وكشف له من المدينة الى أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشى وصلى عليه وكبر أربع تكبيرات واستغفر له وقال لاصحابه استغفروا له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلى على علج حبشى نصرانى لم يره قط وليس على دينه فأنزل الله هذه الآية واللام فى لمن يؤمن لام الابتداء الذى يدخل على خبر ان أو على اسمه عند الفصل كما فى الآية والمراد بما أنزل اليكم القرآن وما أنزل اليهم الكتابان وخاشعين لله حال من فاعل يؤمن لان من فى معنى الجمع فحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعله من لم يسلم من أحبارهم ورؤسائهم أولئك

فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن هشام الدستوائى قال ثنا حماد قال سألت سعيد بن جبير عن هذه الآية ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال ان أخذ من ماله قدر قوته قرضا فان أيسر بعد قضاه وان حضره الموت ولم يوسر تحلله من اليتيم وان كان صغيرا تحلله من وليه حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا شعبة عن حماد عن سعيد بن جبير فليأكل قرضا حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن حماد عن سعيد بن جبير ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال هو القرض حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو بن أبى قيس عن عطاء بن السائب عن الشعبى ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال لا يأكله الا أن يضطر اليه كما يضطر الى الميتة فان أكل منه شيأ قضاه حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا شعبة عن عبد الله بن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله فليأكل بالمعروف قال قرضا حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عبد الله بن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فليأكل بالمعروف قال سلفا من مال يتيمه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وعن حماد عن سعيد بن جبير فليأكل بالمعروف قالا هو القرض قال الثورى وقاله الحكم أيضا ألا ترى أنه قال فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال ثنا حجاج عن مجاهد قال هو القرض ما أصاب منه من شئ قضاه اذا أيسر يعنى ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية فليأكل بالمعروف قال القرض ألا ترى الى قوله فاذا دفعتم اليهم أموالهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن عاصم عن أبى وائل قال قرضا حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن الحكم عن سعيد بن جبير قال اذا احتاج الولى أو افتقر فلم يجد شيأ أكل من مال اليتيم وكتبه فان أيسر قضاه وان لم يوسر حتى تحضره الوفاة دعا اليتيم فاستحل منه ما أكل حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف من مال اليتيم بغير اسراف ولا قضاء عليه فيما أكل منه واختلف قائلو هذا القول فى معنى أكل ذلك بالمعروف فقال بعضهم أن يأكل من طعامه بأطراف الاصابع ولا يلبس منه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن السدى قال أخبرنى من سمع ابن عباس يقول ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال بأطراف أصابعه حدثنا أبو كريب قال ثنا عبيد الله الاشجعى عن سفيان عن السدى عمن سمع ابن عباس يقول فذكر مثله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف يقول فمن كان غنيا من ولى مال اليتيم فليستعفف عن ماله ومن كان فقيرا من ولى مال اليتيم فليأكل معه بأصابعه لا يسرف فى الاكل ولا يلبس حدثنا ابن المثنى قال ثنا حرمى بن عمارة قال ثنا شعبة

لهم أجرهم عند ربهم ولا يخفى فخامة شأن هذا الوعد حسبما أشار اليه بقوله ان الله سريع الحساب لانه عالم بجميع المعلومات عن قادر على كل المقدورات فيعلم ويعطى ما لكل أحد من جزاء الحسنات والسيئات أو المراد سرعة موعد حسابه فيكون فيه بشارة بسرعة حصول الاجر ثم ختم السورة بآية جامعة لاسباب سعادة الدارين وذلك أن أحوال الانسان قسمان الاول ما يتعلق به وحده فأمر فيه بالصبر ويندرج

فيه الصبر على مشقة النظر والاستدلال في معرفة التوحيد والعدل والنبوة والمعاد والصبر على أداء الواجبات والمندوبات والاحتراز عن المنهيات والصبر على شدائد الدنيا وآفاتها ومخاوفها الثاني ما يتعلق بالمشاركة مع أهل المنزل أو المدينة فأمر فيه بالمصابرة ويدخل فيه تحمل الاخلاق الرديئة من الاقارب والاجانب وترك الانتقام منهم والامر بالمعروف (١٧٣) والنهى عن المنكر والجهاد مع أعداء الدين بالحجة وبالسيف وباللسان أو بالسنان ثم انه لا بد للانسان في تكاليف أقسام الصبر والمصابرة من قهر القوى النفسانية البهيمية والسبعية الباعثة على أضداد ذلك فأمر بالمرابطة من الربط الشد فكل من صبر على أمر فقد ربط قلبه عليه وألزم نفسه اياه ثم لا بد في جميع الاعمال والاقوال من ملاحظة جانب الحق حتى يكون معتدا بها فلهذا أمر بتقوى الله ثم لما تمت وظائف العبودية ختم الكلام على وظيفة الربوبية وهو رجاء الفلاح منه فظهر أن هذه الآية مشتملة على كنوز الحكم والمعارف وجامعة لآداب الدين والدنيا ثم انها على اختصارها كالاعادة لما تقدم في هذه السورة من الاصول وهي تقرير التوحيد والعدل والنبوة والمعاد ومن الفروع كأحكام الحج والزكاة والجهاد وعن الحسن اصبروا على دينكم فلا تتركوه بسبب الفقر والجوع وصابروا عدوكم فلا تفشلوا بسبب ما أصابكم يوم أحد وقال الفراء اصبروا مع نبيكم وصابروا عدوكم فلا ينبغي أن يكونوا أصبر منكم وقال الاصم لما كثرت تكاليف الله تعالى في هذه السورة أمرهم بالصبر عليها ولما كثر ترغيب الله تعالى في الجهاد فيها أمرهم بالمصابرة مع الاعداء أما المرابطة ففيها قولان أحدهما أن يربط هؤلاء خيولهم في الثغور ويربط أولئك أيضا خيولهم بحيث يكون كل واحد من الخصمين مستعدا لقتال الآخر قال تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته الا لحاجة وثانيهما أنها انتظار الصلاة بعد الصلاة لما روى عن ابي سلمة بن عبد الرحمن أنه قال لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزو

عن عمارة عن عكرمة في مال اليتيم يدك مع أيديهم ولا تتخذ منه قلنسوة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء وعكرمة قالا تضع يدك مع يده وقال آخرون بل المعروف في ذلك أن يأكل ما يسد جوعه ويلبس ما وارى العورة ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم قال ان المعروف ليس يلبس الكتان ولا الحلل ولكن ما سد الجوع ووارى العورة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن مغيرة عن ابراهيم قال كان يقال ليس المعروف يلبس الكتان والحلل ولكن المعروف ما سد الجوع ووارى العورة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن مغيرة عن ابراهيم بنحوه حدثنا على بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم قال ثنا أبو معبد قال سئل مكحول عن والى اليتيم ما أكله بالمعروف اذا كان فقيرا قال يده مع يده قيل له فالكسوة قال يلبس من ثيابه فأما أن يتخذ من ماله مالا لنفسه فلا حدثنا أبو كريب قال ثنا الاشجعي عن سفيان عن مغيرة عن ابراهيم في قوله فليأكل بالمعروف قال ما سد الجوع ووارى العورة أما انه ليس لبوس الكتان والحلل وقال آخرون بل ذلك المعروف أكل تمره وشرب رسل ماشيته بقيامه على ذلك فأما الذهب والفضة فليس له أخذ شئ منهما الا على وجه القرض ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري عن القاسم بن محمد قال جاء رجل الى ابن عباس فقال ان في حجري أموال أيتام وهو يستأذنه أن يصيب منها فقال ابن عباس ألست تبغي ضالتها قال بلى قال ألست تهنأ جرباها قال بلى قال ألست تليط حياضها قال بلى قال ألست تفرط عليها يوم ورودها قال بلى قال فأصب من رسلها يعني من لبنها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن يحيى بن سعيد عن القاسم بن محمد قال جاء أعرابي الى ابن عباس فقال ان في حجري أيتاما وان لهم ابلا ولي ابل وأنا أمنح من ابلي فقراء فماذا يحل لي من ألبانها قال ان كنت تبغي ضالتها وتهنأ جرباها وتلوط حوضها وتسعى عليها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب حدثني المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن أبي العالية في هذه الآية ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال من فضل الرسل والثمرة حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن أبي العالية في والى مال اليتيم قال يأكل من رسل الماشية ومن الثمرة لقيامه عليه ولا يأكل من المال وقال ألا ترى أنه قال فاذا دفعتم اليهم أموالهم حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت داود عن رفيع عن أبي العالية قال رخص لولي اليتيم أن يصيب من الرسل ويأكل من الثمرة وأما الذهب والفضة فلا بد أن يرد ثم قرأ فاذا دفعتم اليهم أموالهم ألا ترى أنه قال لا بد من أن يدفع حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا عوف عن الحسن أنه قال انما كانت أموالهم أدخال النخل والماشية فرخص لهم اذا كان أحدهم محتاجا أن يصيب من الرسل حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن سالم عن الشعبي في قوله ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال اذا كان فقيرا كل من الثمر وشرب من اللبن وأصاب من الرسل

يرابط فيه ولكن انتظار الصلاة خلف الصلاة وفي حديث أبي هريرة ذكر انتظار الصلاة بعد الصلاة ثم قال فذلك الرباط ثلاث مرات
والله أعلم * التأويل ان في خلق سموات القلوب وأطوارها وخلق أرض النفوس وقرارها واختلاف ليل البشرية وصفاتها ونهار الروحانية
وأنوارها لآيات لأولي الالباب الذين عبروا بقدمي الذكر والفكر عن قشر الوجود الجسماني ووصلوا الى لب الوجود الروحاني
فشاهدوا بعيون البصائر ونواظر الضمائر أن لهم وللعالم الها قادرا حيا عليما سميعا بصيرا متكلما مريدا باقيا وانما نالوا هذه المراتب لانهم يذكرون الله في جميع الاحوال بالظاهر والباطن ويتفكرون في خلق المصنوعات من البسائط والمركبات و يقولون ما خلقت هذا باطلا أي خلقته اظهارا للحق على الخلق و وسيلة للخلق الى الحق سبحانك تنزيها للحق عن الشبه بالخلق فقنا باعد عنا عذاب نار قهرك والبعد عنك فيها كل الخزي والندامة والغواية والضلالة ثم أخبر عن شرط العبودية في استجلاب فضل الربوبية بقوله ربنا اننا سمعنا من هاتف الحق في الغيب بالسمع الحقيقي مناديا فاغفر لنا ذنوبنا أي كما أسمعتنا النداء بالارادة القديمة لا بسعي منا قبل أن تخلقنا فاغفر لنا بفضلك ورحمتك لا أضيع عمل عامل منكم بالظاهر والباطن من ذكر أو أنثى على قدر هممكم وحوصلتكم فالذين هاجروا عن الاوطان والاوطار والاعمال السيئة والاخلاق الذميمة وأخرجوا من ديارهم من معاملات الطبيعة ودبارها الى عالم الحقيقة بسطوات تجلي صفات الربوبية وأوذوا في طلبي بانواع البلاء وقاتلوا مع النفس وقتلوا بسيف الصدق لأكفرن عنهم سيئات وجودهم ولأدخلنهم
جنات الوصول فيها أشجار التوكل واليقين والزهد والورع والتقوى والصدق والاخلاص والهدى والقناعة والعفة
والمروءة والفتوة والمجاهدة والشوق والذوق والرغبة والرهبة والوفاء والطلب والمحبة والحياء والكرم والشجاعة والعلم والحلم والعزة والقدرة
والهمة وغيرها من المقامات والاخلاق تجري من تحتها الانهار أنهار العناية ثوابا من مقام العندية والله عنده حسن الثواب لا يكون عند

حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف ذكر لنا أن عم ثابت بن رفاعة وثابت يومئذ يتيم في حجره من الانصار أتى نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله ان ابن أخي يتيم في حجري فما يحل لي من ماله قال أن تأكل بالمعروف من غير أن تقي مالك بماله ولا تتخذ من ماله وفرا وكان اليتيم يكون له الحائط من النخل فيقوم وليه على صلاحه وسقيه فيصيب من ثمرته أو تكون له الماشية فيقوم وليه على صلاحها أو يلي علاجها ومؤنتها فيصيب من جزازها وعوارضها ورسلها فاما رقاب المال وأصول المال فليس له أن يستهلكه حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف يعني ركوب الدابة وخدمة الخادم فان أخذ من ماله قرضا في غنى فعليه أن يؤديه وليس له أن يأكل من ماله شيأ وقال آخرون منهم له أن يأكل من جميع المال اذا كان يلي ذلك وان أتى على المال ولا قضاء عليه ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا اسمعيل ابن صبيح عن أبي ادريس عن يحيى بن سعيد وربيعة جميعا عن القاسم بن محمد قال سئل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عما يصلح لولي اليتيم قال ان كان غنيا فليستعفف وان كان فقيرا فليأكل بالمعروف حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا يحيى بن أيوب عن محمد بن عجلان عن زيد ابن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب كان يقول يحل لولي الامر ما يحل لولي اليتيم من كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا الفضل بن عطية عن عطاء بن أبي رباح في قوله ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال اذا احتاج فليأكل بالمعروف فان أيسر بعد ذلك فلا قضاء عليه حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين ابن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة والحسن البصري قالا ذكر الله تبارك وتعالى مال اليتامى فقال ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف ومعروف ذلك أن يتقي الله في يتيمه حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن ابراهيم أنه كان لا يرى قضاء على ولي اليتيم اذا أكل وهو محتاج حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مغيرة عن حماد عن ابراهيم فليأكل بالمعروف في الوصي قال لا قضاء عليه حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن ابراهيم أنه قال في هذه الآية ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال اذا عمل فيه ولي اليتيم أكل بالمعروف حدثنا بشر بن محمد قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول اذا احتاج أكل بالمعروف من المال طعمة من الله له حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن الحسن البصري قال قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ان في حجري يتيما أفأضربه قال فيما كنت ضاربا منه ولدك قال أفأصيب من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن ابن أبي نجيح عن الزبير بن موسى عن الحسن البصري مثله حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن عطاء أنه قال يضع يده مع أيديهم فيأكل

معهم

الجنة وغيرها وان من أهل الكتاب من علماء الظاهر علماء متقين يكون ايمانه من نتيجة نور الله الذي دخل قلبه ويؤمن بما أنزل اليكم من الواردات والالهامات والكشوف وما أنزل اليهم من الخواطر الرحمانية خاشعين لله كما قال صلى الله عليه وسلم اذا تجلى الله لشيء خضع له لا يشترون بما أوتوا من العلم والحكمة عرض الدنيا ان الله سريع الحساب (١٧٥) يوصلهم الى مقام العندية قبل وفاتهم اصبروا على جهاد النفس بالرياضات وصابروا في مراقبة القلب عند الابتلاآت ورابطوا الارواح للوصول بالله واتقوا الله في الالتفات الى ما سواه لعلكم تفلحون فتفوزوا بالبقاء بالله وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

(سورة النساء مدنية حروفها ١٤٥٣٥ كلماتها ٣٧٤٥ آياتها مائة وست وسبعون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا وان خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى أن لا تعولوا وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيأ مريأ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم ولا تأكلوها اسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا ان

معهم كقدر خدمته وقدر عمله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة قالت والى اليتيم اذا كان محتاجا يأكل بالمعروف لقيامه بماله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وسألته عن قول الله تبارك وتعالى ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال ان استغنى كف وان كان فقيرا أكل بالمعروف قال أكل بيده معهم لقيامه على أموالهم وحفظه اياها يأكل مما يأكلون منه وان استغنى كف عنه ولم يأكل منه شيأ * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال بالمعروف الذي عناه الله تبارك وتعالى في قوله ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف أكل مال اليتيم عند الضرورة والحاجة اليه على وجه الاستقراض منه فأما على غير ذلك الوجه فغير جائز له أكله وذلك أن الجميع مجمعون على أن والى اليتيم لا يملك من مال يتيمه الا القيام بمصلحته فلما كان اجماعا منهم أنه غير مالكه وكان غير جائز لأحد أن يستهلك مال أحد غيره يتيما كان رب المال أو مدركا رشيدا وكان عليه ان تعدى فاستهلكه بأكل أو غيره ضمانه لمن استهلكه عليه باجماع من الجميع وكان والى اليتيم سبيله سبيل غيره في أنه لا يملك مال يتيمه كان كذلك حكمه فيما يلزمه من قضائه اذا أكل منه سبيله سبيل غيره وان فارقه في أن له الاستقراض منه عند الحاجة اليه كما له الاستقراض عليه عند حاجته الى ما يستقرض عليه اذا كان قيما بما فيه مصلحته ولا معنى لقول من قال انما عنى بالمعروف في هذا الموضع أكل والى اليتيم من مال اليتيم لقيامه عليه على وجه الاعتياض على عمله وسعيه لان لوالى اليتيم أن يؤاجر نفسه منه للقيام بأموره اذا كان اليتيم محتاجا الى ذلك بأجرة معلومة كما يستأجر له غيره من الاجراء وكما يشترى له من نصيبه غنيا كان الوالى أو فقيرا واذا كان ذلك كذلك وكان الله تعالى ذكره قد دل بقوله ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف على أن أكل مال اليتيم انما أذن لمن أذن له من ولاته في حال الفقر والحاجة وكانت الحال التي للولاة أن يؤجروا أنفسهم من الايتام مع حاجة الأيتام الى الاجراء غير مخصوص بها حال غنى ولا حال فقر كان معلوما أن المعنى الذي أبيح لهم من أموال أيتامهم في كل أحوالهم غير المعنى الذي أبيح لهم ذلك فيه في حال دون حال ومن أبى ما قلنا ممن زعم أن لوالى اليتيم أكل مال يتيمه عند حاجته اليه على غير وجه القرض استدلالا بهذه الآية قيل له أمجمع على أن الذي قلت تأويل قوله ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فان قال لا قيل له فما برهانك على أن ذلك تأويله وقد علمت انه غير مالك مال يتيمه فان قال لان الله أذن له بأكله قيل له أذن له بأكله مطلقا أم بشرط فان قال بشرط وهو أن يأكله بالمعروف قيل له وما ذلك المعروف وقد علمت القائلين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين أن ذلك هو أكله قرضا وسلفا ويقال لهم أيضا مع ذلك أرأيت المولى عليهم في أموالهم من المجانين والمعاتيه ألولاتهم أن يأكلوا من أموالهم عند حاجتهم اليه على غير وجه القرض لا الاعتياض من قيامهم بها كما قلتم ذلك في أموال اليتامى فأبحتموها لهم فان قالوا ذلك لهم خرجوا من قول جميع الحجة وان قالوا ليس ذلك لهم قيل لهم فما الفرق بين أموالهم وأموال اليتامى

ان الذين يا كلون أموال اليتامى ظلما انما يا كلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) القرا آت تساءلون خفيفا بحذف التاء عاصم وحمزة وعلى
وخلف عباس مخير الباقون بالتشديد أى بادغام تاء التفاعل فى السين والارحام بالجر حمزة الباقون بالنصب ما طاب بالامالة حمزة فواحدة
بالرفع يزيد الباقون بالنصب هنيا مريا بالتشديد (١٧٦) فيهما يزيد وحمزة فى الوقف على أيهما وقف واذا انفرد هنيئا همزها كل
القرآن يزيد قيما ابن عامر ونافع
الباقون قياما ضعافا بالامالة خلف
عن حمزة وابن سعدان والعجلى
وخلف لنفسه وقتيبة على أصله
وسيصلون بضم الياء ابن عامر وأبو
بكر وحماد والمفضل الباقون بفتحها
* الوقوف ونساء ج * لان
الجملتين وان اتفقتا الا انه اعترضت
المعطوفات والارحام ط رقيبا ٥
بالطيب ص الى أموالكم ط كبيرا ٥
ورباع ج أيمانكم ط أن لا تعولوا
ط لابتداء حكم آخر نحلة ط لان
المشروط خارج عن أصل الشرط
الموجب مريئا ٥ معروفا ٥ النكاح ج
بناء على أنه ابتداء شرط بعد بلوغ النكاح
أو مجموع الشرط والجواب جواب اذا
وحتى تكون داخلة على جملة شرطية
مقدمها حملية وتاليها شرطية أخرى
أموالهم ج أن يكبروا ط لابتداء
جملتين متضادتين فليستعفف ج
بالمعروف ط للعود الى أصل الموجب
بعد وقوع العارض عليهم ط حسيبا
٥ والاقربون الاول ص أو كثر ط
بتقدير جعلناه نصيبا مفروضا معروفا
٥ خافوا عليهم ص سديدا ٥ نارا
ط سعيرا ٥ * التفسير لما كانت
هذه السورة مشتملة على تكاليف
كثيرة من التعطف على الاولاد
والنساء والايتام وايصال حقوقهم
اليهم وحفظ أموالهم عليهم ومن
الامر بالطهارة والصلاة والجهاد
والدية ومن تحريم المحارم وتحليل
غيرهن الى غير ذلك من السياسات ومكارم الاخلاق التى يناط بها اصلاح المعاش والمعاد افتتح السورة ببعث المكلفين
على التقوى ومن غرائب القرآن أن فيه سورتين صدرهما يا أيها الناس احداهما فى النصف الاول وهى الرابعة من سوره والاخرى
فى النصف الثانى وهى أيضا فى الرابعة من سوره ثم التى فى النصف الاول مصدرة بذكر المبدا اتقوا ربكم الذى خلقكم والتى فى النصف الثانى

وحكم ولاتهم واحد فى أنهم ولاة أموال غيرهم فلن يقولوا فى أحدهم شيأ الا ألزموا فى الآخر مثله
و يسئلون كذلك عن المحجور عليه هل لمن يلى ماله أن يأكل ماله عند حاجته اليه نحو سؤالهم عن
أموال المجانين والمعاتيه ۞ القول فى تأويل قوله عز وجل (فاذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم)
قال أبو جعفر يعنى بذلك جل ثناؤه واذا دفعتم يا معشر ولاة أموال اليتامى الى اليتامى أموالهم
فاشهدوا عليهم يقول فأشهدوا على الايتام باستيفائهم ذلك منكم ودفعكموه اليهم كما حدثنى محمد بن
سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فاذا دفعتم اليهم أموالهم
فأشهدوا عليهم يقول اذا دفع الى اليتيم ماله فليدفعه اليه بالشهود كما أمره الله تعالى ۞ القول فى
تأويل قوله (وكفى بالله حسيبا) يقول تعالى ذكره وكفى بالله كافيا من الشهود الذين يشهدهم والى
اليتيم على دفعه مال يتيمه اليه كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط
عن السدى وكفى بالله حسيبا يقول شهيدا يقال منه قد أحسبنى الذى عندى يراد به كفانى وسمع من
العرب لأحسبنكم من الاسودين يعنى به من الماء والتمر والمحسب من الرجال المرتفع الحسب
والمحسب المكفى ۞ القول فى تأويل قوله (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب
مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا) يعنى بذلك تعالى ذكره للذكور من
أولاد الرجل الميت حصة من ميراثه وللاناث منهم حصة منه من قليل ما خلف بعده وكثيره حصة
مفروضة واجبة معلومة مؤقتة وذكر أن هذه الآية نزلت من أجل أن أهل الجاهلية كانوا
يورثون الذكور دون الاناث كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا
معمر عن قتادة قال كانوا لا يورثون النساء فنزلت وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون حدثنا
القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قال نزلت فى أم كحة وابنة كحة
وثعلبة وأوس بن سويد وهم من الانصار كان أحدهم زوجها والآخر عم ولدها فقالت يا رسول الله
توفى زوجى وتركنى وابنته فلم نورث فقال عم ولدها يا رسول الله لا تركب فرسا ولا تحمل كلا ولا تنكأ
عدوا يكسب عليها ولا تكتسب فنزلت للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما
ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال
ابن زيد فى قوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون قال كان النساء لا يرثن فى الجاهلية من
الآباء وكان الكبير يرث ولا يرث الصغير وان كان ذكرا فقال الله تبارك وتعالى للرجال نصيب مما ترك
الوالدان والاقربون الى قوله نصيبا مفروضا * قال أبو جعفر ونصب قوله نصيبا مفروضا وهو نعت
للنكرة لخروجه مخرج المصدر كقول القائل لك على حق واجبا ولو كان مكان قوله نصيبا مفروضا اسم
صحيح لم يجز نصبه لا يقال لك عندى حق درهما فقوله نصيبا مفروضا كقوله نصيبا فريضة وفرضا
كما يقال عندى درهم هبة مقبوضة ۞ القول فى تأويل قوله (واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى
والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا) قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل فى حكم هذه
الآية هل هو محكم أو منسوخ فقال بعضهم هو محكم ذكر من قال ذلك ثنا أبو كريب قال حدثنا ابن
عيان

مصـدرة بذكر المعاد اتقوا ربكم ان زلزلة الساعـة شئ عظيم ثم انه تعالى علل الامر بالتقوى بانه خلقنا من نفس واحدة أما القيد الاول وهو أنه خلقنا فلاشك أنه علة لوجوب الانقياد لتكاليفه والخشوع لاوامره ونواهيه لان المخلوقية هي العبودية ومن شأن العبد امتثال أمر مولاه فى كل ما يأمره وينهاه وأيضا الايجاد غاية الاحسان فيجب مقابلتها بغاية (١٧٧) الاذعان على أن مقابلة نعمته بالخدمة محال لان توفيق تلك الخدمة نعمة أخرى منه وأما القيد الثانى وهو خصوص انه خلقنا من نفس واحدة فانما يوجب علينا الطاعـة لان خلق أشخاص غـير محصورة من انسان واحد مع تغاير أشكالهم وتباين أمزجتهـم واختـلاف أخـلاقهم دليل ظاهر و برهان باهر على وجود مدبر مختار وحكيم قدير ولو كان ذلك بالطبيعة أو لعلة موجبة كان كلهم على حد واحد ونسبة واحدة ثم فى هذا القيد فـوائد أخر منها أنه يأمر عقبه بالاحسان الى اليتامى والنسـوان وكونهم متفرعين من أصل واحد وأرومة واحـــدة أعون على هذا المعنى ولهذا قال صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة منى يؤذينى ما يؤذيها ومنها أنهــم اذا عرفوا ذلك تركوا المفاخرة وأظهروا التواضع وحسن الخلق ومنها أن تصور ذلك يذكر أمر المعاد فليس الاعادة بأصعب من الابداء ومنها انه اخبار عن الغيب فيكون معجزا للنبى صـلى الله عليـه وســلم لانه لم يقرأ كتابا وأجمع المفسرون عـلى أن المراد بالنفس الواحدة ههنا هو آدم عليه السلام والتأنيث فى الوصف نظرا الى لفظة النفس وخلق منها زوجها حواء من ضلع من أضلاعها وقال أبو مسلم المراد وخلق من جنسها زوجها لقوله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ولانه تعالى قادر على خلق حواء من التراب

فأى فائدة فى خلقها من ضلع من أضلاع آدم والجواب ان الامر لو كان كما ذكره أبو مسلم لكان الناس مخلوقين من نفسين لا من نفس واحدة وهو خلاف النص وخلاف ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أن المرأة خلقت من ضلع أعوج فان ذهبت تقيمها كسرتها احتج جمع من الطبائعيين بالآية على أن الحادث لا يحدث الا عن مادة سابقة وان خلق الشئ عن العدم المحض

يمان عن سفيان عن الشيبانى عن عكرمة عن ابن عباس قال محكمة وليست منسوخة يعنى قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى الآية حدثنا أبو كريب قال ثنا الاشجعى عن سفيان عن مغيرة عن ابراهيم والشعبى قالا هى محكمة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال واجب ما طابت به أنفس أهل الميراث وحدثنا أبو كريب قال ثنا الاشجعى عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين قال هى واجبة على أهل الميراث ما طابت به أنفسهم حدثنا أبو كريب قال ثنا الاشجعى عن سفيان عن مغيرة عن ابراهيم والشعبى قالا هى محكمة ليست بمنسوخة حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن عبد الرحمن عن سفيان وثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال هى واجبة على أهل الميراث ما طابت به أنفسهم حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير انه سئل عن قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا فقال سعيد هـذه الآية يتهاون بها الناس قال وهما وليان أحـدهما يرث والآخر لا يرث والذى يرث هو الذى أمر أن يرزقهـم قال يعطيهم قال والذى لا يرث هو الذى أمر أن يقول لهم قولا معروفا وهى محكمة وليست بمنسوخة حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم بنحو ذلك وقال هى محكمة وليست بمنسوخة حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن مطرف عن الحسن قال هى ثابتة ولكن الناس بخلوا وشحوا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا منصور والحسن قالا هى محكمة وليست بمنسوخة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عباد بن العوام عن الحجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال هى قائمة يعمل بها حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه ما طابت به الانفس حقا واجبا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن الحسن والزهرى قالا فى قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه قال هى محكمة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا منصور عن قتادة عن يحيى بن يعمر قال ثلاث آيات محكمات مدنيات تركهن الناس هذه الآية وآية الاستئذان يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم وهذه الآية يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول هى ثابتة وقال آخرون منسوخة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ثنا ابن أبى عدى عن سعيد عن قتادة عن سعيد أنه قال فى هـذه الآية واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين قال كانت هذه الآية قسمة قبـل المواريث فلما أنزل الله المواريث لاهلها جعلت الوصية لذوى القرابة الذين يحزنون ولا يرثون حدثنا ابن بشار قال ثنا عبـد الرحمن قال ثنا قرة بن خالد عن قتادة قال سألت سعيد بن المسيب عن هـذه الآية واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين قال هى منسوخة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال كانت هذه قبل الفرائض وقسمة الميراث

والنفي الصرف محال والجواب انه لا يلزم من احداث شيء في صورة واحدة من المادة الحكمة أن يتوقف الاحداث على المادة في جميع الصور قال في الكشاف قوله وخلق منها معطوف على محذوف أي أنشأها وخلق منها أو معطوف على خلقكم والخطاب للذين بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أي خلقكم (١٧٨) من نفس آدم لانهم من جنس المفرع منه وخلق منها أمكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الامم الفائتة للحصر أقول وانما التزم الاضمار في الاول والتخصيص في الثاني دفعا للتكرار ولا تكرار بالحقيقة اذ لا يفهم من خلق بني آدم من نفس خلق زوجها منه ولا خلق الرجال والنساء من الاصلين جميعا نعم لو كان المراد بقوله وخلق منها الى آخره بيان الخلق الاول وتفصيله لكان الاولى عدم دخول الواو الا ان المراد وصف ذاته تعالى بالاوصاف الثلاثة جميعا من غير ترتيب يستفاد من النسق والا كان الانسب أن يقال فبث بالفاء فدل العطف بالواو في الجميع على أن المراد هو ما ذكرنا وأن التفصيل والترتيب موكول الى قضية العقل فافهم والله تعالى أعلم ومعنى بث فرق ونشر وانما خص وصف الكثرة بالرجال اعتمادا على الفهم ولان شهرة الرجال أتم فكانت كثرتهم أظهر وفيه تنبيه على أن اللائق بحال الرجال الاشتهار والخروج واللائق بحال النساء الاختفاء والخمول وانما لم يقل الرجال والنساء معرفتين لئلا يلزم كونهما مبثوثين من نفسهما ثم ان هذا البث معناه محمول على ظاهره عند من يرى أن جميع الاشخاص البشرية كانوا كالذر مجتمعين في صلب آدم وأما عند من ينكر ذلك فالمراد أنه بث منهما أولادهما ومن أولادهما جمعا آخرين وهلم جرا فاضيف الكل اليهما على سبيل المجاز (واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام) من قرأ بالنصب فالعطف على اسم الله أي واتقوا حق الارحام فلا تقطعوها وهو اختيار أكثر الائمة كمجاهد وقتادة والسدي والضحاك وابن زيد والفراء والزجاج وأما العطف على محل الجار والمجرور كقوله * فلسنا بالجبال ولا الحديدا * وهو اختيار أبي علي الفارسي وعلي بن عيسى وقيل منصوب بالاغراء أي

فلما كانت الفرائض والمواريث نسخت حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن السدي عن أبي مالك قال نسختها آية الميراث حدثنا أبو كريب قال ثنا الاشجعي عن سفيان عن السدي عن أبي مالك مثله حدثنا محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى الآية الى قوله قولا معروفا وذلك قبل أن تنزل الفرائض فأنزل الله تبارك وتعالى بعد ذلك الفرائض فأعطى كل ذي حق حقه فجعلت الصدقة فيما سمى المتوفى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك قال نسختها المواريث * وقال آخرون هي محكمة وليست بمنسوخة غير أن معنى ذلك واذا حضر القسمة يعني بها قسمة الميت ماله بوصيته لمن كان يوصي له به قالوا وأمر بأن يجعل وصيته في ماله لمن سماه الله تعالى في هذه الآية ذكر من قال ذلك حدثنا يحيى بن سعيد الاموي قال ثنا ابن المبارك عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن القاسم بن محمد أن عبد الله بن عبد الرحمن قسم ميراث أبيه وعائشة حية فلم يدع في الدار أحدا الا أعطاه وتلا هذه الآية واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه قال القاسم فذكرت ذلك لابن عباس فقال ما أصاب انما هذه الوصية يريد الميت أن يوصي لقرابته حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرني ابن أبي مليكة ان القاسم بن محمد أخبره أن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر قسم فذكر نحوه حدثنا عمران بن موسى الصفار قال ثنا عبد الوارث بن سعيد قال ثنا داود عن سعيد بن المسيب في قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين قال أمر أن يوصي بثلثه في قرابته حدثنا ابن المبارك قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن سعيد بن المسيب قال انما ذلك عند الوصية في ثلثه حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن سعيد بن المسيب واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه قال هي الوصية من الناس حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين قال القسمة الوصية كان الرجل اذا أوصى قالوا فلان يقسم ماله فقال ارزقوهم منه يقول أوصوا لهم يقول للذي يوصي وقولوا لهم قولا معروفا فان لم توصوا لهم فقولوا لهم خيرا * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصحة قول من قال هذه الآية محكمة غير منسوخة وانما عنى بها الوصية لأولي قربى الموصي وعنى باليتامى والمساكين أن يقال لهم قول معروف وانما قلنا ذلك أولى بالصحة من غيره لما قد بينا في غير موضع من كتابنا هذا وغيره أن شيأ من أحكام الله تبارك وتعالى التي أثبتها في كتابه أو بينها على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم غير جائز فيه أن يقال له ناسخ لحكم آخر أو منسوخ لحكم آخر الا والحكمان اللذان قضى لاحدهما بأنه ناسخ والآخر بأنه منسوخ ناف كل واحد منهما صاحبه غير جائز اجتماع الحكم بهما في وقت واحد بوجه من الوجوه وان كان جائزا صرفه الى غير النسخ أو يقوم بأن أحدهما ناسخ والآخر منسوخ حجة يجب التسليم لها واذ كان ذلك كذلك لما قد دللنا في غير موضع وكان قوله تعالى ذكره واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه محتملا أن يكون مرادا به واذا حضر قسمة مال قاسم ماله بوصية أولو قرابته

واليتامى

والارحام فاحفظوها وصلوها ومن قرأ بالجر فلاجل العطف على الضمير المجرور في به وهذا وان كان مستنكرا عند النحاة بدون اعادة الخافض لان الضمير المتصل من تتمة ماقبله ولاسيما المجرور فاشبه العطف على بعض الكلمة الا أن قراءة حمزة مما ثبت بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يجوز الطعن فيها لقياسات نحوية واهية كبيت العنكبوت (١٧٩) وقد طعن الزجاج فيها من جهة أخرى وهي أنها تقتضي جواز الحلف بالارحام وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لاتحلفوا بآبائكم والجواب أن المنهي عنه هو الحلف بالآباء وههنا حلف أولا بالله ثم قرن به الرحم فأين أحدهما من الآخر ولئن سلمنا أن الحلف بالرحم أيضا منهي عنه لكن لانسلم أنه منهي عنه مطلقا وانما المنهي عنه ماحلف به على سبيل التعظيم وأما الحلف بطريق التأكيد فلا بأس بها ولهذا جاء في الحديث أفلح وأبيه ان صدق سلمنا أنها منهي عنها مطلقا لكن المراد ههنا حكاية ما كانوا يفعلونه في الجاهلية من قولهم في الاستعطاف والتساؤل وهو سؤال البعض البعض أسألك بالله وبالرحم وأنشدك الله والرحم وقرئ والارحام بالرفع على أنه مبتدأ خبره محذوف أي والارحام كذلك أي أنها مما يتقى ويتساءل به فان قيل لم قال أولا اتقوا ربكم ثم قال بعده واتقوا الله قلنا أما تكرار الامر فللتأكيد كقولك للرجل عجل عجل وأما تخصيص الرب بالاول والله بالثاني فلأن الغرض في الاول الترغيب بتذكير النعمة والاحسان والتربية وفي الثاني الترهيب ولفظ الله يدل على كمال القدرة والقهر فكأنه قيل انه ربك وأحسن اليك فاتق مخالفته والا فانه شديد العقاب فاتق سخطه قال العلماء في الآية دليل على جواز المسئلة بالله روى مجاهد عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سألكم بالله فأعطوه وعن البراء بن عازب قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع منها ابرار القسم ولا يخفى مافي الآية من تعظيم حق الرحم وتأكيد النهي عن قطعها حيث قرن الارحام باسمه وقال في سورة البقرة لاتعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى وعن عبد الرحمن بن عوف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل

واليتامى والمساكين فارزقوهم منه يراد فأوصوا لاولى قرابتكم الذين لايرثونكم منه وقولوا لليتامى والمساكين قولا معروفا كما قال في موضع آخر كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين ولا يكون منسوخا بآية الميراث لم يكن لاحد صرفه الى أنه منسوخ بآية الميراث اذ كان لادلالة على انه منسوخ بها من كتاب أو سنة ثابتة وهو محتمل من التأويل ما بينا واذ كان ذلك كذلك فتأويل قوله واذا حضر القسمة قسمة الموصى ماله بالوصية أولو قرابته واليتامى والمساكين فارزقوهم منه يقول فاقسموا لهم منه بالوصية يعني فأوصوا لاولى القربى من أموالكم وقولوا لهم يعني الآخرين وهم اليتامى والمساكين قولا معروفا يعني يدعى لهم بخير كما قال ابن عباس وسائر من ذكرنا قوله قبل وأما الذين قالوا ان الآية منسوخة بآية المواريث والذين قالوا هي محكمة والمأمور بها ورثة الميت فانهم وجهوا قوله واذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه يقول فأعطوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا وقد ذكرنا بعض من قال ذلك وسنذكر بقية من قال ذلك ممن لم نذكره **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله واذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين أمر الله جل ثناؤه المؤمنين عند قسمة مواريثهم أن يصلوا أرحامهم ويتاماهم من الوصية ان كان أوصى وان لم تكن وصية وصل اليهم من مواريثهم **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس واذا حضر القسمة أولو القربى الآية يعني عند قسمة الميراث **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن هشام بن عروة أن أباه أعطاه من ميراث المصعب حين قسم ماله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا عوف عن ابن سيرين قال كانوا يرضخون لهم عند القسمة **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن مطر عن الحسن عن حطان أن أبا موسى أمر أن يعطوا اذا حضر قسمة الميراث أولو القربى واليتامى والمساكين والجيران من الفقراء **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد وابن أبي عدي ومحمد بن جعفر عن شعبة عن قتادة عن يونس بن جبير عن حطان بن عبد الله الرقاشي قال قسم أبو موسى بهذه الآية واذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا محمد ويحيى بن سعيد عن شعبة عن قتادة عن يونس بن جبير عن حطان عن أبي موسى في هذه الآية واذا حضر القسمة الآية قال قضى بها أبو موسى **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن العلاء بن بدر في الميراث اذا قسم قال كانوا يعطون منه التابوت والشئ الذي يستحيا من قسمته **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن الحسن وسعيد بن جبير كانا يقولان ذلك عند قسمة الميراث **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن عاصم عن أبي العالية والحسن قالا يرضخون ويقولون قولا معروفا في هذه الآية واذا حضر القسمة ثم اختلف الذين قالوا هذه الآية محكمة وان القسمة لأولي القربى واليتامى والمساكين واجبة على أهل الميراث ان كان بعض أهل الميراث صغيرا فقسم عليه الميراث ولي ماله فقال بعضهم ليس لولي ماله أن يقسم من ماله ووصيته شيأ لانه لايملك

أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته" وفي الصحيحين عن عائشة قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله وعن عبد الله بن عمرو بن العاص سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس (١٨٠) الواصل بالمكافئ الواصل من اذا قطعت رحمه وصلها وعن سلمان بن عامر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم اثنتان صدقة وصلة فثبت بدلالة الكتاب والسنة وجوب صلة الرحم واستحقاق الثواب بها فلهذا بنى أصحاب أبي حنيفة على هذا الاصل مسئلتين احداهما أن الرجل اذا ملك ذا رحم محرم عتق عليه مثل الاخ والاخت والعم والخال لانه لو بقي الملك حصل الاستخدام بالاجماع لكن الاستخدام ايحاش وقطيعة رحم والثانية ان الهبة لذي الرحم المحرم لا يجوز الرجوع فيها حذرا من الايحاش والقطيعة ثم انه ختم الآية بما يتضمن الوعد والوعيد فقال ان الله كان عليكم رقيبا أي يحفظ عليكم جميع أعمالكم فيجازيكم بحسبها ثم انه سبحانه بعد تقديم موجبات الشفقة على الضعفة ومن له رحم ماسة قال وآتوا اليتامى أموالهم وأصل اليتم الانفراد ومنه الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة فاليتامى هم الذين مات آباؤهم فانفردوا عنهم ثم اسم اليتيم لغة يتناول الصغير والكبير الا انه في عرف الشرع اختص بالذي لم يبلغ الحلم قال صلى الله عليه وسلم لا يتم بعد الحلم والمراد انه اذا احتلم لا تجري عليه أحكام الصغار لانه في تحصيل مصالحه يستغني بنفسه عن كافل يكفله وقيم يقوم بامره فان قيل اذا كان اسم اليتيم في الشرع مختصا بالصغير
فما دام يتيما لا يجوز دفع أمواله اليه واذا صار كبيرا بحيث يجوز دفع ماله اليه لم يبق يتيما فكيف قال وآتوا
اليتامى أموالهم ففي الجواب طريقان أحدهما أن المراد باليتامى الكبار البالغون سماهم بذلك على مقتضى اللغة أو لقرب عهدهم باليتم
كقوله فألقي السحرة ساجدين أي الذين كانوا سحرة قبل السجود ويؤكد هذا الطريق قوله فيما بعد فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم

من المال شيأ ولكنه يقول لهم قولا معروفا قالوا والذي أمره الله بأن يقول لهم معروفا هو ولي مال اليتيم اذا قسم مال اليتيم بينه وبين شركاء اليتيم الا أن يكون ولي ماله أحد الورثة فيعطيهم من نصيبه ويعطيهم من يجوز أمره في ماله من أنصبائهم قالوا فأما من مال الصغيرة الذي يولى عليه ماله لا يجوز لولي ماله أن يعطيهم منه شيأ ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن السدي عن أبي سعيد قال سألت سعيد بن جبير عن هذه الآية واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه قال ان كان الميت أوصى لهم بشيء أنفذت لهم وصيتهم وان كان الورثة كبارا رضخوا لهم وان كانوا صغارا قال وليهم اني لست أملك هذا المال وليس لي وانما هو للصغار فذلك قوله وقولوا لهم قولا معروفا حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في هذه الآية واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا قال هما وليان ولي يرث وولي لا يرث فاما الذي يرث فيعطي وأما الذي لا يرث فيقول له قولا معروفا حدثني ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا ابن داود عن الحسن وسعيد بن جبير كانا يقولان ذلك عند قسمة الميراث ان كان الميراث لمن قد أدرك فله أن يكسو منه وأن يطعم الفقراء والمساكين وان كان الميراث ليتامى صغار فيقول الولي انه ليتامى صغار ويقول لهم قولا معروفا حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن عيان عن سفيان عن السدي عن أبي سعيد عن سعيد بن جبير قال ان كانوا كبارا رضخوا وان كانوا صغارا اعتذروا اليهم حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن سليمان الشيباني عن عكرمة واذا حضر القسمة أولوا القربى قال كان ابن عباس يقول اذا ولي شيأ من ذلك يرضخ لاقرباء الميت وان لم يفعل اعتذر اليهم وقال لهم قولا معروفا حدثنا أحمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا هذه تكون على ثلاثة أوجه أما الأول فيوصي لهم وصية فيحضرون ويأخذون وصيتهم وأما الثاني فانهم يحضرون فيقتسمون اذا كانوا رجالا فينبغي لهم أن يعطوهم وأما الثالث فتكون الورثة صغارا فيقوم وليهم اذا قسم بينهم فيقول للذين حضروا حقكم حق وقرابتكم قرابة ولو كان لي في الميراث نصيب لاعطيتكم ولكنهم صغار فان يكبروا فسيعرفون حقكم فهذا القول المعروف حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن رجل عن سعيد أنه قال واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا قال اذا كان الوارث عند القسمة فكان الاناء والشيء الذي لا يستطاع أن يقسم فليرضخ لهم وان كان الميراث لليتامى فليقل لهم قولا معروفا وقال آخرون منهم ذلك واجب في أموال الصغار والكبار لأولي القربى واليتامى والمساكين فان كان الورثة كبارا تولوا عند القسمة اعطاءهم ذلك وان كانوا صغارا تولى اعطاء ذلك منهم ولي مالهم ذكر من قال ذلك حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن يونس في قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه فحدث عن محمد عن عبيدة أنه ولي وصية فأمر بشاة فذبحت وصنع طعاما لاجل هذه الآية وقال لولا هذه الآية لكان هذا من مالي قال وقال الحسن

والاشهاد لا يصح قبل البلوغ بل انما يصح بعد البلوغ وقال صلى الله عليه وسلم تستأمر اليتيمة فى نفسها ولا تستأمر الا وهى بالغة وعلى هذا يكون فى الآية اشارة الى ان لا يؤخر دفع أموالهم اليهم عن حد البلوغ ولا يمطلوا ان أونس منهم الرشد وأن لا يؤتوها قبل أن يزول عنهم اسم اليتامى والصغار ويوافقه ما رواه مقاتل والكلبى انها نزلت فى رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه عمه فترافعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فلما سمعها العم قال أطعنا الله وأطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع اليه ماله فقال النبى صلى الله عليه وسلم من يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا دانه يحل داره يعنى جنته فلما قبض الفتى ماله أنفقه فى سبيل الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر وبقى الوزر فقالوا يا رسول الله قد عرفنا انه ثبت الاجر فكيف بقى الوزر وهو ينفق فى سبيل الله فقال ثبت الاجر للغلام وبقى الوزر على والده قيل لانه كان مشركا الطريق الثانى أن المراد بهم الصغار أى الذين هم يتامى فى الحال آتوهم بعد زوال صفة اليتم أموالهم وآتوهم من أموالهم ما يحتاجون اليه لنفقتهم وكسوتهم والخطاب للاولياء والاوصياء ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب قال الفراء والزجاج أى لا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما أبيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث فى الارض فتأكلوه مكانه والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز كالتعجل بمعنى الاستعجال والتأخر بمعنى الاستئخار أو لا تستبدلوا الامر الخبيث وهو اختزال أموال اليتامى والاعتزال عنها حتى تتلف بالامر الطيب وهو حفظها والتورع عنها وقال كثير من المفسرين هذا التبدل هو ان يأخذ الجيد من مال اليتيم ويجعل مكانه الردىء قال صاحب الكشاف هذا ليس بتبدل وانما هو تبديل يريد أن الباء فى بدل تدخل على المأخوذ وفى تبدل على المعطى ولما كان المأخوذ الطيب كان تبديلا ثم وجهه بانه لعله يكارم صديقا له فيأخذ منه عجفاء مكان سمينة من مال الصبى فيكون الباء فى موضعه وقيل معنى الآية أن يأكل مال اليتيم سلفا مع

لم تنسخ كانوا يحضرون فيعطون الشئ والثوب الخلق قال يونس ان محمد بن سيرين ولى وصية أو قال أيتاما فأمر بشاة ذبحت فصنع طعاما كما صنع عبيدة حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال أخبرنا هشام بن حسان عن محمد أن عبيدة قسم ميراث أيتام فأمر بشاة فاشتريت من مالهم وبطعام فصنع وقال لولا هذه الآية لأحببت أن يكون من مالى ثم قرأ هذه الآية واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه الآية فكان من ذهب من القائلين القول الذى ذكرناه عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومن قال يرضخ عند قسمة الميراث لاولى القربى واليتامى والمساكين تأول قوله فارزقوهم منه فأعطوهم منه وكأن الذين ذهبوا الى ما قال عبيدة وابن سيرين تأولوا قوله فارزقوهم منه فأطعموهم منه واختلفوا فى تاويل قوله وقولوا لهم قولا معروفا فقال بعضهم هو أمر من الله تعالى ذكره ولاة اليتامى أن يقولوا لاولى قرابتهم واليتامى والمساكين اذا حضروا قسمتهم مال من ولوا عليه ماله من الاموال بينهم وبين شركائهم من الورثة فيها أن يعتذر واليهم على نحو ما قد ذكرناه فيما مضى من الاعتذار كما حدثنى يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا هشيم قال ثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير وقولوا لهم قولا معروفا قال هو الذى لا يرث أمر أن يقول لهم قولا معروفا قال يقول ان هذا المال لقوم غيب أو ليتامى صغار ولكم فيه حق ولسنا نملك أن نعطيكم منه شيئا قال فهذا القول المعروف وقال آخرون بل المأمور بالقول المعروف الذى أمر جل ثناؤه أن يقال له هو الرجل الذى يوصى فى ماله والقول المعروف هو الدعاء لهم بالرزق والغنى وما أشبه ذلك من قول الخير وقد ذكرنا قائلى ذلك أيضا فيما مضى بما أغنى عن اعادته ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا﴾ اختلف أهل التأويل فى تاويل ذلك فقال بعضهم وليخش ليخف الذين يحضرون موصيا يوصى فى ماله أن يأمره بتفريق ماله وصية به فيمن لا يرثه ولكن ليأمره أن يبقى ماله لولده كما لو كان هو الموصى يسره أن يحثه من يحضره على حفظ ماله لولده وأن لا يدعهم عالة مع ضعفهم وعجزهم عن التصرف والاحتيال ذكر من قال ذلك حدثنى على بن داود قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم الى آخر الآية فهذا فى الرجل يحضره الموت فيسمعه يوصى بوصية تضر بورثته فأمر الله سبحانه الذى يسمعه أن يتقى الله ويوفقه ويسدده للصواب ولينظر لورثته كما كان يحب أن يصنع لورثته اذا خشى عليهم الضيعة حدثنا على قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم يعنى الذى يحضره الموت فيقال له تصدق من مالك وأعتق وأعط منه فى سبيل الله فنهوا أن يأمروه بذلك يعنى أن من حضر منكم مريضا عند الموت فلا يأمره أن ينفق ماله فى العتق أو الصدقة أو فى سبيل الله ولكن يأمره أن يبين ماله وما عليه من دين ويوصى فى ماله لذوى قرابته الذين لا يرثون ويوصى لهم بالخمس أو الربع يقول أليس يكره أحدكم اذا مات وله ولد ضعاف يعنى صغار أن يتركهم بغير مال فيكونوا عيالا على الناس فلا ينبغى أن تأمروه بما لا ترضون به

التزام بدله بعد ذلك فيكون متبدلا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم منضمة الى أموالكم في الانفاق تسوية بين المالين في الحل انه أي الأكل كان حوبا كبيرا ذنبا عظيما والحاب مثله والتركيب يدور على الضعف والمراد بالأكل مطلق التصرف الا انه خص بالذكر لانه معظم ما يقع لاجله التصرف وقيل الى ههنا بمعنى مع والفائدة في (١٨٣) زيادة قوله الى أموالكم أن أكل أموال اليتامى محرم على الاطلاق زيادة التقبيح

والتوبيخ لانهم اذا كانوا مستغنين عنها بما الهم من المال الحلال ومع ذلك طمعوا في مال اليتيم كانوا بالذم أحرى ولانهم كانوا يفعلون كذلك فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون أزجر لهم وان خفتم ألا تقسطوا أقسط الرجل عدل وقسط جار وقال الزجاج أصلهما جميعا من القسط وهو النصيب فاذا قالوا اقسط فمعناه ظلم صاحبه في قسطه من قولهم قاسطته فقسطته أي غلبته على قسطه واذا قالوا أقسط بالهمز فمعناه صار ذا قسط مثل أنصف اذا أتى بالنصف فيلزمه العدالة والتسوية واعلم أن قوله وان خفتم شرط وقوله فانكحوا جواب له ولا بد من بيان أن هذا الجزاء كيف يتعلق بهذا الشرط وللمفسرين فيه وجوه الاول ماروى عن عروة انه قال قلت لعائشة مامعنى قول الله تعالى وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فقالت يا ابن أختي هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب الرجل في مالها وجمالها الا انه يريد أن ينكحها بادنى من صداقها ثم اذا تزوج بها عاملها معاملة رديئة لعلمه بانه ليس لها من يذب عنها ويدفع شر ذلك الزوج عنها فقال تعالى وان خفتم أن تظلموا اليتامى عند نكاحهن فانكحوا من غيرهن ماطاب لكم من العدد قالت عائشة ثم ان الناس استفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية فيهن فانزل الله تعالى يستفتونك في النساء الآية فقوله فيها ومايتلى عليكم في الكتاب كذا في يتامى النساء المراد منه هذه الآية وهي قوله وان خفتم أن لا تقسطوا وعبر في الكشاف عن هذه الرواية بعبارة أخرى وهي كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال أو يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن وفقد من يغضب

لانفسكم ولأولادكم ولكن قولوا الحق من ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا قال يقول من حضر ميتا فليأمره بالعدل والاحسان ولينهه عن الحيف والجور في وصيته وليخش على عياله ما كان خائفا على عياله لو نزل به الموت حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا قال اذا حضرت وصية ميت فره بما كنت آمرا نفسك بما تتقرب به الى الله وخف في ذلك ما كنت خائفا على ضعفة لو تركتهم بعدك يقول فاتق الله وقل قولا سديدا أن هو زاغ حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا الرجل يحضره الموت فيحضره القوم عند الوصية فلا ينبغي لهم أن يقولوا له أوص بمالك كله وقدم لنفسك فان الله سيرزق عيالك ولا يتركوه يوصي بماله كله يقول للذين حضروا وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فيقول كما يخاف أحدكم على عياله لو مات أن يتركهم صغارا ضعافا لاشئ لهم الضيعة بعده فليخف ذلك على عيال أخيه المسلم فيقول له القول السديد حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب قال ذهبت أنا والحكم بن عيينة الى سعيد بن جبير فسألناه عن قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا الآية قال قال الرجل يحضره الموت فيقول له من يحضره اتق الله صلهم أعطهم برهم ولو كانوا هم الذين يأمرهم بالوصية لأحبوا أن يبقوا لأولادهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير في قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا قال يحضرهم اليتامى فيقولون اتق الله وصلهم وأعطهم فلو كانوا هم لأحبوا أن يبقوا لأولادهم حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا الآية يقول اذا حضر أحدكم من حضره الموت عند وصيته فلا [يقول أعتق من مالك وتصدق] فيفرق ماله ويدع أهله عيلا ولكن مروه فليكتب ماله من دين [و]يجعل من ماله لذوى قرابته خمس ماله ويدع سائره لورثته حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم الآية قال هذا يفرق المال حين يقسم فيقول الذين يحضرون أقللت زد فلانا فيقول الله تعالى وليخش الذين لو تركوا من خلفهم فليخش أولئك وليقولوا فيهم مثل ما يحب أحدهم أن يقال في ولده بالعدل اذا أكثر أبق على ولدك وقال آخرون بل معنى ذلك وليخش الذين يحضرون الموصي وهو يوصي الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا فخافوا عليهم الضيعة من ضعفهم وطفولتهم أن ينهوه عن الوصية لأقربائه وأن يأمروه بامساك ماله والتحفظ به لولده وهم لو كانوا من أقرباء الموصي لسرهم أن يوصي لهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب قال ذهبت أنا والحكم بن عيينة فأتينا مقسما فسألناه يعني عن قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا الآية فقال ما قال سعيد بن جبير فقلنا

كذا وكذا فقال ولكنه الرجل يحضره الموت فيقول له من يحضره اتق الله وأمسك عليك مالك فليس أحد أحق بمالك من ولدك ولو كان الذى يوصى ذا قرابة لهم لأحبوا أن يوصى لهم حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن حبيب بن أبى ثابت قال قال مقسم هم الذين يقولون اتق الله وأمسك عليك مالك فلو كان ذا قرابة لهم لأحبوا أن يوصى لهم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه قال زعم حضرمى وقرأ وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا قال قالوا حقيق أن يأمر صاحب الوصية بالوصية لاهلها كما أن لو كانت ذرية نفسه بتلك المنزلة لأحب أن يوصى لهم وان كان هو الوارث فلا يمنعه ذلك أن يأمره بالذى يحق عليه فان ولده لو كانوا بتلك المنزلة أحب أن يحث عليه فليتق الله هو فليأمره بالوصية وان كان هو الوارث أو نحوا من ذلك * وقال آخرون بل معنى ذلك أمر من الله ولاة اليتامى أن يلوهم بالاحسان اليهم فى أنفسهم وأموالهم ولا يأكلوا أموالهم اسرافا وبدارا أن يكبروا وأن يكونوا لهم كما يحبون أن يكون ولاة ولده الصغار بعدهم لهم بالاحسان اليهم لو كانوا هم الذين ماتوا وتركوا أولادهم يتامى صغارا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم يعنى بذلك الرجل يموت وله أولاد صغار ضعاف يخاف عليهم العيلة والضيعة ويخاف بعده أن لا يحسن اليهم من يليهم يقول فان ولى مثل ذريته ضعافا يتامى فليحسن اليهم ولا يأكل أموالهم اسرافا وبدارا خشية أن يكبروا فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا وقال آخرون معنى ذلك وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا يكفهم الله أمر ذريتهم بعدهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابراهيم بن عطية بن رديح بن عطية قال ثنى عمى محمد بن رديح عن أبيه عن الشيبانى قال كنا بالقسطنطينية أيام مسلمة بن عبد الملك وفينا ابن محيريز وابن الديلمى وهانئ بن كلثوم قال فجعلنا نتذاكر ما يكون فى آخر الزمان قال فضقت ذرعا بما سمعت قال فقلت لابن الديلمى يا أبا بشر يودنى أنه لا يولد لى ولد أبدا قال فضرب بيده على منكبى وقال يا ابن أخى لا تفعل فانه ليست من نسمة كتب الله لها أن تخرج من صلب رجل الا وهى خارجة ان شاء وان أبى قال ألا أدلك على أمر ان أنت أدركته نجاك الله منه وان تركت ولدك من بعدك حفظهم الله فيك قال قلت بلى قال فتلا عند ذلك هذه الآية وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا * قال أبو جعفر وأولى التأويلات بالآية قول من قال تأويل ذلك وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم العيلة لو كانوا فرقوا أموالهم فى حياتهم أو قسموها وصية منهم بها لأولى قرابتهم وأهل اليتم والمسكنة فأبقوا أموالهم لولدهم خشية العيلة عليهم بعدهم مع ضعفهم وعجزهم عن المطالب فليأمروا من حضروه وهو يوصى لذوى قرابته وفى اليتامى والمساكين وفى غير ذلك بماله بالعدل وليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا وهو أن يعرفوه ما أباح الله له من الوصية وما اختاره المؤمنون من أهل الايمان بالله وبكتابه وسنته وانما قلنا ذلك بتأويل الآية أولى من غيره من التأويلات لما قد ذكرنا فيما مضى قبل من أن معنى قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى

لهن أن يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم ان خفتم أن لا تقسطوا فى يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم الثانى وهو قول سعيد بن جبير وقتادة والربيع والضحاك والسدى منقولا عن ابن عباس لما نزلت الآية المتقدمة وما فى أكل أموال اليتامى من الحوب الكبير خاف الاولياء لحوق الحوب فتحرجوا من ولاية اليتامى وكان الرجل منهم ربما كانت تحته العشر من الازواج وأكثر فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل فى حقوق اليتامى فكونوا خائفين من ترك العدل بين النساء لانهن كاليتامى فى العجز والضعف فقللوا عدد المنكوحات لان من تحرج من ذنب أو تاب عنه وهو مرتكب مثله فكأنه غير متحرج الثالث كانوا لا يتحرجون من الزنا ويتحرجون من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم ذلك فكونوا خائفين من الزنا أيضا وانكحوا ما حل لكم من النساء الرابع روى عن عكرمة كان الرجل عنده النسوة ويكون عنده الايتام فاذا أنفق مال نفسه على النسوة أخذ فى انفاق أموال اليتامى عليهن فقيل ان خفتم أن تظلموا اليتامى بأكل أموالهم عند كثرة الزوجات فقد حظرت لكم أن تنكحوا أكثر من أربع ليزول هذا الخوف فان خفتم فى الاربع أيضا فواحدة فذكر الطرف الزائد وهو الاربع والناقص وهو الواحدة ونبه بذلك على ما بينهما فكأنه قيل ان خفتم الاربع فثلاثا وان خفتم فاثنتين وان خفتم فواحدة قال الظاهريون النكاح واجب لقوله فانكحوا وظاهر الامر للوجوب وعورض بقوله تعالى ذلك لمن خشى العنت منكم وأن تصبروا خير لكم ولو سلم فالوجوب مشروط بحالة الخوف فلا يلزم منه الوجوب على الاطلاق وأيضا الآية سيقت لبيان وجوب تقليل الازواج لا لاصل الوجوب وانما قال ما طاب ولم يقل من طاب لانه أراد به الجنس تقول ما عندك فيقال رجل أو امرأة تريد ما ذلك الشئ الذى عندك أو ما تلك الحقيقة ولان الاناث من العقلاء تنزل منزلة غير العقلاء ومنه قوله تعالى أو ما ملكت أيمانكم ولان ما ومن يتعاقبان قال تعالى والسماء وما بناها فمنهم من يمشى على بطنه قال المفسرون معنى ما طاب لكم أى ما حل لكم

والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فأوصوا لهم بما قد دللنا عليه من الأدلة فاذا كان ذلك تأويل قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين الآية فالواجب أن يكون قوله تعالى ذكره وليخش الذين لو تركوا من خلفهم تأديبا منه عباده في أمر الوصية بما أذنهم فيه اذ كان ذلك عقيب الآية التي قبلها في حكم الوصية وكان أظهر معانيه ما قلنا فالحاق حكمه بحكم ما قبله أولى مع اشتباه معانيهما من صرف حكمه الى غيره بما هو له غير مشبه وبمعنى ما قلنا في تأويل قوله وليقولوا قولا سديدا قال من ذكرنا قوله في مبتدا تأويل هذه الآية وبه كان ابن زيد يقول حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا قال يقول قولا سديدا يذكر هذا المسكين وينفعه ولا يجحف بهذا اليتيم وارث المؤدي ولا يضر به لانه صغير لا يدفع عن نفسه فانظر له كما تنظر الى ولدك لو كانوا صغارا والسديد من الكلام هو العدل والصواب ﴿القول في تأويل قوله﴾ (ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) يعني بذلك جل ثناؤه ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما يقول بغير حق انما يأكلون في بطونهم نارا يوم القيامة بأكلهم أموال اليتامى ظلما في الدنيا نار جهنم وسيصلون بأكلهم سعيرا كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا قال اذا قام الرجل يأكل مال اليتيم ظلما يبعث يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه ومن أذنيه وأنفه وعينيه يعرفه من رآه يأكل مال اليتيم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال أخبرني أبو هرون العبدي عن أبي سعيد الخدري قال ثنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة أسري به قال نظرت فاذا أنا بقوم لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل في أفواههم صخرا من نار يخرج من أسافلهم قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا قال قال أبي ان هذه لأهل الشرك حين كانوا لا يورثونهم ويأكلون أموالهم وأما قوله وسيصلون سعيرا فانه مأخوذ من الصلا والصلا الاصطلاء بالنار وذلك التسخن بها كما قال الفرزدق

وقاتل كلب الحي عن نار أهله * ليربض فيها والصلا متكنف

وكما قال العجاج * وصاليات للصلا صلي * ثم استعمل ذلك في كل من باشر بيده أمرا من الامور من حرب أو قتال أو خصومة أو غير ذلك كما قال الشاعر

لم أكن من جناتها علم الله واني لحرها اليوم صالي

فجعل ما باشر من شدة الحرب واجراء القتال بمنزلة مباشرة أذى النار وحرها واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والعراق وسيصلون سعيرا بفتح الياء على التأويل الذي قلنا وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض الكوفيين وسيصلون بضم الياء بمعنى يحرقون من قولهم شاة مصلية يعني

من النساء لان فيهن من يحرم نكاحها كما سيجيء واعترض عليه الامام بان قوله فانكحوا أمر اباحة فيؤل المعنى الى قوله أبحت لكم نكاح من هي مباحة لكم وهذا كلام مستدرك سلمناه لكن الآية تصير مجملة لان أسباب الحل والاباحة غير مذكورة في هذه الآية واذا حملنا الطيب على استطابة النفس وميل القلب كانت الآية عامة دخلها التخصيص وانه أولى من الاجمال عند التعارض لان العام المخصوص حجة في غير محل التخصيص والمجمل لا يكون حجة أصلا والجواب عن الاول أن ذكر الشئ ضمنا ثم صريحا لا يعد تكرارا بدليل قوله كلوا من طيبات ما رزقناكم وعن الثاني أن قوله ما طاب لكم بمعنى ما حل لكم اذا كان اشارة الى ما بقي بعدما أخرجته آية التحريم فلا اجمال وأما قوله مثنى وثلاث ورباع ولم يوجد في كلام الفصحاء الا هذه وأحاد وموحد وجوز والى عشار ومعشر قياسا على قول الكميت

ولم يستريثوك حتى رميـ * ـت فوق الرجال خصالا عشارا

فاتفق النحويون على أن فيها عدلا محققا وذلك أن فائدتها تقسيم أمر ذي أجزاء على عدد معين ولفظ المقسوم عليه في غير العدد مكرر على الاطراد في كلام العرب نحو قرأت الكتاب جزأ جزأ وجاء في القوم رجلا رجلا وجماعة جماعة وكان القياس في باب العدد أيضا التكرير عملا بالاستقراء والحاقا للفرد المتنازع فيه بالاعم الاغلب فلما وجد ثلاث مثلا غير مكرر لفظا حكم بان أصله لفظ مكرر وليس الا ثلاثة ثلاثة فعند سيبويه منع صرف مثل هذا للعدل والوصف الاصلي فان هذا التركيب لم يستعمل الا وصفا بخلاف المعدول عنه وقيل ان فيه عدلا مكررا من حيث اللفظ لان أصله كان ثلاثة ثلاثة مرتين فعدل الى واحد ثم الى لفظ ثلاث أو مثلث وقيل ان فيه العدل والتعريف اذ لا يدخله اللام خلافا لما في الكشاف واذا جرى على النكرة فمحمول على البدل وضعف بعدم جريانه على المعارف مشوبة ولوقوعه حالا فمعنى الآية وانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا فان خفتم أن لا تعدلوا بين هذه الاعداد فواحدة فمن قرأ بالنصب أراد فاختاروا أو انكحوا أو الزموا واحدة ومن قرأ بالرفع أراد فكفت واحدة أو فحسبكم واحدة وذروا الجمع رأسا

مشوية قال أبو جعفر والفتح بذلك أولى من الضم لاجماع جميع القراء على فتح الياء من قوله لا يصلاها الا الأشقى ولدلالة قوله الا من هو صال الجحيم على أن الفتح بها أولى من الضم وأما السعير فانه شدة حر جهنم ومنه قيل استعرت الحرب اذا اشتدت وانما هو مسعور ثم صرف الى سعير قيل كف خضيب ولحية دهين وانما هي مخضوبة صرفت الى فعيل فتأويل الكلام اذا وسيصلون نارا مسعرة أي موقودة مشعلة شديدا حرها وانما قلنا ان ذلك كذلك لان الله جل ثناؤه قال واذا الجحيم سعرت فوصفها بانها مسعورة ثم أخبر جل ثناؤه أن أكلة أموال اليتامى يصلونها وهي كذلك فالسعير اذا في هذا الموضع صفة للجحيم على ما وصفنا* القول في تاويل قوله ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين﴾ يعني جل ثناؤه بقوله يوصيكم الله يعهد الله اليكم في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين يقول يعهد اليكم ربكم اذا مات الميت منكم وخلف أولادا ذكورا واناثا فلولده الذكور والاناث ميراثه أجمع بينهم للذكر منهم مثل حظ الانثيين اذا لم يكن له وارث غيرهم سواء فيه صغار ولده وكبارهم واناثهم في أن جميع ذلك بينهم للذكر مثل حظ الانثيين ورفع قوله مثل بالصفة وهي اللام التي في قوله للذكر ولم ينصب بقوله يوصيكم الله لأن الوصية في هذا الموضع عهد واعلام بمعنى القول والقول لا يقع على الاسماء المخبر عنها فكأنه قيل يقول الله تعالى ذكره لكم في أولادكم للذكر منهم مثل حظ الانثيين وقد ذكر أن هذه الآية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم تبيينا من الله الواجب من الحكم في ميراث من مات وخلف ورثة على ما بين لان أهل الجاهلية كانوا لا يقسمون من ميراث الميت لاحد من ورثته بعده ممن كان لا يلاقي العدو ولا يقاتل في الحروب من صغار ولده ولا للنساء منهم وكانوا يخصون بذلك المقاتلة دون الذرية فاخبر الله جل ثناؤه أن ما خلفه الميت بين من سمى وفرض له ميراثا في هذه الآية وفي آخر هذه السورة فقال في صغار ولد الميت وكبارهم واناثهم لهم ميراث أبيهم اذا لم يكن له وارث غيرهم للذكر مثل حظ الانثيين ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين كان أهل الجاهلية لا يورثون الجواري ولا الصغار من الغلمان لا يرث الرجل من ولده الا من أطاق القتال فمات عبد الرحمن أخو حسان الشاعر وترك امرأة يقال لها أم كحة وترك خمس أخوات فجاءت الورثة يأخذون ماله فشكت أم كحة ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف ثم قال في أم كحة ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن حدثنا محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين وذلك انه لما نزلت الفرائض التي فرض الله فيها ما فرض للولد الذكر والانثى والابوين كرهها الناس أو بعضهم وقالوا تعطى المرأة الربع والثمن وتعطى الابنة النصف ويعطى الغلام الصغير وليس من هؤلاء أحد يقاتل القوم ولا يحوز الغنيمة اسكتوا عن هذا الحديث لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينساه أو نقول له فيغيره فقال بعضهم يا رسول الله أنعطي الجارية نصف ما ترك أبوها وليست تركب الفرس ولا تقاتل القوم ونعطي الصبي الميراث وليس يغني شيأ وكانوا يفعلون ذلك في الجاهلية لا يعطون

فان الامر كله يدور مع العدل فاينما وجدتموه فعليكم به ثم قال أو ما ملكت أيمانكم فسوى في السهولة بين الحرة الواحدة وبين ما شاء من الاماء لانهن أقل تبعة وأخف مؤنة من المهائر لا على المرء أكثر منهن أو أقل عدل بينهن في القسم أم لم يعدل عزل عنهن أم لم يعزل ولما كانت التسوية بينها وبينهن احتج بها الشافعي في بيان أن نوافل العبادات أفضل من النكاح وذلك للاجماع على ان الاشتغال بالنوافل أفضل من التسري فوجب أن يكون أفضل من النكاح لان الزائد على أحد المتساويين يكون زائدا على المساوي الآخر ولمانع أن يمنع التسوية فان قول الطبيب مثلا للمريض كل التفاح أو الرمان يحتمل أن يكون للتسوية بينهما وقد يكون للمقاربة أي ان لم تجد التفاح فكل الرمان فانه قريب منه في دفع الحاجة للضرورة ومع وجود هذا الاحتمال لا يتم الاستدلال على أن فضل الحرة على الامة معلوم شرعا وعقلا وههنا مسئلتان الاولى أكثر الفقهاء على أن نكاح الاربع مشروع للاحرار دون العبيد لان هذا الخطاب انما يتناول انسانا متى طابت له امرأة قدر على نكاحها والعبد ليس كذلك لانه لا يمكن من النكاح الا باذن مولاه وأيضا انه قال بعد ذلك فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم وهذا لا يكون الا للاحرار فكذا الخطاب الاول لان هذه الخطابات وردت متتالية على نسق واحد فيبعد أن يدخل التقييد في اللاحق دون السابق وكذا قوله فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا والعبد لا يأكل فيكون لسيده وقال مالك يحل للعبد أن يتزوج بالاربع تمسكا بظاهر الآية ومن الفقهاء من سلم أن ظاهر الآية يتناول العبيد الا انهم خصصوا هذا العموم بالقياس قالوا أجمعنا على ان الرق له تأثير في نقصان حقوق النكاح كالطلاق والعدة ولما كان العدد من حقوق النكاح وجب أن يحصل للعبد نصف ما للحر الثانية ذهب جماعة الى أنه يجوز التزوج بأي عدد أريد لان قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء اطلاق في جميع الاعداد لصحة استثناء كل عدد منه وقوله مثنى وثلاث ورباع لا يصلح مخصصا لذلك العموم لان تخصيص

بعض الاعداد بالذكر لا ينافى ثبوت الحكم فى الباقى بل نقول ذكرها يدل على نفى الحرج والحجر مطلقا فان من قال لولده افعل ماشئت اذهب الى السوق والى المدرسة والى البستان كان تصريحا فى أن زمام الاختيار بيده ولا يكون تخصيصا وأيضا ذكر جميع الاعداد متعذر فذكر بعضها تنبيه على حصول الاذن فى جميعها ولئن سلمنا لكن الواو للجمع المطلق فيفيد الاذن فى جمع تسعة بل ثمانية عشر لتضعف كل منها وأما السنة فلما ثبت بالتواتر أنه صلى الله عليه وسلم مات عن تسع وقد أمرنا باتباعه فى قوله فاتبعوه وأقل مراتب الامر الاباحة وقد قال صلى الله عليه وسلم فمن رغب عن سنتى فليس منى والمعتمد عند الجمهور فى جوابهم أمران أحدهما الخبر كنحو ماروى ان نوفل ابن معاوية أسلم وتحته خمس نسوة فقال صلى الله عليه وسلم أمسك أربعا وفارق واحدة وزيف بأن القرآن دل على عدم الحصر ونسخ القرآن بخبر الواحد غير جائز وبأن الامر بمفارقة الزائدة قد يكون لمانع النسب أو الرضاع وأقول ان القرآن لم يدل على عدم الحصر غايته أنه لم يدل على الحصر فيكون مجملا وبيان المجمل بخبر الواحد جائز وأيضا قوله أمسك أربعا على الاطلاق وكذا فارق واحدة دليل على أن المانع هو الزيادة على الاربع لا غيرها وكذا فى نظائر هذا الحديث وثانيهما اجماع فقهاء الامصار وضعف بأن الاجماع مع وجود المخالف لا ينعقد وبتقدير التسليم فان الاجماع لا ينسخ ولا ينسخ به والجواب أن المخالف اذا كان شاذا فلا يعبأ به والقرآن لم يدل على عدم الحصر حتى يلزم نسخ الاجماع اياه ولكن الاجماع دل على وجود مبين فى زمان الرسول صلى الله عليه وسلم ولئن سلم أن القرآن دل على عدم الحصر فالاجماع يكشف عن وجود ناسخ فى عهده وذلك جائز بالاتفاق لا يقال فعلى تقدير الحصر كان ينبغى أن يقال مثنى أو ثلاث أو رباع بأو الفاصلة لانا نقول يلزم حينئذ أن لا يجوز النكاح الا على أحد هذه الاقسام فلا يجوز لبعضهم أن يأتى بالتثنية ولفريق ثان بالتثليث والآخرين بالتربيع فيذهب معنى تجويز الجمع بين أنواع القسمة الذى دلت عليه الواو (ذلك أدنى أن لا تعولوا) أى اختيار الواحدة أو التسرى أقرب من أن لا تميلوا أو لا تجوروا وكلا اللفظين مروى عن عائشة عن النبى

الميراث الا من قاتل ويعطونه الاكبر فالاكبر * وقال آخرون بل نزل ذلك من أجل أن المال كان للولد قبل نزوله وللوالدين الوصية فنسخ الله تبارك وتعالى ذلك بهذه الآية ذكر من قال ذلك حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أو عطاء عن ابن عباس فى قوله يوصيكم الله فى أولادكم قال كان المال للولد وكانت الوصية للوالدين والاقربين فنسخ الله من ذلك ما أحب فجعل للذكر مثل حظ الانثيين وجعل للابوين لكل واحد منهما السدس مع الولد وللزوج الشطر والربع وللزوجة الربع والثمن حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين قال كان ابن عباس يقول كان المال وكانت الوصية للوالدين والاقربين فنسخ الله تبارك وتعالى من ذلك ما أحب فجعل للذكر مثل حظ الانثيين ثم ذكر نحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس مثله وروى عن جابر بن عبد الله ما حدثنا به محمد بن المثنى قال ثنا وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن محمد بن المنكدر قال سمعت جابر بن عبد الله قال دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مريض فتوضأ ونضح على من وضوئه فأفقت فقلت يارسول الله انما يرثنى كلالة فكيف بالميراث فنزلت آية الفرائض حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال ثنى محمد بن المنكدر عن جابر قال عادنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه فى بنى سلمة يمشيان فوجدانى لا أعقل فدعا بوضوء فتوضأ ثم رش على فأفقت فقلت يارسول الله كيف أصنع فى مالى فنزلت يوصيكم الله فى أولادكم الآية * القول فى تأويل قوله ﴿فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك﴾ يعنى بقوله فان كن فان كان المتروكات نساء فوق اثنتين ويعنى بقوله نساء بنات الميت فوق اثنتين يقول أكثر فى العدد من اثنتين فلهن ثلثا ما ترك يقول فلبناته الثلثان مما ترك بعده من ميراثه دون سائر ورثته اذا لم يكن الميت خلف ولدا ذكرا معهن واختلف أهل العربية فى المعنى بقوله فان كن نساء فقال بعض نحويى البصرة بنحو الذى قلنا فان كان المتروكات نساء وهو أيضا قول بعض نحويى الكوفة وقال آخرون منهم بل معنى ذلك فان كان الاولاد نساء وقال انما ذكر الله الأولاد فقال يوصيكم الله فى أولادكم ثم قسم الوصية فقال فان كن نساء وان كان الأولاد واحدة ترجمة منه بذلك عن الاولاد قال أبو جعفر والقول الاول الذى حكيناه عمن حكيناه عنه من البصريين أولى بالصواب فى ذلك عندى لان قوله وان كن لو كان معنيا به الأولاد لقيل وان كانوا لان الأولاد تجمع الذكور والاناث واذا كان كذلك فانما يقال كانوا لا كن * القول فى تأويل قوله ﴿وان كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد﴾ يعنى بقوله وان كانت المتروكة ابنة واحدة فلها النصف يقول فلتلك الواحدة نصف ما ترك الميت من ميراثه اذا لم يكن معها غيرها من ولد الميت ذكر ولا أنثى فان قال قائل فهذا فرض الواحدة من النساء وما فوق الاثنتين فأين فريضة الاثنتين قيل فريضتهم بالسنة المنقولة نقل الوراثة التى لا يجوز فيها الشك وأما قوله ولأبويه فانه يعنى ولأبوى الميت لكل واحد منهما السدس من تركته وما خلف من ماله سواء فيه الوالدة والوالد لا يزداد واحد منهما على السدس ان كان

صلى الله عليه وسلم من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وعال الحاكم في حكمه اذا جار ومنه عالت الفريضة اذا زادت سهامها وفيه الميل عن الاعتدال وقيل معناه أن لا تفتقروا ورجل عائل أي فقير وذلك أنه اذا قل عياله قلت نفقاته فلم يفتقر ونقل عن الشافعي انه قال معناه أن لا تكثر عيالكم وطعن فيه بعض القاصرين بأن هذا في اللغة معنى تعيلوا لا معنى تعولوا يقال أعال الرجل اذا كثر عياله ومنه قراءة طاوس أن لا تعيلوا وأيضا انه لا يناسب أول الآية وان خفتم أن لا تقسطوا وأيضا هب أنه يقل العيال في اختيار الحرة الواحدة فكيف يقل عند اختيار التسرى ولا حصر لهن والجواب عن الاول ان الشافعي لم يذهب الى تفسير اللغة وانما زعم انه تعالى أشار الى الشئ بذكر لازمه أي جعل الميل والجور كناية عن كثرة العيال لان كثرة العيال لا تنفك عن الميل والجور وقرر الكناية في الكشاف على وجه آخر وهو أنه جعل قوله تعالى أن لا تعولوا من عال الرجل عياله يعولهم كقولك مانهم يمونهم اذا أنفق عليهم ولا شك أن من كثر عياله لزمه أن يعولهم وفي ذلك ما تصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال فالحاصل أنه ذكر اللازم وهو الانفاق وأراد الملزوم وهو كثرة العيال والحاصل على ما قلنا أنه ذكر اللازم وهو الميل والجور وأراد الملزوم وهو كثرة العيال والجواب عن الثاني أن حمل الكلام على ما لا يلزم منه تكرار أولى وبتقدير التسليم فتفسير الشافعي أيضا يؤول الى تفسير الجمهور لكن بطريق الكناية كما قررنا وعن الثالث أن الجواري اذا كثرن فله أن يكلفهن الكسب فينفقن على أنفسهن وعلى مولاهن وأيضا فكأنه لا عيال وأيضا اذا عجز المولى باعهن وتخلص منهن بخلاف المهائر فان الخلاص عنهن يفتقر الى تسليم المهر اليهن وقال في الكشاف العزل عن السراري جائز بغير اذنهن فكان مظان قلة الولد بالاضافة الى التزوج (وآتوا النساء صدقاتهن) أي مهورهن والخطاب للازواج وهو قول علقمة وقتادة والنخعي واختيار الزجاج لان ما قبله خطاب للناكحين وقيل خطاب للاولياء لان العرب كانت في الجاهلية لا تعطى البنات من مهورهن شيأ ولذلك كانوا يقولون لمن ولدت له ابنة هنيأ لك النافجة يعنون انك تأخذ مهرها بالابل فتضمها الى ابلك فتنفج مالك أي تعظمه

له ولد ذكرا كان الولد أو أنثى واحدا كان أو جماعة فان قال قائل فاذ كان كذلك التأويل فقد يجب أن لا يزاد الوالدان مع الابنة الواحدة على السدس من ميراثه عن ولده الميت وذلك ان قلته قول خلاف لما عليه الامة مجمعون من تصييرهم باقي تركة الميت مع الابنة الواحدة بعد أخذها نصيبها منها للوالد أجمع قيل ليس الامر في ذلك كالذي ظننت وانما لكل واحد من أبوي الميت السدس من تركته مع ولده ذكرا كان الولد أو أنثى واحدا كان أو جماعة فريضة من الله له مسماة فان زيد على ذلك من بقية النصف مع الابنة الواحدة اذا لم يكن غيره وغير ابنة للميت واحدة فانما زيدها ثانيا لقرب عصبة الميت اليه اذ كان حكم كل ما أبقته سهام الفرائض فلأولى عصبة الميت وأقربهم اليه بحكم ذلك لها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الاب أقرب عصبة ابنه وأولاها به اذا لم يكن لابنه الميت ابن ﴿ القول في تأويل قوله ﴿فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلامه الثلث﴾ يعني جل ثناؤه بقوله فان لم يكن له فان لم يكن للميت ولد ذكر ولا أنثى وورثه أبواه دون غيرهما من ولد وارث فلامه الثلث يقول فلامه من تركته وما خلف بعده ثلث جميع ذلك فان قال قائل فمن الذي له الثلثان الآخران قيل له الاب فان قال قائل بماذا قيل بأنه أقرب أهل الميت اليه ولذلك ترك ذكر تسمية من له الثلثان الباقيان اذ كان قد بين على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعباده أن كل ميت فأقرب عصبته به أولى بميراثه بعد اعطاء ذوي السهام المفروضة سهامهم من ميراثه وهذه العلة هي العلة التي من أجلها سمى للام ما سمى لها اذا لم يكن الميت خلف وارثا غير أبويه لان الام ليست بعصبة في حال للميت فبين الله جل ثناؤه لعباده ما فرض لها من ميراث ولدها الميت وترك ذكر من له الثلثان الباقيان منه معها اذ كان قد عرفهم في جملة بيانه لهم من له بقايا تركة الاموال بعد أخذ أهل السهام سهامهم وفرائضهم وكان بيانه ذلك معنيا لهم على تكرير حكمه مع كل من قسم له حقا من ميراث ميت وسمى له منه سهما ﴿ القول في تأويل قوله جل ذكره ﴿فان كان له اخوة فلامه السدس﴾ ان قال قائل وما المعنى الذي من أجله ذكر حكم الابوين مع الاخوة وترك ذكر حكمهما مع الاخ الواحد قلت اختلاف حكمهما مع الاخوة الجماعة والاخ الواحد فكان في ابانة الله جل ثناؤه لعباده حكمهما فيما يرثان من ولدهما الميت مع اخوته غنى وكفاية عن أن حكمهما فيما ورثا منه غير متغير عما كان لهما ولا أخ للميت ولا وارث غيرهما اذ كان معلوما عندهم أن كل مستحق حقا بقضاء الله ذلك له لا ينتقل حقه الذي قضى به له ربه جل ثناؤه عما قضى به له الى غيره الا بنقل الله ذلك عنه الى من نقله اليه من خلقه فكان في فرضه تعالى ذكره للام ما فرض اذا لم يكن لولدها الميت وارث غيرها وغير والده ولائح الدلالة الواضحة للخلق أن ذلك المفروض هو ثلث مال ولدها الميت حق لها واجب حتى يغير ذلك الفرض من فرض لها فلما غير تعالى ذكره ما فرض لها من ذلك مع الاخوة الجماعة وترك تغييره مع الاخ الواحد علم بذلك أن فرضها غير متغير عما فرض لها الا في الحال التي غيره فيها من لزم العباد طاعته دون غيرها من الاحوال ثم اختلف أهل التأويل في عدد الاخوة الذين عناهم الله تعالى ذكره بقوله فان كان له اخوة فقال جماعة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم باحسان ومن بعدهم من علماء أهل الاسلام

في كل زمان عني الله جل ثناؤه بقوله فان كان له اخوة فلامه السدس اثنين كان الاخوة أو أكثر منهما انثيين كانتا أو كن اناثا أو ذكرين كانا أو كانوا ذكورا أو كان أحدهما ذكرا والآخر أنثى واعتل كثير ممن قال ذلك بأن ذلك قالته الامة عن بيان الله جل ثناؤه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فنقلته أمة نبيه نقلا مستفيضا قاطعا العذر مجيئه ودافعا الشك فيه عن قلوب الخلق وروده وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان يقول بل عنى الله جل ثناؤه بقوله فان كان له اخوة جماعة أقلها ثلاثة وكان ينكر أن يكون الله جل ثناؤه حجب الام عن ثلثها مع الاب بأقل من ثلاثة اخوة فكان يقول في أبوين وأخوين للام الثلث وما بقي فللاب كما قال أهل العلم في أبوين وأخ واحد * ذكر الرواية عنه بذلك حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا ابن أبي فديك قال ثني ابن أبي ذئب عن شعبة مولى ابن عباس عن ابن عباس انه دخل على عثمان رضي الله عنه فقال لم صار الاخوان يردان الام الى السدس وانما قال الله فان كان له اخوة والاخوان في لسان قومك وكلام قومك ليسا باخوة فقال عثمان رضي الله عنه هل أستطيع نقض أمر كان قبلي وتوارثه الناس ومضى في الامصار قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك عندي أن المعنى بقوله فان كان له اخوة اثنان من اخوة الميت فصاعدا على ما قاله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دون ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما لنقل الامة وراثة صحة ما قالوه من ذلك عن الحجة وانكارهم ما قاله ابن عباس في ذلك فان قال قائل وكيف قيل في الاخوين اخوة وقد علمت أن الاخوين في منطق العرب مثالا لا يشبه مثال الاخوة في منطقها قيل ان ذلك وان كان كذلك فان من شأنها التأليف بين الكلامين بتقارب معنييهما وان اختلفا في بعض وجوههما فلما كان ذلك كذلك وكان مستفيضا في منطقها منتشرا مستعملا في كلامها ضربت من عبد الله وعمرو رؤسهما وأوجعت منهما ظهورهما وكان ذلك أشد استفاضة في منطقها من أن يقال أوجعت منهما ظهرهما وان كان مقولا أوجعت ظهرهما كما قال الفرزدق

بما في فؤادينا من الشوق والهوى * فيبرأ منهاض الفؤاد المشغف

غير أن ذلك وان كان مقولا فأفصح منه بما في أفئدتنا كما قال جل ثناؤه ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما فلما كان ما وصفت من اخراج كل ما كان في الانسان واحدا اذا ضم الى الواحد منه آخر من انسان آخر فصارا اثنين من اثنين فلفظ الجمع أفصح في منطقها وأشهر في كلامها وكان الاخوان شخصين كل واحد منهما غير صاحبه من نفسين مختلفين أشبه معناهما معنى ما كان في الانسان من أعضائه واحدا لا ثاني له فأخرج اثنيهما بلفظ اثنى العضوين اللذين وصفت فقيل اخوة في معنى الاخوين كما قيل ظهور في معنى الظهرين وأفواه في معنى فوين وقلوب في معنى قلبين وقد قال بعض النحويين انما قيل اخوة لان أقل الجمع اثنان وذلك أنه اذا ضم شئ الى شئ صارا جميعا بعد أن كانا فردين فجمعا ليعلم أن الاثنين جمع وهذا وان كان كذلك في المعنى فليس بعلة تنبئ عن جواز اخراج ما قد جرى الكلام مستعملا مستفيضا على ألسن العرب لاثنيه بمثال وصورة غير مثال ثلاثة فصاعدا منه وصورتها لان من قال أخواك قاما فلا شك أنه قد علم أن كل واحد من الاخوين فرد ضم أحدهما الى الآخر فصارا جميعا بعد أن كانا شتى غير أن الامر وان كان كذلك

وقال ابن الاعرابي النافجة ما يأخذه الرجل من الحلوان اذا زوج ابنته فنهى الله عن ذلك وأمر بدفع الحق الى أهله وهذا قول الكلبي وأبي صالح واختيار الفراء وابن قتيبة قال القفال يحتمل أن يكون المراد من الايتاء المناولة فيكونوا قد أمروا بدفع المهور التي سموها لهن ويحتمل أن يراد الالتزام كقوله حتى يعطوا الجزية عن يد أي حتى يضمنوها ويلتزموها فيكون المعنى أن الفروج لا تستباح الا بعوض يلتزم سواء سمى ذلك أو لم يسم الا ما خص به الرسول صلى الله عليه وسلم من الموهوبة قال ويجوز أن يراد الوجهان جميعا أما قوله نحلة فقد قال ابن عباس وقتادة وابن جريج وابن زيد أي شريعة وديانة فيكون مفعولا له أو حالا من الصدقات أي دينا من الله شرعه وفرضه وقال الكلبي أي عطية وهبة فيكون نصبا على المصدر لان النحلة والايتاء بمعنى الاعطاء أو على الحال من المخاطبين أي آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء من غير مطالبة منهن لان ما يؤخذ بالمطالبة لا يسمى نحلة أو من الصدقات أي منحولة معطاة عن طيب نفس وانما سميت عطية من الزوج لان الزوج لا يملك بدله شيأ لان البضع في ملك المرأة بعد النكاح كهو قبله وانما الذي استحقه الزوج هو الاستباحة لا الملك والنحلة العطية من غير بدل وقال قوم ان الله تعالى جعل منافع النكاح من قضاء الشهوة والتوالد مشتركا بين الزوجين ثم أمر الزوج بأن يؤتي الزوجة المهر وكان ذلك عطية من الله تعالى ابتداء ثم لما أمرهم بايتاء الصدقات أباح لهم جواز قبول ابرائها وهبتها وانتصب نفسا على التمييز وانما وحد لانه لا يلبس أن النفس لهن لانهن أنفس ولو جمعت لجاز والضمير في منه للصداق أو للمذكور في قوله طبن وبناء الكلام على الابهام ثم التمييز دون أن يقول سمحن أو وهبن وفي قوله عن شيء منه دون أن يقول عنه تنبيه على ان قبول ذلك انما يحل اذا طابت نفوسهن بالهبة من غير اضطرار وسوء معاشرة من الزوج يحملهن على ذلك وبعث لهن على تقليل الموهوب ولهذا ذكر الضمير في منه لينصرف الى الصداق الواحد فيكون متناولا لبعضه ولو أنث لتناول ظاهره هبة الصداق كله لان بعض الصدقات واحدة منها أو أكثر ومن

فلا

هـذا التقرير يظهر أن من في قوله منه للتبعيض اخراجاً للكلام مخرج الغالب مع فائدة البعث المذكور لأنه لا يجوز هبة كل الصداق اذا طابت نفسها عن المهر بالكلية ومن غفل عن هذه الدقيقة زعم أن من للتبيين والمعنى عن شيء هو هذا الجنس يعني الصداق فكلوه هنيئا مريئا صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء ما يستلذه الآكل والمريء ما تحمد عاقبته وقيل هو ما ينساغ في مجراه ومنه يقال المريء لمجرى الطعام من الحلقوم الى فم المعدة وقيل أصله من الهناء وهو معالجة الجرب بالقطران فالهنيء شفاء من الجرب وبالجملة فهو عبارة عن التحلل أو المبالغة في ازالة التبعة في الدنيا والآخرة وهما صفتان للمصدر أي أكلا هنيئا مريئا أو حال من الضمير أي كلوه وهو هنيء مريء وقد يوقف على قوله فكلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء أو على أنهما أقاما مقام مصدريهما أي هنأ مرأ والمراد بالأكل كل التصرف الشامل للعين والدين قال بعض العلماء ان وهبت ثم طلبت علم أنها لم تطب عنه نفسا وعن عمر انه كتب الى قضاته ان النساء يعطين رغبة ورهبة فأيما امرأة أعطت ثم أرادت أن ترجع فذلك لها وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقال اذا جادت لزوجها بالعطية طائعة غير مكرهة لا يقضى به عليكم سلطان ولا يؤاخذكم الله به في الآخرة ثم انه تعالى لما أمر بايتاء اليتامى أموالهم وبدفع صدقات النساء اليهن استثنى منهم خفاف الاحلام وان بلغوا أوان التكليف فقال ولا تؤتوا السفهاء أموالكم أكثر العلماء على أن هذا الخطاب للاولياء فورد أن الانسب أن لو قيل أموالهم وأجيب بأنه انما حسنت اضافة الاموال الى المخاطبين اجراء للوحدة النوعية مجرى الوحدة الشخصية كقوله ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم ومعلوم أن الرجل منهم ما كان يقتل نفسه ولكن كان بعضهم يقتل بعضا فقيل أنفسكم لان الكل من نوع واحد فكذا هنا المال شيء ينتفع به الانسان ويحتاج اليه فلهذه الوحدة النوعية حسنت اضافة أموال السفهاء الى أوليائهم ويحتمل أن يضاف المال اليهم لا لانهم ملكوه بل لانهم ملكوا التصرف فيه ويكفي في حسن الاضافة أدنى سبب وقيل خطاب للآباء

فلا تستجيز العرب في كلامها أن يقال أخواك قاموا فيخرج قولهم قاموا وهو لفظ للخبر عن الجميع خبرا عن الاخوين وهما بلفظ الاثنين لان كل ما جرى به الكلام على ألسنتهم معروفا عندهم وصورة اذا غير مغير ما قد عرفوه فيهم أنكروه فكذلك الاخوان وان كانا مجموعين ضم أحدهما الى صاحبه فلهما مثال في المنطق وصورة غير مثال الثلاثة منهم فصاعدا وصورتهم فغير جائز أن يغير أحدهما الى الآخر الا بمعنى مفهوم واذ كان ذلك كذلك فلا قول أولى بالصحة مما قلنا قبل فان قال قائل ولم نقصت الأم عن ثلثها بمصير اخوة الميت معها اثنين فصاعدا قيل اختلفت العلماء في ذلك فقال بعضهم نقصت الأم عن ذلك دون الأب لان على الأب مؤنتهم دون أمهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فان كان له اخوة فلأمه السدس أزلوا الأم ولا يرثون ولا يحجبها الاخ الواحد من الثلث ويحجبها ما فوق ذلك وكان أهل العلم يرون أنهم انما حجبوا أمهم من الثلث لان أباهم يلي نكاحهم والنفقة عليهم دون أمهم * وقال آخرون بل نقصت الام السدس وقصر بها على سدس واحد معونة لاخوة الميت بالسدس الذي حجبوا أمهم عنه ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال السدس الذي حجبته الاخوة الام لهم انما حجبوا أمهم عنه ليكون لهم دون أمهم وقد روي عن ابن عباس خلاف هذا القول وذلك ما حدثني يونس قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن الحسن بن محمد عن ابن عباس قال الكلالة من لا ولد له ولا والد قال أبو جعفر وأولى ذلك بالصواب أن يقال في ذلك أن الله تعالى ذكره فرض للام مع الاخوة السدس لما هو أعلم به من مصلحة خلقه وقد يجوز أن يكون ذلك كان لما ألزم الآباء لاولادهم وقد يجوز أن يكون ذلك لغير ذلك وليس ذلك مما كلفنا علمه وانما أمرنا بالعمل بما علمنا وأما الذي روي عن طاوس عن ابن عباس فقول لما عليه الامة مخالف وذلك أنه لا خلاف بين الجميع أن لا ميراث لاخي ميت مع والده فكفى اجماعهم على خلافه شاهدا على فساده * القول في تأويل قوله تعالى (من بعد وصية يوصي بها أو دين) يعني جل ثناؤه بقوله من بعد وصية يوصي بها أو دين أن الذي قسم الله تبارك وتعالى لولد الميت الذكور منهم والاناث ولابويه من تركته من بعد وفاته انما يقسمه لهم على ما قسمه لهم في هذه الآية من بعد قضاء دين الميت الذي مات وهو عليه من تركته ومن بعد تنفيذ وصيته في بابها بعد قضاء دينه كله فلم يجعل تعالى ذكره لأحد من ورثة الميت ولا لأحد ممن أوصى له بشيء الا من بعد قضاء دينه من جميع تركته وان أحاط بجميع ذلك ثم جعل أهل الوصايا بعد قضاء دينه شركاء ورثته فيما بقي لما أوصى لهم به ما لم يجاوز ذلك ثلثه فان جاوز ذلك ثلثه جعل الخيار في اجازة ما زاد على الثلث من ذلك أو رده الى ورثته ان أحبوا أجازوا الزيادة على ثلث ذلك وان شاؤا ردوه فأما ما كان من ذلك الى الثلث فهو ماض عليهم وعلى كل ما قلنا من ذلك الامة مجمعة وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك خبر وهو ما حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا سفيان عن أبي اسحق عن الحرث الاعور عن علي رضي الله عنه قال انكم تقرؤن هذه الآية من بعد وصية يوصي

نهاهم الله تعالى اذا كان أولادهم سفهاء أن يدفعوا أموالهم أو بعضها اليهم فعلى هذا تكون اضافة الاموال اليهم حقيقة والغرض الحث على حفظ المال وانه اذا قرب أجله يجب عليه أن يوصى بماله الى أمين يحفظه على ورثته وقد يرجح القول الاول بأن ظاهر النهى للتحريم وأجمعت الامة على أنه لا يحرم عليه أن يهب من أولاده الصغار ومن النسوان ما شاء من ماله وأجمعوا على أنه يحرم على الولى أن يدفع الى السفهاء أموالهم وأيضا قوله وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا هذه الاوامر تناسب حال الاولياء لا الآباء وأقول لا يبعد حمل الآية على كلا القولين لان الاضافة فى أموالكم لا تفيد الا الاختصاص سواء كان اختصاص الملكية أو اختصاص التصرف واختلفوا فى السفهاء فعن مجاهد والضحاك انها النساء أزواجا كن أو أمهات أو بنات وهو مذهب ابن عمر ويدل عليه ما روى أبو أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم ألا انما خلقت النار للسفهاء يقولها ثلاثا وان السفهاء النساء الا امرأة أطاعت قيمها وقد جمع فعيلة على فعلاء كفقيرة وفقراء وقال الزهرى وابن زيد هم الأولاد لخفاف العقول وعن ابن عباس والحسن وقتادة وسعيد بن جبير اذا علم الرجل أن امرأته سفيهة مفسدة وأن ولده سفيه مفسد فلا ينبغى له أن يسلط واحدا منهما على ماله والصحيح أن المراد بالسفهاء كل من ليس له عقل يفى بحفظ المال ولا يدله باصلاحه وتثميره والتصرف فيه ويدخل فيه النساء والصبيان والأيتام والفساق وغيرهم ممن لا وزن لهم عند أهل الدين والعلم بمصالح الدارين فيضع المال فيما لا ينبغى ويفسده ومعنى جعل الله لكم قياما أنه لا يحصل قيامكم وانتعاشكم الا به سماه بالقيام اطلاقا لاسم المسبب على السبب ومن قرأ قيما فعلى حذف الالف من قياما وهو مصدر قام وأصله قوام قلبت الواو ياء لاعلال فعله فان لم يكن مصدرا كان لم يعل كقوام لما يقام به وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولأن أترك مالا يحاسبنى الله عليه خير من أن أحتاج الى الناس وقال عبد الله بن عباس الدراهم والدنانير خواتيم الله فى الارض لا تؤكل ولا تشرب حيث قصدت بها قضيت حاجتك وقال قيس بن سعد اللهم ارزقنى

بها أو دين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالدين قبل الوصية حدثنا ابن بشار قال ثنا يزيد بن هرون قال ثنا زكريا بن أبى زائدة عن أبى اسحق عن الحرث عن على رضوان الله عليه عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثله حدثنا أبو السائب قال ثنا حفص بن غياث قال ثنا أشعث عن أبى اسحق عن الحرث عن على عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون بن المغيرة عن ابن مجاهد عن أبيه من بعد وصية يوصى بها أو دين قال يبدأ بالدين قبل الوصية واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة والعراق يوصى بها أو دين وقرأ بعض أهل مكة والشام والكوفة يوصى بها على معنى ما لم يسم فاعله قال أبو جعفر وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ ذلك من بعد وصية يوصى بها أو دين على مذهب ما قد سمى فاعله لان الآية كلها خبر عمن قد سمى فاعله ألا ترى أنه يقول ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فكذلك الذى هو أولى بقوله يوصى بها أو دين أن يكون خبرا عمن قد سمى فاعله لان تأويل الكلام ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد من بعد وصية يوصى بها أو دين يقضى عنه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله آباؤكم وأبناؤكم هؤلاء الذين أوصاكم الله به فيهم من قسمة ميراث ميتكم فيهم على ما سمى لكم وبينه فى هذه الآية آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا يقول أعطوهم حقوقهم من ميراث ميتهم الذى أوصيتكم أن تعطوهموها فانكم لا تعلمون أيهم أدنى وأشد نفعا لكم فى عاجل دنياكم وآجل أخراكم واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فقال بعضهم يعنى بذلك أيهم أقرب لكم نفعا فى الآخرة ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا يقول أطوعكم لله من الآباء والابناء أرفعكم درجة يوم القيامة لان الله سبحانه يشفع المؤمنين بعضهم فى بعض * وقال آخرون معنى ذلك لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فى الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله أيهم أقرب لكم نفعا فى الدنيا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا قال بعضهم فى نفع الآخرة وقال بعضهم فى نفع الدنيا * وقال آخرون فى ذلك بما قلنا ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا قال أيهم خير لكم فى الدين والدنيا الوالد أو الولد الذين يرثونكم لم يدخل عليكم غيرهم فرض لهم المواريث لم يأت بآخرين يشركونهم فى أموالكم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما﴾ يعنى بقوله جل ثناؤه فريضة من الله وان كان له اخوة فلامه السدس فريضة يقول سهاما معلومة موقتة بينها الله لهم ونصب قوله فريضة على المصدر من قوله يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فريضة فأخرج فريضة من معنى الكلام اذ

كان معناه ماوصفت وقد يجوز أن يكون نصبه على الخروج من قوله فان كان له اخوة فلامه السدس فريضة فتكون الفريضة منصوبة على الخروج من قوله فان كان له اخوة فلامه السدس كما تقول هولك هبة وهولك صدقة مني عليك وأما قوله ان الله كان عليما حكيما فانه يعني جل ثناؤه ان الله لم يزل ذا علم بما يصلح خلقه أيها الناس فانتهوا الى ما يأمركم يصلح لكم أموركم حكيما يقول لم يزل ذا حكمة في تدبيره وهو كذلك فيما يقسم لبعضكم من ميراث بعض وفيما يقضي بينكم من الاحكام لا يدخل حكمه خلل ولا زلل لانه قضاء من لا يخفى عليه مواضع المصلحة في البدء والعاقبة ۞ القول في تأويل قوله ﴿ ولكم نصف ماترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ﴾ يعني بذلك جل ثناؤه ولكم أيها الناس نصف ماترك أزواجكم بعد وفاتهن من مال وميراث ان لم يكن لهن ولد يوم يحدث لهن الموت لا ذكر ولا أنثى فان كان لهن ولد أي فان كان لازواجكم يوم يحدث لهن الموت ولد ذكر أو أنثى فلكم الربع مما تركن من مال وميراث ميراثا لكم عنهن من بعد وصية يوصين بها أو دين يقول ذلكم لكم ميراثا عنهن مما يبقى من تركاتهن وأموالهن من بعد قضاء ديونهن التي يمتن وهي عليهن ومن بعد انفاذ وصاياهن الجائزة ان كن أوصين بها ۞ القول في تأويل قوله ﴿ ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين ﴾ يعني جل ثناؤه بقوله ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد ولازواجكم أيها الناس ربع ماتركتم بعد وفاتكم من مال وميراث ان حدث بأحدكم حدث الوفاة ولا ولد له ذكر ولا أنثى فان كان لكم ولد يقول فان حدث بأحدكم حدث الموت وله ولد ذكر أو أنثى واحدا كان الولد أو جماعة فلهن الثمن مما تركتم يقول فلازواجكم حينئذ من أموالكم وتركتكم التي تخلفونها بعد وفاتكم الثمن من بعد قضاء ديونكم التي حدث بكم حدث الوفاة وهي عليكم ومن بعد انفاذ وصاياكم الجائزة التي توصون بها وانما قيل من بعد وصية توصون بها أو دين فقدم ذكر الوصية على ذكر الدين لان معنى الكلام ان الذي فرضت له منكم في هذه الآيات انما هو له من بعد اخراج أي هذين كان في مال الميت منكن من وصية أو دين فلذلك كان سواء تقديم ذكر الوصية قبل ذكر الدين وتقديم ذكر الدين قبل ذكر الوصية لانه لم يرد من معنى ذلك اخراج أحد الشيئين الدين والوصية من ماله فيكون ذكر الدين أولى أن يبدأ به من ذكر الوصية ۞ القول في تأويل قوله ﴿ وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة ﴾ يعني بذلك جل ثناؤه وان كان رجل أو امرأة يورث كلالة ثم اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأ ذلك عامة قراء أهل الاسلام وان كان رجل يورث كلالة يعني وان كان رجل يورث متكلل النسب فالكلالة على هذا القول مصدر من قولهم تكلله النسب تكللا وكلالة بمعنى تعطف عليه النسب وقرأه بعضهم وان كان رجل يورث كلالة بمعنى وان كان رجل يورث من يتكلله بمعنى من يتعطف عليه بنسبه من أخ أو أخت واختلف أهل التأويل في الكلالة فقال بعضهم هي ماخلا الوالد والولد ذكر من قال ذلك حدثنا الوليد بن شجاع السكوني قال ثني علي بن مسهر عن عاصم عن الشعبي قال قال أبو بكر رضي الله عنه اني قد رأيت في الكلالة

جدا ومجدا فانه لا جد الا بفعال ولا مجد الا بمال وقيل لابي الزناد لم تحب الدراهم وهي تدنيك من الدنيا قال هي وان أدنتني فقد صانتني عنها وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا فانكم في زمان اذا احتاج أحدكم كان أول ما يأكل دينه ورأى عمار أو رجلا في تشييع جنازة فقال واله اذهب الى مكانك وقال بعض الحكماء من أضاع ماله فقد ضار الا كرمين الدين والعرض وفي منثور الحكم من استغنى كرم على أهله وفيه الفقر مخذلة والغنى مجدلة والبؤس مرذلة والسؤال مبذلة وكان يقال الدراهم مراهم لانها تداوي كل جرح ويطيب بها كل صلح وقال أبو العتاهية

أجلك قوم حين صرت الى الغنى ... وكل غني في العيون جليل

اذا مالت الدنيا على المرء رغبت ... اليه ومال الناس حيث تميل

وليس الغنى الا غنى زين الفتى ... عشية يقري أو غداة ينيل

وقد اختلف أقوال الناس في تفضيل الغنى والفقر مع اتفاقهم أن ما أحوج من الفقر مكروه وما أبطر من الغنى مذموم فذهب قوم الى تفضيل الغنى على الفقر لان الغني مقتدر والفقير عاجز والقدرة أفضل من العجز وهذا مذهب من غلب عليه حب النباهة وذهب آخرون الى تفضيل الفقر على الغنى لان الفقير تارك والغني ملابس وترك الدنيا أفضل من ملابستها وهذا قول من غلب عليه حب السلامة وقال الباقون خير الامور أوساطها والفضل للاعتدال بين الفقر والغنى ليصل الى فضيلة الامرين ويسلم من مذمة الحالين

ومن كلفته النفس فوق كفافها ... فما ينقضي حتى الممات عناؤه

والحاصل أن الانسان مالم يكن فارغ البال لا يمكنه القيام بمصالح الدارين ولا يكون فارغ البال الا بواسطة المال فبذلك يتمكن من جلب المنافع ودفع المضار ولهذا رغب الله تعالى في حفظه ههنا وفي آية المداينة حيث أمر بالكتاب والشهادة والرهان المقبوضة فمن أراد الدنيا لهذا الغرض فنعمت المعونة هي ومن أرادها لعينها فما لها من حسرة وندامة ثم انه سبحانه أمر بعد ذلك بثلاثة أشياء وذلك قوله وارزقوهم فيها واكسوهم انما لم يقل منها كيلا يكون أمرا بجعل بعض أموالهم رزقا لهم فيأكلها الانفاق بل أمر بأن يجعلوها مكانا لرزقهم بأن يتجروا فيها ويربحوها حتى تكون نفقتهم من الارباح لا من أصول

الاموال وصلبها واكسوهم كل من الرزق والكسوة بحسب المصلحة وكما يليق بحال أمثالهم وقولوا لهم قولا معروفا قال ابن جريج ومجاهد هو عدة جميلة من البر والصلة وقال ابن عباس هو مثل أن يقول اذا ربحت في سفري هذا فعلت بك ما أنت أهله وان غنمت في غزاتي جعلت لك حظا وقال ابن زيد ان لم يكن ممن وجبت نفقته عليك فقل عافانا الله واياك وبارك الله فيك وقال الزجاج علموهم مع اطعامكم وكسوتكم اياهم أمر دينهم مما يتعلق بالعلم والعمل وقال القفال ان كان صبيا فالولي يعرفه أن المال ماله وانه اذا زال صباه فانه يرد المال اليه كقوله فأما اليتيم فلا تقهر أي لا تعاشره بالتسلط عليه كما تعاشر العبيد وان كان سفيها وعظه ونصحه وحثه على الصلاة وعرفه أن عاقبة الاسراف فقر واحتياج وبالجملة فكل ما سكنت اليه النفس وأحبته لحسنه عقلا أو شرعا من قول أو عمل فهو معروف وما نفرت منه لقبحه فمنكر ثم بين أن السفهاء متى يؤتون أموالهم فشرط في ذلك شرطين أحدهما بلوغ النكاح والثاني ايناس الرشد منهم فبلوغ النكاح أن يحتلم لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود به وهو التوالد ومناط الاحتلام خروج المني ويدخل وقت امكانه باستكمال تسع سنين قمرية أو يبلغ خمس عشرة سنة تامة قمرية عند الشافعي وثماني عشرة عند أبي حنيفة وهذان مشتركان بين الغلام والجارية ولها أمارتان أخريان الحيض أو الحبل ولطفل الكفار أمارة زائدة هي انبات الشعر الخشن على العانة وأما الايناس ففي اللغة الابصار والمراد في الآية التبين والعرفان والرشد خلاف الغي ومعنى قوله وابتلوا اليتامى اختبروا عقولهم وذوقوا أحوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ ومن هنا قال أبو حنيفة تصرفات الصبي العاقل المميز باذن الولي صحيحة لان الابتلاء المأمور به قبل بلوغهم انما يحصل اذا أذن له في البيع والشراء وقال الشافعي الابتلاء قبل البلوغ لا يقتضي الاذن في التصرف لان الاذن يتوقف على دفع المال اليهم ولكن لا يصح دفع المال اليهم لانه موقوف على الشرطين بل المراد بالابتلاء اختبار عقله واستبراء حاله حسبما يليق بكل طائفة فولد التاجر يختبر في البيع

رأيا فان كان صوابا فمن الله وحده لا شريك له وان يكن خطأ فمني والشيطان والله منه بريء ان الكلالة ما خلا الولد والوالد فلما استخلف عمر رضي الله عنه قال اني لأستحيي من الله تبارك وتعالى أن أخالف أبا بكر في رأي رآه حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا عاصم الاحول قال ثنا الشعبي ان أبا بكر رضي الله عنه قال في الكلالة أقول فيها برأيي فان كان صوابا فمن الله هو ما دون الولد والوالد قال فلما كان عمر رضي الله عنه قال اني لأستحيي من الله أن أخالف أبا بكر حدثنا أبو بشر بن عبد الاعلى قال أخبرنا سفيان عن عاصم الاحول عن الشعبي أن أبا بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما قالا الكلالة من لا ولد له ولا والد حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبي عن عمران بن حدير عن السميط قال كان عمر رجلا أيسر فخرج يوما وهو يقول بيده هكذا يديرها الا أنه قال أتى علي حين ولست أدري ما الكلالة ألا وان الكلالة ما خلا الولد والوالد حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن جابر عن عامر عن أبي بكر قال الكلالة ما خلا الولد والوالد حدثني يونس قال أخبرنا سفيان عن عمرو بن دينار عن الحسن بن محمد عن ابن عباس قال الكلالة من لا ولد له ولا والد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن جريج يحدث عن عمرو بن دينار عن الحسن بن محمد عن ابن عباس قال الكلالة من لا ولد له ولا والد حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن الحسن بن محمد بن الحنفية عن ابن عباس قال الكلالة ما خلا الولد والوالد حدثنا ابن بشار وابن وكيع قالا ثنا عبد الرحمن قال ثنا أبي عن اسرائيل عن أبي اسحق عن سليم ابن عبد عن ابن عباس بمثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن أبي اسحق عن سليم بن عبد السلولي عن ابن عباس قال الكلالة ما خلا الولد والوالد حدثني المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة قال الكلالة من لم يترك ولدا ولا والدا حدثني محمد بن عبيد المحاربي قال ثنا أبو الاحوص عن أبي اسحق عن سليم بن عبد قال ما رأيتهم الا قد اتفقوا أن من مات ولم يدع ولدا ولا والدا أنه كلالة حدثنا تميم بن المنتصر قال ثنا اسحق بن يوسف عن شريك عن أبي اسحق عن سليم بن عبد قال ما رأيتهم الا قد أجمعوا أن الكلالة الذي ليس له ولد ولا والد حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن سليم بن عبد قال الكلالة ما خلا الولد والوالد حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن أشعث عن أبي اسحق عن سليم بن عبد قال أدركتهم وهم يقولون اذا لم يدع الرجل ولدا ولا والدا ورث كلالة حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة والكلالة الذي لا ولد له ولا والد لا أب ولا جد ولا ابن ولا ابنة فهؤلاء الاخوة من الام حدثني محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن الحكم قال في الكلالة ما دون الولد والوالد حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الكلالة كل من لا يرثه والد ولا ولد وكل من لا ولد له ولا والد فهو يورث كلالة من رجالهم ونسائهم حدثنا

الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة والزهري وأبي اسحق قال الكلالة من ليس له ولد ولا والد حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن محمد عن معمر عن الزهري وقتادة وأبي اسحق مثله * وقال آخرون الكلالة ما دون الولد وهذا قول عن ابن عباس وهو الخبر الذي ذكرناه قبل من رواية طاوس عنه أنه ورث الاخوة من الام السدس مع الابوين * وقال آخرون الكلالة ما خلا الوالد ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا سهل بن يوسف عن شعبة قال سألت الحكم عن الكلالة قال فهو ما دون الاب واختلف أهل العربية في الناصب للكلالة * فقال بعض البصريين ان شئت نصبت كلالة على خبر كان وجعلت يورث من صفة الرجل وان شئت جعلت كان تستغني عن الخبر نحو وقع وجعلت نصب كلالة على الحال أي يورث كلالة كما يقال يضرب قائما وقال بعضهم قوله كلالة خبر كان لا يكون الموروث كلالة (١) وانما الوارث الكلالة * قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك عندي أن الكلالة منصوب على الخروج من قوله يورث وخبر كان يورث والكلالة وان كانت منصوبة بالخروج من يورث فليست منصوبة على الحال ولكن على المصدر من معنى الكلام لان معنى الكلام وان كان رجل يورث متكللة النسب كلالة ثم ترك ذكر متكللة اكتفاء بدلالة قوله يورث عليه واختلف أهل العلم في المسمى كلالة فقال بعضهم الكلالة الموروث وهو الميت نفسه يسمى بذلك اذا ورثه غير والده وولده ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قولهم في الكلالة قال الذي لا يدع والدا ولا ولدا حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن سليمان الاحول عن طاوس عن ابن عباس قال كنت آخر الناس عهدا بعمر رضي الله عنه فسمعته يقول ما قلت قلت وما قلت قال الكلالة من لا ولد له حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي ويحيى بن آدم عن اسرائيل عن أبي اسحق عن سليمان ابن عبد عن ابن عباس قال الكلالة من لا ولد له ولا والد * وقال آخرون الكلالة هي الورثة الذين يرثون الميت اذا كانوا اخوة أو أخوات أو غيرهم اذا لم يكونوا ولدا ولا والدا على ما قد ذكرنا من اختلافهم في ذلك * وقال آخرون بل الكلالة الميت والحي جميعا ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الكلالة الميت الذي لا ولد له ولا والد والحي كلهم كلالة هذا يرث بالكلالة وهذا يورث بالكلالة * قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك عندي ما قاله هؤلاء وهو أن الكلالة الذين يرثون الميت من عدا ولده ووالده وذلك لصحة الخبر الذي ذكرناه عن جابر بن عبد الله أنه قال قلت يا رسول الله انما يرثني كلالة فكيف بالميراث وبما حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ابن عون عن عمرو بن سعيد قال كنا مع حميد بن عبد الرحمن في سوق الرقيق قال فقام من عندنا ثم رجع فقال هذا آخر ثلاثة من بني سعد حدثوني هذا الحديث قالوا مرض سعد بمكة مرضا شديدا قال فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوده فقال يا رسول الله لي مال كثير وليس لي وارث الا كلالة فأوصي بمالي كله فقال لا حدثني

والشراء بحضوره ثم باستكشاف ذلك البيع والشراء منه ومافيهما من المصالح والمفاسد وقد يدفع اليه شيأ ليبيع أو يشتري فيعرف بذلك مقدار فهمه وعقله ثم الولي بعد ذلك يتم العقد لو أراد وولد الزارع يختبر في أمر المزارعة والانفاق على القوام بها وولد المحترف فيما يتعلق بحرفته والمرأة في أمر القطن والغزل وحفظ الاقمشة وصون الاطعمة عن الهرة والفأرة وما أشبهها ولا يكفي المرة الواحدة في الاختبار بل لا بد من مرتين وأكثر على ما يليق بالحال ويفيد غلبة الظن أنه رشيد نوعا من الرشد يختص بحاله لا الرشد من جميع الوجوه وعلى أكمل ما يمكن ولهذا ورد منكرا وقد ظهر مما ذكرنا أنه لا بد بعد البلوغ من الرشد فيما يتعلق بصلاح ماله بحيث لا يقدر الغير على خديعته ثم ان أبا حنيفة قال اذا بلغ مهتديا الى وجوه مصالح الدنيا فهو رشيد يدفع اليه ماله وقال الشافعي لا بد مع ذلك من الاهتداء لمصالح الدين فان الفاسق لا يخلو من اتلاف المال في الوجوه الفاسدة المحرمة وقد نفى الله تعالى الرشد عن فرعون في قوله وما أمر فرعون برشيد مع أنه كان يراعي مصالح الدنيا ويتفرع على القولين أن الشافعي يرى الحجر على الفاسق وأبو حنيفة لا يراه ثم انه اذا بلغ غير رشيد واستمر على ذلك لم يدفع اليه ماله بالاتفاق الى خمس وعشرين سنة وفيما وراء ذلك خلاف فعند أصحاب أبي حنيفة وعند الشافعي لا يدفع اليه أبدا الا بايناس الرشد كما هو مقتضى الآية وعند أبي حنيفة يدفع لان مدة بلوغ الذكر عنده بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير أحوال الانسان لقوله صلى الله عليه وسلم مروهم بالصلاة لسبع دفع اليه ماله أونس منه رشد أو لم يؤنس ثم قال ولا تأكلوها اسرافا وبدارا أن يكبروا مصدران في موضع الحال أي مسرفين ومبادرين كبرهم أو مفعول لهما أي لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم والاسراف التبذير ضد القصد والامساك والكبر في السن وقد كبر الرجل بالكسر يكبر بالفتح كبرا أي أسن وكبر بالضم يكبر كبرا وكبارة أي عظم نهاهم عن الافراط في الانفاق كما يشتهون قبل أن يكبر اليتامى فينتزعوها من أيديهم ومن كان

(١) قوله وانما الوارث الكلالة أي على جعل الرجل هو الوارث على قراءة الفعل مبنيا للمجهول كما في الكشاف كتبه مصححه

غنيا فليستعفف فليمتنع منه وليتركه وفي السين زيادة مبالغة كأنه طلب مزيد العفة ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف وللعلماء خلاف في أن الوصي هل له أن ينتفع بمال اليتيم قال الشافعي له أن يأخذ قدر ما يحتاج إليه وبقدر أجرة عمله لأن النهي في الآية عن الإسراف مشعر بأن له أن يأكل بقدر الحاجة ولاسيما إذا كان فقيرا ولما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا قال له إن في حجري يتيما أفآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله قال أفأضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك وروي أن عمر بن الخطاب كتب إلى عمار وابن مسعود وعثمان بن حنيف سلام عليكم أما بعد فإني قد رزقتكم كل يوم شاة شطرها لعمار وربعها لعبد الله بن مسعود وربعها لعثمان ألا وإني قد أنزلت نفسي وإياكم من مال الله منزلة والي مال اليتيم من كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف وأيضا قياسا على الساعي في أخذ الصدقات وجمعها فإنه يضرب له في تلك الصدقات بسهم فكذا ههنا وعن سعيد بن جبير ومجاهد وأبي العالية أن له أن يأخذ بقدر ما يحتاج إليه قرضا ثم إذا أيسر قضاه وإن مات ولم يقدر على القضاء فلا شيء عليه وأكثر العلماء على أن هذا الاقتراض إنما جاء في أصول الأموال من الذهب والفضة وغيرهما وأما التناول من ألبان المواشي واستخدام العبيد وركوب الدواب فمباح له إذا كان غير مضر بالمال وقال أبو بكر الرازي الذي نعرفه من مذهب أصحابنا أنه لا يأخذه لا على سبيل القرض ولا على سبيل الابتداء سواء كان غنيا أو فقيرا واحتج بقوله تعالى وآتوا اليتامى أموالهم وأجيب بأنها عامة وقوله فليأكل بالمعروف خاص والخاص مقدم على العام قال إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما وأجيب بأن محل النزاع هو أن أكل الوصي مال اليتيم ظلم أو لا قال وأن تقوموا لليتامى بالقسط وهو أيضا عين على النزاع ثم اعلم أن الأئمة اتفقوا على أن الوصي إذا دفع المال إلى اليتيم بعد بلوغه رشيدا فالأولى والأحوط أن يشهد عليه إظهارا للأمانة وبراءة من التهمة ولكن اختلفوا في أن الوصي إذا ادعى بعد بلوغ اليتيم أنه قد دفع المال إليه فهل هو مصدق فقال أبو حنيفة وأصحابه يصدق بيمينه

يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا اسحق بن سويد عن العلاء بن زياد قال جاء شيخ إلى عمر رضي الله عنه فقال إني شيخ وليس لي وارث إلا كلالة أعراب متراخ نسبهم أفأوصي بثلث مالي قال لا فقد أنبأت هذه الأخبار عن صحة ما قلنا في معنى الكلالة وأنها ورثة الميت دون الميت ممن عدا والده وولده

القول في تأويل قوله ﴿وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث﴾ يعني بقوله جل ثناؤه وله أخ أو أخت والرجل الذي يورث كلالة أخ أو أخت يعني أخا أو أختا من أمه كما حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن يعلى بن عطاء عن القاسم عن سعد أنه كان يقرأ وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت قال سعد لأمه حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا شعبة عن يعلى بن عطاء قال سمعت القاسم بن ربيعة يقول قرأت على سعد وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت قال سعد لأمه حدثني محمد بن المثنى قال ثنا وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن يعلى بن عطاء عن القاسم بن ربيعة عن فاتك قال قرأت على سعد فذكر نحوه حدثني يعقوب بن ابراهيم قال أخبرنا هشيم قال أخبرنا يعلى بن عطاء عن القاسم بن ربيعة قال سمعت سعد ابن أبي وقاص قرأ وإن كان رجل يورث كلالة وله أخ أو أخت من أمه حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وله أخ أو أخت فهؤلاء الإخوة من الأم إن كان واحدا فله السدس وإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث ذكرهم وأنثاهم فيه سواء حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فهؤلاء الإخوة من الأم فهم شركاء في الثلث سواء الذكر والأنثى وقوله فلكل واحد منهما السدس إذا انفرد الأخ وحده أو الأخت وحدها ولم يكن أخ غيره أو غيرها من أمه فله السدس من ميراث أخيه لأمه فإن اجتمع أخ وأخت أو أخوان لا ثالث معهما لأمهما أو أختان كذلك أو أخ وأخت ليس معهما غيرهما من أمهما فلكل واحد منهما من ميراث أخيهما لأمهما السدس وإن كانوا أكثر من ذلك يعني فإن كان الإخوة والأخوات لأم الميت الموروث كلالة أكثر من اثنين فهم شركاء في الثلث يقول فالثلث الذي فرضت لاثنيهم إذا لم يكن غيرهما من أمهما ميراثا لهما من أخيهما الميت الموروث كلالة شركة بينهم إذا كانوا أكثر من اثنين إلى ما بلغ عددهم على عدد رؤوسهم لا يفضل ذكر منهم على أنثى في ذلك ولكنه بينهم بالسوية * فإن قال قائل وكيف قيل وله أخ أو أخت ولم يقل لهما أخ أو أخت وقد ذكر مثل ذلك رجل أو امرأة فقيل وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة قيل إن من شأن العرب إذا قدمت ذكر اسمين قبل الخبر فعطفت أحدهما على الآخر بأو ثم أتت بالخبر أضافت الخبر إليهما أحيانا وأحيانا إلى أحدهما وإذا أضافت إلى أحدهما كان سواء عندها إضافة ذلك إلى أي الاسمين اللذين ذكرتهما أضافته فتقول من كان عنده غلام أو جارية فليحسن إليه يعني فليحسن إلى الغلام وفليحسن إليها يعني فليحسن إلى الجارية وفليحسن إليهما وأما قوله فلكل واحد منهما السدس وقد تقدم ذكر الأخ والأخت بعطف أحدهما

على الآخر والدلالة على أن المراد بمعنى الكلام أحدهما فى قوله وله أخ أو أخت فإن ذلك إنما جاز لأن معنى الكلام ولكل واحد من المذكورين السدس

القول فى تأويل قوله ﴿من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله من بعد وصية يوصى بها أى هذا الذى فرضت لأخى الميت الموروث كلالة وأخته أو إخوته وأخواته من ميراثه وتركته إنما هو لهم من بعد قضاء دين الميت الذى كان عليه يوم حدث به حدث الموت من تركته وبعد إنفاذ وصاياه الجائزة التى يوصى بها فى حياته لمن أوصى له بها بعد وفاته كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة من بعد وصية يوصى بها أو دين والدين أحق ما بدئ به من جميع المال فيؤدى عن أمانة الميت ثم الوصية ثم يقسم أهل الميراث ميراثهم وأما قوله غير مضار فإنه يعنى تعالى ذكره من بعد وصية يوصى بها غير مضار ورثته فى ميراثهم عنه كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله غير مضار قال فى ميراث أهله حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله غير مضار قال فى ميراث أهله حدثنا بشر بن معاذ قال ثنى يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله غير مضار وصية من الله إن الله تبارك وتعالى كره الضرار فى الحياة وعند الموت ونهى عنه وقدم فيه فلا تصلح مضارة فى حياة ولا موت حدثنى نصر بن عبد الرحمن الأودى قال ثنا عبيدة بن حميد وثنى يعقوب بن إبراهيم قال ثنا ابن علية جميعا عن داود بن أبى هند عن عكرمة عن ابن عباس فى هذه الآية غير مضار وصية من الله والله عليم حليم قال الضرار فى الوصية من الكبائر حدثنا ابن أبى الشوارب قال ثنا يزيد ابن زريع قال ثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس قال الضرار فى الوصية من الكبائر حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس مثله حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس قال الحيف فى الوصية من الكبائر حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى وعبد الأعلى قالا ثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس قال الضرار والحيف فى الوصية من الكبائر حدثنى موسى بن سهل الرملى قال ثنا إسحق بن إبراهيم أبو النضر قال ثنا عمرو بن المغيرة قال ثنا داود بن أبى هند عن عكرمة عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الضرار فى الوصية من الكبائر حدثنى يعقوب بن إبراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو عمرو التيمى عن أبى الضحى قال دخلت مع مسروق على مريض فإذا هو يوصى قال فقال له مسروق اعدل لا تضلل * ونصبت غير مضار على الخروج من قوله يوصى بها وأما قوله وصية فإن نصبه من قوله يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين وسائر ما أوصى به فى الاثنين ثم قال وصية من الله مصدرا من قوله يوصيكم وقد قال بعض أهل العربية ذلك منصوب من قوله فلكل واحد منهما السدس وصية من الله وقال هو مثل قولك لك درهمان نفقة إلى أهلك والذى قلناه بالصواب أولى لأن الله جل ثناؤه افتتح ذكر قسمة المواريث فى هاتين الآيتين

كسائر الأمناء وقال مالك والشافعى لا يصدق إلا بالبينة لأنه تعالى نص على الإشهاد فقال فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وظاهر الأمر للوجوب ولأنه أمين من جهة الشرع لا من جهة اليتيم وليس له نيابة عامة كالقاضى ولا كمال الشفقة كالأب ثم يصدق فى قدر النفقة وفى عدم التقتير والإسراف لعسر إقامة البينة على ذلك وتنفيره الناس عن قبول الوصاية وكفى بالله حسيبا أى كافيا فى الشهادة عليكم بالدفع والقبض أو محاسبا كالشريب بمعنى المشارب وفيه تهديد للولى ولليتيم أن يتصادقوا ولا يتكاذبوا والباء فى بالله زائدة نظرا إلى أصل المعنى وهو كفى الله وحسيبا نصب على التمييز ويحتمل الحال ثم من ههنا شرع فى بيان المواريث والفرائض قال ابن عباس إن أوس ابن ثابت الأنصارى توفى وترك امرأة يقال لها أم كحة وثلاث بنات له منها فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه سويد وعرفجة فأخذا ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيأ وكانوا فى الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير وإن كان ذكرا إنما يورثون الرجال الكبار وكانوا يقولون لا يعطى إلا من قاتل على ظهور الخيل وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة قال فجاءت أم كحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن أوس بن ثابت مات وترك لى بنات وأنا امرأته وليس عندى ما أنفق عليهن وقد ترك أبوهن مالا حسنا وهو عند سويد وعرفجة ولم يعطيانى ولا بناته من المال شيأ فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ولدها لا يركب فرسا ولا يحمل كلا ولا ينكى عدوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرفوا حتى أنظر ما يحدث الله لى فيهن فانصرفوا فأنزل الله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون الآية فبعث إليهما لا تقربا من مال أوس شيأ فإن الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يتبين فنزلت يوصيكم الله فأعطى أم كحة الثمن والبنات الثلثين والباقى ابنى العم وسبب الإجمال فى الآية ثم التفصيل فيما بعد هو أن الفطام من المألوف شديد والتدريج فى الأمور دأب الحكيم وهكذا قد نزل الأحكام والتكاليف شيأ بعد شئ إلى أن كملت الشريعة الحقة وتم الدين الحنيفى (مما قل منه أو كثر) بدل مما ترك بتكرير العامل ونصيبا مفروضا نصب على الاختصاص تقديره أعنى

بقوله يوصيكم انه ثم ختم ذلك بقوله وصية من الله أخبر أن جميع ذلك وصية منه به عباده فنصب قوله وصية على المصدر من قوله يوصيكم أولى من نصبه على التفسير من قوله فلكل واحد منهما السدس لما ذكرنا ويعني بقوله تعالى ذكره وصية من الله عهدا من الله اليكم فيما يجب لكم من ميراث من مات منكم والله عليم يقول والله ذو علم بمصالح خلقه ومضارهم ومن يستحق أن يعطى من أقرباء من مات منكم وأنسبائه من ميراثه ومن يحرم ذلك منهم ومبلغ ما يستحق به كل من استحق منهم قسما وغير ذلك من أمور عباده ومصالحهم حليم يقول ذو حلم على خلقه وذو أناة في تركه معاجلتهم بالعقوبة على ظلم بعضهم بعضا في اعطائهم الميراث لاهل الجلد والقوة من ولد الميت وأهل الغناء والبأس منهم دون أهل الضعف والعجز من صغار ولده واناثهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم﴾ قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تلك حدود الله فقال بعضهم يعني به تلك شروط الله ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي تلك حدود الله يقول شروط الله وقال آخرون بل معنى ذلك تلك طاعة الله ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله تلك حدود الله يعني طاعة الله يعني المواريث التي سمى الله وقال آخرون معنى ذلك تلك سنة الله وأمره وقال آخرون بل معنى ذلك تلك فرائض الله * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب ما نحن مبينوه وهو أن حد كل شئ ما فصل بينه وبين غيره ولذلك قيل لحدود الدار وحدود الارضين حدود لفصولها بين ما حد بها وبين غيره فكذلك قوله تلك حدود الله معناه هذه القسمة التي قسمها لكم ربكم والفرائض التي فرضها لاحيائكم من موتاكم في هذه الآية على ما فرض وبين في هاتين الآيتين حدود الله يعني فصول ما بين طاعة الله ومعصيته في قسمكم مواريث موتاكم كما قال ابن عباس وانما ترك طاعة الله والمعنى بذلك حدود طاعة الله اكتفاء بمعرفة المخاطبين بذلك بمعنى الكلام من ذكرها والدليل على صحة ما قلنا في ذلك قوله ومن يطع الله ورسوله الآية التي بعدها ومن يعص الله ورسوله فتأويل الآية اذا هذه القسمة التي قسم بينكم أيها الناس عليها ربكم مواريث موتاكم فصول فصل بها لكم بين طاعته ومعصيته وحدود لكم تنتهون اليها فلا تتعدوها وفصل منكم أهل طاعته من أهل معصيته فيما أمركم به من قسمة مواريث موتاكم بينكم وفيما نهاكم عنه منها ثم أخبر جل ثناؤه عما أعد لكل فريق منهم فقال لفريق أهل طاعته في ذلك ومن يطع الله ورسوله في العمل بما أمره به والانتهاء الى ما حده له في قسمة المواريث وغيرها ويجتنب ما نهاه عنه في ذلك وغيره يدخله جنات تجري من تحتها الانهار فقوله يدخله جنات يعني بساتين تجري من تحت غروسها وأشجارها الانهار خالدين فيها يقول باقين فيها أبدا لا يموتون فيها ولا يفنون ولا يخرجون منها وذلك الفوز العظيم يقول وادخال الله اياهم الجنان التي وصفها على ما وصف من ذلك الفوز العظيم يعني الفلح العظيم وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين

نصيبا مقطوعا مقدرا لابد لهم أن يحوزوه أو على المصدر المؤكد كأنه قيل قسمة مفروضة احتج بعض أصحاب أبي حنيفة بهذه الآية على توريث ذوي الارحام كالعمات والخالات والاخوال وأولاد البنات لان الكل من الاقربين غاية ما في الباب أن مقدار أنصبائهم غير مذكور ههنا الا أنا نثبت بالآية استحقاقهم لاصل النصيب ونستفيد المقادير من سائر الدلائل وأجيب بانه تعالى قال نصيبا مفروضا وبالاجماع ليس لذوي الارحام نصيب مقدر وأيضا الواجب عندهم ما علم ثبوته بدليل مظنون والمفروض ما علم بدليل قاطع وتوريث ذوي الارحام ليس من هذا القبيل بالاتفاق فعرفنا أنه غير مراد من الآية وأيضا ليس المراد بالاقربين من له قرابة ما وان كانت بعيدة والا دخل جميع أولاد آدم فيه فالمراد اذن أقرب الناس الى الوارث وما ذلك الا الوالدان والاولاد ودخول الوالدين في الاقربين يكون كدخول النوع في الجنس فلا يلزم تكرار والله تعالى أعلم قال المفسرون انه تعالى لما ذكر في الآية للنساء أسوة بالرجال في أن لهن حظا من الميراث وعلم أن في الاقارب من يرث وفيهم من لا يرث وربما حضروا القسمة فلا يحسن حرمانهم قال واذا حضر القسمة أولو القربى الآية ثم منهم من قال بوجوبه ومنهم من قال باستحبابه وعلى الوجوب فعن سعيد بن المسيب والضحاك انها منسوخة بآية المواريث وعن أبي موسى الاشعري وابراهيم النخعي والشعبي والزهري ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير انها محكمة ولكنها مما تهاون به الناس قال الحسن أدركنا الناس وهم يقسمون على القرابات واليتامى والمساكين من الورق والذهب فاذا آل الامر الى قسمة الارضين والرقيق وما أشبه ذلك قالوا لهم قولا معروفا كانوا يقولون لهم ارجعوا بورك فيكم وعلى الاستحباب وهو مذهب فقهاء الامصار اليوم قالوا ان هذا الرضخ يستحب اذا كانت الورثة كبارا أما اذا كانوا صغارا فليس الا القول المعروف كأن يقول الولي اني لا أملك هذا المال انما هو لهؤلاء الضعفاء الذين لا يعرفون ما عليهم من الحق وان يكبروا فسيعرفون حقكم والضمير في منه اما ان يعود الى ما ترك واما الى الميراث بدليل ذكر القسمة وقيل

الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله الآية قال في شأن المواريث التى ذكر قبل حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله تلك حدود الله التى حد لخلقه وفرائضه بينهم من الميراث والقسمة فانتهوا اليها ولا تعدوها الى غيرها ﴿ القول فى تاويل قوله ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين﴾ يعنى بذلك جل ثناؤه ومن يعص الله ورسوله فى العمل بما أمراه به من قسمة المواريث على ما أمراه بقسمة ذلك بينهم وغير ذلك من فرائض الله مخالفا أمرهما الى ما نهياه عنه ويتعد حدوده يقول ويتجاوز فصول طاعته التى جعلها تعالى فاصلة بينها وبين معصيته الى ما نهاه عنه من قسمة تركات موتاهم بين ورثته وغير ذلك من حدوده يدخله نارا خالدا فيها يقول باقيا فيها أبدا لا يموت ولا يخرج منها أبدا وله عذاب مهين يعنى وله عذاب مذل من عذب به مخزله وبنحو ما قلنا فى تاويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده الآية فى شأن المواريث التى ذكر قبل قال ابن جريج ومن يعص الله ورسوله قال من أصاب من الذنوب ما يعذب الله عليه * فان قال قائل أويخلد فى النار من عصى الله ورسوله فى قسمة المواريث قيل نعم اذا جمع الى معصيتهما فى ذلك شكا فى أن الله فرض عليه ما فرض على عباده فى هاتين الآيتين أو علم ذلك فحاد الله ورسوله فى أمرهما على ما ذكر ابن عباس من قول من قال حين نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قول الله تبارك وتعالى يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين الى تمام الآيتين أيورث من لا يركب الفرس ولا يقاتل العدو ولا يحوز الغنيمة نصف المال أو جميع المال استنكارا منهم قسمة الله ما قسم لصغار ولد الميت ونسائه واناث ولده ممن خالف قسمة الله ما قسم من ميراث أهل الميراث بينهم على ما قسمه فى كتابه وخالف حكمه فى ذلك وحكم رسوله استنكارا منه حكمهما كما استنكره الذين ذكر أمرهم ابن عباس ممن كان بين أظهر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنافقين الذين فيهم نزلت وفى أشكالهم هذه الآية فهو من أهل الخلود فى النار لانه باستنكاره حكم الله فى تلك يصير بالله كافرا ومن ملة الاسلام خارجا ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فأمسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا﴾ يعنى بقوله جل ثناؤه واللاتى يأتين الفاحشة والنساء اللاتى يأتين بالزنا أى يزنين من نسائكم وهن محصنات ذوات أزواج أو غير ذوات أزواج فاستشهدوا عليهن أربعة منكم يقول فاستشهدوا عليهن بما أتين به من الفاحشة أربعة رجال من رجالكم يعنى من المسلمين فان شهدوا عليهن فأمسكوهن فى البيوت يقول فاحبسوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت يقول حتى يمتن أو يجعل الله لهن سبيلا يعنى أو يجعل الله لهن مخرجا وطريقا الى النجاة مما أتين به من الفاحشة وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو هشام الرفاعى عن محمد بن يزيد قال ثنا يحيى بن أبى زائدة عن ابن جريج عن مجاهد

المراد قسمة الوصية واذا حضرها من لا يرث من الاقرباء واليتامى والمساكين أمر الله الموصى أن يجعل لهم نصيبا من تلك الوصية ويقول لهم مع ذلك قولا معروفا وقيل أولوا القربى الوارثون واليتامى والمساكين الذين لا يرثون وقوله وقولوا لهم راجع الى هؤلاء الذين لا يرثون ويحكى هذا القول عن سعيد بن جبير وليخش الذين لو تركوا الجملة الشرطية وهى لو مع ما فى حيزه صلة الذين والمعنى ليخش الذين من صفتهم وحالهم أنهم لو تركوا ذرية ضعافا خافوا عليهم وأما المخشى فغير منصوص عليه قال بعض المفسرين هم الاوصياء أمروا بان يخشوا الله فيخافوا على من فى حجورهم من اليتامى خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا أو أمروا بان يخشوا على اليتامى من الضياع كما يخشون على أولادهم لو تركوهم وعلى هذا فيكون القول السديد أى الصواب القصد هو أن لا يؤذوا اليتامى ويكلموهم كما يكلمون أولادهم بالقول الجميل ويدعوهم بيابنى ويا ولدى وهذا القول أليق بما تقدم وتأخر من الآيات الواردة فى باب الايتام نبههم الله على حال أنفسهم وذريتهم اذا تصوروها ليكون ذلك أجدر ما يدعوهم الى حفظ مال اليتيم كما قال القائل

لقد زاد الحياة الى حبا
بناتى انهن من الضعاف
أحاذر أن يرين البؤس بعدى
وأن يشربن رنقا بعد صافى

وقيل هم الذين يجلسون الى المريض فيقولون ان ذريتك لا يغنون عنك من الله شيأ فقدم مالك ولا يزالون يأمرونه بالوصية الى الاجانب الى أن يستغرق المال بالوصايا فأمروا بأن يخشوا ربهم ويخشوا على أولاد المريض خوفهم على أولاد أنفسهم لو كانوا وعلى هذا تكون الآية نهيا للحاضرين عن الترغيب فى الوصية والقول السديد أن يقولوا للمريض لا تسرف فى الوصية فتجحف بأولادك مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد الثلث كثير وكان الصحابة رضى الله عنهم يستحبون أن لا تبلغ الوصية الثلث وأن الخمس أفضل من الربع والربع من الثلث وقيل يجوز أن تتصل الآية بما قبلها فيكون أمرا للورثة بالشفقة على الذين يحضرون القسمة من الضعفاء وأن يتصوروا انهم لو كانوا أولادهم خافوا عليهم الحرمان وعن حبيب بن ثابت سألت مقسما عن الآية فقال هو الرجل

واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت أمر بحبسهن في البيوت حتى يمتن أو يجعل الله لهن سبيلا قال الحد حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم قال الزنا كان أمر بحبسهن حين يشهد عليهن أربعة حتى يمتن أو يجعل الله لهن سبيلا والسبيل الحد حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم الى أو يجعل الله لهن سبيلا فكانت المرأة اذا زنت حبست في البيت حتى تموت ثم أنزل الله تبارك وتعالى بعد ذلك الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة فان كانا محصنين رجما فهذا سبيلهما الذي جعل الله لهما حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أو يجعل الله لهن سبيلا فقد جعل الله لهن وهو الجلد والرجم حدثني بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واللاتي يأتين الفاحشة حتى بلغ أو يجعل الله لهن سبيلا كان هذا من قبل الحدود فكانا يؤذيان بالقول جميعا وبحبس المرأة ثم جعل الله لهن سبيلا فكان سبيل من أحصن جلد مائة ثم رمي بالحجارة وسبيل من لم يحصن جلد مائة ونفي سنة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء بن أبي رباح وعبد الله بن كثير الفاحشة الزنا والسبيل الرجم والجلد حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم الى أو يجعل الله لهن سبيلا هؤلاء اللاتي قد نكحن وأحصن اذا زنت المرأة فانها كانت تحبس في البيت ويأخذ زوجها مهرها فهو له فذلك قوله ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف حتى جاءت الحدود فنسختها فجلدت ورجمت وكان مهرها ميراثا فكان السبيل هو الجلد حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سلمان قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول في قوله أو يجعل الله لهن سبيلا قال الحد نسخ الحد هذه الآية حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا يحيى عن اسرائيل عن خصيف عن مجاهد أو يجعل الله لهن سبيلا قال جلد مائة الفاعل والفاعلة حدثنا الرفاعي قال ثنا يحيى عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الجلد حدثنا محمد بن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنا أبي عن قتادة عن الحسن عن حطان بن عبد الله الرقاشي عن عبادة بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه الوحي نكس رأسه ونكس أصحابه رؤسهم فلما سري عنه رفع رأسه فقال قد جعل الله لهن سبيلا الثيب بالثيب والبكر بالبكر أما الثيب فتجلد ثم ترجم وأما البكر فتجلد ثم تنفى حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا سعيد عن قتادة عن حطان ابن عبد الله عن عبادة بن الصامت قال قال نبي الله صلى الله عليه وسلم خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا الثيب بالثيب تجلد مائة وترجم بالحجارة والبكر جلد مائة ونفي سنة حدثنا بشر قال ثنا

الذي يحضره الموت ويريد الوصية للأجانب فيقول له من كان عنده اتق الله وأمسك على ولدك مالك مع أن ذلك الانسان يحب أن يوصى له وعلى هذا يكون نهيا عن النهي عن الوصية ولا يساعده قوله لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا ثم أكد الوعيد في باب اهمال مال اليتيم فقال ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما أي ظالمين أو على وجه الظلم من ولاة السوء وقضاته لا بالمعروف انما يأكلون في بطونهم أي ملء بطونهم نارا أي ما يجر الى النار وكأنه نار في الحقيقة وقال السدي يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وأنفه وأذنيه وعينيه فيعرف الناس أنه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا وعن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ليلة أسري بي قوما لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل في أفواههم صخرا من النار يخرج من أسافلهم فقال جبريل هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما وسيصلون من قرأ بفتح الياء فهو من صلي فلان النار بالكسر يصلى صليا احترق ومن قرأ بالضم فمعناه الالقاء في النار لاجل الاحراق من الاصلاء وقد يشدد من التصلية والمعنى واحد والسعير النار وسعرت النار والحرب هيجتها وألهبتها فهي سعير أي مسعورة والتنكير للتعظيم أي نارا مبهمة الوصف لا يعلم شدتها الا خالقها قالت المعتزلة لا يجوز أن يدخل تحت هذا الوعيد آكل اليسير من ماله بل لا بد أن يكون مقدار خمسة دراهم لانه القدر الذي وقع عليه الوعيد في آية الكنز في منع الزكاة ولا بد مع ذلك من عدم التوبة فقيل لهم انكم خالفتم هذا العموم من وجهين من جهة شرط عدم التوبة ومن جهة شرط عدم كونه صغيرة فلم لا يجوز لنا أن نزيد فيه شرط عدم العفو وههنا نكتة وهي أنه أوعد مانع الزكاة بالكي وآكل مال اليتيم بامتلاء يزيد البطن من النار ولا شك أن هذا الوعيد أشد والسبب فيه أن الفقير غير مالك لجزء من النصاب حتى يملكه المالك واليتيم مالك لماله فكان منع اليتيم أشنع وأيضا الفقير يقدر على الاكتساب من وجه آخر أو على السؤال واليتيم عاجز عنهما فكان ضعفه أظهر وهذا من كمال عنايته

يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن عن حطان بن عبد الله أخى بنى رقاش عن عبادة ابن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه الوحى كرب لذلك وتربد له وجهه فأنزل الله عليه ذات يوم فلقى ذلك فلما سرى عنه قال خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا الثيب بالثيب جلد مائة ثم رجم بالحجارة والبكر بالبكر جلد مائة ثم نفى سنة حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا قال يقول لا تنكحوهن حتى يتوفاهن الموت ولم يخرجهن من الاسلام ثم نسخ هذا وجعل السبيل التى ذكر أن يجعل لهن سبيلا قال فجعل لها السبيل اذا زنت وهى محصنة رجمت وأخرجت وجعل السبيل للبكر جلد مائة حدثنى يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فى قوله حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا قال الجلد والرجم حدثنا المثنى قال ثنا محمد بن أبى جعفر قال ثنا شعبة عن قتادة عن الحسن عن حطان بن عبد الله الرقاشى عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا الثيب بالثيب والبكر بالبكر الثيب تجلد وترجم والبكر تجلد وتنفى حدثنى يحيى بن ابراهيم المسعودى قال ثنا أبى عن أبيه عن جده عن الاعمش عن اسمعيل بن مسلم البصرى عن الحسن عن عبادة بن الصامت قال كنا جلوسا عند النبى صلى الله عليه وسلم اذا احمر وجهه وكان يفعل ذلك اذا نزل عليه الوحى فأخذه كهيئة الغشى لما يجد من ثقل ذلك فلما أفاق قال خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا البكران يجلدان وينفيان سنة والثيبان يجلدان ويرجمان * قال أبو جعفر وأولى الاقوال بالصحة فى تأويل قوله أو يجعل الله لهن سبيلا قول من قال السبيل التى جعلها الله جل ثناؤه للثيبين المحصنين الرجم بالحجارة وللبكرين جلد مائة ونفى سنة لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رجم ولم يجلد واجماع الحجة التى لا يجوز عليها فيما نقلته مجمعة عليه الخطأ والسهو والكذب وصحة الخبر عنه انه قضى فى البكرين بجلد مائة ونفى سنة فكان فى الذى صح عنه من تركه جلد من رجم من الزناة فى عصره دليل واضح على وهى الخبر الذى روى عن الحسن عن حطان عن عبادة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال السبيل للثيب المحصن الجلد والرجم وقد ذكر أن هذه الآية فى قراءة عبد الله واللاتى يأتين بالفاحشة من نسائكم والعرب تقول أتيت أمرا عظيما وبأمر عظيم وتكلمت بكلام قبيح وكلاما قبيحا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿واللذان يأتيانها منكم﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله واللذان يأتيانها منكم والرجل والمرأة اللذان يأتيانها يقول يأتيان الفاحشة والهاء والالف فى قوله يأتيانها عائدة على الفاحشة التى فى قوله واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم والمعنى واللذان يأتيان منكم الفاحشة فآذوهما ثم اختلف أهل التأويل فى المعنى بقوله واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فقال بعضهم هما البكران اللذان لم يحصنا وهما غير اللاتى عنين بالآية قبلها وقالوا قوله واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم معنى به الثيبات

تعالى بالضعفاء فنرجو أن يرحم ذلنا وضعفنا بعزته وقوته * التأويل ذكر الناسين بدء خلقهم بالاشباح والارواح فخلقوا بالاشباح من آدم وبالارواح من روح محمد صلى الله عليه وسلم قال أول ما خلق الله روحى فهو أبو الارواح وخلق من الروح زوجه وهى النفس خلقها من أدنى شعاع من أشعة أنوار روح محمد صلى الله عليه وسلم وبث منهما رجالا كثيرا أرواحا كاملين ونساء أرواحا ناقصات واتقوا الله الذى تساءلون به أى اتقوه أن تساءلوا به غيره والارحام ولا تقطعوا رحم رحمتى بصلة غيرى وآتوا اليتامى أموالهم تزكية عن آفة الحرص والحسد والدناءة والخسة والطمع وتحلية بالقناعة والمروءة وعلو الهمة والعافية ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب تزكية عن آفة الخيانة والخديعة وتحلية بالامانة وسلامة الصدر ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم تزكية عن الجور وتحلية بالعدل فان اجتماع هذه الرذائل كان حوبا كبيرا حجابا عظيما فانكحوا ما طاب لكم تزكية عن الفاحشة وتحلية بالعفة ذلك أدنى أن لا تعولوا تزكية عن الحدة والغضب وتحلية بالسكون والحلم وآتوا النساء صدقاتهن تزكية عن البخل والغدر وتحلية بالوفاء والكرم فكلوه هنيئا تزكية عن الكبر والانفة وتحلية بالتواضع والشفقة فهذه كلها اشارات الى تربية يتامى القلوب والنفوس بايتاء حقوق تزكيتهم عن هذه الاوصاف وتحليتهم بهذه الاخلاق ثم نهى عن ايتاء النفوس الامارة حظوظها فقال ولا تؤتوا السفهاء وانما قال أموالكم لان الخطاب مع العقلاء والصلحاء وقد خلق الله الدنيا لاجلهم أن الارض يرثها عبادى الصالحون وارزقوهم فيها قدر ما يسد الجوعة واكسوهم ما يستر العورة وما زاد فاسراف فى حق النفس وقولوا لهم قولا معروفا كنحو أكلت رزق الله فادى شكر نعمته بامتثال أوامره ونواهيه والا أذيبى طعامك بذكر الله كما قال صلى الله عليه وسلم أذيبوا طعامكم بذكر الله وابتلوا اليتامى أى قلوب السائرين بادنى توسع فى المعيشة بعد أن كانوا محجورين عن التصرف حتى اذا بلغوا مبلغ الرجال البالغين فان آنستم منهم رشدا بان استمروا بذلك التوسع على السير وزادوا فى اجتهادهم وجدهم كما قال الجنيد أشبع الزنجى وكده فادفعوا

اليهم أموالهم فالعبد في هذا المقام يكون جائز التصرف في مماليك سيده كالعبد المأذون ولهذا قال ههنا أموالهم ولا تأكلوها اسرافا أي فان آنستم يا أولياء الطريقة من المريدين البالغين رشد التصرف في أصحاب الارادة وادفعوا اليهم عنان التصرف باجازة الشيخوخية ولا تجعلوا الشيخوخية مأكلة لكم غيرة وغبطة عليهم أن يكبروا بالشيخوخية ومن كان غنيا بالله من قوة الولاية مستظهرا بالعناية فليستعفف عن الانتفاع بصحبتهم ومن كان فقيرا مفتقرا الى ولاية المريد فليأكل بالمعروف فلينتفع باعانته ولجزائه بالشيخوخية مع الامداد في الظاهر والباطن فاذا دفعتم اليهم أموالهم سلمتم اليهم مقام الشيخوخية فأشهدوا عليهم الله ورسوله وأرواح المشايخ وأوصوهم برعاية حقوقها مع الله والخلق ثم أخبر عن نصيب كل نسيب فقال للرجال وهم الأقوياء من الطلبة والنساء وهم الضعفاء نصيب مما ترك الولدان والاقربون وهم المشايخ والاخوان في الله وتركتهم بركتهم وأنوارهم نصيبا مفروضا على قدر استعدادهم واذا حضر القسمة أي في محافل صحبتهم ومجالس ذكرهم أولو القربى المنتمون اليهم والمقتبسون من أنوارهم والمقتفون لآثارهم فارزقوهم من مواهب بركاتهم وقولوا لهم قولا معروفا في التشويق وارشاد الطريق وتقرير هوان الدنيا عند الله وعزة أهل الله في الدارين وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا من متوسطي المريدين أو المبتدئين خافوا عليهم آفات المفارقة بسفر أو موت فليتقوا الله أي يوصونهم بالتقوى وأن يقولوا قولا سديدا هو لا اله الا الله فان التقوى ومداومة الذكر خطوتان يوصلان العبد الى الله ان الذين يأكلون يضيعون أطفال الطريقة بعدم التربية ورعاية وظائف النصيحة انما يأكلون في بطونهم نارا الحسرة والغرامة يوم لا تنفع الندامة ﴿يوصيكم الله في أولادكم جعلت
للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين آباؤكم وأبناؤكم

المحصنات بالازواج وقوله واللذان يأتيانها منكم يعني به البكران غير المحصنين ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ذكر الجواري والفتيان الذين لم ينكحوا فقال واللذان يأتيانها منكم فآذوهما حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واللذان يأتيانها منكم البكران فآذوهما * وقال آخرون بل عني بقوله واللذان يأتيانها منكم الرجلان الزانيان ذكر من قال ذلك حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا يحيى عن ابن جريج عن مجاهد واللذان يأتيانها منكم فآذوهما قال الرجلان الفاعلان لا يكني حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله واللذان يأتيانها منكم الزانيان * وقال آخرون بل عني بذلك الرجل والمرأة الا أنه لم يقصد به بكر دون ثيب ذكر من قال ذلك حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا يحيى عن ابن جريج عن عطاء واللذان يأتيانها منكم فآذوهما قال الرجل والمرأة حدثنا محمد ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن يزيد النحوي عن عكرمة والحسن البصري قالا واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم الى قوله أو يجعل الله لهن سبيلا فذكر الرجل بعد المرأة ثم جمعهما جميعا فقال واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء وعبد الله بن كثير قوله واللذان يأتيانها منكم قال هذه للرجل والمرأة جميعا * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بالصواب في تأويل قوله واللذان يأتيانها منكم قول من قال عني به البكران غير المحصنين اذا زنيا وكان أحدهما رجلا والآخر امرأة لأنه لو كان مقصودا بذلك قصد البيان عن حكم الزناة من الرجال كما كان مقصودا بقوله واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم قصد البيان عن حكم الزواني لقيل والذين يأتونها منكم فآذوهم أو قيل والذي يأتيها منكم كما قيل في التي قبلها واللاتي يأتين الفاحشة فأخرج ذكرهن على الجمع ولم يقل واللتان يأتيان الفاحشة وكذلك تفعل العرب اذا أرادت البيان على الوعيد على فعل أو الوعد عليه أخرجت أسماء أهله بذكر الجمع أو الواحد وذلك أن الواحد يدل على جنسه ولا تخرجها بذكر اثنين فتقول الذين يفعلون كذا فلهم كذا والذي يفعل كذا فله كذا ولا تقول اللذان يفعلان كذا فلهما كذا الا أن يكون فعلا لا يكون الا من شخصين مختلفين كالزنا لا يكون الا من زان وزانية واذا كان ذلك كذلك قيل بذكر الاثنين يراد بذلك الفاعل والمفعول به فأما أن يذكر بذكر الاثنين والمراد بذلك شخصان في فعل قد ينفرد كل واحد منهما به أو في فعل لا يكونان فيه مشتركين فذلك ما لا يعرف في كلامها واذا كان ذلك كذلك فبين فساد قول من قال عني بقوله واللذان يأتيانها منكم الرجلان وصحة قول من قال عني به الرجل والمرأة واذا كان ذلك كذلك فمعلوم أنهما غير اللواتي تقدم بيان حكمهن في قوله واللاتي يأتين الفاحشة لان هذين اثنان وأولئك جماعة واذا كان ذلك كذلك فمعلوم أن الحبس كان للثيبات عقوبة حتى يتوفين من قبل أن يجعل لهن سبيلا لأنه أغلظ في العقوبة من الأذى الذي هو تعنيف وتوبيخ أو سب وتعيير كما كان السبيل التي

جعلت لهن من الرجم أغلظ من السبيل التى جعلت للابكار من جلد المائة ونفى السنة ﷺ القول فى تأويل قوله ﴿فآذوهما فان تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما﴾ اختلف أهل التأويل فى الاذى الذى كان الله تعالى ذكره جعله عقوبة للذين يأتيان الفاحشة من قبل أن يجعل لهما سبيلا منه فقال بعضهم ذلك الأذى أذى بالقول واللسان كالتعيير والتوبيخ على ما أتيا من الفاحشة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فآذوهما قال كانا يؤذيان بالقول جميعا حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى فآذوهما فان تابا وأصلحا فاعرضوا عنهما فكانت الجارية والفتى اذا زنيا يعنفان ويعيران حتى يتركا ذلك وقال آخرون كان ذلك الاذى أذى باللسان غير أنه كان سبا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فآذوهما يعنى سبا وقال آخرون بل كان ذلك الاذى باللسان واليد ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فكان الرجل اذا زنى أوذى بالتعيير وضرب بالنعال * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره كان أمر المؤمنين بأذى الزانيين المذكورين اذا أتيا ذلك وهما من أهل الاسلام والاذى قد يقع بكل مكروه نال الانسان من قول سئ باللسان أو فعل وليس فى الآية بيان أن ذلك كان أمر به المؤمنون يومئذ ولا خبر به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من نقل الواحد ولا نقل الجماعة الموجب مجيئهما قطع العذر وأهل التأويل فى ذلك مختلفون وجائز أن يكون ذلك أذى باللسان واليد وجائز أن يكون كان أذى بأيهما وليس فى العلم بأن ذلك كان من أى نفع فى دين ولا دنيا ولا فى الجهل به مضرة اذ كان الله جل ثناؤه قد نسخ ذلك من محكمه بما أوجب من الحكم على عباده فيهما وفى اللاتى قبلهما فأما الذى أوجب من الحكم عليهم فيهما فما أوجب فى سورة النور بقوله الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة وأما الذى أوجب فى اللاتى قبلهما فالرجم الذى قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما وأجمع أهل التأويل جميعا على أن الله تعالى ذكره قد جعل لاهل الفاحشة من الزناة والزوانى سبيلا بالحدود التى حكم بها فيهم وقال جماعة من أهل التأويل ان الله سبحانه نسخ بقوله الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة قوله واللذان يأتيانها منكم فآذوهما ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد واللذان يأتيانها منكم فآذوهما قال كل ذلك نسخته الآية التى فى النور بالحد المفروض حدثنا أبو هشام قال ثنا يحيى عن ابن جريج عن مجاهد واللذان يأتيانها منكم فآذوهما الآية قال هذا نسخته الآية فى سورة النور بالحد المفروض حدثنا ابن حميد قال ثنا أبو تميلة قال ثنا الحسين بن واقد عن يزيد النحوى عن عكرمة والحسن البصرى قالا فى قوله واللذان يأتيانها منكم فآذوهما الآية نسخ ذلك بآية الجلد

لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيأ أتأخذونه بهتانا واثما مبينا وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا ﴾ القرا آت واحدة بالرفع أبو جعفر ونافع الباقون بالنصب فلامه وما بعده بكسر الهمزة لاجل كسرة ما قبلها حمزة وعلى الباقون بالضم يوصى وما بعده مبنيا للمفعول ابن كثير وابن عامر ويحيى وحماد

والمفضل وافق الأعشى في الاولى وحفص في الثانية الباقون مبنيا للفاعل ندخله بالنون في الحرفين نافع وابن عامر وأبو جعفر الباقون بالياء وكذلك في سورة الفتح والتغابن والطلاق واللذان بتشديد النون ابن كثير وكذلك قوله هذان وهاتان وأرنا اللذين وأشباه ذلك وأما قوله فذانك فابن كثير وأبو عمرو ويعقوب

وعباس مخير الباقون بالتخفيف كرها بالضم وكذلك في التوبة حمزة وعلي وخلف الباقون بالفتح مبينة مبينات بفتح الياء ابن كثير وأبو بكر وحماد وقرأ أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وسهل ويعقوب مبينة بالكسر مبينات بالفتح الباقون كلها بالكسر * الوقوف الانثيين ج ماترك ج فلها النصف ط لانتهاء حكم الأولاد ان كان له ولد ج فلأمه الثلث ج أودين ط وأبناؤكم ج لتقديرهم أبناؤكم ولاحتمال كون آباؤكم مبتدأ وخبره لاتدرون نفعا ج من الله ط حكيما ○ لم يكن لهن ولد ج دين ط منهما السدس ج دين ط لان غير حال عامله يوصى مضار ج لاحتمال نصب وصية به كما يجيء من الله ط حليم ○ ط لأن تلك مبتدأ حدود الله ط خالدين فيها ط لأن ما بعده اعتراض مقرر للجزاء العظيم ○ خالدا فيها ص لان ما بعده من تتمة الجزاء مهين ○ أربعة منكم ج لابتداء الشرط مع الفاء سبيلا ○ فآذوهما ج عنهما ط رحيما ○ عليهم ط حكيما ○ السيئات ط لان حتى اذا تصلح للابتداء وجوابه قال اني تبت وتصلح انتهاء لعمل السيئات وهم كفار ط أليما ○ كرها ط للعدول عن الاخبار الى النهي مبينة ج للعارض بين المتفقين بالمعروف ج كثيرا ○ شيأ ط مبينا غليظا ○ سلف ط ومقتا ط سبيلا ○ * التفسير انه تعالى لما بين حكم مال الايتام وما على الاولياء فيه بين ان اليتيم كيف يملك المال ارثا ولم يكن ذلك الابيان جملة أحكام الميراث أونقول أجمل حكم الميراث في قوله للرجال نصيب وللنساء نصيب ثم فصل ذلك بقوله يوصيكم الله أي يعهد اليكم ويأمركم في أولادكم في شأن ميراثهم واعلم أن أهل الجاهلية كانوا يتوارثون بشيئين النسب

فقال الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فأنزل الله بعد هذا الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة فان كانا محصنين رجما في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدي واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم الآية جاءت الحدود فنسختها حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سلمان قال سمعت الضحاك يقول نسخ الحد هذه الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة فامسكوهن في البيوت الآية قال نسختها الحدود وقوله واللذان يأتيانها منكم نسختها الحدود حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واللذان يأتيانها منكم فآذوهما الآية ثم نسخ هذا وجعل السبيل لها اذا زنت وهي محصنة رجمت وأخرجت وجعل السبيل للذكر جلد مائة حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت قال نسختها الحدود وأما قوله فان تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما فانه يعني به جل ثناؤه فان تابا من الفاحشة التي أتيا فراجعا طاعة الله بينهما وأصلحا يقول وأصلحا دينهما بمراجعة التوبة من فاحشتهما والعمل بما يرضي الله فأعرضوا عنهما يقول فاصفحوا عنهما وكفوا عنهما الأذى الذي كنت أمرتكم أن تؤذوهما به عقوبة لهما على ما أتيا من الفاحشة ولا تؤذوهما بعد توبتهما وأما قوله ان الله كان توابا رحيما فانه يعني ان الله لم يزل راجعا لعبيده الى ما يحبون اذا هم راجعوا ما يحب منهم من طاعته رحيما بهم يعني ذا رحمة ورأفة ﴿ القول في تأويل قوله ﴿انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة﴾ يعني بقوله جل ثناؤه انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ما التوبة على الله لاحد من خلقه الا للذين يعملون السوء من المؤمنين بجهالة ثم يتوبون من قريب يقول ما الله براجع لاحد من خلقه الى ما يحبه من العفو عنه والصفح عن ذنوبه التي سلفت منه الا للذين يأتون ما يأتونه من ذنوبهم جهالة منهم وهم بربهم مؤمنون ثم يراجعون طاعة الله ويتوبون منه الى ما أمرهم الله به من الندم عليه والاستغفار وترك العود الى مثله من قبل نزول الموت بهم وذلك هو القريب الذي ذكره الله تعالى ذكره فقال ثم يتوبون من قريب وبنحو ما قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل غير أنهم اختلفوا في معنى قوله بجهالة فقال بعضهم في ذلك بنحو ما قلنا فيه وذهب الى أن عمله السوء هو الجهالة التي عناها ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن أبي العالية انه كان يحدث ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون كل ذنب أصابه عبد فهو بجهالة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله للذين يعملون السوء بجهالة قال اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأوا أن كل شيء عصي به فهو جهالة عمدا كان أو غيره حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في

والعهد أما النسب فكانوا يورثون الكبار به ولا يورثون الصغار والاناث كما مر وأما العهد فالحلف أو التبني كما سيجيء في تفسير قوله والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم وكان التوريث بالعهد مقررا في أول الاسلام مع زيادة سببين آخرين أحدهما الهجرة فكان المهاجر يرث من المهاجر وان كان أجنبيا عنه اذا كان بينهما مزيد مخالطة ومخالصة (٣٠٣) ولا يرثه غيره وان كان من أقاربه والثاني المؤاخاة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤاخي بين كل اثنين منهم فيكون سببا للتوارث والذي تقرر عليه الامر في الاسلام أن أسباب التوريث ثلاثة قرابة ونكاح وولاء والمراد من الولاء أن المعتق يرث بالعصوبة من المعتق روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورّث بنت حمزة من مولى لها ووراء هذه الاسباب سبب عام وهو الاسلام فمن مات ولم يخلف من يرثه بالاسباب الثلاثة فماله لبيت المال يرثه المسلمون بالعصوبة كما يحملون عنه الدية قال صلى الله عليه وسلم أنا وارث من لا وارث له أعقل عنه وأرثه وعن أبي حنيفة وأحمد أنه يوضع ماله في بيت المال على سبيل المصلحة لا ارثا لانه لا يخلو عن ابن عم وان بعد فألحق بالمال الضائع الذي لا يرجى ظهور مالكه وانما بدأ سبحانه بذكر ميراث الاولاد لأن تعلق الانسان بولده أشد التعلقات ثم للاولاد حال انفراد وحال اجتماع مع أبوي الميت أما حال الانفراد فثلاث ذكور واناث معا أو اناث فقط أو ذكور فقط أما الحالة الأولى فبيانها قوله للذكر مثل حظ الانثيين أي للذكر منهم فحذف الراجع للعلم به وفيه أحكام ثلاثة أحدها خلف ذكرا واحدا وأنثى واحدة فله سهمان ولها واحد وثانيها خلف ذكورا واناثا لكل ذكر سهمان ولكل أنثى سهم وثالثها خلف مع الاولاد جمعا آخرين كالزوجين فهم يأخذون سهامهم والباقي بين الاولاد لكل ذكر مثل نصيب أنثيين وانما لم يقل للانثيين مثل حظ الذكر أو للانثى نصف حظ الذكر اشعارا بفضلته كما ضوعف حظه لذلك ولان الابتداء بما ينبئ عن فضل أحد أدخل في الأدب من الابتداء بما ينبئ عن النقص ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث فكأنه قيل لهم كفى الذكور تضعيف من النصيب فليقطعوا الطمع عن

قوله للذين يعملون السوء بجهالة قال كل من عصى ربه فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة قال كل من عمل بمعصية الله فذاك منه بجهل حتى يرجع عنه حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ما دام يعصي الله فهو جاهل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا محمد بن فضيل بن غزوان عن أبي النضر عن أبي صالح عن ابن عباس انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة قال من عمل السوء فهو جاهل من جهالته عمل السوء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته قال ابن جريج وأخبرني عبد الله بن كثير عن مجاهد قال كل عامل بمعصية فهو جاهل حين عمل بها قال ابن جريج وقال لي عطاء بن أبي رباح نحوه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب قال الجهالة كل امرئ عمل شيئا من معاصي الله فهو جاهل أبدا حتى ينزع عنها وقرأ هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون وقرأ وإلا تصرف عني كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين قال من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته وقال آخرون معنى قوله للذين يعملون السوء بجهالة يعملون ذلك على عمد منهم له ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن مجاهد يعملون السوء بجهالة قال الجهالة العمد قال حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن رجل عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة قال الجهالة العمد وقال آخرون معنى ذلك انما التوبة على الله للذين يعملون السوء في الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا معتمر بن سليمان عن الحكم بن أبان عن عكرمة قوله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة قال الدنيا كلها جهالة * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بتأويل الآية قول من قال تأويلها انما التوبة على الله للذين يعملون السوء وعملهم السوء هو الجهالة التي جهلوها عامدين كانوا للاثم أو جاهلين بما أعد الله لاهلها وذلك انه غير موجود في كلام العرب تسمية العامد للشئ الجاهل به الا أن يكون معنيا به انه جاهل بقدر منفعته ومضرته فيقال هو به جاهل على معنى جهله بمعنى نفعه وضره فأما اذا كان عالما بقدر مبلغ نفعه وضره قاصدا اليه فغير جائز من غير قصده اليه ان يقال هو به جاهل لان الجاهل بالشئ هو الذي لا يعلمه ولا يعرفه عند التقدم عليه أو يعلمه فيشبه فاعله اذ كان خطأ ما فعله بالجاهل الذي يأتي الامر وهو به جاهل فيخطئ موضع الاصابة منه فيقال انه لجاهل به وان كان به عالما لاتيانه الأمر الذي لا يأتي مثله الا أهل الجهل به وكذلك معنى قوله يعملون السوء بجهالة قيل فيهم يعملون السوء بجهالة وان أتوه على علم منهم بمبلغ عقاب الله أهله عامدين اتيانه مع معرفتهم بانه عليهم حرام لان فعلهم ذلك كان من الافعال التي لا يأتي مثله الا من

الزيادة وأما الحكمة في أنه تعالى جعل نصيب النساء من المال أقل من نصيب الرجال فلنقصان عقلهن ودينهن كما جاء في الحديث ولأن احتياجهن الى المال أقل لان أزواجهن ينفقون عليهن أو لكثرة الشهوة فيهن فقد يصير المال سببا لزيادة فجورهن كما قيل ان الشباب والفراغ والجده * مفسدة للمرء أي مفسده فكيف

حال المرأة وعن جعفر الصادق رضي الله عنه أن حواء أخذت حفنة من الحنطة وأكلتها وأخذت حفنة أخرى وخبأتها ثم أخذت حفنة أخرى ورفعتها الى آدم فلما جعلت نصيب نفسها ضعف نصيب الرجل قلب الله الامر عليها فجعل نصيب المرأة نصف نصيب الرجل وأما الحالة الثانية فهن أكثر من اثنتين أو اثنتان أو واحدة وحكم القسم الاول مبين في قوله فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ماترك وحكم القسم الثالث في قوله وان كانت واحدة فلها النصف فمن قرأ بالرفع على كان التامة فظاهر ومن قرأ بالنصب فالضمير في كانت اما أن يعود الى النساء وجاز لعدم الالباس بدليل واحدة وأما أن يعود الى غائب حكمي أي ان كانت البنت أو المولودة وقراءة النصب أوفق لقوله فان كن نساء وقراءة الرفع أيضا حسنة لئلا يحتاج الى التكلف في عود الضمير وجوز صاحب الكشاف أن يكون الضمير في كن وكانت مبهمة وتكون نساء وواحدة تفسيرا لهما على ان كان تامة وأما القسم الثاني وهو حكم البنتين فغير مذكور في الآية صريحا فلهذا اختلف العلماء فيه فعن ابن عباس أن فرضهما النصف كما في الواحدة لان الثلثين فرض البنات بشرط كونهن فوق اثنتين فاذا لم يوجد الشرط لم يوجد المشروط وعورض بأن النصف أيضا مشروط بالوحدة أقول ولعله نظر الى أن الاثنتين أقرب الى الواحد من الاعداد الغير المحصورة التي فوق الاثنتين سوى الثلاثة والحمل على الأقرب أولى وقال الاكثرون من الصحابة وغيرهم ان فرضهما الثلثان لان من مات وخلف ابنا وبنتا فللبنت الثلث بالآية فيلزم أن يكون للبنتين الثلثان وأيضا نصيب البنت مع الولد الذكر الثلث فلأن يكون نصيبها مع ولد آخر أنثى هو الثلث أولى لان الذكر أقوى من الانثى وعلى

جهل عظيم عقاب الله عليه أهله في عاجل الدنيا وآجل الآخرة فقيل لمن أتاه وهو به عالم أتاه بجهالة بمعنى انه فعل فعل الجهال به لا أنه كان جاهلا وقد زعم بعض أهل العربية أن معناه أنهم جهلوا كنه مافيه من العقاب فلم يعلموه كعلم العالم وان علموه ذنبا فلذلك قيل يعملون السوء بجهالة ولو كان الامر على ما قال صاحب هذا القول لوجب أن لا تكون توبة لمن علم كنه ما فيه وذلك أنه جل ثناؤه قال انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب دون غيرهم فالواجب على صاحب هذا القول أن لا يكون للعالم الذي عمل سوأ على علم منه بكنه ما فيه ثم تاب من قريب توبة وذلك خلاف الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن كل تائب عسى الله أن يتوب عليه وقوله باب التوبة مفتوح ما لم تطلع الشمس من مغربها وخلاف قول الله عز وجل الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا ۞ القول في تأويل قوله ﴿ثم يتوبون من قريب﴾ اختلف أهل التأويل في معنى القريب في هذا الموضع فقال بعضهم معنى ذلك ثم يتوبون في صحتهم قبل مرضهم وقبل موتهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي ثم يتوبون من قريب والقريب قبل الموت ما دام في صحته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا محمد ابن فضيل عن أبي النضر عن أبي صالح عن ابن عباس ثم يتوبون من قريب قال في الحياة والصحة وقال آخرون بل معنى ذلك ثم يتوبون من قبل معاينة ملك الموت ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ثم يتوبون من قريب والقريب فيما بينه وبين أن ينظر الى ملك الموت حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت عمران بن حدير قال قال أبو مجلز لا يزال الرجل في توبة حتى يعاين الملائكة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي معشر عن محمد بن قيس قال القريب ما لم تنزل به آية من آيات الله تعالى وينزل به الموت حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب له التوبة ما بينه وبين أن يعاين ملك الموت فاذا تاب حين ينظر الى ملك الموت فليس له ذاك وقال آخرون بل معنى ذلك ثم يتوبون من قبل الموت ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن رجل عن الضحاك ثم يتوبون من قريب قال كل شيء قبل الموت فهو قريب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا معتمر بن سليمان عن الحكم بن أبان عن عكرمة ثم يتوبون من قريب قال الدنيا كلها قريب حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ثم يتوبون من قريب قبل الموت حدثنا محمد بن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال ثني أبي عن قتادة عن أبي قلابة قال ذكر لنا أن ابليس لما لعن وأنظر قال وعزتك لا أخرج من قلب ابن آدم ما دام فيه الروح فقال تبارك وتعالى وعزتي لا أمنعه التوبة ما دام فيه الروح حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو داود قال ثنا عمران عن قتادة قال كنا عند أنس بن مالك وثم أبو قلابة فحدث أبو قلابة قال ان الله تبارك وتعالى لما لعن ابليس سأله النظرة فقال وعزتك لا أخرج من قلب

ابن

ابن آدم فقال الله تبارك وتعالى وعزتي لا أمنعه التوبة ما دام فيه الروح حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا أيوب عن أبي قلابة قال ان الله تبارك وتعالى لما لعن ابليس سأله النظرة فأنظره الى يوم الدين فقال وعزتك لا أخرج من قلب ابن آدم ما دام فيه الروح قال وعزتي لا أحجب عنه التوبة ما دام فيه الروح حدثني ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا عوف عن الحسن قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابليس لما رأى آدم أجوف قال وعزتك لا أخرج من جوفه ما دام فيه الروح فقال الله تبارك وتعالى وعزتي لا أحول بينه وبين التوبة ما دام فيه الروح حدثنا ابن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال ثني أبي عن قتادة عن العلاء بن زياد عن أبي أيوب بشير بن كعب أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكر مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن عوف عن الحسن قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال تأويله ثم يتوبون قبل مماتهم في الحال التي يفهمون فيها أمر الله تبارك وتعالى ونهيه وقبل أن يغلبوا على أنفسهم وعقولهم وقبل حال اشتغالهم بكرب الحشرجة وغم الغرغرة فلا يعرفوا أمر الله ونهيه ولا يعقلوا التوبة لان التوبة لا تكون توبة الا ممن ندم على ما سلف منه وعزم فيه على ترك المعاودة وهو يعقل الندم ويختار ترك المعاودة فأما اذا كان بكرب الموت مشغولا وبغم الحشرجة مغمورا فلا إخاله الا عن الندم على ذنوبه مغلوبا ولذلك قال من قال ان التوبة مقبولة ما لم يغرغر العبد بنفسه فان كان المرء في تلك الحال يعقل عقل الصحيح ويفهم فهم العاقل الأريب فأحدث انابة من ذنوبه ورجعة من شروده عن ربه الى طاعته كان ان شاء الله ممن دخل في وعد الله الذي وعد التائبين اليه من اجرامهم من قريب بقوله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ۞ القول في تأويل قوله ﴿فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما﴾ يعني بذلك جل ثناؤه فأولئك فهؤلاء الذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب يتوب الله عليهم دون من لم يتب حتى غلب على عقله وغمرته حشرجة ميتته فقال وهو لا يفقه ما يقول اني تبت الآن خداعا لربه ونفاقا في دينه ومعنى قوله يتوب الله عليهم يرزقهم انابة الى طاعته ويتقبل منهم أوبتهم اليه وتوبتهم التي أحدثوها من ذنوبهم وأما قوله وكان الله عليما حكيما فانه يعني ولم يزل الله جل ثناؤه عليما بالناس من عباده المنيبين اليه بالطاعة بعد ادبارهم عنه المقبلين اليه بعد التولية وبغير ذلك من أمور خلقه حكيما في توبته على من تاب منهم من معصيته وفي غير ذلك من تدبيره وتقديره ولا يدخل أفعاله خلل ولا يخلطه خطأ ولا زلل ۞ القول في تأويل قوله ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن﴾ يعني بذلك جل ثناؤه وليست التوبة للذين يعملون السيئات من أهل الاصرار على معاصي

هذا فكان قوله للذكر مثل حظ الانثيين دالا على أنثيين فذكر بعد ذلك أنهن وان بلغن ما بلغن من العدد لم يتجاوزن الثلثين وقيل ان البنتين أمس رحما بالميت من الاختين لكنه تعالى يقول في آخر السورة فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان فالبنتان أولى وهذا قياس جلي ومما يؤيده أنه تعالى لم يذكر ميراث الاخوات الكثيرة ليقاس ميراثهن على ميراث البنات الكثيرة كما يقاس ميراث البنتين على الاختين وقيل لفظ فوق وهو صفة نساء أو خبر بعد خبر للتأكيد أو ليخرج أقل الجمع وهو اثنان زائد كقوله فاضربوا فوق الاعناق وقيل فيه تقديم وتأخير والمراد فان كن نساء اثنتين فما فوقهما وعن جابر بن عبد الله قال جاءت امرأة بابنتين لها فقالت يا رسول الله هاتان بنتا ثابت بن قيس أو قالت سعد بن الربيع قتل معك يوم أحد وقد استفاء عمهما مالهما وميراثهما فقال يقضي الله في ذلك ونزلت هذه الآية فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ادع لي المرأة وصاحبها فقال لعمهما أعطهما الثلثين وأعط أمهما الثمن وما بقي فلك وأما الحالة الثالثة وهو ما اذا كان الاولاد ذكورا فقط فلم يذكر في الآية لانه لما علم ان للذكر مثل حظ الانثيين وقد تبين أن للبنت الواحدة النصف علم منه ان للابن الواحد الكل واذا كان للواحد الكل فاذا كانوا أكثر من واحد لم يحسن حرمان بعضهم ولا ترجيح بعضهم فيكون المال مشتركا بينهم بالسوية وأيضا قال صلى الله عليه وسلم وما أبقت السهام فلأولى عصبة ذكر ولا نزاع في أن الابن عصبة ذكر فاذا لم يكن معه صاحب فرض فله كل المال لا محالة والنص سئلت عن ولد الولد فقيل اسم الولد يقع على ولد الابن أيضا لقوله تعالى يا بني آدم يا بني اسرائيل وقيل قيس ولد الولد على الولد لما أنه كولد الصلب في الارث والتعصيب ولكنه لا يستحق شيأ مع أولاد الصلب على وجه الشركة وانما يستحق اذا لم يوجد ولد الصلب رأسا أولا يأخذ كما في مسئلة بنت واحدة وبنت ابن فانهما يأخذان الثلثين واعلم ان عموم قوله تعالى يوصيكم الله في أولادكم مخصوص بصور منها ان العبد والحر لا يتوارثان ومنها ان القاتل لا يرث ومنها أنه لا يتوارث أهل ملتين والمرتد ماله

في بيت المال سواء اكتسب في الاسلام أو في الردة وعند أبي حنيفة ما اكتسب في الاسلام يرثه أقاربه المسلمون ومنها ان الانبياء لا يورثون خلافا للشيعة روي أن فاطمة رضي الله عنها لما طلبت الميراث احتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة واحتجت بقوله تعالى حكاية عن زكريا يرثني ويرث من آل يعقوب وبقوله وورث سليمان داود والاصل في التوريث المال ووراثة العلم أو الدين مجاز وبعموم قوله يوصيكم الله في أولادكم ولان المحتاج الى هذه المسئلة ما كان الا عليا وفاطمة والعباس وهؤلاء كانوا من أكابر الزهاد والعلماء في الدين وأما أبو بكر فانه ما كان محتاجا الى معرفة هذه المسئلة البتة لانه ما كان يخطر بباله أنه يرث الرسول عليه الصلاة والسلام فكيف يليق بالرسول صلى الله عليه وسلم أن يبلغ هذه المسئلة الى من لا حاجة به اليها ولا يبلغها الى من له الى معرفتها أشد الحاجة وأيضا يحتمل أن يكون قوله ما تركناه صدقة صلة لقوله لا نورث والمراد ان الشيء الذي تركناه صدقة فذلك الشيء لا يورث ولعل فائدة تخصيص الانبياء بذلك انهم اذا عزموا على التصدق بشيء فمجرد العزم يخرج ذلك عن ملكهم فلا يرثه وارثهم عنهم أجابوا بأن فاطمة رضي الله عنها رضيت بقول أبي بكر بعد هذه المناظرة وانعقد الاجماع على ما ذهب اليه أبو بكر واعلم أن جميع ما ذكرنا انما هو في حالة انفراد الأولاد أما حالة اجتماعهم بالأبوين فذلك قوله ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد والمراد بالابوين الاب والام فغلب جانب الاب لشرفه ومثله من التغليب في التثنية القمران والعمران والخافقان والضمير في أبويه يعود الى الميت المعلوم من سياق الكلام في الميراث ولكل واحد منهما بدل من لابويه بتكرير العامل وفائدة ماذكره هذا البدل أنه لو قيل ولابويه السدس لأوهم اشتراكهما فيه ولو قيل ولابويه السدسان لأوهم قسمة السدسين عليهما بالتساوي أو بالتفاوت ولو قيل ولكل واحد من أبويه السدس لفاتت فائدة الاجمال والتفصيل والابهام والتفسير فقوله السدس مبتدأ وخبره لابويه وقد توسط

الله حتى اذا حضر أحدهم الموت يقول اذا حشرج أحدهم بنفسه وعاين ملائكة ربه قد أقبلوا اليه لقبض روحه قال وقد غلب على نفسه وحيل بينه وبين فهمه بشغله بكرب حشرجته وغرغرته اني تبت الآن يقول فليس لهذا عند الله تبارك وتعالى توبة لانه قال ما قال في غير حال توبة كما **حدثنا** الحسن بن يحيي قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن يعلى بن نعمان قال أخبرني من سمع ابن عمر يقول التوبة مبسوطة ما لم يسق ثم قرأ ابن عمر وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن ثم قال وهل الحضور الا السوق **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن قال اذا تبين الموت فيه لم يقبل الله له توبة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا محمد بن فضيل عن أبي النضر عن أبي صالح عن ابن عباس وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن فليس لهذا عند الله توبة **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت ابراهيم ابن ميمون يحدث عن رجل من بني الحرث قال ثنا رجل منا عن عبد الله بن عمرو أنه قال من تاب قبل موته بعام تيب عليه حتى ذكر شهرا حتى ذكر ساعة حتى ذكر فواقا قال فقال رجل كيف يكون هذا والله تعالى يقول وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن فقال عبد الله أنا أحدثك ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن ابراهيم بن مهاجر عن ابراهيم قال كان يقال التوبة مبسوطة ما لم يؤخذ بكظمه واختلف أهل التأويل فيمن عني بقوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن فقال بعضهم عني به أهل النفاق ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب قال نزلت الأولى في المؤمنين ونزلت الوسطى في المنافقين يعني وليست التوبة للذين يعملون السيئات والأخرى في الكفار يعني ولا الذين يموتون وهم كفار * وقال آخرون بل عني بذلك أهل الاسلام ذكر من قال ذلك **حدثنا** المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن سفيان قال بلغنا في هذه الآية وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن قال هم المسلمون ألا ترى أنه قال ولا الذين يموتون وهم كفار * وقال آخرون بل هذه الآية كانت نزلت في أهل الايمان غير أنها نسخت ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فأنزل الله تبارك وتعالى بعد ذلك ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فحرم الله تعالى المغفرة على من مات وهو كافر وأرجأ أهل التوحيد الى مشيئته فلم يؤيسهم من المغفرة * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك عندي بالصواب

ماذكره الثورى انه بلغه انه فى الاسلام وذلك ان المنافقين كفار فلو كان معنيا به أهل النفاق لم يكن لقوله ولا الذين يموتون وهم كفار معنى مفهوم لانهم ان كانوا هم والذين قبلهم فى معنى واحد من ان جميعهم كفار فلا وجه لتفريق أحدهم فى المعنى الذى من أجله بطل أن تكون توبة واحد مقبولة وفى تفرقة الله جل ثناؤه بين أسمائهم وصفاتهم بأن سمى أحد الصنفين كافرا ووصف الصنف الآخر بأنهم أهل سيئات ولم يسمهم كفارا ما دل على افتراق معانيهم وفى صحة كون ذلك كذلك صحة ما قلنا وفساد ما خالفه القول فى تأويل قوله ﴿ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما﴾ يعنى بذلك جل ثناؤه ولا التوبة للذين يموتون وهم كفار فموضع الذين خفض لانه معطوف على قوله للذين يعملون السيئات وقوله أولئك اعتدنا لهم عذابا أليما يقول هؤلاء الذين يموتون وهم كفار أعتدنا لهم عذابا أليما لانهم أبعدهم من التوبة كونهم على الكفر كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا محمد بن فضيل عن أبى النضر عن أبى صالح عن ابن عباس ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أبعد من التوبة واختلف أهل العربية فى معنى أعتدنا لهم فقال بعض البصريين معنى اعتدنا أفعلنا من العتاد قال ومعناها أعددنا وقال بعض الكوفيين أعددنا واعتدنا معناهما واحد فمعنى قوله اعتدنا لهم أعددنا لهم عذابا أليما يقول مؤلما موجعا القول فى تأويل قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة﴾ يعنى تبارك وتعالى يا أيها الذين آمنوا يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها يقول لا يحل لكم أن ترثوا نكاح نساء أقاربكم وآبائكم كرها فان قال قائل كيف كانوا يرثونهن وما وجه تحريم وراثتهن فقد علمت أن النساء موروثات كما الرجال موروثون قيل ان ذلك ليس من معنى وراثتهن اذا هن متن فتركن مالا وانما ذلك انهن فى الجاهلية كانت احداهن اذا مات زوجها كان ابنه أو قريبه أولى بها من غيره ومنها بنفسها ان شاء نكحها وان شاء عضلها فمنعها من غيره ولم يزوجها حتى تموت فحرم الله تعالى ذلك على عباده وحظر عليهم نكاح حلائل آبائهم ونهاهم عن عضلهن عن النكاح وبنحو القول الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا أسباط بن محمد قال ثنا أبو اسحق يعنى الشيبانى عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن قال كانوا اذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته ان شاء بعضهم تزوجها وان شاؤا زوجوها وان شاؤا لم يزوجوها وهم أحق بها من أهلها فنزلت هذه الآية فى ذلك وحدثنى أحمد بن محمد الطوسى قال ثنا عبد الرحمن بن صالح قال ثنى محمد بن فضيل عن يحيى بن سعيد عن محمد بن أبى امامة بن سهل بن حنيف عن أبيه قال لما توفى أبو قيس ابن الاسلت أراد ابنه أن يتزوج امرأته وكان ذلك لهم فى الجاهلية فأنزل الله لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى واضح عن الحسين بن واقد عن يزيد

البدل بينهما للبيان واعلم ان للابوين ثلاث أحوال الاولى أن يحصل معهما ولد ولا نزاع أن اسم الولد يقع على الذكر وعلى الانثى فههنا ثلاثة أوجه أحدها أن يحصل معهما ولد ذكر واحد أو أكثر فللابوين لكل واحد منهما السدس والباقى للاولاد بالسوية وثانيها أن يحصل معهما بنتان أو أكثر فالحكم كما ذكر وثالثها أن يكون معهما بنت واحدة فههنا للبنت النصف وللام السدس وللاب السدس بحكم الآية والباقى للاب بحكم التعصيب فان قيل ان حق الوالدين على الولد مما لا يخفى فما الحكمة فى انه تعالى جعل نصيب الاولاد أكثر ونصيب الوالدين أقل فالجواب والله أعلم ان الوالدين ما بقى من عمرهما الا القليل غالبا أما الاولاد فهم فى زمان الصبا فاحتياجهم الى المال أكثر وأيضا كأنهما قالا بلسان الحال للاطفال انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا وأيضا ولد الولد ولد وترفيه حال الولد أهم عند الوالدين من ترفيه حالهما الحالة الثانية أن لا يكون معهما أحد من الاولاد ولا وارث سواهما وهو المراد بقوله فان لم يكن له ولد وورثه أبواه أى فقط فلأمه الثلث ويعلم منه ان الباقى يكون للاب فيكون المال بينهما للذكر مثل حظ الانثيين ويحصل للاب السدس بالفرضية والنصف بالعصوبة ولانه تعالى قد فرضه الثلث للام بأن يكون الوارث منحصرا فى الابوين اختلف العلماء فى أنه اذا ورثه أبواه مع أحد الزوجين فكيف يكون فرض الام فقال ابن عباس يدفع الى الزوج نصيبه أو الى الزوجة نصيبها وللام الثلث بحاله والباقى للاب وذهب الاكثرون الى أن الزوج أو الزوجة لهما نصيبهما ثم يدفع ثلث ما بقى الى الام والباقى للاب ليكون للذكر مثل حظ الانثيين كما هو قاعدة الميراث عند اجتماع الذكر والانثى فيكون الابوان كشريكين بينهما مال فاذا صار شئ منه مستحقا بقى الباقى بينهما على قدر الاستحقاق الاول وأيضا الزوج انما يأخذ سهمه بحكم عقد النكاح لا بحكم القرابة فأشبه الوصية فى قسمة الباقى وعن ابن سيرين أنه وافق ابن عباس فى الزوجة والابوين فانا اذا دفعنا الربع الى الزوجة والثلث الى الام بقى للاب الثلث ونصف السدس أكثر ما للام وخالفه فى الزوج

النحوى عن عكرمة والحسن البصرى قالا فى قوله لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة وذلك أن الرجل كان يرث امرأة ذى قرابته فيعضلها حتى تموت أو تردّ اليه صداقها فأحكم الله عن ذلك يعنى ان الله نهاكم عن ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن سليمان التيمى عن أبى مجلز فى قوله يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها قال كانت الانصار تفعل ذلك كان الرجل اذا مات حميمه ورث حميمه امرأته فيكون أولى بها من ولىّ نفسها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس فى قوله يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها الآية قال كان الرجل اذا مات أبوه أو حميمه فهو أحق بامرأته ان شاء أمسكها أو يحبسها حتى تفتدى منه بصداقها أو تموت فيذهب بمالها قال ابن جريج فأخبرنى عطاء بن أبى رباح ان أهل الجاهلية كانوا اذا هلك الرجل فترك امرأة حبسها أهله على الصبى يكون فيهم فنزلت لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها الآية قال ابن جريج وقال مجاهد كان الرجل اذا توفى أبوه كان أحق بامرأته ينكحها ان شاء اذا لم يكن ابنها أو ينكحها ان شاء أخاه أو ابن أخيه قال ابن جريج وقال عكرمة نزلت فى كبيشة بنت معن بن عاصم من الاوس توفى عنها أبو قيس بن الاسلت فجنح عليها ابنه فجاءت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يا نبى الله لا أنا ورثت زوجى ولا أنا تركت فأنكح فنزلت هذه الآية حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها قال كان اذا توفى الرجل كان ابنه الاكبر هو أحق بامرأته ينكحها اذا شاء اذا لم يكن ابنها أو ينكحها من شاء أخاه أو ابن أخيه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن عمرو بن دينار مثل قول مجاهد حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل قال سمعت عمرو بن دينار يقول مثل ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى أما قوله لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها فان الرجل فى الجاهلية كان يموت أبوه أو أخوه أو ابنه فاذا مات وترك امرأته فان سبق وارث الميت فألقى عليها ثوبه فهو أحق بها أن ينكحها بمهر صاحبه أو ينكحها فيأخذ مهرها وان سبقته فذهبت الى أهلها فهم أحق بنفسها حدثت عن الحسين ابن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان الباهلى قال سمعت الضحاك يقول فى قوله لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها كانوا بالمدينة اذا مات حميم الرجل وترك امرأة ألقى الرجل عليها ثوبه فورث نكاحها وكان أحق بها وكان ذلك عندهم نكاحا فان شاء أمسكها حتى تفتدى منه وكان هذا فى الشرك حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها قال كانت الوراثة فى أهل يثرب بالمدينة ههنا فكان الرجل يموت فيرث ابنه امرأة أبيه كما يرث أمه لا يستطيع أن تمتنع فان أحب أن يتخذها اتخذها كما كان أبوه يتخذها وان كره فارقها وان كان صغيرا حبست عليه حتى يكبر فان شاء أصابها وان شاء فارقها فذلك قول الله

والابوين لانه اذا دفع الى الزوج النصف والى الام الثلث يبقى للاب السدس فيكون للانثى مثل حظ الذكرين هذا عكس قوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين الحالة الثالثة ان يوجد معهما الاخوة والاخوات وذلك قوله فان كان له اخوة فلامه السدس واتفقوا على أن واحدا من الاخوة أو الاخوات لا يحجب الام من الثلث الى السدس واتفقوا على أن ثلاثة منهم يحجبون لكن الاثنين مختلف فيهما فالاكثرون من الصحابة ذهبوا الى اثبات الحجب بهما كما فى الثلاثة بناء على ان الاثنين جمع لوجود التعدد فى التثنية فما فوقها فصح أن يتناول الاخوة للاخوين واستقراء باب الميراث يؤيد ذلك فانه جعل نصيب البنتين الثلثين مثل نصيب البنات وكذلك للاختين والاخوات وذكر الشيخ الكامل محيى الدين بن العربى فى الفتوحات انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فسأله عن خلاف الائمة فى ان أقل الجمع اثنان أو ثلاثة فعلمه ان أقل الجمع فى الشفع اثنان وفى الوتر ثلاثة وقال صلى الله عليه وسلم الاثنان فما فوقهما جماعة وقد احتج ابن عباس بذلك على عثمان فقال كيف تردها الى السدس بالاخوين وليسا باخوة فقال عثمان لا أستطيع رد شئ كان قبلى ومضى فى البلدان فأشار الى اجماعهم قبل أن يظهر ابن عباس الخلاف ثم ان الاثنين أو الثلاثة اذا حجبوا الام عن السدس فذلك السدس يكون لهم حتى يبقى للاب الثلثان أو لا يكون لهم شئ من الميراث ويكون خمسة الاسداس للاب ذهب ابن عباس الى الاول وذهب الجمهور الى الثانى اذ لا يلزم من كون الشخص حاجبا كونه وارثا ولم يرد لهم ذكر الا بالحجب فوجب أن يبقى المال بعد حصول هذا الحجب على ملك الابوين ثم ذكر أن هذه الانصباء انما تدفع الى هؤلاء من بعد وصية يوصى بها أو دين حتى لو استغرق الدين كل مال الميت لم يكن للورثة فيه حق . واذا لم يكن أو كان لكنه قضى وفضل بعده شئ فان أوصى الميت وصية أخرجت من ثلث ما فضل ثم قسم الباقى ميراثا على فرائض الله تعالى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه انكم لتقرؤن الوصية قبل الدين وان الرسول صلى الله عليه وسلم قضى

بالدين قبل الوصية والمراد أنه لا عبرة بالتقديم في الذكر لأن كلمة أو لا تفيد الترتيب البتة وإنما استفيد الترتيب من السنة عكس الترتيب في اللفظ
وفائدة هذا العكس أن الوصية تشبه الميراث في كونها مأخوذة من غير عوض فكان أداؤها مظنة التفريط بخلاف الدين فإن نفوس الورثة
مطمئنة إلى أدائه فكان في تقديمها ترغيب لهم في أدائها وإنما جيء بكلمة أو دلالة على التسوية بينهما في الوجوب

تبارك وتعالى لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها حدثنا محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها وذلك أن رجالا من أهل المدينة كان إذا مات حميم أحدهم ألقى ثوبه على امرأته فورث نكاحها فلم ينكحها أحد غيره وحبسها عنده حتى تفتدي منه بفدية فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها حدثني ابن وكيع قال ثني أبي قال ثنا سفيان عن علي بن بذيمة عن مقسم قال كانت المرأة في الجاهلية إذا مات زوجها فجاء رجل فألقى عليها ثوبه كان أحق الناس بها قال فنزلت هذه الآية لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها فتأويل الآية على هذا التأويل يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا آباءكم وأقاربكم نكاح نسائهم كرها فترك ذكر الآباء والأقارب والنكاح ووجه الكلام إلى النهي عن وراثة النساء اكتفاء بمعرفة المخاطبين بمعنى الكلام إذ كان مفهوما معناه عندهم وقال آخرون بل معنى ذلك لا يحل لكم أيها الناس أن ترثوا النساء تركاتهن كرها قال وإنما قيل ذلك كذلك لأنهم كانوا يعضلون أياماهن وهن كارهات للعضل حتى يمتن فيرثوهن أموالهن ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها قال كان الرجل إذا مات وترك جارية ألقى عليها حميمه ثوبه فمنعها من الناس فإن كانت جميلة تزوجها وإن كانت دميمة حبسها حتى تموت فيرثها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري في قوله لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها قال نزلت في ناس من الأنصار كانوا إذا مات الرجل منهم فأملك الناس بامرأته وليه فيمسكها حتى تموت فيرثها فنزلت فيهم * قال أبو جعفر وأولى القولين بتأويل الآية القول الذي ذكرناه عمن قال معناه لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها أقاربكم لأن الله جل ثناؤه قد بين مواريث أهل المواريث فذلك لأهله بحوز وراثتهم إياه الموروث ذلك عنه من الرجال أو النساء فقد علم بذلك أنه جل ثناؤه لم يحظر على عباده أن يرثوا النساء ما جعله لهم ميراثا عنهن وأنه إنما حظر أن يكرهن موروثات بمعنى حظر وراثة نكاحهن إذا كان ميتهم الذي ورثوه قد كان مالكا عليهن أمرهن في النكاح ملك الرجل منفعة ما استأجر من الدور والأرضين وسائر ماله منافع فأبان الله جل ثناؤه لعباده أن الذي يملكه الرجل منهم من بضع زوجته معناه غير معنى ما يملك أحدهم من منافع سائر المملوكات التي تجوز إجارتها فإن المالك بضع زوجته إذا هو مات لم يكن ما كان له ملكا من زوجته بالنكاح لورثته بعده كما لهم من الأشياء التي كان يملكها بشراء أو هبة أو إجارة بعد موته بميراثه ذلك عنه وأما قوله تعالى ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم تأويله ولا تعضلوهن أي ولا تحبسوا يا معشر ورثة من مات من الرجال أزواجهم عن نكاح من أردن نكاحه من الرجال كيما يمتن فتذهبوا ببعض ما آتيتموهن أي فتأخذوا من أموالهن إذا متن ما كان موتاكم الذين ورثتموهم ساقوا إليهن من صدقاتهن وممن قال ذلك جماعة قد ذكرنا بعضهم منهم ابن عباس والحسن البصري وعكرمة وقال آخرون بل معنى ذلك

ولأن كل مال ليس يحصل فيه الأمران فجيء بأو والفاصلة ليدل على أنه إن كان أحدهما فالميراث بعده وكذلك إن كان كلاهما فالوصية تشبه الدين من جهة أن سهام أهل المواريث معتبرة بعد كل منهما ولكنها تفارق الدين من جهة أنه متى هلك من المال شيء دخل النقصان في أنصباء أصحاب الوصية كما في الإرث بخلاف الدين فإنه يبقى بحاله ثم قال آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا قال أبو البقاء أيهم مبتدأ وأقرب خبره والجملة في موضع نصب بتدرون وهي معلقة عن العمل لفظا لأنها من أفعال القلوب وأقول من الجائز أن لا تكون من أفعال القلوب بل تكون بمعنى المعرفة وكان أيهم مفعوله مبنيا لحذف صدر الصلة نحو لننزعن من كل شيعة أيهم أشد قال المفسرون هذا كلام معترض بين ذكر الوارثين وأنصبائهم وبين قوله فريضة من الله ومن حق الاعتراض أن يناسب ما اعترض بينه ويؤكده فقيل هذا من تمام الوصية أي لا تدرون من أنفع لكم من آبائكم وأبنائكم الذين يموتون أمن أوصى منهم أم من لم يوص يعني أن من أوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الآخرة بإمضاء وصيته فهو أقرب لكم نفعا وأحضر جدوى ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الآخرة أقرب وأحضر من عرض الدنيا ذهابا إلى حقيقة الأمر لأن عرض الدنيا وإن كان عاجلا قريبا في الصورة إلا أنه فان فهو في الحقيقة الأبعد الأقصى وثواب الآخرة وإن كان آجلا إلا أنه باق فهو في الحقيقة الأقرب الأدنى وقيل عن ابن عباس إن الابن إن كان أرفع درجة من أبيه في الجنة سأل أن يرفع أبوه إليه فيرفع وكذلك الأب

ان كان أرفع درجة من ابنه سأل أن يرفع ابنه اليه فأنتم لا تدرون في الدنيا أيهم أقرب لكم نفعا لأن أحدهما لا يعرف أن انتفاعه في الجنة بهذا أكثر أم بذلك وقيل قد فرض الله الفرائض على ما هو عنده حكمة والعقول لا تهتدي الى كمية تلك التقديرات فلو وكل ذلك اليكم لم تعلموا أيهم لكم أنفع فوضعتم أنتم الاموال في غير موضعها وقيل المراد كيفية انتفاع بعضهم ببعض في الدنيا من جهة الانفاق والتربية عنه فلا يدرى أن الابن سيحتاج الى أن ينفق الاب عليه أو الاب سيفتقر الى الابن وقيل المقصود جواز أن يموت هذا قبل ذلك فيرثه وبالضد والقول هو الاول فريضة من الله نصبت على أنها صفة تقوم مقام المصدر المؤكد أي فرض الله ذلك فرضا ان الله كان عليما بكل المعلومات فيكون عالما بما في قسمة المواريث من المصالح والمفاسد حكيما لا يأمر الا بما هو الاحسن الاصلح قال الخليل كان ههنا منخلع عن اعتبار الاقتران بالزمان لانه تعالى منزه عن الدخول تحت الزمان ولكنه من الازل الى الابد عليم حكيم وقال سيبويه ان القوم لما شاهدوا علما وحكمة تعجبوا فقيل لهم ان الله كان كذلك أي لم يزل موصوفا بهذه الصفات هذا واعلم أن الوارث اما أن يكون متصلا بالميت بغير واسطة أو بواسطة وعلى الاول فسبب الاتصال اما أن يكون هو النسب أو الزوجية فهذه ثلاثة أقسام الاول قرابة التوالد الفروع والاصول وهو أشرف الاتصالات لعدم الواسطة ولكثرة المخالطة ولغاية الالفة والشفقة ولهذا قدم في الذكر ويتلوه في الشرف القسم الثاني لمثل ما قلنا ولهذا أردفه بالقسم الاول وذلك قوله ولكم نصف ما ترك أزواجكم الى قوله توصون بها أو دين ثم بين أحوال القسم الثالث وهو الكلالة في قوله وان كان رجل يورث كلالة فما أحسن هذا النسق ولما جعل في الموجب النسبي حظ الرجل مثل حظ الانثيين فكذلك جعل في الموجب السببي وهو الزوجية حظ الزوج ضعف حظ الزوجة وقد نبه في الآية على فضل الرجال حيث ذكرهم على سبيل المخاطبة ثمان مرات وذكرهن على الغيبة أقل من ذلك ثم الواحدة والجماعة سواء

ولا تعضلوا أيها الناس نساءكم فتحبسوهن ضرارا ولا حاجة لكم اليهن فتضروا بهن ليفتدين منكم بما آتيتموهن من صداقاتهن ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ولا تعضلوهن يقول لا تقهروهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن يعني الرجل تكون له المرأة وهو كاره لصحبتها ولها عليه مهر فيضر بها لتفتدي حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ولا تعضلوهن يقول لا يحل لك أن تحبس امرأتك ضرارا حتى تفتدي منك قال أخبرنا معمر قال وأخبرني سماك بن الفضل عن ابن البيلماني قال نزلت هاتان الآيتان احداهما في أمر الجاهلية والاخرى في أمر الاسلام حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن معمر قال أخبرنا سماك بن الفضل عن عبد الرحمن بن البيلماني في قوله لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن قال نزلت هاتان الآيتان احداهما في الجاهلية والاخرى في الاسلام قال عبد الله لا يحل لكم أن ترثوا النساء في الجاهلية ولا تعضلوهن في الاسلام حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد ولا تعضلوهن قال لا تحبسوهن حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن أما تعضلوهن فيقول تضاروهن ليفتدين منكم حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سلمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله ولا تعضلوهن قال العضل أن يكره الرجل امرأته فيضر بها حتى تفتدي منه قال الله تبارك وتعالى وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وقال آخرون المعني بالنهي عن عضل النساء في هذه الآية أولياؤهن ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن أن ينكحن أزواجهن كالعضل في سورة البقرة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وقال آخرون بل المنهي عن ذلك زوج المرأة بعد فراقه اياها وقالوا ذلك كان من فعل الجاهلية فنهوا عنه في الاسلام ذكر من قال ذلك حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد كان العضل في قريش بمكة ينكح الرجل المرأة الشريفة فلعلها لا توافقه فيفارقها على أن لا تتزوج الا باذنه فيأتي بالشهود فيكتب ذلك عليها ويشهد فاذا خطبها خاطب فان أعطته وأرضته أذن لها والا عضلها قال فهذا قول الله ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الآية * قال أبو جعفر قد بينا فيما مضى معنى العضل وما أصله بشواهد ذلك من الأدلة وأولى هذه الاقوال التي ذكرناها بالصحة في تأويل قوله ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن قول من قال نهى الله جل ثناؤه زوج المرأة عن التضييق عليها والاضرار بها وهو لصحبتها كاره ولفراقها محب لتفتدي منه ببعض ما آتاها من الصداق وانما قلنا ذلك أولى بالصحة لانه لا سبيل لأحد الى عضل امرأة الا لأحد رجلين اما لزوجها بالتضييق عليها وحبسها على نفسه وهو لها كاره مضارة منه لها بذلك ليأخذ منها ما آتاها بافتدائها منه نفسها بذلك أو لوليها الذي اليه انكاحها

انكاحها واذا كان لا سبيل الى عضلها الا لاحد غيرهما وكان الولي معلوما أنه ليس ممن آتاها شيأ فيقال ان عضلها عن النكاح عضلها ليذهب ببعض ما آتاها كان معلوما أن الذي عنى الله تبارك وتعالى بنهيه عن عضلها هو زوجها الذي له السبيل الى عضلها ضرارا لتفتدي منه واذا صح ذلك وكان معلوما أن الله تعالى ذكره لم يجعل لاحد السبيل على زوجته بعد فراقه اياها وبينونتها منه فيكون له الى عضلها سبيل لتفتدي منه من عضله اياها أتت بفاحشة أم لم تأت بها وكان الله جل ثناؤه قد أباح للازواج عضلهن اذا أتين بفاحشة مبينة حتى يفتدين منه كان بينا بذلك خطأ التأويل الذي تأوله ابن زيد وتأويل من قال عنى بالنهي عن العضل في هذه الآية أولياء الايامى وصحة ما قلنا فيه ولا تعضلوهن في موضع نصب عطفا على قوله أن ترثوا النساء كرها ومعناه لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن وكذلك هي فيما ذكر في حرف ابن مسعود ولو قيل هو في موضع جزم على وجه النهي لم يكن خطأ (ق) القول في تأويل قوله ﴿الا أن يأتين بفاحشة مبينة﴾ يعني بذلك جل ثناؤه لا يحل لكم أيها المؤمنون أن تعضلوا نساءكم ضرارا منكم لهن وأنتم لصحبتهن كارهون وهن لكم طائعات لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن من صدقاتهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة فيحل لكم حينئذ الضرار بهن ليفتدين منكم ثم اختلف أهل التأويل في معنى الفاحشة التي ذكرها الله جل ثناؤه في هذا الموضع فقال بعضهم معناها الزنا وقال اذا زنت امرأة الرجل حل له عضلها والضرار بها لتفتدي منه بما آتاها من صداقها ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا أشعث عن الحسن في البكر تفجر قال تضرب مائة وتنفى سنة وترد الى زوجها ما أخذت منه وتأول هذه الآية ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن عطاء الخراساني في الرجل اذا أصابت امرأته فاحشة أخذ ما ساق اليها وأخرجها فنسخ ذلك الحدود حدثنا أحمد بن منيع قال ثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا معمر عن أيوب عن أبي قلابة قال اذا رأى الرجل من امرأته فاحشة فلا بأس أن يضارها ويشق عليها حتى تختلع منه حدثنا ابن حميد قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرني معمر عن أيوب عن أبي قلابة في الرجل يطلع من امرأته على فاحشة فذكر نحوه حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي الا أن يأتين بفاحشة مبينة وهو الزنا فاذا فعلن ذلك فخذوا مهورهن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عبد الكريم انه سمع الحسن البصري الا أن يأتين بفاحشة قال الزنا قال وسمعت الحسن وأبا الشعثاء يقولان فان فعلت حل لزوجها أن يكون هو يسألها الخلع لتفتدي وقال آخرون الفاحشة المبينة في هذا الموضع النشوز ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الا أن يأتين بفاحشة مبينة وهو البغض والنشوز فاذا فعلت

في الربع والثمن ولا فرق في الولد بين الذكر والانثى ولا بين الابن وابن الابن ولا بين البنت وبنت الابن ويخرج منه ولد البنت لانه لا يرث وههنا مسئلة قال الشافعي يجوز للزوج غسل زوجته لانها بعد الموت زوجته بدليل قوله تعالى ولكم نصف ما ترك أزواجكم وقال أبو حنيفة لا يجوز لانها ليست زوجته ولو كانت زوجته لحل له وطؤها لقوله الا على أزواجهم وأجيب بانه لو لم تكن زوجة له لكان قوله ما ترك أزواجكم مجازا ولو كانت زوجة مع أنه لا يحل له وطؤها لزم التخصيص واذا تعارض المجاز والتخصيص فالتخصيص أولى كما بين في أصول الفقه وكيف لا وقد علم في صور كثيرة حصول الزوجية مع حرمة الوطء كزمان الحيض والنفاس ونهار رمضان وعند اشتغالها بالصلاة المفروضة والحج المفروض وعند كونها في العدة عن الوطء بالشبهة وأيضا حل الوطء ثابت على خلاف الاصل لما فيه من المصالح وعند الموت لم يبق شئ من تلك المصالح فعاد الى أصل الحرمة أما حل الغسل ففيه مصالح فوجب القول ببقائه واختلفوا في تفسير الكلالة فعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه سئل عن الكلالة فقال أقول فيه برأيي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني ومن الشيطان والله برئ منه الكلالة ما خلا الوالد والولد وعن عمر رضي الله عنه الكلالة من لا ولد له فقط وعنه في رواية أخرى التوقف وكان يقول ثلاثة لأن يكون بينهن الرسول صلى الله عليه وسلم لنا أحب الي من الدنيا وما فيها الكلالة والخلافة والربا وقيل الكلالة القرابة من غير جهة الولد والوالد ومنه قولهم ما ورث المجد عن كلالة كما يقول ماصمت عن عي قال الفرزدق

ورثتم قناة الملك لا عن كلالة * عن ابني مناف عبد شمس وهاشم

والمختار الصحيح من الاقوال قول أبي بكر لان الكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء قال الاعشى

فآليت لا أرثي لها من كلالة * ولا من وجى حتى تلاقي محمدا

ذلك فقد حل له منها الفدية حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عن علي بن بذيمة عن مقسم في قوله ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا أن يفحشن في قراءة ابن مسعود قال اذا عضلت وآذتك فقد حل لك أخذ ما أخذت منك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مطرف ابن طريف عن خالد عن الضحاك بن مزاحم الا أن يأتين بفاحشة مبينة قال الفاحشة ههنا النشوز فاذا نشزت حل له أن يأخذ خلعها منها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله الا أن يأتين بفاحشة مبينة قال هو النشوز حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء بن أبي رباح الا أن يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن ان شئتم امسكتموهن وان شئتم أرسلتموهن حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سلمان قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول في قوله الا أن يأتين بفاحشة مبينة قال عدل ربنا تبارك وتعالى في القضاء فرجع الى النساء فقال الا أن يأتين بفاحشة مبينة والفاحشة العصيان والنشوز فاذا كان ذلك من قبلها فان الله أمره أن يضربها وأمره بالهجر فان لم تدع العصيان والنشوز فلا جناح عليه بعد ذلك أن يأخذ منها الفدية

* قال أبو جعفر وأولى ما قيل في تأويل قوله الا أن يأتين بفاحشة مبينة أنه معني به كل فاحشة من بذاءة باللسان على زوجها وأذى له وزنا بفرجها وذلك أن الله جل ثناؤه عم بقوله الا أن يأتين بفاحشة مبينة كل فاحشة مبينة ظاهرة فلكل زوج امرأة أتت بفاحشة من الفواحش التي هي زنا أو نشوز فله عضلها على ما بين الله في كتابه والتضييق عليها حتى تفتدي منه بأي معاني فواحش أتت بعد أن تكون ظاهرة مبينة بظاهر كتاب الله تبارك وتعالى وصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كالذي حدثني يونس بن سليمان البصري قال ثنا حاتم بن اسمعيل قال ثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الله في النساء فانكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وان لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال ثنا زيد بن الحباب قال ثنا موسى بن عبيدة الربذي قال ثنا صدقة بن يسار عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيها الناس ان النساء عندكم عوان أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن حق ولهن عليكم حق ومن حقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا ولا يعصينكم في معروف واذا فعلن ذلك فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف فأخبر صلى الله عليه وسلم أن من حق الزوج على المرأة أن لا توطئ فراشه أحدا وأن لا تعصيه في معروف وأن الذي يجب لها من الرزق والكسوة عليه انما هو واجب عليه اذا أدت هي اليه ما يجب عليها من الحق بتركها ايطاء فراشه غيره وتركها معصيته في معروف ومعلوم أن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم من حقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا انما هو أن لا يمكن أنفسهن من أحد سواكم واذا كان ما روي ينافي ذلك صحيحا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين أن لزوج

فاستعيرت للقرابة من غير جهة الوالد والولد لانها بالاضافة الى قرابة الاصول والفروع كلالة ضعيفة ويحتمل أن يقال هي من الاكليل لانهم يحيطون بالانسان احاطة الاكليل بالرأس بخلاف قرابة الولادة فانها تذهب على الاستقامة كما قال

نسب تتابع كابرا عن كابر * كالرمح أنبوبا على أنبوب

وأيضا فانه تعالى قال في آخر السورة قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد فاحتج عمر بذلك والجواب أنه تعالى حكم في تلك الآية بتوريث الاخوة والاخوات حال كون الميت كلالة ولا شك أن الاخوة والاخوات لا يرثون حال وجود الابوين فيلزم أن لا يكون الميت كلالة حال وجود الابوين وأيضا انه تعالى ذكر حكم الولد والوالدين في الآيات المتقدمة ثم أتبعها ذكر الكلالة وهذا الترتيب يقتضي أن يكون الكلالة من عدا الوالدين والولد ثم الكلالة قد يجعل وصفا للمورث والمراد الذي يرثه من سوى الوالدين والاولاد ويمكن أن يحمل عليه بيت الفرزدق أي ما ورثتم الملك عن الاعمام بل عن الآباء فسمى العم كلالة وهو ههنا مورث لا وارث وقد يجعل وصفا للوارث ومنه قول جابر مرضت مرضا أشفيت منه على الموت فأتاني النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله اني رجل لا يرثني الا كلالة وأراد به أنه ليس له والد ولا ولد ويقال رجل كلالة وامرأة كلالة وقوم كلالة لا يثنى ولا يجمع لانه مصدر كالدلالة والحلالة واذا جعلت صفة للوارث أو المورث كانت بمعنى ذي كلالة كما يقال فلان من قرابتي أي من ذوي قرابتي ويجوز أن يكون صفة كالهجاجة والفقاقة يقال رجل هجاجة وفقاقة كلاهما بالتخفيف أي أحمق وقوله تعالى وان كان رجل يورث فيه احتمالان الاول وهو قول عطاء والضحاك أن يكون مأخوذا من ورث المرأة الرجل يرث فيكون الرجل هو المورث منه وينتصب كلالة على الحال أو على أنه خبر كان ويورث صفة رجل ويجوز أن يكون مفعولا له أي يورث لاجل كونه كلالة والثاني وهو قول سعيد بن جبير أن يكون مبنيا للمفعول من أورث فالرجل حينئذ هو الوارث وينتصب كلالة

المرأة إذا أوطأت امرأته نفسها غيره وأمكنت من جماعها سواه أن له من منعها الكسوة والرزق بالمعروف مثل الذي له من منعها ذلك إذا هي عصته في المعروف وإذا كان ذلك له فمعلوم أنه غير مانع لها بمنعه إياها ما له منعها حقا لها واجبا عليه وإذا كان ذلك كذلك فبين أنها إذا افتدت نفسها عند ذلك من زوجها فأخذ منها زوجها ما أعطته أنه لم يأخذ ذلك عن عضل منهي عنه بل هو أخذ ما أخذ منها عن عضل له مباح وإذ كان ذلك كذلك كان بينا أنه داخل في استثناء الله تبارك وتعالى الذي استثناه من العاضلين بقوله ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وإذ صح ذلك فبين فساد قول من قال إلا أن يأتين بفاحشة مبينة منسوخ بالحدود لأن الحد حق الله تعالى على من أتى بالفاحشة التي هي زنا وأما العضل لتفتدي المرأة من الزوج بما آتاها أو ببعضه فحق لزوجها كما عضله إياها وتضييقه عليها إذا هي نشزت عليه لتفتدي منه حق له وليس حكم أحدهما يبطل حكم الآخر فمعنى الآية ولا يحل لكم أيها الذين آمنوا أن تعضلوا نساءكم فتضيقوا عليهن وتمنعوهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن من صدقاتكم إلا أن يأتين بفاحشة من زنا أو بذاء عليكم وخلاف لكم فيما يجب عليهن لكم مبينة ظاهرة فيحل لكم حينئذ عضلهن والتضييق عليهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن من صداق إن هن افتدين منكم به واختلفت القراء في قراءة قوله مبينة فقرأه بعضهم مبينة بفتح الياء بمعنى أنها قد بينت لكم وأعلنت وأظهرت وقرأه بعضهم مبينة بكسر الياء بمعنى أنها ظاهرة بينة للناس أنها فاحشة وهما قراءتان مستفيضتان في قراءة أمصار الإسلام فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب في قراءته الصواب لأن الفاحشة إذا أظهرها صاحبها فهي ظاهرة بينة وإذا ظهرت فبإظهار صاحبها إياها ظهرت فلا تكون ظاهرة بينة إلا وهي مبينة ولا مبينة إلا وهي مبينة فلذلك رأيت القراءة بأيهما قرأ القارئ صوابا

القول في تأويل قوله ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾ يعني جل ثناؤه بقوله وعاشروهن بالمعروف وخالقوا أيها الرجال نساءكم وصاحبوهن بالمعروف يعني بما أمرتكم به من المصاحبة وذلك إمساكهن بأداء حقوقهن التي فرض الله جل ثناؤه لهن عليكم إليهن أو تسريح منكم لهن بإحسان كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي وعاشروهن بالمعروف يقول وخالطوهن كذا قال محمد بن الحسين وإنما هو خالقوهن من العشرة وهي المصاحبة

القول في تأويل قوله ﴿فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا﴾ يعني بذلك تعالى ذكره ولا تعضلوا نساءكم لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن من غير ريبة ولا نشوز كان منهن ولكن عاشروهن بالمعروف وإن كرهتموهن فلعلكم إن تكرهوهن فتمسكوهن فيجعل الله لكم في إمساككم إياهن على كره منكم لهن خيرا كثيرا من ولد يرزقكم منهن أو عطفكم عليهن بعد كراهتكم إياهن كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا يقول فعسى الله أن يجعل في الكراهة خيرا كثيرا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح

على الوجوه المذكورة قبل ما السبب في أنه قال وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة ثم قال وله أخ فكنى عن الرجل ولم يكن عن المرأة والجواب أنه إذا جاء حرفان في معنى واحد جاز إسناد التفسير إلى أيهما أريد وجاز إسناده إليهما أيضا تقول من كان له أخ أو أخت فليصله أو فليصلها والترجيح بالتذكير لشرف معارض بالتأنيث للقرب وإن قلت فليصلهما جاز أيضا ولعل التوحيد والتذكير في الآية أولى لما أن الرجال في الأحكام أصل والنساء تبع لهم وإما بتأويل أحد المذكورين ثم إن المفسرين أجمعوا على أن المراد من الأخ والأخت ههنا الأخ والأخت من الأم ويدل عليه ما نسب إلى أبي وسعد بن أبي وقاص وله أخ أو أخت من أم فلكل واحد منهما أي من الأخ والأخت السدس من غير مفاضلة الذكر على الأنثى هذا على الاحتمال الأول وهو أن الرجل مورث منه وأما على الاحتمال الثاني وهو أن الرجل وارث فالضمير عائد إلى الرجل وإلى واحد من أخيه أو أخته والمعنى مثل الأول لأنك إذا قلت السدس له أو لواحد من الأخ والأخت على التخيير فقد سويت بين الذكر والأنثى ثم قال فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث فبين أن نصيبهم كيفما كانوا لا يزداد على الثلث وقد يسند الإجماع إلى هذا بيانه أنه قال في آخر السورة قل الله يفتيكم في الكلالة وأثبت للأختين الثلثين وللإخوة كل المال وههنا أثبت للإخوة والأخوات السدس عند الانفراد والثلث عند الاجتماع فعلم أن المراد من الإخوة والأخوات ههنا غير المراد من الإخوة والأخوات في تلك الآية فالمراد ههنا الإخوة والأخوات من الأم وهم الأخياف وهناك الإخوة والأخوات من الأب والأم وهم الأعيان أو من الأب وهم أولاد العلات فالكلالة وإن كانت عامة لمن عدا الوالد والولد إلا أنها في الآية خاصة كما بينا غير مضار حال أي يوصي بها وهو غير مضار لورثته ومن قرأ يوصى مبنيا للمفعول فعامل الحال محذوف يدل عليه المذكور أي يوصي إذ علم أن ثمة موصيا والضمير فيه وهو ذو الحال يعود إلى رجل على تقدير أنه المورث أو إلى الميت الدال عليه سياق الكلام أي إن كان الرجل وارثا وضرار الورثة

بأن يوصى بأزيد من الثلث أو بالثلث فمادونه ونيته مضارة الورثة ومغاضبتهم وقطع الميراث عنهم لا وجه الله وقد يقر أن الدين الذى كان له على غيره قد استوفاه أو يبيع شيأ بثمن بخس أو يشترى شيأ بثمن غال كل ذلك لئلا يصل المال الى الورثة قال العلماء الاولى بالانسان أن ينظر فى قدر ما يخلف ومن يخلف ثم يجعل وصيته بحسب ذلك فان كان فى المال قلة وفى الورثة كثرة لم يوص وان كان بالعكس أوصى على قانون العدالة وقد روى عن عكرمة عن ابن عباس أن الاضرار فى الوصية من الكبائر ويروى مرفوعا وعن شهر بن حوشب عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة فاذا أوصى وحاف فى وصيته ختم له بشر عمله فيدخل النار وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار سبعين سنة فيعدل فى وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة وعنه من قطع ميراثا فرضه الله قطع الله ميراثه من الجنة وصية من الله نصب على المصدر المؤكد أو على انه مفعول مضار أى لا يضار وصية من الله وهو الثلث فمادونه بزيادته على الثلث أو وصية من الله بالأولاد أن لا يدعهم عالة باسرافه فى الوصية والله عليم بمن جار فى وصيته أو عدل حليم عن الجائر لا يعاجله بالعقوبة وفيه من الوعيد ما لا يخفى ثم أكد الوعيد بالترغيب والترهيب فقال تلك حدود الله وهو اشارة الى جميع ما ذكر فى السورة من أحكام اليتامى والوصايا والمواريث وغيرها وهى الشرائع التى لا يجوز للمكلف أن يتجاوزها ويتخطاها الى ما ليس له بحق وقوله ومن يطع الله ومن يعص الله عام فى هذه التكاليف وفى غيرها كما أن الوالد يقبل على ولده ويؤدبه فى أمر مخصوص ثم يقول احذر مخالفتى ويكون مقصوده منعه من معصيته فى جميع الامور وانما قيل يدخله وخالدين حملا على لفظ من ومعناه

عن مجاهد مثله حدثنى محمد بن الحسين قال ثنى أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله ويجعل الله فيه خيرا كثيرا قال الولد حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ويجعل الله فيه خيرا كثيرا والخير الكثير أن يعطف عليها فيرزق الرجل ولدها ويجعل الله فى ولدها خيرا كثيرا والهاء فى قوله ويجعل الله فيه خيرا كثيرا على قول مجاهد الذى ذكرناه كناية عن مصدر تكرهوا كأن معنى الكلام عنده فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ولو كان تأويل الكلام فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فى ذلك الشئ الذى تكرهونه خيرا كثيرا كان جائزا صحيحا ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وان أردتم أيها المؤمنون نكاح امرأة مكان امرأة لكم تطلقونها وآتيتم احداهن يقول وقد أعطيتم التى تريدون طلاقها من المهر قنطارا والقنطار المال الكثير وقد ذكرنا فيما مضى اختلاف أهل التأويل فى مبلغه والصواب من القول فى ذلك عندنا فلا تأخذوا منه شيئا يقول فلا تضروا بهن اذا أردتم طلاقهن ليفتدين منكم بما آتيتموهن كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وان أردتم استبدال زوج مكان زوج طلاق امرأة مكان أخرى فلا يحل له من مال المطلقة شئ وان كثر حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿أتأخذونه بهتانا واثما مبينا﴾ يعنى بقوله تعالى ذكره أتأخذونه أتأخذون ما آتيتموهن من مهورهن بهتانا يقول ظلما بغير حق واثما مبينا يعنى واثما قد أبان أمر آخذه أنه بأخذه اياه لمن أخذه منه ظالم ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض﴾ يعنى جل ثناؤه قوله وكيف تأخذونه وعلى أى وجه تأخذون من نسائكم ما آتيتموهن من صدقاتهن اذا أردتم طلاقهن واستبدال غيرهن بهن أزواجا وقد أفضى بعضكم الى بعض فتباشرتم وتلامستم وهذا كلام وان كان مخرجه مخرج الاستفهام فانه فى معنى النكير والتغليظ كما يقول الرجل لآخر كيف تفعل كذا وكذا وأنا غير راض به على معنى التهديد والوعيد وأما الافضاء الى الشئ فانه الوصول اليه بالمباشرة له كما قال الشاعر

بلى (١) أفضى الى كتبة * بدا سيرها من باطن بعد ظاهر

يعنى بذلك ان الفساد والبلى وصل الى الخرز والذى عنى به الافضاء فى هذا الموضع الجماع فى الفرج فتأويل الكلام اذ كان ذلك معناه وكيف تأخذون ما آتيتموهن وقد أفضى بعضكم الى بعض بالجماع وبنحو ما قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى عبد الحميد ابن بيان القناد قال ثنا اسحق عن سفيان عن عاصم عن بكر بن عبد الله عن ابن عباس قال الافضاء المباشرة ولكن الله كريم يكنى عما يشاء حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان

(١) كذا بياض فى النسخ ولم نعثر على البيت بعد البحث بفرر كتبه مصححه

وانتصب خالدين وخالدا على الحال ولا يجوز أن يكونا صفتين لجنات ونار لانهما جريا على غير من هما له فكان يلزم حينئذ أن يقال خالدين هم فيها وخالدا هو فيها قالت المعتزلة الآية تدل على القطع بوعيد الفساق وخلودهم وذلك أن التعدى فى جميع حدود الله محال لان من حدوده

ترك اليهودية والنصرانية والمجوسية والتعدي فيها هو الاتيان بجميعها وذلك محال فان المراد تعدي أي حد كان ولان الآية مذكورة عقيب قسمة المواريث فيكون المراد التعدي في هذه الحدود وأجيب عما مر من أن ذلك مشروط عند كم بعدم التوبة فأي مانع لنا من أن نزيد فيه شرطا آخر وهو عدم العفو وبأن الآية لعلها مخصوصة بالكافر

سفيان عن عاصم عن بكر عن ابن عباس قال الافضاء الجماع ولكن الله يكني حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عاصم عن بكر بن عبد الله المزني عن ابن عباس قال الافضاء هو الجماع حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وقد أفضى بعضكم الى بعض قال مجامعة النساء حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض يعني المجامعة ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ وأخذن منكم ميثاقا غليظا ﴾ أي ما وثقت به لهن على أنفسكم من عهد واقرار منكم بما أقررتم به على أنفسكم من امساكهن بمعروف أو تسريحهن باحسان وكان في عقد المسلمين النكاح قديما فيما بلغنا أن يقال للناكح آلله عليك لتمسكن بمعروف أو لتسرحن باحسان حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا والميثاق الغليظ الذي أخذه للنساء على الرجال امساك بمعروف أو تسريح باحسان وقد كان في عهد المسلمين عند انكاحهم آلله عليك لتمسكن بمعروف أو لتسرحن باحسان واختلف أهل التأويل في الميثاق الذي عنى الله جل ثناؤه بقوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا فقال بعضهم هو امساك بمعروف أو تسريح باحسان ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال امساك بمعروف أو تسريح باحسان حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال هو ما أخذ الله تبارك وتعالى للنساء على الرجال فامساك بمعروف أو تسريح باحسان قال وقد كان ذلك يؤخذ عند عقد النكاح حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي أما وأخذن منكم ميثاقا غليظا فهو أن ينكح المرأة فيقول وليها أنكحناكها بأمانة الله على أن تمسكها بالمعروف أو تسرحها باحسان حدثنا عمرو ابن علي قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال الميثاق الغليظ الذي أخذه الله للنساء امساك بمعروف أو تسريح باحسان وكان في عقدة المسلمين عند نكاحهن أيم الله عليك لتمسكن بمعروف ولتسرحن باحسان حدثنا عمرو بن علي قال ثنا أبو قتيبة قال ثنا أبو بكر الهذلي عن الحسن ومحمد بن سيرين في قوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال امساك بمعروف أو تسريح باحسان وقال آخرون هو كلمة النكاح التي استحل بها الفرج ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال كلمة النكاح التي استحل بها فروجهن حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا محمد بن بشار

لأن جميع المعاصي يصح استثناؤها من هذا اللفظ أي ومن يعص الله في كذا وفي كذا وذلك لا يتحقق الا في حق الكافر نعم يخرج منه ما يخصصه دليل عقلي كما ذكرتم من استحالة الجمع بين اليهودية والنصرانية ومما يؤكد كون الآية مخصوصة بالكافر أن قوله ومن يعص الله ورسوله يفيد كونه فاعلا للمعاصي فلو كان المراد من قوله ويتعد حدوده أيضا ذلك لزم التكرار فوجب حمله على الكفر وان سلم أن المراد هو التعدي في حدود المواريث فلعل المراد من التعدي هو اعتقاد كونها الا على وجه الحكمة والصواب ويلزم منه الكفر والله أعلم بمراده قوله عز طوله واللاتي يأتين الفاحشة الآية وجه النظم فيه أن التغليظ عليهن في باب الفاحشة من جملة الاحسان اليهن المأمور به في الآيات المتقدمة وفيه أن مدار الشرع على العدل والانصاف والاحتراز في كل باب من طرفي التفريط والافراط فلا ينبغي أن يصير الاحسان اليهن سببا لترك اقامة الحدود عليهن واللاتي جمع التي وفيه لغات اللائي بالهمزة واللواتي واللوائي فكأنهما جمعا الجمع وقد تحذف الياآت من الاربعة وقد تسهل همزة اللائي بين الهمزة والياء لكونها مكسورة لقراءة ورش واللاء يئسن من المحيض وقد يقال اللاي بياء ساكنة بعد الالف من غير همز وقد يقال اللوا بحذف التاء والياء معا وقد يقال اللاآت كاللامات قال ابن الانباري العرب تقول في الجمع من غير الحيوان التي ومن الحيوان اللاتي كقوله أموالكم التي جعل الله لكم قياما وقال في هذه الآية واللاتي لان الجمع من غير الحيوان سبيله سبيل الشيء الواحد بخلاف جمع الحيوان فان كل واحد منها متميز عن غيره بخواص وصفات ومن العرب من يلغي هذا الفرق والفاحشة

قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان عن أبي هاشم المكي عن مجاهد في قوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال قوله نكحت حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عن محمد بن كعب القرظي وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال هو قولهم قد ملكت النكاح حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن سالم الافطس عن مجاهد وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال كلمة النكاح حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال الميثاق النكاح حدثنا عمرو بن علي قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان قال ثني سالم الافطس عن مجاهد وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال كلمة النكاح قوله نكحت وقال آخرون بل عنى قول النبي صلى الله عليه وسلم أخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن جابر وعكرمة وأخذن منكم ميثاقا غليظا قالا أخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع وأخذن منكم ميثاقا غليظا والميثاق الغليظ أخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بتأويل ذلك قول من قال الميثاق الذي عنى به في هذه الآية هو ما أخذ للمرأة على زوجها عند عقدة النكاح من عهد على امساكها بمعروف أو تسريحها باحسان فأقر به الرجل لان الله جل ثناؤه بذلك أوصى الرجال في نسائهم وقد بينا معنى الميثاق فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع واختلف في حكم هذه الآية أمحكم أم منسوخ فقال بعضهم محكم وغير جائز للرجل أخذ شيء مما آتاها اذا أراد طلاقها الا أن تكون هي المريدة الطلاق وقال آخرون هي محكمة وغير جائز له أخذ شيء مما آتاها منها بحال كانت هي المريدة للطلاق أو هو وممن حكى عنه هذا القول بكر بن عبد الله المزني حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا عقبة بن أبي المهنا قال سألت بكرا عن المختلعة أيأخذ منها شيئا قال لا وأخذن منكم ميثاقا غليظا وقال آخرون بل هي منسوخة نسخها قوله ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا أن يخافا ألا يقيما حدود الله ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وان أردتم استبدال زوج مكان زوج الى قوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال ثم رخص بعد فقال ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به قال فنسخت هذه تلك * قال أبو جعفر وأولى الاقوال بالصواب في ذلك قول من قال انها محكمة غير منسوخة وغير جائز للرجل أخذ شيء مما آتاها اذا أراد طلاقها من غير نشوز كان منها ولا ريبة أتت بها وذلك ان الناسخ من الاحكام ما نفى خلافه من الاحكام على ما قد بينا في سائر كتبنا وليس في قوله وان أردتم استبدال زوج مكان زوج نفي حكم قوله فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به لان الذي حرم الله على الرجل بقوله وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أخذ ما آتاها منها اذا كان هو

الفعلة المتزايدة في القبح مصدر كالعافية وأجمعوا على انها الزنا ههنا قال المحققون خص هذا العمل بالفاحشة لان القوى البدنية نطقية وغضبية وشهوية وفساد الاولى الكفر والبدعة وأمثالها وفساد الثانية القتل بغير حق ونحوه وفساد الثالثة الزنا واللواط والسحق وما أشبهها وهذه أخص الجميع ومعنى من نسائكم من زوجاتكم أو من الحرائر أو من نسائكم المؤمنات والثيبات أقوال فاستشهدوا عليهن أربعة منكم احتياطا لامر الزنا والمراد بقوله منكم أي من رجالكم قال الزهري مضت السنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والخليفتين بعده أن لا تقبل شهادة النساء في الحدود فان شهدوا مفصلا مفسرا كقولهم رأيناه أدخل فرجه في فرجها كالمرود في المكحلة أو كالرشاء في البئر ولا بد مع ذلك من الوصف بالتحريم لا بمعنى عرضي كالحيض ولا مع تحليل عالم كالمتعة ولا بشبهة فامسكوهن في البيوت خلدوهن محبوسات في بيوتكم حتى يتوفاهن الموت أي ملائكة الموت أو حتى يأخذهن الموت ويستوفي أرواحهن أو يجعل الله لهن سبيلا بالنكاح أو بالحد واللذان يأتيانها منكم يعني الزاني والزانية أو اللائط والملوط فآذوهما فوبخوهما وقولوا لهما أما استحييتما أما خفتما الله أما لكما في النكاح مندوحة عن هذه فان تابا وأصلحا وغيرا الحال فاعرضوا عنهما فاقطعوا التوبيخ والذم أو خوطب الشهود الذين عثروا على سرهما أن يهددوهما بالرفع الى الامام والحد فان تابا قبل الرفع الى الامام فاعرضوا عن العرض على الامام * واعلم أن للعلماء خلافا في الآيتين فعن الحسن أن الثانية مقدمة في النزول أمروا بايذاء الزانيين أولا ثم أمروا بامساك النساء في البيوت الى أن يتبين أحوالهن وقال السدي المراد بهذه الآية البكر من الرجال والنساء وبالآية الاولى الثيب وعن أبي مسلم أن الآية الاولى في السحاقات وحدها الحبس الى الموت الا أن يخلصهن الله والثانية في اللائطين وحدهما الاذى بالقول والفعل والدليل على ذلك تذكير اللذان ولفظ منكم أي من رجالكم كما في قوله أربعة منكم وأما الزنا من الرجل والمرأة فذلك في سورة

النور وحده في البكر الجلد وفي المحصن الرجم وعلى هذا لا يلزم نسخ شيء من الآيات ولا تكرار الشيء الواحد في الموضع الواحد مرتين وزيف قول أبي مسلم بانه قول لم يقل به أحد وبأن الصحابة اختلفوا في أحكام اللواطة ولم يتمسك أحد منهم بهذه الآية وعدم تمسكهم بها مع شدة احتياجهم الى نص يدل على هذا الحكم دليل على أن الآية ليست في اللواطة وأجاب أبو مسلم بأنه قول مجاهد وهو من أكابر المفسرين على أنه بين في الاصول ان استنباط تأويل جديد جائز وأيضا كان مطلوب الصحابة معرفة حد اللوطي وكمية ذلك وليس في الآية دلالة عليه بالنفي والاثبات ومطلق الايذاء لا يصلح للحد وجمهور المفسرين على أن الآيتين في الزنا وانهما منسوختان لما روى مسلم في كتابه عن عبادة بن الصامت كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا أنزل عليه كرب لذلك وتربد له وجهه فأنزل عليه ذات يوم فلقي كذلك فلما سرى عنه قال خذوا عني فقد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم ثم استقر الامر آخرا على أن البكر يجلد ويغرب والثيب يرجم فقط وقيل ان هذه الآية صارت منسوخة بآية الجلد وعن أصحاب أبي حنيفة ان آية الحبس نسخت بالحديث والحديث منسوخ بآية الجلد وآية الجلد نسخت بدلائل الرجم وقال في الكشاف من الجائز أن لا تكون الآية منسوخة بأن يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصى بامساكهن في البيوت بعد أن يحددن صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال وقال الشيخ أبو سليمان الخطابي في معالم السنن انه لم يحصل النسخ في الآية ولا في الحديث وذلك ان الآية تدل على ان امساكهن في البيوت ممدود الى غاية أن يجعل الله لهن سبيلا ثم ان ذلك السبيل كان مجملا فلما قال صلى الله عليه وسلم خذوا عني الثيب يرجم والبكر يجلد وينفى صار هذا الحديث بيانا لتلك الآية لا ناسخا لها وصار أيضا مخصصا لعموم آية الجلد والله تعالى عليم ثم أخبر عن المستحقين لقبول التوبة وعن المستحقين لعدم القبول فقال انما التوبة على الله واجبة وجوب الوعد والكرم لا وجوبا يستحق بتركه الذم للذين يعملون السوء بجهالة قال أكثر المفسرين كل من عصى الله فهو جاهل وفعله جهالة ولهذا قال موسى أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين لانه حيث لم يستعمل ما معه من العلم بالعقاب والثواب فكأنه لا علم له وبهذا التفسير تكون المعصية مع العلم بأنها معصية جهالة وقيل المراد أنه جاهل بعقاب المعصية وقيل المراد أن يكون جاهلا بكونها معصية لكنه يكون متمكنا من تحصيل العلم بكونها معصية ولهذا أجمعنا على أن اليهودي يستحق على يهوديته العقاب وان كان لا يعلم كون اليهودية معصية لانه متمكن من تحصيل العلم بكون اليهودية ذنبا ومعصية وأن النائم أو الساهي لا يستحق العقاب لانه أتى بالقبيح غير متمكن من العلم بكونه قبيحا أما المتعمد فانه لا يكون داخلا تحت الآية وانما يعرف حاله بطريق القياس وانه لما كانت التوبة على هذا الجاهل واجبة فلأن تكون واجبة على العامد أولى لانه عالم بقبح تلك المعصية أما قوله ثم يتوبون من قريب فقد أجمعوا على أن المراد من هذا القرب قبل حضور زمان

المريد طلاقها وأما الذي أباح له أخذه منها بقوله فلا جناح عليهما فيما افتدت به فهو اذا كانت هي المريدة طلاقه وهو له كاره ببعض المعاني التي قد ذكرنا في غير هذا الموضع وليس في حكم احدى الآيتين نفي حكم الأخرى واذا كان ذلك كذلك لم يجز أن يحكم لاحداهما بأنها ناسخة وللأخرى بانها منسوخة الا بحجة يجب التسليم لها وأما ما قاله بكر بن عبد الله المزني من انه ليس لزوج المختلعة أخذ ما أعطته على فراقها اياها اذا كانت هي الطالبة الفرقة وهو الكاره فليس بصواب لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه أمر ثابت بن قيس بن شماس بأخذ ما كان ساق الى زوجته وفراقها اذ طلبت فراقه وكان النشوز من قبلها ✽ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا﴾ قد ذكر أن هذه الآية نزلت في قوم كانوا يخلفون على حلائل آبائهم فجاء الاسلام وهم على ذلك فحرم الله تبارك وتعالى عليهم المقام عليهن وعفا لهم عما كان سلف منهم في جاهليتهم وشركهم من فعل ذلك لم يؤاخذهم به ان هم اتقوا الله في اسلامهم وأطاعوه فيه ذكر الأخبار التي رويت في ذلك حدثنا محمد بن عبد الله المخرمي قال ثنا قراد قال ثنا ابن عيينة وعمرو عن عكرمة عن ابن عباس قال كان أهل الجاهلية يحرمون ما يحرم الا امرأة الاب والجمع بين الاختين قال فأنزل الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف وأن تجمعوا بين الاختين حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الآية قال كان أهل الجاهلية يحرمون ما حرم الله الا أن الرجل كان يخلف على حليلة أبيه ويجمعون بين الأختين فمن ثم قال الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة في قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف قال نزلت في أبي قيس بن الاسلت خلف على أم عبيد بنت ضمرة كانت تحت الاسلت أبيه وفي الاسود بن خلف وكان خلف على بنت أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار وكانت

الموت ونزول سلطانه ومعاينة أهواله وانما كان ذلك الزمان قريبا لان الاجل آت وكل ما هو آت قريب ولان مدة عمر الانسان وان طالت اذا قيست الى طرفي الازل والابد كانت كالعدم ولان الانسان يتوقع في كل لحظة نزول الموت به وما هذا حاله فانه يوصف بالقرب ومن في من قريب إما لابتداء الغاية أي يجعل مبتدأ توبته من زمان قريب من المعصية أو للتبعيض أي يتوبون بعض زمان قريب كأنه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زمانا قريبا لما قلنا ففي أي جزء تاب من أجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب والا فهو تائب من بعيد ألا ترى الى قوله حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن فبين ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراء ذلك في حكم القرب ومثله قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر والفائدة في قوله فأولئك يتوب الله عليهم بعد قوله انما التوبة على الله أن الاول اعلام بأنه يجب على الله قبولها لزوم الكرم والفضل والاحسان والثاني اخبار بأنه سيفعل ذلك أو المراد بالاول توفيق التوبة والاعانة عليها وبالثاني قبولها وكان الله

عليما بأنه انما أتى بتلك المعصية لاستيلاء الشهوة والغضب والجهالة عليه حكيما يجب في كرمه قبول توبة العبد اذا تاب من قريب قال المحققون قرب الموت وهو وقوعه في الشدائد بحيث يغلب على ظنه نزول الموت كما في القولنج وفي حالة الطلق وعند تلاطم الامواج مع انكسار السفينة لا يمنع من قبول التوبة بل التوبة حينئذ أولى بالقبول لقوله أمن يجيب المضطر اذا دعاه وانما المانع من قبوله معاينة سلطان الموت ومشاهدة أحواله وأهواله بحيث تصير معرفته بالله ضرورية كما لاهل الآخرة وحينئذ يسقط التكليف عنه اذ لم يبق في يده زمام الاختيار وأفضى الامر الى حد الالجاء والاجبار وههنا بحث للاشاعرة وهو أن أهل القيامة لا يشاهدون الا أنهم صاروا أحياء بعد أن كانوا أمواتا ويشاهدون أيضا أهوال القيامة فيستدلون بها على وجود الفاعل فكيف يكون ذلك العلم ضروريا وبتقدير كونه ضروريا فلم يمنع ذلك صحة التكليف وذلك أن العبد مع علمه الضروري بوجود الاله المثيب المعاقب قد يقدم على المعصية لعلمه بأنه كريم وانه لا تنفعه على طاعة العبد ولا يضره ذنبه وأيضا العلم النظري هو الذي لا يكون معه تجويز نقيضه وعلى هذا فلا فرق بينه وبين الضروري البتة وعلى هذا فكيف يصير النظري موجبا للتكليف والضروري مانعا من التكليف فثبت ضعف هذا الفرق وانه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فهو بفضله وعد قبول التوبة في بعض الاوقات وبعدله أخبر عن عدم قبول التوبة في وقت آخر وله أن يقلب الامر فيجعل المقبول مردودا والمردود مقبولا لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وأقول التحقيق فيه انه مالك الملك يتصرف في ملكه كيف يشاء وقوله صدق وأمره حق وقد عين لعبيده حالين دنيا وعقبى وقد أخبر أنه جعل الدنيا دار العمل والعقبى دار الجزاء وليس لاحد عليه اعتراض انه لم يعكس الامر ثم ان لليقين مراتب علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين وليس ببعيد أن لا يكون علم اليقين منافيا للتكليف ويكون عين اليقين منافيا له ثم عطف قوله ولا الذين يموتون على الذين يعملون السيئات تسوية بين الذين سوفوا توبتهم الى حضرة الموت وبين الذين ماتوا على الكفر في أنه

عند أبيه خلف وفي فاختة بنت الاسود بن المطلب بن أسد وكانت عند أمية بن خلف فخلف عليها صفوان بن أمية وفي منظور بن رباب وكان خلف على مليكة ابنة خارجة وكانت عند أبيه رباب بن سيار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قلت لعطاء بن أبي رباح الرجل ينكح المرأة ثم لا يراها حتى يطلقها أتحل لابنه قال هي مرسلة قال الله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء قال قلت لعطاء ما قوله الا ما قد سلف قال كان الأبناء ينكحون نساء آبائهم في الجاهلية حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الآية يقول كل امرأة تزوجها أبوك وابنك دخل أو لم يدخل فهي عليك حرام واختلف في معنى قوله الا ما قد سلف فقال بعضهم معناه لكن ما قد سلف فدعوه وقالوا هو من الاستثناء المنقطع * وقال آخرون معنى ذلك ولا تنكحوا انكاح آبائكم بمعنى ولا تنكحوا نكاحهم كما نكحوا على الوجوه الفاسدة التي لا يجوز مثلها في الاسلام انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا يعني أن نكاح آبائكم الذي كانوا ينكحونه في جاهليتهم كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا الا ما قد سلف منكم في جاهليتكم من نكاح لا يجوز ابتداء مثله في الاسلام فانه معفو لكم عنه وقالوا قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء كقول القائل للرجل لا تفعل ما فعلت ولا تأكل ما أكلت بمعنى ولا تأكل كما أكلت ولا تفعل كما فعلت * وقال آخرون معنى ذلك ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء بالنكاح الجائز كان عقده بينهم الا ما قد سلف منهم من وجوه الزنا عندهم فان نكاحهن لكم حلال لانهن لم يكن لهم حلائل وانما كان ما كان من آبائكم منهن من ذلك فاحشة ومقتا وساء سبيلا ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف الآية قال الزنا انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا فزاد ههنا المقت * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب

لا توبة لهم لأن حضرة الموت أول أحوال الآخرة فكما أن المائت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوّف الى حضرة الموت لمجاوزة كل منهما الحد المضروب للتوبة أو المعنى انه كما أن التوبة عن المعاصي لا تقبل عند القرب من الموت كذلك الايمان لا يقبل عند القرب من الموت أو المراد أن الكفار اذا ماتوا على الكفر فلو تابوا في الآخرة لا تقبل توبتهم أولئك أعتدنا لهم أي أعددنا الوعد نظير قوله فأولئك يتوب الله عليهم في الوعد ليتبين أن الأمرين كائنان لا محالة قالت الوعيدية المعطوف مغاير للمعطوف عليه لكن الطائفة الثانية كفار فالأولون فساق لكنهم مامشتركان في العذاب الأليم فثبت أن حكمهما واحد وأجيب بأن أولئك اشارة الى أقرب المذكورين و يعضده أن الكفار أشنع قولا من الفساق أو الطائفة الأولى هم الذين عاشوا على الكفر ثم تابوا في حضرة الموت كفرعون والثانية هم الذين عاشوا على الكفر وماتوا عليه كنمرود مثلا قوله سبحانه يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها من ههنا شروع في النهي عما كانوا عليه في الجاهلية من ايذاء النساء بصنوف من العذاب وضروب من البلاء وذلك أنواع الأول قوله لا يحل لكم أن ترثوا فيه قولان أحدهما الوراثة تعود الى المال أي لا يحل لكم أن تمسكوهن حتى ترثوا أموالهن وهن كارهات لامساككم وثانيهما أنها ترجع الى أعيانهن وكانوا اذا مات الرجل وله امرأة جاء ابنه من غيرها أو بعض أقاربه فألقى ثوبه عليها وقال ورثت امرأته كما ورثت ماله فصار أحق بها من نفسها ومن غيره فان شاء تزوجها بغير صداق الا الصداق الأول الذي أصدقها الميت وان شاء زوجها من انسان آخر وأخذ صداقها ولم يعطها منه شيأ فنزلت النوع الثاني ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن قال أكثر المفسرين كان الرجل منهم يكره زوجته ويريد مفارقتها فيسيء العشرة معها ويضيق الأمر عليها حتى تفتدى منه بمالها وتختلع فنهوا عن ذلك وقيل انه خطاب للوارث بأن يترك منعها من التزوج بمن شاءت وأرادت لتبذل امرأة الميت ما أخذت من الميراث كما كان يفعله أهل الجاهلية وقيل انه نهي للأولياء عن عضل المرأة أو للأزواج كما مر في سورة البقرة قال في الكشاف اعراب تعضلوهن النصب عطفا على أن ترثوا ولا لتأكيد النفي قلت الظاهر انه النهي لعطف الأمر وهو قوله وعاشروهن عليه وصاحب الكشاف نظر الى ما قبله وذهل عما بعده الا أن يأتين بفاحشة مبينة من قرأ بالفتح فلأن الفاحشة لا فعل لها في الحقيقة وانما الله تعالى هو الذي بينها أو الشهود الأربعة هم بينوها ومن قرأ بالكسر فلأنها اذا تبينت وظهرت صارت أسبابا للبيان كقوله انهن أضللن كثيرا من الناس لما صرن أسبابا للضلال ثم انه استثناء مماذا قيل من أخذ المال أي لا يحل له أن يحبسها ضرارا لتفتدى الا اذا زنت فحينئذ حل لزوجها أن يسألها الخلع وكان الرجل اذا أصابت امرأته فاحشة أخذ منها ما ساق اليها وأخرجها وقيل استثناء من العضل نهوا عن حبسهن في بيوت الأولياء والأزواج الا بعد وجود الفاحشة ومن هؤلاء القائلين من زعم ان هذا الحكم منسوخ بآية الجلد وقيل الفاحشة هي النشوز وشكاسة الخلق أي الا أن يكون سوء العشرة من جهتهن فانهم معذورون حينئذ في طلب الخلع النوع

على ما قاله أهل التأويل في تأويله أن يكون معناه ولا تنكحوا من النساء نكاح آبائكم الا ما قد سلف منكم فمضى في الجاهلية فانه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا فيكون قوله من النساء من صلة قوله ولا تنكحوا ويكون قوله ما نكح آباؤكم بمعنى المصدر ويكون قوله الا ما قد سلف بمعنى الاستثناء المنقطع لأنه يحسن في موضعه لكن ما قد سلف فمضى انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا فان قال قائل وكيف يكون هذا القول موافقا قول من ذكرت قوله من أهل التأويل وقد علمت ان الذين ذكرت قولهم في ذلك انما قالوا أنزلت هذه الآية في النهي عن نكاح حلائل الآباء وأنت تذكر أنهم انما نهوا أن ينكحوا نكاحهم قيل له وان قلنا ان ذلك هو التأويل الموافق لظاهر التنزيل اذ كانت ما في كلام العرب لغير بني آدم وانه لو كان المقصود بذلك النهي عن حلائل الآباء دون سائر ما كان من مناكح آبائهم حراما ابتدئ مثله في الاسلام بنهي الله جل ثناؤه عنه لقيل ولا تنكحوا من نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب اذ كان من لبني آدم وما لغيرهم ولا تقل ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء فانه يدخل في ما ما كان من مناكح آبائهم التي كانوا يتناكحونها في جاهليتهم فحرم عليهم في الاسلام بهذه الآية نكاح حلائل الآباء وكل نكاح سواه نهى الله تعالى ذكره ابتداء مثله في الاسلام مما كان أهل الجاهلية يتناكحونه في شركهم ومعنى قوله الا ما قد سلف الا ما قد مضى انه كان فاحشة يقول ان نكاحكم الذي سلف منكم كنكاح آبائكم المحرم عليكم ابتداء مثله في الاسلام بعد تحريمي ذلك عليكم فاحشة يقول معصية ومقتا وساء سبيلا أي بئس طريقا ومنهجا ما كنتم تفعلون في جاهليتكم من المناكح التي كنتم تتناكحونها ۞ القول في تأويل قوله ﴿حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن

الثالث من التكاليف المتعلقة بأحوال النساء وعاشروهن بالمعروف وهو الاجمال في القول والانصاف في المبيت والنفقة فان كرهتموهن ورغبتم في فراقهن فعسى أن تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا فههنا قد يميل طبعكم الى المفارقة ويكون الخير في الاستمرار على المواصلة منه الثناء في الدنيا بحسن الوفاء وكرم الخلق ومنه الثواب في العقبى بالصبر على خلاف الهوى ومنه حصول ولد نجيب ومال كثير واليمن في صحبتها قال صلى الله عليه وسلم الشؤم في المرأة والفرس والدار وقيل المعنى ان رغبتم في مفارقتهن فر عسى أن يجعل الله تعالى في تلك المفارقة لهن خيرا كثيرا بأن تتخلص من زوج سيء العشرة وتجد زوجا آخر أوفق منه النوع الرابع من التكاليف وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وذلك أنه لما أذن في مضارتهن اذا أتين بفاحشة بين تحريم الضرار في غير حالة الفاحشة يروى أن الرجل منهم كان اذا مال الى التزوج بامرأة أخرى رمى زوجته الاولى بالفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما أعطاها ليصرفه الى تزوج المرأة التي يريدها فنهوا عنه والقنطار المال العظيم وفيه دليل على

جواز المغالاة في المهر روى أن عمر قال على المنبر الا لا تغالوا في مهور نسائكم فقامت امرأة وقالت يا ابن الخطاب الله يعطينا وأنت تمنع وتلت هذه الآية فقال عمر كل الناس أفقه من عمر ورجع عن ذلك ويحتمل أن يقال ذكر ايتاء القنطار وارد على سبيل المبالغة والغرض لا الرخصة وهو في موضع الحال أي وقد آتيتم ومعنى الايتاء الالتزام ووقوع العقد عليه سواء أدى المال اليها أم لا واعلم أن النشوز ان كان من قبل الزوجة حل أخذ مال الخلع وان كان من قبل الزوج لم يحل الا أنه يفيد الملك لو خالع كما أن البيع وقت النداء منهي عنه ثم انه يفيد الملك أتأخذونه استفهام بطريق الانكار بهتانا وهو أن يستقبل الرجل بأمر قبيح يقذفه به وهو بريء منه لانه يبهت عند ذلك أي يتحير وفي الحديث اذا واجهت أخاك بما ليس فيه فقد بهته وهو مصدر في موضع الحال أي باهتين وآثمين أو على أنه مفعول له مثل قعدت جبنا وقيل بنزع الخافض أي ببهتان وقيل بمضمر أي تصيبون بهتانا وسبب تسمية هذا الأخذ بهتانا أنه تعالى فرض لها ذلك المهر فمن استرده فكأنه يقول ليس ذلك بفرض فيكون بهتانا أو انه عند العقد تكفل بتسليم ذلك المهر اليها وأن لا يأخذه منها فاذا أخذه منها صار القول الاول بهتانا أي باطلا أو كان من عادتهم أنهم اذا أرادوا تطليق الزوجة رموها بفاحشة حتى تفتدي فلما كان هذا الامر واقعا على هذا الوجه في الاغلب سيق الكلام على ذلك وبالحقيقة ان أخذ هذا المال طعن في ذاتها من حيث انه مشعر بأنها قد أتت بفاحشة وقبض على مالها فهو بهتان من وجه وظلم من وجه آخر وقيل المراد عقاب البهتان والاثم كقوله انما يأكلون في بطونهم نارا ثم تعجب من الاخذ مستفهما فقال وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض عن ابن عباس ومجاهد والسدي واختاره الزجاج وابن قتيبة واليه ذهب الشافعي أن المراد بالافضاء الجماع اذ الفضاء الساحة ويقال أفضيت اذا خرجت الى الفضاء وهذا المعنى انما يحصل في الحقيقة عند الجماع وقيل الافضاء أن يخلو بها وان لم يجامعها وهو قول الكلبي واختاره الفراء ويوافقه مذهب أبي حنيفة ان الخلوة الصحيحة تقرر المهر ورجح مذهب

تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما) يعني بذلك تعالى ذكره حرم عليكم نكاح أمهاتكم فترك ذكر النكاح اكتفاء بدلالة الكلام عليه وكان ابن عباس يقول في ذلك ما حدثنا به أبو كريب قال ثنا ابن أبي زائدة عن الثوري عن الاعمش عن اسمعيل بن رجاء عن عمير مولى ابن عباس عن ابن عباس قال حرم من النسب سبع ومن الصهر سبع ثم قرأ حرمت عليكم أمهاتكم حتى بلغ وأن تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف قال والسابعة ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الاعمش عن اسمعيل ابن رجاء عن عمير مولى ابن عباس عن ابن عباس قال يحرم من النسب سبع ومن الصهر سبع ثم قرأ حرمت عليكم أمهاتكم الى قوله والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم حدثنا ابن بشار مرة أخرى قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال ثنا سفيان عن الاعمش عن اسمعيل بن رجاء عن عمير مولى ابن عباس عن ابن عباس مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبي ذئب عن الزهري بنحوه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال حرم عليكم سبع نسبا وسبع صهرا حرمت عليكم أمهاتكم الآية حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن علي بن صالح عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم قال حرم الله من النسب سبعا ومن الصهر سبعا ثم قرأ وأمهات نسائكم وربائبكم الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مطرف عن عمرو بن سالم مولى الانصار قال حرم من النسب سبع ومن الصهر سبع حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت ومن الصهر أمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ثم قال والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم ولا تنكحوا ما نكح

آباؤكم

الشافعي بان الكلام ورد في معرض التعجب وهو انما يتم اذا كان هذا الافضا سباقريبا في حصول الالفة والمودة وذلك هو الجماع لا مجرد الخلوة وأيضا الافضاء لابد أن يكون مفسرا بفعل ينتهي منه اليها لان كلمة الى لانتهاء الغاية ومجرد الخلوة ليس كذلك اذ لم يحصل فعل من أفعال أحدهما الى الآخر فان قيل على هذا يجب أن يكون التلامس والاضطجاع في لحاف واحد كافيا في تحقيق الافضاء وأنتم لا تقولون به فالجواب انه باطل بالاجماع اذ القائل قائلان قائل بتفسير الافضاء بالجماع وقائل بتفسيره بمجرد الخلوة وأيضا الشرع قد علق تقرر المهر بتحقق الافضاء وقد اشتبه معناه أنه الخلوة أو الجماع فوجب الرجوع الى ماقبل زمان الخلوة ومقتضى ذلك عدم تقرر المهر ثم أكد المنع من استرداد المهر بقوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال السدي وعكرمة والفراء هو قولكم زوجتك هذه المرأة على ما أخذ الله للنساء على الرجال من امساك بمعروف أو تسريح باحسان ومعلوم أنه اذا ألجأها الى أن بذلت المهر فقد سرحها بالاساءة وقال ابن عباس ومجاهد الميثاق الغليظ كلمة النكاح المعقودة على الصداق واليها أشار في الحديث واستحللتم فروجهن بكلمة الله * وقال آخرون أخذن منكم بسبب افضاء بعضكم الى بعض ميثاقا غليظا ووصفه بالغلظ لقوته فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج

النوع الخامس من التكاليف المتعلقة بأمور النساء قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم قال ابن عباس وجمهور المفسرين كان أهل الجاهلية يتزوجون بأزواج آبائهم فنهوا عن ذلك وههنا مسئلة خلافية قال أبو حنيفة يحرم على الرجل أن يتزوج بمزنية أبيه وقال الشافعي لا يحرم حجة أبي حنيفة ان النكاح عبارة عن الوطء لقوله حتى تنكح زوجا غيره وبالاتفاق لا يحصل التحليل بمجرد العقد ولقوله وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح أي الوطء لان أهلية العقد حاصلة أبدا ولقوله الزاني لا ينكح الا زانية ولقوله صلى الله عليه وسلم ناكح اليد ملعون فيدخل في الآية المزنية لانها منكوحة أي موطوأة وعورض بالآيات الدالة على ان النكاح هو العقد كقوله وأنكحوا الأيامى منكم فانكحوا ما طاب لكم من النساء وبقوله صلى الله عليه وسلم النكاح سنتي ولا شك أن الوطء من حيث انه وطء ليس سنة له وبقوله ولدت من نكاح لا من سفاح وبأن من حلف في أولاد الزنا انهم ليسوا من أولاد النكاح لم يحنث سلمنا أن الوطء سمي بالنكاح لكن العقد أيضا مسمى به فلم كان حمل الآية على ماذكره أولى من حملها على ماذكرنا مع اجماع المفسرين على ان سبب نزول الآية هو العقد لا الوطء قالوا حقيقة في الوطء مجاز في العقد لانه في اللغة الضم وهذا المعنى حاصل في الوطء لا في العقد وانما أطلق النكاح على العقد اطلاقا لاسم المسبب على السبب والحمل على الحقيقة أولى أو مشترك بينهما ويجوز استعماله في مفهوميه معا فتكون الآية نهيا عن الوطء وعن العقد معا أو لا يجوز استعماله في المفهومين فيكون نهيا عن القدر المشترك بينهما وهو الضم والنهي عن المشترك يكون نهيا عن القسمين فان النهي عن التلوين يكون نهيا عن التسويد والتبييض لا محالة وأجيب بانه خلاف اجماع المفسرين وبأن استعمال اللفظ المشترك في كلا مفهوميه غير جائز وبأن معنى

آباؤكم من النساء فكل هؤلاء اللواتي سماهن الله تعالى وبين تحريمهن في هذه الآية محرمات غير جائز نكاحهن لمن حرم الله ذلك عليه من الرجال باجماع جميع الامة لا اختلاف بينهم في ذلك الا في أمهات نسائنا اللواتي لم يدخل بهن أزواجهن فان في نكاحهن اختلافا بين بعض المتقدمين من الصحابة اذا بانت الابنة قبل الدخول بها من زوجها هل هن من المبهمات أم هن من المشروط فيهن الدخول ببناتهن فقال جميع أهل العلم متقدمهم ومتأخرهم من المبهمات وحرام على من تزوج امرأة أمها دخل بامرأته التي نكحها أو لم يدخل بها وقالوا شرط الدخول في الربيبة دون الام فأما أم المرأة فمطلقة بالتحريم قالوا ولو جاز أن يكون شرط الدخول في قوله وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فوضع موصولا به قوله وأمهات نسائكم جاز أن يكون الاستثناء في قوله والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم من جميع المحرمات بقوله حرمت عليكم الآية قالوا وفي اجماع الجميع على أن الاستثناء في ذلك انما هو مما وليه من قوله والمحصنات أبين الدلالة على أن الشرط في قوله من نسائكم اللاتي دخلتم بهن مما وليه من قوله وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن دون أمهات نسائنا وروي عن بعض المتقدمين انه كان يقول حلال نكاح أمهات نسائنا اللواتي لم ندخل بهن وان حكمهن في ذلك حكم الربائب ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا ابن أبي عدي وعبد الاعلى عن سعيد عن قتادة عن خلاس بن عمرو عن علي رضي الله عنه في رجل تزوج امرأة فطلقها قبل أن يدخل بها أيتزوج أمها قال هي بمنزلة الربيبة حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد قال ثنا قتادة عن خلاس عن علي رضي الله عنه قال هي بمنزلة الربيبة حدثنا حميد قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد قال ثنا قتادة عن سعيد بن المسيب عن زيد بن ثابت أنه كان يقول اذا ماتت عنده وأخذ ميراثها كره أن يخلف على أمها واذا طلقها قبل أن يدخل بها فان شاء فعل حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن زيد بن ثابت قال اذا طلق الرجل امرأته قبل أن يدخل بها فلا بأس أن يتزوج أمها حدثنا القاسم قال ثني حجاج قال قال ابن جريج أخبرني عكرمة بن خالد أن مجاهدا قال

الفم لا يتصوّر في العقد سلمنا ان النكاح بمعنى الوطء ولكن ما في قوله ما نكح لا نسلم أنها موصولة لانها حقيقة في غير العقلاء وانما هي مصدرية والتقدير ولا تنكحوا نكاح آبائكم فان أنكحتهم كانت بغير ولي وشهود وكانت مرفية ومهرية فنهوا عن مثل هذه الانكحة قاله محمد بن جرير الطبري سلمنا ان المراد لا تنكحوا من نكح آباؤكم ولكنا لا نسلم ان من تفيد العموم واذا لم تفد العموم لم تتناول محل النزاع لكن لم قلتم ان النهي للتحريم لا للتنزيه سلمنا ان النهي للتحريم لكن لا نسلم أنه غير صحيح لان النهي عندكم لا يدل على الفساد كما في البيع الفاسد وفي صوم يوم النحر واذا كان منعقدا كان صحيحا ثم انا نستدل على جواز نكاح مزنية الاب بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن نهى عن نكاحهن الى غاية في ايمانهن وهذا يقتضي جواز نكاحهن بعد تلك الغاية على الاطلاق مزنية كانت أو غيرها الا ما أخرجه الدليل وهكذا سائر العمومات كقوله وأحل لكم ما وراء ذلكم وكقوله صلى الله عليه وسلم اذا جاءكم من ترضون دينه فزوّجوه وقوله زوّجوا أبناءكم الاكفاء وبقوله صلى الله عليه وسلم الحرام لا يحرّم الحلال ودخول التخصيص

فيه بما لو وقع قطرة من الخمر في اناء من الماء فتحرمه لا يمنع من الاستدلال به في غيره وقد ناظر الشافعي محمد بن الحسن في هذه المسئلة فوقع ختم الكلام على قول الشافعي وطء حمدت به ووطء رجمت به فكيف يشتبهان أما قوله تعالى الا ما قد سلف فللمفسرين فيه وجوه أحسنها ما ذكره السيد صاحب حل العقد انه على طريق المعنى فان النهي يدل على المؤاخذة بارتكاب المنهي عنه فكأنه قيل أنتم مؤاخذون بنكاح ما نكح آباؤكم الا ما قد سلف قبل نزول آية التحريم فانه معفوّ عنه وقال في الكشاف هذا كما استثنى غير أن سيوفهم من قوله ولا عيب فيهم يعني ان أمكنكم ان تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فانه لا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض المبالغة في تحريمه كقوله حتى يلج الجمل في سم الخياط وقولهم حتى يبيض القار وقيل استثناء منقطع لانه لا يجوز استثناء الماضي من المستقبل والمعنى لكن ما قد سلف فان الله قد تجاوز عنه وقيل الا بمعنى بعد كقوله لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى أي بعد موتتهم الاولى وقيل الا ما قد سلف فانكم مقرّون عليه قالوا انه صلى الله عليه وسلم أقرهم عليهن مدة ثم أمر بمفارقتهن وانما فعل ذلك ليكون صرفهم عن هذه العادة على سبيل التدريج وزيف بعضهم هذا القول وقال ما أقرّ أحدا على نكاح امرأة أبيه وان كان في الجاهلية وروى أنه صلى الله عليه وسلم بعث أبا بردة الى رجل عرّس بامرأة أبيه ليقتله ويأخذ ماله انه أي ان هذا النكاح كان قبل النهي فاحشة أعلم الله تعالى ان هذا الفعل كان أبدا ممقوتا عند العرب وهذا النكاح بعد النهي فاحشة في الاسلام لانه كان في علم الله وحكمه موصوفا بهذا الوصف والمقت عبارة عن بغض مقرون باستحقار حصل ذلك بسبب أمر قبيح ارتكبه صاحبه وهو من الله تعالى في حق العبد يدل على غاية الخزي والخسار قال بعضهم مراتب القبح ثلاث في العقول وفي الشرع وفي

له وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم أريد بهما الدخول جميعا قال أبو جعفر والقول الاوّل أولى بالصواب أعني قول من قال الام من المبهمات لان الله لم يشرط معهن الدخول ببناتهن كما شرط ذلك مع أمهات الربائب مع أن ذلك أيضا اجماع من الحجة التي لا يجوز خلافها فيما جاءت به متفقة عليه وقد روى بذلك أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم خبر غير أن في اسناده نظرا وهو ما حدثنا به المثنى قال ثنا حبان بن موسى قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرنا المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا نكح الرجل المرأة فلا يحل له أن يتزوّج أمها دخل بالابنة أم لم يدخل واذا تزوّج الام فلم يدخل بها ثم طلقها فان شاء تزوّج الابنة قال أبو جعفر وهذا خبر وان كان في اسناده ما فيه فان في اجماع الحجة على صحة القول به مستغنى عن الاستشهاد على صحته بغيره حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال لعطاء الرجل ينكح المرأة لم يرها ولا يجامعها حتى يطلقها أيحل له أمها قال لا هي مرسلة قلت لعطاء أكان ابن عباس يقرأ وأمهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن قال لا تبرأ قال حجاج قلت لابن جريج ما تبرأ قال كانه قال لا لا وأما الربائب فانه جمع ربيبة وهي ابنة امرأة الرجل قيل لها ربيبة لتربيته اياها وانما هي مربوبة صرفت الى ربيبة كما يقال هي قبيلة من مقبولة وقد يقال لزوج المرأة هو ربيب ابن امرأته يعني به هو رابه كما يقال هو جابر وجبير وشاهد وشهيد واختلف أهل التأويل في معنى قوله من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فقال بعضهم معنى الدخول في هذا الموضع الجماع ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله من نسائكم اللاتي دخلتم بهن والدخول النكاح وقال آخرون الدخول في هذا الموضع هو التجريد ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قلت لعطاء قوله اللاتي دخلتم بهن ما الدخول بهن قال ان تهدى اليه فيكشف ويعس ويجلس بين رجليها قلت أرأيت ان فعل ذلك في بيت أهلها قال هو سواء وحسبه

العادة فالفاحشة اشارة الى القبح العقلي لان زوجة الاب تشبه الام والمقت اشارة الى القبح الشرعي وساء سبيلا اشارة الى القبح العادي وساء فعل ذم وفاعله ضمير مبهم يفسره المنصوب بعده والله تعالى أعلم * التأويل الوراثة الدينية أيضا سبب ونسب فالسبب هو الارادة بلبس خرقة المشايخ والتشبه بهم والنسب هو الصحبة معهم بالتسليم لتصرفات ولايتهم ظاهرا وباطنا مستسلما الاحكام التسليك والتربية ليتولد السالك بالنشأة الثانية من صلب ولايتهم ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم الانبياء اخوة من علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وانما يتوارث أهل الدين على قدر تعلقاتهم السببية والنسبية والذكورة والانوثة في الجد والاجتهاد وحسن الاستعداد وبتوارثهم العلوم الدينية والدنية كقوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء وقول موسى للخضر هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم هي النفوس الامارات بالسوء فاستشهدوا عليهن أربعة منكم أي من خواص العناصر الاربعة التي أنتم منها مركبون وهي التراب ومن خواصه الخسة والذلة والماء ومن خواصه اللين والانوثة والشره والهواء ومن خواصه الحرص والحسد والبخل والشهوة والنار ومن خواصها الكبر والغضب وحب الرياسة فان شهدوا بأن يظهر بعض هذه الصفات من النفوس فأمسكوهن في البيوت في سجن الدنيا وأغلقوا عليهن أبواب الحواس الخمس حتى تموت النفس بالانقطاع عن حظوظها دون حقوقها أو يجعل الله لهن سبيلا بانفتاح روزنة القلوب الى عالم الغيب واللذان يأتيانها أي النفس والقالب يأتيان من الفواحش ظاهرا في الاعمال وباطنا في الاحوال والاخلاق فآذوهما ظاهرا بالحدود وباطنا بالرياضات وترك الحظوظ فأعرضوا عنهما باللطف بعد العنف وباليسر بعد العسر بجهالة أي بصفة الجهولية وهي داخلة في الظلومية لان الظلومية تقتضي المعصية والاصرار عليها والجهولية تقتضي المعصية فحسب فالعمل السوء اذا كان مصدره الجهولية فحسب يكون على عقيبه التوبة كما قال ثم يتوبون من قريب أي عقيب المعصية قال عليه السلام أتبع السيئة الحسنة تمحها والحسنة التوبة ويحتمل أن يقال من قريب أي قبل أن يموت القلب بالاصرار فان الله لا يقبل التوبة من قلب ميت لانها تكون اضطرارية باللسان لا اختيارية بالجنان ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم فيه اشارة الى النهي عن التصرف في السفليات التي هي الامهات المتصرف فيها آباؤكم العلوية الا ما قد سلف من التدبير الالهي في ازدواج الارواح لضرورة اكتساب الكمالات فان الركون الى العالم السفلي يوجب مقت الحق والله أعلم

قد حرم ذلك عليه ابنتها قلت تحرم الربيبة ممن يصنع هذا بأمها الا ما يحرم علي من أمتي ان صنعته بامها قال نعم سواء قال عطاء اذا كشف الرجل أمته وجلس بين رجليها أنهاه عن أمها وابنتها * قال أبو جعفر وأولى القولين عندي بالصواب في تأويل ذلك ما قاله ابن عباس من أن معنى الدخول الجماع والنكاح لان ذلك لا يخلو معناه من أحد أمرين اما أن يكون على الظاهر المتعارف من معاني الدخول في الناس وهو الوصول اليها بالخلوة بها أو يكون بمعنى الجماع وفي اجماع الجميع على ان خلوة الرجل بامرأته لا يحرم عليه ابنتها اذا طلقها قبل مسيسها ومباشرتها أو قبل النظر الى فرجها بالشهوة ما يدل على أن معنى ذلك هو الوصول اليها بالجماع واذا كان ذلك كذلك فمعلوم ان الصحيح من التأويل في ذلك ما قلناه وأما قوله فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم فانه يقول فان لم تكونوا أيها الناس دخلتم بامهات ربائبكم اللاتي في حجوركم فجامعتموهن حتى طلقتموهن فلا جناح عليكم يقول فلا حرج عليكم في نكاح من كان من ربائبكم كذلك وأما قوله وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم فانه يعني وأزواج أبنائكم الذين من أصلابكم وهي جمع حليلة وهي امرأته وقيل سميت امرأة الرجل حليلته لانها تحل معه في فراش واحد ولا خلاف بين جميع أهل العلم أن حليلة ابن الرجل حرام عليه نكاحها بعقد ابنه عليها النكاح دخل بها أو لم يدخل بها فان قال قائل فما أنت قائل في حلائل الابناء من الرضاع فان الله تعالى انما حرم حلائل أبنائنا من أصلابنا قيل ان حلائل الابناء من الرضاع وحلائل الابناء من الاصلاب سواء في التحريم وانما قال وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم لان معناه وحلائل أبنائكم الذين ولدتموهم دون حلائل أبنائكم الذين تبنيتموهم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال قلت لعطاء قوله وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم قال كنا نتحدث والله أعلم أنها نزلت في محمد صلى الله عليه وسلم حين نكح امرأة زيد بن حارثة قال المشركون في ذلك فنزلت وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم ونزلت وما جعل أدعياءكم أبناءكم ونزلت ما كان محمد أبا أحد من رجالكم وأما قوله وأن تجمعوا بين الاختين فان معناه وحرم عليكم أن تجمعوا بين الاختين عندكم بنكاح فأن في موضع رفع كأنه قيل والجمع بين الاختين الا ما قد سلف لكن ما قد مضى منكم فان الله كان غفورا الذنوب

عباده اذا تابوا اليه منها رحيما بهم فيما كلفهم من الفرائض وخفف عنهم فلم يحملهم فوق طاقتهم

يخبر بذلك جل ثناؤه أنه غفور لمن كان جمع بين الاختين بنكاح

في جاهليته وقبل تحريمه ذلك اذا اتقى الله تبارك

وتعالى بعد تحريمه ذلك عليه فأطاعه

باجتنابه رحيم به وبغيره من

أهل طاعته من

خلقه

*(تم الجزء الرابع من تفسير ابن جرير الطبري ويليه الجزء الخامس

أوله ﴿ القول في تأويل قوله والمحصنات من النساء ﴾)*